مُحاضرات الأُدباء

ومُحاورات الشُعراء والبُلغاء

للإمام الأديب الراغب الأصفهاني

أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل

حققه وضبط نصوصه وعلق حواشيه

الدكتور عمر الطباع

الجزء الأول

الناشيء

محاضرات الأدباء
ومحاورات الشعراء والبلغاء

مُحَاضَرَاتُ الأُدَبَاءِ

وَمُحَاوَرَاتُ الشُّعَرَاءِ وَالبُلَغَاءِ

للإمام الأديب الرّاغب الأصفهاني

أبي القاسم الحُسين بن مُحَمَّد بن المُفَضَّل

الناشيء

حققه وضبط نصوصه وعلّق حواشيه

الدكتور عمر الطبّاع

الجزء الأول

جميع حقوق الطبع والصف والاخراج
محفوظة لـ :

شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الناشيء

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف : ٥٥٦٩٧٦ - ٥٥٦٩٧٨ - ص . ب : ٣٨٧٤
فاكس ٦٠٣٠١٣ كود بيروت ٠٠٩٦١١ -

بسم الله الرحمن الرحيم

الراغِبُ الأصفهاني

وكتابهُ «محَاضرات الأدباء»

بقلم: الدكتور عمَر الطبّاع

●

تعدّدت ينابيع عرفانه، وتنوّعت مناهل علومه وموارد آدابه، وتشعّبت مذاقاته الفكريّة، حتّى شملت جملةَ ثقافاتِ عصره الأصيلة والدخيلة، فكان طويل الباع في آداب العربية ـ لغة وبياناً ورواية وقصصاً وشعراً ومثلاً ـ كما كانَ عميق الاطلاع في المعارف الدينية الإسلامية ـ حديثاً وفقهاً وعقيدة وتفسيراً ـ.

ولئن توزّعت ملكاته بين هذين الاتجاهين الرئيسين من اتجاهات التراث فقد كان مشدوداً إلى جداول شتّى من ثقافات اليونان والهند وفارس، والتي كانت قد تآلفت بأسباب التمازج الحضاري والتفاعل البيئي، وبفضل الثقافة وحركة النقل الواسعة، لتنساب بقوّة وزخم في خضم نهر المعارف العربية الدافق والذي كان يتّسع ويمتد ويعمق غوره، وتصطخب أثباجه ولججه، منذ مشارف دولة العبّاسيين على اختلاف أعصرها، وتعدّد أصقاعها، حتّى زمن السلاجقة وحملةِ الصليبيين، بين بدايات القرن الخامس ونهايات القرن السابع الهجريين.

ذاك هو العلاّمة الفذّ الباحث والمؤلف والمصنّف المعروفُ بـ «الراغِب الأصفهانيّ».

●

هو الحسين بن محمّد بن المفضّل، باتفاق جلّ المؤرخين، أو الفضل في بعض النّصوص والروايات.

وذهب السيوطي إلى أن اسمه هو الفضل بن محمّد. وقد اشتهر بلقبه الراغب الأصفهانيّ في المصادر والمراجع القليلة التي عنيت بأخباره وآثاره، كما كنّي بأبي القاسم.

ولعلّ السيوطي في «بغية الوعاة»، والذهبي في «طبقات المفسّرين»، في القديم، وبروكلمن في «دائرة المعارف الإسلامية» وجرجي زيدان في «تاريخ آداب اللغة العربية» حديثاً، هم الذين ألقوا الضوء على شخصية الراغب ونتاجه مما دفعنا إلى التساؤل عن أسباب إغفال سيرته ودرسه من قبل مؤرخين مرموقين كبار، من أمثال ياقوت وابن العماد

الحنبلي وغيرهما، في الوقت الذي رحُبت فيه موساعاتُهم أو معاجمهم بأعلام أقلّ منه نباهة وأقصر، في حقل التأليف، باعاً.

بسبب هذا الصدوف عن احتضان الراغب الأصفهاني الرجل والعالم، وجدنا أنفسنا نفتقر إلى كثير من الأرقام والأخبار التي من شأنها تحديد المحطّات الهامة في تاريخ حياته، والخطوط الرئيسة من سيرته، بين الولادة وعهد الطلب وعهد الأستاذية، لمعرفة كبار شيوخه وبالتالي تلامذته، وغير ذلك من وقائع تلك الحياة وروابطها الاجتماعية والسياسيّة.

وأيّاً كانت طبيعة المعطيات الكامنة وراء افتقادنا آثار أقدام الراغب الأصبهانيّ فوق رمال عصره، فنحن نستطيع أن نرسم صورة لكثير من معالم تلك الأقدام الضائعة في ضوء أحداث القرن الخامس الهجري والإحاطة بظروفه وأحواله على كافة الصعد سياسياً واجتماعياً وفكرياً:

لقد شهد عصر الراغب الأصفهانيّ، من الناحية السياسية حدثين كبيرين في فترتين متباعدتين: أما الأول فهو ظهور مملكة السلاجقة في أواسط تركستان والغرب لتشتمل منذ نهاية العقد الثالث من القرن الخامس أي حوالي سنة ٤٣٠هـ (١٠٣٨م) على رقعة واسعة من البلدان، من أرض الصين وأفغانستان في شرقي آسيا إلى كردستان والعراق والشام لجهة الغرب.

أما الحدَث الثاني الذي أشرنا إليه فهو حملة الصليبيين التي انطلقت من أوروبا غرباً إلى بيت المقدس في فلسطين مكتسحة الشام من أعاليها وصولاً إلى مصر.

ويتضح للمتأمل في حياة الراغب أنها ظلّلت جميعاً بحكم السلاجقة ولكنّها لم تعاصر حرب الصليبيين إلا في السنوات الاثنتي عشرة التي سبقت وفاته، ومعلوم أن الراغب مات سنة ٥٠٢هـ (١١٠٨م)، وأن دولة الصليبيين أرسيت مداميكها الأولى سنة ٤٩٢هـ (١٠٩٨م).

•

ولئن كان التمهيد لكتاب من آثار الراغب لا يسمح لنا بأن نتبسط في درس ظروف بيئته العامّة والخاصّة إبّان القرن الخامس الهجري، إلا أننا نقف عند بعض الوقائع الكبرى في سياق العصر انطلاقاً من بدايات العقد الخامس أي في حدود السنة ٤٤٤هـ، ولا ندري هل كان الراغب آنذاك قد أبصر نور الحياة أم أن ولادته كانت بعد هذا التاريخ؟

ففي السنة المذكورة كما يذكر الذهبي في تاريخه[1] ذرّت الفتن المذهبية قرنها في بغداد، ولا سيّما في الكرخ، وجرت تصادمات بين فئات متناوئة فكان قتال وحملات ومناوشات وشبّت نيران ووقعت الضحايا من كل فريق.

وفي هذا العام بالذات لم تقتصر الفتن على داخل البلاد بل بدأت الغارات على جهات

(١) الحافظ الذهبي: العبر في خبر من غبر: خبر سنة ٤٤٤هـ (الجزء الثالث).

شتّى من العراق بين السلاجقة الغزّ وأنصار الغزنويّ. وكان من نتائج هذه الحروب تقدّم الطلائع السلجوقية نحو الحواضر العراقية.

وفي العام ٤٤٠ رافق وفاة أبي العلاء في المعرّة دخول المصريين إلى حلب بعد أن عجز صالح بن مرداس عن الثبات، والبلاد تعاني قحطاً وأزمات اجتماعية، كما حصدت الأوبئة في بلاد ما وراء النهر نحو مليون ونصف من أهاليها.

وفي حدود السنة ٤٥٦ بسط السلطان طغرلبك السلجوقي ملكه على العراق بعد بلاد الريّ ونيسابور، وانتصر للشافعيّة، كما حلّ ألب أرسلان من سلاطين سلجوق على هراة وتقدّمت جيوشه إلى أذربيجان كما غزا العديد من حصون الروم قبل عودته إلى أصبهان.

ومن أبرز مظاهر الفكر في سياق حياة الراغب الأصفهاني قيام المدرسة النظامية ببغداد وانتداب مشاهير العلماء للتدريس فيها. ونظامية بغداد، هي التي احتضنت الغزالي يافعاً في عهد الطلب وعالماً قطباً في عهد الأستاذية.

وفي السياق عينه امتدت الحركة الإسماعيلية إلى الشام واشتد الصراع بينهم وبين السلاجقة بين كرّ وفرّ في العديد من النواحي والمدن، بينما كانت جيوش الفرنج تستولي على مدن الساحل بين طرابلس وبيروت.

وفي السنة التي مات فيها الراغب كان الملك بغدوين يحاصر مدينة صور. وصادف موته موت الإمام أبي حامد الغزالي.

ولئن كان عصر الراغب قاتماً في العديد من النواحي العامّة السياسية والإدارية والاجتماعية ولا سيما من حيث اتساع رقعة الفتن الدينية، فهو في جانب آخر كان عصر ازدهار علمي وأدبي، من أبرز معالمهما قيام المدارس النظامية ونبوغ عدد كبير من العلماء والباحثين واهتمام الأدباء بالتأليف في شتّى حقول الأدب، وظهور المعاجم التاريخية والجغرافية والأدبيّة.

●

عاصر الراغب الأصبهاني من الشعراء أبا العلاء المعري (٤٤٩هـ = ١٠٥٧م) وابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ = ١٠٧٣م)، وابن حيوس (٤٧٣هـ = ١٠٨٠م) من شعراء الشام؛ والطغرائي (٥١٤هـ = ١١٢٠م) من شعراء العراق وأعالي الجزيرة، وابن الهبارية (٥٠٩هـ = ١١٥م) وأبو إسحاق الغزاليّ (٥٢٤هـ = ١١٢٩م) وابن عبدون (٥٢٠هـ = ١١٢٦م)، وابن خفاجة من شعراء الأندلس.

ومن معاصريه الذين كانوا أقطاب العلوم اللغوية والأدبية: التبريزي (٥٠٢هـ = ١١٠٨م)، والحريري صاحب المقامات (٥١٦هـ = ١٢٢م)، وابن الشجري الشريف أبو السعادات (٥٤٢هـ = ١١٤٧م)، وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ = ١٠٧٨م)، والزوزني شارح المعلّقات (٤٨٦هـ = ١٠٩٣م)، والميداني صاحب مجمع الأمثال (٥١٨هـ =

١١٢٤م)، وأبو القاسم الزمخشري الموسوعي (٥٣٨هـ = ١١٤١م) صاحب التصانيف البارعة في اللغة والبيان والتفسير والحديث، وغير هؤلاء العشرات من المؤرخين وأرباب اللغة وكبار النحاة في أقطار العالمين العربي والإسلامي، وهو ما لا يتسع هذا المجال لتعدادهم والتنويه بآثارهم ومآثرهم.

•

كان من الطبيعي أن يتحفنا الراغب الأصفهاني بعدد لا يستهان به من المؤلّفات والتصانيف في العديد من حقول الفكر والأدب، بمؤثرات شتّى تمخضت عن التفاعل العميق، بين الأقاليم الإسلامية آنذاك، وهو الامتزاج الذي كان يتجاوز نطاق الإدارة والسياسة إلى ضرب من التلاقي الثقافي النشيط والتكامل الحضاري الدائب، اللذين تمخّض عنهما العدد الهائل من الدراسات والأبحاث والمختصرات، فضلاً عن المعاجم، وبالتالي دوائر المعارف والموسوعات.

•

ليس بعيداً أن يكون الزمن قد أضاع في ثناياه عدداً من تآليف الراغب، لأنه إذا فات أقطاب التاريخ الأدبي الالتفات إلى شخصيته أو حملهم على إهماله باعثٌ من عصبيّة أو ذريعة من حميّة مذهبية أو دينيّة، فليس ببعيد أن تطمس أعماله بجريرة الرغبة في تقليص أثره وحجمه. ولم يكن التأريخ في أي حقبة من الزمن في منأى عن مثل تلك الأهواء والميول والأغراض، المخالفة للتاريخ كعلم، والتي هي من أغلاط المؤرخين التي نبّه إليها العلماء وعلى رأسهم ابن خلدون في مقدّمته الشهيرة.

وفي اعتقادي أن الراغب الذي نُسب عند فريق إلى مذهب المعتزلة، قد أُجحِفَ حقّه من قبل الدارسين الذين كانوا يرفعون راية السلفيّة ويحاربون ما اعتبروه بدعة في الاجتهاد وحكموا عليه بالبطلان، ولا ينفي ما ذهبنا إليه كون بعض العلماء أمثال الرازي في كتابه «أساس التقديس» قد قال بأن الراغب من المحافظين وأنه كان من أهل السنة.

وبعد جلاء هذه الظاهرة والتنبّه إلى احتمال وقوع الراغب ضحية مغالطات المؤرخين وخروجهم عن أسس الموضوعية والصدق، نشير إلى أنّ ما ذكر من آثار أبي القاسم موضوع هذه التوطئة يمكن إدراجه في جدولين من جداول مفردات التراث الأدبي والديني، عنيت ما هو ملحوظ في باب المخطوطات، وما هو موصوف في باب المطبوعات.

فمن كتبه التي لا تزال مخطوطة:

أ ـ حلّ متشابهات القرآن.

ب ـ تحقيق البيان وهو كتاب في اللغة والحكمة[١]

(١) انظر الأعلام الزركلي: (٢/ ٢٥٥).

د ـ كتاب في الاعتقاد

هـ ـ كتاب في أدب الشطرنج، محفوظ في قاشان، تحت عنوان: [١٧٠/ ٩٤ Menzel - isl].

أما كتب الراغب المطبوعة، كما وردت في قاموس تراجم «الأعلام» للزركلي، فهي:

أ ـ الذريعة إلى مكارم الشريعة.

ب ـ جامع التفاسير

ج ـ المفردات في غريب القرآن.

د ـ تفصيل النشأتين.

هـ ـ كتاب «محاضرات الأدباء» الذي تجدّد دار الأرقم اليوم طبعته، بعد مرور نحو قرن على نشر مختصره بالقاهرة عام ١٩٠٢، ولنا عودة ثانية إلى هذه المطبوعة.

●

وبالرجوع إلى ترجمة الراغب في دائرة المعارف الإسلامية، يطلعنا بروكلمن على تفاصيل أشمل وأكثر دقّة تتصل بمجموعة هذه المؤلفات، حرصنا على إثبات ما رأيناه ضرورياً منها، لمزيد من الإحاطة بعلم الراغب وأدبه. ولهذا نحن نضع بين يدي الباحث الإلماعات التالية:

أ ـ يعتبر بروكلمن أن طليعة الدراسات التي قام بها الراغب كانت تدور حول تفسير القرآن الكريم وتعاليمه في التهذيب وهي «رسالة منبهة على فوائد القرآن» قيل إن البيضاوي نقل عنها في التفسير المعروف باسمه.

ويرجّح بروكلمن أن الرسالة المذكورة هي عينها التي طبعت بالقاهرة سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) ذيلاً لكتاب «تنزيه القرآن عن المطاعن» لعبد الجبّار، وهي كذلك الرسالة التي تعرف باسم «مقدّمة التفسير».

ب ـ أما كتاب «مفردات ألفاظ القرآن» فهو من المعاجم التي تُرتّب القرآن على حروف الهجاء، ولهذا الكتاب مخطوطات شتّى في استانبول [(Le Monde Oriental)(٧/ ١٠٦ ـ ١٢٧)]، وفي بنكيبور برمز Cat (١٨/ ١٤٨٤). وهذا الكتاب مطبوعٌ في القاهرة سنة ١٣٢٢هـ (١٩٠٧م) بعنوان «مفردات في غريب القرآن»، على هامش كتاب ابن الأثير المعروف باسم «النهاية».

ويشير إلى بروكلمن إلى أن الراغب أشار في مقدمة كتابه هذا إلى كتاب آخر كان يخطط له بعنوان: «في مترادفات القرآن».

ج ـ ويفهم من سياق ترجمة الراغب في دائرة المعارف الإسلامية أن كتاب «الذريعة إلى مكارم الشريعة هو المعنيّ بكتاب الراغب الكبير في الأخلاق وأنه لنفاسته وأهمية مضامينه، كان الإمام أبو حامد الغزالي «يحمل دائماً نسخة» منه. ولهذا الكتاب مخطوطات

محفوظة في المتحف البريطاني وفي مكتبة استانبول[1]، فضلاً عن طبعته الصادرة في القاهرة ١٢٩٩هـ (١٨٨٢م).

د ـ ويعتقد بروكلمن أن كتاب «تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين» ـ الذي طبعه طاهر الجزائري في القاهرة، نقلاً عن مخطوط بيت المقدس الموجود في المكتبة الخالدية (تحت رقم ٧٢)، مماثل في موضوعه، وبالتالي غير بعيد في مضمونه عن الكتاب أعلاه، وهو الذريعة إلى مكارم الشريعة.

وتبقى لنا إلمامة وافية بكتاب الراغب الذي نقدّم له وهو «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء».

•

كان الراغب الأصفهاني، مثقفاً متوازن الأبعاد الثقافية والفكرية، وكانت شخصيته كمؤلف ذات مرتكزات ثلاثة فهو في الآن نفسه الفقيه والمتكلّم والأديب. ولهذا خاض في مسائل الشريعة والعقيدة والأخلاق، ومزج الأدلة الدينيّة بالأدلة العقلية وكتابه «تحقيق البيان» المنوّه به في مقدّمة «كتاب الشريعة» كما يقول بروكلمن يعتبر كتاباً في اللغة والكتابة والأخلاق والعقائد والفلسفة وعلوم الأوائل.

إلا أن أهم أثر للراغب الذي من شأنه الكشف عن شخصية الأديب الناقد فهو كتابه «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» وهو أشبه بالكتاب الموسوعي الغنيّ بالشفافيّة الأدبيّة والذوق الشعري، وروح الكاتب الذي يجيد أساليب التصنيف وطرق العرض والتبويب، والذي لا تحوجه المنهجيّة العلمية ولا أداة التقسيم المنطقي؛ يستمدها ـ ولا ريب ـ من زاد معرفي واسع، وإلمام بمصادر شتّى أدبيّة وفلسفيّة.

وخير دليل على هذه المقولة ما أورده الراغب نفسه في مقدّمة كتابه ذاكراً أنه استجاب في وضعه لرغبة من ينعته بقوله: «سيدنا»، دونما تحديد أو تركيز أو وصف. ولا نستطيع نحن التكهن بصاحب السيادة الذي أحبّ أن يختار له الراغب هذه الفصول «في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» من «نكت الأخبار وعيون الأشعار»، ليغدو الكتاب «صيقل الفهم ومادة العلم».

•

والدّارس للمقدمة التي صدّر بها الراغب كتابه، والمتأمل في أبواب الكتاب وفصوله والتي استعاض فيها عن التقسيم المألوف بمصطلح «الحدّ»، فجعل كتابه «خمساً وعشرين حداً» جامعة لمسائل العقل والعلم والجهل والسيادة والعدل والأخلاق والقرابة وأنواع المروءات والعرفان والعقوق، انطلاقاً إلى الصناعات ومسائل الإيمان ومرابع العطاء والجود،

(١) دائرة المعارف الإسلامية: ٩/ ٤٧٤.

وما يدور في فلكها من الكلام على الأطعمة والمشارب، تخلصا إلى الندماء ومجالس اللهو والغناء، انعطافاً إلى مراتع الوجدان في دائرة الغزل والهوى والعشق، دون أن يسقط من ثنايا كتابه فضيلة الشجاعة وما كان يدور في فلكها من مواقف الحرب والصلح والثأر ودفع الديات عند العرب، معرّجاً إلى موضوع الزواج وحيثياته وسياسة الرجل المرأة ومسائل الغيرة والطلاق.

ويستكمل الراغب فيما تبقى من هاتيك الحدود كلّ ما يمسّ واقع الإنسان في بيته وديانته فيتحدث عن الرياش والملابس والعبادات ويخوض في مسائل العقيدة فيشتمل عرضه على قضايا الإيمان والزهد والتصوف والنبوّة مروراً بالإسلام والقرآن وأسباب التنزيل.

ويتبع شؤون الحياة بالكلام على الموت، ويجول عبر الزمان والمكان فيلوّن كتابه بزخارف شيّقة تنساب عبر فصول الطبيعة ونباتها وأزاهرها وحيوانها من وحش وطير وهوام، ثم تراه يذهب بعيداً فيحدث عن الأفلاك والنجوم والسحب انتهاء إلى جملة من النوادر والحكم.

فكتاب «المحاضرات» وجه يكاد يكون فريداً في بابه بين كتب الطرائف والحكايات، لأنه يمتاز بالشمولية والعمق وتلفّه روح العلم وتهيمن عليه هواطل من معطيات الوجدان والعقل. إنّه بحقّ سفر جامع بين الجدّ واللهو والأخبار والملح الأدبية وكأن الراغب يحدّد به صفات النديم وثقافته إذ يقول:

«ومن لا يتحلّى في مجلس اللهو إلا بمعرفة اللغة والنحو كان من الحصر صورة ممثلة أو بهيمة مهملة. ومن لا يتتبع طرفاً من الفضائل المخلدة على ألسنة الأوائل كان ناقص العقل. فالعقل نوعان: مطبوع ومسموع، ولا يصح أحدهما إلا بالآخر».

●

وكأني بكتاب المحاضرات كما أراده الراغب، قمة أدب المؤانسة والمجالسة حتى عصره وفي ضوئه وضع شهاب الدين الأبشيهي كتابه «المستطرف في كل فن مستظرف» وفي بابه نجد «طرف الألباب وتحف الأحباب» لليافعي و «طرف المجالسة وملح المؤانسة» لابن المرابط وعشرات التصانيف المماثلة.

والكتاب فضلاً عمّا تقدّم معرض فكري شيّق لم يدع مفردة من مفردات الواقع الإنساني، إلا تتبعه في دواوين الشعراء وكتب الأمثال وخواطر الحكماء والأدباء، وهو يتميّز بالطلاوة والإيجاز والبعد عن الهذر، مع أمانة في العرض، وروح واقعية، تجعله في منأى عن أي إسفاف أو تبذل، وبعيداً أيضاً عن التلفيق أو التصنع فهو لا يتستر على عيب، ولا يتردد في سوق الشواهد على ما فيها أحياناً من الركة أو السخرية أو الابتذال والبذاءة، ما دامت ترمي إلى الإمتاع والمصارحة والمكاشفة.

●

إن كل إسهاب في وصف مضامين كل حدّ من ماهيات تلك الفصول يصبح ضرباً من اللغو والإطالة الباعثة على الإملال، ما دام الكتاب بين أيدينا وهو خير مترجم عن أدب صاحبه وأسلوبه وذائقته الفنيّة وعلو كعبه في العلوم والآداب والخبرة في طبائع الإنسان وملكاته وما فيه من الكياسة والظرف والملاحظة النفسيّة.

•

إن النسخة التي انطلقنا منها في تحقيق جزئي هذا الكتاب ترتقي إلى العام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م)، وقد تكبّدنا في قراءتها وتصويبها والتغلّب على عثرات الطبع فيها ـ وهنات الطباعة القديمة وإهمال الضوابط على اختلافها ـ الكثير من العناء، وإلى درجة الإعياء، وبالرغم من المثابرة والمصابرة والرجوع إلى عشرات المصادر الخاصّة بالشعر لتذليل مواطن الإبهام والغموض المتفشيّة في نسخة الكتاب، لا يسعنا مع ذلك، إلا الاعتذار عمّا يكون قد فاتنا من تقصير أو ضبط أو تحديد لبعض العبارات والشواهد. وفيما خلا ما تقدّم يبقى كتاب المحاضرات في حلّته الجديدة ـ وإخراجه وطريقة عرضه وتقسيم كل حدّ من حدوده وإبراز مقاطع كل منها وعناوينها. تجعل منه ـ ملاذ كلّ قارىء محبّ للأدب ومتذوّق لفنون القول وضروب الكلم وأغراضه.

إنّ هذا الكتاب الموسوعة، هو بحق نزهة للعقل والقلب على السواء وزاد لا ينضب من علم الأوّلين وأشعارهم وحكمهم وأمثالهم ومعارفهم.

ولئن كانت ألف ليلة وليلة إحدى قمم السرد الشيق والحكايات الطريفة الجامعة بين الواقع والخيال فكتاب الراغب ـ «المحاضرات» ـ رحلة مماثلة ولكنها في عالم الوعي والحقائق والأمثولات والعبر، فهو يضع بين يدينا الأشياء وأضدادها والفكر ونقائضها، ويترك لنا البحث عمّا هو أكثر صدقاً وواقعية.

•

لعلّ أمثل ما نقوله في ختام هذا التصدير لتبرير عدم ترددنا عن إحياء قديم التراث الذي يظلّ قادراً على مواكبة الحداثة بما فيه من الإبداع والأصالة على ما في هذه الرسالة من صعاب كلمة العماد الأصفهاني إذ يقول: رأيت إنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

إن الكمال لله وحده، وحسب المرء أن يكون صادقاً فيما يعمل وفي هذا كلّ الرضى والعزاء، لأن العطاء مشفوعاً بالطموح إلى الأفضل، أجدى من النكوص مع التزمّت، وهذا هو معيار الارتقاء الحقيقيّ، ولله الحمد وعليه التكلان.

بيروت في: ١٨/ ٢/ ١٩٩٩م

٢/ ١٠/ ١٤١٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتِحةُ الكتاب

بقلم: الراغب الأصفهاني

قال الشيخ **أبو القاسم الحسين بن محمّد المفضّل الراغِب**، رحمه الله تعالى:

الحمدُ لله الذي تقصر[١] الأقطارُ أن تحويَه، وتعجز الأستارُ أن تخفيَه، حمداً يقتضي تضاعف نعمائه[٢] ويمتري ترادف آلائه[٣]

وصلّى الله على من أوضح به الإعلام، وشرع بلسانه الإسلام، منار الهدى وخيار الورى[٤]

وبعد: فإن سيّدنا ـ عمّر اللّهُ بمكانه مرابعَ الكرم، ومجامعَ النعم ـ، أَحَبَّ أن أختار له ممّا صنّفتُ من نُكَتِ[٥] الأخبار، ومن عيون الأشعار، ومن غيرهما من الكتب، فُصولاً في محاضرات الأدباء، ومُحاوراتِ الشّعراء والبُلَغاء، يجعلهُ صَيقَلَ الفهم[٦] ومادة العلم. ففعلتُ ذلك إيجاباً له إذْ قد جَعَلَ مراعاةَ الأدب شعارَه ودثارَه[٧]، ومحاماة الفضل إيثارَه[٨] واختيارَه، وجعلَ زمامَ حسبه بكفّ أدبِهِ، وسلكَ في زماننا طريقاً قلَّ سالكُوه ـ طرق العلاء قليلةُ الإيناس[٩]

---

(١) **تقصر**: خلاف تطول، من القَصْر والقِصَر وهما خلاف الطول، والقصير خلاف الطويل، **والقَصْر**: الكفّ أو كفّ النفس عن أمر، لذا يقال: قصَرت نفسي عن هذا أقصرها قصْراً. وقال **ابن السكّيت**: أقصر عن الشيء إذا نزع عنه وهو يقدر عليه وقَصَر عنه إذا عجز عنه ولم يستطعه، وهذا هو المعنى المقصود من قوله: **تقصُر الأقطار أن تحويه**.

(٢) **يقتضي تضاعف نعمائه**: النعماء: اليد البيضاء الصالحة، جمع أنعم.

(٣) **ترادف آلائه**: الآلاء: جمع الإلَى والألَى أي النعمة.

(٤) **الورى**: الخَلْق.

(٥) **نكت الأخبار**: النكت جمع النكتة وهي في هذا السياق الجملة اللطيفة تؤثر في النفس انبساطاً، والنكتة أيضاً المسألة الدقيقة أخرجت بدقة نظر وإمعان.

(٦) **صيقَل الفهم**: الصّيقل: مبالغة صاقل من صقل الشيء إذا جلاّه وملّسه وكشف صدأه، **والفهم**: تصوّر الشيء وادراكه.

(٧) **دثاره**: الدثار: ما يتغطّى به وهو أيضاً الثوب الذي يستدفأ به من فوق الشّعار والدثار هنا من باب المجاز.

(٨) **إيثاره**: الإيثار: التفضيل.

(٩) **الإيناس**: مصدر أنس الشيء أبصره وعلمه، والصوتَ سمعه وأحسّ به.

وقد ضمّنْتُ ذلك طرفاً من الأبيات الرائقة، والأخبار الشائقة، وأوردت فيه، ما إذا قيس بمعناه:

يكونُ منهُ مكانَ الروحِ من جسَدٍ والبدرِ من فلكٍ والنجمِ من قطُبِ

فإنه ظرْفٌ[١] مَلىء طُرَفاً[٢]، ووعاءٌ حشيٌ[٣] جدًا وسُخفًا، من شاءَ وجدَ منه ناسكاً[٤] يعظِهُ ويبكيهِ، ومن شاءَ صادف منه فاتكاً[٥] يضحكهُ ويُلهيه:

فالجِدّ والهَزْلُ في تَوْشيحِ لُحمتها والنبلُ والسّخفُ والأشجانُ والطرب

وأعوذُ بالله أن أكونَ ممّن مدحَ نفسَه وزكّاها[٦]، فعابَها بذلك وهجَاها، وممّن أزرَى[٧] بعقله، لإعجابه بِفعله، فقَدْ قيل لا يزالُ المرءُ في فسحةٍ من عَقْله، ما لم يُقلْ شعراً أو يصنِفْ كتاباً.

وأوْلَى من يصرف همّتَه إلى مراعاة مثلِ هذا الكتاب، من تحلّى بطرف من الآداب، فيصيرَ به طليقَ اللسان، ذليقَ البيان[٨]، فكم من أديبٍ تتقاعَدُ بداهة المقال[٩]، في كثيرٍ من الأحوال، فلا يجدُ من فهمِهِ مساعفة[١٠]، ولا من علمه مكانفة[١١]، فيُرى في العيّ مثلَ باقِلٍ[١٢]، وإن كانَ في الغزارة سحبانَ وائِلٍ[١٣]

وقد قيل: خيرُ الفقه ما حاضرت به، ومن لا يتحلّى في مجلس اللهوِ، إلا بمعرفةِ

---

(١) الظَرف (هنا): الوعاء، والظَرف أيضاً الكياسة، والظَرف كل ما يستقرّ فيه مثل الحين واليوم وهما من ظروف الزمان، وأمام ووراء وهما من ظروف المكان.

(٢) الطُرَف: جمع طرفة وهي الملحة والحديث المستحسَن أو الجديد، أي الطريف.

(٣) حشي: مليء.

(٤) الناسك: العابد المتزهّد الذي صفّى نفسه لله من دنس الآثام، من نسك نَسْكاً ونُسْكاً ونسُكاً: تقشّف وتزهّد وتعبّد.

(٥) الفاتك: الجريء الشجاع الذي يلِجّ في الأمر أو الخبث.

(٦) زكّى (النفس): مدحَها وزكّاه اللّهُ طَهّره.

(٧) أزرى بعقله: تهاون به ووضع من حقّه أو عابه.

(٨) ذليق البيان: الذلِق الفصيح والبليغ، يقال لسان ذلق أي طلق وذو حدّة، والبيان: البلاغة والوضوح في الكلام.

(٩) البداهة في اللغة المفاجأة والبداهة أيضاً عدم طول التفكّر والبديهي من الأمور ما يفهم ويدرك من دون رويّة.

(١٠) المساعفة (صيغة مفاعلة): مصدر ساعفه يساعفه مساعفة أي معاونة ومساعدة.

(١١) المكانفة: المعاضدة والمعاونة.

(١٢) باقل: رجل ضرب به المثل في العيّ والعجز عن البيان. بخلاف سحبان وائل.

(١٣) سحبان وائل: من خطباء العرب وفصحائهم يضرب به المثل في البيان والبلاغة. خطب في مجلس معاوية ساعات فقال له معاوية: أنت أخطب العرب (انظر الهامش السابق).

اللغة والنّحو، كان من الحصر[1] صورةً مثيلة، أو بهيمةً مهملة. ومن لا يتتبع طرفاً من الفضائِل، المخلّدة عن ألسنةِ الأوائل، كان ناقصَ العقلِ.

فالعقلُ نوعان: مطبوع ومسموع، ولا يصلح أحدهما إلا بالآخر. وقد تحرّيتُ فيما أخرجتُه من كلّ بابٍ غايةَ الاختصارِ والاقتصار، وأعفيتُه من الإكثار والإهذار[2]، لئلا تعافَ ممارستَه ومدارستَه، لكن عظَّمَ هذا الكتابُ بعضَ العظم، لكثرة فصوله وتحقيق تفاصيله.

●

وقد جعلت ذلك حدوداً وفصولاً وأبواباً. وذكرت جملة الحدود والفصول في أوّل الكتاب، ليسهلَ طلبُ كل معنى في مكانه. ووضعتُ كلّ نكتةٍ في الباب الذي هو أليقُ بها، وإن كان كثيرٌ من ذلك يصلح استعماله في أمكنةٍ سهّل اللّهُ علينا ما يحمَدُ عقباه[3]، ووفّقنا في جميع أمورنا لما يرضاه، وجعل خير أعمالنا ما قرب من آجالنا، إنه عليم قدير. نعم المولى ونعم المصير.

●

● **الحدّ الأول: في العقلِ والعلمِ والجهلِ، وما يتعلّق بها.**

الأول: العقلُ والحمْق وذمُّ اتباعِ الهوى[4]

الثاني: الحزمُ والعزم وما يضادّهما، والظنّ والشكّ والتثبّت[5]، والعجلة.

الثالث: المشاورةُ والاستبدادُ بالرأي.

الرابع: العلمُ والعلماء مدحاً وذماً، والحفظُ والنسيان.

الخامس: التعليمُ والتعلّم، وما يتعلق بهما.

السادس: البلاغةُ[6] وما يضادّها.

السابع: النطقُ والسماعُ والمقالُ والسكوت.

الثامن: المذاكرةُ والمجادَلَة[7]

التاسع: الشّعرُ والشّعراء.

---

(١) **الحصر**: مصدر حَصِر (فلان) حصَراً: أي عيي في النّطق وأصله من **الحصْر** أي الضّيق.

(٢) **الإهذار**: الهذر من هَذَر وأهذر الرجل في كلامه أي خلط وتكلّم بما لا ينبغي، والهَذَر سقط الكلام الذي لا يعبأ به.

(٣) **العقبى**: العاقبة.

(٤) **الهوى (هنا)**: إرادة النفس وميلانها إلى ما تستلذ، وغلب استعمال الهوى في غير المحمود من الميول والجمع أهواء. يقال اتبع هواه أي زاغ عن الصواب أو صار من أهل البدع.

(٥) **التثبّت**: التحقّق من الأمور وهو نقيض التشكيك وعدم الجزم في الأمور.

(٦) **البلاغة في الاصطلاح**: البيان والتعبير عن مقتضى الحال.

(٧) **المجادلة**: المخاصمة أو المهارة في الخصومة.

العاشر: الكِتابةُ والكُتّاب.
الحادي عشر: التصْحيفاتُ[١]
الثاني عشر آلاتُ الكتابة.
الثالث عشر: الصّدقُ والكَذب.
الرابع عشر: السرُّ.
الخامس عشر: النّصح.
السادس عشر: المواعظةُ والمتّعظون، والآمرون بالمعروف، والقصّاص والمفتون.
السابع عشر: الخطباءُ وقرّاء القرآن.
الثامن عشر: الفراسةُ[٢] والقيافة[٣]
التاسع عشر: تأويلُ الرؤْيا[٤]
العشرون: جملُ علومِ الأمم ورموز العرب.

●

● **الحدُّ الثاني: في السِّيادة وذويها وأتباعها:**

الأول: السيادة والولاية.
الثاني: أحوال أتباع السلاطين.
الثالث: القضاءُ[٥] والشهادة.
الرابع: الحجابُ والحجّابُ والغِلمان.

●

● **الحدُ الثالث: في الإنصافِ والظّلم، والحلم، والعفوِ، والعقابِ، والعداوة، والحسدِ، والتّواضع والتكبّر:**

الأول: الإنصافُ والظّلم.
الثاني: مدحُ الحلمِ وكظْمُ[٦] الغيْظ، والرحمةُ والعفْو، والاستغفارُ والاعتذار.

---

(١) **التصحيفات**: التصحيف من صحّف الكلام إذا أخطأ في قراءته وروايته، والتصحيف في الكلمة نقل الحرف إلى ما يشبهه مثل رواية نحيل في موضع بخيلٍ بنقل الحاء إلى خاء والنون إلى ياء، أو قولنا شرح في موضع سرح. وربّما اعتمد الكتاب والشعراء التصحيف في الذم والهجاء ومن الذين برعوا في هذا الضرب ابن الرومي كما هو معروف.

(٢) **الفراسة**: إدراك الباطن من النظر في الظّاهر، يقال هو: فارس بكذا أي عالم به، والفرّاس الألمعيّ الخارق الذكاء.

(٣) **القيافة**: تتبّع الأثر.

(٤) **تأويل الرؤيا**: تفسيرها، والرؤيا ما تراه في المنام.

(٥) **القضاء**: مصدر قضى يقضي قضاء وقضْياً وقضيّة بين الخصمين، أي حكم وفصل بينهما.

(٦) **كظم الغيظ**: الكظم: مصدر كَظَم (غيظه مثلا): أي حبسه وأمسك على ما في نفسه منه، يقال: فلان =

الثالث: ذمّ الحِلم ومدحُ العِقاب.

الرابع: العَداوات.

الخامس: الحَسَدُ.

السادس: التّواضع والتكبّر.

●

● **الحدّ الرابع: في النّصرة والأخلاق، والمزح والحياء، والأمانة والخِيانة، والرفعة والنذالة.**

الأول: الجوارُ والنّصرة.

الثاني: الأخلاقُ الحسنةُ والقبيحَة.

الثالث: المزحُ والضّحِكُ حمْداً وذمّاً.

الرابع: الحياءُ[1] والوقاحة.

الخامس: الأمانةُ والخيانة

السادس: المسابقةُ إلى المعالي، والرفعةُ والمجد.

السابع: النّذالة والتأخّر عن المكارم والمثالب[2]، وصيانةُ النّفس والفتوّة والمروءَة.

●

● **الحدّ الخامس: في ذكرِ الأبوّة والبنوّة ومدحُهما وذمُّهما والأقارب.**

الأول: البنون والبنات.

الثاني: ممادح[3] الأبوة ومذامها ووصف القبائل.

الثالث: الدعوة.

الرابع: الأقارب.

●

● **الحدّ السادس: في الشكر والمدح والذم والاغتياب والأدعية والتهنئة والهدية.**

الأول: في الشّكر.

الثاني: المدحُ ومستحقّوه، والهجْو وذوُوه.

= لا يكظم على جرّته أي لا يسكت على ما في جوفه بل يتكلّم به وهو مأخوذ من كظم البعير كظوماً أي كفّ عن الاجترار.

(١) **الحياء**: الاحتشام وهو من مفاعيل الإرادة لأن الحيي هو الذي يقبض نفسه من الشيء ويتركه مخافة اللوم.

(٢) **المثالب**: العيوب جمع مثلبة، ومثالب النفس معايبها من ثلبه أي عابه ولامه واغتابه.

(٣) **الممادح**: ضدّ المقابح، وضدّ المذام أيضاً.

الثالث: الغيبةُ[١] والنميمَة[٢]

الرابع: التحيّةُ والأدعيةُ والتهنئة.

الخامس: الدّعاء على الإنسان.

السادس: الهَدايا.

السابع: الطبُّ والمرَض والعِيادة[٣]

●

● **الحدّ السابع: في الهِمَم والجِدّ والآمال**

الأول: الهمم[٤] الرفيعةُ والوضيعة.

الثاني: الجدّ.

الثالث: الأماني والآمال.

●

● **الحدّ الثامن: في الصّناعات والمكاسب، والتقلّب والغِنى والفَقر.**

الأول: الحرفة[٥]

الثاني: المبايَعة.

الثالث: الدّين ومتعلّقاته.

الرابع: الإيمان.

الخامس: الاكتسابُ والإنفاق.

السادس: مدحُ الغنى وذمّ الفقر.

السابع: الزهْدُ ومدحُ الفقر وذمّ الغِنى.

●

● **الحدّ التاسع: في العَطاء والاستعطاء[٦]**

الأول: قصْدُ أولي الأفضال.

الثاني: السّؤال.

الثالث: الوعْدُ والإنجازُ والمَطْل[٧]

---

(١) **الغيبة**: الاغتياب وهو أن يعيب فلان فلاناً وينعته بالسوء وهو غائب، والغيبة من مقابح أو رذائل النفس.

(٢) **النميمة**: الوشاية وإظهار الحديث بالوشاية على وجه الإشاعة والإفساد.

(٣) **العيادة**: مصدر عاد عوداً وعياداً وعيادة المريض زاره فهو عائد والجمع عوّاد والمريض مَعُود.

(٤) **الهمم**: جمع همّة وهي العزم على الشيء وقصده.

(٥) **الحرفة**: جمع حرف اسم من الاحتراف ومن معانيه الصناعة، والحرفة طريقة الكسب. يقال: حرف لعياله أي كسب.

(٦) **الاستعطاء**: مصدر استعطى أي سأل العطاء ومن معاني الاستعطاء الاستجداء.

(٧) **المطل**: خلاف الإنجاز وهو مصدر مطل (ه) حقّه ويحقّه، أي سوّفه بوعد الوفاء مرّة بعد أخرى.

الرابع: الشّفاعات.

الخامس: البخْلُ بالأَموال.

●

● **الحدّ العاشر: في الأطعمة والأُكلة[١]، والقِرى[٢] وأوصاف الأطعمة**

الأول: ما جاء في أوصاف الأطعمة.

الثاني: أحوال الأكل والأكلة والتطفّل[٣]

الثالث: الدّعاء إلى الدعوات.

الرابع: الأَجواد بالقِرى.

الخامس: في الجودوالأجواد.

السادس: البُخلاء بالقِرى.

●

● **الحدّ الحادي عشر: في الشرْب والشّراب وأحوالهما وآلاتهما**

الأول: الشّرب والشّراب.

الثاني: الندامُ والنّدماء[٤] والسقاة.

الثالث: وصفُ المجالسِ وأمكنةِ الشّرب.

الرابع: آلاتُ الشربِ والمجالسُ.

الخامس: الغناءُ والمغنّون والمَلاهي.

السادس: آلات الملاهي.

السابع: آلات القمر.

●

● **الحدّ الثاني عشر: في الإخوانيات**

الأول: الإخوان وأحوالُهم.

الثاني: محبّة المعاشِرين.

الثالث: الزيارةُ والمَزور.

●

● **الحدّ الثالث عشر: الغزل ومتعلقاته**

الأول: أوصافُ الهَوى وأحوالُ العشّاق.

---

(١) الأكلة: الطّعْمَة.

(٢) القِرى: ما يقدّم للضّيْف.

(٣) التطفّل: مصدر تطفّل أي صار طفيلياً والطفيليّ الذي يدخل وليمة ولم يدع إليها وهو منسوب إلى رجل اسمه طفيل.

(٤) النّدام والمنادمة مصدر نادم (ه) على الشراب: أي جالسه عليه، والندماء أو الندمان جمع نديم وهو الرفيق والصاحب على الشراب.

الثاني: التذكّر.

الثالث: التّوديع والفِراق.

الرابع: الهُجْران.

الخامس: البُكا ووصفُ الدّموع.

السادس: الشّوقُ والحنين[١]

السابع: السهرُ وطولُ الأزمنة.

الثامن: الوِشايةُ[٢] والعَذْل[٣]

التاسع: سترُ الهوى وكشفهُ.

العاشر: معاشرةُ الحبيبِ ومكاتبتهُ.

الحادي عشر: مزاورةُ المحبوبِ وملاقاتهُ، والنّظرُ إليه والأمنيةُ فيه.

الثاني عشر الطّيف[٤]

الثالث عشر: السلوّ[٥]

الرابع عشر: فنونٌ مختلفةٌ منَ الغزَل.

●

● الحدّ الرابع عشر: الشجاعة وما يتعلق بها

الأول: الشجعانُ وأحوالُهم.

الثاني: التهدُّد[٦]

الثالث: الأسلحةُ والمتسلحَة.

الرابع: طلبُ الثأرِ والدّيَة[٧]

الخامس: التحذيرُ من الحربِ وطلبُ الصّلح.

السادس: الهزيمةُ.

السابع: التلصصُ[٨]

الثامن: الحبْسُ والقيْد والضّرْبُ ونحوُها.

●

---

(١) **الحنين**: مصدر حنّ إليه أي اشتاق.

(٢) **الوشاية**: النميمة.

(٣) **العذل**: الملامة مصدر عذله أي لامه فهو عاذل والجمع عذّل وعذّال وعَذَلة.

(٤) **الطّيف**: الخيال الطائف في النّوم.

(٥) **السلوّ**: النسيان وهو مصدر سلا يسلو سلوّاً وسلوّاً وسلواناً الشيء وعنه: أي نسيه.

(٦) **التهدّد**: التوعّد بالعقوبه، والتخويف. يقال هدّده وتهدّده تهدّداً وتهداداً أي خوّفه وتوعّده بالعقوبة.

(٧) **الدّية**: من وَدى يَدي وَدياً ودِيَةً القاتل القتيل أعطى وليّه ديتَه، فالدية ما يعطى من المال بدل نفس القتيل والأصل في اللفظة الودي والتاء عوض الواو المحذوفة.

(٨) **التلصّص**: التخلّق بأخلاق اللصوص والفعل تلصّص أي صار لصّاً.

● **الحدّ الخامس عشر: في التزوج والأزواج، والطّلاق والعِفّة والتديّث**[١]

الأول: النكاحُ والطّلاقُ، وأحوالُ الأزواجِ وسياستهنّ.

الثاني: العِفّة.

الثالث: الغِيرةُ والتّديّث.

●

● **الحدّ السادس عشر: في المجونات**[٢] **والسخف**[٣]

الأول: الإجازةُ واللواطة[٤]

الثاني: الأبنة[٥] والتخنّث[٦] والدبيبُ[٧] والقِيادة[٨]

الثالث: ذكرُ السوءتين[٩] والجِماع[١٠]

الرابع: السحْق[١١] والدّلْك[١٢]

الخامس: الضراطُ والفسْو.

●

---

(١) **التديث**: التذلّل مصدر ديّث (ه): أي ذلّله.

(٢) **المجونات**: من مجن مجوناً أي فرح وقلّ حياءً فهو ماجن والمجون أصلاً الغلظ والصلابة فكأن الماجن صار صلب الوجه بسبب قلّة الحياء.

(٣) **السخف**: ضعف العقل خاصّة من سُخف يسخُف سخفاً وسخافة كان ضعيف العقل، وسخّفه جعله سخيفاً.

(٤) **الإجازة**: مصدر أجاز (إجازة) الموضعَ سلكه وخلّفه، وأجازه أعطاه الإجازة وهي الإذن والترخيص. وأجاز إجازة البيع صيّره نافذاً ـ **اللواطة**: من لاط الرجل لواطاً ولاوط أي عمل عمَلَ قوم لوط ولوط نبيّ بعثه الله إلى قومه فكذّبوه وأحدثوا ما أحدثوا فاشتق الناس من اسمه فعلاً لمن فعل فعل قومه، ولوط ولاط في اللغة طلا الحوض بالطين ومن معاني لوط اللصوق يقال لاط حبّه بقلبي إذا لصق به (**انظر لسان العرب مادة لوط**).

(٥) **الأبْنة**: العيب، الحقد.

(٦) **التخنث أو الخنث**: هو أن يكون أحدهم على صورة الرجال وأحواله أحوال النّساء.

(٧) **الدبيب**: المشي كالحيّة أو على اليدين والرجلين كالطفل والمراد بالدبيب هنا الانسياب إلى خدور النساء.

(٨) **القيادة**: مصدر قاد يقود قَوْداً (الدابّة): مشى أمامها آخذاً بقيادها، والمراد هنا قيادة النّساء العواهر اللواتي يمارسن الفجور والعمل المنكر.

(٩) **السوءتان والسوءتين**: مثنى سوءة وهي العورة، والسوءة أيضاً الفاحشة.

(١٠) **الجماع والمجامعة**: النكاح، من جامعها مجامعة وجماعاً أي نكحها.

(١١) **السّحق**: السحق في اللغة الدقّ، يقال سحقه سحقاً أي دقّه أشد الدقّ، والسحق في الاصطلاح.

(١٢) **الدلْك**: الفرْك والدعك، يقال دلك وجهه بالطّيب أي ضمّخه وطلاه.

● **الحدّ السابع عشر: خلق الناس وأسماؤهم**

الأول: خلقةُ[1] الإنسانِ مستحسنُها ومستقبَحُها.

الثاني: محاسنُ المحْبوب.

الثالث: مقابحُ خلقِ النّسوة.

الرابع: الشَّيْب والشبابُ وذكرُ المعمّرين[2]

الخامس: الأسامي والكِنَى والألقاب[3]

●

● **الحدّ الثامن عشر: في الملابسِ والفرش**

الأول: الملابسُ وذووها.

الثاني: البسطُ والفرشُ وآلاتُ المنزل.

●

● **الحدّ التاسع عشر: في ذمّ الدنيا، وانكشافِ النّوب**

الأول: ذمّ الدنيا ونوبها[4]

الثاني: انكشافُ[5] الشدائد.

●

● **الحدّ العشرون: في الدّيانات والعِبادات**

الأول: الوحدانيةُ والتّقوى، والإيمانُ والتوبةُ، والورَعُ[6] والتصوّفُ[7] ومتعلّقاتها.

الثاني: المذاهبُ[8] المختلفةُ.

---

(١) **الخلقة**: الهيئة والخلقة أيضاً الفطرة.

(٢) **المعمّرون والمعمّرين**: جمع معمّر وهو الرجل الذي عاش زماناً طويلاً.

(٣) **الكِنى**: جمع كنية وهي الاسم العلم المصدّر بلفظ الأب أو الأم نحو: **أبو عمرو وأم عمرو - الألقاب**: جمع لقب وهو اسم يسمّى به الإنسان سوى اسمه الأول مثل لقب الجاحظ الذي أطلق على الكاتب العبّاسي عمرو بن بحر. واللقب قد يحمل صفة والجاحظ لقب أطلق على هذا الكاتب لجحوظ عينيه أي بروزهما وهكذا يشعر اللقب بالمدح أو الذم.

(٤) **نوب الدنيا أو الأيام**: مصائبها وصروفها التي تنتاب الإنسان.

(٥) **انكشاف الشدائد**: زوالها أو انفراجها.

(٦) **الورع**: التقوى وصدق العبادة والخشية من غضب الله.

(٧) **التصوّف**: ضرب من ضروب العبادة له قواعده وأصوله ومذاهبه، والصوفيّ هو من كان فانياً بنفسه باقياً بالله تعالى.

(٨) **المذاهب**: جمع مذهب وهو المعتقد أو الطريقة، والمذهب الأصل.

الثالث: الأنبياءُ والمتنبئون[1]

الرابع: أحوالُ القرآن ونزولهُ وفضيلتهُ.

الخامس: العباداتُ من الطهارَة والصَّلاة والزَّكاة والصوْم والحجّ.

السادس: الأدعيَة.

●

● الحدّ الحادي والعشرون: في الموت وأحواله

الأول: الموتُ وأحواله.

الثاني: الغمومُ والصبر والتّعازي والمَراثي.

●

● الحدّ الثاني والعشرون: الأسماء والأزمِنةُ والأمكِنة والمياهُ والأشجارُ والنِيران

الأول: الملوان والسماء والنجوم.

الثاني: الأزمنةُ والسّحابُ والأمطارُ والمياهُ، وما يتعلّق بذلك.

الثالث: الربيعُ والخريفُ والأزهارُ والأشجارُ والنّبات.

الرابع: الأمكنةُ والأبنية.

الخامس: المفاوزُ[2]

السادس: السّفر.

السابع: الحنينُ إلى الأوطان.

الثامن: النّيران.

●

● الحدّ الثالث والعشرون: الملائكة والجن

الأول: الملك[3]

الثاني: إبليس والجن والشياطين.

●

● الحدّ الرابع والعشرون: في الحيوانات

الأول: الخيل والبِغال والحَمير.

---

(١) **الأنبياء**: جمع نبيّ وهو المخبر عن الغيب أو المستقبل بإلهام من الله ـ **المتنبئون**: جمع متنبىء وهو الذي يدّعي النبوءة.

(٢) **المفاوز**: جمع مفازة وهي الفلاة لا ماء فيها وسمّيت مفازة لأن من خرج منها وقطعها فاز.

(٣) **المُلْك**: السلطة والعظمة، **والمُلْك** ما يملكه الإنسان ويتصرّف به.

الثاني: النّعم[1]

الثالث: الوحشيات[2]

الرابع: الطّيور.

الخامس: الهَوَام[3]

●

● **الحدّ الخامس والعشرون: في فنون مختلفة وهو آخرُ الحدود**

●

وإذ قد أتينا على ذكر الحدود والأنواعُ فلنبدأ، مستعينين بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلّى اللّهُ على سيّدنا محمّد وآلِهِ وصَحْبه وسلّم.

---

(١) **النّعم**: جمع أنعام وجمع الجمع أناعم وتطلق على الإبل والبقر والغنم.

(٢) **الوحشيات**: جمع الوحشيّ وهو واحد الوحش، وكل ما يستوحش وينفر عن الناس.

(٣) **الهوام**: حشرات الأرض.

الحدّ الأوّل

في العقلُ والعلْم والجهْل وما يتعلّق بها

•

(١)

فيما جاء في العقل والحمْق[1] وذمّ اتباع الهوى

• ما يحدّ به العقلُ وبنوه والحمقُ وذووه

قيل: العقل الوقوف عند مقادير الأشياء قولاً وفعلاً **وقيل** النظر في العواقب **وقال** المتكلّمون اسم لعلوم إذا حصلت للإنسان صحّ تكليفه.

وقيل: العاقل من له رقيب على جميع شهواته. **وقيل**: من عقل نفسه عن المحارمِ، ولذلك لم يصح وصف الله تعالى به.

والحمْق قلّة الإصابة ووضعُ الكلام في غير موضعه، **وقيل**: فقدان ما يحمد من العاقل.

• مدحُ العقل وذمُّ الحمق

قال النبي ﷺ: ما اكتسب ابنُ آدمَ أفضلَ من عقل يهديه إلى هدى، أو يرده عن ردى.

وقيل: الحمق يسلب السلامة ويورث الندامة والعقلُ وزيرٌ رشيد وظهيرٌ سعيد، من أطاعه أنجاه، ومن عصاه أرداه.

وقيل: لو صوّر العقل لأضاء معه الليل ولو صوّر لأظلم معه النهار.

وقال المتنبّي:

لـولا الـعُـقـولُ لـكـانَ أَدْنـى ضَـيْـغَـمٍ   أدنَـى إلـى شـرَفٍ مِـنَ الإنـسـانِ

• حاجةُ الفضائلِ إلى العَقْل

قيل: العقل بلا أدب فقرٌ، والأدب بغير عقل حتْف. **وقيل**: بلوغ شرف المنزلة بغير عقل أشفاء على الهلكة. **وقيل**: من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه، كان حتفه في أغلب خصال الخير عليه.

---

(١) **الحمق**: قلّة العقل أو فساده.

● ذمُ مَنْ له أدبٌ بلا عَقْل

وصف أعرابيٌ رجلاً، **فقال**: هو ذو أدب وافر وعقل نافر:

فـهـبـك أخـا الآداب أيّ فـضـيـلَـةٍ   تـكـونُ لـذي عـلـم ولـيـسَ لـه عَـقْـلُ

وقيل: ازدياد الأدب عند الأحمق، كازدياد الماء العذب في أصول الحنظل، كلّما ازداد رياً ازداد مرارة.

● حاجةُ العقلِ إلى الأدَب

عاقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح. العقل والأدب كالروح، والجسد بغير روح صورة، والروح بغير جسد ريح.

وقيل: العقل بغير أدب كأرض طيِّبة خرِبة، وأن العقل يحتاج إلى مادة الحكمة، كما تحتاج الأبدان إلى قُوتِها من الطعام.

● ضياعُ العقل بفقد التقوى

قيل: كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن إنسان عبادة، **قال**: كيف عقله؟ فإن قالوا عاقل، **قال**: ما أخلقه أن يبلغ؛ وإن قالوا ليس بعاقل، **قال**: ما أخلقه أن لا يبلغ.

وقال الحسين: ثلاثة تذهب ضياعاً: دين بلا عقل، ومال بلا بذل، وعشق بلا وصال. **وقيل**: لا تعتدّوا بعبادة من ليس له عقدة من عقل.

● فضلُ اجتماعهما

قال معاوية، لرجل حكيم مسنّ: أيّ شيء أحسن؟ **فقال**: عقل طلب به مروءة، مع تقوى الله وطلب الآخرة.

● عزةُ العقل

كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل فإنه كلما كثر كان أغلى. ولو بيع لما اشتراه إلا العاقل لمعرفته بفضله. أوّل شرف العقل أنه لا يشترى بالمال.

● قلّةُ العقل وذويه

قيل لبهلول: عدّ لنا المجانين، **فقال**: هذا يطول، ولكنّي أعد العقلاء. ومثلهُ وإن لم يكن من بابه ـ أن رجلاً كتب كتاباً وعرضه على آخر، **فقال**: فيه خطأ كثير، **فقال الكاتب**: علّم على الخطأ لأصلحه، **فقال**: بل أعلّم على الصواب فهو أسهل.

وقيل لرجل: ما جماع العقل؟ فقال: ما رأيته مجتمعاً في أحد فأصفه وما لا يوجد كاملاً لا يحدّ.

● **فضلُ مصاحبةِ العقلاء**

قال الزهري: إذا أنكرت عقلك، فاقدحه بعاقل.

وقال: عدوك ذو العقل أبقى عليك، وأرعى من الوامق[1] الأحمق.

● **تبرّمُ العقلاء بصحبة الجهّال**

قيل: العاقل بخشونة العيش مع العقلاء أسرّ منه بلين العيش مع السّفهاء **وقيل**: قطيعة الجاهل تعدل صحبة العاقل:

لم يبلَ ذو الجهل الذي   دارتْ عليه صروفُ دهرِهِ
ببليّةٍ أشجى له   من جاهلٍ يزري بقدْرِه[2]
يمضي حكومتَه عليه   بجهلِهِ وجوازِ أمرِه

● **النّهيُ عن مصاحبة الجاهل**

قال لقمان: لا تعاشرِ الأحمقَ وإن كان ذا جمال؛ وانظر إلى السيف ما أحسن منظره.

وقال الجاحظ: لا تجالسِ الحمقى، فإنه يعلَق بك من مجالستهم من الفساد، ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهراً، من الصّلاح. فإنّ الفساد أشد التحاماً بالطّباع.

وقيل: العاقل يضلُّ عقلُه بمصاحبةِ الجاهل.

● **استعمالُ العقلِ والجهلِ مع ذويهما**

قيل: العاقل يعامل الإنسان على خليقته، ويجاري الزمان على طريقته:

فكنْ أكيسَ الكيْسى إذا كنتُ فيهم   وإن كنتَ في الحمْقى فكنْ مثلَ أحمقِ[3]

وقال آخر:

أُحامِقُهُ حتّى يقالَ سجيّةٌ   ولو كانَ ذا عقلٍ لكنتُ أعاقلُه[4]

● **ذمّ عاقلٍ مُتجاهل**

قيل: عظمت المؤنة[5] في عاقل متجاهل، وجاهل متعاقل. وددتُ أني مثلك في ظنّك، وأن أعدائي مثلك في الحقيقة.

قال المتنبي:

ومنْ ذا الذي يَدْري بما فيهِ من جهْلِ   يرى النّاس ضلالاً وليْس بمهتدِ

---

(١) **الوامق**: المحب الودود.
(٢) **البلية**: البلوى، المصيبة - **أزرى يزري بقدره**: استهان به وحقره.
(٣) **الأكيس (صيغة أفعل التفضيل)**: أكثر كياسة، والكياسة الفطنة والظرف.
(٤) **السجية**: الطبيعة.   (٥) **المؤنة والمؤونة**: الثقل والشدّة.

● **صعوبةُ مداواةِ الأحمق**

لـكـلِّ داءٍ دَوَاءٌ يـسـتـطـبُّ بـه ... إلا الحماقةُ أعيَتْ من يُداويها[1]

وقال المتنبيّ:

ومن البَليّةِ عذلُ من لا يرعوي ... عنْ جَهلِهِ وخطابُ من لا يفهمُ[2]

روي أن **عيسى عليه الصلاة والسلام**، أتى بأحمق ليداويه، **فقال**: أعياني مداواةُ الأحمق ولم يعيني مداواة الأكمه[3] والأبرص[4].

وقال الحجّاج: أنا للعاقل المدبّر أرجى منّي للجاهل المقبل.

وقيل: أنك تحفظ الأحمق من كل شيء إلا من نفسه، وتداويه إلا من حمقه.

● **تعبُ العاقل واستراحةُ الجاهِل**

قيل لحكيم: من أنعم الناس عيشاً؟ فقال: من كفى أمر دينه، ولم يهتم لأمر آخرته.

قال أبو علي كاتب بكر:

مـن رُزقَ الـحـمْـقَ فَـذُو نـعْـمَـةٍ ... آثـارُهـا واضـحـةٌ ظـاهِـرَه

يـحـطّ ثـقـلَ الـمـرءِ عـن نـفـسـه ... والـفـكـر فـي الـدنـيـا وفـي الآخِـرَه

وقال آخر (**المتنبّي**):

ذو العَقْلِ يشْقَى في النّعيمِ بعَقْلِهِ ... وأخو الجَهَالةِ فِي الشّقاوةِ ينْعَمُ

● **موصوفٌ بالعقل**

كان ابن المقفع والخليل[5] يحبّان أن يجتمعا. فاتفق التقاؤهما، فاجتمعا ثلاثة أيام يتحاوران. فقيل لابن المقفع: كيف رأيته؟ **فقال**: وجدت رجلاً عقله زائد على علمه. وسُئل الخليلُ عنه، **فقال**: وجدت رجلاً علمه فوق عقله.

قال بعض العلماء: صدقا فإن الخليل مات حتف أنفه في خص[6] وهو أزهد خلق الله، وتعاطى ابن المقفع ما كان مستغنياً عنه حتى قتل أسوأ قتلة.

قال الصنوبري:

فإنْ يلتمسْ يوماً حِجاكم فإنّكم ... جبالُ الحِجا لكنّكم أبحرُ الجَدْوى[7]

---

(١) **يستطبّ به**: يداوى به ويعالج.

(٢) **العذل**: اللوم - يرعوي: المضارع من ارعوى أي ارتدع وأقلع عن.

(٣) **الأكمه**: الأعمى.

(٤) **الأبرص**: المصاب بالبرص وهو مرض يحدث في الجسم كله قشراً أبيض ويسبب للمريض حكّاً مؤلماً.

(٥) **الخليل**: (هنا) هو الخليل بن أحمد من أئمة اللغة وواضع علم العروض.

(٦) **الخصّ**: البيت من قصب أو شجر، جمع خصوص.

(٧) **حجاكم**: الحجى: العقل - الجدوى: العطاء.

وقال آخر:

فإن يك حائلاً لوني فإنّي لعقل غير ذي سقطٍ وعاءُ[١]

● موصوفٌ بالحماقة والجهل

سئل **أعرابي** عن رجل، **فقال**: لو كان في بني إسرائيل ووقعت قصة البقرة ما ذبحوا غيره.

وقيل: فلان ليس له من عقله فاه ولا من نفسه واعظ. **وقيل**: أحمق من دغة ومن رخمة[٢] وفي الرخمة: إنك من طير الله فانطقي، يقال ذلك كناية عن الحمق خامري أم عامر.

وقيل: ليس مع فلان من العقل إلا ما يوجب حجة الله عليه إذا أمر به إلى النار.

وقيل: فلان مخدوع من عقله فلا تستعن به:

ليس يدري من الجهالةِ ماذا دورُ البعر في بطون الجمالِ

وقال آخر:

ربّ ما أبينَ التباين فيه منزلٌ عامرٌ وعقلٌ خرابُ

وإذا **قيل**: فلان سليم الصدر، أو جامع في المسجد أو هو من أهل الجنة، فهو كناية عن الحمق.

● تفضيل الجَدّ[٣] على العقل

قيل: استأذن العقل على الجَدّ، فلم يأذن له، **وقال**: أنك تحتاج إليّ وأنا لا أحتاج إليك. وافتخر العقل، **فقال** له الجَدّ: أمسك فما لك نفاذ[٤] ما لم أصحبك. **وقيل لأعرابي**: فلان أحمق مرزوق، فقال هذا هو الرجل الكامل. **قال**:

وهيهاتِ الحظُوظ من العقول

قال آخر:

وما لبُّ اللبيبِ بغيرِ حظٍّ بأغنى في المعيشةِ من فتيلِ[٥]

---

(١) السّقط: اللئيم، والسّقط: ما لا خير فيه.

(٢) الرخمة: واحدة الرخم، طائر من الجوارح أو فصيلة النسريات.

(٣) الجَدّ (بفتح الجيم): الحظ.

(٤) النفاذ: الخلاص، من نفذ نفذاً ونفوذاً ونفاذاً الشيء خرقه، وجاز عنه.

(٥) اللبّ: العقل والجوهر ـ الفتيل: المفتول، وما فتلته بين أصابعك من الوسخ، والفتيل هنا كناية عن الشيء الرخيص.

● **صعوبةُ اجتماعِ العقل والجَدّ**

قيل: من زيد في عقله نقص من حظّه. وما جعل اللّهُ لأحد عقلاً وافراً إلا احتسب عليه من رزقه. وقال شاعر في المعنى:

وخصلةٍ ليس فيها منْ يخالفُني ... الرزقُ والجهلُ مقرونان في قَرَنِ[1]

● **كونُ الجدّ من جملة العقل**

روى في الخبر، أن الله تعالى إذا أراد أن يزيل نعمة عبد، فأوّل ما يسلب منه عقله.

وفي كتاب كليلة السبب المانع. حظّ العاقل، هو السببُ لحظّ الجاهل.

وسئل بعضهم العقل أفضل أم الجَدّ؟ فقال: العقل من جملة الجَدّ.

● **موصوفٌ بالجنون**

وكأنّه من دَيْرِ هرقل مُفْلت ... جرد يجرّ سلاسلَ الأقْياد[2]

قال آخر

بهِ ما شئْتَ من حمْقٍ ... ومنْ جهلٍ ومنْ هوج[3]

قال آخر:

بهِ طائفٌ منْ جنّة غير معقب

قال آخر:

كأنّهُ من شهودِ الجنّ مختضر ... وقد رأى عقلَه منه على سَفَر

ويقال: فلان سمين الجهل مهزول العقل.

● **كونُ الهوى غالباً للهدى**

قال عامر بن الظرب: **الرأيُ نائمٌ والهَوَى يقظان فإذا هوي العبدُ شيئاً نسي الله**، ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[4]

- **العقل صديق مقطوع والهوى عدوّ متبوع.**

- **كم من عقل أسير في يدي هوى أمير.**

---

(١) **الخصلة**: الخلّة رذيلة كانت أو فضيلة، وغلب عليها الفضيلة ـ **القَرَن**: المقرون بآخر، والقَرَن حبل يُقرن به البعيران.

(٢) **الأقياد**: القيود.

(٣) **الهَوَج**: مصدر هَوِج يهوج فهو أهوج: أي كان في حمق وطيش وتسرع.

(٤) **القرآن الكريم**: الفرقان/ ٤٣.

وقيل: الهوى شريك العمى واتباع الهوى أوكد أسباب الردى. **قال منصور الفقيه**:

إنّ المرآة لا تُريك خُدوشَ وجهك في صَداها
وكذاك نفسُك لا تريكَ عيوبَ نفسِك في هواها

● **النهيُ عنِ اتّباع الهوى**

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1]

وقال النبي ﷺ: اعصِ هواكَ والنساء، وأطِعْ من شئت.

وقيل للمناس: في قصة يوسف عليه الصّلاة والسّلام آيات أعظمها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[2] **وقال بعض الحكماء**: إذا اشتبه عليك أمران فانظر أيهما أقرب من هواك مخالفةً فالصواب في مخالفة الهوى.

قال:

مَنْ أجابَ الهَوى إلى كُلّ ما يدْ عو إليهِ داعيه ضلَّ وتاها

● **النهيُ عن اتّباع هوى غيرك**

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[3]

وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4] **وقال**: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[5] **وقال بعضهم لرجل**: أني أهوى أن تقتل فلاناً، **فقال له**: إني لا أدخل النار في هوى غيري وإن كنت أدخلها في هواي.

● **ذمّ من اتبعَ هَواه**

قال الله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾[6]

وقال النبيّ ﷺ: **ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه**.

وقيل: اتباع الهوى أوكدُ أسباب الردى.

ووقّع[7] عبدُ الله بن طاهر إلى عامل له:

نفْسكَ قد أعطيتَها مُناها فاغرةً نحو مُناها فاها[8]

---

(1) **القرآن الكريم**: ص/٢٦.
(2) **القرآن الكريم**: يوسف/٥٣.
(3) **القرآن الكريم**: المائدة/٨١.
(4) **القرآن الكريم**: الأنعام/١٥٠
(5) **القرآن الكريم**: الكهف/٢٨.
(6) **القرآن الكريم**: الأنعام/١١٦.
(7) **وقع**: من التوقيع.
(8) **فاغرة**: اسم الفاعل المؤنث من فغر فاه أي فتحه.

وقيل: إن قدمت هواك على عقلك لم تصب رشداً في حياتك، ولا أمناً بعد وفاتك. وأنشد:

إنَّ الهوانَ هو الهوَى جُزم اسمُه فإذا ألقيتَ هوًى لقيت هَوانا[1]

● حمدُ مخالفتِه

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2]

وبعث ملك إلى عابد مالك لا تخدمني وأنت عبدي. **فقال**: لو اعتبرت لعلمت أنك عبد عبدي. **قال**: كيف؟ **قال**: لأنك تتبع الهوى فأنت عبده وأنا أملكه فهو عبدي. **فقال**: صدقت.

وقيل: سلطانُ من ملك الهوى فوق سلطان من ملك الدنيا.

● ذمّ من يجهل نفسَه

قال أبو علي الورّاق: آفةُ الناس قلّة معرفتهم بقدر أنفسهم.

قيل لبزرجمهر: أيّ العيوب أعظم؟

قال: قلّةُ معرفة المرء بنفسه.

وقال المتنبّي:

ومَنْ جهلَتْ نفسُه قدرَه رأى غيرُه منه ما لا يَرى

وقال سقراط: لا شيء أضرّ بالإنسان من رضاه عن نفسه، فإنه إذا رضي عنها اكتفى باليسير فعابه كل خطير.

● مدحُ من يعرفُها

قال أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه: لن يهلك امرؤ عرف قدره. **وقيل**: أجمع كلمة قول الحكيم: **أفضل العقل معرفة المرء بنفسه**.

وقال النبي ﷺ: من أراد الله به خيراً فقّهه في الدين وعرّفه عيوبَ نفسه.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[3]: معناه عرّفناهم عيوب أنفسهم.

● وقوفُ المرءِ على عيبِ نفسِه

قيل: لحكيم ما أصعب الأشياء؟ **قال**: معرفة الإنسان عيبَ نفسه، والإمساكُ عن الكلام في ما لا يعنيه.

وقيل: قد يعرف نقصَ غيره من لا يعرفُ نقصَ نفسه، ولا يعرفُ نقصَ نفسِه من لا

---

(١) **الهوان**: الذلّ. (٢) **القرآن الكريم**: النازعات/ ٤٠. (٣) **القرآن الكريم**: الإسراء/ ٧٠.

يعرفُ نقصَ غيره. فآكلُ الثوم لا يجدُ نتنَ نفسه.

● الحَثُّ على تدبّر معايبك

قال لقمان عليه السلام: لا تدعِ النظرَ في مساويك كلّ وقت، لأنّ تركَ ذلك نقصٌ من محاسنك. **وقيل:** كنْ في الحرصِ على تفقّد عيوبك كعدوّك.

● الحَثُّ على قذعِ[1] النفس

قال الحسن رضي الله عنه: أقذعوا هذه النفوس فإنها طلعة.

وقال حكيم: لا ينبغي لحكيم أن يطلبَ طاعة غيرهِ وطاعةَ نفسه عليه ممتنعة.

وقال أبو ذؤيب:

والـنّـفْـسُ راغـبـةٌ إذا رغّـبـتَـهـا ... وإذا تُـرَدُّ إلـى قـلـيـلٍ تَـقْـنَـعُ[2]

وقيل: العاجزُ من يعجزُ عن قذعِ نفسه.

وقال النبي ﷺ: ألا أخبركُم بأشدّكم من ملك نفسه عند الغضب.

● النهيُ عن الركونِ إلى النفس

قال الجنيدُ رحمه الله: لا تسكنْ إلى نفسِك وإن دامتْ طاعتُها فإنَّ لها خدائع؛ وإن سكنتَ إليها كنتَ مخدُوعاً.

وقيل: من رضيَ عن نفسه سخطَ الناسُ عليه.

● المسرورُ بأن عرفَ عيوبَه

قال عمر رضي الله عنه: رحم الله أمرأً أهدى إلينا عيوبَنا.

وقالت الحكماءُ أنتَ لا ترى عيبَ نفسك، فسَلْ من ترضى عقله ونصحه يعرّفك.

وقال رجل لمسعر: أتحبّ أن تُهْدى إليك عيوبُك؟ **فقال** أمّا من ناصحٍ فنعم، وأمّا من شامت فلا. **وقيل:** ينبغي للرجل أن يكون مرآةَ أخيه تريه خيرَه وشرّه.

قال الشاعر:

أصبَحت في هيئةِ المرآةِ تخبرُنا ... عيوبُنا كلَّ ما فينا من الكَدَر[3]

●

---

(١) **قذع النفس:** القذع مصدر قذع قذعاً فلاناً عابه ورماه بسوء القول، وقذع نفسه عابها.

(٢) يتناول أبو ذؤيب الهذلي في هذا البيت تأثير العادة في النفس ويحث على كبح رغباتها وردّها إلى جادة القناعة.

(٣) الكدر في هذا السياق كناية عن عيوب النفس، فالشاعر يدعو إلى تأمل النفس في مرآة النقد الذاتي للكشف عن تلك العيوب لتلافيها وتجنّبها.

(٢)

ما جاء في الحزم والعزم

وما يضادّهما، والظنُّ والشكُّ والتثبتُ والعجَلةُ

●

● ماهيةُ الحَزم والعزم

قال عبد الملك لعمر بن عبد العزيز: ما العزيمة في الأمر؟ **قال:** إصداره إذا ورد بالحزم. **فقال:** وهل بينهما فرق؟ **قال:** نعم، أما سمعت قول الشاعر:

ليستْ تكونُ عزيمةً ما لَمْ يكنْ معهَا منَ الرأيِ المشيدِ رافعُ[١]

فقال: للّهِ درّك عشتُ دهراً وما أرى بينهما فرقاً.

وقيل لبعضهم: ما الحزم؟ **قال:** التفكر في العواقب.

● النهيُ عن الدخولِ فيما يصعُبُ الخروجُ منه

قال: معاوية لعمرو بن العاص (رضي الله عنهما): ما بلغ من دهائك؟ **قال:** ما دخلتُ في أمرٍ إلا عرفتُ كيفَ الخروجُ منه. **فقال:** لكنّي ما دخلت في أمر قطّ وأردت الخروج منه.

وقيل في الحكمة: إن اتسع لكَ المنهَجُ، فاحذرْ أن يضيقَ بك الخروج.

قال الشاعر:

وإذا هممتَ بوردِ أمرٍ فالتمِسْ من قبلِ موردِه طريقَ المصْدرِ[٢]

● حمْدُ تلقّي الأمرِ بالجَزم

قيل: من لمْ يقدّمه حزمُه أخّره عجزُه. من استقبلَ وجوه الآراءِ عرفَ مواقعَ الخطأ خذ الأمرَ بقوابله، إن رمتَ المحاجزة فقبل المناجزة. قبلَ الرمي تُملأُ الكنائن[٣] قبلَ

---

(١) هذا القول شبيه بقول القائل:

إذا كنت ذا رأي فكُن فيه مقدِماً فإنّ فساد الرأي أن تتردّدا

(٢) يدعو الشاعر إلى تلمّس طريق الخلاص قبل الإقدام على أمر أو سلوك درب وهذا شبيه بقول ابن المقفع: ولكنّ العاقل يحتال للأمر حتى لا يقع فيه، ومثله قول المهلهل في قصيدته «الدّاهية»:

من شاء ولّى النفسَ في مهمَهٍ ضَنْكٍ، ولكن من له بالمضيق

والبيت من إحدى القصائد السبع المعروفة بـ«المنتقيات».

(٣) الكنائن: جمع كنانة وهي جعبة السهام.

الإقدام[1] تراشُ السهام. دمثْ لنفسِك قبلَ اليوم مضطجعاً. اتّقِ العثار[2] بحسنِ الاعتبار.

قال البحتري:

فتًى لم يضيّع وقتَ حزمٍ ولم يبتْ　　يـلاحـظُ أعـجـازَ الأمـورِ تـعـقـبـا

قال آخر:

وخيْرُ الأمرِ ما استقبلتَ منه　　ولـيـس بـأنْ تـتـبـعَـه اتـبـاعَـا

● مدحُ التفكُّرِ في العواقِب

قال أزدشير: ليسَ للأيامِ بصاحب، من لم يتفكر في العواقب. يا عاقد اذكر حلا، من لم ينظر في العواقب تعرضَ لحادثات النوائب.

قال الشاعر:

ومن تركَ العواقبَ مهمَلاتٍ　　فأيسَرُ سعيهِ أبداً تبارُ[3]

وقيل: الفكرة مرآة تريك الحسنات والسيئات.

● إقامةُ العذْرِ باستعمالِ الحَزم

قيل: من استشار فيما نزل به صديقه واستخار به، وأجهد رأيه، فقد قضى ما عليه، وأمن رجوع الملامة إليه. وقيل: من أعجب الأشياء جاهل يسلَمُ بالتهوّر، وعاقلٌ يهلك بالتوقّي.

قال كشاجم[4]:

وعليّ أن أسعى ولـيـ　　ـس عليّ إدراكُ النجاح

● تفضيلُ الحَزمِ على الجهل

الحيلةُ أنفع من الغيلة. **قال حكيم لابنه: كن بحيلتِك أوثقَ منك بشدّتك فالحربُ حربٌ للمتهوّرِ، وغنيمةٌ للمتحذّر.**

وقيل: الاهتداء لوجه الحيلة غنيمة جليلة.

قال الموسوي:

ولستُ مقارِعاً جيْشاً ولكنْ　　برأيي يستضيءُ ذوو القِراعِ[5]

---

(١) **تراش السهام:** يلزق عليها الرّيش.　(٢) **العِثار:** ما عثر به أي ما زلّ به أو كبا.

(٣) **التبار:** الخراب والهلاك.

(٤) **كشاجم:** هو أبو الفتح محمود المعروف باسم السندي لأنه هندي الأصل، وكان يعمل طبّاخاً عند سيف الدولة له كتاب أدب النديم.

(٥) **المقارع:** اسم فاعل من قارعه أي غالبه ـ **يستضيء:** يستنير ويستأنس.

● **فضلُ التدبير وذويه**

نظامُ الأمر التدبيرُ، ورأس الأمر التقدير. **وقيل**: من فعل بغير تدبير، **وقال** بغير تقدير، لم يعدم من الناس هازئاً ولا حياً.

وقيل: فلانٌ يعرفُ من أينَ تؤكلُ الكتفُ[١] ويعرفُ منابتَ القصيص، وهما مثلان يقالان في من يعرف وجه الأمر.

● **الحثُّ على الاشتغالِ بما يعنيكَ عمّا لا يعْنيك**

قيل لبعض الحكماء: ما الحزم؟ **قال**: حفظُ ما كلفتَ وترْك ما كُفيت. **وقيل للأحنف**: بم سدتَ قومك؟ **قال**: بتركي من أمرك ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا يعنيك.

وقال رجل لأفلاطون[٢] لم تختمت في يمينك؟ **فقال** لأعرف المتكلفين، ومن يسأل عمّا لا يعنيه.

قال الشاعر:

ولا تعترض في الأمر تكفي شؤونه

● **ذمُّ تاركِ ما يغنيه لما لا يغنيه**

قال ابن هرمة[٣]:

كتاركةٍ بيضَها بالعَراءِ ومُلبِسةٍ بيضَ أخرى جَناحاً

وقال آخر:

هراق[٤] الماءَ واتّبَع السَرابا

● **عتبُ من نصرَ نفسه لنفعِ غيره**

قال الشاعر:

يكسي الأنامَ ويعري إستَه وينسلُ من خلفِه الأسفل

---

(١) **من أين تؤكل الكتف**: مثل يقال لمن يحسن انتهاز الفرص والإفادة من السوانح ومعرفة دروب النجاح ومسالك الأمور، ومثله قولهم: فلان يعرف منابت القصيص.

(٢) **أفلاطون**: أحد كبار فلاسفة الإغريق. كان تلميذاً للحكيم **سقراط**، ومن تلامذته **أرسطو** رأس فلاسفة اليونان والعالَم قبل الميلاد.

(٣) **ابن هرمة**: هو إبراهيم بن هرمة ولد في **المدينة** سنة ١٩٥ هـ (٨١٠م)، ومدح الخليفة العبّاسي أبا جعفر **المنصور** ومات سنة ٦٢٧ هـ (٨٨٠م).

(٤) **هراق الماء**: أي أراق، وكانت بعض قبائل العرب تستعمل الهاء في موضع همزة التعدية مثل هنار وهطاع في موضع أنار وأطاع.

وقال العبّاس بن الأحنف[1]:

صِرتُ كأنّي ذُبالةٌ نُصِبتْ		تُضيءُ النّاسَ وهي تحترِقُ[2]

● ذمّ الاقتصارِ على مجرّد التوكّل

جاء رجل إلى النبي ﷺ **فقال**: إني أرسل ناقتي وأتوكل. **فقال**: بل اعقلها[3] وتوكّل.

مرّ الشعبيّ بإبل قد فشا فيها الجرب، **فقال** لصاحبها أما تداوي إبلك؟ **فقال**: إن لنا عجوز نتكل على دعائها. **فقال**: اجعل مع دعائها شيئاً من القطران.

وفي كتاب كليلة لا يمنع العاقل يقينه بالقدر من توقّي[4] المخوف، بل ليجمع تصديقاً بالقدر وأخذاً بالحزم.

قال الشاعر:

والمرءُ تلقاهُ مِضياعاً لفرصَتِهِ		حتّى إذا فاتَ أمرٌ عاتبَ القدرا

قال أبو عبيدة لعمر رضي الله عنه، حين كره طواعين الشأم ورجع إلى المدينة، أتفرّ من قدر الله؟ **قال**: نعم إلى قدر الله. **فقال له**: أينفع الحذر من القدر؟ **فقال**: لسنا ممّا هناك في شيء، إن الله لا يأمر بما لا ينفع، ولا ينهى عما لا يضر، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[5] وقال تعالى: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾[6]

● ذمّ طلبِ الأمر بعد فَوْته

قيل: لبعض الحكماء هل شيء أضرُّ من التواني؟ **فقال**: الاجتهاد في غير موضعه. **وقيل**: العجز عجزان عجز التقصير وقد أمكن؟ والجدّ في طلبه وقد فات. أخذه الشاعر فقال:

تَتبّعُ الأمرِ بعْدَ الفوت تغريرُ		وتركُه مقبِلاً عجْزٌ وتقصيرُ[7]

وقيل: شرّ الرأي الدبري[8]

---

(١) **العبّاس بن الأحنف**: شاعر الرشيد ومن أبرز شعراء الغزل مات سنة ١٩٣ هـ (٨٠٨م).

(٢) **الذبالة**: الفتيلة ـ شبّه نفسه بالذبالة التي تحترق لتضيء النّاس. وفي هذا الكلام صورة بارعة من صور الإيثار والتضحية.

(٣) **اعقلها**: أي اعقل الدّابة، والعَقْل هنا بمعنى الربط، والمقصود بهذا القول تدبّر الأمور وعدم الإهمال أو الغفلة عن الواقع.

(٤) **توقّي المخوف**: أي الحذر من العواقب السيئة، وتجنبها قبل الوقوع فيها.

(٥) **القرآن الكريم**: البقرة/ ١٩٥.

(٦) **القرآن الكريم**: النساء/ ٧٠ و١٠١.

(٧) **الفوت**: تجاوز الميقات الصحيح.

(٨) **الرأي الدبري**: هو الذي يأتي متأخراً بعد فوات الأمر.

قال الشاعر:

أَصْبَحْتَ تنفُخُ في رمادِك بعْدما ضيَّعْتَ حظَّك من وقودِ النَّارِ

- **الأمرُ بتركِ التلهفِ على ما فات**

قال الله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾.

قيل: أكبرُ الأدواءِ للبدن التلهفُ على ما لا يُدْرَك. إن ليتاوان لو إعناء.

- **إظهارُ النّدامةِ والتأسّف**

قال الشاعر:

عضضتُ أناملي وقرعْتُ سنّي[١]

وقال الكسعي وخبره مشهور:

ندمت ندامةً لو أنّ نفسي تطاوعُني إذاً لقطعتُ خَمْسِي

تبيّنَ لي سفاهُ الرأيِ منّي لعمرُ أبيك حينَ كسَرْتُ قوْسِي

وهذا هو المضروب به المثل في الندامة وإياه عنى الفرزدق بقوله:

ندمْتُ ندامةَ الكسَعيّ لما غدَتْ منّي مطلَّقَةً نوارُ

وقال صخر بن عمرو:

أهمّ بأمرِ الحَزْمِ لو أستطيعُه وقدْ حيلَ بين العيرِ والنّزَوان[٢]

قال آخر:

وكنتُ كناشبٍ في الوحْلِ ينْوي نهوضاً وهو يزدادُ ارتطَاما[٣]

- **مدحُ من لا يندم فيما يباشِرُه**

قال أبو الأصمع: لا ينهضُ العجزُ في أعقاب نهزَته[٤]، ولا يصاحبُ عزماً حين يخترمُ[٥] المتنبي:

فما تكشَّفَكَ الأعْداءُ عنْ مللٍ من الحُروبِ ولا الآراءُ عنْ زللِ

وقال الموسوي في مدح بعضهم:

في قرعه سنّه لا يطمَع النّدمُ

---

(١) عضضت أناملي وقرعت سنّي: كناية عن الندم والحسرة على ما فات ولا يمكن استدراكه.

(٢) النزوان: الوثب.

(٣) الناشب: العالق غير القادر على الخلاص أو الفكاك.

(٤) النهزة: السانحة أو الفرصة الملائمة.

(٥) اخترم يخترم (الأمر): مضى وانقضى، واخترم (فلان): مات.

● **النّهيُ عنِ الاعتذار**

وقيل في المثل: عِشْ ولا تغْتَر.

وقيل: الفرارُ بقراب أكيسُ. **وقيل**: لا تكنْ كمنْ أراقَ الماءَ واتبعَ السّراب.

● **الأمرُ بالإقدامِ بعْدَ الاتضاحِ والمدحُ بذلك**

قيل: روِّ بحزم فإذا استَوضحْتَ فاعزِمْ. **وقيل**: أحزمُ النّاس منْ إذا وضحَ له الأمرُ صدعَ فيه. **وقيل**: أعظمُ الخطأ العجلةُ قبلَ الإمكان، والتأني بعْدَ الفرْصة.

قال الشاعر:

وواقفٌ عنْدَ الأمرِ ما لَمْ يضحَ لهُ ... وأمْضي إذا ما همَّ منْ كانَ ماضيا

● **مدْحُ التجارب**

التجاربُ ليس لها نهاية والمرءُ منها أبداً في زيادة. **وقيل**: العقلُ كالسيْفِ والتجربةُ أشطر. **وقيل**: التجاربُ مرائي الغيوب ونواظرُ العيوب.

● **مدحُ مجرّب**

قيل: فلان حلب الدهر بأنقع وهو مؤدم مبشر[1]

قال الشاعر:

حلبتُ الدهرَ منْ عسلٍ وصابِ ... وذرّيتُ الزّمانَ بكلِّ ريحِ[2]

ومدح أعرابي قوماً **فقال**: أدبتهُم الحكمةُ وأحكمَتْهم التجاربُ ولم تغررهم السلامةُ المنطويةُ على الهلَكة.

● **ذمُّ غير مجرّب**

قيل: فلان غفل لم تسمْه[3] التجاربُ، ولم تفترغه النوائب، وغفلٌ لم تسمه النوب، ولم يعضّ غاربَه القتب[4]

وصف إعرابي والياً مغترراً **فقال**: ما أطول سكر كأسٍ شربَها فلان، ولم يخَفْ من عاقبتِها الخمّار.

● **المُصيبُ بظنّه**

قيل: من لم ينتفِعْ بظنّه، لم ينتفِع بيقينه. **وقال النبي ﷺ**: إنَّ لله عباداً يعرفونَ النّاس

---

(١) **حلب الدهر**: أي خبره حتى صار ذا تجربة ودراية بوقائعه ومعطياته.

(٢) **الصاب**: العلقم.

(٣) **لم تسمه**: من الوسم وهو أن يجعل للشيء علامة والوسم ترك أثر أو سمة على الجلد بالكيّ.

(٤) **لم يعضّ غاربه القتب**: الغارب. الحبل، **والقتب**: الرحل، وهذا القول من باب المثل ويضرب للذي لم يكتسب خبرة أو تجربة.

بالتوسّم. **وقال** عليه الصلاة والسلام: اتقوا فراسةَ المؤمن فإنّه ينظرُ بنورِ الله.

وكان عمر (رضي الله) عنه يقالُ له المحدّث لصحة ظنّه.

وقال النبي ﷺ: **إن يكنْ في هذه الأمةِ محدثٌ فهو عُمَر**. **ويقال**: فلانٌ ألمعيّ، **وقيل**: ما تزاحمتِ الظنونُ على أمرٍ مستورٍ إلا كشفته.

قال الشاعر:

إذا مــا ظــنّ أعــرَضَ أو أصــابَــا

وقال:

نـجـيـح مُـلـيـحٌ أخُـو مـارق ... يـكـادُ يُـخْـبِـرُ بـالـغَـائـبِ

وقال البحتري:

وإذا صـحّـتِ الـرويّـة يـومـاً ... فـسـواءٌ ظـنُّ امـرىءٍ وعـيـانُـه[1]

وقال الموسوي:

ولا علـمَ لي بـالغيـبِ إلا طـليعـةٌ ... منَ الحَزْمِ لا يَخْفَى عليْها المَغِيبُ

● **مدحُ الشكِّ وسوءِ الظنّ**

قيل: بوحشةِ الشكّ يُنالُ أنسُ اليَقين. **وقيل**: عليْكَ بسوءِ الظَنّ، فإنْ أصاب فالحَزْمُ، وإن أخطأ فالسلامة.

قال الشاعر

وحـسْـنُ الـظـنّ عـجْـزٌ فـي أمـورٍ ... وسـوءُ الـظـنّ يـأخُـذُ بـالـيَـقـيـنِ

وقيل:

مـنْ أطـالَ الـركـونَ قـلَّ ركـونُـه[2]

وقولُ الله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[3] دلالة على أن جُلّه صواب. **وقال عبد الملك**: فرْقٌ ما بين عمرَ وعثمان إنّ عمر أساء ظنّه فاحكم أمره وعثمان أحسنَ ظنّه فأهملَ أمره.

وقيل لبعضهم: أسأتَ الظنّ، **فقال**: أن الدنيا لما امتلأتْ مكارهَ وجبَ على العاقلِ أن يملأها حَذراً، **وقال** أبو محمد الخازن:

ومـا شَـكّـي وإن أكـثـرتُ إلا ... مـحـامـاة عـلـى الـشـيء الـيَـقـيـنِ[4]

---

(١) **الروية**: طول التأمل والتفكّر ـ **العيان**: المشاهدة.

(٢) **الركون**: الاطمئنان إلى الواقع وعدم التحرّي عن الحقائق والوقائع.

(٣) **القرآن الكريم**: الحجرات/ ١٢

(٤) اعتبر الشاعر الشكّ واجباً لحماية اليقين وصون دواعي الإيمان والتثبت.

● **ذمُّهما**

قال الله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، **وقال شيخ لرجل**: أظنك كاذِباً **فقال**: أحمق ما يكونُ الشيخُ إذا استعمل ظنه، **وقال**:

وأضعفُ عصمةٍ عصمُ الظنونِ

وقال المتنبي:

إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءَتْ ظنونُه ... وصدّقَ ما يعتادُه مِنْ توهّمِ[1]

● **مدحُ التغافل**

سئل حكيمٌ: ما اللبيب؟ **فقال**: الفطنُ المتغافل. ولما أمضى معاوية بيعة يزيد **قال**: يزيد: يا أبتِ ما أدري أنخدعُ الناسَ أم يخدعوننا بما يأخذون منّا؟ **فقال**: يا بنيّ من خدعك فانخدعتَ لهُ فقد خدعْته. **وقيل**: إذا أردت لباس المحبّة فكنْ عالماً كجاهل. **وقيل**: من تغافل فعقلوه، ومن تكايس فطبطِبوه أي العبوا به على الطبطابة.

قال الشاعر:

ليس الغنيّ بسيّدٍ في قومه ... لكنَّ سيّدَ قومِه المُتَغابي[2]

ولأبي فراس وقد أجاد:

تغابَيْتُ عنْ قومي فظنّوا غباوَتي ... بمفرق أغبانا حصًى وترابُ[3]

● **من لا يُخدَع لِعَقْله**

قال عمرو بن العاص: ما رأيتُ أحداً كلّم عمرَ رضي الله عنه إلا رحمته لأنه كان لا يخدع أحداً لفضله، ولا يخدعه أحد لفطنته. **وقال أياس بن معاوية**:

لسْتُ بِخَبٍّ ولا الخَبّ يخدَعُني[4]

وقيل لرجل: ـ **فيك فطنة، فقال**: ما ذنبي إذ خلقني الله عاقلاً

● **مدحُ التثبّت**

قال الشعبي: أصابَ متأملٌ أو كاد، وأخطأ مستعجل أو كاد. **وقال عمرو بن العاص**: لا يزال المرءُ يجني من ثمرة العجلة الندامة. وروى عن النبي ﷺ: ما دخل الرفق في شيء إلا زانة[5] ولا الخرف إلا شأنه[6]

---

(١) يذهب المتنبي إلى أن سوء الظنّ نابع من سوء الفعال، فالخائن لا يمحض الناس ثقته واللص يتهم سواه باللصوصيّة.

(٢) **المتغابي**: الذي يتظاهر بالغباء من قبيل الحذر والاحتراس.

(٣) **تغابيت**: تظاهرت بالغباوة. (٤) **الخبّ**: الخدّاع.

(٥) **زانه**: جمّله وزيّنه. (٦) **شانه**: عابه.

قال الشاعر:

لا تعجلن فربما ... عجِلَ الفتى في ما يضرّه

وقال الموسوي:

وشوكةُ ضغنٍ ما انتقشت شباتَها ... ذهاباً بنفسي أنْ يُقالَ عجولُ[1]

مدح العَجَلة

لأبي العيناء وقد قيل له لا تعجل فالعجلة من الشيطان، فقال: لو كان كذلك لما قال نبيّ الله موسى عليه السلام وعجلت إليك ربّ لترضى.

وقيل: المتأني في علاج الداء بعد أن عرف الدواء كالمتأني في اطفاء النار وقد أخذت بحواشي ثيابه وسأل أبو عليّ البصير ابنَ منارة حاجةً **فقال:** رح إلى وقت العصر فجاء عند الظهر **فقال:** ألم أعدك وقت العصر؟ **فقال:** نعم ولكن رأيت الإفراط في الاستظهار أحمد.

ما تحمدُ فيه العَجَلة

قال معاوية: ما منْ شيءٍ يعدلُ التثبتَ، **فقال الأحنف:** إلا أن تبادر بالعمل الصالح أجلك تعجل إخراج ميتك وتنكِحُ الكفء ابنتك.

مدحُ انتهاز الفرْصة

قيل: الهيبةُ خيبة والفرصة تمرّ مرّ السحاب. **وقيل:** انتهزِ الفرصةَ قبل أن تعودَ غصةً الإفتراضُ اقتناصٌ[2] **وقيل:** الفرصة ما إذا أخطأك نفعه لم يصبْك ضرّه.

التفكّر في العواقِب

قيل: إحمد تغنم، ولا تفكّر في العواقب فتهزمَ.

قال الشاعر:

إذا حدَّثته النفسُ أمضَى حديثَها ... وهانَ عليه ما يرى في العَواقبِ

وقيل: من تفكّر في العواقب لم يشجع في النوائب.

طلبُ الأمرِ بالمداراة

قال الأحنف: عجبتُ لمنْ طلبَ أمراً بالمغالبة[3]، وهو يقدرُ عليه بالملايَنة[4] ولمن طلبَ أمراً بخرق[5]، وهو يقدرُ عليه برفق.

---

(١) **الضغن:** الحقد والبغضاء ـ **الشباة:** العقرب ساعة تولد، والشباة من السيف قدر ما يقطع به.

(٢) **الاقتناص:** الاصطياد.

(٣) **المغالبة:** المقارعة والمخاصمة.

(٤) **الملاينة:** التساهل والتلطف.

(٥) **الخرق (هنا):** الطعن.

وقيل لبعضهم: ما الدهاء؟ فقال: قتل العدوّ في لطف.

● **مدافعةُ العدوّ بالمُداراة**

في كتاب كليلة:[1] لا تسلم من العدو القويّ بمثل التذلّل والخُضوع، كما أن الحشيشَ إنما يسلمُ من الريح العاصفِ بانثنائه معها، أينما مالتْ به الريح ساعدته.

أخذه ابن الرومي فقال:

كالريحِ والزرعِ استكانَ لمرِّها ... وعتَتْ فلم تقدرْ على تقصيفِهِ[2]
كمْ قدْ نجَا منه الضعيفُ وما نجَا ... منه العنيفُ بلفّه ولفيفِهِ
وتهاتن الجذعُ الأبي مهزّه ... فأتت عليْه ولم ترع لخفيفِهِ[3]

ولهذا الباب نظائر في العداوات.

● **الجهلُ بمستقبلِ الزّمان**

قال الله تعالى مخبراً عن النبي عليه السلام: ولو كنت أعلمُ الغيب لاستكثرتُ من الخير، وما مسّني السوء.

قال القطامي:

وما يعلمُ الخيرَ امرؤٌ قبل أن يَرى ... ولا الشرّ حتّى تستبينَ دوائرُه

وقال آخر:

تبينُ أعقابُ الأمورِ إذا مضتْ ... وتقبِلُ أشباهاً عليْكَ صدورُها[4]

(٣)

ومما جاء في المشاورة والاستبداد بالرأي

●

● **الحثّ على مراجعةِ الأوِدّاء[5] ومدح المشاورة**

قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[6] وقيلَ مِنْ شاورَ أهلَ النصيحة سلم من الفضيحة. **وقال النبي ﷺ:** المشاورةُ حصنٌ من النّدامة وأمنٌ من الملامة.

---

(١) **كتاب كليلة**: أي كتاب كليلة ودمنة المعروف لابن المقفع.
(٢) **استكان استكانة**: خضع ـ عتت الريح: اشتدّت وعصفت.
(٣) **تهاتن**. تتابع ـ أتت عليه (هنا): اجتثته، واقتلعته.
(٤) **أعقاب الأمور**: عواقبها. (٥) **الأوداء**: ذوو الودّ والنّصحاء.
(٦) **القرآن الكريم**: آل عمران/ ١٥٩.

وقيل: ما هلكَ امرؤٌ عنْ مشورة. **وقيل**: الرأيُ الواحد كالسجيل والرأيان كالحيطتين والثلاثة أمداد لا ينقض.

وقال النبي ﷺ: نعم الموازرةُ[١] المشاورةُ وبئس الاستعدادُ الاستبداد. الأحمقُ من قطعه العجبُ عن الاستشارة والاستبدادُ عن الاستخارة. من شاورَ الأَوِدّاء أمن من الأعداء. نصف رأيك مع أخيك فاستشره.

● **الحثُّ على مُشاورة الحازمِ اللبيب**

قال الجاحظ: أحسنُ ما قيل في المشورة **قولُ بشّار**:

إذا بلغَ الرأيُ المشورةَ فاستعِن ... بحزمِ نصيحٍ أو نصيحَةِ حازمِ[٢]
ولا تجعلِ الشّورى عليك غضاضةً ... فإنَّ الخوافِي قوّةٌ للقوادِمِ[٣]

وقوله:

ولا كلُّ ذي رأيٍ بمؤتيك نصحَه ... ولا كلّ مؤتٍ نصحَه بلَبيبِ
ولكنْ إذا ما استُجمِعا عنْد واحدٍ ... فحقّ له من طاعةٍ بنصيبِ[٤]

وقال عبد الله بن معاوية:

وإنْ بابُ أمرٍ عليْك التوَى ... فشاوِرْ نبيهاً ولا تعصِهِ[٥]

وقال عمر رضي الله عنه: الرجال ثلاثة رجل ذو عقل ورأي فهو يعمل عليه، ورجل إذا أحزنه أمر أتى ذا رأي فاستشاره، ورجل جائر بائر[٦] لا يأتي رشداً ولا يطيع مرشداً.

● **الحثُّ على استشارة الكبار**

قال زياد لأبي الأسود[٧]: لولا أنّك كبرتَ لاستعملتُك واستشرتك، **فقال**: إن كنت تريدني للصراع فليس في، وإن كنت تريد الرأي فهو وافي. **وقيل**: زاحم بعود أو دع.

وقيل: عليك برأي الشيوخ، فقد مرّت على وجوههم عيون العبر وتصدّعت لاسماعهم آثار الغير.

---

(١) **الموازرة**: مخفّف المؤازرة، أي التعاضد.

(٢) **النصيح**: الناصح جمع نصحاء والنصوح بمعنى النصيح والناصح وللمذكر والمؤنث على السواء.

(٣) **الغضاضة**: الذلّة والمنقصة ـ **الخوافي**: الريش القصير الناعم في جناح الطائر وخلافها القوادم جمع قادمة وهي الريشة الطويلة.

(٤) **حقّ له**: استحقّ. (٥) **التوى الأمر** استعصى ـ النبيه (هنا): العاقل الفطن.

(٦) **البائر**: الذي لا يطيع مرشد وأصل البوار الكساد.

(٧) **أبو الأسود**: هو أبو الأسود الدؤلي: من أوائل النّحاة وهو من بني ديل وكان شاعراً أيضاً. مات بمرض الطاعون سنة ٦٢ هـ (٦٨١م).

● **الحث على استشارة الصّغار**

قال هرم: عليكم في المشاورة بالحديث السنّ الحديد الذهن. **وقيل**: رأي الشيخ كالزند قد انثلم[1]، ورأي الشاب كالزند الصحيح الذي يوري[2] بأيسر اقتداح.

● **الحث على مشاورةَ العدوّ**

في كتاب **كليلة**: لا ينبغي للعاقل أن يتركَ استشارة عدوّه ذي الرأي فيما يشركه ذلك العدو في نفعه وضرّه. **وقيل**: استشر عدوّك تعرفْ مقدارَ عداوته.

● **من يجبُ أن تُجتنَبَ مشاورتُه**

قال قيس لابنه: لا تشاورنّ مشغولاً، وإن كان حازماً، ولا جائعاً، وإن كان فهيماً، ولا مذعوراً، وإن كان ناصحاً، ولا مهموماً وإن كان فطناً. فالهمُّ يعقل العقلَ ولا يتولّد منه رأي ولا تصدق منه رويّة.

وقيل: لا تدخل في مشورتك بخيلا فيقصّر بفعلك، ولا جباناً فيخوفك، ولا حريصاً فيعدك ما لا يُرْتجي، فالجبن والبخل والحرص طبيعة واحدة يجمعها سُوء الظن.

وقيل: لا تشاورْ من ليسَ في بيته دقيق. وكان **كسرى** إذا أراد أن يستشير إنساناً بعث إليه بنفقةِ سنةٍ ثم يستشيره.

وقيل لا تشيرنّ على معجَب ولا متلوّن[3]، وخفِ اللّهَ من موافقة هوى المستشير.

وقيل: إياك ومشاورة النساء فرأيهنّ إلى أفن[4] وعزمُهن إلى وهن.

وقال النبي ﷺ: شاوروهنّ وخالِفوهُنّ، **وقال**: لا تستضيئوا بنار المشرك أي لا تستشيروهم.

● **المستَدْعي المشُورة**

قال عمر رضي الله عنه: صاحب الحاجة أبله لا يُرشد إلى الصواب فلقّنوا أخاكم وسدّدوا صاحبكم.

وقال إعرابي:

دلاّ على حيلَة فيهَا لنَا فرجٌ ... إذِ الدليلُ على خيرٍ كمَنْ فعَلا

وقال آخر:

خليليّ ليْس الرأيُ في صدرِ واحد ... أشيرا عليّ اليومَ ما تريَانِ

---

(١) انثلم (الإناء): انكسر، والحائطُ أصابه خلل. (٢) يوري: يخرج النّار.

(٣) المتلوّن: الذي تختلف أخلاقه والمتلوّن المخادع الذي لا يثبت على رأي أو مبدأ.

(٤) الأفن: الضعف، وضعف الرأي بخاصّة.

● الحثُّ على نصيحة مستشيرِك

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الرجل لا يزال يزاد في صحة رأيه ما نصح مستشيره، فإذا غشّ مستشيره سلبَه الله صحّة رأيه.

ولمّا أصاب زياداً الطاعونُ في يدِهِ أحضر له الأطباء فدعا شريحاً **فقال له:** لا صبرَ لي على شدّته وقد رأيتُ أن أقطعَها **فقال شريح:** أتستشيرني في ذلك؟ **قال:** نعم، **فقال:** لا تقطعْها فالرزقُ مقسومٌ والأجلُ معلوم وأنا أكره أن تُقدمَ على ربّك مقطوع اليد، فإذا قال لك: لم قطعتها؟ قلت: بغضاً للقائك وفراراً من قضائك. فمات زياد من يومه. **فقال:** الناس لشريح: لم نهيته عن قطعها؟ **فقال:** استشارني والمستشار مؤتمَن ولولا الأمانةُ لوددتُ أن أقطعَ يده يوماً ورجله يوماً.

وقال يحيى: لا تشيرنّ على عدوّك وصديقك إلا بالنصيحة، فالصديقُ يقْضي بذلك حقّه، والعدوّ يهابُك إذا رأى صوابَ رأيك.

● منْ يجبُ أن يشارَ عليه إذا استشار

قيل: لا تشر على مستبدّ ولا على وغد[1]، ولا على لَحُوح[2]، ولا معجَب، ولا على متلّون، وخفِ اللّهَ في موافقة المستشير، فالتماسُ موافقته لؤمٌ وسوءُ الاستماعِ منه خيانة.

وقيل: من طلب الرخصَ من الإخوان عند المشاورة، ومن الأطباء عند المرض، ومن الفقهاء عند الشبه، فقد خدع نفسه.

● من ضربَ لمُستشيره مثلاً صمم في مشورته

شاور المنصورُ **سلم بن قتيبة في قتل أبي مسلم** صاحب الدولة **فقال:** لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فقال عيشك، واستشار فيه آخر **فقال:** ولن يجمع السيفان ويحك في غمد.

واستشار **معاويةُ الأحنفَ في بيعة يزيد فقال الأحنف:** أنت أعلم بليله ونهاره وسرّه وإجهاره، فإن كنت تعلمه لله رضا وللأمة صلاحاً، فلا تشاور فيه أحداً. وإن كنت تعلم غير ذلك فلا تزوّده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة، وإنما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا.

● الممدوحُ بأنّه مستشار

وقالت امرأة من أياد:

المستشارُ لأمرِ القوم يجْزِئُهُم ... إذ الهناتُ أهمَّ القومَ ما فيها

وقال أبو تمّام:

يطولُ استشاراتِ التجاربِ رأيُه ... إذا ما ذوو الرأيِ استشارُوا التجاربا

---

(١) **الوغد:** الدنيء، الضعيف العقل.

(٢) **اللحوح:** اللجوج، الذي يلح في السؤال ونحوه.

● الرغبةُ في الاستبدادِ بالرأي

قال بعض الحكماء: ما استشرت أحداً قط إلا تكبّر عليّ وتصاغرت[1] له ودخلته العزّة وأدركتني الذلّة. وإيّاك والمشورة وإن ضاقتْ بكَ المذاهب.

وكانت الفرس والروم مختلفين في الإستشارة.

فقالت الروم: نحن لا نملك من يحتاج أن يستشير، **وقالت الفرس** نحن لا نملك من يستغني عن المشاورة وفضل الفرس لقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[2] وما زال المنصور يستشير أهل بيته حتى مدحه **ابن هرمة بقوله**:

يـزْرَنَ امـرأً لا يـصـلـح الـقـوم أمـره ... ولا يـنـتـحـي الأدنـيـن فـيـمـا يـحـاولُ

فاستوى جالساً **وقال**: أصبت والله. فما استشار بعد ذلك.

وقال بعض جلساء هارون[3]: أنا قتلت جعفر بن يحيى، وذلك أني رأيت الرشيد يوماً وقد تنفس تنفساً، مفكراً فانشدت في أثره:

واســتــبــدَّتْ مــرّة واحــدةً ... إنـمـا الـعـاجِـزُ مـنْ لا يـسـتـبـِدّ[4]

فاصغى إليه واستعاده[5]، فقتل جعفراً بعد عن لبث.

وقال المهلّب: لو لم يكن في الاستبداد بالرأي إلا صون السر، وتوفير العقل لوجب التمسك بفضله.

● المتفادي من أن يُستشار

استشار عبد الله بن عليّ عبد الله بن المقفّع، فيما كان بينه وبين المنصور، **فقال**: لست أقود جيشاً ولا أتقلّد حرباً ولا أشير بسفك دم وعثرة الحرب لا تستقال، وغيري أولى بالمشورة في هذا المكان.

واستشار زياد رجلاً **فقال**: حق المستشار أن يكون ذا عقل وافر واختبار متظاهر ولا أراني هناك.

واجتمع رؤساء بني سعد إلى **أكثم بن صيفي**[6] يستشيرونه فيما دهمهم من يوم

---

(١) **تصاغرت له**: تذلّلت له وعظمت أمره.   (٢) **القرآن الكريم**: آل عمران/ ١٥٩.

(٣) **هارون**: أي الخليفة العبّاسي هارون الرشيد.

(٤) هذا البيت من قصيدة لعمر بن أبي ربيعة ومطلعها:

لـيـتَ هـنـداً أنـجـزتـنـا مـا تـعِـد ... وشـفَـت أنـفُـسَـنـا مـمّـا تـجـد

واســتــبــدّت مــرّة واحــدة ... إنـمـا الـعـاجـزُ مـن لا يـسـتـبـد

وواضح أن هارون الرشيد تلمّس الحكمة في قول عمر وسارع إلى قتل جعفر.

(٥) **استعاده**: عاود سماعه.

(٦) **أكثم بن صيفي**: أحد حكماء العرب المشهورين وكان يكثر في كلامه من ضرب الأمثال. وصف بالدراية وسداد الرأي ونصاعة الحجّة.

الكلاب[1]، **فقال**: إن وهن الكبر قد فشا في بدني وليس معي من حدة الذهن ما ابتدىء به الرأي، ولكن اجتمعوا وقولوا فإني إذا مرّ بي الصواب عرفته.

(٤)

وممّا جاءَ في وصف العلم والعلماء مدْحاً وذماً ووصْف الحفظ والنسيان

●

● عِزُّ العِلْم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2]، وقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾[3] وقال الإمام أبو حنيفة: إن لم يكن العلماء أولياءَ الله في الأرض فليس لله فيها ولي.

قال الأحنف[4]: كلّ عز لم يؤيد بعلم فإلى ذلّ يصير. **وقيل**: العلم يوطىء الفقراءَ بسطَ الملوك.

● الأدبُ كالحَسَب

قيل: من نهض به أدبُهُ، لم يقعد به حسبه[5]، **وقيل**: شرفُ الحسب يحتاجُ إلى شرف الأدب، وشرفُ الأدبِ مستغنٍ عن شرف الحسب.

وقال الأحنف: من لم يكنْ له علمٌ ولا أدبٌ لم يكنْ له حسَبٌ ولا نسَب.

وقال الشاعر:

كنِ ابْنَ منْ شئْتَ واكتسِبْ أدبا ... يُغْنيكَ محمودهُ عن النسبِ

وقال آخر:

ما ضرّ من حازَ التأدّبَ والنُّهى ... أنْ لا يكونَ من آلِ عبْدِ منافِ[6]

● البالغُ بعلمه مبلغَ الملوك

قيل: لما وقعت الفتنة بالبصرة ورضوا بالحسن اجتمعوا عليه، وبعثوا إليه. فلما أقبل قاموا، **فقال** يزيد بن المهلّب: كاد العلماء يكونون أرباباً، أما ترون هذا المولى كيف قام له سادات العرب.

---

(١) **فيما دهمهم من يوم الكلاب**: أي فيما أصابهم، ويوم الكلاب من أيام العرب.

(٢) **القرآن الكريم**: فاطر/٢٨.

(٣) **القرآن الكريم**: آل عمران/١٨.

(٤) **أبو حنيفة**: هو أبو حنيفة النعمان من أصحاب المذاهب الفقهية.

(٥) **حسبه**: الحسب هو الموروث من مجد الآباء وعزّتهم.

(٦) **النهى**: العقل - **عبد مناف**: ابن قصي الذي كان يقوم بسدانة الكعبة، وخلفه ابنه هاشم وهو جدّ النبيّ.

وقيل: تعلموا العلم فإنه يوطىء المساكين بسط الملوك. ونظر عمر رضي الله عنه إلى رجل في هيئة نفيسة فقال: ألست ابن قيس بالبصرة؟ قال: نعم. ولكني كاتب فقال لله درّ العلم ما زال يرفع أهله.

قال الشاعر:

العلمُ يرفع بالخَسيس إلى العُلا والجهلُ يقعدُ بالفتى المنسوبِ[١]

● **قيمةُ المرء علمُه**

قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: قيمةُ كلّ امرىء ما يحسنُه. وأخذ ابن طباطبا[٢] هذا المعنى فقال:

حسودٌ مريضُ القلب يُخفي أنينَه ويضحي كئيبَ البال عنْدي حزينَه
يلومُ على أن رحتُ في العلم دائباً أجمعُ من عند الرواة فنونَه
فيا عاذلي دعْني أغالي بقيمتي فقيمةُ كل النّاس ما يحْسِنونَه[٣]

● **فضلُ العلمِ على المال**

قال عبد الملك: اطلبوا معيشة لا يقدر سلطان جائر على غصْبها، قيل ما هي؟ قال: الأدب ولصالح بن عبد القدوس:

قد يجمعُ المرءُ مالاً ثم يسلبُه عمّا قليل فيلقى الذلّ والحرَبا
وجامعُ العلمِ مغبوطٌ به أبداً فلا يحاذرُ منه الفوتَ والطلبا[٤]

وقيل: العلم ميراثٌ غيرُ مسلوب، وقريب غير مغلوب. وقيل: الفضيلة بكثرة الآداب، لا بفراهة[٥] الدواب.

وقال الجنيد[٦]: من فضيلة العلم على المال أن الله فهم سليمان مسئلة فمَن عليه

---

(١) الفتى المنسب: ذو النسب الرفيع - يقول إن العلم يرفع الوضيع بينما الجهل يضع من قدر ذي النسب والمجد، وهذا شبيه بقول الشاعر:

العلمُ يرفعُ بيوتاً لا عمادَ لها والجهلُ يهدِم بيتَ العزِ والشرف

(٢) ابن طباطبا: هو أبو القاسم أحمد بن محمد.. مات سنة ٣٤٥ هـ (٩٦٥م) وكان من كبار الطالبيين وشاعراً مجيداً ولا سيّما في الغزل.

(٣) غالى بقيمته: بالغ وزاد فيها.

(٤) المغبوط بالشيء: خلاف المحسود، من غبطه أي عظم في عينه وتمنّى لنفسه مثل حاله.

(٥) الفراهة: النشاط والخفّة والحذاقة، يقال فَرِه فَرَهاً وفَرُهَ فراهة وفروهة وفروهيّة فهو فاره، ومن معاني الفراهة أيضاً الملاحة والحسن.

(٦) الجنيد: هو أبو القاسم الخزاز وقيل الزّجاج أحد زهّاد بغداد. وهو معروف باسم طاووس العلماء وكان سيّد الطائفة الجنيدية وهو القائل: التصوف هو صفاء المعاملة مع الله. توفي الجنيد سنة ٢٩٨ هـ (٩١٠م).

وقال ففهمناها سليمان. وأعطاه الملك ولم يمنّ عليه، بل قال: هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب.

● من ذمّه وفضل المال عليه

قال الشاعر:

ما المرءُ إلا بما يحوي من النَّشَب[(١)]

وقال آخر:

لا تغبطن أديباً ماله نشَبٌ ... لا خيرَ في أدبٍ إلا معَ النَّشَبِ

وقال جحظة[(٢)]:

إن الزّمانَ لمَنْ تقدَّمَ في النباهَة منقلبُ

وقال البديهي:

أكثر المقتفين للعلم والآ ... داب في ذلّة وفي أملاق[(٣)]

● وصفُ العلْمِ بأنه يورِثُ الغِنى

قيل: الأدب يجلب الجمال ويفيد المال. **وقيل:** من لم يفد بالأدب ما لا استفاد به جمالاً وفي كتاب كليلة: العالم إذا افتقر فعلمُه الذي معه يقوّيه كالأسد معه قوّته التي يعيش بها حيث توجه.

قال الأصمعي[(٤)] لرجل: ألا أدلك على خليل إن صحبتّه زانَك وإن احتجتَ إليه مانك، وإن استعنت به أعانك **قال:** نعم، فقال عليك بالأدب.

● وصفُه بأنه يورثُ الزهد

العلمُ يُزهدُ في الدنيا الضارّة، ويرغِّب في الآخرة السارّة. **وقال** عمر بن عبد العزيز[(٥)] رضي الله عنه: تعلّموا العلم فإنه عونٌ للفقير أما أني لا أقول يطلب به الدنيا ولكن يدعوه إلى القنوع.

---

(١) **النشب:** المال الأصيل من الناطق والصامت.

(٢) **جحظة:** هو أحمد بن جعفر من شعراء البرامكة ومن نسلهم. أجاد الغناء على الطنبور وفنوناً شتى. لقّبه ابن المعتزّ بجحظة لنتوء عينيه (انظر تاريخ بغداد ٤/ ٦٥).

(٣) **الإملاق:** الفقر الشديد والعوز، يقال: أملق الدهر ماله أي أذهبه وأخرجه من يده وأملق الرجلُ أنفق ماله حتى افتقر.

(٤) **الأصمعي:** هو عبد الملك الأصمعي من مشاهير اللغويين وعلماء العربية. كانت ولادته في البصرة سنة ١٢٣ هـ (٧٤٠م)، وفيها نشأ وتعلم على الخليل بن أحمد وعيسى بن عمر وسواهما. ومن تلامذته الرياشي وأبو عبيدة والسكّري والسجستاني. كانت وفاته سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨م).

(٥) **عمر بن عبد العزيز:** هو أحد الخلفاء الأمويين ولد سنة ٦٣ هـ (٦٨٢م)، وكان شديد الورع والتقوى كما كان كثير التسامح مات سنة ١٠٢ هـ (٧٢٠م).

● قلّةُ الاعتداد بالخلوّ من العلم

كان الوليد يلاعب عبدَ الله بن معاوية بالشطرنج[1]، فاستأذن عليه ثقفي موصوف بالثروة فستر الشطرنج بمنديل. فلمّا دخل وجلس استنطقه فقال: أحفظتَ القرآن وشيئاً من الفقه، قال: لا، قال: أفرويتَ شيئاً من الآثار والأشعار وأيام العرب قال: لا. فكشف الشطرنج، وقال: شاهك فنحن في خلوة.

ودخل حكيم دار رجل خلو من العلم فرأى أثاثاً وهيئة فاخرة، وأراد الرجل الداخل أن يبزق بزقة فبزق في وجه الرجل، فقيل له: ما تفعل؟ قال: نظرت فلم أجد في هذه الدار أخسّ منه لخلوّه من المعاني الفاضلة وإنما يرمي بالبزاق إلى أخس المواضع، فلذلك رميت به في وجهه.

● تلذّذُ العلماءِ بعلمِهم

كان أبو حنيفة رحمه الله إذا أخذته هزّة المسائل يقول: أين الملوك من لذة ما نحن فيه لو فطنوا لقاتلونا عليه. وقيل: من خلا بالعلم لم توحشْه الخلوة، ومن تسلّى بالكتب لم تفته السلوة.

وقيل لابن المبارك: من تجالس؟ فقال أصحابَ النبي ﷺ. إني أنظر في كتب آثارهم وأخبارهم.

● التناسبُ في العِلْم

قيل لعالم: أي المناسبة أخلد؟، فقال: مناسبةُ العلم التي غذتها عواطف الشيم.

وقيل للنوفلي: ما بلغ من شهوتك للعلم؟، قال: إذا نشطتُ فلذّتي وإذا اغتممتُ فسلوتي. قال أبو تمّام:

وقـرابـةُ الآدابِ تـقـصُـر دونَـهـا ... عـنـد الأديـبِ قـرابـةُ الأرحـامِ[2]

قال الصّولي:

إنّ الـكـتـابـةَ والآدابَ قـد جـمـعَـتْ ... بيني وبينَك يا زينَ الورى نَسَبَا[3]

وقيل: لا ينبغي للأديب أن يخالط من لا أدب له، كما لا ينبغي للصّاحي أن يناظر السكران.

---

(١) الشطرنج: لعبة مشهورة وهي معرّب شترنك بالفارسية ومعناها ستة ألوان لأن عدد القطع التي يلعب بها ستة أنواع وهي الشاه والفرزن، والفيل والفرس والرخ والبيذق.

(٢) تقصر دونها: لا تدانيها أو تعادلها ـ قرابة الأرحام: أي قرابة الدم والنسب.

(٣) الورى: الخلق والنّاس.

● مدحُ صِيانةِ العِلْم

وجّه الرشيدُ إلى مالكٍ بن أنس[1] رحمه الله ليأتيه فيحدثه، فقال مالك إنّ العلمَ يؤتى فصار الرشيد إلى منزله فاستند معه إلى الجدار، فقال: يا أمير المؤمنين من إجلال الله تعالى إجلال العلم. فقام وجلس بين يديه وبعث إلى سفيان بن عيينة فأتاه وقعد بين يديه وحدّثه. فقال الرشيد بعد ذلك: يا مالك تواضَعْنا لعلمِك فانتفعْنا به وتواضعَ لنا علمُ سفيان فلم ننتفع به.

وفي أمثال العرب أن الثعلب والغراب تحاكما إلى الضب[2]، فقالا: أخرج وأحكم بيننا. فقال: في بيته يؤتى الحكم.

وقال لقمان لابنه: صنْ علمَك فوقَ صيانةِ نفسِك. وقيل: لم يُرَ أفضل من الخليل[3] في التلطّف عن الكسب بالعلم. كان الناس يأكلون بعلمه وهو في خصّ له. وخرج إلى مكّة، والناس يقولون في الحرمين: قال الخليل، وذكر الخليل، ورجع إلى البصرة ولم يعلم بمكانه. قال الشيخ رحمه الله: ومن ملك نفسه هكذا، فحقيقٌ أن يقال رجل فضل وصدق. وللقاضي علي بن عبد العزيز الجُرْجاني:

ولم أبتذلْ في خدمةِ العلمِ مهجَتي ... لأَخْدِمَ من لاقيتُ لكن لأُخْدَمَا
ولو أنّ أهلَ العلمِ صانوهُ صانَهم ... ولو عظّموه في النفوس لعظّما
ولكنْ أهانُوه فهانُوا ودنّسوا ... محيّاه بالأطماعِ حتّى تجهّما[4]

● نهيُ العُلماءِ عنِ التّهافُتِ على بابِ السّلطان

قال بعض العلماء: شرارُ الأمراء أبعدُهم عن العلماء، وشرارُ العلماء أقربُهم إلى الأمراء. ودنا سقاء من فقيه على باب السلطان فسأله عن مسألة فقال: أهذا موضع المسألة؟ فقال السقاء: أو هذا موضع الفقيه؟

وكتب عبد الله بن المبارك رحمه الله إلى ابن علية حين ولي صدقات البصرة[5]:

يا جاعِلَ العلمِ له بازياً ... يصطادُ أموالَ المساكينِ[6]

---

(١) مالك بن أنس: من كبار الفقهاء في الإسلام وأحد أصحاب المذاهب فيه ومذهبه معروف باسم المذهب المالكي. كانت ولادة مالك في المدينة سنة ٩٧ هـ (٧١٥م) ومن أشهر مؤلفاته كتابه الموطّأ وفيه أصول مذهبه. مات سنة ١٧٩ هـ (٧٩٥م).

(٢) الضبّ: من الزواحف وهو شبيه بالحردون.

(٣) الخيل (هنا): أي الخليل بن أحمد مستنبط علم العروض.

(٤) تجهم: عبس وقطّب وجهه.

(٥) البصرة: مرفأ في العراق على شطّ العرب. وكانت البصرة أكثر مدن العراق ازدهاراً زمن الدولة العبّاسية. كما كانت مع الكوفة مركزاً مرموقاً من مراكز العلم والثقافة العربيّة.

(٦) البازي: طير من الجوارح يصاد به وهو أنواع شتّى والجمع بزاة وأبواز وبيزان، وحامل الباز يقال له البازدار واللفظة فارسية.

احتلتَ للدنيا ولذّاتِها بحيلةٍ تذهَبُ بالدّينِ
فأينَ ما كنتَ به واعظًا من تركِ أبوابِ السّلاطينِ
إنْ قلتَ أكرِهتُ فمَا هكذا زلّ حمارُ العلمِ في الطينِ

● **من زانَ علمَه بعمِله**

قال أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه: اعقلوا الخيرَ إذا سمعتمُوه عقلَ رعايةٍ لا عقلَ روايةٍ فروايةُ العلم كثيرةٌ ورعايتُه قليلة. كثرةُ العلمِ في غير طاعة الله مادةُ الذنوب. **وقيل**: العلمُ يهتف[1] بالعمَل فإنْ أجابه وإلا ارتحَل.

● **ذمُّ من شانَ علمَه بتقصير**

قال النبي ﷺ: أشدّ الناس عذاباً يومَ القيامة عالمٌ لا يُنتفع بعلمه، **وقال** عليه السلام: أشدّ الناس ندامةً عند الموتِ العلماءُ المفرِطون[2]

وقال ﷺ: اللهمّ إنّي أعوذُ بك من علم لا ينفع، وقلبٍ لا يخشع، وعين لا تدمع، ونفسٍ لا تشبع، وأعوذ بك من شرّ هؤلاء الأرْبع.

كتب الشافعي[3] رضي الله عنه إلى عالم: قد أُوتيتَ علماً فلا تطفىء نورَ علمِك بظلمة الذنوب، فتبقى في الظلمة يومَ يسعى أهلُ العلم بنُورهم.

● **تفضيلُ العلم على العمَل**

قال النبي ﷺ: فقيهٌ واحد أشدّ على الشيْطانِ من ألفِ عابد.

وقال ﷺ: عَمَلٌ قليلٌ في علمٍ خيْرٌ من كثيرٍ منه في جهل.

وقال الحسن رضي الله عنه: أدركت قوماً من أصحابِ رسول الله ﷺ **يقولون**: من عمل بغير علم كان ما أفسدَ أكثرَ مما أصلح.

● **ذمّ شَرَهِ العالمِ وطلبِ الدنيا بالعِلْم**

قال ﷺ: من إزدادَ في العلْم رشْداً ولم يزدد في الدنيا زهداً، لم يزدد من الله إلا بعداً. وروى في الخبر من آتاه الله علماً فلم يتنزّه به عن الدنيا كُتبَ بين عينيه الفقيرُ إلى يوم القيامة.

قال مالك: قلت للحسن: ما عقوبة العالم؟ **قال**: موت قلبه. **قلت**: وما هو؟ **قال**:

---

(١) **يهتف بالعمل**: هتف في اللغة صات أو مدّ صوته، وهتف فلان بفلان صاح به، وهتف بالعمل دعا إليه.

(٢) **المفرطون**: جمع مفرط وهو اسم فاعل من أفرط الأمر أي نسبه وتركه.

(٣) **الشافعي**: هو محمد بن إدريس من أئمة الدين وصاحب المذهب المعروف باسمه. ولد الشافعي في مدينة غزة سنة ١٥١ (٧٦٧م)، ومات في مصر سنة ٢٠٥ هـ (٨٢٠م) لكنّ نشأته كانت في مكة المكرمة. ومنها قدم إلى بغداد ومن أشهر آثاره «كتاب الأم».

طلبُ الدنيا بعمل الآخرة. **قال** بعض الأدباء؟ لأن تطلبَ الدنيا بأقبحَ ما تطلب به أحسن من أن تطلبَها بأحسنَ ما تطلب به الآخرة.

- **قلّةُ العلم وكثرةُ الجهل**

قال الطائي(١):

أبا جعفر إنّ الجهالةَ أمُّها ... وَلوْ دوامُ العلمِ جذاء حائِلُ

وقال علقمة(٢):

الجهلُ ذو عرضٍ لا يستزادُ له ... والحكمُ آونة في النّاس معدومُ

- **مدحُ الحديث**

قال النبي ﷺ: من حفظَ حديثاً واحداً من أمرِ دينه أعطاهُ الله أجر سبعين صديقاً.

وقال ﷺ: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً، بُعِثَ يوم القيامة فقيهاً.

وقال ابنُ عبّاس: سمعت النبي ﷺ يقول: اللهم ارحمْ خلفائي **فقلت**: ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يروون الأحاديثَ بعْدي.

- **ذمّه وذمّ أصحابه؟**

قال شعبة: إن هذا الحديث يصدّكم عن ذكر الله، وعن الصلاة فهل أنتم منتهون؟

وقال محمد بن مطيع: رأيت الحسن بن زياد أسوأ الناس صلاةً فعاتبتُه، **فقال**: ما طلبَ الحديثَ أحدٌ إلا ساءت صلاته.

وقال عمرو بن الحارث: ما رأيت علماً أشرفَ ولا أوضعَ أهلاً من الحديث وهم شرّ خلف من خير سلف.

- **مدحُ الإسناد**

قيل: الإسنادُ قيد الحديث. **وقيل**: الحديث من غير إسناد كالجمل بلا زمام وخطام.

وصف إعرابي رجلاً **فقال**: ما أحسن حديثَه لو أنّ له سلاسل يقاد بها يعني الأسانيد، **قال**:

ونصّ الحديثَ إلى أهلِه ... وإن الأمانةَ في نصّه

---

(١) **الطّائي (هنا)**: هو أبو تمّام حبيب بن أوس الطّائي شاعر المعتصم بالله العبّاسي وأحد كبار الشعراء في عصره، ويعتبره النقّاد اليوم من روّاد التجويد في الشعر القديم. ولد أبو تمّام في جاسم قرب دمشق سنة ١٧٢ هـ (٧٨٨م). ألمّ بعلوم العرب وحفظ شعرهم كما درس فلسفة اليونان وعني بحكمتهم وتأثر بها في شعره. تميّز شعره بالمعاني الغامضة الغريبة. مات سنة ٢٣١ هـ (٨٤٥م).

(٢) **علقمة**: هو علقمة الفحل من شعراء المناذرة في الحيرة عاصر امرأ القيس، وكانت وفاته سنة (٥٩٨م) كما يقول بعض المؤرخين.

وقيل: في قوله تعالى: أو أثارة من علم، أنه الأسانيد.

● ذمّه

طلب رجل من **الحسن** إسنادَ حديث **فقال**: وما تصنع به؟ وقد نالتك عظتُه وقامت عليك حجته. وقيل لرجل: كتبتَ حديثاً بغيرِ إسناده، **قال**: إني أريدُه للعمل لا للتسوّق والتجمّل.

وسأل رجل آخر عن إسناد شعر **فقال**: والله ما تركتُ الحديثَ إلا بغضاً للإسناد وأنت تسألنيه في الأشعار.

● مدحُ النحو

النحوُ نصابُ العلم ونظامُه وعموده[1] وقوامُه ووشي[2] الكلام وحلْته وجماله وزينته. **وقيل**: النحو يرفع الوضيع ويخفض الرفيع. وكان معلم الرشيد يضرب على الخطأ واحداً وعلى اللحن سبعاً.

● ذمّه

نظر بعض الرؤساء إلى ابنه، وهو ينظر في كتاب سيبويه[3] **فقال**: أفّ[4] لك علمُ المؤدّبين وهمّة المحتاجين. **وقيل**: من كثرت عليه العربية أظلمت عليه الرويّة.

وقيل: إذا كتبت كتاباً فالحَنْ فيه فإنّ العربية مجدودة. وممّا يتّصل بهذا الباب أنّ بعض الفصحاء كان يدخل على بعض عمال البصرة، وهو يعرب[5] في كلامه، **فقال** له يوماً: إن لم تترك الإعرابَ ضربْتك، **فقال**: إني إذاً أشقى الناس، به ضربتُ صغيراً لأتعلّم وضُربت كبيراً لأترك.

● ذمُّ الكثير منه

ذكر النحوُ عند **المأمون**[6] **فقال**: علمٌ يغنيك أدناه عن أقصاه. **وقال أبو حنيفة**: المكثرُ من النحو كالمكثر من غرس شجرٍ لا يثمرُ. **وقيل**: النحو ملح العلم ومتى استكثر من الملح في الطعام فسد.

وذكرَ أهلُ النحو عند بعض البلغاء **فقال**: أغزرهم علماً أنزرهم فهما.

---

(١) **عمود العلم**: أي ركنه وقاعدته. (٢) **الوشي**: الزخرفة والزينة.

(٣) **سيبويه**: من علماء البصرة وأطولهم باعاً في علم النحو وهو رأس المذهب المعروف باسم مذهب البصريين أهم آثاره «الكتاب» في النحو. مات سيبويه سنة ١٥٤ هـ (٧٧٠م).

(٤) **أفّ**: اسم فعل بمعنى أتضجّر. (٥) **أعرب يعرب في كلامه**: تكلّم مراعياً قواعد الإعراب.

(٦) **المأمون**: من كبار الخلفاء العباسيين (١٧٠ هـ ٧٨٦م) ـ (٢١٩ هـ ـ ٨٣٣م) وهو ابن هارون الرشيد. كانت أمه فارسيّة واسمها مراجل: تبنى مذهب المعتزلة وجعله مذهب الدولة الرسمي واختبر العلماء انطلاقاً من قواعده وأصوله.

● **مدحُ العَروض وذمّه**

قيل: معرفة العروض[١] تسهّل عليك ما تعوّج من الشعر، فإنّه نصابه[٢] ونظامه وعموده وقوامه.

وعاب النظّام[٣] الخليلَ فقال: تعاطى ما لا يحسنُه، ورام ما لا ينالُه وفتنته دوائره[٤] التي لا يحتاج إليها غيره.

ودخل أعرابي مسجدَ البصرة فانتهى إلى حلقة علم، يتذاكرون الأشعار والأخبار، وهو يستطيب كلامهم ثم أخذوا في العروض فلما سمع المفاعيل والفعول ورد عليه ما لم يعرفه فظنّ أنهم يأتمرون به فقام مسرعاً وخرج وقال:

قد كان أخذُهم في الشعْر يعْجبُني — حتّى تعاطَوا كلامَ الزنْجِ والرومِ
لما سمعتُ كلاماً لستُ أعرفُه — كأنه زجل الغربانِ والبومِ
ولَيْتُ منفلتاً والله يعصمُني — من التقحم في تلك الجرائيمِ

وقال ابن طباطبا:

كلّ العلومِ يزينُ المرءَ بهجتُها — إلا العروضَ فقد شانَتْ ذوي الأدبِ[٥]
بي الدوائرُ دارتْ من دوارها — ما لامرىء أربٌ في ذاك من أربِ[٦]
فاستعملِ الذوقَ في شعرٍ تؤلّفه — وزنْ به ما بنَوا في سالفِ الحقبِ

● **مدحُ المُلَح**

قال الأصمعيّ: نلتُ بالعلم وصلْتُ بالملح[٧] **وقيل:** النوادر تفتحُ الآذان وتفتّقُ الأذهان.

قال أبو عبيدة: الملحُ مروءةٌ تنفق عند الإشرافِ، فارتادوا لها وانظروا عندَ منْ تضعونها.

---

(١) **العروض:** علم أوزان الشعر وبحوره، استخرج الخليل بن أحمد أصوله وقواعده المعروفة بالنظر في شواهد الشعر القديم.

(٢) **نصابه:** عموده الذي لا يقوم إلا به.

(٣) **النظّام:** من شيوخ المعتزلة واسمه إبراهيم بن سيّار ويكنى بأبي إسحاق. كانت نشأته في البصرة. من تلامذته الجاحظ. كانت وفاة النظام سنة ٢٢١ هـ (٨٣٥م). كان النظام وسائر المعتزلة حرباً على الفجور والزنادقة ولهذا هاجم أبا نواس وحمل عليه لكن أبا نواس ردّ عليه قائلاً:

قلْ لمن يدّعي في العلم فلسفةً — حفظتَ شيئاً وغابتْ عنك أشياءُ
لا تحظُرِ العفْوَ إن كنتَ امرءاً حرِجاً — فإنّ حظْرَكَهُ بالدين إزراءُ

(٤) **دوائره:** أي دوائر علم العروض كما حدّدها الخليل بن أحمد.

(٥) **شانت:** من الشَّين وهو العيب.

(٦) **الأرب:** الحاجة.

(٧) **الملح:** النوادر، جمع ملحة.

● مدحُ الكلامِ

قيل: المتكلمون[1] دعائمُ الدين ولولاهم لأضلّت الملحدة[2] كثيراً من الناس.

وروي أن ملكَ الصغد كتب إلى الرشيد يسأله أن يبعث إليه من يعلّمه الدين، فدعا يحيى بن خالد فعرض عليه الكتاب، **فقال يحيى**: لا يقوم لذاك إلا رجلان ببابك هشامُ بن الحكم وضرارُ فقال: كلا إنهما مبتدعان[3] فيلقنان القومَ ما يفسدُهم ويغويهم بالمسلمين، ليس لذلك إلا أصحاب الحديث، **فقال يحيى**: أصحاب الحديث لا يحسنون وأهل الصغد قد غلب عليهم الثنوية[4] فأتى أبو يوسف ووجه بعض أصحاب الحديث فلما ورد أكله أهل الصغد بالحجج. **فقال ملك الصغد**: ما أضعفَ دينَكم وحججكم، **فضحك** صاحب الحديث. **فقال الملك**: وما هذا الضحك؟ فقال إنا لسنا أصحاب الحجج فإننا مقلّدة وعندنا من له الجدل وعنده الحجج ولا يقوى لهم أحد، وقد أشار بعض المحصلين على صاحبنا أن لا يبعثنا فوقع الغلط عليه.

● ذمّه

قال أبو يوسف: من طلب الدين بالكلام تزندق[5] وقيل ما تعلم أحد الكلام إلا ساء ظنه بالنّاس.

وقيل: من جعل غرضاً للجدال أكثر التنقل من رأى إلى رأي.

وحكى بعض الصوفية **قال**: استشرت أبا عبد الله بن حنيف في تعلم الكلام **فقال**: لا تفعل، فأقلّ ما فيه أنك تسيء عشرة الربّ. **فقلت** كيف ذلك؟ **فقال**: لأنك أبداً تقول لو فعل الله كذا لكان جاهلاً ولو كان كذا لكان عاجزاً، ونحو ذلك مما يجري في كلامهم.

● مدحُ الفِقه

قال النبي ﷺ: إذا أراد الله بعبدٍ خيراً فقّهه في الدّين، وعرّفه عيوب نفسه.

وقال ﷺ: لكل شيء عماد، وعمادُ هذا الدين الفقه. **وقال ﷺ** الأنبياء سادة والفقهاء قادة، ومجالستهُم زيادة. **وقال ﷺ**: فقيه واحد أشدّ على إبليس من ألف عابد.

---

(١) **المتكلّمون**: علماء الكلام وهو العلم الذي يُدافع به عن العقيدة بالأدلة العقليّة.

(٢) **الملحدة أو الملاحدة** هم الدهريّون الذين لا يؤمنون بالحساب والثواب والعقاب، وهم كفرة.

(٣) **المبتدع**: صاحب البِدَع وواحدة البدَع البدْعة وهي ما أحدث على غير مثال سابق، والبدَع تخالف الإيمان الصحيح.

(٤) **الثّنوية**: من عبادات الفرس وأصحابها يقولون بوجود إلٰهين: إله النور وإله الظلمة والأول هو أهورا مازدا والثاني أهرمن.

(٥) **التزندق**: هو الاعتقاد بما هو مخالف للإيمان، والزنادقة هم أصحاب البدع، والزندقة أنواع وقد تقتصر الزندقة على المجون وارتكاب المعاصي واستباحة المحرّمات، وربّما تجاوزت إلى عبادة النّار والقول بالهين مما هو معروف في المجوسية.

● مدحُ الحساب

قـال الله تـعـالـى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[١]، وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾[٢] وقيل الحساب ديباج[٣] العلم، **وقال علي بن زين**: لو رفع الحساب لبطلت العلوم ولو رفعت العلوم لم يبطل الحساب.

● مدحُ إستخراجِ المعمّى[٤] وذمُّه والحاذق فيه

قيل: إستخراج المعمّى يدقق النظر ويصقل الذهن ويفطن القلب. **وقيل**: إن بعض اليونانيين كتب بلغتهم كتاباً إلى الخليل فخلا به شهراً حتى فهمه فقيل له في ذلك، **فقال**: علمت أنه لا بدّ من أن يفتتح الكتاب باسم الله فبنيت على ذلك فقست عليه وجعلت ذلك أصلاً ففتحت ثم وضع كتاب المعمى على ذلك.

وقال أبو حاتم: سألت الأصمعي عن المعمّى فقال هو عمى القلب. **وقال الجاحظ**: ليس المعمّى بشيء قد كان كيسان مستملي أبي عبيدة يسمع خلاف ما يقال، ويكتب خلاف ما يسمع، ويقرأ خلاف ما يكتب، يتعسر[٥] عليه إستخراج أخف نكتة[٦] من المعمّى.

● معرفةُ النسب

سئل بعضهم عن علم النسب، **فقال**: هو علم لا تنفع معرفته ولا يضرّ جهله.

وقال رجل لأبي عبيدة: علّمني شيئاً من النسب، **فقال**: ما تستفيد بذلك إلا معرفة المعايب. **وقيل**: فلان أنسب من دغفل[٧] ومن ابن لسان الحمرة. وقال المتنبّي في نبطي[٨] عارف بالنسب:

وماذا بمصرَ من المضحِكات	ولكنّه ضحكٌ كالبُكا
بها نبطيٌّ من أهلِ السّواد	يدرسُ أنسابَ أهلِ الفَلا

(١) **القرآن الكريم**: الأنعام/ ٩٦. (٢) **القرآن الكريم**: يونس/ ٥.

(٣) **الديباج**: الحرير، وديباج العلم كناية عن منزلة الحساب الرفيعة.

(٤) **المعمّى من الكلام**: ما كان خفيّ المعنى. (٥) **يتعسّر عليه**: أي يعسر ويصعب عليه.

(٦) **النكتة**: الأثر الحاصل من نكت الأرض، والنكتة (هنا)، المسألة الدقيقة.

(٧) **دغفل**: هو رجل من بني شيبان عاش في القرن السابع الميلادي وأدرك الإسلام، وكان أعلم زمانه في الأنساب.

(٨) **النبطي**: المنسوب إلى النبط وهم قوم كان يقطنون القسم الجنوبي من فلسطين. وكانت لهم فيه حصون وقلاع ومنها بصرى وصلخد وصلع. وكانت للنبط أو الأنباط رحلات تجارية إلى ما بين النهرين ومصر والشام.

● **وصفُ فنون من العلم**

قيل: علم الملوك النسب والخبر والشعر، وعلم السلطان المغازي[١] والسير وعلم التجار الحساب، وعلم الكتاب معرفة الخط وتصريف اللغات.

وقيل العلوم ثلاثة: علم الدين لمعادكم[٢] وعلم الطب لأبدانكم، وعلم الهندسة لمعاشكم.

وقيل تعلّموا الفقه لأديانكم والطب لأبدانكم والنّحو لبيانِكم.

● **متبجّحٌ باستيعاب العلم**

قال ابن المنجّم: أحبّ أن ألقى عديَّ بن الرقاع[٣] **فأقول له**: ألستَ القائل:

وعلمت حتى ما أسائل واحداً   عن علم واحدة لكي أزدادها

ثم أريه أنه قد جهل كل علم إلا قوله الشعر الذي يتقدمه عليه غيره ثم أحسن أدبه وأعرك أذنه.

ولكشاجم[٤] **في معناه**:

وما زلتُ أبغي الشِعرَ من حيثُ يبتغى   وأفتنّ في أفنانه أتعرّفه
فقد صرتُ لا ألقى الذي أستزيده   ولا يذْكرُ الشيءُ الذي لستُ أعرِفُه

وهذا من الإعجاب المفرط والجهل بفنون العلم، وكفى دلالة بقلة معلوم الورى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٥]

● **جودةُ الحفظ وذكر الحفّاظ**

قيل: فلان أحفظ بما يسمعه من الرمل للماء. وهذا أثبت من صدره من الحمد لله.

ولمّا نزل قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[٦]، **قال النبي ﷺ**: لعلّي سألت الله أن يجعلها أذنك يا عليّ فلم يسمع بعد ذلك شيئاً إلا حفظه.

وقيل: كان عمرو بن هبيرة[٧] يضبط حساب العراق وهو أميّ.

---

(١) **المغازي**: علم مناقب الغُزاة وفعالهم.   (٢) **المعاد**: اليوم الآخر أو يوم البعث والنشور.

(٣) **عديّ بن الرقاع**: شاعر من أهل دمشق، عاش في مطلع القرن الثامن للميلاد، واتصل بالوليد بن عبد الملك ومدحه.

(٤) **كشاجم**: هو أبو الفتح محمود السنديّ، وكان طبّاخ سيف الدولة وكان كشاجم هندي الأصل ويتعاطى التنجيم وله كتاب أدب النديم.

(٥) **القرآن الكريم**: الإسراء/ ٨٥.   (٦) **القرآن الكريم**: الحاقة/ ١٢.

(٧) **عمرو بن هبيرة**: من عمّال الخراج على العراق.

وقال الشعبي[1]: ما كتبت سوداء في بيضاء إلا حفظتها. وقال: أحفظ كل حديث سمعت والموضع الذي سمعت فيه.

وقال الأصمعي[2]: أحفظ اثني عشر ألف أرجوزة. فقال رجل منها البيت والبيتان، **فقال**: ومنها المائة والمائتان.

وورد **أبو مسعود الرازي أصبهان**[3]، ويقال أنه أملى عن ظهر قلبه مائة ألف حديث، فلما وصلت كتبه قوبلت بها فلم يعثر منها على سقطة إلا في متن حديثين.

وادّعى الخوارزمي[4] أنه حفظ كتاب الأمثال **لأبي عبيدة** في ليلة، وقيل جرى حديث الحفظ لما كان **بأصبهان** فقرىء عليه أوراق من حساب البقّالين فأعادها على الترتيب.

● النسيانُ وذكرُ بنيه

قيل: فلان لو غابت عنه العافية لنسيها وحكى جراب الدولة أن رجلاً كان على عاتقه صبي عليه قميص أحمر، وهو ينادي من وجد صبياً عليه قميص أحمر؟ **فقيل**: أليس هو على عاتقك؟ فلمسه **فقال**: أحسنت كنت نسيته.

وقال قتادة يوماً: ما نسيت شيئاً قط، ثم قال في أثره: يا غلام ائتني بنعلي، **فقال** له الغلام: أليس نعلك في رجلك، وكان قد نسيه.

● عذرُ من نسي أجراً

قال النبي ﷺ: رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

وقال تعالى في آدم: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾[6]

وسمّي الناسي ابن سهوان ومنه قيل أن الموصين بنو سهوان. **قال البحتري**:

إن كنت أنسيتُها فلا عجبٌ ... قد عاهدَ الله آدما فنسي

---

(1) **الشعبي**: هو أبو عامر بن شراحيل عاش بين (٦٤٢م) و (٧٢٣م)، وهو تابعي وكان محدثاً وراوية وأكثر رواياته عن الإمام علي وأبي هريرة وعائشة، وكان يلقب بـ «علامّة الكوفة».

(2) **الأصمعي**: ورد ذكره سابقاً.

(3) **أصبهان**: من مدن فارس الشهيرة وإليها ينتسب عدد كبير من أهل العلم والأدب، ومنهم صاحب الأغاني أبو الفرج الأصبهاني.

(4) **الخوارزمي**: اسم لعدد من مشاهير العلم والأدب منهم أبو بكر الخوارزمي الشاعر والكاتب، وأبو عبد الله محمّد صاحب كتاب مفاتيح العلوم وهو من أوائل الكتب الموسوعية باللغة العربية وثالث الخوارزميين محمّد بن موسى منجم المأمون وهو من المؤلفين في علم الحساب. عاش هذا الأخير في القرن التاسع للميلاد وأما الآخران فقد عاشا في القرن العاشر الميلادي والمقصود هنا على الغالب أبو بكر الخوارزمي.

(5) القرآن الكريم: طه/ ١١٥ (6) القرآن الكريم: الكهف/ ٦٤

وقال آخر :

وسـمـيـتَ إنـسـانـاً لأنـك نـاسـي

- **تذكّر الشيء**

قيل : في المثل ذكرتني الطعن وكنت ناسياً . **وقال** ابن الرومي في تذكر المتلو بالعود إلى ما قبله وهو بديع في بابه :

وتـالٍ تـلا يـومـاً فـأنـسِـيَ آيـة ... فأعيَتْ عليه حينَ رامَ انتهازَها
فـكـرّ عـلـى مـا قـبْـلـهـا مـتـدبّـراً ... فثاب له فكرٌ فأفضى حجازَها
فشبّهتُه بابنِ السبيلِ تعرضَتْ ... له وهْدةٌ فاستصعِبَتْ حينَ رازَها
فقهقر عنها قيس عشرينَ خطوةً ... فجاش إليها جيْشَةً فأجازَها

- **ما يورثُ النسيان**

قال أمير المؤمنين **عليّ** رضي الله عنه : مما يورث النسيان الحجامة في النقرة ، والبول في الماء الراكد ، وأكل التفاح الحامض ، وأكل الكزبرة ، وأكل سؤر الفأر ، وقراءة ألواح المقابر والنظر إلى المصلوب ، والمشي بين الجملين المقطرين ، وإلقاء القملة إلى الأرض .

وقيل : إن الباقلاء تفسد من الحفظ في يوم ما لا يصلحه البلاذر[(١)] في سنة .

- **تصنيفُ الكتب**

قال الجاحظ : لا يزال المرء في فسحة من عقله ما لم يقل شعراً أو يصنّف كتاباً .

وقيل من ألّف فقد استهدف فإنْ أحسنَ فقد استشرف ، وإن أساء فقد استقذف .

وقيل : عرض بنات الصلب على الخطاب أسهلُ من عرض بنات الصدر على ذوي الألباب .

- **جاهلٌ يصنّف كتاباً أو يقولُ شعراً**

قال الفضل بن سلمة :

عجَباً منك أبا الهيثم إذ كنتَ تصنّف

وقال أحمد بن أبي طاهر :

أظنّ دعوتَه في الشعر جائزةً ... له عليّ كما جازَتْ على النَسبِ

وقال آخر :

ويـوهـمُـنـا أنّـه شـاعـرٌ ... كـأنّـا قـدِمْـنـا مـنَ الـبـاديَـه

---

(١) **البلاذر :** شجر من فصيلة البطميّات ، مهده الأول في أميركا الوسطى ، خشبه أحمر يستخدم في صنع الأثاث .

وقال ابن الرومي:

كيف لا يشتدُّ وِسواسي ... حيثُ أشعارُك تذراسي
ما اقتنى مثلَك دهرُ ... السوءِ إلا حينَ إفلاسِ

● **التعريضُ بجاهل**

قال حجازيّ لابن شبرمة: منّا خرج العلم. **فقال:** نعم ولكن لم يعد إليكم.

وأورد رجل على آخر علماً **فقال:** أتحمل التمر إلى هجر[1]؟ **فقال:** إذا قلّ حملُها ونزر نخلُها.

قال الشاعر:

يتعاطَى كُلَّ شيء ... وهو لا يُحْسِنُ شيئا

وقال آخر:

موَّه في ما ادّعاه من حكم ... لكنّ تمويهَه على بقَر[2]

وقال آخر

وقالَ الطانزون فتىً أديبٌ ... فَصَعّد مقلتَيْه له وتَاها[3]
وأطرقَ للمسائل أي بايه ... ولا يدري وحقّك ما طَحاها[4]

● **جاهلٌ غير عارف بجهله**

قيل: من لا يدري، وهو لا يعلم أنه لا يدري فذاك جاهل فعلّموه. ومن لا يدري وهو يقدر أنه يدري فذاك أحمق فاجتنبوه.

قال الشاعر:

جهلتَ ولم تعلمْ بأنك جاهلُ ... ومنْ ذا الذي يدْري بما فيهِ مِن جهْلِ

وقال آخر:

أخالد لم تعلمْ ولستَ بعالمٍ ... بأنك لا تدري وذا غايةُ الجهْلِ

ويضد ذلك تمدح من **قال:** ما فيّ من فضيلة العلم إلا علمي بأني لست بعالم.

---

(١) **هجر (هنا):** هجر نجران أو البحرين وهي مشهورة بالنخيل وتنتج التمور، وفي المثل: كحامل التمر إلى هجر.

(٢) **التمويه:** مصدر موّه الأمر أو الخبر زخرفه أو زوّره، وموّه أيضاً طلا الشيء بماء الذهب أو الفضة.

(٣) **الطانزون:** الساخرون، من طنز طنزاً به: سخر، وتطانز القوم سخر بعضهم من بعض.

(٤) **طحاها:** بسطها.

• العَتْبُ على من يذمّ عِلْماً

تحدّث يوماً شريك بحديث فقال عافية القاضي: لا أعلم هذا. فقال: وهل يضرّ عالماً جهل جاهل.

وقال المتنبي:

وكَمْ مِن عائبٍ قَوْلاً صَحيحاً وآفتُه مِن الفَهْمِ السَّقيمِ[1]

وقال ابن الرومي:

عابُوا قَرِيضِي وما عابُوا بمعرفَةٍ ولن تَرى الشمْسَ أبصارُ الخفَافيشِ[2]

• ذمّ مستكثرٍ لعلمه معجَبٌ بنفسه

ذكر النظّامُ الخليلَ فقال: توحد به العجب فأهلكه وصوّب له الاستبداد صواب رأيه فتعاطى ما لا يحسنه. وقال إبليس: ثلاثٌ من كنّ فيه أدركتُ حاجتي منه: من استكثر علمَه، ونسي ذنبه، وأعجب برأيه.

ويدخل في هذا الباب ما ذكر في قول عديّ بن الرقاع وقد تقدم.

• ذمّ مدّعٍ للعِلم

قال كشاجم:

تشبّه في النحو بالأَخْفَشَيْن فجاءَ بأعجوبَةٍ مُطْرِفَه[3]
ولَمْ يسمعِ النّحْوَ لكنّه قرا منه شيئاً وقد صَحّفَه
فإن لم يكنْ أخفشَ الناظِرَين فإنّ الفتَى أخفشُ المعرِفَه

وقال آخر:

فما لك بالغريب يدٌ ولكنْ تعاطيك الغريبَ مِنَ الغَريبِ[4]

وقال أبو العتاهية[5]:

أشدُّ الناس للعلم ادعاءً أقلُّهم بمَا هو فيه عِلْمَا

---

(١) الآفة: العلّة.

(٢) قريضي: شعري - الخفافيش: جمع خفاش وهو طائر يبصر في الليل دون النهار والخفّاش يسمّى الوطواط.

(٣) الأخفشان هما: الأخفش الأكبر المتوفّى سنة ١٧٧هـ(٧٩٣م)، والأخفش الأصغر المتوفّى سنة ٣٠٨هـ(٩٢٠م) وهناك أيضاً الأخفش الأوسط المتوفّى سنة ٢١٥هـ(٨٣٠م)، ومعنى الأخفش لغةً الصغير العين في سوء بعدها.

(٤) الغريب: الكلام غير المألوف.

(٥) أبو العتاهية: شاعر عبّاسي عاصر هارون الرشيد وأدرك المأمون كانت ولادته في موضع قرب المدينة ثم انتقل إلى الكوفة وبها نشأ والعتاهية لقب غلب عليه لنعته ومجونه عاصر.

وقال الصّولي[١] في نفطويه[٢]:

يشرعُ في أكثرِ العُلوم ولا يعرِفُ منها أقلَّها خَطَرا

- **من ادّعى ففضَحه الامتحان**

ويدّعي الحِفظَ للقرانِ ولا يقومُ بالحَمْدِ وحدَها نَظَرا

وقيل: لسانُ الدعوى إذا نطق فضحَه الامتحان.

وقال الشاعر:

كلّ من يدّعي بما ليس فيه كذّبته شواهِدُ الامتحانِ

- **ذمّ منْ يصيبُ من غيرِ قصْد**

ذمّ أعرابي رجلاً فقال خطؤه بعْدَ اجتهادٍ وصوابُه من غيرِ اعتماد.

قال الشاعر:

يصيبُ وما يَدْري ويُخطي وما دَرَى وكيْف يكونُ النّوكُ إلا كَذلِك[٣]

- **الموصوفُ بالإِصابةِ مرّة والخَطأ أخرى**

قيل في المثل: يشجّ مرةً ويأسُو أخرى. **وقيل**: شخَب في الإِناء وشخَب في الأرض، يشوب[٤] ويروب[٥] فؤاد خطاء وواد مطر.

- **من سُئِل فتبلّه**

قال الشاعر:

سألتُه عن علمِه فكأنّما سألتُ عن سكّانه ربعاً خَلا

وقال آخر:

كأنّهم عند السؤالِ جَلامِدُ[٦]

- **من يروي علماً ولا يفهم**

قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ﴾[٧]

---

(١) **الصّولي**: هو أبو بكر الصولي صاحب كتاب الأوراق في من آثاره «الأوراق». كانت وفاته في البصرة سنة (٩٤٦م). وكان الصّولي مشهوراً بلعبة الشطرنج.

(٢) **نفطويه**: هو إبراهيم نفطويه وأصله من واسط. ولد عام ٨٥٠ ومات سنة٩٣٧م، وكان من مشاهير اللغويين والنحاة والأدباء. عاش أكثر حياته في بغداد.

(٣) **النوك**: الحمق.

(٤) **يشوب**: يخون أو يغش.

(٥) **يروب**: يتحيّر.

(٦) **الجلامد**: الصخور.

(٧) **القرآن الكريم**: الجمعة/ ٥.

قال ابن الرومي:

فإنْ تقُل إنني رويتُ فكالد فتر جهلاً بكُلّ ما أعتقِدُه

• محنةُ العلماء في أيدي الجهّال

قال النبي ﷺ: ارحموا عزيزَ قوم ذلّ، وغنياً افتقر، وعالماً بين جهال. **وقيل:** إن أردت أن تعذّبَ عالِماً فاقرِنْ به جاهلاً

وقيل: إن ثمامة بن أشرس لما غضبَ عليه الرشيدُ سلّمه إلى خادمٍ يُقال له ياسر، وكان الخادم يتفقده ويحسنُ إليه حتى سمعَه ثمامةُ يوماً يقرأ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[1] (بفتح الذال) **فقال ثمامة: ويحك المكذَّبين هم الأنبياء، اقرأ المكذّبين (بكسر الذال). قد قيل لي إنك زنديق ولم أصدق. أتشتم الأنبياء؟ ثم هجره وتركه فلم يتفقّده فلما رضي عنه الرشيد وردّه إلى مجلسه، سأله يوماً ما أشدّ الأشياء؟ فقال:** عالم يجري عليه حكم جاهل. فظنّ الرشيد أنه تعريض به حتى عرّفه خبر الخادم.

• معاداةُ الجاهلِ العالِم

قال رجل لعبيد **الله** بن عبد الله بن طاهر الناسُ أعداء ما جهِلوا، **فقال: هذا في** كتاب **الله**، بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله.

• معاداةُ العلماءِ بعضِهم بعضاً

قيل: هلاك العلماء بحسدهم. **وقيل:** الحسد والملق[2] مذمومان في كل شيء إلا في العلم.

قال ابن عباس: لا تقبلوا قولَ العلماء بعضِهم على بعض فإنهم يتغايرون تغاير التيس في الزريبة.

وقال الأشجَ: أني لأغار على الحديث كما يغار على الجارية الحسناء.

قال أبو تمّام:

وما أنا بالغيرانِ منْ دونِ جارتي إذا أنا لمْ أصبِحْ غيوراً على العِلْمِ

(٥)
وممّا جاء في التعلّم والتعليم وما يتعلّقُ بهما

•

• وجوبُ التعلّم

قال النبي ﷺ: طلبُ العلم فريضةٌ على كل مسلم.

---

(١) **القرآن الكريم: الطور/ ١١.** (٢) **الملق: النفاق والرياء.**

وقال سقراط[1]: من لم يصبر على تعلّم العلم وتعبه صبر على شقاء الجهل.

وقال بعضهم: تعلّموا الأدب وإن لم ينلكمْ حظّ من الدنيا، فلأن يذم فيكم الزمان أحسنُ من أن يذم بكم.

● تفضيلُ بثّ العلم ووجوبُه

قال النبي ﷺ: من علم علماً فكتمه ألجمه الله تعالى بلجام من نار يوم القيامة.

وقال الحسن (رحمه الله): زكاة العلم تعلّمه.

أتى رجل الزهريّ ليحدثه فأبى، **فقال**: إن الله تعالى لم يأخذ الميثاق على الجهال أن يتعلموا حتى أخذه على العلماء أن يعلموا.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[2]

وقيل: ما يتصدق رجل بصدقة أفضل من علم ينشره. وأتى طالب علم باب عالم **فقال**: أعطني مما أعطاك الله، فأمر له بدراهم، **فقال**: أنا طالب هدى لا طالب ندى، فعِلْمٌ أوضحَ لبْساً خيرٌ من مال أغنى نفساً.

● فضلُ المعلّم والمتعلّم معاً

قال النبي ﷺ: لا خير في من كان من أمّتي ليس بعالم ولا متعلّم. **وقيل**: الناس عالم ومتعلّم وما سواهما همج.

● وجوبُ تعظيم المعلّم

قيل: للإسكندر أنك تعظم معلمك أكثر من تعظيمك لأبيك فقال لأن أبي سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب الحياة الباقية. **وقال النبي ﷺ**: لا يقام لأحد إلا لذي علم أو لذي سن أو لذي سلطان. **وقيل**: لا يستخف أحد بمن تعلم منه علماً إلا وضيع خامل أو رفيع جاهل.

وعن بعض العلماء لا يتحركن ثلاثة لأحد القاضي في يوم مجلسه والكاتب في وقت أمره ونهيه والمؤدب في مكتبة.

● وجوبُ تعظيم المتعلّم

قال النبي ﷺ: وقّروا[3] من تتعلمون منه، ووقّروا من تعلّمونه.

قال أبو العالية: ولا تصعّر خدّك للناس: أي ليكن الفقير والغنيّ عندك سواء في تعلّم العلم.

---

(١) **سقراط**: أحد فلاسفة الإغريق الثلاثة الكبار والآخران أفلاطون وأرسطو.

(٢) **القرآن الكريم**: آل عمران/ ١٨٧.

(٣) **وقروا**: الأمر من وقّر، أي أجلّوا وعظموا، والوقار الرزانة والحلم والعظمة.

● **اختيارُ التلامذة وحثّ كلٍّ إلى تعلّم ما يليقُ به**

سألَ أفلاطون بعضَ تلامذته عنْ مسألةٍ لم تكنْ تليقُ بحالِهِ، **فقال**: لست من أهلها فلكل تربة غرس ولكل بناء أس.

وقيل: تصفحْ طلابَ علمِك كما تتصفحُ خطاب حرمك.

وكان يونس يختلف إلى الخليل يتعلم منه العروض فصعب عليه تعلّمه، **فقال له الخليل** يوماً: من أي بحر قول الشاعر:

إذا لـمْ تـسـتـطِـعْ شـيـئـاً فـدعْـه ... وجـاوزْه إلـى مـا تـسـتـطـيـعُ

ففطن يونس لما عناه الخليل فترك العروض.

وقيل اخترْ كل إنسان للفنّ الذي يستطيبه، فبقدر شهوته يكون نفاذه فيه.

● **منعُ العلْم عن غيرِ أهله**

قال المسيح عليه السلام: لا تضعوا الحكمة في غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلَها فتظلموهم. وكنْ كالطبيب الحاذق يضعُ دواءَه حيثُ يعلمُ أنه ينتفع به.

وفي بعض الكتب يا بني إسرائيل لا تطرحُوا الدرّ بين أيدي الخنازير فتطؤه وهي لا تعرفه.

وقال الإمام الشافعي (رضي الله عنه):

ومن منـحَ الجـهّـالَ علْـمـاً أضـاعَـه ... ومن منَـع المـسـتـوجبـينَ فقَـدْ ظَـلَم

وقيل: ما كلّ تربة تحتمل القلائد، ولا كلّ ضريبة تستحقُّ الفوائد.

● **النهيُ عن تعليمِ الأوغادِ، وذمّهم إذا تعلّموا**

قالت الحكماء: لا تعلمنّ الدنيءَ علْماً فيستفيده منك، ويصير به عدواً لك. فلأن يتضع ألف من عليّين أولى من أن يرتفع دنيءٌ واحد.

وقيل لبعضهم: أي علم أضر؟ **فقال**: ما يفاد الأوغاد. **وقيل لأبي سنان**: تموت وتدخل علمك معك القبر، **فقال**: ذاك أحبّ إليّ من أن اجعله في إناء سوء.

ورأى حكيم رجلاً يعلم دنيئاً علماً فقال له: أتسقي سهماً ترمى به يوماً.

وقال دعبل في أبي تمّام:

إن عـابَـنـي لـم يـعِـبْ إلا مـؤدّبَـهُ ... فـنـفـسَـه عـابَ لـمّـا عـابَ آدابَـه

وكـانَ كـالـكـلـبِ أضـراه مـكـلّـبُـهُ ... كـيْـما يـصـيـدُ لـه فـاصـطـادَ كـلابَـه[1]

وقال آخر:

أُعَـلِّـمُـه الـرمـايـةَ كـلّ يـومٍ ... فـلـمّـا اشـتـدّ سـاعـدُه رمَـانـي

---

(١) أضراه: من الضراوة وهي العادة والدربة.

وكَـمْ عـلّـمْـتُـه نـظْـم الـقَـوافي فـلـمّـا قـال قـافـيـةً هـجـانـي

- **دنيء استفاد علماً فازداد به شراً**

قال البديهي، وقد أجاد.

إذا مـا اقـتـنَـى الـعـلـمَ ذو شـرة تـضـاعـفَ مـا ذمّ مـن مـخـبـرِه[1]
وصـادفَ مـن عـلـمِـه قـوّةً يـصـولُ بـهـا الـشـرّ فـي جـوهـره
وصـار عـدوّاً لإخـوانـهِ وسـيـفـاً حـسـامـاً عـلـى مـعـشـرِه[2]

- **فضلُ تعليمِ الأولاد**

يروى عن النبي ﷺ: ما منح والد والداً أفضلَ من أدب حسن. وكانت اليونانية تورث الأبناء الأدب والبنات النسب. وقيل من أدب ولده صغيراً قرّتْ به عينهُ كبيراً.

وقيل: من أدب ولده أرغم حاسده. حكى أن المنصور بعث إلى من في الحبس من بني أمية **يقول لهم**: ما أشدّ ما مر بكم في هذا الحبس؟ فقالوا ما فقدنا من تأديب أولادنا.

وقيل: لا يحبّ الأب ابنَه حتى ينغضه على ترك الأدب.

- **فضلُ التعلّم في الصّغَر**

قيل: بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال. وسمع الحسن رجلاً **يقول**: التعلم في الصغر كالنقش في الحجر فقال الكبير أوفر عقلاً منه لكنه أشغل قلباً

وقيل: من لم يتعلّم في الصّغر هان في حالِ الكبر.

وقال الشاعر

هلِ الحفظُ إلا للصبيّ فذُو النّهى يـمـارسُ أشـغـالاً تـشـردُ بـالـذِّكـرِ

- **فضلُ التعلّم في الكبر**

قيل لأنوشروان: أيحسنُ بالشيخ أن يتعلّم؟ **قال**: إن كانت الجهالة تقبُحُ منه فالتعلمُ يحسنُ به، **فقيل**: وإلى متى يحسن منه؟ **فقال**: ما حسنت به الحياة.

وقيل: لحكيم ما حدّ التعلم فقال حدّ الحياة، أي يجب له أن يتعلم ما دام حياً.

وقال شيخ للمأمون: أقبيحٌ بي أن أستفهمَ؟ **فقال**: بل قبيح بك أن تستبهِمَ.

- **الأحوالُ التي تحصلُ بها العُلوم**

قيل: لا يصيرُ الإنسان عالِماً إلا بخمس غريزةٌ محتملة للعلم، وعنايةٌ تامّة وكفايةٌ قائمة، واستنباطٌ[3] لطيف، ومعلمٌ فصيح.

---

(١) ذو شرة: الشرة: الغضب والحدّة. (٢) السيف الحسام: السيف القاطع.
(٣) الاستنباط: الاختراع والإبداع.

وقيل: لا تستطيع أن تعي العلوم السنيّة، حتى تمحوَ من ذهنك الأمور الدنيّة.

● الأوقاتُ المرتضاةُ للدّرس

قيل: انظروا في العلم بالليل، فالقلب بالنهارِ طائرٌ وبالليل ساكر، أي ساكن.

وقيل لبعضهم: لم اخترت الغدوة للدرس؟ **فقال**: لأن العقلَ أجمّ[1] لقرب عهده بالصمت، وبعد جوارحه من المعاصي.

● من سهلَ عليه التعلّم

قيل: إذا كانت الطبيعةُ نقيّة، اكتفت بالأذكار، وغنيت عن التكرار.

وقيل: فلانٌ يكتفي باللحظِ ويستغني عنِ اللفظِ.

● من عسُر عليه التعلّم

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾[2]

وقال بعض الحكماء: صقلُك سيفاً ليسَ له جوهرٌ من سنخه خطأ، وحملُك الصعب المسنّ على الرياضة عناءٌ، وبثّك الحبّ في أرضٍ سبخةٍ ترجو نباتها جهْل.

وقال أبو تمام:

السيفُ ما لمْ يلْفَ منه صيقَلٌ ... من سنخهِ لم ينتفِع بِصقالِ[3]

وقال الخليل (رحمه الله) لبليد: ما أجد لقُفْلِ بلادتِك مفتاحاً.

● تعسّر تعلّمِ الكِبار

نظر رجل إلى فيلسوف يؤدب شيخاً **فقال**: ما تصنع؟ **قال**: اغسل مسبحاً لعله يبيض.

قال:

ومن العناءِ رياضَةُ الهَرِمِ[4]

وقال آخر:

أدبُ الكبيرِ من التعَبِ ... كَبُرَ الكبيرُ عنِ الأدَبِ

وقال آخر:

إن الرياضةَ لا تُجدي لدى الشّيبِ

وأسلم بعض الولاة هرماً إلى كتاب ليتعلم شيئاً من القرآن، وكان إذا تعلّم شيئاً نسي ما قبله، فوجه إليه أن ابعث إليّ من يتسلم منّي ما أحفظه، أوّلاً فأوّلاً

---

(١) **أجمّ**: أكثر صيغة (أفعل التفضيل). (٢) **القرآن الكريم**: النساء/ ٧٧.

(٣) **الصيقل**: مبالغة صاقل، **والصيقل أيضاً**: شحّاذ السيوف ـ **السنخ**: الجنس.

(٤) **رياضة**: تطويع.

● **من يعلِّم من هو أعلَمُ منه**

قيل: كمستبضع التمر إلى هجر، وكمعلمة أمها البِضاع[١]

وقيل: تعلّمني بضبّ أنا حرّشته، **وقيل**: فلان يقرأ سورة يوسف على يعقوب عليهما السلام.

وقال المتنبي:

فـآجـرك الإلٰـهُ عـلـى عـلـيـلٍ   بـعـثـتَ إلى الـمـسـيـحِ به طـبـيـبـا

ويقال: أنا منه كحاقن[٢] الإهالة إذا كنت عارفاً به.

● **الحثُّ على الحِفْظ دونَ الاعتمادِ على الكتب**

قيل: إذا فقد العالم الذهن قلّ على الأضداد احتجاجه وكثر إلى الكتب احتياجه.

وقيل: لا خيرَ في علمٍ لا يعبرُ معَك الوادي ولا يعمُر بك النّادي.

وقال محمد بن بشير:

لـيـسَ بـعـلـمٍ مـا يـعِـي الـقـمَـطْـرُ   مـا الـعـلْـمُ إلا مـا وعَـاه الـصّـدْرُ[٣]

وله أيضاً:

إذا لـمْ تـكُـنْ حـافِـظـاً واعِـيـاً   فـجـمْـعَـك لـلـكـتـبِ لا يـنـفَـعُ

وقال آخر:

غـدوتُ بـتـشـمـيـرٍ وجـدٍّ عـلـيـهِـم   فـمحبرَتي سـمْـعي ودفـترُها قـلْـبي

● **ضبطُ العلم بالكتابة**

قيل: قيّدوا العلم بالكتابة، **وقال سقراط**: ما بنته الأقلام لم تطمَعْ في دروسه الأيام.

وقيل: العلم يندّ فاجعَلوا الكتبَ له حماةً والأقلامَ عليها رعاةً. العلمُ عقود فاجعلوا الكتب لها نظاماً.

وقيل: اكتبوا ما تسمعونه من الحكم ولو في بياض النواظر بأطراف الخناجر.

● **وصفُ المثبت لكلّ ما يُسْمع**

قال أعرابي في رجل يكتب كل ما يسمع: أنتَ حتفُ الكلمةِ الشّرود[٤]

---

(١) **البضاع**: القطع.

(٢) **الحاقن**: مصدر حقن يقال حقن (بَوْله): حبسه، وحقن دمه: صانه، وحقن اللبن جمعه ليخرج زبده.

(٣) **القمطر**: ما تُصان به الكتب، والقمطر خشبة تجعل في أرجل المجرمين، والقمطر الرجُل القصير الضخم.

(٤) **الكلمة الشرود**: أي السائرة في البلاد.

وقال آخر:

ما أنتَ إلا الحفَظَة تكتب لفظ اللفظة

قال الأصمعي: قال لي أعرابي رآني أكتب ما أسمع وأستحسن لا تدع شيئاً إلا نمصته أي نتفته.

● السؤالُ عمّا يجهل

يروى عن النبي ﷺ أنه قال: العلمُ خزانةٌ مفتاحُها السؤال.

وقال أنس: السؤال يعمر العلم.

وقيل: لا تسل رياء ولا تتركه حياء.

وقيل: سل سؤال الحمقى واحفظ حفظ الأكياس[1]

وقيل لدغفل: بم أدركت هذا العلم؟ فقال بلسانٍ سؤول وقلب عَقول.

وقال الشاعر:

شفاءُ العَمَى طولُ السؤال وإنّما تمامُ العمَى طولُ السكوتِ على الجَهْلِ

● الحثّ على الأخذِ من الصّغير والكبير

قال النبي ﷺ: الحكمة ضالة المؤمن أينمَا وجدها قيّدها.

وقيل: خذ الحكمة ممّن تسمعها منه، فرب رمية من غير رام وحكمة من غير حكم.

وقيل: لا يمنعنّك ضعةُ القائل[2] عن الاستماع إليه، فربّ فمٍ كريه مجَّ[3] علماً ذكياً وتبرٍ صافٍ في صخرٍ جاس[4]

وسمع **الكنديّ** كلمة من مخنّث فكتبَها، فلاموه على ذلك **فقال**: ربّ لسانٍ خنث نتجَ لفظاً فحلاً، والجوهرةُ النفيسةُ لا يشينُها سخافة غائصِها ولا دناءة بائعها.

وقال بزرجمهر: أخذتُ من كل شيء أحسن ما فيه حتّى من الكلب ذبّه[5] عن حريمه ومن الخنزير بكوره[6] في مقاصده. **وقال ابن السكيت** لرجل: أتراكَ أحطتَ بما لم أحطْ به، فقال وما أنكرت. وقد قال الهدهد ـ وهو أخس الطيور ـ لسليمان: أحطت بما لم تحط به.

● مدحُ من يقولُ لا أدري

سئلَ **الشعبيّ** عن مسألةٍ **فقال**: لا أدري. **فقيل**: ألا تستحي من قولك هذا وأنت فقيه العراقيين؟ **فقال**: إن الملائكة لم تستحي إذ قالت سبحانك لا علْمَ لنا إلا ما علّمتنا.

---

(١) **الأكياس**: جمع الكيِّس وهو اللبق واللطيف.
(٢) **ضعة القائل**: الضّعة الوضاعة.
(٣) **مجّ**: لفظ.
(٤) **الصخر الجاس**: الصخر الجامد.
(٥) **ذبّه**: دفعه ورماه بعيداً.
(٦) **بكوره**: خروجه باكراً.

وقيل لأبي عمرو: ومثله، **فقال:** أقبح من هذا أن أقول فأخطىء وأروي فلا أُروي.

وقال شاعر:

إذا ما انتهَى علْمي تناهيتُ عندَه أطـالَ فـأمـلـى أمْ تـنـاهَـى فـقـصّـرا

وقال الحسين (رضي الله عنه): لو أن العالم كلّ ما قال أحسن وأصاب، لأوشك أن يجنّ من العجب، وإنما العالم من يكثر صوابه.

وقال بعض الفقهاء: العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة قائمة، ولا أدري فيقتضي اجتهاداً.

● ذمُّ من يقولُ ذلك

سئل رجل عن شيء، **فقال:** لا أدري، ولا أدري نصف العلم فقيل له: لكنه النصف الأخس.

وقال آخر: مثل ذلك **فقيل له:** فقله مرتين تحز العلم كله. وقال آخر ذلك **فقيل له:** لكن أبوك بالنصف الآخر تقدم.

● صعوبةُ جانِبِ العلم

قال الخليل (رحمة الله عليه): العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيَه كلّك، ثم أنت في إعطائه إياك بعضه مع إعطائك إياه كلّك على خطر.

وقيل: لا يتأدّب الرجل حتّى يتجنبَ الفراش الوطيء[1] والدثار الدفيء. **وقيل:** لا يدرك العلمَ من لا يطيل درسه، ولا يكدّ نفسه. وقيل لبعض العلماء: ذللت طالباً فعززت مطلوباً، **فقال:** من ذلّ طلبه عزّ أدبه.

وقال أرسطاطاليس: طالبُ العلمِ كالغائصِ في البحر، لا يصل إلى الجواهر الكريمة إلا بالمخاطرة العظيمة.

● ترفيهُ النّفس في طلبه

قال النبي ﷺ: إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. **وقيل:** دار القلب فإذا نشط فأودعه، وإذا فترَ فتودعه.

وقيل: روّحوا الأذهان كما تروّحون الأبدان، فإنّ العقل المكدود[2] ليس لرؤيته لقاح ولا لرأيه نجاح.

وقيل: نفسُك مطيتُك إنْ رفهتَها اضطلعت، وإن تحاملْت عليها انقطعت.

---

(١) **الفراش الوطيء:** اللين، والوطيء المنخفض. (٢) **المكدود:** المتعب والمجهد.

● الحرصُ على الاستكثار منه وعزّه إذا كثر

قال ﷺ: منهومان لا يشبعان: منهوم في العلم، ومنهوم في المال. **وقيل**: الشره في المال دناءةٌ وفي العلمِ نباهة.

وقيل: كل شيءٍ يعزّ حين ينزرُ والعِلمُ يعزّ حيثُ يغزر.

● اتساعُ القلبِ بازدياد العِلْم

قال أبو نواس: ما رأيتُ شيئاً إلا قليله أخف من كثيره، إلا العلم فإنه كلما كان أكثر كان أخف محملاً.

وقيل: كلّ إناء يفرغ فيه شيء يضيق، إلا القلب فإنه كلما أفرغ فيه علم اتسع.

وقال أنوشروان: قلب العالم كبيت فيه مصباحٌ لا يضيق عن تظاهر النور فيه، بل يتسع للنظر ويزيد في الضياء.

● الترغيبُ في اختيارِ النُكت

قيل: العلم أكثر من أن يحوى، فخذوا من كل شيء أحسنه، **وقيل**: حلّ طبعك بالعيون والفقر، فالشجرة لا يشينها قلّة الحمل إذا كانت ثمرتها نافعة.

وقال ابن عباس (رضي الله عنهما): العلمُ كثير فارعوا أحسنه. أما سمعتم قول الله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه؟

قال الشاعر:

قالوا خذِ العينَ من كلّ فقلتُ لهُم ... في العينِ فضلٌ ولكن ناظرُ العيْنِ

● تناولُ طرفٍ من كلّ نوع

قال يحيى بن خالد: انتق من كلّ علم طرفاً، فمن جهل شيئاً عاداه، وأكره أن تكون عدوّاً لشيء من الآداب.

وقيل: إذا أردت أن تكون عالماً فاقصد فناً واحداً، وإذا أردت أن تكون أديباً فخذ طرفاً من كل فن.

وقيل: من لا يعلم إلا فناً واحداً من العلم سمّي الخصيّ من العلماء.

● تقديمُ تعلم ما لا يُستغنى عنه

قال المأمون: العلمُ لا يدرك غورهُ[١] ولا يسبرَ قعرُه، فابدؤا بالأهم فالأهم بالفرض قبل النفل[٢]، إن الأهم المقدّم.

---

(١) **غور العلم**: قرارته ومنتهاه والموضع الأعمق من بحره.

(٢) **النفل**: ما تفعله مما لا يفرض ولم يجب عليك فعله، والنّفل الزيادة.

وقيل: ضيّع الناس الأصول بتركهم الأصول.

● **النهيُ عن الخوضِ في فنونٍ من العلم**

قيل: ازدحام العلم في السمع مضلّة للفهم. **وقيل**: إذا رأيتم رجلاً يريد تعلم أنواع العلوم فداووه. **وقيل**: من رام أن ينتحل فنون العلم استخفّ بنحيزته[1]، ووقف الناس على غميزته[2]

قال الشاعر:

تعلّمتُ حتّى من كلابِ عواءَها لعمري لقدْ أسرفتُ في طلبِ العِلْمِ

● **كثرةُ العِلْمِ**

قال الحسن (رضي الله عنه): ما ترك قولَ الله تعالى: ـ ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ـ عالماً يظن أنّ علمه كثير.

وقيل لفيلسوف: إلى أين بلغت في العلوم؟ **قال**: إلى الوقوف على القصور عنها.

● **زهدُ من يقربُ من العُلماءِ في العِلْمِ**

قيلَ: أزهدُ الناس في العالم جارُه. **وقيل**: العالم كالجمةِ من البئر، يأتيها البَعداء، ويزهد فيها القرباء.

وقيل لرجل: كيف غلبت البرامكة؟، **فقال**: بتطراف الغرباء والملالة من القرباء.

وقال أنوشروان: رأيت في منامي رجلاً يعدو والماء خلفَه يناديه، فعبّر بأنه رجل يفرّ من العلم وعالم يناديه ليفيده وهو يمنع منه.

● **حمْدُ التأديب**

قال أمير المؤمنين علي رضي عنه: النّاسُ عالمٌ ومتعلم، وما سواهما همج. فدلّ ذلك على تفضيل التأديب، وجميع ما تقدم من عموم فضل التعليم فدلالة على فضل المؤدبة.

وقال ابن ثابت: إن المؤدبة ولدوا بنجم الملوك حاسبون حسابهم. وسأل الرشيد يوماً: من أكرم الناس خدماً؟ **قيل**: أمير المؤمنين فقال: لا، بل أكرمهم خدماً الكسائيّ فقد رأيتُه يخدمه الأمين والمأمون وليّا عهد المسلمين وليس لي من الخدم مثلُهما.

وقال خالد بن صفوان لمؤدب: أنت أنظفنا وصيفاً وأحضرُنا رغيفاً.

● **ذمُ التأديبِ وكونه نقصاً لذوي الفضل**

كلّف إسماعيلُ بن علي عبدَ الله بن المقفع أن يجلس مع ابنه في كل أسبوع يوماً،

---

(١) **النحيزة**: الطبيعة.

(٢) **الغميزة**: المغمز، الضعف في العقل أو العمل.

فقال: أتريد أن أثبت في ديوان النوكي؟ **وقال سعيد بن سلم:** قصدت الكوفة فرأيت ابنَ المقفع فرحّب بي، **وقال:** ما تصنع ههنا؟ **فقلت:** ركبني دين فأحوجت إلى الإزعاج. **فقال:** هل رأيت أحداً؟ **فقلت:** ابن شبرمة وعرّفته حالي، **فقال:** أنا أكلّم الأمين ليضمّك إلى أولاده فيكون لك نفع. **فقال:** أف لذلك أيجعلك مؤدباً في آخر عمرك، أين منزلك؟ فعرّفته فأتاني في اليوم الثاني وأنا مشغول بقوم يقرؤون عليّ ومعه منديلٌ فوضعه بين يدي، فإذا فيه أسورة مكسورة ودراهم متفرّقة مقدار أربعة آلاف درهم، وحينئذ[1] زمان المنصور وفي الدراهم ضيق. فأخذت ذلك ورجعت به إلى البصرة واستغنت به.

قال الشاعر:

كفى المرءَ نقصاً أن يقالَ بأنّه   معلّمُ صبيانٍ وإنْ كانَ فاضلا

وقال آخر:

إنّ المعلّمَ حيثُ كانَ مُعَلّمٌ   ولو ابتنى فوق السّماء سماءَ

● **وَصايا المؤدّبين في الأولاد**

أوصى هشام بن عبد الملك سليمان الكلبي، لما اتخذه مؤدّباً أنّ ابني هذا هو جلدة[2] ما بين عينيّ، وقد ولّيتك تأديبَه فعليك بتقوى الله، وأداء الأمانة فيه، بخلالٍ أوّلُها أنك مؤتمَن عليه، والثانيةُ أنا إمام ترجوني وتخافني، والثالثة كلّما ارتقى الغلام في الأمور درجةً ارتقيتَ معه. وفي هذه الخلال ما يرغبك في ما أوصيك به. إنّ أولَ ما آمرُك به أن تأخذه بكتاب الله وتقرئه في كل يوم عشراً يحفظه حفظَ رجل يريد التكسب به ثم روّه من الشعر أحسنَه. ثم تخلّلْ به في أحياء العرب، فخُذْ من صالح شعرهِم هجاءً ومديحاً، وبصّره طَرَفاً من الحَلالِ والحَرام والخُطَب والمَغازي، ثم أجلسه كل يوم للنّاس ليتذكر.

وقال عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده: ليكنْ أوّلَ إصلاحِك لوُلْدي إصلاحَ نفسك فإنّ عيونَهم معقودةٌ بعينِك، فالحَسَنُ عندَهم ما استحسنته والقبيحُ ما استقبحتَهُ. علّمهمْ كتابَ الله وروّهم من الحديث أشرفَه، ومن الشعر أعفّه ولا تكرههم على علم فيملّوه ولا تدعْهم فيهجروه، ولا تخرجْهم من علم إلى علم. حتى يحكموه، فازدحامُ العلْم في السّمع مضلّة للفهمْ. وعلّمهم سير الحكماء وهذّبهم وأدّبهم دوني، ولا تتكل على كفايةٍ منك، واستزدني بتأثيرك أزدك إن شاء الله تعالى.

وضرب أبو مريم مؤدّبُ الأمينِ والمأمون الأمينَ بعودٍ فخدش ذراعه فدعاه الرشيد إلى الطعام فتعمّد أن حسر عن ذراعه فرآه الرشيد. فسأله، **فقال:** ضربَني أبو مريم فبعث إليه ودعاه قال فخفتُ فلما حضرت، **قال:** يا غلام وضّئه فسكنتُ وجلست آكل، **فقال:** ما بال محمد

---

(١) **حينئذ زمان المنصور:** حينئذ وقتئذ، يريد في عهد الخليفة المنصور.

(٢) **جلدة ما بين عينيّ:** كناية عن القيمة والقدر العظيم.

يشكوك فقلت قد غلبني خبثاً وعرامة[١] قال: اقتله فلأن يموت خيرٌ من أن يموق[٢]

- **الحثُّ على تفقد المؤدِب**

قيل: أوْلى من تبذل له ثراك من أفادَك عُلاك وصَقل حِجاك[٣]

قال الشاعر:

إن الـمُـعـلّـمَ والـطـبـيـبَ كـلاهُـمـا لا يـنـصـحـان إذا هُـمَـا لـم يُـكْـرَمـا
فـاصبِرْ لـدائِك إن جـفـوْتَ طـبيبَه واصبِرْ لـجهـلِك أن جـفـوْتَ مُـعَـلّـمـا

ووقّع الصاحِبُ لبعضِ المؤدّبة إلى من تقاعد بمشاهرته:

الـكـلـبُ يـرفَـعُ نـفـسـه ويـجـلّـهـا مـعَ خِـسّـتِـه
مِـنْ أنْ يـفـيـتَ مـؤدبـاً مـسـتـوجِـبـاً مَـنْ أجْـرَتِـه

وسُمع مؤدِّبٌ يلقّنُ صبيّاً: وإذْ قالَ لقمانُ[٤] لابنه: وهو يعظهُ يا بُنَيّ لا تقصص رؤياك على أخوتِك فيَكيدوا لكَ كيْداً وأكيدُ كيْداً فمهلِ الكافرين أمهلهمْ رويداً. **فقيل** له: ما هذا؟ **فقال**: إن أباه يدخل مشاهرة شهر في شهر، وأنا أدخله من سورةٍ إلى سورة، لئلا يحصلَ على شيء كما لا أحصل أنا على شيء.

- **نوادرُ المعلمين فيما يقرأُ عليهمْ الصبيان**

قرأ صبيّ على معلّم: وإنّ عليك اللعنةُ يا شيخ، وأخذ يكرر ويقف. **فقال**: عليك وعلى والديك. **فقال** الصبيّ: ليس فيه **وعلى والديك**، لكنه **عليك** هل ألحقه به؟

وقرأ آخر على معلّم: اخرجْ منها فإنّك رجيم. **فقال**: ذلك أبوك الكشحان.

وقرأ آخر على معلّم: ما لنا في بناتك من حقّ وأخذ يكررها كالمستفهم، **فقال**: لا ولا كرامة لك.

- **نوادرُهم فيما يقرأُ عليهم من التصْحيفات[٥]**

قرأ صبي على معلم إنّي أريد أن أنكحك، **فقال**: هذا إذا قرأت على أمّك القحبة.

وقرأ آخر: عليها ملائكة غلاظ شداد يعصون الله ما أمرَهم ولا يفعلون ما يؤمرون. **فقال**: هؤلاء أكراد لا ملائكة.

وكان معلّم يلقّن صبياً «عَبَسَ وتَوَلّى»، **فكان يقول**: **أبس وتولّى**. فضربه المعلم **فقال**: عاه **فقال**: حوّل العين من ههنا إلى ثمّ وخلّصني.

---

(١) **العرامة**: الشدّة والكثرة. (٢) **يموق**: يهلك.

(٣) **حجاك**: عقلك.

(٤) **لقمان**: أحد الحكماء الذين تنسب إليهم الحكم والأقوال والأمثال. تواتر ذكره في أخبار الجاهلية والإسلام.

(٥) **التصحيفات**: سبق شرح معنى التصحيف ولا سيما في الشعر.

وقرأ آخر: وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصل، فقال يا ابن الفاعلة لعلك تشتهي البصيلة.

● ما وُصِفَ من لواطِ المعَلِمين

وفد سعيد بن عبد الرحمن على هشام[١]، وهو صبي وضيء الوجه فبعث به هشام إلى عبد الصمد مؤدب ولده الوليد ليؤدّبه. فراوده عن نفسه فخرج من عند المؤدب مغضباً ودخل على هشام وهو يقول:

إنَّــهُ واللهِ لَــولا أنْــتَ لَــمْ ... يَـنْـجُ مـنـي سـالِـمـاً عـبْـدُ الـصَّـمَـد

فقال وما ذاك؟ قال:

أنّــه قــدْ رامَ مـنّـي خِـطَّـةً ... لـم يـرَمْـهـا قـبـلَـهُ مـنّـي أحَـد

قال وما ذاك؟ فقال:

رامَ جـهـلاً بـي وجـهـلاً بـأبـي ... يولجُ العُصْفور في خِيسِ الأسَد[٢]

فطرد عبد الصمد عن داره.

وحدّث الأحيمر النحوي وكان مؤدّب الأمين اتخذ عليه بعد حمّاد عجرد[٣]، وكان حماد اتخذ عليه بعد نفي قطرب[٤] قال: كان سبب نفيه أن حماداً كان يتعشّق الأمين ويطمع أن يتخذ عليه مؤدباً فلم يتأتَّ له ذلك حتى استوى الأمر على قطرب، فاحتال حمّاد وكتب هذين البيتين وناولهما بعضَ الخدم على يد مجهول:

قـلْ لـلأمـيـر جـزاكَ الـلّـهُ صـالـحـةً ... لا يجمَعُ الدهرُ بين السخْلِ والذيبِ[٥]

الـسـخْـلُ غـرٌّ وهـمّ الـذيـبِ غـفـلـتُـه ... والذيبُ يعلمُ ما في السخْلِ من طيبِ

فلما قرأهما الرشيد نفى قطْرباً واتخذ حمّاد عجرد، وجعل عليه ثمانين من الرقباء فخاف قطرب لما وسم بهذه السمة فهرب إلى الكرج، والتجأ إلى أبي دلف فحسن حالهُ.

ودخل المأمون ديوان أحمد بن يوسف فصادف حوله مرداً حساناً فقال:

أسَـدٌ رابـضٌ حـوالَـيْـه أسْـدٌ ... لـيْـس يـنْـجـو مـن الأُسـودِ الـظّـبـاءُ

وقال خلف الأحمر لمعلمه وهو في الكتاب وقد راوده عن نفسه:

أتـتـركُ فـي الـحَـلال مـشـقَ صـادٍ ... وتـأتِـي فـي الـحَـرام مـدارَ مِـيـمِ[٦]

---

(١) هشام: أي الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك. (٢) الخِيس: الشجر الملتفّ.

(٣) حمّاد عجرد: من شعراء المجون والخمرة، عاصر أبا نواس وكان واحداً من عصبته.

(٤) قطرب: من علماء النحو وكان معتزلياً ومن آثاره المثلث وهو كتاب أظهر فيه اختلاف معاني الألفاظ باختلاف حركات الإعراب مثل جِمام وجَمام.

(٥) السخل: ولد الشاة والضعيف من القوم ـ الذيب: مخفف الذئب.

(٦) المشق: مصدر مَشَقَ أي أسرع في الطعن أو العمل.

● حَماقةُ المعلّمين

قال **يعقوب الدورقي**: إن الله أعان على عرامة الصبيان، بحماقة المعلمين. **وقال سهل بن هارون**[1] لم أرَ قاضياً ولا عدلاً معلمَ كتابٍ، لا في تافه حقير ولا في ثمين خطير.

وقال الشاعر:

وكيفَ يُرَجّى العقْلُ والرأيُ عندَ منْ ... يـروحُ عـلى أنْثى ويغدُو على طِفْلِ

وقال آخر:

أنــتَ ألــحى مــعــلّــمٍ وطــويــلٌ ... حــسْبُــنا ربّنــا ونــعْــمَ الــوكــيــلُ

وقال الجاحظ:

المعلمون على ضربين: منهم من ارتفعوا عن أولاد العامّة إلى تعليم أولاد الملوك والمرشّحين للخلافة كالكسائي وقطرب وحماد وعبد الصمد، فهؤلاء لا تجوز عليهم الحماقةُ، وإن لكلّ قوم حاشية وجهالاً وسفهاء.

● ما وصِفَ من ذكاء الصِبيان وكيسهم في الكتاب

قال **مؤدبُ يزيد بن عبد الملك**: لم لحنت؟ **فقال**: الجواد يعثر. **فقال** المؤدب: أي والله ويُضرب حتى يستقيم. **فقال يزيد**: وربما يرمح[2] سائسه فيكسر أنفه.

ويروى عن **ابن السكيت** قال: أُحضرْتُ لاتخذ على المعتز بالله، **فقلت له**: بأي شيء نبدأ اليوم. **فقال**: بالخروج. **فقلت**: نعم. فعدا من بين يدي وعثر على المرمر، **فقال**: يموت الفتى من عثرة بلسانه، وليس يموت المرء من عثرة الرجل. **فقلت للمتوكل**: جئتم بي لتأديبه وهو آدب مني. فأمر لي بعشرة آلاف درهم.

قال أبو محمد يحيى ـ وكان مؤدب المأمون في صغره ـ صلّيت يوماً قاعداً فأخطأ المأمون فقمت لأضربه، **فقال**: أيها الشيخ أتطيع الله قاعداً وتعصيه قائماً فكتبت بهذا إلى الرشيد فأمر لي بخمسة آلاف درهم.

وحكي أنه بدر من أبي عمر الصباغ إلى الصاحب جفاء وكان مؤدبه، فقام من عنده وكتب إليه:

أودعْـتــنــي الـعِـلْـمَ فـلا تـجـهَـل ... كـمْ مـقـولٍ يـجْـني عـلـى مـقْـتَـل

وأنــتَ إن عــلــمْــتــنــي سـوقـةً ... والـسـيْـفُ لا يـبْـقي عـلـى الـصَـيْـقَـل

فاتصل ذلك بأبي الحسين بن سعد فتعجب منه وكتبه **وقال**: ابن ثمانين يكتب شعر ابن عشر ثم تلا: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[3]

---

(١) **سهل بن هارون**: أحد كتّاب العصر العبّاسي وهو فارسي الأصل.

(٢) **يرمح**: يطعن بالرمح.

(٣) **القرآن الكريم**: مريم/ ١١.

● **أمارةُ نجابةِ[1] الصبيان**

قيل لأعرابي: ما أمارةُ النجابة في صبيانكم؟ **قال**: إذا كان أعنق[2] أشدق أحمق. فأقرب به من السودد[3]

وقال الزبرقان: أكيسُ صبيانِنا العريضُ الورك السبط[4] الغرّة، الطويل الغرلة[5]، الأبله العقول.

وقال بزرجمهر لكسرى، وعنده أولاده: أي أولادك أحب إليك؟ قال أرغبهم في الأدب، وأجزعهم من العار وأنظرهم إلى الطبقة التي فوقه.

وروى ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ أنه قال: عرامة الصبيّ في صغره زيادة في عقله إذا كبر

وقال معاوية: طيّروا الدم في وجوه الصبيان، فإن بدا في وجوههم الحياء وإلا فلا تطمعوا فيهم.

● **صبيٌ استدلّ بعقله على كبر همّته**

قيل: أولُ ما عرف من سودد خالد القسري أنه مرّ في بعض طرق دمشق راكباً، وله عشر سنين فوطىء فرسُه صبياً فوقف عليه فرآه لا يتحرك فانتهى إلى أول مجلس مرّ به، **فقال**: إن حدث بهذا الغلام حدث فأنا صاحب الجناية ولم أعلم.

ومرّ عمر رضي الله عنه بصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، فعدا الصبيان ووقف عبد الله فقال له عمر: ما لك لا تذهب مع الصبيان؟ **فقال**: يا أمير المؤمنين لم أجن إليك فأخافك، ولم يكن في الطريق ضيق فأوسعه لك. **فقال عمر**: أي شيطان يكون هذا؟

وكان عبد الملك صغيراً فأربى عليه صبيّ فضربه، **فقيل له**: لو شكوته إلى عمّك لانتقم منه. **فقال**: أنا لا أعدّ انتقام غيري انتقاماً. وقال السري الرفاء يصف غلاماً بعلو الهمة:

لا تعجبَنّ من علُوّ همّته ... وسنّه في أوانِ منشاها
إنّ النجومَ التي تُضيءُ لنا ... أصغرُها في العيونِ أغلاها

● **من تكلّم عندَ الخُلفاء وهو صغيرٌ فارتفع بذلك شأنه**

أوفد أبو موسى الأشعري زياداً على عمر رضي الله عنه، وكان يكتب له، وهو حين

---

(١) **النجابة**: مصدر نجب نجابة (الولد): كرم حسبه وكان محموداً في قوله وفعله.
(٢) **الأعنق**: الطويل العنق. (٣) **السودد**: مخفّف السؤدد، أي المجد والسعادة.
(٤) **السبط**: نقيض الجعد، **والسبط أيضاً**: المعتدل القوام، الحسن القدّ.
(٥) **الغرلة**: القلفة، جمع غُرل.

بلغ. فلمّا جاء وجده من الكيس بمحل. **فقال له عمر**: اعتزل عملك. **فقال زياد**: أعن خيانة؟ قال: لا، ولكني أكره أن أحمّل الناسَ فضل عقلك ومنطقك. قال: إذاً لا أبالي.

دخل محمد بن عبد الملك ابن صالح على المأمون حين قبض على ضياعهم وهو صبي أمرد[1]، فقال: السلامُ عليكَ يا أمير المؤمنين. **قال**: من أنت؟ **قال**: سليلُ نعمتك وابنُ دولتك وغصنٌ من أغصان دوحتك، أتأذن لي بالكلام؟ قال: نعم. فتكلم بكلام حسن فقضى حاجته.

نظر المأمون إلى الحسن بن رجاء وهو صبي في ديوانه، فقال: من أنت؟ **قال**: الناشئ في دولتك المتقلّبُ في نعمتِك وتخريجِ أدبك الحسن بن رجاء. **فقال المأمون**: بالإحسان في البديهة تفاضلتِ العقول وأمر برفعه عن محلّه.

وفي بعض كتب الفرس أن كسرى أراد كاتباً لأمرٍ أعجله فلم يوجد غير غلام صغير يصحب الكتاب فدعاه، فقال: ما اسمك؟ **قال**: مهرماه. **قال**: اكتب ما أملي عليك فكتب قائماً أحسن من غيره قاعداً. **ثم قال له**: اكتب في هذا الكتاب من تلقاء نفسك ففعل وضمّ إلى الكتاب رقعة فيها: **إن الحرمة التي أوصلتني إلى سيدنا لو وكلت فيها إلى نفسي لقصرت أن أبلغ إليها فإن رأى أن لا يحطّني إلى ما هو دونها فعل**. **فقال كسرى**: أحب مهرماه أن لا يدع في نفسه لهفة يتلهف عليها بعد إمكان الفرصة. وقد أمرنا له بما سأل.

وذكر أن عمرو بن عتبة أعتق غلاماً له فقام إليه وصيف له **فقال**: اذكرني ذكرك الله فاستصغره فقال ويلك أنك لم تخرف بعد. **فقال**: إن النخلة قد تجتنى زهواً قبل أن تصيرمعوا. **قال**: قاتلك الله قد استعتقت قد وهبتك لواهبك لي.

● وصفُ بلادة الصبيان في التعلّم

كان معلّم يضرب صبياً، **فقيل له**: لم تضربه؟ فقال أنه يترك الصواب الهيّن ويأتي الخطأ الصعب، فإذا هو يقرأ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾[2] ويقرأ: فيؤخذ بالنواهض[3] والأقدام.

وحكي أن مؤدباً ادّعى أنه علّم صبياً النخو والفرائض، فامتحنه أبوه فقال له: كيف تقول ضرب زيد عمراً؟ **قال**: كما تقول **فقال له**: فما إعرابهما؟ قال زيد رفع بفعله وما بقي فللعصبة.

وأمر آخر معلماً أن يعلمه الفرائض فامتحنه يوماً، فقال له: ما تقول في رجل مات وخلف ابنتين وابناً، فقال: أما الابن فيسقط، **فقال**: نعم إذا كان مثلك.

---

(١) **الصبي الأمرد**: الشاب الذي طرّ شاربهُ ولم تنبت لحيته.
(٢) **القرآن الكريم**: الفجر/٢٧.
(٣) والأصل النواصي، جمع ناصية وهي مقدّم شعر الرأس.

وسلّم أشعب في البزازين فقيل له بعد سنة إلى أين بلغت في معرفة البز، **قال**: أحسنت النشر وأرجو أن أتعلم الطي.

(٦)

ومما جاء في البلاغة وما يضادها

●

● ما حدّ به البلاغة

قيل: البلاغة ما اجتيازه فساده. **وقيل**: الإيجاز من غير عجْز والإطناب من غير خطل. وسئل آخر **فقال**: أن لا تخطىء ولا تطىء.

وسأل **المأمون الحسن بن سهل** عن ذلك، **فقال**: ما فهمتْه العامةُ ورضيتْه الخاصّة.

وسئل عنه بعض اليونانيين، **فقال**: تصحيحُ الأقسام واختيارُ الكلام. وسئل حكيم عن البليغ، **فقال**: ما إذا أخذ شبراً كفاه، وإن أخذ طوماراً[١] ملاه.

● ما حدّ به الإيجاز ووصفه

سئل بعضهم **فقال**: اللمحة[٢] الدالة **قال جعفر بن يحيى البرمكي**: إن استطعتم أن تكون كتبكم توقيعات، فافعلوا.

ووقّع **محمد بن طاهر** أيام الفتنة إلى الكتاب: لتدقق الأقلامُ ويختصرَ الكلام. فالقراطيس[٣] لا ترام.

وقيل: من أطال الحديث فقد عرض أصحابه للسآمة[٤] وسوء الاستماع. **وقيل**: - **الكلام إذا طال اختلّ وإذا اختلّ اعتلّ، وقال منصور الفقيه**:

ولا تكثرن فخيرُ الكلامِ القليلُ الحروف الكثير المعاني

وقيل: خيرُ الكلام ما قلّ ودلّ ولم يطلْ فيملّ.

● كلماتٌ موجزة

ذكر ذلك يطول، ولكن لا بدّ من ذكر أحرف تكون أمثلة.

سئل جعفر بن يحيى عن أوجز كلام **فقال**: قول سليمان عليه السلام إلى ملكة سبا أنه من سليمان، وأنه بسم الله الرحمن الرحيم، أن لا تعلوا عليّ وائتوني مسلمين، فجمع في ثلاثة أحرف العنوانَ والكتابَ والحاجةَ وإظهارَ الدين وعرضَ الرشاد إلى المكتوب إليهم.

---

(١) **الطومار**: الصحيفة.

(٢) **اللمحة**: المرّة من اللمح، واللمح مصدر لمح (الشيء) أي اختلس النظر، والمراد باللمحة الدالة الإيجاز ذو الدلالة.

(٣) **القراطيس**: جمع قرطاس وهو الصحيفة التي يكتب فيها.

(٤) **السآمة**: السأم والملل.

وكتب المعتصم إلى ملك الروم جواباً عن كتاب تهدّده فيه: الجوابُ ما ترى لا ما تسمعُ، وسيعلم الكافر لمنْ عقبى الدار، والسلام.

وأمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتب كتاب عنايةٍ موجزة فكتب: كتابي كتاب واثق بمن كتب إليه، معتنى بمن كتب له، ولن يضيع بين الثقة والعناية موصله.

• الإيجازُ والإطناب[1] في محلّيهما

قيل لأبي عمرو بن العلاء: لم كانت العرب تطيل؟ **قال**: ليسمع منها. **قيل**: فلم توجز؟ **قال**: ليحفظ عنها. وقد **قال الشاعر في هذا المعنى**:

يرمونَ بالخُطَبِ الطّوالِ وتارةً   وحيَ الملاحظِ خيفةَ الرُّقَباءِ

وقال ابن قدامة: البلاغة ثلاثة مذاهب: **المساواة**، وهي مطابقة اللفظ والمعنى لا زائداً ولا ناقصاً. والإشارة وهي أن يكون اللفظ كاللمحة الدالّة والتذييل وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، ليظهر لمن لم يفهمه، ويتأكد عند من فهمه. وقال شاعر:

يكفي قليلُ كلامِهِ وكثيرُهُ   ثبتٌ إذا طالَ النِّضالُ مُصِيبُ

وأمر يحيى بن خالد كاتبين أن يكتبا في معنى، فأوجز أحدهما وأطال الآخر، **فقال للموجز**، لمّا نظر في كتابه: لم أجد موضع مزيد. **وقال للمطيل**: لم أجد موضع نقصان.

وقال جعفر بن يحيى: إذا كان **الإيجاز** كافياً كان **الإكثار** هذراً[2]، وإذا كان **التطويل** واجباً كان **التقصير** عجزاً[3]

• استقباحُ إعادة الحديث

قيل: الحديثُ الرجيعُ[4] كالحدث والرجيع. **وقيل**: إذا أعيد الحديث ذهب ضوؤه ورونقه. **قال ابن السماك** لجارية له تصغي إلى كلامه: كيف تجدين كلامي؟ **قالت**: ما أحسنه إلا أنك تكثر ترداده قال إنما أردده ليفهمه من لم يفهمه قالت إلى أن يفهمه من لم يفهمه ملّه من قد فهمه. **وقيل** لرجل يعيد كلاماً لغبي: قد ثقل كلامك على الذكيّ قبل حصوله في قلب الغبي.

• ذمُّ إطالةِ الحديث:

قيل: من أطال حديثه فقد عرض أصحابه للسآمة[5] وطول الاستماع.

---

(١) **الإطناب**: الإطالة والإسهاب.

(٢) **الهذر**: سقط الكلام، يقال رجل مهزار إذا خلط في منطقه وتكلّم بما لا ينبغي، والمرأة مهذارة.

(٣) إن المعيار الدقيق للإيجاز والإطناب أو القصر والإطالة هو أن يراعي المتكلم مقتضى الحال وتلك هي البلاغة التي توجب أحياناً الإطالة وأحياناً الإقلال وعدم الإكثار.

(٤) **الحديث الرجيع**: هو الحديث المكرر أو الذي تردّد على لسان صاحبه.

(٥) **السآمة**: الملل والضجر.

وقال سقراط لرجل: أنساني أول كلامك بعد العهد بآخره، وفارق آخره فهمي لتفاوته. وخطب رجل خطبة نكاح[1] **فأخذ يطيل فقام بعض الحاضرين فقال**: إذا فرغ الخطيب فبارك اللّهُ لكم، فإني على شغل.

● الموصوفُ بالفصاحة

سمع إعرابي الحسنَ يتكلم، **فقال**: هو فصيح إذا لفظ، نصيح إذا وعظ. **وقال**:

مُـلَـقَّـنٌ مُـلْـهِـمٌ فـيـمَـا يُـحَـاوِلُـهُ   جَـمٌّ خَـواطِــرُه جَــوّابُ آفَــاقِ

وقيل: انتهت الفصاحة إلى أربع: عليّ وابن عباس وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم.

قال الشعبي: ما رأيت أحداً يتكلم فيحسنُ إلا أحببت أن يسكتَ إلا زياداً فإنّه لم يخرج قط من حسن إلا إلى ما هو أحسن منه.

وقال يحيى بن زياد: فلان أخذ بزمام الكلام فقاده أحسنَ مقاد[2] وساقه أحسنَ مساق فاسترجع به القلوب النافرة واستصرف له الأبصار الطامحة. **وقيل**: كلامٌ كنظم الجمان[3] وروضِ الجنان فكأنه من كل قلب ينظم.

وقال أبو تمام:

مِـن الـسـحْـرِ الـحَـلالِ لـمـجْـتَـنِـيـه   ولَـم أرَ قَـبـلَـه سِـحْـراً حَـلالا

وقالت الخنساء[4]:

كَـأن كَـلامَ الـنَّـاسِ جُـمِّـعَ حـوْلَـه   فَـأطْـلَـق فـي إحْـسانِـه يـتـخـيَّـرُ

● فضيلةُ اللسان

قال العباس رضي الله عنه للنبي ﷺ: فيم الجمال؟ **قال**: في اللسان، **وقيل**: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة أو صورة ممثلة.

وذكره بعضهم **فقال**: لله درّه من عضو ما أصغرَه وأكثر ضرّه ونفعه.

وقيل: مروءتان ظاهرتان الفصاحة والرياش[5]

● موصوفٌ لسانهُ بالصرامة

قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت رضي الله عنه ما بقي من لسانك فضرب به أرنبته وقال

---

(١) **خطبة النكاح**: خطبة مراسم الزواج.

(٢) **المقاد**: المساق، مصدر قاد يقود قوداً وقيادة ومقادة (الدابة): ساقها مشى أمامها.

(٣) **الجمان**: اللؤلؤ.

(٤) **الخنساء**: هي تماضر بنت عمرو بن الشريد، وهي من الشواعر المخضرمات بين الجاهلية والإسلام (انظر ديوان منشورات دار الأرقم).

(٥) **الرياش**: الأثاث.

والله لو وضعته على شعر لحلقه أو على صخر لفلقه قال الله تعالى: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾[1]، ووصف أعرابي رجلاً فقال: أدقّ من ورقة وألين من سرقة.

قال الغساني:

لـهُ بـيـنَ فـكـيـهِ لـسـانٌ كـأنّـه ... حُـسَـامٌ دقـيـقُ الـشـفـرتـيـنِ عـتـيـقُ

وقال آخر:

وَلَلسَّيفُ أشوَى وقعَةً من لِسانيا[2]

وقال آخر

وحـسـبـتُ أنّ لـسـانَـه مـنْ عـضْـبِـهِ

● وصفُ كلامٍ بالسلاسة[3]

قيل: لو كان الكلام طعاماً لكان هذا إداما كلام يقطر عسله هذا. والله نثر نغم أحسن من نثر نغم، كلام كالوبل في المحل.

وتكلّم المأمون بكلام حسن في مسألة ثم قال لبعض ندمائه: كيف كان الكلام في هذه المسألة؟ قال: كان والله كغيث وقع على أرض عطشة. فقال: جوابك هذا أحلى لدي من الأمن بعد الخوف.

وقال المتنبي:

إذا مـا صـافـحَ الأسـمـاعَ يـومـاً ... تـبـسّـمـتِ الـضـمـائـرُ والـقـلـوبُ

قال ابن المقفع: ما زالت ينابيعُ حكمه تترقرق في معابر الآذانِ حتى ملأت القلوبَ عقولاً اللفظُ الحسنُ إحدى النفاثات في العقد.

وقيل في وصف كلام: إنه يحطّ الجندل[4] ويثقب الخردل[5]، وأنه لدونَ السحر وفوق الشعر.

● لفظٌ ساعدَ المعنى في الجُودة

مدح أعرابي رجلاً فقال: كان ألفاظُه قوالبَ لمعانيه.

قال الشاعر:

تـزيـنُ مـعـانـيـه ألـفـاظَـه ... وألـفـاظُـه زائـنـاتُ الـمَـعـانـي

وقيل: خيرُ الكلام ما كانَ لفظُه بِكراً ومعْناه فخلاً.

وقال شاعر:

نـرى حُـلَـلَ الـبَـيـانِ مـنـشَّـراتٍ ... تـخـيـرُ وشـطَـهـا صـورُ الـمـعـانـي

---

(١) القرآن الكريم: الأحزاب/١٩. (٢) أشوى وقعة: أشد.

(٣) السلاسة: اللين والاسترسال. (٤) الجندل: الصخر والجمع جنادل.

(٥) الخردل: جمع خردلة، نبات عشبي حبّه صغير جداً وهو من التوابل وله فوائد.

● **مدحُ كلامٍ وسَط**

خير الكلام ما لا يكون عامياً سوقياً ولا عربياً وحشياً. **وقيل**: الإيغالُ[1] في البلاغة معجزة، والخروج عن كلام أهل الزمان هجنة.

قال أبو الأسود الدؤلي لابنه: يا بنيّ إذا كنت في قوم فلا تتكلّم بكلام مَن لم يبلغه سنّك فيستثقلوك، ولا بكلام من هو دونَك فيستحقروك.

● **مفاضلةُ الروايةِ والبديهَة**

قال معاوية لعمرو بن العاص: أنا آدب منك، **فقال**: أنتَ للرويّة وأنا للبديهة وبينهما بون[2]

وقال ابن الرومي:

نـارُ الـرويّـة نـارٌ غـيـرُ مـنـضِـجَـةٍ ... ولـلـبـديـهـةِ نـارٌ ذاتُ تَـلْـويـحِ
وقـدْ يـفـضّـلـهـا قـومٌ لـعـاجِـلـهـا ... لـكـنّـه عـاجـلٌ يـمْـضـي مـعَ الـرّيـحِ

● **فضلُ البديهةِ وما يحاضَرُ به**

قيل: خيرُ الفقه ما حضرت به، ولا خير في علم لا يعبر معكَ الوادي ولا يعمُر بك النادي. **وقال الحطيئة**:

فـهـذا بـديـهٌ لا كـتـحـبـيرِ قـائـلٍ ... إذا مـا أرادَ الـقـولَ دوّرَه شـهـرا

وقال المتنبي:

أبلغُ ما يُطلبُ النجاحُ به الطبـ ... ـعُ وعـنـد الـتـعـمّـقِ الـزلَـلُ

● **النهيُ عن التشادُق والتقعّرِ وذمّهما**

قال النبي ﷺ: إن أبغضكم إليّ الثرثارون المتفيهقون[3] المتشدّقون[4] **وقال**: ﷺ إياك والتشادق.

وقال بشر بن المعتمر[5] إيّاك والتقعر[6] فإنّه يسلمك إلى التعقيد، فيستهلك معانيك، ويمنعك من مراميك.

وقال تشقيقُ البيان من شقاشِقِ الشيطان.

وقال النبي ﷺ شعبتان من النفاق البذاء[7] والبيان، وشعبتان من الإيمان: الحياء والعيّ[8]،

---

(١) **الإيغال**: مصدر **وغل يغل وغولاً في الشيء**: أي دخل فيه وذهب بعيداً، **وأوغل**: أسرع، **والإيغال** الإسراع.
(٢) **البَوْن**: الفرق. (٣) **المتفيهق**: الذي يتوسّع في الكلام.
(٤) **المتشدّق**: من شدق شدقاً: اتسع شدقه وهو زاوية الفم، وذلك للتفصّح.
(٥) **بشر بن المعتمر**: أحد شيوخ المعتزلة، عاصر هارون الرشيد.
(٦) **التقعّر**: التعمّق في الكلام، والتقعّر إخراج الكلام من الحلق.
(٧) **البذاء**: الكلام السفيه، السافل. (٨) **العيّ**: العجز عن البيان.

وهذا إنما هو لمن جاوز المقدار أو قصّر عنه وكفاك ما قال النبي ﷺ إن الله يبغض البليغ يتخلّل بلسانه تخللَ البقرة بلسانِها.

وأنشد العجّاج:

أمسى الغواني معرِضاتٍ صدّدا

وأعرابي حاضر فقال: تنحَّ عن سننه، وإلا تسقط منه كلمةٌ فتشدخك[1]، وما أجود ما قال ابن أبي طاهر:

إن خيرَ الكلام ما ليْس فيهِ　　　عند من يفهم الكلامَ كلامُ

● **ذمّ عِييّ متقعّر**

قيل: أعيا العيّ بلاغة بعي. وقال محمد بن وهيب:

تشبهْتَ بالأعرابِ أهلِ التعجرفِ　　　فدلّ على مثْواكَ قُبْحُ التكلّفِ

لسانٌ عرابيٌّ إذا ما صرفتَه　　　إلى لغةِ الإعرابِ لم يتصرّفِ

وقال أبو الأسود لابن صديق له: ما فعلت امرأة فلان التي كانت تساره وتضاره وتماره[2] فقال: طلقها فتزوج بها فلان فخطيت وبظيت فقال أبو الأسود: ما معنى بظيت فقال: كلام لم تدر من أي بيض خرج وفي أي عش درج فقال: إن ما لا أعرفه فاخبأه كما تخبأ الهرة خرءها.

● **منِ ارتكبَ أمراً طلباً للسجع**

خرج عبادة إلى عبادان فقيل: ما الذي جاء بك؟ فقال: لا جمع بين عبادة وعبادان. وكان علي بن رستم خرج إلى بغداد وأسلم فكتب إلى أهله: كتابي إليكم من مدينة السلام عن سلامة وإسلام فقال: أخوه ما خرج أخي وأسلم إلا طلب أن يكتب هذه المسجعة[3]

● **ما حدّ به العيّ وذمُّه**

قال أكثم العي أن تتكلم بفوقما تقتضيه حاجتك، وقيل: العي معنى قليل يحويه لفظ كثير، وقيل: العي داء دواؤه الخرس، وقيل: لاعي[4] ولا شلل، وتكلم رجل عند معاوية وكان ذا عيّ فقال عمر: وسكوت الألكن[5] نعمة فقال معاوية: وكلام الأحمق نقمة، وقال النمر بن تولب[6]:

أعذني ربٌ منْ حصَرٍ وعَيٍّ　　　ومن نفْسٍ أعالجُها عِلاجا

---

(١) تشدخ: تجرح.　　(٢) تماره: يريد تماريه أي تجادله.

(٣) المسجعة: العبارة التي يراعى فيها نمط السجع، والسجع من أبواب البديع وهو وسط بين الشعر والنثر.

(٤) العيّ: نقيض البيان والإفصاح، فالعيّ هو العجز عن الإفصاح والبيان.

(٥) الألكن: الذي في لسانه لكنة أي عجمة.

(٦) النمر بن تولب: شاعر جاهلي أدرك الإسلام وشعره جيّد، وهو من بني عكل (انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة).

● **الآفات المعترضة للسان من العيّ**

اللثغة تغيير في القاف والسين واللام والراء، **والتمتمة** التتعتع[1] في التاء، **والفأفاة** في الفاء، **واللفف** إدخال حرف في حرف وإياه عني الشاعر بقوله:

كَـأنَ فـيـهِ لَـفَـفـاً إذا نَـطَـقَ

والتلجلج[2] يقارب ذلك **والحَبسة** ثقل في الكلام **والعقلة** اعتقال اللسان **والحكلة** نقصان آلة النطق حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال وأصله في الفحل إذا عجز عن الضراب[3]، **وقيل**: لا يصفو كلام من يكون منزوع الثنيتين.

● **ما يعرضُ في بعضِ اللغات من العيّ**

كشكشكة تميم وهو قلب كاف المؤنث شيئاً نحو، فعيناش عيناها وجيدش جيدها، وكسكسة بكر وهي قلبها، سينا وعنعنة تميم كقوله: ظننت عنك ذاهب والعجرفة جفاء في الكلام، واللخلخانية تعرض في أعراب الشجر وعمان والطمطمانية لغة في حمير كقولهم طاب امهواء، أي طاب الهواء.

● **استعمالُ كلِّ كلام مع الجنسِ المخصوص به**

قيل: الكلام بذلة ومدخر فمن تكلم وقت البذلة بالمدخر أتعب نفسه، ومن تكلم وقت المدخر بالبذل هجن نفسه.

● **من خاطبَ عامياً بتفاصُح وتذلقٌ**

اشترى رجل من أصحاب يعقوب الكندي جارية فاغتاظت عليه، فشكاها إلى يعقوب، **فقال**: جئني بها لأعظها. فجاء بها إليه **فقال**: يا لعوبة ما هذه الاختيارات الدالات على الجهالات؟ أما علمت أن فرط الاعتياصات[4] من الموبقات[5] على طالبي المودّات، الباذلين الكرائم المصونات موذنات بعدم المعقولات؟ **فقالت الجارية**: **أما علمت أن هذه العثنونات**[6] **المنشرات على صدور أهلِ الركاكات، محتاجات إلى المواسي الحالقات؟ فقال يعقوب**: **لله درّها فلقد قسّمت الكلامَ تقسيماً فلسفياً، فاشدُدْ يديك بها. فلم يستوحش من سفاهتها لما أوردت الكلام مسجّعاً موزوناً. وقال نحوي** لصاحب بطيخ: بكم تانك البطيختان اللتان بجنبهما السفرجلتان، ودونهما الرمانتان، **فقال**: بضربتان وصفعتان ولكمتان، فبأيّ آلاء ربّكما تكذبان.

---

(١) **التتعتع**: من عيوب النطق وهو التلعثم بحرف الراء.
(٢) **التلجلج**: التردد في الكلام.
(٣) **الضراب**: مصدر ضرب الفحل ضراباً إذا نكح الأنثى والناقة الضارب التي ضربها الفحل.
(٤) **الاعتياصات**: الاعتياص، العصيان.
(٥) **الموبقات**: المهلكات جمع موبق.
(٦) **العثنونات**: جمع عثنون وهي اللحية.

وصار أبو علقمة إلى كواز فقال: أعندك جرّة لا فقداء ولا دناء ولا مغربلة الجوانب، خضرة نضرة قد مسّها النار، إن نقرت عليها طنّت، وإن أصابتها ريحٌ غنّت، ولكن بدرهم. فقال الكواز: دعني من شتمك يا ماصّ بظر أمّه.

● الأحوالُ الدّالةُ على العيّ

من العي البهرة، وفتل الأصابع، ومسّ اللحية، ولذلك قال:

مليءٌ ببهرٍ والتفاتٍ وسعلةٍ ومسحةِ عُثنونٍ وفتلِ الأصابعِ

وقال ابن المقفع: من علامة العيّ النكث في الأرض، والإطراق من غير فكرة.

● المحتبسُ في كلامه

قال الشاعر:

كأنّ في فيه لقمةً عقلَتْ لسانَه فالتوَى على حَنَقِ
محرِّكٌ رأسَه توهّمَه قد قامَ من عطسةٍ على شرَقِ

وقال آخر:

كأنّ فيه لفَفاً إذا نطَق من طولِ تحبيسٍ وهمٍّ وأرَق

وقال آخر:

دِيافيه قُلْفٌ كأنّ خطيبَهم سراةُ الضحى في سلحِه يتمَطّق

ويقال: هو عياياء طباقاء.

● اعتذارُ محتبس في كلامه

قال بعضهم: نحن حيّ فعالٍ ولسنا بحيّ مقال. ونحن بأدنى مقالِنا عند أحسن فعالهم.

وقال بعض وفد خراسان: إنا ببلاد نأت عن العرب، شغلتنا الحرب عن الخطب.

واعتذر رجل لحبسة فقال: يعزب البيانُ ويعتقمُ الصواب وإنما اللسان مضغةٌ من الإنسان يفتر بفتوره إذا نكل، ويثوب بانبساطه إذا ارتجل.

وقيل لأعرابي: أين فصاحتك؟ فقال: لحقت بمواطنها بنجد.

وقال شاعر:

ارفقْ بعبدِك إنّ فيه بلادةً جبليةً ولكَ العراقُ وماؤهُ

● المقامُ الذي لا يستنكفُ فيه من العيّ والحَصَر

سئل ابن داود: متى يكون البليغ عيياً؟ فقال: إذا سأل عما يتمنّاه وشكا حبّه إلى من يهواه، ثم أنشد:

بليغٌ إذا يشكو إلى غيرِه الهَوى وإن هوَ لاقاه فغيرُ بليغِ

وقال بعضهم: موطنان لا آنفُ من الحصْر فيهما، إذا شكوت إلى محبوبي عشقي، وإذا سألت حاجة لنفسي.

● **المحسنُ في كلامه ابتداء والمسيء انتهاء**

تكلّم ابن ثوابة ثم غلط في آخره فقال أبو العيناء: ترفعت حتى خفتك ثم تخفّضت حتى عفتك.

وتكلم رجل فأحسنَ ثم أعاد فأساء، فقال له أعرابي أنك تسترجع محاسنك.

● **وصفُ كلامٍ غيرِ مفهوم**

قال الله تعالى: ـ حكاية عن فرعون ـ ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[1]

قال الشاعر:

قلتُ لمّا بدَا يجمجمُ في القو ... لِ ويهذي كأنه مجنونُ[2]
أنتَ حقاً شبيهُ ما ذكرَ اللهُ ... مَهِينٌ ولا يكادُ يبِينُ

وقال محمد بن صالح:

يهوي إليَّ بأقوالٍ يلفّقها ... فلا أعي منه شيئاً وهو يسمَعُني[3]
يلقَى صداي صفير الطير من فمِه ... مخاطباً وهو إنسانٌ يكلّمُني

● **المستقبَحُ إنشادُه**

قال عبد الله بن معاوية:

يزينُ الشعرَ أفواهٌ إذا نطقَت ... بالشعرِ يوماً وقد يزرى بأفواهِ[4]

وقال أبو خليفة:

كأنّ الشعرَ من فيهِ إذا تمّت ... قوافيهِ كنيفٌ قد خرَى فيهِ

● **ذمُ من يطولُ سكوتُه عيا**

قال الشاعر:

يا صنما في الصّمْتِ لا في الحُسْن

ووصف رجل آخر **فقال:** يصلح لصدور المجالس، ونظم المَحافل ما لم يكن كلام.

● **كلماتٌ لأهل العيّ**

قال الحجّاج لأبي الجهمة النخّاس: أتعيبُ الدواب المعيية من جند السلطان؟ **فقال:**

---

(١) **القرآن الكريم**: الزخرف/ ٥٢.

(٢) **يجمجم الكلام**: لم يبيّنه ـ **يهدي**: من الهذيان وهو الكلام غير المعقول بسبب فرص أو جنون.

(٣) **لفّق الأقوال**: موّهها وزخرفها بالباطل.

(٤) **يزرى**: يقال أورى به عابه ووضع من حقه واحتقره واستحق به.

شركتنا في هوازها وشركتنا في مدانيها وكما يجيء يكون.

قال الجاحظ: طلبت بعضَ أصدقائي في داره فلم أجده فقلت لجاريته: إذا حضر صاحبك فقولي له: إن الجاحظ كان بالباب. قالت: نعم الجاحد[1] بالباب، **قلت**: قولي الحدقيّ[2] **قالت**: نعم الحلقيّ، **فقلت**: عليك بالأول.

● المتكلِّمُ بكلامٍ غيرِ متّسق

دق رجلان على باب نحوي فقيل: مَنْ؟ **فقال أحدهما**: أنا الذي اشترى عبد الله كلم الآجر. وقال الآخر أنا الذي أبو يعقوب الجصاص عقد طاق باب هذه الدار. **فقال صاحب الدار**: انصرفا فما أرى لكلاميكما صلة.

وقال رقبة بن مصقلة: ما أعجزني شيء كما أعجزني رجل قام إليّ يوماً وقد دخلت المسجد، **فقال**: إني رأيتك فشبهتك بي فأعجبني ذلك لك وأنا فيه متفكر بعد ولا أدري ما معنى كلامه.

● من جارى غيرَه فلحنَ فأجابه بمقتضَى كلامِه

قال رجل لأعرابي: كيف أهلك؟ قال صلبا، أراد كيف أهلك؟

وقال الوليد لرجل: من ختنك؟ **قال**: الحجّام. فضحك القوم وخجل الوليد، وإنما أراد أن يقول من ختنك؟

ومرّ رجل بدار ميت فقال من المتوفي؟ فقال له رجل: الله فقال له: يا كافر الله يموت؟ **فقال**: لعلك تريد المتوفّى.

● من سُئلَ عن نحوٍ فأجابَ بمقتضَى اللغة

قيل لرجل: هل ينصرفُ إسماعيل؟ **قال**: نعم إذا صلى العشاء فما قعوده؟ وتعرّض بعضُهم للطائي حين أنشد:

وهـنّ عـوادِي يـوسـف وصـواحـبُـه

فقال: إن يوسف لا ينصرف **فقال**: اصفعه حتى ينصرف. وقال نحوي لأعرابي قال أعجبني **القصر**، بم يرفع القصر؟ فقال: بالآجر والجصّ، وقيل لأعرابي أتجرّ فلسطين فقال إني إذاً لقوي فقيل أتهمز إسرائيل؟ فقال إني إذا رجل سوء. **وقيل**: أتهمز الفأرة؟ فقال الهرة تهمزها.

وحكي أن جماعة عند محمد بن بحر اختلفوا في بناء سراويل، فدخل البرقي فقال فيم كنتم؟ فقالوا: في بناء سراويل فما عندك فيه؟ قال مثل ذراع البكر أو أشدّ.

وحكي أن أبا سعيد السيرافي سأل أبا الحسن الموسوي وهو صغير: إذا قلت رأيت عمراً فما علامة النصب فيه؟ فقال بغضه لأمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه.

---

(١) **الجاحد** (لغةً): الناكر للجميل أو العاق.

(٢) **الحدقي**: لقب للجاحظ لأنه كان ناتيء العينين.

● من أنكرَ لحْناً بنَادِرة

مرّ رجل بأديب فقال: كيف طريق البغداد؟ قال بالحذاء. ثم مرّ به آخر، **فقال** له: كيف طريق كوفة، **فقال**: من ههنا وبادر فمع ذلك المار ألف ولام تحتاج إليهما وهو مستغن عنهما فخذهما منه. وقال رجل لأبي العيناء أتامر بشيأ فقال نعم بتقوى الله وحذف الألف من شيأ. وكان رجل يسقي صديقاً له صرفاً[١] ويغنّي له:

يديرونَني عن سالمٍ وأديرُهم ... وجلدةُ ما بينَ الأنفِ والعينِ سالمُ

فقال: أحب أن تجعل ماك من البيت في القدح.

● من اعتذرَ عن لحنِه[٢] بعذرٍ مستملَح[٣]

قصد رجل الحجّاج فأنشده:

أبا هشام بِبَابِك ... قد شمّ ريحُ كَبَابِك

فقال: ويحك لم نصبت أبا هشام فقال الكنية كنيتي إن شئت رفعتها وإن شئت نصبتها. وكتب محمد الأمين، فيما أظن على ظهر كتاب:

عشِقْتُ ظبياً رقيقاً ... في دارِ يحيى بنِ خاقا

وكتب تحته: اردت خاقان وخاقان مولى لي، إن شئت أثبت نونه وإن شئت أسقطته. وقال رجل لآخر ما اشتريت؟ **قال**: عسل. **فقال**: هل لا زدت في عسلك ألف، **فقال**: وأنت هلا زدت في ألفك ألفا[٤]

● من أنكرَ لحْناً بطبعِه

سمع أعرابي مؤذناً يقول: أشهد أنّ محمداً رسول الله بالنصب، **فقال**: الأعرابي فعل ماذا؟ فهذا علم بطبعه أنه لم يأت بخبر أنّ.

وسمع رجل آخر يقرأ وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر بفتح الكاف والفاء **فقال**: لا يكون هذا فقالوا: كفر، **فقال**: أما هذا فنعم.

● المُتأذي بلحْنه

قدم رجل على زياد **فقال**: إن أبونا مات، وأخينا وثب على مال أبانا فضيّعه. **فقال** زياد: الذي ضيّعته من لسانك أضر عليك مما ضيعه أخوك من مالك.

---

(١) صرفاً: الصرف: الخالص من أي شيء. (٢) اللحن: الخطأ في الإعراب ومخالفة وجه الصواب.

(٣) العذر المستملح: المستحب والمستحسن.

(٤) بيان كلامهما وجوب أن تكون الكلمتان منصوبتين بالمفعولية بحيث يقول الأول: عسلاً، ويقول، الثاني: ألفاً.

ومرّ عثمان (رضي الله عنه) برماة يسيؤن الرمي، **فقال**: ما أسوأ رميكم **فقال** بعضهم: نحن متعلمين. **فقال** كلامكم أسوأ من رميكم.

ودخل الخليل على مريض نحوي وعنده أخ له **فقال** للمريض: افتح عيناك وحرّك شفتاك إن أبو محمد جالساً. **فقال** الخليل: أرى أن أكثر علة أخيك من كلامك. وسمع الأعمش إنساناً يلحن **فقال**: من هذا الذي يتكلم وقلبي منه يتألم.

• المُتفادي في كلامِ الكبارِ عنْ كلام فيه إيهام

دخل سعيد بن مرة على معاوية **فقال** له: من أنت؟ **فقال**: أنت سعيد، وأنا ابن مرة.

وقال السفاح للسيد الحميري: أنت السيّد؟ قال أنا ابن أبي وأمير المؤمنين هو السيّد.

وسأل رسول الله ﷺ قيس بن سعد: أنت أكبر أم أنا؟ **فقال**: رسول الله أعز وأكبر وأنا أقدم منه في المولد. **وقال** عمرو بن عثمان لطويس: أيّنا أسنّ؟ **قال**: لقد شهدت زفاف أمّك المباركة على أبيك الطيّب، فلم يجعل الطّيب صفة للام تفادياً من سوء ظنّ فيه.

• وفي ضدّ ذلك

ما روي أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه **قال** لرجل: أتبيع هذا الثوب؟ فقال: لا عافاك الله. فقال: لقد علمتم لو تعلمون قل: لا، وعافاك الله.

وتكلّم بعض أهل زماننا عند الصاحب فسأله عن شيء فقال: لا أطال الله بقاءك فقال: قل لا، وأطال الله بقاءك فقال: بعضهم ما رأينا واواً أحسن موقعاً من واوك.

(٧)

ومما جاء في مفاضلة النطق والسكوت والمقال والسماع

•

• تفضيلُ النطق على السكوت

قيل لزيد بن عليّ: الصمتُ خيرٌ من الكلام، **فقال**: لعن الله المساكتة فما أفسدها للسان وأجلبها للحصر، والله المماراة[1] أسرع في هدم العيّ من النار إلى يبيس العرفج[2]

واختصم رجلان إلى سعيد بن المسيب في النطق والصمت فقال: بماذا أُبين لكما ذلك؟ فقالا بالبيان فقال: إذا الفضل له. **وقيل لبعضهم**: الصمتُ مفتاحُ السلامة، فقال ولكنّه قفل الفهم.

قال الشاعر:

خُـلِـقَ الـلـسـانُ لِـنـطْـقِـه وبـيـانِـه ... لا لـلـسـكـوتِ وذاكَ حـظُّ الأخْـرسِ

---

(١) المماراة: المجادلة. (٢) العرفج: اسم نبات.

فإذا جلستَ فكنْ مُجيباً سائلاً   إنّ الكلامَ يزينُ ربَّ المجلسِ

- **الحثّ على الإكثارِ من الكلام**

قال حكيم: لولا سوء العادة لأمرت فتياني أن يماري بعضُهم بعضاً. وقال العتابي: أقدرُ الناس على الكلام من عوّد لسانَه الركضَ في ميادين الألفاظ. طولُ الصمت حبسة[1] وتركُ الحركة عُقْلة.

وقال أبو عطاء:

أقلّبُه كيلا يكلَّ بحبسةٍ   وأبعثُه في كلّ حقٍّ وباطلِ

- **تفضيلُ الصمْت**

قال النبي ﷺ: رحم الله عبداً صمت فسلم، أو قال خيراً فغنم، فجعل الصمت أفضلَ لأن السلامة أصلٌ والغنيمة فرع

قال الشاعر:

أقلِلْ كلامَك واستعذْ من شرّه   إنّ البلاءَ ببعْضِه مقرونُ[2]

وقال آخر:

متْ بداءِ الصَّمْتِ خيرٌ   لكَ من داءِ الكَلامِ

- **تفضيلُ كل واحدٍ منهما في أوانِهما والتمدّح بهما**

قيل لبعضهم: السكوتُ أفضل أم النطق؟ **فقال**: السكوت حتّى يحتاج إلى النطق، فإذا احتيج إلى النطق فالسكوت حرام.

وقيل ليونس بن حبيب[3]: السكوتُ أفضل أم الكلام؟ **فقال**: السكوتُ عن الخنا أفضلُ من الكلام بالخطأ، **وقيل**: الضراط في أوانه خيرٌ من الكلام في غير زمانه.

قال الشاعر:

والصمتُ أزينُ بالفتى   من منطقٍ في غيرِ حينِه[4]

وقيل: ربما كان الصمت أبلغَ من الإبلاغ في النطق مع عدم إصابة الفرصة.

قال ابن الرومي:

ناهيكَ من صمْتٍ بلا عيّ به   وكذاكَ من لسنٍ بغير سَفاهِ[5]

---

(١) **الحبسة**: العقدة في اللسان.   (٢) **مقرون**: أي مرتبط.

(٣) **يونس بن حبيب**: هو يونس بن حبيب الضبيّ [(٩٢ هـ - ٧١٠) = (١٨٢ هـ - ٧٩٨م)]، وهو من أقدم النحاة البصريين من شيوخه أبو عمرو بن العلاء والأخفش الأكبر، ومن آثاره: القياس في النحو.

(٤) **المنطق (هنا)**: الكلام.   (٥) **اللسن**: الفصاحة.

ملكتْ سكينتُه عليْه أمرَه		فكأنه ساهٍ وليس بساهِ

وقال ابن علقمة:

صموتٌ في المجالس غيرُ عيّ		جديرٌ حين ينطِقُ بالصّوابِ

● ذمُّ الإكثار من الكلام

قيل: من أكثر أهجر المكثارُ كحاطبِ الليل، من أطلقَ لسانه بكل ما يحبّ كان أكثر مقامه حيث لا يحبّ.

وقال الجريمي:

وخيرُ حالِ الفتى في القولِ أقصدُها		بينَ السبيلَيْنِ لا عيّ ولا هذْرُ

وقال أياس لخالد بن صفوان: لا ينبغي أن نجتمعَ في منزِلك لأنّك تحبّ أن لا تسكتَ، وأنا أحبّ أن لا أسمع.

● الحثُّ على ترْك فضول الكلام

قال النبي ﷺ: رحم الله من أمسَك الفضلَ من قوله.

قال عبد الله بن الحسين لابنه: استعِنْ على الكلام بطول الفكر، في المواطن[1] التي تدعو نفسك إلى الكلام، فإن للقول ساعات يضرّ خطؤها، ولا ينفع صوابها،

وقيل: من حسبَ كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه.

وقال عبد الله بن طاهر لبعض منادميه: يا هذا أما أقللت فضولك أو أقللت دخولك؟

وقيل: فضل النظر يدعو إلى فضل القول.

● الحثُّ على السكوت مطلقاً

قيل: إن كانت العافيةُ من مالك فسلّط السكوت على لسانِك. الصمتُ داعيةُ المحبة، الصمْتُ زينُ العاقلِ وسترُ الجاهل.

قال الشاعر:

لو كانَ من فضّة تكلّم ذي		النطْقِ لكانَ السكوتُ من ذهَب

● الحثّ على تدبّر الكلام قبل إيراده[2]

قال الحسن: لسانُ العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد الكلام رجع إليه فإن كان له تكلم به وإلا تركه، ولسان الجاهل قدام قلبه يتكلّم بما عرض له. **وقيل:** من لم يخف الكلام تكلّم ومن خافه تبكم.

قال الشاعر:

تأمّلْ فلا تستطيعُ ردّ مقالَةٍ		إذا القولُ في زلاّته فارقَ الفمَا[3]

---

(١) المواطن: أي مواطن أو مواضع الكلام.	(٢) إيراده: أي إيراد الكلام بإيصاله إلى السامع أو إبلاغه.

(٣) الزلاّت: الهفوات والسقطات، جمع زلّة.

وقال بعضهم: ذرِ الرأيَ الفطير، والكلامَ القضيب، فلا يطيبُ الخبزُ إلا باتتاً.

● **التحذيرُ من جنايةِ اللسان**

سئل النبي ﷺ عن أكثر ما يُدخلُ الناسَ النّار، **فقال**: الأجوفان البطن والفم. **وقيل** فيما روي عنه: وهل يكبّ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم.

وكان لقمان عبداً أسود لبعض أهل الأيلة **فقال له مولاه**: اذبح لنا شاةً وائتنا بأطيب مضغة فأتاه باللسان. **فقال له**: اذبح لي أخرى واتئني بأخبث مضغة فأتاه باللسان، **فقال له** في ذلك، **فقال**: ما شيء أطيب منه إذا طابَ، ولا أخبث منه إذا خبث.

وقيل: لم يستر من الجوارح[1] شيء كما ستر اللسان، فإنّ عليه طبقتين وسترين.

وقيل لحذيفة: لم أطلت سجن لسانك؟ فقال: لأنه غيرُ مأمون الضرر إذا أطلق.

وروي عن أبي بكر رضي الله عنه، أنه كان يُمسك بلسانه **ويقول**: هذا الذي أوردني الموارد.

قال الشاعر:

كمْ في المقابرِ من قتيلٍ، لسانُه ... كانتْ تهابُ لقاءَه الأقرانُ

● **متكلّمٌ بكلام أدى إلى هلاكه**

بينما المنذر[2] في بعض متصيّداته إذْ وقف على رابية **فقال** بعض أصحابه: أبيتَ للعنَ لو أن رجلاً ذُبحَ على هذه الرابية إلى أيّ موضع عسى أن يسيل دمُه؟ **فقال**: أنت والله المذبوح لننظر ذلك، وأمر به فذبح.

ومر ببهرام طائر بالليل فصاح فرماه بسهم فأصابه **فقال**: لو سكتَ الطائر لكان خيراً له.

● **التثبّتُ في الجوابِ والتسرّعُ فيه**

سأل يهودي النبي ﷺ مسألة، فمكث عليه السلام ساعةً ثم أجابه عنها، **فقال اليهودي**: ولم توقفت فيما علمت؟ **قال**: توقيراً للحكمة.

وقيل: من إمارة الحكيم التروّي في الجواب بعد استيعاب الفهم.

وقيل: من علامة الحمق سرعة الجواب وطول التمني والاستغراب في الضحك.

وقال رجلٌ لإياس ليس فيك عيب غير أنك تعجل بالجواب، **فقال**: كم أصبع في يدك؟ **فقال**: الرجل خمس، **فقال**: لقد عجلت أيضاً، **فقال**: هذا علم قد قبلته فقال إياس وأنا أعجل أيضاً في ما قد قبلته علماً.

● **الحثُّ على حسْنِ الاستماع، والممدوحُ به**

قيل: تعلّمْ حسنَ الاستماعَ، كما تتعلم حسنَ المقال، ولا تقطع على أحد حديثاً.

---

(١) الجوارح: الأعضاء، جمع جارحة.

(٢) المنذر: من ملوك الحيرة ولعلّه المنذر الثالث.

وقيل: استمعْ، فسوء الإستماع نفاق. **وقيل للسائل**: على السامع ثلاث أمور: جمعُ البال، وحسن الإستماع، والكتمان لما يقتضي الكتمان.

وقيل: أساء سمعاً فأساء إجابة.

وقال فيلسوف لتلميذ له: أفهمت؟ **قال**: نعم. **قال**: كذبْتَ لأن دليل الفهم السرور ولم أرك سررت.

وقيل: نشاط القائل على قدر فهم السامع.

وقيل: من سعادة القائل أن يكون المستمع إليه فهيماً.

وقيل فلان في الاستماع ذو أذنين(١) **وفي الجواب ذو لسانين**(٢)

قال الشاعر:

إذا حُدِّثُوا لم يُخْشَ سوءُ استماعِهم ... وإن حَدَّثُوا قالوا بحُسْنِ بيَانِ

وقال رجل: أذني قمْعٌ لمن يحدّثني.

● النهيُ عنْ محادثةِ منْ ساءَ استماعهُ

قيل: من لم ينشط لاستماع حديثك ما رفع عنه مؤنة الإستماع. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: حدث الناسَ ما حدجوك بأسماعهم، ولحظوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم إعراضاً فأمسك.

وقيل: لا تطعمْ طعامَك من لا يشتهيه. وقيل حدث حديثين امرأة فإن لم تسمع فأربع، أي كفّ.

● الحثّ على إزديادِ السّماع على المقال

سمعَ بقراط(٣) رجلاً يكثر من الكلام، **فقال له**: إن الله تعالى جعل للإنسان لساناً واحداً وأذنين، ليسمع ضعف ما يقول.

● تفضيلُ السماع على المقَال

كان أعرابي يجالس الشعبي(٤) فأطال الصمت، فسأله عن ذلك، **فقال**: أسمع فأعلم، واسكت فأسلم.

وقيل لأعرابي: لم لا تتكلم؟ **فقال**: حظّ لسان الرجل لغيره وحظّ سمعه له. **وقال** محمد بن المنكدر لأن أسمع أحبَ إليّ من أن أنطق، لأن المستمع يتّقي ويتوقّى.

---

(١) **قوله ذو أذنين**: كناية عن حسن الاستماع. (٢) **قوله ذو لسانين**: كناية عن حسن البيان والإفصاح.

(٣) **بقراط**: أحد كبار أطباء الإغريق الأقدمين ولد سنة ٤٦٠ ق.م، وكانت ولادته في جزيرة كوس ومات في تساليا ولم تحدّد سنة وفاته. بعض آثاره مترجم إلى العربية ومنها «طبيعة الإنسان».

(٤) **الشعبيّ** محدّث وراوية في التابعين واسمه أبو عامر بن شراحيل. من تلاميذه أبو حنيفة. وكان الشعبي مستشاراً للخلفاء. أخذ الحديث عن الإمام علي وعائشة أم المؤمنين وأبي هريرة. مات الشعبيّ سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣م).

● **الحثُّ على التصامُم عن الخنَا والتمدّح به.**

قال محمود الورّاق:

وسمعَك صُنْ عنْ سماعِ القبيحِ كصونِ اللسانِ عنِ النطقِ به

وقال أبو تمّام:

أذُنٌ صفوحٌ ليْسَ يفتَح سَمْعها لدنيئةٍ وأنامِلٌ لم تُقفَلِ[1]

وقال آخر:

فتًى عزلتْ عنه الفواحشُ كلُّها

وقال آخر:

عيّ عنِ الفحْشاءِ أما لسانُه فعفٌ وأما طرفُه فكَليلُ[2]

وقال الموسوي:

إذا العدوّ عصَاني خافَ حَديدي وعِرْضُه آمِنٌ منْ هاجراتِ فَمِي[3]

ولهُ أيضاً:

ولا أعرفُ الفحْشاء إلا بوصْفِها ولا أنطقُ العوراءَ والقلبُ يُعربُ

(٨)

ومما جاء في المذاكرة والمجادلة

●

● **فَضلُ المذاكرةِ في العُلوم**

قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4] وقال النبيّ: لقّحوا عقولَكم بالمذاكَرة واستعينُوا على أُمورِكم بالمشاورة.

وقال ابن المقفع: لا تخلِ قلبَك من المُذاكرة فيعودُ عقيماً ولا تعفُ طبعَك من المناظرة فيعود سقيماً.

وقال الحسن رضي الله عنه: حادِثوا هذهِ القلوبَ فإنّها سريعةُ الدّثور[5]، **وقال المأمون:** لا تتقدُ مصابيحُ الأذهان، إلا بصفوِ مواردها. **وقيل:** من أكثر مذاكرةَ العلماء، لم ينس ما علم واستفادَ ما لم يعْلم.

---

(١) يمتدح في هذا البيت الترفع عن الصغائر والدنايا من ناحية، كما يمتدح الجود والعطاء مكنياً عن ذلك بالأنامل التي لا تقفل.

(٢) عفّ: أي عفيف ـ **الطرف الكليل**: الذي لا ينظر إلى المحرّمات.

(٣) **حديدي (هنا)**: كناية عن السيف والسلاح ـ **الهاجرات**: الأهاجي اللاذعة.

(٤) **القرآن الكريم**: الأعلى/ ٩.

(٥) **الدثور**: مصدر دثر دثوراً (الرسم): بلي وامّحى فهو دائر.

● **المستكثِر بمناظرته الفائدَة**

قال رجل لآخر: مناظرةُ مثلك في الدّين فرضٌ، والاستماع منك أدب، ومذاكرتُك تلقيح للعقل.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما كلّمني أسديّ إلا تمنيت أن يمدّ في حجته لتكثر منه فائدتي.

● **الممدوحُ بإجادةِ المناظرة**

مدح أعرابي رجلاً **فقال**: يفتحُ ببيانه منغلقَ الحجّة، ويسدّ على خصمه واضح المحجّة. **وقيل**: أورد فلان ما لا ينكره الخصمُ، ولا يدفعه الوهمُ، وما رأيتُ أسكنَ نوراً وأبعدَ غوراً وآخذَ بأذن حجةٍ منه.

قال الشاعر:

إذا قالَ بذّ القائلينَ مقالُهُ ... ويأخذُ من أكفائِه بالمِخْنَقِ[1]

قال العجير:

من النّفرِ المُدْلِينَ في كُلّ حُجّةٍ ... بمَسْتَحْصدٍ من حَوْلهِ الرأيُ مخكمُ[2]

وقال آخر

يتقارَضُونَ إذا التقَوا في مجلس ... نظَراً يُزِلّ مواقِعَ الأقْدامِ

كان ذلك من قول الله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾[3]

وقال البحتري:

أحضرتهُ حجَجاً لوِ اجْتلبْتَ بها ... عُصْمَ الجبالِ لأقبلَتْ تَتَنَزّلُ

وقال أبو مسلم:

يجوبُ ضبابَ معاني الكَلامِ ... بحَذفِ الصّوابِ لدَى المَجْمَعِ

وقال بشر بن المعتمر[4] لأبي الهذَيل عند المأمون بعد مناظرة كانت بينهما: كيف رأيت وقع سهمي؟ **فقال**: حلوة كالشهد ولينة كالزبد فكيف ترى سهامنا؟ **فقال**: ما أحسنت بها **قال**: لأنها لاقت جماداً.

● **صعوبةُ الجِدال**

قال ابن الراوندي: ما التّصدي للحِراب والقِضاب ومبارزةُ الأبطال بأصعب من

---

(١) **بذّ القائلين**: سابقهم وفاخرهم ـ **الأكفاء**: جمع الكفء وهو المثيل.

(٢) **الحجّة**: البيّنة ـ **المستحصد**: العقل الناضج ـ **الرأي المحكم**: الرأي السديد والصائب.

(٣) **القرآن الكريم**: القلم/ ٥١.

(٤) **بشر بن المعتمر** أحد شيوخ المعتزلة، سبقت الإشارة إليه.

التصدّي للجواب لمن أمّك بالسؤال، وقال: تحت كلّ «لم»[1] أسد ملم.

نــظــر يــزل مــواقــعَ الأقــدام

وسئل الشعبي عن مسألة فقال: زيادات وبر لا تنساب، ولا تنقاد لو نزلت بأصحاب محمد ﷺ لأعضلت.

● **الدافعُ باطلَ خصْمه بحقّه**

قيل: لا تدفع الباطل بالغلبة إذا أمكنك أن تدفعه بالحجّة.

وقال ابن عباس عجباً لمن يطلب أمراً بالغلبة، وهو يقدر عليه بالحجّة، فالحجّة دينٌ يعقد به الطاعة، وسلطانُ الغلبة يزولُ بزوال القدرة.

وقال ثعلبة:

ولربّ خصْم جاحدين ذَوي شذا ... تـقـذى صـدورُهـم بـهـتـر هـاتـرِ[2]
لـقـد ظـأرتـهـم عـلـى مـا سـاءهـم ... وخـسـأتُ بـاطـلَـهـم بـحـقٍّ ظـاهـرِ[3]

وقال آخر:

ألا ربّ خـصـم ذي فـنـون عـلـوْتُـه ... وإن كـان ألـوى يـشـبـه الـحـقَّ بـاطِـلُـه

وهذا معنى قوْل العتابي[4]: البلاغة تصوير الباطل في صورة الحقّ.

● **المشاغِبُ من يشاغبه**

قال أبو الأسود:

فـشـاغِـبـتُـه حـتّـى ارعَـوى وهـو كـارهٌ ... وقد يرعَوي ذو الشغب بعْد التّحاملُ[5]
فـإنّـكَ لـمْ تـعـطِـف إلى الـحـقّ جـائـراً ... بـمِـثْـل خـصـيـمٍ عـاقـلٍ مُـتـجـاهـلِ

وقال آخر:

ومَا خصمَ الأقْوامَ منْ ذي خُصُومةٍ ... كـمـثْـلِ بـصـيـرِ عـالـمٍ مـتـجـاهـلِ

● **القائمُ في المناظرة مقام الغيب**

وقال شاعر:

ومـشـهـدٍ قـد كـفـيـتُ الـغـائـبـيـنَ بـه ... في مجمَعٍ من نواصي النّاس مشهودِ[6]

---

(١) لم (هنا): كناية عن السؤال.

(٢) خصْم: قد يجيء هكذا للأثنين والجمع والمؤنث ـ الهتْر: الكذب والهُتر (بالضم): ذهاب العقل والهاتر اسم فاعل من هتر (عرضه): مزّقه.

(٣) ظأره (على الأمر): أكرهه عليه ـ خسَأ الباطل: مَرده وزجره.

(٤) العتّابي: هو كلثوم بن عمرو من شعراء بغداد، وأصوله شاميّة من حلب. كان يجيد الفارسية ويذهب مذهب المعتزلة. مات سنة ٢٠٨ هـ (٨٢٣م).

(٥) ارعوى: ارتدع وعاد إلى الصواب. (٦) نواصي الناس: كناية عن صفوتهم والنخبة منهم.

من غير أن يُدْخلاه، والمستخفّ بالسلطان، والجالس مجلساً ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على من لم يسمع منه.

الأدب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين، والتوفيق خير قائد، والاجتهاد أربح بضاعة، ولا مال أعود من العقل، ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا ظهير[١] أوثق من المشورة، ولا وحدة أوحش من العجب.

● **تسع خصال**

تسعة لا ينامون: مدنف[٢] لا طبيب له، والكثير المال يخاف على ماله، والهامّ بدم يسفكه، ومتمنّى الشر للناس العامل في غشهم، والمحارب يخاف البيات، والغارم لا مال عنده، والعاشق لا ينال بغيته، والمطلع على السوء من أهله، والمغصوب ماله.

● **عشر خصال**

عشرة يمتحنون عند أعمالهم: المقاتل عند الحرب، والقِنَعُ عند الحاجة، وذو التؤدة عند الغضب، والتاجر عند المبايعة، والصديق عند الشدائد، والعالم عند العلم والناسك عند الصبر على العبادة، والجواد عند العطاء، والأمين عند الوديعة.

عشرة تقبح في عشرة أصناف: ضيق الذرع[٣] في الملوك، والغدر في الأشراف، والكذب في القضاة، والخديعة في العلماء، والغضب في الإبرار، والحرص في الأغنياء، والسفه في الشيوخ والمرض في الأطباء، والتهزؤ في الفقراء، والفخر في القراء.

(٣)

● **مدحُ الراجعِ إلى الحقّ في المناظرة**

قال عمر رضي الله عنه: الرجوع إلى الحقّ خيرٌ من التمادي[1] في الباطل. **وقيل**: المبطل مخصوم، وإن خصم والمحق فالج، وإن خصم.

وقال عمر رضي الله عنه يوماً: أيها الناس ما هذه الصدقات التي أحدثتم لا يبلغني أن أحداً أتجاوز صداق النبي ﷺ إلا استرجعته منه فقامت إليه امرأة **فقالت**: ما جعل الله ذلك إليك يا ابن الخطاب، إن الله تعالى يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾، **فقال عمر**: أما تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت. ناضلت أميركم فنضلته.

وقال الشعبيّ: إنّي لأستحي أن أعرف الحق فلا أرجع إليه.

وقيل لم ير أذعن للحجة إذا لزمته من عمرو بن عبيد.

● **المستمرُ على خطئه وقد بانَ له الصواب**

قال عمارة: أني لأمضي على الخطأ إذا أخطأت أهون عليّ من نقض وإبرام في مجلس واحد.

وقال بعضهم: نعم المركب اللجاج بعد الحجاج.

● **ذمُّ من تشكّك في الضروريات**

قيل: من شكّ في المشاهدات فليس بتامّ العقل.

قال المتنبي:

وليسَ يصحُّ في الأفهام شيءٌ ... إذا احتاجَ النّهارُ إلى دَليلِ[2]

حكى المتكلّمون أنّ جماعةً يلقّبون السوفسطائية، **يقولون**: لا نعرف لشيء حقيقة، ويقولون لمّا كان أحدُنا يرى الشيء في رقدته فيتصور له بصورة ما يشاهده في يقظته، ونرى الصورة في الماء ثم لا حقيقة لها، لم يمتنع أن لا يكون لما نعاينه[3] ونشاهده حقيقة. وذكر بعض العلماء أنه لم يكن قطّ على هذه الصفة أحد وأن السوفسطائية أنما هو شيء من توليدات المتكلمين ومنحولاتهم.

● **ذمُّ القاصِر عنِ المناظرة**

قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[4]، وقيل

---

(١) **التمادي في الباطل**: الإمعان فيه وعدم الارتداع عنه.

(٢) يصورّ أبو الطيب في هذا البيت تداعي المنطق وهيمنة الباطل معتبراً هذه الظاهرة من أخطر ظواهر الانهيار في المجتمع فالنهار لا يحتاج إلى دليل فإذا صار الأمر خلاف ذلك فعلى الدنيا السلام.

(٣) **نعاينه**: نشاهده عياناً. (٤) **القرآن الكريم**: الزخرف/ ١٨

لبعضهم: كيف رأيت فلاناً في المناظرة؟ **فقال**: عيياً غبياً، **وقال** ابن أبي الطاهر في المبرّد:

يفرّ من المناظرِ إن أتاه ... ويرمي من رماه من بعيدِ[1]

ونحوه، ما **قيل**: فلان إذا تباعد ضبح ضبوح الثعلب، وإذا حضر قبع قبوع القنفذ.

● ذمُّ المِراء[2] في المُناظَرة

روي في الحديث من تعلّم العلم لأربعة دخل النار ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء، أو يأخذ به من الأمراء، أو يستميل به وجوه الناس إليه.

قال ابن عباس لمعاوية (رضي الله عنهما): هل لك في مناظرتي في ما زعمت؟ **قال**: وما تصنع بذلك؟ فأشغب بك وتشغب بي فيبقى في قلبك ما لا ينفعك ويبقى في قلبي ما يضرّك.

وقيل: الناس رجلان: عالم فلا تماره، وجاهل فلا تجاره.

وقال زيد بن جندب:

ما كانَ أغنى رجالاً ضلّ سعيُهم ... عنِ الجدالِ وأعناهمْ عنِ الشّغَبِ

وقيل: إذا تشاجرت الخصوم طاشت الحلوم[3] ونسيت العلوم.

وقيل: من ترك المراء فهم وعلم. وروي عن النبي ﷺ: ما ضلّ قوم بعد إذْ هداهم الله إلا بالجدل، **وقال سفيان**: ما ابتدع قوم إلا أعطوا الجدل.

● الحثُّ علَى السؤالِ علَى غيرِ التّعنت

قيل: إذا جالسْتَ عالماً فسَلْ تفقّهاً لا تعنتاً.

وقال مسهر: سألتُ مالكاً عن شيء، **فقال**: لا تسألني عمّا لا تريد فتنسى ما تريد.

وقال النبيّ ﷺ لرجل وقد أكثر من سؤاله تعنتاً: اتركوني ما تركتكم. **وقال** عليه الصلاة والسلام: إن بني إسرائيل هلكوا بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم.

● النّهيُ عنِ المناظَرة ما أَمْكَن

قال ابن المقفع: لا تعرضنّ عقلَك على النّاس، فإذا اضطرك أمر فكنْ كصاحب الشطرنج، يبني أمره على القائمة فإنْ وجد ضربةً غريبة انتهزها، وإيّاك أن تبتدىء في مجلس لمْ تسبر عقول أصحابه، فبينَ العقولِ بوْنٌ بعيد.

---

(١) **المناظر**: اسم فاعل من ناظر (ه): أي باراه وغالبه.

(٢) **المِراء**: الجدال والنزاع واللجاجة. (٣) **الحلوم**: العقول، جمع حلم.

● ذمُّ الجلَبة وخوضُ الكلّ في الكَلام

قيل: لا يميلُ إلى الجلبة واللّجاج إلا من عجز عن الغلبة بالحِجاج. **وقال المأمون** لهاشمي حضر مجلسه فناظره وشغب:

لا ترفعنّ صوتَك يا عبدَ الصمْتِ　　　إنّ الصوابَ في الأسدّ لا الأشدّ[1]

وقال عمر بن عبد العزيز لرجل كان يكثر الصياح والجلبة: اخفِضْ الصوتَ فلو نيل خيرٌ برفعِ الصوت لأدركه الحميرُ والكلاب.

وكان **أحمد بن الخصيب** إذا ناظر شغب وجلب، وربّما رفس من يناظره، **فقال** فيه بعض المحدثين، يخاطب الخليفة **المنتصر**:

قلْ للخليفةِ يا ابنَ عمّ محمّدٍ　　　أُشْكُلْ وزيرَكَ إنّه ركّالُ[2]

قد نالَ من أعراضِنا بلسانِه　　　ولرجلِه عند الصّدورِ مجَالُ

وهذا يقاربُ ما روي أنّه شكا إلى **المأمون** من بعض قضاته، أنه يعضّ الخصوم، فوقّع ليشنق.

وأنشد الأصمعيّ:

حديثُ بني قرطٍ إذا ما لقيتَهم　　　كنزْ والدّبا في العرفَج المتقاربِ

وقال مسلم بن عبّاس:

كأنّ بني رالان إذ جاء جمعُهم　　　فراريجُ يُلْقَى بينهنّ سويقُ

● الحثُّ على المخالفةِ ودفعُ الصوابِ بالخطأ

قالت إعرابية لابنها: إذا جلست مع القوم، فإن أحسنت أن تقول كما يقولون، وإلا فخالف تُذكر ولو كان بتعليق أير حمار في عنقك. **وقال أعرابي**: إذا لم يكن لك في الخير اسم فارفع لك في الشر علماً، **وقال بعضهم**: خالف تُذكر، فقالوا: إنما هو تنكر، **فقال**: هذا أول الخلاف.

● ذمُّ مخالف ألدّ في كلّ صواب

قال الله تعالى: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾[3] وقال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾[5]

وقال الشاعر:

رقيعٌ خصيمٌ في الصّواب كأنّه　　　بردٌ على أهلِ الصّواب موكّلُ

---

(١) **الأسدّ**: الأكثر سداداً أي صواباً.

(٢) **اشكل**: اربط واعقل ـ **ركّال**: كثير الركل، والركل الرفس أو الضرب بالرجل.

(٣) **القرآن الكريم**: مريم/٩٨.　　(٤) **القرآن الكريم**: الزخرف/٥٨.

(٥) **القرآن الكريم**: الأحزاب/١٩.

وقال ديمقراطس: عالم معاند خيرٌ من جاهلٍ منصِف، **فقال تلميذه**: الجاهل لا يكون منصفاً، والعالم لا يكون معانداً.

وقيل: كثرة الخلاف حرب وكثرة الموافقة غشّ.

● المستأذنُ في سُؤال مَسْألة

قال ابن شبرمة لأياس بن معاوية: أتأذنُ لي في مسألة أُلقيها إليك؟ **فقال إياس**: استربت بك حين استأذنت، فإن كنت لا تسوء جليساً، ولا تشين[1] مسؤولاً فهاتِها.

وقال أبو العيناء: لعبيد الله: أسأل أم أسكت؟ **فقال**: إن سألت أفدت وإن سكت كفيت.

● شروطُ المناظَرة

اجتمع متكلّمان، **فقال أحدهما**: هل لك في المناظرة؟ **فقال**: على شرائط أن لا تغضب، ولا تعجب، ولا تشغب، ولا تحكم، ولا تقبل على غيري وأنا أكلمك، ولا تجعَل الدعوى دليلاً، ولا تجوز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلا جوزت إلى تأويل مثلها على مذهبي، وعلى أن تؤثر التصادق، وتنقاد للتعارف وعلى أنّ كلامنا يبني مناظرته على أن الحقّ ضالتُه والرشدَ غايته.

وقال أبو يعقوب الخطابي لجلسائه: إنّما اجتمعتُم للأدب لا بِجوار ولا نسب، فوفوه حقّه ولا تثلبوا أحداً. فمن ثلب ثلب وإيّاكم والمراء في الأديان فإنها مفسدة بين الإخوان، ونقص عند أهل الزمان. وعليكم بالأصول، ولا تكثروا فتملوا واستريحوا إلى ما يوافق من الأدب، فإنه غض أبداً غير مملول، ولا تتجاوزوا في النّحو قدر الحاجة، فغاية الحاذق فيه معروفة.

وقيل: كان يعقوب الخطابي إذا جلس إليه أصحابُه **يقول**: اعفونا من ثلاث وخوضوا بعد فيما شئتم: من ذكر السلف، وأن تقولوا فلان خير من فلان، ومن ذكر القدر.

● مدحُ الجوابِ الحاضِر[2]

قال مسلمة بن عبد الملك: ما أوتي العبد بعد الإيمان بالله شيئاً أحبّ إليّ من جواب حاضر، لأن الجواب إذا كان بعد نظر وتفكّر، لم يكن بشيء. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾[3] إلى قوله: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾[4]، **وقال عمرو ابن العاص**: ما اتقيت جواب أحدٍ من الناس غير جواب **ابن عبّاس** (رضي الله عنه)،

---

(١) **لا تشين**: لا تعيب.

(٢) **يريد بالجواب الحاضر**: الجواب الذي يأتي عفو الخاطر بالبديهة ودونما تدبّر أو إطالة نظر.

(٣) **القرآن الكريم**: البقرة/ ٢٥٨.　　(٤) **القرآن الكريم**: البقرة/ ٢٥٨.

لبداهته. وقال الحجّاج: من لم يخف الجواب تكلّم، ومن خافه تبكّم.

قال الشاعر:

ما أحرّ الكلام يرحمك الله ولكنّ أحرُّ منه الجوابُ

- **إضجاعُ القسيّ، والاعتمادُ عليها في الخطاب**

وما جاء من الأجوبة الجيّدة فهي مذكورة في أمكنتها المختصّة بها. كانت العرب إذا اجتمعت للمناظرة والمفاخرة يضجعون قسيّهم ويعتمدون عليها.

وقال الحطيئة في مرثية:

أم من لِخَصْمٍ مُضْجِعينَ قسيَّهُمْ ... ميلٍ خدودُهُمْ عِظامِ المَفْخرِ

وقال:

إذا اقتسمَ النّاسُ فضلَ الفخارِ ... أطَلْنا على الأرض ميْلَ العَصا

(٩)

ومما جاء في وصف الشعر والشعراء

- **الرخصةُ في نسجِ الشعرِ وإنشادهُ**

قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت: أهجُهم وروحُ القدس معك. وقد مدحه غيره شاعر فحباه وأجازه[١] وكان **أبو بكر وعمر** رضي الله عنهما شاعرين **وعليّ** رضي الله عنه أشعر منهما، ولما قال **الجعدي** فيه ﷺ:

بلغْنا السما عن جدّنا وجدودِنا ... وإنّا لنرجو فوقَ ذلك مظْهرا

قال له النبي ﷺ: إلى أين؟ **فقال:** إلى الجنّة يا رسول الله **قال ﷺ:** لافضّ فوك.

وروى **أبو الغطريف** الأسدي عن جدّه **قال:** عدنا رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه، فسمعته يقول: لا بأس بالشعر لمن أرادَ انتصافاً من ظلم واستغناءً من فقر، وشكراً على إحسان.

وعاب بعضُ النّاس الشعر عند **ابن عبّاس**، وكان قد قام إلى الصلاة فقال:

إن يصدقِ الطّيرُ ننك لميسا

ثم قال عقيبه: الله أكبر ودخل في الصلاة. وقال **أبو بكر** رضي الله عنه كنت عند النبي ﷺ وشاعر عنده ينشده، **فقلت له:** أشعر وقرآن؟ **فقال** هذا مرّة وهذا مرّة.

---

(١) **أجازه:** زكّاه.

● جوازُ إجازةِ الشّعراء

قال النبي ﷺ: إعطاء الشعراء من برّ الوالدين. **وقال ﷺ** في شاعر مدحه وعاتبه في بعض ما فعله: اقطعُوا لسانه يعني بالعطية.

وأعطى الزهري شاعراً، فقيل له في ذلك، **فقال**: إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر.

وحرم الشعراء الحجّاج في أوّل مقدمه العراق، فكتب إليه عبد الملك: أجز الشعراء فإنهم يجتبون[1] مكارم الأخلاق ويحرضون[2] على البرّ والسخاء.

قال الشاعر:

صونُوا القريضَ فإنّه ... مثلُ المياسم في المواسم[3]
الشعرُ جامعةُ المفا ... خرِ والمحاسنِ والمكارمِ

● منفعةُ الشّعر

قال الحجّاج للمساور بن هند لم تقول الشعر، **فقال**: اسقي به الماء وارعى به الكلأ، وتقضى لي به الحاجة. وإن كفيتني تركته.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الشعر يسكن به الغيظُ، وتطفأ به النائرة، ويتبلغ القوم ويعطى به السائل.

وقال: نعم الهدية للرجل الشريف الأبيات يقدّمها بين يدي الحاجة يستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم.

وقال عبد الملك تعلّموا الشعر ففيه محاسن تُبتغى ومساوىء تُتقى.

وقال ابن الرومي:

وما المجْدُ لولا الشعرُ إلا معاهِدٌ ... وما النّاس إلا أعظُمٌ نخِراتُ

وقال أبو تمّام الطائي:

ولولا خلالٌ سنّها الشعرُ ما درتْ ... بغاةُ العلا من أين تُؤتى المكارمُ[4]

● ذمُّ نسجه والتكسّب به

قال الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾[5]، **وقال ﷺ**: لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً، خيرٌ له من أن يمتلىء شعراً. **وقال ﷺ**: شرّ الناس من أكرمه الناس اتقاء لسانه. **وقيل**: لا تؤاخي شاعراً فإنه يمدحك بثمن، ويهجوك مجاناً. وسئل بعضهم عن حوك الشعر **فقال**: هو أسرى[6] مروءة الدني وأدنى مروءة السري.

---

(١) **يجتبون**: يصطفون ويختارون. (٢) **يحرّضون**: يحثون.

(٣) **القريض**: الشعر ـ يدعو إلى صون الشعر لأهميته وخطورته في حياة الفرد والجماعة.

(٤) **بغاة العلا**: الذين يبتغون المجد. (٥) **القرآن الكريم**: الشعراء/ ٢٢٤.

(٦) **أسرى مروءة**: أكثر مروءة وسخاء.

وسئل عوف بن أمية السكوتي عن نسج الشعر فقال: إن جددت كذبت، وإن هزلت أضحكت، فأنت بين كذب وإضحاك.

وقيل للبيد: لم لا تقول الشعر؟ فقال: في سورة البقرة وآل عمران شغل عن الشعر:

الكلبُ والشاعرُ في منزلِ ... فليتَ أنّي لم أكنْ شاعِرَا
هلْ هو إلا باسِطٌ كفَّه ... يستطعمُ الواردَ والصادِرَا

وقال: ما أجد آكلاً للسحت[1]، ولا أوضع ولا أطمع وأطبع، وأقلّ نفساً من شاعر متكسب بشعره.

وقال الحسن رضي الله عنه في الفرزدق[2] حين أوعده بالهجاء: هذا الذي جعل إحدى يديه سطحاً والأخرى سلحاً، فقال: إن أصلحتم سطحي وإلا رميتكم بسلحي. ولما حبس عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة بسبب الزبرقان ثم عفا عنه، قال: إياك والشعر فأخرج لسانه وقال: ما لأولادي كاسب غيره[3] قال عمر: فلا تهجهم. فقال: إن لم أهجهم لم يفرقوني[4] فلا يعطوني. قال: فاذهب فبئس الكسبُ كسبك.

● **تعظيمُ الشعر**

مرّ الفرزدقُ بمؤدّب، وكان ينشد عليه صبيّ، قولَ الشاعر:

وجلا السيولُ عن الطلولِ كأنها ... زبرٌ تجدّ متونَها أقلامُها[5]

فنزل وسجد فقال المعلم: ما هذا؟ فقال هذه سجدة الأشعار نعرفها كما تعرفون سجدة القرآن.

ولما قدم أبو تمّام على الحسن بن رجاء، فأنشده قصيدته فيه حتى انتهى إلى قوله:

لا تُنكري عطْلَ الكريم من الغِنى ... فالسيْلُ حربٌ للمكانِ العالي[6]

قام قائماً، وقال: والله ما سمعتها إلا وأنا قائم، لما تداخله من الأريحية فلما فرغ قال: ما أحسن ما جلوت هذه العروس. فقال أبو تمام: لو أنها من الحور العين لكان قيامك أوفى مهر لها.

---

(١) السحت: ما خبث وقبح من المكاسب، الحرام.

(٢) أحد شعراء المثلث الأمويّ والآخران هما الأخطل وجرير.

(٣) قوله: ما لأولادي كاسب غيره، يعني أن لسانه هو سبب كسبه رزقهم فالناس يعطونه خوفاً من هجائه.

(٤) يفرقوني: يخافوني.

(٥) هذا البيت من معلقة لبيد بن ربيعة، وفيه يقول: بأن السيول كشفت عن الأطلال، فبدت كأنها زُبر أي كتابة تجدّدها الأقلام.

(٦) يقول أبو تمّام للتي نفت عنه الكرم لأنه ليس غنياً: إن الكريم أشبه بالقمة العالية التي لا يستقر عليها الماء كما لا يستقرّ المال في يد الكريم وهو لذلك عاطِلٌ عن الغنى.

● **ما استحبَّهُ الأكابرُ من فرص الشعر**

قال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم: إنك قد لهجت بالشعر فإيّاك والتشبيب[1] بالنساء فتعرّ شريفة؛ والهجاء فتهجّن كريماً أو تثير لئيماً؛ وإيّاك والمدح فهو كسب الأنذال. ولكن افخر بمآثر قومك وقلْ من الأمثال ما تزين به نفسَك وتؤدب به غيرَك، وإن لم تجد من المدح بدّاً فكن **كمالك المرادي** حين مدح فجمع في المدح بينَ نفسه وبين الممدوح، **فقال**: أحللت رحلي في بني ثعل، إنّ الكريم للكريمِ مَحلّ.

قال الشاعر:

أشغل قريضك بالنسيبِ وبالفكاهةِ والمِزاحِ[2]
يا مادحَ القومِ اللئامِ وطالباً نيلَ السّماحِ[3]

● **مدحُ جماعةٍ من الشّعراء وتفضيلُ بعضِهم على بعض**

ذُكر امرؤُ القيس عند النبي ﷺ فقال: ذاك رجل مذكور في الدنيا منسيّ في الآخرة، يجيء يومَ القيامة وبيده لواء الشعراء يقودهم إلى النار.

قال الأصمعي: ما رأيت خمسة من العلماء قط إلا وأربعة منهم يقدّمون **امرأ القيس** ولا أربعة إلا وثلاثة منهم يقدّمونه.

وسئل بعضهم من أشعر العرب: فقال: امرؤ القيس إذا ركب[4]، **والأعشى** إذا طرب[5] **وزهير** إذا رغب[6]، **والنابغة إذا رهب**[7]

وكان أبو عمرو يكثر وصف **النابغة الذبياني** وطبعه وحسن ديباجته، ويقدّمه بعد **امرىء القيس**.

وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: **قال**: لي **عمر** رضي الله عنه، وأنا أسايره: أنشدني

---

(١) **التشبيب بالنساء**: الغزل بهن.

(٢) و (٣) **القريض**: الشعر ـ **النسيب**: الغزل ـ **السماح**: الكرم والعطاء.

(٤) أشعرهم إذا ركب أي أشعرهم إذا ركب فرسه فقد كان أوصف الجاهليين للخيل والنساء، وقد أعجب النقاد بأبياته في معلقته التي وصف بها الجواد ومنها قوله:

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطّه السيل من عل

(٥) **وقوله**: والأعشى إذا طرب، إشارة إلى شربه الخمر فهو إذا شربها طرب وتحركت شاعريته.

(٦) **وقوله**: وزهير إذا رغب يفيد أنّ زهير بن أبي سلمى كان إذا أعجب بالممدوح وحرّك العطاء مكامن نفسه يسمو بمدائحه.

(٧) **أما قوله**: والنابغة إذا رهب فتفسيره متصل بخبره مع الملك النعمان الذي كان أهدر دمه إثر وشاية اتهمته بالمتجردة امرأة الملك، فانبرى النابغة يعتذر للنعمان ويرد التهمة عن نفسه، فحرك الخوف شعوره فأجاد في هذا اللون من شعره.

لأشعرِ شعرائكم، فقلت: من هو؟ فقال: هو زهير. إنه لا يعاظل[١] بين الكلام ولا يتّبع حوشيّه[٢]، ولا يمدح الرجلَ إلا بما يكون في الرجال، قال ابن سلام: لم يبق في وصف الشعر شيئاً، إلا أتى به في هذا الكلام.

وكان معاوية يسمّي الأعشى «صناجة العرب»[٣] يعني أنه يطربُ إطرابها.

وقال محمد بن سلام: سألت عمر بن معاذ التيمي عن أشعر الناس، فقال: أوس بن حجر[٤] وأبو ذؤيب[٥] فقلت: أليس النبي ﷺ يقول يجيء امرؤ القيس يوم القيامة وبيده لواء الشعراء؟ فقال: اللواء إنما يكون مع دون الأمير.

وذكرَ قومٌ جريراً والفرزدق، فقال بعضهم: جرير كان أنسبهما وأسهبهما.

وسئل آخر عنهما فقال: جرير يغرفُ من بحر[٦]، والفرزدق ينحت من صخر[٧] فقال الذي يغرف من بحر أشعر، وقال مروان بن أبي حفصة:

ذهبَ الفرزدقُ بالفَخَار وإنّما ... حلوُ الكلام ومرُّه لجريرِ

ولقد هجا فامضّ أخطل تغلبٍ ... وحوى اللُّهى بمديحِه المشهورِ

كلُّ الثلاثةِ قد أبرَّ بمدحه ... وهجاؤه قد سارَ كلَّ مسيرِ

● الممدوحُ بإجادةِ نسجه والتمدّح بذلك، والحثُّ عليه

ذكر عند أبي بكر رضي الله عنه الشعراء، فقال: أشعر الناس النابغة أحسنهم شعراً، وأعذبُهم بحراً وأبعدهم غوراً.

وقول عمر رضي الله عنه في زهير من هذا الباب وقد تقدم آنفاً. وقيل: فلان إذا قال أسرع، وإذا مدح رفع وإذا هجا وضع. وسئل البحتري عن أبي تمام، فقال مدّاحة نواحة[٨]، عديّ بن الرقاع:

وقصيدة قد بتّ أجمع بينَها ... حتى أقوّم ميلَها وسنادَها

---

(١) يعاظل: المعاظلة هي تعقيد الكلام والإتيان بالرجيع من القول.

(٢) الحوشي: الغريب.

(٣) صنّاجة العرب: لقب غلب على الأعشى لأنه كان يطوف في أحياء العرب فيمدح كبار القوم فيسير شعره بين القبائل والصنّاجة (صيغة فعّالة) صاحب الصّنج وهو من آلات الطرب ذات أوتار، والصّنج: الطبل.

(٤) أوس بن حَجَر: من شعراء الجاهليّة وهو أحد المعمّرين عاش نحواً من تسعين عاماً بين ٥٣٠ و٦٢٠ للميلاد.

(٥) أبو ذؤيب: هو أبو ذؤيب الهذليّ، أحد شعراء الجاهلية والإسلام. شارك في فتح إفريقيا ومات في مصر سنة ٢٨هـ (٦٤٨م).

(٦) يغرف من بحر: كناية عن سهولة شعره وسلاسة لفظه.

(٧) ينحت من صخر: كناية عمّا في شعره من المتانة وشدّة الأسر والغريب.

(٨) مدّاحة نوّاحة: أي يجيد في مدحه ورثائه.

نظرَ المثقِّفِ في كُعوبِ قناتهِ ... حتّى يقيمَ ثقافُه منآدَها[1]

وقال يزيد بن الحكم، متهكماً **بحمزة بن بيض**: إنك لأستاذ الشعر. **فقال**: إني لأدق الغزل وأصفق النسج وأرق الحاشية.

ويقال: شعر مخشوب إذا كان جديداً لم يثقف. **وقال ابن مقبل**: إني لأرسل القوافي عوجاً، فتأتيني وقد ثقفتها. **وقيل**: استجيدوا القوافي فإنها جراز[2] الأشعار.

● الموصوفُ بالسّلامةِ من الشّعر

قال أبو تمّام:

يودُّ وداداً أنّ أعضاءَ جسمِه ... إذا أنشدت شوقاً إليها مَسامِعُ

وقال إبراهيم بن رجاء: يطيب بأفواه الرماة سماعها. **وقال الناشي**:

إنما الشعرُ من تحصل من قبـ ... ـلِ ظهور الأقوالِ في الأذكارِ
فأتى لفظُه يطابقُ معنا ... هُ بحسْنِ الإيرادِ والإصدارِ
مطمع مؤيس قريبٌ إلى الفهـ ... ـم بعيدُ الأغوار ضاحي القرارِ

وقيل لمعتوه: ما أجود الشعر؟ **فقال**: ما دلّ صدره على عجزه. ولم يحجبه شيء دون بلوغه.

● شاعرٌ رديء النّسج

أنشد رجل شعراً **فقال** لصاحبه: كيف تراه؟ فقال: سكر لا حلاوة له.

وأنشد عمارة شعر أبي العتاهية فمجه[3] سمعه **وقال**: هو أملس المتون قليل العيون. وما كان مثله من الشعر يسمى مغسولاً

وأنشد رجل أعرابياً شعراً **وقال**: هل تراني مطبوعاً؟ فقال: نعم على قلبك.

وأنشد رجل **الفرزدق** شعراً وقال: كيف تراه؟ فقال لقد طاف **إبليس** بهذا الشعر في الناس فلم يجد أحمق يقبله سواك.

وقال شاعر:

وأبو الدفاتر لا يزالُ يجيئُنا ... بقصيدةٍ قد قالَها منْ دفترِ

وقال آخر:

وباتَ يدرسُ علماً لا قرانَ له ... قد كانَ ثقّفه حوْلاً فما زادا[4]

---

(١) **المثقف**: هو الذي يعمل في تقويم الرماح ـ **المنآد**: المعوج.
(٢) **الجراز**: من الجرز وهو لحم ظهر الجمل، **وقوله**: جراز الأشعار كناية عن كونها عمود الشعر.
(٣) **مجه**: طرحه ولم يستحسنه. (٤) **الحول**: العام، السنة.

وقال ابن أبي عيينة:

أقَمْتَ حوْلاً على بيتٍ تقوّمهُ فلمْ تصِبْ وسطاً منه ولا طرَفاً

● **شعرٌ رديءُ النّسج**

أنشد ابن الأعرابي:

وشعرٌ كبَعْرِ الكبْشِ فرّقَ بينَه لسان دعيٍّ في القريضِ دخيلِ[١]

وقال العجاج[٢] في ابنه: إنه يقول الشعر وابن عمه، وفي مثل هذا الشعر.

قال بعضهم:

وبعضُ قَريضِ الشعر أولادُ علّة يكدّ لسانَ النّاطقِ المتحفّظِ

وقال ابن الحجّاج[٣]:

فمنْ كانَ يحوْي العطرَ دكانُ شعره فشعري بيتا مستراحٍ ومخرجِ

وقال الجماز:

كأنّ أشعارَه إذا انتقدتَ أنصافُ كتبٍ ليسَت بمؤتَلِفَه

● **نهيُ المسيء عن نسْجه**

قيل لابن المقفع: لم لا تقول الشعر؟ قال: لأن الذي أرتضيه لا يجيبني، والذي يجيبني لا أرتضيه. وعرض رجل على أديب شعراً فقال: أخبأه كما تخبأ الهرة خرءها.

وقال شاعر:

لا تعرضنّ الشعْرَ ما لمْ يكُنْ علمُكَ في أبحره بحْراً
فلا يزالُ المرءُ في فُسْحَةٍ من عقلِهِ ما لمْ يقُل شِعْراً

وقال الوائلي:

وحاطبُ ليلٍ في القَريض زجرتهُ وقلتُ له قولَ الفصيحِ المجَاملِ
إذا أنتَ لم تقدِر على درّ لجّه فدعْه ولا تعرِضْ لحصباءِ ساحلِ[٤]

---

(١) الدعيّ: المدعي، ودعيّ القريض المتطفل في باب الشعر.

(٢) العجّاج: أحد كبار شعراء الرجز في العصر الأمويّ.

(٣) ابن الحجّاج: هو عبد الله بن الحجاج أحد الشعراء الصعاليك. وكان يؤيد عبد الله بن الزبير، وحين مات ابن الزبير استرضى ابن الحجّاج عبد الملك فعفا عنه وأثابه.

(٤) الدرّ: اللؤلؤ ـ ولج البحر: لججه وأمواجه ـ يقول: إذا لم تكن قادراً على الغوص في لجج الشعر فدعك من حصى ساحله أي ابتعد عن سفاسف الشعر إذا أعوزتك الشاعرية.

- **مفاضَلةُ البَديهةِ والرويّة ومدحُ الطّبع**

قال ابن الرومي في الحكم بينهما:

نـارُ الـرويّـة نـارٌ غـيـرُ مـنـضـجَـةٍ ولـلـبـديـهـةِ نـارٌ ذاتُ تـلـويـحِ
وقـدْ يـفـضـلـهـا قـومٌ لـعـاجِـلـهـا لـكـنّـه عـاجـلٌ يـمْـضـي مـعَ الـريـحِ

وقال معاوية لابن العاص[1]: أنا آدب منك، **فقال**: أنا للبهدية وأنت للرويّة[2]، وبينهما بون[3]

وممّا يؤكد تفضيل البديهة قول العبديّ في وصف البلاغة: أنْ تصيبَ فلا تُخْطىء وتعجَل فلا تبطِىء. **وقيل**: خير الفقه ما حاضرتَ به.

وقال الحطيئة:

فـهـذا بـديـهـةٌ لا كـتـحـبـيرِ قـائـلٍ إذا مـا أرادَ الـقـولَ زوّره شـهـرا

واجتمع ابن مناذر **وأبو العتاهية، فقال** أبو العتاهية: كم بيتاً تقول في اليوم؟ **قال**: مقدار عشرة أبيات. فقال أبو العتاهية: فأنا أقول مائتين. **فقال**: فإنك تقبل من شيطانك نحو: ألا يا عتبة الساعة، أموت الساعة الساعة، ولو أني أقول مثل ذلك لقلت ألوفاً.

قال المتنبّي:

أبلغُ ما يطلب النجاحُ به الطبْعُ وعنْد التعمُّقِ الزلَلُ

- **المعتذرُ لرفض طريقَة من النسج**

قيل لنصيب[4]: إنك لا تحسن الهجاء، **فقال**: من ذا الذي لا يحسن مكان عافاه الله أخزاه الله، ولكنّي رأيت الناس ثلاثة رجال: رجلاً لم أسأله فلا ينبغي أن أهجوه، ورجلاً سألته فمنحني وهو الممدوح، ورجلاً سألته فلم يعط. فنفسي أحق بالهجاء إذ سوّلت لي أن أسأله.

وقال عبد الملك للعجّاج: بلغني أنك لا تحسن أن تهجو، **فقال**: من يقدر على تشييد أمكنة يمكنه إخرابها، **فقال**: ما يمنعك من ذلك؟ **قال**: أن لنا عزّاً يمنع من أن نُظلم، وحلماً يمنع من أن نظلم، فعلام الهجاء؟ **فقال**: كلامك أشعرُ من شعرك.

---

(١) ابن العاص: أي عمرو بن العاص.

(٢) الرويّة: إطالة النظر والقدرة على التأمل في طبيعة الأمور.

(٣) معناه أن مجاوزة الحدّ والمبالغة سبيل إلى الزلل والخطأ فالنجاح وليد ما يفعله الإنسان بطبعه وليس وليد التكلّف.

(٤) **نصيّب**: من شعراء الحجاز في العصر الإسلامي، وهو نوبي الأصل وأسود اللون، وكان مولى لكناني من أهل ودّان قرب مكة. وقد اتصل نصيب بعبد العزيز بن مردان بمصر فحرّره فحفظ يده ومدحه (انظر الأغاني ١/ ٣٢٤، والشعر والشعراء والموشح للمرزباني).

قال جرير: ما عشقت قط ولو عشقت لشببت، فإذا سمعت العجوز بكت على ما فات من شبابها، وإني لأرى الرجز مثل آثار الخيل في الثرى، ولولا أن سبق إليه غيري لأكثرت منه.

وقيل لأبي يعقوب: شعرُك في مراثي الحسن ليس كشعرك في مدحه، فقال: أين شعر الوفاء من شعر الرجاء.

● **المهجوّ بأنه ينتحِلُ الأشعار**

قال أبو هفان: إذا أنشدكم شعراً، فقولوا أحسن الناس. ونظر أبو تمّام إلى سليمان بن وهب، وقد كتب كتاباً، فقال: كلامك ذوب شعري.

وعرض رجل على ابن الجلاب قصيدة للمتنبي وادعى أنه قالها، فقال ابن الجلاب: هذه للمتنبي. فقال الرجل: هي قصيدتي ومسودّتها عندي. فقال ابن الجلاب: فمبيضتها للمتنبي عندي.

وقال الصاحب لرجل عرض عليه شعراً: لو حللت عقاله لحق بأربابه.

وقال أبو محمد بن المنجم: أنشدت أبا القاسم الزعفراني قول الصاحب. رقّ الزجاج وراقت الخمرُ، (البيتين) فقال: لعن الله قائلهما فقد سرقهما من أبي نواس، فقلت: هما للصاحب. فقال: لعن الله أبا نواس فقد سرقهما من مولانا الصاحب. فقلت كيف سرق أبو نواس من مولانا الصاحب فقال: دعنا من هذا ما سرق إلا منه.

● **السالبُ غيرَه شعْراً قهراً**

وقف الفرزدق على الشمردل فاستنشده شعراً فأنشده:

وما بينَ منْ لمْ يعطِ سمْعاً وطاعةً وبيْن تميم غيرُ جزّ الغلاصم[1]

فقال: والله لتتركنّ لي هذا البيت، أو لتتركن عرضكَ، فقال: خذه لا باركَ الله لك فيه.

وقال رؤبة: خرجت مع أبي فقال في الطريق أبوك راجز وجدّك وأنت مفحم فأنشدته:

كمْ قدْ حسَرْنا من عذرة عنس

حتى أتيت على آخرها، فقال: اسكت فضّ الله فاك. فلما انتهينا إلى سليمان أنشده إيّاها فأمر له بعشرة آلاف درهم. فقلت له في ذلك، فقال: سر فأنت أرجز الناس. فسألته أن يجعل لي نصيباً مما أعطى فأبى. ودخل ابن زهير على معاوية فأنشده:

لعمرُكَ ما أدري وإنّي لأوجلُ على أيّنا تغدو المنيةُ أوّل

(الأبيات) وهي في الحماسة فقال له معاوية: عهدي بك لا تشعر. فما لبث أن دخل

---

(١) الجزّ: القطع ـ الغلاصم: جمع الغلصمة: اللحم بين الرأس والعنق.

معن، فأنشده هذه الأبيات. فالتفت معاوية إلى ابن زهير فقال: كيف انتحلتها فقال: إن معناً أخي من الرضاع وأنا أحقّ بهذا الشعر منه.

● **التواردِ في الشعْر وادعاء ذلك**

التواردُ أن يتفق الشاعران في معنى، من غير أن يسمع أحدُهما بمقالة الآخر. وسئل أبو عمرو بن العلاء[1] رحمه الله تعالى: كيف يتفق الشاعران؟ فقال: عقول رجال توافت على ألسنتها.

ولأحمد بن أبي طاهر يعتذر لشعر ادّعى البحتري أنه سرقه منه:

الشعرُ ظهرُ طريقٍ أنتَ راكبُه ... فمنه منشعبٌ أو غيرُ منشعبِ
وربّما ضمّ بين الركب منهجَه ... وألصقَ الطنبَ العالي إلى الطنبِ

وقال آخر وقد أتى سلطاناً يمدحه فحرمه وزعم أنه مسروق:

وهبْني سرقتُ الشعرَ ثمّ مدحتُه ... أما كانَ يؤتيني عليهِ جَزائِيا

وقال أبو المضاء:

لو أنّ جريراً جاءَه في زمانِه ... وأنشدَه شعراً لقال تنحّلا

وقال أبو تمام في مدح شعر غير مسروق:

منزّهةٌ عن السَّرقِ المُورى ... مكرمةٌ عنِ المعنى المُعارِ

● **شعرٌ أعاده قائلهُ في غيرِ الممدوح**

أنشد أبو القاسم بن أبي العلاء يوماً شعراً كاتب به رئيساً وكنّا سمعناه منه قبل. فعوتب في ذلك فقال: أنا نظمته أقلّد به من أشاء.

وكان قد وقع إلى أبي الفضل بن العميد قصيدة المتنبي التي أولها:

أغالبُ فيكَ الشوقَ والشوقُ أغلبُ[2]

فلما ورد عليه مدحه بها وبدل قوله:

أبا المسكِ هلْ في الكأسِ فضلٌ أنالُه ... فإني أغنّي منذُ حينٍ وتَشرَبُ[3]

فجعله أبا الفضل. فلما أنشدها استطال وتكبر وأظهر إعجاباً بها فقال أبو

---

(١) أبو عمرو بن العلاء: أحد أئمة اللغة والأدب في العصر العبّاسي.

(٢) مطلع قصيدة قالها المتنبي في مدح كافور الإخشيدي في مصر سنة ٣٤٧ هـ (٩٥٨م). قبل فراره إلى العراق واتصاله بابن العميد.

(٣) أبا المسك: كنية كافور. وقد عيب المتنبي بهذا البيت لما فيه من الاستجداء والتذلّل وهما يناقضان ما عرف عنده من الترفّع والإباء.

الفضل لبعض ندمائه أخرج هذه القصيدة لينخفض فلما رآها تبسّم وخجل.

● شعرٌ يدلُّ على همّة قائلهِ وحاله

قال المأمون يوماً لمن حضره: أنشدوني بيتاً لملك يدل عليه بيته وإن لم يعرف، **فأنشد:**

أمِنْ أجلِ أعرابيةٍ حلّ أهلُها ... جيوبَ الفلا عيناك تبتدرانِ

فقال: ما يدل هذا على أنه لملك، بل يجوز أن يكون هذا لسوقة من أهل الحضر **ثم قال:** الدالّ على ذلك قولُ **يزيد بن عبد الملك:**

اسقني من سلافِ ريقِ سليمى ... واسقِ هذا النديمَ كاساً عقارا[1]

فإشارته إلى النديم تؤذن بأنه ملك.

وقوله: لي المخضُ من وُدّهم، ويغمرُهم نائلي.

وقال صالح بن حسان، للهيثم بن عدي: أعلمتَ أن النابغة الذبياني كان مخنثاً؟ **فقال:** ما علمت ولا سمعت. قال: فكيف قلت؟ قال لقوله: **سَقَطَ النصيف ولم ترد إسقاطه،** (البيتين) والله ما يحسن هذه الإشارة إلا مخنّث. فسمع ذلك رجل من قيس فقال: بل صاحبك **الأعشى**[2] هو المخنّث حيث يقول:

قالتْ هريرة لما جئتُ زائرَها ... ويلي عليك وويلي منك يا رجُلُ

● النابغُ في الشّعر بعْد أنْ كانَ مكْدياً

قال السيّد الحميري[3]: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، كأنه في حديقة سبخة فيها نخل طوال، وبجنبها أرض كأنها كافورة، ليس فيها أشجار، **فقال لي:** أندري لمن هذه النخيل؟ فقلت: لا **فقال: لامرىء القيس،** فاقلعها واغرسها في هذه ففعلت. فلما أصبحت أتيت ابن سيرين فقصصت رؤياي عليه، **فقال:** أتقول الشعر؟ قلت: لا **فقال:** أما أنك ستقول مثل شعر **امرىء القيس،** إلا أنك تقوله في قوم طهرة فما انصرفت إلا وأنا أقول الشعر والنابغتان سمّيا بذلك لأنهما عاشا دهراً لا يقولان شعراً ثمّ نبغا فيه.

---

(١) **السلاف:** الخمر المعتّقة الجيّدة.

(٢) **الأعشى:** هو ميمون بن قيس من فحول الشعراء في الجاهلية، قيل إنه أدرك الإسلام، وقصد النبيّ فصدّته قريش عن السير إليه فعاد إلى قومه فمات في الطريق.

(٣) **السيّد الحميري:** هو أبو هشام إسماعيل بن محمد بن ربيعة بن مفرّغ أحد الشعراء البصريين. ولد سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣م)، وهو من أتباع الفرقة الكيسانية القائلين بعودة الإمام محمد بن الحنفية. مات في واسط سنة هـ (٧٨٩م).

● **تسهيلُ قولِ الشّعر على ذي آلته**

عمل سقراط بيتين، **فقيل له**: ما أحسن ما قلت. **فقال**: إن حفر بئر بقرب قناة يجري منها الماء، سهل. **قال البديهي**:

وأرى القَوافي لا تصيرُ مطيعَةً إلا إلى المثْرينَ منْ أدواتِها
والطبْعُ ليس بمقنعٍ إلا إذا حصلتْ إضافتُه إلى آلاتِها

وقال آخر:

وما الطبْعُ مغنٍ وحدَه في نظامِه ولا العِلْمُ من حدّ الطِّباع بنائِبِ
إذا لمْ تكُنْ مجموعةً أدواتُه فأيسرُ مبْناه كنسج العنَاكبِ

وقيل: أصح الشعر وأسهله ما يقوله من بعثه أنف[1] أو دخله كلف[2]

● **مَنْ تداخلُه لسمَاعه الأنفةُ والحميّة**

كان بالمدينة فتى يتعشق امرأة، فوعدته يوماً، فلمّا اجتمعا غنّت مغنية بهذا الصوت:

من الخَفرات لم تفضَح أخاها ولم ترفَع لوالدِها شَنارا[3]

فأبت إلا الخروج فرجعت إلى منزلها، وبعثت إلى الرجل ألف دينار، **وقالت**: إن رغبت في فاجعل هذا مهري واخطبني من أبي.

ودخل رجل على أبي دلف فاستماحه فقال له: أتسأل وجدّك يقول:

ومنْ يفتقِر منّا يعشْ بحُسامه ومن يفتَقرْ من سائر النّاس يسألُ

فقال: نعم، وتضجّر. فلقي وكيلا لأبي دلف يأتي بمال فسلبه. واتصل الخبر بأبي دلف[4] فقال: أنا الذي علمته هذا فدعوه. وهذا الباب من جنس منفعة الشعر.

● **شعرٌ سائرٌ**

قال أبو العتاهية:

في كلّ أرضٍ قرى من منطِقي مثَلاً بين المشاهدِ أو يبْكي به وترُ

وقال الطرمي:

لقد سارَ لي شرْقاً وغرْباً قصائدٌ تغبّرُ حسْناً في وجوهِ القَصَائدِ

---

(١) **الأنف**: مصدر أنِفَ (من العار): ترفّع وتنزّه عنه.
(٢) **الكَلَف**: الولوع بالشيء مع انشغال القلب والمشقّة.
(٣) **الخفِرات**: الحييات جمع خفِرة ـ **الشنار**: العار وأقبح العيب.
(٤) **أبو دلف**: هو القاسم بن عيسى أحد قوّاد الخليفة المأمون ثم المعتصم. مات سنة ٢٢٨ هـ (٨٤٢م) ومن آثاره كتاب «**البزاة والصيد**»، و «**سياسة الملوك**».

وقال المتنبي:

أبقى على كنفِ الأيام من كنفَي ... رضوى وأسيرُ في الآفاق من مَثَلِ

وقال الكِنْدي:

يقصرُ عن مَداها الريحُ جرياً ... وتعجزُ عن مواقِعها السّهامُ

تناهبَ حُسْنَها حادٍ وشادٍ ... فحثّ بها المطايا والمُدامُ[1]

وقال المسيّب[2]:

تردُ المياهَ فلا تزالُ غريبةً ... في القومِ بيْنَ تمثّلٍ وسمَاعِ

وقال النابغة:

أوابدُ كالسّلام إذا استمرّت ... فليْسَ يردّ فدفدَها التمنّي[3]

● **شعرٌ أثّر في المقولِ فيه فرفعَه أو وضعَه**

كان بنو قريع متى قيل لهم أنف الناقة استحيوا، حتى قال فيهم **الحطيئة**:

قومٌ همُ الأنْفُ والأذْنابُ غيرُهمُ ... ومنْ يسوّي بأنفِ النّاقة الذنبَا

فصاروا بعد ذلك يتبجّحون[4] به **ويقولون** نحن من أنف الناقة.

ونمير[5] كانوا يتبجّحون باسمهم حتى قال فيهم الشاعر:

فغضّ الطرْفَ إنّك من نُميْرٍ ... فلا كعْباً بلغتَ ولا كِلابا

فكانوا بعد إذا سئلوا **قالوا**: من بني عامر.

وقال جرير:

والتغلبيّ إذا تنحنحَ للقِرى ... حكّ استَه وتمثّلَ الأمْثالا

فقالوا لو طُعِنوا بعد هذا في أستاههم ما حكّوها.

● **مقاضلةُ قِصار الشعْرِ وطِواله**

قيل لعقيل: لم لا تطيلُ الشعر؟ **فقال**: يكفيكَ من القلادة ما أحاط بالعنق. **وقيل** لآخر ذلك، **فقال**: يكون أحوكَ، وعلى أفواه الرواة أعلق.

---

(١) **الحادي**: سائق الإبل - **المدام**: الخمر.

(٢) **المسيّب**: هو المسيّب بن علس واسمه زهير من شعراء بكر بن وائل، وهو خال الشاعر الأعشى. وكان الأعشى روايته. لقّب بالمسيّب لبيت قاله. والمسيب جاهلي لم يدرك الإسلام. (انظر الشعر والشعراء منشورات دار الأرقم ص ١٠٦ وما بعدها).

(٣) **الفدفد**: المكان الغليظ المرتفع، والفدفد الفلاة، وفي رواية: قوافي كالسلام... أيضاً: مذهبَها التّظنّي.

(٤) **يتبجحون**: التبجّح هو الافتخار والتعاظم والمباهاة. (٥) **نمير**: أي بنو نمير.

وقالت مليكة بنت الحطيئة: يا أبت كنت ترغب عن القصار فصرت ترغب فيها، **فقال**: لأنها في الآذان أولجُ[1] وعلى الفكر أروجَ والنّاس إليها أحوج.

وقيل لآخر مثل ذلك **فقال**: حسبُك غرةٌ لائحة وسمَة واضِحة. **وقال آخر**: إذا مدحتم فأقصروا وإذا هجوتم فأطيلوا فالشرّ لا يملّ. **وقال الصاحب**: إن عبّاد إذا أطال قصّر وإذا قصر لم يقصّر.

● **اعتذارُ من أكْدى[2] في شعره أو نادرتِه**

قال عبد الملك لعديّ بن أرطاة: لم لا تقول الشعر؟ فقال: كيف أقولُه وأنا لا أشرب ولا أطرب ولا أغضب.

وقال الفرزدق: ربّما أتت عليّ ساعة وقلعُ ضرس أهونُ عليّ من قول بيت.

وقال عبيد: حال الجريض[3] دون القريض[4]، واستأذن الغالبي على عبّاد فأذن له، فأنشده:

لـمـا أنـخْـنـا بـالـوزيـر ركـابَـنـا مـسـتـعـصـمـيـنَ بـجُـوده أغـطـانـا
مِنْ لَمْ يزلْ للنّاس غيْثاً ممْرِعاً مـتَـخـرّقـاً فـي جـوده[5]

وأنسي القافية. فجعل يردّد، **فقال عبّاد**: قل: كشجانا أو قرنانا وخلصّني فتذكّر **وقال**: في جوده معوانا.

وتبع رجل جماعة من الشعراء دخلوا على سلطان فلما أنشدوه **قال للرجل**: ما عندك؟ **قال**: أنا من الغاوين. فقال: ما معنى ذلك؟ قال: قال الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾[6] فأنا غاوٍ تبعتهم، فضحك منه وأعطاه.

● **اشتمالُ الشعْر على نقايةٍ ونفايةٍ**

قال أبو عمرو بن العلاء: شعر بشّار سباطة الملوك فيها قطعة ذهب، وما شئت من رماد، والسباطة الكساحة، **وأنشد بعضهم**:

يـا عـائـبَ الـشـعْـر مـهـلاً فـعـيـبُـك الـشـعـرَ عـيْـبُ
الـشـعْـرُ كـالـشّـعـر فـيـهِ مـع الـشّـبـيـبَـةِ شَـيْـبُ

وقال بعضهم في وصف شاعر ثوب بواف ومطرف بآلاف.

وقال شدّاد الأعرابي: مثل الشعر مثل الإبل، فيها الكرامُ والخساس يسدّ بعضها خصاص بعض.

---

(1) **أولج**: أكثر إيغالاً.
(2) **أكدى**: من الكدية وهي السؤال والاستجداء.
(3) **الجريض**: الريق يغصّ به.
(4) **القريض**: الشعر.
(5) **متخرقاً في جوده**. ولم يذكر القافية.
(6) **القرآن الكريم**: الشعراء/ ٢٢٤.

وقيل لجرير: ما تقول في الجعديّ[1]، **فقال**: سوق خلقان[2] ترى ثوباً يروعك وثوباً تستهجنه عينك. **وقيل**: إذا كان الكلام كلّه منقّى لم تبن فيه اللمعة والنكتة، ولذلك لم يستعذب الناس شعرَ صالح بن عبد القدوس[3]، لما كان كلّه حكماً.

وقال المتنبي:

وفي الشعرِ ما تهوى النفوسُ إستماعَه   وفي الشعْر ما قد ضمّه حبلُ حاطبِ

● **ضنُّ الشاعر برديء شعره**

قال عبد الله بن طاهر: آفة الشاعر البخل، لأنه يقول خمسين بيتاً وفيها بيت رديء فلا يحتمل قلبه أن يسقطه.

وقيل: الشاعر كالصيرفيّ يجتهد في أن يروّج ما في كيسه من الزيوف.

● **اعتذارُ من قصّر عن مُساجَلة.**

قال العتّابي:

ولا عارَ إن قصّرتُ دونَ مبرّزٍ   شأى الناسَ قبْلي سعيُه وشَآني[4]

وإنّي كمَنْ جارى جواداً بمقرف   قوائمُه مشكولةٌ بِحرانِ[5]

وممّا يحسن أن يتمثّل به هنا **قول الدارمي**[6]:

كلانا شاعرٌ من قول صدق   ولكنَّ الرّحَى فوقَ الثِّفال

● **قائلُ شعرٍ ذكر أنه استعارَه من المقول فيه**

قال أحمد بن أبي الخصيب:

وإنّي وإن أحسنتُ في القولِ مرّة   فمنْك ومن إحسانِك امتار هَاجِسي

---

(١) **الجعديّ**: هو النابغة الجعدي واسمه عبد الله بن قيس ويكنى أبا ليلى. أدرك الإسلام واعتنقه وحسن إسلامه، وهو من المعمّرين، وكان نادم أبا النعمان بن المنذر، وهو أقدم من النابغة الذبياني كما ذكر ابن قتيبة.

(٢) **الخلقان**: البالي واللفظة للمذكر والمؤنث.

(٣) **صالح بن عبد القدوس**: هو من شعراء بغداد، صلب لأنه كان زنديقاً، وإلى صالح هذا تنسب القصيدة الزينبية وأولها:

صرمتْ حبلَكَ بعدَ وصلِك زينبُ   والدهر فيه تصرّمٌ وتقلّبُ

ولذاك وصل الغانيات فإنّه   آلٌ ببلقعة وبرقٌ خلّبُ

(٤) **شأى الناس**: سبقهم، وتشاءوا: تسابقوا. (٥) **المقرف**: النذل، ووجه مقرف غير حسن.

(٦) **الدارمي**: هو ربيعة بن عامر وهو من بني دارم، ومسكين لقب غلب عليه، فقيل مسكين الدارمي، وفيه يقول:

وسمّيت مسكيناً وكانت لحاجة   وإنّي لمسكينٌ إلى الله راغبُ

(انظر الأغاني: ١٨/٦٨).

تـعـلـمـتُ مـمّـا قـلـتَـه وفـعـلـتَـه		فـأهـديـتُ حلْـواً مـن جـنـايَ لـغـارسِ

وقال ابن طباطبا:

لا تـنـكـرنَّ إهـداءَنـا لـكَ مَـنْـطِـقـاً		مـنـك اسـتـفـدْنـا حـسـنَـه ونـظـامَـه

فـالـلّـهُ عزَّ وجلَّ يـشـكـرُ فـعـلَ مـن		يـتـلـو عـلـيْـهِ وحـيَـه وكـلامَـه

وحُكي أن الصّاحب[١] دخل على عضد الدولة بهمدان، وعضد الدولة مكب على دفتر يقرأه **فقال**: يا أبا القاسم هذه رسالة لك في بعض فتوحنا نحن نأخذها بأسيافنا وأنت تجمّلها بأقلامك، **فقال**: المعنى مستفادٌ من مولانا وإن كانت الألفاظ لخادمه.

ثم أنشده:

وأنتَ أكتبُ منّي في الفُتوحِ وما		تجْري مجيباً إلى شأوي ولا أمَدي[٢]

فقال: لمن البيت؟ **فقال**: لعبدك أبي إسحاق الصابىء. وكان الصابىء محبوساً ببغداد فأمر بالإفراج عنه والخلعة عليه فكان ذلك سبب خلاصه وتقدّمه.

● كلامُ نثرٍ صارَ شعراً من غيرِ قصْد

كتب عقال بن شبة:

لـلأمـيـر الـمـسـيّـب بـن زهـيـر		مـنْ عـقـالِ بـن شـبّـة بـن عِـقـالِ

فاتفق منه شعر

وحضر الصاحب الحسن بن سعد، فرأى على عنوان كتاب: أبو الحسين أحمد بن سعد. فقال هذا شعر ثم قال: قلْ:

إلـى الـهُـمـام الأَرْيَـحـيّ الـفـردِ		أبـي الـحُـسَـيـن أحـمـد بـن سـعْـدِ[٣]

فقال أبو الحسين: علمت بعد ثمانين سنة أن كنيتي واسمي واسم أبي شعر، وعلى ذلك كتب **عبد الله الخازن** على عنوان كتابه:

حضرة الصاحب الجليلِ أبي القا		سـم كـافـي الـكـفـاةِ إسـمَـاعـيـلا

وقال رجل لمناد:

يا صاحبَ المسحِ تبيعُ المِسْحَا[٤]

فقال صاحبه:

تـعـالَ إن كـنْـتَ تـريـدُ الـربْـحـا

---

(١) **الصاحب**: أي الصاحب الطالقاني نسبة إلى طالقان من إقليم أصفهان. كان وزير مؤيد الدولة، ومن الأدباء والشعراء ومن آثاره «**المحيط**» وهو من قواميس اللغة، وهو غير **القاموس المحيط للفيروزأبادي**.

(٢) **الشأو**: الأمد والغاية.

(٣) **الأريحي**: النشيط إلى المعروف.

(٤) **المسح**: الكِساء من شَعَر، والبِلاس يقعد عليه.

فسمع أبو العتاهية ذلك **فقال**: قد قالا شعراً وهما لا يدريان.

- **ما جاءَ من لفظ القرآن والخبر موزوناً**

من ذلك قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1]، ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾[2]

وقال النبي ﷺ: أنا النبيّ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب وكان النبي ﷺ يحرّض أصحابه على حفر الخندق **ويقول**: والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا. وكان أصحابه يجيبونه: أنك لولا أنت ما اهتدينا.

- **متنادٍ في مدحٍ أو هجوٍ أول على ضدّه**

مدح أعرابي نبطياً فقال:

إن أبا الهيجاءِ أرْيَحيّ ... للمريحِ في أثوابه دويّ

فقال النبطيّ عنى أني أفسو. **فقال الأصمعي**: انظروا كيف ضاع هذا البيت. وسمع بعضهم **قول الحطيئة**[3]:

يُغْشَوْن حتّى ما تهرّ كلابُهم ... لا يَسْألون عن السواد المقبلِ[4]

فقال هذا بيت قواد.

وأنشد قول الأخطل[5]:

وإني لقوّام مقاومٌ لم يكنْ ... جريرٌ ولا مولى جريرٍ يقوّمها

فقال جرير: صدق ما قمنا بين يدي قيس لأخذ قربان ولا لأداء جزية بين يدي سلطان.

- **شعرٌ لا يدرى أمدحٌ هو أمْ هجاء**

دفع أعرابي ثوباً إلى خيّاط، **فقال الخياط**: لأخيطنه خياطة لا تدري أقباء هو أم دواج، **فقال**: لأقولن فيك شعراً لا تدري أمدح هو أم هجاء. وكان الخياط أعور. **ثم أنشد**:

خاطَ لي زيدٌ قباً ... ليت عينيه سوا

---

(1) **القرآن الكريم**: تبت/ ١. (2) **القرآن الكريم**: سبأ/ ١٣.

(3) **هذا البيت** من شعر حسّان بن ثابت في مدح الغساسنة (انظر ديوان حسّان، منشورات دار الأرقم).

(4) يمدحهم بالكرم ويقول بأن لكلابهم لا تهر على من يقصد منازلهم، وهم لسعتهم وجودهم لا يبالون بكثرة الضيوف.

(5) **الأخطل**: لقب غلب على الشاعر واسمه غياث بن غوث التغلبيّ. وهو أحد شعراء المثلث الأموي والآخران جرير والفرزدق. حظي في البلاط الأموي وخاصة في عهد عبد الملك بن مروان ومن أجمل قصائده فيه: «خف القطين» (انظر الشعر والشعراء).

فلم يدر أدعا له أم دعا عليه. **ولما** أنشد النابغة النعمان **قوله**:

تخفّ الأرضُ ما غبْتَ عنها ويبقى ما بقِيت به ثَقِيلا

غضب، **وقال**: لا أدري أمدحني أم هجاني؟ فأتى زهير فأخبره فقال حق له أن يغضب ولكن قل بعده هذا البيت:

أظنّك مستقرّ العزّ منها فتمنع جانبيْها أن تزول[1]ا

فأتاه فأنشده ذلك فرضي، **وقال**: أما الآن فنعم.

● من قصَد مديحاً، فاتّفق منه هجو

جاء شعرورُ إلى زبيدة[2] **فمدحَها فقال**:

أزبيدةُ بنت جعفر طوبى لزائرِك المثابِ

تعطينَ من رجلَيْك ما تعطي الأكفَّ من الرغابِ

فوثب إليه الخدم ليضربوه فمنعتهم، **وقالت**: إنه قصد مدحاً وأراد ما يقول الناس شمالُك أجودُ من يمينه، فظنّ أنه إذا ذكر الرّجل كان أبلغَ وقد حمدنا ما نواه وإن أساء فيما أتاه.

ومدح شاعر أميراً **فقال**:

أنتَ الهُمام ابنُ الهما م الواسعُ ابن الواسعَه

فقال: من أين عرفتَها قال قد جرّبتها، **فقال**: أسوأ من شعرك ما أتيت به من عذرك.

● شاعرٌ مغلوبٌ بشعرٍ رَكيك

أتى أبو الشمَقْمَق بشّاراً[3] **فقال**: يا أبا معاذ أعطنا شيئاً وصل إليك من السلطان، **فقال**: أتسألني وأنا شاعر؟ **فقال**: نعم إني مررت بالصبيان وهم يقولون:

إنّما بشّار فينا مثلُ تيْسٍ في سفينَه

فرفع مصلاه عن ثمانمائة درهم وأعطاها له، **وقال له**: لا تكن راوية للصبيان بعد هذا.

---

(١) ولهذا البيت رواية أخرى هي:

لأنّك موضِعُ القسطاس منها فتمنع جانِبيْها أن تميلا

(٢) **زبيدة**: زوجة هارون الرشيد [(١٤٥ هـ ـ ٧٦٢) = ٢١٦ هـ ـ (٨٣م)].

(٣) **بشاراً**: يعني بشّار بن برد من كبار الشعراء في مطلع العصر العبّاسي وكان مولى لبني عقيل. وهو أحد الشعراء المطبوعين وهو لا يقلّ منزلة عن أبي نواس. وكان متهماً بالزندقة **(انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ووفيات الأعيان لابن خلّكان رقم ١١٠)**.

وقال دعبل[1]: وردت قمّ وكان لي على أهلها رسم، فاتفق أن جاءني شعرور فأخذ يناكدني ويؤذيني، فازدريت به وزجرته فذهب وهجاني فقال:

فـي إسـتِ دعـبـلٍ بـلابـلُ لـيـس يـشـفـى لـقـابـلِ
لـيـس يـشـفـيـه مـنـه غـيـرُ أيـر بـغـلٍ بـكـابـلِ

فلهج الصبيان بذلك وصاروا يصيحون خلفي إذا رأوني ففررت من قمّ استحياءً وما عاودتها بعد.

● **معرفةُ نقْدِ الشّعْر**[2]

قال أبو عمرو: انتقاد الشعر أشدّ من نظمه، واختيار الرجل الشعرَ قطعة من عقله.

وقيل: إنما يعرف الشعرَ من دفع إلى مضايقه.

وقيل: كنْ على معرفة الشعرِ أحرصَ منك على عقله. **وقيل**: كن على معرفة الشعر أحرص منك على حوكه.

وقال الفرزدق: لا يكون الشاعر متقدّماً حتى يكونَ باختيارِ الشعر أحذق منه بعمله.

وقال أبو أحمد بن المنجم:

ربّ شعر نـقـدتـهُ مـثـلَ ما يـنـ ـقـدُ رأسَ الـصـيـارفِ الـديـنـارا

وقال الأهوازي:

ويـزعـمُ أنـه نـقـاد شـعـرٍ هـو الـحـادي ولـيـس لـه بـعـيـرُ

وقال آخر:

قـدْ عـرفـنـاكَ بـاخـتـيـارِك إذا كـا نَ دلـيـلاً عـلـى الـلـبـيـب اخـتـيـارُه

● **عذرُ منْ يعرفُ الشعْرَ ولا يصوغهُ**

قيل لابن المقفع: لم لا تقول الشعر؟ **فقال**: أنا المسنّ أسنُّ الحديدَ ولا أقطع.

وقيل لأديب: أشاعر أنتَ؟ فقال: لا، ولكني بهم خابر. **وقال الشاعر**:

وقد يقرضُ الشعرَ البكيّ[3] لسانُه وتُعيي القوافي المرءَ وهو خطيبُ

وقيل لأبي عبيدة: لم لا تقولُ الشعرَ مع غزارة علمِك وجودةِ فهمِك؟ **فقال**: لأن

---

(١) **دعبل**: هو دعبل الخزاعيّ، وكنيته أبو عليّ. وهو من شعراء الكوفة. اتصل بهارون الرشيد. وقد ولّي حكم سمجان من خراسان، ثم نقل إلى أسوان في مصر. وانتهى مقتولاً بسبب هجائه بني العباس.

(٢) **النقد**: تمييز الدراهم لمعرفة الجيّد من الرديء المزيّف.

(٣) **البكيّ لسانه**: استعارة من قولهم: عين بكيّ وبكيّة وبكيئة إذا قلّ دمعها.

الذي يجيني لا أرتضيه، وما أرتضيه لا يجيني. **ولبعضهم في المعنى**:

أبى الشعرُ إلا أن يفيءَ رديئُه ... عليَّ ويأبَى منه ما كان محكَما
فيا ليتَني إذ لمْ أجدْ حوكَ وشيِهِ ... ولم أكُ من فرسانه كنتَ مفحَما

● مذاهبُ النّاسِ في نقْده

مذاهب الناس في ذلك مختلفة. فمنهم من يميل إلى ما سهل، **فيقول**: خيرُ الشعر ما لا يحجبه شيء عن الفهم. **وقال آخر**: خير الشعر ما معناه إلى قلبك أسرعُ من لفظه إلى سمعك. ومنهم من **يقول**: ما كان مطابقاً للصدق وموافقاً للوصف **كما قيل**:

وإن أحسنَ بيْتٍ أنتَ قائلُه ... بيتٌ يقالُ إذا أنشدتَه صدَقا

وسئل **ذو الرّمة** عن أشعر الناس **فقال**: من خبث جيّده وطاب رديئه. ومنهم من يميل إلى ما انغلق[1] معناه وصعب استخراجه، كشعر **ابن مقبل والفرزدق**. **وكثيرٌ من النحويين لا يميلون من الشعر إلى ما فيه إعراب مستغرب ومعنى مستصعب.**

وقال يزدان المتطبب أن أبا العتاهيّة أشعر الناس **لقوله**:

فتنفستُ ثم قلتُ نعم حبـ ... ـا جرى في العروق عرقاً فعرقا

فقال له بعض الأدباء: إنما صار أشعر الناس عندك من طريق المجسة[2] والعروق.

● مراتبُ الشّعراء والشعر

قال الجاحظ: يقال للمجيد فحلٌ، ولمن دونه مفلق، ثم شاعر ثم شويعر ثم شعرور.

وقيل: **أقسام الشعر أربعة**: ضرب حسن لفظه ومعناه، وإذا نثر لم يفقد حسنه وذلك نحو:

في كفّه خيزران ريحُه عبقٌ ... من كفّ أروح في عرنينِه شمَمُ
يغْضي حياءً ويُغضَى من مهابته ... فما يكلَّم إلا حينَ يبتسِمُ

وضربٌ حسن لفظه وحلا معناه نحو:

ولمّا قضينا من مِنًى كلَّ حاجةٍ ... ومسّحَ بالأركانِ من هُو ماسِحُ
أخذْنا بأطرافِ الأحاديثِ بينَنا ... وسالَتْ بأعناقِ المطيّ الأباطِحُ

وضربٌ جادَ معناه وقصّر لفظهُ نحو:

خطاطيفُ حجن في حبالٍ متينَةٍ ... تمدّ بها أيدٍ إليك نوازعُ

---

(١) **انغلق معناه**: صعب فهمه.

(٢) **المجسّة**: آلة الجسّ، والمجسّة الموضع الذي يجسّه الطبيب، جمع مجاس.

وضربٌ قصر معناهُ ولفظهُ نحو:

إن مَــحـــلاً وإن مُـــرْتَـــحَــــلاً ‏ ‏ وإن لـلـسـفـر مـا مـضَـى مـهْـلا

وقيل: الأشياء كلها ثلاث طبقات جيد ووسط ورديء. **فالوسط** من كل شيء أجود من الرديء عند الناس إلا الشعر، فإن رديئه خير من وسطه. ومتى قيل شعر وسط فهو عبارة عن الرديء. **وقيل**: الشعر ثلاثة أصناف: **شعر** يكتب ويروى، **وشعر** يسمع ويكتب، **وشعر** لا يكتب ولا يوعى[١].

● كثرةُ الشعرِ في الناس

قال إبراهيم الموصلي: لولا أني أعلم أنّ الشعر من شرّ الكلام لقلت الشعر أكثر من النثر.

وقال أبو تمّام:

ولو كانَ يفنى الشعر أفناه ما قرت ‏ ‏ حياضُك منه في العصور الذواهبِ

ولكنّه صوبُ العقولِ إذا انجلَتْ ‏ ‏ سحائبُ منه أعقبَت بسحائِبِ

وقيل: الشعر أكثر من الكلام البليغ. فقد تجد عشرة آلاف شاعر ولا تجد خطيباً.

● المستحسَنُ الإنشَاد

دخل أبو تمّام على إسحاق المصعبيّ **فقال له**: رأيت المخزوميّ آنفاً وهو ينشد شعراً، **فقال**: أيها الأمير نشيد المخزومي يطرق بين يدي شعره، وشعري يطرق بين يدي نشيدي.

ومدح رجل آخر بحسن الإنشاد **فقال**: هو صنّاجة الشعر.

وقال الفرزدق لعبّاد العنبري: حسنُ إنشادك يزين الشعر في فهمي.

وقيل: إذا أنشدت المديح ففخّم، أو المراثي فحزّن أو من النسيب فأخضِع، أو من الهجاء فسدّدْ وبالِغ.

● المستقبَحُ الإنشاد

قال عبد الله بن معاوية:

يـزيـن الـشـعـرَ أفـواهٌ إذا نـطـقَـتْ ‏ ‏ بـالـشّـعـرِ يـومـاً، وقـد يُـزري بـأفـواهِ

وقال أبو خليفة:

كـــانَ الــشــعـــرُ مـــن فـــيـــهِ ‏ ‏ إذا تـــمَّـــت قـــوافـــيـــهِ

كـــنـــيـــف قـــد خـــرّى فـــيـــهِ

---

(١) لا يوعى: لا يحفظ.

(١٠)

ومما جاء في الكتابة والكتّاب

●

● واضِعُو اللغات والخطّ

قيل: اللغات توقيفية[١] لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[٢]

وقيل: أوّل ذلك اصطلاح[٣] ثم يجوز أن يكون الباقي توقيفاً.

وقال الكلبيّ: وضع الخطّ ثلاثةُ نفر **مرامر** بن مرة بن ذروة، **وأسلم** بن شدوة، **وعامر** ابن حدرة. فمرامر وضع **الصورة**، وأسلم **فصّل ووصل**، وعامر **أعجم وأشكل**.

وقيل: وضعه قوم من طسم[٤] وهم أبجد وهوّز وحطّي وكلمن وسعفص وقرشت على أسمائهم. ثم وجدوا حروفاً أخر وسمّوها الروادف وهي: ثخذ ضظغ. ولهم أربعة حروف لا يعدونها في أبي جاد، وتلك حروف المدّ واللين، ونون الغنّة في نحو منذر وجندل.

وأول من خاطب بـ: **أطال الله بقاءك، عمر بن الخطاب، قاله لعليّ بن أبي طالب** رضي الله عنهما.

وأول من قال: جعلني الله فداءك **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما.

وأول من قال: جعلت فداءك عليّ عليه السلام.

وأول من كتب في صدر الكتاب مراسله أن يصلّي على محمد، **يحيى بن خالد البرمكيّ**[٥]

● اتفاقُ الحروفِ مع النجوم

عددُ الحروف العربية عددُ منازل القمر، **ثمانية وعشرون**. وغاية مبلغ الكلمة مع الزيادة **سبعة** على عدد النجوم **السبعة**. وصورة الزوائد **اثنا عشر** على عدد **البروج**. وأربعة عشر تندرج مع لام التعريف، مثل منازل القمر التي تستتر تحت الأرض وأربعة عشر فوقها وهذا اتفاق صحيح.

● أسامي المترْجِمين

نقلَ ديوانَ الفارسيّة إلى العربية صالحُ بن عبد الرحمن، **فقال** له رجل من الفرس: كيف

---

(١) **توقيفية**: أي غير اصطلاحية. (٢) **القرآن الكريم**: البقرة/ ٣١.

(٣) **الاصطلاح**: الاتفاق على وضع الشيء أو الكلمة. (٤) **طسم وكذلك جديس**: من قبائل اليمامة.

(٥) **يحيى بن خالد البرمكيّ**: كان مؤدب هارون الرشيد، ثم بات مستشاره، وقبل ذلك كان حاكم بلاد آذربيجان. ونكب يحيى البرمكي كما نكب سائر البرامكة، ومات سجيناً سنة ١٩٠ هـ (٧٠٥م).

تكتب دهيوده وبنجيوده؟ فقال: عشير ونصف عشير. فقال: وكيف تكتب أندى؟ قال أيضاً. فقال: قطع الله أصلك من الدنيا، كما قطعت أصل الفارسية، وقال لقومه اطلبوا مكسباً غيره.

● وممّن نقل العلوم الكبار

ابن بطريق وابن ناعمة وأبو فروة وابن المقفع وأرسطوطاليس وأفلاطون من متقدّمي الحكماء ومستخرجي العلوم.

● أجناسُ الكتابة

قال الكلبيّ[1] كتابةُ الأمم نوعان: أحدهما يبتدأ باليمين، وهي العربية والعبرانية. والثاني من اليسار، وهو اليونانية والرومية وكل كتابة من اليسار فهي مفصولة وكتابة الصين نقوش تصوّر.

وحكي أن ملك الروم قال ما حسدت العرب على شيء كحسدي على أشكال خطوطهم.

● مرافقُ الخطّ

قيل: الخطّ لسان اليد وهو الطلسم الأكبر، وقيل: الخط هندسة روحانيّة ظهرت بآلة جسمانية.

وقيل: العلم شجر، والخطّ ثمر. وفضّل بعضُهم الخطّ على اللفظ، فقال: الخطّ للقريب والبعيد، واللفظ للقريب فقط. وفضّل جالينوس اللفظ فقال: الخطّ كلام ميت واللفظ كلام حيّ.

● اختلافُ الخطوط وتشابهها

قيل: من أعجوبة الخطوط كثرةُ اختلافِها مع اتفاق أصولها، كاختلاف الأشخاص مع اتفاقها في الصنعة.

وعجب بعض الكتاب من إلحاق القافية[2] بالولد بالشبه، فقال له قائف. أعجب من هذا ما يبلغنا من تمييزكم الخطوط وإلحاق كل بصاحبه.

وحكي أن رجلاً ادّعى على آخر بخطّ له معه فجحد المدعى عليه خطّه فتحاكما إلى سليمان بن وهب. فأحضر الخطّ وأملى على الرجل كتاباً طويلاً ردّد فيه الحروف، فتصنّع الرجل في كتابته فأبت سجيته في أحرف إلا أن تأتي كما جرت به عادته، فتبيّن لسليمان كذبه. فاستقصى عليه حتى اعترف بخطّه.

---

(١) الكلبيّ: أحد كبار النسّابين وهو كوفيّ وصاحب كتاب الأصنام وله أيضاً «نسب الخيل». مات الكلبيّ سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩م).

(٢) القافة: جمع قائف وهو الذي يعرف النسب بفراسته ونظره إلى أعضاء المولود.

● مدحُ الكتابة

جعل الله تعالى كتبة الملائكة كراماً كاتبين. حيث يقول: كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون.

وقال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[1] قيل: بلغت الكتابة بقوم مبلغ الملوك وأعطتهم أزمة الخلافة. ونال الخلافة أربعة من الكتاب: عثمان وعليّ ومعاوية وعبد الملك.

وسأل أعرابي من أصحاب النبي ﷺ فذكروا له حتى انتهوا إلى ذكر معاوية، فقالوا: كان كاتب النبي ﷺ فقال: فلج[2] وربّ الكعبة فإن الأمور بيد الكتاب.

قال الشاعر:

ما النّاسُ إلا الكتبَه ... هم فضّة في ذهبَه

قد أحرزوا دنياهُم ... بشعبةٍ من قصَبَه

وقال ابن الحجّاج:

وشمولٍ كأنّما اعتصروها ... من معاني شمائلِ الكُتّابِ

وقيل: كل صناعة تحتاج إلى ذكاء، إلا الكتابة فإنها تحتاج إلى ذكاءين: جمع المعاني بالقلب، والحروف بالقلم. ولذلك قيل بالفارسية: دبير، أي له ذكاآن.

وقال الجاحظ: لم أر مثل طريقة الكتاب، فإنهم اختاروا من الألفاظ ما لم يكن وحشياً ولا ساقطاً سوقياً، وقال: إنما عذب شعر النابغة لأنه كان كاتباً وكذلك زهير.

● ذمُّ الكتّاب

قال الجاحظ في ذمّهم: ما قولك في قوم أوّل من كتب منهم لرسول الله ﷺ خالفه في كتابه، فأنزل الله فيه آيات، فهرب إلى جزيرة العرب فمات كافراً. ثم استكتب معاوية فكان أوّل من غدر وحاول نقض عرى الإسلام في أيامه، ثم كتب عثمان لأبي بكر مع طهارة أخلاقه فلم يمت حتى أدّاه عرق الكتابة إلى ذم من ذمه من أوليائه. ثم كتب لعمر رضي الله عنه، زيادُ بن أمية فانعكس شرّ مولود، وكتب لعثمان رضي الله عنه مروانُ بن الحكم، فخانه في خاتمه وأشعل حرباً في مملكته.

وقال بعضهم، وقد جلس في ديوان: أخلاق حلوة وشمائل معشوقة ووقار أهل العلم وظرف أهل الفهم، وإذا سبكتهم وجدتهم كالزبد يذهب جفاء لا يستندون إلى وثيقة ولا يدينون بحقيقة. فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون.

قال كشاجم:

بأبي وأمّي أنتَ مِن مستجمعٍ ... تيهَ القيانِ ورقّةَ الكتّابِ[3]

---

(١) القرآن الكريم: عبس/ ١٥.
(٢) فلج: يقال فلج فلجا الفومَ وعليهم: فاز.
(٣) القيان: الجواري المغنيّات، وقوله: تيه القيان إشارة إلى ما تتصف به القيان من الزهو، وما لهن من دالّة عند الخاصّة والعامّة، على السّواء.

وقال ابنُ المعتزّ:

وما كاتبٌ بالكفّ إلا كشارط[1]

● ذمّ عجزَة الكتّاب

قال الحجامُ الأهوازي يهجو الكتّاب:

تعِيسُ الزّمان لقد أتى بعجابِ ... ومحَا رسومَ الظرفِ والآدابِ
وأتى بكتابٍ لو انبسطَت يدِي ... فيهِم رددتُهم إلى الكتّابِ

وقال آخر:

دعيّ في الكتابة يدّعيها ... كدعوةِ آل حربٍ في زيادِ[2]

ولما ولي الفضل بن مروان ديوان الخراج وموسى بن عبد الملك ديوان الضياع، قال محمد بن يزيد المراعي:

أرى التدبيرَ ليْسَ له نظامٌ ... وأمْرُ النّاس ليْس بمستَقيمِ
فديوانُ الضّياع بفتح ضادِ ... وديوانُ الخَراجِ بغيْرِ جيمِ

وذمّ رجل آخر فقال فيه: من أخلاق النبي ﷺ عدم الكتابة والعجز عن تقويم الشعر.

● من يسدُّ كتابُه مسدَّ السّلاح والعَساكر

قال ابن الرومي:

في كفّه قلمٌ ناهيك من قلمٍ ... نيلاً وناهيكَ من كفّ بهِ اتّشحَا
يمحُو ويكتبُ أرزاقَ العبادَ بهِ ... فما المقاديرُ إلا محا ووحَى

وقال المتنبيّ:

يا مَنْ إذا وردَ البلادَ كتابُه ... قبْلَ الجيوشِ ثنَى الجيوشَ تحيّرا
ورسائلُ قطعَ العداةُ سخاءها ... فرأوا قناً وأسنّةً وسنَوّرا[3]

وفي وصف القلم باب يجري هذا المجرى.

● وممّا هوَ كالمُضادّ لهذا الباب

ما روي أن عُكْلاً[4] أغارت على إبل لبني حنظلة[5] فاستغاثوا بإسحاق بن إبراهيم، فكتب إلى عامل كتاباً، فخرج صاحب الكتاب وخرق الكتاب وقال:

جَعَلْتُم قَراطيسَ العِراق سيوفَكُم ... ولَنْ يقطَع القِرطاسُ رأسَ المُكابرِ

---

(١) **الشارط**: الذي يشرط بالمشرط ليبضع الجلد ويستفرغ الدم.

(٢) **الدعيّ**: الدخيل، المتطفل.

(٣) **السّخاء**: الجود والعطاء ـ **القنا**: الرماح ـ **الأسنّة**: رؤوس الرماح، جمع سنان ـ **السّنور**: جملة السلاح.

(٤) و (٥) **عكلاً**: أي بني عكل وهي قبيلة معروفة، ومثلها: بنو حنظلة.

وقلتُم خذُوا البرّ التقيّ فإنّه   أقلّ امتناعاً واتركُوا كلّ فاجرِ
فرحنا بقرطاسٍ طويلٍ وطينَةٍ   وراحَتْ بنو أعمامِنا بالأباعِرِ[1]

وقال البحتري:

فلا غرّني من بعْده عزُّ كاتبٍ   إذا هوَ لم يأخُذْ بحجزةِ رامِحِ

● **ذمُّ الكتابةِ إذا تولّاها النساء**

قال عمر رضي الله عنه جنّبوهنَّ الكتابة. وقال **دقنس** الفيلسوف وقد رأى جارية تتعلّم الكتابة: تسقي سهمَها سماً لترميك به يوماً. **وقال السامي**:

ما للنساء وللكتا   بةِ والعمالةِ والخطابَه
هذا لنا ولهنّ منّا   أن يبِتْنَ على جنابَه[2]

سمع جرير شعراً فسأل عن قائله. **فقيل**: امرأة فلان. **فقال**: إذا زقت الدجاجة زقاءَ الديك فاذبحوها.

● **شكوى التأخر في الكتابة**

حتّام لا أنفكّ حارسَ سلّة   ادعى فاسمَع مذعناً وأُطيعُ
وأكلّف العبءَ الثقيلَ وإنّما   يبلى به الأتْباع لا المتبوعُ
فعليْهم ثقلُ الأمورِ وحملُها   وعلى الرئيسِ الختْمُ والتوقيعُ

● **نقص الأميّ وفضله**

قال أميّ: كان النبي ﷺ أمياً، **فقيل له**: أما علمت أنه كان لي منقبة[3] ولك مثلبة[4]؟

وقال المأمون: **لأحمد بن يوسف**: وددتُ أن يكونَ لي خطٌ كخطِك، **فقال**: يا أمير المؤمنين لو كان في الخطّ حظّ ما أحرمَه الله تعالى نبيّه ﷺ.

وكانت **أم سلمة** تقرأ ولا تكتبُ **ومحمّد بن الوليد** المازني يكتبُ ولا يقرأ، وكان يتنافس فيما يكتب بيده. وولي **عمر بن هبيرة** العراق فكانَ يحفظ جمل حسابِها ولا يكتُب.

● **كتابُ الرجلِ منبيءٌ عن عَقْله**

قال زياد: ما قرأت كتاباً قطّ لرجل إلا عرفتُ مقدار عقله فيه.

وقال **طريح بن إسماعيل**: عقول الرجال في أطراف أقلامها.

---

(١) الأباعر جمع بعير، للذكر والأنثى.

(٢) **الجنابة**: النجاسة وعدم الطهارة، وقوله على جنابة كناية عن أن وظيفة النساء مجامعة الرجال وأنه لا شأن لهن بالكتابة

(٣) و (٤) **المنقبة**: الفعل الكريم، جمع مناقب، وهي نقيض المثلبة وجمع مثالب.

وقال **يزيد بن المهلّب** لابنه، حين استخلفه على خراسان[1]: إذا كتبتَ كتاباً فأكثر النظرَ فيه، فإنما هو عقلُك تضعُ عليه طابعَك، وإن كتابَ الرجلِ موضعُ عقله، ورسولَه موضعُ رأيه.

● بقاءُ الخطّ

قال بعضُ الشعراء

وما مِنْ كاتِبٍ إلا استبْقَى ... كتابتَه وإنْ فنيَتْ يداهُ
فلا تكتُبْ بخطّكِ غيرَ شيء ... يسرّكَ في القيامَةِ أنْ تراهُ

وقال الخليل:

كتبتُ بخطّي ما ترَى في دفاتري ... عن النّاس في عصري وعنْ كلّ غابرِ
ولولا عزَائي أنّه غيرُ خالدٍ ... علَى الأرضِ لاستودعْتُه في المقَابرِ

● فضلُ الخطّ المستحسَن

قيل في قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾[2] إنه الخطُّ الحَسَن. **قال الشاعر:**

أضحكتْ قرطاسَك عن جنّةٍ ... أشجارها من حِكَمٍ مُثْمِرَه
مسودّة سطحاً ومبيضّةً ... أرْضاً كمِثْلِ الليلةِ الْمُقْمِره

ونظر الحسن بن رجاء إلى خطٍّ حسن فقال: خطُّك منتزه الألحاظ ومجتنى الألفاظ فلان فصيح القلم.

ونظر أعرابي إلى إسماعيل وهو يكتب بين يدي المأمون، **فقال:** ما رأيت أطيش من قلمه وأثبت من حكمه.

وقال ابن المعتزّ:

إذا أخذَ القِرْطاسَ خلتَ يمينَهُ ... تفتّح نوراً أو تنظِمُ جوهرا

وقيل لبعضهم: كيف ترى إبراهيم الصولي؟ فقال:

يولّد اللؤلؤَ المنثورَ منطقُه ... وينْظُم الدرَّ بالأقلامِ في الكتُبِ

وتحاكم إلى الحسن بن سهل صبيّان في خطّيهما، **فقال لأحدهما:** خطّك تبرٌ مسبوك[3]، **وقال للآخر:** خطّك وشي مَحُوك[4]، وقد تسابقتما إلى غاية فوافيتما في نهاية.

---

(١) **خراسان:** في القديم بلاد واسعة بين نهر أموداريا شمالاً وجبال هندوكوش في الجنوب، وبلاد فارس في الغرب وهي تشمل اليوم إيران الشمالية وأفغانستان. وخراسان بالفارسية معناها شمس المشرق.

(٢) **القرآن الكريم:** فاطر/١.

(٣) **التبر المسبوك:** الذهب.

(٤) **الوشي المحوك:** المنسوج أي النقش المحبوك.

● **من حُسنَ خطّه وخدّه**

وصف أحمد بن أبي خالد جاريةً كاتبةً **فقال**: كانَ خطُّها أشكالَ صورتها ومدادُها سوادَ شعرها، وقرطاسُها أديمَ وجهِها، وقلمُها بعَضَ أناملِها، وبيانُها سحرَ مقلتِها

وقال:

بخطٍّ كأنَّ اللهَ قالَ لحسْنه ... تشبّهْ بمَنْ قد خطَّكَ اليومَ فائتمِرْ

وقال الصاحبُ:

غزالٌ يفتُنُ الناس ... مليحُ الخدِّ والخطِّ

فهذا النملُ في العاجِ ... وهذا الدرُّ في السِّمْطِ

● **ذمّ الخطّ القبيح**

قيل: رداءة الخطّ إحدى الزمانتين[1] **قال الحسن المغربي**:

جزعتُ من قبحِ خطّي ... وفيهِ وضعي وحطّي[2]

رجعتُ من بعْد حِذْقي ... إلى كتابة حطّي

وقال علي بن محمد العلويّ:

أشكو إلى اللّهِ خطّاً لا يبلّغُني ... خطَّ البليغِ ولا حظَّ المرجينا

وقال يحيى بن علي:

معَ خط كأنّهُ أرجُلُ البَطِّ ... أو الشرطُ في طلَى الفتيانِ

وقال ابنُ المستنير وقد سئل عن خطّ وزير ليس بالجيد، رأيتُ حظّه أحسنَ من خطّه.

● **الخطّ الدقيقُ والجليل**

كتب رجل لصاحبه كتاباً دقيقاً، **فقال**: ما خاطبتني ولكن عوذتّني.

وقال الناشيء:

كتبتُ إليكم أشتكي حرقةَ الهَوى ... بخطٍّ ضعيفٍ والخطوطُ فنونُ

فقلْتُ حكاني في نُحولٍ ودقّةٍ ... كذاكَ خطوطُ العاشِقين تكونُ

ورأى محمد بن سعيد كتاباً بخطّ دقيق، **فقال**: هذا كتاب من يئس من طول حياته.

● **التثبّتُ في الكتابةِ والإسراعُ فيها**

قيل التثبّتُ في الابتداءِ بلاغةٌ وبعده عيٌ[3] وبلادة. وكانَ ابنُ المقفع كثيراً ما يقفُ إذا كتب **فقيل** له في ذلك، **فقال**: إنّ الكلام يزدحِمُ في صدري فأقفُ لتخيّره.

---

(١) **الزمانة**: العاهة. (٢) **الحطّ**: الضعة وقلّة الشأن. (٣) **العيّ**: العجز والضعف.

وقيل سرعةُ اليد محمودةٌ ما أمنتَ نقصاً أو سَقطاً[1]

● حمْدُ الشكلِ وذمّهُ

قيل: حلّوا عواطل الكتب بالتقييد، وحصّنوها من شبه التصحيف والتحريف.

وقيل: إعجامُ الكتاب يمنعُ من استعجامهِ، وشكلُه يمنَعُ من إشكاله.

قال الشاعر:

وكــأنّ أحــرفَ خـطّــه شــجَـرٌ والـشـكْـلَ فـي أضـعـافِـه ثَـمَـرُ

قال أبو تمّام، وقد ضرب بعضُهم المثَل في هذا الباب، بقوله:

إذا مــا قــيّـدَت رتـكَـت ولـيْـسـت إذا مــا أطْــلـقــتْ ذاتَ انـطـلاقِ[2]

وعرضَ خطّ على عبد الله بن طاهر، فقال: ما أحسنَه لولا أنّه أكثر شونيزه.

ونظر محمد بن عباد إلى أبي عبيد وهو يقيّد بسم الله فقال: لو عرفته ما شكلته.

● الوصيةُ بتقويمِ حُروفِ في الكتَابة

قال الحسن: من كتبَ اسمَ الله فحسّنه، أحسنَ اللّهُ إليه. وكان يزيد بن ثابت يكره أن يكتب بسم الله من غير السين فإذا رآه كذلك محاه.

ورأى محمّد بن عيسى كاتباً كتب عيسى وردّ الياء إلى خلف، فقال: لا تكتب كذا فأيسر ما فيه أن الياء إذا كان إلى قدّام كان إقبالاً، وإذا كان إلى خلف كان إدباراً.

وقيل أرخوا ذوائب[3] الخطوط يعني ما كانَ من نحوِ الياءِ والنّون.

وقيل: المدّ في حرفيْن سوءُ التقدير. وقيل إذا اجتمع واوان وجب الفصلُ، والفصول حلى[4] الكتاب وجودة القراطيس شفاء القلم.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ألقِ دواتك وأطلْ سنّ قلمك، وفرّج بين السطور، وقرمِط[5] بين الحروف.

● معرفةُ كتابةٍ بإشارة

روي أنّ هشام بن عبد الملك كان يسايرُه أعرابيّ فقال له: انظر ما على ذلك الميل، فجاء الأعرابي وتأملَه وقال: رأيت شيئاً كرأس المحجن[6] متصلاً بحلقة يتبعها ثلاث كأطباء الكلبة كأنها رأس قطاة بلا منقار. فعرف هشام أنه يصفه.

---

(١) السقط: المبتذل من الكلام. (٢) رتكت: من رتك البعير إذا عدا في مقاربة خطو.

(٣) الذوائب: جمع ذؤابة وهي الضفيرة، وذوائب الخطوط من قبيل المجاز.

(٤) الحِلى والحلى: جمع حلية: ما يزيّن به، وحلى الكتاب ما يزيّنه من فصول وأبواب.

(٥) قرمط بين الحروف: أي قارب بين السطور، وقرمط الكتاب جعل كتابته دقيقة.

(٦) المحجن: العصا المنعطفة الرأس.

وأضلّ رجلٌ بعيراً فقال لأعرابي: هل رأيت بعيراً سمته جعفر؟ فقال: ما أعرف جعفراً، ولكن رأيت بعيراً سمته محجن وسابورة وحلقة وهلال متصل بعضه ببعض، فقال: هاهوذا.

وقال مشمشة المخنث للصولي: اكتب مشمشة يقرأ عليك السلام، فقال: قد كتبت. فقال أرنيه فإن في اسمي دخالة[1] الأذن فقال: فعجبت من جودة تشبيهه.

● تشبيهاتُ بعْضِ حروفِ المعْجَم

دعا أبا النجم بعْضُ أصدقائهِ فعادَ عنه سكرانَ فقال:

أقبلتُ من عنْدِ زياد كالخرف   تخطّ رجلاي بخطّ مختلف
كأنما يكتبان لام الألف

وقال عبد السلام الحمصيّ:

كأنّ قافاً أديرَت فوْق وجنتِه   واختطّ كاتبُها مِنْ فوقِها ألِفا

وقال أبو نواس في حُباب الكأس:

خلتُه في حبباتِ الـ   ـكأسِ واواتٍ صِغَارا

وقال بعضهم في وصف بخيل: كأنّه جلمان من حيث جئته، وجدت لا، وفي تشبيه الشارب قال: فجاء كنصف الصاد من خطّ كاتب.

● تتريبُ الكتب

قال النبي ﷺ: اتربوا الكتب فإنه أنجح للحوائج.

وكان الفرزدق كتب وصيّة وأعتق عبداً عن دبر فترب الكتاب[2] العبد، فقال: استنجحت الحاجة واستعجلت المنيّة لي يا ابن الفاعلة، احذفوا اسمه من الوصيّة.

رفع رجل قصة إلى عبد الله بن طاهر وقد أكثر عليها من التراب، فوقّع فيها إن ضمن لنا من الصابون ما ينقّي ثيابنا من تراب كتابه ضمنا له قضاء حاجته.

● الكتابةُ في الأنصاف والظهر

قال الشاعر:

أنت لما ابتدأت تكتب في الأنـ   ـصاف خفنا من قلّة الإنصافِ[3]

(١) الدخالة من الأذن ونحوها: الدخلة أي الباطن، والدخال دخول بعض المفاصل في بعض.
(٢) تتريب الكتب: أن يجعل التراب على الكتابة.
(٣) الأنصاف: جمع نِصْف، والإنصاف: القِسط والعدل وقد جانس بين اللفظتين.

وكتب **أحمد بن يوسف** إلى صديق له: كتبت إليك في الظهر تفاؤلاً بأن يظهرَك الله على من ناواك[1] ويجعلك ظهراً لمن والاك.

قال الشاعر:

العذْرُ في الظهْرِ عنْد الحرّ منبَسِطٌ إذا رأى سطواتِ الدّهر بالنعمِ
لو كانَ يصلحُ خدّي ما جرى قلَمي إلا عليْه على أن المدادَ دَمِي

وقال آخر:

كتبَ القراطيسَ لذي حشمةٍ وكتبَ ما بالظهرِ للناس

● **المكتوبُ على الحواشي**

قال بعضهم: اطلبوا النكت في الفواشي والحواشي[2] **وقيل:** التعليق في الحواشي كالشنوف[3] في آذان الأبكار.

● **الحَكّ**

قيل: من كثر شكّه جاد حكّه.

وقال علي بن عيسى لجماعةٍ من الكتّاب، رأى في كتابتهم حكّاً كثيراً: ما زلتم تغلطون وتحكّون حتى حذقتم بالحك.

ورأى الصاحب حكّاً كثيراً في حساب دفع إليه، **فقال:** أرى فيه تأثير السكين أكثر من تأثير القلم.

قال الشاعر:

حذقُك بالحكِّ دليلٌ على أنكَ في الكتبِ كثيرُ الخطَأ

● **النظرُ في كتابِ الغير**

قال الفضل بن الربيع: كنتُ أقرأ في كتاب، وإلى جانبي رجلٌ من أهل المدينة، فجعل ينظر فيه: فلمحته **وقلت:** ما تصنع ويحك؟ قال: بلغني أن النبيّ ﷺ **قال:** من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما يتطلع في النار، ولنا أشياخ قد تقدّموا فقلت لعلّي أرى أعظمهم.

وكتب بعض الكتّاب كتاباً وإلى جنبه رجل يتطلع، **فكتب فيه:** ولولا أنّ ابن الزانية فلاناً يتطلّع عليّ فيما أكتبه، لشرحت كثيراً مما في قلبي، **فقال الرجل:** يا سيدي ما كنت أتطلع عليك، **فقال:** يا بغيض فإذا من أين علمت ما كتبت فيه.

---

(١) **ناواك:** مخفف ناوأك أي عاداك وعارضه.

(٢) **الحواشي:** جمع حاشية وهي الهامش من الكتاب أو الطرف من الثوب.

(٣) **الشنوف:** جمع شنف، وهو ما يعلق في الأذن أو أعلاها من الحلي.

● **ترشّشُ المِداد على الثوب**

قال محمد بن مهران:

لا تجزعَنَّ من المدادِ ولطخهِ ... إنّ المِدادَ خلوقُ ثوبِ الكاتبِ(١)

وقال الحسن بن وهب:

وما شيءٌ بأحسَنَ من ثِيابِ ... على حافاتِها سِمَةُ المِدادِ(٢)

وقال آخر في نقيض هذا:

يدلّ على أنّه كاتبٌ ... سوادٌ بأظفارهِ راسِبُ(٣)

فإنْ كانَ هذا دليلاً لنا ... فإسكافُنا كاتبٌ حاسبُ(٤)

● **التاريخُ**

كانَ الرسم أن يؤرخَ بكل وقت تحدث فيه حادثة ظاهرة مشهورة. فالروم كانت تؤرخ بملك ذي القرنين وهو **الإسكندر**. والفرس كانت تؤرخ بأعدل ملك كان يتفق له، إلى أن باد ملكهم يزدجرد فهم يؤرخون منه. والعرب بمشاهير الحوادث كنزولِ **إسماعيل** مكّة، وعام الفيل، وهجرة النبي ﷺ. وعليها استقر الحكم إلى الآن. وأول من أرّخ بذلك في الإسلام **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه.

● **العنوانُ**

الرسمِ أن يكتبَ اسم الكاتب ضئيلاً والمكتوبِ إليه فخلاً جسيماً. ورأى طاهر بن الحسين رقعةً لابنه، إلى المأمون وعليه عبده عبد الله، فقال: يا بنيّ ابدل هذه اللفظة شيئاً آخر فإني سميتك عبد الله فلا تشرك معه في ملكه غيره.

ووقّع المهدي في كتاب رجل كتب عليه عبده لا أعلمنّ أحداً ينسب نفسه إلى مخلوق مثله على عنوان، فإنه ملق كاذب لا يقبله إلا مفتون أو مأفون.

● **الختْمُ**

قيل في قوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾(٥)، أي مختوم. وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾(٦)، أي مختوم.

وقال ابن عباس (رضي الله عنهما): الكتاب بلا ختم يسمى **أقلف** وهو استهانة بالمكتوب إليه.

---

(١) **الخلوق**: ضرب من الطّيب وأكثر أجزائه من الزعفران.

(٢) **الحافات**: جمع حافة وهي الحاشية ـ **السمة**: العلامة ـ **المداد**: الحبر.

(٣) **الراسب**: الباقي من أسفل الشيء.

(٤) **الإسكاف**: صانع النّعل أو مصلحه.

(٥) **القرآن الكريم**: الواقعة/ ٧٨.

(٦) **القرآن الكريم**: النمل/ ٢٩.

وقال **عمر** (رضي الله عنه): طينة خير من ظنّة.

وقيل: الختم ختم، **وقيل**: التصفّح قبل الختم والختم بعد العنوان.

وسأل بعض الأدباء رئيساً أن يختم كتابه **فقال**:

يـا أيّـهـا الـمـلـك الـمـنـفّـذُ ... أمـــرُه شـــرقـــاً وغـــربـــاً

امـنُـنْ بـخـتْـم صـحـيـفَـتـي ... مـا دامَ هــذا الـطـيـنُ رطْـبـاً

واعـــلَـــمْ بـــأنّ جـــفـــافَـــه ... مـمـا يـعـيـدُ الـسـهْـلَ صـعـبـا

وكتبَ بعضُهم إلى رئيس: تختمُ كتبَك لأنها مطايا البِرّ[1]، وأنا لا أختمها لأنها حواملُ شكر.

- **القصّةُ والتّوقيع**

قال الصاحب لرجل رفع إليه قصّة وهو يكثر الكلام: هذا رفع القصص لا رفع القَصص[2].

وجاء رجل يطلب منه توقيعاً بالجواز، **فقال**: يكتب جواز لحيته على طريق فقحته.

وقيل التوقيع إلى ذوي الأقدار موق[3]

- **مدحُ الورّاقين وذمُّهم**

قيل لا تقعدنّ في السوق إلا إلى ورّاق أو زرّاد، فهما مباينان للأوغاد.

وقال عبدوس الحكيم: لا تكونن وراقاً لآلئيا فإن الدفاتر للعلماء والجواهر للملوك وهذان الصنفان في الناس قليل.

وقال الجاحظ في ذمّهم: لم أر شراً من الورّاقين مع أن صناعتهم نسخ الأخبار لذوي الآداب والألباب[4]، وورّاق المصاحف شر.

وقال: نبئت أن شيخاً منهم خثر عليه الحبر، فبال في المحبرة وكتب به المصحف والماء منه غير بعيد.

وقال ورّاق: عرضي أرقّ من الزجاج ومجالي في طلب الرزق أضيق من المحبرة ووجهي في الناس أشدّ سواداً من الحبر.

وقيل لورّاق: ما تشتهي؟ فقال قلما مشاقاً وحبراً برّاقاً وجلوداً رقاقاً والله سبحانه أعلم.

---

(١) **البِرّ**: الإحسان والعطاء، ومطايا البرّ من باب المجاز.

(٢) **القِصص**: جمع قصّة وهي هنا الأمر الحادث، والقصص (بفتح القاف)، جمع قِصّة بمعنى حكاية ولكلام الصاحب انتقاد بلا طائلة في رفع الأمر أو حادثة.

(٣) **الموق**: الحمق.

(٤) **الألباب**: العقول، جمع لبّ.

(١١)
ومما جاء في التصحيفات

●

● النهي عن أخذ العلم من الصحفي

قيل لا تأخذوا العلم من صحفي، ولا القرآن من مصحفي، وهجا بعضهم أبا حاتم **فقال**:

إذا أسندَ القومُ أخبارَهم ... فإسنادُه الصحفُ والهاجس

وقال **أبو نواس** في مرثية خلفٍ[١]:

أودَى جماعُ العلمِ مذ أودَى خلفْ ... فليذم من العياليم الخسف

رواية لا يجتني من الصحف

● المهجّو بكثرة التصحيف

قيل: كيسان يمسخ على لسانه العلم ثلاث مرات، فإنه يكتب في ألواحه خلاف ما يسمع، وينقل من ألواحه إلى الدفتر، خلاف ما يكتب، ثم يقرأ من الدفتر خلاف ما يكتب. **وقال شاعر**:

ولم يسمع النحو لكنّه ... قرا منه شيئاً وقد صحّفَه[٢]

● تصحيفاتٌ متوالية إلى ما لا معنى له

وجد معلم يلقن صبياً:

عفتِ الديار محلّها قمقامُها ... بمنى بأبد غولها فرجامها[٣]

وإنما هو:

عفت الديار محلّها فمقامُها ... بمنى تأبّد غولها فرجامها

قال الجاحظ: ومررت بمعلّم وهو يلقن صبياً:

يا أبا الفياش جثى ... اخرج الفتيان غشا

لبش في الأرض أباس ... شزنسوا أيلج مشا

فقلت: بالعبرانية هذا؟ **قال**: لا، هو بالعربية. فلما تأملته إذا هو مكتوب:

يا أبا العباس حسبي ... أخرج الفتيان عنا

---

(١) **خلف**: أي خلف الأحمر وهو من أساتذة أبي نواس على درس صناعة الشعر.

(٢) **قرا منه**: أي قرأ منه بتخفيف الهمزة.

(٣) **عفت الديار**: امّحت آثارها ـ انظر معلقة لبيد بن ربيعة في **شرح المعلقات العشر المذهبات للتبريزي (دار الأرقم)**.

لـــيـــس فـــي الأرض أنـــاس   شـــربـــوا أمـــلـــح مـــتـــا

فقلت: أيها المعلم أنك ضائع بهذا البلد. قال: نعم قدور ومزاريق[١] ورثي صبيّ يقرأ على معلم:

والـــشـــيـــخ لا يـــبـــرك أجـــلافـــه   حـــتـــى يـــوارى فـــي ثـــرى دمـــســـه

فإذا هو:

والـــشـــيـــخ لا يـــتـــرك أخـــلاقـــه   حـــتـــى يـــوارى فـــي ثـــرى رمـــســـه[٢]

● تصحيفاتٌ في القرآن مستهجنَة[٣]

سمع رجل يقرأ: ربّنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته بالراء. فقال بعضهم أخراه: ولكن بلفظ أحسن من هذا.

وقال رجل في مجلس الشافعي رضي الله عنه: كيف يقرأ بشوال يعجنك أو بشوال يعجبك؟ فقيل: ليس في القرآن شيء من ذلك. فقال الشافعي: دعوه لي إنما هو بسؤال نعجتك.

وقال الجاحظ: سمعت من يقرأ ض والقرآن[٤] وقرأ آخر وفرش مرقوعة[٥] وقرأ آخر إن السموات والأرض كانتا ريقاً[٦] وقرأ آخر: نبية[٧] من ربكم وقرأ آخر ومريم بنت عمران التي أخصيت[٨] فرجها.

● تصحيفاتٌ في الحَديث مُستقبَحة

قرأ بعضهم أن النبي ﷺ بلع قديداً، وإنما هو بلغ قديداً. وقرأ آخر كان النبي ﷺ يكره النوم إلا في القدر وإنما هو الثوم. وقرأ آخر على القباب المحدث لا يدخل الجنة قباب. فقال أعيذني بالله إنما هو قتات. فقدم القارىء إليه وعرك أذنه وقال ما صنع المسكين حتى لا يدخل الجنة؟

وقرأ آخر كان النبي ﷺ يحب العسل يوم الجمعة وإنما هو الغسل.

وقرأ آخر غمّ الرجل ضيق أبيه وإنما هو عمّ الرجل صنو أبيه.

وقرأ آخر: لا يرث جميل إلا بثينة وإنما هو لا يرث حمل إلا ببيّنة.

وقرأ آخر: إن أردت أن تنعظ فادخل المقابر وإنّما هو تتعظ.

---

(١) مزاريق الأباعر: جمع مزراق وما يؤخر حمله إلى الوراء.

(٢) رمسه: أي قبره.

(٣) المستهجن: المستقبح وغير المستحسن.

(٤) ض والقرآن: والصواب: ص.

(٥) فرش مرقوعه: والصواب: مرفوعه.

(٦) ريقاً: رتقاً.

(٧) نبيه من ربكم: تنبيه.

(٨) أخصيت: أحصَنت.

وقال أبو بكر أحمد بن كامل: حضرتُ شيخاً، فقال عن رسول الله عن جبريل عن الله عن رجل، فقلت: من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله يروي عنه؟ فإذا هو عزّ وجلّ.

وقرأ محدّث كان النبي ﷺ يغسل خصى الحمار. فقيل له: وما أراد بذلك؟ فقال التواضع. وإنما هو حصى الجمار.

● من صحّفَ وتأوّل برقاعته

قرأ بعضهم: فأوجس في نفسه جيفة، فقيل: هو خيفة. فقال: لا، بل لأنه توضأ ولم يغسل استه.

وقرأ آخر في روضة يخبزون. فقال: اخشكا رام جواري فقال: ما أرادوا ففيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين.

وقرأ آخر ما سأل به جبيراً[1] فقال: من جبير؟ فقال: والد سعيد. وقرأ رجل على محمد بن حبيب من شعر الراعي، تعود ثعالب السرقين منه، فقال: إنما هو ثعالب الشرفين منه فقال: إن الثعالب أولع شيء بالسرقين فقال: أتصحيف وتفسير!

● تصحيفٌ فيه نادِرَة

قرأ رجل على ابن مجاهد بل عجنت ويسجرون. قال: أحسنت فمع العجن سجر التنور.

وقرأ صبيّ على معلم أني أريد أن أنكحك، فقال هذا إذا قرأت على أمك.

وقرأ آخر وأما الآخر فتصلب، فقال: هذا إذا قرأت على أبيك الكشحان، وغنّى رجل.

خليلي هبا نصطبح بسماد

فقال اصطبح به وحدك، إنما هو بسواد.

● تصحيفٌ أفضى إلى مضرّة

كتب الوليد بن عبد الملك إلى والي المدينة: أحص من قبلك من المخنثين فونم الذباب على الحاء فقرأ الكتاب أخص. فقال العامل: لعلّه أحص فقال الكاتب: على الحاء نقطة كسهيل، فخصى جماعة منهم ولكل واحد نادرة.

وكتب صاحب الخبر بأصبهان إلى محمد بن عبد الله بن طاهر فلاناً يعني قائداً كبيراً له خزلجية، ويجلس مع النساء فكتب إلى العامل ابعث إلي فلاناً وخزلجيته. فقرأ الكاتب: وجزّ لحيته، فأخذه وحلق لحيته وأشخصه[2] فلمّا أبصره رأى آية فضحك وخلاه.

وكان حيّان بن بشير يملي أن عرفجة أصيب يوم الكلاب وكان مستمليه يعرف ملحه، فقال: إنما هو الكلاب بالضم، وحبست أنا من أجله.

---

(١) والصواب: خبيراً. (٢) أشخصه: بعث به، أرسله.

- **تصحيفٌ أفضى إلى فائدة**

كان نعيم بن زيد والياً على الهند، وفي حبسه رجل، يقال له حبيش فجاءت أمه إلى الفرزدق، وسألته أن يتشفّع فيه. فكتب إليه كتاباً فلم يدر أخنيش أو حبيش، فأمر أن يطلق كل محبوس اسمه شيء من ذلك. فأطلق بذلك عدة.

وأنشد رجل **الأصمعي**، «كليني لهم يا أميمة باضت»[1]، **فقال له الأصمعي**: أما علمت أن كل ناجمة الأذنين تحيض وكل سكاء الأذنين تبيض؟ **فقال أبو الحسين الكوفي**: لم أر تصحيفاً أجلب للفائدة منه.

وغنت جارية للرشيد:

أظلـوم إن مـصـابـكـم رجـلاً ... أهـدى الـسّـلام تـحـيّـة ظـلـم

فقال الكسائي: إنما هو مصابُكم رجل. فقالت الجارية: إني أخذت هذا الشعر عن أنحى الناس وآدبهم أبي عثمان **المازني** بالبصرة (هكذا) فقال الرشيد: ليكتب إلى العامل بالبصرة بإطلاق نفقة **المازني** وإشخاصه فلما أشخص ودخل إلى **الرشيد**، سأله عن حاله: ألك ولد؟ قال: نعم بنيّة فقال: وما قالت لك قال أنشدتني:

أيـا أبـتـا لا تـرم عـنـدنـا ... فـأنـا بـخـيـر إذا لـم تـرم

قال وبماذا أجبتها، قال قلت:

ثـقـي بـالله لـيـس لـه شـريـك ... ومـن عـنـد الـخـلـيـفـة بـالـنـجـاح

فسأله عن البيت المغنّى به فقال إنما هو رجلاً وخبران إنما هو ظلم. فقال أجدت وأصبت فأعطاه مالاً وأكرمه وردّه إلى البصرة مكرّماً.

- **إدعاءُ تصحيفٍ أدّى إلى خلاص**

أتى عبد الملك بخارجيّ فأمر بقتله، وقال ألست القائل:

ومـنـا حـصـيـن والـبـطـيـن وقـعـنـب ... ومـنـا أمـيـر الـمـؤمـنـيـن شـبـيـب

فقال إنما قلت: أمير المؤمنين، أي يا أمير المؤمنين فأطلقه.

وأحضر جعفر بن سليمان الهاشمي خطابي المقدم الهذيلي وفيه:

يـا ابـن الـزوانـي مـن بـنـي مـعـاويـة ... أنـت لـعـمـري مـنـهـم ابـن الـزانـيـة

فقال: إنما **قلت**: يا ابن الرواني وأنت ابن الرائية أي اللواتي ينحن على موتاهم.

---

(١) **الصواب**: كليني لهم يا أميمة ناصب وهذا مطلع قصيدة للنابغة الذبياني.

وحكي أن علوية الشاعر اجتمع عليه الصوفية، وقالوا له أنت أنشدت:

طـاب لـنـا الـرفـض بـغـيـر حـشـمـه

فقال: إنما قلت: طاب لنا الرقص فرضوا عنه وانصرفوا.

● **تغيير كتابةٍ قليلة يغير بها المعنى**

خرج توقيع عن الرشيد إلى بعض أوليائه، باقطاع مائة ألف وألف دينار إلى الريّ فدفع إلى معين لنسخه وطلب رسماً من صاحبه، فامتنع. فزاد المعين ألفاً وجعله أو ألف دينار. فلما أخرج وأوصله إلى العامل، **قال**: لك ما فيه توفير السلطان من أحد هذين. **فقال**: إنما أمر لي بهما. فاسترجع التوقيع وعاد به إلى الحضرة، فلما رآه الرشيد، ضحك وقال: لعلّك لم ترض الكاتب فأصلحه. وعلّق ستر على باب أم جعفر وكان قد أمر أن يكتب عليه السيدة الميمونة المباركة، فأغفل المطرّز الراء فدخل الرشيد فرآه وقرأ مناكة، فضحك وأمر أن يمزّق.

وقال الصاحب: لا ينبغي أن يخاطب النساء بحراستها ونظرها ولا عقلها لأنه لا يؤمن أن يصحف بحراستها وبظرها وعفلها. ودفع المعروف بصخرة دبير قصة إلى الصاحب يستوهب منه شيئاً. وفي آخر القصة فعل إن شاء الله فزاد الصاحب فيه ألفاً وجعله أفعل إن شاء الله. **وقال**: خذها فقد وقعت لك. **فأخذ** صخرة دبير القصة فتأمّلها فلم ير توقيعاً، فراجعه مرتين كل ذلك **يقول**: قد وقعت فيه حتى أراه الصاحب ما أثبته من الألف.

● **من صحّف عند رئيسٍ بما أضحَك**

قرأ بعضهم عند رئيس: جاضرطي، إنما هو حاضرطي. وحضر أحمد بن أبي خالد وزير المأمون يتتبع القصر، فأخذ قصة فقرأ أحمد الثريدي وإنما هو البريدي. **فقال المأمون**: يا غلام احضر لأبي العباس طعاماً فإنه جائع وعزم عليه ليأكل فأكل، ثم عاد فمرّ بقصة فيها فلان **الحمصي** فقرأ **الخبيصي فقال المأمون**: يا غلام أظن أن طعامه كان مبتوراً عن الحلواء، أحضره خبيصاً فأتي بجام فامتنع. فقال: عزمت عليك لتأكلن فأكل ثم لم يعثر بعد.

والذي قرأوانا فداؤك من الشّوكله إنما هو من السوء كلّه

والذي قرأ على أمير المؤمنين الخليفة **انعظ** على أمير المؤمنين إنما هو **ابعط** أي أبعد.

وقال بعضهم: حضرت مجلس قاضي القضاة عبد الجبار **فقال له** بعض العلوية الكبار ما هذا الذي يقوله النحار في كتبه الكس بالكسب، أراد الكسب فضحك كل من عنده فأنشد فيه:

إذا الغصْنُ لم يثمِرْ وإن كانَ شعبة   من المثمرات اعتده النّاس في الحطبِ

● **تصحيفاتٌ مستحسنة**

قرأ الأصمعي على أبي عمرو هذا البيت:

وعزرتني وزعمت أنك لاتني بالضيف تأمر ... وإنما هو لابن بالصيف تامر

فقال أبو عمرو: إنك في التصحيف أشعر من الحطيئة.

وكان **حمّاد الراوية**، لا يحسن القرآن فقيل له: لو قرأت القرآن، فأخذ المصحف، وقرأ فلم يزلّ إلا في أربعة مواضع. قال: عذابي أصيب به من أساء، وقوله: وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها أباه، ومن الشجر ومّما يغرسون بل الذين كفروا في غرّة وشقاق.

● **من عجمَ[1] حزناً عمدَ إلى تصحيفه**

دفع رجل إلى محمد بن عبد الله قصّة عليها حريت بن الغراس فعجمه، وقال: خريت في الفراش، ووقع تحته بئسما فعلت.

ووجّه إلى المأمون رجل، وقيل سابق الحاج فتباطأ الرجل فنقط تحته، وجعله سايق الحاج. وكتب أبو تمام رقعة إلى عبد الملك بن صالح وعليها حببت فنقطه وجعله جنيت.

● **من هجَا أو مدح بادّعاء تصحيف**

هجا أبو نواس أبان اللاحقي فقال:

صحفت أمّك إذ سمّتك في المهد أبانا ... قد علمنا ما أرادت

لم ترد إلا أتانا.

وقال آخر يهجو:

رأى الصيف مكتوباً فظنّ بأنّه ... لتصحيفه ضيفاً فقامَ يواثبه

وقال المتنبّي:

جري الخلف إلا فيك إنك واحد ... وإنك ليث والملوكُ ذئابُ

وإنّك لو قويست صحّف قارىء ... ذئاباً ولم يخطىء فقال ذبابُ

● **كلماتٌ تعسُر قراءتها ويعسُر تصحيفُها**

استؤمر عبد الله بن طاهر في ابتناء موضع، يقال له لبنا فوقّع له، لبنا لبنا لبنا لبنا لبنا ووقع في رقعة بسبب عزير بن نوح عزير غرير عزيز علينا ومن عزير، ووقع أيضاً معاوية ابن معاوية ليحيى ليحيا خراج جراح فقد فقد، ووقّع علي بن رستم لرجل: غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك تهدا بهذا والسلام.

---

(١) **العجم:** من عجم الكتاب إذا نقطه بالسواد لإزالة عجمته أي إبهامه.

(١٢)

وممّا جاء في آلات الكتابة

●

● فضلُ القلم ووصفُه

بأنّه مثبت الحكم قال الله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[١] وقال تعالى: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾[٢]

وقيل: كم من مآثر بنتها الأقلام فلم تطمع في دروسها الأيام، **وقيل**: القلم قيم الحكم.

ونظر المأمون إلى مؤامرة بخطّ حسن **فقال**: لله درّ القلم كيف يزين وشي المملكة.

وقيل: القلم في حساب الجمل نفاع وذلك أن حروف مائتان وواحد، وعدد نفاع مثله في الحساب، وهذا اتفاق ظريف.

● وصفُ قلمٍ ممدوحٍ بأنّه يجدي[٣] ويردي[٤]

وقال شاعر:

قلمٌ يمجُّ على العداة سمامَه ... لكنّه للمرتجينَ سماءُ[٥]

كمْ قد أسلتَ به لعبدِك ريقةً ... سوداءَ فيها نعْمَةٌ بيضاءُ[٦]

وقال ابن طباطبا:

وإذا انتضى قلماً ليخطب ... خلتَ في يمْناه نصْلا[٧]

كمْ ردّ عاديةَ الخطو ... بِ وكمْ أعزّ، وكمْ أذلّا[٨]

يجري فيؤمنُ خائفاً ... ويصُبُّ في الأعداء نبْلا[٩]

وفي وصفه شجاع يمجّ السم والعسل.

ولابن ثوابة في وصفه:

كالنّار يعْطيكَ من نورٍ ومن حرقٍ ... والدهرُ يعطيك من همّ ومن جزَلِ

---

(١) **القرآن الكريم**: ن/ ١. (٢) **القرآن الكريم**: العلق/ ٤.

(٣) **يجدي**: ينفع ويفيد. (٤) **يردي**: يهلك.

(٥) **يمجّ**: يبصق أو يطرح ويرمي.

(٦) شبّه ما يخطه القلم من أمر بالعطاء ونحوه بالريقة السوداء.

(٧) **انتضى**: استلّ، وانتضى أصلاً للسيف فاستعاره للقلم ـ **النّصل**: السيف.

(٨) **الخطوب**: النوائب والمصائب، جمع خطب.

(٩) **يجري (القلم)**: أي يسير بأنامل الكاتب فوق الصحيفة ـ **يؤمن الخائف**: يعطيه الأمان أو يشعره به. **يصبّ**: يرمي ـ **النبل**: السهام ـ يشبه وقع الكلام بوقع النبال في الحرب والقتال.

وقال أبو الفيّاض الصابىء في الصاحب بن عبّاد:

أقالَ اللَّهُ للأقدار سيري ... وفي أقلامِ إسماعيلِ صيري

● تفضيلُ القلمِ على السّيف

قال محمّد بن علي يمدح:

في كفّه صارم لانَتْ مضاربُه ... يسوسُنا رغباً إن شاءَ أو رهبًا[1]

السيفُ والرمحُ خدّامٌ له أبداً ... لا يبلغانِ به جدّاً ولا لعِبا[2]

فما رأينا مداداً قبلَ ذاك دماً ... ولا رأينا حُساماً قبل ذا قصَبا[3]

وقال ابن الرومي:

كذا قضى الله للأقلام مُذْ بُرِيَت ... أنّ السيوفَ لها مذ أرهفَت خدَمُ

● تفضيلُه على القلم

فاخر السيف القلم فقال القلم: أنا أقتل بلا غرر، وأنت تقتل على خطر. فقال السيف: القلمُ خادمُ السيف إن نيل مراده، وإلا فإلى السيف معاده.

وقال البحتري:

وعادةُ السيْفِ أن يستخدِمَ القلما

وقال المتنبّي:

حتّى رجعتُ وأقلامي قوائِلٌ لي ... المجدُ للسّيْفِ ليْسَ المجْدُ للقَلَمِ

اكتب بنا أبداً بعْدَ الكتابِ بِهِ ... فإنّما نحن للأسيافِ كالخَدَمِ

● وصفه بأنه يكشِفُ عنِ الضمائر

قال بعضُهم: القلمُ يزفّ بنات القلوبِ إلى خدورِ الكتُب، وقالَ ابن المعتز: القلمُ يخدم الإرادة ولا يملّ الإستزاده، يسكت واقفاً وينطق سائراً، وقال شاعر:

ومكشف السرّ الضمير بلا معاناةِ[4] السّؤال

وقال آخر:

نواطقُ إلا أنّهن سواكِتُ ... يترجمْن عمّا في الضميرِ مُكتمَا

وفي وصفه:

عجبْتُ لذي سنين والماءُ نبتُه ... لهُ أثرٌ في كلّ مصر ومعمرِ

---

(١) الصارم: السيف ـ شبه به القلم ـ رغباً ورهباً: مطابقة بين المرغوب فيه والمرهوب منه.

(٢) الجدّ واللعب: من باب الطباق إشارة إلى ما يخطّه القلم من كلام جادّ أو ساخر.

(٣) شبه المداد الذي يكتب به بالدم كناية عما تنطوي عليه الكتابة من فتك وهدر.

(٤) المعاناة: المكابدة وتحمل العناء.

وقال **ابن المقفع**: القلمُ بريد القلبَ، يخبّ[1] بالخبر وينظر بلا بصر، **وقال ابن أبي داود**: القلمُ سفيرُ العقْلِ، ورسولُ الفكْرِ، وترجمانُ الذّهن.

● وصفُه بأنه أخرسُ ناطِق

قال الشاعر:

وأخْـرسُ نـاطـقٌ أعْـمـىً بـصـيـرٌ   بـلـيـغٌ عـنْـد مـنْـطـقِـه عـيـيّ
مـتـى تـرعـفْ مـنـاخِـرُه سـواداً   يـخـبّـر عـنـك بـالـمـعْـنـى الـمـضـيّ[2]

وقال محمد العلويّ:

أخْـرَسُ يُـنْـبـيـكَ بـأَطـرافـهِ   عـنْ كـلِّ مـا شـئْـتَ مـن الأمْـرِ[3]
يـذْري عـلـى قـرطـاسـه دمـعـةً   يـبْـدي بِـهَـا الـسـرّ ومـا يـذْري[4]
كـعـاشِـقٍ يُـخْـفـي هَـوَاهُ وقَـدْ   نـمّـتْ عـلَـيْـهِ عَـبْـرَةٌ تـجْـري[5]

● لغزٌ في وصفِ القَلَم

قال الشاعر

وبـيـتٍ بـعـلْـيـاء الـفـلاةِ بـنـيـتُـه   باسْمي مشقوقِ الخَيَاشيمِ يرعِفُ

وقال آخر:

وأجْـوفُ يـمْـشـي عـلَـى رأسِـه   يـطـيـرُ خـثـيـثـاً عـلـى أمْـلَـسِ
فـهـمْـتُ بـآثـارهِ مـا مَـضَـى   ومـا هُـوَ آتٍ ولـمْ يـلْـبـسِ

● وصفُ دَواةٍ وَقَلَم

قال الشاعر:

وزنـجـيّـة لـمْ تـلِـدْهـا الإنـاثُ   وفـي جـوْفِـهـا مـنْ سِـواهـا وَلَـدُ

وكتب **ابن طباطبا** إلى ابن أبي البغل، وبعث إليه قلماً أسود وآخر أبيض وسبعةً سمرا:

هـذا ابـنُ سـامٍ وبـنْـتُ حـام   شـغْـبُـهـمـا الـيـومَ ذو الـتـنـامِ
قـدْ أظـهَـرا فـي الـوَرَى ازْدِواجـاً   فـامـتـزَجَ الـنّـورُ بـالـظّـلامِ
وأنـسـلا صِـبْـيـةً صِـغـارا   سـبْـعَـاً يـوافـيـنَ فـي نِـظـامِ
هـنّ مـدَى الـدّهـر مـرضِـعـاتٌ   يـشْـتَـقْـن ريـا إلـى الـفِـطَـامِ

---

(١) **يخبّ**: يسير خبباً والخَبَب ضرب من العدو.

(٢) **ترعف المناخر**: تنزف دماً، والكلام هنا من باب التشبيه والمجاز، فقد شبّه ما يسيل من الكلمات بالقلم بالدماء.

(٣) **ينبيك**: مخفّف ينبئك.

(٤) **يذري**: ينثر ـ **القرطاس**: الصحف.   (٥) **نمّت عليه**: وشت به ـ **العبرة**: الدمعة.

- **اختيارُ قِلَةِ الأقلام**

قال الصوليّ لغلام: ليكنْ قلمُك صلباً بين الرقّة والغلَظ، ولا تبره عند عقدة فإنّ فيه تعقدِ الأمورُ، ولا تجعلَنّ في أنبوبِهِ أنبوبةً، ولا تكتبَنّ بقلمٍ ملتوٍ ولا بذي شِقٍّ غير مستوٍ

- **أدبُ بري القلم والاستنكاف منه**

قيل: ليكن مقطُك إذا قططتَ صلباً، لئلا يتشظّى[1] القلم. **وقال عبد الحميد الكاتب:** أطِلْ جلفةَ قلمك وأسمنْها، وحرف قطتَك وأيمنْها.

وقيل: تبطينُ القلم شؤمٌ وحرفه حرف. **وقيل:** القلمُ المحرفُ للرجل المحارف.

وأوصى بعضُهم كاتباً **فقال:** أجِد قلمَك فالقلمُ الرديءُ كالولَد العاق[2]

وقيل: إذا لم تسمع لقطِك صوتاً كصوتِ القسيّ ووقعاً كوقع المشرفيّ فأعد القطّ.

وقال الصاحب لكاتب في مجلسه: ليسَ لك في مجلسي إلا القطُّ فقط.

- **التمدّحُ ببري القلم والاستنكافُ منه**

قال الشاعر:

دخيلٌ في الكتَابة ليس منْها ... فما يدْري دبيراً من قَبيلِ
إذا ما رامَ للأنبوبِ برْياً ... تنكّبُ عاجِزاً قصْد السّبيلِ

قال كُشاجِم:

لَمْ تَرَني قطّ بارِياً قلَماً ... في بريِهِ كل مهنة وضعَه
ما كلّ منْ يحمِلُ الحُسامَ لكي ... يُرْدي به سنّه ولا طبعَه

وقال أبو الحَسن بنُ سعْد: كنتُ عند عليّ بنِ سعْد فرأيتُ له أقلاماً رديئَةَ البري، فأخذتها وأحسنت بريَها فقال: يا أبا الحسن عليْك بالكتابة فإن هذه تجارة.

- **السكّين**

قيل: السكّين مِسَنُّ الأقلام تشحَذُها[3] إذا كلّت[4]، وتلمّها إذا تشعّثت[5]، وأحسن السكاكين ما عرض صدرُه وأرهِف حدّه ولم يفصل عن القبضة نصابه.

وقيل لكاتب: سكّينُكَ ليس بقاطعٍ فقال: **هو أقطع من البين**[6]

---

(١) **يتشظّى:** يتقطع شظايا أي قطعاً متناثرة. (٢) **الولد العاق:** الولد الجاحد العاصي.

(٣) **تشحذ (هنا):** تبري الأقلام.

(٤) **كلّت:** تعبت، والكلال هنا كناية عما يكون أمحاه القلم من بري ونحوه.

(٥) **تشعثت:** تفرّقت. (٦) **البين:** الفراق.

ولأبي حفص الورّاق كتبه على سكّين:

سكّيننا من يره سيعجبُه   وقاهُ ربّي شرّ من يستوهبُه
وكيد من يسرقُه ويغصبُه   ما أظلمَ الليلُ ولاحَ كوكبُه

وقال ابن نباتة:

مرْهفَةٌ تعجزُ وصفَ البيان   للسيفِ معنى ولها مغنيانِ
تخلفُه في حدّه تارَةً   وتارة تخلفُ حدّ السّنانِ
ما أبصرَ النّاظرُ من قبلِها   ماءً وناراً جُمعَا في مكانِ

- **مقطّ ومخراك**

وقال الشاعر:

معه مقطٌّ قد تحلّى سنّها   شبه الصدود بدا بخلفِ غَرام
يحكي سويداءَ القُلوب إذا رمَتَ   فيها لواحِظَ شادنٍ بسهامِ
وانضافَ مخراك إليه كأنّما   أخذوه قدّ الصارمِ الصمْصامِ

وقال أبو الحسن المشطّب الهمداني:

إنّني منفِذٌ إليك مقَطّاً   سهرديزا كأير عير مريّ
سابغاً طولُه شديداً قواهُ   فاتخذه كنانَةً لقسيّ

- **استهداءُ المِدادِ وإهداؤهُ**

كتب بعضُهم إلى صديقٍ يستمدّ منه مِدادا:

أنا أشكُو إليك من دوَاتي   هي عوْني وعدّتي وعتَادي
عطلَتْ من مدادِها فاستعاضَتْ   يقَقَ اللونِ من حُلوكِ السّوادِ[1]
لم تزَلْ من بناتِ حامٍ فجاءَتْ   من بني يافثٍ بغيْر ولادِ
أنتَ للحادثاتِ عدّةُ صدْقٍ[2]   فترَى أن تمدّها بمِدادِ

وقال عبدان:

هَلْ لكَ في أنْ تحوزَ محمَدةً   أنفسَ من فضّة ومنْ ذهَبِ
زوْدْ فتاةً أتتْك رائقةً   بدرّة الفخمِ لابنةِ القصَبِ

- **الحِبْر**

قال بعض الأدباء: بالحبر تنصاغُ حكَمُ الأخبار، وبسواده تتضحُ شبهُ الآثار.

---

(١) عطلت من مدادها: جف حبرها ـ اليقق: اللون الأبيض.
(٢) العدّة: الأداة.

وقيل لورّاق: أخف رداءةَ خطّك بجُودةِ حبْرك، وقيل: عطّروا كتب علومكم بالحبر، فالحبرُ غاليةٌ والكتابُ غانية.

وقال الشاعر:

وأكـرِمْ بـحـبْـرٍ بـهـا لـجّـة ... جـواهـرُهـا حِـكَـمٌ تُـنـثَـرُ

وقال كشاجم في من أعطاه محبرة:

مـحـبـرةٌ جـادَ لـي بِـهـا قـمـرٌ ... مستحسنُ الخَلْق مرتَضى الخُلُقِ
كـأنَـمـا حـبْـرُهـا إذا نـشـرَتْ ... أقـلامـنـا طـلّـه عـلـى الـورَق
كـحلّ مرتـه الـجـفـونُ من مُـقَلٍ ... نُـجْلٍ فـأوفـتْ بـهِ عَـلَـى يَـقَـقِ
خـرسـاءُ لـكـنّـهـا تـكـونُ لـنـا ... عـونـا عـلـى عـلـمِ أفـصـحِ الـنـطْـقِ

- **لَوْحُ الحِساب**

قال كُشاجِم:

نعْمَ المعينُ على الآدابِ والحِكَمِ ... صحائِفٌ حلكُ الألوانِ كالظُّلَمِ
جفّتْ وخفّتْ فلم يُدْنَسْ لِحامِلِها ... ثوبٌ ولم يُخْشَ فيها نبوةُ القلمِ
لو كنّ ألواحَ مُوسَى[1] يومَ أغضبَه ... هارونُ لم يلقِها خوْفاً من النّدمِ

- **لَوْحُ الهندسة**

وقال كُشَاجِم:

وقـــلـــمٌ مـــداده تـــرابُ ... فـي صُـحُـفٍ سـطـورُهـا حِـسـابُ
يـكْـثُـرُ فـيـهِ الـمـحْـوُ والإضـرابُ ... مـن غـيْـرِ أنْ يُـسَـوِّدَ الـكـتـابُ
حـتـى يـبـيـنَ الـحـقّ والـصّـوابُ ... ولـيْـسَ إعـجـامٌ ولا إعْـرابُ
فـيـهِ ولا شَـكٌّ ولا ارْتـيـابُ[2]

- **مرفعُ الدواة**

قال الشاعر:

قَـرّبَ الـبُـعْـدَ مـرفـعٌ لـدواةٍ ... مـلـجَـمٌ مـن حـلـيـهِ بـلـجَـام[3]
كـخِـوانِ الـطّـعـامِ سـهّـل لـلاّ ... كـلِ مـنـه مـا كـانَ صـعـبَ الـمَـرامِ

---

(١) موسى: النبي موسى عليه السلام، وقوله: ألواح موسى كناية عن التعاليم التي أوحى الله بها إليه ودعاه إلى نشرها.

(٢) الارتياب: الشك.

(٣) ملجم بلجام: أي مربوط.

• الاصطرلاب[١]

وقال البَبْغاء[٢]:

ومستديرٌ معجَمُ التقسيمِ   منتسبُ الأشكالِ والرُسومِ
دبّره فكْرُ امرئٍ حكيمِ   فصاغَه في صِغَرِ التجسيمِ
مساوياً للفلكِ العظيمِ   مقتَطِعاً لسائرِ النجومِ

وكتب الصابىء[٣] إلى بعض أصدقائه وقد أهدي له اصطرلاب:

لمْ يرْضَ بالأرْضِ يهديها إليْك وقدْ   أهدَى لكَ الفلَكَ الأعلى وما فيهِ

• نفعُ الكُتبِ وكونُها ذاتُ أنسٍ

ذكر الجاحظ الكتب فقال: نعم الذخْرُ[٤] والعُقْدَة، والجليسُ والعدّة[٥] والمشتغلُ والحِرفة[٦]، ونعمَ القرينُ والدخيلُ والوزيرُ والنزيلُ، والكتابُ هو الأنيسُ الذي لا يطْريك[٧] والصّديقُ الذي لا يغْريكَ، يطيل امتاعَك ويشحذُ[٨] طباعَك.

وقال ابن المقفع: كلّ مصحوب ذو هَفَوات والكتاب مأمونُ العثراتِ[٩]

وقال الرفّاء[١٠]:

اجعَلْ جليسَك دفتراً في نشْره   للميْتِ من حكم العُلوم نشورُ
ومفيدَ آدابٍ ومؤنسَ وحشَةٍ   وإذا انفردْتَ فصاحبٌ وسميرُ

وأنشد أبو محمد الخازن لنفسه:

فدفتري روضَتي ومحبَرتي   غديرُ علْمي وصارِمي قلَمي
وراحَتي في قرارِ صومعَتي   تعلُّمني كيْفَ موقِعُ القَسَمِ

• التمدّحُ بالإنفاقِ على الكُتُبِ والحثُّ عليهِ

قيل لابن درّاج، وقد أخرج شعر أبي الشَمَقمق، في جلود كوفيّة ودفّتين طائفيتين

---

(١) الاصطرلاب: من آلات الرصد القديمة لقياس مواقع الكواكب واللفظة.

(٢) البيغاء: لقب الشاعر أبي الفرج عبد الواحد، وكان من شعراء سيف الدولة، ومات سنة ٣٩٨هـ (١٠٠٧م).

(٣) الصابيء: هو أبو الحسن هلال بن المحسن. الحرّاني ولد سنة ٣٥٩هـ (٩٦٩م) ومات سنة ٤٤٨هـ (١٠٥٦م).

(٤) الذخر: الذخيرة.   (٥) العدّة: الأداة.

(٦) المشتغل والحرفة: العمل والمهنة.   (٧) لا يطريك: أي لا يمدحك بما ليس فيك.

(٨) يشحذ طباعك: يصقلها.   (٩) العثرات: الزلاّت، جمع عثرة.

(١٠) الرفّاء: هو الشاعر محمد بن غالب المتوفّى سنة ٥٧٢هـ (١١٧٦م)، وسمّي بالرفاء لأنه كان يرفأ الثياب أي يلأم خرقها.

لقد ضيّع دراهمَه منْ يجودُ لشعرِ أبي الشمقمق. **فقال**: لا جرم أنّ العلمَ يعطيكم على قدرِ ما تعطونَه، ولو استطعتُ أن أكتبَه في سوادِ عيْني أو سويداءِ قلبي لفعَلتُ.

وقيل: إذا حويتَ الكتبَ فقد أحرزتَ الأدبَ والنّشب[1]، **وقالَ شاعر**:

تحرّضْ على تجويد كتبك أنّها ... مناهلُ ورّادِ الحِجَى والفوائِدِ[2]

وقيل: إنفاقُ المال على كتب الأدب يخلفكَ عليه لبابُ الألباب.

● ذمّ من يجمَعُ الكتُبَ ولم يحفظها

قال محمّد بن بشر:

أمَا لو أعِي كلّ ما أسمَعُ ... وأحفَظُ منْ ذاك ما أجمَعُ
ولمْ أستفِدْ غيرَ ما قد جمعْتُ ... لقيلَ هو العالِمُ المصْقعُ
ولكنّ نفسِي إلى كلّ شيءٍ ... منَ العِلْمِ تسمَعُه تنزِعُ[3]
فلا أنا أحفَظُ ما قَدْ جمعْتُ ... ولا أنا منْ جمْعِه أشبَعُ
ومن يَكُ في دهْرِه هكذا ... يكنْ دهره القهقَرى يرجِعُ

● مدحُ ملازمَةِ الكُتب

قال أبو عمرو: وما رأيتُ أحداً في يده دفترٌ، وصاحبه فارغُ اليد، إلا اعتقدتُ أنه أعقلُ وأفضلُ من صاحبه.

وكان عبدُ الله بن عبد العزيز يلزمُ أبداً المقابرَ ومعَه شيءٌ من الدفاتر، فقيلَ له في ذلك، **فقال**: لم أرَ أوعظَ منْ كتابٍ وأسلمَ من الإنفراد.

ونظرَ المأمونُ إلى بعض أولادِه وفي يدِه كتابٌ فقال: ما هذا؟ قال بعض ما يشحذُ الفطنةَ ويؤنسُ الوحشة، فقال: الحمدُ لله الذي جعل في أولادي من ينظرُ إليه بأدبِه أكثرَ مما ينظر إليه بحَسَبه[4].

● أحوالُ إعارةِ الكتبِ واستعارتِها

قال بعضُ الشعراء:

إنّي حلفتُ بربّ البيْتِ والحَرَمِ ... هلْ فوقَها حلفَةٌ تُرجَى لذي قَسمِ
أن لا أعيرَ كتاباً فيهِ لي أربٌ ... إلا أخا ثقَةٍ عنْدي وذا كَرَمِ[5]

---

(١) **النّشب**: المال.
(٢) **مناهل**: ينابيع وموارد، جمع منهل ـ **الحجى**: العقل.
(٣) **تنزع**: من نزع إلى... حنّ.
(٤) **الحسب**: مواريث النسب.
(٥) **الأرب**: الحاجة.

وقال بعضهم معتذراً عن امتناع إعارتهِ:

لصيقُ فؤادي منذُ عِشرين حجّةً وصقيلُ ذهْني والمفرّجُ مِنْ همّي[1]
يَعزُّ عَلَى مثلي إعارةُ مثلهِ وآليتُ لا يفارقُه كُمّي

وقال الشيخ أبو القاسم رحمه الله: كتبت إلى أبي القاسم بن أبي العلاء أبياتاً أستعير منه شعر عمران بن حطان وضمّنتها أبياتاً لبعض من امتنع من إعارة الكتب إلا بالرهن، وأبياتاً عارضها بها أبو علي بن أبي العلاء في مناقضة فقلت:

يا ذا الذي بفَضلهِ أضحى الورى مفتخرَه[2]
أصبحْتُ يدعوني إلى شعر ابن حطّان شرَه
فليُعطِنيه منعِما عاريةً لأشكرَه
مقتفِيا والدَه ألبسَ ثوبَ المغفرَه[3]
عارضَ من أنشده إذْ رامَ منه دفترَه
هذا كتابُ حسن قدمْتُ فيه المعذِرَه
حلفتُ باللهِ الذي أطلبُ منه المغفِرَه
أن لا أعيرَ أحَدا إلا بأخْذِ التَّذكرَه
بنكتة لطيفةٍ أبلغَ منها لم أرَه
فقال والقولُ الذي قد قالَه وحبّرَه[4]
من لمْ يعِز دفترَه ضاقتْ عليه المعذرَه
يقبّحُ في الذكْر وفي السّماع أخذُ التذكرَه
ما قالَ ذاكَ الشعرَ إلا ماضغ للعذرَه
فامنن به مصطَفِيا سلوكَ طرقِ البَرَرَه

فأجابني بأبياتٍ منها:

حبر شعْراً خلّتي أنشر منه حِبرَه
يريدُني فيهِ علَى خليقَة مُستَنكَرَه
مستنزلٌ عن عادةٍ عوّدتها مشتهرَه
أن لا أعيرَ أحَدا لا رجُلاً ولا مرَه
لا أقبَل الرهنَ ولا تُذكَرُ عندي تذكرَه

---

(١) الحجة: السّنة.

(٢) الورى: الخلق، الناس.

(٣) مقتفياً والده: سائراً على خطاه.

(٤) حبّره: خطّه وسطّره بالحبر، كتبه.

ولـو حـوَتْ كـفّـي بـهـا　　فـضـلَ الـرّضـا والـمـغـفِـرَة
كـانَ لـشـيـخِـي مـذهـبٌ　　مـن مَـذْهـبـي أن أهـجـرَه
خـالـفْـتُ فـيـه رسـمَـه　　مـغـفـيَـا مـا أثـرَه
ولَـوْ أتـانِـي والِـدي　　مـن بـيـتـه فـي الـمـقـبـرَه
يـرومُ سـطـراً لـم يـجِـد　　مـا رامـه وسـطّـرَه

والغرض في ذلك ما قاله أبو القاسم لا ما خاطبته به أعوذ بالله أن أكون ممّن يزري[1] بعقله، بتضمين مصنّفاته شعرَ نفسه.

- **مُعَاتبةُ حابِس دفتر[2]**

كتب كشاجم إلى صديق له:

عـذرتُ بـحـبْـسِ دفـتـرنـا　　وعـهـدي بـالأديـب ثـقـه
ولـسـتُ أحـبَ لـلأدبـا　　ءأن يـتـأدبـوا سـرِقَـه

وكتب بعض الأدباء إلى صديق له يطالبه بردّ دفتره:

ما بال كتبي في يديْك رهينةً　　حُبِستْ على مرّ الزمانِ الأطولِ
ائذَنْ لهَا في الإنصرافِ فإنّها　　كنزٌ عليْه إذا افتقرْتُ مُعَوّلي
ولقد تغنّت حينَ طالَ ثواؤُها　　طالَ الوقوفُ على رسومِ المنزلِ

وقال أبو العبر في سخفيات له: حدّثني لحيان عن موسى الفهاد، عن رجل من أهل جرجرايا، عن شيخ من بادرويا، أن السّفلة منْ إذا استعارَ كتاباً لم يردّه.

قال الشريف ابن طباطبا:

إذا فجعَ الدهرُ امرأً بخليلِهِ　　تسلّى ولا يُسلى لفجعِ الدّفاتر

وقال بعضهم في وصف كتاب كليلة ودمنة:

إذا افتخرَ الرّجالُ بفَضْل علْم　　ومدّتْ فيه ألسنةٌ طويلَه
ففاخِرْ ما استطعْتَ بما حَوَتْه　　بطونُ كتابِ دمنةَ مع كليلَة[3]
كتابٌ يغرقُ البلغاءُ فيه　　وألبابُ الورى منه كلِيلَه
وكمْ فيه عجائبُ كامناتٌ　　على دنيا وآخرةٍ دليلَه
وكم حِكَمٍ على أفواهِ طيْر　　وآدابٍ وأمثالٍ مقولَه

---

(١) يزري: يستخف ويستهين.　　(٢) حبس دفترنا: منعه وعدم إعادته.
(٣) كليلة: أي كتاب كليلة و.. دمنة ـ كليلة: ألباب كليلة أي متعبة، وكليلة الأولى والثانية من باب الجناس.

يـراهـا الـجـاهِـلُ الـمـأفـونُ هـزلا وحـسـبُـكُـهـا لـعـالِـمـهـا فـضـيـلَـه[1]

(١٣)

ومما جاء في الصدق والكذب

•

• الممدوحُ بالصّدق

فلان أصدقُ من أبي ذرّ[2] وأصدقُ من قطاة[3] **وقال النبي ﷺ**: ما أقلّتِ الغبراءُ ولا أظلّتِ الخضراء أصدقَ لهجةً من أبي ذرّ.

وقال الجاحظ: أخبرني فلانٌ وهو والكذب لا يجتمِعان في طريق، ولا يقشعِرّ من الكذب.

قال التوخي:

وألسنهُم وقفٌ على الصّدقِ والرفَا وأيمانُهم وقفٌ على القصْد والنعْمى[4]

وقال جحظة البرمكيّ:

وكـــانَ صـــديـــقَ الـــورَى بـــالـحَـقّ يـنـطُـقُ عـنْ لـسـانِـه

وفي المثل: لا يكذب الرائدُ أهله، لأن كذبه يجتثّ أصلَه.

• معيبٌ بالكذِب

قال رجل لكذّاب: مرحباً بأبي المنذر، **فقال**: ليس هذا كنيتي. **فقال**: قد علمت إنما هو كنية مسيلمة[5]، ولكنها صفتك: يعرّض بأنه كذّاب.

وقيل لرجل: ما تقولُ في فلان؟ فقال: أنا لا أذمّ مسيلمة. وذم رجلٌ آخرَ فقال: الكذبُ أحسنُ ما فيه، وهذا غاية الذم. **وقال** رجل لأبي حنيفة[6] (رضي الله عنه): ما كذبت قطّ؟ فقال: أما أنا فقد شهدْتُ عليك بهذه.

---

(١) **المأفون**: الناقص العقل.

(٢) **أبو ذر**: هو أبو ذرّ الغفاري وهو صحابي كان يضرب به المثل في الورع إلى جانب فصاحة وبيان. وهو من كبار المحدّثين كانت وفاته سنة ٣٣ هـ (٦٥٣م).

(٣) **القطاة**: طائر بريّ بحجم الحمام يضرب بها المثل في الاهتداء، فيقال أهدى من القطا.

(٤) **النعمى**: اليد البيضاء الصالحة.

(٥) **مسيلمة**: هو مسيلمة الكذاب الذي سبّب حروب الردّة بعد موت النبيّ.

(٦) **أبو حنيفة**: هو أبو حنيفة النعمان من كبار الفقهاء في الإسلام وصاحب المذهب المعروف باسمه «المذهب الحنفي».

وقال رجل: أنا لا أكذب كذبة بألف، **فقال صاحبه**: أما هذه فو:حدة بلا درهم.

وقيل: أكذب من يلمعُ أي السراب. قال الشاعر

أكثَرُ ما يجْري على فيهِ الكذبُ

وقال بعضهم: أسأت نظراً فأطرفت خبرا **وقال**: جاء فلان نزهات البسابس[١]، وجاء بالحطب الرطب، أي بمحض الكذب.

وقال الرشيد للفضل بن الربيع[٢]: كذبت، **فقال**: يا أمير المؤمنين وجه الكذّاب لا يقابلك، ولسانه لا يخاطبك، يعرّض به، لأن الإنسان لا يقابل نفسه ولا يخاطبها فاستحسن تعريضه فأولاه وما جفاه.

وقيل: فلان فيه روغانُ[٣] الثعلب وطبيعةُ العقعَق ولمعانُ البرق، أي الحيلة والسرقة والكذب.

قال الشاعر:

كلامُ أبي مالك كلُّه ... صياح الفواختِ جاءَ الرّطب

● **النهيُ عنِ الكذِب وذمّه**

قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾[٤]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾[٥]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾[٦]

وقيل: الكذبُ جمّاع النّفاق. **وقيل**: الكذب عارٌ لازم وذلّ دائم. **وقيل**: الكذب والحسد والنفاق أثافي.

قال الشاعر:

لا يكذب المرءُ إلا منْ مهانتهِ ... أو عادةِ السوء أو من قلّة الورعِ[٧]

وقيل: ما عزّ ذو كذب، ولو أخذ القمر بيديه، ولا ذلّ ذو صدق، ولو اتّفق العالم عليه.

وقال ابن عباس (رضي الله عنهما): حقيقٌ[٨] على الله أن لا يرفع الكاذب درجة، ولا يثبت له حجّة. **وقال سليمان بن سعد**: لو صحبَني رجلٌ وقالَ لا تشترط عليّ إلا شرطاً واحداً، **لقلت**: لا تكذبني.

---

(١) **البسابس**: الفلوات، جمع ببسبس.
(٢) **الفضل بن الربيع**: وزير الخليفة الأمين.
(٣) **الروغان**: الاحتيال والمكر.
(٤) **القرآن الكريم**: الذاريات/ ١٠
(٥) **القرآن الكريم**: الجاثية/ ٦.
(٦) **القرآن الكريم**: نوح/ ١٠٥.
(٧) **المهانة**: الذلّة والاحتقار.
(٨) **حقيق**: جدير.

● **النهيُ عنْ روايةِ الكذبِ**

قيل: من حدّث بحديث، وهو يرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين، وقيل أحد الشاتمين.

وقال النبي ﷺ: من قال عليّ ما لم أقله أو ردّ شيئاً ممّا قلته فليتبوّأ مقعده[1] من النار.

وقيل: إيّاك أن تكون للكذبِ رَاوياً، أو وَاعياً.

● **النهيُ عنْ روايةِ ما هُو بعرضِ التكذيبِ**

قيلَ: مِن صفاتِ العاقلِ أن يحدّث بما لا يُستطاع تكذيبُه.

وقيل: إياك وحكاية ما يستبعد فيجد عدوّك سبيلاً إلى تكذيبك.

● **تركُ الكذِبِ صعْبٌ**

قيل من استحلَى الكذِبَ عسرُ عليه[2] فطامُ نفسه عنه.

وقيل لرجل: أتركُ الكذبَ، فقال: والله لو تغرغرتَ[3] به وتطعمْتَ حلاوتَه لما صبرتَ عنه.

وقال يحيى بن خالد: قد رأينا شاربَ خمر أقلع[4]، ولصّاً نزع[5]، ولم نرَ كذّاباً رجع. **وقيل**: كل ذنب يرجَى تركُه إما بتوبة أو إنابة[6] ما، خلا الكذب، فإنّ صاحبه يزداد به ولوعاً على الكِبَر.

● **مضرّة الكَذب**

قيل: دعِ الكذبَ فإنّه يضرّك حيث ترى أنه ينفعك، وعليك بالصّدق فإنه ينفعك حيث ترى أنه يضرّكَ.

وقيل: الحقُ أبلج والباطل لجلج، إذا كذب السفير بطل التدبير، إذا كذب الرائد هلك الوارد. الصدْقُ عزّ والباطِلُ ذلّ.

● **من آثرَ الصدْقَ في مواضع طلباً لجوازِ كذبه**

قال خالد بن صفوان: أصدق في صغار ما يضرّك ليجوزَ لك الكذبُ في كبار ما ينفعُك. **وقيل**: من عُرفَ بالصّدق جازَ كذبُه، ومن عرفَ بالكذبِ لم يجزْ صدقُه.

● **حثّ الكاذب على التحفّظ**

قيل: إذا كنتَ كذوباً، فكن ذكوراً. وذكر عثمان البستي عكرمة، **فقيل له**: ما كان

---

(١) **يتبوأ المقعد**: يجلس فيه.
(٢) **عسر عليه**: صعب.
(٣) **تغرغر**: ردّد الماء أو الدواء في حلقه.
(٤) و (٥) **أقلع أو نزع عن الشيء**: تركه.
(٦) **الإنابة**: التوبة، والرجوع إلى الله مع الندامة.

يكذب، فقال: كان أحمق، من الحسن الكذب. إن الكذوب من يكون متحفّظاً.

● النهيُ عن سَماعِ الكَذِب

قيل: أجعل قولَ الكذّاب ريحاً لتستريح، وقال أبو تمّام:

ومَـنْ يـأذن إلـى الـواشـيـن تـسـلَـقْ ... مـسـامـعُـه بـألـسـنـةٍ حِـدادِ[1]

وقالوا: نزّه سمعَك عن سماع الكذب، كما تنزّهُ لسانَك عن التفوّه به.

● ما أجيز فيه الكذب

روي عن النبي ﷺ أنه قال: كلّ كذب مكتوب، إلا كذبُ الرجل في الحرب، فإنها خدعة، أو كذب المرء بين الرجلين ليصلح بينهما، أو كذبه لامرأته ليرضيَها.

وقيل لفيلسوف: متى يحمد الكذب؟

قال: إذا قرّب بين المتقاطعَين. قيل: فمتى يذمّ الصدق؟ قال: إذا كان غيبةً.

أتى معاوية رضي الله عنه بلصّ، فقال زياد: أصدق. فقال الأحنف: الصدقُ أحياناً معجزة.

قال الشاعر:

الـصـدقُ أفـضَـلُ مـا نـطَـقْـتَ بـه ... ولـربّـمـا نـفـعَ الـفـتـى كَـذِبُـه

وقال آخر:

طـلـبْـنـا الـنـفْـعَ بـالـبَـاطـل ... إذا لـمْ يـنـفـع الـصـدْقُ

● جواز التعريض

أقبل رسول الله ﷺ مردفاً[2] أبا بكر عامَ الهجرة، فقيل لأبي بكر: من هذا قدّامك؟ قال: رجل يهديني السبيل، تعريضاً بأنه يهديني سبيل الحق.

وقال النبي ﷺ: للرجل الذي سأله ممّن أنت؟ فقال: من ماء، وما حكى الله من قول إبراهيم عليه السلام أني سقيم، وقوله: فعله كبيرُهم هذا فاسألوهم وما روي عنه أنه قال عن امرأته هذه أختي كل ذلك تعريض. وقيل في قوله تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ من معاريض الكلام ولم يكن قد نسي ما عهِدَ عليه[3]

وقال عمر: في المعاريض مندوحةٌ عن الكذب.

---

(١) الواشون: جمع الواشي وهو النمّام ـ المسامع: الآذان ـ حداد: حادّة وقارصة أي لاذعة.

(٢) أردفه: أركبه خلفه، وردفه: تبعه.

(٣) القرآن الكريم: الكهف/ ٧٣، وتتمة الآية.. ولا ترهقني من أمري عسراً.

● المعترِفُ بالتزيّد والتكذيب

قال خالد بن صفوان: أني لا أسمع الحديث فلا أحدّث به، حتى أتوبله وأفلفله وأسعتره، **وقال:** أني لأسمع الحديث مجرداً فأكسوه، وممرطاً فأريشه. **وقيل لحيّان:** إنك لتكذب في الحديث. **فقال:** ما يضرّك كذبُه ولا ينفعُك صدقه، وما يدور إلا على لفظ جيّد ومعنى حسن. ولو أردته لتلجلج[1] لسانك وذهب بيانك.

● المعتذر منه

قال بعضهم: ونصرة الحق أفضت بي إلى الكذب.

قال الشاعر:

وزعـمـت أنـي قـد كـذبـتُـك مـرّة ... بـعـضَ الـحـديـثِ ومـا صـدقْـتُـك أكـثَـرُ

وفي المثل: عند النوى يكذبك الصادق.

● المتأهب في الكَذِب

تشاجر رجلان في سواد، تراءى من سطح، **فقال أحدهما:** غراب. **وقال الآخر:** خفّ. وحلف كل منهما على صدق ما قاله. فدنوا منه فطار، **فقال صاحب الغراب:** كيف ترى؟ **فقال الآخر:** امرأته طالق ثلاثاً، إن كان إلا خفاً ولو بلغ مكة طيراناً.

وقال بعضهم لابنه: إكذب على الأموات وباهت مع الأحياء. **وقيل لإعرابي:** بم غلبت؟ فقال: أبهت بالكذب وأستشهد الموتى.

● صعوبةُ سماعِ الكذب

قيل لبعض ندماء السلطان: ما حالكم معه؟ قال: نحن كما قال الله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾[2] وكان رجل يكثر الكذب وله غلام يخالفه ويكذّبه، **فقال له يوماً:** كنت في ضيعة لي في حصاد زرع، فرميت طيراً فوجدْتُ في حوصلته رطبة، لم ينضج نصفها. **فقال الغلام:** استدع السوط ولا تهذ[3] متى يجتمع الحصاد والرطب يا أحمق.

● ما يجوز أن يكذبَ المرء فيه

في كتاب جاويزان فروخ: محرم على السامع تكذيب القائل إلا في ثلاث: صبر الجاهل على مضض المصيبة، وعاقل أبغض من أحسن إليه، وحماة أحبّت كنّة.

---

(١) **التلجلج:** التلعثم.

(٢) **القرآن الكريم:** المائدة/ ٤٥، والسّحت: الحرام.

(٣) **لا تهذ:** من هذَى يهذي هذياً وهذياناً: تكلّم بغير معقول لعلة أو غيرها.

وقيل: إذا أردت أن تعرف عقل الرجل فحدّثه في خلال حديثك بما لا يكون فإن أنكرَه فهو عاقِل، وإن صدّقه فهو أحمق.

وقيل: كذّب بالمحالات[1]، وأقر بالواجبات، وتوقّف عن الممكنات.

● ذكرُ أكاذيب متناهية

تكاذب أعرابيان، **فقال أحدهما**: خرجتُ مرّة على فرس، فإذا أنا بظلمة فيمّمتها، حتى وصلت إليها. فإذا قطعة من الليل فأنبهتها فما زلت أحمل عليها حتى اصطدتها. **وقال الآخر**: رميت مرّة ظبياً بسهم فعدل الظبيُ فعدَل السهم خلفَه فعلا الظبي ثم انحدر، فانحدر السهم حتى أصابه.

وقال رجل لرؤبة: إن حدثتني بحديث لم أصدقك عليه، فلك عندي جارية. **فقال**: ابق لي غلام يوماً فاشتريتُ يوماً بطيخة فلما قطعتُها وجدتُه فيها، **فقال**: قد علمت. فقال: دبّر لي فرس فعالجته بقشور الرمان فنبت على ظهره شجرة رمان تثمر كلّ سنة. **فقال**: قد علمت. **فقال**: لما مات أبوك كان لي عليه ألف دينار، **فقال**: كذبت يا ابن الفاعلة. فأخذ الجارية.

وقال بعضهم: كان لأبي منقاش[2] اشتراه بعشرين ألف درهم، **فقيل له**: إذا كان من جواهر أو مكللا **فقال**: ولكن كان إذا نتف به شعرة بيضاء عادت سوداء. **وقال رجل**: كان أبي زرع سنة السلجم[3]، وكان يبلغ مساحة كل شجرة جريب[4] أرض. **فقال الآخر** كان أبي اتخذ مرجلاً[5] في بعض السنين، وكان يعمل فيه خمسون أستاذاً، لا يسمع كل واحد منهم صوت مطرقة الآخر، **فقال صاحبه**: ما أكذبك أي شيء كان يُطبخ في ذلك المرجل؟ **فقال**: السلجم الذي زرعه أبوك.

وقالت ليلى لأبيها أرايت قول أبيك:

بجيش تضلّ البلقُ في حجراتِه ... بيثربَ أخراه بالشأم قادِمُه

كم كنتم يومئذٍ؟ **فقال**: حضرتها وكنت أنا وابني ومعنا اثنان.

---

(١) **المحالات**: جمع محال أي المستحيل حدوثه أو وقوعه.

(٢) **المنقاش (صيغة مفعال)**: آلة للنقش.

(٣) **السلجم**: نوع من اللفت يزرع لإنتاج زيت كان يتخذ للإنارة.

(٤) **الجريب**: من الأرض مساحة أو مقدار معلوم الذراع وهو عشرة أقفزة وكلّ قفيز عشرة أعشراء، والعشير جزء من مائة من الجريب، وقيل الجريب مكيلة معروفة، وقدر ما يزرع فيه من الأرض ويقول ابن دريد لا أحسبه عربياً، والجريب معان أخرى (**انظر لسان العرب، مادة جرب**).

(٥) **المرجل**: الزق الملآن خمراً.

(١٤)
وممّا جاء في السر

•

• المنعُ من إظهارِ السرّ قبل تمامه

قيل: استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان، فإن كلّ ذي نعمة محسود.

وقيل: من وهي[١] الأمر إعلامه قبل إحكامه. **وقيل:** من حصّنَ سرّه أمِنَ ضرّه.

• الحثُّ على حِفْظ السرّ

قيل: من لم يكتم السرّ فقد استكمل الجهل.

وسمع **ابن المقفع** قول الشاعر:

إذا جاوزَ الاثنين سرّ فإنّه ... يُبثّ وتكثيرُ الحديثِ قمينُ[٢]

فقال: أراد بالاثنين الشفتين، ويدلّ على ذلك **قول الآخر**:

فلا تفشِ سرّك إلا إليك ... فإنّ لكلّ نصيح نصيحا

وفي المثل: اجعلْ هذا في وعاءٍ غير ذي سرب. سرّك من دمك، فانظر أين تريقه.

وقيل: من أفشى سرّه كثر المتأمرون عليه. **قال الصلتان:**

سرّ الثلاثة غيرُ الخفي

• المستوخم عاقبةَ إفشاءِ السرّ

لما ولّى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قدامة بن مظعون بدلَ المغيرة أمره أن لا يخبر أحداً. فلم يكن له زاد فتوجّهت امرأته إلى دار المغيرة، **فقالت:** أقرضونا زاد الراكب، فإنّ أمير المؤمنين ولّى زوجي الكوفة، فأخبرت امرأة المغيرة زوجَها، فجاء إلى عمر رضي الله عنه واستأذن عليه، **وقال:** يا أمير المؤمنين ولّيت قدامة الكوفة وهو رجل قويّ أمين. فقال: ومن أخبرك؟ قال نساء المدينة يتحدّثن به، **فقال:** اذهب وخذ منه العهد.

• من يكره اطلاعَه على السرّ

قيل: لا تطلعوا النساء على سرّكم تصلح أموركم. **وقيل:** ما كتمته عدوّك فلا تطلع عليه صديقَك.

---

(١) **الوهي:** الضعف والوهن والتهافت. (٢) **قمين:** جدير.

● **المتبجّح بحفظِ السرّ**

قيل لرجل: كيف كتمانك السر؟ **قال:** قلبي قبره وصدري حبسُه. **وقال الأحوص**[1]:

ومستخبرٍ عن سرّ ريّا رددتُهُ ... بعمياءَ من ريّا بغَيْر يقينِ

وقال أبو تمّام:

منيع نواحي السرّ منه حصينُها

وقال المتنبي:

وللسرّ منّي موضِعٌ لا ينالُه ... نديمٌ ولا يُفضي إليْه شرابُ

وقال ابن نباتة[2]:

أكاتِمُ قلْبي رأيَ عَيْني وإنّه ... ليكتمُ منّي سرّ كلّ خليلِ

● **الممدوحُ بحفظه**

قال الأحوص:

كريمٌ يميتُ السرّ حتّى كأنّه ... عمٍ بنواحي أمرِه وهو خابِرُ

وقال قيس بن الحطيم:

كتُومٌ لأسرارِ الخليلِ أمينُها ... يرى أن بثّ السرّ قاصمةُ الظّهْرِ

وقال كشاجم:

ويُكاتِمَ الأسرارَ حتّى أنّه ... ليصونُها عنْ أن تمُرّ بخاطِره

● **مدحُ كتمان السرّ**

قال قتادة (رضي الله تعالى عنه): إذا تكلمتَ بالنهار فانظُرْ مَنْ عندك، وبالليلِ، فاخفض صوتك. وقد نظمه الشاعرُ بقوله:

اخفِضِ الصوْتَ إنْ نطَقْتَ بليلٍ ... والتفِتْ بالنهار قبْلَ الكلام

ودنا رجل من آخر فكلّمه، **فقال:** ليس ها هنا أحد، **فقال:** من حق السرّ التداني[3]

---

(1) **الأحوص:** هو عليّ الأنصاريّ المتوفّى سنة ١١٠ هـ (٧٢٨م) كانت ولادته في المدينة ووفاته في دمشق. وهو من شعراء الحجاز المشهورين بفن الغزل، وكان يكثر من التشبيب بنساء البيوتات، وقيل إنه نفي وسجن. ومن فنونه التي برع فيها أيضاً الهجاء.

(2) **ابن نباتة:** هو عبد الرحيم بن نباتة ولد في بلدة ميافارقين سنة ٣٣٥هـ (٩٤٦م) ومات سنة ٣٧٤هـ (٩٨٤م)، وكان مؤدّباً في بلاط سيف الدولة.

(3) **التداني:** التقارب.

● **صعوبةُ حفظِ السرّ**

قيل: أصبر النّاس من صبر على كتمان سرّه فلم يبده لصديقه. الصّبر على التهابِ النار أهونُ من الصّبر على كتمانِ السرّ.

● **عيبُ من لا يحفَظ سرّه ويستحفظُه غيرَه**

وقال الشاعر:

إذا ضاقَ صدر المرءِ عن سرّ نفسِه فصدْرُ الذي يُسْتودَعُ السرَّ أضيَقُ

وقال بشّار:

تبوحُ بسرّك ضيقاً بهِ وتبغي لسرّك من يكتُمُ

وقال دعامة بن يزيد الطائي:

إذا ما جعلتَ السِرّ عندَ مُضيعٍ فإنّك ممّن ضيّعَ السرّ أذنَبُ

● **ذمّ مفشي سرّه**

قيل: فلان أنمّ[١] من النسيم على الرياض، ومن العين منها الصفو والكدر، **وقيل**: وهو أضيعُ للأسرار من الغربال للماء.

قال الشاعر[٢]:

أغِزبالاً إذا استودعتِ سرّاً وكانونا على المتكلّمينا

وقال آخر:

أمنتُ على السرّ امرأً غيرَ حازم ولكنّه في النصحِ غيرُ مريبِ

أذاعَ بهِ في النّاس حتّى كأنّه بعلياء نارٌ أوقدت بثُقوبِ

وقال ابن الرومي:

كان سرّي في أحْشَائه لهبٌ فما تطيقُ له طيّاً حواشِيها

● **الأحوالُ التي يفشو فيها السِرّ**

قال يحيى بن خالد: الرجلُ ينبىء عن نفسه في ثلاثة مواضع: إذا اضطجع على فراشه، وإذا خلا بعرسه[٣]، وإذا استوى على سرجه.

وقيل: إذا أردتَ أن تُنزِلَ الرجل عن سرّه، فتوصّل إليه من حال سكره:

---

(١) **أنم من النسيم**: أي أكثر وشاية.

(٢) صاحب البيت هو الأخطل، هجا به امرأة أبيه وعيّرها بفضح الأسرار وباللسان السليط.

(٣) **العرس**: الزوجة.

● **كتمُ ما لا ينكَتم**

قال الشاعر:

وليس الذي فيه خفاءٌ لأمره كمَنْ دبّ يستخفي وفي العنقِ جُلْجُلُ

وقال زهير:

مخازٍ لا يدبّ لها الخفَاءُ

وفي المثَل:

وهل يخفَى على النّاس النّهارُ

وقال أبو نواس يصف الخمر:

نحنُ نخْفيها ويأبَى طيبُ ريحٍ وفيوحُ

● **المسارَرَةُ في المحافِل**

قال النبي ﷺ: إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث.

وكان مالك بن مسمع إذا سارّه إنسان يقول: أظهره فلو كان خيراً لم يكن مكتوماً.

وهذا من قول زهير:

والسترُ دون الفاحِشات ولا يلقاكَ دونَ الخيْرِ مِنْ سِتْرِ

وقال الخبزارزي:

إذَا أنتَ سارَرْتَ في مجلسٍ فإنّك في أهلِه متّهَمُ
فهذا يقولُ قد اغتابَني وذا يستَريبُ وذا يتّهِمُ

● **الرخصَةُ في إفشاءِ السرّ إلى الصّديق**

ليم بعضُهم في إفشاء السر، فقال: المصدور[1] إذا لم ينفث جوي[2] والمهجور إذا لم يشك وري[3] **قال الشاعر:**

ولا بدّ للشكوى إلى ذي حفيظةٍ إذا جعلْتُ أسرارَ نَفسي تطلعُ

وقال محمودُ الورّاق:

إذا كتَمَ الصّديقُ أخاه سرّاً فما فضْلُ الصّديقِ على العَدُوّ؟

وقيل: لا يزال المرء في كربة ووحشة، ما لم يجد من يشكو إليه.

---

(١) المصدور: المصاب بالسلّ. (٢) جوي: أصابته حرقة وشدّة وجد.
(٣) وري: اتقد واشتعل.

وقال الشاعر:

لا تـكـتـمـنَّ داءَكَ الـطـبـيـبَـا ... ولا الـصّـديـقَ سـرّكَ الـهـجـوبَـا[1]

وسارَرَ المهدي وكيلاله، والعبّاس بن محمد حاضرٌ، **فقال**: اسردوني ولو هجم بي نصحك على تلفى لما تركته، **وأنشد**:

بـمـثـلـي فـاشـهـد الـنـجـوى وعـالـن ... بـي الأعـداء والـقـومَ الـغـضـابـا

وكتب **أبو الفضل بن العميد**: من كتم عن طبيبه داءه، وستر عنه ظمأه بعيد عليه أن يبلّ عن علله ويعلّ من غلله.

- **المتبجّح بإظهار أسرارِ أصدقائه**

قال الشاعر:

ولا أكـتـمُ الأسـرارَ لـكـنْ أنـمّـهـا ... ولا أتركُ الأسرارَ تَغلي على قلْبي

وإنّ قـلـيـلَ الـعـقـل مـنْ بـاتَ لـيـلَـةً ... تـقـلّـبـهُ الأسـرارُ جـنْـبـاً إلى جنْبِ

وقال رجل لصديق له: اكتُمْ سرّي الذي أفشيته، **فقال**: كلا لستُ أشغل قلبي بنجواك ولا أجعلُ صدري خزانةَ شكْواك فيقلقُني ما أقلقك، ويؤرّقني ما أرّقك، فتبيت بأفشائه مستريحاً، ويبيت بحرّه قلبي جريحاً، **وقال الشاعر**:

ولا تـودعِ الأسـرارَ قـلْـبـي فـإنّـمـا ... تـصـبّـنّ مـاءً فـي إنـاءٍ مُـثْـلَـمِ[2]

(١٥)

وممّا جاءَ في النّصح

●

- **فضلُ النّصح والحثّ عليه**

قال النبي ﷺ: الدّين النصيحة، وقال ﷺ: من غشّنا فليس منّا، وقال ﷺ: دعُوا الناس يصيبُ بعضُهم منْ بعضٍ، فإذا استنصحك أخوك فانصحه، وقال أوس[3]:

وإن قـالَ لـي مـاذا تـرى يـسـتـشـيـرنـي ... فـلـمْ يـكُ عـنْـدي غـيرُ نـصـحٍ وإرشـادِ

- **الحثُّ على قَبول النّصح وإن كان مرّاً**

قيل: من أحبّك نهاك، ومن أبغضك أغراك.

---

(١) **السرّ الهجوب**: الذي يخرق ويقطع به. (٢) **الإناء المثلم**: المشقوق الذي لا يحفظ ما يصبّ فيه.

(٣) **أوس**: هو أوس بن حجر من شعراء الجاهلية الأوائل وسبقت الإشارة إليه (انظر مقدّمة ديوان أوس بن حجر، منشورات دار الأرقم).

وقال بعض الحكماء: من أوجرك[1] المرّ لتبرأ، أشفق عليك ممّن أوجرك الحلو لتسقم، **وقيل**: النصيحة أمن الفضيحة.

● **معاتبةُ من لمْ يقبلْه**

منْ لمْ يقبَل رأيَ أصحابه، وإن حزنوه عاد ضرره عليه، كالمريض الذي يترك ما يصفُ له الطبيب، ويعمد لما يشتهيه فيهلك.

قال الله تعالى حكاية عن صالح: لقد أبلغتكم رسالاتِ ربّي ونصحتُ لكم، ولكن لا تحبّون الناصحين.

وقال أبو ساسان:

أمرتك أمراً جازماً فعصيتَني ... فأصبحْتُ مسلوبَ العبارةِ نادِما

وقال آخر:

لو كنتَ تقْبَلُ نصْحي غيْر متّهم ... ملأتُ سمعَك من وعْظٍ وإنذارِ

وقال العرجي:

عرضتُ نصيحةً منّي ليحيى ... فقال غشَشْتَني والنّصحُ مُرّ

● **ضياعُ النّصح لمن لا يقبله**

قال الشاعر:

وما خيْر نصح قيل لا يُتَقَبّلُ

وقال الخبزارزي:

إن كانَ حَمْدي ضاعَ في نصحِكم ... فإنّ أجري ليْس بالضائعِ

وقيل: أخذ رجل ذئباً فجعل يعظُه، ويقول: إياك وأخذَ أغنام الناس فيعاقبك الله، والذئب يقول خفّفْ، واختصر فقدامي قطيع من الغنم لئلا يفوتني. **وقال الشاعر**:

لددتهم النصيحة أي لدّ ... فمجّوا النصْحَ ثمّ ثنوا وفاؤا[2]

● **معاتبةُ من يستنصح الناس ويستغشّ الناصح**

وقال عبد الله بن همام:

ألا ربّ من تغتشه لكَ ناصِحٌ ... ومؤتَمَنٍ بالغيْبِ غيرُ أمين

وله:

وقدْ يستغشّ المرءُ من لا يغشّه ... ويأمَنُ بالغيْب امرأ غيرَ ناصحِ

---

(١) أوجره: أسمعه ما يكرهه.

(٢) مجّوا النصح: طرحوه.

وقال يزيد بن الحكم:

تـصــافـح مــن لاقـيـتـه ذا عــداوة صفاحاً وحقدٌ بَيْنَ عينَيْك منْزورُ

وقال آخر:

والعجْزُ أن تجعَلَ الموتورَ منتَصِحاً[1]

وقال آخر

ألا ربّ نـصْـحٍ يُغْـلَـقُ الـبـابُ دونَـه وغـشٌ إلـى جـنْـبِ الـسـريـرِ مُـقَـرّبُ

وقال آخر:

نصحْتُ فلمْ أفلِحْ وخانُوا فافلَحوا فـأنـزلَـنـي نـصْـحـي بـشـرّ مَـكـانِ

● **الحثّ على الغِش لمن لا يقبَل النّصْح**

قال عثمان البـتي: إذا نصحت الرجل فلم يقبلْ منك، فتقرّب إلى الله بغشّه. **وقال الشاعر:**

أغُـشّ إذا الـنّـصْـح لا يُـتَـقَـبّـلُ

وأنشدَ الثوريّ:

تـنـحلـتُ آرائي فسقتُ نـصيحَتي إلى غيرِ طلقٍ للنّصيحِ ولا هشّ[2]
فلمّا أبى نـصْحي سلكْتُ طريقَه وأوسعْتُه من قولِ زورٍ ومن غِشّ[3]

● **كون النّاصح متّهماً**

قيلَ في المثل: المبالَغة في النصيحة تهجُم بك على عظيم الظنّة. **وقال:**

وقـد يـسـتـفـيـد الـظـنّـة الـمـنـتـصـح

وشاور المأمون يحيى بن أكثم فكان الرأي مخالفاً لهوى المأمون، **فقال يحيى:** ما أحد بالغَ في نصيحةِ الملوك إلا استغشّوه. قال: ولم يا يحيى؟ قال: لصرفه لهم عمّا يحبّون، إلى ما لعلّهم يكرهون في الوقت، والهوى إلّه معبود.

● **وصف غاشّ في نصيحة**

قيل: فلان شولة الناصح، وشولة أمة كانت ترى أن تنصح مواليها وهي تسعى في إهلاكهم.

وقال معاوية يوماً لعمرو بن العاص: هل غششتني منذ استنصحتك؟ **قال:** لا، **فقال:**

---

(١) **الموتور**: القتيل الذي لم يثأر له. (٢) **الطلق**: ذو البشاشة.

(٣) **أوسعته من قول زور**: أكثرت من غشه، بالنصح الكاذب.

ولا يوم أشرتَ عليّ بمبارزة عليّ وأنتَ تعلَمُ من هو؟ فقال: كيف؟ وقد دعاك رجل عظيم الخطر كنت من مبارزته إلى أحدى الحسنيين إن قتلته فزت بالملك وازددت شرفاً إلى شرف، وإن قتلك تعجلْتَ من الله تعالى ملاقاة الشهداء والصديقين، فقال: وهذا أشد من الأول فقال: أو كنتَ من جهادِك في شكّ. فقال: دعني من هذا.

قال النابغة:

يـخـبّـركـم أنّـه نـاصِـحٌ ... وفـي نـصـحـهِ ذنـبُ الـعـقـربِ

وقال الموسوي:

يـرومُ نُـصْـحـي أقـوامٌ رأوا كـيْـدي ... والعجْز أن تجعَلَ الموتورَ مَنتصحاً

هذا من قول حارثة بن بدر:

أهـانُ وأُقـصى ثـمّ تـسـتـنـصحـونَـنـي ... وأيّ امرىء يُعطي نصيحتَه قسراً[1]

وقال لمن يردّ نصيحته:

أعـاذلُ إن نـصـحَـك لـي عـنـاء ... فحسْبُك قدْ سمعْتُ وقدْ عصيْتُ

(١٦)

وممّا جاء في الوعظ والمتعظين والآمرين بالمعروف والقصاص والمفتين

●

● نهي من لا يتّعظ عن الوعظ

قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام: عِظْني وأوجِز، فقال: توقّ ما تعيب. وقال أيضاً: لا تأتِ ما تُعيب ولا تعِبْ ما تأتي.

وجاء رجل إلى ابن عبّاس رضي الله عنه، فقال: إني أريد أن أعظ، فقال: أو بلغت ذلك إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله تعالى فافعل. قال: ما هي؟ قال: قول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[3] وقول العبد الصالح شعيب ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[4] أحكمت هذه الآيات. قال: لا، قال: فابدأ إذا بنفسك.

---

(١) أُقصى: أبْعَد ـ تستنصحونني: تطلبون نصحي ـ قسْراً: دون إرادته، رغماً عنه.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٤٤. (٣) القرآن الكريم: الصفّ/ ٢ و٣.
(٤) القرآن الكريم: هود/ ٨٧.

وقال ابن كناسة:

يا واعظَ النّاس قد أصبحْتَ متّهماً إذ عبْتَ منهم أموراً أنت تأتيها
كمَن كسا النّاس من عريٍ وعورتُه للنّاس باديةٌ ما إن يواريها[1]

● **الحثُّ على الوعْظ بالفعال دون المقال**

قال بقراط: لا تحثَّ غيرَك على فعلِ الفضائل ما لم تستكملْ فيك فأفعالُك تحث على المحاسن أكثر من مقالك.

وقال أبو جعفر النيسابوريّ: ليس الحكيم الذي يلقّنكَ الحكمَةَ تلقيناً، إنّما الحكيم الذي يعْمَل العمل فتقتدى به.

وقال أبو هاشم: أخذُ المرء نفسَه بحسْن الأدب تأديب أهله. ومن هذا **قول محمود الورّاق:**

رأيتُ صلاحَ المرءِ يُصْلِحُ أهلَه ويعديهم داءُ الفسادِ إذا فسدْ

وقال عديّ:

ونفسَك فاحْفظها من الغيّ والرّدى متى تغوِها تُغْوِ الذي بك يقْتدي[2]

● **التلطّفُ والملاينةُ في الوعْظ**

قيل: تصدّى رجلٌ للرشيد، **فقال:** إني أريد أن أغلظَ عليك لي في المقال، فهل أنت محتمل؟ **قال:** لا، لأن الله تعالى أرسل من هو خيرٌ منك إلى من كان شراً منّي، **فقال:** فقولا له قولاً ليناً لعلّه يتذكر أو يخشى.

وقيل: الواجب لمن يعظ أن لا يعنف ولمن يوعَظ أن لا يأنف.

● **الحثُّ على الاتعاظ**

قيل: من قلّ اعتباره قلّ استظهار من لم يتعظْ بغيره وعظ الله به غيره. **وقال حكيم:** السعيدُ من وُعظ بغيره والشقيّ من وُعظ به غيره. **وقيل:** يا لها من موعظة لو وافقتْ في القلوب حياة.

● **النهيُ عن وعْظ من لا يتّعظ**

وقيل: وعظُ من لا يعيرُك سمعَه، ولا يشحذ وعظُك طبْعَه كمن وضع مائدة لأهل القبور، ورام بخرقة تليين الصخور.

وقيل: فلان في وعظه كنافخ في قفص وقاصّ في مقبرة.

---

(١) يواريها: يسترها ويخفيها.

(٢) الغيّ: الضلال ـ يدعو عديّ إلى حفظ النفس من الضلال لأنها إذا تركت على هواها انساقت إلى رغباتها وأساءت لمن يقتدي بها.

وقيل: لا ينجع الوعظ في القلوب القاسية، كما لا يزكو البذر في الأرض الجاسية[١]

وقيل: صقلك سيفاً ليس له سنخ تعب، وبذرك أرضاً سبخة[٢] نصب.

وقيل: من استثقل سماع الحقّ فهو للعمل به أكثر استثقالاً.

● الحثُّ على قَبول وعظٍ من ليسَ بمتعظ

قال بعضهم: لا يمنعنّكم سوء ما تعلمون منّا، أن تعملوا بأحسن ما تسمعون منّا.
ووقف رجل على ابن عيينة وهو يعظ النّاس فأنشده:

وغيرُ تقيٍّ يأمرُ النّاس بالتّقى ... طبيبٌ يداوي والطبيبُ مريضُ

فأنشده ابن عيينة:

إعمَلْ بعلمي وإنْ قصّرْتُ في عملي ... ينفعْكَ علمي ولا يضررْكَ تقْصيري

وقد قال النبي ﷺ: مروا بالمعروف، وإن لم تعملوا به، وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه.

وما أحسن ما **قال يوسف** بن الحسين الرازي في دعائه: اللهمّ أنك تعلم أنّي نصحت للناس قولاً، وخنت نفْسي، فهب خيانتي لنفسي لنصيحتي للناس.

● النهيُ عن الاقتداءِ بذوي الزّلات

قال المعتمر بن سليمان: إيّاك والاقتداء بزلاّت أصحاب النبي ﷺ، فتقول: فلان شرب النبيذ، وفلان سمعَ الغناء، وفلان لعبَ بالشطرنج، فيخرج منك فاسق تام.

وقيل: من أخذ برخصة كلّ فقيه خرج منه فاسق.

● كراهية تولّي الفتيا[٣] والجلوس للنّاس

قال النبي ﷺ: أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار.

وقال ﷺ: من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض. **وقيل لحاتم الأصم**: ألا تجلس لنا في الجامع؟ **فقال**: لا يجلس في الجامع إلا جامع، أو جاهل، ولست بجامع ولا أحب أن أكون جاهلاً. وفي أخرى لا يتصدّى إلا فائق أو مائق ولست بالفائق.

وقال الحسن رضي الله عنه: إنّ خفق النعال خلفَ الرجال لا يثبتُ قلوب الحمْقى.

ونظر عمر رضي الله عنه إلى أُبيّ بن كعب، وقد تبعه قومٌ فعلاه بالدرّة[٤]، **وقال**: إنها فتنة للمتبوع ومذلّة للتابع.

---

(١) **الجاسية**: الصلبة. (٢) **السبخة**: التي تنزّ بالماء والملح.

(٣) **الفتيا**: إعطاء الفتوى أي تبيان الحكم في الأمور الدينية.

(٤) **الدرّة**: السوط يضرب به.

قال ابن المبارك: قلتُ لسفيان: من الناس؟ قال: العلماء. قلت: فمن الملوك؟ قال الزهّاد. قلت: فمن الغوغاء؟ قال: القصّاص.

● الحثّ على الأمر بالمعروف

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١)

وقال أبو بكر (رضي الله عنه): سمعت النبي ﷺ قال: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده عمهّم الله بعقابه.

وقال النبي ﷺ: من رأى منكراً فاستطاع أن يغيّره بيده، فليفعل. فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان. وقال خالد بن عبد الله في كلام له: حق على المسلمين التواضع والتناهي عن المعاصي.

● الموضِعُ الذي يجوزُ فيه تركُ الأمر بالمعروف

قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾(٢)

وقال أبو أمية الشعباني: سألت أبا ثعلبة الخشني عنها، قال: سألت عنها جبيراً. قال سألت: رسول الله ﷺ قال: ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، وإذا رأيت شحّاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجابَ كلّ امرىء برأيه فعليك بنفسك ودع أمر العوام.

وقال أكثر المتكلمين: لا يجوزُ تركُ الأمرِ بالمعروف، والنهي عن المنكَر في كلّ موضع، لكن من علم أو ظنّ أنه ينفذ قوله ولا يناله مكروه إذا قاله، أو فعله، فعليه أن يفعل ذلك، ومتى خاف على نفسه، فعليه أن ينكر المنكر بقلبه دون لسانه.

● من هزأ بالناس من القصاص

كان عيّار يقصّ فأقبل جماعة من المرد، فقال: ها هو قد جاء العدوّ أمنوا، اللهم امنحْنا أكتافَهم وكبّهم على وجوههم وولّنا أدبارهم وأرِنا عورتَهم، وسلّط رماحَنا عليهم. والناس يؤمنون ولا يدرون. وكان قاص بالغداة يسخر بالناس ويشرب بالعشيّ فقيل له في ذلك، فقال: أنا بالغداة قاصّ وبالعشي ماصّ.

وكان قاصّ يقال له أبو شعيب يقول: ها أنا أبو شعيب قليل العيب، هاتوا ما في الجيب أخبركم بما في الغيب. وجاءه رجل فقال: ما المحبة؟ فقال: هاك سؤالك جاءني في جبّه بلحية كالمذبة ورأس مثل الدبة وعقل لا يساوي حبة يسألني عن المحبّة.

---

(١) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٠٤.
(٢) القرآن الكريم: المائدة/ ١٠٤

● الهاذون[1] من القصّاص

ألقي إلى أبي مسلم القاصّ خاتم بلا فصّ، **فقال**: صاحب هذا الخاتم يعطى في الجنة غرفة بلا سقف. **وقال قاص**: ما من قطرة تسقط من السماء إلا ومعها ملك يضعها في موضعها. ثم يصعد، **فقيل**: فالقطرة التي تقع في الكنيف يدخل معها الملك؟ **فقال**: إن في الملائكة كناسين كما في الناس ذوي دناءة وخسة.

وقال أبو عقيل: الرعد ملك أصغر من نحلة وأعظم من زنبور، **فقيل**: لعلّك تريد أصغر من زنبور وأعظم من نحلة، **فقال**: لو كان كذا لم يكن بعجب.

وقرأ رجل في مجلس سيفويه قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾[2] **فقال**: دعنا من قرآن الحماشين، وهات قرآن طرسوس يعني الجهاد.

وقال قاص: يا قوم اشكروا إذا لم يكن للملائكة نجاسة فكانوا يحزنون علينا، يلطخون ثيابنا.

وقال يوماً: احذروا الله فإنه ماء تحت التبن، فقيل له: كيف؟ **فقال**: أهلك عالماً في سبب ناقة قيمتها مائتا درهم، وقتل ابن النبي فلم ينتطح فيه عنزان. ربما يأخذ بالقليل ويعفو عن الكثير.

وقال آخر: من صلّى ركعتين، فله بيت في الجنّة، **فقال نبطي**، إن صلّيت خمسين ركعة هل يجعل لي بيت؟ **فقال**: لا يا عاص إن ذلك لبني هاشم، فأما أنت فيبنى لك جدح بعكر.

وقال بعضهم: كان موسى عليه السلام فضولياً. **قيل**: وكيف قال؟ قيل له: وما تلك بيمينك يا موسى؟ فكان الجواب أن يقول عصا. **فقال**: هي عصاي (الآية). فأخذ فيما لا يعنيه.

● أدعيتُهم

دعا بعض القصّاص فقال اللهمّ جازفنا ولا تفتشْ عن ذنوبنا فتفضحنا. وكان بعضهم **يقول**: اللهم اغفرْ لنا كلّ نعمة وحسنة، واحشرنا في جملة سيدي أبو عبد الله بن حنبل ولا تغفر للرافضة.

● من أفتى في مسألة برقاعة

ترك طبيب طبّه وقعد فقيهاً **فقيل له**: ما تقول في من زعف في صلاته؟ **فقال**: يحتجم، **قيل**: فمن قلس في صلاته، **فقال**: يتناول حبّ أيارج، **قيل**: ذا طبّ وليس بفقه.

---

(١) **الهاذون**: جمع الهاذي وهو الذي يتكلم بغير معقول.
(٢) **القرآن الكريم**: يوسف/ ٢٣.

وقيل لآخر: ما تقول في من خصى نفسه؟ **قال**: إن قصد الإضرار بامرأته حدّ.

وقيل لبعضهم: إن نصرانياً قال: لا إله إلا الله، **فقال**: يؤخذ بنصف الإسلام، وإن مات دفن بين مقابر المسلمين ومقابر النصارى.

وقيل لسيفويه ما تقول في الأضحية؟ **فقال**: علي لخبير سقطت، سألت عنها شيخاً بنصيبين فلم يكن عنده فيها شيء. **وقيل له**: أتروي عن شريك شيئاً؟ **فقال** نعم. حديثاً واحداً قيل ما هو؟ **قال**: حدثنا شريك عن مغيرة عن إبراهيم مثله قيل مثل أي شيء قال ما أدري هكذا سمعته.

● من استفتي فيما لا يعرفه فانفصل عنه بحيلة

قالت امرأة لرجل: إذا كان مكوك دقيق بدرهم ودانق[(١)]، كم يكون بأربعة دراهم؟ فلم يعرف جوابها. **فقال**: ممّن اشتريت؟ **قالت**: من فلان قال اقنعي بما يعطيك فإنه ثقة.

وسأل رجل في الجامع أبا عقيل مسألة في الحيض فلم يعرفها. فقال يا أحمق أخرج هذه القاذورات والنجاسات من الجامع حتى تخرج منه.

وكان بعض القصاص في حديث قتلى بدر، فسئل عن النملة إذا ماتت في الماء، هل يجوز شربه؟ **فقال**: ما لنا وهذا؟ نحن في النوق لسنا العنوق أي نتكلم في الكبار فلا نخوض في الصغار.

● من استفتاه أحمق فأجابه بنادرة

قال شاميّ لحمزة بن بيض: لم يرفع الكلب رجله إذا بال؟ قال: مخافة أن ينجس سراويله.

وسأل رجل الشعبي: كم أمهر إبليس امرأته؟ قال: ذاك أملاك لم أشهده. **وقال له إنسان**: هل آكل الذباب؟ قال إن اشتهيت فكل.

وقيل لآخر: إذا دخلت النهر لاغتسل، ففي أي جانب أفضل أن أقف، **فقال** في الجانب الذي فيه ثيابك لئلا تسرق.

وقيل لآخر: ما تقول في من نام وأيره قائم فجاءت امرأة فقعدت عليه؟ **فقال**: لا أدري ما أقول، ولكن كان أيراً مرزوقاً.

وقال أبو حازم: جاء رجل إلى أبي فقال بأي رجل يجب أن يبدأ من يدخل المسجد؟ فقال ما هذا مما يسئل عنه؟ ولكن قد قيل للعروس: ضعي رجلك اليمنى على المال والبنين.

---

(١) الدانق: هو سدس الدرهم واللفظة فارسية.

وقال رجل لمفت بالبصرة: أسلمت ثوباً إلى الحائك فالدقيق على من يجب؟ **فقال:** الدقيق ولعنة الله على الحائك.

● من استفتى في سخف فأجاب بمقتضاه

قيل لعالم: ما بال عانة المرأة تنبت اكثف، **فقال** لقربها من السما وتسقى من عسل.

وقيل: ما بال أستاههن لا شعر عليها وعلى أستاء الرجال الشعر؟ **فقال:** لأن أستاه الرجال حمى وأستاه النساء مرعى.

وقال عبادة عند المأمون ليحيى بن أكثم: علّمني فرائض الصلب فإني أشتهيها فقال المأمون وتبسم ما تقول في مسألته، **فقال:** قد أخطأ ما كان يجب أن يسأل عن هذا في الصبا. **أما سمع قول الشاعر:**

فإن من أدبته في الصبا　　　كالعود يسقى الماء في غرسه

إنما يعلم الحديث بشرط أن يكون وضيئاً زكياً سهل الأخلاق فإن كان له ابن بهذا الشرط علمناه، **فقال عبادة:** لو دخلت في صناعتنا لم يقربك أحد. فقال يحيى: وأنا خارج منها وما بأحد على قوّة.

واستفتى ابن فريعة في رجل دخل الحمام وقعد على الحوض ضرط فيه فتحول الماء زيتاً فكتب أخلق بذلك أن يكون عبثاً باطلاً وكذباً وعليهما أن يعلما المبتاع بنجاسة منشئه وقذر مبدئه، ليستعمله في أسرجته[1] دون أطعمته والسلام.

(١٧)
وممّا جاء في الخطبة وقراءة القرآن

●

● ما يُحتاج إليه في الخطبة

قيل: يجب أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح، قليل اللحظ متخيّر اللفظ جهير الصوت، وأن يضع في صدر كل خطبة من النكاح والعيد والصلح ما يدل على عجزها، وأن يكون فيها آيات وإلا كانت شوهاء، ولذلك **قال عمران بن حطان:** أول خطبة خطبتها عند زياد، **فقال:** هذا الفتى أخطب الناس. لو كان في خطبته شيء من القرآن وليس من السنة التمثل فيها بالشعر.

وقال الجاحظ: يجب أن يفرق بين صدر خطبة النكاح، وخطبة العيد وخطبة الصلح، وكانوا يحمدون الجهير الصوت ويذمّون ضئيله.

---

(١) **الأسرجة:** جمع سراج وهو إناء يجعل فيه زيت أو نحوه فيصمد في فتيلة، فيستضاء به عندما تمسّه النّار.

● **صعوبة تولّيها**

قيل لعبد الملك: أسرع إليك الشيب، **فقال:** كيف لا؟ وأنا أعرض عقلي في كل جمعة على النّاس.

وقيل: نعم الشيء الأمارة، لولا قعقعة البريد وصعوبة المنبر.

وقيل: إياك والخطبة فإنها مشوار كثير العثار[1] **وقيل:** لا يقدم على الخطبة إلا فائق أو مائق[2]

وقال عبد الله القسري: هو مقام لا يقومه إلا أهوج أو قليل الحياء.

وقال عمر رضي الله عنه: لا يتصعّدني شيء كما تتصعدني خطبة النكاح. **وقيل:** إنما صعب عليه لقرب الوجوه من الوجوه ومن صعد المنبر رأى نفسه أرفع فيكون أجسر.

وقيل أنه لا يجد من تزكية الخاطب بدأ فلذلك كرهه.

● **من ارتج عليه فيها فاعتذر بعذر حسن**

ارتج على **عثمان** رضي الله عنه، **فقال:** إنكم إلى أمير فعّال أحوج منكم إلى أمير قوّال.

وارتج على يزيد بن المهلب فلما نزل **قال:**

فإن لا أكن فيكم خطيباً فإنّني ... لسيفي إذا جدّ الوغا لخطيبُ

فقيل: لو قلت هذا على المنبر، لكنت أخطب العرب. وصعد **خالد بن عبد الله القسري** المنبر فأرتج عليه **فقال:** إن هذا الكلام يجيء أحياناً، ويعسر أحياناً وربما طلب فأبى وكوبرفعتا. التأني لمجيئه أيسر من التعاطي لأبيّه. وقد يختلط مِن الجريء جنانُه وينقطع من الذرب لسانه، وسأعود فأقول.

وارتج على أبي العباس السفّاح لما صعد المنبر فنزل ثم صعد، **وقال:** أيّها النّاس إن اللسان بضعة من الإنسان، يكل بكلاله إذا كلّ ويرتجل لارتجاله إذا ارتجل. ونحن أمراء الكلام بنا تفرّعت فروعه، وعلينا تهدّلت غصونه، ألا وإنا لا نتكلم هذراً بل نسكت معتبرين وننطق مرشدين.

● **من اعتذر بخرافة أو نادرة**

حضر **عبد الله بن عامر** على منبر البصرة فاشتد جزعه فقيل: إن هذا مقام صعب فامتحن فيه غيرك. **فأمر وازع بن مسعود** أن يصعد ويخطب فلما ابتدأ الكلام حصر، **فقال:** لا أدري ما أقول لكم، ولكنني أشهدكم أن امرأتي طالق فهي التي أكرهتني على حضور الصلاة. ثم أمر آخر فصعد المنبر فارتج ونظر إلى الصلع **فقال:** اللهمّ العن هذه الصلعة.

---

(١) **العثار:** مصدر عثر، أي زلّ وكبا. ومثله تعثّر. (٢) **المائق:** الأحمق.

وصعد **عتاب بن ورقاء** منبر أصبهان يوم النحر، فحصر **فقال**: لا أجمع عليكم عيّاً وبخلاً، ادخلوا سوق الغنم، فمن أخذ منكم شاة فهي له وعليّ ثمنها.

● **الأمرُ بالإغضاءِ عنه لئلا يدهَش**

صعد أعرابي المنبر فلما رأى الناس يرمقونه صعب عليه الكلام، **فقال**: رحم الله عبداً قصر من لفظه ورشق الأرض بلحظه ووعى القول بحفظه. وصعد روح بن حاتم المنبر، فلما رفع الناس أبصارهم **قال لهم**: نكّسوا رؤوسكم وغضّوا أبصاركم، فإن أول مركب صعب.

وصف خطيب مصقع طلحة:

رَكُوبُ المنابرِ وثّابُها ... مِعَنٌّ بخطبتِهِ مِصْقَعُ[1]

وقال قيس بن عاصم:

خطباء حينَ يقولُ قائلُهم ... بيضُ الوجوهِ مَصَاقعٌ لُسُنُ[2]

وقال آخر:

يرمون بالخُطَبِ الطوالِ وتارةً ... وحيَ الملاحظِ خيفةَ الرقباء

● **جماعة من مشاهير الخطباء**

منهم قيس بن ساعدة، ولقيط بن معبد، وزيد بن جندب، وصعصعة بن صوحان، وقطري بن الفجاءة، وعمران بن حطان.

وتكلّمت الخطباء يوماً عند معاوية رضي الله عنه **فقال**: والله لأرمينّهم بالخطيب الأشدق. قمْ يا زيد فتكلم.

ومن الخطباء القدماء: كعب بن لؤي، وكان يخطب على العرب كافّة. فلّما مات أكبروا موته، وأرّخوا بموته إلى عام الفيل.

ومن خطباء اليمن حمير بن الصباح وكان المفضل بن عيسى الرقاشيّ من أخطب الناس، وكان متكلماً قاصّاً يقعد إليه عمرو بن عبيد.

● **المعتذرُ بعجزه عن الخطبة**

قال كعب الأسدي:

فإن لا أكنْ في الأرض أخطبَ قائماً ... فإنّي على ظهرِ الكميتِ خطيب

وقال لبيد:

إذا اقتسمَ النّاسُ فضلَ الفخارِ ... أطلْنا على الأرض ميْلَ العصا

---

(١) **الخطيب المصقع**: الخطيب العالي الصوت.

(٢) لسن: أي فصحاء، من اللسَن وهو الفصاحة.

وله:

ما إن أهاب إذا السرادقُ غمّه قرعُ القسيّ وأرعِشَ الرعديدُ[1]

ومن السنة أن يتناول الخطيب سيفاً أو قوساً يمسك به نفسه، وقد تقدم شيء من هذا الباب.

● ذمّ خطيب

قال واثلة الدوسيّ:

لقد صبرتُ للذلّ أعواد منبر يقوم عليها في يديك خطيبُ
بكى المنبرُ الشرقيّ لما علوتَه وكادَتْ مساميرُ الحديدِ تذوبُ

وقال منصور بن ماذان:

أقولُ غداةَ العيد والقومُ شهد ومنبرُنا عالي البناء رفيعُ
لعمْري لأن أضحى رفيعاً فإنّه لمن يرتقي أعوادَه لوضيعُ

وقال آخر:

سلي ببهر والتفات وسعلة ومسحة عثنون وفتلِ الأصابعِ[2]

وقال المصيصي في خطيب:

ينشي لنا كلّ جمعة عظةً يُشلي علينا بها الشياطينا[3]

● فضل قراءة القرآن

قال النبي ﷺ: لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه في السر والإجهار.

وقال ﷺ: خيرُكم من تعلّم القرآن وعلّمه. ولبعضهم أن الله تعالى جعل القرآن سراجاً لا تطفأ مصابيحه، وشهاباً لا يخبو زنده، ونوراً لا يتغير ذكاؤه، ومن قرأه وتبعه دلّه على المكارم وصدّه عن المحارم، وشفع له يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[5] وقال ﷺ: من بلغه القرآن فكأنما شافهته، لقوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[6] وقد ذكرنا أحوال القرآن في باب الديانة مستقصاة.

---

(١) القسيّ: جمع قوس وهو آلة على شكل نصف دائرة ترمى بها السّهام ـ الرعديد: الجبان.

(٢) البهر: انقطاع النفس من الإعياء ـ العثنون: اللحية.

(٣) أشلي يشلي: أغرى، يغري.

(٤) القرآن الكريم: الأعراف/٢٠٣.

(٥) القرآن الكريم: القمر/١٧ و٢٢.

(٦) القرآن الكريم: الأنعام/١٩.

● **نوادر العرب فيما سمعوه من القرآن**

قيل لأعرابي اقرأ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1]، فقال: أدخلت يدك في الجراب فأخرجت شيئاً فيه صعود وهبوط هات غيرها. وقيل لآخر: ما تقرأ في صلاتك؟ قال أمّ القرآن ونسبة الربّ وهجاء أبي لهب.

وقيل لآخر: ما قرأ إمامكم البارحة في صلاته؟ فقال: أوقع بين موسى وهارون شراشر[2]

وسمع آخر رجلاً يقرأ: الأعراب أشد كفراً ونفاقاً فقال: لقد هجانا. ثم سمعه يقرأ بعده ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، فقال: لا بأس هجاء ومدح هذا كما قال الشاعر:

هجوتُ زهيراً ثمّ إني مدحتُه ... وما زالتِ الأشرافُ تُهجى وتمدحُ

وسمع آخر قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[3] فقال: وأين السلم إليه؟

وسرق أعرابي غاشية سرج، فدخل مسجداً فقرأ الإمام: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾[4]، فقال: أسكت قد أخذت في الفضول، فقرأ الإمام: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ﴾[5] فقال ها هي غاشيتكم، فلا تخشعوا وجهي.

● **من غيّر حرفاً من القرآن فأتى بنادرة لمّا روجع**

قال الحجّاج لامرأة من الخوارج اقرئي شيئاً من القرآن فقرأت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[6] فقال: ويحك يدخلون، قالت: قد دخلوا وأنت تخرجهم.

وقرأ أعرابي: إنا بعثنا نوحاً إلى قومه. فقيل: إنما هو أرسلنا، فقال ما بينهما إلا لجاجك. وقرأ آخر: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[7] فقالوا له: قد غيرت فقال:

خذوا أنف هرشى أو قفاها فإنّه ... كلا جانبَي هرشى لهنّ طريقُ

● **بعضُ ما جعلته العربُ قرآناً**

قرأ أعرابي في صلاته: الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب طويل ومشفر وثيل[8] وإنه من خلق ربنا لقليل، الله أكبر.

---

(١) القرآن الكريم: الكافرون/ ١.

(٢) الشراشر: النفس، يقال: ألقى عليه شراشره أي أحبّه حتى استهلك في حبّه.

(٣) القرآن الكريم: الذاريات/ ٢٢. (٤) القرآن الكريم: الغاشية/ ١.

(٥) القرآن الكريم: الغاشية/ ٢. (٦) القرآن الكريم: النصر/ ١ و٢.

(٧) القرآن الكريم: الزلزلة/ ٧ و٨.

(٨) المِشْفَر الوئيل: من وأل يئل وئيلاً من كذا إذا طلب النجاة منه.

وقرأ آخر:

ويــوســفُ إذ دلاّه أولادُ عــلّـــة ... فـاضبـحَ فـي قـعـر الـركـيّـةِ ثـاويـا[1]

وصلّى آخر بقوم فقرأ:

أفـلـحَ مـنْ هـيـنـمَ فـي صـلاتـه ... وأخـرجَ الـواجـبَ مـن زكـاتـهِ[2]

وأطـعـمَ الـمـسْـكـيـنَ مـن مـخْـلاتـه

فضحك القوم فالتفت إليهم وقال: أشهد أني أخذته من في[3] مسيلمة.

وشهد أعرابي عند أمير فقال المشهود عليه كيف تقبل شهادته وهو لا يحسن شيئاً من القرآن فالتفت إليه، وقال اقرأ، فقال:

بـنـونـا بـنـو أبـنـائـنـا وبـنـاتـنـا ... بـنـوهـن أبـنـاء الـرجـال الابـاعـد

فقال الأمير أنها آية محكمة، فقال المشهود عليه: ما أراه تعلّم هذه الآية إلا الساعة.

● من ذكر مثلاً فاعتقدَ أنّه من القرآن

خطب أبو الفرزدق فقال: قال الله تعالى: لن يعجز القوم إذا تعاونوا. وخطب عتاب بن ورقاء فقال: إن الله تعالى يقول: إنما يتفاضل الناس بأعمالهم. فقيل: ليس هذا قرآناً فقال: ما أظنها إلا آية.

وقال بعض الناس: ما أحسن ما قال الله تعالى: اقتلوا السفلة حيث وجدتموهم. فقيل: ليس هذا بقرآن، فقال: ألحقوها به فإنها آية حسنة.

وغضب أبو عبّاد الكاتب على بعض كتّابه فرماه بدواة فبلغ المأمون، فقال له: لم فعلت ذلك؟ فقال: أنا ممّن قال الله تعالى فيه: وإذا ما غضبوا هم يستغفرون فقال: ويلك لا تحسن آية فقال: نعم إني أقرأ من سورة ألف آية.

● ذمُّ من قبح قراءته

قرأ رجل بحضرة الصاحب رحمه الله: و «العاديات»[4] بأقبح قراءة فتناوم الصاحب تبرماً به، فضرط القارىء ضرطة، ففتح الصاحب عينيه وقال: نوّمتني بالعاديات ونبّهتني بـ «المرسلات».

وقال المصيصي:

نـحــن فـي أنـكـرِ عـيـشٍ ... مــن قــراءة ابــن حـبـيـشٍ

---

(١) دلاّه: أرسله بالحبل أو أوقعه ـ الركيّة: البئر ـ يشير إلى يوسف عليه السلام، الذي كاد له وإخوته حين اصطحبوه في سفرهم ثم ألقوه في غياهب الجبّ... الخ.

(٢) هينم في صلاته: تكلّم كلاماً لا يفهم.

(٣) من في: أي من فم.

(٤) القرآن الكريم: العاديات/ ١٠٠

يقرأُ الحَمْدَ فتىً في ... خلقه كنّةُ خيشِ

وقال آخر:

وكأنما في الحلق منه مجسّة ... أو دبة في سلم تتدحرجُ

وصلّى رجل يقال له يحيى، بأربعة نفر فأكثر اللحن في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما فرغ قال أحدهم:

أكثر يحيى غلطاً ... في: «قل هو الله أحد»

فقال الثاني:

قامَ يصلي قاعِداً ... حتى إذا أعيا قعَد

فقال الثالث:

كأنما لسانُهُ ... شدّ بحبلٍ من مسد[1]

فقال الرابع:

يزحرُ في محرابه ... زحيرَ حُبلَى بولَد[2]

● ذمُّ من أُرتِجَ عليه في القِراءة ونوادِره

قام رجل يصلّي خلف إمام، فلما افتتح الصلاة أرتج عليه في الاستعاذة من الشيطان، فأخذ يكرّر الاستعاذة فقال له رجل: إنك لا تحسن القرآن فما ذنب الشيطان يا بارد.

وقرأ إمام سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[3] فلما بلغ قوله:

فأين تذهبون؟ أرتج عليه فأخذ يكرر، وخلفه أعرابي، فأخذ حمشه[4] وصفعه، فقال: أما أنا فأريد كلواذاء هؤلاء الكشاخنة لا أعرف مقصدهم.

وصلّى رجل بقوم فأخذ يردد: قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي فقال أعرابي: أهلكك الله وحدك.

وقرأ الرشيد ليلة: مالي لا أعبد الذي فطرني، فارتج عليه، وأخذ يردده وابن أبي مريم بقربه في الفراش، فقال: لا أدري والله لم لا تعبده؟ فضحك الرشيد وقطع صلاته.

---

(١) قوله: بحبل من مسد إشارة إلى قوله تعالى: ﴿في جيدها حَبْلٌ مِن مَسد﴾ [المسد: ٥]، والمسد الليف أو الحبل المحكم.

(٢) يزحر زحيراً: يخرج الصوت بأنين.

(٣) إذا الشمس كوّرت: سورة التكوير وهي السورة ٨١ من القرآن الكريم.

(٤) أخذ حمشه: كناية عن الغضب.

(١٨)
ومما جاء في الفِراسة والتّراطُن والطِّيرة والفأل

●

● **صحّةُ الفِراسة**

قال النبي ﷺ: اتّقوا فراسةَ المؤمن، **وقال ﷺ**: المؤمنُ ينظر بنور الله. **قال ابن الرومي**:

وحبّي الفؤاد يعلمُه، العا ... قل قبْلَ السماع بالإيماءِ
وظنونُ الذكيّ أنفذُ في الحقـ ... ـق سهاماً من رؤية الأغبياءِ

وقال آخر:

لا تسأل المرءَ عن خلائقِهِ ... في وجهه شاهدٌ من الخَبَر

وقال آخر: وفي بعض القلوب ترى عيون، **وقال البحتري**:

وإذا صحّتِ الرويّةُ يوماً ... فسواءٌ ظنُّ امرئٍ وعيانُه(١)

● **الممدوحُ بصحّةِ الفِراسة**

قيلَ فلانٌ ألمعيّ(٢)، **وقال أوس**(٣):

نَجيحٌ مليحٌ أخو مأقط ... نِقابٌ يخبِرُ بالغائبِ(٤)

وقال أبو تمّام:

يرى الحادِثَ المستعجمَ الخطبِ مُعْجَمَا ... لديْه ومَشْكولا إذا كانَ مُشْكِلا(٥)

وقال آخر

يخبر ظهْر الغيبِ ما أنتَ فاعِلُ

وقال آخر

يخاطبُه منْ كلّ أمرٍ عواقبُه

● **منْ تفرّسَ في صبيّ أمراً وكانَ كما ظنّ**

رأى **بكير بن الأخنس المهلّب** وهو غلام، **فقال**: خذوني به إن لم يفق سراتَهم ويبرغ حتّى لا يكونَ له مثل، وكان كما قال.

---

(١) **الرويّة**: النظر والتفكّر في الأمور. (٢) **الألمعيّ**: الذكيّ، الفطن.

(٣) **أوس**: أي أوس بن حجر، ذكر آنفاً.

(٤) **المأقط وروي مأزق**: موضع اجتلاد القوم ـ **النقاب**: الرجل العلاّمة، **والنقّاب (بالتشديد)**: النافذ في الأمور.

(٥) **المستعجم**: المستبهم والصعب ـ **المعجَم**: **المنقّط** ـ **مشكولا**: معلماً بالشكل، والمشكل: المشتبه ـ أي لا يصعب عليه إدراك أي غامض او مبهم.

ونظر رجل إلى معاوية وكان صغيراً فقال: إني أظن هذا الغلام سيسودُ قومَه. فقالت هند: ثكلتْه أمّه إن كان لا يسودُ إلا قومَه. ورأى رجلٌ ابن السكّيت وهو صغير يُسأَل فيجيب، فقال: إن هذا الغلام ينال خيراً وقد تقدم في الحزم والتعلم مثل هذا.

● **كلماتٌ من الرَّطانةَ**(١)

بعث امرؤ القيس إلى امرأة تزوج بها بثلاثين شاة وزقّ خمر، فذبح الغلام في الطريق شاة وأكلها وشرب بعض الزقّ فلما أوصلها، قالت له: قل لزوجي إذا أتيته سحيما كان قدر، ثم وإن رسولك جاءنا في المحاق. فلما أتاه الرسول وأخبره، قال: يا عدوّ الله أكلت شاة وشربت من رأس الزقّ فاعترف بذلك.

وأسر بنو ساسان رجلاً من بني العنبر، فقال: دعوني أرسل إلى قومي ليفدوني. فقالوا: على أن لا تكلم الرسول إلا بحضرتنا. فقال: نعم. وقال للرسول: قلْ لهم إنّ الشجرَ قد أورق وإن النّساء قد اشتكت. ثم قال له: أتعقل؟ قال: نعم. فقال: ما هذا الوقت؟ قال: الليل. قال: قل لهم عروا جملي الأصهب واركبوا ناقتي الحمراء، واسألوا حارثاً عن أمري. وكان الحارث صديقاً له.

فذهب الرسول إليهم فدعوا حارثاً فسألوه. فقال: قوله الشجر قد أورق، أي تسلّح القوم، واشتكت النساء: أي اتخذت القرب للماء. وقوله: ما هذا الوقت؟ فقال الليل فإنه يقول أتاكم جيش كالليل وقوله عروا جملي الأصهب، أي ارتحلوا عن الصماء واركبوا ناقتي الحمراء أي انزلوا الدهناء. فرحلوا من ساعتهم فصبّحهم القوم فلم يجدوا أحداً وكان العطاردي، لما رجع إلى قومه رمى إليهم بصرّتين في إحداهما شوك وفي الأخرى تراب، فقال قيس بن زهير هذا رجل مأخوذ عليه بالحلف وهو ينذركم عدواً وشوكاً. قال الله تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾(٢)

وأسرت طيء غلاماً من العرب فقدم أبوه ليفديه فاشتطوا عليه. فقال أبوه عنده: لا والذي جعل الفرقدين يصبحان ويمسيان على جبلَي طيىء، ما عندي غير ما عرفتكم، ثم انصرف. وقال: لقد أعطيته كلاماً إن كان فيه خير فهمه، كأنه قال الزم الفرقدين على جبلي طيىء ففهم الابن كلامه. فطرد إبلا من إبلهم ليلته، ونجا بها.

وكان داريوس ملك فارس، لما سمع بخروج ذي القرنين(٣) بعث إليه بدرّة وكرة ياقوتة وجراب سمسم وتابوت مملوء من الذهب. وكتب إليه: إنما بعثت بهذا لاجرب عقلك، فقال له الإسكندر: قد عرفت لماذا بعثت. أما الدرّة فتزعم أنك سوط تشير علي. وقلت يجتمع لي ملكك اجتماع هذه الكرة في يدي. وذكرت أن لك في أمري ضياء كضياء

---

(١) الرطانة: مصدر رطن رطانة وراطنه مراطنة أي كلّمه بالأعجميّة، والمراد الكلام الذي لا يفهم.
(٢) القرآن الكريم: الأنفال/ ٧. (٣) ذو وذي القرنين: الإسكندر الكبير ملك الإغريق.

الياقوتة وبعثت بالتابوت من الذهب تقول: تكون لي خزائنك والسمسم تعلّمني أن عدة جنودك كثيرة ككثرته.

ثم إن ذا القرنين أخذ كفاً من السمسم بحضرة الرسول فاستفه ومضغه، **وقال**: قل له جنودك كثيرة، ولكنّي أطحنهم طحناً كهذا السمسم، وبعث معه إليه بجراب من خردل فأخبر الرسول **داريوس** بما عاين من **ذي القرنين**، فأعجبه كيده وغضب فأخذ كفّاً من الخردل فطرحه في فمه كفعله بالسمسم فلما وجد مرارته وحرافته[1] لفظه، **وقال**: أشهد أن جنوده في حرافة الخردل، ثم كانت الغلبة لذي القرنين.

ولما صالح ملك **الهند** اشترط عليهم أن يدفعوا إليه حكيماً كان فيهم ففعلوا. فاستصحبه ولم يفاتحه.

ثم بعث إليه يوماً بستوقة[2] مملوءة سمناً، فأخذها الحكيم وغرز فيها إبراً وردها إليه. فبعث إليه يوماً آخر مرآة صديئة، فأخذها الحكيم فجلاها وردّها إليه. فقيل **لذي القرنين** تعجباً من فعلهما: ماذا عنيتما بذلك؟ فقال: إني لما بعثت إليه البستوقة قلت: إني ممتلىء من العلم امتلاء هذه البستوقة من السمن فأراني بغرز الإبر أن الأمر بخلاف ذلك، وأن في زيادات كثيرة، وذكرت له بالمرآة الصديئة، أن نفسي قد صدئت. فأجابني: بأن قال: ذاكر العلماء فالمذاكرة جلاء القلوب.

● الإشارةُ بقولٍ يسيرٍ إلى معنى كثير

كان **المأمون** رحمه الله غضب على **طاهر**[3] بعدما وجّهه إلى خراسان، فكتب إليه بالرجوع. فكتب إليه صديق له كتاب سلام ووقع على حاشيته: يا **موسى**. فجعل طاهر يتأمل ذلك ولا يدري معناه، حتى ناوله امرأة صحبته جزلة الرأي، فقالت: إنما عنى يا موسى إن الملا يأتمرون بك ليقتلوك. فأمسك طاهر عن الإقدام وجعل يتقيه حتى طيّب قلبه.

● النهيُ عن التكهن والطِّيرة

روي عن النبي ﷺ **أنه قال**: الطيرة شرك وما منا من يجده في نفسه، ولكن الله تعالى يذهبه بالتوكل.

وقال ﷺ: ثلاثة لا ينجو منهن أحد: الظنّ والطيرة والحسد فإذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فلا تبغ وإذا تطيرت فامض ولا تثن.

---

(١) **الحرافة**: الطعم الذي يلذع اللسان بحرارته.

(٢) **الستوقة**: لفظة فارسية ولعلها تعني الوعاء الملبّس بالفضّة.

(٣) **طاهر (هنا)**: هو طاهر بن الحسين قائد جيش الخليفة المأمون المتوفى سنة ١٩٥ هـ (٨١٠م).

وقال: من تكهن أو استقسم أو تطيّر طيرة ترد عن سفر، لم ينظر إلى الدرجات العلى يوم القيامة. وروي اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك، ولا رب غيرك، وقال ﷺ لا عدوى ولا هامة ولا صفر.

● الرخصةُ في الطِّيرة

عن **أبي هريرة** رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ **قال**: الطيرة في المنزل والمرأة والفرس. **وقيل**: أخبرت **عائشة رضي الله عنها** بذلك فغضبت وأنكرت ذلك وطارت شقة في السماء وشقة في الأرض، **وقالت**: إن النبي ﷺ إنما قال إن يكن شؤم ففي هذه الثلاثة.

● جَوازُ الفَأْل

كان النبي ﷺ يتفاءل[1] ويعجبه الفأل الحسن ولا يتطيّر. ولما هاجر النبي ﷺ إلى **المدينة** وقاربها، سمع منادياً ينادي: يا سالم. فقال لأصحابه: سلمنا فلما دخلها سمع آخر ينادي: يا غانم. فقال: غنمنا. فلما نزل أتى برطب فقال ﷺ حلالنا البلد، وسمع رجلاً يقول: يا حسن. فقال: أخذنا فألك من فيك.

ولما خرج من **مكّة** مرّ بكلبة في ظل شجرة ساقطة أطباؤها[2] نائمة عليها أجراؤها[3] فقال لاصحابه أعطيتم درّها، ووقيتم كلبها. وبعث المشركون إليه سهيلاً **فقال**: أتاكم سهيل وسيسهل أمركم.

ووجه **سعد بن أبي وقاص** إلى **عمر** رضي الله عنهما رسولاً فلما جاءه **قال**: ما اسمك؟ قال: ظفر. قال: ابن من؟ **قال**: **ابن قريب**. **فقال**: ظفر قريب إن شاء الله تعالى.

ولما طلب **المغيرة بن شعبة** رسول سعد بن أبي وقاص من ملك الفرس يزدجر الجزية، قال: نعطيكم التراب. فقال سعد: نعم الفأل مكننا من أرضه.

● النهيُ عنِ التنجيم واختيارُ الأيام

روى أن النبي ﷺ سأله رجل في أي يوم أحتجم.

فقال: لا تطيروا، فإن الأيام كلّها لله إذا تبيغ[4] بأحدكم الدم فليحتجم.

وقال النبي ﷺ: اللهمّ لا طير إلا طيرك. ولما عزم **عليّ** كرم الله وجهه، على المسير إلى النهر وإذ أتاه **بسام المنجم فقال**: لا تسر في هذه الساعة وسرْ في وقت كذا. **قال**: ولم؟ **قال**: لأنك إن سرت فيها أصابك ضرر شديد، وإن سرت في وقت كذا ظفرت. **فقال**: ما كان **محمد** ﷺ يعلم ما ادعيت. وقال: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك.

---

(١) **تفاءل يتفاءل**: نقيض تشاءم أو تطير.

(٢) **الأطباء**: حلمات الضرع جمع طبي.

(٣) **الأجراء**: جمع جرو وهو ولد الكلب.

(٤) **تبيّغ الدم**: تهيّج.

وما كان لعمر رضي الله عنه منجّم، ولقد فتح بلاد كسرى وقيصر.

وقال عليّ كرم الله وجهه: من تعلم باباً من النجوم فقد تعلم باباً من السحر فإن زاد ازداد.

وقال الخليل:

أبـلـغـا عـنّـي الـمـنـجّـم أنّـي ... كـافـر بـالـذي قـضـتـه الـكـواكـبُ[1]

عـالـم أنّ مـا يـكـون ومـا كـا ... ن، فـحـتـمٌ من الـمـهـيـمـنِ واجـبُ[2]

وقال الصاحب:

خـوّفـنـي مـنـجّـم أبـو خـبـل ... تـراجـعَ الـمـريـخُ في بـرج الـحـمَـل

فـقـلـتُ: دعْـنـي من أباطيل الـحـيَـل ... فـالـمـشـتـري عـنـدي سـوَاءٌ وزُحَـل[3]

أدفـعُ عـنّـي كـلّ آفـاتِ الـدّول ... بـخـالِـقـي ورازقـي عـزّ وجـلّ

● أسَامي ما تتطيّرُ به العَرَبُ

السانح ما ولاّك ميامنه، **والبارح** ما ولاّك مياسره. **قال أبو عبيدة**: البارح يتشاءم به أهل **نجد**، والسانح يتشاءم به أهل **عالية**، **ولذلك قيل**: من لي بالسانح بعد البارح. **والناطح** ما يلقاك بجهته وهو يكره، **والكادس** ما يجيء من خلفك **يقفوك**[4]، وكل ما يتطير به يسمى طير العراقيب.

ويتطيرون بالعطاس، **ولذلك** قال:

أوحـلـت مِـنْ سـلـمـى بـغـيـرِ مـتَـاعِ ... قـبـل الـعِـطـاس ورعـتَـهـا بـوداعِ

● المُصِيبُ في عِيافته

خرج لهبي في حاجته ومعهُ سِقاءُ لبن. فسار صدر نهاره ثم عطش، فأناخ راحلته ليشرب، فإذا بغراب ينعب فأثار راحلته ومضى. فلما أجهده العطش أناخ راحلته ليشرب فنعب الغراب، وتمرّغ في التراب فضرب الرجل سقاءه بسيفه فإذا فيه أسود سالخ وبنو أسد موصوفون بالعيافة[5].

وقال الأصمعي: قيل إن نفراً من الجنّ تذاكروا العيافة من بني أسد فأتوهم، **فقالوا**: ضلّت لنا ناقة فأرسلوا معنا من يعيف. **فقالوا**: لغليم منهم انطلق معهم فاستردفه أحدهم فساروا، فلقيتهم عقاب كاسرة إحدى جنحيها، فاقشعر الغلام وبكى. فقالوا مالك؟ **قال**:

---

(١) **يقول**: إنه لا يؤمن بما يقول المنجّمون مشيراً إلى الحديث القائل: «كذب المنجمون ولو صدقوا».

(٢) **الحتم**: المحتوم الذي لا مناص منه ـ **المهيمن**: أي الله تعالى.

(٣) **المشتري**: كوكب يتفاءل به وهو خلاف المريخ الذي هو مصدر شؤم.

(٤) **يقفوك**: يتتبع أثرك. (٥) **العيافة**: التكهن بزجر الطير.

كسرت جناحاً ورفعت جناحاً، وحلفت بالله صراحاً ما أنت بانسي ولا تبغي لقاحاً.

وبعث **ازدشير** إلى النبي ﷺ زاجراً[1] ومصوّراً **فقال** للزاجر: ازجره وللمصور صوّر صورته، فلم يجد الزاجر شيئاً يزجر به، وصوّر المصور صورته وورد بها. فنظر **ازدشير** إليها ووضعها على الوسادة وقال **للزاجر**: ما رأيت؟ قال: لم أر شيئاً أزجر به عنده. ولكنّي رأيت ها هنا أن الأمر له، لأنك وضعته على وسادتك ومكنته من رياستك.

وسمع لهبيّ يعيف رجلاً يقول **لعمر** رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله **فقال**: سمّاه باسم ميت. فلما بلغ مرمى الجمار صكت حصاة صلعة **عمر** رضي الله عنه، **فقال اللهبي**: اشعر والله أمير المؤمنين، والله لا يقف هذا الموقف بعدها فقتل **عمر** رضي الله عنه تلك السنة.

وبينا **مروان بن محمد**[2] ينظر في إيوان له فانصدعت زجاجة من الإيوان، ووقعت منها شمس على منكب **مروان**، وكان بحضرته عيّاف يستمع إليه **مروان**، **فقال**: صدع الزجاج منكر فخرج وتبعه **ثوبان** مولى مروان فسأله، **فقال**: صدع الزجاج صدع السلطان ستذهب الشمس عن مروان، بقوم من **الترك** أو **خراسان**، ذلك عندي واضح البرهان. فورد عن قريب خبر **أبي مسلم**[3] صاحب الدعوة.

● من حكمَ بتنجيم وافقَ قوله القضَاء

كان **الفضل بن سهل** حكم على نفسه أنه يعيش أربعين سنة، ثم يقتل بين ماء ونار. فعاش هذه المدة ثم قتل في حمام سرخس.

ولما مرض **الحجّاج** دعا منجمه **فقال**: ويلك انظر ماذا ترى؟ **فقال**: أرى ملكاً يموت ولست هو. **قال**: وما اسمه؟ قال: كليب. **فقال**: أنا والله ذلك فقد كانت أمي سمّتني كليباً.

وكان **نيبخت** المنجم لا يحبس[4] عن **المنصور**[5] فجاءه يوماً فقيل له: إنه من المستراح، فقال أخرج عاجلاً فخرج، فانخسف المخرج عقب خروجه.

● من تطيّرَ من الكِرام بكلامٍ سوء سمعه فأصابَه من ذلك

قال هبة الله بن إبراهيم: دعاني **الأمين** في الليل التي نزل فيها **طاهر بن الحسين**

---

(١) **الزاجر**: الكاهن الذي يزجر الطير.

(٢) **مروان بن محمد**: آخر خلفاء بني أميّة، قتله العبّاسيون.

(٣) **أبو مسلم**: هو أبو مسلم الخراساني قائد العبّاسيين في معركة الزاب التي اندحر فيها جيش مروان بن محمد الأمويّ.

(٤) **لا يحبس عنه**: لا يمنع عنه.

(٥) **المنصور**: الخليفة العبّاسي الثاني أبو جعفر المنصور.

النهروان، فلما دخلت عليه رأيته مغتمّاً **فقال**: يا عمّ أما ترى هذا الباغي عليّ **فقلت**: دعه وبغيه، فالبغي يردى صاحبه. **فقال**: فيم أداوي ما خامرني؟ **فقلت**: تأمر باحضار **أبي نواس** فإنه فتّاح لهذه الأبواب، فاستحضره وسأله فقال:

إذا مـا ضـاقـك الـغـمُّ　　فـضـع فـي الـرأس أقـداحـا[١]
فـإنّ الـهـمّ إن طـاحَـتْ　　بـه مـشـمـولـةٌ طـاحـا[٢]

فدعا برطل وجارية تغني، **فسألها**: ما اسمك؟ قالت: شرّ، وغنّت بقول الشاعر

كـليبُ لـعمْري كـانَ أكـبرَ نـاصرا　　وأكـبرَ حـزْمـاً مـنـك ضـرّج بـالـدم

فرمى بالرطل وأمر بالجارية فالقيت في **دجلة**، ودعا أخرى فغنّت:

هـموا غـدروه كـي يـكُـونـوا مـكـانَـه　　كما غدرتْ يوماً بكسرى مرازبه[٣]

فرمى بها أيضاً، ودعا بأخرى فغنّت بقول الشاعر:

كأن لم يكُنْ بين الحُجون إلى الصّفا　　أنيسٌ ولـمْ يـسمُر بـمكّةَ سـامرُ[٤]
بـلَـى نـحْـن كـنّـا أهـلَـهـا فـأبـادنـا　　صروفُ الليالي والجدودُ العواثِرُ[٥]

فاغتمّ اغتماماً عظيماً فتطلع على **دجلة** فإذا برجل يقرأ قضي الأمر الذي فيه تستفتيان. فاستحكم تطيره. **فقلت**: يا أمير المؤمنين قد نهى النبي ﷺ عن التطير فقال: هبني لا أتطير بالشعر أما أتفاءل بالقرآن فما انقضى الأسبوع إلا وقد نزلت به النازلة.

● من رأى فألَ سوءٍ فصرفَه إلى حسنٍ بتأويلهِ

خرج **جعفرُ بن سليمان** إلى **المدينة** والياً بها فتعلّقت شجرة بلوائه فتطيّر بذلك. **فقال** من كان معه: هذا عملك تشبّث بك فسرّي عنه.

وسار **خالد بن يزيد** إلى ولاية **الموصل** فانكسر اللواء فحزن لذلك، **فقال أبو الشّمقمق**:

مـا كـانَ مـنـدقُّ الـلـواءِ لـريـبَـةٍ　　تُـخْـشـى ولا أمـرٍ يـكـونُ مـبـدلا
لـكـنّ هـذا الـرمـح ضـعـف مـتـنـه　　صـغـرُ الـولايـة فـاسـتـقـلّ الـمـوصـلا

---

(١) **ضمّ أقداحاً**: كناية عن الشرب أو الإدمان على الخمر.

(٢) **طاحت به**: طرحته ـ **المشمولة**: الخمر.

(٣) **المرازب**: جمع مرزبان وهو الرئيس عند الفرس.

(٤) **الحجون**: جبل بأعلى مكّة، عنده مدافن أهلها وقيل هو الجبل بمكّة عند المحصّب **(معجم البلدان لياقوت)** ـ **الصفا**: أحد جبلين بين بطحاء مكّة والمسجد، والآخر المروة والسعي بين الصفا والمروة من شعائر الحج **(انظر معجم البلدان لياقوت)**.

(٥) **الجدود**: الحظوظ ـ **العواثر**: الجدّ العاثر السيء.

فبلغ ذلك المأمون فزاد في ولايته قنسرين[١]

ولما صعد **قتيبة بن مسلم**[٢] منبر **الريّ**[٣] سقط القضيب من يده فتطيّر بذلك الناس، **فأنشد**:

فألقتْ عصاها واستقرّ بها النّوى كما قرّ عيناً بالإيابِ المسافِرُ

● وصفُ الفألِ السوءِ بأنه يصيبُ من تفاءَل به

قيل إياك والفأل السوء، **فقد قالت الفلاسفة**: ما للنوائب رسولٌ أبلغ في قبض الأرواح من الطيرة والفأل السوء. **وقال ابن عبّاس** رضي الله عنهما: كنت أنا وأمير المؤمنين عند النبي ﷺ وكان يحبّ الفأل فلما خرج **أنشد**:

تفاءل بما تهوى يكُنْ فلقلّما يقال لشيءٍ كانَ إلا تكوّنا

وقال علقمة:

ومن تعرضَ للغربان يزجرُها على سلامتِها لا بدّ مشؤومُ

● من تشوئِمَ به فدفعَ ذلكَ عنْ نفسه

خرج **هشام بن عبد الملك** يوماً فلقي أعور، فأمر بأن يضرب ويحبس، **وقال**: تشاءمت بك. **فقال الأعور**: إن الأعور يكون شؤمه على نفسه وشؤم الأحول على غيره. ألا ترى أني استقبلتك فلم يصبْك شيء، وأنت استقبلتني فنالني منك سوء. وكان هشام أحول فخجل من ذلك وخلاّه.

وخرج بعض ملوك **الفرس** إلى الصيد فاستقبله أعور فأمر بحبسه وضربه، ثم مضى فتصيّد صيداً كثيراً، فلما عاد استدعى بالأعور وأمر له بصلة، **فقال الأعور**: لا حاجة لي في الصلة، ولكن ائذن لي في الكلام، فأذن له **فقال**: تلقيتني فضربتني وحبستني وتلقيتُك فصدتَ وسلمت، فأينا أشأم؟ فضحك وأعطاه.

● الخطّ

كان زاجر العرب يخطّ خطّين فيقول ابني عيان أسرعا البيان. **وقال ابن عباس** رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾[٤] أنها الخط.

---

(١) **قنسرين**: مدينة اختلف في تفسير اسمها قال الزمخشري هي من القِنّسر والقنسري الشيخ المسن، وقيل قِنّ نسر، وهي كورة بالشام بينها وبين حلب مرحلة (**معجم البلدان لياقوت**).

(٢) **قتيبة بن مسلم**: من الولاة زمن بني أميّة.

(٣) **الريّ**: مدينة قديمة في جنوبي طهران، وفيها ولد هارون الرشيد، وكانت قد فتحت بقيادة عروة بن زيد سنة ١٨هـ (٦٣٩م).

(٤) **القرآن الكريم**: الأحقاف/ ٤.

● **الطَّرق**

هو نثر الحصى والاستدلال باجتماعه وتفرّقه، كما يعمل صاحب الشعير. وأصل الطرق الضرب، قال الشاعر:

لعمرُكَ ما تدري الطوارِقُ بالحَصَى ولا زاجراتُ الطَّيْرِ ما اللّٰهُ صانِعُ(١)

وقال **حمّاد عجرد**: الطرق من الجبت.

● **القِيافَة**

قالت **عائشة** رضي الله عنها: دخل رجل على رسول الله ﷺ تبرق أسارير وجهه من الفرح، فسألته عنه **فقال**: ألا إن **محرز المدلجي** رأى **زيد بن حارثة وأسامة** نائمين في قطيفة(٢)، قد غطيا رؤسهما وبدت أقدامهما، **فقال**: هذه الأقدام بعضها من بعض.

واختصم رجلان في غلام يدّعيه كل واحد منهما، فسأل **عمر** رضي الله عنه أمه، **فقالت**: غشيني أحدهما، ثم هررت دماً، ثم غشيني الآخر، فدعا **عمر** رضي الله عنه قائفين فسألهما، **فقال أحدهما**: أعلن أو أسر قد اشتركا فيه، فضربه **عمر** رضي الله عنه حتّى اضطجع، ثم سأل الآخر فقال مثل قوله، **فقال**: ما كنت أرى أن مثل هذا يكون.

قال **عوسجة ابن مغيث القائف**: كنّا سرق خيلنا فعرفنا آثارهم بتميّز أيديهم في العذوق فركبنا في آثارهم حتى ظفرنا بهم.

وقيل: فلان في قيافته يعرف أثر الذرّ على الصخر فيعرف أثر الأنثى منها من الذكر.

وكانت **هند بنت عتبة** عند **الفاكه بن المغيرة** وكان **الفاكه** من فتيان **قريش**، وكان له منزل للضيافة يغشاه الناس من غير إذن. فخلا البيت يوماً **وقال الفاكه** ساعة **وهند** عنده، ثم خرج الفاكه لبعض حاجاته، وأقبل رجل فدخل البيت فلما رآها انصرف فاستقبله فرآهما فارتاب بها فخاصمها، **وقال**: إلحقي بأهلك. فتكلّم الناس بها. **فقال أبوها**: أي بنية إن الناس قد خاضوا في أمرك فأصدقيني، فإن كان ما يقولونه حقّاً بعثت من يقتل الفاكه سراً فتخلصين. وإن كان باطلاً حاكمته إلى بعض كهان **اليمن** ليبين براءة ساحتك. فحلفت أنها بريئة. فأرسل إليه **وقال**: حاكمها إلى الكاهن فقد رميتها بداهية.

فخرج الفاكه في جماعة من **بني عبد المدان** وخرجت في نسوة فلما شارفوا البلد، رآها أبوها شاحبة متغيّرة، **فقال**: مالي أراك شاحبة متنكرة الحال **قالت**: والله ما ذلك لمكروه عندي، ولكنّي آتي بشراً يخطىء ويصيب، فلا آمنه أن يرميني بداهية من غير أصل،

---

(١) هذا البيت للبيد بن ربيعة من قصيدته التي مطلعها:

بلينا وما تبلى النجوم الطَّوالع ونبقى الجبال بعدنا والمصانع

(٢) قال: نام في القائلة أي في منتصف النهار.

فيصير ذلك سبّة علينا. فقال أبوها إنا نخبىء له خبيئة، فإن أخبرنا بها استدللنا على علمه واستفتيناه، وإلا تركناه. فأخذوا حبة حنطة وجعلوها في إجليل[1] فرس، فلما انتهوا إليه أنزلهم وأكرمهم، فقالوا: قد جئناك في أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك فانظر ما هو؟ فقال: تمرة في كمرة. فقالوا: نريد أبين من هذا. فقال: حبّة في إجليل مهر. فقالوا: صدقت أنظر في أمر هؤلاء النسوة فجعل يدنو من إحداهنّ، ويقول: ليست هذه حتى دنا من هند فضربها على كتفها وقال: والله ما أنت بزانية وستلدين ملكاً اسمه معاوية. فقام إليها الفاكه وقبّل رأسها فقالت: أبعدْ عنّي فوالله لأجتهدنّ أن يكون من غيرك هذا الملك، فأبت حتى طلّقها وتزوج بها أبو سفيان.

(١٩)

وممّا جاء في تأويلِ الرؤيا

•

• ما يدلُّ على صِحّةِ الرؤيا

قال النبي ﷺ: رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزأً من النبوّة.

وروي ذهبت النبوّة فلا نبوّة، وبقيت المبشرات، وقيل: في قول الله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[2] إنها الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له.

وقيل: إذا أراد الله بعبد خيراً عاتبه في النوم. ويدلّ على صحة ذلك ما حكى الله تعالى عن يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾[3]، وما حكى عن رؤيا الرجلين ورؤيا الملك.

وقال ﷺ إن في الهواء ملكاً موكلاً بالرؤيا، فلا يمرّ بأحد خير ولا شرّ إلا أريه في المنام حفظ من حفظ ونسي من نسي.

وقال النبي ﷺ: من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثّل بي، وروي أنه ﷺ قال: الرؤيا ثلاثة: رؤيا هي بشرى من الله تعالى، ورؤيا تحذير من الشيطان، ورؤيا يحدّث الإنسان بها نفسه فيراها في المنام.

• العارفُ بتأويلِ الرؤيا

كان ذلك من علم يوسف ﷺ وقد وصفه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾[4]

---

(١) الإجليل: هو للدّابة كالثوب للإنسان.

(٢) القرآن الكريم: يوسف/ ٦٤.

(٣) القرآن الكريم: يوسف/ ٤.

(٤) القرآن الكريم: يوسف/ ٢١.

وكان أبو بكر رضي الله عنه موصوفاً بذلك. وقال الحسن لابن سيرين[1]: تعبّر الرؤيا كأنك من ولد يعقوب، فقال: وأنت تفسّر القرآن كأنك ممّن شهد التنزيل.

وقال ابن شبرمة: ما رأيت أحداً أجرأ على النوم ولا أجبن على اليقظة، من ابن سيرين أي يعبر الرؤيا ولا يجيب عن الفتوى.

● رؤيا مُسْتَغْرِبَة

قال رجل لابن سيرين: رأيت كأني أخذت حمامةَ جاري فكسرت جناحها، ورأيت غراباً أسود وقع على سطح بيتي، فقال: أنت تخلف على امرأة جارك وأسود يخلفك في دارك ففتّش عن ذلك فوجده حقاً.

وقال له رجل: كأني آكل خبيصاً في الصلاة. فقال: الخبيص حلال ولا يجوز أكله في الصلاة، أنت تقبّل امرأتك صائماً. وقال له آخر: رأيتني أطأ مصحفاً. فقال له: في خفّك درهم تطؤه. فتأمّل ذلك فوجده كما قال.

وقال له آخر: رأيت كأني أصبّ زيتاً في أصل زيتون. فقال له: إنك تنكح أمك فبحث عن ذلك فإذا تحته جارية كان يطؤها أبوه.

وقال له آخر رأيتني: كأني أسبح في غير ماء فقال له: إنك تكثر الأماني. وقال له آخر رأيتني كأني أصيد ثعلباً، فقال: أنت تطلب حيلة.

ورأى عبد الله بن جعفر غراباً على منارة النبي ﷺ فقال سعيد بن المسيّب سيتزوج الحجّاج بابنتك، فتزوج بها الحجّاج بعد، فقيل له: كيف علمت ذلك؟ فقال: المنارة أشرف ما في المدينة والغراب فاسق.

وقالت امرأة: رأيت سنبلة تنبت على إصبعي، فقال: سعيد ستأكلين من غزلها. وقال رجل لابن سيرين: رأيتني كأن عيني اليمنى دارت على قفاي فقبلت عيني اليسرى، فقال له: لك ولدان أحدهما يفجر بالآخر. فاستكشف عن ذلك فوجده كما قال.

ورأى رجل النبي ﷺ في منامه فشكا إليه علة كانت به، فقال له: عليك بلا ولا، فاستيقظ الرجل وتحيّر فسأل ابن سيرين، فقال: كل الزيتون فإن الله تعالى يقول: ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾[2]

وقال رجل لسعيد: رأيت في المنام كأني أسلك طريقاً، ومتى قعدت كنت أقطع الطريق، وإذا مشيت لم أقطعه. فقال: أنت رجل نسّاج إذا قعدت كسبت، وإذا قمت تبطلت، فكان كما قال.

---

(١) ابن سيرين: هو أبو بكر محمد بن سيرين البصري. كان أبوه مملوكاً لأنس بن مالك، وأمه صفية مولاة لأبي بكر الصديق روى ابن سيرين الحديث عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر وروي عنه.

(٢) القرآن الكريم: النور/ ٣٥.

● رؤيا ظاهرُها حسنٌ وباطنُها مستقبَح

قالت عائشة لأبي بكر رضي الله عنهما: رأيت كأنما وقع في حجرتي ثلاثة أقمار. **فقال:** سيدفن في بيتك ثلاثة من الأخيار.

قال أبو عبد الله البريدي الفقيه: جاءني رجل من الشهود، **فقال**: رأيت في المنام كأن الله تعالى، قد ابتدأ خلق السموات والأرض. **فقلت**: لعلّ غيرك رآها وسألك أن تفسّرها؟ **قال**: بل أنا رأيتها. **فقال له**: تغدو إلى دار القاضي، وتسألني عنها حتى أفسّرها لك بحضرته. فحضر وسأله عنها. **فقال**: أيها القاضي إن فلاناً يسألني عن رؤيا فسله لعلّ غيره رآها. فسأله، **فقال**: لا بل أنا رأيتها. **فقال**: إنك رجل تشهد بالزور، لأن الله تعالى يقول: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾[1] فبحث عنه فوجد قد شهد شهادات زور.

وحكى عن الصاحب **قال**: **رأيت قابوس في المنام قبيل ما انهزم بجرجان**[2]، كأنه **يسألني ويقول**: رأيت في المنام كأنما على رأسي قلنسوة، وكأني **قلت له**: إن القلنسوة رياسة. **فقال**: إني لأراه هلاكاً، لأن القلنسوة بالفارسية كلاه، فإذا قلب فهو هلاك. فانهزم في اليوم الثاني أو الثالث من ذلك المنام.

● رؤيا ظاهرُها قبيحٌ وباطنُها حسَنٌ

قال رجل لابن سيرين: رأيت رجلاً مجرّداً في المسجد، فهالني ذلك. **فقال**: لعلّك رأيت **الحسن** تجرّد من دنياه فاشبه سره علانيته. ورأى **عبد الله بن الزبير** رضي الله عنه أنه غرز في يدي **عبد الملك** ورجليه أربعة أوتاد، فأرسل إلى ابن المنذر **فقال**: إن صدقت رؤياه غلبه **عبد الملك** وخرج من صلبه أربعة كلهم خلفاء ورأى **عبد الملك** أنه بال في محراب النبي ﷺ أربع مرات، فأوّل على أنه يخرج من صلبه أربعة يتولّون الخلافة. ورأى في منامه كأنه صارع ابن الزبير فصرعه **ابن الزبير**، فهاله ذلك فبعث سراً إلى **ابن المنذر**، **فقال**: هذه رؤيا ملك نازعه ملك وقد خلّى صارعه بينه وبين الأرض.

وقال رجل لأبي عمرو الفراء[3]: رأيت كأني قطعت رأسي فوضعته بين رجلي، **فقال**: أكان لك عمامة فقطّعتها سراويل؟ **قال**: نعم هو كما قلت.

● خرافاتٌ في الرؤيا

قال رجل لسيفويه: رأيت كأن عليّ قميصاً رقيقاً وجبّة وشي متخرقة، وفي كمّي فلوس، وفي عنقي هاون وإلى جانبي دبّة، إذا نزعت حركتها، **فقال**: أنامت عيناك؟ ما

---

(١) القرآن الكريم: الكهف/ ٥٢.
(٢) جرجان: من أقاليم فارس. وهو يقع شرقي بحر قزوين.
(٣) الفرّاء: أحد لغويي الكوفة، كان تلميذاً للكسائي. مات سنة ٢٠٧ هـ (٨٢٢م).

أحسن ما رأيت: القميص الرقيق دينك، والجبّة الوشي ضراطك في الصلاة، والفلوس سوف تفلس، والهاون أن تهان، والدبّة أن يدب إليك فتاك.

وقال بعضهم: ليست الرؤيا كلّها صحيحة إنما يصحّ بعض دون بعض. **فقال** بعض السامعين: كذا هو، فإني رأيت في المنام كأني وجدت بدرة عظيمة أحملها فأحدثت من ثقلها. فانتبهت فوجدت الفراش مملوءاً من الخرء ولم أجد للبدرة أثراً.

وقال صبي لمعلّمه: إني رأيت في المنام كأنّي مطليّ بعذرة، وأنت مطلى بعسل، **فقال** المعلم: هذا عملك السوء وعملي الصالح ألبسنا الله تعالى **فقال** الصبي: إسمع تمام الرؤيا فكنت تلحسني وأنا ألحسك. **فقال**: أعزب قبّحك الله.

وقال رجل للصاحب: رأيت في المنام عمر وفي يده سيف، وهو يريد قتلي **فقال له**: إذا رأيته فقل له العب يمسك.

وقال رجل: رأيت في منامي كأني متزر بهاون **فقال** له معبّر أنك مأبون فلما كشف عن حاله وجد كما قال.

(٢٠)
ومما جَاءَ في عُلوم الأُمم ورموز العرب

●

● فنونُ العُلوم

قيل: علومُ الأدب عشرة، ثلاثة **شهرجانية**[١]: الطبّ والهندسة والفروسية، وثلاثة **أنوشروانية**[٢]: ضربُ العود ولعبُ الشطرنج وضرب الصوالجة، وثلاثة عربيّة: الشعر والنسب وأيام الناس. وواحد أبر على كل ذلك مقطعات الحديث والسمر وما يتعاطاه الناس بينهم في المجالسات.

وقال بعضهم: رأيت العلوم والامور تدور على أربعة أشياء: **نحو** يقيم به الرجل لسانه، **وطبّ** يقيم به بدنه، **وحكايات** يقيم بها أدبه، **وحسن تدبير** يتوصل به إلى معاشه.

وكان الإسكندر[٣] وأرسطوطاليس[٤] إذا تسايرا تناظرا في العلم وإذا خليا تشاورا في الملك، وإذا قعدا للشرب تحدّثا في الشجاعة وإذا أرادا الإنصراف إلى مضجعهما تذاكرا الفقه والعفة.

---

(١) **شهرجانية**: نسبة إلى شهرجان.

(٢) **أنوشروانية**: نسبة إلى أنوشروان، من ملوك الفرس الأكاسرة.

(٣) **الإسكندر**: أحد ملوك وقادة الإغريق، وهو الإسكندر المقدوني ذو القرنين.

(٤) **أرسطوطاليس أو أرسطو**: أحد أكبر فلاسفة الإغريق.

● **علومُ العَرَب**

علم بديع الشعر، وبلاغة المنطق، وتشقيق اللفظ، وتعريب الكلام، وقيافة البشر، وقيافة الأثر، وصدق الحسّ وصواب الحدس، وحفظ النسب، ومراعاة الحسب، وحفظ المناقب والمثالب، وتعرّف الأنواء، والاهتداء بالنجوم، والتبصّر بالخيل والسلاح واستعمالهما، والحفظ لكل مسموع، والاعتبار بكل محسوس، ويبلغون بالزجر ما يقصر عنه غيرهم.

● **علومُ الرّوم**

لهم الطب والنجوم والألحان وجودة التصوير، حتّى إن أحدهم يصور الإنسان شاباً وكهلاً، فيجعله بحيث إذا رأى صورته ثم رآه عرفه.

ولهم البناء العجيب ولهم من الرأي والنجدة والمكيدة ما لا ينكره من يعرفه.

● **علومُ الفُرْس**

لهم العقول والأحلام، والسياسة العجيبة، وترتيب العلوم والأمور، والمعرفة بعواقب الأمور. ولهم من اللغات ما لا يحصى كثرة، كالزمزمة **والفهلوية**[1] **والخراسانية والجبلية**.

● **علومُ اليُونانيّة**

اليونانيون كانوا ذوي أذهان بارعة، ولا يشتغلون بمكاسب الآلات والأدوات والخلال، التي تكون جماماً للنفوس. ولهم القبّانات[2] والاصطرلابات[3]، وآلات الرصد والبركار[4]، وأصناف المزامير والمعازف، والطب والحساب والهندسة، وآلات الحرب كالمجانيق[5] والغرادات. وكانوا أصحاب حكمة ولم يكونوا عملة.

كانوا يصورون الآلة ولا يخرطون الأداة، يشيرون إليها ولا يمسّونها، يرغبون في التعلم ويرغبون عن العمل.

● **علومُ الصّين**

أهلُ **الصين** أصحابُ الأعمال، كالسبك والصياغة والإفراغ والإذابة والأصباغ العجيبة، والخرط والنحت والتصاوير، والخطّ والنسج ورفق الكف في كل ما تناولوه.

---

(١) **الفهلوية**: اللغة الفارسية القديمة.

(٢) **القبّانات**: جمع قبان وهو آلة توزن بها الأشياء الثقيلة واللفظة معربة «كبان» التركية.

(٣) **الاصطرلابات**: جمع اصطرلاب وهو من آلات رصد الفلك.

(٤) **البركار**: وهو الفرجار وتسميه العامّة البيكار.

(٥) **المجانيق**: جمع منجنيق من آلات الحرب، وكان يتخذ لرمي القلاع بالحجارة الكبيرة، وعمله أشبه بعمل المدفع في آلة الحرب الحديثة.

وكانوا يباشرون العمل ولا يعرفونا الملل لأنهم فعلة، **واليونانيون** يعرفون العلل، ولا يباشرون العمل لأنهم حكماء.

● علومُ الهِند

لهم معرفة الحساب والنجوم، والخط الهندي وأسرار الطب، وعلاج فاحش الأدواء[1]، والرقى وعلم الأوهام، وخرط التماثيل ونحت الصور، وطبع السيوف والشطرنج والحنكلة. وهي وتر واحد يجعل على قرعة فيقوم مقام العود ولهم ضروب الرقص والثقافة والسحر والتدخين.

● التّرْكُ

هم **كالعرب**، في أنهم أصحاب قيافة ومعرفة بالحروب وآلاتها، وهم أعراب **العجم**، كما أن العرب أكراد **النبط**. فصاروا في الحرب **كاليونانيين** في الحكمة، **والصين** في الصناعة، وهم في البيطرة[2] والرياضة فوق كل أمة. وأحدهم يركب ظهر فرس فوق ركوبه الأرض يغزو أحدهم بأرماكه[3] ومهورة، فمتى أتعب واحدة ركب أخرى فلا يستريح ولا ينزل إلى الأرض.

● رموزُ العرب

كانوا إذا استمطروا عمدوا إلى سلع وعشر، فعقدوهما في أذناب البقر، وأضرموا فيها النار وصعدوا بها جبلاً يستسقون الله بذلك ولذلك قال أبو الطائي:

أجاعِلٌ أنتَ بيقورا مسلعة ‏ ‏ ‏ ‏ ذريعةً لكَ بينَ اللهِ والمَطَرِ

وإذا امتنع البقر عن شرب الماء، ضربوا الثور. يزعمون أن الجنّ تركبه فتمتنع البقر عن الماء، قال الشاعر

لكالثّورِ والجنيّ يركَبُ ظهرَه ‏ ‏ ‏ ‏ فما ذنبُه إن عافتِ الماءَ مشربا

وإذا سافر أحدهم عمد إلى غصن شجرة، فعقد عليه عقداً تسمى رتما. **فيقول**: إن انحلّ إلى أن أرجع، خانتني امرأتي، وإن لم ينحلّ فدلالة على أنها لم تخن.

قال الشاعر:

هلْ ينفَعنكَ اليومَ إن همتَ بهِم ‏ ‏ ‏ ‏ كثرةُ ما توصي، وتعقادُ الرتم

وزعموا أن المرأة المقلاة، إذا وطئت قتيلاً شريفاً بقي أولادها. ولذلك **قال الشاعر**: تظل مقاليت[4] النساء يطأنه.

---

(١) **فاحش الأدواء**: أي الأمراض الخطيرة العضالة. (٢) **البيطرة**: علم طبابة الحيوان.

(٣) **الأرماك**: جمع الرمك وهو البرذون أو الفرس.

(٤) **مقاليت**: جمع مقلات وهي المرأة التي لا يعيش لها ولد أو التي تضيع واحداً ثم لا تحمل.

وزعموا أن من علّق على نفسه كعب أرنب لم يصبْه جنٌ ولا عينٌ، لأن الأرنب ليس من مطايا الجن لأنها تحيض، فيهرب منه الجن.

قال ابن الأعرابي: قلت لأعرابي: من علّق على نفسه كعب أرنب لم يصبه جنان الحي ولا عمار الديار. **فقال**: أي والله ولا شيطان الحماطة[1] وغول القفر، وتطفأ عنه نيران السعالي[2]

وكانوا إذا خافوا على إنسان الجنون علّقوا عليه خرق الحائض وعظام الموتى.

وقالوا: إذا خيف على الصبيّ النظرة يعلّق عليه سنّ ثعلب أو سن هرة يسلم.

وقيل: أرادت جنيّة صبياً فلم تقدر عليه، فلما رجعت، قيل لها في ذلك، فقالت: كانت عليه نفرة، ثعالب وهررة، والحيض حيض السمرة. وحيض السمرة شيء يسيل من السمرة، وهي شجرة يزعمون أن الجن يرهبون منه.

وقالوا: إذا دخل الرجل قرية فخاف وباءها نهق نهيق الحمار لم يصبه الوباء.

وقال عروة بن الورد:

لعَمْري لئِنْ عشرت من خيفةِ الردَى نهيق الحمير إنني لجزوع

وقالوا: السليم[3] إذا علق عليه حلي النساء، أفاق ولذلك **قال النابغة**:

يسهّد من ليلِ التّمام سليمُها لحلي النساء في يديهِ قعَاقِعُ

وقالوا: من خرج به بثر فأخذ إنسان منخلاً، أاخذ من كل دار من دور الجيران كسرة وتميرة، فنثرها لكلب، ذهب البثر عنه إلى كلب.

وقالوا: إذا طرف أحدهم عينَ صاحبه أخذ الطارف عينَ المطروف، فيقول: بإحدى جاءت من المدينة، باثنتين جاءتا من المدينة، بثلاث جئن من المدينة إلى سبع، فتسكن عينه.

وقالوا للغلام إذا سقط سنّه فحذفها نحو عين الشمس، وقال أبدليني خيراً منها عادت.

ولذلك قال طرفة:

بدلته الشمسُ من منبتِها برداً أبيض مصقولَ الأثر

قالوا: من ركب فرساً مهقوعاً[4] وهو ما به دائرة يقال لها الهقعة فعرق تحته اغتلمت

---

(١) **الحماطة**: شجرة شبيهة بالتينة. (٢) **السعالي**: جمع سعلاة وهي أنثى الغول.

(٣) **السليم**: الذي لدغته الأفعى أو الجريح المشرف على الهلاك، قيل سمّي سليماً من قبيل التفاؤل يشير إلى عادة القوم في منع السليم الملدوغ من النوم كي لا يسري السّم في جسمه وهم لذلك يلبسونه الحلي فيمنعه وسواسها وقعقعتها من الرقاد.

(٤) **المهقوع**: الفرس المكوي.

امرأته، وقال الشاعر:

إذا عرق المهقوعُ بالمرءِ أنعظت   حليلتُه وازداد حراً عجانُها

وقالوا: إذا خرج المسافر فالتفت لم يتم سفره، وقال الشاعر:

تلفّت نحو الحي حتّى وجدتني   وجعت من الإصغاء، ليتا وأخدعا

وإنما التفت لأنه كان عاشقاً، فأحب أن لا يتم سفره ليرجع إلى محبوبه.

وكانوا يوقدون خلف المسافر إذا أرادوا أن لا يرجع، ويرمون خلفه بحصاة وروثة، ويقولون: راث خبره وحصن أثره، فإذا أرادوا سرعة رجوعه تناولوا من تحت قدميه، وقال شاعر في امرأة، قالت له واقتصت من أثره:

يا ربّ أنتَ جارُه في أثرِه   وجارُ خصيتيهِ وجارُ ذكرِه

وكان إذا أصاب إبلهم العرّ[1]، كووا الصحيح منها. يزعمون أن الجربى بذلك تبرأ، قال النابغة:

كذي العرّ يُكْوى غيره وهو راتعُ

ومذهبهم في الحامي والبحيرة والسائبة والوصيلة معروف. وإذابلغت ابلهم الفا فقؤا إحدى عيني الفحل. وإذا زادت عن الألف فقؤا عينه الأخرى. ويسمّون ذلك المفقأ والمعمى. ويزعمون أن ذلك يطرد عنه العين.

وقالوا: أيّما امرأة أحبها زوجها أو خدنها، فلم يشق أحدهما ثوب الآخر لم يبق بينهما الحب، ولذلك قال الشاعر:

إذا شقّ برد شقّ بالبرد برقُعٌ   دواليك حتّى ليس للثوبِ لابسُ[2]

وقالوا: الضالّ في المفازة متي لبس ثوبه مقلوباً اهتدى. قالوا: والجمل متى ندّ فذكر بعض آبائه، والناقة إذا ندّت فذكر بعض أمهاتها سكناً، ولذلك قال الشاعر:

أبول والوجناءُ بي تقحم   قلْ لي ما اسمُ أمُّها يا علْكَمُ[3]

وقالوا: من عشق فكوي بين أليتيه سلا. وكان يفعل ذلك بنو عذرة[4] خاصّة.

وكان لهم خرزة يقال لها السلوان، إذا شرب حكاكتها العاشق سلا في ما زعموا، قال

---

(١) العرّ: الجرب، يقال عُرّ الجمل أي جرب، وعرّاه ساءه، وعرّاه بشرّ لطّخه بشرّ، مأخوذ من الجرب أي أعداه شرّه.

(٢) البرد: الثوب الموشّى ـ البرقع: ما تستر به المرأة وجهها.

(٣) الوجناء: الناقة الشديدة.

(٤) بنو عذرة: قوم من العرب اشتهروا بشدّة الوجد، وكان الواحد منهم إذا أحبّ هلك.

الشاعر:

لـو أشـربُ الـسـلـوانَ مـا سـلـيـتُ ... مـا بـي غـنـىً عـنـك ومـا غـنـيـتُ

وكانوا إذا عضّ أحداً كلبٌ كَلِب، يسقونه دم كريم، ويقولون إن ذلك يبرئه. ويزعمون أن من لا يطلب بثاره[1]، يخرج من قبره هامة، فتقول: اسقوني إلى أن يدرك ثاره.

وقالوا: إن من مات فحفر له قومُه حفيرة فأقاموا فيها بعيراً لا يعلفونه ولا يسقونه، حتى يموت، يكون ذلك مركباً له إلى عرصات[2] القيامة، ولا احتاج أن يحضر راجلاً حافياً. وكان ذلك البعير يسمى بليّة، قال الشاعر:

احـمـلْ أبـاك عـلـى بـعـيـر صـالـحٍ ... يـوْمَ الـقـيـامـةِ إنّ ذلـك أصـوبُ

لا تـتـركـنّ أبـاكَ يَـسْـعـى خـلـفَـهـم ... تـعـبـا يـخـرّ عـلـى يـديـه ويـنـكَـبُ

● ومِنْ عُلوم العامة

تزعمُ العامّةُ أن الفأرة كانتْ يهوديةً طحانةً، تسرق الدقيقَ، فمسخها الله تعالى فأرة. وسهيل كان عشاراً فمسخه الله كوكباً. والوزغة[3] كانت تنفخُ نارَ إبراهيم عليه السلام فلعنها الله. والخنزير تولّد من عطسة الفيل. والهرّ تولّد من عطسة الأسد.

وإذا كسفَتِ الشمس يقولون يا ربّ خلّصْها وإذا أراد أحدهم أن يبوّل بالليل بصق أولاً وإذا طنّت ذبابة كبيرة، قالوا: بشّرك الله بخير. وإذا أصلح بزره عضّ خرقة أو خشبة يقول حتى لا يكذب عليّ وإذا دخل الذباب ثيابَ أحدهم يزعمون أنه يمرض، وإذا احتكّ طرف أنفه يقولون يأكل اللحمَ وإذا احتكّ وسطه يقولون يأكل السمك.

ويقولون اختلاج العين يدل على رؤية من لم يره منذ حين، وأسفله يدل على البكاء وهذا باب كبير وكثير منه يجيء مفصلاً في أبواب مختلفة.

---

(١) بثاره: أي بثأره بتخفيف الهمزة.
(٢) العرصات: جمع عرصة وهي في الأصل الساحة أمام الدار.
(٣) الوزغة: ضرب من الزحافات.

في السيّادة والولاية

(١)

السيادة والولاية

●

● ما ذكر في حدّ[١] السيادة والسيّد

قيل: لحكيم: ما السودد؟، **قال**: اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة[٢]، **وقال** غيره: حمل المكاره وابتناء المكارم، **وقيل**: بذل الندى وكفّ الأذى ونصرةُ المولى وتعجيل القرى[٣]

وقيل **للاحنف**: ما السيّد؟ قال: من حمق في ماله وذلّ في نفسه وعني بأمر عشيرته.

وقيل: من إذا حضر هابوه، وإذا غاب ما اغتابوه. **وقيل**: من أورى ناره وحمى ذماره[٤]، ومنع جاره، وأدرك ثاره.

● الأحوالُ الشاقّة التي تُبلغُ بها الرئاسة

قال بعضهم، لرجل من بني شيبان: بلغني أن السودد فيكم رخيص، **فقال**: أما نحن فلا نسود إلا من أوطأنا[٥] رحله وأفرشنا عرضه، وأخدمنّا نفسه وبذل لنا ماله. **فقال**: وأبيك إذا فهو فيكم غال.

وقال أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه: إنما يستحق السيادة من لا يصانعُ ولا يخادعُ ولا تغرّه المطامع.

وقيل للأحنف: بم سدت؟ **قال**: بالخلق السجيح[٦] والكفّ عن القبيح، وتجنّب الدنيّ وترك اللسان البذيّ.

وقال معاوية لعرابة الأوسي: بم سدت قومك؟ **فقال**: لست بسيّدهم ولكني رجل

---

(١) **الحدّ**: حدّ الشيء في اللغة تعريفه الجامع والحدّ الحاجز بين شيئين، والحدّ العقوبة، والمراد هنا المعنى الأول.

(٢) **الجريرة**: الذنب والجناية.

(٣) **القِرى (بكسر القاف)**: إطعام الضيف.

(٤) **ذماره**: الذِمار: الحَرَم والأهل وكل ما يلزمك حمايته وحفظه والدفاع عنه.

(٥) **أوطأنا**: جعلنا نطأ أي ندوس.

(٦) **الخلق السجيح**: الخلق السهل واللّين.

أعطيتُ في نائبتهم، وحملتُ عن سفيههم، وشددتُ على يد حليمهم، وعطفتُ على ذي الخلّة منهم. فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن قصّر عنّي فأنا أفضل منه. ومن تجاوزني فهو أفضل منّي.

وقال الأحنف: من كان فيه أربع خصال ساد قومه غير مدافع، من كان له دِين يحجزُه[1]، وحسب يصونُه وعقل يرشده، وحياء يمنعه. **وقيل**: من أحب الرئاسة صبر على مضَض السياسة.

قال الشاعر:

أتـرجـو أن تـسـودَ ولا تـعـنّـي ... وكـيـف يـسـودُ ذو الـدعـةِ الـبـخـيـلُ

وقال الخبزارزي[2]:

فـقـلْ لـمـرجـي مـعـالـي الأمـورِ ... بـغـيـرِ اجـتـهـادٍ طـلـبْـتَ الـمـحـالا[3]

● جماعُ أحوالٍ يجبُ للرؤساء تجنّبها وأحوالٍ يلزمُهم فعلُها

قال معاوية رضي الله عنه: لا ينبغي للملك أن يكون كذاباً، لأنه إن وعد خيراً لم يُرجَ، وإن أوعَد شرّاً لم يُخف ولا غاشاً لأنه لم ينصح، ولا تصح الولاية إلا بالمناصحة. ولا حديداً لأنه إذا احتدّ هلكت رعيته، ولا حسوداً لأنه لا يشرف أحد فيه حسد، ولا يصلح الناس إلا بأشرافهم. ولا جَباناً لأنه يجترىء عليه عدوّه وتضيعُ ثغوره.

وقال بعضهم: أكرهُ المكاره في السيّد، وأحبّ أن يكونَ عاقلاً متغافلاً. كما **قال أبو تمام الطائي**:

لـيـس الـغـبـيُّ بـسـيّـدٍ فـي قـومِـه ... لـكـنَّ سـيّـدَ قـومِـهِ الـمـتـغـابـي

وقال ذو القرنين لأرسطوطاليس، لما أراد الخروج: عظْني بما أستعين به في سفري. **فقال**: اجعل تأنيك أمام عجلتك، وحيلتَك رسول شدّتك، وعفوكَ ملك قدرتك. وأنا ضامن لك قلوب الرعية. إن لم تخرجهم بالشدّة عليهم، ولم تبطرهم بفضل الإحسان إليهم.

● الحثّ على تسويدِ الكبارِ[4]

قال قيس بن عاصم لبنيه: إذا متُّ فسوّدوا كبارَكم ولا تسوّدوا صغارَكم، فيحقر

---

(١) **يحجزه**: أي يمنعه عن المقابح والمساوىء.

(٢) **الخبزارزي**: هو نصر بن أحمد من شعراء البصرة. كان أميّاً. سمّي بهذا الاسم لأنه كان يخبز خبز الأرز في دكانه بمربد البصرة. أورد الثعالبي بعض شعره في يتيمة الدهر..

(٣) **يقول**: إنّه يستحيل بلوغ السيادة والمعالي بغير بذل وعناء واجتهاد.

(٤) **تسويد الكبار**: جعلهم سادة.

الناس كبارَكم فتهونوا. وردَ على النبي ﷺ إخوةٌ فتكلّم أصغرُهم، فقال النبي ﷺ: كبّروا كبروا. وفي ضده قيل السودد مع السواد، وقيل من لم يسد قبل الأربعين لم يسد بعدها.

● **وصفُ صغارٍ سادُوا باستِحقاق**

لما ولّى **المأمون يحيى بن أكثم**(1) قضاة **البصرة**، وكان من أبناء نيف وعشرين سنة، أراد بعض أهل **البصرة** أن يعيّره بذلك ويضع منه، **فقال**: كم سنّ القاضي؟ **فقال**: سنّ عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله ﷺ مكة فجعل جوابه احتجاجاً.

وقد أمر رسول الله ﷺ **سعد بن أبي وقاص**(2) وسنّه دون العشرين، وولّى **الحجّاج** محمد بن أبي القاسم، قتل الأكراد بفارس، فأبادهم ثم ولاه **السند والهند** فأحمدَ أثره، وسنه سبعة عشر سنة، **فقال فيه الشاعر**:

قادَ الجيوش لسبع عشرةَ حجةً ... يا قرب ذلك سوددا من مولدِ

وقال السري الرفاء(3):

لا تعجبُوا من علوّ همّته ... وسنّه في أوانِ منشاهَا

إنّ النجومَ التي تضيءُ لنا ... أصغرُها في العُيون أعلاهَا

● **من طاعتُه واجبة ورئاستُه مستَحقّة**

قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(4)، **وقال رسول الله ﷺ**: إسمعوا وأطيعوا، ولو ولي عليكم عبد حبشي مجدع.

وقال عليّ بن الجهم:

أغيرَ كتابِ الله تبغونَ شاهداً ... لكم يا بني العبّاس بالمجد والفخْرِ

كفاكُمْ بأنَ اللّهَ فوّض أمرَه ... إليكُم وأوصى أن أطيعوا أولي الأمْرِ

وقال البحتري:

مفروضةٌ في رقابِ النّاس طاعتُه ... عاصيه من ربقة الإسلام منخلعُ(5)

وقال أبو العتاهية:

أتتْه الخلافةُ منقادةً ... إليْه تجرّرُ أذيالَها

---

(1) **يحيى بن أكثم**: [(161 هـ - 777م) - (243 هـ - 857)]، قاضي قضاة بغداد أيام المأمون وكان ولي قضاء البصرة وهو في العشرين من عمره، وله كتب في الفقه والأدب.

(2) **سعد بن أبي وقاص**: هو أحد رجال الصحابة الذين بشّرهم النبيّ بالجنة. وكان من قادة المسلمين وأسهم في معارك حاسمة مثل معركة **القادسية وجلولاء**. أسس **سعد** مدينة **الكوفة** نحو السنة 50 هـ (670م).

(3) **السري الرفاء**: أحد الشعراء في عهد سيف الدولة الحمداني.

(4) **القرآن الكريم**: النساء/ 58. (5) **الربقة**: العروة في الحبل.

فـلـمْ تـكُ تـصـلـحُ إلا لـهُ ولـم يـكُ يـصـلـحُ إلا لَـهـا

● **كونُ الإنسان رئيساً حيثُما كان**

قال المتنبّي:

إن حلّ في فرس ففيها ربّها كسرى تذلّ له الرقابُ وتخضَعُ
أو حلّ في روم ففيها قيصَرُ أو حلّ في عزب ففيها تبّعُ

● **أسامي ملوكِ كلّ صقع**

خزحيير صاحب أفريقية، **كسرى** صاحب فارس، **قيصر** صاحب الروم، **يغفور** صاحب الصين، **البهراج** صاحب الزنج، **خاقان** صاحب الترك، **زنبيل** صاحب الخرز، **أصفر** صاحب علوا، **كابيل** صاحب النوبة، **أصبهيد** صاحب الجبل، أمير المؤمنين والخليفة والإمام صاحب المسلمين، **تبّع** صاحب حِمْير، ويقال لهم **الأقيال والعباهلة**، حكى ذلك الجاحظ.

● **المجمَعُ على سيادته**

قال أبو تمّام:

لو أن إجماعَنا في فضْل سُودَدِهِ في الدين لم يختلِفْ في الأمّةِ اثنانِ

وقال نهار بن توسعة:

قلّدته عرَى الأمورِ نزارٌ قبل أن تملكَ السراة العَجُوز

● **المزري رئاسته بغيره**

قال عبد الملك، وقد ذكر عنده عمر بن **الخطاب** رضي الله عنه: قلّلوا من ذكره فهو طعن على الأئمة وحسرة على الأمة.

وقال رجل **لمالك بن طوق**: أصبحت والله ناصحاً متبعاً فاضحاً لكل والٍ قبلك، بحسن سيرتك متبعاً لكل والٍ بعدك لقصوره عنك.

● **رئيسٌ يتلوه رؤساء**

قال عليّ بن الجهم[1]:

كأنه وولاةُ العهد تتبعُه بدرُ السماء تلتْه الأنجمُ الزهُرُ

(١) **علي بن الجهم**: شاعر عبّاسي هجا المتوكل، وكانَ مبغضا لكثرة سعايته بالنّاس. مات سنة ٢٤٩ هـ (٨٦٣م). وممّا قاله غير آبه بحبسه:

قالُوا حُبِسْتَ فقلتُ ليسَ بضائري حبسي وأيّ مهنّدٍ لا يغمدُ

وقال أحمدُ بن أبي طاهر:

كـأنَّ عـلـيّـاً وأبـنـاءه ... هـلالٌ تـحـفُّ بـه الأنـجُـمُ

أخذ ذلك من جرير حيث يقول:

كـالـبـدرِ حـفّ بـواضـحـاتِ الأنـجُـمِ

أميرُ الأمراء

قال المتنبي:

وقـد رأيـتُ الـمـلـوكَ قـاطـبـةً ... وسـرت حـتّـى رأيـتُ مـوْلاهـا

وقال آخر:

ولـو جـمـع الأئـمـةَ فـي مـقـام ... تـكـونُ بـه لـكـنْـتَ لـهُـم إمـامًـا

وقال ابن الرومي:

سـادةُ الـنـاس كـالـجـبـالِ وأنـتُـم ... كـالـنـجـومِ الـتـي تـفُـوق الـجِـبـالا

وقال الخوارزمي:

إلا حـركـا لـي أبـرويـزَ بـن هـرمـز ... وقـولا لـهُ قـمْ تـلـقَ أعـجـوبـةً قُـمِ[1]

تـطـلـعُ إلـى الـدنـيـا لـتـعـلـمَ إنّـمـا ... مـلـكْـتَ مـن الـديـنـارِ مـقـدارَ درهَـمِ

من هو رأسُ القومِ وروحُهم

قيل: الملك كالرأس وأعوانُه كالجوارح[2] صلاحُها بصلاحه.

قال منصور النمري:

الـنـاس جـسْـمٌ وإمَـامُ الـهـدَى ... رأسٌ وأنـتَ الـعـيـنُ فـي الـرأسِ

وقال الماني:

لو يكتبُ الناسُ أسماءَ الملوكِ إذاً ... أعطوْك موضعَ بسم الله في الحسَبِ

وقال إبراهيمُ بن هرمة:

وجدتُك من قيْس إذا القومُ حصلُوا ... مكانَ نياطِ القلبِ بينَ الأضالِعِ[3]

وقال الفرزدق:

منـا الـكـواهـلُ والأعـنـاقُ تـقـدمُـهـا ... والـرأسُ مـنـا وفـيـه الـسـمْـعُ والـبـصَـرُ

وسئل بعضهم عن رئيسهم كيف هو؟ فقال: هو فينا مكان الروح في الجسد. وقيل: هو الذروة وهم الزمع[4]، هو الرأس والناس الذنابى.

---

(١) أبرويز: من ملوك الفرس. (٢) الجوارح: أعضاء البدن وحواسّه.

(٣) نياط القلب: جمع نوط وهو عرق غليظ متصل بالقلب، والنياط معلّق كلّ شيء.

(٤) الزمع: جمع الزمعة وهي هنة زائدة وراء ظلف الشاة، أو الشعرة المدلاة في مؤخر رجل الشاة.

● **وصفُ قومٍ كلّهم رؤساء**

قال أحمد بن طاهر:

كـلُّـهـم سـيـدٌ فـمَـنْ تـلْـقَ مـنـهـم ... قـلْـتُ هـذا أولـى بـحـلّ وعـقـدِ

وقال العرندس:

من تلقَ منهم تقُلْ لاقيْتُ سيّدَهم ... مثل النجومِ التي يَسْري بها الساري[1]

● **من المرؤوسِ فيهم رئيسُ غيرهم**

قال ابن أذينة:

سـمـينُ قـريـشٍ بـائـعٌ مـنْـك لـحـمَـةً ... وغـثُّ قـريْـش حـيـثَ كـانَ سـمـيـنُ

وقال حجر بن خالد:

يـسـودُ ثـنـانـا مـن سِـوانـا وبـدؤُنـا ... يـسـودُ مـعـدّاً كـلّـهـا مـا تـدافـعُـه[2]

● **قَوْمٌ تُوورثَت فيهم السّيادة**

قال طريح:

مـثْـلُ نـجـومِ الـسّـمـاء أن أفـلـتْ ... مـنْـهـا نـجـومٌ بـدت نـظـائِـرُهـا[3]

وقال آخر:

إذا مـقـرم مـنّـا ذر حـدّ نـابـه ... تـخـمّـط فـيـنـا نـابُ آخـرُ مـقـرمُ[4]

وقال أبو تمّام:

رأيـتُـهـم ريـشَ الـجـنـاح إذا مـضـتْ ... قـوادمُ مـنْـهـا بـشّـرتْ بـقـوادِمِ[5]

● **مصْدر مُتابع**

وقال وهب الهمداني:

صـدرُ الـمـجـالـسِ حـيـثُ كـا ... نَ لأنّـه صـدرُ الـمـجـالـس

وقال آخر:

إذا ابـتـدرَ الـبـابَ الـمـهـيـبَ رأيـتَـه ... يدفُ جناحيْه الكهولُ الجحاجحُ[6]

---

(١) **الساري**: الذي يسير ليلاً.

(٢) **معدّ**: اسم القبائل العربيّة التي نشأت في شمالي جزيرة العرب مثل مضر وربيعة.

(٣) **النظائر**: جمع نظير وهو الشبيه والمثيل. (٤) **المقرم**: الفحل والسيد العظيم ـ **تخمّط**: تكبّر

(٥) **القوادم**: جمع قادمة وهي الريشة الطويلة في جناح الطائر.

(٦) **يدفّ جناحيه**: يحركهما ـ **الجحاجح**: جمع جحجح وهو السيّد العظيم.

وقال المسيّب:

تبيتُ الملوكِ على رغمِها وشيبانُ إن غضبَت تعتبُ

وقال عمرو بن هداب: كنا نعرف سودد سلم بن قتيبة، بأنه كان يركب وحده ويرجع في عدة. وكان ملك بن مسمع صاح يوماً فوافى بابه عشرون ألف مدجّج، وسأل عبد الملك عنه، فقيل: لو غضب لغضبه مائة ألف، يبذلون له أنفسَهم وأموالَهم، ولا يسألونه: فيم غضب؟

فقال: هذا وأبيك السودد.

ولم يكن في الإسلام أكثرَ عقد لواء من أبي موسى[1] رضي الله عنه، ولاه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي؛ ومن روح ابن حاتم ولاه السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد[2]

- **الموصوفُ بأنه ناصِرُ الدولة**

قال رؤبة[3] في أبي مسلم[4]:

ما زالَ يأتي الأمرَ من أقطارِه على اليمينِ وعلى يسارِهِ
مشمّرٌ ما يُصطلى بناره حتى استقرّ الملكُ في قرارِهِ

وقال كثير[5]:

أبوك حمى أميّةَ حينَ مالَت دعائمُها وأصحرَ للضرابِ
وكانَ الملكُ قد نصلَت يداه فردّ الملكَ منه في نصابِ

قال المنصور يوماً للمهدي: ما أيدت بما أيد به من كان قبلي. أيّد معاوية بزياد وأيّد عبد الملك بالحجّاج. قال: فقلت قد أيّدت بمن فوقَهما، فقال تعني أبا مسلم؟ قلت: نعم. قال: قد كان كذلك لكن خيّرنا بين أن يقتلَنا أو نقتلَه فاخترنا قتله.

- **من انقادتِ الأيّام لطاعتهِ**

قال عصابة:

ما زالَ تجْري على الدنيا حكومتُه حتّى لقد ظنَّ كلٌّ أنّه الفلَكُ

---

(١) أبو موسى (هنا): هو أبو موسى الأشعري، وهو الذي اختاره الإمام علي ليكون وكيله في مسألة التحكيم الذي تمّ بعد معركة صفّين.

(٢) السّفاح: أول الخلفاء العبّاسيين وتلاه المنصور فالمهدي والهادي فالرشيد.

(٣) رؤبة: أحد كبار الرجّاز.

(٤) أبو مسلم: هو أبو مسلم الخراساني، قائد العبّاسيين في معركة الزاب الفاصلة بين الأمويين والعبّاسيين.

(٥) كثيّر: هو كثيّر عزّة من شعراء الشيعة الغلاة، وقيل كثير عزّة لتغنّيه بمحبوبته عزّة. مات سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣م).

وقال أبو الشيص[١]:

ملكٌ كان الموت يتبع قولَه ... حتّى يقالَ تطيعُه الأقدارُ

- **من كان القضاءُ يجري بأمرِه**

قال شاعر:

كان القضاءُ بما هويتَ كفيلاَ

قال التنوخيّ:

يكونُ كما شاءَ والقضاءُ كأنّه ... بأمرِهم في الخلقِ سارٍ وواقعُ

وقال المثقّب[٢]:

ولو علمَ اللّهُ الجبالَ عصيْنَه ... لجاءَ بأمراسِ الجبالِ يقودُها

- **فقيرٌ متولّ للرئاسة**

قال حسّان بن ثابت:

ويسود مقترناً على الإقلال

وقال لآخر:

يسوّدُ ذا المالِ القليلِ نوالُه ... مروءتُه فينا وإن كان مصْرِما[٣]

- **من نالَ السيادةَ بنَفسه**

قال المأمون: خمسةٌ ملكوا الأقاليم برأيهم وشجاعتهم: **الإسكندرُ** نهض من الروم فملك الأقاليم السبعة، **وأزدشير** ردّ ما انتشر من ملك أقليم بابل على حداثة سنة، **وبهرام جور** نهض في ثلاثمائة فارس، **فقتل خاقان**، **وأنوشروان** أتى دار مملكة أبيه فملكها، **وأبو مسلم** نهض لدعوتنا وهو ابن ثمانية عشر سنة، وقيل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

قال النبي ﷺ: ملك الدنيا أربعة مؤمنان وكافران. فالمؤمنان **سليمان وذو القرنين**، والكافران **نمرود[٤] وشدّاد بن عاد[٥]**.

- **عقدُ البيعَة**

أولُ من عقد البيعة[٦] لغيره **أبو بكر** رضي الله عنه، **لعمر بن الخطّاب** رضي الله

---

(١) **أبو الشيص:** هو محمّد بن عبد الله، ابن عمّ دعبل الشاعر عاش زمن هارون الرشيد (انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة، منشورات دار الأرقم ص ٦٠٧).

(٢) **المثقّب:** هو محصن بن ثعلبة من شعراء الجاهلية القدامى، عاش زمن عمرو بن هند، سمّي المثقب لقوله:

رددْن تحيّةً وكنَنّ أخرى ... وثقّبن الوصاوصَ للعيون

(٣) **المصرم:** الفقير الكثير العيال. (٤) **نمرود:** ملك الكلدانيين، ابن كوش بن حام.

(٥) **شدّاد بن عاد:**

(٦) **البَيْعة:** التولية من بايعه بالخلافة أي عاهده. وتكون المبايعة بأن يمسك أعيان البلاد يدَ من يولونه الخلافة علامة لقبولهم إيّاه وتعهدهم بطاعته.

عنه. وعقد معاويةُ البيعة ليزيد ابنه، وهو معروف، ولما قعد للبيعة دخل رجل فقال: اعلم أنك لو لم تولّ هذا أمر المسلمين لأضعتهم. فقال للأحنف: لم لا تقول؟ فقال: أخاف الله أن كذبت وأخافك إن صدقت. فقال: جزاك الله عن الإسلام خيراً.

ولما شاور السفّاح سعد بن عمر والمخزومي في عقد البيعة لعمّه دون أخيه، قال له: أحدثك بحديث، كنت مع مسلمة بن عبد الملك بالقسطنطينية فبلغه وفاة سليمان وولاية عمر بن عبد العزيز الخلافة فجزع جزعاً شديداً. فقلت: لا تجزع لموت سليمان ولكن اجزع لخروج الأمر من ولد أبيك إلى ولد جدّك فأمسك السفّاح وعقد البيعة للمنصور.

● والٍ مراعٍ لرعيته

وصف أعرابي والياً فقال: كان إذا ولى طابق بين جفونه، وأرسل العيون[1] على عيونه. فهو شاهد معهم غائب عنهم. فالمحسن آمن والمسيء خائف.

وقيل من دبّر حاشيته ضبط قاصيته[2]

وقال إبراهيم الموصلي:

أصبحتَ راعينا وحارسَ أمرِنا والله من عرض الردى لكَ حارسُ

● صلاحُ الرعيّة لصلاحِ الرّعاة

قال رسول الله ﷺ: لن تهلك الرعية، وإن كانت ظالمة مسيئة، إذا كانت الولاة هادية مهدية. وقيل: زمانكم سلطانكم، فإذا صلح سلطانكم صلح زمانكم.

وقيل: صنفان لو صلحا صلح الناس الفقهاء والأمراء.

وقال بزرجمهر إذا همّ الإمام بظلم ارتفعتِ البركة. وروي في الخبر إذا جار السلطان في ناحية ضرى[3] سباعُها.

وقيل إذا رضي الراعي بفعل الذئب لم تنبح الكلاب على الغريب. وقيل: أتى عمر رضي الله عنه بتاج كسرى، فقال: إن الذي ردّ هذا لأمين.

فقال رجل: يا أمير المؤمنين أنت أمينُ الله فإن أديت أدّوا، وإن ربعت[4] ربعوا. قال صدقت.

قال الشاعر

ونفسَك فاحفظْها من الغيّ والردى متى تُغْوها يغوَ الذي بكَ يقتَدي

---

(١) العيون: الرقباء أو الجواسيس.

(٢) القاصية: المواضع النائية من الدولة أو المملكة والرعايا في تلك المواضع.

(٣) ضرى سباعها: تعوّدوا الصيد وولعوا به، يقال حرب ضارية أي شديدة.

(٤) ربع: أخصب.

● صلاحُ الولاةِ بصلاحِ الرعيّة

قال عبد الملك: إنكم لتسومون منّا فعل **أبي بكر وعمر**، ولستم تعملون بعمل رعيتهما، فأعان الله كلاً على كل. وكتب المهدي في جوابِ كتابٍ جاءه بشكوى عامل أن الله لا يغير ما بقوم، حتى يغيّروا ما بأنفسهم. **وقيل**: شيئان صلاح أحدِهما بصلاح الآخر الرعيةُ والسلطان.

● خصبُ الزمان وطيبُه بعدْلِ الولاة وجدبُه بجَوْرهم

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الأرض لتزين في عين الخليفة إذا كان عليها إمام عادل. وتقبح في أعينها إذا كان عليها إمام جائر.

وروي أن **أبرويز**[1] نزل بامرأة متنكراً فحلبت بقرة لها، فرآى لبناً كثيراً، **فقال** للمرأة: كم يلزمك في السنة لهذه البقرة للسلطان؟ قالت: درهم واحد. **قال**: وأين ترتع وبكم منها ينتفع؟ **قالت**: ترتع في أرض السلطان، ولي منها قوتي وقوت عيالي. فتفكّر في نفسه، **وقال**: إن الواجب أن تجعل إتاوة على الأبقار فلأصحابها نفع عظيم. فما لبث أن قالت المرأة أوّه إن سلطاننا همّ بجور. فقال لها **أبرويز**: ولم؟ قالت إن درّ البقرة انقطع، وإنّ جور السلطان مقتضى لجدب الزمان، كما أن عدله مقتضى لخصب الزمان.

فأقلع **أبرويز** عمّا همّ به وتاب مما خطر بقلبه، وكان بعد ذلك **يقول** إذا همّ الإمام بجور ارتفعت البركة.

وقال سقراط: ينبوع فرح العالَم الملك العادل، وينبوع حزنهم الملك الجائر.

وقال الفضيل بن عياض: لو كان لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في الإمام، لأنه إذا صلح أخصبت البلاد وأمن العباد. فقبّل ابن المبارك رأسه **وقال**: من يحسن هذا غيرك؟

وكان رجل يساير عاملاً فمرّ بقصر خرب عليه زوجا بوم، والذكر يصرصر[2] للأنثى، **فقال** العامل للرجل: ما يقول هذا البوم؟ **فقال**: إن أمنتني أخبرتك بما يقولان؟ **فقال**: أنت آمن. **قال**: إن الذكر خطب الأنثى، **فقالت**: لا أجيبك حتى تجعل مهري عشرين قرية خربة. **فقال** الذكر: إن بقي لنا هذا العامل سنة أمهرتك خمسين قرية. فغضب العامل **وقال**: لولا أني أمنتك لعاقبتك.

وقيل: عدل السلطان خير من خصب الزمان، وسلطان عادل خير من مطر وابل.

● تفويضُ كلّ أمرٍ إلى المستصلِحِ له

قال الإسكندر لأرسطوطاليس: أوصني في عمّالي، **قال**: انظر إلى من كان له عبيد

---

(١) **أبرويز**: أحد ملوك الفرس. (٢) **يصرصر**: يصوّت.

فأحسنَ سياستَهم فولّه الجند، ومن كانت له ضيعة فأحسنَ تدبيرَها فولّه الخراج.

قدم جماعة من فارس إلى المهديّ يشكون عاملهم، فقالوا للوزير: وليت علينا رجلاً إن كنت قد عرفته ووليته علينا فما خلقَ الله رعية أهون عليك منا، وإن كنت لم تعرفه فما هذا جزاء الملك وقد سلّطك الله على سلطانه. فدخل الوزير على المهديّ فأخبره وخرج فقال: إن هذا رجل كان له علينا حق فكافأناه، فقالوا: كان مكتوباً على باب كسرى العمل للكفاءة من العمّال، وقضاء الحقوق على بيت المال، فأمر بعزل ذلك العامل عنهم.

• تفضيلُ الفاجِر الكافي على الضّعيف التقيّ

قال عمر رضي الله عنه: أعضل[1] بي أهل الكوفة، إذا ولّيت عليهم الفاجر القوي فجّروه، وإذا وليت المؤمن الضعيف هجّنوه. فقال المغيرة المؤمن الضعيف له إيمانه وعليك ضعفه، والفاجر القويّ لك قوّته وعليه فجوره. قال: صدقت وولاه الكوفة.

وكان يقول: أبداً أشكو إلى الله بلادة الأمين ويقظة الخائن.

وقدم أهل السوس[2] على المنصور يشكون عاملاً، فاستحضره واستخفّ به، فقال: القوم وأشدّ من الخيانة يا أمير المؤمنين. فاستوى جالساً، وقال: ما هو؟ قالوا: لم يسجد لله سجدة قط ظاهرة منذ ولي السوس. فقال: ما أبالي أن لا يصلّي داخلاً وخارجاً، إذا هو أدّى الأمانة.

• تفويضُ الأمرِ إلى أهلِ الذمّة

ورد على عمر رضي الله عنه كتاب، فقال لأبي موسى الأشعري: ادعُ كاتبَك يقرأه على الناس، فقال إنه نصراني لا يدخل المسجد. فقال استعملت على أمانة المسلمين نصرانياً، فقال: يا أمير المؤمنين لنا أمانته وله ديانته. فقال: لا تقرّبوهم وقد أبعدهم الله ولا تؤمنوهم وقد خوّنهم الله.

وشكا رجل عاملاً فقال: وضع والله الموحد، ورفع الملحد أوحش المسجد وآنس البيعة.

• تفويضُ الأمرِ إلى الكافي[3] وإن كان خائناً

قيل: فوّض الأمرَ إلى الكافي، وإن كان خائناً، فالمضيع شر من الخائن. لأن التضييع من طبع الجهل، ولا حيلة في الجهل. والخيانة معصية وذنب، ويمكن التوبة منه. وقيل لا حاجة في الأحمق وإن كان أميناً.

---

(١) أعضلوا به: لم يسلس له قيادهم.

(٢) السوس: بلدة في خوزستان، فيها قبر النبيّ دانيال والسوس تعريب الشوش. ومعنى الكلمة الحسن والطيب (معجم البلدان لياقوت الحموي).

(٣) الكافي: ذو الكفاية والمقدرة.

● **الاستعانةُ بالموثوقِ به وإنْ لمْ يكُنْ كافياً**

قيل: لا تستنصحن غاشاً وإن كان كافياً، **فمن** استعان بأمين ربح عدم التهمة. وأراد **المأمون** أن يشخص عبد الله بن طاهر إلى ناحية، **وقال** له: استخلف. فاطرق **فقال** له **المأمون**: مالك تتفكر؟ **فقال**: إن استخلفت من يستقل بخدمتك خفته، وإن استخلفت من اثق به لم آمن تقصيره. **فقال**: استعمل من تثق به وأنا أقوّمه.

● **الصَبْرُ على خيانةِ الوُلاة**

قيل: لا مال لمن لم يصبر على خيانة الوكلاء وتضييع الولاة. وكان **مروان بن الحكم**[1] له غلام وكّله بأمواله، **فقال**: له يوماً: أظنّك تخونُني؟ **فقال**: قد يخطىء الظنّ اتخذتني في مدرعة[2] صوف ولم أملك قيراطاً، وأنا اليوم أتصرف في ألوف، وأتبختر في خزوز إني أخونك وأنت تخون **معاوية**، ومعاوية يخون الله ورسوله.

● **المنعُ من تفويضِ الأمرِ إلى القرّاء**

قال عدي بن أرطاة لعالم: دلّني على قوم من القراء أولّهم، **فقال**: إنهم ضربان ضرب طلبوا الأمر لله، وأولئك لا حاجة لهم في لقائك وضرب طلبوا بذلك الدنيا فما ظنك بهم إذا وليتهم. فعليك بأهل البيوتات المستحيين لا حسابهم.

ولما ولي **مروان بن محمد** أرسل إلى رجل ليوليه فرأى له سجادة مثل ركبة البعير، **فقال**: يا هذا إن كان ما بك من عبادة الله فما يحلّ لنا أن نشغلك، وإن كان من رياء فما يجوز لنا أن نستعملك.

● **تفويضُ الأمرِ إلى من يُتفرّس فيه الخير**

قال أبو بكر في عمر رضي الله عنهما لما عهد له: إني استعملت عليكم عمر فإن بر وعدل فذاك علمي به، ورأيي فيه. وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب، والخيرَ أردت، ولكل امرىء ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

واستشار **عمر بن عبد العزيز** رضي الله عنه في قوم يولّيهم، **فقيل**: عليك بأهل القدر الذين أن عدلوا فذلك ما رجوت فيهم، وإن قصّروا قال الناس قد اجتهد عمر.

● **نهيُ الوَالي عن تفويضِ الأمرِ إلى ذريته، وعذرُ من فعل ذلك**

قال بعضهم: إياك والاستعانة بالأقارب، فتبلى كما بلي عثمان رضي الله عنه. واقض حقوقهم بالمال لا بالولاية.

---

(١) **مروان بن الحكم**: من كبار القادة الأمويين. قاتل الإمام علياً يوم الجمل وهزم القيسية في مرج راهط وقتل زعيمهم الضحاك. مات مروان بالطاعون عام ٦٥ هـ (٦٨٤م).

(٢) **المدرعة**: ثوب من كتان، وهو أيضاً لباس أحبار اليهود.

قال أمير المؤمنين **عليّ** كرم الله وجهه لبعض ولاته، لم وليت أقاربك؟، **قال**: لأني أعلم أخبارهم ولانهم يقون علي، وعلى حالهم لدي.

● حثُّ السّلطان على كِفايةِ من يولّيه

قال بعض الأكاسرة: إذا استكفيتَ رجلاً فأسن[1] رزقه وقوي عضده[2] وأطلق بالتدبير يده. ففي إسنان رزقه حسم طمعه، وفي تقوية يده ثقل وطأته على أهل العدوان، وفي إطلاق التدبير له أخافته عواقب أموره.

وقال المنصور يوماً لجنده: صدق القائل أجعْ كلبك يتبعك. **فقال بعضهم**: كلا فربما يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك، فقد قيل منع خيرك يدعو إلى صحبة غيرك. **فقال**: صدقت.

وقال **أبرويز** لا توسعنّ على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيقنّ عليهم فيضجوا منك، أعطهم عطاء قصد وأمنعهم منعاً جميلاً، ووسّع على قومك في الرجاء ولا توسّع عليهم في العطاء.

● السياسةُ بالخشونةِ والعسف

قال الحجّاج دلّوني على رجل أستعمله على الشرطة، وأريده رجلاً دائم العبوس طويل الجلوس، سمين الأمانة أعجف الخيانة، يهون عليه سبال في الشفاعة. فقيل له: عليك **بعبد الرحمن التميمي**. فاستحضره وولاه. **فقال**: لا أقبلها إلا أن تكفيني عيالك وحاشيتك. فدعاهم **وقال**: من طلب إليه منكم حاجة برئت الذمة منه. فتولّى، فكان لا يحبس إلا في دين، وإذا أتى بشاهر سلاح قطع يده، وإذا أتى بنقّاب[3] نقب بطنه، وإذا أتى بنبّاش دفنه حياً، وإذا أتى بمتهم ضربه ثلاثمائة سوط، فربما أقام أربعين يوماً لا يؤتى بمتهم.

وصعد **الحجّاج** المنبر يوماً فقال: إنّي أريد الحجّ وقد استخلفت عليكم ابني وأوصيته بخلاف ما أوصى النبي ﷺ **في الأنصار**، حيث أوصى أن يقبلَ من محسنهم ويتجاوزَ عن مسيئهم ألا وإني أوصيته أن لا يتجاوز عن مسيئكم، ولا يقبل من محسنكم ألا وإنكم لتقولون بعدي: لا أحسن الله له الصحبة. وإني معجل لكم الإجابة لا أحسن الله عليكم الخلافة.

وقيل: خير الملوك من أشبه النسور ومعناه سلطان يأكل الرعية خير من سلطان تأكله الرعية.

وسأل **عبد الرحمن بن عوف عمر** رضي الله عنهما أن يلين للناس، **فقال**: الناس لا

---

(١) **أسنّ رزقه**: أعطاه حقّه من الرزق. (٢) **قوّى عضده**: آزره ودَعمه.

(٣) **النقاب**: من نقب الحائط خرقه، والمراد بالنقاب هنا اللصّ والسارق الذي ينقب البيوت ليستحوذ على ما فيها.

يصلح لهم إلا هذا. ولو علموا ما لهم عندي، لأخذوا ثوبي من عاتقي.

● السياسةُ بالرّغْبة والهَيْبة

كان أنوشروان يوقّع في عهود الولاة: سِسْ خيار الناس بالمحبة، وامزج للعامة الرهبة بالرغبة. وسِسْ[1] السفلة بمجرد الهيبة.

ولما وفد سعد العشيرة في مائة من أولاده على ملك حمير، سأله عن صلاح الملك، فقال: معدلة شائعة وهيبة وازعة[2]، ورعية طائعة ففي المعدلة حياة الأنام، وفي الهيبة نفي الظلام، وفي طاعة الرعية حسن الإسلام.

وقال زياد: ما غلبني معاوية في شيء من السياسات، إلا في واحدة. استعملت رجلاً على قرية فكسر خراجها ولحق بمعاوية. فكتبت إليه أن أبعثه إليّ، فكتب ليس ينبغي أن نسوس الناس سياسة واحدة. إذا وليت القطاة فحق أن لي اللبانة، لكن إذا هرب هارب من باب وجد باباً يدخله والسلام.

وقال أنوشروان إن هذا الأمر لا يصح له إلا لين في غير ضعف وشدة في غير عنف[3]

ودخل أبو معاذ على المتوكل حين استخلف فأنشده:

إذا كنتُم للناس أهلَ سياسةٍ   فسُوسوا كرامَ النّاس بالرفقِ والبَذْلِ
وسوسُوا لئامَ النّاس بالذلّ يصلُحوا   على الذلّ، إن الذل يصلحُ للنّذْلِ

● السياسةُ بالمُلاينة

أوصى عمر بن عبد العزيز والياً، فقال: عليك بتقوى الله فانها جماع الدنيا والآخرة. واجعل رعيتك الكبير منهم كالوالد، والوسط كالاخ، والصغير كالولد. فبرّ والدك وصلْ أخاك وتلطّف بولدك.

وقال بعضهم: الحبس يحبس المال والقيد يقيّده، والتسهيل يسهّله. فاستعمل الرفق يرج[4] مالك.

ولّى أمير المؤمنين رجلاً فقال: لا تضربنّ أحداً سوطاً ولا تتبعنّ له رزقاً ولا كسوة لشتاء أو صيف، ولا دابة يعملون عليها. فقال: يا أمير المؤمنين إذا أرجع إليك كما ذهبت. فقال: وإن رجعت كما ذهبت. إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو.

---

(١) سُسْ: الأمر من ساس أي أدار الأمور ودبّر شؤون النّاس أو الرعيّة.

(٢) الوازعة: الرادعة.

(٣) استعمل زياد بن أبيه هذه العبارة في خطبته لما ولي البصرة، إذ قال: إن هذا الأمر لا يصلح إلا كما صلح أوّله: لين في غير ضعف وشدّة في غير عنف موحياً بأنه سيكون على سنة الراشدين حتى يكسب قلوب الضعفاء، فيقوى بهم ليكسر شوكة المتمردين.

(٤) يرج: من الرواج وهو نقيض الكساد.

وروي أن عمر رضي الله عنه أتي بمال كثير فقال لعماله: إني أظنكم قد أهلكتم الناس، فقالوا: لا والله ما أخذنا إلا عفواً صفواً بلا وسط. وقال معاوية لمروان: من ترى للعراق؟ فقال من لا يمسح الحلوب[1]، حتى يجمع الدرّة، ولا يدنى بالعلبة حتى يمسح الصرّة.

● الحثّ على تركِ التتبّعِ والرسومِ الجائرةَ

كتب بعض الوزراء إلى عامل: سوق السعادة عندنا كأسدة وألسنتهم لدينا معقولة ولم نرد هذه الناحية لاحياء العظام الناخرة، ولا لتتبع الرسوم العافية. عامل الناس بما في ديواننا فإنّها أيام قلائل فإما ذكر الأبد أو خزي الأبد. وتجنّب أن تكون، كما قال جرير:

وكنت متى حللتُ بدارِ قوم ... حللتُ بخزيةٍ وتركْتُ عارا

وقيل: لا ينبغي للوالي أن ينقض سنّة[2] اجتمعت عليها الألفة وصلحت عليها العامة.

وأخرج أبو علي بن رستم عاملاً إلى بعض النواحي، وكان في القرية حمام كثير فعدّه وأخذ واحدة منها وشقّ حوصلتها وعدّ الحبوب الموجودة فيها واحتسب بذلك. فقال: إن كل حمامة تأكل في السنة من الحنطة كذا. وألزمهم ذلك فكتب أبو علي إليه كتاباً وفي آخره هذا الشعر:

عجبتُ من نفسي ومن إشفاقِها ... ومن طرادي الطيرَ عنْ أرزاقِها

في سنة قد كشفت عن ساقِها ... والموتُ في عنقِي وفي أعناقِها

والأبيات لرؤبة قالها وقد تولى طراد الطير عن زرع له.

وكتب إلى أنوشروان عامل له بناحية يعلمه جودة الريع[3] بها، ويستأذنه في الزيادة على الرسم. فأمسك عن إجابته. فعاوده العامل في ذلك، فكتب إليه: قد كان في تركي إجابتك عن كلامك ما حسبتك تنزجر به عن تكلّف ما لم تؤمر به. فإذ قد أبيت إلا تمادياً في سوء الأدب فاقطع إحدى أذنيك. واكفف عمّا ليس من شأنك. فقطع العامل إحدى أذنيه ائتماراً له.

● حثُّ الولاةِ على مراعاةِ الديانة

قال أزدشير[4]: الدين والملك أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر. فالدين أس والملك حارس، والبناء ما لم يكن له أس مهدوم، والملك ما لم يكن له حارس فضائع.

● حثُّ السلطانِ على اعتبارِ ظاهرِ الرعيّة دونَ بواطنِهم

قال بعض الملوك: أنا أملك الأجساد، لا النيّات. وأحكم بالعدل لا بالرضا، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر.

---

(١) الحلوب: البقرة الحلوب.

(٢) السنّة: العادة أو الطريقة، والسنة أيضاً المذهب.

(٣) الريع أو ريع الأرض مردودها بعد الزرع.

(٤) أزدشير: من ملوك الفرس.

وقال **معاوية** الناس أعطونا سلطاناً وأعطيناهم أماناً، وأظهروا لنا طاعة تحت حقد، وأظهرنا لهم حلماً تحت غضب.

قال الشاعر:

لقدْ أحلكَ من يعصيك ظاهرُه وقد أطاعَك من يعصيكَ مستَتِراً

● حثُّ الوالي على اكتسابِ مودّة الرعيّة

كتب **أرسطوطاليس إلى الإسكندر**: أملك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالمحبة منها. فإنّ طلبك ذلك باحسانك أدوم بقاء منه باعتسافك[1]، واعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطَّها إلى القلوب بالإحسان، واعلم أن الرعية إذا قدرت أن تقول، قدرت أن تفعل. فأحسن قولها تأمن فعلها. وقال **علي بن عبد الله بن عباس**: تطلب محبة الرعية فطاعة المحبة أفضل من طاعة الهيبة.

● السّياسةُ بالعمارة

كان يقال أسوس من[2] **زياد**. قيل إنه ركب يوماً بالسوس فرأى عمارة حسنة فخاف أهلها أن يزيد في خراجها، فالتفت إليهم وقال بارك الله عليكم فقد وضعت عنكم مائة ألف لما رأيت من عمارة بلدكم.

قال **عمر بن عبد العزيز** رضي الله عنه لله درّ **زياد**، سعى أهل **العراق** سعي الأم البرّة، وجمع منهم المال جمع الذرة فاغناهم وحباهم بحسن التدبير

وقيل: من طمع في وفور الارتفاع بغير العدل فهو يهزأ بنفسه.

● ذمُّ جامعِ للمال تاركٍ للعمارة

حول عامل **لأنوشروان** من **الأهواز**[3] فضل ثمانين درهم على الغبرة القائمة، فسأله أنوشروان عن ذلك فقال: وجدت في أيدي قوم فضولاً فاخذتها منهم. فقال: ردّ هذا المال لمن أخذته منهم، فإن مثلنا في ذلك إن أخذناه كمثل من طيّن سطحه بتراب أساس بيته، فيوشك أن يكون ضعف الأساس وثقل السطح مسرعَيْن في خراب بيته.

ولما عزل **عثمان** رضي الله عنه **عمرو بن العاص** عن **مصر**، وولّى عبد الله بن أبي سرح، دخل عليه **عمرو**، فقال له **عثمان**: أشعرت أن اللقاح بعدك درّت ألبانها؟ فقال: نعم ولكنّكم أعجفتم[4] أولادها.

---

(١) **الاعتساف**: الاستبداد والجور.

(٢) **أسوس من**: أكثر براعة في السياسة، والسياسة من الإدارة وتدبير شؤون الحكم والملك.

(٣) **الأهواز**: أحد أقاليم الدولة زمن العبّاسيين، ويعرف اليوم باسم **خوزستان** في الدولة الإيرانيّة.

(٤) **اعجفتم**: أي أهزلتم وأضعفتم.

وقال الحجّاج لبعض الدهاقين[1] من الري ما بال بلدكم قد خرب؟ فقال: لأن عمالكم استعملوا فيها قول شاعركم:

لا تكسع الشولَ بأغبارِها ... إنّك لا تدري من الناتجُ[2]
واصببْ لأضيافِك ألبانَها ... فإنّ شر اللبن الوالِجُ

● النهيُ عنِ المقاطعة

قبل المأمون السواد من إسحاق بن إبراهيم سنين، فانقضت قبالته[3] فسأله أن يجددها. فجلس المأمون فقال أيها الناس أني قبلت السواد من إسحاق ثلاث سنين وانقضت، وسأل أن أقبله ثلاثاً مستأنفة فهل له من شاك أو متظلم؟ فقام شيخ فقال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى جعلنا في يدك أمانة ولم يجعلنا قبالة فإن رأيت أن تقبلنا من أحد فافعل. فقال: لا قبلت بعد هذا. وقيل المقاطعةَ تقطع.

● الحثُّ على مراعاةِ أهلِ الخرَاج

قال زياد: أحسنوا إلى أهل الخراج فانكم سمان ما سمنوا. قال جعفر بن يحيى: الخراج عمود السلطان، وما استفزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الجور.

● نفعُ الأنصاف وكونه سببَ العمارة.

قيل: لا يكون العمران حيث يجور السلطان. وقال عمرو بن العاص: سلطان عادل خير من مطر وابل، وعدل قائم أجدى من عطاء دائم، وسبع حطوم خير من والٍ غشوم. عدل السلطان خير من خصب الزمان.

وكتب عامل إلى عمر بن عبد العزيز: إن مدينتنا قد خربت. فقال: اعمرها بالعدل ونظّف طرقها من الظلم والسلام.

وقال أنوشروان: حصّن المملكة بالعدل، فهو سور لا يغرقه ماء ولا تحرقه نار ولا يهدمه منجنيق. ورفع إلى كسرى أن مع فلان مالا عظيماً يرجح على ما في بيت المال، فوقّع: ماله مالنا وخصب الزمان خصبنا.

● محافظةُ الطُرُق

كان المنصور يقول: لا أبيت على تضييع الطريق فهو قوام الملك، ولا على إذلال حاكم فهو عزّ الملك. وقال بزرجمهر[4]: عزّ الملك بأربعة أشياء: حراسة منازل الرعية في الأمصار،

---

(١) الدهاقين: جمع دهقان وهو بالفارسية رئيس الإقليم.

(٢) لا تكسع: لا تطرد ـ الشول: بقية الماء في الدلو والشول هنا الإبل التي عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وخفّ لبنها.

(٣) القبالة: اسم لما يلتزمه الإنسان من عمل ونحوه.

(٤) بزرجمهر: من وزراء الفرس.

وحفظ طرقها في الأسفار، ومنع عدوها عن حريمها، وإعزاز قضاتها، وقال المتنبي:

إذا طلبت ودائعهم ثقاتٍ دفعن إلى المحاني والرّعانِ[١]
فماتت فوقهن بلا صِحابٍ تصيحُ بمن يمر: ألا تراني

● وصيةُ الكبار بتحرّي الإنصاف

كان كسرى يقيم رجلين عن يمينه وشماله إذا قعد للنظر في أمور الناس. فكان إذا زاغ[٢]، حرّكاه بقضيب كان معهما، وقالا له، والرعية يسمعون: أيها الملك انتبه أنت مخلوق لا خالق، وعبد لا مولى. ليس بينك وبين الله قرابة. أنصفِ الناس وانظرْ لنفسِك.

ودخل أسقف نجران على مصعب، فكلّمه بشيء أغضبه فرماه بمحجن. فقال الأسقف: إن لم يغضب الأمير، حدّثته بحديث، فقال: حدّث. فقال: في الإنجيل ليس للإمام أن يظلم وبه يلتمس العدل، ولا أن يسفَه ومنه يطلب الحلم فاعتذر منه وندم.

● مدحُ العفّة والأمانة والحثُّ عليهما

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[٣] إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها. وقال تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾[٤] وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[٥]

وقال عليه الصلاة والسلام: لا إيمان لمن لا أمانة له.

وقال أعرابي اللهم أني أعوذ بك من الخيانة فبئست البطانة. وقال بعضهم: إذا لم تكن خائناً فبت آمناً. وقال الجاحظ: سقى الله قبر الأحنف، حيث يقول الزم الصحة يلزمك العمل.

وقيل: من أحرز العفاف لم يعدم الكفاف[٦] وقال معاوية رضي الله عنه: من ولّيناه أمراً فليلزم الرفيعين: الأمانة والعدل.

● منعُ الوالي عن قبولِ الهديّة

قال النبي ﷺ: الهدية تُذهب السمعَ والبصر، وقال: إذا دخلت الهدية من الباب خرجت الأمانة من الكوّة.

وبلغ أنوشروان أن بعض عماله قبل هدية، فأحضره فلمّا دخل عليه، قال: هل قبلت الهدية؟ فقال: نعم، فقال: إن قبلتها لتستكفيه شيئاً لم تكن تستكفيه لولاها، إنك لخائن. وإن قبلتها ولم تكافئه إنك للئيم. ولئن كافأته بسطت لسان رعيتك عليك ذمّاً. فمن أتى صنيعاً لا يخلو من هذه الثلاثة رغبنا عنه، وعزله. وقال الحجاج لوال: لا تقبل الهدية

---

(١) المحاني: منعطفات الأدوية ـ الرعان: جمع رعن وهو أنف الجبل.
(٢) زاغ: مال واعوج.
(٣) القرآن الكريم: نوح/ ٩٠.
(٤) القرآن الكريم: البقرة/ ٨٣.
(٥) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٧٦.
(٦) الكفاف (من الرزق): ما كفى عن الناس وأغنى.

فصاحب الهدية لا يرضى بعشر أمثالها مع الشنعة، ثم اسلخ ما بين أقفائهم إلى عجب ذنبهم فانهم يرضون عنك.

● مدحُ منْ لا يتكسّب في ولايته ولا ينفِق

اجتمع عند المنصور يزيد بن أسيد ومعن بن زائدة وعدة من الأماثل، فقال معن: ولاني أمير المؤمنين موضع كذا، فحملت إليه كذا وكذا، وأنت ولاك أرمينية[1] فبعثت إليه بمشربة طبخ. فقال يزيد: يا أمير المؤمنين أيما أحب إليك الضنينُ بأمانته[2] أو الجواد بخيانته؟ فقال المنصور: بل الضنين بأمانته. وولّى مصعب جد الأصمعي الأهواز فعاد ولم يكن له إلا درهمان. فقيل له ذلك، فقال: ما وجدت إلا مسلماً له ما لي، وعليه ما عليّ أو ذمياً له ذمة واجبة عليّ فلم أدر أين أضع يدي.

ودخل عمير بن سعد على عمر لما رجع إليه من ولاية حمص، وليس معه إلا جراب وإداوة، وقصعة وعصا، فقال عمر: ما الذي أرى بك من سوء الحال؟ فقال: أولست تراني صحيح البدن معي الدنيا بحذافيرها. فقال: وما معك؟ قال: جرابي أحمل فيه زادي وقصعتي أغسل فيها ثوبي ورأسي، وإداوتي فيها ماء سقيتي ووضوئي، ومعي عصاى إن لقيت عدوّاً دافعته بها وما بقي فتبع لما معي. قال: صدقت.

قال بعض الخراسانية:

فعاش خمسين عاماً في ولايته وجاع يومَ ثوى في لحده خدمُه

وهذا البيت يمكن أن يكون مدحاً وأن يكون ذماً.

● تحريضُ الوالي عَلى الاكتِساب

كتب أبو العيناء[3] إلى صديق له تولّى عملاً: أما بعد فإني لا أعظك بموعظة الله تعالى، لأنك غنيّ عنها ولا أخوفك إياه لأنك لا تخافه، ولكنّي أقول ما قاله الشاعر:

أحار بن عمرو وقدْ وليتَ ولايةً فكنْ جَرذا فِيها تخونُ وتسرقُ
وباه تميماً بالغِنى إنّ للغِنى لساناً به المرءُ الهيوبة ينطِقُ[4]

واعلمْ أن الخيانة فطنة، والأمانة خرفة، والجمع كيس، والمنع صرامة. فاذكر أيام

---

(١) أرمينية: موطن الشعب الأرمني وهو من الآريين. واللغة الأرمنية من اللغات الهندو أوروبيّة.

(٢) الضنين بأمانته: البخيل بها.

(٣) أبو العيناء: هو محمد بن قاسم الهاشميّ. وهو أحد الأدباء الشعراء. كانت ولادته في الأهواز في حدود سنة (٨٠٥م)، ومات في البصرة سنة ٢٨٣هـ (٨٩٦م). أخذ العلم عن أبي عبيدة والأصمعي.

(٤) الهيبوبة: مصدر هابه مهابة وهيبوبة وهيباً وهيبة أي خافه واتّقاه.

العطلة في حال الولاية، ولا تحقرنَ شيئاً صغيراً، فالذود[1] إلى الذود إبل، والولاية رقدة فتنبّه قبل أن تنبه. وأخو السلطان أعمى عن قليل سوف يبصر، وما هذه الوصية كما أوصى به الحكماء، ولكنّي رأيت الحزم في أخذ العاجل وترك الآجل.

● من أريدَ عزلُه فاحتالَ أن يقرَّ على وِلايته

كتب معاوية إلى عمرو بن العاص وإلى المغيرة[2]، أن يقدما عليه. فقدم عمرو من مصر والمغيرة من الكوفة. فقال عمرو للمغيرة: ما جمعنا معاوية إلا ليعزلنا. فإذا دخلت فاشك إليه الضعف، واستأذنه أن تأتي الطائف. وأنا أسأله مثل ذلك فسيظنّ أنا نريد به شراً، فسيردنا إلى العمل.

فدخل المغيرة فسأله أن يعفيه وأن يأذن له في الذهاب إلى الطائف، ثم دخل عمرو فسأله مثل ذلك فقال معاوية لقد تواطأتما على أمر وهممتما بشر ارجعا إلى عملكما.

ولما استخلف سليمان بن عبد الملك تهدّد الحجّاج بالعزل فكتب إليه الحجاج: يا سليمان إنما أنت نقطة من مداد، فإن رأيت في ما رأى أبوك وأخوك كنت لك كما كنت لهما، وإلا فأنا الحجّاج. وأنت نقطة إن شئت أثبتك وإلا محوتك فأقرّه على عمله.

وكان معاوية عزل عمراً عن مصر بأبي الأعور السلمي، وكتب إليه على يده، وقال: ائته وادفع إليه الكتاب وأخرجه. فلما انتهى إلى مصر علم عمرو سبب مورده، فقال لوردان غلامه: احتلْ عليه. فقال: نعم. فلما دخل، وأراد أن يناوله الكتاب حلف أن لا يأخذ الكتاب أو يأكل فقعد للأكل مع عمرو. فاحتال وردان وسرق كتبه. فلما فرغ وطلب الكتاب لم يجده. فقال: إن أمير المؤمنين عزلك بي. فقال: هات الكتب فلم يجدها، فاضطرب. فكتب عمرو في الوقت إلى معاوية وأرضاه، فلما سمع بخبره ضحك وأمر برد أبي الأعور إليه.

وقدم عمر رضي الله عنه الشام فتلقاه معاوية في موكب عظيم، وكان عمر على حمار هزيل، فلم يعرفه معاوية، وجازه حتى نبّه. فنزل له فاعرض عنه عمر، وقال: قد صرت صاحب الموكب وذوو الحاجات تقف على بابك. قال: نعم، فقال: ونعم أيضاً؟ فقال: إنني ببلد يكثر فيه جواسيس العدوّ ولا بد مما يرهبهم من آلة السلطان، فإن أمرتني فعلت وإن نهيتني انتهيت. فقال عمر رضي الله عنه: لا آمرك ولا أنهاك، والله لئن صدقت لقد فعلت فعل أريب، ولئن كذبت فقد اعتذرت عذر أديب. فقال أبو عبيدة: ما أحسن ما صدر عما أوردته فقال عمر رضي الله عنه لحسن مصادره وموارده جشّمناه ما جشّمناه.

---

(١) الذود (من الإبل): من الثلاث إلى الثلاثين.

(٢) المغيرة: هو المغيرة بن شعبة وهو أحد الصحابة، كوفي المنبت. تولّى زمن عمر بن الخطاب ولاية البصرة وكان أحد دهاة العرب المشهورين، مات بالطاعون سنة ٤٦ هـ (٦٦٦م).

● اعتذارُ طالبِ رئاسة تعذرت عليه

قال رجل عند **معاوية**: عجباً **لعلي** كيف طلب الخلافة؟ **فقال معاوية**: اسكت فما كان في خطبتها، إلا كما **قال الشاعر**:

لئنْ كانَ أدلى دلوهَ فتعذرتْ عليه وفاتتْ رائداً فتخطّتِ
فما رغبةً عنه تخطّت حبالَه ولكنها كانتْ لآخرَ حطّتِ

وقيل لرجل خطب ولاية من أمير: ما ولاّك الأمير؟ فقال ولأني ظهره وأعطاني منعه وحماني نفعه. وربّ ساع لم يدرك المنى، وحال بينه وبين مطلوبه القضاء.

● مدحُ الإمارةِ والرخصةِ في الولاية

روي أن رجلاً ذمّ الإمارة عند النبي ﷺ، **فقال** عليه الصلاة والسلام: نعم الشيء الإمارة، لمن أخذها بحقها.

وقال بعضهم: لولا الحظ في الولاية لما قال نبيّ الله يوسف عليه السلام لكافر إجعلني على خزائن الأرض أني حفيظ عليم. **وقال بزرجمهر**: أغبط الناس الملك الحازم المظفر. **وقيل**: حبّذا الإمارة ولو على الحجارة. **وقيل** لبعضهم: ما السرور؟ **قال**: رفع الأولياء وحطّ الأعداء، وطول البقاء مع القدرة والنماء.

وقيل لآخر: فقال اللواء المنشور، والجلوس على السرير، والسلام عليك أيها الأمير

● مدحُ الاشتغالِ وذمُّ الفراغ

قيل: العطلةُ موت الحال، وطالت عطلة دينار ثم عرض عليه شغل، فشاور الموبذ في ذلك، **فقال**: اعلم أن العطلة سكون، والحياة حركة، فإن استطعت أن تخرج من حيز الأموات إلى حيز الأحياء فافعل.

وقيل: إذا كان الشغل مجهدة فالفراغ مفسدة. **وقال** أكثم: ما يسرني أني مكفي كل أودي. **فقيل** له: ولم؟ قال: أكره طاعة العجز وذلك أن مع الكفاية العجز والبلادة، ومع الحاجة الفطنة والشهامة.

● ذمُّ الولايةِ والتزهيدُ فيها

روي أن النبي ﷺ **قال** لعمّه **العباس** رضي الله عنه: يا عمّ نفسٌ تحييها خير من إمارة تحصيها.

وقال ﷺ: ستحرصون على الإمارة ثم تكون حسرة وندامة يوم القيامة. فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة.

ولما ولي أبو بكر رضي الله عنه خطب الناس فقال: أن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك. فرفع الناس رؤوسهم، فقال: ما لكم إن الرجل إذا صار ملكاً زهّده الله

فيما في يده ورغبه فيما في يد غيره، وانتقصه شطر أجله وأشرب، قلبه الإشفاق. فهو يحسد على القليل ويتسخّط الكثير. فهو كالدرهم والسراب الخادع، جذل الظاهر حزين الباطن. فإذا وجبت نفسه ونضب عمره حاسبه الله فاشد حسابه وأقل عفوه.

وقال مطرف: لا تنظروا إلى خفض عيش السلطان ولين لباسه ولكن انظروا إلى سرعة ظعنه[1] وسوء منقلبه[2].

وقال **ابنُ عباس** رضي الله عنهما: ما ملك أحد قطّ إلا شوطر عقله وضوعف بلاؤه وحزنه. ولمّا ولي محارب القضاء **قيل** للحكم بن عتيبة: ألا تأتيه؟ **قال**: ما أصابته عند نفسه مصيبة فأعزيه ولا نالته نعمة فأهنته وما كنت زوّاراً له من قبل فآتيه.

وقال بعض الولاة لبهلول: كيف تجدك؟ **قال**: بخير ما لم أتولّ شيئاً من أمور المسلمين. **قال**: أتحب أن تكون صحيحاً؟ **قال**: لو كنت صحيحاً لنزعت نفسي إلى طلب الدنيا، فهذا أصلح لي. أرجو أن أكسب الأجر وأن يحط الله عنّي الوزر[3].

وقيل لأعرابي أيسرك أن تكون خليفة وتموت أمتك؟ **قال**: لا، لأنها تذهب الأمة وتضيع الأمّة.

● النهيُ عن طلب الرئاسة

قال رجل لبشر الحافي: أوصِني. **قال**: الزم بيتك، فترك طلب الرئاسة رئاسة. **وقال ابن مسهر**: ما بينك وبين أن تكون من الهالكين إلا أن تكون من المعروفين. وكان سفيان **يتمثّل بقول الشاعر**:

حبّ الرئاسة داءٌ لا دواءَ لهُ ... وقلّ ما تجدُ الراضينَ بالقسمِ

وقال آخر:

وأكثرُ هالك في النّاس تلقى ... فرأسُ هلاكه طلبُ الرئاسة

وقال آخر:

بلاءُ النّاس مذ كانوا ... إلى أن تنهضَ السّاعَه[4]

طلابُ الأمر والنهي ... وحبّ السمعِ والطّاعَه

● قساوةُ قلبِ من تولّى رئاسة

كان **عبد الملك** بن مروان يسمّى حمامة المسجد، للزومه المسجد الحرام. فلما أتاه الخبر بخلافته، كان المصحف في حجره[5]، فوضعه **وقال**: هذا فرق بيني وبينك. وقال:

---

(١) **الظعن**: الرحيل. (٢) **المنقلب**: المصير.

(٣) **الوزر**: العبء والحمل الثقيل، والوزر الإثم.

(٤) **الساعة (هنا)**: يوم القيامة. (٥) **الحجر** الحضن.

إني كنتُ أتحرّج أن أطأ نملة وأن الحجّاج يكتب إلي في قتل فئام[1] من الناس فما أحفل[2] بذلك.

وقال له الزهري يوماً: بلغني أنك شربت الطلاء فقال: أي والله والدماء. وقال: عجباً للسلطان كيف يحسن، وإذا أساء وجد من يزكيه ويمدحه؟ وفي كتاب الهند: السلطان ذو غدوات وبدوات ونزوات، أي أنه سريع الإنصراف كثير البذاء[3] هجوم على الأمور.

● تكدُّر عيشِه

قيل: لا أحد أمرّ عيشاً وأكدّ تعباً وأطول فكرة، من الملك العارف بالمعاد المتيقن بالثواب والعقاب، قال الشاعر:

يا ربّ أفئدة بنار همومها   تُكوى فتشقى في جسوم ناعمَه

وقيل: لا تنظروا إلى خفض عيش السلطان ولين لباسه، وانظروا إلى سرعة ظعنه ومكنون حزنه وسوء منقلبه.

● من أظهرَ الندامة عندَ الموت من الكبارِ لما ثُقل

رأى عبد الملك غسالاً فقال: وددت أني كنت غسالاً لا أعيش إلا بما كسبت يوماً فيوماً. فذكر لأبي حازم، فقال: الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه. ولا نتمنى عنده ما هم فيه. وكان يقول: بعنا الدنيا والآخرة بغفوة.

● ممتنعٌ منَ الولاية

في الخبر، نودي لقمان أني أجعلك خليفة في الأرض. فقال: إن أجبرني ربّي فسمعاً وطاعة، وإن خيّرني اخترت العافية. فولاّه الحكمة، وصرفت الخلافة إلى داود عليه السلام. فكان إذا رآه داود، قال: وقيت الفتنة يا لقمان.

وقيل لبعضهم: ما يمنعك من الإمارة؟ قال حلاوة رضاعها ومرارة فطامها. وبعث هشام إلى إبراهيم بن جبلة فقال: أنا قد عرفناك صغيراً، وخبرناك كبيراً، ورضينا سيرتك. وقد رأيت أني أشركك في عملي وقد ولّيتك خراج مصر. فقال: أما الذي عليه رأيك، فالله يجزيك، وأما أنا فما لي بالخراج بصر، فضحك وقال: لتلينَ طائعاً أو كارهاً فتركه حتى سكنتْ سورةُ غضبه، ثم قال: إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾[4] فما غضب حيث أبيْنَ ولا أكرههن إذ كرهن فأنت حقيق[5] أن لا تغضب ولا تكره فغضب وتركه.

---

(١) الفئام من الناس: اللئام.
(٢) ما أحفل بذلك: لا أبالي، لا أكترث.
(٣) البذاء: السفاهة أو الكلام السفيه.
(٤) القرآن الكريم: الأحزاب/ ٧٢.
(٥) حقيق: جدير.

ولما أراد عمرو بن هبيرة تولية أياس القضاء قال له: أني لا أصلح لأني عيي دميم حديد، فقال أما الحدة فالسوط يقوّمك، وأما الدمامة فإني لا أحاسن بك، وأما العيّ فإنك تعبر عما تريده فولاه.

● **حثُّ الوالي على ادّخار الإحسان**

قال جعفر بن محمد: كفّارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان. **وقال بعضهم** لوالٍ:

بادر بإحسانك الليالي ... فليسَ من غدرِها أمانُ

وقيل: أحسن والدولة تحسنُ إليك، **وأنشد**:

إذا هبتْ رياحُك فاغتنمْها ... فإنّ لكل خافقةٍ سكونُ[1]

ولا تزهَدْ عن الإحسان فيها ... فما تدري السكونُ متى يكونُ

وقيل: اجعل زمان رخائك[2] عدة لزمان بلائك[3] **وقيل**: تودّدُ الرجل في علو مرتبته ذب[4] للشماتة أيام سقطته. واستعمل عمر رضي الله عنه رجلاً، **فقال**: إن العمل كير فانظر كيف تخرج منه.

● **ذمُّ مغترٍّ بولايته**

وصف أعرابي والياً **فقال**: ما أطول سكر كأس شربها فلان. ولما يخاف من عاقبتها أشد سكراً. ولئن كانت الدنيا مشغولة به ليوشك أن تكون فارغة منه، حيث لا يرجى له أو به ولا تقبل له توبة.

وذكر **الأصمعي** أن قول الشاعر:

أحسنت ظنك بالأيام إذْ حَسُنَت ... ولم تخفْ غِبَّ ما يأتي به القدرُ

وسالمتْك الليالي فاغتررتَ بها ... وعند صفوِ الليالي يحدث الكدرُ

كأنما أخذ من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾[5]

ودخل **الأنباري** الشاعر على الصاحب **بالأهواز**، وكان نازلاً في دار ابن بقية، فلم يعرفه الصاحب ولم يلتفت إليه، **فانشأ يقول**:

اسمعْ مقالي ولا تغضبْ عليّ فما ... أبغي بذلك لا بذلاً ولا عِوَضا

في هذه الدارِ في هذا الرواق على ... هذا السرير رأيتُ الملكَ فانقرضا

---

(١) **هبت رياحك**: يقال هبت رياح فلان كناية عن إقبال الدنيا عليه.

(٢) **الرخاء**: لين العيش وخفضه. (٣) **البلاء**: المصيبة.

(٤) **الذبّ**: الدّفع ومنع وقوع الشيء. (٥) **القرآن الكريم**: الأنعام/ ٤٤.

فقال له: من أنت؟ فانتسب له، فاقبل عليه وأكرمه وخوّله.

وقال البـامي:

فَـلا يـغـرُرْكُـم نـعـمٌ تـوالَـتْ   فـإنّ الـدهـر حـالٌ بـعـدَ حـالِ

● **تهديدُ والٍ بعزله:**

قال إبراهيم بن العباس الصوليّ:

أبا جعفر خفْ نبوةً بعدَ دولةٍ   وعرّجْ قليلاً عن مَدى غلوائِكا[1]

فإنْ يكُ هَذا اليومُ يوماً حويتَه   فإنّ رجائي في غدٍ كرجائِكا

وقال جحظة:

قد نلتُم منحةً ما نالَها بشرٌ   وحزتُمْ نعمةً ما حازَها ملِكُ

فليت شعري أمقدار تعمدكم   بما أتاكُمْ به، أم خولط الفلكُ

ونظر الفضل بن مروان في رقاع[2] الناس فإذا رقعة فيها:

تعززتَ يا فضلَ بنَ مروان فاعتبِر   فقبلَك كانَ الفضْلُ والفضْلُ والفضلُ

ثلاثةُ أملاك مضَوا لسبيلهِم   أبادهُم الأقيادُ والحبْسُ والقتلُ

وإنّك قد أصبحْتَ في النّاس ظالمًا   ستودِي كما أودى الثلاثةُ من قبْلُ

يعني الفضل بن يحيى، والفضل بن الربيع، والفضل بن سهل.

وقال رجل لبعض الولاة: ما أنت إلا أن يزيلك القدر عن القدرة فتحمل على المذلّة والحسرة.

● **تمنّي العزلَ له تبرّماً به**

لما ولي أبان بن عثمان المدينة[3]، كان يطوف ليلة فسمع قائلاً يقول: اللهمّ اعزل عنا أبانا، فقال له أبان وهو لا يعرفه: ما فعل لك أبان؟ فقال: استطالت ولايته فمللتها، فقال: ويحك إنما له ستة أشهر، فقال: بدون هذا نفع الملك.

وسمع المهدي إنساناً يدعو عليه فقال: يا هذا هل أسأت إليك قط؟ قال: لا ولكني مللتك. فقال: أو لم أتول منذ شهرين فقال: أو لم يكن في ذلك ما يمل، إني لأمل كنيتي فأغيرّها في الشهر مرتين.

● **من رغبَ في العزلِ عن ولايته**

كتب بعض العمال إلى واليه وقد ولاه موضعاً يقال له شير:

ولايـةُ الـشـيـرِ عـزلٌ   والـعـزلُ عـنـه ولايـة

---

(١) النبوة: نبوة الزمان: خطبه وجفاؤه ـ الغلواء: الغلوّ ومجاوزة الحدّ.

(٢) الرقاع: جمع رقعة القطعة من الورق يكتب عليها.

(٣) المدينة: المدينة المنورة أو يثرب، وهي من مدن الحجاز.

فولني العزلَ عنه إن كنتَ بي ذا عِنايَه
أصيرُ بالعزل عنه إلى غنىً وكفايَه

واستعفى رجل من ولاة عبيد الله بن طاهر فوقّع في قصته: يعفى ولا يستكفى وينفى إلى يافا[1]

● من هدّده واليه بالعَزْل

وقّع يحيى بن خالد إلى عامل: كثر شاكوك وقلّ شاكروك، فإما اعتدلت وإما اعتزلت. ووقّع إلى آخر: أنصف من وليت أمره وإلا أنصفه منك من ولي أمرك.

ووقّع المأمون لآخر: لو استقامت لك الطريقة، لرضيت الخليقة، فإن لم تدع فيهم القذل[2] راعينا فيك العزل. ووقّع إلى أحمد بن هشام في رقعة متظلم: اكفني أمر هذا وإلا كفيته أمرك والسلام.

● تمنّي زوالِ مملكةِ خسيس

قال البسّامي:

ألا يا دولةَ السفلِ أطلتِ المكْثَ فانتقلي
ويا ريبَ الزمان أفِقْ نقضْتَ الشرطَ في الدّولِ

وقال أبو تمّام الطائي:

كانَتْ شَمَاتة شامَتْ عَاراً فقدْ أضحتْ به تنضُو ثيابَ العارِ[3]

وقال جحظة:

سألت الله تعميراً طويلاً ليبهجَني بخطبٍ يغتريكُمْ[4]
أخافُ بأنْ أموتَ وما أرتني صروفُ الدهرِ ما أهواهُ فيكُمْ[5]

وقال أبو عطاء:

يا ليْتَ جورَ بني مروان عادَ لَنا وأن عدلَ بني العبّاس في النّار

● من شَمِتَ النّاسُ بعزله

قال أبو العيناء في ابن حمدان: لئن فضحته القدرة، لقد جمّلته النكبة[6] وقال لموسى ابن فرخشاه. الحمد لله الذي أذلّ عزّتك وأذهب سطوتك، وأزال مقدرتك، فلئن أخطأت فيك النعمة لقد أصابت فيك النقمة.

---

(١) يافا: من مدن الساحل الفلسطيني.
(٢) القذل: العيب.
(٣) تنضو: تخلع.
(٤) يعتريكم: ينتابكم.
(٥) صروف الدهر: نوائبه وحدثانه.
(٦) النكبة: البليّة والمصيبة.

وقال البحتري:

فـفـرحـةُ الـنـاسِ بـإدبـارِهِ — كـغـيـظِـهِـمْ كـانَ بـإقـبـالِـه

وقال القاسمُ بن طوق:

رزقـتَ سـلامـةً فـبـطِـرتَ فـيـهـا — وكـنـتَ تـخـالُـهـا أبـداً تـدومُ

وقـدْ ولَّـت بـدولـتِـك الـلـيـالـي — وأنْـتَ مُـلـعَـنٌ فـيـهـا ذَمـيـمُ

فـبُـعـداً لا إنـقـضـاءَ لـه وسُـحْـقـاً — فـغيْرُ مصابِك الخطْبُ الجَسيمُ

ولما قبض المعتصم على الفضل بن مروان قعد للعامة فوجد قصة فيها:

يا فضلُ لا تجزعنّ ممّا بليتَ به — من خاصم الدهرَ جاثاه على الرّكَبِ

خنتَ الإمامَ وهذا الخلْقَ قاطبةً — وجرَت حتّى أتى المقدارُ في الكتُبِ

جمَعْتَ شتّى وقد أديتها جملا — لانَت أخسرُ من حمّالةِ الحطَبِ[1]

ودخل أبو العيناء على أحمد بن أبي دؤاد، فقال: ما جئتك مسلياً ولا معزياً. ولكن أحمد الله فيك إذ حبسك في جلدك، وأبقى لك عيناً تنظر بها إلى زوال النعمة عنك.

وقال محمود الوراق:

خنازيرُ نامـوا عـن الـمـكـرمـاتِ — فـأنـبـهـهُـم قـدرٌ لـم يـنَـمِ

فـيَـا قـبْـحَـهُـم عـنـدمـا خـوّلـوا — ويـا حـسـنَـهـم فـي زوالِ الـنِّـعَـمِ

● منْ تحاملَ الناسُ عليه لنكبتهِ وعزله

لما عزل المنصور بن عمران عن القضاء، جعل الناس يسبّونه. وكان فيهم رجل يلجّ في أذاه فقال له: يا هذا أسأت إليك قطّ؟ قال: لا قال: فما حملك على هذا الذي تأتيه؟ قال: سمعت الناس يشتمونك فساعدتهم، فأنشد المنصور:

غـيـر مـا طـالـبـيـن وتْـراً ولـكـنْ — مـالَ دهـرٌ عـلـى أُنـاسٍ فـمـالُـوا[2]

ولما نكب علي بن عيسى، جفي جفاء عظيماً وهجره الناس قاطبة، ثم لما رشّح للولاية تزاحم الناس عليه، فأنشأ يقول:

ما الـنّـاسُ إلا مـعَ الـدنْـيـا وصـاحـبِـهـا — فـحيـثُـمـا انـقـلـبَـتْ يـومـاً بـه انـقـلَـبُـوا

● صعوبةُ العَزْل

قيل: العزلُ طلاقُ الرجال. وسئل بعضُ الحكماء: ما أشد ما يمرّ على الإنسان؟

---

(١) حمّالة الحطب: هي امرأة أبي لهب في سورة تبّت: ﴿وامرأته حمّالة الحطب﴾.

(٢) الوتر: الثأر.

فقال بعضهم: فقر في سفر، **وقال** بعضهم: مرض في غربة. **فقال**: أشدّ من ذلك عزلٌ مع نكبة.

وكان ليوسف **ابن عمر** جارية حظيّة، وكانت على رأسه، فأتاه كتاب فلمّا قرأه تغيّر لونه، **فقالت**: أيها الأمير هذا كتاب عزل. قال كيف دريت؟ قالت: لتغيّر في وجهك فلما عهدته. وقد كان يعزل عنها خوف الحبل، فقالت: كيف أجزت العزل لي وهذا طعمه؟ فقال: إذا لا أعاود ذلك.

● مَنْ لمْ يبالِ بالعَزْل

قال زياد: إن **الأحنف** قد بلغ من الشرف ما لا تنفع معه الولاية ولا يضرّه العزل، وقال **أحمد بن طاهر**:

مـا وضـعَ الـعـزْلُ مـنْـك قـدْراً ... ولا تـعـالَـى عـلـيْـك وفْـرا

وقال ابن طباطبا:

لـقـدْ سرّنـي أن الـصـيـانـةَ وَفّـرَتْ ... عـلـيْـكَ بـعَـزلِ كـانَ فـيـه رِضـاكـا

● تسليةُ مغزولٍ

أراد **الرشيد** أن يعزل **الفضل بن يحيى** عن خاتمه ويصيّره إلى أخيه **جعفر**، فكتب إليه: قد رأى أمير المؤمنين أن ينقل خاتمه من يمينك إلى شمالك، **فأجابه الفضل**: ما انتقلت عنّي نعمة صارت إليك، ولا خصصت بهادوني.

قال ابن المفجع:

لـم يـعـزلـوا الأعـمـالَ عـنْـه وإنّـمـا ... عـزَلـوا الـعـفـافَ بـه عـن الأَعْـمـال

وقال أبو تمام:

ومـا كـنْـتَ إلا الـسـيـفَ جـرّدَ لـلـوغـا ... فـأحـمـدَ فـيـه ثـم صـارَ إلـى الـغِـمْـدِ[1]

ونحوه، ما كتب به بعضهم: ما عزلتَ عن الديوان ولكن عزل عنك. فأنت المهنأ وهو المعزّى. وقد كنت محتاجاً إلى العزل ليعرف الجَور من العدل. **قال**: وإن العزل غاية كل وال. قال **أبو هفان**:

لأنْـت فـي الـعـزْل عـلـى غـضّـه ... أنـبَـلُ مـن غـيـرِك فـي الأمْـرِ

وقال آخر:

وكـلّ نـارٍ لـهـا اتّـقـادُ ... لا بـدّ يـومـاً لـهـا خُـمُـود[2]

---

(١) **الوغى**: الحرب ـ **الغمد**: قراب السيف أو جفنه.

(٢) **الاتقاد**: اشتعال النار وضرامها ـ **الخمود**: السكون وانطفاء النار بعد توقدها.

● **رفيعٌ معزولٌ بدنيء**

قال ابن بزدويه الأصبهاني - لمّا عزل أبو علي بن رستم، وقلّد أبو الحسن، وأبو مسلم - يخاطب عليّ بن عيسى:

أيـا ابـنَ عـيـسـى سـمـتـنـا مـقـابـحَ الـحـوادِث
بـعـامـلَـيْـنِ أخـرقَـيْـن عـابـسٍ وعـابـثِ
طـيـرَيْـن أرسـلـتـهـمـا
عـزهـمـا بـثـالـث

ولمّا عزل **وكيع** عن رئاسة **بني تميم قال بعضهم**: عُزلت السباعُ ووليّت الضباع فصار الأمر إلى الضياع. ولبعضهم **في مثله**: أي حق رفع، وأي باطل وضع.

بـدّل لـعـمـرك مـن يـزيـد أعـورُ

وقال ابن أبي الرعد:

فـإنْ تـكُ قـد عـزلـتَ فـلا عـجـيـبٌ ضـيـاءُ الـشـمْـسِ يـعـزلـهُ الـظّـلامُ

وقال كناس لما **عزل علي بن عيسى** وولّي مكانه **ابنُ الفرات**: **أخذوا المصحف**(١) ووضعوا مكانه طنبوراً(٢).

● **من يقربُ عزلهُ من وِلايته**

قال الشاعر:

فـإنـكَ فـي زمـنٍ دهـرُه كـيـومٍ ودولـتُـه سـاعَـتـان

وقال ابن حجّاج:

يـومَ الـخـمـيـسِ بـعـثـتَ بـي وصـرفـتـنـي يـومَ الأحـد
فـالـنـاس قـد غـنـوا عـلـي كـمـا خـرجـت مـن الـبـلـد
مـا قـامَ عـمـرو فـي الـولا يـةِ سـاعـةً حـتـى قـعـد

وقال آخر:

رأيـنـا لأبـوابِ ابـن بـلـبـلٍ سـاعـةً مـن الـدّهـر إقـبـالاً تـطـلـع فـارتـحـل
أشـبـهُـه نـقـشُ الـعـروسِ تـخـضـبـت فلما مضى الأسبوع من عرسِها نصَل(٣)

● **تندّم من ولي أمراً صغيراً بعد أن تولّى كبيراً**

قيل: عنوق(٤) بعد نوق، وحور بعد كور. **وقال المتنبي:**

---

(١) **أخذوا المصحف**: كناية عن عزل التقي الورع قارىء القرآن.

(٢) **الطنبور (هنا)**: كناية عن تولية اللاهي والعابث الماجن. (٣) **نصل الخضاب**: زال وتبدّل لونه.

(٤) **العنوق**: الأنثى من أولاد المعز قبل استكمالها السنة وقولهم: عنوق بعد نوق كناية عن الأدبار بعض إقبال السعد.

ومـن ركـبَ الـثـورَ بـعْـد الـجـوا ... دِ أنـكـر أظـلافَـه والـغـبَـب[١]

وكان أبو عماد النميري تولّى أموراً كباراً، فأتى سلطاناً يسأله أن يولّيه أمراً، فولاه أمانة قرية، فسرق ما في البيدر. فقال:

أنـا بـاز أضـربُ الـكـر ... كـيَ والـطـيرَ الـعِـظَـامـا
وإذا مـا أرسِـلَ الـبـا ... زي عـلـى الـصَّـقْـرِ تـعـامَـى

أخذ ذلك من قول الآخر:

والـصـقْرُ يـخـقـر عـنْ طـرادِ الـدُّخَـل[٢]

وقيل لبعض من كان في خطبة أمر كبير فامتنع عليه فرضي بصغير: طلبت زلالاً ثم شربت رنقا[٣]، فأنشد:

ومن يبتغ العذْبَ الزلالَ ويمتنِعْ ... من الشربِ من سؤرِ الكلاب تعطّبا
إذا المـرءُ لَـم يُـقـدَرْ لـه مـا يـريـده ... رضيَ بـالـذي يُـقْـضَى لـه شـاءَ أم أبى

● ذمّ متولٍ بغير إستِحقاق

قال موبذ: بلوغ شرف المنزلة بغير استحقاق، إشفاء على الهلكة. وأتى عبادة دينار بن عبد الله وقد وليّ مصر، فقال: يا فرعون أرفع رأسك وانظر إلى من ندب لولاية مصر. قال ابن بسّام:

كـيـفَ تـسـتـوثـقُ الأمـورُ وتـصْـفـو ... ومـدارُ الـدنـيـا عـلـى اَبـن الـفُـراتِ[٤]

● وصفُ عاجزٍ في وِلايته

في الحديث أن الله يبغض السلطان الركيك[٥] وورد كتاب صاحب أرمينية على السفّاح بأن الجند قد شغبوا ونهبوا. فكتب إليه: اعتزل أمرنا فلو عدلت لم يشغبوا ولو قويت لم ينهبوا.

واستعمل المنصور رجلاً على خراسان[٦] فاتته امرأة في حاجة، فلم تر عنده غنى. فقالت: أتدري لم ولاّك أمير المؤمنين؟ قال: لا قالت: لينظر هل يتم أمر خراسان بلا وال.

ووقّع جعفر إلى عامل له: إنك كثير الشكاية قليل النكاية، جريء في ميدان العلل بطيء في ميدان العمل.

---

(١) الغبب: اللحم المتدلي تحت الحنك من الديك والبقر.
(٢) الدّخل: طائر صغير يدخل بين رؤوس الشجر (٣) شربت رنقاً: أي ماء كدراً.
(٤) اسم الأربعة وزراء هم أبو الفتح الفضل وزير المقتدر، وأبو الفضل جعفر من وزراء الإخشيد، وأبو عبد الله جعفر، ورابعهم أبو الحسن علي الذي مات في السجن.
(٥) السلطان الركيك: الضعيف الذي يفتقر إلى الحنكة والحزم.
(٦) خراسان من أقاليم بلاد فارس.

وقال الشاعر

وأحـمـد يـا قـوم لـو أمـره إلـيّ لألـزمـتـه راويـة

وولّى ابن هبيرة رجلاً ماسبذان[1] فقال: اكتم أمرك حتى ترد إلى عملك. فخرج إلى همدان. فلما بلغ قيل لم يرد علينا ما دلّ على ولايتك. فأخرج عهده فإذا هو إلى صاحب ماسبذان، فكتب إلى ابن هبيرة إني عطلت ما بين سب وبين هم لما رأيت في آخره ذان. فضحك لما قرأ الكتاب وقال: أنا أولى الناس بأن أؤدب إذ ولّيت مثله واعتمدْتُ جهله.

● ذمّ والٍ خسيس

وقال ابن لنكك[2]

قـلْ لـلـوضـيـع أبـي ريـاش لا تـبَـل تِـهْ كـل تـيـهِـك بـالـولايـة والـعـمَـلْ

مـا ازددتَ حـيـنَ ولّـيـت إلا خـسّـة فـالكلبُ أنجسُ ما يكونُ إذا اغتسلْ

وقال المتنبي:

كرم الأعمال لا يغنيك والنفس قليلَه ليسَ في النذل ولو خوّلَ ملكَ الأرضِ حيلَه

وقال الطرمّاح[3]:

إذا مـا ابـنُ جـدّ كـانَ نـاهـز طـيـىء فإنّ الذرا قد صرنَ تحت المناسِمِ

● من لا يستضَرّ بعزله ولا ينتفَعُ بولايته

قال أبو العيناء لصاعد: نحن في دولتك محرومون وفي عطلتك محرومون. وقيل له: ما حالك مع فلان مذ تولّى فقال: أنا معه غير جندب، يعني قول الشاعر:

وإذا تـكـونُ كـريـهـةٌ أدعـى لـهـا وإذا يحاسُ الحيس يدْعى جُندبُ[4]

وأنشد لأبي الفتح بن أبي جعفر بيتين قالهما في الأستاذ الرئيس لما قبض على بن أحمد بن العباس، فأغير على داره:

أيـوجـبُ عـدل أهـلِ الـعـذل أنـي أُعـدّ مـع الـجُـنـاة بـلا جـنـايَـة

أشـاركُ مـعْـشـراً فـي صـرف دهـرِ هـم مـا شـاركُـونـي فـي الـوِلايَـة

---

(١) ماسبذان: وأصله ماه سبذان وهي واحدة من مدن عديدة في فارس تمّ فتحها سنة ١٦هـ بقيادة ضرار بن الخطاب (انظر معجم البلدان لياقوت ٥/٤٨).

(٢) ابن لنكك: من شعراء البصرة المرموقين. عاصر المتنبي واتصل بالوزير المهلّبي. قال فيه الثعالبي ـ ابن لنكك ـ فريد البصرة وصدر أدبائها وبدر ظرفائها في زمانه. برع في الكثير من أغراض الشعر وفي طليعتها الهجاء.

(٣) الطرماح: من شعراء الخوارج البارزين. وهو من مواليد الشام تنقل في بلدان عديدة منها الكوفة، كما رحل إلى بلاد فارس.

(٤) الحيس: طعام مركّب من التمر والسمن والسويق.

وقد أحسن المسهل بن كميت حيث يقول:

إذا نحنُ خِفْنا في زمانِ عدوِّكم ... وخفْناكم إن البلاَ لراكِدُ

● ذاهِبٌ عنه أمرُه

قيل لرجل زال ملكُه: ما كان سبب زوال ملكك؟ **فقال**: تدبيرُ الأمر بالهوى[1] وتأخيرُ عمل اليوم إلى غدٍ، **وقيل** ذلك لآخر، **فقال**: قلّة التيقّظ واشتغالُنا باللذّات عن التفرّغ وثقتُنا بعمّالنا حتى ظلموا رعيّتنا، فقلَّ دخلُنا وبطل عطاء جندنا. فقلّت طاعتهم لنا فقصدنا الأعداء فعجزنا عن مدافعتهم.

● متولّي رئاسةٍ بغير إستحقاق

قال رجل لسعدان: سوّدك القومُ لجهلهم بك، فسيُّد الجاهلين غيرُ شريفٍ وإن سوّدوك للفقر إليك فأنت كما قال:

خَلتِ الديارُ فسُدْتُ غيرَ مسوّدِ ... ومِنَ الشقاء تفرّدي بالسودَدِ[2]

وقال محمّد بن يزيد:

ومِنِ انتكاسِ الأمر أن ... صارَتْ ولاةُ الأمر ضبّه[3]

وشتم مجنون رجلاً **فقال** له: أتشتمني وأنا سيّدُ قومي؟ **فقال المجنون**:

وإن بقوم سوّدوك لفَاقةٍ ... إلى سيّدٍ لو يظفرون بسيّدِ[4]

وقال آخر:

وكلامُ مثلِك في الخطو ... ب من العجائبِ والكَبائِر[5]

● وصفُ عسوفٍ في ولايته

حكى رجل ولاية عامل **فقال**: كان يجبي خراجَ[6] الوحش، ويأخذ جزيَةَ السَمك ويطلب زكاة الملائكة، ويلتمسُ جمعَ الريح ويرومُ القبضَ على الماء وحصرَ الحصى وتحصيلَ الهباء. ولئن كانت النعمة عظُمَتْ على قوم خرج عنهم لقد عظمتِ المصيبةُ على

(١) **الهوى (هنا)**: إشباع الأهواء والميول. **والهوى أيضاً** الزيغ عن الطريق المثلى.

(٢) **التفرّد**: الانفراد ـ **السودد**: مخفف السؤدد، والسؤدد المجد والرئاسة ـ **يقول**: إنّ السيادة عن جهلٍ وحاجة ليست بسيادة.

(٣) **انتكاس الأمور**: انقلابها إلى الأسوأ من نكسه، قلبه على رأسه وجعل أسفله أعلاه. ونكس المريض عاوده المرض ـ **الضبّة**: شيء من حديد والضبّة أنثى الضبّ وهو من الزحّافات كالحرذون يُضرب به المثل فيقال: أعقد من ذنب الضبّ أي مشكل لا تحلّ عقدته.

(٤) **الفاقة**: العوز الشديد.

(٥) **الخطوب**: النوائب والنكبات جمع خطب ـ **الكبائر** جمع كبيرة وهي الإثم الكبير.

(٦) **يجبي**: يجمع ـ **الخراج**: المال المضروب على الأرض، **والخراج**: الجزية.

قوم نزل فيهم، وسُئِلَ رجلٌ عن والٍ فقال: هو. كما قال الشاعر:

وكـــان إذا أنـــاخ بـــدارِ قـــومٍ أبـــو حـــسان أوْرَثَـهُـمْ خَـبـالا[1]

وقال عمر رضي اللهُ عنه: لا جهل أبغض إلى الله من جهل إمام وخرقه.

وتظلّمَ أهل الكوفة إلى المأمون في والٍ كان عليهم فقال المأمون: لا أعلمُ في عمّالي أعدلَ وأقوم منه. فقام رجل فقال: إن كان عامِلُنا بهذا الوصف فحق أن تعدلَ بولايته فتجعلَ لكلّ بلدٍ منه نصيباً لتسوّي بالعدلِ بينهم. فإذا فعل أمير المؤمنين ذلك لا يصيبنا منه أكثرُ من ثلاثِ سنين. فضحك وَعَزَلَهُ.

وقال المنصور يوماً: من بركتنا على المسلمين أن الطاعون رفع عنهم في أيامّنا، فقال بعض الحاضرين: ما كان الله ليجمع علينا ولايَتَكُم والطاعون. وبلغ من تمرّد يوسفَ بن عمر أنّه نادى أن لا يضرب[2] أحد في دار الضرب درهماً ينقص عن العيار حبّةً، فما فوقها، إلا ضربْته ألفَ سوطٍ فضرب مائة رجل فقالوا: ضرب مائة ألف سوط في حبّة.

وعدّ في سيئات الحجاج أنه قَتل صبرا مائة ألف وعشرة آلافِ رجلٍ سوى مَنْ قتل في عساكره. ومات في الحبس ثمانون ألفاً منها ثلاثون ألف امرأة.

وقال عمر بن عبد العزيز[3] رضي الله عنه: لو جاءت يوم القيامةِ الفُرس بأكاسرتها والرومُ بقياصرتها وجِئْنا بالحجّاج لغلبناهم به.

● ذمُّ إمارةِ الصّبيان والنّساء

لما مات كسرى، وأخبر النبي ﷺ، به، قال: من استخلفوا؟ فقالوا: بنيّتَه بوران. قال: لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة.

وقال أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه: سيأتي على النّاس زمان لا يقرب فيه إلا الماحل[4]، ولا يظرف فيه إلا الفاجر، ولا يضعف فيه إلا المنصف، يتخذون الفيء مغنماً، والصدقة مغرماً[5]، فحينئذٍ يكون سلطان النساء ومشاورة الإماء وإمارة الصبيان.

وقيل: إنّ البوم أراد التزوج، وكان الهدهد دلالاً فأتاه وقال: إنهم ضمنوا لك خمس قرى عامرة وخمس قرى غامرة[6] فقال: لا حاجة لي في العمران. فقال. خذها فولايتها

---

(١) أناخ بدار قوم: نزل بها ـ الخبال: العناء والفساد.
(٢) ضرب يضربُ الدراهم: سبكها وطبعها.
(٣) عمر: لعلّه يعني عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين ـ عمر بن عبد العزيز: من الخلفاء الأمويين، وعُرِف بتقواه وتسامحه.
(٤) الماحل والممحل: من مَحَلَ المكان أذا أجدب، والماحل مجازاً الخصم المجادل.
(٥) الغرم: الغرامة وهي خلاف المغنم وهي ما يلزم أداؤه من المال على كرهٍ والمغرم الضرر.
(٦) الغامرة: أي الخربة.

إلى امرأة وما تولت امرأة أرضاً إلا خربت، فقبلها، **وقال**: صدقت. **وقيل**: إذا أراد الله بقوم سوءاً جعل أمرهم إلى صبي أو امرأة.

قال الشاعر:

إن مـــلـــكـــاً تـــســـوسُـــهُ — أمّ مـــوســـى وفـــاطـــمَـــهْ
لـــجـــديـــرٌ بـــأن تـــرى — ربـــةَ الـــبـــيـــتِ لاطـــمَـــهْ[1]

وقال ابن بادان:

مـــا لـــلـــنِـــســـا ولـــلـــعَـــمـــا — لَـــة والـــخـــطَـــابـــة والـــكِـــتـــابـــة
هـــذا لـــنـــا ولـــهـــنّ مـــ — ـــنّـــا أن يـــبـــتـــنَ عـــلـــى جـــنـــابـــة

ولابن بسّام في متقدم بامرأة:

نـــلـــت مـــا نـــلـــتَ يـــا دنـــيءُ بـــأمّ — هـــي أعـــطَـــتْـــكَ رؤيـــةَ الأُمـــراء
فـــإذا عُـــدَّتِ الـــصـــنـــائـــعُ يـــومـــاً — كُـــنْـــتَ فـــيـــهـــا صـــنـــيـــعـــةَ الـــبـــظْـــراء[2]

وكان بالريّ[3] مجنون **فقال** يوماً لفولاذ بن مناذر لما هرب **من** شيراز[4]: يا متخلّف كان يجب أن تداوي كسّ الدولة وبظَر الملّة، وتدخل إليها فتشيل رجليها حتى كان يستوى أمرُك. **قال شاعر**

إن الأمـــورَ إذا أضـــحـــتْ يـــدبّـــرهـــا — أمّ وطـــفـــلٌ وســـكـــران ومـــجـــنـــونُ
كـــمـــنـــذرات الـــورى أن لا فـــلاح لـــمَـــنْ — يـــرجـــو الـــنـــجـــاحَ وإن الـــمـــلـــك مـــغـــبـــون[5]

● مدحُ الوزارةِ وذمُّها

قال النبي ﷺ: ما مِن أحدٍ أعظم أجراً من وزير صالحٍ يكون مع إمام فيأمره بذات الله. وقال ﷺ ما منْ أحد من المسلمين ولي أمراً فأراد الله به خيراً إلاّ جعل معه وزيراً صالحاً إنْ نَسِيَ ذكّره وإن ذكر أعانَهُ.

وقيل: ثبات المملكة بقَدْرِ هيبة وزرائها، **وقيل**: لا يطمع الملك الضعيف الوزير، في ثبات ملكه. **وقال** بعض الملوك لحكيم: أيّ الأعوان أحق بقرب الوسيلة؟ **فقال**: الوزير الصالح الناصح اللبيب الذي ارتفاعه بارتفاع ملكه وهلاكه بهلاكه.

---

(١) **يقول**: إن الإدارة التي يقوم بها النساء والصبيان مذمومة فاشلة.

(٢) **الصنائع**: جمع صنيعة وهي الإحسان ـ **البظراء**: بقية البظر وهو ما بين الإسكتين من المرأة.

(٣) **الريّ**: مدينة مشهورة على مسافة من نيسابور (**معجم البلدان لياقوت ٣/ ١٣٢**).

(٤) **شيراز**: قصبة بلاد فارس (**معجم البلدان ٣/ ٤٣٢**).

(٥) **المغبون**: الضعيف الرأي والمغبون المخدوع في البيع والشراء.

وقيل: لا تغتر بمناصحة الأمير إذا غشّك الوزير وإذا صادقك الوزير فلا يهولنك الأمير.

● **انقيادُ الأميرِ للوزير وذمُّه بذلك**

قيل: الاستسلام للوزير هو العزل الخفي، **وقال نصر بن سيار**: إذا لم يشرف الأمير على أموره فليعلم إن أغش الناس له وزيره، **وقال أبو الشيص**:

في الملك لا يصرفُ الأمر دونه الوزراءُ

● **مدحُ وزيرٍ صالح.**

قال بشار[1]:

وقـل لـلـخـلـيـفـةِ إن جِـئـتَـهُ ... نـصـيـحـاً ولا خـيـرَ فـي الـمـتَّـهـمْ
إذا أيـقـظـتْـك حـروبُ الـعـدا ... فـنـبِّـهْ لـهـا عـمـراً ثُـمْ نَـمْ

وقال أبو نواس:

قــولا لــهــارون إمــام الــوَرَى ... عـنـد احـتـفـال الـمـجـلـسِ الـحـاشـدِ
أنـتَ عـلـى مـا بـك مـن قُـدْرَةٍ ... فـلـسـت مِـثْـلَ الـفـضـلِ بـالـواجـدِ

وقال ابن الرومي:

ظـفـرَتْ يـداك مـن الـوزيـر بـقـيّـم ... يـؤتـى نـصـيـحـتَـهُ بـلا اسـتـكـراهِ
أمـا ظـهـارتـه فـسـلـطـانـيـةٌ ... ولـه بـطـانـةُ مـخـبـتٍ أواهِ[2]

● **ذمُّ اجتماع وزيرين**

وقال البسّامي

فـقـدتـكـم يـا بـنـي الـجـاحـدَهْ ... أفـي كـل يـوم لـكـم آبِـدَهْ
مـتـى سَـمِـعَ الـنـاسُ فـيـمـا مـضـى ... وزيـرَيْـن فـي دولـةٍ واحـدهْ[3]

وقال الظاهري:

وزيـران أمّـا بـالـمـقـدم مـنـهـمـا ... فـخـبَـلٌ وبـالـثـانـي يُـقَـالُ جـنـونُ
مـتـى تُـلْـقِ ذا أو تُـلْـقِ ذاك لـحـادث ... تـلاق مَـهـيـنـاً لا يـكـاد يَـبِـيْـنُ[4]

---

(١) **بشّار**: هو بشار بن برد شاعر عباسي.
(٢) **ظهارته**: نقيض بطانته، أي الظاهر من الأشياء ـ **البطانة**: خلاف الظهارة أي داخل الشيء، الثوب، وأهل المرء وخاصته.
(٣) إنّ مصير الحكم الذي يوجهه رئيسان هو الهلاك. (٤) **يبين**: يظهر.

وقال عبد الملك لما أراد الخروج إلى مصعب وقد نهاه بَعْضُ نسائه: كفى فلا يجتمع فحلان في شول[1] ولا قمران في سماء، ولا سيفان في غمد. ويُرْوَى للمهلب[2] في معناه:

ولو صلحَ التشاركُ لم تضايق ... ولكن لم يَسَعْ أسدين غِيلُ[3]

● تولّي دنيء الوزَارَة

كان ابن بلبل خاملاً وكان يؤاجرُ في أيام صغره حتى يُحْكى أنه حُمِلَ ليلةً إلى موضع فاجتمع عليه عدة، فلم يزالوا يقلبونه إلى الصباح حتى قال: أما فيكم رحيم يتركني انعسُ نعسة.

قال البسّامي:

كيف ترجو رحمة الله ولا تخشى الحجارَه ... والذي كنّا عرفناه قديماً بالإجارهْ

حائز الأمر علينا بتوليه الإمارهْ

وقال آخر:

وزير ما يُفيق من الرقاعة ... يُوَلّى ثم يُعْزَلُ بعْدَ ساعهْ[4]

وقال المصيصي:

أنا مُذْ صِرْتُ وزيراً ... طاب شَتْمي للوزارهْ

وقال آخر في مثله:

أعيذُكَ بالرحمن من شرِّ خائنٍ ... له قلمٌ زانٍ وآخرُ سارِقُ[5]

وقال وزيرٌ أميّ

تولّى شجاعُ بنُ القاسم وزارة المستعين وحرص كلَّ الحرص على أن يتعلَّم الكتابة فما تهيأ له وكان يُحْضِر معه كاتباً يلقنه فيفهم عنه جُلَّ ما في الكتب، فيعرضه على المستعين.

(٢)
ومما جاء في أحوال أتباع السلاطين

●

● وجوبُ اتباعِ السلاطين

قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[6] فقرنَ طاعَتهم بطاعته

---

(١) الشول: الخفيف، بقية الماء في الدلو.

(٢) المهلّب: أمير البصرة (ت ٨٣/ ٧٠٢م)، ومن أهم ما في سيرته محاربته الخوارج.

(٣) الغيل: الأجمّة، موضع الأسد. (٤) الرقاعة: قلّة الحياء.

(٥) زانٍ: فاجر من فعل زنى - يقول: العياذ بالله من الحاكم الخائن الموصوم بالزنى والسرقة.

(٦) القرآن الكريم: النساء/ ٥٨.

وقيل: لا تتقرّبُ الرعيةُ إلى الأئِمَةِ بمثل الطاعة، ولا العبدُ إلى المولى بمثل الخدمة، ولا البطانة بمِثْل حُسْنِ الاستماع. **وقال الحجاج** والله إن طاعتي أوْجَبُ من طاعةِ الله تعالى، لأن الله تعالى **يقول**: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[١] وجعل فيه مثوبة[٢] وطاعتي لا مثوبة فيها، **وقيل**: سعادة الرعية في طاعتهم لملكهم:

ورفع **عمر بن الخطاب** رضي اللّهُ عنه الدرة على **سعيد بن عامر فقال**: لا يسبق سيلُكَ مطرَكَ، لو أمرت قبلنا، وإن عاتبت أعتبنا، وإن عاقبت[٣] صبرنا، وإن غفرت شكرنا. **فقال**: ما على المسلمين أكثرُ من هذا وأمسك عنه.

● وجوبُ ملاينةِ السلطانِ ومداراتِهِ

قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[٤] **وقال تعالى**: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[٥] وتعلّق رجلٌ بالرشيد وهو يطوف بالبيت **فقال**: أني أريد أن أكلِّمكَ بكلام فيه بعضُ الغلظة[٦] **فقال**: لا ولا نعمي إن الله بعث من هو خَيْرٌ منك إلى من كان شراً مني **فقال**: فقولا له قولاً ليّناً، **وقال الأحنف**[٧]: السلطان من تأبى عليه إذ رآه ومن لان له تخطّاه، **وقيل**: لتكن مداراتك للسلطان مُدَاراةَ المرأةِ القبيحةِ للزوج المبغض لها فإنها لا تَدَعُ التصنُّعَ له في كلّ حال، **وقال أبو حنيفة** رضي الله عنه: إذا بليتَ بالسلطان فخرّق دينك بالملقى والروغان[٨] ورقّعه بالكفارات والاستغفار

● الحثُّ على مصابرة السلطان عادلاً كان أو جائراً

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا كان الإمام عادلاً فله الأَجْرُ وإذا كان جائراً فله الوزر[٩]، وعليك الصبر.

● وجوبُ تعظيمه ومدحُ فاعل ذلك

قال ابن عباس[١٠] رضي الله عنه: السلطان عزُّ اللّهِ في الأرض فمن استخفَّ به نابتْهُ نائبة فلا يلومنَّ إلا نفسَهُ **وقيل**: إذا جعلك السلطان أبا فاجعله رباً. **وقيل**: إياك ورفع الصوت على السلطان، فَمَنْ رفع الصوت عليه فقد خلعَهُ. **قال الله تعالى**: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ

---

(١) **القرآن الكريم**: التغابن/ ١٦.
(٢) **مثوبة**: مجازاة على الأعمال خيرها وشرّها.
(٣) **عاقبت**: فاصصت ـ **العقاب**: القصاص.
(٤) **القرآن الكريم**: طه/ ٤٤.
(٥) **القرآن الكريم**: النحل/ ١٢٥
(٦) **الغلظة**: الشدّة، الفظاظة.
(٧) **الأحنف**: سيد من بني تميم في البصرة ـ **الحنيف**: المتمسك بالإسلام وكل من كان على دين إبراهيم.
(٨) **الروغان**: الخديعة ـ **راغ إليه**: مال إليه، **راوغ القوم**: طلب بعضهم بعضاً على وجه المكر.
(٩) **الوزر**: الإثم.
(١٠) **ابن عبّاس**: ابن عمّ النبي ﷺ.

أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾[1]، وقال حكيم لابنه: أياك أن تصحبَ السلطانَ بالجراءة عليه، والتصغير لقدرِهِ، والتهاون بأمره، ولتكن صحبتُكَ له كصحبتك للأسد الضاري، والفيل المغتلم[2]، والأفاعي القاتلة، وقالت الحكماء: منْ حقّ مَنْ هازله السلطان وضاحكه ثم دخل عليه أن يدخلَ عليه دخولَ من لم يَجْرِ بينهما أُنسٌ قطّ وأن لا يترك الأحلال له، فإنّ أخلاق الملوكِ ليْستْ على نظام.

● استعمالُ الوَقار في مجلس السلطان

كان **أبو القاسم الكعبي** المتكلّم في مجلس أمير **خراسان**، فسقط من السطح طَسْتٌ فتزلزلت منه عَرْصَة[3] الدار فلم يلتفت أبو القاسم إلى الأمير، **فقال الأمير**: لا يصلح لوزارتي إلا هو، وأراد **عبد الملك** أن يجرب **الحجّاج** فأمر بأن يُدْخِلَ في سراويله عقارب، فكانت تلدغه ولم يشتغلْ بها عن مُحادثة عبدِ المِلْك.

● تَرْكُ عظيم غير السلطان في مجلسه

دخل **أبو مسلم** على **السفاح**[4] وسلم عليه فطرح له متكأ **وأبو جعفر**[5] قريبٌ منه **فقال** السفاح: يا أبا مسلم هذا المنصور. **فقال**: يا أمير المؤمنين هذا موضع لا يقضى فيه غَيْرُ حقّك.

● وجوبُ الأغضاءِ في مجلس السلطان

قيل: أُهْدِيَ إلى ملك **الهند** ثياب وحلى، فدعا بامرأتين وخيّر أحظاهما عنده بين اللباس والحلي. وكان وزيره حاضراً، فنظرتِ المرأةُ إليه كالمستشيرةِ فأشار بعينه إلى اللباس، ولحظَهُ السلطانُ فاختارت الحلى لئلا يفطنَ الملكُ للإشارة ومكث الوزير أربعين سنة كاسراً عينَهُ ليظنَّ الملك أن ذلك عادته، **وقيل**: مَنْ داخلَ السلطانَ فيحتاج أن يدخلَ أعمى ويخرج أخرس.

● المتجنبُ الكلامَ الموهم في مُخاطبة السلطان

قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[6] (الآية)، **وقال الله تعالى**: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾[7]، وذمّ قوماً من سفهاء بني تميم أتوا

---

(١) **القرآن الكريم**: الحجرات/ ٢.

(٢) **المغتلم**: المنقاد للشهوة من فعل ثلاثي غلم ـ **اغتلم الشراب**: اشتدت سورته، **اغتلمت الأمواج**: اشتدت.

(٣) **عرصة الدار**: ساحة الدار وكل بقعة ليس فيها بناء.

(٤) **السفّاح**: أول خليفة عباسي وكان كثير السفح أي سفّاكاً للدماء، والسفّاح أيضاً الكثير العطاء والمقتدر على الكلام.

(٥) **أبو جعفر**: يريد أبا جعفر المنصور الذي ولي الخليفة بعد السفّاح.

(٦) **القرآن الكريم**: النور/ ٦٣. (٧) **القرآن الكريم**: الحجرات/ ٢.

النبي ﷺ وقالوا: أخرج إلينا فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1]، ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2]، وقال النبي ﷺ: للعباس أنا أكبر أم أنت؟ فقال: أنت أكبر وأنا أسنُّ. ودخل السيد الحميري على المأمون فقال له المأمون: أنت السيد فقال: بل أنا العبدُ وأنت السيد. وقال سعيد بن عثمان للطوسي: أيّنا أسن؟ فقال: لقد شهدْتُ زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب لئلا يوهم أمراً.

● المُنْكَرُ عليه لفظةُ مع سلطان

قال بعض أصحاب المأمون لرجل نزل له: يقول لك أمير المؤمنين: اركب. فقال: لا يُقالُ لمثله اركبْ بل يُقالُ له: انصرفْ. دخل أبو الحسن المدائني على المأمون فلمّا خرج قال له: رجل عرفني ما جرى بينك وبين أمير المؤمنين فقال: لست بموضع ذلك لأنّك لم تميزْ بين أن تُقدِّم ذكرَ أميرِ المؤمنين وبين أن تُقدِّم ذكري. وكان الحسن اللؤلؤي يحضر مجلس المأمون ويجاريه الفقه[3] فنعس المأمون، فقال اللؤلؤي أنعِسْتَ يا أميرَ المؤمنين؟ فقال المأمون: سوقي والله يا غلام خذ بيده فجاء الغلام فاقامه، فبلغ ذلك الرشيد فقال متمثلاً:

وهل ينبت الخَطيّ إلا وشيجه[4]

وقال الأصمعي للرشيد في شيء سأله عن الخبير سقطت فقال: أسقطك الله على رأسك.

● النهيُ عن التفوّه بما يُظَنُّ فيه تعريضٌ

دعا المنصور جماعة من القراء فقال لأحدهم: اقرأ، فقرأ: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾[5] فغضب وقال لآخر: اقرأ فقرأ: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾[6] فغضب وأخرجه ثم قال لآخر: اقرأ فقرأ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[7] فأمر له بصلة، وقال المأمون لقارىء عنده: اقرأ فقرأ: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ﴾[8] فأمر أن يُجرّ برجله.

دخل أبو النجم على هشام فأنشده:

الحمد لله الوهوبِ المجزلِ[9]

---

(١) القرآن الكريم: الحجرات/ ٤. (٢) القرآن الكريم: الحجرات/ ٣.

(٣) الفقه: العلم، فقه الكلام: فهمه.

(٤) وشيجه: الوشيج القرابة الشديدة وشجر الرماح والرماح ذاتها يقال: «تطاعنوا بالوشيج».

(٥) القرآن الكريم: الشعراء/ ٢٠٥. (٦) القرآن الكريم: الدخان/ ٢٥.

(٧) القرآن الكريم: الأحزاب/ ٣٣. (٨) القرآن الكريم: المائدة/ ٣٣.

(٩) المجزل: الكثير العطاء، أجزل العطاء: أوسعه أو أكثره.

فلما انتهى إلى قوله:

وصارت الشمس كعين الأحول

قال هشام: أبي تعرّض يا ابن اللَخْنَاء[١]، اخرجوه بعينيك وطرده. وأنشد البحتري محمد بن يوسف: لك الويل من ليل تطاول آخِرُهْ، فقال: بل الويلُ والحربُ لك. واستنشد أبو دلف راشداً الكاتبَ بعض ما يَرْثي به أيرَه فأنشده:

ألا ذهب الأَيْرُ الذي كُنْتَ تعرفه

فقال: بل أمك التي كانَتْ تَعْرِفُهُ.

● النهيُ عن الوقيعةِ في السلطان

سمع أعرابي إنساناً يقع في السلطان فقال: يا فلان إنك غفل وكأني بالضاحك لك باك عليك. ودخل خالد بن صفوان على بلال بن أبي بردة حين وليَ البصرةَ فلمّا ولي قال: سحابة صيف عن قليل تقشع[٢]، فقال بلال: أما أنها لا تنقشع حتى يُصِيبك منها شؤبوب[٣] بر، ولما عزل أحمد بن عثمان عن أصفهان قال له رجل في وقت خروجه: الحمد لله الذي اراحنا من بغضك، فأمر بحبسه وقال لشهود كانوا معه: اشهدوا أن هذا في حبسي بحقٍّ، فكان كلما ورد قاضٍ وفتش عن أمر المحبسين لم يعرف ذلك الحقّ الذي حُبِسَ به فبقي على ذلك زماناً حتى توصّل إلى تنجيز[٤] كتاب كتب منه بعد حين فأُطْلِقَ، وقيل: ثلاثة ليس من حقها أن يحتملها السلطان: الطعنُ في الملك وإفشاءُ السر والخيانةُ في الحرم.

● الإرجافُ[٥] بالسلطان

كان بعضُ الناس أرجفَ بعزلِ سلطانٍ فأخذه وضربه فلما خلّى عنه عاد إلى أصحابه وقال: أما عرفتم تحقيقَ قولي لولا ذلك لما نكاهُ الخبرُ به فخلاّه، وقال: لو ترك الأرجاف في موضع لتركه هنا، وخرج جماعة إلى السلطان يطلبون شغلاً فلم يجدوا فقال: بعضهم تقوتوا الأرجاف وانتظروا الدول وقيل: الأراجيف تلقيح الفتن. قال شاعر:

أراجيف الأنام مخبرات ... بأمر كائن لا شك فيه[٦]

● التحذيرُ من مُقارَبة السلطان

قيل للعتابي[٧]: لِمَ لا تقصد السلطان فتخدمه؟ فقال: لأنى أراه يعطي واحداً لغير

---

(١) اللخناء: جمع اللَخِن، المتكلم بقبيح، المُنتن.

(٢) تقشع: تتفرق ـ أقشع القوم عن الماء: تفرقوا.

(٣) شؤبوب: دفعة من المطر. (٤) تنجيز: قضاء، إنهاء، إكمال.

(٥) الإرجاف: الخوض في الأخبار السّيئة قصد أن يهيج الناس ـ أرجفت الأرض: زلزلت.

(٦) أراجيف: أخبار كاذبة، سيئة.

(٧) العتابي: شاعر مترسّل بليغ. هو كلثوم بن عمرو التغلبي (ت ٨٣٥). حذا حذو بشّار في البديع. مدح الخلفاء متكسباً بالشعر.

حسنة ولا يد، ويقتل الآخر بلا سيئة ولا ذنب. ولست أدري أيّ الرجلين أنا ولست أرجو منه مِقْدَارِ ما أخاطرُ به وهو الذي قال لامرأته:

أسرَكِ أنّي نِلْتُ ما نال جعفر ... من الملك أو ما نال يحيى بن خَالِدِ

قالت: بلى. فقال:

وإن أمير المؤمنين أغصّني ... مغصّهما بالمرهَفات البواردِ[1]

قالت: لا فقال:

ذريني تجئني منيتي مطمئنةً ... ولم أتجشّمْ حول تلك الموارِدِ

فإنّ جسيماتِ الأمورِ مشوبةٌ ... بمستودعات في بطون الأساودِ

قال أبو القاسم الدمشقي:

إن الملوك بلاءٌ حيثُما حلّوا ... فلا يكن لك في أكنافهم ظِلُّ[2]

إن جِئْتَ تنصحهم ظنّوك تخدعهم ... واستثقلوك كما يستثقل الكلُّ

فاستغنِ بالله عن أبوابهم أبدا ... إن الوقوف على أبوابِهم ذُلُّ

وقيل: احذر السلطان فإنه يغضب غَضَبَ الصبي ويأخذ أخذَ الأسد، وقيل: إياكم والسلطان فإنه فم الأسد وحِمة[3] الأسود. واتصل رجل بالمنذر بن ماء السماء[4] ونادمه فنهاهُ صديقٌ له عن ذلك وخوّفهُ منه فلم يلتفت إلى قوله ولم يسمع قولَهُ فغضب المنذر عليه يوماً فقتله. فقال فيه ذلك الصديق:

إنّي نهيتُ ابْنَ عمارٍ وقُلْتُ له ... لا تأمَنَنْ أحمرَ العينين والشَّعَرِ

إن الملوكَ متى تنزلْ بساحتِهم ... تَطِرْ بثوبك نيرانٌ من الشَّرَرِ

● التحذيرُ من الدخولِ في أمرِ السلطان

قيل: العاقل من طلب السلامة من عمل السلطان فإنه أن عف جنى عليه العفاف عداوةَ الخاصةِ، وإن بسط يده جنى عليه البسط ألسنةَ العامة. إنْ قال محمد بن السماك لصديق استشاره وقد دُعِيَ إلى الدخول في عمل السلطان: يا أخي إن استطَعْتَ أنْ لا تكونَ لغير الله عبداً ما وجدت من العبودية بدّاً فافعل. وقال عيسى بن موسى لعبد الرحمن بن زياد: ما يمنعك من زيارتي؟ قال: إن أتيتك فأكرمتني فتنتني وإن جفوتني حزنتني، وليس عندك ما أرجوه ولا عندي ما أخافك عليه. وقيل: إذا لم تكن من قربى الأمير فكُنْ من أعدائه.

---

(١) أغصني: جعلني أغصّ، ضيّق عليّ. (٢) يحذّر الشاعر من مقاربة الملوك والتذلّل أمامهم.

(٣) الحمة: العين الحارة الماء.

(٤) ابن ماء السماء: من أمراء الحيرة اللخميّين لقبت أمه بماء السماء لحسنها.

● حَمْدُ الانقباضِ[1] عن السلطان

قال الأحنف: لا تنقبضوا عن السلطان ولا تتهالكوا عليه فإن من أشرف له أذراه ومن تضرع له تخطاه. **وقيل**: انقبض عن السلطان ما أمكنك فالسلطان ذو عذاب وبدوات، وهو في قلة وفائه لاصحابه وسخاء نفسه عمن فقد منهم مِثْلُ البغي والمكتبِ، كلما ذهب واحد جاء آخر. كان النعمان دعا بحلَةٍ[2] وعنده وفود العرب **وقال**: احضر وفي غد فإني ملبس هذه الحلة أكرمكم فحضر القوم إلا أوساً **فقيل** له: لم تأخرت؟ **فقال**: إن كنت المراد فإني أدعي وإن كان المراد غيري فأجمل الأشياء أن لا أكون أنا حاضراً فلما جلس النعمان ولم ير أوساً بعث إليه **فقال**: احضر وأنت آمن فأحضره وألبسه الحل.

● النهيُ عن الإدلال[3] على السلطان

قيل: الدالة تفسد الحرمة وتهدم المنزلة، **وقال هشام**: إنّ فلاناً أدل فأمل وأوجف[4] فأعجف[5] ولم يدع ليرجع إليه مرجعاً وقد مضى في الأخوانيات مثل ذلك.

● مخالطةُ السلطان

قيل: جاور ملكاً أو بحراً. **وقيل**: لم يعر من النوك من لم يخدم الملوك، **وقيل**: من كان وضيع الهمة لم يصبر لدى الملوك على الخدمة. **وقال عبد الله**: من نزع عنا[6] لم ينتفع بنا، **وقيل لبعضهم**: لا تصحب السلطان، فمثل السلطان مثل القدر من مسه سوّده. **فقال**: لئن كان خارج القدر أسود فداخلها لحم كثير وطعام لذيذ.

● المتبجّحُ بمعاضَدة[7] السّلطان

قال الرشيد ليزيد بن مزيد: في لعب الصوالج: كن مع عيسى بن جعفر، فأبى، فغضب الرشيد **وقال**: أتأنف أن تكون معه؟ **فقال**: حلفت على أن لا أكون على أمير المؤمنين في جد ولا هزل، فسكن.

قال بعض الخلفاء **لجرير**: أني أعددتك لأمر، **فقال**: إن الله تعالى قد أعدَ لك مني قلباً معقوداً بنصيحتك، ويداً مبسوطة بطاعتك، وسيفاً مشحوذاً على عدوّك.

---

(١) **الانقباض**: الانكماش.

(٢) **الحلة**: الثوب الجديد، السلاح، يقال لبس المحارب حلّته وبزته.

(٣) **الإدلال**: الاجتراء أدلّ عليه وأخذه من فوق. ويقال هو يدلّ به: يثق به، **وأدل بالطريق**: عرَفه، وأدلّ عليه: وثق بمحبته.

(٤) **أوجف**: اضطرب ـ **أوجف الفرس**: جعله يعدو عدواً سريعاً.

(٥) **أعجف**: تجافى ـ **أعجف الدابة**: هزلها ـ **أعجف بنفسه على المريض**: جزّها على تمريضه.

(٦) **نزع عنا**: انصرف عنّا، مال عنّا ـ **ونزع إلى أهله**: اشتاق ـ **نزع الشعر**: انحسر عن جانبي جبهته.

(٧) **معاضدة**: مساندة، محالفة.

وقال بعضهم: أنا أطوع لك من الردي وأذلُّ لك من الحداء.

خطب عبد الملك يوماً وحث الناس على قتال ابن الزبير، فقام عدي بن أرطاة فقال: إنّا لا نقول ما قال قوم موسى لموسى عليه السلام: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكنا نقول إنا معكم مقاتلون.

• التمدّحُ بمتابعة السلطان

أنشد سلم بن قتيبة قول حطابط:

أسـودُ فـأُكـفَـى أو أطيـعُ الـمُـسـوَّدا

فقال: ما أدري أي هذين أشرف؟ فقال بعض أهل المجلس: هذا فإنه إذا مات السيد يكون مكانه ولو هازّه[1] وشارّه[2] ما كان ليجعل مكانه. فقال: صدقت. قال حاتم:

أســودُ ذا الــفــعــالِ ولا أبــالــي عــلــى أن لا أســودَ إذا كـفـيـتُ

وقال آخر:

لـعـمـرُك مـا إن أبـو مـالـك بِـوَاهٍ ولا بـضـعـيـف قُـوَاهْ
إذا سـسـتـه سـسـتَ مـطـواعـة ومـهـمـا وكـلـت إلـيـه كَـفَـاهْ

• الانخراطُ في سلك السلطان في جدّه وهَزْلِهِ

دخل الشعبي[3] على بشر بن مروان[4] وفي حجره عودٌ فقال الشعبي: أصلح المثنى قال بشر: أتعرف؟ قال: نعم ولك عندي ثلاثُ الستر لما أرى والشكر لِمَا يكون منك والدخول في ما لم يجمع على تحريمه. ودخل شاب من بني هاشم على المنصور فأجلسه ودعا بغدائه وقال للفتى: ادنُ، فقال: تغدّيت فلما قام دفع الربيع في قفاه وأخرجه، فجاء عمومته يشكون من الربيع إلى المنصور، فقال: إنّ الربيع لا يقدم على مثل ذلك إلا وفي يده حجة فليدع وليسأل فسئل، فقال دعاه أمير المؤمنين إلى طعامه، فقال: قد تغديت فإذا ليس عنده أن التغدي مع أمير المؤمنين أيسر ما فيه سد الجوعة، ومثله لا يقومه المقال دون الفعال. وقيل: السلطان سوق والناس يجلبون إليها ما يُنْفَق فيها.

• الممتنعُ من أداء المال إلى السلطان

وَلِيَ بعض العمال كورة[5] فاحضر رجلاً كان معروفاً بكسر الخراج فقدم إلى عونين[6]

---

(١) هازّه: هازّه مهازّةً: هزّ في وجهه، وأهرّ الكلب جعله يهرّ، ومنه المثل شرّ أهرّ ذا ناب، يضرب في ظهور أمارات الشر.

(٢) شارّه: من شرّ فلاناً إذا نابه أو ازدراه. (٣) الشعبي: راوية من التابعين عاش في الكوفة.

(٤) بشر بن مروان: أمير أموي كان حاكم الكوفة والبصرة.

(٥) الكورة: البقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى. (٦) عونين: أي خادمين.

ينتفان سباله إلى أن يؤدي الخراج فقال الرجل: أؤديه اليوم، قال: وخراج أهل بيتك قال: افعل قال: وخراج شركائك، فنظر إلى العونين وقال: انتفا على بركة الله فإنّ الرجل أحمق، ولما طلب يوسف بن عمر خالداً القسري قال قد علمت أن الذي تطلبه ليس بحاضر وإنه لمتبددٌ عند الناس، فاجمع الناس لي وائذن لي في الخروج إليهم لا كلّمَهُم واسأل من عنده شيء ليرده. فأمر بأن يخرج إلى الناس فخطب خطبة وقال: أيها الناس قد علمتم ولايتي وسيرتي وإنما كنت عاملاً لهشام وماله عندي تبعة وها هو قد سلط علي يوسف بن عمر وطالبني بمال فليبلغ الشاهد منكم الغائب أن من عنده وديعة فهو منها في حل، وكل مملوك لي فهو حر ومن أسديت إليه صنيعاً فأنا نادم على تقصيري حيث لم أضعه له وقال شاعر:

وقُولا لهذا المرءِ ذو جاء ساعِياً ... هلمّ فإن المشرفيّ لقاضِبُ[1]

- **المتغيّرُ على السّلطان لفظاً**

بعث يزيدُ عبد الله الأشعري إلى ابن الزبير[2] فقال له: إن أول أمرك كان حسناً فلا تفسده بآخره. فقال عبد الله رضي الله عنه ليس ليزيد في عنقي بيعة فقال: ولو كان له في عنقك بيعة كنت تفي بها. قال: أي والله فالتفت إلى الناس فقال: معشر الناس قد بايعتم ليزيد وهو يأمركم بالرجوع عن بيعته، وهو لا يرتضي الرجوع عنها. فقالوا لابن الزبير كيف رأيت هذا الخلع الخفي. وقال معاوية لامرأة من الخوارج: أخرجي المال من تحت استك[3] فقالت لمن حضر: أسألكم بالله أهذا من كلام الخلفاء.

- **المتهدّدُ بالخروج عن الطاعة والمتبجّحُ بذلك**

قال عبد الملك: عجباً لخالد بن عبد الله وليته البصرة وأمرته أن يجرد السيف ويمنع المال فبذل المال وأغمد السيف. فقال عبد الرحمن بن حسان: لو جرّد السيف لوجد سيوفاً مجردة ولو منع المال لوجد أيدياً منازعة. قال الفرزدق:

ولا نلين لسلطان يُكايِدُنا ... حتى يلينَ لضرسِ الماضغِ الحجرُ[4]

قال الأوسي:

وما زِلْنَا حجا حجةِ ملوكاً ... تدين لنا الملوكُ ولا ندينُ

قال المتنبي:

تعزّز لا مستعظماً غيرَ نفسه ... ولا قابلاً إلا لخالقه حُكْمَا

---

(١) قاضب: شديد القطع، قضب الرجل: ضربه بالقضيب ـ قضب الناقة: ركبها قبل أن تُراض.

(٢) ابن الزبير: عبد الله بن الزبير حارب مع عائشة في معركة الجمل وثار على الأمويّين.

(٣) استك: الاست الأساس، السافلة.

(٤) يكايدنا: يمكر بنا، يخدعنا ـ يقول ما مؤداه: إننا نأبى الخضوع للسلطان.

● **الحثُّ[1] على مصابرة السلطان**

قيل: من لزم باب السلطان بصبر جميل، وكظم[2] الغيظ، واطرح الأنفة وصل إلى حاجته، حُكِيَ أنه وجد مكتوب على باب **هراة** بدر پادشاه كاربرآيد آخر الأمردادن نك زدايد أي إنما يرتفع الأمر على باب الملوك بالبذل والعقل والتثبت. فكتب بعضُهُمْ تَحْتَه مَنْ كان معه هذه الثلاثة فهو مُسْتَغْنٍ عن السلطان ونحو ذلك ما رُوي أن أبا العيناء عتب على بغا فتقضاه **فقال** بغا: أما عَلمتَ أنَّ مَنْ طالب السلطان احتاج إلى عقل وصبر ومال، **فقال**: لو كان لي عقل عقلت عن الله أمره ونهيه، أو صبر صبرت عن السلطان حتى يأتيني رزقي، أو مال لاستغنيت به عن بابك والوقوف بجنابك. **وقيل**: من صحب السلطان احتاج إلى الصبر على قسوته صَبْرَ الغوَّاصِ على ملوحة ماء بحره.

● **أماراتُ السلاطين لندمائهم إذا أرادوا نهوضهم**

كان لكلّ ملكٍ أمارة يستدلُّ بها أصحابه إذا أراد أن يقوموا عنه فكان **أردشير** إذا تمطى قام سمارة وكان كيشاسف يدلك عينيه **ويزدجرد يقول** شب بشدو **بهرام يقول** خرج خسفاذ **وسابور يقول** حسبك يا إنسان **وابرويز** يمد رجليه وقباذ يرفع رأسه إلى السماء **وأنوشروان**[3] يقول قَرَّتْ أعينُكُمْ. وكان عمر **يقول**: قامت الصلاة **وعثمان يقول** العزة لله، ومعاوية يقول: ذهب الليل، وعبد الملك. **يقول**: إذا شئتم والوليد يقلي المخصرة[4] **والرشيد يقول** سبحان الله والواثق يمسّ عارضيه، وحُكِيَ عن بعض البخلاء أنه سُئِل ما أمارتك لقيامنا **قال**: قولي يا غلام هات الطعام.

شب بشد معناه الليل حرّم وزان سكر معناه المسرور وطيب الوقت ومستريح الحال وخسفاد معرب خوش باد سابور معرب شاهبور وكيشاسف معرب كشتاسب بضم الكاف الفارسية وهو من الكيانية كما في ص٣٤ من أول تتمة المختصر ابرويز معرب برريز يزدجر معرب يزدكر دكان ظالما فلذا **تقول** له الفرس بزه كار والعرب **تقول** له يزدجرد الأثيم قباذ معرب قباد قاله محمد عارف وكيلُ جمعيةِ المعارفِ.

(٣)
ومما جاء في القضاء والشهادة

●

● **مَدْحُ القضاءِ وذمّهُ**

قال النبي ﷺ: القضاة ثلاثةٌ: اثنان في النار وواحد في الجنة فاللذان في النار أحدُهُما مَنْ

---

(١) **الحثّ**: الحضّ، التنشيط.　　(٢) **كظم**: أمسك عنه، حبسه.

(٣) **أنوشروان**: ملك ساساني من ملوك الفرس (٥٣١ ـ ٥٧٩م) حارب يوستنيانوس واحتلّ أنطاكية ثم استولى على اليمن (٥٧٠م). اشتهر بعدله وإصلاحاته.

(٤) **المِخصرة**: العصا، ما يُتكأ عليه.

يقضي ولم يعلم والآخر مَنْ يعلمُ فيقضي بغير الحق وأما الذي في الجنة فهو الذي يَعْلَمُ ويقضي بالحق، **وقال ﷺ**: إن مع القاضي ملكين يسددانه ويوفقانه فإن عَدَل أرشداه وأعاناه وإن جار قذفاه في النار. **وقيل**: المذموم من القضاة مَنْ سعى في طلبه، **وقال ﷺ**: **لعبد الرحمن ابن سمرة**: يا عبد الرحمن لا تسألِ الإمارة فانك إن سألتها وكلت إليها وإن سُئِلْتها أعنتَ عليها، **وقال ﷺ**: من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين، ورُوي عنه **ﷺ أنه قال**: شكت بقعة من الأرض إلى ربها أنها جعلت حشا فأوحى الله إليها أما ترضين أني لم أجعلْكِ بقعة قاضٍ. وكان **ابنُ شبرمة يقول**: يا جارية هاتي غذائي لأخرجَ إلى بلائي.

● الممتنع من تولِّي القضاء

أمر **المنصور** أبا حنيفة[1] رحمه الله أن يتولى القضاء **فقال**: لا أَصْلُحُ لذلك **فقال**: إنك تصلح، **فقال**: إنْ كُنتَ صادقاً فلا يجوز لك أن تُوليني وإن كنت كاذباً فقد فسقتَ **فقال**: والله لتلين. **فقال**: والله لا وليت **فقال** حاجبه: أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف **فقال**: أمير المؤمنين أقدرُ على الكفارةِ مني. **قيل** لما مات **عبد الرحمن بن أذينة** ذُكِرَ أبو قلابة للقضاء فهرب حتى أتى الشأم فوافق ذلك عزْلَ قاضيها فهرب حتى أتى **اليمامة فقيل** له في ذلك **فقال**: ما وجدت مثلاً للقاضي العالم إلا مثل رجلٍ سابح وقع في بحر، فكم عسى يسبح حتى يغرَق.

● الممدوحُ بِتَرْكِ الميل والعفّة والحلم

اختصم إلى زياد رجلان **فقال أحدهما**: إن هذا يدل بحرمة له عندك، **فقال**: صدق وسأجزيه بما ينفعه من ذلك، إن كان الحقُّ له عليك آخذك به وإن كان الحقُّ لك عليه أقضي عليه، ثم أقضي عنه من مالي، وولّى **إسماعيل بن أحمد** قاضياً عفيفاً فكلفه يوماً أن يَقْبَلَ رجلاً لم يكن عنده عدلاً فامتنع عليه **فقال** له: ما أثقلك من بين القضاة! **فقال**: اعزلني إن كنت ثقيلاً، **فقال**: قد عزلتك، فتناول القاضي قلنسوته من على رأسه فجعلها في كمّه وخرج، فندمِ إسماعيل على ذلك فرده وسأله أن يتولى فأبى عليه ولما استعفى **شريح الحجاج** من قضاء **العراق قال**: والله لا أعفيتك أو تدلّني على من إذا غضب على الخصوم رجع به حلمُهُ عن الهجوم، ومن إذا دعاه كثرةُ المال لم ينهضه إليه سوءُ الحال **فقال**: أدلّك على شريف عفيف يمنعه شرفُهُ من التسلّط عليه وتحجبه عفتُهُ عن التملّق[2] **قال**: من هو؟ **قال**: ابن أبي موسى الأشعري فاحضره وولاه، **قال** الزهري: ثلاث إذا كن في القاضي فليس

---

(١) **أبو حنيفة**: إمام المذهب الحنفيّ، نعمان بن ثابت (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م) وهو أحد الأئمة الأربعة المجتهدين عند السنة، وهو أوّل من فصّل الفقه إلى أبواب وأقسام، وصاحب الاجتهاد في الفقه والفرائض بالقياس والرأي.

(٢) **التملّق**: التودّد والتذلّل.

بقاضٍ: إذا كره اللوائم وأحب المحامد وخاف العزل، وبه ألمّ الشاعر في قوله:

سيانَ في الحُكْم شاكِيه وشاكرُه ... مِنَ الأنام وهاجيه ومطريه

• كَوْنُ الحاكم مرضياً ومسخوطاً

قيل لشريح رحمه الله: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت ونصف الناس عليّ غضبان، وقال رجل لشريح: قضيت عليّ بالجور[1] وليدخلنَّكَ اللّهُ النّار قال: إذا يدخلها سبعة قبلي من ولاني ومن علّمني هذا الحكم ومن جاء بك مدعياً والشاهدان والمزكيان.

• حثُّ الحاكمِ على التسوية بينَ الناس

قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2] وقال أيضاً: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[3] وقال: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[4] وقال أبو وائل: سمعت عماراً يقول في بعض القضاة: كان كافراً، فقلت: ما تقول؟ فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[5] وقال بعضهم: رضى الناس غاية لا تدرك فتحرّ الخير بحمدك، ولا تكرهْ سخطَ مَنْ يُرْضيه الباطلُ. وكان زيد بن ثابت يقضي لعمر رضي الله عنه بالمدينة فتقدم إليه عمر مع أبي في حدٍّ تنازعاه فخرج إليهما، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ههنا ههنا ثم توجهت اليمين على عمر فقال زيد لأبي، أعفُ أميرَ المؤمنين من اليمين، فقال له عمر ما زلت جائراً منذ اليوم السلام عليك يا أمير المؤمنين وههنا ههنا واعفُ أمير المؤمنين. وكتب عمر رضي الله عنه إلى قاضٍ: احكم بين أهل الحق بالحق ينفعك يوم الحق. وقيل: لا ينبغي للحاكم أن يسمع شكية أحد الخصمين دون الآخر وفي المثل: من يأت الحكم وحده يفلح. وقال سلمة بن حوشب:

نُبِّئْتُ أنْ حكّموكَ بينهُمُ ... فلا يقولَنَّ بئسما حكَمَا
إن كنت ذا عرفة بشأنهم ... تعرف ذا حقهم ومن ظلما[6]
ولا تبالِ من المحقّ منَ المبْطلِ ... لا إلّة ولا ذِمَمَا[7]
فأحكُمْ فأنْتَ الحكيمُ بينهم ... إنْ يعدُوا الحقَّ يابساً صنما[8]
واصدعْ أديمَ السواد بَيْنَهُمُ ... على رضَا مَنْ رضي ومن رغمَا

• حثُّ الحاكمِ على تقْليلِ الكَلام

عزل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قاضياً وقال: بلغني أن كلامُكَ أكثرُ من كلام

---

(١) الجور: الظلم.
(٢) القرآن الكريم: المائدة/ ٤٧.
(٣) القرآن الكريم: آل عمران/ ٨٢.
(٤) القرآن الكريم: المائدة/ ٥١.
(٥) القرآن الكريم: المائدة/ ٤٤.
(٦) عرفة: معرفة وعلم.
(٧) الإل: العهد.
(٨) يدعو إلى الحكم القويم على أساس من الحكمة والعدل دون المبالاة بمن رضي أو من أرغم.

الخصمين وكان أبان يقلّل من الكلام فقيل له في ذلك: فقال: إنّ مَنْ كان كلامُهُ حكماً فحق عليه أن يتبلم[1] ولا يتكلّم إلا فيما يعنيه.

● مَن استعملَ دهاءً في أمر

أودع رجلٌ آخر مالا وحج، فلما رجع طلبه منه فجحده، فأتى إياساً[2] فأخبره فقال له إياس: هل علم أنك أتيتني؟ قال: لا قال: فانصرف واكتم أمرك وعُدْ إليّ بعد يومين. فدعا أياس المودع وقال له: قد حضر مال وأريد أن أدفعه إليك فحصّنْ منزلك وأحضر قوماً ثقاتٍ يحملونه. ودعا أياس صاحبَ المال فقال له: امض إلى صاحبك واطلب منه المال وقل له: إن لم تردّه شكَوْتُكَ إلى القاضي. فذهب الرجل وطلب ماله فرده عليه فأخبر إياساً بذلك فضحك، واختصم رجلان إلى القاضي شريح في ولد هرة فقال أحدهما: هي ابنة هرتي، وقال الآخر كذلك، فقال شريح: ضعوها قدامها فأيهما هرت وازبأرّت[3] وفرّت فليست لها وأيهما قرّت واسبطرّت[4] فهي لها فقرت إحداهما فدفعها إليه.

● مَنْ لا يُغضي[5] في الحكم على حقّ

أتى المأمونُ برجل وجب عليه حدّ، فأمر بضربه فقال: قُتِلْتُ. قال: الحق قتلك. قال: ارحمني، قال: لست بأرحم ممّن أوجب الحدّ عليك.

وقال خالدٍ بن صفوان لبعض الولاة: جزاك الله خيراً فقد سوّيت بين الناس حتى كأنّك من كل أحدٍ وكأنك لسْتَ من أحد. وقال بعضهم: غصبني بعضُ قواد الأتراك ضيعة أيامَ المعتز[6] فتظلمْتُ فلم يُنصِفْني فلمّا ولي المهتدي جلس يوماً للمظالم فتظلمت إليه فأحضر خصمي فقضى لي عليه، فقلت: جزاك الله خيراً فأنت كما قال الأعشى:

حكّمتُمُوه فقضى بينكُمُ ... أبلجُ مثلُ القمر الزاهرِ[7]
لا يأخذ الرشوةَ في حكمِهِ ... ولا يُبالي غُبْنَ الخاسرِ

فقال: أمّا شعرُ الأعشى فلا أدري ولكنني قرأت قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[8] فبكى أهل المجلس كلّهم.

---

(١) تبلّم: يقال تبلّمه: قبحه.
(٢) إياس (هنا): هو قاضي البصرة إياس بن معاوية المزني (ت ١٢٢ هـ/٧٣٩م) اشتهر بعدله.
(٣) ازبأرت: خافت. (٤) اسبطرّت: امتدت واضطجعت.
(٥) يغضي: يسكت ـ أغضى عينه: طبق جفنيها من لا يبصر، وأغضى اللّيل: أظلم.
(٦) المعتز: المعتز بالله عمر بن المتوكل الخليفة العباسي (٢٥٢ ـ ٢٥٥هـ/٨٦٦ ـ ٨٦٩م) عزله القادة الأتراك وقتلوه.
(٧) يصف الأعشى في هذين البيتين حاكماً عادلاً ناصع الجبين لا تأخذه في الحق لومة لائم.
(٨) القرآن الكريم: الأنبياء/٤٧.

● حثّ الحاكِم على الاجتهاد

قال النبي ﷺ: **لمعاذ لما بعثه إلى اليمن**: بم تحكم؟ **قال**: بكتاب الله تعالى. **قال**: فإن لم تجد فيه، **قال**: بسنة رسول الله، **قال**: فإن لم تجد فيها. **قال**: أجتهد برأيي. وأراد **معاوية** رضي الله عنه أن يستعمل **عبد الرحمن بن خالد فقال**: كيف تعمل؟ **قال**: اعمل برأيك ما لم يجاوزِ الْحَزْمَ فإن جاوزه عملت برأيي، فولاّهُ.

● حثُّ الحاكم على الصّلحِ فيما يشتبه

كتب **عمر** رضي اللّهُ عنه، إلى **معاوية**: عليك بالصلح ما لم يَبِنْ فيه فصلُ القضاء، وكتب إلى **أبي موسى الأشعري**: الصلحجائز بين المسلمين إلا صلحاً أحَلَّ حراماً أو حرّم حلالاً وصالح **ابن الزيات** عاملاً على مال فطالبه به **فقال**: أظلم وتعجيل؟ **فقال ابن الزيات**: أصلح وتأجيل؟

● مَنْ قطعَ الحكومةَ بالتهوّر

ولي أعرابيّ ناحية فخطب: ألا أني لا أوتي بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتُهُمَا عقوبة، فتعاطى رعيته بينهم الأنصاف ولم يترافعوا إليه في حق ولا باطل حذراً من عقوبته، وكان بعض الولاة إذا اشتبه عليه حكم، حبس الخصمين حتى يصطلحا. **ويقول**: دواءُ اللُّبْسِ[1] الحبس.

● مَنْ عارضَ الحاكمَ في حقّ إدعاه عليْه حتى أدركَهُ منه

قال ابن الزيات[2] لرجل ادعى عليه في مجلس الحكم **وقال**: غصبني وكيلُكَ ضيعَةً لي وحازها إلى أرضك. **فقال** ابن الزيات: تحتاج فيما تقوله إلى شهود وبينة وأشياء كثيرة. **فقال** الرجل: الشهود هي البينة وأشياء كثيرة هي منك فأمر برد ضيعته، وناظره رجل في شيء **فقال** له: أخرج من داري. **فقال**: ما هي بدارك إنما هي دارُ أميرِ المؤمنين وأنت عبدُه **فقال**: نعم هي لأمير المؤمنين فأخرجْ منها صاغراً[3]، **فقال** الرجل: قد بذلها أمير المؤمنين للعامة وجعلها مجمع الخصوم ومنصف المظلوم فلا أبرح إلا بنصفة، **فقال**: صدقت وأنصفه.

وتظلَّمَ رجل من وكيل **كسرى** بأنه أخذ ضيعة له **فقال** له كسرى: قد أكلت ارتفاعها أربعين سنة فدعه يأكله سنتين، **فقال** الرجل: فسلم ملكك **إلى بهرام**[4] جور يأكله سنة فقد أكلته سنين كثيرة، فأمر بضرب رقبته **فقال**: أيها الملك دخلت بمظلمة وأخرج بمظلمتين فأمر برد ضيعته وأرضاه، وادعى رجل على آخر بحضرة قاضٍ فطالبه بالشاهدين **وقال**:

---

(١) **اللبس**: الشبهة وعدم الوضوح، **واللَّبْس**: اختلاط الظلام **واللِّبس أيضاً** الثوب.

(٢) **ابن الزيات**: **محمّد** (ت ٨٤٧) أديب وشاعر، وكان وزير المعتصم والواثق العباسيّين. حمل على المتوكل فانتقم منه هذا بعد توليه الخلافة. له ديوان.

(٣) **صاغراً**: ذليلاً راضياً بالضيم. (٤) **بهرام**: ملك من ملوك بني ساسان.

مالك سبيل إلى ما تدعيه إلا بشاهدين، **فقال** الرجل: متمثلاً بهذا البيت:

وبايَعتُ ليلى في خلاءٍ ولم يكن　　　شُهودي على ليلى عَدُول مُقانِعُ

فتلطف القاضي في أخذ إقرار المدعي عليه وألزمه الحَق.

● مَنِ انْقادَ للحُكْمِ مِنَ السّلاطين

قد تقدم خبر **عمر** مع **أبيّ ابن كعب** رضي الله عنهما وكان **علي** رَضِيَ اللّٰهُ عنه تحاكَم مع رجلٍ، فشهد له **قنبر**، **فقال شريح**: يا أمير المؤمنين خادمك وفي عداد عيالك لا شهادة له، **فقال** علي وما أنت وهذا، اعتزل عملنا، فعزله، ثم رأى أنه أصاب، فردّه من الغد.

وجلس **المأمون** يوماً للمظالم فدفع إليه رقعة فيها مظلمة من أمير المؤمنين **فقال** لصاحبها: ما ظلامتك؟ **قال**: ثلاثون ألف دينار. إشترى سعيد وكيلُكَ مني جواهَر بها ولم يوف ثمنها لي. **فقال**: كلامك هذا محتمل يجوز أن يكون وفره ويجوز أن يكون اشتراه لنفسه ويجوز أن يكون أخذ مني الثمن ولم يدفعه إليك، **فقال** الرجل: أنت أولى[1] الناس بالإنصاف، إحملني على سُنّة النبي ﷺ البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وقد عدمت البيّنة[2]، **فقال**: نعم، ودعا بيحيى قاضيه فلما دخل **قال** له: اقض بيننا **فقال**: لا أفعل. إنك لم تجعل دارك مجلس قضائي **فقال**: قد جعلت، فأذن للعامة فخرج المأمون ومعه غلام يحمل مصلّى فطرحه له **فقال** يحيى: لا تأخذ على خصمك شرف المجلس فدعا له بمثله فادعى الخصم، **فقال** يحيى: ألَكَ بيّنة؟ **قال**: لا فابعد البيّنة. **قال** يمينه **فقال** للمأمون: أتحلف؟ **قال**: نعم فاستحلفه فحلف ثم **قال** المأمون: أدفع إليه ما ادعاه والله ما حلفتُ فجرةً ولكن خوفا من الرعية لئلا يقدروا أني منعته بالاستطالة.

● نَهيُ الحاكم عن قَبول الهدية

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾[3] **وقال** النبي ﷺ: لعن الله الراشي والمرتشي. وتخاصمت امرأة من **قريش** ورجل إلى **عمر** وكانت المرأة اهدت إلى عمر فخذ جزور[4] وقالت أفصل القضاء بيننا كما يفصل الجزور، فقضى **عمر** عليها **وقال**: إياكم والهدية.

وقال بعضهم كنت في طريق مكة فإذا أعرابيٌ يختصم إليه الناسُ فيقضي بينهم بالحق فلما تفرقوا **قلت**: هل أخذت العلم عن أحد؟ **قال**: لا **قلت**: فما هذا الفهم؟ **قال** بوفق الله. **قلت**: أرأيت لو تحاكم إليك اثنان فأهدى إليك أحدهما أكنت تقضي له **فقال**: إذا لا ينزل التوفيق وقد تقدم من ذلك أخبار في باب الولايات.

---

(١) **أولى**: أحق وأجدر.　　(٢) **البيّنة**: الحجّة أو الدليل.

(٣) **القرآن الكريم**: البقرة/١٨٨.　　(٤) **الجزور**: ما يجزر من النّوق أو الغنم.

● مَنْ مَالَ إلى أحد الخصْمَين لأجل هدية

اختصم رجلان إلى حاكم فدنا منه أحدهما **وقال**: قد وجهت إلى دار القاضي فراريج كسكرية وحنطة بلدية وشهدة رومية **فقال القاضي** بصوت رفيع: قم يا بارد إذا كانت لك بينة غائبة فانتظرها ليس هذا مما يسار فيه، **وقيل**: الحاكم شيطان ونعم الرقى الرشا. وتحاكم رجلان إلى المغيرة الثقفي قاضي الحجاج فاهدى أحدهما منارة والآخر بغلة فرأى صاحب المنارة ظلع[1] القاضي مع صاحبه فأراد أن يذكر القاضي **فقال**: أمري أضوأُ عند القاضي من سراجٍ على منارةٍ عظيمةٍ ففطن القاضي لقوله **فقال**: اسكت فإن البغلة رمحتِ المنارةَ فأطفأتْ نورها. **وقال قاض**:

إذا ما صُبَّ في القنديلِ زيتٌ ... تحوَّلتِ القضيةُ للمقندِل

● حثُّ متحكِّم على اعطاء الرشوة

قال ابن طباطبا:

يا خليلي يا أبا الغيثِ درَك ... نصبَ القاضي لك اليومَ شرَكْ
طلب البرطيلَ فابذلْه له ... يسكُتُ القاضي وإلاّ ذكرَكْ
لا يهولنّك دنيّته ... أعطهِ من رشوةٍ ما حَضَرَكْ[2]

● المهجوُ بأخذِ الرشوة

ذكر أعرابيٌ حاكماً **فقال**: يقضي بالعشوة[3] ويطيل النشوة ويقبل الرشوة. **قال ابن طباطبا في أحمد بن عثمان البري**:

وفينا عاملا عدلٍ وجورٍ ... هما حِلْفَا انبساطٍ وانقباضِ
فوالى حربنا في وصفِ قاضٍ ... وقاضينا عقابٌ ذو انقضاضِ

واتفق أن وافى أصبهان عليلا، فاحتجب أياماً وحضر فيل فكثرت النظارة عليه فمنع عنه الناس إلا ببذل. **فقال ابن طباطبا**:

شيئان قد حارَ الورى فيهما ... بأصبهان الفيلُ والقاضي[4]
ليس يُرى هذا ولا ذا فكم ... من ساخطٍ منّا ومن راضِ
الفيل يرشى عند سنديه ... فأين سنديك يا قاضي

---

(١) **ظلع القاضي مع صاحبه**: ميله إلى صاحبه أي انحيازه إلى جانبه.
(٢) **الدنيّة**: مخفّف الدنيئة أي النقيصة.
(٣) **العشوة**: الظلمة، والعشوة هنا ركوب أمر القضاء على غير بيان.
(٤) **الورى**: الخلق، الناس.

قال البسامي:

إذا أهلُ الرشا صاروا إليه   فأحظى القوم أوفرُهُمْ بضاعَهْ[1]
فلا رَجِمْ يقرّبهم إليه   سوى الورق الصحيح ولا شفاعَهْ
وليس بِمُنْكَرٍ هذا لديه   لأنّ الشيخَ أفلت من مجاعَهْ

● قاضٍ مستولٍ على المَواريث

جاءت امرأة إلى قاضٍ **فقالت**: مات زوجي وترك أبويه وولداً وامرأة وأهلاً وله مال **فقال**: لأبويه الثكلُ، ولولديه اليتمُ، ولامرأته الخلفُ، ولأهله القلةُ، والذلةُ والمالُ يحمل إلينا حتى لا تقع بينكم الخصومةُ.

● المهجوُ من القُضاة باللواطَة[2]

قال المأمون ليحيى بن أكثم يعرّض[3] به: من الذي يقول؟

قاضٍ يرى الحدّ في الزناء ولا   يرى على من يَلُوْطُ من بَاسِ[4]

فقال: يا أمير المؤمنين هو الماجن أحمد بن أبي نعيم الذي **يقول**:

أميرنا يرتشي وحاكمُنَا   يلوطُ والرأسُ شرّ ما راسِ
لا أحسب الجور ينقضي وعلى الأمة والٍ من آلِ عبّاس

فقال: هذا ينبغي أن يُنفى إلى السند، **وقال** آخر

ألا لله درّك أيّ قاضٍ   سبتْه المردُ بالحدَق المِراضِ

وقال عبدان:

لنا قاضٍ له وَجْهٌ   على أخذِ الرشا عابسْ
ولكنْ أيرُهُ أيرٌ   يدقّ الرطبَ واليابسْ

● المهجوُ متهم بالابنة[5] أو الكشح[6]

لما استولى **الناصرُ على طبرستان**، فوض إلى **عبد الله بن المبارك** القضاء وكان يُرمَى بالابنة **فقال**: يا أمير المؤمنين أنا أحتاج إلى رجال أجلاد يعينونني. **فقال: قد بلغني ذلك وقال بعضهم:**

أنا أعرف للقاضي   الذي يقضي بسَامرّا
غلاماً أشقرَ اللون   يُجرر زُفْخَه جرّا

---

(١) **أوفرهم بضاعة**: أكثرهم مالاً أو تجارة.

(٢) **اللواطة**: الالتصاق، **لوّطه بالطيب**: لطخه - **يقال لاط الشيء بقلبي**: أي لصق به وأحببته.

(٣) **عرّض به**: قال كلاماً عناه به دون أن يصرّح والتعريض هو أن تفهم السامع مرادك من غير تصريح.

(٤) يعيّر الشاعر قاضياً يستنكر الزناء ويتغاضى عن اللواط، وقوله **باس** مخفف بأس.

(٥) **الأبنة**: العيب.   (٦) **الكشح**: ما بين السرّة ووسط الظهر.

يـشـدُّ الـبـغْـل فـي الـخـان ويـلـقـى خـرجَـه بـسرّا

وقالت امرأة لزوجها: لأشكونَكَ إلى القاضي. فقال الرجل: الحل على حرام ثلاثا إن لم أكن نكت القاضي. فولولت المرأة وذهبت إلى القاضي وقصّتْ عليه القصة. فقال: ارجعي إلى داره فقد كان عارماً[1] في صغره فقالت: ناكك وربِّ الكعبة. قال ابن عروس.

وخـبـرت أنَّـك قـاضـي الـبـلاد فـسـبـحـانَ مـن حـكـمـه يـعـدلُ
وكـيـف يـديـرُ أمـرَ الـبـلاد فـتـىً أمـرُ مـنـزلـه مـهـمـلُ
كـفـى مـن تـواضـعِـه أنّـه لـسـائـسـه أبـداً أسـفـلُ

- **المهجوُ متّهمٌ بالجهل**

قال الصاحب في قاض: يخبط العشواء ويحكم حكم الورهاء[2] ويناسب أخلاق النساء. ورفع إلى المأمون في قاضٍ أنّ فلاناً يعضّ الخصوم، فوقّع ليشنق، ونحوه كان أحمد بن الخصيب إذا ضجر ممن يناظره رفسه فقال فيه شاعر يخاطب المتنصر

قل لـلـخـليـفـة يـا ابـنَ عـم مـحـمـدٍ أشـكـل وزيـرَكَ أنّـه ركّـالُ
قـد نـالَ مـن أعـراضِـنـا بـلـسـانـهِ ولـرجْـلِـهِ عـنـد الـصـدور مَـجَـالُ

قال المصيصي:

أفٌ لـقـاضٍ لـنـا وَقـاح أضـحـى بـريـئـاً مـن الـصّـلاح
ولـيـس فـي الـرأسِ مـنـه شـيءٌ يـدور إلا أبـو ريـاح

- **مَنْ يحكُم وهو الظالِم**

قال شاعر

والـخـصـم لا يُـرتـجـى الـنـجـاحُ لـه يـومـاً إذا كـان خـصـمَـهُ الـقـاضـي[3]

وقال آخر:

ومِنَ الـمَـظَالِمِ أنْ ولّـيت عـلى الـمظالـم يا فَزَاره[4]

وحُكِيَ أن ملكاً خرج له خرَاجٌ عجز الأطباء عن معالجته، فقال يوماً إنكم تغشونني، فإن داويتموني وإلا قتلتكم، فأجمعوا على أن يقولوا: إنّ دواءك أن تأخذ صبياً

(١) عارماً: فاسداً ـ عرم العظم: نزع ما عليه من لحم.
(٢) الورهاء: الحمقاء.
(٣) يقول: يرتجى النجاح لامرىء في قضيّة خصمه فيها القاضي وهذا المعنى قريب مما عناه المتنبي في عتابه سيف الدولة: فيك الخصام «وأنت الخصم والحكم».
(٤) الفزارة: اسم علم وربّما قصد به التورية، لأن الفزارة أنثى النمر.

من أبناء العشر، فيأخذ أحد أبويه رأسه والآخر رجليه وتذبحه على جرحك فتشرب دمه بطيب نفس منهما.

وقالوا: قد تحققنا أنه لا يوجد.

فقال: اطلبوا من يأتيني بابن هكذا فأمر فنادوا في البلدان.

فاتفق أنّ رجلاً كان إذا ولد له ولد وبلغ عشر سنين يموت لا محالة وكان فقيراً وكان له ابن شارَفَ العشرَ. **فقال** لامرأته: تعالي نحمل هذا الابن إلى الملك ونأخذ المال، فإنّ هذا يموت لا محالة. فرضيا بذلك وحملاه إليه وأخذ أحدهما برأسه والآخر برجليه وأخذ الملك السكين فلما هَمّ بذبحه ضحك الصبي، **فقال الملك:** ممّ تضحك وأنت مقتول **فقال:** رأيت الصبي أجنى الخلق عليه، أمه ترضعه وتقيه بنفسها ثم أبوه يحميه وإذا كبر فالملك يتولى أمره وقد رأيتكم ثلاثتكم اجتمعتم على قتلي، فإلى مَنِ المُشتكى؟ فتوجع الملك لقوله ورمى بالسكين فانفجر جرحه لما دهمه وبرأ، فخلى سبيل الصبي وتبّناه، **وقال** رجل لقاضٍ لئن هملجت[1] إلى الباطل إنك عن الحق لقطوفٌ.

● النّهيُ عن التعرّض للقضاة

قيل: لا تعادوا القُضَاةَ فيختاروا عليكم الأقاويلَ ولا العلماء فتضع عليكم المثال.

● المفتتنُ منهم بامرأةٍ تحاكمَتْ إليه

خاصمت امرأة صبيحة زوْجُهَا إلى **الشعبيّ**[2]، فمرت بالمتوكل الليثيّ في منصرفها وقد قضى لها على زوجها، **فقال:**

فُتِنَ الشعبيّ لمّا ... رفعَ الطرْفَ إليها
فتنته ببنان ... وبخطّي حاجبيها
فقضى جوراً على الخصم ولم يقضِ عليها
كيف لو أبصر منها ... نحرها أو ساعديهَا[3]
لصبا حتى تراه ... ساجداً بين يديهَا[4]

فولع الناس بهذه الأبيات وتناشدوها، حتى اضطر الشعبيّ إلى الاستعفاء من القضاء.

وقدّم رجل امرأة حسنة النقيبة[5] إلى القاضي **فقال:** يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة

---

(١) **هملجت:** سارت سيراً حسناً.

(٢) **الشعبيّ:** هو عامر بن شراحيل المتوفّى سنة ١٠٣ هـ (٧٢١م)، وهو راوية من التابعين عاش في الكوفة كان مقرباً من الخليفة عبد الملك بن مروان.

(٣) **النحر:** الجيد، العنق.

(٤) **صبا يصبو صبوّاً:** مال إل الصبوة أي جهلة الصبيان فهو صاب وصبا صبوة إليه (أو إليها): حنّ.

(٥) **النقيبة:** النفس والطبيعة وقوله حسنة النقيبة مثل قولهم ميمون النقيبة أي محمود المختبر.

فيتزوجها ثم يسيء إليها. ففطن الرجل بحال القاضي فعمد إلى نقابها فاسفره فرأى القاضي وجهاً وخشاً[1] فحكم عليها. **وقال**: قومي لعنك الله كلام مظلوم ووجه ظالم، **فقال** زوجها:

قومي إلى رحلك أم حاتم ... قد كِذْتِ تسبين فؤاد الحاكمْ

بمنطق مظلومٍ ووجهِ ظالمْ

● **طُرَفٌ من سخافة القُضاة**

اختصم رجلان إلى قاضٍ، كلٌ واحد منهما **يقول**: امرأتي أحسن فتقامرا وأحضرهما لديه. **فقال** القاضي لاحدهما: لأنْ أنيك امرأتك في استها أحبُّ إليّ من أن أنيكَ امرأته في فَرْجِها.

وتقدّمَ رجل مع خصمه إلى قاضٍ، **وقال**: هذا جاء عام الأول فخرق ثيابي وضربني، وجاء العام وفعل ذلك أيضاً. **فقال** القاضي: هذه سنة قد جرت له كل سنة. وجاءت امرأة مع زوجها إلى قاضٍ **وقالت**: أنه لا يضاجعني، **فقال** الرجل: أنا عنين، **فقالت** المرأة: إنّه يكذب، **فقال** القاضي أخرج أيرك لأمرسه فتناول القاضي غرموله وأخذ يمرسه ولا يتحرك وكان القاضي أعور دميماً **فقالت** المرأة: أيها القاضي لو رأى ملك الموتِ وجهَكَ لمات من قبحه، إدفعه إلى غلامك ليمرسه وكان غلامه صبيحاً **فقال** القاضي: يا غلام تعالَ واغمز أيره، فجاء الغلام وأخذه فما طفق أن امتدّ واشتدّ، **فقالت**: أعطِ القوس باريها[2]، **فقال** القاضي: يا كشحان دونك وامرأتك ولا تطمع في نيك غلمان القضاة.

وجاءت امرأة إلى قاضٍ **وقالت**: إن زوجي إذا قدمت إليه المائدة قلب الخوان وأكل على ظهرها. **فقال** القاضي: دعيه يأكل كيفما أراد. **فقالت**: إنما عنيت أنه لا يأخذ في الطريق المستوي. **فقال**: دعيه يمشي كيف شاء، فالأرض كلها لله. **فقالت**: إنما عنيت أنه ينيكني في استي يا أحمق، **فقال**: طيب والله **فقالت**: قطع الله ظهرك من بين القضاة.

وكان بحمص قاضٍ يحكم اليوم في شيء بحكم، وفي غد يحكم في مثله بخلافه، **فقيل** له في ذلك **فقال**: القضاء بخوت[3] وأرزاق، من رزق شيئاً أخذه.

وأراد أعمى أن يتزوج بامرأة، فأحْضَرَها مجلس القاضي **فقال**: كم مهرها؟ **قال**: أربعمائة، **فقال** للمرأة: كشفي عن وجهك، فكشفت **فقال** إنها تساوي أكثر من ذلك، فإنها صبيحة، **فقال** الأعمى: إن كان للقاضي زيادة فبارك الله له فيها فإنه أولى بها، وجاءت امرأة القاضي مع زوجها تطلب نفقتها منه، **فقال** الزوج: أيها القاضي هذه مغنية ومتى كانت نيّاحة

---

(١) **وخشاً**: رديئاً.

(٢) **أعطِ القوس باريها**: مثل يقال للحث على الاستعانة بأهل المعرفة والحذق، وهو وارد في قول الشاعر:

يا باريَ القوسِ بريًا لستَ تُحسِنها ... لا تُفسدنها وأعطِ القوسَ باريها

(٣) **بخوت**: حظوظ جمع بخت واللفظة فارسية.

فنوّاحة، وليس لي كسب. **فقال** للمرأة: التزمي نفقته يا فاعلة. **فقالت**: وهل في الحكم هذا؟ **قال**: نعم لو كنتُ مكانه لنكتك وأخذت جذرك، **فقال** الرجل فديتك يا جوهر القضاة فافعلْ الساعة.

وكان بلال بن أبي بردة أول من جار في الحكم وكان يتقاضى إليه الرجلان فيقضي لأحدهما بلا بينة **ويقول**: وجدْتُهُ أخفَّ على قلبي من صاحبه.

● من ردَّ القاضي شهادتَه فعارضَه بما عدل به

شهد معلم عند سوّار[1] **فقال**: لا أجيز شهادتك. **قال**: ولِمَ؟ **قال**: لأنك تأخذ على كتاب الله تعالى الأجرة، **فقال**: وأنت تأخذها على القضاء، **فقال**: أنا أكرهت، **فقال**: هب أنك مكره على القضاء هل أكرهت على أخذ الأجرة، فأجاز شهادته. وشهد آخر عند سوار بسبة. **فقال**: من أين علمت؟ **قال** من حيث علمت أنك سوار بن عبد الله. وشهد قوم عند شبرمة بقراح فيه نخل فسألهم كم فيه من جذع؟ **قالوا**: لا ندري، فأراد أن يرد شهادتهم **فقال** أحدهم: أيها القاضي كم من أسطوانة في هذا المسجد؟ **فقال**: لا أدري. **فقال**: كيف وأنت تحكم فيه منذ كذا سنة، فاجاز شهادتهم.

● من ردّ القاضِي شهادتَه بلُطْف

قال المهدي لشريك وعنده عيسى بن موسى: إن شهد عندك هذا هل تقبل شهادته؟ وأراد أن يوقع بينهما. **فقال** شريك من شهد عندي سألت عنه فإن زكّي أجزتُ شهادته وعيسى لا أسأل عنه غير أمير المؤمنين فإن زكاه قبلته وهذا عكس على السائل.

كما حكى عن أبي حنيفة رحمه الله **قال**: كنا نأتي حماداً فلا ننصرف عنه إلا بفائدة. **فقال** يوماً: إذا وردت على أحدكم مسألة معضلة[2] فليجعل جوابها منها فما رأيت قوله شيئاً. حتى دخلت يوماً دار المنصور، فخرج الربيع وسألني ممتحناً أفتني في رجل أمرني أمير المؤمنين بقتله، أعليّ في طاعته حرج، فذكرت قول حماد **فقلت**: أليس يأمرك أمير المؤمنين بحق رآه **قال**: نعم. **فقلت**: افعلْ فكل حق يأمرك به لا حرج عليك فيه.

وشهد الفرزدق عند قاضٍ **فقال**: قد أجزنا شهادة أبي فراس فزد في شهودك فلما انصرف الفرزدق **قيل له**: قد رد شهادتك **فقال**: وما يمنعه من ذلك وقد قذفت ألف محصّنة[3] وأتى وكيع أياس بن معاوية ليشهد عنده فقام إليه **وقال**: ما جاء بك يا أبا المطرف؟ **قال**: أقيم شهادة لجار لي **فقال**: حاشاك أن تشهد كما يشهد الموالي والتجار والسقاط. **قال** صدقت فانصرف عنه.

---

(١) **السوّار**: من تسور الخمر في رأسه سريعاً، أو الذي يواثب نديمه إذا شرب.

(٢) **المسألة المعضلة**: العويصة أو المستعصية التي يصعب حلّها.

(٣) **المحصنة**: المرأة العفيفة التي أحصنها زواجها.

● من رُدَّت شهادتُه لبلْهِه[1]

قال سوار: لا أعلم أحداً أفضل من عطاء السلميّ ولو شهد عندي بفلس ما أجزت شهادته لأنه ليس بحازم. **وقال** كثير من الفقهاء: لا نقبل شهادة الوهم والأبله لا شَهَادَةَ لَهُ.

● من عارضَ من الخصوم الحاكم في الشاهِد عليه فردّ شهادتَهُ

شهد رجل عن شريح **فقال** المشهود عليه: أتقبل شهادته وإن أحبّ الأشياء إليه الخبز واللحم، فتوقف في إمضاء شهادته. **فقيل** له: لم توقفت؟ **فقال**: أنه يعني أنه يشهد بأكلة. وشهد رجل عند سوّار بمال على آخر فقال: سوّار تارس أم رامح؟ **فقال** تارس، **فقال** ذاك شرّ له سأعيد المسألة عنه. وإنما أراد أنه مأبون فتعجّب الحاضرون من حيلة الرجل وفطانة سوّار لمراده.

● الممتنعُ من إقامة شهادةِ زور

استشهد **محمد** بن الفرات أيام وزارته **علي ابن عيسى** بغير حق، فلم يشهد له. فلما عاد إلى بيته كتب إليه: لا تلمني على نكوصي عن نصرتك بشهادة زور فإنه لا اتفاق على نفاق ولا وفاء لذي مين[2] واختلاف، وأحرى بمن تعدّى الحق في مسرتك إذا رضي أن يتعدى الباطل في مساءتك.

وكان المتنبّي أشار إلى هذا المعنى **بقوله**:

لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشاً في مُعَامَلةٍ ... مَنْ كُنْتَ منهُ بغيرِ الصدقِ تَنْتَفِعُ

● شهودُ زُور

قال سهل بن دارم: كان بالبصرة شيوخ يشهدون بالزور وشَرْطُ بعضهم درهم وآخرون يشهدون وشرطُهُمْ أربعةٌ. وآخرون شرطُهُمْ عشرون درهماً. فسألْتُ عن ذلك، **فقال**: أصحابُ الدِرْهم يشهدون ولا يحلفون، وأصحاب الأربعة يشهدون ويحلفون، وأما أصحاب العشرين فيشهدون ويحلفون ويبهتون.

وكان شيخ في المعدلين يشهد بطفيف[3] يهدى إليه فجاءه رجل بدرهمين وسأله شهادة **فقال**: ما ضربت المشط بأقل من خمسة ولكني أسامحك. قال الشاعر:

ما للعدول أراني الله جَمْعَهُمُ ... في مِرْجَلٍ مطبقٍ في جوف تنّورِ
قومٌ إذا غضبوا كانت سيوفُهُمُ ... قطعَ الشهادةِ بين القومِ بالزُّورِ

قال عبد الصمد المعدل[4]:

وكيف تُخشى شهاداتٌ يقومُ بها ... ثلاثةٌ شاهدا زُورٍ ومجنونُ[5]

---

(١) لبلهه: البله ضعف العقل يقال أبله وبلهاء.
(٢) مين: كذب، جمع ميون.
(٣) طفيف: قليل، صغير.
(٤) المعدل: المقيّم والمسوّى.
(٥) يتساءل الشاعر كيف يمكن الخوف من شهاداتٍ ثلاثة هما مزوّران ومجنون.

وقال بعضهم: الناس كلّهم عدول إلا العدول.

• وصفُ قلانِسِهم

قال المصيصي:

كـأنّ دنـيـة عـلـيْـهـا غـرابُ نـوحِ بـلا جَـنَـاحِ

وقال آخر:

ترى قلانِسَهُم كالرمحِ طَعْنتُها تخفى جراحتها في جَنْبِ مَغْرُوْرِ

• الشهادةُ على الزنا

حقّ الشهود على الزنا أن يكونوا أربعَةً ذكوراً يصرّحون ولا يكنون **لقوله** تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[1] (الآية)، وحضر أبو بكرة وزياد مع غيرهما فشهد ثلاثة على المغيرة بن شعبة[2] بالزنا عند عمر رضي الله عنه. فلمّا أقبل زياد **قال** عمر: إني أرى لك وجهاً وضيئاً وأرجو أن لا يفضح الله بك رجلاً من أصحاب النبي ﷺ **فقال**: إني رأيت أفخاذا مجتمعة ونخيراً يعلو ويسطع ولا أعلم ما وراء ذلك فضرب عمر أبا بكرة وصاحبيه الحدّ.

• التعريضُ بالشهادة بذلك

استشهدوا أعرابياً على رجل وامرأة **فقال**: رأيته قد تقممها[3] يحفزها بمؤخرها ويجذبها بمقدمها ويخفى على المسلك. **وقال** آخر: رأيته قد تبطنها ورأيت خلخالها سافلاً وسمعت نفساً عالياً ولا علم لي بشيء بعد ذلك. وشهد رجل على آخر **فقال** الحاكم: إنك قد رأيته وهو يدخل ويخرج فقال: لو كُنْتُ جلدةَ اسْتِها ما أمكنني أن أشهد به كذلك.

• تثبّتُ الحاكِم في الإقرار بما فيه حدّ

أتى ماعز بن مالك رسول الله ﷺ **فقال**: إني زنيت، **فقال**: لعلك مسستَ أو لمستَ أو غمزت، **فقال**: لا بل زنيت. فأعادها عليه ثلاث مرات فلما كان في الرابعة رجمه.

وأتى **أبو الدرداء**[4] رضي الله عنه بامرأة قد سرقت، **فقال**: أسرقت **قولي**: لا وأتى زياد بلصّ وعنده الأحنف فانْتَهَرَهُ **فقالوا**: صدقَ الأمير. **فقال** الأحنف: الصدق أحياناً معجزة. **فقال** زياد: جزاك اللّهُ خيراً.

---

(١) **القرآن الكريم**: النور/ ٤.

(٢) **المغيرة بن شعبة**: صحابي ثقفيّ من دهاة العرب ولاّه عمر البصرة والكوفة، وولاّه معاوية الكوفة وفيها مات سنة ٥٠هـ (٦٧٠م).

(٣) **تقممها**: علاها، **تقمّم** ما على المائدة: أكله ولم يترك منه شيئاً.

(٤) **أبو الدرداء**: صحابيّ خزرجيّ أنصاريّ.

● **المُقِرُّ عندَ الحاكمِ بجهله**

قال محمد بن رباح القاضي: تقدم إليّ قثم مع ابن أخيه، **فادعى** عليه خمسة آلاف دينار. **فقال قثم**: نعم له علي ذلك لكن من أي طريق؟ **فقلت**: قد أقررت له بالمال فإن شاء فسّر الوجه، وإن شاء لم يفسر. **فقال** ابن أخيه: أشهد أنه بريء منها إن لم أثبتها **فقلت**: وأما أنت فقد أبرأته إن لم يثبت ذلك فما رأيت أضعف منهما في الحكم.

وجرى في كلام رجل عند حاكم ما فيه إقرارٌ، فقضى عليه، **فقال** أتقضي عليّ بغير شاهد؟ **فقال**: قد شهد عليك من تقبل شهادته عليك، مَنْ أبوه أخو عمك.

وقدم رجل غريماً له إلى قاضٍ **فقال**: لي على هذا ألف درهم، **فقال** المدعي عليه: صدق ولكن سله أن ينظرني أياماً فلي عقار ومال غائب إلى أن أبيع العقار وأسترد المال الغائب فادفعه إليه، **فقال المدّعي**: كذب ماله قليل ولا كثير وإنما يريد أن ينفلت مني. **فقال** الخصم: اشهد أيها القاضي قد أقرّ بعسرتي[1] **فقال** القاضي: صدقت وخلّى سبيله[2]

● **ذمّ موالاةِ باب القُضاة**

قيل: إذا رأيت الرجل على باب القاضي من غير حاجة فاتهمه، وكتب بعضهم إلى عامل له: ابعث إليّ بمائة رجل كلهم يستحقون القتل لأجرب عليهم سيوفاً ابتَعْتُهَا فإن لم تجدهم في حبسك فتمّم من أصحاب القاضي فإنهم يستحقون القتل.

واستعان رجل **بالمأمون أيام الرشيد** في أن يقبل شهادته فوقّع في قصته مَنْ رام الشهادة بمعونة السلاطين فليقمها على قضاة الشياطين. **وقال يحيى بن أكثم**[3] للمأمون: يا أمير المؤمنين إن فلاناً يلتمس أن أقبل شهادته، **فقال**: يا يحيى قد أسقط على لسانه عدالَتَهُ.

(٤)
ومما جاء في الحِجاب والحجُّاب والغِلْمان

●

● **الحثُّ على تسهيل الإذنْ**

قال ميمون بن مهران: كنت عند **عمر بن عبد العزيز فقال** لآذنه: مَنْ بالباب؟ **قال**: رجل أناخ الآن. زعم أنه ابن بلال مؤذن رسول الله ﷺ فأذن له، فلما دخل **قال**: حدّثني **فقال**: حدثني أبي أنه سمع رسول الله ﷺ **يقول**: من ولي شيئاً من أمور المسلمين ثم

---

(١) **العسرة**: الضّيق والشدّة. (٢) **خلى سبيله**: أطلقه، تركه.

(٣) **يحيى بن أكثم**: (ت ٢٤٢ هـ/٨٥٧م) فقيه من الكبار وُلد في مرو بخراسان. قاضي قضاة بغداد في أيام المأمون.

حجب عليه، حجب الله عنه يوم القيامة، **فقال** عمر رضي الله عنه لحاجبه: الزم بيتك فما رئي بعدها على بابه حاجب.

وقال: لا شيء أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدّة الحجّاب للوالي، ولا أهيب للرعية والعمال من سهولة الحجاب. لأن الرعية إذا وثقوا بسهولة الحجاب أحجموا عن الظلم، وإذا وثقوا بصعوبته هجموا على الظلم.

وقيل: يحجب الوالي لسوء فيه أو لبخل منه ثم **أنشد**:

والسّترُ دون الفاحشاتِ ولا   يَلْقَاكَ دونَ الخيرِ مِنْ سِتْرِ

● وَصايا الحجّاب

قال زياد لحاجبه: أني ولّيتك هذا الباب وعزلتك عن أربع، هذا المنادي إذا دعاني إلى الصلاة فلا سبيل لك عليه، وعن طارق ليل فَسِرْ ما جاء به ولو جاء بخير ما كنت من حاجته في ذلك الوقت، وعن هذا الطبّاخ إذا فرغ من طعامه فإن الطعام إذا أعيد عليه الطعام فسد، وعن رسول صاحب الثغر[1] فإنه إن أبطأ ساعة ربّما يُفْسِدُ أمر سنة.

ولما استخلف **المنصور** ولي **الخصيب** على حجابته **فقال له**: إنك بولايتي عظيمُ القَدْر وبحجابتي عريضُ الجاه. فبقها على نفسك ابسط وجهك للمستأذنين وصنْ عرضك عن تناول المحجوبين فما شيء أوقع في قلوبهم من سهولة الحجاب والأذن وطلاقة الوجه.

وقال الرشيد لحاجبه: احْجِبْ عني مَنْ إذا قَعَدَ أطالَ وإذا سأل أحَالَ ولا تستخفَنْ بذي الحرمة وقدّمْ أبناءَ الدعوة.

● الحث على تشديد الأذن

قال أزدشير لابنه: لا تمكن الناس من نفسك، فاجرأُ الناس على السباع أكثرُهُمْ معاينَةً لها. **وقيل**: لا بد للسلطان من وَزَعَة[2]، **وقيل** لبعض السلاطين: لِمَ لا تُغْلِق الباب وتقعد عليه الحجاب **فقال**: إنما ينبغي أن أحفظ أنا رعيتي لا أن يحفظوني.

● الحثّ على إصلاح الحاجب والبوّاب ووصف ما يجب أن يكونوا عليه من الأحوال

قال يزيد بن المهلب لابنه: استظرفْ الكاتبَ واستعقل الحاجب. **وقال** عبد الملك لأخيه: تفقد كاتبك وحاجبك وجليسك فالغائب يُخْبِرُهُ عنك كاتبُك والوافدُ عليك يعرِفُكَ بحاجبك، والخارج من عندك يعرفك بجليسك.

---

(١) **الثغر**: المدينة أو البلدة في أطراف الدولة والتي يخشى دخول العدوّ منها.

(٢) **وَزَعَة**: جمع وازع، أعوان الملك وشرطه.

وقال يحيى بن المعلى:

كـن عـلـى مـنـهَـاجِ مـعـرفـةٍ إن وجـهَ الـمـرءِ حـاجـبُـهُ[1]
فـبـه تـبـدُو مـحـاسـنُـهُ وبـه تـبـدو مـعـايـبُـهُ

وقال آخر:

ولُـبّ الـمـرءِ يُـعْـرَفُ بـالـغُـلامِ[2]

● **الممدوح بسهولة الحجاب**

سهلُ الحجاب مؤدّبُ الخدّام، **وقال آخر**:

يلوذ به راجٍ[3] وخاشٍ[4] وكلُّهم له مدخلٌ سهلٌ عليه ومَخْرَجُ

وقال آخر

فـبـابُـكَ ألْـيـنُ أبـوابِـهِـمْ ودارُكُ مـأهـولـةٌ عـامـرهْ
وكـلـبُـكَ آنَـسُ لـلـمـعـتَـفـيـن مِـنَ الأمِ بـابْـنَـتِـهـا الـزاهـرهْ[5]

● **من طلبَ تسهيلَ الأذن من الزوّار وعاتب**

قدم أديب على أمير فكتب رقعة ودفعها إلى حاجبه ليوصلها، وفيها:

إذا شِئْتَ سلّمْنا فكُنّا كريشةٍ متى تُلْقِها الأرياحُ في الجوّ تَذْهَب

فقال للحاجب: قل له قد خففت جداً فكتب أخرى وفيها:

وإنْ شِئْتَ سلّمْنا وكنّا كصخرة متى تُلْقِها في حومة الماء ترسُب

فقال للحاجب: قل له قد ثقّلت جداً فكتب أخرى وفيها:

وإن شئت سلّمنا فكنّا كراكب متى يَقْضِ حقاً من لِقَائك يَذْهَبُ

قال: أما هذا فنعم وأذِنَ له، **قال أبو تمّام**:

مالي أرى القبة الفيحاءَ مُقْفَلَةً عنّي وقد طالما استَفْتَحْتُ مقفِلَهَا
كأنها جنّةُ الفردوسِ معرِضَةً وليس لي عملٌ زاكٍ فأدخلُها

قال جعفر المصري:

فتفضّلْ علي بالإذن إن جئتُ فإني
مُـخـفّـفٌ فـي الـلـقـاءْ

---

(١) يبين أهمية الحاجب ومدى دلالته على واقع ذي السلطان والشأن، فهو بالقياس إليه كالمرآة التي تعكس وجه الواقف أمامها.

(٢) **اللبّ**: الجوهر والعقل.

(٣) و (٤) **راج وخاش**: اسما فاعل من رجا وخشي

(٥) **المعتفون**: ذوو الحاجة، المعوزون.

ليس لي حاجةٌ سوى الحمدِ والشكر
فـدَعْـنـي أقـرنـكَ حـسـنَ الـثـنـاء

● **من ترَك الزيارَة لصعوبةِ الحِجاب**

أتى **أبو الدرداء**[١] رضي الله عنه باب معاوية فاستأذن عليه فلم يؤذنْ له **فقال**: من يغشَ[٢] سدة السلطان يقم ويقعد ومن وجد باباً غلقاً وجد إلى أخيه باباً فتحاً. فعاد عنه ولم يدخل بعد ذلك إلى سلطان. **قال محمد بن عمران**:

سـأتـرك هـذا الـبـاب مـا دام إذْنُـهُ ... عـلـى مـا أرى حـتـى يـخـفَّ قـلـيـلا
إذا لـم نـجـد يـومـاً إلـى الإذن سـلّـمـاً ... وجـدْنـا إلـى تَـرْكِ الـمـجـيءِ سـبـيـلا

قال أبو سليمان الضرير: من أراد السلام ليس سواه فلماذا يذلّ عند الحجاب؟

سـأقـعـد فـي بـيـتـي فـإنـي أمـيـرُه ... وآخـذ أمـري مـكـرهـاً بـاشـدهِ
فـأبـوابـك اسـدُدْهـا عـلـيّ بـأسـرهـا ... فـمـثـلـي لا يـرضـى بـهـذا لـعـبـدِهِ[٣]

وحجب بعض الهاشميين فرجع مغضباً فردّ فلم يرجع، **وقال**: ليس بعد الحجاب إلا العذاب، لأن الله تعالى يقول: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾[٤]

● **هجاءُ من حجب تعْريضاً**:

ولـم جـئـتُ مـشـتـاقـاً عـلـى بـعـد شـقّـة ... إلـى غـيـر مُـشْـتَـاقٍ ولـم ردّنـي بـشـرُ
ومـا بـالُـهُ يـأبـى دخـولـي وقـد رأى ... خـروجـي مـن أبـوابـه ويـدي صِـفْـرُ[٥]

قال الخوارزمي[٦]:

أيـا عـمـرو رُوَيْـدَكَ مـن حـجـابٍ ... فـلـسْـتَ بـذلـك الـرجـلِ الـجـلـيـلِ
ولا تـبـخُـلْ بـهـذا الـوجـهِ عـنّـا ... فـلـيـس بـذلـك الـوجـهِ الـجـمـيـلِ

---

(١) **أبو الدرداء**: عويمر بن مالك (ت ٣٢ هـ/ ٦٥٢م) صحابي خزرجي أنصاري من رواة الحديث تولّى القضاء في دمشق.

(٢) **يغشَ**: يأتِ، **غشي الأمر فلاناً**: غطّاه، **وغشي فلاناً** بالسوط ضربه.

(٣) يندّد الشاعر بأحكام الحجاب وسدّ الأبواب دون النّاس.

(٤) **القرآن الكريم**: المطففين/ ١٥، ١٦.

(٥) **يدي صفر**: خالية. يقال صفر اليدين أي فارغ اليدين ـ **صفر الإناء**: خلا

(٦) **الخوارزمي**: هو أبو بكر الخوارزمي شاعر عالم من أئمة الكتّاب. ثقة في اللغة ومعرفة الأنساب. وُلد في خوارزم سنة ٣١٦هـ (٩٢٨م). استقرّ في نيسابور ومات فيها سنة ٣٨٣هـ (٩٩٣م) له «الرسائل» و «ديوان الشعراء».

● **من حُجِب فشَتم وهجا بالبُخل**

قال مالك بن طوق[1]: دخل عليّ يوماً مجنون ونحن نأكل، فأكل معنا ثم جاء يوماً آخر فحجب فرآني يوماً مع أماثل البصرة **فقال**:

عليك إذنا فإنا قد تغدّينا ... لَسْنا نعود وإن عُدْنا تعدّينا
يا أكلة سلفت أبقت حرارتها ... داءً بقلبك ما صمنا وَصَلّينا[2]

فما أتى عليّ يوم أشد منه حزناً. **وقال آخر**:

كلما جئناك قالوا ... نائم غير مفيقِ
لا أنام الله عينيك وإن كنت صديقي

وقال بعض البغداديين:

حجابك الصعبُ سهل ... إذا دهتكَ مصيبَه
فلا عدمتَ رزايا ... مُطيعَةً مُستَجيبَة

● **من يتخذُ حاجباً مع سوءِ حاله**

قال بعض الشعراء:

يا أميراً على جَريبٍ من الأر ... ضِ له تِسْعَةٌ مِنَ الحُجّابِ[3]
قاعدٌ في الخراب يحجبُ عنه ... ما رأينا بحاجبٍ في خَرَابِ

● **تخويفُ من يشدّد الحجاب**

مرّ زاهد ببعض القصور، ورأى حجّاباً على بابه فسأل عنه، **فَقِيْلَ** هو لسالم بن فلان، رجل كثير المال عريض الجاه وقد مرض فاحتجب عن الناس، **فقال**:

وما سالم من وافدِ الموت سالماً ... وإن كثُرَتْ حُجّابُهُ وَكَتائِبُهْ
ومن كانَ ذا بابٍ منيعٍ وحاجبٍ ... فعمّا قليلٍ يهجرُ البابَ حاجبُهْ[4]

هجاء بوّاب:

سأهجرُ باباً أنتَ تملِكُ أمرَهُ ... ولو كُنْتُ أعمى عن جميعِ المسالكِ
فلو كنْتَ بوّابَ الجِنان تركْتُها ... ويَمّمْتُ عنها مسرِعاً نحو مالكِ

---

(١) **مالك بن طوق**: التغلبي (ت ٨٧٣م) من ولاة العباسيين بنى مدينة الرحبة على الفرات في عهد المأمون.

(٢) **سلفت**: مضت.

(٣) **الجريب من الأرض**: مبزر جريب والمبذر صاع، والجريب أيضاً مكيلة أو مكيال قدره أربعة أقفزة، وعن ابن دريد أن الجريب لفظة ليست عربيّة.

(٤) **يقول**: يُهجر الباب إذا كَثُرَ حجّابه.

قال ابن الحجّاج[١]:

ففي استِ من تحجبه والذي ... توصِلُه أيضاً وتُغنى به

● **المظهرُ رضاه بصُعوبة الأذن**

استأذن **أبو سفيان** على **عثمان** رضي الله عنهما فحجبه **فقيل** له: **يحجبك** أميرُ المؤمنين **فقال**: لا عدمت من قومي من إذا شاء حجبني. **وقال** أبو العيناء للقاسم بن عبيد الله: لا أعدمني الله من حجابك والوقوف ببابك. **قال أبو تمّام**:

ليس الحجابُ بِمُقصٍ منكَ لي أملا ... إن السماءَ تُرَجّى حين تُحتَجَبُ

وقال آخر:

إنيَ لأغتفرُ الحِجابَ لماجِدٍ ... أمسَتْ له مِنَنٌ عليَّ رغابُ

فالحرُّ مُبْتَذَلُ النوالِ وإن بدا ... من دونه سِتْرٌ وأغلِقَ بابُ

● **ذكرُ من لا يحجب**

قال شاعر:

من النّفرِ البيضِ الذين إذا انتمَوا ... وَهَابَ رجالٌ حلقَةَ البابِ قَعْقَعُوْا

وقال آخرَ في ضده:

قومٌ إذا حضرَ الملوكَ وفودُهُم ... نُتِفَتْ شَوَارِبُهُم على الأبْوَابِ

● **من اعتذرَ من السّلاطين عن الحجاب**

أتى رجل مسترفد باب معن فحجبه **فكتب إليه**:

إذا كان الجوادُ له حجابٌ ... فما فضلُ الجوادِ على البخيلِ

فوقّع تحته:

إذا كان الكريمُ قليلَ مالٍ ... ولم يعْذَرْ تَسَتَّر بالحِجَابِ

كتب إلى مطيع[٢] بن أياس حمّاد الراوية[٣]:

هل لذي حاجةٍ إليك سبيلُ ... لا يُطيلُ الجلوسَ في من يطيلُ

---

(١) **ابن الحجّاج**: أبو عبد الله الحسين شاعر بغداديّ اشتهر بالهزل والخلاعة والسخف في شعره مع عذوبة ألفاظه وسلامته من التكلف مات سنة ٣٩٢هـ (١٠٠١م).

(٢) **مطيع بن إياس**: شاعر بغدادي من المحدثين. امتاز شعره بالظرف والرقة والمجون. مات سنة ٢٦٠هـ (٨٧٣م).

(٣) **حمّاد الراوية**: وُلد في الكوفة وتوفي ببغداد سنة ١٥٦هـ (٧٧٢م) له الفضل في جمع المعلّقات.

فلما قرأ البيت كتب إليه:

أنتَ يا صاحبَ الكتابِ ثقيلٌ وكثيرٌ من الثقيلِ القليلُ

وقيل: الركوب إلى باب السلطان بعد الظهر ثقل وسوء أدب، وكتب بعض السلاطين إلى صاحب له يزوره بالعشيّات:

أعيذُكَ من زَوْرَةٍ بالعشيّ تَحُطُّ وتُذْهِبُ قدرَ النبيلِ[1]
فإمّا رَجِعْتَ بذلّ الحجابَ وأما حلَلْتَ محَلَّ الثقيلِ

● النهيُ عن دُخول الدور بغير إذن

قال الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[2] **وقال الله تعالى:** ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[3] **وقال ﷺ:** من أطلع في بيت بغير أذن ففقئت عينه فهو هدر.

وروي أن من اطلع في بيت فقد دمر، أي حكمه حكم الداخل **وقال ﷺ:** إنما جعل الاستئذان لأجل النظر **وقال عمر** رضي الله عنه: من ملأ عينيه من قائمة بيت قبل أن يُؤْذَن له فقد فسق.

وقال ﷺ: إذا استأذن أحدكم فلم يُؤْذَنْ له فلينصرف.

● الحثُّ على تأديب الغِلْمان

قيل: لا يتأدب العبد بالكلام إذا وثق بأنه لا يُضْرَبَ. وأمر محمد بن الجهم أن يضرب غلامه ضربةً وجيعةً فقيل له في ذلك **فقال:** الواحدة الوجعية تملأ صدره من التضاعيف وإذا كان خفيفاً أحسَن ظنَّه بالكثير **قال المتنبي:**

اجعلْ عبيدَكَ أوتاداً تشجّجها لا يثبَتُ البيتُ حتى يُقْرَعَ الوَتَدُ

قال الحكم بن عبد الله:

العبدُ لا يطلب العلاءَ ولا يعطيكَ شيئاً إلاّ إذا رهبا
مثل الحمار الموقع الظهرِ لا يحسِنُ مشياً إلا إذا ضُرِبا

● الحثُّ على الإحْسان إلى الخدم

رُوِيَ في الحديث: اتقوا الله في خولكم[4] فإنهم اشقاؤكم لم يُنْحَتُوا من جبل ولم

---

(١) يعتبر زيارة العشيّات غير مستحبّة ناصحاً بالإقلاع عنها دفعاً للذلّة لأنها محكومة بغطرسة الحاجب، أو بالحلول الثقيل.

(٢) **القرآن الكريم:** النور/ ٢٧. (٣) **القرآن الكريم:** الأحزاب/ ٥٣.

(٤) **الخول:** جمع خوليّ، العبد والإماء.

يُنشَرُوا من خشب، أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون، واستعينوا بهم في أعمالكم فإن عجزوا فأعينوهم فإن كرهتموهم فبيعوهم، ولا تعذبوا خلق الله، وآخرُ وصية أوصى بها النبي ﷺ الصلاة وما ملكت أيمانكم. **وقال** أبو بكر رضي الله عنه. لا يدخلُ الجنّةَ سيّءُ الخلقِ.

● **الحثُّ على مداراتِهِمْ والتغافُلُ عَنْهُمْ**

سمع **الموبذ** في مجلس **أنوشروان** ضحك الغلمان، **فقال**: أَمَا تهابُ هؤلاء الخدَم؟ **فقال** أنوشروان: إنما يهابنا أعداؤنا، **وقال** بزرجمهر: إنما نداري خَدَمَنَا ونحن ملوكٌ على رعيتنا وَخَدَمُنا ملوكٌ على أرواحنا، ولا حيلةَ لنا في التحرّز عنهم. **وقيل**: مما يدل على كرم الرجل سوء أدب غلمانه. **وقيل**: مِنْ حُسْنِ خلقه سوءُ أدبِ غلمانِه.

● **ذمّ مؤتمِرٍ لغُلامه**

قال البحتري[1]

إن الشريف إذا أمورُ عبيدِهِ ... جازَتْ عليه فأمرُهُ مُرْتَابُ[2]

قال آخر:

ولستُ أحبُّ الأديبَ الظريفَ ... يكونُ غُلاماً لغلمانِهِ

● **من يُحْمَد استخدامُه**

قيل: أجودُ المماليك الصغارُ لأنهم أحسن طاعةً وأقلُّ خبثاً منهم وأسرعُ قبولاً **وقيل**: استخدم الصغير حتى يكبر والعجمي حتّى يفصح **وقال** قتيبة: لا تشترِ غلاماً مولداً هو حرٌّ حتى تقومَ بيِّنةٌ أنّه حرٌّ.

● **ذكرُ الصُّلَحَاءِ والأكياس من الخدم**

قال كسرى: العبد الصالح خيرٌ من الولد لأن العبد لا يرى استقامة أمرِهِ إلا بحياة سيّده، والابنُ لا يرى ذلك إلا بموتِ أبيه، **وقال** رجل لمملوك: اشتريك فأعتقك. **قال**: لا **قال**: فلِمَ؟ **قال**: كيف تتخذني عبداً بعد أن اتخذتني مشيراً. ومن خيار العبيد لقمان وبلال الحبشي.

ووصف البوشنجي غلاماً **فقال**: يعرف المراد باللحظ ويفهمه باللفظ، ويعاين في الناظر ما يجري في الخاطر، يرى النصح فرضاً يجب أداؤه، والإحسانَ حتماً يلزم قضاؤه،

---

(١) **البحتري**: هو أبو عبادة شاعر عربي طائي وُلد في منبج سنة ٢٠٥هـ (٨٢٠م). اختص بالمتوكّل ووزيره الفتح بن خاقان. اشتهر بوصف الطبيعة وبحسن الديباجة. من آثاره عدا ديوانه «كتاب الحماسة»، توفي البحتري سنة ٣٨٤هـ (٨٩٧م).

(٢) على الشريف ألاّ يخضع لعبيده.

إن استفرغ في الخدمة جُهْدَهُ خُيِّلَ إليه أنه بذل عفوه. أثبت من الجدار إذا استمهل وأسرع من البرق إذا استعجل.

قال الرشيد لإسحاق الهاشمي: أخبرت أن لك غلاماً فصيحاً، **فقال**: ها هو بالباب. ثمّ دعاهُ **فقال**: إن مولاك قد وهبك لنا. **قال**: فما زلت وما تحولت. **فقلنا**: ما معنى قولك **فقال**: ما زلت لك منذ كنت غلامه وما تحولت عنه إذ صرت لك، فأمر له بصلة وأحسن إليه.

● من أُعتِق من صُلَحاء العبيد

حُكيَ أنّ ابن عمر رضي الله عنه مرّ براعي غنم مملوك **فقال**: أتبيعني شاة من غنمك؟ **قال**: ليست هي لي، **فقال**: أين العلل وأراد أن يمتحنه **فقال**: فأين الله؟ فاشتراه وأعتقه. **فقال** الغلام: اللهم إنك رزقتني العتق الأصغر فارزقني العتق الأكبر، وأعتَقَ عمرو بن عقبة غلاماً له كبيراً فقام إليه عبد صغير **فقال**: اذكرني يا مولاي ذكرك الله بخير فقال إنك لم تخرف، **فقال**: إن النخلة قد تجني زهواً قبل أن تصير معواً[1] **قال**: قاتلك الله لقد استعتقت وحسنت وقد وهبتك لواهبك، كنت أمس لي واليوم مني، سُبِيَ فيلسوف وأراد رجل شراءه فقال له لماذا يصلح؟ **قال**: للحرية.

● ذمّ العبيد

قيل: ليس عبد بأخ لك. **قال ابن سعد**:

العبْدُ لو كانت ذؤابةُ رأسِه ذهَباً لكانَ رصاصةً رِجْلاهُ

قال المتنبي[2]:

أنوكُ من عبْدٍ ومن عِرْسه من حكّم العَبْدَ على نفسِهِ[3]
فلا تَرجُ الخيرَ عند امرىءٍ مَرّتْ يدُ النخّاسِ في رأسِهِ[4]

● أراذِلُ الخدَم

كان لبعضهم مملوك يتشطر وكان إذا **قال** له صاحبه: هات الدواة، **قال**: مرحباً بجعفر البرمكي. وإذا **قال**: ناولني ثوبي. **قال**: قيصر يلبس وإذا **قال**: اغسل ثيابي. **قال**: يونس النبي كان خيراً منك. لبس القرع، وآدم عليه السلام لبس ورق التين، وأنت لا تلبس ثوباً وسخاً. وإذا **قال**: اذهب إلى السوق. **قال**: خذلني[5] الله إن ذهبت حتى آكل كباباً

---

(١) **معواً**: المعْو الرطب إذا أصابه بعض اليَبَس ومعا معواً معاءاً: صوّت.

(٢) **المتنبي**: أبو الطيب (٩١٥ ـ ٩٦٥) من كبار شعراء العرب وُلد في محلّة كندة بالكوفة وقُتِلَ في طريقه من فارس إلى بغداد. امتدح سيف الدولة ثم كافوراً ثم عضد الدولة البويهي. كان متكبراً شجاعاً طموحاً. أفضل شعره في المدح والحكمة ووصف المعارك.

(٣) **أنوك**: أحمق ـ **العرس**: الزوجة ـ **يقول**: الأحمق هو الذي يجعل العبد متحكماً به.

(٤) **النخّاس**: تاجر العبيد.

(٥) **خذلني**: ترك نصرتي.

وأتناول شراباً، فجاء صاحبه يوماً وهو بين شطار، فقال: مَنْ هؤلاء؟ قال: فتيان الخلد يحبونني قبل رؤوسهم. فقال: أنت حر لوجه الله إن شئت. فقال: يا أحمق لو شئت لهربت منذ زمان. فحمله إلى النخاس فقال له النخاس: ما اسمك؟ قال: كنيتي أبو علي. قال: ما تحسن؟ قال: أعلم الجراحات السقيمات والسليمات وأعلّم البنين الإجارة والبنات التقحب[1] أنا أخبث من قرد وأنوم من فهد وأروغُ مِنْ ثعلب وأنقب من جرذ وأسرق من سنّور وألصّ من عقعق[2] فقال النخّاس: بِكَمْ أبو علي الكثير المحاسن؟ فقال: بما شئت. فقال النخاس: بعشرين درهماً، فقال صاحبه: إنه يقع عليّ بجملة، فقال العبد: انظر إلى أخي القحبة كانني خير من يوسف بن يعقوب وقد باعه إخوته بثمانية عشر درهماً ومع أخي القحبة فضل درهمين، فباعه منه. فالتفت أبو علي إلى النخّاس وقال: أم من لا يندمك ألف قحبة.

وقال الجاحظ: اشتريت عبداً بمائة درهم فاسترخصته فتعشيت سمكاً ونمت فاستدعيت منه ماء، فقال: أَسْكُتْ، تأكل السمك وتشرب عليه الماء ليتولّدُ منه كذا وكذا، وامتنع فلما اشتد عطشي قمت وشربت فقال: يا مولاي احملْ معك حتى أشربَ أنا أيضاً.

وقال رجل لعبد: أشتريك، فقال لا. لأني آكل فارها وأمشي كارهاً. وقيل لآخر: فقال: أنا إذا جعت أبغضت قوماً وإذا شبعت أحببت نوماً، وقال: رجل لغلامه: إذهب إلى المنزل واحمل الشَمْعَ لأعودَ به إلى البيت، فقال: أنا لا أجسر تعالَ معي حتى أحمله فانصرف معكَ.
وذكر دغفل النسابة المماليك، فقال: هم عز مستفاد وغيظ في الأكباد، قال اليعقوبي:

لــي حــمــارٌ وغــلامٌ ... وهــمــا يــغــتــلــمَــان
فــحــمــاري يــعــشــقُ الأتــنَ ... وذا رخــوُ الــعــجَــان
لــو بــهــذا عــفَّ هــذا ... لاســتــراح الــثــقَــلان

● **الغلامُ المتعاطَى معَه**

قال رجل لغلام صديق له وقد شاخ ما حالك؟ قال: مولاي ينيكني منذ كذا وكذا سنة بالحجة، وذلك أنه يفعل في كل يوم، فإذا قلت يا مولاي قد شخت يقول يا بغيض من أمس إلى اليوم.

وقال رجل لغلام له قد التحى: أخرُجْ من داري، فقال: رد إلي ما أخذت منّي خدّاً أملس وفقحة[3] ضيقة.

وحلف رجل على غلام لأضربَنّكَ، فاستعفاه الغلام، فقال: أتراني أعصي الله فيك، فقال: طالما عصيت الله في تعاطيك معي فخجل الرجل من أصحابه.

---

(١) التقحب: الفجور، جمع قحبة. (٢) العقعق: الغراب.
(٣) الفقحة: حلقة الدبر.

● **المسيءُ إلى خدمَه**

قال رجلٌ لأعرابي: ما تصنعون في عبيدكم حتى يقال في الدعاء عليهم باعك الله في الأعراب؟ **قال**: نجيع كبده ونعري جسده ونطيل كدّه ونكثر جلده. اشترى أعرابي عبداً **فقيل**: أنه يبول في الفراش **فقال**: إن وجد في دارنا فراشاً فَلْيَبُلْ فيه.

وكان لرجل عبد يأكل الحُوّاري[١] ويطعمه الخشكار، فباعه فاشتراه آخر يأكل الخشكار ويطعمه الشعير، فباعه فاشتراه آخر يأكل الشعير ويطعمه النخالة فاستباعه[٢]، فاشتراه آخر كان يجيعه وإذا قعد بالليل وضع السراج على رأسه فلم يستبغهُ، **فقيل** له في ذلك **فقال**: أخشى إن باعني أن يضع المشتري الفتيلة في حدقتي[٣]

● **مَنْ ذكر أنّ لا غلامَ له**

قال ابن الحجّاج:

إذا قدموا خيلهم للركوب | خرجت فقدمت لي ركبتي
وفي جملة الناس غلمانُهُمْ | وليس سواي في جملتي
ولا لي غلامٌ فادعو به | سوى مَنْ أبُوه أخو عمّتي

والعرب تقول العبد من لا عبد له.

● **ذمّ الخِصْيان**

قالت أعرابية لخصيّ: اسكت فمالك حزمُ الرجال ولا رقّةُ النساء. **قال المتنبّي**:

لقد كنت أحسب قبل الخصي | بأن الرؤوسَ مقرُ النُهَى
فلما نظرت إلى عقله | رأيت النهى كلّها في الخُصَى

قال أبو نعامة:

لا تطلبنّ إلى خصيّ حاجةً | يوماً فمالك عنده من خيرِ[٤]
واكشفْ له عن رأس أيرك إنه | لا شيءَ آثرُ عندَه من أيرِ[٥]

قال الجاحظ: كلُّ حيوان ذي ريح منتنة فإنه متى خصي زال نتنه وصُنَانه[٦] كالتيس والهر، غير الإنسان فإنه يزداد نتناً وصُنَاناً. وكل شيء إذا خُصِي دقّ عظمه واسترخى لحمه إلا الإنسان فإنه تطول عظامه وتلتوي.

---

(١) **الحواري**: الدقيق الأبيض. (٢) **استباعه**: عرضه للبيع.
(٣) **في حدقتي**: في عيني.
(٤) **يقول**: لا خير في المخصيّ، وينهى عن سؤاله أمراً أو أن تطلب منه حاجة.
(٥) **آثر عنده**: أفضل عنده. (٦) **صنانة**: نتنُهُ.

● النَهيُ عن إظهار العَورة[1] لهم

أجمع الفقهاء أنّ حكم الخصيان حكمُ الفحول فلا يجوز أن تكشف لهم النساء.

ودخل معاوية رضي الله عنه على امرأته بنت بجدل ومعه خصيٌّ، فاستترت منه، فقال معاوية: إنه خصيٌّ فقالت: إن مثّلتك به لا تحلّ مني ما حرمه الله.

وكان إسحاق بن مسلم العقيلي عند المنصور فمرّ به خادم وضيء الوجه فقال: أي ابنيك هذا؟ قال: هذا خادم في دار النساء. قال: أتشك أنّ شمّ هذا وضمّه أحبُ إلى المرأة من شمّك وضمّك فأتاه من ذلك أمر عظيم ومنعه بعدها من دخول الحرم.

● حمْدُ اتخاذِ الخصيان

قيل لأبي العيناء: لِمَ اتخذت خصياً أسود؟ فقال أمّا الأسود فلئلا أُتّهمَ به، وأما الخصيّ فلئلا يُتّهم بي. قال أحمد بن يوسف في وصفهم:

مبرؤن من الشعر اللبيد ومن حمْل الأيور وإخراج المناتينِ[2]
وكالنساء إذا ما رُمْتَ خلوتَهُمْ وكالليوثِ لدى الهَيْجاءِ تحميني

---

(١) العورة: العيب، النقيصة، العاهة. عوِر يعور عوراً واعوّر: ذهب حسّ إحدى عينيه.

(٢) لبيد: شعر متلبّد، لبد بالمكان: أقام فيه، لبد القوم بالرجال لزموه وأطافوا به ولبد الثوب رقّعه ولبد لاصوف نقشه وبلّه بالماء وصيّره يتلبّد.

في الإنصاف والظلم والحلم والعفو والعقاب والعداوة والحسد والتواضع والكبر وما يتعلق بذلك

(١)

فمما جاء في الإنصاف والظلم

•

• عزّ الحق وذلُّ الباطل

قال الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ **وقال تعالى:** ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ **قال** ابن المعتز إن للحق أن يتضح وللباطل أن يفتضح.

وقيل: الحق حقيق أن ينهج سبيله ويتضح دليلهُ. **وقال** المنتصر يوماً: والله ما عز ذو باطل ولو طلع القمر من بين عينيه ولا ذل ذو حق ولو اتفق العالم عليه، **وقيل:** للباطل جولة ثم يضمحل وللحق دولة لا تنخفض ولا تذل **وقيل:** الحق أبلج والباطل لجلج. **وقيل:** الحق من تعداه ظلم ومن قصر عنه ندم.

• مدْحُ العَدْل

قال أنوشروان: العدل سور لا يغرقه ماء ولا تحرقه نار ولا يهدمه منجنيق[١] **وقيل:** عدل قائم خيرٌ مِنْ عطاء دائم. **وقيل:** لا يكون العمران حيث لا يعدل السلطان. **وقيل** لحكيم: ما قيمة العدل؟ **قال:** ملك الأبد. **وقيل:** قيمة الجو رذل الحياة. **وقيل:** العدل يسع الخلق والجور يقصر عن واحد.

• ذَمُّ الظّلم والنّهيُ عنه

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[٢] **وقال:** ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٣] **وقال الله تعالى:** ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[٤] **وقال الله تعالى:** ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[٥] **وقال:** ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦] وفي الخبر

(١) **منجنيق:** آلة حربية ترمي بها القذائف.
(٢) **القرآن الكريم:** البقرة/ ٢٧٠.
(٣) **القرآن الكريم:** الشورى/ ٨.
(٤) **القرآن الكريم:** هود/ ١٨.
(٥) **القرآن الكريم:** المؤمنون/ ١١٤.
(٦) **القرآن الكريم:** الأنعام/ ٤٥.

بئس الزاد إلى المعاد ظلم العباد. **وقيل**: الظلم مرتعه[1] وخيم وقال النبي ﷺ: الظلم ظلمات يوم القيامة. **ويقال**: ليس شيء أقرب من تعيير نعمة وتعجيل نقمة من الإقامة على الظلم، **وقيل**: في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2] وعيد للظالم وتعزية للمظلوم.

وقيل: على الظالم أن يكون وجلاً[3] وعلى المظلوم أن يكون جذلاً[4] كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عامل له: إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فاَذْكُرْ قدرةَ الله عليك. ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك **فقال**: اذكر يا أمير المؤمنين يومَ الأذان. **فقال**: وما يوم الأذان؟ **قال**: اليوم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5] فبكى سليمان وأزال ظلامَتُه. وكان حفص بن عتاب[6] لقيه الرشيد فأقبل عليه يسائله فقال في أثناء ذلك:

نامَتْ عيونُك والمظلومُ مُنْتَبِهٌ ... يدعُو عليْك وَعَينُ الله لم تَنَم[7]

وقال عبد الله بن أبي لبابة: من طلب عزاً بباطل أورثه الله ذلاً بإنصافٍ وحقٍّ.

● التحذير من دعوة المظلوم

قال النبي ﷺ: اتقوا دعوة المظلوم فإنها مجابة. **وقال بعضهم**: دعوتان أرجو إحداهما وأخاف الأخرى دعوة مظلوم أعَنْتُهُ وضعيف ظلمتُهُ. **وقيل**: احذروا دعوة المظلوم فإنها لينةُ الحجاب. **وقال** ﷺ اللهم إني أعوذ بك من أن أَظْلِم أو أُظْلَم.

● سرعَةُ معاقبةِ الظَّالم

قال الله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[8] وَرُوي عن أمير المؤمنين **عليّ** رضي الله عنه أنه **قال**: ما أحسنت إلى أحد قط ولا أسأت إليه. فرفع الناس رؤسهم تعجباً فقرأ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[9]

سمع ابن عباس رضي الله عنهما كعب الأحبار **يقول**: من ظلم خرب بيته. **فقال** تصديقه في القرآن فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا، **وقيل**: الظلم أدعى شيء إلى تغيير نعمة وتعجيل نقمة **وقال صالح العريّ**: دخلت إلى دار المادراي فاستفتحت ثلاث آيات من كتاب الله تعالى إستخرجتها حين تذكرت الحال فيها قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾[10] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[11] وقوله تعالى:

---

(١) **المرتع**: موضع الرتع، الخصب.
(٢) **القرآن الكريم**: إبراهيم/ ٤٢.
(٣) **وجلاً**: خائفاً.
(٤) **جذلاً**: فرحاً.
(٥) **القرآن الكريم**: الأعراف/ ٤٣.
(٦) **حفص بن عتاب**: أحد البرابرة في المغرب.
(٧) **يقول**: إن عين الله لا تغفل عن الظالمين.
(٨) **القرآن الكريم**: النساء/ ١٢٢.
(٩) **القرآن الكريم**: الإسراء/ ٧.
(١٠) **القرآن الكريم**: القصص/ ٥٨.
(١١) **القرآن الكريم**: القمر/ ١٥.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾[1] فخرج إليّ أسود من ناحية الدار. **فقال**: هذه سخطة؟ المخلوقين فكيف سخطة وروى جعفر بن محمد عن أبيه **قال**: إذا أراد الله أن ينتقم لوليه انتقم من عدوه بعدوه وإذا أراد الله أن ينتقم لنفسه انتقم بوليّه من عدوه.

● المتفادي من ظلم الضعاف

قال معاوية[2]: إني لاستحي أن أظلم من لا أجد له ناصراً عليّ إلا الله. **وقال** أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: إنّ أبغض الناس إليّ أن أظلم من لم يَسْتَعِن عليّ إلا بالله.

● أفحش الظلم ظلم الضعيف

قال شاعر:

وإني لأعطي النّصفَ من لو ظلمتُه أقرّ وطابت نفسُه لي بالظّلمِ

قيل: من عمل بالعدل في من دونه رزق العدل ممن فوقه.

● نَهيُ الوالي والقادرِ عن الظلم

قيل: لا ينبغي للإمام أن يكون جائراً ومِنْ عنده يُلْتَمَسُ العَدْلُ، ولا للعالم أن يكون سفيهاً ومِنْ عنده يُلْتَمَسُ العلمُ والحلمُ. **وقيل**: إذا ظلمت من دونك عاقبك من فوقك، **قال** ابن الرومي[3]:

وإن الظُّلْمَ من كلّ قبيحٍ وأقبحُ ما يكونُ من النبيهِ[4]

وله:

ارهبْ من الأقران قِرناً ما له إلا العواقبُ والعقوبةُ ناصر
والظُّلْمُ من ذي قُدْرَةٍ مَذْمُومُ

● التسكينُ من المظلوم بما له من العُقْبى[5]

قيل: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[6] أعظم تعزية

---

(١) **القرآن الكريم**: النمل/ ٥٢.

(٢) **معاوية**: معاوية بن أبي سفيان مؤسّس السلالة الأموية. حكم بلاد الشام في عهدي عمر وعثمان. عارض علياً وقاتله في صفين فكان التحكيم. صار خليفة ٤١ هـ (٦٦١م). فجعل عاصمته دمشق. اشتهر بدهائه وحسن سياسته، وكانت وفاته سنة ٦٠هـ (٦٨٠م).

(٣) **ابن الرومي**: هو علي بن العبّاس شاعر بغدادي من أعظم شعراء الدولة العبّاسية. وُلد في بغداد سنة ٢٢٢هـ (٨٣٦م) من أب رومي وأمّ فارسيّة. أثر تراثه اليونانيّ الفارسيّ في صنيعه الشعري وعبقريته. كان ضيق الأخلاق متشائماً. تغنّى بجمال الطبيعة.

(٤) **أشدّ** الظلم ما يكون من إنسان نبيه.

(٥) **العقبى أو العاقبة**: والجمع عواقب أي جزاء الأمر أو آخر كلّ شيء. والعقبى الآخرة.

(٦) **القرآن الكريم**: إبراهيم/ ٤٢.

للمظلوم وابلغ تحذير للظالم على مدارجة العقوبة وإن تنفست مدته. **وقيل** لعمر رضي الله عنه: كان الرجل في الجاهلية يظلم فيدعو على من ظلمه فيجاب عاجلاً ولا نرى ذلك في الإسلام، **فقال**: كان هذا جزاء بينهم وبين الظلم وإنّ موعدكم الآن الساعة والساعة أدهى وأمرّ. **وقيل**: إنما تندمل من المظلوم جراحه إذا انكسر من الظالم جناحه.

● الظلمُ في أخذ الأرض

قال النبي ﷺ: مَنْ ظَلَمَ قيد شبر من أرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة. **قال** أحمد بن واضح:

يا قابضَ الضيْعةِ من نسْوةٍ ... ضعفاً وإيتام لسلطانِه
يجازنَ بالليلِ إلى خالقٍ ... إغاثةُ الملهوفِ من شأنِه
لا يأخذ الضيعة ذو قدرة ... يريد أن تبقى لصبيانِه

ومما يقرب من السخف في هذا أن رجلاً كان له قطعة من أرض بجنب أرض لرجل، فكان يضم كل سنة قطعة منها إلى أرضه. **فقال** له يوماً: ما هذا النقصان في أرضنا؟ **فقال**: أمَا سَمِعْتَ قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾[1] **قال**: فما هذه الزيادة في أرضك؟ **قال**: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، **قال**: فمِنْ أين أوتيت الفضلَ وأوتيت النقصَ في ذلك؟ **فقال**: يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدُ لكم تسؤكم.

● التحذيرُ من مُعاونة الظالِم

رُويَ أن النبي ﷺ **قال**: من أعان ظالماً سلطه الله عليه. **وقال** المأمون لبعض ولاته: لا تظلم لي فيسلطني الله عليك.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس للظالم عهد فإن عاهدته فانقُضْهُ فإن الله تعالى **يقول**: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]

وسمعت بعض العلماء **يقول**: ما ظلمت أحداً قطّ لغيري فإنى إذا ظلمت ظلمت نفسي. ويشبه ذلك ما يحكى أن عاملاً عزل عن عمله بغيره، **فقال** المولى لمن ولى مكانه: أعِرْني دواتَك لأكتب منها حرفاً **فقال**: لا فإني لا أستحل معاونة الظلمة، ولا أحب أن يكتب من دواتي ظالم. **فقال**: ألم تَكُ تكتب منها آنفاً؟ **فقال**: إني أحرق بالنار نفسي لنفسي ولا أحرقها لغيري.

وقيل لأبي مسلم صاحب الدولة: قد قمت مقاماً لا يقصر بك عن الجنة في إزالة دولة بني أمية وإقامة شعار بني العباس. **فقال**: لخوفي من النار أولى من طمعي في الجنة فإني أطفأت من بني أميّة جمرة ألهبت بها نيراناً لبني العباس وسأحرق بها.

---

(١) القرآن الكريم: الرعد/ ٤١. (٢) القرآن الكريم: البقرة/ ١٢٤.

● المتَفادي من أن يَظْلِم أو يُظْلَم

كان من دعاء النبي ﷺ إذا خرج من بيته: بسم الله وبالله أنّي أعوذ بك من أن أزل أو أضلّ أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل عليّ، **وقال** بعضهم: لنا عز يَمْنَعُ من أن نُظْلَم وحلمٌ يمنع من أن نَظْلَمَ.

● الموصوفُ بالظّلم

قيل: فلان أظلم من حية لأنها لا تحفر الجحر بل تسلب غيرها جحره فتدخله.
ويقال أظلم من ذئب، **قال**:

وأنتَ كذئبِ السوءِ إذ قالَ مرّة　　　لعمروسه والذئبُ غرثانُ خاتلُ[1]

أأنتَ الذي من غير شيء سببتَني　　　فقال متى ذا؟ قال ذا عام أوّلُ

فقال ولدْتَ العام بل رُمْتَ غدرَةً　　　فدونَك كلْني ما هنالك مأكلُ

وقيل: أعدى من الدهر ومن التمساح ومن الجلندي وهو فيما قيل اسم الملك الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[2]

وقال: أعرابي لئن هملجت إلى الباطل أنك عن الحق لقطوفٌ. **وقيل**: الفتنة عرس الظالم.

● المتبجّحُ بالظّلم

قيل لأعرابي: أيما أحب إليك أن تلقى الله ظالماً أو مظلوماً؟ **فقال**: ظالماً قيل: ويحك ولمه؟ **قال**: ما عذري إذا **قال لي**: خلقتك قوياً ثم جئت تستعدى، **وقيل لأعرابي**: ولد له ابن جعله الله براً تقياً **فقال** بل جعله جباراً عصياً يخافه أعداؤه ويؤمله أولياؤه.

● الممْدوحُ بكونه مظْلوماً لمَنْ هو دونَهَ

وقع الرشيد في قصة رجل: الشريف من يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فانظر أي الرجلين أنت. **قال محمود الورّاق**:

مـا زال يَـظْـلِـمُـنـي وأرْحَـمُـهُ　　　حتى رَثَيْتُ له من الظُلمِ[3]

وقال ابن الزهير تحمّل بعض الظلم أبقى للأهل والمال. **قال الشاعر**:

---

(١) العمروس: الجدي والجمع عمارس ـ غرثان: جوعان، غرث غرثاً: جاع، والجمع غرثى وغراثى وغراث وهي غرثى ـ خاتل: خادع، ختله ختلاً وختلاناً، وخاتله مخاتلة يقال: خاتل الصيّاد أي مشى قليلاً لئلا يحسّ الصّيد به، فهو خاتل وختول وتخاتلوا: تخادعوا.

(٢) القرآن الكريم: الكهف/ ٨.

(٣) يقول: أمعن في ظلمه إياي، وما فتئت أرحمه وحين تفاقم ظلمه رثيت له خوفاً من عواقب الجبروت.

ولا تخم من بعضِ الأمورِ تعزّزاً | فقد يورث الذّلَ الطويلَ تعزّزُ

وقال الأحنف: كم جرعة من الظلم تجرعتها مخافة ما هو أعظم منها.

● الرخصةُ في المجَازاة بالظلم

قال الله تعالى في مدح ذلك: ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ﴾[(١)] **وقال تعالى**: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾[(٢)] **وقال بعضهم لسلطان**: إني وإن خشنت في المال فقد عذر الله المظلوم إذا جهر بالسوء طلباً للنصفة من ظالمه حيث **قال**: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم. **وقال جرير**: إنّي لا أبتدي، لكن أعتدي.

● مَنْ لا يُبالي بأنْ يظلم

قيل: أهونُ مظلومٍ سقّاء مروّب. **وقيل**: أهون مظلوم عجوز معقومة قال شاعر

وظلم النَهشَلي من السواء[(٣)]

● من لا يُبالي بأن يظلم

قال أبو فراس[(٤)]:

وبعضُ الظالمينَ وإن تعدّى | شهيُّ الظلمِ مغفورُ الذُنُوبِ

ولبعض الصوفية[(٥)]:

دَعِ الحِبَّ يُصلَى بالأذى من حبيبه | فكلُّ الأذى ممّن يحبّ سرورُ
تُرابُ قطيعِ الشّاءِ في عين ذئبها | إذا سار في آثارِهنّ ذَرُورُ[(٦)]

وقال آخر:

وقد يؤذَى من المِقةِ الحَبيبُ

● تحسّر مَنْ ظلَمه دنيء أو لئيم وتعزّيه

في المثل لوذات سوار لطمتني. **قال الفرزدق**:

فوا عجباً حتّى كليب تسبّني | كأنّ أباها نهشلٌ أو مجاشِعُ[(٧)]

---

(١) **القرآن الكريم**: الشعراء/ ٢٢٧. (٢) **القرآن الكريم**: الشورى/ ٤١.

(٣) **النهشلي**: الذئب، نهشل الرجل كبر، ونهشله عضه، ونهشل الشيء أكله أكل الجائع.

(٤) **أبو فراس الحمداني**: (٩٣٢ ـ ٩٦٨) وُلد في الموصل. شاعر فارس، وهو ابن عم سيف الدولة صاحب حلب. قلّده سيف الدولة إمارة منبج. وقع أبو فراس أسيراً في يد البيزنطيين، وبقي في الأسر أربع سنوات. سمّي شعره في الأسر باسم «الروميات» ويغلب على شعر أبي فراس النزعة العاطفية والوجدانية.

(٥) **الصوفية**: فئة من المتعبّدين واحدهم الصوفيّ والصوفي في نظرهم من كان فانياً بنفسه باقياً بالله تعالى، مستخلصاً من الطبائع متصلاً بحقيقة الحقائق.

(٦) **ذرور**: ما يذرّ في العين أو الجرح من الدواء، جمع أذرّة.

(٧) **كليب**: أي بنو كليب.

قال أبو فراس:

مـا لـلـرجـالِ مـن الـذي يـقـضـى بـه الله امْـتِـنـاعُ
ذُدْتُ الأسـودَ عـن الـفـرا ئـسِ ثـم تـفـرسُـنِـي الـضِـبـاعُ[1]

قال أبو سعيد بن نوفة وقد أجاد ما شاء:

ولا غَرْوَ إن يبلى شريفٌ بخاملٍ فَمِنْ ذَنَبِ التنّين ينكسِفُ البَدْرُ

● اختيارُ ركوب القتل على التزامِ الظُلم

قال محمد بن وهب:

فتى يتّقي أن يخدشَ الذمُّ عرضَهُ ولا يتّقي حَدَّ السُيُوْفِ البَوَاتِرِ[2]

قال المتلمس:

فلا تَقْلَنَ ضيماً مخافةَ مِيتةٍ وموتنْ بها حرّاً وجلدُك أُملَسُ

قال أبو فراس:

أرى مِلْءَ عَيْنِيَّ الرَدَى وأخوضُهُ إذا الموتُ قدّامي وخلْفي المَعَايِبُ[3]

وله:

والمَوْتُ عندَ طروقِ الضَيْمِ مَوْرُودُ

قال ابن نباتة:

لأصْحَبْتُ الحياةَ إن صَحِبَتْني في المُلِمّات مُهْجَةٌ تُسْتَضَامُ

● الممتنعُ مِن احتمالِ الظّلم

قال الزبرقان:

قد رامَني الأقوامُ قبلَك فامتنَعْتُ من المظالمْ

قال خالد بن زهير:

فإن كنت تبغي للظلامة مركَباً ذلولاً فإنّي ليسَ عندي بعيرُها

قال آخر:

فلانٌ لا يَسام خطّةَ الخَسْفِ ولا يُحمَلُ على مَرْكَبِ العُنفِ

قال:

لا يعلفُ الضيم ذو مجْدٍ وذو شرفٍ ولا يَبِيْتُ بوادي الخسْفِ مذْمُوْماً[4]

---

(١) ذدت عن: دافعت. (٢) البواتر: القواطع.
(٣) الردى: الموت ـ قدّامي: أمامي ـ يقول إني أوثر مواجهة الردى إذا كانت العيوب في أثري.
(٤) الضيم: القهر والظلم ـ الخسف: الذلّ.

وقال:

كـأنّـهُ مـن حَـذارِ الـظُّـلْـمِ مَـجْـنُـوْنُ

قال آخر

ولا ألـيـنُ لـغـيـرِ الـحـقِ أسـألُـهُ   حتى يلينَ لضرسِ الماضغِ الحَجَرُ

وقد أحسن الذي قال: مَنْ ظلمني مرة فالله ينتقم لي منه ومن ظلمني مرتين فالله ينتقم له منّي.

- **عادةُ النّاسِ ظُلمُ من استَضْعفُوه**

قال ابن عائشة[1]:

تـراهُـم يـغْـمِـزونَ مـن اسـتـركّـوا   ويـجـتـنِـبـونَ مَـنْ صَـدَقَ الـمِـصـاعـا

قال المتنبي:

والظلمُ من شِيَم النفوس فإنْ تجدْ   ذا عـفـةٍ فـلـعـلّـةٍ لا يَـظْـلِـمُ[2]

قال رجلٌ عبسيّ:

إن الـمـحـكّـم مـا لـم يَـرْتَـقِـبْ حـسـبـاً   أو يرهب السيف أو حد القنا حنفا

- **ظالِمٌ متظلِّم**

في المثل يلدغ العقرب وتصيء[3] **قال الخبزارزي**:

ظـلـمـت سـراً وتـسـتـعـدي عـلانـيـة   ألـهـبْـتَ ناراً وتَـسْـتَـغـفـي من الـلّـهَـبِ

قال الشعبي: حضرت مجلس شريح فجاءته امرأة تخاصم زوجها باكية، **فقلت**: ما أظنها إلا مظلومة. **فقال**: إن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاء يبكون وهم ظالمون.

- **ذمّ مُمْتَنِعٍ من قبولِ الإنصاف**

قيل: ما أُعْطِيَ أحد قط النصف فأبى إلا أخذ شراً منه. **وقال الأحنف**: ما عرضت النصفة على أحد فقبلها إلاّ تداخلني منه هيبة ولا ردُّها أحد إلا طمعت فيه.

---

(١) **ابن عائشة**: هو ابن عائشة القرشي، كان كما روي من أحسن أهل زمانه صوتاً وغناء، وكان غناؤه أجود من ضربه. مات سنة ١٢٦هـ (٧٤٣م).

(٢) **يقول**: النفس مجبولة على الظلم وهي إذا عفت ولم تظلم فلسببٍ ما.

(٣) **تصيء**: تصيح من صاء الفأر والعقرب والخنزير وما شابهها أي صاح، وهو مثل يضرب للظالم الذي يتظلّم.

(٢)
مدحُ الحلم وكظْمُ الغيظ وفضلُ الرحمةِ والعفو والاستعفاء والاعتذار

●

● حدّ الحلم

قيل: الحلم تجرع الغيظ. **وقيل**: الحلم دعامة العقل **وقال الأفوه الأودي**: الحلم محجزة عن الغيظ. **وقيل**: ليس الحليم من ظُلم فحلم حتى إذا قدر انتصر ولكن الحليم من ظُلم فحلم فإذا قدر غَفرَ.

وقالت الفلاسفة: الحلم فضيلةُ النفس يكسبها الطمأنينة لا يحرّكُها الغضبُ بسهولةٍ وسرعة. سأل عليّ رضي الله عنه **فقال**: الحلم والأناة. توأمان ينتجهما علو الهمة.

وقيل لعمر بن الاهتم: مَنْ أشجعُ الناس؟ **قال**: من رد جهله حلمُه. **وقال** سفيان: ما تقلد امرؤ قلادة أحسن من حلم فهو محمود عاجله وآجله ورأى حكيم من ملك ترفاً، **فقال**: ليس التاج الذي يفتخر به علماء الملوك فضةً ولا ذهباً لكنه الوقارُ المُكَلَّلُ بجواهر الحلم. وأحمق الملوك بالبسطة عند ظهور السقطة مَنِ اتسّعت قدرتُهُ.

قال شاعر:

لـن يُـدركَ الـمـجـدَ أقـوامٌ ذوو كـرم ... حـتّـى يـذلّـوا وإن عـزوّا لأقـوام

ويـشـتَـمـوا فـترى الألـوانَ مـسـفـرةً ... لا خوفَ ذُلٍّ ولكـنْ فـضـلَ أحـلامِ[١]

● الآخِذُ نفْسَه بالحِلْم مِنَ المُلوك

دفع أزدشير بن بابك ثلاثة كتب إلى رجل يقوم على رأسه **وقال** له: إذا رأيتني قد غضبت فادفع إليّ الأول، فإن لم أندم فالثاني ثم الثالث وكان في الأول أمسك فلست بإله، وإنما أنت جسد يوشك أن يأكل بعضُهُ بعضاً. وفي الثاني إرحمْ عباد الله يرحمْكَ الله. وفي الثالث احمل عباد الله على حقه.

● الحثّ على تكلّف الحلم واستعمالِه

قيل: إذا لم تحلم فتحالم **فقَلّ** مَنْ تشبّه بقومٍ إلاّ كان منهم. **قال**:

تَحَلّمْ عنِ الأدنَيْن واستبْقِ وِدَّهُـمْ ... فـلـن تـسْـتطيعَ الحِلْمَ حتى تَـحَـلّمَـا

---

(١) مسفرة: جليّة وواضحة ـ الأحلام: العقول.

● الممدوحُ بالحلم

قال حسان[1]:

أحـلامُـنـا تَـزِنُ الـجِـبَـال رزانـةً ... وتـزيـد جـاهِـلَـنـا عـلى الـجُـهَّـالِ[2]

قال ابن هرمة:

ولو وزنتَ رضوى بِبَعْضِ حُلُومِهِمْ ... لـشالَـتْ وَلَـوْ زِيْدَتْ عليه تـضارعُ[3]

قال أبو فراس:

يجني الخليلُ وأستحلي جنايَتَهُ ... كيما يدلُّ على حِلْمي وإحساني[4]

قال المتنبي:

وأحْـلُـمُ عـنْ خِـلّـي وأعْـلَـمُ أنـنـي ... متى أجْزِهِ حِلْماً عن الجَهْلِ يَنْدَمِ[5]

● من اجتهدَ في إغضابِهِ فحلم

بايع رجل آخر على أن يغضب الأحنف فجاءه فخطب إليه أمه. **فقال**: لسنا نردك انتقاصاً بحسبك ولا قلة رغبة في مصاهرتك، ولكنها امرأة قد علا سنها وأنت تحتاج إلى امرأة ودودٍ وَلُوْدٍ، تأخذ من خلقك وتستمد من أدبك، ارجع إلى قومك وأخبرهم أنك لم تغضبني.

خطب آخر إلى **معاوية** أمه. **فقال**: ما الذي رغبّك فيها وهي عجوز؟ **فقال**: بلغني أنها عجوز عظيمة العجز، **فقال**: لعلك خاطرت أن تغضب سيد بني **تميم قال**: نعم. **قال**: ارجع فلست به.

● فضلُ كظم الغَيْظ

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾[6] ومر النبي ﷺ بقوم يربعون حجراً **فقال**: ألا أخبركم بأشدكم من ملك نفسه عند الغضب، **وقال** ﷺ: من كظم الغيظ وهو يقدر على أن ينفذه خيّره الله في أي حور شاء، **وقيل**: الكظم يدفع محذور الندم كالماء يطفىء حر الضَرْم. كظمٌ يتردد في حلقي أحب إلى من نقص أجده في خلقي. **قال**: وأفضل حلم حسبة حلم مغضب.

---

(١) **حسّان**: هو حسّان بن ثابت الأنصاري، من شعراء المدينة وواحد من مخضرمي الجاهلية والإسلام، لقب بشاعر النبيّ.

(٢) **الرزانة**: الوقار. (٣) **رضوى**: جبل بمكّة.

(٤) **الجناية**: الذنب والخطيئة.

(٥) **الخلّ**: الصاحب، الخليل ـ **يقول**: إنّ مسامحة الجاني دعوة إلى ندامته.

(٦) **القرآن الكريم**: آل عمران/ ١٣٤.

● **ما يسكّن به الغضب**

قيل: من غضب قائماً فقعد سكن غضبه وإن كان قاعداً فاضطجع سكن والعجم **تقول**: من غضب فليستلق.

قال أبو بكر بن عبد الله: أطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم، **وقيل**: أذكر قدرة الله إذا غَضِبْتَ. **قال الله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[1] **فقيل**: الطيف من الشيطان حرُّ الغضب.

● **من أُغْضِبَ من الكِبار فصبر**

قامَ رجل إلى **عمر بن عبد العزيز** فَكَلَّمَهُ بكلام أغضبه، **فقال**: أردْتَ أن يستفزّني الشيطان، فإياك ومعاودة مثله، عافاك الله.

أمر محمد بن سليمان برجل أن يُطْرَحَ من القصر كان قد غضب عليه، **فقال الرجل**: اتقِ الله. **فقال**: خلوا سبيله فإني كرهت أن أكون من الذين **قال الله تعالى** فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾[2]

● **ذمُّ الغضب**

قيل لحكيم: أيُ الأحمال اثقلُ؟ **فقال**: الغضب. وروى أن **إبليس** لعنه الله. **قال**: مهما أعجزني ابن آدم فلن يعجزني إذا غضب لأنه ينقادُ لي فيما أبتغيه ويعملُ ما أريده وأرتضيه.

وقيل لأبي عباد: أيما أبعد من الرشاد السكران أم الغضبان؟ **فقال**: الغضبان: لا يعذر أحد في طلاق ولا مأثم يجترمه وما أكثر ما يعذر السكران. وسُئِلَ **ابنُ عباس** رضي الله عنه عن الغضب والحزن أيّهما أشدُّ؟ **فقال**: مخرجهما واحد واللفظ مختلف فمن نازع من يقوى عليه أظهره غضباً ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه حزناً، ومن هنا أخذ **المتنبي قوله**:

وحزنُ كلّ أخي حُزْنٍ أخُو الغَضَب

● **من غضب في غير مغضب**

قال بعض الحكماء: إذا كانت الموجدة[3] من علّة كان الرضا مفقوداً. **وقيل**: مَنْ غضب من غير ذنب رضي من غير عذر. **وقيل**: مَنْ فاته الدين والمروءة فرأس ماله الغضبُ.

● **عذرُ من كانَ منه غضب**

قال الشافعي[4] رضي الله عنه: مَنْ استغضب ولم يغضبْ فهو حمار، وَمَنِ اسْتُرْضِي

---

(١) **القرآن الكريم**: الأعراف/ ٢٠٠. (٢) **القرآن الكريم**: البقرة/ ٢٠٦.

(٣) **الموجدة**: الحقد والغيظ.

(٤) **الشافعي**: محمّد بن إدريس (١٥٠ - ٢٠٤ هـ/ ٧٦٧ - ٨٢٠م) إمام مؤسس أحد المذاهب السنية الأربعة. وُلد في غزة وتوفي في مصر أشهر كتبه «**الأم**» في الفروع و «**المسند**» في الحديث و «**السنن والرسالة**» في الأصول.

ولم يرضَ فهو جبار، **وقيل**: من لم يغضب من الجفوة لم يشكر أخا النعمة. **وقيل**: فلان يملك حالتيه أي غضبه ورضاه.

● **الحثّ على ترك الغضب المؤدّي إلى الاعتذار**

قال حكيم: إياك وعزة الغضب فإنها تصير[1] بك إلى ذلّ الاعتذار.

قال الشاعر:

ولا تحكم منْ بعضِ الأمور تعزّزاً   فقد يورثُ الذلَّ الطويلَ تَعَزُّزُ

وقال آخر:

وَلُرُبّ مُمْتَعِضٍ هو المُتَذَلِّلُ[2]

وقال آخر:

متى تردِ الشِفَاءَ لكل غَيْظٍ   تَكُنْ مما يُغِيظُك في إزدِيادِ

● **سرعةُ الغضبِ وبطؤه**

قيل: أسرعُ الناس رضا أسرعُهُمْ غضباً، كالحطب أسرعهُ خُمُوْداً أسرَعُهُ وقوداً. وكان بعض الناس **يقول**: أعوذُ بك من غَضَبِ مَنْ لا يكاد يَغْضَبُ، وأعوذ بك من غضب امرأة قادرة وذي قوة قاهرة.

● **الحثُّ على ملأمةِ النّاس**

قال أبو العتاهية[3]:

ساهلِ النّاسَ إذا ما غضبوا   وإذا عَزَّ أخوك فَهُنِ

قال محمود الورّاق:

دارِ الصديقَ إذا استشاط تغضّبا   فالغيظ يُخْرِجُ كامنَ الأحقادِ[4]

ولربّما كان التغضّبُ باحثاً   لِمَثالبِ الآباءِ والآجدادِ

● **النّهي عن مراجعة السفيه ومدح فاعل ذلك**

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾[5] قال الشاعر

لا تُرجِعَنَّ إلى السّفيهِ خطابَهُ   إلا جوّابَ تحيّةٍ حيّاكها

فمتى تحرّكُهُ تحرّكُ جيفةً   تزدادُ نتْناً ما أرَدْت حِرَاكَها

---

(١) **تصير بك**: تؤدي بك، توصلك.

(٢) **الممتعض**: الساخط غير الراضي، من الامتعاض وهو عدم الرضى.

(٣) **أبو العتاهية**: إسماعيل بن القاسم (٧٤٨ ـ ٨٢٥) شاعر مكثر سهل الأسلوب. نشأ في الكوفة وكُنِيَ بأبي العتاهية نسبة إلى المجون والتعته. أغلب شعره في الزهد مع حرصه الشديد على المال.

(٤) **كامن الأحقاد**: ما كان خفياً ومستتراً فيها.   (٥) **القرآن الكريم**: الفرقان/ ٦٣.

وقال رجل للأحنف: إن قلت واحدة لتسمعن عشراً. **فقال:** أنت إن قلت عشراً لم تسمع واحدة. وألحّ رجل على الأحنف بالشتم فلما فرغ **قال:** هل لك في الغذاء فإنك مذ اليوم تحدو بأحمال ثقال، وشتم سفيه حكيماً وهو ساكت **فقال:** إياك أعني. **فقال:** وعنك أغضي. **قال:**

وبعضُ انتقامِ المرءِ يُزْدِي بعقْلِهِ وإنْ لمْ يقعْ إلا بأهلِ الجَرَائِمِ

وقيل لبعضهم وقد كان من صاحب له ذنب إليه: هلاّ جازيت **فقال:**

الصَقْرُ يحقَرُ عن طِرَادِ الدُّخّلِ(١)

قال شاعر:

شاتمني عبدُ بني مسمعٍ فصُنْتُ عنه النفْسَ والعِرْضَا
ولم أُجِبْهُ لاحتِقاري لَهُ من ذا يَعَضُّ الكلْبَ إن عضَّا

ولهذا باب في موضع آخر.

● **الحثُّ على التصامُم عنِ القبيح والتمدّح بذلك**

قال المهلب(٢): إذا سمع أحدُكُمُ العوراءَ فليطأطِىءْ لها تتخطّاهُ، وأسمع رجلٌ آخرُ وهو ساكت **فقال:** إني وإياك كما **قال زهير:**

وذي خطَلٍ في القولِ يَحسَبُ أنه مُصِيبٌ فما يُلْمَمْ به فهو قائِلُهْ

وقال حاتم:

وكلمةِ حاسدٍ مِنْ غيرِ جُرْمٍ سمعْتُ فقلْتُ مُرّي فانفذِيني
عَنيتُ بها كأنْ قيلت لغَيري ولم يَعْرَقْ لها يوماً جبيني(٣)

قال السموأل اليهودي(٤):

رُبَّ شَتْمٍ سمعْتُ فتصامَمْتُ وعِيٍّ تركتُه فكُفيتُ

قال البحتري:

وأحبِسُ عن تعريض عِرْضي لجاهلٍ وإن كُنتُ في الإقدامِ أَطْعنُ في الصَّفِ(٥)

---

(١) **الدُّخَّل:** طائر صغير.

(٢) **المهلّب بن أبي صفرة:** (ت ٨٣ هـ/ ٧٠٢م) أمير البصرة حارب الخوارج وتولى خراسان لعبد الملك بن مروان.

(٣) **وفي رواية:** وعابوها عليّ فكم تعيني.

(٤) **السموأل اليهودي** ابن عادياء (ت نحو ٥٦٠). شاعر جاهلي يهوديّ صاحب الحصن المعروف بالأبلق. يُضرب به المثل في الوفاء لأنه ضحّى بابنه في سبيل الحفاظ على وديعةٍ لامرىء القيس. له قصيدة مشهورة مطلعها:

إذا المرءُ لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميلُ

(٥) يزهو بإقدامه وجرأته، ولكنّه يحرص على أن يتجنّب التهور ويتحاشى تعريض شرفه لجاهل، صوناً له ومحافظة عليه.

● **الحثُّ على الرحْمة ومدحُ ذويها**

قال النبي ﷺ: إرحم من في الأرض يرحمك من في السماء **وقال ﷺ**: من لا يرحم الناس لا يرحمه الله، **وقال عليه الصلاة والسلام**: لا تَنْزع الرَحمة إلاّ من قلب شقيّ. **وقال**: من كرم أصله لأنَ قلبه **وقيل**: مِنْ أمارات الكرم الرحمَةُ ومن أما‌رات اللؤم القسوةُ.

● **الحثُّ على العفو مطلقاً**

قال الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[1] **وقال تعالى**: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2] **وقال تعالى**: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[3] وأدب نبيه ﷺ **فقال**: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[4] فلما علم أن قد قبل أدبه. **قال**: وإنك لعلى خلق عظيم. **وقال الأحنف**: إياكم وحمية الأوغاد. قيل وما حميتهم؟ **قال**: يرون العفو مَغرَماً والبخل مَغْنَماً، **وقيل لبعضهم**: هل لك في الإنصاف أو ما هو خير من الإنصاف؟ **قال**: وأيُّ شيء خيرٌ من الإنصاف؟ **قال**: العفو فالانصاف ثقيل، وسئل الجنيد رحمه الله عن الفتوة **فقال**: العفو بدلالة قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾[5]، **وقيل**: العفو عن المذنب زكاة النفس. **قيل**: منْ كَرَمِ الأخلاق أن تغفر الذنب من شكر الموهوب العفو عن الذنوب الاحتمال قبر العيوب. **قال البحتري**:

إذا أنتَ لم تُضرِبْ عن الحِقْدِ لم تَفُزْ   بشكرٍ ولم تسْعَدْ بتقريظِ مادحِ[6]

● **استطابةُ العفوِ ولذّته**

قيل: لذةُ العفو أطيبُ من لذة التشفيّ[7] لأن لذّة العفو يتبعها حَمْدُ العاقبة، ولذة التشفي يتبعها غمُّ الندامة، **وقيل للإسكندر**: أيُّ شيء أنت به أسر مما ملكت؟ **قال**: مكافأة مَنْ أحسن إليّ بأكثرَ مِنْ إحسانه وعفوي عمّن أساء بعد قدرتي عليه.

● **ما يُستحسن في الكبار من الحلم وما يستَقبَح**

قال معاوية رضي الله عنه وقد أغلظ له رجل: إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يَحُولُوا بيننا وبين السلطان، **وقال المأمون** الحلم يحسن بالملوك إلا في ثلاثة: قادح في ملك ومتعرّض لحرمة ومذيعٍ لسر. **وقال السفّاح**: الحلم يحسن إلا ما أوضع الدينَ وأوهنَ السلطانَ.

● **الحثّ على درءِ الحَدّ**

قال النبي ﷺ: ادرؤا الحدود بالشبهات، **وقال عمر رضي الله عنه**: لأنْ يُخطىءُ الإمامُ

---

(١) **القرآن الكريم**: النور/ ٢٢.

(٢) **القرآن الكريم**: البقرة/ ٢٣٧.

(٣) **القرآن الكريم**: البقرة/ ١٠٩.

(٤) **القرآن الكريم**: الأعراف/ ١٩٩.

(٥) **القرآن الكريم**: النور/ ٢٢.

(٦) **التقريظ**: الإطراء والمدح.

(٧) **التشفي**: شفاء الغليل، الانتقام.

في العفو خَيرٌ له من أن يُخطِىء في العقوبة. **قال إبراهيم النخعي**: لئن أَعُطِّلَ مائة حدٍ قد ثبتت أحبُ إليّ من أن أقيم حداً قد ثبت.

● حث القادر على العفو

قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: إذا قدرتَ على العدوّ فاجعلِ العفو شُكْرَ قدرتك.

ظفر الإسكندر ببعض الملوك **فقال** له: ما أصنع بك؟ **قال**: ما يجمل بالكرام أن يصنعوه إذا ظفروا، فخلّى سبيله ورده إلى مملكته. ولما ظفر أنوشروان ببزرجمهر[١] **قال**: الحمد لله الذي أظفرني بك **فقال**: كافىءْ مَنْ أعطاك ما تحب بما يحب.

قالت عائشة رضي الله عنها: إذا ملكت فاسجح[٢] **وقيل**: المقدرة تذهب الحفيظة، **وقيل** ليوسف[٣] عليه السلام: بعفوك عن إخوتك عند قدرتك رُفِعَ قَدْرُكَ.

● ذمّ المتشفي من الغَيْظ

قال معاوية رضي الله عنه: العقوبة الأم حالات ذي القدرة. **وقال** حكيم: من شفى غيظه لم يجب شكره. **وقال**: التشفي طرفٌ مِنَ الجَزَع فمن رَضِيَ أن لا يكون بينه وبين الظالم إلاّ سترٌ رقيقٌ وحجابٌ ضعيفٌ فلينتصف، **وقال شاعر**:

متى تَرِدِ الشِفَاءَ لكلّ غيظ ... تكُنْ ممّا يغيظُك في ازديادِ
متى لم تتسِعْ أخلاقُ قومٍ ... يَضِيقُ بها الفسيحُ مِنَ البِلادِ

● مدحُ من صفحَ عن قُدْرة

قال شاعر

وأعظَمُ النّاسِ أحلاماً إذا قدروا

وقيل: عفو العزيز أعزُّ له وعفو الذليل أذلُّ له **وقال آخر**

ما أحسنَ العفوَ مِنَ القَادِرِ ... لا سِيَّما عن غيرِ ذي ناصرِ

قال أشجع:

يعفو عن الذنْبِ العظيم وليسَ يَعْجِزهُ انتصارُهْ
صفْحاً عن الباغي عليْه وقد أحاطَ بِهِ اقْتِدارُهْ[٤]

---

(١) **بزرجمهر**: وزير كسرى الملك الذي قتله لوشاية أتته.

(٢) **فاسجح**: سجح: سهل ولان.

(٣) **يوسف**: (القرن ١٣ ق.م) ابن يعقوب وراحيل. باعه إخوته حَسَداً إلى تجّار إسماعيليين، توزّر لفرعون مصر

(٤) **الاقتدار**: القدرة.

قال المتنبي:

فـتـى لا تـسـلـبُ الـقـتـلـى يـداه ... ويـسلُبُ عفـوُهُ الأَسْرى الـوِثَـاقـا[1]

- **الممدوحُ بأنه إن شاء صفَح وإن شاء انتقم**

قال الأعشى:

يـقـومُ عـلـى الـرغـم فـي قَـوْمِـهِ ... فَـيَـعْـفُـو إذا شـاءَ أَوْ يَـنْـتَـقِـمْ

وقال كثير:

حـليـمٌ إذا مـا نَـالَ عَـاقَـبَ مُـجْـمِـلا ... أشـدّ الـعِـقـابِ أو عـفَـا لَـمْ يُـثَـرِّبِ[2]

قال علي بن الجهم[3]:

يُـعَـاقِـبُ تـأديـبـاً ويـعـفـو تـطَـوّلاً ... ويُجْزِي على الحُسْنى ويُعْطي فيُجْزِلُ

وقال آخر:

تـسْطو بعَدْلٍ وتعْفو إنْ عفَوْتَ بِهِ ... فـلا عَـدِمْـنـاك مـن عـافٍ ومُـنْـتَـقِـمِ

- **الحثُّ على إقالةِ من سلم ظاهره**

قيل: لا تعتد بما لم تسمعه أذناك فإن السيد إذا حضر هِيْبَ وإذا غاب اغتِيْبَ. **وقال بعض الملوك**: إنما نملك الأجساد دون النيات ونحكم بالعدل لا بالهوى ونفحص عن الأعمال لا عن السرائر[4] **قال البحتري**:

إذا عـدوُّك لـمْ يُـظْـهِـرْ عـدَاوَتَـهُ ... فـمـا يـضـرُّكَ إنْ عـاداك إسْـرَارا[5]

وقال آخر:

إذا دحَسُوا بالكره فاعف تكرّماً ... وإن حَبَسوا عنك الحديثَ فلا تسلِ[6]

فـإنّ الـذي يُـؤْذيـك مـنـه اسـتـمـاعُـه ... وإن الـذي قـالـوا وراءَك لـم يُـقَـلِ

- **العفوُ عمّن سلم باطنهُ**

قد يهفو[7] المرء ونيته سليمة ويزلّ[8] وطريقته مستقيمه، **قال إبراهيم بن المهدي**:

---

(١) **الوثاق**: القيد. (٢) **لم يثرب**: لم يلم.

(٣) **علي بن الجهم**: (ت ٨٦٣) شاعر بغداديّ كان معاصراً لأبي تمّام. غضب عليه المتوكّل فنفاه إلى خراسان. ثم انتقل إلى حلب فقتله فرسان من بني كلب. يتميّز شعره بالرقّة.

(٤) **السرائر**: جمع سريرة، السّر الذي يُكتم.

(٥) **يحذّر البحتري من العدوّ الذي يخفي عداوته ويتظاهر بالودّ.**

(٦) **دحسوا**: أفسدوا، ودحس بالشرّ: دسّه من حيث لا يُعلم.

(٧) **يهفو**: يخطىء. (٨) **يزلّ**: يسقط.

ما إن عصيتك والغواة تمدّني   أسبابُها إلا بنيّةِ طائعِ

قال ابن طباطبا:

أرى زلّتي كفراً فهل لي توبةٌ   وكم كافرٍ بالله راجٍ لغفرانِهْ
فإن كُنتُ في الكفرِ الذي جئتُ مُكرَهاً   فما زالَ قلبي مطمئناً بإيمانِهْ[١]

قال الفرزدق:

فلستُ بمأخوذٍ بلغوٍ تقولُهُ   إذا لم تَعَمّدْ عاقِداتُ العَزائِمِ

● ذمُّ من لا يقيل العثرة

قال النبي ﷺ: ألا أخبركم بشراركم من أكل وحده وضرب عبده ومنع رفده. ألا أخبركم بشر من ذلكم من لا يقبل معذرة ولا يقيل عثرة. **قال شاعر:**

موقَّحُ الوجهِ قليلُ الصَّفحِ   كلامُه مثلُ عصى الطَّلحِ[٢]

أي معوج.

● عتبُ من يحفظُ الذنْبَ بعد تقادمه

قال البحتري:

تناسَ ذنوبَ قومِك إنّ حفظَ الذْ   ذُنوبِ إذا قدِمْنَ من الذّنوبِ

وقيل: الآثام تدرسها الأيام.

● وجوبُ العفوِ عنِ المعترف

الاعتراف يزول به الاقتراف[٣] لا عتب مع إقرار ولا ذنب مع استغفار. المعترف بالجريرة مستحق للغفيرة، **قال محمد بن جابر:**

إذا ما امرُؤ من ذنْبِهِ جاءَ تائِباً   إليكَ فلم تَغْفِرْ له فَلَكَ الذّنبُ

وقيل: التوبةُ تغسل الحوبةَ.

● الحثُّ على العفو بعد الإقرار

قال عمرو بن كلثوم لصديق له أنكر ذنباً: إمّا أن تُقِرَّ بذنبك فيكون إقرارك حُجّةً لنا في العفو وإلاّ فطِبْ نفساً بالانتصار منك. فإن الشاعر **يقول:**

---

(١) **مكرها:** اسم مفعول من أكره على الأمر أي فعله مرغماً.

(٢) **الطلح:** شجر من فصيلة العضاه الواحدة طلحة، الطّلح أيضاً المهزول، يقال بعير طلح جمع أطلاح وطِلاح.

(٣) **الاقتراف:** مصدر اقترف الذّنب أي فعله وارتكبه.

أقرّ بذنبك ثم اطلب تجاوزنا عنه فإنّ جُحُوْد الذنبِ ذَنْبَانِ[١]

قيل: يجب للحازم أن لا يتقدّم غفرانُهُ تعريفَ الجاني ما جنى لئلا ينسب عفوه إلى الغفلة وكلال حدّ الفطنة.

- **سوءُ الاعتذار دليلٌ على الإصرار**

قال:

لا تَرْجِع رجْعَةَ مذْنِبِ خلط احتِجَاجاً باعْتِذارِ

وقال آخر:

فلا أنتَ أعْتَبْتَ في زلّةٍ ولا أنْتَ أغْلَيْتَ في المعْذِرَة[٢]

- **حسنُ العفو عن المصرّ**

سمع حكيم رجلاً **يقول**: ذنب الإسرار أولى بالاغتفار. **فقال**: صدق الله ليس فضل من عفا عن السهو القليل، كمن عفا عن العمد الجليل.

- **مستعفٍ مقرٌّ بالذنب**

قال ابن المعتز[٣] في كلام له: تجاوزْ عن مذنبٍ لم يسلك بالإقرار طريقاً حتى اتخذ من رجائك رفيقاً، **وقال الفضل بن مروان** لرجل عاتبه: بلغني أنك تبغضني فلم ينكر الرجل، **وقال**: أنت كما **قال** الشاعر:

فإنك كالدّنيا نذمُ صروفَها ونوسِعُها ذمّاً ونحنُ عَبيدُها[٤]

قال أبو فراس:

إن لم تُجَافِ عن الذنو ب وَجَدْتَهَا فِينا كثيرَة

لكن عادتك الجميلة أن تغض على الجريرة[٥] أتى **المنصور** برجل أذنب **فقال**: إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان فإن أخذت في غيري بالعدل فخذ فيّ بالإحسان، فعفا عنه. **قال شاعر:**

إنّ للاعتذارِ حَظّاً من العفـ ـو يراه المُقِرُ بالإنصافِ

---

(١) **الجحود**: الإنكار والحقوق ـ **يقول**: إنّ عدم الاعتراف بالذنب يجعله مضاعفاً، ولكن الإقرار به يمحوه حتى **قيل**: من أقرّ بذنبه كمنْ لا ذنب له.

(٢) **أغليت في المعذرة**: بالغت.

(٣) **ابن المعتز**: أبو العبّاس عبد الله (٨٦١ ـ ٩٠٨) أمير عبّاسي. شاعر وأديب ولي الخلافة يوماً وبعض يوم بعد خلع المقتدر ولقّب بالمرتضي بالله. مات خنقاً. له «طبقات الشعراء» وكتاب «البديع». اشتهر بوصفه المبتكر ووافر علمه وسلامة ذوقه ونقده.

(٤) **صروف الدنيا**: مصائبها ونوائبها. (٥) **الجريرة**: الذنب والجناية.

ولعَمْري لقَد أجلّكَ من جا ... ءِ مُقِرّاً بذلّةِ الإعتراف

قال الرفّاء:

فإن تَعْفُ عنّي تَعْفُ عنْ غيرِ جاحدٍ ... لما كان والإقرارُ بالذنبِ أرْوَحُ

وقال آخر:

صفحاً فلو شُقَّ قلبي عن صفيحته ... لظَلَّ يُقرأُ منه الخوفُ والنَدَمُ

وقال آخر:

فلستُ بأوّل عبدٍ هَفَا ... ولستَ بأوّلِ مولى عَفَا[1]

● **استعفاءٌ من خلط إقراراً بإنكار**

ما أعرف تقصيراً فابلغ ولا ذنباً فاعتب ولكني أقول:

هبْني أسأتُ كما زَعَمْـ ... ـتَ فأينَ عاقبةُ الأخوّهْ

وإذا أسأتَ كما أسأ ... تُ فأينَ فضلُكَ والمروّهْ[2]

قال ابن نوقة:

وهبني ـ وما أجرَمْتُ ـ أجْرَمْتُ. كلّ ما ... أتاك به الواشي فَجُدْ باحتِمَالهْ

وقال ابن باذان:

لئِنْ أسأتُ فأينَ إحسانُك ... وإن أفرَطْتُ فأينَ افضَالُك؟

وقال آخر:

أقررتُ بالجُرم على أنّني ... لسْتُ بمُخْلِيكَ من العَرْبَدَهْ

وقال الشعبي لابن بسرة، وقد كلمه في قوم حبسهم: إنْ حبستهم بالباطل فالحقُّ يُخرِجهُمْ وإن حبستهم بحق، فالعفو يسعهُمْ. فأمر بإطلاقهم.

● **معتذرٌ مع إنكار**

قال رجل لمعن: ما على المذنب أكثر من الرجوع فهلْ على مَنْ لم يُذنب أكثرُ من الاعتذار.

قال ولما حبسَ الرشيد عبد الملك بن صالح قال: إنّ الملك شيء ما نَوَيْتُهُ ولا تمنّيتُهُ ولو أردْتُهُ لكان أسرعَ من السيل إلى الحدور والنار إلى يبس العرفج[3] ولكن لما رآني بالملك قميناً[4] وإن لم أترشح له في سرّ ولا جهر وراه يحنُّ إلى حنين الأم الوالهة

---

(١) هفا: ارتكب هفوة، أخطأ.

(٢) يدعو الشاعر إلى تجاوز إساءة المسيء بباعث الفضل والمروءة.

(٣) العرفج: نبات سهليّ.

(٤) قميناً: جديراً، والقمين السريع، وأتون الحمام، جمع قمناء وقمينون، والمؤنث قمينة جمع قمائن وقمينات، من تقمّن الشيء إذا أشرف على أن يأخذه. يقال موطن قمِن أي جدير أن تسكنه.

إلى ولدها عاقبني عقابَ مَنْ سهر في طلبه فإن حبسْتَني على أني أصلحُ له ويصلحُ لي فليس ذلك ذنباً فأتوب منه، **وقال الرشيد لرجل يُرمى بالزندقة**: لأضربنّكَ حتى تقرَّ بالذنب، **فقال** هذا خلافُ ما أَمَرَ الله تعالى به، لأنّه أمر أن يضرب الناس حتى يقروّا بالإيمان وأنت تضربني حتى أقرّ بالكفر فخجل وعفا عنه. **قال التنوخي**:

إن كـانَ إقـراري بـمَـا لـم أجْـنِـهِ   يُـرْضِـيـك عـنّـي قـلْـت إنّـي ظَـالـمُ

● **معتذِرٌ بتكذيبِ نفسه**

خرج النعمان[1] متنكراً فمرّ برجل **فقال** له: أتعرف النعمان؟ **قال** أليس ابن سلمى؟ **قال**: نعم. **قال**: طالما أمررت يدي على فرجها. فلحقته خيلُه **فقال**: كيف؟ **قلت**: قال أبيت اللعن والله ما رأيت شيخاً أكذب ولا ألأم ولا أوضع ولا أعض لبظر أمه منّي. **فضحك** وخلاّه فأنشد اليشكري:

تعفو الملوكُ عنِ العَظيمِ منَ الذّنوبِ لفَضْلها   ولقد تُعَاقِبُ في اليسير وليْس ذاكَ لِجَهْلِهَا

لـكـنْ لـيُـعْـرَفَ فـضـلُـهـا   ويُـخـافَ شـدّةُ نُـكْـلِـهـا

انقطع **عبد الملك** عن أصحابه فانتهى إلى إعرابي **فقال**: أتعرف عبد الملك؟ **قال**: نعم جائر بائر[2] **قال**: ويحك أنا عبد الملك **قال**: لا حيّاك الله ولا بيّاك ولا قربك. أكلْتَ مال الله وضيّعْتَ حرمته. **قال**: ويحك أنا أضرّ وأنفع. **قال**: لا رزقني الله نفعك ولا دفع عنّي ضرك فلما وصلت خيله علم صدقه، **فقال**: يا أمير المؤمنين اكتم ما جرى فالمجالس بالأمانة.

● **مستغفٍ سألَ أن ينخدعَ له**

قال ابن الرومي:

فـسـامِـحْ وَلِـيّـكَ إنّ الـكـريـ   ـم قـد يَـتَـخـادَعُ لـلـخـادِعِ

وقال:

ومـا بِـكَ مِـنْ غَـفْـلَـةٍ إنّـمـا   لِـفَـرْطِ الـحَـيـاءِ وفَـرْطِ الـكَـرَمْ

وكان **جعفر بن سليمان** عثر برجل سرق درة فباعها؟ فلما بصر بالرجل استحيا **فقال** له: ألم تكن طلبت هذه الدرة مني فوهبتها؟ **فقال الرجل**: نعم فخلّى سبيله. وبلغني أنّ ركن **الدولة** كان يوماً في الدار بحيث لا يرى فدخل فراش فرأى طاساً من ذهب ولم يكن بقربه أحد، فتناوله وخرج، فرآه ركن الدولة ولم يعلم به فلما استقصى عليه الخدم **قال**: دعوه فإن من أخذه لم يأخذه على أن يرده ورائيه لا يريد

---

(١) **النعمان**: هو النعمان بن المنذر من ملوك الحيرة.

(٢) **بائر**: اسم فاعل منبأر بأراً وابتأر حفر، وابأر حفر بئراً.

أن يذكر. فبعد ذلك كان الفراش يصبّ ماءً على يديه وعليه ثيابٌ فاخرة **فقال ركن الدولة**: هذه الثياب من ذلك الطاس، وكان الفراش جلداً **فقال** نعم أيها الأمير وغير ذلك من أثر النعم، فعفا عنه.

● **الحثُّ على استبقاء نعمة بإقالةِ عثرة**

قال ابن الرومي:

لا تُطَيِّرْ وسناً عن مقلةٍ ... أنتَ أهديتَ لها حُلْوَ الوَسَنْ[1]

قال ابن نوقة:

أترضى بإلزام الدنيئةِ خادِماً ... رجا في ذُرَاكُمْ أن يَنَالَ المَعَالِيَا[2]

وقال روح بن ذنباع[3]: لا تشمتنّ بي عدواً أنت رقمته ولا تسوءنّ بي صديقاً أنت سررته ولا تَهْدِمنّ رُكْناً أنت بَنَيْتَهُ.

● **استعفاءُ من زعم أن ذنبَه كان خَطأً أو نسياناً**

قال النبي ﷺ: رفع عن أمتي الخطأ والنسيان. وقال غلام هاشميّ أراد عمّه أن يجازيه بسهوٍ منه: يا عم إني قد أسأت وليس معي عقلي فلا تسىء ومعك عقلك. **قال أبو تمّام**:

فإن يكُ سخْطُ عمّ أو تكُ هفوةٌ ... على خطإٍ مني فعذري على عَمْدِ[4]

قال عليّ بن الجهم:

ألم ترَ عبداً عدَا طورَه ... ومولى عفَا ورشيداً اهدَى
ومُفسِدَ أمرٍ تلافيتَه ... فعادَ وأصلحَ ما أفسَدا

قال المتنبي:

وعينُ المخطِئين همُ وليسُوا ... بأوّلِ معْشَرٍ خَطِئُوا فتَابُوا
وما جهلَتْ أيادِيكَ البَوادي ... ولكنْ ربّما خَفِيَ الصّوابُ

● **المتمدّحُ بذلك**

اعتذر رجل إلى **المنتصر فقال**: أتراني أتجاوز بك حُكْمَ الله حيث **يقول**: ﴿لَيْسَ

---

(١) **الوسن**: من الأضداد تعني ثقل النوم والاستيقاظ، والمراد هنا من وسن يوسن وسناً وسنة أي اشتد نعاسه - **المقلة**: العين.

(٢) **الدنيئة**: الأمر الدنيء الذي يكشف عن الخساسة - **يقول**: هل ترضى بأن تدفع خادمك إلى الدنايا وهو يرجو عندك تحقيق الأعمال السامية.

(٣) **روح بن زنباع**: من أعوان عبد الملك، كان قائد شرطته، وكان الحجّاج أول أمره نفراً في شرطة روح، ثم علا شأنه.

(٤) **يقول**: لئن كانت هفوة بدرت مني على خطأ فإنّ عذري على عمد وتصميم.

عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ[1] فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا﴾[2]

قال الحسن بن وهب:

وعندي إغضاءٌ وعفوٌ عنِ الذي ... يزلّ إذا ما لمْ يكُن ذاكَ عنْ عَمْدِ

● مُستَعفٍ سأل أن يقوّم ويؤدّب

قال أحمد بن أبي فنن:

أحينَ كَثُرَتْ حُسّادي وسَاءَهُم ... جميلُ فِعْلِكِ بي أشمتٌ حُسّادي

فإن تكن هفوةٌ أو زلةٌ سَلَفَتْ ... فأنتَ أولى بتقويمي وإرشادي[3]

● مُستَعفٍ سأل العفو لفرط خوفه

قال علي بن الجهم:

فَعَفْوُكَ عن مُذْنِبٍ خاضِعٍ ... قَرَنْتَ المُقِيمَ به المُقْعَدَا

إذا ادرعَ الليلَ أفضى به ... إلى الصّبحِ من قبلِ أن يَرْقُدا[4]

● مستعفٍ اتكل على سالفِ حرمته

قال هاشمي للمأمون: مَنْ حصل له مثل دالتي، ولبس ثوب حرمتي، ومت بمثل قرابتي، واسلف مثل مودّتي، أقيل له أعظم من عثرتي، وغفر له فوق زلّتي، فقال: صدقت وعفا عنه. قال شاعر:

أيَذْهَبُ يومٌ واحدٌ إنْ أساتُه ... بصالحِ أيّامي وحُسْنِ بَلائِيا[5]

وكفى بالحثّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾[6]

● الاستعفاء لمذنب من قومٍ محسنين

قال إبراهيم الصولي:

أساءُوا وفيهم محسنونَ فإنْ تهَبْ ... لمُحْسِنِهِم أهلَ الإساءة يصْلُحوا

---

(١) الجناح: الإثم، والجناح في غير هذا السياق الطائفة من الشيء.

(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ١٩٨، الأحزاب/ ٥.

(٣) أولى بتقويمي: أجدر والتقويم: إصلاح الاعوجاج وتلافي الزلل والانحراف.

(٤) ادرع الليل: اتخذه درعاً ووقاية من العيون والأعداء.

(٥) بلائيا: البلاء الإختبار يكون بالخير والشرّ ـ يقول: هل تذهب إساءة يومٍ بأيام صالحة وأعمال حسنة.

(٦) القرآن الكريم: النساء/ ٣٠.

• متوصل إلى العفو بمراجعة أو حجة

غضب عبد الملك على رجل فلما أتى به. **قال**: السلام عليك يا أمير المؤمنين **فقال**: لا سلم الله عليك. **فقال**: ما هكذا أمر الله تعالى إنما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[١] وقال: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾[٢] فعفا عنه. وكان عمر رضي الله عنه يعس ليلة فسمع غناء رجل من بيت فتسوّر عليه فرآه مع امرأة يشربان الخمر. **فقال**: يا عدوّ الله أرأيت أن يسترك الله وأنت على معصية، **فقال**: يا أمير المؤمنين لا تعجل إن كنت عصيت الله في واحدة فقد عصيت في ثلاث قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[٣] وقد تجسست وقال: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[٤] وقد تسوّرتَ عليّ وقال: و﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾[٥] وقد دخلت بغير سلام. **فقال** عمر رضي الله عنه: أسأت فهل تعفو؟ **فقال**: نعم وعليّ أن لا أعود.

• من توصّل إلى العفو بذمّ نفسه

كان **جعفر بن أمية** خرج مع **مصعب**[٦] **بن الزبير** وكان صديقاً **لعبد الملك**، فلما أتى به بعد قتل مصعب **قال** عبد الملك: لا أنعم الله بك، خرجت مع مصعب؟ **قال**: نعم **قال**: ونعم أيضاً فلا أنعم الله بك. **قال**: إني أعرف نفسي بالشؤم فاردت أن أصيب مصعباً بشؤمي، فضحك وخلاّه.

وأتى الحجّاج برجل من أصحاب ابن الأشعث[٧] **فقال له**: أفيك خير إنْ عفوت عنك؟ **فقال**: لا **قال**: ولمه؟ **قال**: لأني كنت خاملاً فرفعتني وألحقتني بالناس فخرجت مع **ابن الأشعث** لا لدين ولا لدنيا ومعي الحماقة التي لا تفارقني أبداً ولا أفلح معها سرمداً. فضحك منه وخلّى سبيله.

• منْ توصّلَ إلى العفو بحِيلة

أتى **معن بن زائدة**[٨] بأسرى فأمر بضرب أعناقهم، فقام غلام منهم **فقال**: أنشدك الله

---

(١) **القرآن الكريم**: النساء/ ٨٥.
(٢) **القرآن الكريم**: الأنعام/ ٥٤.
(٣) **القرآن الكريم**: الحجرات/ ١٢.
(٤) **القرآن الكريم**: البقرة/ ١٨٩
(٥) **القرآن الكريم**: النور/ ٢٧.
(٦) **مصعب بن الزبير**: (٣٦ ـ ٧١ هـ/ ٦٤٧ ـ ٦٩٠م) أخو عبد الله بن الزبير ونائبه في العراق. قاوم الخوارج وقضى على المختار الثقفي قتله عبد الملك بن مروان في مصر.
(٧) **ابن الأشعث**: عبد الرحمن (ت ٨٥ هـ/ ٧٠٤م) قائد أمويّ ثار على الحجّاج وأبى الخضوع لأوامر الخليفة عبد الملك بن مروان. استولى على الكوفة. هزمه الحجّاج في معركة دير الجماجم وفيها قُتِل.
(٨) **معن بن زائدة**: هو أبو الوليد بن مطر كان يؤيد يزيد بن معاوية وبعد مقتل يزيد، توارى عن الأنظار مدّة ثم أيّد المنصور العبّاسي فعفا عنه وجعله والياً على خراسان.

أيها الأمير أن لا تقتلنا ونحن عطاش. **فقال**: اسقوهم، فلما شربوا **قال**: ناشدتك الله إن قتلت ضيفانك، **قال**: أحسنت فخلّى سبيلهم.

همّ الأزارقة[1] بقتل رجل **فقال**: أمهلوني لأركع فنزع ثوبه واتزر ولبّى وأظهر الإحرام، فخلّوا سبيله لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾[2]

ولما غشى أمير المؤمنين **علي** كرّم الله وجهه **عمرو بن العاص** طرح نفسه على الدابة وتلقاه بعورته. فأعرض عنه **وقال**: قبحك الله، ولما أتى **عمر** رضي الله عنه **بالهرمزان**[3] أراد قتله فاستسقى ماء فأتى بقدح فامسكه بيده فاضطرب **وقال**: لا تقتلني حتى أشرب هذا الماء، **فقال**: نعم، فألقى القدح من يده، فأمر عمر رضي الله عنه بأن يقتل **فقال**: أو لم تؤمني وقلت لا أقتلك حتى تشرب هذا الماء؟ **فقال** عمر: قاتله الله أخذ أماناً ولم نشعر به.

- **مستعفٍ ذكر فرْط خوفهِ من الوَعيد**

قال مروان[4] **بن أبي حفصة**

أبيتُ وجنْبي لا يُلائِمُ مضجعاً ... إذا ما اطْمَأنّت بالجنوبِ المَضَاجِعُ

قال سلم الخاسر:

لقد أتتْني منَ المهديّ معتَبَةٌ ... تظَلّ من خوفِها الأحْشاءُ تَضْطَرِبُ

قال أبو تمّام:

أتاني عائرُ الأنباء تسْري ... عقاربُهُ بداهيةٍ نَآدِ[5]

فيا خبراً كأنّ القلبَ أمسى ... يُجَرُّ به على شَوْكِ القتادِ[6]

قال البحتري:

عذيري من الأيام رقّقنَ مَشْرَبي ... وَلقِيْنَني نَحساً من الطير أشأمَا

وألبسْنَني سخطَ امرئٍ بِتُّ موهناً ... أرى سُخْطَهُ ليلاً مع الليلِ مُظلِمَا[7]

- **من هربَ خشيةَ العِتاب فاعتذَر لذلك**

قال شاعر:

لئِن أخفَى حذاري عنْك شخصي ... لما أرسلت من كفي خيلك

---

(١) **الأزارقة**: فرقة من الخوارج. (٢) **القرآن الكريم**: المائدة/ ٢.

(٣) **الهرمزان**: من أمراء الجيش الفارسي في معركة القادسية ١٦هـ (٦٣٧م).

(٤) **مروان بن أبي حفصة**: [(١٠٦ ـ ١٨٢)/ ٧٢٤ ـ ٧٩٨)] شاعر مخضرم. امتاز بلغة صافية. مدح المهدي والرشيد وله رثاء شهير في معن.

(٥) **عائر الأنباء**: هي التي يجهل ناقلها ـ **الداهية النداء**: الشديدة.

(٦) **ثنا الخبر**: انتشر وذاع ـ **القتاد**: شجر صلب له شوك كالإبر.

(٧) **موهناً**: وهناً، **والوهن من الليل**: نحو منتصفه أو بعد ساعة منه.

ولمْ أهرُبْ على ثقةٍ وعلمٍ بأنّي إن رمَيتَ أفوتُ نبلَكْ
ولكنّي هَرَبْتُ على يقينٍ بأنك مُعمِلٌ في الحُكْمِ فَضْلَكْ

- **المتوصّلُ إلى العفو بمغالطة القَوْل**

أتى مخرق بنساء، فطلبن أن يعفو عنهن فأبى، **فقالت** امرأة منهنّ: أطال الله سهادك وأخمد رمادك فما قتلت إلا نساء أعلاهن ندى وأسفلهن دماً، ما أدركت من قتلنا ثاراً ولا محوت عن نفسك به عاراً. فأمر بتخلية سبيلهن غيرها، **وقال**: إنّي لأخشى أن تَلِدَ مثلها. وأتى **الحجاج** بأسارى[1] **فقال** أحدهم: لا جزاك الله عن السنة خيراً، **قال**: كيف؟ **قال**: إنّ الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾[2] فإمّا منا بعد وإمّا فداء، فلا مننت ولا فاديت، **فقال** الحجاج: خلّوا سبيلهم. **وقالت** امرأة في جملة أسري: قبّحك الله فلئن أسأنا في الذنب فما أحسنت في العفو. **فقال**: أف لهذه الجيف أمّا كان فيهم مَنْ **يقول** مثل هذا. وأمر بتخلية من بقي منهم.

- **المتوصّلُ إلى العفو بتذكُر الله ومناشَدتِه**

غضب رجل على مولاه **فقال**: أسألك بالله إن علمت أني لأطوعُ لك منك لله فاغفُ عنّي، عفا الله عنك، فعفا عنه

وقال رجل لأمير غضب عليه: أسألك بالذي أنت أذلّ بين يديه غدا منّي بين يديك إلا ما عفوت عنّي، فعفا عنه. **وقال آخر لأمير يضربه**: اضرب بقدر ما تعلم أنك تجشمه[3] عند القصاص يوم الجزاء[4]، فعفا عنه.

- **من استعفى واستوهَب جميعاً**

جنى غلامٌ **للحسن بن علي** رضي الله عنهما فأمر بعقابه **فقال**: يا مولاي إن الله تعالى قد مدح قوماً فَكُنْ منهم، فإنه **يقول**: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾[5] **فقال**: خلوا سبيله **قال وقد قال**: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[6] قال: أنت حر لوجه الله ولك من المال كذا.

واستعفى رجل من **مصعب بن الزبير** فعفا عنه **فقال**: اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض، فأعطاه مائة ألف، **فقال** الرجل: إنّي قد جعلت نصفها لابن قيس الرقيّات **لقوله**:

إنّما مصعَبٌ شهابٌ من الله تَجلّتْ عن وجهِهِ الظَلْماءُ

---

(١) **أساري**: جمع أسير.
(٢) **القرآن الكريم**: محمد/ ٤.
(٣) **تجشمه**: تكبّده وتحمّل مشاقه.
(٤) **يوم الجزاء**: يوم الدينونة والحساب.
(٥) **القرآن الكريم**: آل عمران/ ١٣٤.
(٦) **القرآن الكريم**: آل عمران/ ١٣٤، ١٤٨.

فقال له مصعب: هذا لك وعلينا أن نعطيه ذلك، قال المتنبي:

فاغفِرْ فَدَيْتُكَ واحبُني من بعْدِها ... لِتخُصَّني بهدِيَّةٍ مِنها أنا[1]

وقال:

رَدَدْتَ مالاً ولم تَمْنُنْ عَلَيَّ به ... وقبْلَ مالي قدْما قد حَقَنْتَ دَمِي

● **المتوصّل إلى العفو بدفع الوقت**

أُتي عبيد الله بن زياد[2] بخارجيّ فأمر بقتله، فقال: إن رأيت أن تؤخرني إلى غد فأمر بتأخيره فقال:

عسى فرجٌ يأتي بهِ الله إنه ... له كُلَّ يوم في خليقته أمْرُ

فعفا عنه. وغضب المأمون على علي بن الجهم[3] فقال: لآخذن مالك ولاقتلنك أقتلوه. فقال أحمد بن أبي[4] دؤاد: إذا قتلته فمن أين تأخذ المال يا أمير المؤمنين؟ قال: من ورثته، فقال: حينئذٍ تأخذ مال الورثة وأمير المؤمنين يأبى ذلك. فقال: يؤخّر حتى يستصفى ماله. وانقضى المجلس وسكن غضبه وتوصل إلى خلاصه.

قال شاعر:

وإذا ابنُ عمِكَ لجّ بَغْضَ لَجاجِهِ ... فانظرْ به غَدَهُ ولا تَسْتَعْجِلِ

● **المتوصّل إلى ذلك بالتثبُّت إلى حينِ التبيُّن**

قال الله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[5]، وقيل: لوالٍ: تأنَّ فإن التأني من الوالي صدقة. وغضب الرشيد على رجل فقال له جعفر غضبت لله فاطع الله في غضبك بالوقوف إلى حال التبين كما غضبت له.

وقال الشعبيّ لعبد الملك: إنك على إيقاع ما لم توقع أَقْدَرُ منك على ردّ ما أوقعت. فأخذ هذا المعنى شاعر، فقال:

فداويتُه بالحِلْمِ والمَرْءُ قادرٌ ... على سهْمِهِ ما دام في يَدِهِ السَّهْمُ

---

(١) فديتك: وفي رواية فدىً لك ـ أحبني: حباه: أعطاه ـ وقوله: منها أنا معناه إذا غفرت لي فكأنك وهبت لي نفسي.

(٢) عبيد الله بن زياد بن أبيه (ت٦٧ هـ/٦٨٦م) عامل الأمويين في العراق. قتل مسلم بن عقيل وقضى على الحسين في معركة كربلاء (٦١ هـ/ ٦٨٠م) قتله إبراهيم بن الأشتر قائد المختار الثقفيّ في معركة الخازر.

(٣) عليّ بن الجهم: شاعر عبّاسي، هجا المتوكل فحبس. مات سنة ٢٤٩هـ (٨٦٣م).

(٤) أحمد بن أبي دؤاد: (ت ٢٤٠ هـ/ ٨٥٤). قاضٍ من المعتزلة. وُلد في البصرة جعله المعتصم قاضي القضاة.

(٥) القرآن الكريم: الحجرات/ ٦.

● **التثبّتُ في العُقوبة نصفُ العفو**

قال المتنبّي:

تَرَفَّقْ أيّها المولَى عليهِم ... فإنّ الرفقَ بالجَاني عتابُ

● **نهيُ العافي عنِ التثريب**

رضي بعض الملوك عن رجل ثم أخذ يوبّخه. **فقال**: إن رأيت أن لا تخدش وجه رضاك بالتثريب[1] فافعلْ. **وقيل**: ما عفا عن الذنب مَنْ قرّع به[2] **وقيل**: العفو مع العذل[3] أشد من الضرب على ذي العقل. فَرُبَّ قولٍ أنفذ من صول وعفو أشد من انتقام، **قال ابن نوقة**:

إن كنتَ تغفو فاغفُ عَفْوَ مهنىء ... إحْسَانه إنّ الكريمَ وهُوبُ

قلْ قولَ يوسفَ حينَ قالَ لإخوة ... جاؤه معتذرين لا تثريبُ

أو لا فعاقِبْني فليْس بمنكَرٍ ... منْ مثلِكَ التقويمُ والتأديبُ

وفيمن يعاقب ثم يعاتب، قال شاعر:

إذا عُوقِبَ الجاني على قَدْرِ جُرْمِهِ ... فتعنيفُه بعْد العِقابِ من الرِّبَا[4]

● **معاتبةُ من صفحَ ثم نَدِم**

قال ابن طباطبا: كان جرى بيني وبين رجل كلام واحتملت عنه، ثم نَدِمْتُ فرأيت في المنام كأنّ شيخاً أتاني فأنشدني:

أندمت حين صفحْـ ... ـت عمّنْ قد أساءَ وقد ظلَم

لا تَنْدَمَنْ فشرّنا ... منْ أتبعَ الخيْرَ النَدَمْ

● **ذمُّ من اعتذرَ فأساء**

قيل في المثل: عذره أشد من جرمه، رب أضرار أحسن من اعتذار. وقال آخر أنسيتنا باعتذارك كُلَّ عثارك وقيل بث من عذرك ثم من ذنبك.

قال الخبزارزي:

وكمْ مُذْنِبٍ لمّا أتى باعتِذاره ... جنَى عُذْرُهُ ذنباً من الذَّنْب أعْظَما

قال ابن الحجّاج:

لي صديقٌ جنَى عليَّ مِراراً وكثْرا

---

(١) التثريب: اللوم وتقبيح الفعل. (٢) قرّع به: عنّفه، وقرّع القوم: أقلقهم.

(٣) العذل: الملامة.

(٤) يقول: لا داعي لتعنيف الجاني أو تقريعه بعد معاقبته وإنزال القصاص به على قدر ذنبه وجرمه، لأن هذا التعنيف في باب العدل مثل الربا في باب المال والاقتصاد.

ثُــمَّ لَــمَّــا عَـــتَــبْــتُــه   غَــســلَ الــبَــولَ بِــالــخَــرا

قال عليّ بن عبد العزيز الجرجاني:

رُبَّ ذنبٍ ينمّي على العُذْرِ حتى   يبصرَ الاحتجاجُ عنه يَشِيْنُه
كمقالِ الجريءِ يزدادُ قبحاً   كلّما أزدادَ منهم تحسِيْنُه

● النهيُ عن الذنب المفضي إلى الاعتذار

قيل: إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره، فما كل من يحكي عنك وينكر تطيق أن توسعه عذراً وقيل من وثق بحسن العذر وقع في الذنب. **قال الموسوي:**

ومن قَيَّدَ الألفاظَ عندَ نِزاعِها   بقيدِ النُّهى أغنَتْه عن طلَبِ العُذْرِ

● النهيُ عن العذرِ

قال النبي ﷺ: إياكم والمعاذير فإنّها مفاجر. **وقال أمير المؤمنين عليّ** كرم الله وجهه: امسكْ عن الاعتذار واستمسكْ بالاستغفار.

وكتب الحجاج إلى بعض من اعتذر إليه أن يعلم الله ذلك من نيتك تكف المقال.

● صعوبةُ الاعتذارِ والحَثُّ على تركه

قال عليّ بن الجهم:

إنّ دونَ السُّؤالِ والاعتذار   خطّةً صعبةً على الأحرارِ
فارِضَ للمذنبِ الخضوع وللقا   رفِ ذنباً مضاضةَ الأعتذارِ[1]

قال الزبير وهو في نِهاية الحسن:

تعالَوا نصطَلِح وتكونُ منّا   معاودةٌ بلا عَدِّ الذُّنُوبِ
فإن أحبَبْتُمُ قلتُمْ وقلْنا   فإن القلبَ أشفى للقُلوبِ

● نهيُ من لم يذنِبْ عنِ العذر

إيّاك والعذر عما لم تَجْنِهِ فالمعتذر من غير ذنب يوجب على نفسه الذنب. **وقيل:** أحقّ منزلة بالاجتناب منزلة العذر لأنه يقف مواقف تُهمة وقلّما سلم من ظنّة[2] **وقيل:** الإغراق في العذر يحقق التهمة كما أن الافراط في النصيحة يوجب الظِّنّةَ.

● الاعتذارُ من تركِ الاعتذار

قال بعضهم: سكوتي عن التفسير لاعترافي بالتقصير. **وقال آخر** لست أعتذر إليك

---

(١) قارف الذنب: مقترفه أي مرتكبه ـ المضاضة: الألم.   (٢) الظنّة: التشكيك.

من الذنب إلا بإقلاعٍ عنه. وكتب كاتب: إن تركت الأعتذار فلما قال الشاعر:

إذا لم يَكُنْ للعذر وجهٌ مبينٌ فإن اطراح العذر خيرٌ من العذرِ[1]

وقيل للمطيع[2] وقد بلغ المهتدي[3] عنه شيء أنكره: إن كان ما بلغك حقاً فما تغني المعاذير وإن كان كذباً فما تضرّ الأباطيل.

• الممتنعُ مِنَ العُذر عن حقّ أورده

سأل الحجاج أعرابياً عن أخيه محمد بن يوسف: كيف تركته؟ فقال: تركته سميناً عظيماً. قال: إنما سألت عن سيرته، قال: ظلوماً غشوماً. قال: أما علمت أنه أخي؟ قال: نعم ما هو بك أعزّ منّي بالله فأمر بضربه، فقيل له: اعتذر إليه. فقال: معاذ الله أن أعتذر من حقٍ أوردْتُهُ.

وخطب الحجاج يوماً فأطال، فقام رجل فقال: الصلاة والوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فأمر بحبسه فأتاه قومه وزعموا أنه مجنون فإن رأى أن يُخلي سبيله فقال: إن أقر بالجنون خلّيته. فقيل له ذلك فقال: معاذ الله لا أزعم أن الله ابتلاني وقد عافاني. فبلغ ذلك الحجّاج فعفا عنه لصدقه.

ودخل رجل على سلطان وكان قد أذنب فقال: بأي وجه تلقاني؟ فقال: بالوجه الذي ألقى به الله، فإن ذنوبي إليه أكثر وعقوبته أكبر. فعفا عنه ووصله.

• تأسّفُ من يعاتَبُ من غير ذنب

قال شاعر:

قد يُلامُ البريءُ من غيرِ ذنبٍ وتُغطّى من المُسيءِ الذنوبُ

وقال آخر:

إذا كنتَ ملحِياً مسيئاً ومحْسناً فغشيانُ ما تهوى من الأمرِ أكيَسُ[4]

وقال البحتري:

إذا محاسِني اللاتي أدلّ بها كانَتْ ذنوبي فقُلْ لي كيْفَ أعتذرُ!

وفي المثل: ربّ ملوم لا ذنب له. قال شاعر:

وكَمْ من موقفٍ حسنٍ أحيلت محاسنُهُ فَعُدَّ مِنَ الذنوبِ

---

(١) اطّراح العذر: تركه وتجاوزه.

(٢) المطيع: مطيع بن إياس (ت ٧٨٣) شاعر بغدادي من المحدثين امتاز شعره بالظرف والرقة والمجون.

(٣) المهتدي بالله: محمد بن الواثق الخليفة العبّاسي الرابع عشر (٢٥٥ ـ ٢٥٦ هـ/ ٨٦٩ ـ ٨٧٠م) مات قتلاً.

(٤) غشيان: مصدر غُشي عليه، ألم به ما غشيَ فهمه.

● مِن اعتذر بتكْذيبِ الواشِي

قال زهير بن بلال:

وذي حنقٍ أغراه بي غيرُ ناصحٍ فقلتُ له: وجهُ المحرّشِ أقبحُ[1]

قال أبو تمام:

ومَنْ يأذنْ إلى الواشين يسلقْ مسامِعَهُ بألسِنَةٍ حِدَادِ

قال ابن الحجاج:

قلْ للذي جَهّزَ بالسّعي بي بضاعةً عادَت بخُسْرانِهِ
يا ذَا الذي لا بدّ من صفْعِهِ يوماً ومن تَغريكِ آذانِهِ
لو حَدّثَتْ كسرى بهِ نفسُهُ صَفْعَتُهُ في جوفِ إيوانِهِ

● قِلّةُ الاعتذار بقول الواشي

قال شاعر

دَعِ الناسَ ما شاؤوا يقولُون، إنني لأكثرِ ما قالوا عَليّ حَمُولُ
ومَا كلّ مَنْ أسخطتُه أنا معتبٌ ولا كلّ ما يُزْوَى عليّ أقولُ

● منْ ذكر إرضاء صاحبه

قال العتابي[2]:

فهلْ أنا مغْضٍ في هَوَاكَ وصابرٌ على حدّ مصقولِ الغرارِ بنِ قاضبِ
ومنتزعٌ عمّا كرهتُ وجاعلٌ رضاكَ مثَالاً بين عَينِي وحاجِبِي

وقال آخر:

لو أسخَطَتْكَ حيَاتِي قَتَلْتُ نفسي لِتَرْضَى

(٣)

ومما جاء في ذمّ الحلم ومدحِ العِقاب

●

● النهيُ عنِ المُلايَنة حيثُ لا تنفعُ

قال شاعر

بالرفق مارسْ ولاينْ مَنْ تخالِطُهُ وغالِظَنّ إذا لم ينفعِ اللينُ

---

(١) المحرش: المحرّض.

(٢) العتابي: هو كلثوم بن عمرو التغلبي (ت ٨٣٥) شاعر مترسّل بليغ.

قال سعد بن ناشب:

وفي اللينِ ضعفٌ والشراسةُ هَيبةٌ ... ومن لا يَهَبْ يُحْمَلْ على مَرْكبٍ وَعْرِ[1]

وقيل: الكريمُ يَلِيْنُ عند استعطافه واللئيم يقسو عند استلطافه.

● **النهيُ عنِ الحِلْمِ إذا كانَ يَلْحَقُ منه مَذَلَّة**

قال سالم بن وابصة:

إنّ مِنَ الحِلْمِ ذُلاً أنتَ عارِفُهُ ... والحلمُ عن قُدرةٍ فَضْلٌ مِنَ الكَرَمِ

قال قيس بن زهير[2]:

وقد يَسْتَجْهِلُ الرجلُ الكريمُ

وقال آخر:

وفي الحلمِ ضعفٌ والعقوبة هيبةٌ ... إذا كنت تخشى كَيْدَ مَنْ عنه تَصْفَحُ

إذا الحلمُ لم ينفعْكَ فالجَهْلُ أحزَمُ

قال المتنبي:

وحلمُ الفتى في غَيْرِ موضِعِهِ جَهْلُ

وله:

من الحلم أن تستعملَ الجهلَ دونَهُ ... إذا اتّسعَتْ في الحلمِ طُرقُ المَظَالِمِ

● **دفعُ الجهلِ بالجهل**

قال هدبة:

ما إن نفى عنك قوماً أنتَ تَكْرَهُهُمْ ... كَمِثْلِ وَقْمِكَ جُهّالاً بِجُهّالِ

وقال آخر:

ولي فَرَسٌ للحِلم بالحِلم مُلْجَمٌ ... ولي فَرَسٌ للجهْلِ بالجهل مُسْرَجُ[3]

وما كنتُ أرضى الجهلَ خِدْناً ولا أخاً ... ولكنّني أرضى به حِيْنَ أُحْوَجُ[4]

وقيل: الشرّ لا يدفعه إلا الشر والحديد بالحديد يفلح.

● **من حلمَ وقتًا ونهى عن الاغترار به**

قال بعضهم:

فلا يغْرُرْكَ طولُ الحِلمِ منّي ... فما أبداً تُصادِفُني حَلِيْمَا

---

(١) الشراسة: الغلظ وسوء القول وشدّة المخالفة ـ يقول: إن الشراسة مطيّة الهيبة، ومن لا يقوى على فرض هيبته يتعرّض للمخاطر.

(٢) قيس بن زهير (ت٦٣١): شاعر من أمراء عبس وحكمائها. قيل له قيس الرأي لصحة رأيه ورجاحته.

(٣) الحلم: ضد الطيش ويقابل به أيضاً الجهل ـ يقول إن الحلم في غير موضعه عنوان الطيش والجهل.

(٤) الخِدن: الصاحب وخدن الرجل صاحبه.

قال المتنبّي:

وأطْـمَـعَ عـامِـرَ الـبُـقْـيـا عَـلَـيْـهـا ... وتـرْفُـهـا احـتـمـالُـك والـوَقـارُ[1]

● وصفُ الحلمِ بأنه مُضِرٌ مُذلِّلٌ

قيل: الشهرةُ بالملاينة والخيرُ شرٌ من الاشتهار بالغلظة والشر لأن من عُرِف بالخير اجترأ عليه الناسُ، ومن عُرِفَ بالشر هابه الناسُ وتجنبوه. **وقيل:** آفةُ الحلم الذلُ **وقيل** للأحنف: ما الحلم؟ **فقال:** الرضا بالذل.

● كونُ الحلمِ مغرياً

قال معاوية: ما ولدت قرشية خيراً منّي **فقال** ابن زرارة الكلابية: بل ما ولدت شرّاً لهم منك **فقال:** كيف؟ **قال:** لأنك عودتهم عادة يطلبونها ممّن بعدك فلا يجيبونهم إليها فيحملون عليهم كحملهم عليك، وكأنّي بهم كالزقاق[2] المنفوخة على طرقات المدينة. **وقال الأحنف** لرجل: ليت طول حلمنا عليك لا يدعو جهل غيرنا إليك.

● النهي عن إكرامِ اللئام

قال يزيد بن معاوية لأبيه: هل ذممت عاقبةَ حلم؟ **قال:** ما حلمت عن لئيم وإن كان ولياً إلا أعقبني ندماً، ولا أقدمت على كريم وإن كان عدواً إلا أعقبني أسفاً. **قال شاعر:**

مـتـى تـضـع الـكَـرَامَـةَ فـي لـئـيـم ... فـإنّـك قـدْ أسـأْتَ إلـى الـكَـرَامَـهْ

وقـد ذهـبَـتْ صـنـيـعـتُـهُ ضَـيَـاعـاً ... وكـان جـزاءَ فـاعـلـهـا الـنَّـدَامـه[3]

وقيل: الكريم يستصلح بالكرامة واللئيم بالمهانة.

قال المتنبي:

إذا أنْـتَ أكـرمْـتَ الـكـريـمَ مَـلَـكْـتَـهُ ... وإن أنْـتَ أكـرمْـتَ الـلـئـيـمَ تـمرَّدا[4]

فَوَضْعُ الندى في موضعِ السيفِ بالعُلى ... مُضِرٌ كوضعِ السيفِ في موضعِ النّدى

وقيل: استعمال الحلم مع اللئيم أضر من استعمال الجهل مع الكريم.

● الاستخفافُ بمَنْ لا يصلحه الإكرام

إذا لم تنفع الكَرَامَةُ فالإهانة أحزمُ. **وقيل:** مَنْ لا يصلحُه الطالي أصْلَحَهُ الكاوي مَنْ

---

(١) **عامر:** قبيلة عامر ـ **البقيا عليهم:** أي الإبقاء ـ **ترفها:** جعلها مترفة وفيرواية: نزّقها أي جعلها خائشة.

(٢) **الزقاق:** جمع زقّ وهو جلد يجزّ ولا ينتف ويستعمل لحمل الماء.

(٣) **الصنيعة:** الإحسان.

(٤) **يقول:** كرم النفس أصالة واللؤم فيها نذالة، ولهذا فأنت تمتلك الكريم بإكرامه، بينما يزداد اللئيم لؤماً وتمرداً إن أنت أكرمته.

كان الإكرامُ مُفسِدَهُ لم تكن الزيادة فيما يفسده له مصلحة. جَنِّب كرامتَكَ اللئامَ فإنك إن أحسنت إليهم لم يَشْكُرُوا وإن نزلت بهم شدة لم يصبروا.

قال شاعر

سأخرِمُكُمْ حتّى يُذِلَّ صِعَابُكم ... فأنجعُ[1] شيءٍ في صلاحِكِمُ الفَقْرُ

قال آخر

إنّ اللئيمَ إذا رأى ... لِيناً تزايدَ في خُسْرانِه

لا تكذِبنْ فصلاحُ مَنْ ... جَهِلَ الكرامةَ في هَوانِه

● الاستعانةُ بالجهلِ عند الحاجةِ إليه

أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم النار والعار، وبينما ابن عمر رضي الله عنهما جالسٌ إذ أقبل أعرابي فَلَطَمَهُ فقام إليه رجل فجَلَد به الأرض، **فقال** ابن عمر: ليس بعزيز مَنْ لَيْسَ في قومه سفيهٌ. **وقيل**: اجعلْ لكلِّ كلبٍ كلبياً يهرّ دونك، فالعرض يُصَانُ بمثل سَفِيهٍ يصولُ[2] وحادٍ **يقول**:

لا بُدَّ للسؤدد من أرْمَاحِ ... ومن سَفِيهٍ دائمِ النُّبَاحِ

قال الأحنف:

ومن يحلمْ وليس له سَفِيهٌ ... يُلاقي المُعْضِلاتِ مِنَ الرِّجَالِ

وقال آخر:

ولا يلبثُ الجُهَّالُ أن يتهضّموا ... أخا الحِلمِ ما لم يَسْتَعِنْ بجَهُولِ

● الرخصةُ في عِقاب المجرم والحثّ عليه

قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُولِي الْأَلْبَٰبِ﴾[3] **وقال**: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[4]، وجاء أعرابيٌّ إلى ابن عباس رضي الله عنهما **فقال**: أتخاف عليَّ جناحاً إنْ ظلمني رجلٌ فظلمته؟ **فقال** ابن عباس: وإن تعفوا أقرب للتقوى ولمن انتصر بعد ظلمه، فأولئك ما عليهم من سبيل.

وقال الشعبي: يعجبني الرجلُ يكافىء بالسيئة السيئةَ، فإذا سِيمَ هواناً[5] أبَتْ له الأنفةُ إلا المكافأةَ. فبلغ قَوْلُهُ الحجّاج **فقال**: لله درّه[6] أيُّ نفسٍ بين جنبيه. **وقال** الجاحظ: مَنْ قَابَلَ الإساءةَ بالإحسانِ فقد خالفَ الربَّ في تدبيره، وظنَّ أن رحمته فوق رحمة الله تعالى والناسُ لا يصلحون إلا على الثواب والعقاب.

---

(١) **أنجع**: أنفع، ونجع نجوعاً الطعام أي استمرأه آكله وصلح عليه فالطعام الصالح هو الذي ينجع عليه وبه.

(٢) **يصول**: صال يصول صولاً وصولةً: واثب، سطا عليه، **الصولة**: السطوة.

(٣) **القرآن الكريم**: البقرة/ ١٧٩.

(٤) **القرآن الكريم**: البقرة/ ١٩٤.

(٥) **سيم هواناً**: أي سيم ذلاً.

(٦) **لله دره**: أي لله ما خرج منه من خير.

وضَرَبَ الحجّاج رجلاً فقال: اعتدَيْتَ أيّها الأميرُ فقال: لا عدوان إلا على الظالمين. ووقّع[1] إبراهيم بن العباس: إذا كان للمحسن من الحق ما يُقْنِعُهُ وللمُسيء مِن النكال ما يَقْمَعُه بذل المحسنُ الحقّ له رغبةً، وانقاد المسيءُ له رهبةً.

● **حثُّ القادر على العقاب قبل فوْته**

قيل: صمِّمْ إذا أيقنت أنك عاقِرُهُ[2]، **وقال** بعض الغسانيين يحرض الأسود بن المنذر على قتل أعدائه:

ما كلّ يومٍ ينالُ المرءُ فُرصَتَهُ ... ولا يسوغه المِقْدارُ ما وَهَبَا
فأحزمُ الناسِ مَن إن نالَ فرصَتَه ... لم يجعلِ السببَ الموصولَ مُقْتَضَبا
لا تقطعَنْ ذنب الأفعى وترسلَها ... إن كنت شهماً فأتبِعْ رَأْسَهَا الذَّنَبَا

دخل **الأبرش** على **هشام** لما غضب على **خالد القسري فقال**: يا أمير المؤمنين أقِلّ خالداً عَثْرَتَهُ[3] وتدارك بحلمك هَفْوَتَهُ **فقال**:

مضى السهمُ حتّى لا يريد سِوى الحشا ... فَصَادَفَ ظَبْياً في الحديقِ رَاتِعَا[4]

وكتب **يحيى بن خالد إلى الرشيد** من الحبس: إن كان الذنب خاصاً فلا تعمم بالعقوبة في سلامة البريئ ومودة الولي. فكتب إليه: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[5] **وقال** عبد الصمد للمنصور: لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمعْ بالعفو. **فقال**: لأن بني مروان لم تبل رممهم وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم، ونحن بين أقوام قد رأونا بالأمس سوقة واليوم خلفاء فليس تتمهد الهيبةُ في صدورهم إلا باطراح العفو واستعمال العقوبة. **وقال** لما قتل أبا مسلم: لقد شاركت عبد الملك **في قول كثير**:

يَصُدُّ ويُغْضِي وهو ليثٌ خِفيَّةٌ ... إذا أمْكَنَتْهُ فُرْصَةٌ لا يُقِيلُهَا

● **التبجُّح[6] بقسْوة القلبِ وقلّة الرحمة**

كان **محمّد بن عبد الملك** بن الزيات **يقول**: رقة القلب من خور[7] الطبيعة. ولما أمر

---

(١) **قّع**: من التوقيع وهو ما يجمل فيه الكاتب مقاصده في الكتاب أو الجواب بحذف الفضول، والتوقيع على هذا مقاصده في الكتاب أو الجواب بحذف الفضول، والتوقيع على هذا النحو فن مزيد بين ضروب الكتابة وكان خاصّاً تقريباً بالخلفاء والولاة وأصحاب السلطان، وله سمات أهمها البلاغة والإيجاز وسداد الرأي، وإذا اشتهر دخل في باب المأثور والأقوال السائرة.

(٢) **عقر عقراً**: جرح ونحر ـ **عقر الإبل**: قطع قوائمها ـ **عقره عقراً وعقارة**: حبسه عن السير.

(٣) **أقلّ عثرته أو أقاله من عثرته**: قدّم له العون وأخرجه من ورطته وأنهضه من سقطته.

(٤) **الحديق**: الحديقة، أو البستان عليه حائط. (٥) **القرآن الكريم**: يوسف/٤١.

(٦) **التبجُّح**: التفاخر، تبجح في الغنى: توسّع غناه.

(٧) **خور الطبيعة**: أي ضعف الطبيعة البشريّة.

الواثق بتعذيبه وبحبسه في تنورٍ من الحديد وإطباقه عليه قال لمعذبه: ارحمني. فردّ الخبر إلى الواثق فقال: أين قول لا تكون الرحمة إلا من خور، ثمّ تمثل بقوله:

فلا تجز عن من حسنةٍ سنة أنت سُرّتُهَا

ووقع في قصة رجل دَعْني من ذِكْرِ الرحمة والاشفاق فما هما إلا للنسوان والصبيان.

قال المتنبّي:

يدخل صبْرُ المَرءِ في مدْحِهِ ويدخلُ الإشفاقُ في قلبِهِ

● **المتمدّحُ بأنه يقابلُ الإساءَة بمثلها**

قال شاعر:

اعلمْ بأنك ما أسديْت من حسَنٍ إليّ أو سيءٍ أوْفَيْتُكَ الثّمَنَا

قال مسلم بن الوليد[1]:

فإن يكُ أقوامٌ أساؤا فأحسِنُوا إليّ فإنّي بالجزاء لراصِدُ

قال الحارثي إذا عفا لم يكن في عفوه من ولا يكدر نعماه، إن سطا عاتب ذا جرم بقدره لا يتعداه.

● **أخذُ البريء بجزم السقيم**

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[2] قال الحارث بن حلزة[3]:

عَنَناً باطِلاً وظُلماً كما يعـ ـتَرُ عن حجرة الربيضِ الظّباءُ[4]

وقال آخر:

كذي العرّ يكْوى غيرُه وهو راتِعُ[5]

وقال آخر:

كالثور يضرب لما عافت البقر

ووقف رجل على الحجّاج فقال: أصلح الله الأميرُ جنى جان في الحيّ فأخذتْ بجريرته وأسقط عطائي. فقال الحجّاج: أما سَمِعْتَ قول الشاعر:

جانِيكَ منْ يجْني عليْك وقدْ يعدي الصّحاحَ مَبارِكُ الجَرَبِ

---

(١) مسلم بن الوليد: (ت٨٢٣) من الشعراء العباسيين وُلد في الكوفة ولقب بصريع الغواني. أكثر من البديع في شعره.

(٢) القرآن الكريم: الأنفال/ ٢٥.

(٣) الحارث بن حلزة: شاعر جاهلي من أهل العراق أحد أصحاب المعلّقات. اشتهر بدفاعه عن قبيلته بكر أمام ملك الحيرة عمرو بن هند.

(٤) الربيض: الغنم برعاتها المجتمعة في مرابضها.

(٥) العرّ: الجرب ـ راتع: اسم فاعل من رتع أي أقام وتنعّم.

ولربّ مأخوذٍ بذنب صديقِهِ ونجا المقارِفُ صاحِبُ الذّنب

فقال: أعز الله الأمير كتاب الله أولى ما اتبع. قال الله تعالى: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾[1] **فقال الحجاج**: صدقت يا غلام رد اسمه وأثبت رسمه وسن عطاءه.

وقال الحسن رضي الله عنه: عقر الناقة رجلٌ واحدٌ ولكن عم القوم بالعذاب لما رضوا بفعله. وقيل لرجل ما فعلت حتى ضربك السلطان؟ **فقال**:

وإن امرأ يمسي ويصبح سالماً من النّاس إلا ما جنى، لَسَعِيدُ

- **عذر من بدر منه سخط**

قال البحتري:

إذا أخرجتَ ذا كرم تخطّى إليك ببعضِ أخلاقِ اللِئامِ

- **عذرٌ من عاتبَ على صَغير**

قال رجل من بني يشكر:

تعفو الملوكُ عنِ العظيمِ من الذّنوب لفَضلها ولقد تُعَاقِبُ في اليسير وليس ذاك لجَهلِها

لَكِنْ ليعرفَ فضلُهَا ويُخافَ شدّةُ نكلِهَا[2]

- **فضلُ غلبةِ الخصْم بالحجّة دونَ البطشِ**

قال معاوية رضي الله عنه عجبت لمن يطلب أمراً بالغلبة وهو يقدر عليه بالحجّة ولمن يطلبه بخرق وهو يقدر عليه برفق. ولمّا ظهر ماني الزنديق في أيام سابور بن أزدشير ودعا الناس إلى مذهبه، فأخذه سابور **قال** له نصحاؤه: اقتله، **قال**: إن قتلته من غير أن قطعته بالحجة **قال** عامة الناس بقوله، **ويقولون** ملك جبار قتل زاهد ولكني أحاجه فإذا غلبته بالحجة قتلته، ففعل ثم حشا جلده تبنا وصلبه.

(٤)
وممّا جاء في العداوات

●

- **الاحتراسُ من غرسِ العَداوة**

قيل: لا تشتر عداوة رجل واحد بمودة ألف رجل. وفي كتاب كليلة لا ينبغي للعاقل أن تحمله ثقته بقوته على أن يجتر العداوة كما لا يجب لصاحب الترياق أن يشرب السم اتكالاً على أدويته. **وقيل**: توسّدُ النار وافتراشُ الأفاعي أقل غائلةً ممن أوجس عداوتك فيروح بها.

---

(١) **القرآن الكريم**: يوسف/ ٧٩.

(٢) **النكل**: من نكل نكلة بفلان: صنع به صنيعاً يحذّر به غيره إذا رآه.

وقيل: احذر معاداة الرجال فالناس رجلان عاقل فأحذر ختله[1] وأحمق فاحذر حمقه.

وقال عبد الله بن الحسن بن الحسين رضي الله عنهم لابنه: إتّقِ معاداة الرجال فانك لا تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم.

وقيل: الأحقاد مخوفة وأخوفها ما كان في أنفس الكبار فإنهم يرون الطلب الوتر[2] مكرمة.

وقال بعضهم في التحذير من العداوة:

سيعْلَمُ إسماعيلُ أنّ عداوتي ... له سُمُّ أفعى لا يُصابُ دواؤُها

● النهيُ عن الاعتذار بالعَداوة إذا ظهر الودّ

قيل: العدوّ المبطن للعداوة كالنحل تمج الدواء وتجتنبُ الداء. **قال سديف بن ميمون** يحرض بني العباس على بني أمية:

لا يَغُرَّنْكَ ما تَرى من رجالٍ ... إنّ تحتَ الضلوع داءً دويّا

فَخُذِ السَّيْفَ واطْرحِ السَّوْطَ حتّى ... لا ترى فوْق ظهرِها أمويّا

وله:

أنزلوها بحيث انزلَها اللـ ... ـهُ بدارِ الهَوانِ والأتعاسِ

ذلّها أظْهَرَ التودّدَ منها ... وبها منكم كحزّ المَواسي

قال المتنبي:

فلا يغْرُرْكَ ألسنةٌ مَوالٍ ... تُقَلِّبُهُنَّ أفئدةٌ أعادي

وكنْ كالموتِ لا يَرثي لباكٍ ... بكَى منه ويرْوى وهوَ صَادِ[3]

وقال آخر

تعلمُ أنّ أكثرَ ما تُنادي ... وإن ضحِكوا إليْكَ هُمُ الأعَادي[4]

وفي كتاب كليلة: لا يغرُّ العاقلَ سكونُ الحقد في القلب ما لم يجد محركاً كالجمر المكنون، ما لم يجد حطباً. والعداوة إذا وجدت فرصة اشتعلت فلا يطفئها شيء دون النفس.

● النهيُ عن السّكونِ إلى من يخافك

من خاف شرَكَ أفْسَدَ أمرك وَمَنْ خاف صولَتَك ناصب دولتك، **قال معاوية**: من خاف اساءتك اعتقد مساءتك.

---

(١) **الختل**: الخداع. (٢) **الوتر**: قطعة من أدم نفذ سيوراً.

(٣) **صاد**: من صدي يصدى صدًى: عطش عطشاً شديداً.

(٤) يحذرنا الشاعر من الانخداع بتزلّف الأعداء أو ملاطفتهم لأن وراء ضحكهم أو رقتهم يكمن سم العداوة الناقع إنّ الأعداء أكثر الناس سخرية وشماتة.

● **النهيُ عن السّكونِ إلى من تقدّم منك لهُ إساءة**

قيل: إذا أوحشت الحرّ فلا ترتبطه فإذا ارتبطته فلا توحشه. لمّا قدم عبد الملك المدينة خطب **فقال**: والله ما تحبونا ولا نحبكم ونحن أصحاب يوم الحرة وإنما مثلنا، كما **قال النابغة**[1]:

أبى لَكَ قبرٌ لا يزال مواجهاً وضربةُ فأسٍ فوقَ رأسي ناقرَهْ[2]

وحديث ذلك أن العرب زعمت أن حيةً كانت في بيت رجل فقتلته فترصدها أخوه ليقتلها طالباً بثأره **فقالت** له الحية: صالحني على أن اؤدي إليك كل يوم ديناراً ففعل. فلما كثر ماله تذكر دخله فأعد فأساً وترصدها فرماها وأشواها، فقطع ذنبها فافلتت وندم الرجل لما لم ينل ثأره، وفاته ما كان يناله فدعاها يوماً إلى المراجعة على أن يصالحها **فقالت**: لا يقع الصلح بيننا ما رأيت قَبْرَ أخيك وأرى أثر الفأس في ذنبي.

وحُكِيَ أن رجلاً كان له عبد سندي فتعرض لامرأته فعلم الرجل بذلك فأخذه وجبهه[3] ثم تحوّب[4] لذلك فداواه. فلما برأ اتفق إن غاب الرجل يوماً فعمد السندي المحبوب إلى ابنين كانا لسيده فأخذهما وصعد السور فلما بصر بالرجل **قال**: والله إن لم تجب نفسك كما جببتني لاقذفهما من السور ليموتا، وإن نفسي لأَهْوَنُ من شربة ماء. فلما رأى الرجل منه الجدّ جبّ نفسه فرمى العبد بالابنين من السور، وقال إن جبّك نفسك قصاص لما جببتني وقتل ابنيك زيادة أعطيتكها.

● **التحذيرُ من عدوّ قاهر**

قيل: أحذرُ الناس أنْ يُحْذَرَ عدوٌ قاهر وسلطانٌ جائر. **وقيل**: إيّاك ومعاداة من أن أرادك بسوء أرداك[5]، وإنَ أردته بسوء لم توجع إلاّ حشاك، **وقيل**: لا تعادِ من غيظك عليه غيظ الأسير على القد.

● **النهيُ عنِ الاستعانةِ بمَنْ ظلمتَه**

قيل: العدوّ عدوان عدوّ ظلمته وعدو ظلَمَكَ، فإن اضطرك الدهر إلى أن تستعين بأحدهما فاستعن بالذي ظلمك فإنه أحرى[6] أن يعينك وإن الذي ظلمته موتور[7]

(١) **النابغة الذبياني** (ت ٦٠٤م) من فحول شعراء الجاهلية، أقام في بلاط ملوك الحيرة أسخط النعمان أبا قابوس ولجأ إلى ملوك غسان ثم عاد إلى الحيرة معتذراً. أشهر شعره: الغسّانيّات والاعتذاريات.

(٢) **ترصّدها**: ترقّبها، يقال ترصّد له: قعد له على طريقه ليوقع به.

(٣) **جبّه**: قطعه، والمراد هنا جرحه فآذاه وأذلّه.

(٤) **تحوّب**: توجع، والأصوب أن يقال تحوّب من ذلك.

(٥) **أرداك**: قتلك أو رماك فقتلك.

(٦) **أحرى**: أولى وأجدر.

(٧) **الموتور**: المصاب بظلم أو مكروه.

● النهيُ عن استصغارِ العدوّ

قيل: لا تستصغرَنّ أمر عدوك إذا جاريته لأنك إن ظفرت به لم تُحْمَدْ وإن ظفر بك لم تُعْذر. الضعيفُ المحترسُ من العدوّ القوي أقربُ إلى السلامة من القوي المغتر بالعدوّ الضعيف.

وقيل: العدو المحتقر ربما اشتد كالغصن النضر بما صار شوكاً، **وقيل**: لا تأمنن العدوّ الضعيف إن تورطك فالرمح قد يقتل به وإن عدم السنان والزجّ[١]، **قال شاعر**:

لا تحقرَنِّي فرُبّما نَفَذَتْ   في ردمِ يأجوج جبلةُ الجُرَذِ[٢]

قال الموسوي

الفيل يضجر وهو أعظم ما رأيت من البعوض. وفي المثل إذا عز أخوك فهن وإذا لم تغلب فاخطب. لا يُتقى العدو والقوي بمثل الخضوع واللين فمثل ذلك كمثل الريح العاصف، تقلع الأشجار العظام لتأبّيها عليها، ويسلم منها النبات اللين لتمايله معها، **قال سليمان بن وهب**:

غرّكَ الدهرُ بِمَا تهوى فَهُنْ   وإذا ما أخشنَ الدّهرُ فَلِنْ[٣]

لا تُعَاسِرْهُ وخذْ مَيْسورَهُ   وتفنّنْ معه في كل فَنْ[٤]

قال المأمون لأبي دلف: شد ما استحذيت للحسن بن رجاء. **فقال**: يا أمير المؤمنين ذلك بما وهبت له من القدرة وصحبه من حداثة الغرارة. وكانت الطاعة تعارض الانتصار منه وخفت أن يكون من قدرته ما يعنيك بي فلا أجد لذلك عوضاً فسلمت **قال ابن نباتة**[٥]:

وإذا عجِزْتَ عن العَدوّ فَدَارِهِ   وامزُجْ له إن المِزَاجَ رفَاقُ[٦]

فالنّارُ بالماء الذي هو ضدها   تُعْطي النِضَاجَ وطبعُها الإحْرَاقُ[٧]

● حَمْدُ المدَاجاة طلباً للفرصة

قيل لابن القرية: ما الدهاء؟ **فقال**: تجرع الغصه، وتوقع الفرصة، **وقيل**: من تمام

---

(١) **الزج**: حديدة في أسفل الرمح ويقابله السنان ـ **زجّه بالرمح**: طعنه.

(٢) **يأجوج (ومأجوج)**: سدّ عظيم جبّار زُعم أنه من الحديد، وقد نسب بناؤه إلى الإسكندر بناه لحماية شعب اسمه يأجوج ومأجوج كان قد استنجد به. وقيل إنّ هذا السدّ هو حائط أو جدار الصين الأكبر. ويأجوج ومأجوج أيضاً عدوان يهاجمان في آخر الأزمنة أتباع المسيح عليه السلام وقد ورد ذلك في القدس المقدّس.

(٣) **أخشن الدهر**: صار خشناً.

(٤) **لا تعاسره**: لا تلتوي عليه أو تعانده ـ **الميسور منه**: المتيسّر منه أو المتاح.

(٥) **ابن نباتة**: هو محمد المصري (١٢٨٧ ـ ١٣٦٦) من شعراء مصر. أقام بدمشق زماناً له ديوان سرج العيون في شرح ديوان ابن خلدون.

(٦) و (٧) **داره**: الأمر من دارى يداري مداراة، أي لاطفه وخاتله ـ يدعو إلى مخاتلة العدو ومداراته مشبّهاً أثر ذلك في درء خطر العدوّ بأثر الماء في النار للحدّ من إحراقها.

الأدب أن تستر العداوة إلى وقت الفرصة لئلا يستسلع لذلك. **قال أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه**: انكي الأشياء لعدوك أن لا تُعلِمَهُ أنك اتخذته عدواً. **وقيل**: لا يكونن سلاحك على عدوك أن تُكثِرَ ثَلْبَهُ وقصبه فإنك تخبر عن حزمه وعجزك، ولكن دامجه حتى تبادره بالكظم وتساتره بالختل. **قال التنوخي**:

إلـقَ الـعـدُوَّ بـوجـهٍ لا قـطـوبَ بـه ... يـكـادُ يـقـطـرُ مـن مـاءِ الـبـشَـاشـاتِ
فـأحْـزمُ الـنـاسِ مَـنْ يـلـقـى أعـاديـه ... فـي جـسـمِ حِـقْـدٍ وثَـوْبٍ مـن مـوَدّاتِ

وقيل: إذا لم تجد لشفرتك محزاً فلا تضعها في صلابة فتكلها.

● **المتبجّح باظهار الليان وإبطان العدَاوة**

قال عبد الملك بن مروان لما قتل عمر والاشدق سكنته ليقلّ منه نفره، فاصول صولة حازم مستمكن. **قال حميد الأكاف**:

وإنـي لـيَـلْـقـانـي الـعَـدوّ مـواصـلا ... فـيـحـسَـبـنـي مـنـه أبَـرّ وأوْصـلا
أجـرُّ لـه ذَيْـلـي لأدركَ فُـرصَـتـي ... ويـحـسَـبُـنـي فـي جـرّ ذَيـلـي مُـغَـفَّـلا

قال المتنبي:

وجاهلٍ مدّه في جهْلهِ ضَحِكِي ... حـتـى أتـتْـه يَـدٌ فَـرَاسـةٌ وفَـمُ

وقال آخر:

أجـامِـل أقـوامـاً حـيـاة وقـد أرَى ... صـدورَهـم بـادٍ عـلـى مِـرَاضِـهـا[1]

● **وصفُ عدوّ يكاشرك إذا حضرك**

قال عمرو بن جابر الحنفي:

يـكُـاشِـرنـي وأعـلـمُ أنّ كِـلانـا ... عـلـى مـا سـاءَ صـاحِـبَـهُ حـريـصُ[2]

قال عمرو بن أم عاصم:

كلُّ يداجِي علَى البغْضاءِ صاحِبَه ... ولـنْ أعـالِـنَـهـم إلا كَـمـا عَـلَـنُـوا[3]

قال المثقب:

إن شَـرّ الـنـاس مَـنْ يـكـشـرُ لـي ... حـيـنَ ألـقـاه وإن غِـبْـتُ شَـتَـمْ[4]

قال ابن الرومي:

يبيحُ لي صفحَة السلامَةِ والسَلمِ ويُخْفِي في قلبِه مرضا[5]

---

(١) **براضها**: من به مرض. (٢) **يكاشرني**: يضاحكني.
(٣) **يداجي على البغضاء**: من المداجاة وهي المداراة وستر العداوة.
(٤) **يكشّر لي**: أي يضحك كاشفاً عن أسنانه.
(٥) **قوله**: **يخفي في قلبه مرضاً**: أي يخفي عداوته.

وقال المتنبي:

أبدو فيسجُد منْ بالسّوءِ يذكُرُني ولا أعاتبُه صفحاً وإهوانَا

وقيل لأعرابي: كيف فلان فيكم؟ **فقال**: إذا حضر هِبْنَاه وإن غاب اغتبناه[1] **قال**: ذاك هو السيد فيكم.

● **من نظرهُ ينبيءُ عن عَداوته**

وقال زهير:

الودّ لا يَخفَى وإن أخفَيتَهُ والبُغضُ تُبديه لكَ العَينَانِ[2]

وقال آخر:

ستورُ الضمائرِ مهتوكةٌ إذا ما تلاحظَتِ الأعيُنُ[3]

وذكر أعرابي قوماً **فقال**: ما زالت عيون العداوة تتجهم فتمجها أفواههم وأسباب المودة تخلق من قلوبهم فتخرس عنها ألسنتهم حتى ما لعداوتهم مزيدُ.

● **العداوةُ المستورَةُ والتحذير منها**

قال الشاعر:

وفينا وإن قيل اصطلحنا تضاغُنٌ كماطر أوبار الجِرَاب على النَّشرِ[4]

وقال آخر

وقدْ ينبُتُ المرعى علَى دِمَنِ الثرى وتبقى حزازاتُ النّفوسِ كما هِيا

وقال أبو نواس:

كمنَ الشنآن فيه لنَا ككمونِ النارِ في حجره

وقال المتنبي:

وإنّ الجرحَ ينفرُ بَعْدَ حينٍ إذا كانَ البناءُ على فَسَادِ

وقيل هدنة على دخل وجماعة على أقذاء. **قال شاعر**:

ومستخبرٌ عنّا يريدُ لنا الرّدى ومستخبراتٌ والعيونُ سوَاجِمُ[5]

---

(١) **اغتبناه**: من اغتابه اغتياباً أي عابه وذكره بما فيه من السوء.

(٢) **الودّ**: المودّة والحب - تبديه: تظهره أو تكشف عنه.

(٣) **يقول**: إن تلاحظ العيون أي تشاكلها وتشابهها يكشف عن الضمائر ويهتك سقورها وحجبها ويظهرها على حقيقتها ويفضح مكنونها.

(٤) **أوبار**: جمع وبر، والوبر للإبل كالصوف للغنم - جراب: وعاء من جلد.

(٥) **سواجم**: سجم الدمع: سال.

وفي كتاب كليلة: لا تأمنن عدوّكَ على مكنونِ سرّكِ فكمون عداوته ككمون الجمر في الرماد إذا وجد فرصة اشتعل.

● ثباتُ العداوةِ الجوهرية

في كتاب كليلة: ليس بين العداوة الجوهرية صلح وإن اجتهد فالماء وإن أطيل إسخانه فليس يمتنع من إطفاء النار إذا صُبَّ عليها. وحُكِي أنّ أعرابياً أخذ جرو ذئب فربّاه بلبن شاة عنده، **وقال**: إذا ربيته مع الشاة يأنس بها فيذبّ عنها ويكون أشد من الكلب ولا يعرف طبع أجناسه، فلما قوي وثب على شاته فافترسها، **فقال الأعرابي**:

أكلتَ شويهَتي ونشأتَ فينا ... فما أدراكَ أنّ أباكَ ذِيبُ[1]

ورُوي أن النبي ﷺ **قال**: الودّ والعداوة يتوارثان، **وقيل**: لكل حريق مطفىء فللّنار الماء وللئيم العداوة وللحزين الصبر وليس للحقد الغريزي دواء.

● المسرّةُ بوقوعِ المعاداةِ بين أعدائك

في كتاب كليلة: من حق العاقل أن يرى معاداة بعض عدوه لبعض ظفراً حسناً. ففي اشتغال بعضهم ببعض خلاصُه منهم وفي الأدعية المجمع عليها: اللهمّ أخذلْ الكافرين وأوقِعْ بينهم العداوة والبغضاء.

● دنيء يعاديك بلا سبب

قال عبد الصمد:

رُبَّ مَنْ يُشجيه أمري ... وهوَ لم يخطرْ ببالي

قلبُه ملآن من ذكري وقلبي منه خالِ

قال الموسوي:

واتعَبُ منْ ناداك مَنْ لا تُجِيبُهُ ... وأغيَظُ مَنْ عاداكَ مَنْ لا تَشَا

● تأسّفُ مَنْ يعاديه لئيمٌ أو دنيء

قال علي بن الجهم:

بلاءٌ ليس يشبهُهُ بلاءُ ... عداوةُ غير ذي حسَبٍ ودينِ

يبيحُكَ منه عرضاً لم يَصُنْهُ ... ويرتَعُ منكَ في عِرضٍ مَصُونِ

ولما حاصر المنصور ابن هبيرة بعث إليه ابن هبيرة أن يبارزني فقال: لا أفعل فقال ابن هبيرة[2] لأشهرنّ امتناعَك ولأعيّرنك به **فقال المنصور** مثلنا ما **قيل**: إن خنزيراً بعث

---

(١) **الشويهة**: الشاة الصغيرة ـ ذيب: مخفّف ذئب.

(٢) **ابن هبيرة**: أبو المثنى عمر قائد أموي ولاّه يزيد بن عبد الملك العراق وخراسان. مات سنة ١١٠هـ (٧٢٨م)، قتله السفّاح.

إلى الأسد وقال قاتلني فقال الأسد لست بكفؤي ومتى قتلتك لم يكن لي فخر وإنْ قتلتني لحقني وصم[1] عظيم. فقال لأخبرنّ السباعَ بنكولك[2] فقال الأسد: احتمالُ العارِفي ذلك أيسرُ من التلطخ بدمك، وفي عذر من يخاصم دنيئاً ويدافعه قولُ المتنبي:

إذا أَتَـتِ الإسـاءةُ مـن وضـيـعٍ ... ولـم أَلُـمِ الـمُـسِـيءَ فَـمَـنْ أَلُـوْمُ؟

● الحثُّ على العداوة بالفِعْل لا القول

قيل: غضبُ الجاهلِ في قوله وغضبُ العاقلِ في فعله. وولي أبو مسلم رجلاً ناحية فقال له: إياك وغضبة السفلة فإنها في ألسنتها وعليك بغضبة الأشراف فإنها تظهر في أفعالها.

● الحثُّ على إماتة الحِقْد

أرسطوطاليس[3] استعدّ لإهماد[4] لهب العداوة بالاناة قبل تلّهب ناره فإن إطفاءه قبل انتشاره سهلٌ يسيرٌ، وقيل: ما أحسن بالرجل أن يحسن مداراة عدوه حتى يطفىء سورة[5] ناره وقال بعض أصحاب المأمون يوماً إن عجيف بن عنبسة خبيث النية رديء السريرة[6]، وأراك قد قربت مجلسه. فقال: والله لأحسنن إليه ولاتفضلن عليه حتى أكون أحب الناس إليه. فلم يزل يختصه حتى صار يبذلُ دونه مُهْجَتَهُ.

● مدحُ الحِقْد وذويه

وصف أعرابي حقوداً فقال: يَحْقِدُ حِقْدَ من لا ينحلُّ عقدُهُ ولا يلين كيدُهُ، وقال يحيى لعبد الملك ابن صالح: إنك حقودٌ فقال: إن كان الحقد عندك بقاء الخير والشر إنهما عندي لثابتان، فلما قام قال يحيى ما رأيت من احتج للحقد حتى حسنه سواه وقيل لرجل: أنك لحقود، فقال:

وإن امرأ لـم يحـقـدِ الـوتر لـم يكُـنْ ... لـديْه لـذي الـنـعـماءِ جزاءٌ ولا شُـكْـرُ

قال ابن الرومي:

وما الحقدُ إلا توأمُ الشُكْرِ في الفتَى ... وبعضُ السجايا ينتسبْنَ إلى بعضِ
إذا الأرضُ أدّتْ رَيْـعَ مـا أنـت زارعٌ ... من البذْرِ فيها فهي ناهِيكَ من أرْضِ

---

(١) الوصم: العار. (٢) التكول: الجبن والنكص.

(٣) أرسطوطاليس: أو أرسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ق.م) فيلسوف يوناني. تأثرت به بوادر الفكر العربي. أهم مؤلفاته: الخطابة، كتاب ما بعد الطبيعة، النفس.

(٤) إهماد لهب العداوة: إخمادها وإطفاؤها.

(٥) سورة ناره: حدّتها، والسّورة أو السّؤرة أثر الشيء وارتفاعه.

(٦) السريرة: الطويّة والنيّة.

قال الأخطل:

شُمُسُ العداوةِ حتى يُسْتَقَادَ لَهُمْ[1]

● ذمُّ الحِقْد وذويه

قال النبي ﷺ: ترفع أعمال العباد فترفع إلى الله في كل جمعة فيغفر للمستغفرين ويرحم المترحّمين ويترك أهل الحقد لنيتهم. **وقيل** للأحنف: من أسود الناس **فقال**: الأخرق في ماله المطرّح لحقده.

● أسبابُ العَدَاوات

شكا رجل إلى سهل بن هارون عداوة رجل **فقال**: العداوة تكون من المشاكلة والمناسبة والمجاورة واتفاق الصنائع فمن أيّها معاداته لك وقال رجل لآخر إنّي أخلص لك المودة، **فقال**: قد علمت. **قال** كيف علمت وما معي من الشاهد إلا قولي. **قال** إنك لست بجار قريب ولا بابن عم نسيب ولا بمشاكل في صناعة، **وقيل** لمشيب بن شبة: ما بال فلان يعاديك **فقال** لأنه شُقيقي في النسب وجاري في البلد ورفيقي في الصناعة، **وقيل**: كل عداوة لعلة فإنها تزول بزوال العلة وكل عداوة لغير علة فإنها لا تزول.

● عداوةُ الأقارِب

قيل: عداوة الأقارب كالنار في الغابة. ما النار في الفتيلة بأحرق من تعادى القبيلة. **وقيل**: عداوة الأقارب كلسع العقارب. **قال**: إن الأقارب كالعقارب بل أضرّ من العقارب. وسُئِلَ بَعْضُهُم عن بني العم **فقال**: هم أعداؤك وأعداء أعدائك، ولهذا باب في الأقارب.

● من لا يُبالي بعدَاوته

قال الأعشى[2]:

أَلستَ منتهياً عن نحتِ أثلتِنا ... ولستَ ضائرَها ما أطّتِ الإبِلُ[3]

كناطحِ صخرةٍ يوماً ليوهنَها ... فلم يضرها وأوهى قَرْنَهُ الوَعِلُ

وقال كشاجم:

تبارزُني ونفسُكَ في رصاصٍ ... وكَمْ يَبْقَى على النّار الرّصاصُ

---

(١) هذا شطر بيت للأخطل في مدح بني أمية يقول فيه إنّ ممدوحيه شديدو العداوة حتى يخضع لهم الآخرون، وأما شطر البيت الثاني فهو قوله:

وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدروا

يشيد فيه بسماحتهم وعفوهم عند المقدرة.

(٢) **الأعشى**: (ت ٦٢٩م) شاعر جاهلي عرف بالأعشى الأكبر، ولُقّب بصناجة العرب، لسيرورة شعره.

(٣) **الأثلة**: ما هو موروث من مال أو شرف ـ **أطّت**: صوّتت.

وقال الحجاج: أهل العراق أهل الشقاق والنفاق ومساوىءِ الأخلاق. ثِلْثٌ من الدين مارق وثِلْثٌ منافق وثِلْثٌ سارق. والله لو عاديتموني لما ضررتموني وما مثلي ومثلكم إلا كما قيل:

فرأيك لو أبْغَضْتَنِي ما ضَرَرْتَني　　ولو رُمْت نفعاً ما وَسعْتَ لذلك

(٥)

ومما جاء في الحسد

●

● حدّ الحَسَد

قيل: الحسد أن تتمنى زوال نعمة غيرك والغبطة أن تتمنى مثل حال صاحبك وقال ﷺ المؤمن يغبط والمنافق يحسد. **وقيل**: الحسد خلق دنيء **وقال ابن المعتز**: الحسد من تعاطى الطبيعة واختلاف التركيب. **وقيل**: الحسد داعية النكد.

● استعظامُ الحسدِ من بينِ الذّنوب

قال ابن السماك: إن الله تعالى أنزل سورة جعلها عوذة لخلقه من صنوف الشر فلما انتهى إلى الإعاذة من الحسد جعلها خاتماً إذ لم يكن بعده في الشر نهاية الحَسدُ أوّل ذنبٍ عصى الله به في السماء والأرض.

قال ابن المقفع: الحسد والحرص دعامتا الذنوب فالحرص أخرج آدم عليه السلام من الجنة والحَسَدُ نقل إبليس من جوار الله تعالى. وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: رفع البركة عن خمسة عن الناكث والباغي[(١)] والحسود والحقود والخائن. وقال ﷺ: الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

● النهيُ عنِ الحَسَد

رُوِيَ أن سليمان عليه السلام: سأل الله تعالى أن يعلمه كلمات ينتفع بها، فأوحى إليه أني معلِّمَكَ ستَّ كلماتٍ لا تغتابن عبادي وإذا رأيت أثر نعمتي على عبد فلا تحسده. **فقال**: يا رب حسبي أنا لا أقوم بهاتين من حسد من دونه قل عدوه ومن حسد من فوقه أتعب نفسه.

● كونُ الحسَد ضاراً لصاحبه

قال علي كرم الله وجهه: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد: نفس دائم وعقل

---

(١) مثّل الشاعر المعنى في البيت السابق مشبهاً العاجز عن إيذائه وإلحاق الضرر به، بالوعل الذي ينطح الصخرة فهو لا يضرها بل يوخي قرنه.

هائم وحزن لازم وقال أيضاً لله در الحسد ما أعدله يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود. وقيل: الحسود لا يسود. وقال الجاحظ: من العدل المحض والإنصاف الصريح أن تحط عن الحاسد نصف عقابه لأن ألم جسمه قد كفاك مؤنة شطر غيظك. وقيل: لا راحة لحسود ولا وفاء لملول الحسود غضبان على القدر والقدر لا يعتبه. ولمنصور الفقيه:

أَلاَ قُلْ لِمَـنْ بـاتَ لـي حـاسِـداً ... أَتَـدْرِي عـلـى مَـن أسـأتَ الأَدَبْ
أسـأتَ عـلـى الله فـي حُـكْـمِـهِ ... إذا أنْـتَ لـم تَـرْضَ لـي مـا وَهَـبْ

وُجِدَ على بساط لملك الروم البخيل مذموم، والحسود مغموم، والحريص محروم. وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الحسد والنكد[1] أيهما شر؟ فقال: الحَسَدُ داعية[2] النكد بدلالة أن إبليس حسد آدم عليه السلام فصار حسده سبب نكده فأصبح لعيناً بعد أن كان مكيناً[3]

● صعوبةُ إرضاءِ الحاسِد

قال معاوية: كل الناس يمكنني أن أرضيه إلا الحاسد فإنه لا يرضيه إلا زوال نعمتي. وقيل: لزاذان فروخ: أيّ: عدو لا تحب أن يعود صديقاً؟ قال: الحاسد الذي لا يرده إلى مودتي إلاّ زوال نعمتي. قال المتنبي:

سـوى وجـعِ الـحـسّـاد داوِ فـإنّـه ... إذا حـلّ فـي قـلـبٍ فـلـيـسَ يـحـولُ[4]

وقال الببغا:

ومـن الـبـلـيّـة أن تـداوي حِـقْـدَ مَـنْ ... نـعَـمُ الإلَـهِ عـلـيْـكَ مـن أحـقـادِهِ

● وصفُ الحسَد بأنه أعظمُ عداوة

قال أبو العيناء: إذا أراد الله أن يسلّط على عبده عدوّاً لا يرحمه، سلط عليه حاسداً. وقال بعضهم: ما ظنك بعداوة الحاسد وهو يرى زوال نعمتك نعمة عليه.

● صعوبة شماتة الحساد

سأل بعض الملوك جماعة من الحكماء عن أشد ما يمرّ على الإنسان، فقال بعضهم: الفقر، وقال آخرون: الفقر في الغربة، وقال غيرهم الغربة مع المرض. ثم أجمعوا على أن أشد من ذلك كله شماتة العدو ثم أجمعوا على أن أشد من ذلك كله رحمة العدو للمرء من نكبة تناله. فقال:

وحـسـبُـك مِـنْ حـادثٍ بـامـرىءٍ ... تـرى حـاسِـديـه لـه راحِـمِـيـنـا

---

(١) النكد: قلّة الخير. (٢) داعية النكد: سببه.
(٣) مكيناً: قوياً وراسخاً، من مُكن أي ارتفع وصار ذا منزلة.
(٤) يقول: إن أشد المصائب وقعاً على المرء أن يشمت به حسّاده.

قال ابن أبي عيينة:

كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتى ... وتزولُ غيرَ شماتةِ الحُسَّادِ

قال الخبزارزي[1]:

شماتُتُكُمْ لي فوقَ ما قدْ أصابَني ... وما بي دخول النار بل طنزُ مالِكِ[2]

● **الحسدُ يظهرُ فضلَ المحسود**

قال البحتري:

ولن يستبينَ الدهرَ موضعُ نعْمةٍ ... إذا أنتَ لم تدلُلْ عليها بحاسدِ

وقال أبو تمّام:

وإذا أراد اللّهُ نشرَ فضيلةٍ ... طُوِيَتْ أتاحَ لها لسانَ حسُودِ

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاوَرَتْ ... ما كَانَ يُعْرَفُ طِيْبُ عَرْفِ العُودِ[3]

وفي مثله:

يُبينُ فضلَ الشيءِ مَنْ عاداه[4]

وقال:

فضلُ الفتى يُغري الحسودَ بسبّهِ ... والعودُ لولا طِيبُهُ ما أُحْرِقا[5]

● **الفضائلُ مقتضيةٌ[6] للحسد**

قيل: لا يفقد الحسد إلا من فقد الخير أجمع، فمنبعُ الحسد مقرّ النعمة.

قال شاعر:

وحذاءُ كلِ مروءةٍ حسّادُها[7]

قال البحتري:

وليس يفترقُ النعماءُ والحسدُ

وقال آخر

وترى الكريمَ محسّداً لم يجترمْ ... شتْمَ الرجالِ وعرضُهُ مَشْتُومْ

---

(١) **الخبزارزي**: هو نصر الخبزارزيّ من شعراء الغزل في البصرة في القرن الثالث الهجري. سمّي بالخبزارزيّ لأنه كان يخبز الأرز بمربد البصرة. ومع أنه كان أمياً فقد كان غزله مشهوراً يتناقله النّاس مات سنة (٩٣٨م).

(٢) **الطنز**: السخرية.

(٣) **العَرْف**: الرائحة، ولا سيما الرائحة الطيّبة.

(٤) **يبين**: يُظهر ويكشف.

(٥) **العود**: أي عود البخور.

(٦) **مقتضية**: موجبة.

(٧) **حذاء كلّ مروءة**: ما هو بحذائها أي بإزائها.

ومرّ قيس بن زهير ببلاد بني غطفان فرأى ثروة فكره ذلك، فقال له الربيع ألاَ يسرّك ما يسرُّ الناس؟ فقال: إن مع الثروة التحاسد والتخاذل ومع القلة التحاشد والتناصر، وقيل لبعض المهالبة: ما أكثر حسادكم؟ فقال:

إن العرانينَ تلقاها محسدةً ... ولن ترى لِلِئَامِ الناسِ حُسَّادَا[1]

قال ابن المعتز:

المجدُ والحسّادُ مقرو ... نانِ، إن ذهبوا فذاهب

وإذا ملكتَ المجد لم ... تملكْ مودَّاتِ الأقاربِ

قال الموسوي:

عاداتُ هذا الدهرِ ذمُّ مُفَضِّلٍ ... ومَلامُ مِقدامٍ وعَذْلُ جوادِ

● **المحسودُ لفضله**

قال شاعر:

حسدُوا الفتَى إذ لمْ ينالُوا سَعْيَهُ ... فالقَوْم أعْدَاءٌ له وخُصُومُ[2]

كضرائر الحسْناء قلْنَ لوجهِها ... حسَداً وبغْضاً إنه لَدَمِيمُ[3]

قال ابنُ المعتز:

ومن عجبِ الأيام بغيُ معاشر ... غضاب على سبْقي إذا أنا جارَيْتُ

يُغيظُهُمْ فضْلي عليهِم ونقصُهُمْ ... كأنّي قَسَمْتُ الحُظوظَ فحَابَيْتُ

● **الدعاءُ للإنسان بأن يكونَ محسوداً**

قال شاعر:

لا ينزعُ اللّهُ عنهم ما له حُسِدُوا

وقال آخر:

لا زلت عرضَ قرير العين مَحْسودا

وقال آخر:

لا زالَ مكتَسِباً سِرْبَالَ مَحْسُوْدِ

وقال آخر:

ولا بَرَحَتْ نعْماك داءَ حسودِها[4]

---

(١) **العرانين**: جمع عرنين وهو السيّد الشريف.

(٢) و (٣) إذا لم ينَلِ القوم ما ينال الفتى من السعي والكسب باتوا أعداءَ له وحساداً. فحساد الفتى كضرائر الحسناء الذين يعميهم الحسد عن رواية الحسن في وجهها فينعتونه بالدمامة.

(٤) **النعمى**: الدعة وخفض العيش والمال واليد البيضاء الصالحة.

وقيل في الدعاء: حسد حاسدك. **وقال بعض أهل اللغة**: ولا يقال حاسد حسدك لأنه يصير دعاءً للحاسدِ.

- **ذمّ من لا يحسد**

قال:

ولـن تـرى لِـلِـئـام الـنّـاس حُـسّـادا

الحارثي:

وأسـوأُ أيـامِ الـفـتـى يـومٌ لا يـرى ... مـا أحـداً يُـزري عـلـيـه ويُـنـكِـرُ[1]

- **دنيءٌ يحسد سريًا**

قال مروان بن أبي حفصة[2]:

مـا ضـرّني حَـسَـدُ اللئـامِ ولـم يـزلْ ... ذو الـفـضـلِ يَـحـسـدهُ ذوو الـتَّـقـصِـيرِ

قال أبو تمّام:

لـكـلِّ كـريـمٍ مـن ألائِـم قـومِـه ... على كلِّ حالٍ حاسدونَ وكُشَّحُ[3]

- **من يحسُدُ الذين تصلُ إليهم نعمُه**

قيل: توصل رجل إلى إبليس **فقال له**: لي إليك حاجة إنّ لي ابن عم ذا ثروة وله إحسان كثير إلي وتوفر علي ولي بماله نفع بيّن، ولكني أريد أن تزيل نعمَتَه، وأن افتقرت بفقره. **فقال إبليس** لاصحابه من أراد أن يرى من هو شر منّي فلينظر إليه. **وقيل** لرجل: أتحسد فلاناً وهو يواليك ويكرمك. **فقال** نعم حتى أصير مثله أو يصير مثلي قال المتنبي

وأظلَمُ أهلِ الأرضِ مَنْ باتَ حاسداً ... لـمَـنْ بـاتَ فـي نـعـمـائِـه يـتـقـلَّـبُ

قال ابن الرومي:

يـا مـنْ يـعـادي الـسـمـاءَ إن رفـعَـت ... كـلَّ خـيـرِهـا تـحـتـهـا ودعْ نَـكَـدَكْ[4]

- **المكذب بأفعاله قول الحساد**

يـكـذّبُ قـولُ الـحـاسـدين سـمَـاحـتي ... وصبْري إذا ما الأمرُ عضّ فأضْجَعَا

قال لبيد:

بـنـو عـامـرٍ مـن خـيـرِ حـيٍ عـلـمْـتـمُ ... وإنْ نَـطَـقَ الأعـداءُ زوراً وبـاطِـلا

---

(١) **يزري عليه**: يضع من حقّه ويعيبه.

(٢) **مروان بن أبي حفصة** من شعراء بغداد، كان يهودي الأصل. كانت ولادته سنة (٧٢١م) وتوفي سنة (٧٩٨م).

(٣) **الائم قومه**: لئامهم ـ **الكشح**: المبغضون، جمع كاشح ـ **يقول**: إنّ الكريم عُرضة لحسد قومه اللئام.

(٤) **نكدك**: قلّة عطائك، **يقال نكد فلاناً حاجته**: منعه إياها.

● **تبكيتُ الحاسد وحثّه على أن يفعل فعلَ محسود لينالَ منزلته**

قال البحتري:

لا تحسُدوه فضلَ رتبتِه التي ... اعيَتْ عليه وافعَلوا كفعالِه

قال السري الرفّاء:

نالتْ يداهُ أقاصي المجدِ الذي ... بسطَ الحسودُ إليه باعاً ضَيِّقاً

أعدوه هلْ للسّماكِ جريرةٌ ... في أن دنوتَ منِ الحَضيضِ وحلّقا

أم هل لِمَنْ ملأ اليدينِ من العُلا ... ذنبٌ إذا ما كنتَ منه مُمْلِقَا(١)

● **استراحةُ من لا يحسد وطيبُ عيشِه**

الفضل لمن نبذ الحسد وأراح الجسد ولزم الجدد(٢) **قال البحتري:**

مستريحُ الأحشاءِ من كلِّ ضغنٍ ... باردُ الصَّدرِ من غليلِ الحَسُودِ(٣)

قال الأصمعي: رأيت أعرابياً أتى عليه عمرٌ كثير، **فقلت**: أراكَ حَسَنَ الحالِ في جسدك. **قال**: نعم تركتُ الحَسد فبقِيَتْ نفسي. وهذا من قول سقراط: الحسدُ يأكلُ الجسد. **قال** الفضيل: لا يستريح قلبك حتى يتركَ كلَّ الدنيا. **وقيل**: من دعته نفسه إلى ترك الدنيا فلينظر هل يحسدُ أحداً فإن حَسَدَ كان تركُه عجزاً لأنه لو زهد فيها ما حَسَدَ عليها.

● **الممدوحُ بأنه لا يحسد**

وقف الأحنف على قبر الحارث بن معاوية **فقال**: رحمك الله كنت لا تحقر ضعيفاً ولا تحسد شريفاً

قال التنوخي:

فما نُشِرَتْ أعراضُهُمْ عن معائبٍ ... ولا طُوِيَتْ منهم قلوبٌ على حِقْدِ

وأنّى يكونُ الحِقْدُ والنّاسُ دونَهم ... ولا حقدَ إلا أن يكونَ على نِدِّ(٤)

● **من جلَّ عن أن يُحْسَد أو يُعادى**

قال ابن الرومي:

ما أنتَ بِالمحْسودِ لكن فوقَه ... أن المُبينَ الفضْلَ غيرُ محسَّدِ

---

(١) **مملقاً**: معوزاً، شديد الفقر والمملق الذي أنفق ماله حتى افتقر ـ **نكد العيش**: عسرهُ وشدّته.

(٢) **الجدَد**: الأرض المستوية، **وفي المثل**: من سلكَ الجدَد أمِنَ العِثار.

(٣) **الضغن**: الحقد، **والضغن أيضاً** الميل والعوج ـ **الغليل**: شدّة العطش وهنا حرارة الضغينة والحقد.

(٤) **أكون على ندّ**: (بفتح النون) النّدّ (هنا): الأكمة والمرتفع، والعود الذي ينجز به، **والنّد** (بكسر النون) المثل جمع أنداد.

فتحاسدَ القومُ الذين تقارَبَتْ طبقاتُهم وتقاربُوا في السؤددِ
فإذا أبرّ أميرُهم وبدا لهم تبريزُه في فضله لم يُحْسَدِ[1]

وقال أبو تمّام:

وسمَحْتَ في الدّنيا فما لَكَ حاسدُ

● **الحثُّ على التحرز[2] من حسد السلطان**

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إنّ الرجل إذا ملك زَهَّدَهُ اللّهُ فيما في يده ورغَّبهُ فيما لغيره وأشْرَبَ قلبه الإشفاق. فهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير. لما فرغ جعفر ابن يحيى من بناء قصره صار إليه وجوه أصحابه وفيهم مؤنس بن عمران وكان رجلاً كاملاً فاستحسنوه، ومؤنس ساكت. **فقال جعفر**: لِمَ لا تتكلم؟ **فقال**: فيما قالوه كفاية. فألحّ عليه أن يقول شيئاً **فقال مؤنس**: أتصبر على الحق والصدق. قال نعم فقال: إن خرجت ومررت بدار لبعض أصحابك تشبهها أو تفوقها، ما أنت قائل؟ **قال**: قد فهمت فما الرأي؟ **فقال** له: تأتي أمير المؤمنين وتقول: إني قد بنيت هذا القصر للمأمون واتبعه من الكلام ما أنت أعلم به. فسأله الرشيد عن خبره **فقال له ذلك، وقال** له: إني استعملت لكل بيت من الفرش ما يليق به، فزال عن قلب الرشيد ما خامره.

وقال الشعبي: وجهني عبد الملك إلى ملك الروم فلما انصرفت دفع إلي كتاباً مختوماً فلما قرأه عبد المللك رأيته تغيّر **وقال**: يا شعبي أعلمت ما كتب هذا الكلب، **قلت**: لا **قال**: إنه كتب لم يكن للعرب أن تملك إلا من أرسلت به إلي. **فقلت**: يا أمير المؤمنين إنّه لم يرك ولو رآك لكان يعرف فضلك، وإنه حسدك على استخدامك مثلي. فَسُرِّي عنه، **وقيل**: إذا أردت أن تسلم من حسد سلطانك فعمّ عليه مجامعَ شأنك.

● **ما لا يستقبحَ فيه الحسدَ**

قال النبي ﷺ: لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالاً ثم أنفقه في حقٍّ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها. **وقال** أرسطوطاليس: الحسد حسدان محمود ومذموم فالمحمود أن ترى عالماً فتشتهي أن تكون مثله أوزاهد فتشتهي مثل فعله والمذموم أن ترى عالماً أو فاضلاً فتشتهي أن يموت.

● **المتبجّحُ بكونه حسُوداً**

اجتمع ثلاثة نفر **فقال** أحدهم لصاحبه: ما بلغ من حسدك؟ **قال**: ما اشتهيت أن أفعل بأحد خيراً قط. فقال الثاني: إنك رجل صالح أنا ما اشتهيت أن يفعل أحد بأحد خيراً قط. فقال

---

(١) أبرّ (عليه): غلب وفاق ـ التبريز: التفوّق في الفضل أو الشجاعة.

(٢) التحرز: التوقّي.

الثالث: ما في الأرض أفضل منكما، أنا ما اشتهيت أن يفعل بي أحد خيراً قط. **وقال عبد الملك للحجاج**: صِفْ نَفْسَكَ فليس العاقل إلاّ من عرف نفسه. **فقال**: أنا حديد حقود حسود.

● حمدُ الغبطةِ وذمّها

رُويَ في الخبر: المُؤمِنْ يغبط[1] والمنافق يحسد. ورُوِيَ أنّ النبي ﷺ سُئِلَ: أيضرّ الغبط؟ **قال**: نعم كما يضرّ الورق الخبط[2]

(٦)

ومما جاء في التواضع والكبر

●

● ما حدّ به التواضع والكبر

قيل لبعضهم: ما التواضع؟ **قال**: أخلاق المجد واكتساب الود. **فقيل** ما الكبر؟ **قال**: اكتساب البغض، **وقيل لأزدشير**: ما الكبر؟ **فقال**: اجتماع الرذائل لم يدر صاحبها أين يضعها فيصرفها إلى الذم.

● فضلُ التواضع والحثّ عليه

قال النبي ﷺ: طوبى لمن تواضع التواضع أحد مصائد الشرف، من لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره وفي الشمل تواضع الرجل في مرتبته زبٌ للشماتة عند سقطته، **وقيل**: من وضع نفسه دون قدره رفعه الناس فوق قدره ومن رفعها عن حده وضعه الناس دون قدره، **وقيل** لبزرجمهر: هل تعرف نعمة لا يحسد عليها؟ **قال**: نعم التواضع **فقيل**: هل تعرف بلاء لا يرحم صاحبه؟ **قال**: نعم الكبر.

● فضلُ كبيرٍ مُتواضع

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك **ويقول**: لو دعيت إلى كراع[3] لأجَبْتُ. وكان **يحيى بن سعيد** خفيف الحال فاستقضاه **أبو جعفر** فلم يتغير **فقيل** له: في ذلك **فقال**: من كانت نفسه واحدة لم يغيره المال. ولما ورد المرزبان على **عمر** رضي الله عنه فاورد باب داره وقرع بابه **فقيل**: أنه قد خرج آنفاً فكانوا يسألون عنه فيقولون مر من ههنا آنفاً،

---

(١) **يغبط**: من غبطه غبْطاً وغِبطة: عظم في عينه وتمنى مثل حاله دون أن يريد زوالها عنه فهو غابط.

(٢) **الخبط**: الضرب، **والخبط أيضاً** ورق الشجر المضروب بالمخابط.

(٣) **الكراع من البقر والغنم**: بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مندق الساق والمراد بقوله: دعيت إلى كراع أي أكلة كراع.

فاستحقرَ[1] المرزبان أمره، إلى أن انتهى إليه وهو نائم في ناحية المسجد فلما رفع رأسه امتلأت نفس المرزبان منه رعباً فقال: هذا والله الملك الهنيء لا يحتاج إلى حراس ولا إلى عدد وقال عمر رضي الله عنه حين نظر إلى صفوان مبتذلاً لأصحابه هذا رجل يفر من الشرف والشَّرَفُ يتبعه، وقال معاوية لرجل: مَنْ سيِّد قومِك؟ فقال: الجاهم الدهر إليّ فقال بمثله من التواضع يحل الشرف، وقال عمر رضي الله عنه أريد رجلاً إذا كان في القوم وهو أميرهم كان كبعضهم فإذا لم يكن أمير فكأنه أميرهم، قال أبو تمام:

مُتَبذِلٌ في القَوْمِ وهو مُبَجَّلٌ ... متواضعٌ في الحيِّ وهو مُعَظَّمُ[2]

وقال آخر

متواضعٌ والنبلُ يحرسُ قدرَه ... وأخُو التواضعِ بالنَباهة يَنْبُلُ

قال الخوارزمي:

عجبتُ لهُ لم يلبس الكبرَ حلّةً ... وفينا إذا جُزْنا على بابِهِ كِبْرُ

● ذمّ التكبر والنهيُ عنه

قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[4]، وقال: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[5]، وقال النبي ﷺ: إن الله يقول الكبر إزاري[6] والعظمة ردائي، من نازعني واحداً منهما ألقيته في النار، وأخذ أبو نواس هذا المعنى فقال:

حذرتُكَ التيهَ لا يعلقْكَ ميسَمُهُ ... فإنه مَلْبسٌ نازعتَه الله

وقال بزرجمهر: وجدنا التواضع مع الجهل والبخل، أحمد عند العقلاء من الكبر مع الأدب والسخاء. فانبل بحسنة غطّت سيئتين، وأقبح بسيئة غطت على حسنتين. كم من صلف أدى إلى تلف، العجب لابن آدم لِمَ يتكبر وقد جرى في مجرى البول مرتين. أخذ ابن الرومي ذلك فقال:

كَيفَ يَزهُو مِنْ رجيعه ... أبا الدهر ضجيعه

قال: منصور الفقيه، يا قريب العهد بالمخرج لِمَ لا تتواضع، ويروى عن النبي ﷺ لا يبغى على الناس إلاّ وَلَدُ بغى أومن فيه عرق سوء، وقيل: ما تاه إلاّ وضيعٌ ولا فاخرَ إلا سقيطٌ ولا تعظم إلا لقيط[7] وقيل: دع الكبر فمتى كنت من أهل النبل لم يضرك التبذّل ومتى لم تكن من أهله لم ينفعك التبتل.

---

(١) المرزبان: الرئيس عند الفرس، وقوله: استحقر المرزبان أي احتقره وازدراه.
(٢) متبذّل: التبذّل ترك الاحتشام والتعفّف.
(٣) القرآن الكريم: العنكبوت/٦٨.
(٤) القرآن الكريم: المؤمن/٣٥.
(٥) القرآن الكريم: نوح/٢٣.
(٦) إزاري: الإزار: كلّ ما يستر.
(٧) اللقيط: المولود الذي يُنبَذ.

● ذكرُ السبب الداعي إلى التكبّر

قال المأمون[1]: ما تكبّر أَحَدٌ إلاّ لنقص وجده في نفسه ولا تطاول إلاّ لوهن أَحَسَّ من نفسه **قال أحمد بن أسماعيل**:

رأيتُ الرياسةَ مقرونةً ... بلبْس التكبّرِ والنخْوَهْ

● ذمّ متكبّر لولايةٍ نالها

قيل: من نال منزلة فابطرته دل على رداءة أصله وعنصره. **قال أحمد بن أبي طاهر**:

وتاه سعيد أن أفيدَ ولايةً ... وقلّد أمراً لم يكُن من رِجالِهْ

وأدبرَ عني عند إقبالِ حظّهِ ... وغيّر حالي عنده حسنُ حالِهْ

وضاقَ علي حقّي بعقب اتساعهِ ... فأوسعتَه عذراً لضيقِ احتمالِهْ

وقال سفيان رحمه الله: السفل إذا تمولوا استطالوا وإذا افتقروا تواضعوا والكرام إذا تموّلوا تواضعوا وإذا افتقروا استطالوا. **قال صالح بن عبد القدوس**:

تاه على إخوانه كلّهِمْ ... فصار لا يطرفُ من كِبْرِهِ[2]

أعادَه الله إلى حالِه ... فإنّه يحْسُنُ في فَقْرِهِ[3]

● المبغيّ عليه منصور

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾[5] **وقال** ﷺ: ما رأيت أسرع هلاكاً من البغي، **وقال** ﷺ: ذنبان عجل عقوبتهما: البغي وقطيعة الرحم.

قال يزيد بن الحكم:

البَغيُ يصرعُ أهلَهُ ... والظُلمُ مَرتَعُهُ وَخِيمُ[6]

● ذمّ متكبّر بخيلٍ أو دنيء

قال النبي ﷺ: البخل والكبر لا يجتمعان في مؤمن. **وقيل**: من استطال بغير تطوّل وامتنّ بغير مِنّة فقد استعجل المقت.

قال عليّ بن الجهم:

جمعتَ أمرَيْن ضاعَ الحَزْمُ بينَهما ... تِيهَ الملوك وأفعَالَ المَماليكِ

---

(١) **المأمون**: خليفة عباسي هو ابن هارون الرشيد. (١٧٠ ـ ٢١٨هـ/ ٧٨٦ ـ ٨٣٣م) أمّه جارية فارسية قتل أخاه الأمين وخلفه. أنشأ بيت الحكمة في بغداد.

(٢) **لا يطرف**: لا يحرك عينيه بالنظر. (٣) **يحسن**: يجمل.

(٤) **القرآن الكريم**: الحج/ ٦٠. (٥) **القرآن الكريم**: يوسف/ ٢٣.

(٦) **مرتعه وخيم**: أي عاقبته سيئة، والمرتع أصلاً مكان الرتع، من رتع رتْعاً ورتوعاً المكان أخصب.

قال أبو بكر بن الزبير:

يا قليلَ القَدْرِ موفورَ الصلف ... والذي في التيه قد حازَ السَرَفْ[1]
كنْ لئيماً وتواضعْ تُحتَمَلْ ... أو سخياً يُحْتَمَل منكَ الصَلَفْ

وقيل: أنف في السماء واست في الماء. ومن هذا النحو قول الجعدي:

بالأرضِ أستاهُهُم عجزاً وأنفُهُمُ ... عند الكواكبِ بغياً يا لَذا عجَبا

- **ذمّ فقيرٍ متكبر**

قيل: أبغض الناس ذو عسر يخطر في رداء كبر، قال الشاعر في ذم آخر:

فَخرٌ بلا حسَبٍ عجْبٌ بلا أدبِ ... كبْرٌ بِلاَ دِرْهَمٍ هذا مِنَ العَجَبِ

- **ذمُّ الفخرِ وذويه**

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾[2] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[3] ونظر النبي ﷺ إلى رجل بخرازاره **فقال**: أرفع إزارك فإنه أبقى وأنقى وأتقى **فقال**: يا رسول الله إنّه مروءة. **فقال** أليس: لك بي أسوة وكان إزاره ﷺ إلى انصاف ساقيه. نظر مطرف إلى المهلب وعليه حلة يسحبها **فقال**: ما هذه المشية التي يبغضها الله؟ **فقال**: أو ما تعرفني؟ **قال**: بلى أولك نطفة[4] مذرة وآخرك جيفة قذرة[5] وأنت بين ذلك حامل عذرة[6] فلم يَعُدْ إلى تلك المشية، ونظر الحسن رضي الله عنه إلى رجل يخطر في ناحية المسجد، **فقال**: انظروا إلى هذا ليس فيه عضواً إلاّ ولله عليه نعمة وللشيطان فيه لعبة.

- **ذمّ مَنْ ضرع ذِلّة بعْد التكبّر**

قال شاعر:

رفعَ الكلبُ فاتّضعْ ... ليسَ في الكلبِ مُصْطَنَعْ
بلغَ الغايَةَ التي ... دونَها كلُّ ما ارْتَفَعْ
إنّما قصر كلِّ شي ... ء إذا طار أنْ يَقَعْ
لعَنَ اللّهُ نخْوَةً ... صار من بعدِها ضَرَعْ

- **مدحُ متواضع بسرعةِ المشي والتجوزِ في الأكل**

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسرع المشي فقيل له في ذلك **فقال**: هو أنجح

---

(١) **الصلف**: الادعاء إعجاباً وتكبراً. (٢) **القرآن الكريم**: الإسراء/٣٧.

(٣) **القرآن الكريم**: لقمان/١٨.

(٤) **النطفة**: الماء الصافي، جمع نطاف ونُطَف اللؤلؤة الصافية.

(٥) **قذرة**: خبيثة فاسدة. (٦) **العذرة**: الغائط، أراداً ما يخرج من الطعام.

للحاجة وأبعد من الكبر أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[1]، وكان النبي ﷺ يأكل على الأرض فقيل له في ذلك فقال: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد.

• المتواضعُ بالقيامِ بحوائج الناس وتحمّلِ أثقالِهم

كان النبي ﷺ يمشي مع الأرملة يقضي حاجتها ولا يستنكف[2]، واشترى رجل شيئاً فمر بسلمان وهو أمير المدائن فلم يعرفه فقال: احمل هذا معي يا عِلج[3]، فحمله وكان من يتلقاه يقول ادفعه إليّ أيها الأمير فيقول: لا والله لا يحمله إلا العلج والرجل يعتذر إليه ويسأله أن يردّه عليه وهو يأبى حتى حمله إلى مقرّه.

• المتواضعُ في قيامِه بأمرِ عِياله

اشترى أمير المؤمنين رضوان الله عليه تمراً بدرهم فحمله في ملحفته فقال له بعض أصحابه: دعني أحمله، فقال: أبو العيال أحق أن يحمله. وروِي بعض الكبار وبيده بطن شاة فقال له رجل: ادفعه إليّ فإنه يزري[4] بك، فقال:

ما نَقَّصَ الكامِلَ مِنْ كَمالِهِ ما جرَّ مِنْ نفعٍ إلى عِيالِهِ

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يحمل الحزمة من الحطب وهو خليفة مروان، وكان يقول: وسّعوا للأمير.

• حمدُ تعظيمِ الكِبار

قدم قيس بن عاصم على النبي ﷺ وكان سيد أهل الوبر فبسط له رداءه ثم قال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه. وروي أن مجوسياً دخل على رسول الله ﷺ فأخرج ﷺ من تحته وسادة حشوها ليف وطرحها له وأقبل عليه يحدّثه، فلما نهض قال عمر رضي الله عنه: إنّه مجوسي، فقال عليه الصلاة والسلام: قد علمت ولكن جبريل عليه السلام يأمرني أن أكرم كلّ كريمِ قومٍ إذا أتى، وهذا سيد قومه.

وقال الشعبي: ركب زيد بن ثابت فدنا منه عبد الله بن العباس رضي الله عنهم ليأخذ بركابه فقال: ما تفعل يا ابن عم رسول الله؟ فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأمرائنا فقال زيد ارني يدك فأخذها وقبلها وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا.

• النهيُ عن التصدّر في المجالِس

قال زياد لابنه: إياك وصدر المجالس فإنه مجلس قلعة. قال الأحنف: ما جلست مجلساً خفت أن أقام منه لغيري ولهذا باب في غير هذا الموضع.

---

(١) القرآن الكريم: لقمان/١٩. (٢) استنكف: تراجع.
(٣) العِلج: العبد الحمار، والعِلج أيضاً: الرجل الضخم القويّ من كفار العجم.
(٤) يزري بك: يحتقرك.

● **حمدُ تصديرِك صاحبك**

دخل سالم بن مخزوم على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: فتنحى له عن الصدر فقيل له في ذلك **فقال**: إذا دخل عليك من لا ترى لك عليه فضلاً فلا تأخذ عليه شرف المنزلة.

● **مدْحُ معرفةِ الرجل قدْرَ نفسِه**

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لن يهلك امرؤ عرف قدره. وقال الشافعي رضي الله عنه: أنفع الأشياء أن يعرف الرجل قدر منزلته ومبلغ عقله ثم يعمل بحسبه. وقد تقدّم من ذلك صدر في باب العقل.

● **ذمُّ اعجابِ المرء بنفسه**

قال النبي ﷺ: ثلاث مهلكات: شحٌ مُطَاع وهوى مُتبَع وإعجابُ المرء بنفسه. **وقيل**: عجبُ المرء بنفسه أحد حساد عقله.

وقال الشاعر:

ما النّاسُ عِنْدَكَ غيرُ نفسِك وَحْدَها والـنـاسُ عـنـدَكَ مـا خـلاكَ بَـهَـائِـمُ

وقال أعرابي لرجل معجب بنفسه يسرني أن أكون عند الناس مِثْلَك في نفسك وعند نفسي مثلك عند الناس. **وقال** إبليس: إذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطالبه بغيرها إذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونَسيَ ذنبه.

● **ذكرُ من عظُم إعجابُه وصلفُه**

حُكِيَ عن ابن ثوابة أنه **قال** لغلامه: اسقني ماء، **فقال**: نعم فأمر بصفعه **فقيل** له: في ذلك **فقال**: إنما يقول نعم من يقدر أن يقول لا، وليس لهذا هذه المنزلة. ودعا يوماً أكاراً يكلمه. فلما فرغ دعا بماء وتمضمض به استقذاراً لمخاطبته وكان **جذيمة**[1] **الأبرش** لا ينادم أحداً استعظاماً. **وقال**: إنما ينادمني الفرقدان[2] فكان يشرب كأساً ويصب لهما كأسين في الأرض واستأذن **نافع بن جبير** بن مطعم على **معاوية** فمنعه الحاجب فهشم أنفه، **فقال** له معاوية: أتفعل هذا بحاجبي؟ **فقال** له: وما يمنعني وأنا بالمكان الذي أنا به من أمير المؤمنين. **فقال** له أبوه: فض الله فاك إلا قلت وأنا بالمكان الذي أنا عليه من عبد مناف.

● **معتذِرٌ لعُجْبه وعزّته**

قيل لأياس بن معاوية: ما فيك عيب غير أنك معجب، **فقال**: أيعجبكم ما

---

(١) **جذيمة الأبرش**: (ت نحو ٢٦٨) من ملوك العرب في الجاهلية، أسّس الحيرة والأنبار. عاصر زينب ملكة تدمر وماتت سنة ٢٦٨.

(٢) **الفرقدان**: النجمان أو الكوكبان، مثنى فرقد.

أقول؟ قالوا نعم قال: فأنا أحق أن أعجب به محمد بن عمران، يقولون ذو كبر ولو خص بعضهم، ببعض خصالي ما استفاق من الكبر، قيل لخالد بن يزيد بن معاوية: لِمَ تطعم الأرض من فضل ثيابك؟ فقال: أكره أن أكون كما قال علي بن عبد العزيز:

قصيرُ الثياب فاحشٌ عند بيته وشرّ قريش في قريش مركَبا

وقال يمنّي ليزيد بن مزيد وعليه برد[1] يمنى يسحبه لم يعرق جبينك في نسجه فلذلك تسرف في بذله، فقال: عليكم نسجه وعلينا سحبه.

وقال رجل للحسن: ما أعظمك في نفسك فقال: لست بعظيم ولكن عزيز من قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] البديهي في معناه:

وما أنا مزهرّ ولكنني فتًى أبَتْ لي نَفْسُ عزةٍ أن أُزِيْلَها

● الممتنعُ من التذلّل لكبيرٍ ومتكبّرٍ عليه

قال عدي بن أرطاة وهو أمير لوكيع بن أبي الأسود: سوّ عليّ ثيابي فقال، ذكرتني الظعن[3] وكنت ناسياً، في خفي ضيق فليمده الأمير حتى أنزعه. فقال له عديّ إن الجليس ليلقي من جليسه أكثر من هذا. فقال: يا عدي إذا عزلت عنا فكلفنا أكثر من هذا أما وأنت ترى لك علينا بسطة فلا الموسوى يذكر والده وامتناعه من تقبيل يد بعض السلاطين:

فتى تاهَ عن بسْط الملوكِ وقد عنَت عليها جِباهٌ من رجالٍ وآنُفُ[4]

زمامٌ عَلا لو غيرُه رام جَرَّهُ لساقَ به حادٍ من الذّلِ مُعْنفُ[5]

● متكبّرٌ على ذي كبر

سئل الحسن عن التواضع فقال: هو التكبر على الأغنياء. وأتى سليمان بن عبد الملك طاووساً فلم يكلمه، فقيل له في ذلك فقال: أردت أن يعلم أن في عباد الله من يستصغر ما يستعظم ذلك من نفسه. أنشد المبرّد:

إذا تاهَ الصديقُ عليك كبْراً فَتِهْ كِبْراً على ذاكَ الصَّديقِ

فإيجابُ الحقوقِ لغيرِ راعٍ حقوقَك رأسُ تضييعِ الحُقُوقِ[6]

وعلى هذا قال بعضهم: ما تكبر عليّ أحد قط إلا تحول داؤه في أن قابلْتُهُ بفعله.
وقال بعضهم: ما تاه أحد عليّ أكثر من مرة واحدة لأني تركته بعد ذلك وأعرضت عنه.

---

(١) البرد: الثوب المخطّط، جمع برود.
(٢) القرآن الكريم: المنافقون/٨.
(٣) الظعن: السير والرحيل.
(٤) عنت عليها جباه: انكسرت وهاضت.
(٥) الحادي: سائق الإبل.
(٦) يقول: إن حفاظك على حقوق من لا يراعي حقوقك، إنّما هو أبرز الدلائل على تضييع حقوقك.

- **من ترك حقّه إشفاقاً من وضمةٍ[1] تلحقُه**

اختصم **الأصبهيد** صاحب **طبرستان** والمصمعان صاحب **دباوند في** شيء، فكتب إلى **الحجّاج** أن يوجه رجلاً يحكم بينهما، فوجه أياساً إليهما، فلما صار بالمنصف بعث إليهما فحضر الأصبهيد على سريره وألقى للمصمعان وسادة **فقال** أياس للأصبهيد: أنت ظالم وقد عرفت ذلك منك. **قال فِيمَ؟ قال**: العدل أن تساويه في الحكم **فقال**: إذا أدع حقى ولا أساويه في المجلس فترك حقه وعاد إلى مكانه. **وقال الرشيد** يوماً لجلسائه: إن **عمارة** قد ذهب في التيه كلَّ مذهب وأحب أن أضع منه، فقيل له لا شيء أوضع للرجال من منازعة الرجال والرأي أن يؤمر رجل ليدعي أفضل ضيعة له أنه غصبه إياها، ففعل ذلك، فلما دخل عمارة قام الرجل فتظلم منه وشنّع عليه، **فقال** الرشيد: أما تسمع ما يقول الرجل؟ **فقال** من يعني؟ **فقال** الرشيد: يعنيك أنك غصبته كذا فقم واجلس معه مجلس الحكم. **فقال**: إن كانت هذه الضيعة له فلست أنازعه فيها وإن كانت لي فقد جعلتها له. فانقطع كلام الرجل فلما انصرف **قال** عمارة لرجل كان معه: مَنْ هذا المدّعي فإذا أنه لم يملأ عينه منه فأخبر الرشيد بذلك. **فقال**: سوّغنا[2] تيهه له بعد ذلك.

- **النهيُ عن الإفراط في التّواضع**

قال ابن المقفع: الإفراط في التواضع يوجب المذلّة، والإفراطُ[3] في المؤانسة يوجب المهانة. **وقيل**: من التواضع ما يضع.

- **علّرخ من تواضعَ لدنيء مهابَةً**

قال النبي ﷺ: إنّ من شرار الناس من أكرمه الناس اتقاء شرّه كان أبو العباس ضم **المنصور** إلى **حميد بن قحطبة فقال** له يزيد بن حاتم: أترضى بمتابعة حميد؟ فقال:

اسـجُـد لـقـردِ الـسّـوءِ فـي زمـانِـهِ وداره مـا دَامَ فِـي سُـلْـطَـانِـهِ[4]

وفي المثل الحمى أضرعتني[5] لك.

---

(١) **الوصمة**: اللطخة والعار.
(٢) **سوّغ الشيء**: جوّزه.
(٣) **الإفراط**: الإكثار، المبالغة.
(٤) **يقول**: دار رجل السوء ما دام حاكماً سلطاناً.
(٥) **أضرعتني**: أذلّتني.

في النصرةِ والأخلاقِ والمزاح والحياء والأمانة والخيانة والرفعة والنذالة

(١)
الجوارُ والنُّصرة

●

● الحث على مراعاةِ الجار

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾[١] وقال النبي ﷺ: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وقال ﷺ: من كان له جيرة ثلاثة كلهم راضون عنه غفر له. **وقيل**: عليكم بحسن الجوار فإن السباع وعتاق الطير في الهواء تحامى على من يجاورها.

وقيل: الكريم يرعى حق اللحظة ويتعهد حرمة اللفظة. **وقال جعفر بن محمد**: حسن الجوار عمارة الديار.

وقال زهير:

وجارُ البيْتِ والرَّجُلُ المنادي أمامَ البيتِ عَقْدُهُما سَوَاءُ[٢]

● الأمرُ بكفِّ الأذى عنه

قال النبي ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذينَ جاره. **وقيل**: ليس من حسن الجوار ترك الأذى، ولكن من حسن الجوار الصبر على الأذى. وفي الخبر من آذى جاره أورثه الله داره. **وقيل**: من آذى جاره خَرَّبَ الله دارَهُ.

● الناصِرُ من استجار به

كان **أبو سفيان** إذا نزل به جار **قال** يا هذا إنك قد اخترتني جاراً واخترت داري داراً فجناية يدك على دونك وإن جنت عليك يد فاحتكم علي حكم الصبيّ على أهله، وكان أبو حنبل يقال له مجير الجراد، وذلك أنه نزل عليه جراد بفنائه فعدا الحي إليه **فقال** لهم: إلى أين؟ فقالوا أردنا جيرانك جراداً نزل بفنائك. **فقال** أما إذا سميتموه جاري فلا تصلون إليه

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٣٥.

(٢) الرجل المنادي أمام البيت: المجاور للقوم، وفي رواية: أمام الحيّ في موضع البيت.

أبداً فأمر قومه أن يسلّوا سيوفهم ويمنعوه. وفيهم يقول الشاعر:

ومنّا ابنُ مرّ أبو حنبل ... أجارَ من النّاس رجلَ الجَرادِ

وقال مروان:

همْ يمنَعون الجارَ حتّى كأنّما ... لجارِهم بيْنَ السّماكينِ مَنْزِلُ[1]

وقال نهشل:

وجارٌ منَعْناهُ من الضَّيْمِ والعِدَا ... وجيرانُ أقوامٍ بِمَدْرَجَةِ النَّمْلِ

وقال ابن نباتة:

ولو يكونُ سوادُ الشّعرِ في ذِمَمِيْ ... ما كان للشَّيْبِ سلطانٌ على القِمَمِ[2]

قال الحطيئة:

قومٌ إذا عقَدوا عقْداً لجارِهم ... شدّوا العناجَ وشدّوا فوقَه الكَرَبا[3]

● **المستنصرُ ذويه على أعاديه ونوائب لياليه**

كتب عثمان رضي الله عنه إلى عليّ كرم الله وجهه حين حصر:

فإن كنتُ مأكولاً فكُنْ أنت آكلي ... وإلاّ فأدْركْني ولمّا أُمَزّقْ[4]

قال أحمد بن أبي فنن:

هل أنتَ منقِذُ شِلْوي من يدَيْ زمَنٍ ... أضحى يَقُدُ أديمي قَدْ منتهِسِ[5]

دعوتُكَ الدعوةَ الأولى وبي رمَقٌ ... وهذه دعوتي والدّهرُ مُفْتَرِسِيْ

قال ابن الحجّاج:

يا راعيَ السّربِ يحْميه ويحرسُهُ ... إن الذِئابَ قد استولَتْ على الغَنَمِ

فعافِني بتلافي العيْنِ من سَقَمِ ... لم يَبْقَ منّي سِوى لحمٍ على وضَمِ[6]

حتى أقولَ لريْبِ الدهر كيفَ ترى ... تعصّب السادةِ الأحرار للخَدَمِ

● **نصرة قريب وإن كان عدواً**

قيل: الحفائظُ تحلل الأحقاد قال:

عند الشدائِدِ تذهَبُ الأحْقَادُ

وهذا باب مستقصى في الأقارب.

---

(١) **السماكان والسماكين**: كوكبان نيران يقال لأحدهما السماك الرامح لأن أمامه كوكباً صغيراً يقال له راية السماك ورمحه. وللآخر السماك الأعزل لأن ليس أمامه بشيء.

(٢) **القمم**: القهر والظلم.

(٣) **العناج**: حبل يشدّ في أسفل الدلو العظيمة جمع أعنجة.

(٤) **لمّا أمزّق**: أي قبل أن أمزق، **وقوله**: أدركني أي بادر إلى نجدتي.

(٥) **منتهس**: من فعل انتهس اللحم أخذه بمقدّم أسنانه ونتفه.

(٦) **الوضم**: خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم، جمع أوضام وأوضمة.

● ناصرٌ مستنصره وإنْ لمْ يكن بينهمَا معرفة

رُوِيَ أن حاتماً كان بأرض عنزة فناداه أسير يا أبا سفانة أكلني الأسار والقمل، فقال: ويلك ما أنا في بلاد قومي وما معي شيء، وقد أسأت إذ نوّهت باسمي. فاشتراه وقال: خلوا سبيله واجعلوني في القيد مكانه حتى أؤدي فداءه فجُعِلَ مكانه وبعث إلى قومه فاتوه بالفداء. وفي المثل: رُبَّ أخٍ لك لم تلده أمك.

● المبادرة إلى نصرة مستنصره

قيل: لا تسأل الصارخ واسأل ما له بعض بني العنبر:

لا يسألونَ أخاهم حينَ يندبُهمْ ... في النّائباتِ على ما قالَ بُرْهَانَا[1]

قال السري:

مَلِكٌ إصاختُه لأوّلِ صَارخٍ ... وسِجَالُ أنعمِهِ لأوّلِ طَالِبِ

قال عمرو بن مخادة:

دعوْتُ إلى ما نابَني فأجابَني ... كريمٌ من الفِتْيان غيرُ مُزْلِجِ[2]

قال المتنبي:

سبَقَتْ إليهِمْ مَنَايَاهُمْ ... ومَنْفَعَةُ الغَوْثِ قبلَ العطبْ

قال الصنوبري[3]:

يا خيرَ مستصرخٍ لنَائبةٍ ... يضيقُ بالعَالمينَ قُطْرَاها

● من تحمّل من جارهِ الضرّاء ووفَّر له السرّاء

قال زهير:

وجارٌ سارَ معتَمداً علَيْنا ... أجاءَتْه المخَافةُ والرجاءُ
ضمنّا ما لَهُ فغدا سليما ... علَيْنا نقْصُه ولهُ النَّماءُ

قال شبيب بن البرصاء:

وجاراتُنا ما دُمْنَ فينا عزيزةٌ ... كأروى ثبيرٍ لا يحِلّ اصطيادُهَا[4]
يكونُ علَيْنا نقْصُها وضمانُها ... ولِلْجَارِ إن كانتْ تريد ازديادَهَا

---

(١) **يندبهم:** من ندب فلاناً للأمر أو إليه، دعاه للقيام به وحثه عليه.

(٢) **المزلج:** الذي يغلق بالمزلاج ـ **أزلج الباب:** أغلقه بالمزلاج.

(٣) **الصنوبري:** أحمد مات سنة (٩٤٦م) شاعر عباسي عاش في بلاط سيف الدولة وتفنن بجمال الطبيعة له ديوان «الروضيات».

(٤) **الأروى:** ضأن الجبل ـ **ثبير:** اسم جبل.

● **مدح من كرم جاره ومستنصروه**

قال شاعر:

وعـزّت جـوار عـصـبـة أنـت جـارُهـا

قال أبو تمّام:

وليس امرؤٌ في النّاس كنتَ سلاحَه — عشيّةَ يلْقَى الحادثاتِ بِأعْزَلاَ
ترى درعَه حصْداء والسيْفَ قاضِبا — وزجّيْهِ مسهومَيْن والسوطَ معوَلاَ[١]

قال السري الرفاء:

ما عذرُ من بسطَتْ يمينُك كفَّه — أنْ لا ينالَ بها السُّها والمرزَما[٢]

قال المتنبي:

إذا شدّ زَنْدي حُسْنُ ذاتِك في يدي — ضربْتُ بنصلٍ يقْطعُ الهامَ مُغْمَدَا

وقال آخر:

إذا كانت الأحرارُ أصْلي ومنصِبي — ودافعَ عنّي حازمٌ وابنُ حازمِ
عطست بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ — يدايَ الثريّا قاعداً غيرَ قائمِ

قال ابن الحجاج[٣]:

وكيف يخشى صولةَ الذِّئبِ مَنْ — قد جعل السبْعَ له عدّةَ[٤]

● **الحامي جاره الحابيه ماله**

قال ابن الرومي:

هم أمّلونا في هضاب غيومهم — ندىً ورعَوْنا بالقَنا والقَنابلِ

قال السري الرفاء:

أمِنَ في ظِلّه رعيّتَه — خوفُ أعاديه حينَ عادَاهَا
أهلُها في نواله وغدا — مشتمِلاً بالحُسَامِ يَرْعَاهَا

● **الحامي جاره والمبيح ماله**

قال ابن الرومي:

هو المرءُ أمّا مالُه فمحلَّلٌ — لِعَافٍ وأمّا جارُهُ فَحَرَامُ[٥]

---

(١) **الدرع الحصداء**: الضيّقة الحلق والمحكمة ـ **السيف القاضب**: القاطع.

(٢) **السُّها**: كوكب خفيّ.

(٣) **ابن الحجّاج**: شاعر أموي أيّد عبد الله بن الزبير ثم تقرّب من عبد الملك وفاز بعفوه. عرف بشجاعته مات ابن الحجاج سنة (٧١٩م).

(٤) **يقول)** من كان يملك قوّة الأسد وعدّته لا يخاف لسطوة الذئب أو صولته.

(٥) **العافي**: كل طالب رزق، **والعافي** الضيّق وطالب الفضل.

وقال آخر:

فنحنُ حلالٌ في حريمِك للغنى ... ونحنُ على الأيامِ فيهِ حَرَامُ

● **الراعي مالَ جاره من النوب والسرّاق**

كانوا يقولون جار كجار **أبي دؤاد** وذلك أنه إذا مات له بعير أو شاة أخلفه وإذا مات له قريب وداه، قال شاعر:

إذا نزلَ الشتاءُ بدارِ قومٍ ... تجنّب دارَ قومِهِم الشِتَاءُ

قال الفرزدق:

الضامِنون على المنيّة جارَهُمْ ... والمطعِمون غداةَ كلّ شمالِ[1]

قال المتنبّي:

يذمُّ على اللصوصِ لكلّ تَجْر ... ويضمَنُ للصّوارمِ كلَّ جَانِ[2]

● **المستجيرُ بمن أمّنه من النوب**

قال أبو نواس:

أخذتُ بحبْلٍ من حبال محمّد ... أمِنْتُ به من طارقِ الحَدَثانِ[3]

تغطّيْتُ من دهري بظلّ جناحهِ ... فعيْني ترى دهري وليْس يَرَاني

فلو تُسْألُ الأيامُ ما أسْمي ما دَرت ... وأينَ مكاني ما عرَفْنَ مَكَانِيَ

قال ابن أبي فنن:

كبَا الدهرُ بي فاستلّني من جيرانه ... وقد كنتُ لاقيْتُ المنيةَ أو كِدْتُ[4]

وحكّمني في مالِه وجيادِه ... وخيّرني بين الحُكومةِ فاخترْتُ

● **مدحُ الناصر صاحبه وإن كان ذا عُذْر**

في المثل، الفحل يحمي شوله معقولاً، والخيل تجري على مساويها.

قال شاعر:

يفرُّ جبانُ القوم عن أمّ نفسه ... ويحمي شجاعُ القوم من لا يُنَاسِبُهْ

● **الحثّ على نصْرة واقع في محْنة**

قال بعضُ البلغاء: لتكن معاونتك أخاك بمهجتِك عنْدَ البلاء أكثر من معاونتك إياه عند الرخاء. **وقيل:** أفضلُ المعروف نصرةُ الملهوف.

---

(١) **غداة كل شمال:** كناية عن أوقات الشدّة وسنوات المحل والجدب ـ **يقول** إن ممدوحيه ذوو قيم ومروءة فهم يضمنون جارهم في الشدائد ولو واجهتهم المنايا، كما ينهضون إلى إطعام الناس في الأيام العصيبة والليالي الباردة.

(٢) **التجر:** من يتعاطى التجارة، والعرب يسمّون بائع الخمر تاجراً. (٣) **الحدثان:** اللّيل والنهار.

(٤) **كبا:** انكب على وجهه، **كبا لون الشمس:** أظلم ـ **الجران من البعير:** مقدّم عنقه، جمع جُرن.

● **حامي الحَرَم**

قال عنترة:

أَبَيْنا أبينا أن تضبَّ لثاتُكم ... على مرشفاتٍ كالظّباءِ عواطِيا[1]

وقال آخر:

فأيقنَ كلّنا أنْ سوفَ تَحْمي ... جُرامتَها بشوكتِها النَّخِيلُ[2]

● **الحامي حرمه المبيح حرمَ غيره**

قال الأخنس بن شهاب:

وحامي لواء قد قَتَلْنَا وحامل ... لواء منعْنا والسيوفُ شوارعُ

قال طفيل[3] الغنوي:

أَبَحْنَا روضةً ولنا رياضٌ ... تقطعَ دون مطلعها النفوسُ

قال جرير[4]:

أبَحْتَ حمى جريرٍ بعد نجدٍ ... وما شيءٌ حميتَ بمُسْتَبَاحِ

● **المؤثر نفع غيره على نفع نفسه**

قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر[5]:

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا ... وأسْعَفَنا منْ نجِلُّ ونكرِمُ

فقلنا له نعماك فيهم أتمها ... وَدَعْ أمْرَنا إنّ الأهم المقدمُ

قال عمارة[6]:

ينسى مضرّته لنفْعِ صديقِه ... لا خيرَ في شرف إذا لَمْ يَنْفَعِ[7]

● **نصرُ كل امرئٍ لشكله**

قال:

إن الكريمَ للكريمِ محلُّ

---

(١) **ضبّ الشفة**: أصابها داءٌ يسيل منها دماً.

(٢) **جُرامة النخل**: ما سقط من ثمره عند الجرم.

(٣) **طفيل بن عوف الغنويّ**: شاعر جاهلي اشتهر بوصفه الخيل وعُرف بطفيل الخيل، توفي نحو سنة (٦١٠م).

(٤) **جرير** (٦٥٣؟ ـ ٧٣٣) شاعر أمويّ وُلد في اليمامة. كنيته أبو حزرة. امتاز بأغراض شتّى أبرزها الهجاء والرثاء والغزل، ناضل كلاً من الأخطل والفرزدق وقد كوّن معهما المثلث الأمويّ.

(٥) **عبيد الله بن عبد الله بن طاهر** أمير من الأدباء الشعراء وهو بغداديّ الأصل له تصانيف منها «الإشارة في أخبار الشعراء» مات سنة ٣٠٠هـ (٩١٣م).

(٦) **عمارة بن عقيل**: (٧٩٨ ـ ٨٥٣م) حفيد جرير. من شعراء البدو مدح العباسيين.

(٧) **يقول**: إنه يضحّي في سبيل صديقه ولا خير في الشرف الذي لا ينفع.

وفي كتاب كليلة إذا عثر الكريم لم يستقل إلا بكرام كالفيل إذا وحل لم يقلعه إلا الفيلة قال جرير:

إن الكريمةَ ينصرُ الكرامُ ابنَها

● **الحث على التظاهر**

لن يعجز القوم إذا تعاونوا فبالساعد يبطش الكف، قال شاعر:

إنّ السّهامَ إذا تبدّدَ جَمْعُها ... فالوَهْنُ والتكْسيرُ للمتبَدِّدِ[1]

قال يامض الكلابي:

ألم ترَ أن جَمْعَ القوْمِ يُخشى ... وإن حَريمَ واحدِهِمْ مُباحُ

وأنّ القُدْحَ حينَ يكُون فرْدا ... فيُهْصَرُ لا يكونُ له اقتداحُ

تولى نزار بن محمد التجيبي البصرة فرفع إليه رجل يقول بخلق القرآن، فأمر بحبسه، فاستعان الرجل بإسماعيل الصفار، وكان أحد شيوخ المعتزلة بالبصرة فكلّم غير واحد من أجلاء البصرة فلم يجيبوه.

ثمّ أن إسماعيل طاف على المعتزلة وجمعهم وقال: قد جرأ عليكم إذ رآكم متفرقين فاتى بهم دار نزار بن محمد وقال: لِمَ حبست فلاناً قال: إنّه يقول: القرآن مخلوق. قال فكلّنا ممن يقول بقوله فأما تحبسنا معه أو تطلق صاحبنا فقوله في ذلك قولنا. فنظر نزار فإذا فتنة تثور فرأى إطلاقه، وترك التعرّض لهم في مذهبهم.

● **وصفُ متظاهرين**

قال أبو فراس:

وإنّي وإيّاه كعينٍ وأختِها ... وإنّي وإيّاه كَكَفٍّ ومِعْصَمِ

قال بعض القدماء من جهينة[2]:

فإنّا وكلْباً كاليدَيْن متى تَقُمْ ... شمالُك في الهيجَاء تُعِنْها يَمِيْنُهَا[3]

● **ذمّ جارِ السوء**

في بعض الأدعية. أعوذ بالله من جار السوء عينه تراني وقلبه يرعاني، إن رأى حسنة كتمها وإن رأى سيئة أذاعها.

وعُرِضَ على أبي مسلم فرس جواد فقال: لمن بحضرته: لم يَصْلُحُ هذا الفرس؟ فقيل: للغزو، فقال: لا، إنما يصلح أن يركبه الرجل فيفرّ به من جار السوء.

وقيل له: ما الداء العياء؟ فقال: الجار السوء إن قاولته بهتك وإن غبْتَ سبعك. وقيل لبعضهم: لمَ بعت دارك؟ فقال: لأبيع جاري. وقيل: الجار قبل الدار ثم الرفيق قبل الطريق.

---

(١) تبدّد الجمع: تشتّت.

(٢) جهينة: اسم قبيلة، وفي المثل: وعند جهينة الخبر اليقين.

(٣) الهيجاء: الحرب.

● **ذمّ من لا يصونُ جاره**

قال الحطيئة[1]:

لمّا بدا لي منكم ذاتُ أنفسِكم ... ولمْ يكنْ لِجراحي فيكمُ آسٍ[2]

أزمعتُ ياساً مبيناً من جِواركم ... ولن ترَى طارِداً للحُرّ كاليأسِ

قال المتنبّي:

رأيتُكم لا يصونُ العِرْضَ جارُكُمْ ... ولا يدرُّ على مرعاكُمُ اللَّبنُ

جَزاءُ كلِّ قريبٍ منكم مللٌ ... وحظُّ كلِّ محبٍّ منكم ضَغَنُ[3]

وقال رجل لابن الزيات: أمتُّ إليكم بجواري، فقال نَسب بين حيطان، نظم ذلك بعضهم فقال:

أرى الجوارَ نسباً بيْنَ الجُدُر ... والعطفَ والرقّةَ حيْناً والخَوَر[4]

طباعَ نِسْوانٍ وصبيانٍ غُرَر

● **ذمُّ من لا نصرةَ لديه**

قال إبراهيم بن العباس:

وإنّي إذا أدعوكَ عند مُلِمّةٍ ... كداعِيَةٍ بين القُبورِ نَصِيرها[5]

قال ريقان:

فما دارُ عمّي لي بدارِ خفارةٍ ... ولا عهْدُ عمّي لي بعَهْدِ جِوَارِ

قال عامر:

فجارُك عندَ بيتِك لَحْمُ ظبيٍ ... وجاري عند بيتي لا يُرَامُ[6]

وقال آخر:

تركُوا جارَهم يأكلُه ضبْعُ الوادي ويرمِيهِ الشَّجَرُ[7]

وسأل **سليمان بن علي خالد بن صفوان** عن ابنيه فقال كيف تحمد جوارهما **فأنشد**:

أبو مالكٍ جارَ لها وابنُ بُرْثُنٍ ... فيا لك جارَيْ ذِلّةٍ وصَغارِ[8]

وفي المثل: لا حُرَّ بوادي عوف.

---

(١) **الحطيئة**: (ت نحو ٦٨٧) شاعر جاهلي مخضرم من بني عبس. أدرك الإسلام امتاز بالهجاء. مات سنة ٦٨هـ (٦٨٧م) (انظر سيرته في مقدّمة ديوانه) (منشورات دار الأرقم).

(٢) **الآسي**: الطبيب المداوي.

(٣) **الضغن**: الحقد والعداوة.

(٤) **الخور**: الضعف، الفتور.

(٥) **الملمّة**: المصيبة.

(٦) **لا يرام**: لا يطال بسوء ـ يقول: أدعوك لنصرتي في الملمّات فلا تجيب، كمن يدعو نصيراً بين القبور.

(٧) **الشّجر**: الأمر المختلف فيه.

(٨) **برثن**: البرثن من السباع والطير بمنزلة الإصبع من الإنسان.

● **المستنصِرُ بمَن يضرّه**

في المثل: كالمستغيث من الرمضاء[1] بالنار، قال شاعر

رُبَّ مَـنْ تـرجـو بـه دَفْـعَ الأذى ... سَـوْفَ يـأتـيـكَ الأذى مِـنْ قِـبَـلِـهْ[2]

وقال ابن الرومي:

كـمـتّـقٍ لـفْـحَ نـارٍ يـسـتـعـدّ لَـهُ ... بـالـجَـهْـلِ دِرْعَـيْـنِ من قارٍ وكِبْريتِ

وله:

كـان كَـمَـنْ خـافَ حـريـقـاً واقِـعـاً ... فـزادَ فـيـه حَـطَـبـاً عـلـى حَـطَـبِ

قال إبراهيم بن العباس:

اتـخـذتُـكـم دِرعـاً وتـرْسـاً لـتـدفَـعـوا ... نـبـالَ الـعِـدا عـنّـي فـكُـنْـتُـمْ نِـصَـالَـهـا

وله في أولاده:

خـلـتُـكـم عـدّةً لـصـرفِ زَمـانـي ... فـإذا أنـتُـم صُـرُوفُ زَمَـانِـي[3]

● **المستنصِرُ بمَن لا نصْرة لديه**

في المثل: مقعد استعان بدف، ذليلٌ عاذ بقرملة، عبد صريحه أمة.

قال شاعر:

بـعـثـتُـكَ عـاجِـلاً فـلـبـثْـتَ حَـوْلاً ... مـتـى يـأتـي غِـيَـاثُـك مَـنْ تُـغِـيْـثُ[4]

وقال آخر:

لـو بـغـيْـرِ الـمـاءِ حـلْـقـي شَـرِقٌ ... كنتُ كالغَصّان بالماءِ اعتِصاري[5]

وقال آخر:

كـنـتُ مـن كـربَـتـي أفِـرُّ إلـيـهـم ... فـهُـم كـربَـتـي فـأيـنَ الـفِـرَارُ؟[6]

● **تأسّفُ من خذلَه ناصرُه**

قال اليزيدي:

إذا كنتَ تجْفوني وأنتَ ذخيرَتي ... وموضعُ حاجاتي فما أنا صَانِعٌ[7]؟

---

(١) **الرمضاء**: شدّة الحرّ.

(٢) رُبَّ شخصٍ عقدت عليه الرجاء لنصرتك لم يأتك من قبله إلا الأذى.

(٣) **الصروف**: جمع صرف، نوائب الزمان وحدثانه.

(٤) **غياثك**: عونك. (٥) **شرق**: غصّ، شرق بريقه.

(٦) **كربتي**: الكُربة، الحزن والمشقة والغمّ ـ **كرب الأمر**: شقّ عليه.

(٧) **الذخيرة**: العدّة.

وقال آخر:

بأيِّ نجادٍ تحملُ السيفَ بعدَما قطعتَ القوى من محمَلٍ كان بَاليا[١]

- **ذلّةُ منْ لا ناصرَ له**

قدمت امرأة مكة وكانت ذات جمال، فأعجبت ابن أبي ربيعة فآذاها، فلما أرادت الطواف قالت لأخيها: إصحَبْني فصَحِبها، فإذا ابن أبي ربيعة تعرض لها بمقال فرأى أخاها فانزجر، فأنشأت:

تعدو الذئابُ على منْ لا كِلابَ له وتتّقي مربِضَ المستنفرِ الحامِي

قال عدي:

وفي كثرةِ الأيدي عن الظُّلْم زاجرٌ إذا خطرَت أيدي الرجالِ بِمَشْهَدِ[٢]

وقيل: اللؤمُ إحرازُ المرءِ نفسه وإسلامهُ عرسه.

- **المستعينُ بغيره في أمر**

قال شاعر:

أعَيَيْنَ هلاّ إذا أتى قَدَرٌ كنْتَ استغثْتَ بفارغِ العَقْلِ
أقبلْتَ ترجو الغوثَ من قِبَلِي والمستغاثُ إليه في شُغلِ

- **معاتبةُ متباطىءٍ عن النُّصرة**

قال أبو الشمردل:

ومنْ يفرد الإخوانَ في ما ينوبُهم تنتْهُ الليالي مرةً وهو مُفْرَدُ[٣]

قال عديّ التميمي:

ألا هبلتْكَ أمُّكَ يا عديّ أتقعدُ لا أفكّ ولا أصولُ[٤]
ولو كنتَ الأسيرَ ولا تَكُنْهُ إذاً عَلِمَتْ معدّ ما أقولُ

- **عذرُ متباطىءٍ عن ذلك**

قال شاعر:

أيّ عذرٍ يكون أوضحَ في إبطاء نصرٍ من قلّة الإمكان[٥]

---

(١) النجاد: محمل السيف وقرابه. (٢) الزاجر: الرادع.
(٣) يفرد الإخوان: يتركهم فرادى ـ ينوبهم: ينتابهم ويلم بهم.
(٤) هبلتك أمك: ثكلتك. (٥) قلّة الإمكان: انعدام القدرة.

وقيل للجاحظ: لِمَ خذلْتَ ابن الزيات[1] وهربت منه لمَا أصابته المحنة؟ فقال: خفت أن يقال ثاني اثنين إذا هما في النار وذلك أنّ ابن الزيات عوقب في تنورٍ من حديد حتى مات. وفي الأخوانيات وذكر الأقارب أبواب تليق بهذا الفصل.

(٢)

ومما جاء في الأخلاق الحسنة والقبيحة

●

● الحثُّ على حُسْنِ الخُلُق ومدحُ ذلك

قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾[2] قيل ما عفا لك من محاسن أخلاق الناس وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] وقال النبي ﷺ: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم ويقارب ذلك ما قيل لفيلسوف، هل من جود يتناول به الخلق فقال: نعم أن تحسن الخلق وتنوي لكل أحد الخير. وقال ﷺ: إنّ أحبّكُم إليّ أحاسِنكم أخلاقاً الموطؤنَ أكنافاً[4] الذين يألِفونَ ويُؤلَفونَ وقال ﷺ: حرَّمَ الله النار على كل هينٍ، لينٍ سهل قريب. وقال لأبي الدرداء: ألا أدلك على أيسر العبادة وأهونها على البدن. قال: بلى يا رسول الله فقال: عليك بالصمت وحسن الخلق فإنك لن تعمل مثلهما. وقيل: في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق. وقال مكحول: المؤمنون هينون لينون كالجَملِ الأنف إن قدْته إنقادَ وإنْ أنخته[5] على صخرة استناخَ، قال شاعر:

مـا لـم يَـضِـقْ خـلـقُ الـفـتـى ... فـالأرضُ واسِـعَـةٌ عـلـيْـهِ

وقال آخر:

لـو أنـنـي خُـيّـرْتُ كُـلَّ فـضـيـلـةٍ ... مـا اخـتَـرْتُ غـيـرَ مَـكَـارِمِ الأخـلاقِ

● الممدوحُ بحسْنُ الخُلُقِ

سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت: أو ما تقرؤن القرآن: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[6] وقيل: فلان على خير ما تبنى عليه الضرائب.

---

(١) ابن الزيات: هو محمّد بن الزيّات ٢٣٣هـ (٨٤٧م). وزير المعتصم والواثق. عمل ضد المتوكلّ فانتقم منه هذا. كان أديباً شاعراً، ومات مقتولاً

(٢) القرآن الكريم: الأعراف/ ١٩٨. (٣) القرآن الكريم: الإسراء/ ٢٤.

(٤) أكتاف: جمع كنف، الجانب.

(٥) أنخته: أبركته ـ يقال: أنخت البعير فَبَرَكَ، وتنوخ واستناخ.

(٦) القرآن الكريم: القلم/ ٤.

وقال البحتري:

سلامٌ على تِلْكَ الخلائقِ إنها مسلَّمةٌ من كلِّ عارٍ ومَأثَمِ[١]

قال أبو الفرج الأصبهاني[٢]:

خلائقُ كالحدائقِ طاب منها النسيمُ وأينعَتْ منها الثمارُ

وقيل: صفاء الأخلاق من نقاء الأعراق.

● النهيُ عن سُوء الخُلُق

قال النبي ﷺ: من ساء خلقه عذب نفسه. وقال عليه السلام: خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق. وقيل: سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الصبرُ العسل. وقال الأحنف: الداء الدوي الخلق الرديء[٣] واللباس البذي، بئس الملبوس العبوس وقيل: ليس لسيء الخلق توبة لأنه كلما خرج من ذنب دخل في آخر لسوء خلقه.

● المذمومُ بسوءِ الخلق

صحب رجل رجلاً سيء الخلق فلما فارقه قال: قد فارقته وخلقه لم يفارقه وقال أعرابي لرجل: أنك شكس الخلق دائم القطوب. قال عمرو بن كلثوم:

وكنتَ امرأ لو شِئتَ أن تبلغَ المنى بَلَغتَ بأدنى غايةٍ تستديمُها

ولكنَّ فطامَ النفس أثقلُ مخملاً من الصَّخْرة الصَّماءِ حين تَرُوْمُهَا[٤]

وقيل: لا مداراة للخلق السيء القبيح كالشجرة المرة لو طليت بالعسل لم تثمر الأمر أو كذنب الكلب لو أدخلته القالب سنين لعاد إلى إعوجاجه.

● المتمدِّحُ بمصابرة سيءِ الخُلُق

قال رجل لأحمد بن أبي خالد لقد أَعْطِيْتَ ما لم يُعْطَ رسول الله ﷺ فقال: لئن لم تخرج من ذلك لا ضرّبنك. فقال الرجل: إن الله تعالى قال لنبيه ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضوا[٥] من حولك وأنت فظ ونحن لا ننفض من حولك.

وقال شعيب بن حرب خطبْتُ امرأة فأجابتني فقلت: إني سيء الخلق. فقالت: أسوأ خلقاً منك من يُلْجِئُكَ إلى سوء الخلق. وقال حبيب لرجل سيء الخلق: إن استطعت أن تغير خلقَك وإلا فليسعْكَ من أخلاقنا ما ضاق به ذَرْعُكَ.

---

(١) الخلائق: جمع خليقة، الطبيعة وما خلق الله.

(٢) أبو الفرج الأصبهاني: عليّ بن الحسين من أئمة الأدب وأحد أعلام التاريخ الأدبي. عاش ببغداد، مات سنة ٣٥٦هـ (٩٦٧م)، وله كتاب «الأغاني».

(٣) الردي: مخفف الرديء، أي السيء.

(٤) فطام النفس: الفطام: فصل الولد عن الرضاع، وفطام النفس الحول بينها وبين شهواتها

(٥) انفضوا من حولك: تفرقوا.

● **صعوبةُ تركِ العادة والرجوع عنها**

قيل: للعادة على كل إنسان سلطان، وكل امرىء جارٍ على ما تعوّدا، **وقيل**: لكل كريم عادة يستعيدها، **وقيل**: اللسان متقاضيك ما عودته. **قال المتنبي**:

وتـأبـى الـطّـبـاع عـلـى الـنـاقِـلِ.

وقالت الحكماء العادة طبيعة ثانية.

● **نفيُ العيبِ عن تعاطي ما كان خلقاً**

قال بعض القدماء:

ظَلَمْتَ امرأً كلّفتَه غيرَ خُلْقِه ... وهلْ كانَتِ الأخلاقُ إلا غرَائِزَا[1]

قال الخبزارزي:

يُعَابُ الفتَى فيما أتى باختيارِهِ ... ولا عَيْبَ في ما كان خَلْقاً مركّباً

● **المتخلّقُ يرجعُ إلى شِيمَته**

قال عمر رضي الله تعالى عنه من تخلّق للناس بما ليس خلقاً له شأنه الله وفي كتاب كليلة: الطبع المتكلّف كلما زدته تثقيفاً زادك تعقيفاً[2] **وقيل**: كل إناء يرشح بما فيه. وقال إن التخلق يأبى دونه الخلق.

قال ذو الإصبع[3]:

ومن يَبْتَدِعْ ما لَيْسَ من خِيمِ نفسِه ... يدعْه ويغلبْه على النفْس خيمُها[4]

قال زهير[5]:

ومهما تكنْ عندَ امرئٍ مِنْ خَلِيْقَةٍ ... وإن خالَها تَخفَى على النّاسِ تُعْلَمِ[6]

وقال آخر:

وللنفسِ أخلاقٌ تدلُّ على الفتى ... أكانَ سخاءً ما أتى أم تَسَاخِيَا

---

(١) **الغرائز** جمع غريزة وهي الطبيعة أو ما فطر عليه المرء.

(٢) **التعقيف**: الإعوجاج، من عقّت العود عطفه وعوّجه.

(٣) **ذو الإصبع**: هو حرثان بن الحدث من شعراء الجاهلية الأوائل، وأحد الفرسان الشجعان. سمّي بذي الإصبع لأن حيّة عضّت إصبعه أو نهشته فصارت متشنجة. مات ذو الإصبع في مطلع القرن السابع الميلادي.

(٤) **الخيم**: السجيّة والطبيعة.

(٥) **زهير بن أبي سلمى**: (ت ٥٣٠؟ ـ ٦٢٧م) شاعر جاهلي من أصحاب المعلّقات. اشتهر بالحكمة.

(٦) **يقول زهير** إن أخلاق المرء وسجاياه ستعلم وتظهر على حقيقتها ولا جدوى من إخفائها أو التستر عليها.

● **الحثُّ على ملازمةِ العادَةِ الحسَنة**

قال أبو عبد الله بن حنيف: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وعليه قميص محلول الأزار فسلم عليّ **فقال**: يا أبا عبد الله من عرف طريقاً من الخير فسلكها ثم رجع عنها، عذّبه الله تعالى عذاباً لم يعذّب به أحداً من العالمين، فانتبهت وأنا أقرأ، ومن يكفر بَعْدُ منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين.

وقال جعفر بن محمد وقد ليم في جوده: إنّ الله عوّدني عادة وعوّدتُه عادةً فأخاف أن يقطع عني عادته إنْ قَطَعْتُ عادتي.

● **الحثّ على لين الكلام وطلاقةِ الوجه**

قال الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[1] وقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾[2] وقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[3] وقال: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾[4] **وقيل**: من لانت كلمته وجبت محبته.

قال سفيان بن عيينة:

بنيّ أن البرّ شيءٌ هيّنُ ... وَجهٌ طَلِيقٌ وكَلامٌ لَيّنُ

وقال طلاقة الوجه عنوان الضمير بها يستنزل الأمل البعيد: **وقيل**: حسن البشر اكتساب الذكر. البشاشة مصيدة المودة.

● **الحثُّ على مداراةِ النّاس**

عن النبي ﷺ: مداراة الناس صدقة **وقيل**: ثلثا التعايش مداراة الناس. **وقال** إبراهيم بن يسار: ما يسرني ترك المداراة ولي حمر النعم. قيل لِمَ **قال**: لأن الأمر إذا غشيك فشخصت له أرداك وإذا تطأطأت له تخطاك. **وقيل**: داروا الناس تسلموا **وقال** معاوية: لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت لأنهم إذا جذبوها أرسلتها وإذا أرسلوها جذبتها:

دار الصّديقَ إذا استشاطَ تَغيُّظاً ... فالغيظُ يُخرِجُ كامِنَ الأحقَادِ

● **حثُّ من حسُنَ خَلقُه أن يُحسِّنَ خُلُقَه**

نظر فيلسوف إلى غلام حسن الوجه يتعلم العلم **فقال**: أحسَنْتَ إذ قَرَنْتَ بحسن خَلقِك حُسنَ خُلقِك. **وقال** جالينوس[5]: ينبغي للرجل أن ينظر إلى وجهه في المرآة فإن كان حَسَنَ الوجه جعل عنايته أن يَضُمَّ إلى جمال وجهه كمال خلقه وكمال نفسه وإن رأى صورة سمجة تحرّز من أن يكون ذميم الخَلقِ والخُلق.

---

(١) **القرآن الكريم**: البقرة/ ٨٣. (٢) **القرآن الكريم**: طه/ ٤٤.
(٣) **القرآن الكريم**: الإسراء/ ٢٣. (٤) **القرآن الكريم**: الإسراء/ ٢٨.
(٥) **جالينوس**: طبيب يونانيّ (١٣١ ـ ٢٠١م) اشتهر باكتشافاته في التشريح.

● مدحُ من حسن خَلْقه وخُلُقه

قال النبي ﷺ: ما أحسن الله خلق أحد وخلقه فاطعمه النار. ووصف خالد بن صفوان رجلاً **فقال**: يقري العين جمالاً والأذن بياناً.

قال ابن الرّومي:

كلُّ الخِلالِ التي فيكُم محاسِنُكُمْ تَشابَهتْ فِيكُمُ الأخلاقُ والخَلْقُ[1]

كأنَّكُم شَجَرُ الأترجِ طابَ معاً حمْلاً ونَوْراً وطابَ العودُ والوَرَقُ

محياه قد زرت علية شمائله، **وقال أحمد بن يوسف** لرجل: ما أدري أي حسنيك أبلغ ما وليه الله تعالى من تسوية خلقك وكمال خلقك أو ما وليته لنفسك من تحسين أدبك وكمال مروءتك.

● الاستدلالُ من حسْن الوجه على حسْن الخُلُق

قال قتادة: ما بعث الله تعالى نبيًا إلا بعثه حسن الخلق حسن الوجه. **وقيل** لابن دلير المنجم: ما الدليل على أن المشتري[2] سعد؟ **فقال**: حسنه.

وقالت الفلاسفة: قلَّ صورة حسنة تتبعها نفس رديئة:

منظره ينبيك عن مخبره. نقش الطوالع مقروء من الطين كفاك منظره إيضاح مخبره. في حمرة الخد ما يغني عن الخجل.

● حثُّ من قَبُحَ وَجْهُهُ على تحسينِ خلقه

تقدم ما قال جالينوس في ذلك **وقال الأوقص**: **قالت لي أمي**: خلقت خلقة قبيحة لا تصلح معها لمجالسة الفتيان في بيوت القيان، فعليك بالأخلاق التي ترفع الخسيسة وتتم النقيصة فنفعني الله تعالى بكلامها فتعلّمت العلم فأدركت به. **وقال الأحنف لابنه وكان دميماً**: إنّك جميل فكن فَطِناً.

● ذمُّ من حَسُنَ منظرُه وقبُح مخبرُه

نظر فيلسوف إلى رجل حسن الوجه خبيث النفس، **فقال**: بيت حسن وفيه ساكن نذل ورأى آخر شاباً جميلاً، **فقال**: سلبت محاسن وجهك فضائل نفسك.

قال الشاعر:

خِلَقٌ ممَثَّلَةٌ بغيرِ خَلائِقِ تُزجَى وأجسامٌ بِلا أرواحِ

---

(١) **الخِلال**: جمع خلّة وهي الخَصْلة.

(٢) **المشتري**: كوكب يدل على السعد عند العرب، بخلاف كوكب المريخ الذي يرمز عندهم إلى الشؤم.

وقال آخر:

فـإنّـكُـم ومـذحُـكُـم بُـجَـيْـرا تـراهُ الـعَـيْـنُ أخْـضَـرَ ذا رواءِ[1]
لـك النفسُ التي ترجو المَعَالي وتـمـنَـع بـالـمَـرارةِ والإبـاءِ

وقال آخر:

قـلّـت وجـوهُ الـمـضـرِ حـتّـى إذا كـشـفـتـهـم كـشـفـتْ إسْـتـاهَـا

وقال غيره:

ألَـمْ تَـرَ أنّ الـمـاءَ يُـخْـلِـفُ طَـعْـمُـهُ وإنْ كانَ لونُ الماءِ في العَيْنِ صَافِيا[2]

وقال غيره:

لا تـجـعـلـنَّ دلـيـلَ الـمـرء صـورتَـهُ كم مَخْبَرٍ سَمِجٍ مِنْ مَنْظَرٍ حَسنِ[3]

وقال غيره:

فلا تجعلِ الْحُسْنَ الدليلَ على الفتَى فـمـا كُلُّ مضقولِ الحَديدِ يَمَاني[4]

• ذمُّ من قبُح خلقُه وخُلُقُه

استعرض المأمون الجند فمر به رجل دميم فاستنطقه فرآه ألكن[5]، فأمر بإسقاطه وقال: إن الروح إذا كانت ظاهرة كانت وسامة وإذا كانت باطنة كانت فصاحة وأراه لا ظاهر له ولا باطن. وفي المثل أحسن ما في خالد وجهه وفيه ستعلم الشاهد بالغائب. قال الشاعر:

مَـخْـبَـرُه أقْـبَـحُ مِـنْ وَجْـهِـهِ وَوَجْـهُـهُ بـالـقُـبْـحِ مَـشْـهُـورُ

وقال آخر

قـد رأيْـنـاكَ فـمَـا أعـجَـبْـتَـنـا وَبَـلَـوْنَـاكَ فَـلَـمْ تُـرْضِ الـخَـبَـرْ

• الاستدلالُ بقبحِ الوجهِ على قُبحِ الصّنيع

قالت العرب: ليس على وجه الأرض قبيح إلا وجهه أحسن شيء منه.

قال شاعر:

يَـدُلُّ عـلـى قـبـيحِ الـفِـعْـلِ مِـنْـكُـمْ وأصْـلِـكُـمْ وجُـوهُـكُـمُ الـقِـبَـاحُ

وقيل: أحسن ما في القبيح وجهه.

---

(١) الرواء: الماء العذب، أو الماء الكثير المُروي. (٢) يخلف (طعمه): أي يتغير
(٣) المخبر: خلاف المنظر ـ السمج: القبيح.
(٤) يقول: إن الحسن ليس في المظهر، وإلا لكان كل حديد مصقول سيفاً يمانياً.
(٥) الألكن: اللكنة هي العجمة في اللسان.

● **من قَبُح منظرهُ وحسُنَ مخْبَرُه**

لما عاد الحجاج من محاربة الخوارج **قال**: اطلبوا لي فاضلاً أخرجه إلى عبد الملك، فأتوه برجل دميم المنظر حسن المخبر، فلما رآه عبد الملك استبشع منظره فاستنطقه فملا أذنه صواباً، فتعجب منه عبد الملك وأنشد متمثلاً:

وإن عَـرَاراً أن يـكُـنْ غيـرَ واضـحِ ... فإني أحبّ الجونَ ذا المنكبِ العَمّ[1]

فقال: يا أمير المؤمنين أتدري لمن هذا الشعر؟ **قال**: نعم هو لعمرو بن شاس في ابنه عرار **فقال**: أنا عرارابته فتعجب عبد الملك من مطابقة القول الحال فأمر له بمال وأوصى به إلى الحجاج وكلّم علي بن الهيثم عمر رضي الله عنه في حاجة وكان أعور دميماً فلما تكلم فأحسن، صَعَّد عمر رضي الله عنه فيه النظر وصوّبه **وقال**: لكل أُناسٍ في جميلهم خبرُ:

ألـمْ تـسـلِ الـفـوارسَ مـن سـلـيـم ... بـنـضـلـة وهـو مـوتـورٌ يُـشـيـحُ[2]

رأوْه فـــازدَرَوْهُ وهـــو خـــرقٌ ... ويـنـفـعُ أهـلَـهُ الـرّجُـلُ الـقـبـيـحُ

فـلـمْ يـخـشَـوا مـصـالـتَه عـلـيْـهـم[3] ... وتـحْـت الـرغْـوةِ الـلـبـنُ الـصّـريـحُ

واستعان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه برجل كريه المنظر فوجده حسن المخبر، **فقال**: ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً. **وقال** بعضهم: فلان دميم الخلق كريم الخلق ولئن أمرّت[4] أوراقه لقد حلا مذاقه.

● **تفاوتُ أخلاقِ النّاس**

الـنـاسُ أشـكـالٌ وشـتّـى فـي الـشّـيَـم ... وكـلّـهـم يـجـمـعُـهـم بَـيْـتُ الأدَمِ[5]

الناس في اختلافهم في خلقهم كاختلافهم في خلقهم **قال شاعر**:

وتـفـاضُـلُ الأخْـلاقِ إن حَـصّـلْـتَـهَـا ... في النّـاس حَسْبَ تفاضُلِ الأجْنَاسِ

قال غيره:

النّـاسُ أخلاقُهُمْ شتّى وإن جُبِلُوا ... عـلـى تَـشَـابُـهِ أرواحٍ وأجْـسَـادِ

قال خالد بن صفوان: الناس أخياف منهم من هو كالكلب لا تراه الدهر إلا هراراً[6] على الناس، ومنهم كالخنزير لا تراه الدهر إلا قذاراً، ومنهم كالقرد يضحك من نفسه. **وقال**

---

(١) **الجون**: الشديد السواد ـ **العمّ**: جمع عمومة وأعمام، أخو الأب.

(٢) **نضلة**: ضربة سيف أو سهم ـ **يشيح**: يحذر.

(٣) **مصالته**: جولته.

(٤) **أمرّت**: جعلت مرّة.

(٥) **الأدم**: الجلد باطنه أو ظاهره، وبيت الأدم: الجسم ـ يقول: لئن اختلف النّاس في شيمهم وأخلاقهم فهو متماثلون من حيث بيت الجلد الذي يجمعهم.

(٦) **هراراً**: هرّ الكلب: صات دون نباح.

سلمان الفارسي[1] رضي الله عنه: الناس أصناف أربعة أسد وذئب وثعلب وضأن. فأما الأسد فالملوك يأكلون الناس أكلاً، والذئب التجار يختلسون، والثعلب القراء المخادعون، وأما الضأن فالمؤمن ينتهشه كل من رآه. وقال بعضهم الناس أخياف[2] علق[3] مضنة[4] لا يباع وعلق مظنة لا يبتاع. وقال بعضهم الناس في أخلاقهم كما قال أبو العتاهية:

من لك بالمحض وليس محضُ　　　يخبث بعضٌ ويطيب بَعْضُ

● **التمدُّح بمخالفةِ النّاس والحثّ عليه**

قال الشاعر:

أنــا كــالــمــرآة ألــقــى　　　كُــلَّ وجــهٍ بــمــثــالِــهْ

وقال آخر:

متخَلّقٌ من حسَنِ كلِّ خليقةٍ　　　كعُطارِدٍ في طبْعه المُتَمَازِجِ

وقال آخر:

أُحامِقُه حتّى يقالُ سجيّةٌ　　　ولو كانَ ذا عَقْلٍ لَكُنتُ أعاقِلُهْ

وقال آخر:

فَكُنْ أكيَسَ الكَيْسى إذا كنتَ فيهم　　　وإن كنتَ في الحَمْقَى فكُنْ مثْلَ أحمقَا[5]

● **ذمُّ متفاوتِ الخُلقُ متلوّن**

هو ذو لون مختلف الفعال وقال **الأحنف** لأنْ ابتلي بألف جموح لجوج أحَبُّ إليّ من أن ابتلي بمتلونٍ واحد:

فـتـىً شـانَ أخـلاقَـه بـلْـقَـةٌ　　　فـفـيـهِـنّ بـيـضٌ وفـيـهـنّ سـودُ[6]
أديبٌ جوادٌ جميلُ الرّجاء　　　فصيحٌ بليغٌ كريمٌ مَجيدُ
وقد شانَ تحسينَه أنه　　　عجولٌ حديدٌ حقودٌ حسودُ

وقال رجل: إنه ليبلغ من مللي أن أُغيِّر كلَّ شهر كنيتي مرتين. **وقال** خالد بن صفوان إنّه ليبلغ من مللي أن أتبرم بنفسي فأتمنى أن يؤخذ مني رأسي فلا يرد إليّ إلا في كل أسبوع. وقال الجاحظ: التلوّن أن يكون سرعة رجوع المرء عن الصواب كسرعة رجوعه عن الخطأ.

---

(١) **سلمان الفارسي**: أحد مشاهير الصحابة. قدم من جهات أصفهان إلى الشام ثم قصد مكّة وأعلن إسلامه. مات سنة ٣٥هـ (٦٥٥م).
(٢) **أخياف**: مختلفون.
(٣) **العِلق**: النفيس من كلّ شيء.
(٤) **عِلق مضنة**: كل نفيس يبخل به.
(٥) **الكَيْسى**: جمع كَيّس.
(٦) **بلقة**: سواد وبياض.

● **الحثّ على تخلية المتلوّن**

إذا كانَ ذو لونٍ حؤولٌ من الهوَى ... موجَهةٌ في كلِ صَوْب ركائِبُهْ
فَخِلِّ لهُ وجهَ الفراقِ ولا تكنْ ... مطيّةَ رحّالٍ كثيرٍ مذاهبُهْ

● **اللجوجُ**

قيل: اللجاج[1] أن يكون ثبات العزم على إمضاء الخطأ كثبات العزم على إمضاء الصّواب.

قال النافع:

ألجّ لجاجاً من الخُنفُساءِ ... وأزهى إذا ما مشى من غُرابِ[2]

(٣)
وممّا جاء في المزاحِ والضّحكِ مدحاً وذمّاً

●

● **النهيُ عن المزاحِ والتخويف منه**

رُوِيَ عن النبي ﷺ أنّه **قال**: إيّاك والمزاح فإنه يذهب ببهاء المؤمن ويسقط مروءته ويجرّ غضبه. **وقيل**: المزاح مجلبة للبغضاء مثلبة[3] للبهاء مقطعة للأخاء. **وقيل**: إذا كان المزاح أوّلَ الكلامِ كان آخرَه الشتم واللكام[4].

سأل الحجّاج ابن القرية عن المزاح **فقال**: أوله فرح وآخره ترح وهو نقائص السفهاء مثل نقائص الشعراء. المزاح فحلٌ لا ينتج إلا الشر.

وقال مسعر بن كدام:

أما المُزاحةُ والمِراءُ فدعْهُما ... خُلُقانِ لا أرضاهُما لصَدِيْقِ[5]

المزاح أسباب النّوك. **وقيل**: لا تمازح صغيراً فيجترىء عليك ولا كبيراً فيحقد عليك، **ونحوه قول الشاعر**:

فإيّاكَ إيّاكَ المِزاحَ فإنّه ... يُجْري عليْك الطفلَ والدنِسَ النّذْلا

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: لا يكون المزاح إلا من سخف أو بَطَر

---

(١) **اللجاج**: مصدر لجّ لججاً ولجاجاً ولجاجة: أي عند الخصومة، أو تمادى في العناد، ولجّ لجاجاً في الأمر لازمه وأبى أن ينصرف عنه.

(٢) **خنفساء**: دويبة سوداء كريهة الرائحة ـ **أزهى**: أكثر زهواً والزهو التكبّر.

(٣) **مثلبة**: عيب.

(٤) **اللكام**: وهو الضرب باليد، **واللكم**: الدفع.

(٥) **المراء**: الجدل والنزاع واللجاج.

وقيل: المزاح يبدي المهانة ويذهب المهابة والغالب فيه واتر. والمغلوب ثائر.

وقيل: لا تفاكه أمة ولا تبل على أكمة، **وقيل**: احذر فلتات المزاح فسقطة الاسترسال لا تقال.

● **النهيُ عن مزاحِ من لا تجوزُ مباسَطتُه**

قيل: لا تمازح الصبيان فتهون عليهم:

لا تـعـرضَـنّ بـمـزحٍ لامـرىءٍ طَـبِـنٍ مـا رَامَـهُ قَـلْـبُـهُ أجـرَاهُ فـي الـشَـفَـةِ[١]
فـربَّ مـخـرمـةٍ بـالـمـزح جـاريـةٍ مشبوبةٍ لم يُرَدْ إنماؤها نَـمَـتِ[٢]

● **حمدُ الاقتصاد في المزْح**

روي أن النبي ﷺ، كان يمزح ولا يقول إلا حقاً، **وقال** تعالى في صفة المؤمنين: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾[٣] **وقال سعيد**[٤] **بن العاص** لابنه اقتصد في مزاحك فالافراط به يذهب البهاء ويجرىء عليك السفهاء وتركه يقبض المؤانسين ويوحش المخالطين قال **خالد بن صفوان**: لا بأس بالمفاكهة تخرج الرجل من حال العبوس. **وقال** رجل لابن عيينة: المزاح سبة فقال بل سنة لمن يُحسِنُه:

يـا سـاعَـتـي فـي مُـجـونـي قـد طـبْـتُ فـيـك وطِـبْـتِ
إنّـي إذا ضـاقَ صـدْري قـطـعْـتُ بـالـسّـخْـفِ وقـتِـيْ

وقيل الناس في سجن ما لم يتمازحوا، وقد ينفس عن جدّ الفتى اللعب.

● **بعضُ ما رُوِيَ عن الأماثلِ في المزاحْ**

رُوي أن النبي ﷺ كان من أفكه الناس. **قالت** له عجوز من الأنصار: يا رسول الله أُدعُ لي بالجنة **فقال** ﷺ إن الجنة لا يدخلها عجوز فبكت المرأة وضحك النبي ﷺ **وقال**: أما سَمِعْتِ قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[٥] **وقال** لأخرى: زوجُكِ في عينه بياض فرجعت إلى زوجها فأخبرته، فقال أما ترين بياض عيني أكثر من سوادها. **وقال** ﷺ لصبي: يا **أبا عمير** ما فعل النغير[٦]؟ وجاء رجل إلى أمير المؤمنين

---

(١) **الطَّين من طبَنَ الشيء وللشيء فطن له، الطّبَن**: أي النّاس، والطُّبنُ (بضم الطاء) العانبور، **والطِّبْن**: الجيفة توضع فيصاد عليها.

(٢) **المخرمة**: يقال: خرمه خرماً ثلمه وثقبه، وخرم قطع، واخترم استأصل وأهلك.

(٣) **القرآن الكريم**: الفرقان/ ٧٢ ـ **اللغو**: ما لا يعتدّ به، **واللغو** مصدر لغا لغواً في القول أخطأ وتكتم من غير روية.

(٤) **سعيد بن العاص**: صحابي قرشي عدوي. أحد العشرة المبشرة. اشترك في فتوح الشام توفي بالمدينة سنة ٥٩هـ (٦٧٩م).

(٥) **القرآن الكريم**: الواقعة/ ٣٥.

(٦) **النغير**: مصدر نغر ينغر نغير الرجل على فلان: غلا جوفه غضباً عليه ونغرت القِدر: غلت.

رضي الله عنه فقال: إني احتملتُ على أمي، فقال: لتقم في الشمس ،ليضرب ظلّك الحدّ. وقال ﷺ لجاريته وقد وضأته فلما نهض اعتمد عليها، فقال: انظري لا تضرطي. وقال ابن عمر رضي الله عنهما لخادمه: خلقني خالق الكرام وخلقك خالق اللئام.

- **النهيُ عن الغضَب من المزح**

قال ابن سيرين رضي الله عنه ليس بحسن الخلق الغضب من المزح.

- **الممدوح بأن فيه الجد والهزل في موضعهما**

إذا جدّ عند الجدّ أرضاك جدّهُ — وذو بَاطِلٍ إن شِئْتَ أَلْهَاكَ باطِلُه

وقال آخر:

الجِدّ شيمتُهُ وفيه فكَاهةٌ — طوْراً ولا جِدّا لِمَنْ لا يَلْعَبُ[١]

قال آخر:

أهازل حيثُ الهزلُ يحسنَ بالفتَى — وإنّي إذا جدّ الرجالُ لذو جِدّ

وقال بعضهم: لأعدمتك مزيناً بجدك مجلس الحفلة وبهزلك مجالس البذلة.

هو الظفرُ الميمونُ إن راحَ أو غدا — به الركبُ والتلعابة المتحبّبُ[٢]

- **عذر من كان منه ضحك وهو مهموم**

وربّما ضحك المَكْرُوبُ من عجب — السّنُ تضحك والأحشاءُ تضطرِمُ[٣]

وقال آخر:

وقد يضحك الموتور وهو حزين

- **النهيُ عن كثرةِ الضَحِك وذمّه**

قال النبي ﷺ: إياك وكثرة الضحك فإنها تميت القلب وتورث النسيان، وقال عبد الله بن أبي دؤاد: فشا الضحك في أصحاب النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٤] عن الثوري عظموا العلم ولا تكثروا الضحك فتمجه القلوب وكثرة الضحك من الرعونة، وضحك إسحاق بين يدي المأمون حتى فتح فاه، فأمر بأن يؤخذ سيفه ومنطقته ويُدْفَعَ إليه منديل الشراب، وقال: الشراب أليق بك فقال أقِلْنِي مرةً يا أمير المؤمنين فأقاله، فما رؤي بعد ذلك ضاحكاً. ومرت معاذة العدوية على شبان عليهم الصوف وهم يضحكون فقالت: سبحان الله لبس الناسكين وضحك الغافلين. قال كعب: أن الله يبغض المضحاك من غير عجب.

---

(١) يقول: أنا ذو جدّ في المواطن التي يجدّ بها القوم لكنني أمارس الهزل إذا بدا لي حسنه.

(٢) التلعابة: الكثير اللعب.

(٣) المكروب: المهموم ـ الأحشاء: ما انضمت عليه الضلوع ـ تضطرم: تشتعل.

(٤) القرآن الكريم: الحديد/١٦.

● **النَّهيُ عن تعاطِي ما يُضحِك**

قال النبيّ ﷺ ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك القوم، ويل له ويلٌ له. **وقال** رسول الله ﷺ: إن الرجل يتكلم بالكلمة يضحك بها الناس فيذل أبعد ما بين السماء والأرض، **وقيل** لأبي العيناء: فلان يضحك منك **فقال**: إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون.

● **إيرادُ جِدٍّ في مسلَك هزل**

قيل: جديدة في لعيبة، **وقال** خالد بن صفوان رماني بأصلب من الجندل ونشقني بأحرّ من الخردل، ثم قال أني أمازحك.

لـي صـاحـبٌ لـيـسَ يـخْـلـو ... لـسـانُـهُ مِـنْ جِـرَاحـي
يُـجِـدُّ تَـمْـزِيـقَ عِـرْضِـي ... عـلـى طَـريـقِ الـمِـزاحِ[1]

(٤)

ومما جاء في الحياء والوقاحة

●

قال النبي ﷺ: الحياء شعبة من الإيمان ومن لا حياء له فلا إيمان له وفسر قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[2] بالحياء **وقال**: أبي عليك بالحياء والأنفة فإنك إن استحييت من الغضاضة[3] اجتنبت من الخساسة، وإن أنفت من الغلبة لم يتقدمك أحد في مرتبة. **وقيل**: أحي حَيَاءَكَ بمجالسة من يستحى منه، **وقيل**: من جمع بين الحياء والسخاء فقد أجاد الخلةَ إزارها ورداءها.

● **الممدوحُ بالحياء**

في وصف النبي ﷺ أنه كان شديد الحياء، وكان أشدّ حياء من العذراء في خدرها[4]، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه. وسأل يحيى ابن خالد رجلاً عن ابنه فقال تركته وماء الحياء يتحدر من أسارير وجهه، وسيول الجود سائلة من فروج أنامله ولآلىء العلم متناثرة من ميازيب[5] منطقه. قال شاعر:

تـركُ الـحَـيـاءِ بـهـا رُداعُ سَـقـيـم[6]

قال المتنبي:

وأوجـهُ فـتـيـانٍ حـيـاءً تـلـثـمـوا ... عـلـيـهـنّ لا خـوفـاً مـن الـحـرّ والـبـرْد

---

(١) **يقول**: إنه ينال من شرفي في معرض المزاح.
(٢) **القرآن الكريم**: الأعراف/٢٦.
(٣) **الغضاضة**: غضّ من طرفه: خفضه وكفّه.
(٤) **خدرها**: ما يُفرد لها من السكن.
(٥) **ميازيب**: أقنية الماء جمع ميزاب.
(٦) **الرُداع**: معاودة المرض.

وليس حياءُ الوجْه في الذئب شيمَةً ولكنّه من شيمةِ الأسدِ الوَرْدِ[١]

وقال مروان بن أبي حفصة:

يكاد يَخْرُجُ في دِيباج أوجهِهِمْ خوفُ المذلّةِ حتى ينفطرْنَ دَمَا

● **من مُدِحَ بالحَياء في السّلم والوقاحةِ في الحرب**

قال شاعر:

كريمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ فَرْطَ حيائِه ويَدْنُو وأطرافُ الرِماح دَوَانِ[٢]

وقال آخر:

يتلقّى النّدى بوجه حَيِيٍّ وسيوفَ العدا بِوَجْهٍ وقاحِ[٣]

قال الموسوي:

يجْري الحياءُ الغضُّ من قسماتِهِمْ في حين يجْري في أكفِّهِمِ الدَّمُ[٤]

● **منْ يستحِي من النّاس دونَ نفسِه وربّه**

قال كعب: استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم. **وقيل** من يستحي من الناس ولا يستحي من نفسه فلا قدرٌ لنفسه عنده.

قال رجل **للنعمان: أوصني فقال** إستحِ من الله كما تستحي من رجل من عشيرتك **وفي ضد ذلك:**

إذا كان ربّي عالِماً بسَريرَتي فما النّاسُ في عيْني بِأَعْظَمَ مِنْ ربّي

● **ذَمُّ الوقاحة**

قال النبي ﷺ: إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوّة. إذا لم تستح فاصنع ما شئت.
قال شاعر في معناه:

إذا لَمْ تخشَ عاقِبَةَ الليالي ولم تَسْتحيِ فاصْنَعْ ما تَشاءُ

وفي معناه أيضاً:

إذا لَمْ تصُنْ عِرضاً ولم تَخْشَ خالِقاً وتستحِ مخْلوقاً فما شِئْتَ فاصْنَعِ

وقيل إذا لم تستح فقل، وإذا لم تخشَ فقل: الفاقة خير من الصفاقة[٥]

---

(١) **الوَرْد:** اسم للأسد.

(٢) **يغضّ الطرف:** كناية عن الحياء ـ **دوان:** أي دانية، قريبة.

(٣) **الندى:** الجود والعطاء.

(٤) **القسمات:** أمارات الوجه وأساريره.

(٥) **الصفاقة:** الوقاحة.

● **هِجاءُ وقِح**

قيل: فلان يعد الحياء جَنّة والوقاحة جِنّة، هو أوقح من الدهر، وجه صلب ولسان خلب. **قال شاعر**:

يا ليت لي من جِلْدِ وجْهِك رقعةً أقُدُّ منها حافِراً للأشهبِ

قال منصور بن ماذان: الصخر هش عند وجهك في الوقاحة ومن الأبيات الرائقة الرائعة التي لا أرتاب لها:

أن يعجِزوا أو ينجِلوا أو يغدُروا لم يَخجِلوا[1]
وغدَوا عليك مرجّلينَ كأنّهُمْ لم يفعلوا

قال الناجم:

لك عرش مُثلَّمٌ[2] من قَوارِ يرِ ووجهٌ مُلَمْلَمٌ من حَدِيدِ

● **مدْحُ الوَقاحة**

قال علي رضي الله عنه: قرنت الخيبة بالهيبة والحياء بالحرمان والفرصة تمرمر السحاب. **قال شاعر**:

إذا رزقَ الفتى وجهاً وقاحاً تقلّبَ في الأمورِ كما يَشاءُ
ولم يَكُ للأمورِ ولا لِشَيءٍ يُعالِجُهُ له فيهِ عَنَاءُ[3]

وقال معاوية لعبد الله بن جعفر[4] رضي الله عنهم: ما اللذة؟ **فقال**: ترك الحيا واتباع الهوى.

● **الشاكي حياءَه**

قال العتابي: فيّ خصلتان اعتقلتاني عن كثير من المنافع حصر مقيد بالحياء وعزة نفس شبيهة بالجفاء.

قال أبو الأسود[5]:

وأعطيتُ حظّاً من حَياءٍ وأشتكي من العَجْزِ ما لم يَبْدُ للناسِ عائبُهْ

---

(١) **إن ينجلوا**: من نجل الناس شارهم.
(٢) **مثلّم**: مكسور، محدث فيه خلل ـ **قوارير**: جمع قارورة وعاء يجعل فيه الماء أو الشراب.
(٣) **العناء**: عنا عناء وعنواً الأمرُ (فلان): شقّ، وعنا عنواً له: خضع وذلّ ـ **يقول**: إنّه لا يجد عناء في معالجة الأمور.
(٤) **عبد الله بن جعفر**: صحابيّ وُلد في الحبشة وهو ابن أخي علي لقب ببحر الجود (ت ٨٠هـ/ ٧٠٠م).
(٥) **أبو الأسود**: هو أبو الأسود الدؤلي: شاعر من بني دؤل تنسب إليه أصول النحو العربي.

وقال آخر:

لِسَاني وقَلْبي شاعِران كلاهُما ... ولكنّ وجهي مُفْحَمٌ غَيْرُ شَاعِرِ

قال العبّاس بن الأحنف:

مَن راقَبَ النّاسَ ماتَ غمّاً ... وفازَ باللّذّةِ الجَسُورُ

(٥)

الأمانة والخيانة

●

● الحثُ على الأمانة والنهيُ عن الخِيانة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[1] وقال: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾[2] وقال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[3] وقال النبي ﷺ: لا إيمان لمن لا أمانة له. ومن دعائه عليه السلام: أعوذ بك من الخيانة فبئست البطانة. وقال الجاحظ: سقى الله قبر الأحنف حيث يقول: الزم الصيحة يلزمْكَ العمل. وقال: إذا لم تكن خائناً فبت آمناً. وقيل: أفحش الزمانة عدم الأمانة إذا ذهب الوفاء نزل البلاء وإذا مات الاعتصام عاش الانتقام. خيانة الناس أقبح الإفلاس وقال معاوية: إلزم الرفيعين: الأمانة والعدل.

● الحثّ على الوفاء ومدحه

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[4] وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾[5] وقال: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[6] وقيل إذا ذهب الوفاء نزل البلاء وإذا ظهرت الخيانات استمحقت[7] البركات. وقيل: الوفاء من شيم الكرام والغدر من همم اللئام. وقيل في قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[8]، لا تلبس ثيابك على الغدر.

● مدحُ ذوي الوفاء

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾[9]، قال شاعر

ولم توقَدْ لها بالغَدْرِ نارُ

---

(١) القرآن الكريم: النساء/٥٨.

(٢) القرآن الكريم: النساء: ١٠٥.

(٣) القرآن الكريم: يوسف/ ٥٢.

(٤) القرآن الكريم: البقرة/ ٤٠.

(٥) القرآن الكريم: المائدة/ ١.

(٦) القرآن الكريم: النحل/ ٩١.

(٧) استمحقت: اضمحلت.

(٨) القرآن الكريم: المدثر/ ٤.

(٩) القرآن الكريم: البقرة/ ١٧٦

قال المسيب بن عيسى:

أنتَ الوفيّ فما تُذَمّ وبعضُهم ... يُوفي بذمّته عُقابُ الملاعِ[1]

وقال أعرابي: فلان لا يشكره الخنى[2] ولا يشكوه الوفا. قال التنوخي:

عَظَائِمُ لو أنّ السموْءلَ خافَها ... لخانَ امرأ القيس الوكيد منَ العهدِ[3]

● من التزمَ مكروهاً في التزامِ الوَفاء

قيل: أكرم الوفاء ما كان عند الشدّة وألأم الغدر ما كان عند الثقة، كان السموأل أودعه امرؤ القيس دروعاً، فقصده الملك وأخذ ابنه وقال: إن دفعت الدروع إليّ وإلا ذبحت ابنك، فقال: أجّلني يوماً فجمع عشيرته واستشارهم فكلٌ أشار بأن يدفع إليه. فلما أصبح قال: ليس إلى دفعها سبيل، فافعل ما بدا لك. فذبح الملك ابنه. فوافى السموأل بالدروع الموسم ودفعها إلى ورثة امرىء القيس، فقال[4]:

وفَيْتُ بأدرعِ الكِنْدي إنّي ... إذا ما خانَ أقوامٌ وَفَيْتُ[5]

وفيه قال الأعشى وهي أبيات جيّدة رائقة[6]:

كُنْ كالسّموألِ إذْ طافَ الهُمامُ به ... في جَحْفلٍ كسوادِ الليلِ جَرّارِ

بالأبلقِ الفَرْدِ من تيماءَ منزِلُهُ ... حِصْنٌ حصينٌ وجارٌ غيرُ غدّارِ[7]

قدْ سامهُ خطّتيَ خسْفٍ فقالَ له ... قُلْ ما بدا لكَ إني سامِعٌ حارِ[8]

فقالَ ثُكْلٌ وغدرٌ أنتَ بينَهُما ... فاخترْ وما فيهما حظٌّ لمُختارِ

فَشَكَّ غَيْرَ طويلٍ، ثمّ قال له ... أقْتُلْ أسيرَكَ إنّي مانعٌ جَاري[9]

وعمير بن سليم الحنفي كان يقصده السواقط[10] فلا يتعرض لقصّاده، وكان مرداس في سجن عبيد الله بن زياد فقال له السجّان: أنا أحب أن أوليك حسني، فإن أذنت لك في

---

(١) الملاع: المفازة لا نبات فيها. (٢) الخنى: الفحش في الكلام.

(٣) العظائم: جمع عظيمة وهي النازلة الشديدة ـ السموءل: هو السموأل بن عاديا، شاعر عربي يهودي عاش في القرن السادس الميلادي وهو صاحب الحصن الأبلق، وهو مضرب المثل في الوفاء لأنه آثر أن يقتل ابنه على أن يخون عهده أو أمانته، بعد أن أودع عنده امرؤ القيس دروعه (انظر قصة ذلك في مقدمة شرحنا ديوان السموأل، منشورات دار الأرقم). وللسموأل قصيدته اللامية الشهيرة ومطلعها:

إذا المرءُ لمْ يدنَسْ من اللؤمِ عرضُه ... فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ

(٤) انظر الديوان. (٥) الكندي: أي امرؤ القيس وهو من بني كندة.

(٦) انظر ديوان الأعشى (منشورات دار الأرقم ـ بيروت) ص٨٨.

(٧) الأبلق: حصن للسموأل (انظر معجم البلدان لياقوت).

(٨) حار: مخفف الحارث. (٩) فشكّ: وفي رواية فكرّ.

(١٠) السواقط: جمع الساقطة، اللئيم الناقص العقل.

الانصراف إلى دارك أتدلج[1] علي؟ فقال: نعم، فكان يفعل ذلك به. فلما كان ذات يوم قتل بعض الخوارج صاحب شرطة زياد، فأمر زياد أن يُقْتَل مَنْ في الحبس من الخوارج وكان مرداس خارجاً، فقال أهله: اتّقِ الله في نفسك فإنّك مقتول إن رجعت، فقال: ما كنت لألقى الله غادراً وهذا جبار ولا آمن أن يقتل السجان فرجع، وقال للسجّان: تساقط[2] إليّ ما عزم صاحبك عليه من قتل أصحابنا فبادَرْتُ لئلا يلحقك مكروه، فقال السجّان: خذ أي طريق شئت فانجُ نجّاك الله.

● **الوفياتُ من النساء**

قال أبو عبيدة: لم تف امرأة لزوجها إلاّ قضاعيتان نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان رضي الله عنه، وذلك أنه خطبها معاوية لما قتل عثمان فدعت بفهر[3]، فقلعت ثنيتها[4] **وقالت**: أني رأيت الحزن يبلى فلم آمن أن يبلى حزني فتدعوني نفسي إلى التزوّج وامرأة هدبة فإنها حين قتل زوجها قطعت أنفها وكانت حسنة الأنف لئلا يُرْغَب فيها.

● **قلّةُ الوفاءِ في النّاسِ ووصفُ عامّتِهم بالغدرِ**

قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾[5] وكان يحيى بن خالد إذا اجتهد في يمينه **يقول**: لا والذي جعل الوفاء أعز ما يرى. وكان يقول هو أعز من الوفاء، وقيل لحكيم أي أصناف الناس أقل وفاء فقال أهل الأمانة والوفاء.

قال موسى العلوي:

وخـانَ الـنـاسُ كـلُّـهُـمُ ... فـلا أدري بِـمَـنْ أَثِـقُ

قال المتنبي:

غيري بأكثرِ هذا الناسِ ينخدعُ ... إنْ قاتلوا جبنُوا أو حدّثوا شَجُعُوا

أهلُ الحفيظةِ إلا أنْ تجرِّبَهُمْ ... وفي التجارِبِ بعدَ الغيِّ ما يَزَعُ[6]

قال أبو فراس:

بِمَنْ يثقُ الإنسانُ فيما ينوبُهُ ... ومِنْ أين للحرّ الكريمِ صِحَابُ

وقد صارَ هذا الناسُ إلا أقلُّهم ... ذئاباً على أجسادهنّ ثِيَابُ

وله:

أبْغِيْ الوفاءَ بدهرٍ لا وفاءَ له ... كأنّني جاهلٌ بالدّهرِ والنّاسِ

---

(1) **أتدلج**: من دلج: أي سار في اللّيل.
(2) **تساقط إليّ الخبرُ**: وردني شيئاً بعد شيء.
(3) **بفهر**: أي بحجر رقيق.
(4) **ثنيتها**: أسنان مقدّم الفم.
(5) **القرآن الكريم**: الأعراف/ ١٠١.
(6) **الغيّ**: الضلال - **يزع**: يمنع.

وله:

نعَم دعتِ الدنيا إلى الغدْر دعوةً   أجابَ إليها عالِمٌ وَجَهُولُ

وقال آخر:

والمنتمُون إلى الوَفاء جماعةٌ   إن حصّلوا أفناهُمُ التحصِيلُ

وقال الموسوي:

أبى الناس إلاّ ذميمَ الفعالِ   إذا جرّبوا وقبيحَ الكذبِ

- **ذمُّ الغدْرِ وذَويه**

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[1] وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾[2]، وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه الغدر مكر والمكر كفر. **وقيل**: الخيانة خزي وهوان، **وقيل**: مَنْ عامل الناسَ بالمكر كافأوه بالغدر.

قال شاعر

لقد غَدَرْتَ وعَيْبُ الغَدْرِ مُشْتَهِرُ

وكانت العرب إذا غدر منهم غادرٌ يوقدون له بالموسم ناراً وينادون عليه، يقولون ألا أن فلاناً غدر ولذلك **قال الغادرة الغطفاني**:

اسمى ويحَكَ هلْ سمعتَ بغَدْرةٍ   رُفِعَ اللواءُ بها لنَا في المَجْمَعِ

وقيل: حجّ وفاء زهير المازني في الجاهلية ورأى في منامه كأنه حاضٍ، فقص رؤياه على قس بن ساعدة **فقال**: إنك غدرت أو غدر بعض عشيرتك. فلما قَدِمَ على أهله وجد أخاه قد غدر بجار له فعقله، وقال عَلامَ سُمِّيْتَ وفاء إذا رَضِيْتَ الغدر.

- **رجوعُ الغدْر إلى صاحِبه وسرعةُ إدراكِ عقوبته**

قال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: ثلاث هنّ راجعات إلى أهلها: المكر[3] والنكث[4] والبغي[5]، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[6] وقال: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[7] وقال: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾[8]، **وقيل**: رُبَّ حيلة كانت على صاحبها وبيلة. **وقيل**: رب حيلة أهلكت المحتال.

---

(١) **القرآن الكريم**: البقرة/ ٢٧.
(٢) **القرآن الكريم**: النحل/ ٤٥.
(٣) **المكر**: الخداع.
(٤) **النكث**: عدم الوفاء بالوعد أو خيانة العهد.
(٥) **البغي**: الظلم.
(٦) **القرآن الكريم**: فاطر/ ٤٣.
(٧) **القرآن الكريم**: الفتح/ ١٠.
(٨) **القرآن الكريم**: يونس/ ٢٣.

قال امرؤ القيس:

ويـغـدُو عـلـى الـمـرْءِ مـا يـأتـمِـر

وقال آخر:

وكـمْ مِـنْ حـافـرٍ لأخِـيـه لـيْـلاً تَـرَدّى فـي حـفـيـرتِـهِ نَـهَـارا

وقيل: من حفر مغواة[1] وقع فيها، **وقيل:** من عاد إليه مكره عاد الرمي على النزعة، **وقيل** أربع من أسرع الأعمال عقوبة: من عاهدته ورأيك أن تفي له ورأيه الغدر، وَمَنْ سعى على من لم يَسع عليه، ومن قطع رحم من يواصله، وَمَنْ كافأ الإحسان باساءة.

● **الموصوفُ بالغَدْر**

قال أعرابي: إنّ الناس يأكلون أماناتهم لقماً وفلان يحسوها حسواً ويقال فلان أغدر من الذئب. **قال شاعر:**

هوَ الـذئـبُ أو لـلـذِّئـبُ أوفَـى أمـانَـة

وقيل الذئب يأدو الغزال أي يختله. واستبطأ عبيد الله بن يحيى أبا العيناء **فقال:** أنا والله ببابك أكثر من الغدر في آل خاقان.

قال حسّان:

إنْ تـغـدرُوا فـالـغَـدْرُ فـيـكُـمْ شـيـمـةٌ والـغَدْرُ ينبتُ في أصول السَّخْبرِ[2]

وقال الخبزارزي:

ولِـمْ تـتـعـاطـى مـا تـعـودتَ ضـدّه إذا كـنـت خوّانـاً فَـلِـمْ تـدّعـي الـوَفـا

وقال الباذاني في أبي دلف وكان نقش خاتمه الوفاء:

اَلْــغَــدْرُ أكـثَـرُ فِـعْـلِـهِ وكـتـابُ خـاتَـمِـهِ الـوَفـا

وقيل كان بنو سعد يسمون الغدر كيسان ويستعملونه وفيهم **يقول اليمين:**

إذا ما دَعَوْا كيسانَ كانَتْ كُهُولُهُمْ إلى الغَدْرِ أدنى من شبابِهِم المُرْدِ[3]

● **التعريضُ بمن كانَ منه غدْر**

قال المنصور لإسحاق بن مسلم العقيلي عند قتله **ابن هبيرة:** ما كان أعظم رأس صاحبك. **فقال:** نعم وأمانته كانت أعظم.

---

(١) **المغواة:** الورطة.

(٢) **الشيمة:** الطبيعة، السجيّة ـ **السخبر:** نوع شجر ينبت في أرض العرب.

(٣) **المرد:** جمع الأمرد وهو الشاب الذي طرّ شاربه ولم تنبت لحيته.

وكان لعبد الملك صديق يختصه، فغاب عنه غيبة قتل عبد الملك فيها **عمرو بن سعيد** بعد أن أمنه. فلما قدم **قال** له يوماً: ما تقول في قتل عمرو بن سعيد؟ **فقال**: اعفني. **فقال**: أقسمت عليك لتقولنّ. **فقال** لو قتلته يا أمير المؤمنين وأنت كان حي جميلاً. **فقال** أو ما تراني حياً قال ليس بحي من أقام نفسه مقاماً لا يوثق به، والله لا يخرج عليك بعدها خارجى إلا وبلغ الغاية في معاداتك، وإن بذلت له كل أمانة. **فقال** عبد الملك: لو سبق إلى إذني لم أصنع ما صنعت، ولقد صدق من قال نصف عقلك مع صاحبك.

قال جحظة[1]:

وأمَّنْتَنِيْ ثمّ عاقَبْتَنِي ... فكانَ أمانَ أبي مُسْلِمِ

● مدحُ سوءِ الظنّ بالنّاس

قيل: ما الحزم؟ **قال**: سوء الظن بالناس.

وقال ببغاء[2] **البغدادي**:

وأكثرُ من تلقى يَسُرّكَ قولُه ... ولكنْ قليلٌ من يَسُرُّكَ فِعلُهُ

وقد كانَ حسْنُ الظنّ بعضَ مذاهبي ... فأدبَني هذا الزمانُ وأهلُهُ[3]

وقد تقدم هذا الباب.

● ذمُّ منْ ساءَ ظنّه

قيل لبعضهم: ما ظنّك بالناس؟ **قال**: ظنّي بنفسي. **قال المتنبيّ**:

إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءَتْ ظنونُهُ ... وصدّقَ ما يعتادُه من تَوَهُّمِ

وقيل: أخفض الناس[4] من لا يثق بأحد ولا يثق به أحد.

● النهيُ عنِ الوقوفِ موضِعَ التّهمَة

قال النبي ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقومَنّ مقام التهمة. **وقيل**: من وقف موقف التهمة لم يكن له أجر الغيبة. من جعل نفسه عرضاً للتهم فلا يلومنّ من أساء به الظن.

---

(١) **جحظة**: هو أحمد بن جعفر وهو من البرامكة. اتصل بالخليفة المعتمد وحظي عنده وكان شاعراً بارعاً يجيد الغناء وكان أيضاً من ظرفاء عصره ولعلّ ظرفه ساعد على تقبّل دمامته وقبح وجهه.

(٢) **الببغاء**: هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي أصله من نصيبين بالعراق. لقب بالببغاء للثغة في لسانه. اتصل في شبابه بسيف الدولة ثم قدم الموصل. أكثر شعره في الغزل والخمر والمدح. مات سنة ٣٩٨هـ.

(٣) **يقول**: كان حسنُ الظن أحد مذاهبي في الحياة، لكنّ صروف الدهر وطبائع الزمان وأهله علمتني فبدّلت آدابي ومعتقدي.

(٤) **أخفض الناس**: أحطهم شأناً.

● **حقيقةُ النفاق**

قيل: حقيقة النفاق أخلاف السرّ والعلانية واختلاف القول والعمل، وقال ﷺ: علامة المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا ائتمِن خان.

● **ذمُّ ذي الوجهين**[١]

قال الأحنف: إنَّ ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيهاً. **قال صالح بن عبد القدوس**[٢]:

قلْ لِلَّذي لستُ أدري من تلوّنه أناصِحٌ أمْ على غشٍّ يُداجِيني
إنّي لأكثر ممّا سمْتَني عجباً يد تشجُّ وأخرى منك تأسوني[٣]
تذمّني عندَ أقوامٍ وتمدحُني في آخرين وكلٌّ منك يأتيني

● **النهيُ عن الاستعانةِ بخائن**

قيل: من استرعى الذئب ظلم. **قال شاعر**:

إن العفيفَ إذا استعانَ بخائنٍ كان العفيفُ شريكَهُ في المَأثَمِ[٤]

قال آخر:

إذا أنتَ حمّلْتَ الخؤونَ أمانةً فإنّكَ قد أسندْتَها شرّ مسنَدِ

وقال آخر:

إن العفيفَ إذا تكنّفه الظنينُ هو الظنينُ

وقال علي رضي الله عنه: من تتّهمه فلا تأتمنه ومن تأتمنه فلا تتّهمه.

● **عذرُ من استمانَ بخائنٍ سهواً**

قال أبو تمّام:

هذا النبيُّ وكان صفوةَ ربّهِ من بين بادٍ في الأنام وقارِ[٥]
قد خصّ من أهل النّفاقِ عِصابَةً وَهُمْ أشدُّ أذى مِنَ الكُفّارِ[٦]

---

(١) **ذو الوجهين**: المخادع المرائي والمتلوّن المنافق.

(٢) **صالح بن عبد القدوس**: شاعر بغدادي عرف بالزندقة ويقول بإلهين هما إله الخير وإله الشرّ وقيل إن الخليفة المهديّ صلبه. ومن أشهر شعره القصيدة الزّينبيّة.

(٣) **سمتني**: كلفتني إيّاه.

(٤) **يقول** إن العفيف الذي يستعين بخائنٍ يصبح شريكه في الخيانة.

(٥) **الصفوة**: النخبة المختارة ـ **الأنام**: الناس ـ **البادي**: ساكن البادية ـ **القار**: الذي قرّ أي ثبت بالمكان ولم يرتحل، والمراد أهل الحضر.

(٦) **يقول** لا عجب أن ممدوحه خدع بمكر الإفشين إلى أن تكشّف سريرته، فالنبي محمد ﷺ أولى ثقته عصابة أضمرت النفاق وانتحلت الإسلام مكراً.

واختارَ من سَعْدٍ لَعين بني أبي سَرْحٍ لِوَحيِ اللهِ غيرَ خيارِ[١]

● **الحثُّ على نقْضِ عهدِ الغادِرِ**

قال بعض العلماء: حقّ على من جعل لغادر عهداً أن ينقضه، لأن الله تعالى يقول: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢] **وقال الأعمش:** نَقْضُ العهد مع من لا عهد له وفاءٌ بالعهد.

● **الحثُّ على الغذر والتبجّحُ به**

قال شاعر:

خَرْقٌ على الناس وخَرْقٌ لهم فإنّما الدّنيا مخاريقُ[٣]

وقال مسعود الأسدي:

قالوا غدرْتَ فقلْتُ جير فربّما نال العُلى وشفى الغليلَ الغادِرُ[٤]

وقال العباس بن الأحنف:

ملّني واثِقاً بِحُسنِ وفائي ما أضرّ الوفاءُ بالإنسانِ

(٦)

وممّا جاء في المسابقة إلى المعالي والرفعة والمجد وصيانة النفس والمروءة والفتوة وتعظيم الأماثل

●

● **الممدوحُ بأن مُجاريه إلى العلاء تأخر عنه**

مدح كاتب رجلاً **قال:** فلان طالت إلى المساعي خطاه وبذّ[٥] بشأوه[٦] من ساعاه وجاراه.

وخطب عمر رضي الله عنه أبا بكر وفضّله، **فقال:** وإنه كان كما **قال الشاعر:**

مَن يَسْعَ كي يدركَ مسعاتَه يجتهدِ الشدَّ بأرضِ فضاءِ
واللهُ لا يدركُ أيامَه ذو مئزرٍ ضافٍ ولا ذو رداءِ

---

(١) لعين بنس سرح (هنا) هو عبد الله بن سعد أسلم واختاره النبي لكتابة الوحي لكنه سرعان ما ارتد مشركاً، ولم يكن أهلاً للخيار.

(٢) **القرآن الكريم:** البقرة/ ١٢٤.

(٣) **الخرق:** لعب الصبيان بالمخاريق وهي الخرق المفتولة.

(٤) **جَيرِ:** اسم فعل بمعنى «نَعَم». (٥) **بذّ:** بذه بذاً سبقه وغلبه.

(٦) **الشأو:** الأمد.

وفي المثل فلان لا يشقّ غباره[1] وكتب كاتب: لسنا لاحقيك إذا ابتدأت ولا سابقيك إذا كافأت.

وسئل مجنون: كيف رأيت بني فلان مع من فاخر؟ فقال:

كـأنـوا ومـن عـاداهـم مـن الـبَـشـر ... كـأنـمـا أجـريـتَ خـيـلاً وبـقـرْ

وقال سلم الخاسر:

جـاراك قـومٌ فـلـمْ يـنـالُـوا ... مـداكَ والـجَـرْيُ لا يُـعَـارُ[2]

وقال المتنبيّ:

مـن تـعَـاطـى تـشبّـهـاً بِـكَ أعْـيَـا ... ه ومـن دلّ فـي طـريـقِـك ضَـلا[3]

وقال البحتري:

فـي فـتـيـةٍ طـلـبُـوا غـبـارَك إنّـه ... وَهْـجٌ تـرفـعَ مـن طـريـقِ الـسـؤددِ

قال ابن الرومي:

رجحتمُ علـى أكفائِكم إذا وزِنْتُمْ ... وهـل يـسْـتـوي الآلافُ والـعَـشَـراتُ

قال أبو تمّام:

مـحـاسـنُ أقـوامٍ مـتَـى تـقـرِنـوا بـهـا ... مـحـاسـنَ أقـوامٍ تَـكُـنْ كـالـخَـبَـائِـث[4]

● من يُبَكّت مساميَه ومباريه

وقال بشّار:

أيـهـا الـجـاهـلُ الـمُـبـاهـي بـريـداً ... لـيـسَ بـدرُ الـسـمـاءِ مـنْـك بِـدانِ[5]

وقال أبو تمّام:

ويـا أيـهـا الـسّـاعـي لـيُـدْرِكَ شَـأْوَه ... تَـزَحْـزَحْ قَـصِـيـاً أسوأُ الظّنّ كـاذِبُهْ[6]

بـحَـسْـبِـكَ من نَيلِ المكارمِ أن تُرى ... عـلـيـمـاً بـأنْ لَـيْـسَـتْ تُـنـالُ مـنـاقِـبُـهْ[7]

وقال آخر:

نـحـيـت بـيـربـوع لـتـدركَ دارمـا ... ضَـلالاً لـمَـن مَـنّـاكَ تـلـكَ إلا مـانـيَـا

سعيت شباب الدهر لم تستطعْهم ... أفـالان لـمّـا أصـبـح الـدهـرُ فـانِـيَـا

قال الموسوي:

يـريـدُ الـمـعـالـي عـاطـلٌ مـن أداتِـهـا ... وهيهات من محصوصة طَيَرانهَا

---

(١) لا يشقّ غباره: أي لا يجاريه ولا يسبقه أحد.

(٢) يقول حاول القوم أن يجاروك فلم يستطيعوا لأن قوة الجري لا تُكتسب بالإعارة.

(٣) أعيا: عجز، وقصّر عن الشيء. (٤) الخبائث: الأفعال المذمومة.

(٥) بدلن: الداني: القريب. (٦) الشأو: الغاية ـ القصيّ: البعيد.

(٧) المناقب: المآثر، الفضائل، الحسنات.

● حث من يحسدُ فاضِلاً أن يفعلَ فعلَه

رأى الحسن قوماً يتهافتون على جنازة بعض الصالحين، **فقال**: مالكم تتهافتون على ما لا يجدي عليكم؟ ها هي الاسطوانة التي كان يلزم إلزموها تكونوا مثله. **قال أشجع**:

يـريـدُ الـمـلـوكُ مـدى جـعْـفـر ... ولا يـصْـنـعـون كـمَـا يَـصْـنَـعُ

وقال ابن المعتز:

يـا طـالِبـاً لـلـمـلـكِ كـنْ مـثـلَـه ... تـسـتـوجِـبِ الـمُـلْـكَ وإلاّ فـلا

وأنشد أبو العيناء:

إذا أعـجـبـتْـك خـلالُ امـرئٍ ... فـكُـنْـهُ يَـكُـنْ مـنْـكَ مـا يـعـجِـبُـكْ[(١)]

● الموصوفُ بأنه نالَ السّماء رفعةً

قال تميم بن مقبل:

نـالـوا الـسـمـاءَ فـأمْـسَـكُـوا بـعَـنـانِـهـا ... حتى إذا كـانـوا هـنـاك اسـتـمْـسَـكُـوْا[(٢)]

قال صاحب البصرة:

مـلـكـنـا الـسـمـاءَ بـأحـسـابِـنـا ... ولـولا الـسـمـاءُ مَـلـكْـنَـا الـسّـمَـا

أخذه من قول النابغة الجعدي:

بـلـغْـنـا الـسـمـاءَ نَـجْـدةً وتـكـرّمَـا ... وإنـا لـنـرْجـو فـوقَ ذلـك مَـظْـهَـرا

وأنشد ذلك النبي ﷺ فقال: إلى أين؟ **فقال**: إلى الجنة **فقال ﷺ**: لافضّ فوك، **وقال الفرزدق**:

فـلـو أن الـسّـمـاءُ دَنَـتْ لـمـجْـدٍ ... ومَـكْـرُمـةٍ، دنَـت لَـهُـمْ الـسّـمَـاءُ

● النازِلُ ذروةَ الشّرَف

قال شاعر:

سـمَـا فـوقَ صـعْـبٍ لا تُـنَـالُ مـراتِـبُـهْ

وقال حسّان:

سمَوْتُ إلى العـليـا بغير مشقّةٍ ... فـنِلْـتُ ذُراهَـا لا دنـيـاً ولا وغْـلا[(٣)]

قال ابن الرومي:

تدلّوا على هامِ المعالي إذا ارتقى ... إلـيْـهـا أنـاسٌ غـيـرُهـمْ بـالـسّـلالـمِ[(٤)]

---

(١) **الخِلال**: جمع خَلّة وخُلّة وهي الخصلة. (٢) **العنان**: السحاب، **وعنان السماء**: ما ارتفع منها.

(٣) **ولا وغلاً**: الوغل: الضعيف الدنيء والمقصر والمتطفل الداخل على النّاس في طعامهم وشرابهم دون أن يدعى.

(٤) **هام**: رأس، قمة.

وقال غيره:

على قمّةِ المجْد المؤثّل جالسٌ[١]

● المبادرُ إلى تناول المكرُمات

يستحسن في هذا المعنى قول الشمّاخ[٢]:

إذا ما رايةٌ رفِعَتْ لِمَجْدٍ — وقَصَّر مبتغُوها عَنْ مَدَاهَا
وضاقَتْ أذرعُ المثْرين عنها — سما أَوْسٌ إليها فاحْتَوَاها

وقال ابن الرومي:

سجايا إذا هَمَّتْ بخيرٍ تسرَّعَتْ — إليه وإن هَمَّت بِشَرٍّ تَنَاءَت[٣]

وصف أعرابي رجلاً فقال: هو وسّاع إلى الخير قطوفٌ عن الشر وعكس ذلك شاعر، فقال:

هوَ في الخير قطوفٌ — وهو في الشرّ وسّاعُ

● المختصِرُ طريقَ المكرمات

قال البحتري:

له طريقٌ إلى العَليا مخْتَصَرُ

قال ابن طباطبا:

كأنّه من سُمُوّ هِمّتِه — يأتي طريقَ العُلا فيختصِرُ

قال الرفّاء[٤]:

قلتُ إذ برز سبْقاً في العلا — إلى المجْد طريقٌ مختصرُ

● المتدرعُ للعلا

قال شاعر:

ألبَسَهُ اللهُ ثيابَ العلا — فَلم تَطُلْ عنه ولم تَقْصُرِ

قال أشجع[٥]:

مَكارِمُ ألْبِسْتَ أثوابَها — كُلُّ جديدٍ عندها بالِ

---

(١) المؤثّل: المتأصّل والمعظّم.

(٢) الشمّاخ: هو الشمّاخ بن ضرار وأخوه مزرد (انظر جوانب من حياته وشعره في الشعر والشعراء لابن قتيبة) ـ منشورات دار الأرقم ص٢١٥.

(٣) سجايا: جمع سجية، فصيلة.

(٤) الرفّاء: هو أبو الحسن السري الكندي، الرفاء من مواليد الموصل سمّي الرفاء لأنه كان يرفو ويطرز في دكان وينظم الشعر خلال عمله، ثم اشتهر واتصل بسيف الدولة ثم بالوزير المهلبي. تميّز بطبعيّته في شعره وعذوبة لفظه مات سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٢م).

(٥) أشجع: هو أشجع بن عمرو السلمي من قيس. كانت ولادته باليمامة، لكنه نشأ بالبصرة وفيها قال الشعر حتى صار من فحول الشعراء. اتصل بالبرامكة ومدحهم ثم اتصل بالرشيد (انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة والأغاني ١٧/ ٣٠ والموشح للمرزباني.. الخ).

قال الأخطل[1]:

وأقسَمَ المجدُ حقاً لا يُحَالِفُهُمْ ... حتى يحالِفَ بَطْنَ الرَاحَةِ الشَعَرُ

وقيل: المجدّد ثأره والكرم شعاره.

- **مَنِ انتهى إلى العُلا ابتداءً منهُ**

قال أحمد بن أبي طاهر:

خلائقُهُ للمُكْرَمَات مناسبٌ ... تناهى إليه كُلُّ مجدٍ مؤثَلِ[2]

قال أبو تمّام:

ما أُنشِئَتْ لِلمُكْرَمَاتِ سحابةٌ ... إلا ومن أيديهم تتدفَقُ

- **الموصوفُ بأنه يحمي المكرُمات**

قال أعرابي لقوم: أنتم والله حضان الشرف وقال رجل لآخر لو وجد الكرم في يد غيرك لعلم أنه ضالة لك.

قال أبو شراعة:

مولَى المكارمِ يرعاها ويَعْمُرُها ... إن المَكَارمَ قد قَلَّتْ مواليها[3]

قال أبو تمّام:

قومٌ تراهم غيارَى دونَ مَجدِهِم ... حتى كأنَّ المعالي عندَهم حَرَمُ

قال أبو تمّام:

مضوا وكأنَّ المكرماتِ لديهِم ... لكثرةِ ما أوصَوا بِهِنَّ شَرَائِعُ[4]

قال آخر:

يحمي شريعةَ مجدٍ غيرِ مورودِ

- **من ارتفعَ بيتُ شرَفِه**

قال شاعر:

فأما بيتُكُمْ إن عُدَّ بَيتٌ ... فطالَ السمْكُ وارتفعَ الفناءُ[5]

---

(١) **الأخطل**: هو أحد شعراء المثلث الأموي، وقد سبقت الإشارة إليه.

(٢) **الخلائق**: جمع خليقة وهي الطبيعة التي يخلق بها الإنسان ـ **يقول**: إن طبائعه من نسب المكرمات ولهذا ترتقي الفضائل إليه وينتهي عنده كل مجد مؤثل.

(٣) **مواليها (هنا)**: أسيادها، جمع مولى، ومولى من الأضداد ومعناه العبد أيضاً.

(٤) **يقول** إن المكرمات عند هؤلاء القوم لها حرمة فهي كالشرائع التي يوصى بها.

(٥) **السمك**: السقف الأعلى من البيت.

وأمـا أسُّـه فـعـلـى قـديـمٍ — مـن الـعـاديّ إنْ ذُكِـرَ الـبِـنَـاءُ

قال أبو تمّام:

لـه نـبـعـةٌ فَرْعُـهَـا فـي الـسـماءِ — وفـي هـامـةِ الـحـوتِ أعْـرَاقُـهَـا

قال أبو فراس:

لـنـا بـيـتٌ عـلـى عُـنُـقِ الـثُـريّـا — بـعـيـدُ مذاهـبِ الأطـنـابِ سـامِ(١)

تـظـلّـلُـهُ الـفـوارسُ بـالـعَـوَالي — وتَـفـرِشُـهُ الـولائـدُ بـالـطّـعـامِ

وقال آخر:

لـه قـبّـةٌ فـي الـمـجـد رأسُ عِـمَـادِهَـا

● المتدرّع للمعالي

قال الراعي(٢):

فـمـن يَـفْـخَـرْ بـمَـكْـرُمَـةٍ فـإنّـا — سَـنَـنّـاهـا لأيـدي الـفـاعِـلـيـنـا

قال ابن الرومي، وقد أحسن:

هـم الـمـبْـدعـون بَـدِيْـعَ الـعُـلـى — إذا كـانَ غـيـرُهُـمْ الـمـتّـبـعْ

ومـا الـدِيْـنُ إلا مـع الـتّـابـعـيـن — ولـكـنّـمـا الـمـجـدُ لـلـمـبـتَـدِعْ

قال أبو تمام، وقد أحسن:

فمهما تَكُنْ من وقعةٍ بعْدُ لا تَكُنْ — سوى حَسَنٍ ممّا فعلَتْ مُرَدَّدِ

محاسنُ أصْنافِ المغنّين جمّةٌ — وما قصَبَاتُ السّبْقِ إلا لِمَعْبِدِ(٣)

قال المتنبي:

يمشي الكرامُ على آثارِ غيرِهِم — وأنتَ تخلُقُ ما تأتِي وتَبْتَدِعُ(٤)

وقال أرسطوطاليس للإسكندر: أمّا مناقبك فقد نسخها تواترها فصارت كالشيء القديم يتأسى به كالبديع يتعجب منه.

---

(١) الأطناب: جمع طنب، وهو حبل يشدّ به مسرادق البيت.

(٢) الراعي: هو الراعي النميري واسمه حصين بن معاوية قيل له الراعي لكثرة وصفه راعي الإبل في شعره. كان يميل إلى الفرزدق ولهذا هجاه جرير فأكمه حين قال فيه:

فـغُـضّ الـطّـرْفَ إنّـك مـن نُـمَـيْـرٍ — فـلا كـعـبـاً بـلـغْـتَ ولا كـلابـا

(انظر الشعر والشعراء، منشورات دار الأرقم ص٢٩٨).

(٣) جمة: كثيرة ـ معبد: اسم المغني المشهور ـ يقول أن ممدوحه سابق إلى سؤدده مثل معبد في صنعة غنائه.

(٤) يقول: إن الكرام يمشون بالآخرين أما أنت فالمبدع الخلاّق.

● **المتثبِّتُ بالمعالي والخادِمُ لها**

قال أبو الشيص[1]:

عَشِقَ المكارمَ فهو مُغْتَمِدٌ لها ... والمكرُماتُ قليلةُ العُشَّاقِ

قال المتنبيّ:

تلِذُّ له المروءةَ وهي تُؤْذِي ... ومن يَعْشَقْ يلذُّ له الغَرَامُ

ومن هنا أخذ الصاحب قوله:

اشبب لكن بالمعالي اشببُ ... وانسب لكن بالمكارم أنسبُ

قال أبو تمّام:

خدم العلى فَخَدَمْنَه وهي التي ... لا تخدمُ الأقوامَ ما لم تُخْدَمِ

● **العديمُ النظير والشبيه**

وصف أعرابي رجلاً فقال ما نطف[2] **فحل بمثله، قال:**

مـا وَلَـدَتْ مِـثْـلَـكَ أرحـامُ الـنـسـاءِ

وقال آخر:

إنَّ الـزمـانَ بـمـثْـلِـهِ لَـعَـقِـيـمُ

قال المتنبيّ:

ليس لهُ عَيبٌ سوى أنه ... لا تقعُ العَينُ على شِبْهِهِ

وليس ذلك بعيب وإنما هو كقول النابغة:

ولا عَيْبَ فِيهِمْ غيرَ أنّ سيوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُوْلٌ من قِرَاعِ الكَتَائِبِ[3]

قال علي بن عبد العزيز:

جملةُ القولِ أنّ مثلَكَ لا يُمْكِنُ في مثل دهرنا تكوينُه

قال أبو نواس:

خلقْتَ بديعاً لا يُقَالُ كأنّه ... تعالى ولم يسمعْ بمثلِك سامِعُ

قال آخر:

وَلَـمْ تَـقَـعْ عَـيْـنٌ عـلـى مِـثْـلِـهِ

---

(١) **أبو الشيص**: محمد شاعر عبّاسي مطبوع من أهل الكوفة. ابن عم الشاعر دعبل. عَمِي في آخر حياته. له مراثٍ في عينيه. امتاز بوصف الخمرة والمديح. كانت وفاته سنة ١٩٦هـ/ ٨١١م).

(٢) **نطف**: قذف بفجور.

(٣) **فلولٌ**: انثلامات في حدّ السيف، شقوق.

قال ابن سكّرة في الصّابي:

خرجتُ أطلبُ شيئاً لا وُجودَ له ... وَمَنْ غدا يطلبُ المفقودَ لم يَجِدِ
شبهُ الكريمِ أبي إسحاق في كرمٍ ... ما ليس في الظنّ هل يُسْطَاعُ في بَلَدِ

- **من اشتغالُه كَسْبُ المعَالي**

قال البحتري:

إلى فارغٍ من كلّ شغلٍ يَشِينُهُ ... فإن يشتغلْ بالمجدِ طاب اشتغالُهُ

قال المتنبيّ:

ويشغلهم كسبُ الثّنَاء عن الشُغْلِ

- **من يتزايدُ في المجْد على مرورِ الدهر**

قال شاعر:

وَجَدْتُكَ أمسِ خَيْرَ بني مَعْدٍ ... وأنت اليومَ خيرٌ منكَ أمْسِ

قال أبو الهول:

ما كُنتَ في غاية إلا سَبَقْتَ ولا ... طالَ المَدى بك إلاّ زِدتَ إحْسَانَا

- **من لا يُحْصَى مجدُه**

وقال أبو شراعة:

وحزْتَ بهم لا بلْ بنفسِ ابْنِ حرّةٍ ... مآثرَ يُحْصَى دونَ إحصائِها الرّمْلُ

قال دعبل:

معاليه يُحْصَى قَبْلَ إحصائِهَا القَطْرُ

- **الموصوفُ بأن تجمّع فيه عالَمٌ لفضله**

عقيل يصول إذا استجير به نفير، **قال أبو نواس:**

متى تُخطى إليه الرجلُ سالمةً ... تستجمع الخَلْقَ في تمْثال إنسانِ

وله:

ليسَ على الله بمُسْتَنْكَرٍ ... أن يَجْمَعَ العالمَ في واحدِ

قال المتنبيّ:

نسقوا لنا نَسْقَ الحِسَاب مقدما ... وأتى فذلك إذ أتَيْتَ مُؤَخّرا

- **من يستحقِرُ في جنبه أجِلاّءَ الناس**

قال بكر بن النطاح:

ما النّاس إلا ملك واحد ... غير خُشَارات[1]

---

(١) خشارات: الرديء من كلّ شيء، وسفلة النّاس.

قال رشتة بن الأبيض:

النـاس عـنـد عـلـي حيـن تَـذْكُـرُهُـمْ — كـالـشـوك يُـذْكَـرُ بيـن الـوردِ والآسِ

قال ابن العوّام:

فـنَـحْـنُ الـسَّـنـامُ والـمـنَـاسِـمُ غـيـرُنـا — ومن ذا يـسـوّي بـالسَّنَام المَنَاسِما[1]

وذلك مأخوذ من قول الآخر:

ومـن يـسـوّي بـأنـفِ الـنـاقـةِ الـذَّنـبـا

قال أبو السعداء:

الـنـاس أيـامُ الـشـهـو — رِ وَأنْـتَ فِـيـهِـمْ يَـوْمُ عِـيْـدِ[2]

● من تتزيّنُ به الدنيا

وصف أعرابي رجلاً فقال لئن عابه كونه في الزمان لقد تزين الزمان بكونه فيه.

قال الجريمي:

تـحـلَّـتْ بـه الـدنـيـا فـغـطّـت عـيـوبَـهـا — وأمـسَـتْ بـه الـدنـيـا تُـجَـلُ وتُـحْـمَـدُ

قال المتنبّي:

أنـتَ الـذي بَـجَـحَ الـزمـانُ بـذكْـره — وتـزيّـنـتْ بـحـديـثِـهِ الأسْـمَـارُ[3]

وقال أبو الفضل بن العميد: أمْدَحُ بيتٍ قولُ المتنبي:

الـدّهْـرُ لـفـظٌ وأنـتَ مَـعْـنَـاهُ

قال الشيخ رحمه الله وأنا أستحسن قول الشاعر:

فـما أحْسَنَ الدنيا وفي الدار خالدٌ — وأقْـبَـحَـهـا لَـمّـا تـجـهّـزَ غـازِيَـا

قال ابن الرومي:

يـا زينـةَ الـديـنِ والـدنـيـا إذا احـتـفَـلا — وأظـهـرا مـا أعْـدّاهُ مـن الـزيـنِ

● من تنافسَتِ فيه الأيّام

قال نصيب:

وقـد تـغـايَـرَتِ الأيـامُ فـيـكَ فـمَـا — تَنْفَكُّ تسني لها الحُذْيَا وتحتشِدُ[4]

---

(١) السنام: حوبة في ظهر البعير. وهنا كبير القوم - المناسم جمع منسم وهو طرف خفّ البعير.
(٢) يقول: أنت بين الناس كيوم عيدٍ في أيام الشهور.
(٣) بجح: فرح - الأسمر: جمع سمر وهو حديث اللّيل.
(٤) الحذيا: القسمة من الغنيمة.

قال أبو تمّام:

يَشْتَاقُهُ من كَمَالِهِ غَدُهُ ... ويُكْثِر الوجدَ نحوَه الأمْسُ

قال ابن الرومي:

تنافس الناسُ في أيام دولتِهِ ... فما يبيعون ساعاتٍ بأعْوَامِ

ومن الأقوال المشهورة:

فلانٌ لا يُحْجَبُ في العلمِ ... (أي لا يَخْفى مكانُهُ)

وقال شاعر:

وهل يَخْفَى على الناسِ النَّهَارُ

قال ابن الرومي:

شَمْسُ الضحى أبرَعُ من أن تُطْمَسَا[1]

وقال آخر:

إنّي إذا خَفِيَ الرجالُ وجدْتَني ... كالشَّمْسِ لا تَخْفى بكلِّ مكانِ

قال ابن هرمة[2]:

إذا خَفي القومُ اللئامُ رأيتَني ... مقارنَ شمسٍ في المجرّة أو بَدْرِ[3]

وكان علي بن الحسين رضي الله عنهما يطوف بالبيت فرآه يزيد. فقال: من هذا؟ فقال له الحارث بن الليث:

هذا الذي تعرفُ البطْحاءُ وطأتَهُ ... والبَيْتُ يعرِفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ[4]

- **اعتذارُ منْ لم يُعْرَفْ**

قال رجل لسقراط ذكرتك عند فلان فلم يعرفك فقال: يضرّه أنه لا يعرفني، لأنه لا يجهل مكان ذي العلم إلاّ خسيس. وقال محمد بن الزيات لبعض أولاد البرامكة: مَنْ أنت ومن أبوك؟ فقال: أما أنا فالذي تعرفني وأما أبي فالذي لم يعرفك ولا أباك. قال المتنبي:

وإذا خَفيتُ على الغبيّ فعاذرٌ ... أن لا تراني مقلةٌ عَمْيَاءُ

---

(١) تطمس: يذهب ضؤها.

(٢) ابن هرمة: هو إبراهيم بن هرمة [(١٩٥هـ - ٨١٠م) - (٢٦٧ - ٨٨٠م)] وأحد شعراء المدينة. اتصل بالخليفة المنصور ومدحه.

(٣) المجرة: منطقة في السماء قوامها النجوم.

(٤) البطحاء: مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى - الحلّ: ما جاوز الحَرَم من أرض مكّة - الحرم: بيت المقدس - يقول: البيت المذكور من قصيدة للفرزدق في مدح زين العابدين.

● **وصفُ الإنسان بأنّه لا يخلو من العَيب**

قيل لبعض الفلاسفة: من الذي لا عيب فيه؟ **فقال**: الذي لا يموت. **وقال الأحنف**: الشريف من عُدّت سقطاته، أي الرجل المهذب. **قال** شاعر:

ومنْ ذا الذي تُرضِي سَجاياه كلُّها ... كفَى المرءَ نبْلا أن تُعَدَّ معايِبُهْ

ولهذا باب آخر في **الإخوانيات**.

● **الحثُّ على إكرامِ النفس عندَ المذلّة**

قال عمرو بن العاص: المرء حيث يجعل نفسه إن صانها[1] ارتفعت، وإن قصّر بها اتّضعت.

قال بعضهم:

وما المرءُ إلاّ حيثُ يجعَلُ نَفْسَهُ ... ففي صالحِ الأخلاق نَفْسَك فاجْعلِ

قال حاتم:

ونفسَك أكرِمْها فإنك إن تَهُنْ ... عليْك فلن تلقَى لها الدهرَ مُكْرِمَا[2]

قال صالح بن عبد القدوس:

إذا ما أهَنْتَ النفْسَ لم تَكُ مكرما ... لها بعدما عَرَّضْتَها لِهَوانِ

أنشد غلام أبي عبيده:

ولاتهنْ للصّديقِ مكرُمةً ... نفسك حتّى تعدّ من خَوَلِهِ

يُحَمِّلُ أثقاله عليك كمَا ... يحمل أثقالَه على جَمَلِه

وإنما يعني بذلك الهوان الذي هو العسف لا الهون الذي قالت العرب فيه إذا عز أخوك فهنْ. **قال** ﷺ: سيد القوم خادمهم.

● **الممدوحُ بصيانةِ النفس**

قال بعضهم: جعلت الدنيا دون عرضي فآثرها لدى ما صانه وأهونها على ما شانه، ووصف آخر رجلاً **فقال**: اشترى بالمعروف عرضه ومن الأذى فلو كانت الدينا له فأنفقها صيانه لنفسه لاستقلها.

قال ابن نباتة[3]:

لَبِسْتُ من الحوادث كُلَّ ثوبِ ... سوى ثوبِ المذلّةِ والهَوَانِ

---

(1) **صانها**: حفظها. (2) يدعو حاتم إلى إكرام النفس وعدم تعريضها للهوان.

(3) **ابن نباتة**: هو عبد الرحيم شاعر كبير مدح سيف الدولة وله ديوان شعر مرموق. عاش بين عام ٩٤٦ و٩٨٤.

● **مدحُ إهانةِ النفس حيثُ تحْمد**

مدح أعرابي رجلاً **فقال**: كان يهين نفساً كريمة لقومه ولا يُبْقي لغد ما وجد في يومه.
قالت الخنساء[1]:

تُهِينُ النفوس وهونُ النفو ... س يومَ الكريهةِ أوفَى لها

ويروى عن **الشافعي** رضي الله عنه:

أُهِينُ لَهُمْ نفسي لأكرِمَها بهم ... ولن تُكرَمَ النفسُ التي لا تُهِينُهَا

● **ما جاء في الفتوّة**

قيل: الفتوة طعام موضوع ونائل مبذول وبشر مقبول وعفاف معروف وأذى مكفوف، وجاء جماعة إلى حسان فقالوا من الفتى؟ **فقال**:

إن الفتَى لفتى الهواجر والسّرَى ... وفتى الطّعان ومِذره الحَدَثانِ[2]

ذاك الفتى إن كانَ كهْلاً أو فتى ... ليسَ الفتى بِمنعم الشبانِ

● **المروءَة**

قال معاوية لقرشي: ما المروءة؟ قال إطعام الطعام وضرب الهام. وقال ذلك لثقفي **فقال**: هي تقوى الله وإصلاح المعيشة. فقال لعمرو اقض بينهما. **فقال**: أما ما قال القرشي فهو المروءة وقد أجاد الثقفي ولم يصب ولكن من بدأ بكلام حسن زيّن بذلك سائر كلامه. وإن المروءة أن تعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك.

وقال عبد الله بن عباس المروءة أن تحقق التوحيد وتركب المنهج السديد وتستدعى من الله المزيد، وقيل جماع المروءة في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3]

وقيل لعمرو بن العاص ما المروءة؟ **فقال**: العفة عما حرم. وقيل للأحنف ذلك **فقال**: أن لا تعمل في السرّ ما يستحيا منه في العلانية.

وقيل له مرة أخرى **فقال**: اجتناب الريب[4] فإنه لا ينبل مريب، وإصلاح المال فلا مروءة لمحتاج، والقيام بحوائج الأهل فلا مروءة لمن يحتاج قومه إلى غيره، **وقيل**: لآخر

(١) **الخنساء**: من شواعر العرب المخضرمات، عاشت في الجاهلية وأدركت الإسلام وأكثر شعرها في رثاء أخويها صخر ومعاوية.

(٢) **الهواجر**: جمع هاجرة، حرارة الظهر نصف النهار ـ **السرى**: السير في اللّيل ـ **يقول**: إن الفتى الحقّ هو الجريء المقدام الذي يواجه حرّ الهجير بعيداً عن المذلّة والصّغار.

(٣) **القرآن الكريم**: النّحل/ ٩٠.

(٤) **اجتناب الريب**: أي الإعراض عن مواقف الارتياب والشكّ.

فقال مواطأة القلب اللسان، وقيل الحسب[1] إحصاء المكارم والنسب إحصاء الآباء.

● جوازُ تقبيلِ اليد

روي عن النبي ﷺ أنه **قال**: لا يحلّ لأحدٍ أن يقبّلَ يد آخر إلا رجلاً من أهل بيتي أو يد عالم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: صنع رسول الله ﷺ إلى رجل معروفاً فقبل يد رسول الله ﷺ خمس مرات، ولما قدم عمر بن الخطاب الشأم، قبّل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يده ثم تناول رجله ليقبلها **فقال**: مه[2] أما هذا فلا. ودخل عطية بن عبد الرحمن الثقفي فمثل بين يدي مروان ابن محمد فاستأذنه أن يقبل يده، **فقال**: القبلة من المسلم ذلّة ومن الذميّ خدعة. لا حاجة لي في أن نذل أو تخدع. مد المأمون يده لأعرابي ليقبلها فتناولها بكمه **فقال**: أتقذر لها؟ **فقال**: لا بل أتعزز بها.

● من مُنِعَ من ذلك أو امتنَع

قالت امرأة لأبي مسلم: ناولني يدك أقبلها فقد نذرت، **فقال**: عليك بالحجر الأسود تصيبين أجراً وتقضين نذراً.

ودخل عقال بن شبة على هشام وأراد أن يقبل يده **فقال**: لا يفعل هذا من العرب إلا هلوع[3] ولا من العجم إلا خضوع[4]

وقيل لما أفضت الخلافة إلى أبي العباس السفاح وَفَدَتْ عليه قريش فأمروا بتقبيل يده، حتى دخل إبراهيم بن محمد العدوي **فقال**: يا أمير المؤمنين لو كان تقبيل اليد يزيد في القربة منك لأخذت بخطّي منه. وانك لغني عمّا لا أجر فيه لك وفيه منقصة لنا فأقره ولم ينقصه من حظوظ أصحابه شيئاً.

● الممدوحُ بأنّه مقبّلُ اليدِ والرجل

قال إبراهيم الصولي:

لِفَضْلِ بنِ سهلٍ يدٌ تَقَاصَرَ عنها المَثَلْ[5]
فباطنُها للندى وظاهرُها للقُبَلْ[6]

---

(١) **الحسب**: شرف الأصل.

(٢) **مه**: اسم فعل مبني على السكون بمعنى انكفف، ويقال أيضاً: مهٍ.

(٣) **الهلوع**: الفزع. (٤) **الخضوع**: الذليل.

(٥) **الفضل بن سهل**: وزير المأمون.

(٦) **الندى**: الجود والعطاء ـ **يقول** إن يده أسمى من أن يضرب بها المثل لفرادتها باطنها للعطاء وظاهرها للقليل.

أخذه ابن الرومي فقال:

فـامـدُد إلـيّ يـداً تـعـوّد بـطـنُـهـا بَـذْلَ الـنـوال وظَـهْـرُهـا الـتَّـقْـبِـيْـلا

قال الخوارزمي:

تـعـاوَرَتِ الـشـفـاهُ الـكـم عـنـهـا ونـافـسـتِ الـشـفـاهُ بـهـا الـخُـدُوْدَا

وله:

يُـقَـبِّـلُ رجـلَـيْـه رجـالٌ أَقـلُّـهُـمْ تُـقَـبِّـلُ فـي الـدسْـتِ الـرفـيـعِ أنـامِـلُـهْ

وفي ضده يقول الهنادي لبعض بني هاشم:

يـا قُـبْـلَـةً ذهـبَـتْ ضَـيَـاعـاً فـي يـدٍ ضـرّ الإلـهُ بـنـانَـهـا بـالـنِّـقْـرِسِ

ودخل أبو العميثل على طاهر بن الحسين متمدحاً وقبل يده فقال: ما أخشن شاربك يا أبا العميثل. فقال: أيها الأمير إن شوك القنفذ لا يضر ببرثن الأسد. فضحك وقال إن هذه الكلمة أعجب إليّ من كل شعر. فأعطاه للشعر ألف درهم ولكلمته هذه ثلاثة آلاف درهم.

- **المقبّل أرضه**

قال المتنبي:

تُـقَـبِّـلُ أفـواهُ الـمـلـوكِ بِـسَـاطَـه ويَـكْـبُـرُ عـنـهـا كُـمُّـهُ وبَـرَاجِـمُـهْ(١)

قال أبو القاسم بن أبي العلاء:

يُـقَـبِّـلُ صِـيـدُ الـنّـاس سُـدَّةَ بـابِـه ويـعـظُـمُ عـنـه أخـمـصٌ وَرِكَـابُ

لـدى مـلـكٍ قـد خـطّ فـي كـلّ جـبـهـةٍ كـتـابَـةَ رقٍّ والـمِـدادُ تُـرَابُ(٢)

قال أحمد بن إبراهيم:

سـجـدْنَـا لـلـقـرودِ رجـاءَ دنـيـا حـوتْـهـا دونَـنـا أيـدي الـقُـرُوْدِ

فـمـا بـلـتْ أنـامِـلُـنـا بـشـيءٍ رجـونـاه سـوى ذلّ الـخُـدُوْدِ

- **من يُقامُ له ويُنزلُ إليه وجوازُ ذلك وكرامته**

قال شاعر:

فـلا تَـعْـجَـبْ لإسْـرَاعِـي إلـيْـه فـإنّ لـمـثـلِـهِ شُـرِّعَ الـقِـيَـامُ

قال إبراهيم الصولي:

إذا مـا بـدا والـقـومُ فـوقَ سـرُوجِـهـم تـنـاثـرتِ الأَشْـرافُ مـنـهـمْ عـلـى الأرضِ

---

(١) البراجم: مفاصل الأصابع، جمع برجمة، يقول أن الملوك تقبل حين يلقونه بساطه دون ان يبلغوا حدّ تقبيل كمّه او يده.

(٢) الرقّ: العبودية والجلد ـ المداد: الحبر.

وقال آخر:

وترى النّاس هيبةً حين يبْدو ... من قِيَامٍ ورُكّعٍ وسُجودِ

وقال آخر:

يأتي الجوانبَ لا يُراجَعُ هيبةً ... والسائلون نَواكِسُ الأذْقَانِ[1]

● الممدوحُ بأنواعٍ من المكارِم

قال عمرو بنُ عتبة في أمر وقع بين بني أمية وبين غيرهم إنّ لقريش درجاً يزلق عنه أقدام الرجال وأفعالاً تخضع لها رقاب الأموال، وألسُناً تكلُّ عنها الشفارُ المحدّدة[2] وغايات تقصر عنها الجياد المسومة لو احتفلت الدنيا لم تتزيّنْ إلاّ بِهِمْ.

وقال عمرو بن معدي كرب[3] في مدح قوم: نعم القوم عند السيف المسلول والخير المسؤول والطعام المأكول، وذكر إدريس بن معقل أبا مسلم فقال: بمثله يُدْرَكُ الثأر ويُنْفَى العار ويُؤكّد العهد ويُبْرَم العقد ويَسْهُل الوعرُ ويُخَاضُ الغمر ويفلّ الناب ويُفْتح البابُ ومدح أعرابي رجلاً فقال: كان للإخوان وصولاً وللأموال بذولاً وكان الوفاء به كفيلاً

ووقف أعرابي على قبر عامر ابن الطفيل فقال: لقد كنتَ سريعاً إذا وَعَدْت، بطيئاً إذا أوْعَدْتَ وكانت هدايتك هداية النجم وجراءتك جراءة السهم. وأخبر بعض الحكماء عن صاحب له فقال: عظمه في عيني صغرُ الدنيا في عينه. كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد وخارجاً من سلطان فرجه فلا يستخف له رأياً ولا بدناً.

قال امرؤ القيس:

أفـادَ وجـادَ وسـادَ وقـادَ ... وذادَ وعـاد وزاد وأفـضَـل

قال ديك الجن[4]:

أنّ العُلى شيَمي والبأسَ من نقَمِي ... والمجْدَ خَلْطُ دمي والصّدقَ حَشْوُ فمِي

قال مسلم بن عقيل[5]:

يذكرنيك الخير والشر والذي ... أخاف وأرجو والذي أتَوَقّعُ

وقال آخر:

يذكّرنيك الجودُ والبخلُ والنهى ... وقولُ الخنى والحلمُ والعلمُ والجَهْلُ

---

(١) نواكس الأذقان: أي مطأطئو الرؤوس. (٢) الشفار المحدّدة: السيوف.

(٣) عمرو بن معدي كرب: من شعراء بني مذحج. كان أحد فرسان العرب المشهورين في الجاهلية. أدرك عمرو الإسلام. شارك في معركة القادسية وأظهر شجاعة وبلاء كما شارك في فتح نهاوند، وفي تلك المعركة قتل.

(٤) ديك الجن: عبد السلام (٧٧٧ ـ ٨٤٩م) شاعر من أهل حمص. رثى الحسين. عُرف بمجونه.

(٥) مسلم بن عقيل: ابن عمّ الحسين بن عليّ. انتصر عليه عبيد الله بن زياد حاكم الكوفة وقتله. مات (٦٠هـ/ ٦٨٠م).

فـألـقـاك عـن مـذمـومـهـا مُـتـنـزِّهـاً وألقاك في محمودِها ولكَ الفَضلُ

- **تشبيهُ الممدوحِ بجماعةٍ مختلفة في معانٍ مختلفة**

قال رجل للمهدي: إنّك ليوسفيّ العفو إسماعيلي الصدق شعبيّ الرفق سليماني الملك داوودي الفضل[١]، وحكى محمد الأنماطى الفقيه يوماً **قال:** قد تغدينا يوماً عند المأمون، فكان كلما وُضِعَ لون يقول: من به كذا فليأكل هذا ومن به كذا فليجتنبهُ. **فقال** يحيى بن أكثم: لله درك يا أمير المؤمنين فإنا إن خضنا في الطّب[٢] فأنت جالينوس، وإن ذكرنا النجوم فأنت هرمس[٣] أوِ العلم فأنت علي بن أبي طالب، أو السخاء فأنت حاتم[٤]، أو الصدق فأنت أبو ذر[٥]، أو الكرم فأنت كعب بن مامة أو الوفاء فأنت السموأل[٦] **فقال** المأمون: للإنسان: فضل على غيره بالنطق والفهم ولولا ذلك لم يكن لحمه أطيب.

قال أبو تمام:

إقدامُ عـمـروٍ فـي سـمـاحَـةِ حـاتـمِ فـي حِـلْـمِ أحـنـفَ فـي ذَكـاءِ إيـاسِ

قيل: فلان فيه ورع ابن سيرين وعقل مطرف ودهاء معاوية وحفظ قتادة، وقيل له بذل هاشم وعز كليب وضبط عائشة وبرّ عثمان وشجاعة عتيبة ومكر قيصر **قال الطائي:**

أصبحت حاتِمَها جوداً واحْنَفَها حلماً وكِيْسانها علماً ودغفلها

قال الرستمي:

سماحةُ كَعْبٍ في رزانةِ أحنف ونَجْدَةِ عمروٍ في وفاءِ ابنِ ظالمِ

قال السريّ الرفاء:

أوفَى وكان محلّقاً ومضَى وكا نَ مزلقاً وسطاً وكانَ محرقا[٧]

تشبيه الممدوح بأشياء مختلفة في معانٍ مختلفة.

قال أبو تمّام:

لـه كـبـريـاءُ الـمـشـتـري وسـعـودُه وسـورةُ بـهـرام وطَـرْفُ عُـطَـارِدِ

---

(١) نسبة إلى التوالي إلى يوسف بن يعقوب وإسماعيل والشعبي وسليمان الحكم والملك داود وهم من أصحاب النبوّة والفضل.

(٢) **جالينوس:** من أشهر أطباء الإغريق.

(٣) **هرمس:** لعلّه يريد هرمس اليوناني ابن جوبيتير، وهناك هرمس المصري من كبار الحكماء.

(٤) **حاتم:** أي حاتم الطّائي الذي يضرب به المثل في الكرم ومثله كعب بن مامة.

(٥) **أبو ذر:** أي أبو ذرّ الغفاري من صحابة النبيّ.

(٦) **السموأل:** ورد ذكره، وهو صاحب الحصن الأبلق ومن شعراء العرب اليهود.

(٧) **مزلقاً:** مكان لا تثبت فيه قدم.

قال مسلم:

كـأنّـه قـمـرٌ أو ضَـيْـغَـمٌ هَـصَـرٌ ... أو حـيّـة ذَكَـرٌ أو عـارِضٌ هَـطِـلُ[1]

قال وهب الهمداني تلقاه في الظلماء والهيجاء والمحل المجيع كالغيث والليث المحامي والعقيلة والصديع قال البحتري:

كـالـغيث فـي أخذامه والـغيثِ فـي ... أرهـامـهِ والـلـيـث فـي إقـدامـه

إن كـنـت تُـنْـكِـرُ مـا أقـول فـجـارِهِ ... أَوْ بَـارِهِ أَوْ حَـاكِـهِ أَوْ سَـامِـهِ

قال ابن طباطبا:

كـالـبـدْرِ إذْ يـجـري وكـالـلـيـلِ إذْ ... يـسْـري وكـالـصّـارمِ إذ يَـفْـري[2]

قال محمد بن وهيب:

تَـحْـكـي أفـاعـيـلَـه فـي كـلّ نـائـبـةٍ ... والغيثَ والليثَ والصمصامةَ الذّكرا

قال الخوارزمي:

ستَلْقى به بذْراً وبحْراً وضَيْغَماً ... وسيْفاً وإنساناً وطوْداً وفَيْلَقَا[3]

قال أبو طالب المأموني:

جبالُ الحجا أُسْدُ الوَغَا غصصُ العِدا ... شموسُ العُلا سحْبُ النّدى أنجمُ الفضْلِ

● **الممدوحُ بمعنى واحِد في أحوال أو جوارح مختلفة**

قال المتنبيّ:

طـويـلُ الـنِـجّـاد طـويـلُ الـعـمـادِ ... طـويـلُ الـقـنـاةِ طـويـلُ الـلـسـانِ

حـديـدُ الـلـحـاظِ حـديـدُ الـحـفـاظِ ... حـديـدُ الـحـسـامِ حـديـدُ الـجَـنَـانِ

قال الخوارزمي:

سـريـعُ الـلـســان سـريـعُ الـسِـنـانِ ... سـريـعُ الـبَـنَـانِ سـريـعُ الـقَـلَـم

● **الممدوحُ بأنّه لو كانَ كذا لكانَ خيره**

قال أبو عمرو بن العلاء لو كانت ربيعة فرساً لكان شيبان غرّتها.

قال شاعر:

لـو كـنْـتَ مـاءً كـنْـتَ مـنْ مـزنَـةٍ ... أو كنتَ نجماً كنتَ سَعْدَ السُعُوْدِ[4]

---

(١) ضيغم: أسداً ـ هصر: عطف. (٢) يفري: يشق ـ فرى الكذب: اختلقه.

(٣) يقول: هو البدر في جماله والبحر في عطائه والأسد في قوته والسيف في مضائه والإنسان في أصالته والجبل في شموخه والجيش في زحفه.

(٤) مزنة: قطعة من السحاب المطر.

وقال آخر:

فلو كنتَ ماءً كنتَ ماءَ غمامةٍ ... ولو كنتَ نوماً كُنتَ تعريسةَ الفجْر[1]
ولو كنتَ لهواً كنتَ تعليلَ ساعةٍ ... ولو كنتَ ليلاً كنتَ من ليلةِ القَدْرِ

قال الكندي:

ولو خُلِقَ الناسُ من دهرِهِم ... لكانوا الظلامَ وكُنتَ النَهارا[2]

● ضربٌ من المدْح يقالُ فيه يا كذا:

يا مشْرباً سائغاً بلا كَدَرِ ... يا سَمَرا مُمْتِعاً بلا سَهَرِ

قال كشاجم:

يا عِوَضاً من فائتٍ ... لم يُختَسَبْ مِنهُ عَوَضْ
يا دَعَةً وراحَةً ... من تَعَبٍ ومِنْ مَضَضْ

(٧)
ومما جاء في النذالة والتأخر عن المكارم

●

● حدُّ السفلة ووصفُها

قال معاوية: السفلة من ليس له فعل موصوف ولا نسب معروف، وقيل هو الذي لا يعيبه ما صنع له وقيل هو الذي لا يبالي بما يقول وبما يقال له، وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى هو الذي يعصى الله تعالى.

وقال أبو ناظرة:

أيا سفلةَ الناسِ والأصدقاءِ ... ويا سفلةَ الكَسْبِ في المأكَلِ

ونحوه لابن الحجّاج:

وسخ الثوبِ والعمامةِ والبر ... ذونِ والوجهِ والقَفَا والغُلامِ

وقيل: المروءة التامة مباينة العامة، وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ما لله عز وجل على العاقل بعد الإسلام نعمة أفضل من مباينة العامة بالفهم والعقل.

● مضرّةُ اجتماعِ السفلة والغاغة

يُرْوَى عن النبي ﷺ نعوذ بالله من قوم إذا اجتمعوا غلبوا وإذا تفرقوا لم يعرفوا، وقيل

---

(١) التعريسة: من عرّس القوم إذا نزلوا من السفر للاستراحة.
(٢) يقول: إنّ الناس ظلام الدهر وأنت النهار المشرق.

في قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾[١] أي من السلطان أو من تحت أرجلكم أي من السفل، أتى أمير المؤمنين كرّم اللّهُ وجهَهُ برجل ذي جناية فرأى ناساً يعدون خلفه، **فقال**: لا مرحباً بوجوه لا تُرَى إلا عند كل سوء. **وقال** معاوية لصعصعة بن صوحان: صف لي الناس. **فقال**: خلق الناس أطواراً[٢] طائفة للسيادة والولاية وطائفة للفقه والسنة وطائفة للبأس والنجدة ورجرجة[٣] بين ذلك، يغلّون السعر ويكدّرون الماء، إذا اجتمعوا ضروا وإذا تفرقوا لم يعرفوا.

- **من تصاحبُه النّذالة**

قال الشاعر:

أناخَ اللؤمُ وَسْطَ بني رياحٍ ... مطيّتَه فاقسَمَ لا يريمُ[٤]
كذلك كلّ ذي سفرٍ إذا ما ... تناهى عند غايتهِ مُقِيْمُ

قال جحظة:

كَمْ سَأَلْنَا عن النّذالةِ واللؤ ... مِ فكانا في دارِهِ رَاتِبَيْن

- **الموصوفُ بالذلّة**

قيل: هو أذل من النقد ومن القردان تحت المناسم ومن الوتد:

وكنت أذلّ من فقْعٍ بقاعٍ ... يشجج رأسه بالفهر واجي[٥]

أي وأجيء فلين الهمزة ويقال هو أذل من الحذا.

- **المتبجّح بالإساءة والنّذالة**

قيل: شر الناس الذي لا يتوقى أن يراه الناس مسيئاً ومن هنا **أخذ الشاعر**:

أحقّ النّاسِ في الدنيا بعَيْبِ ... مسيءٌ لا يُبَالي أن يُعَابَا

وقال بعضهم: فلان لا يستحيي من الشر ولا يحب أن يكون من أهل الخير لا يقعد مقعداً إلا حرمت الصلاة فيه ولو أفلتت كلمة سوء لم تضم إلا إليه ولو نزلت لعنة لم تقع إلا عليه.

تشاجر رجلان **فقال**: كل واحد منهما أنا الأم فتحاً كما إلى رجل **فقال**: قد حكمتماني فأخبراني بأخلاقكما **فقال** أحدهما: ما مر بي أحد إلا اغتبته ولا أئتمنني أحد إلا خنته وقال آخر أنا أبطر الناس في الرخاء وأجبنهم عند اللقاء وأقلهم عند الحياء **فقال** الرجل: كلاكما لئيم،

---

(١) **القرآن الكريم**: الأنعام/ ٦٥.
(٢) **أطواراً**: جمع طور وهو الهيئة.
(٣) **الرجرجة**: الاضطراب.
(٤) **أناخ مطيته**: أي حلّ في أرض هؤلاء القوم- **لا يريم**: لا يبرح.
(٥) **الفقع**: الكمأة.

والأم منكم الحطيئة فإنه هجا أباه وأمّه ونفسه ومن أحسن إليه هجا أباه. فقال:

لحاكَ اللهُ ثم لحاكَ أباً ... وما ألحاكَ من عمٍّ وخالِ[1]

وقال يهجو نفسه:

أرى لي وجهاً شوّه اللهُ خلقَهُ ... فقُبّحَ من وجهٍ وقُبّحَ حامِلُه

وقال فيمن أعطاه:

سُئِلْتَ فلم تبخلْ ولم تعطِ طائلاً ... فسيّان لا لومٌ عليك ولا حَمْدُ[2]

● الموصوفُ بالشرية

ذم أعرابي قوماً فقال: ما زال فيهم خميرة سوء يبقيها الماضي للباقي حتى أورثوها فلاناً فعجنها بيده ثم أكلها بفمه. وقال الصاحب رحمه الله في بعض أهل الزمان فلان راية[3] الشر.

● المقصّرُ في المكارمِ والمعالي

قال إبراهيم بن رجاء:

يمدُّ بنو كليب للمعالي ... سواعد لم تَزَلْ عنها قِصارا[4]

وقال آخر:

متى جرَتِ الكودان في الرِّهان

وقال آخر:

لن يلحقَ الفرسَ الحمارُ الموكفُ[5]

وقال آخر:

وابن اللئيم معقَلٌ باللؤمِ يُغْمَر

وقال آخر:

جَرى طَلْقاً حتى إذا قيلَ سابقٌ ... تداركه عِرقُ اللئيمِ فبَلّدا

وقال آخر:

جرى المداكي حسرَت عنه الحمر[6]

---

(١) لحاك: شتمك، لعنك.

(٢) لم تعط طائلاً: أي لم تعط شيئاً ذا قيمة.

(٣) راية الشر: كناية عن الشهرة بين الأشرار.

(٤) يقول: إنّ بني كليب مقصّرون عن نيل المعالي.

(٥) الموكف: المولّد.

(٦) المداكي: كثير الدبكة.

وقال آخر:

وابنُ اللبونِ إذا ما لزّ في قرن ... لم يستطعْ صولَةَ البُذلِ القَناعسِ[1]

وقال غيره:

إنّكَ كالسجاري إلى غايةٍ ... حتى إذا قاربَها قامَ

قال أبو الهداهد الأصفهاني:

لهمْ عنْ كلّ مكرمةٍ حِجابٌ ... فقد تركُوا المكارمَ واستراحُوا

● **السابقُ إلى المَلاومِ المتأخرُ عن المكارمِ**

قال هشام بن قيس:

إذا ما سوءةٌ دارَتْ رحَاها ... وجدتَهم لا سواها ثِقَالا

قال الطرماح[2]:

تميم بطرقِ اللؤمِ أهدَى من القطا ... ولو سلكَتْ سبلَ المكارمِ ضَلّتْ

قال البسامي:

هو في الخيرِ قَطُوفٌ ... وهو في الشرّ وَسَاعْ

وقال آخر:

إذا نهضَ الناسُ للمكرُمَاتِ ... وقامُوا إليها جَمِيعاً قَعَدْ

قال الباذاني:

يداكَ يدُ تطولُ إلى المخازِي ... وعن طلبِ العُلا أخرى قصيرَهْ[3]

وقال آخر:

رأَوا في اللؤمِ رخصاً فاشتروْهُ ... ويمنعُهم عن الكَرَمِ الغَلاءُ[4]

وقال آخر يهجو امرأة:

تكره ذكرَ الله في بيتِها ... وهي إلى الحشاء مُشْتَاقَةْ

إن ذُكِرَ الخيرُ فما إن لها ... من جمَل فيه ولا ناقَةْ

مقدامةٌ في الشرّ سبّاقة ... وفي تُقى الله على السّاقَةْ

---

(١) القناعس: الجمال الضّخمة العظيمة.

(٢) الطرماح بن حكيم الطائي (ت نحو ٧٢٣م) من كبار شعراء الخوارج. له ديوان.

(٣) المخازي: جمع مخزية، سيئة نقيصة.

(٤) يقول: استرخصوا اللؤم فاتّصفوا به وقصّروا عن منزلة الكرام لأنهم أنذال أخساء لا يقوون على البذل والعطاء.

● ذمّ من يتكلّفُ إدراكَ ما لا يدركُه

ذكران قصاراً كان يعمل على شاطىء نهر وكان يرى كركيا يجيء كلَّ يوم فيلتقط من الحمأة دودا ويقتصر في القوت عليه. فرأى يوماً بازياً قد ارتفع في الجو فاصطاد حماماً فأكل منها بعضاً وترك في موضعه البعض وطار فتفكر الكركي في نفسه. **وقال**: مالي لا أصطاد الطيور كما يصطاد وأنا أكبر جسماً منه. فارتفع في الجو وانقض على الحمام، فأخطأه فسقط في الحمأة فتلطخ ريشه ولم يمكنه أن يطير فأخذه القصار وحمله إلى منزله فاستقبله رجل **فقال**: ما هذا **قال**: كركي يتصقر. وكان المتنبي ألم بهذا المعنى **في قوله**:

ومن جهلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَه ... رأى غيرُهُ منه ما لا يَرَى

وفي المثل:

- أطرق كرى أن النعام في القرى

ونحو ذلك قول يربوع:

- بخست بيربوع لتدرك دارما ... ضلالاً لمن مَنَّاك تلك الأمانيا

وقد تقدّم ذلك.

● الحكْمُ بين فاضِل ونذْل

سئل أبو العيناء عن رجلين **فقال**: وما يستوى البحران هذا عذبٌ فُرَات وهذا ملح أجاج. وسئل أبو ثور عن حماد بن زيد بن درهم وحماد بن سلمة بن دينار **فقال**: بينهما في القدر ما بين جديهما في الصرف، **وقال** أعرابي: فلان يدعي الفضل على فلان ولو وقع في ضحضاح معروفه لغرق شاعر. وهَلْ يُقَاسُ ضياءُ الشمس بالقمر!

قال محمد بن مناذر:

ومنْ يَجْعَلِ الوَجْهَ مثلَ القَفَا ... وعاليةَ الرُمْحِ كالسَافِلِ

وفي المثَل:

مُذْكِيَةٌ تقاسُ بالجذاع(١)

وفيه: ليس قطا مثل قطي

وقال سبيع التميمي:

أسَوِّيكَ بالمرءِ الذي لسْتَ مثْلَه ... وكيف يُسوّى صالحُ القومِ بالرّذْلِ

---

(١) **المذكية من الخيل**: ما تمّت سنه وكملت قوّته، لذا قيل في المثل جري المذكيات، غلاب ـ **الجذع**: جمع جذع، الصغير من البهائم.

● **تفضيل رجلٍ على آخرَ في الفضْل**

في المثل: ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان، وفتى ولا كمالك. في كل شجرة نار واستمجد المرخ[1] والعفار[2]

قال حسان بن ثابت للحارث بن أبي الشمر

أبيت اللعن إنّ النعمان بن الحارث يساميك ووالله إن قفاك أحسن من وجهه، وشمالك خير من يمينه، وإن عدّتك أحضر من عدة وغدك أوسع من يومه، وكرسيك أرفع من سريره وأمّك أشرف من أبيه.

● **من يغبطُ أو يحسدُ فاضلاً أن يفعَل مثله**

رأى **الحسن** رضي الله عنه قوماً يتزاحمون على جنازة بعض الصالحين **فقال**: مالكم تتهافتون عليه افعلوا فعله تكونوا مثله.

قال أبو العميثل:

يا مَنْ يؤمّلُ أن تكونَ خصالُه ... كخصالِ عبد الله أنصت واسمَعِ
فلأنصحنّك في المروءة والذي ... حجّ الحجيج إليه فأقبل أَوْ دَعِ
اصدقْ وعفّ وبرّ وانْصُر واحْتمِل ... واحلِم وكفّ ودارِ واصبِرْ واشْجعِ

أخذ ذلك من **قول عروة بن الزبير**:

يا أيّها المُتَمنّي أن يكونَ فتى ... مثلَ ابن زيد لقد خَلّى لكَ السُبُلا
أعْدُدْ نظائرَ أخلاقِ عُدِدْن لهُ ... هل سَبَّ من أحدٍ أو سُبّ أو بَخُلا[3]

وأنشد أبو العيناء في معناه:

إذا أعجَبَتْكَ خلالُ امرىءٍ ... فكُنْهُ يَكُنْ منكَ ما يُعْجِبُكْ[4]
فليْسَ على الجودِ والمكْرُماتِ ... إذا جِئتَها حاجِبٌ يَحْجُبُكْ

● **الحكَمُ بين نذلين**

سئل أبو العيناء عن رجلين **فقال**: هما الخمر والميسر اثمهما أكبر من نفعهما، وتفاخر رجلان في الكرم وتراضيا بأبي العيناء فحكماه **فقال**: أنتما كما **قال الشاعر**:

حمارا عبادي إذا قيل نبنا ... بشرّهما يوماً يقول كِلاهُمَا

وفي المثل كثير ويرعو، وكل عير خير. **وقيل زندان في وعاء وقيل زندان في رقعة**.

---

(١) **المرخ**: طالت عيدانه وطاب ورقه.
(٢) **العفار**: شجر يتّخذ منه الزناد.
(٣) **النظائر**: المشابهة أو المماثلة.
(٤) **الخلال**: جمع خلّة، الخصلة.

وقيل سواسية كأسنان الحمار. وعكس هذا المعنى الصنوبري[1] فأتى بأجود لفظ وأوضح معنى، فقال:

أناسٌ هم المُشْطُ استواءً لدى الوغا إذا اختلفَ الناسُ اختلافَ المشاجبِ

● عذرُ من ذكَر فاضِلاً ونذلاً معاً

قال بعض الكبار لرجل: أتذكرني مع فلان وفلان فقال: قد ذكر الله النار والجنة وفرعون مع موسى وآدم مع إبليس فلم يهن بذلك أولياءه ولم يكرم به أعداءه.

● اختيارُ أراذل

وصف أعرابي قوماً فقال: هم كلاب وفلان من بينهم سلوقي وهم حنظل وهو هبيد[2] وإن في الشر خياراً وليس العاقل من يعرف الخير من الشر وإنما العاقل من يفرّق بين الشرين. قال محمود:

ذممتُكَ أولاً حتى إذا ما بلوْتُ سواكَ عادَ الذمُّ حمْدا
ولمْ أحمَدْكَ من خير ولكن رأيت سواكَ شراً منك جدّا
فعدتُ إليْكَ مختالاً ذليلا لأني لم أجدْ مِنْ ذاك بُدّا
كمجهود تعاظم أكلَ ميْتٍ فلمّا اضطرّ عادَ إليه شدّا

● من لا يُفرح بموته ولا يُسَرُّ بحياته

قال شاعر:

إذا كنتَ لا ترجَى لدفعِ ملمّة ولم يكُ في المعروفِ عندَك مطْمعُ[3]
ولا أنتَ ممّن يُستعانُ بجَاهِهِ ولا أنتَ يومَ الحشرِ ممّن يشْفعُ[4]
فعيشُك في الدنيا وموتُك واحدٌ وعودُ خلالٍ من وصالِك أنفعُ

ذكر أحمد بن الخطيب عند أبي العيناء فقال: إن دنوت منه عرّك[5] وإن بعدت منه ضرَك. فبلغ كلامه أحمد فقال: تفسيره أن حياته لا تنفع وموته لا يضرّ. وقيل لرجل: مات فلان فقال: من لم تنفع حياته لم تجزع وفاته:

فَبُعْداً لا انقضاء له وسحقا فغير مصابه الخطب العظيم

(١) الصنوبري: أحد الشعراء الذي عاشوا في بلاط سيف الدولة، وهو أنطاكي المولد والنشأة. اشتهر بوصف الطبيعة. مات سنة (٩٤٥م).
(٢) هبيد: نوع حنظل وهو، نبات مر.
(٣) الملمّة: المصيبة.
(٤) الجاه: الوجاهة والسيادة بين الناس.
(٥) عرّك: ألحق بك العار.

● من لا يُستَحضَر في المحافِل ولا يعرُجُ عليه الأماثل

وقال الأخطل:

أما كليبُ بْنُ يربوع فليسَ لهُم عند التفاخُر إيرادٌ ولا صَدَرُ[1]
مُخلفونَ ويقضي النّاس أمرَهم وهمْ بغيبٍ وفي عمْياء ما شعرُوا
الآكلونَ خبيثَ الزادِ وحدَهم والسائلونَ بظهرِ الغيبِ ما الخبر؟

وقيل:

شهادتُه وغيبتُه سَواء[2]

وقال آخر:

كزائدةِ الابهامِ خلْف الرواجب[3]

وقال آخر:

كزائدةِ النعامةِ في الكُراع

قال عبدان:

خرَجْنا غداةً إلى نزهة وفينا زياد أبو صَعْصَعَة
فستةُ رهطٍ به خمسة وخمسةُ رهطٍ به أربَعَه

قال سحيم بن موسى:

عنِ المكارم تُنفَى طيىء طردا نفيَ الزيوفِ أبَتْها كَفُّ مُنتَقِدِ[4]

● المتعري من الإنسانية

وصف أعرابي رجلاً **فقال:** ليس فيه من الآدمية ألا أنه يسمى آدمياً. **وقال فتى لأبيه:** مالي إذا أخذتم في الأشعار والأخبار تسلط على المنام. **فقال:** لأنك حمار في مسلاخ[5] إنسان. ويقال فلان حارض بن حارض لمن لا خير فيه.

● ذم من لا يبالي بما ارتكب

وصف أعرابي رجلاً **فقال:** يهون عليه عِظَامُ الذُنُوب ويحسن في عينه قباح العيوبِ ولو كان في بني آدم سباخ أنه لمن سباخهم.

قال المري:

قومٌ إذا خرَجُوا من سَوءةٍ ولجُوا في سوءة لم يخبّوها بأَسْتَارِ

وقيل: من الأبيات الرائعة المعجبة التي لا أرباب لها **قول الشاعر:**

---

(١) يقول إن بني كليب بعيدون عن التفاخر لحقارتهم.

(٢) أي سيّان حضوره أو غيابه، إذ لا جدوى من وجوده.

(٣) **الرواجب:** مفاصل الأصابع. (٤) **الزيوف:** دراهم فيها غشّ.

(٥) **المسلاخ:** الإهاب، الجلد.

أن يـــغــــدُروا أو يــجْــبُــنـــوا   أو يَــبْــخَــلــوا لا يــحــفَــلُــوا

وغدَوا عليك مرجلين كأنّهم لمْ يفعلوا

● **الموصوف بكثرة المساوىء**

قيل: مدفع المعائب ومجمع المثالب لو قذف على الليل لونه لانطمست نجومه.

الأخطل:

قـوم تـنـاهَـى إلـيـهـم كُـلُّ فـاحـشـةٍ   وكـلّ مـخـزيـةٍ سُـبَّـتْ بِـهَـا مُـضَـرُ[1]

قال أبو تمّام:

مـسـاوٍ لـو قـسِـمْـنَ عـلـى الـغَـوانـي   لـمـا أمـهِـرْنَ إلا بـالـطّـلاقِ[2]

وقال زبينا النصراني:

لي صاحبٌ لسْتُ أُحصِي من محاسنه   شيئاً صَغيراً ولا أُحْصي مساوِيه

ولـيسَ فـيـه مـن الـخَـيْـرات واحـدةٌ   وأكـثـرُ الـسـوءِ لإبـلْ كـلُّـهُ فِـيْـهِ

قال ابن الرومي:

مـعـايـبُ الـنّـاس وسـوآتُـهُـمْ   قد جُـمِـعَـتْ لـي منْـك في شخْصِ

قال ابن أبي عيينة:

جـمَـعْـتَ خـصـالَ الـردي جـمـلـةً   وبـغـتَ خِـصـال الـنـدى جُـمْـلَـةَ

وقال آخر:

فـمـا لَـكَ فـي الـخـيْـر مـن خِـلّـةٍ   وكـمْ لـكَ فـي الـشـرّ مـن خـلّـة[3]

قال ابن الحجّاج:

مـــقـــابـــحُ فـــيـــك شـــتّـــى   أوصـــافُـــهَـــا لا تُـــحَـــدُ

● **ذمُّ من لا يصْلحُ لخير ولا شرّ**

قال بعضهم: فلان أملس ليس فيه مستقر لخير ولا شر، **فقيل** ذلك ميت الأحياء وقال حاجب بن زرارة ما هو برطب فيعصر ولا بيابس فيكسر، قال شاعر:

مـسـيـخٌ مـلـيـخٌ كـلـحْـم الـحـوار   فـلا أنْـتَ حُـلْـوٌ ولا أنـت مُـرُّ[4]

---

(١) **مُضر**: مضر بن نزار: قبيلة عربية عدنانية.

(٢) **الغواني**: جمع غانية وهي المرأة التي أغناها حُسنها عن الزينة.

(٣) **الخلّة**: النقيصة أو السيئة ـ **يقول**: أنت في منأى عن كل خير ولكنّك في الشرّ طويل الباع.

(٤) **المسيخ**: الذي حوّلت صورته إلى صورة أقبح كما في قولهم: «مسخه الله قرداً» ـ **الحوار**: ولد الناقة قبل أن يفصل عنها.

كـأنـك ذاك الـذي فـي الـضّـروعِ   بـقـادم أضـرتـهـا الـمـنـتَـشِـرُ

وسمع رجل آخر يقول: أنت لم تأت قط بخير، فقال: إن لم آت بخير فقد أتيت بشر. وقد قيل إذا لم ترفع في الخير شعاراً فارفع في الشر شناراً، ثم أنشد:

إذا أنـتَ لـم تـنـفَـعْ فـضـرّ فـإنّـمـا   يـرجى الـفَـتـى كـيـمـا يـضـرُّ ويـنـفَـعُ

وهذا ضد قول القائل:

خـــمـــولُ الـــذكـــر أســنــى   مـــن الـــذِكْـــرِ الـــذّمـــيـــمِ

قال مروان بن أبي حفصة[1]:

ومـا فَـعَـلَـتْ بـنـو مـروان خـيْـراً   ولا فَـعَـلَـتْ بـنـو مـروانَ شـرّا

قال أبو الفرج الأصبهاني:

كـأنّـه الـتـيْـس قـد أودَى بـه هَـرَمٌ   فـلا لـحْـمٌ ولا عـسـبٌ ولا ثَـمَـنُ[2]

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل فقال: هو فصل لا حر ولا برد وهو عوسجة لا ظل ولا ثمر، وقال أبو علي ابن عبدوس الشيرازي:

هـمُ الـكـسـوبُ فـلا أصـلٌ ولا ثَـمَـرُ   ولا نـــســـيـــمٌ ولا ظِـــلّ ولا زَهَـــرُ

● ذمُّ من لا يضُرّ ولا ينفَع

قيل: فلان إن دنوت منه عرّك وإن تباعدت عنه ضرك، شرّه يفيض وخيره يغيض:

وشـرُّك فـي الـبـلادِ يـسـيـلُ سَـيْـلا   وخـيـرُك رمـيَـةٌ مـن غَـيْـرِ رامِ[3]

هو كالسمرة التي قلّ ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها لا كالكرمة، التي حسن ورقها وطاب ثمرها وسهل مجتناها[4] لا يؤمن خباله[5] ولا يُرْجَى نواله[6] حديثُه غثٌ[7] وكلامه رثٌ[8] عيالٌ في الجدب عدو في الخصب قليل الخير جمُّ الضَيْر[9]

قال ابن الحجّاج:

أُعـــيـــذُكـــم بـــالله مـــن عُـــضْـــبـــة   تُـــبـــاع مـــجـــانـــاً ولا تُـــشْـــتَـــرَى

فـإنّـكـم مـن حـيْـث مـا اسـتُـنْـشِـقَـتْ   روائـــحُ الآمـــالِ فـــيـــكُـــم خـــرَا

---

(١) مروان بن أبي حفصة: (٧٢٤ـ٧٩٨) شاعر مخضرم امتاز بصفاء ديباجته مدح المهدي والرشيد وله رثاء شهير.

(٢) عَسْبٌ: نسل.

(٣) يعيره بشره المستطير، وينفي عنه الأصالة في المروءة أو الكرم، فخيره صدفة أو رمية من غير رام.

(٤) المجتنى: القطاف.   (٥) الخبال: الفساد.

(٦) النوال: العطاء.   (٧) الحديث للغث: التافه الذي لا قيمة له.

(٨) الكلام الرث: الركيك أو البالي.   (٩) جمّ الضير: كثير الإضرار.

وفي المثل يا عبرى مقبلة ويا سهري مدبرة وقيل أغيرة وجبنا:

يا ليتَ حظّي من نداكَ الصافِي ... والخير أن تركتني كفافِي

وقال آخر:

ليتَ حظّي من أبي كربٍ ... سدّ عنّي خَيرُه خبلَه

وقال آخر:

فراشة الحلمِ فرْعونُ العذابِ وإن ... تطلُبْ نداهُ فكَلبٌ دونَهُ كَلْبُ

● **من يرضى منه أن يكفّ شرّه**

قيل: أسوأ ما في الكريم أن يمنعك نداه وأحسنُ ما في اللئيم أن يكفّ عنك أذاه، **قال المتنبي في معناه**:

إنّا لفي زمنٍ تَركُ القبيحِ به ... من أكثرِ النّاسِ إحسانٌ وإجْمَالُ

● **ذمّ من يعادي أولياءه دون أعدائه**

قيل لمعاوية: ما النذالة؟ **قال**: الجراءة على الصديق والنكول[1] عن العدو. وذم أعرابي رجلاً **فقال**: هو أقل الناس ذنوباً إلى أعدائه وأكثرهم تجرؤا على أصدقائه وأوليائه وكتب بعضهم عدوه بمعزل عنه وصديقه على وَجَلٍ منه إن شهد عافه وإن غاب عنه خافه وفي الأقارب باب يقرب من هذا.

● **من أخلفَ فيه الظّنّ لنذالته**

قال أبو علي البصير

كان ظنّي بك الجميل فألفيتُك من كلّ ما ظننتَ بعيداً

قيل لجعيفر: أن اقصد فلاناً وسله. **فقال**: إنه قطوف عن الخيرات لا يثمر شجرة ولا يميه حجره. فقيل ليس كما تظنه فأتاه فلم يرَ منه طائلاً **فقال**: له:

يا فَتَى أخْلَفَ فيه الظـ ... ـنّ من كلّ فنونِ

لم يَكُنْ ظنّي بك الـ ... ـخير ولٰكِنْ خَدَعُوني

● **المُوفي على كلّ لئيم**

قد كان لأم طفلٌ لفٌ في خرق، وقيل هو ألام من الذئب وفي ضده قيل هو أكرم من الليث ولؤم الذئب أنه يأخذه ما يعن له وإن كان شبعان والأسد يتلطف عن ذلك إذا شبع **وقيل**: لئيم راضع وذلك من باب البخل.

---

(١) **النكول**: الجُبن.

● **من لا يُبالي بغضبه**

قيل لرجل: فلان غضب عليك. **فأنشد**:

إذا غضبَتْ تلك الأنوفُ لم أُرْضِهَا ... ولم أطلُبِ العُتْبى ولكن أزيدُهَا

قال ابن الرومي:

غضبْتَ وطلتَ من سفَهٍ وطيشٍ ... تـهـزهـزُ لـحـيَـةً فـي قـدْ رَفْـشٍ

فما افترقَتْ لغَضبتِك الثريّا ... ولا اجتمعَتْ لذاك بنات نَعْشٍ

وفي المثل: غضب الخيل على اللجم، ومما يضرب به المثل في ذلك قول المتنبي:

وغَيْظٌ على الأيامِ كالنّارِ في الحشا ... ولكنّهُ غَيْظُ الأسيرِ على القدْ[1]

وقيل:

فلا سَلّ من تلك الصدورِ قتادَها

قال أبو علي البصير:

أبو جعفر كالناس يرضى ويغضب ... ويَبْعُدُ في كلّ الأمور ويَقْرُبُ

ولكن رِضَاهُ ليس يُجْدي قلامةً ... فما فوقها إذ سُخْطُهُ لَيْسَ يُرْهِبُ[2]

ويقرب من ذلك قولهم ما أبالي ما نهي من ضبك وما نضج وعكس هذا الباب قول جرير

إذا غضِبَت عليك بنو تميمٍ ... حَسِبْتَ النّاسَ كُلّهُمُ غِضَابَا[3]

● **وضيعٌ ارتفع**

قيل: إذا استنسر البغاث[4] حلت الأحداث، وقيل إذا ذهبت العتاق ارتفعت الدقاق[5]، وجاء ما لا يطاق.

وقال أزدشير ما شيء أسرع في انتقال الدول من رفع وضيع إلى مرتبة شريف. قيل السفل إذا تعلموا تكبروا وإذا تمولوا استطالوا، والكرام إذا تعلموا تواضعوا وإذا افتقروا صالوا، وقيل لأن يسقط ألف من العلية خير من أن يرتفع واحد من السفلة.

● **الاغتياظ لوضيع تعرض لرفيع**

لما ولي زياد البصرة خطب **فقال**: إني رأيت خلالاً ثلاثاً نبذت إليكم، منهن النصيحة لا

---

(١) **القذ**: القيد. (٢) **القلامة**: ما سقط من ظفره.

(٣) **يقول**: إذا غضبت عليك بنو تميم خلت الناس جميعاً غضابا.

(٤) **البغاث**: طائر بطيء الطيران.

(٥) **الدقاق**: فتات كلّ شيء ـ دقاق الصيدان: كسارها.

يأتيني شريف بوضيع لم يعرف شرفه إلا عاقبته ولا هل بحدث لم يعرف فضل سنه إلا عاقبته ولا عالم بجاهل عنته إلا عاقبته، فإنّما الناس أشرافهم وذوو سنهم وعلماؤهم، ووجد في كتب العجم أنّ بازيار الأبرويز أطلق شاهينه[1] على طائر فاخطأه فانقض على عقاب تراءت له فضربها ضربة أبان رأسها من جسدها، فأخذ البازيار الشاهين والعقاب وأتى به الملك ليعلمه بفعل الشاهين رجاء أن يسرّه بذلك وينال به مالاً، فلما أخبره أخذ الشاهين من البازيار فقطف رأسه ثم التفت إلى وزرائه وأوليائه وقال يتكايدني أن أرى يداً دنيئة تسلّطت على يدٍ رفيقة.

● **وضيع يتعرض لرفيع لعجزه**

قال الأعشى:

كناطحٍ صخرةٍ يوماً لِيُوهِنَها   فلمْ يضرها وأوهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ

قال كشاجم:

تبارزُني ونفسُكَ من رصاصٍ   وهل يبْقى على النّار الرصَاصُ[2]

● **من افتخرَ بما ليس عندَه**

قيل لأبي عبيدة: أن الأصمعي **قال**: بينا أبي يساير سلم بن قتيبة على فرس **قال أبو عبيدة**: سبحان الله المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زورو والله ما ملك أبوه دابة إلا في ثوبه. وقيل فخر البغي يخدج زينتها فلان يفخر بغير نداه ويبجح[3] بما في بطن سواه، قال **طاهر بن الحسين:**

محاربُ يفْرحون بعِزّ قيْس   كما فرِح الخصيّ بمَن يقودُ

وقيل: تجشّى لقمان من غير شبع. **وقيل**: ليس هذا بعشك فادرجي. **وقيل**: من فاته الدين والمروءة فرأس ماله العصبية والتبجح بمال غيره، ورؤي رجل من نظارة السباق وقد سبق فرس وهو يظهر النشاط وفرط السرور والابتهاج، فقيل له أهو لك **فقال**: لا ولكن لجامه لي. **وللمتنبي** في نفي المفاخرة بما لغيره عن نفسه:

وما أسرّ بما غَيْري الحميدُ به   ولو حملت إليّ الدّهْرَ مَلآنا

وقال الأجدع الهمداني وهو مما يتمثل به فيمن يتبجح بفعل لم يفعله بعد:

وكيفَ افتخارُ القومِ قبْل لقائِهم   إلا أن ما بعدَ اللقاء هو الفَخْرُ

● **الموصوفُ بأنواعٍ من المعائِب**

سئل بعضهم عن رجل **فقال**: هو غث في دينه، قَذِرٌ في دنياه، رثٌ في مروءته سمج

---

(١) **الشاهين**: طائر من جنس الصقر طويل الجناحين.

(٢) **يقول** تقاتلني برصاص يذوب في ناري.   (٣) **يبجح**: بجح به: فرح به.

في هيئته منقطع إلى نفسه راضٍ عن عقله، بخيل بما وسع الله عليه من رزقه، كتوم لما آتاه الله من فضله حلاف لجوج لا ينصف إلا صاغراً ولا يعدل إلا راغماً، لا يرفع عن منزلة إلا ذُلّ بعد تعززه فيها. وقال بعضهم فلان قليل الخير جم الضير عسيف السير كذوب الوعد خؤوف العهد قليل الرفد، وقال آخر هو صغير القدر قصير الشبر ضيق الصدر كثير الفخر ولئن كان للإنسان سبخ أنه لمن سبخ بني آدم، وذكر أعرابي رجلاً فقال: لو أفلتت مخزنية لم تصل إلا إليه ولو نزلت لعنة لم تكن إلا عليه وقال إبراهيم بن المدبر في رجل له كبد مخنث وجسد نائحة وشره قواد، وذلّ قابلة وملق داية وبخل كلب وحرص نباش[1] وقحة مصلحى ونتن جورب ووحشة قرد، قال ابن الحجاج:

نـسـيـمُ حَـشّ وريـح مـقـعـدَة ونـفـث أفـعـى ونـتْـن مَـصْـلُـوْبِ[2]

وقال ابن ثوابة لأبي العيناء أما تعرفني؟ فقال: أعرفك ضيق العطن[3] لئيم الوطن نؤوما على الذقن.

قال شاعر

النّـاسُ مـن كـدّتـيـك فـي تـعـبِ فـمّ بـذيءٌ وفـقـحَـةٌ غَـلْـمَـهْ[4]
والأصـلُ نـذْلٌ والـدّيـنُ ذو دَخَـلِ والأب فـدمٌ والأم مـتّـهَـمَـه[5]

قال بعض الأدباء:

أرى فيـك أخرقاً ولسْـت بقـائف ولكنها لم تَخْفَ في مُتحدّثِ[6]
شـمـائـلُ تـيّـاس وخـفّـةُ حـائـكٍ وتـقـطـيـعُ طـبّـال وطـيـشُ مُـخَـنّـثِ

● المشهورُ بالشؤم

يضرب المثل في الشؤم بقدار وطويس ووافد عاد فأما قدار فعاقر ناقة صالح عليه السلام، وأما طويس فإنه كان يقول ولدت يوم توفي النبي ﷺ وفطمت يوم مات أبو بكر رضي الله عنه، وبلغت الحليم يوم قتل عمر رضي الله عنه، وتزوجت يوم قتل عثمان رضي الله عنه، وولد لي يوم توفي علي رضي الله عنه.

ووافد عاد هو الذي بعثوه إلى الحرم ليستسقى لهم، فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهراً يشرب الخمر وتغني له الجرادتان، ثم أتى جبال مهرة فقال: اللهم إني لم أجيء لفائت فأوديه، ولا لأسير فأفاد به ولا لمريض فأداويه، اللّهم اسق عاداً ما كنت تسقيه فعرضت لهم سحابة أهلكتهم.

---

(١) النباش: الذي ينبش القبور.
(٢) الحشّ: البستان.
(٣) العطن: مبرك الإبل.
(٤) الفقحة: حلقة الدبر ـ غلمة: منقادة للشهوة.
(٥) الدّلَل: الفساد ـ فدمٌ: أحمق.
(٦) القائف: متبع الأثر.

وقيل أشأم من قاشر لفحل أرسل في إبل فماتت عن آخرها. وقيل هو من قولهم أبعث إليهم سنة قاشورة، تحتلق المال احتلاق النورة، وأشأم من داحس والغبراء وخبرهما مشهور.

قال محمد بن حازم:

لِقَاؤكَ لِلْمُبَكِّرِ فَالُ سُوْءٍ ... ووجهُكَ أَرْبَعَاءُ لا تدورُ[1]

وقال عمرو بن لحا:

جَرَيْتَ ليربوعٍ بشؤمٍ كما جَرَى ... إلى غايةٍ قادَتْ إلى المَوْتِ داحسُ

وقال إبراهيم بن سبأ:

شؤمُه يفلقُ الصخورَ فلو زا ... رَ أبانا لهدَّ ركْني أبانِ[2]

وقال مخنث لآخر:

يا وجه البوم وعين الزقوم[3] ومقراض الآمال وجِلم الآجال

وقال الشاعر:

يا سَعْدُ إنك قد حجبت ثلاثة ... كلّ عليه منك وَسْمٌ لائحُ
وأراك تخدمُ رائعاً لتُبِيدَهُ ... فارْفِقْ به فالشيخُ شَيْخٌ صَالِحُ

● وصف العائن بعينه

ذكر بعض العلماء إن العين حق وإن النبي ﷺ أثبته، والهند والفرس تتدين به وكذلك اليونانيون. ويذكرون أنه بخار ينفصل من العين والجوف فيدخل في المعيون ولهذا كرهوا الأكل بين يدي السباع والكلب والسنور ورأوا أن يشغلوا السباع عند أكلهم بشيء يرمى به لئلا ينفصل بخار رؤيته فيؤثر في المعيون.

قالوا ومثل تأثير العائن في المعيون نظر الرجل إلى العين المحمرة فتحمر عينه، والطامث تدنو من إناء اللبن لتسوطه[4] فتفسده.

وصعد سليمان بن عبد الملك المنبر يوم الجمعة وقد غلّف لحيته بالغالية. وقال أنا الملك الشاب فأصابته عين فما جمع بعدها.

وكان المعدل بن غيلان العبدي شديد العين، دخل يوماً على جعفر بن سليمان فاستحسن أكله فعانه. فاقشعرّ جلده فقال: لدمني المعدل بعينه فخرج عبد الله ابن جعفر ليقتله ففطار واستخفى، وكتب إلى جعفر لو كنت أخشى أن أعينك قلعتها أتعين عيني نورها وكان ابن الزبير ومعاوية يتسايران فأبصرا راكباً من بعيد، فقال ابن الزبير: هو فلان فلما قدم كان إياه، فقال معاوية: ما أحسن هذه الحدّة مع الكبر. فقال: برك يا أمير المؤمنين،

---

(١) الأربعاء: العمود من أعمدة البيت.
(٢) أبان: جبل.
(٣) الزقوم: شجرة في جهنّم ـ جلم: آلة كالمقصّ.
(٤) تسوطه: تضربه بالسوط.

● **شدّة معاناةِ العشق**

قال أعرابي: ما أشدَّ جولة الرأي عند الهوى وفطام النفس عند الصبا، ولقد تصدّعت كبدي للمحبين فلوم العاذلين قرطةٌ في آذانهم ونارٌ مؤجّجة في أبدانهم، لهم دموع على المغاني كغروب[1] السواقي.

وقيل: كلّ شهوة تخطر فمداواتها سهلة ما خلا العشق.

● **ما يولّده العشقُ من الأخلاقِ الحميدةِ**

شكا معلم سعيد بن مسلمة ولدَه إليه، **فقال**: إنه مشتغل بالعشق **فقال**: دعه فإنه يلطف وينظف ويظرف. وكان ذو الرياستين[2] يبعث أحداث أهله إلى شيخ يعلّمهم الحكمة، **فقال** لهم يوماً: هل فيكم عاشق؟ قالوا: لا. **قال**: اعشقوا وإياكم والحرامَ فالعشق يفصح الفتى ويذكي ويسخي البخيل ويبعث على التنظيف وتحسين الملبس، فلما انصرفوا قال لهم ذو الرياستين: ما استفدتم اليوم؟ قالوا: كذا وكذا. **قال**: نعم. وإنّما أخذه ممّا رُوي أن بهرام جور كان له ابن أهّله للملك بعده، وكان ساقط الهمة رديء النفس سيء الخلق فغمّه ذلك، ووكل به من يعلّمُه، فلم يكن يتعلّم. **فقال** معلمه: كنا نرجوه على حال فحدث منه ما أيأسنا وهو أنه عشق بنت المرزبان[3] **فقال**: الآن رجوت فَلاَحَهُ.

ثم دعا أبا الجارية **فقال**: إنّي مستسرٌ إليك سراً، فلا يعدونك[4] اعلم أنّ ابني عشق ابنتك وأريد أن أزوّجها منه فمُرْهَا بأن تطمعه من غير أن يراها فإذا استحكم طمعه فيها أعلمته أنها راغبة عنه لقلّة أدبه.

ثم قال للمعلم: خوّفه بى وشجّعه على مراسلة المرأة ففعلت المرأة ما أُمِرَتْ به.

في الأبوّة والبنوّة ومدحهما وذمّهما

(١)

فممّا جاء في البنين والبنات

•

• **نفعُ الولد وحمدُه**

قال الله تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾(١) وقال النبي ﷺ: إذا مات الرجل انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له.

وقال حكيم في ميت: إن كان له ولد فهو حي وإن لم يكن له ولد فهو ميت؟ والعرب تسمّي من لا ولد له صنوبراً، ولهذا قالوا إن محمداً صنوبر، **وقيل** لحكيم: ما منفعة الولد؟ **فقال:** يُسْتَعْذَبُ به العيش ويهون به الموت. **وقيل:** خير ما أعطى الرجل بعد الصحة والامن والعقل ولد موافق من زوجة موافقة قال:

ومُـتْـعَـةُ الـعـيـشِ بـيـن الأهـلِ والـوَلَـدِ

قال ابن أبي فنن في وصف شراب:

أطـيـبُ فـي الأنـفِ إذا جـاءَتْـكَ مـن ريـحِ الـوَلَـد

وقيل لبعضهم: أيّ ريح أطيب؟ **فقال:** ريح ولد أربه وبدن أحبه.

وفي الحديث: ريح الولد من رائحة الجنّة. **قيل** لبزرجمهر ما السعادة؟ **قال:** أن يكون للرجل ابن واحد **فقال:** الواحد يخشى عليه الموت. **قال:** لم تسألني عن الشقاوة.

• **مضرّةُ الولدِ وذمّه**

قيل: لبعض الزهاد ألا تزوجت فربما يكون لك، خلف **فقال:** كفى بالتزهيد فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾(٢) وقوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾(٣) وقال النبي ﷺ: الولد مبخلة مجبنة مجهلة. **وقيل:** قلة العيال أحد اليسارين. **وقيل:** قلة العيال كنز لا ينفد. وسُئِل حكيم عن ولده **فقال:** إن عاش كدّني وإن مات هدّني. وبُشّر حسن البصري بابن **فقال:** لا مرحباً بمن إن كنت غنياً أذهلني وإن كنت

(١) القرآن الكريم: النساء/ ١٠. (٢) القرآن الكريم: الأنفال/ ٢٨. (٣) القرآن الكريم: التغابن/ ١٤

فقيراً أتعبني، ولا أرضى كدى له كداً ولا سعي له في الحياة سعياً، أهتم بفقره بعد وفاتي حين لا ينالني به سرور، ولا يهمه لي حزن، واصحر يوماً فرآى صياداً **فقال**: ما أكثر ما يقع في شبكتك، **قال** كل طير زاق. **فقال** الحسن: هلك المعيلون. قال ابن عباس رضي الله عنهما لرجل معه ولده: إن عاش فتنك وإن مات أحزنك وقد أحسن المتنبي في قوله:

وما الدهر أهلٌ أن يُؤَمّل عنده حياةٌ وأن يشتاقَ فيه إلى النَسْلِ

وقيل: النكد كل النكد مَنْ رماه الأبد كل عام بولد.

- **كونُ الولد مكسَباً لأبويه بأفعاله**

قال النبي ﷺ: أنت ومالك لأبيك وقال ﷺ أولادكم كسبكم فكلوا من أموالهم. وناول عمر رضي الله عنه رجلاً شيئاً **فقال** له: خدمك بنوك **فقال**: بل أغناني الله عنهم.

- **شفقة الأبوين على الولد**

كان النبي ﷺ يخطب فطلع الحسن رضي الله عنه يتخطى الناس فسقط فنزل النبي ﷺ فتناوله ثم رجع **فقال**: والذي نفسي بيده ما علمت كيف نزلت صدق الله عز وجل إنما أموالكم وأولادكم فتنة. وضرب رجل وطولب بمال فلم يسمح به فأخذ ابنه وضرب فجزع فقيل له في ذلك **فقال**: ضُرِب جلدي فصبرت وضُرِب كبدي فلم أصبر. **قال شاعر**:

وإنّما أولادُنا بيننا أكبادُنا تمشي على الأرضِ[1]

- **من كرهَ الموتَ شفقةً على ولده**

قال شاعر:

يقرُّ بعينني وهو يُنْقِصُ مدّتي مرورَ الليالي كي يشِبّ حكيم
مخافةَ أن يغتالني الموتُ قَبْلَه فينشُو مع الصِّبْيان وهو يَتِيم

وقال آخر:

لقد زادَ الحياةَ إليّ حُباً بناتي إنهنّ من الضِعَافِ
مخافةَ أن يذقْنَ اليتْمَ بعْدي وأن يشربْن رنْقاً بعْد صافِ

- **متحملٌ تعباً لأولاده**

قال شاعر:

والله لولا صبيَةٌ صغارٌ وجوهُهم كأنها أقمارُ
لمّا رآني ملكٌ جبارٌ ببابه ما طلَعَ النَّهارُ

ونحو هذا قولهم:

---

(١) **يقول**: إن أولادنا أشبه بقلوب وأكباد تمشي على الأرض.

لولا أميمةُ لم أجزعْ من العَدَمِ ... ولم أقاسِ الدجا في حِنْدسِ الظُّلَمِ[١]

الأبيات وهي مذكورة في الحماسة.

قال حطان بن المعلي:

لولا بنيّاتٌ كزغب القطا ... رُدِدْنَ من بعضٍ إلى بعضِ

لكانَ لي مضطَرَبٌ واسعٌ ... في الأرضِ ذاتِ الطُّول والعرضِ

وقال معاوية رضي الله عنه لولا يزيد لا بصرت رشدي.

● محبةُ الولد وملاعبتُه

كان رسول الله ﷺ يقبل الحسن **فقال** الأقرع بن حابس: إنّ لي عشرة من الأولاد فما قبلت واحداً منهم، **فقال** النبي ﷺ: فما أصنع إن كان الله نزع الرحمة من قلبك.

قال موسى عليه السلام: يا رب أي الأعمال أحب إليك؟ قال الطاف الصبيان فإنهم فطرتي وإذا ماتوا أدخلتهم جنتي.

وقال كسرى لغيلان[٢] أي الأولاد أحب إليك؟ **فقال**: الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم والمريض حتى يبرأ. كان عبد الله بن عمير يدخل معه سبعون ذكراً المقصورة فقيل له كيف حبك لجماعتهم؟ **فقال**: تفرق حب الأول عليهم وهذا من غريب الحب.

● محبةُ الأبِ للابن وبغضُ الابن له

قال زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم لابنه: إنّ الله رضيني لك فأوصاك بي وحذرنيّ منك. وأجمعوا أن الولد البار أبر من الوالد لأن برّ الوالدين طبيعة وهذا واجب والواجب أبداً ثقيل. كتب إبراهيم بن داحة إلى أحد أبويه: جعلني الله فداءك. فكتب إليه لا تكتب بمثل هذا فأنت على يومي أصبر مني على يومك.

● إعجابُ المرءِ بابنه

قيل: زين[٣] في عين والد ولده ونحوه، وإن لم يكن من بابه من يمدح العروس إلا أهلها. قال أبو تمّام الطائي:

ويُسيءُ بالإحسانِ ظنّاً لا كمَن ... هو بابنِه وبشعرِه مفتونُ

وقيل: شكت الخنساء إلى أمها استقذار[٤] الناس إياها وإن من دنا منها يبزق

---

(١) حندس: اللّيل الشديد الظلمة.

(٢) غيلان بن مسلم القَدري: أبو مروان (ت بعد ١٠٥هـ/٧٢٣م) متكلّم دمشقي وكاتب من البلغاء قال بالقدريّة. أمر هشام بن عبد الملك بصلبه بعد أن أفتى الإمام الأوزاعي بقتله.

(٣) زين: حسن، وهذا شبيه بقول العامّة: القرد في عين أمه غزال.

فلو أنني ملكتُ من ثغره الذي ... تمكَّنَ فيهِ الدرُّ قَبَّلتُه ألفا[1]

- **وصفُ حبّ تمكّن في الحشا**

قال كثير[2]:

أباحَت حمىً لم تَرْعَهُ الناسُ قبلَها ... وحلّت تِلاعاً لم تكن قبل حلّتِ[3]

قال العباس بن الأحنف:

لا تحسبنّي مَاذِقاً في الهوَى ... إنّي على حبّك مَطْبوعُ[4]

قال عبيد الله بن طاهر:

شققتُ القلبَ ثم ذَرَرْتُ فيه ... هواكَ فَلِيمَ فالتأمَ الفطورُ[5]

تغلغلَ حيثُ لمْ يبلغ شرابٌ ... ولا حزنٌ ولم يبلُغ سرورُ

قيل لأبي العتاهية: أي شعرك أعجب إليك؟ **قال قولي:**

قالَ لي أحمَد ولم يدرِ ما بي ... أتحبّ الغداةَ عتْبةَ حقّا[6]

فتنفّستُ ثم قلتُ: نعم حبـ ... ـاً جرى في العُروق عِرقاً فعِرْقاً

قال رجل لمحبوبه: حبك متولّ على فؤادي وذكرك سميري، **فقال له محبوبه:** أما أنا فلا أحب أن يقع طرفي على سواك.

قال عمر بن أبي ربيعة[7]:

فمَنْ كان لا يغدو هواهُ لسانَه ... فقدْ سار في قلبي هواكَ وخيّما

وليس بتزويقِ اللسانِ وصوغِه ... ولكنّه قد خالَط اللّحمَ وَالدّما

قال المهلّبي:

وصِرنا في محبَّتِنا حَديثاً ... يُهَجّنُ شرْحُه قيساً ولبْنى

---

(١) **الدرّ (هنا):** الأسنان الناصعة البيضاء، شبهها بالدرّ.

(٢) **كثيِّر:** هو كثير بن عبد الرحمن من الشعراء العذريين، وصاحبته عزّة ولذا عرف بكثير عزّة، كما قيل جميل بثينة وقيس ليلى.

(٣) **التلاع:** جمع تلعة، وهي ما علا من الأرض، **وحلّت تلاعاً:** نزلت أو أقامت بها.

(٤) **الماذق في الهوى:** الذي لا يخلص في ودّه.

(٥) **ذررت في القلب هواك:** نثرت بذوره وغرستها.

(٦) **عتبة:** جارية كانت في بلاط الرشيد أحبّها أبو العتاهية وأنشد فيها أكثر شعره الغزلي.

(٧) **عمر بن أبي ربيعة:** من شعراء مخزوم ولد يوم مات عمر بن الخطّاب، فقيل لاحقاً: أي حق قد رفع وأي باطل قد وضع. وعمر بن أبي ربيعة زعيم الغزل الحضري الصريح بشهادة النقّاد في القديم والحديث.

قيل: ابنك ابن بوحك أي الذي ولدته نفسك لا من تبنيته، ونحوُه ابنك من دمى عقبيك أي من نفست به.

وقال بعض العرب أن ابنك ابنُك وابنُ أخيك ابنُك وابن عمّك ابنُك، وابنك ابن بوحك مصطبحاً بصبوحك.

وفي ضدّه ربّ ابن لم تلده.

• المادحُ ولدَه مدحاً حسناً

كتب المأمون إلى طاهر بن الحسين: صفْ لي ابنك، **فقال**: ابني: إن مدحته ذممته وإن ذممته ظلمته، إلا أنه نعم الخلف لسيّده من بعده إذا اخترمت عبده منيته. فكتب إليه المأمون يا ذا اليمينين لم ترض بمدحه حتّى أوصيت به.

وقال له يوماً: أخبرني عن ابنك **فقال**: قدح في كفّ مثقف ليوم رهان أمير المؤمنين. وقيل لرجل صف ابنك، **فقال**: ولد الناس ابناء وأولدته أباً يحسن ما أحسن ولا أحسن ما يحسن. مدح أعرابي ابنه **فقال**:

يا حبّذا روحُه وملمسُه أملحُ شيءٍ ظلاً وأكيسُه

الله يرعاه لي ويخرسُه

• أولادٌ سخنت أعينُ آبائهم لتخلّفهم

مات لعبد الملك ابن فجاء له آخر فعزّى أباه به، **فقال**: يا بني مصيبتي فيك أقدح في بدني من مصيبتي في أخيك. **فقال**: أمي أمرتني بذلك. **فقال**: يا بني إذا كانت الأبناء قرة أعين الوالدين فأنت قرة عين الشامتين. وبعث رجل ابنه ليشتري حبلاً **فقال**: اجعله عشرين ذراعاً **فقال**: في عرض كم؟ قال في عرض مصيبتي فيك يا بني. **وقال** أبو حنيفة: لشيطان الطاق وكان له ابن معتوه: إنك في بستان من ابنك. **فقال**: ذاك لو كان ابنك. **وقيل**: لصبيّ لم لا تتعلم الأدب؟ **فقال**: أخاف أن أكذب والدي لأنه قال لي أنك لا تفلح أبداً. وكان للمبرّد[1] ابن متخلف **فقيل** له يوماً غطّ سوءتك[2] فوضع يده على رأس ابنه.

• من كثرَتْ أولادُه فأنجبَ

قيل: كان لعبد الله بن عمير سبعون ذكراً كلهم يطيقون حمل السلاح، وكانت فاطمة بنت الحوشب الإنمارية يقال لها أم الكملة وأم البنين بنت عامر ابن فارس ولدت عامر بن ملك وطفيل الخيل ومعاوية بن ملك معوذ الحكماء وسقط للمهلب لصلبه إلى الأرض

---

(١) **المبرّد**: هو العبّاس المبرّد من كبار علماء اللغة البصريين [(٢١١هـ - ٨٢٦م) - (٢٨٥هـ - ٨٩٨م)]. من أهم كتبه «**الكامل**» وهو كتاب جامع لمأثور الكلام شعره ونثره، والغريب منه أيضاً.

(٢) **السوءة**: العورة.

ولكن لعمر الله ماطلِ مسلماً كغرّ الثنايا واضحات الملاغم[١]
وإن دماً لو تعلمينَ جنيته على الحيّ جاني مثله غيرُ سالمِ

قال مسلم بن الوليد:

أديرا عليّ الكأسَ لا تشربا قبْلي ولا تطلُبا من عند قاتِلتي ذَحْلي[٢]

● مَنْ أمر أن يقتصَّ من محبوبِهِ

قال شاعر:

خليليّ إن حانَتْ وفَاتي فاطْلُبَا دمِي من سلَيْمى واطلُبا بجميلِ

وقال الحسين بن الضحّاك:

غزالٌ ما اجتلاهُ الطَرْفُ إلاّ تَحَيَّر في ملاحَة وجنتَيْهِ
خذوا بدمي محاسنه وخصّوا مقبَلهُ وبرد ثِنيّتَيْهِ[٣]

● الاشفاقُ مِنْ أن يلحق المحبوبَ إثمٌ في قتله

وقال أحمد بن يوسف:

وفي الموْت لي من لوْعةِ الحُبِّ راحةٌ ولكنّني أخْشى ندامتَها بغدي

● استطابةُ الأذى في مُعاناة الهَوى

قال المجنون:

يقولون ليلى عذبَتْكَ بحبّها ألا حبّذا ذاك الحبيبُ المُعَذِّبُ

وقال آخر:

تشكّى المحبوبُ الصبابةَ ليتني تحمّلْتُ ما ألقاهُ من بينهمْ وحْدي
فكانَتْ لنفسي لذةُ الحبّ كلّها فلم يَلْقَهَا قبْلي مُحِبٌّ ولا بعْدي

وقال آخر:

دع الحبُّ يصلى بالأذى من حبيبه فكلُّ أذىً ممّنْ تُحِب سُرورُ
ترابُ قطيعِ الشاملي عينِ ذئبها إذا ما تلا آثارهنّ ذرورُ

قال المتنبيّ:

سهادٌ أتانا منك في العينِ عندَنا رقادٌ وقلام رعى سربكم وِردُ[٤]

---

(١) غرّ: بيض ـ الثنايا: أسنان مقدّم الفم ـ الملاغم: جمع ملغم وهو الفم والأنف وما حولهما.
(٢) الذحل: الثأر.
(٣) خذوا بدمي: أي أثأرو لي ـ المقبَل: الثغر.
(٤) السهاد: الأرق وعدم القدرة على النوم ـ الرقاد: النوم وهو ضد السهاد ـ القلام (بكسر القاف): سهم القمار ـ السرب: القطيع من الظباء، وهنا الجماعة.

زوّجتها مروانَ أو معاوية أصهار صَدقٍ للمهور غاليه

وقال آخر:

بنيّتي ريحانةٌ أشمُّها فدَيْتُ بنتي وفدتني أمُّها

وكان لمعن بن أوس ثمان بنات ويقول ما أحب أن يكون لي بهن رجال **وفيهن قال**:

رأيتُ رجالاً يكرهونَ بناتهم وفيهنّ لا تكذبُ نساءٌ صوالحُ

وفيهنّ والأيامُ يعثُرنَ بالفتى عَوائِد لا يَمْلَلْنَهُ ونَوائِحُ

● كراهةُ البنات

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[1] وبُشّر الأحنف بابنة فبكى فقيل له في ذلك **فقال**: وكيف لا تأخذني العبرة وهي عورة هدينها سرقة وسلاحها البكاء ومهنؤها لغيري. وولدت لأعرابي جارية اسمها حمزة فهجر أمها وبنته فسمع أمها يوماً ترقصها **وتقول**:

ما لأبي حمزةَ لا يأتينا غضبانَ أنْ لا نلِدَ البنينا

وإنّما يكرهُ ما أعطينا

فرجع إلى منزله وصالحها وطابت نفسه بها.

وقال الحسين رضي الله عنه والد بنت متعب ووالد بنتين مثقل ووالد ثلاث فعلى العباد أن يعينوه.

وقال الزهري كانوا لا يرون على صاحب ثلاث بنات صدقة ولا جهاداً والعرب لم تكن تأكل طعام صاحب البنات وقال:

إذا ما المرءِ شبّ له بناتٌ عَصَبْنَ برأسِه عنتاً وعَارا[2]

وسأل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه نصيبيا عن حاله **فقال**: كَبُرَ سنّي وَرَق عظمي وبُلِيتُ ببنات نفضت عليهنّ من لوني فكسَدْنَ علي، فبكى عمر رضي الله عنه من قوله.

● فائدةُ موتِها وتمنّيه

قال النبي ﷺ نعم الختن[3] القبر **وقال** دفن البنات من المكرمات ونظر أعرابي إلى بنت تدفن **فقال**: نعم الصهر صاهرتم. وكانوا إذا هنؤا بها قالوا أمنكم الله عارها وكفاكم مؤنتها وصاهرتم قبرها وقيل تقديم الحرم أفضل النعم وموت الحرة أمان من المعرّة، **قال**:

ولَمْ أرَ نِعْمَةً شَمَلَتْ كريما كعورتِهِ إذا سُتِرَتْ بِقَبْرِ[4]

---

(١) **القرآن الكريم**: النحل/٥٨.

(٢) **الختن**: الزوج.

(٣) **المعرة**: العار.

(٤) **العورة**: كناية عن الأنثى.

وقال إسحاق بن خلف:

تهوى حياتي وأهوى مَوْتَهَا شَفَقاً   والموتُ أكرمُ نزالٍ على الحَرَمِ

قال: وما ختن فينا أعف من القبر.

- **تمنّي موت الأولاد**

قال أعرابي كان له أولاد:

النّاسُ يغطون أموالاً وميسَرة   وأنت أعطيتَني يا ربّ صِبيانا
خذهم إليك فكلٌّ صارَ في خلقٍ   وأنتَ أعطيتَه يا ربّ عُريَانا
قدْ كنت كلّفتهم في أمّهم ثمَنا   فخُذهُم عاجِلاً يا ربّ مَجّانا

- **وأدُ البنات**[1]

كانت العرب تئد البنات إلى أن جاء النبي ﷺ فنهى عن ذلك وأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[2]، ودخل قيس بن عاصم على النبي ﷺ فقال: إني وأدت اثنتي عشرة بنتاً فما أصنع؟ فقال: اعتق عن كل موؤدة نسمة. فقال له أبو بكر رضي الله عنه: فما الذي حملك على ذلك وأنت أكثر العرب مالاً؟ قال مخافة أن ينكحهن مثلك. فتبسم رسول الله ﷺ وقال هذا سيد أهل الوبر.

وقال قيس ما ولدت لي ابنة إلا وأدتها سوى بنية ولدتها أمها وأنا في سفر فلما عدت ذَكَرَتْ أنها ولدت ابنة ميتة، فأوْدَعَتْهَا أخوالها حتى كبرَتْ، فادخلتها منزلي متزينةً فاستحسنتها فقلت من هذه؟ فقالت هذه ابنتك. وهي التي أخبرتك أنني ولدتها ميتة، فأخذتها ودفنتها حيّة وهي تصيح وتقول أتتركني هكذا؟ فلم أعرج عليها فقال: ﷺ: من لا يرحم لا يرحم.

- **سياسةُ الولد وتأديبهُ**

قال النبي ﷺ: إذا بلغ أولادكم سبع سنين فمروهم بالطهارة والصلاة، وإذا بلغوا عشراً فأضربوهم عليها وإذا بلغوا ثلاثة عشر ففرقوا بينهم في المضاجع. وقيل لاعب ابنك سبعاً وعلمه سبعاً وجالس به إخوانك سبعاً يتبين لك أخلف هو بعدك أم خلف.

- **حقّ الولدِ على الوالدِ**

قال النبي ﷺ: من حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن كنيته وأدبه وأن يعفه إذا بلغ وقال ﷺ: حق الولد على الوالد أن يعلمه كتاب الله والسباحة والرمي. وقال رجل لأبيه يا أبت إن أعظم حقك علي لا يذهب بصغير حقي عليك وأن الذي تمت به إليّ

---

(١) **الوأد**: دفن البنت حيّة.   (٢) **القرآن الكريم**: التكوير/٨.

أمت بمثله إليك ولست أزعم أنهما سواء، ولكن لا يحل الاعتداء.

● **حقّ الوالدَين على الولَد والحثُّ على مراعاته**

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾[1] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾[2] ولو علم الله أدنى من أف لنهى عنه.

وقال النبي ﷺ إنّ الوالد باب من أبواب الجنة فاحفظ ذلك الباب.

وقال رجل للنبي ﷺ إني أريد الغزو **فقال** عليه الصلاة والسلام: أحي أبواك قال نعم **قال** ففيهما فجاهد وقال عليه الصلاة والسلام: لآخر هل لك من أم. **قال** نعم **قال** الزمها وإن مفتاح الجنة تحت رجليها. وقال الحسن حق الوالد أعظم وبرّ الوالدة ألزم.

● **حقيقةُ برّهما**

سئل الحسن رضي الله عنه عن برّ الوالدين **فقال**: أن تبذل لهما ما ملكت وتطيعهما في ما أمراك ما لم يكن معصية، والدلالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾[3]

● **وصفُ بررَة**

قيل لعلي بن الحسين رضي الله عنهما: إنك من أبر الناس بوالدتك ولسنا نراك تأكل معها قال إني أخاف أن أسبقها إلى شيء سبقت عينها إليه فأعقها بذلك، **وقيل** لعمرو بن ذر لما مات ابنه: كيف برّه بك قال ما ماشيته قط بالنهار إلا مشى خلفي ولا بالليل إلا مشى أمامي ولا رقي سطحاً أنا تحته. وقيل كان أعرابي يحمل أمه على ظهره ويطوف بها وينشد:

أحمِلُ أمّي وهيَ الحمّاله ترضِعُني الدرةَ والعلالَه
ولا يُجازي أحدٌ فعالَه

وقيل: في المثل أبرّ من الهرة.

● **وصفُ عَققَة**

قيل الولد: العاق إن مات نغصّك وإن عاش نقصّك. وقال بعضهم لابن له عاق أنت كالإصبع الزائدة إن تركت شانت وإن قُطِعَتْ آذت، **وقيل**: أعظم الأسف سوء الخلف العقوق ثكل من لا يثكل.

قيل لأعرابي كيف ابنك؟ **قال** هو عذاب رعف به الدهر وبلاء لا يقاومه الصبر وفائدة لا يجب بها الشكر.

---

(١) القرآن الكريم: العنكبوت/٨، ولقمان/١٤.
(٢) القرآن الكريم: الإسراء/٢٣.
(٣) القرآن الكريم: لقمان/١٥.

وكان لمنازل بن فرعان ابن يقال له خلنج فعق والده فقدمه إلى والي اليمامة فقال:

تظلّمني حقّي خلنج وعقّني ... على حينَ كانتْ كالحني عظامي[1]

لعمري لقد ربيّته فرحاً به ... فلا يفرَحَن بعدي امروٌ بِغُلامَ

قال فأراد الوالي ضربه فقال الابن للوالي: لا تعجل على هذا منازل بن فرعان الّذي يقول فيه أبوه:

جَزَت رحِمٌ بَيْنِي وَبَيْن منازلٍ ... جَزاءً كما يستنزلُ الدينَ طالبُهُ

(الأبيات):

وهي في الحماسة فقال الوالي: يا هذا عققت وعققت. قال:

إنّ بنيّ خيرُهم كالكَلْبِ ... أبرُّهُم أولَعُهُم بسبّي[2]

فليتني كنتُ عقيمَ الزب ... وليتني متُّ بغير عَقِبِ[3]

وقيل: في المثل أعق من ضب.

• احتجاجُ عاقّ لعُقوقه

قيل لبعض الفلاسفة: لم تعق والديك؟ قال لأنهما أخرجاني إلى الكون والفساد، وقال العتبي لابن له صغير: يا بنّي أعرف وصية الله إياك بي. فقال: يا أبت وأنت أعرف وصيته إياك بي. واستجز الأولى بالأخرى وضرب رجل أباه فقيل له: أما عرفت حقه؟ قال لا لأنه لم يعرف حقي قيل فما حق الولد على الوالد قال أن يتخير أمه ويحسن اسمه ويختنه ويعلمه القرآن ثم كشف عن عورته فإذا هو أقلف[4] وقال اسمي برغوث ولا أعلم حرفاً من القرآن وقد استولدني من زنجية فقيل للوالد احتمله فإنك تستاهل.

• المعارِضُ أبوَيْه فيما ادّعَيا من حقوقِهما عليه بسخف

جفا جحا أمه فقالت هذا جزائي وقد حملتك في بطني تسعة أشهر فقال: ادخلي في استي حتى أحملك سنين وخلصيني وقالت امرأة لابنها هذا جزائي وقد أرضعتك سنين فقال: ارتجعي عن دورقين لبناً دورقين مخيضا واعفيني.

• المناقِضُ أباه فيما ادّعى عليه من فساد أمه

غضب الرشيد يوماً على المأمون فقال: يا ابن الزانية فقال المأمون: الزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك. وقال أبو العيناء مثل ذلك لابنه فقال: لقد كنت والله أحفظ لأهلك من

---

(١) يقول: لقد قابل حناني وحبّي بالظلم والعقوق.

(٢) الأبرّ: الأكثر برّاً أي إحساناً ـ الولع: الشغف أو شدّة الحبّ.

(٣) العقب: النسل. (٤) الأقلف: الذي لم يُختَن.

أبيك لأهله. وعيّر رجل ابنه بأمه فقال: هي والله خير لي منك لأنها أحسنت لي الاختيار فولدتني من حر وأنت أسأت الاختيار فولدتني من أمه.

● **المعارضُ أباه في السبّ**

كان لحنظلة النميري ابن عاق يقال له مرة، **فقال**: له يوماً: يا مرة إنك لمر، **فقال**: أعجبتني حلاوتك يا حنظلة، **فقال**: إنك خبيث كاسمك **فقال**: أخبث مني من سماني به، **فقال**: كأنك لست من الناس **فقال**: من أشبه أباه فما ظلم. **فقال**: ما أحوجك إلى أدب. **فقال**: الذي نشأت على يده أحوج إليه مني، **فقال**: عقمت أم ولدتك. **فقال**: إذ ولدت من مثلك. **فقال**: لقد كنت مشؤوماً على اخوتك دفنتهم وبقيت. **فقال**: أعجبني كثرة عمومتي. **فقال**: لا تزداد إلا خبثاً. **فقال**: لا يجتني من الشوك العنب.

وقال عبد الله بن صفوان لابنه يا لكع. **فقال**: أما يشبه الرجل أباه فمهما كان من حسن وقبيح فمنك تولده وفعلك جالبه. وقال رجل لابنه ما أطيب الثكل يا بني **فقال**: الابن اليتم أطيب منه يا أبت.

● **اختيارُ الأمّهات للأولاد**

قال أبو الأسود لبنيه: أحسنت إليكم قبل أن ولدتم وبعده قالوا كيف أحسنت قبل الولادة؟ **فقال**: لأني اتخذت أمهاتكم من حيث لا تعابون به. قال شاعر:

حَمَيْت على الأولادِ اطْهار أمّهِمْ ... وبعضُ الرجال المدّعين جفاءُ

وقال آخر:

تخيَرْتُها للنَسْلِ وهي غريبةٌ ... فجاءَتْ به للنّسْل خرْقاً سميدَعَا[1]

● **تأثيرُ أجناسِ الأمهاتِ في الأولاد**

سُئلَ بعضهم عن ولد الرومية **فقال**: صلفٌ معجبٌ بخيلٌ. **قيل**: فولد **الصقلبية**. **قال**: طفس[2] زنيم[3]، قيل فولد **السوداء قال**: شجاع سخي، قيل فولد **الصفراء قال**: هم أنجب أولاداً وألين أجساداً وأطيب أفواهاً، قيل فولد **النوبية قال**: فاسق زانٍ، قيل فولد العربية قال: **أنف حسود**، قيل فولد **اليهودية قال**: دغل قذر، قيل فولد الفارسية **قال**: مكر وخديعة. وقيل لم نَرَ أما حمقاء أنجَبَتْ إلاّ أم **النعمان بن المنذر** وأم **هشام ابن عبد الملك**، **قال**:

فلو كنتم لمكيسة أكاست ... وكِيْسُ الأم يُعْرَفُ في البنينا

وقال عبد الله بن زياد لم يكن جنين في بطن حمقاء تسعة أشهر إلا خرج مائقاً.

---

(١) السميدع: الرجل الكريم. (٢) طفس: قذر. (٣) زنيم: لئيم.

● **ضوايةُ الولد من بنات العَمّ**

رُوي في الخبر اغتربوا لا تضووا.
قال شاعر

وقـد يـضـوى ولـيـدُ الأقـاربِ[1]

ونظر عمر رضي الله عنه إلى قوم من قريش صغار الأجسام **فقال**: ما لكم صغرتم؟ قالوا قرب أمهاتنا من آبائنا قال صدقتم اغتربوا فتزوجوا في البعداء فانجبوا. **قال شاعر**:

لـيـس أبُـوه بـابـنِ عـمّ أمِـه

وقال آخر:

أنـذر مـنْ كـانَ بـعـيـداً لـهُـم تـزويـجُ أولادِ بـنـاتِ الـعَـم
فـلـيـسَ نـاجٍ مـن ضـوَى وسَـقَـم

وقال العتبي: تزوج أهل بيت بعضهم في بعض فلما بلغ البطن الرابع بلغ بهم الضعف إلى أن كانوا يحبون حبوا لا يستطيعون القيام ضعفاً. وفي ضده **قال** أزدشير: تزوجوا في الأقارب فإنه أمس للرحم وأثبت للنسب وهذا مبنيٌ على مذهب المجوس.

● **أولَى الأبوَيْن بتفقدِ الولد**

تنازع **أبو الأسود الدؤلي** وامرأته في ابن لهما وكل واحد منهما يقول أنا آخذه، **فقال**: أبو الأسود حملته قبل أن حملته ووضعته قبل أن وضعته، فقالت امرأته حملته خفّاً وحملته ثقلاً ووضعته شهوة ووضعته كرهاً. وكان حجري فناءه وبطني وعاءه وثديي سقاءه. فدفع الولد إلى أمه.

● **الرضَاعَةُ**

قال النبي ﷺ: يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة. **قالت** عائشة رضي الله عنها: دخل علي ابن أبي القعيس[2] فاستترت منه **فقال**: تستترين مني وأنا عمك قالت من أين قال أرضعتك امرأة أخي قلت إنما أرضعتني المرأة ولم يرضعني الرجل. فدخل رسول الله ﷺ فحدثته **فقال**: إنه عمك فليلج عليك وقال ﷺ: لا تُحرمُ المصة ولا المصتان ولا الإملاجة[3] ولا الإملاجتان.

● **مدّة الرضاعِ سنتان وإذا فُطم الصبيّ قبل ذلك يقال له مختَل**

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[4] لمن أراد أن يتم الرضاعة

---

(١) **يضوى**: يهزل.
(٢) **القعيس**: دخيل الصدر والظهر.
(٣) **الإملاجة**: الرضاعة.
(٤) **القرآن الكريم**: البقرة/ ٢٣٣.

وقال الصاحب في سبطه عباد الحسني وكان أبلغ أنه فُطِمَ قبل حين الفطم:

يا ربِّ لا تخلني من صنعِكَ الحَسَن ... يا ربّ حطّني في عبادِك الحَسَنِ
إن كانَ قد فَطَمُوْهُ قبل موعِدِهِ ... لا بأس فهو رَضِيعُ المَجْدِ لا اللَّبنِ

وله:

لئن فطموه عن رضاع لبانه ... لما فطموه عن رِضَاعِ المَكَارِمِ[١]

- **تأثيرُ الرضاعِ في الأولادِ والحثّ على اعتباره**

نهى النبي ﷺ عن رضاع الحمقاء، وقال لا تسترضعوا الحمقاء فإن الولد ينزع إلى اللبن. وقال عبد الملك إياك وحضانة الرعناء ورضاعة الورهاء.

وقال رجل في وصف آخر نسبة إلى الرعونة كيف لا يكون أرعن وقد أرضعته فلانة ووالله أنها كانت تزق الفرخ فأرى الرعونة في طيرانه.

وقيل أن الحسن البصري رحمه الله عليه كانت أمه تغشى أم سلمة رضي الله عنها على ثديها فدرت عليه من لبنها فورث منه علمه وفصاحته وإنما قالت العرب لله دره إشارة إلى أنه أرضعته من أورثته الفضائل لا الرذائل.

- **اليُتم**

قال النبي ﷺ: لا يتم بعد حلم واليتيم من الناس من فقد أباه، ومن البهائم من فقد أمه، والعجمي من الناس من فقد أمه واللطيم من فقد أبويه، وقال ﷺ: ما بيت بر ولا مدر أكرم من بيت فيه يتيم، قتادة في قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾[٢]، أي ينتهره.

- **بلوغُ الصبيان**

بلوغ الصبي بالاحتلام أو استتمام خمس عشرة سنة، وبلوغ الجارية الحيض أو استكمال خمس عشرة سنة، والإنبات بلوغ في الكفار دون المسلمين.

وقال أمير المؤمنين لا يلقح الغلام حتى يتفلك[٣] ثدياه ويسطع ابطاه.

(٢)
وممّا جاء في ممادح الأبوة ومذامّها

- **اعتبارُ الأب**

قيل:

نجلُ الجوادِ جريُه يتقَيَّلُ[٤]

---

(١) يقول لئن فُطِمَ عن الحليب فلم يُفطم عن المكارم والفضائل.

(٢) القرآن الكريم: الماعون/ ٢. (٣) يتفلك: يستدير. (٤) يتقيّل: ينام في القائلة.

وقال آخر:

وابنُ السّرى إذا سرى أسراهما[1]

وقال آخر:

ألا إنّ غصنَ الدّوح للدّوْح تابعُ

وقال عدي بن أرطاة لأياس: دلّني على قوم من القرّاء أوليهم، **فقال**: القراء ضربان ضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم وضرب يعملون للآخرة فلا يعملون لك ولكن عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لا حسابهم قولهم.

قال الحسن رحمه الله لعمر بن عبد العزيز عليك بذوي الأحساب فإنهم إن لم يتقوا استحيوا وإن لم يستحيوا تكرّموا.

● الممدوحُ بأنه من أصْلٍ شريف

مدح أعرابيّ رجلاً **فقال**: ذاك من شجر لا يخلف ثمره ومن ماء لا يخاف كدره.

قال مصعب:

كأنك جئتَ مُحتكِماً عليه ... تخيّر في الأبوّةِ ما تشاءُ

وقال آخر:

همْ حلّوا من الشرفِ المُعلّى ... ومن حسَبِ العشيرةِ حَيْثُ شاؤوا[2]

قال أبو تمّام:

نسبٌ كان عليْه من شمسِ الضّحى ... نوراً ومن فلَق الصّباحِ عَمُودا

وقال آخر:

نَمَتْه بدورٌ ليس فيهنّ كوكبُ

ودخل بعض أولاد ابن الزبير على سليمان بن محمد فجلس على نمرقة[3] فاغتاظ من ذلك، وقال من أجلسك ههنا قال صفية بنت عبد المطلب فسكن غضبه.

● من تمنّى كلُّ قومٍ كونَه منهم لشرفِه

قال الفرزدق:

أرى كلَّ قوم ودّ أكرمهم أباً ... إذا ما انتمَى لو كانَ مِنّا أوَائِلُهْ

قال مسلم:

وكم عائبٍ لي ودّ أني ولدْتُه ... وإن كَرُمَتْ أعراقُهُ وزكا الأصْلُ

● المسابقُ أباه في ابتناءِ علاه

قال الربيع جلس المنصور يوماً **فقال**: من يصف صالحاً ابني وقد رشحه لأن

---

(١) السّرى: السير في الليل.

(٢) يقول: لقد انتسبوا إلى الشرف وأصالة العشيرة.

(٣) نمرقة: وسادة صغيرة يُتكأ عليها.

يوليه بعض أموره فكلهم هاب المهدي فقال: شبة بن عقال لله دره ما أفصح لسانه وأمضى جنانه وأبلّ ريقه وأسهل طريقه وكيف لا يكون كذلك وأمير المؤمنين أبوه المهدي أخوه ثم أنشد:

هو الجوادُ فإن يلحَقْ بِشأوِهِما ... على تكاليفِه فمِثلُهُ لَحِقَا
أو يَسْبَقَاهُ على ما كان من مهلٍ ... فمثل ما قدما من صالحٍ سَبَقَا

فقال المنصور[1]: ما رأيت مثل مخلصه مدحه وأرضاني وسلم من المهدي[2]

قال زهير:

وما يكُ من خيرٍ أتَوه فإنّما ... توارَثَه آباءُ آبائِهم قَبْلُ

قال الأحنف: إنّ زهيراً ألقى على المادحين فضول الكلام بهذا البيت.

● **ذكرُ أشرافٍ توالَوا**

في الخبر الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم ليس في الأرض خمسة أشراف متناسقة كتب عنهم الحديث إلا جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم الرضوان، ولا أربعة إلا محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم وكان قيس بن عبادة بن دلهم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف سبعة أجواد يتلو بعضهم بعضاً ليس بينهم فرق ولا فضل.

● **المشابهُ أباه في علاء ابتناه**

شِنْشِنَة أعرِفُها من أخزم[3]

قال عمرو بنُ سراقة:

وَمَكْرُمَةٍ كانت سجيّةَ والدي ... فعلّمنيها والدي فعَلِمْتُهَا

وقال شاعر:

وإنّ امرأ في الفضل أشبَه جدَّهُ ... ووالده الأدنى لغيرُ ظَلُومِ

قال أبو الغَمْر:

تشابَهوا في العُلا حتّى كأنّهم ... لم يُفتَقَدْ لهم مَيتٌ ولا افترقُوا

---

(١) المنصور: هو أبو جعفر عبد الله الخليفة العباسي الثاني. خلف أخاه السفاح قتل قائده أبا مسلم الخراساني. بنى بغداد وتوفي محرماً بالحج سنة (١٥٨ هـ/ ٧٧٥م).

(٢) المهدي: محمد بن المنصور ثالث الخلفاء العبّاسيين (١٥٨ ـ ١٦٩هـ/ ٧٧٥ ـ ٧٨٥م) اشتهر بحروبه ضدّ البيزنطيين.

(٣) الشنشنة: التخلق والطبيعة، القطعة من اللحم، جمع شناشن ـ الأخزم: الحيّة الذكر.

وقيل: أصل راسخ وفرع شامخ. محمد بن وهيب:

وليسَ بديعاً بأن تحتذي مذاهِبَ آسادِهَا الأشبُلُ

ونحوه لعمارة بن عقيل:

وهل يُشبِهُ الأشبالُ ألا أسُوْدَهَا

وقال بعضُ المحدَثين:

أنت غُصْنٌ من ذلك المنبتِ الزا كي ونَصْلٌ من ذلكَ الفُولاذِ

● مَنْ مكارمُه تدلّ على كرمِ سلَفِه

قال أبو تمّام:

فروع لا تـرِفُ عليك إلا شَهِدتَ بها على طيب الأرُوْمِ
وفي الشّرف الحديثِ دَلِيْلُ صِدْقٍ لمُخْتَبَرٍ على الشَرَفِ القَدِيْمِ

قال أبو هفان:

لا تنظرَنّ إلى امرىءٍ ما أصْلُهُ وأنظُر إلى أفعالِه ثمّ أحْكُمِ[1]

● المستغني بنفسِه عن شرفِ آبائه

دخل البحتري على بعض العلوية فسأله حاجة بعد حاجة، فأجابه إلى كل ما التمس فأثنى عليه فقال: بعض من حضر كيف لا يعطى وهو من منصب الفضل، فقال:

لا توجبنّ لكريم أصلك منةً لو كنت من عكَلٍ لكنتَ كريما[2]

قال دعبل:

لَوْ لَمْ تَكُنْ لكَ أجْدادٌ تنوبُهم إلا بنفسِك نلْتَ النّجمَ من كَثَبِ

قال عامر بن الطفيل:

وإني وإن كُنْتُ ابنْ فارسِ عامرٍ وفي السرّ منها والصّميمِ المهذّبِ
فما سوّدتْني عامِرٌ عن وِراثَةٍ أبى الله أن أسمُو بأم ولا أبِ

قال المتنبي:

ويغْنيكَ عمّا ينسبُ النّاس أنه إليْك تناهَى المكرماتُ وتُنْسَبُ

وله:

خُذْ ما تَراهُ وَدَعْ شيئاً سمِعْت به في طلعةِ الشمْسِ ما يُغْنِيْكَ عن زُحلِ[3]

---

(١) يقول لا يقاس الإنسان بأصله بل بأفعاله. (٢) عكل: بنو عكل، وعكل أيضاً لئيم.
(٣) يقول: اعتبر بما تراه لا بما تسمعه. فالشمس في إشراقتها تغنيك عن كوكب زُحَل.

● **من تشرّفَ به آباؤه ولم يتشرّف بِهم**

قال الفرزدق:

وإن تـميـمـاً كـلّـهـا غـيـرَ سـعْـدهـا زعـانـفُ لـولا عـز سـعْـدٍ لـذلَّـتِ

فقيل لقد وضع من قومه أكثر مما رفع من نفسه.

قال علي بن جبلة:

فـمـا سـوّدت عـجْـلاً مـآثـرُ قـومـه ولكنْ به سادَت على غيـرِهـا عِجْلُ

فغير عليه هذا المعنى وقيل غض عن حسبه ونقص من شأن نفسه واقتدى المتنبي به **فقال:**

لا بِقومِي شرفْتُ بَلْ شرفُوْا بي وبِـنَـفْـسِـي فَـخَـرْتُ لا بـجـدودي

أنشد الحسن يوماً:

لـولا جـريـر هـلـكَـتْ بُـجَـيْـلـه نـعْـم الـفـتـى وبِـئْـسَـتِ الـقـبـيـلَـه

فقال الحسن: أمدحه أم ذمه فقيل مدحه وذم قومه **فقال:** ما مدحة من ذم قومه وما فضل الولد على الوالد بأحسن من قول المتنبي حيث **يقول:**

فإن تكن تـغـلـب الـعـلـياء عنصرَهـا فإن في الخمر معنى ليس في العِنَبِ

وقوله أيضاً:

فـإنـك مـاءُ الـوردِ إنْ ذهَـبَ الـوِردُ

● **من ازدادَ شرفُ آبائه به**

ولـو عـلـمَ الـشـيْـخـان أدٌ ويـعـربُ لـسـرت إذاً تـلـكَ الـعِـظـامُ الـرَمَـائِـمُ

قال الخوارزمي:

هو ابن الرئيسِ والعميدِ كليْهما وفـوقَـهـمـا قـدْراً وإنْ كـانَ مِـنْـهُـمَـا

وقـد يـوقـد الـزنـدان نـارَ الـمـقـابـس فتضحي من الزّنْدَيْن أعلَى وأعظَما[1]

قال ابن الرومي:

وكم أبٍ قد علا بابنٍ ذُرَى شرفٍ كـمـا عَـلَـتْ بـرسـول الله عـدنـانُ

يـسْـمـو الـرجـالُ بـآبـاء وآونـةً يـسْـمـو الـرجـال بـأبـنـاءٍ وتـزدانُ

● **من زانَ شرَفَ أبيه بفِعْله**

قال شاعر:

زانوا قَدِيْمَهُمْ بِحُسْنِ حَدِيْثِهِم وَكَـرِيْـمَ أخْـلاَقٍ بِـحُـسْـنِ وُجُـوهٍ[2]

---

(١) **المقابس:** جمع مقبس، موضع الحطب المشعل بالنار.

(٢) **يقول:** إن حسن حديثهم ووجوههم زينة لتالد مجدهم وكرم خلقهم.

قد زيّنوا أحسابَهُمْ بسَماحِهِم		لا خيرَ في حسنٍ بِغَيْرِ سَمَاحِ[1]

- **المزيّنُ أباه والمتزيّنُ به**

قال أبو تمّام:

وحسْبُ امرىءٍ أنتَ امرؤٌ آخرُ لهُ		وحسبُكَ فخراً أنّه لكَ أوّلُ

وقال الخبزارزي:

فطُوبى لقومٍ أنتَ فارعُ أصلِهم		وطوباكَ إذْ من أصلِهم أنتَ فارعُ[2]

- **المتزيّنُ بمكانه النّاسُ قاطِبةً**

قال المتنبي:

تشرّفُ عدنانَ بهِ لا ربيعةٌ		وتفتخِرُ الدّنيا به لا العَواصِمُ

وقال آخر:

يا زينةَ الدّينِ والدُّنيا إذا احتفَلا		وأظهرا ما أغداه من الزّينِ

- **لا اعتدادَ بمنْ شرُفَ أصلُه ولم يشرُفْ بنفسه**

قال الأحنف: من فاته حسب بدنه فلا حسب له. **وقيل:** الشرف بالهم العالية لا بالرمم[3] البالية.

وقال أبو وائل لرجل شريف الأصل دنيء النفس: ما أحوج عرضك إلى أن يكون لمن يصونه فيكون فوق من أنت اليوم دونه.

وقال أرسطوطاليس: إذا كان الإنسان خسيس[4] الأبوين شريف النفس كان خسة أبويه زائداً في شرفه وإذا كان شريف الأبوين خسيس النفس كان شرف أبويه زائدة في خسته.

وقال الصاحب: شرف نفسي خير من شرف رمسي وعصامي خير من عظامي يعني **قول النابغة:**

نفسُ عصامٍ سوّدَتْ عِصَاما

ويعني بعظامي قول الآخر:

إذا ما الحَيّ عاش بعظْم ميْتٍ		فذاكَ العَظْمُ حيٌّ وهو مَيْتُ

وقال ابن الرومي:

وما الحسبُ الموروثُ لا درّ درّه		لمحتسبٍ إلا بآخرَ مكتسبِ

---

(١) **السماح:** الجود والعطاء.
(٢) **الفارع:** الشريف، والفرع الإعلاء من الشأن.
(٣) **الرمم:** العظام البالية.
(٤) **خسيس:** حقير.

إذا الغصْنُ لم يثْمِرْ وإن كان شعبةً | من المثمرات اعتدّه الناسُ في الحطَبِ[1]

وقال بيغاء:

إذا المرءُ لم يبْنِ افتخاراً لنفسه | تضايقَ عنه ما ابتنَتْهُ جدودُه
ولا خيْرَ في منْ لاَ يكون طريقُه | دليلاً على ما شاد قِدْماً تليدُه[2]

وقال آخر:

وما ينفعُ الأصْلَ من هاشم | إذا كانتِ النَّفْسُ من باهِلَه[3]

● **عذرُ من شرُفتْ نفسُه ولم يشرُف أصلُه**

وقال سقراط: لرجل عيره بحسبه حسبي مني ابتدأ وحسبك إليك انتهى. **وقال** آخر: قومي عار عليّ وأنت عار على قومك، وطُعن في حسب رجل آخر **فقال:** لئن يكون حسبي عيباً عليّ أصلح من أن أكون عيباً على حسبي، **وقيل:** لئن يكون الرجل شريف النفس دنيء الأصل أفضل من أن يكون دنيء النفس شريف الأصل، ألا ترى أن رأس الكلب خير من ذنب الأسد.

● **عذرُ دنيء قصّر عن أفعالِ آبائه الأشراف**

قيل لرجل: من ولد بشر بن مروان وكان مأبوناً إن أباك كان سهماً من سهام المسلمين وسيفاً لآل رسول الله ﷺ، **فقال:** وأنا جعبة من جعابهم وغمد لسيوفهم.

قال الأصمعي رحمه الله: دخلت خضراء روح بن زنباع فإذا أنا برجل من ولده يفسق به في موضع كان أبوه يهب فيه المال ويضرب فيه أعناق الرجال، فقلت يا فضيحة. هذا موضع كان أبوك يهب فيه، **فأنشد:**

ورِثْنا المجدَ عن آباء صدقٍ | أسأنا في ديارِهم الصَّنيعَا
إذا الحَسَبُ الرفيعُ تعاوَرَتْه | ولاةُ السّوءِ أوشكَ أن يضيعَا

وقيل لحكيم: كان أبوك أجمل منك وأعقل وأفضل **فقال:** لأني كنت به ولم يكن بي فهو أولى بالكمال مني.

وخطب أبو العذري إلى رجل من بني تميم ابنته، **فقال:** لو كنت مثل أبيك زوّجتك. **فقال:** لو كنت مثل أبي لم أخطب إليك. **قيل** لرجل من الأعراب: ما أشبهت أباك، **فقال:** لو أشبه كلُّ رجل أباه كنا كآدم.

---

(١) **الشعبة:** الغصن، وهنا بمعنى القليل من الشيء - **اعتدّه:** حسبوه.
(٢) **الطريف:** المستحدث من الأموال - **التليد:** الموروث.
(٣) أي لا ينفع الأصل في الشرف إذا كانت النفس بخيلة.

● **مَن أخذ سوءَ خِصالِ أبيه**

قيل لرجل: كان أبوك أقبح الناس خلْقاً وأحسنهم خُلقاً، وكانت أمك أحسن الناس وجهاً وأقبحهم خلقاً، فأخذت قبح أبيك وسوء خلق أمك، فيا جامعاً مساوىء أبويه.

وقال آخر: إنما أنت كالبغل يأخذ أسوأ خصال الفرس والحمار.

وكان **عمارة بن عقيل قال:** والله لأتزوجن امرأة جميلة يخرج ولدها على جمالها وفطنتي، فتزوج برعناء[(١)] فجاءت بابن في رعونتها ودمامته.

● **ذمُّ مَن قصَّر عن آبائه**

ذمَّ رجلٌ آخر **فقال:** هو مزبلة بين جبلين أي دنيء من رفيعين. **وقال علي بن الجهم:**

فإنْ تكُن منهم بلا شكٍّ فللعُود قتار[(٢)]

وقال آخر:

فإنْ قلتُم كعبٌ أبونا وأمُّنا فأيّ أديمٍ ليْسَ فيه أكارعُ[(٣)]

وقال آخر:

لئن فخَرتَ بآباءٍ لهُم شرفٌ لقَد صَدَقْتَ ولكِنْ بِئسَما ولدُوا

وقال آخر:

إذا انتسبُوا ففرْعٌ منْ قريشٍ ولكنَّ الفَعالَ فعالُ عُكْلِ[(٤)]

وقال أبو خالد، يهجو **خالد بن يزيد المهلبي** ويمدح أباه، ولم يجتمع هذان المعنيان لأحد كما اجتمعا له:

أبوكَ لنا غيثٌ نعِيشُ بسَيْبهِ وأنتَ جوادٌ لسْتَ تُبْقي ولا تذَرُ[(٥)]

وله فيه:

أيا عجَباً نبْعةٌ أنبتَتْ خِلافاً وريحانَةٌ بقلَة[(٦)]

وله:

خالِدٌ لولا أبُوه كانَ والكلبُ سَوَاء

---

(١) **الرعناء:** الحمقاء. (٢) **القتار:** الدخان أو الرائحة.

(٣) **الأديم:** الطعام ـ **الكوارع:** عظام الساق المستدقة، جمع كراع.

(٤) **عكل:** أي اللئيم من الرجال، وأبو قبيلة فيهم غباوة.

(٥) **السيب:** المطر الجاري أو العطاء ـ **الجواد:** الكريم.

(٦) **النبعة:** الشجرة، والأصل الخلاف شجر الصفصاف ـ **الريحان:** النبات الطيب الرائحة.

وقال الحارثي في معناه:

شريفٌ بجَدِّيه وضيعٌ بنفسِهِ ... لئيمٌ محيَّاهُ كريمُ المرْكَبِ[1]

وأخذه أبو تمّام فقال:

يا أكرمَ الناس آباءً ومُفْتَخَرا ... وألأمَ الناسِ مبلُوّاً ومُختَبرا

ونظر رجلٌ إلى ابن دنيء عن أب شريف، فقال: سبحان الله من قائل: ﴿يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[2]، ونظر خالد بن صفوان إلى لئيم النفس كريم الأبوين، فقال:

فلا يعجَبَنَّ الناسُ منك ومنهما ... فما خُبثُ مِن فضةٍ بعَجيبِ

- **ذمّ من شأن آباءَه الكرامَ بلؤمِه**

قال إبراهيم بن العباس:

لِئنْ لحقتَ بأبناءِ الكِرام به ... لقد تقدّم أبناءُ اللئامِ بِكا

وقال أبو حنش:

لئنْ كانَ مغنٌ زانَ شيبانَ كلَّها ... لقد شانَ روحٌ كلَّ آلِ مُهلّبِ[3]

- **من لم يعتدَّ بشرفِ النفس ما لم يضامه أبوه**

سمع عمر بن أبي ربيعة قول القائل:

كُنِ ابنَ مَنْ شئتَ واتّخِذْ أدبا ... يُغنيك موروثُه عن النّسَبِ

فقال اسكت فلا فخر، ثم أنشأ يقول:

لا فخرَ إلا فخارُ منتخبٍ ... يسمُو بأمٍّ كريمةٍ وأبِ

- **من يخزَى من ذِكر آبائه**

سئل رجل عن نسبه، فقال: أنا ابن أخت فلان، فقال أعرابي: الناسُ ينتسبون طولاً وأنت تنتسب عرضاً.

قال أبو محمد الترمذي:

قلتَ وأدغَمْتَ أباً خامِلاً ... أنا ابنُ أختِ الحسنِ الحاجبِ

وقال دعبل:

سألتُه عنْ أبيه ... فقالَ دينارُ خالي

فقلتُ دينارُ منْ هو ... فقالَ والي الجِبالِ

---

(1) المركب: الأصل. (2) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٧٩.

(3) شيبان والمهلب: قبيلتان ـ شان: عاب وشوّه.

ولعبد الله بن سليمان في فصل إلى إسماعيل بن بلبل وإن من كان بلبلاً أبوه لجديّر أن يُفضّ فوه[1] ليخرس عن تشقيق الكلام وتزويق الكتب بالكذب والآثام.

● **من نُسِبَ أبوهُ إليه**

قال عبدان:

أرى الآبـاءَ يـنـتـسِـبـون جـهـلاً إلـى الأبـنـاء مـن فـرطِ الـنَّـذالَـه

ونازع عبد الله بن مسعدة عمرو بن هبيرة، **فقال**: يا واحد ابن واحد عرفت بأبيك فنسبت إليه وعُرف أبوك بك فنُسب إليك.

● **من لا يعتدّ بأبيه**

قال الأخطل:

فـإذا وضـعْـتَ أبَـاك فـي مـيـزانِـهـم قـفـزَتْ حـديـدتُـه إلـيْـك فـشَـالا[2]

ولبعض شعراء أصبهان ويعرف بمحمد بن عبد الله بن كسبر:

تـبـجّـحِ بـالـكـتـابـةِ كـلُّ وغـدٍ فـقـبْـحـاً لـلـكـتـابـةِ والـعـمَـالَـه

أرى الآبَـاءَ نـسـبْـتُـهـم جـمـيـعـاً إلـى الأبـنـاء مـن فـرْطِ الـنـذالَـه

● **كونُ الابنِ جارياً مجرَى الأب**

العصا من العصية هل تنتج الناقة إلا لمن لقحت له.

قال زهير:

ومـا يـفـعَـلوا مـن فـعـلِ صـدْقٍ فـإنّـمـا تـوارثَـه آبـاء آبـائِـهـم قـبْـلُ

وهـل يـنـبـتُ الـخـطـيَّ إلا وشـيـجُـه وتُـغـرَس إلا فـي مـنـابـتِـهـا الـنّـخْـلُ

وقال الربيع اليهودي:

وفـي أرُومـتـه مـا يُـنـبِـتُ الـعـودا

وقال الأعشى:

الـعُـودُ يـعْـصَـرُ مـاؤُه ولـكـلّ عـيـدان عُـصَـارَه

هـل تـلِـدُ الـحـيَّـةُ إلا حـيَّـةَ

وقال الحمَيري:

كـيـفَ تـأتـيـكَ بـخَـيْـرِ بـيـضـةٌ مـن بـيـضِ حـيَّـةْ

أشـبـه الـفـرخُ أبـاه والـعَـصـا مـن الـعُـصَـيَّـه[3]

---

(١) **يُفضّ فوه**: تنثر أسنانه وتفرّق. (٢) **شال**: ارتفعت كفته.

(٣) **العُصيّة**: قيل العصا اسم فرس والعصيّة اسم أمة فضرب مثلا بتشبيه الرجل بأبيه.

وقيل: فلان لا أصل له ولا فصل، فالأصل الوالد والفصل الولد.

وقال ظفر بن الحرث العبدلي:

وإنَّ أحقَّ الناسِ أن لا تلومَه على الشرِّ منْ لم يفعَلِ الخيرَ والدُه
إذا المرءُ ألفى وَالدَيه كليْهما على اللؤمِ فاعذرْه إذا خابَ رائدُه[1]

● **قومٌ تشابهوا في اللؤم**

قال كثير عزة:

سواءٌ كأسْنانِ الحِمارِ فما ترى لذي كثرةٍ منهُم على ناشِيءٍ فَضْلا

وقال آخر:

إذا ما قلْتَ أيُّهم لأيٍّ تشابهتِ المناكِب والرؤوسُ

وقال آخر:

بلوْناهم واحِداً واحِداً وجدْناهم الكلُّ كالواحِدِ
فلا ذرأ الربُّ ولداتهم ولا بارك الربُّ في الوالدِ[2]

وقال آخر:

وان امرأ في اللؤم أشبَهَ جدَّه ووالدَه الأدنى لغيرُ ظَلومِ

● **من لؤمَ نفسُه وأصلُه**

قيل في المثل: الكمأة لا أصل ثابت ولا فرع نابت.

وقال جرير:

فرعٌ لئيمٌ وأصلُه غيرُ مغروسِ[3]

وقال معاوية رضي الله عنه: السَفَلة من ليس له نسب معروف ولا فعل موصوف.

● **مَن لؤمَ أبواه**

إذا ذُكر الإنسان بغاية اللؤم، **قيل:** هو عبدٌ قن وهو المملوك الأبوين.

قال شاعر:

أبٌ غيرُ محمودِ السّجيّاتِ سِفلَةٌ ووالدةٌ فيها الحَديثُ يطُولُ[4]

وقال آخر:

أبٌ كَثُرتْ في العالَمينَ فضائِحُه

(١) رائده: مبتغاه.
(٢) ذرأه الله: خلقه.
(٣) غير مغروس: غير مثبت.
(٤) السجيات: الصفات الحسنة، جمع سجيّة.

● مَن ذكر أن الشرف بالتقى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(١) قال بعض العارفين ما أبقى الله بهذه الآية لاحد شرف أبوّة.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رأى رجلاً يقول أنا ابن بطحاء مكة، فوقف عليه فقال: إن كان لك دين فلك شرف وإن كان لك عقل فلك مروءة وإن كان لك علم فلك شرف، وإلا فأنت والحمار سواء.

وقيل: كان الشرف في الجاهلية بالبيان والشجاعة والسماحة، وفي الإسلام بالدين والتقى. وأما الأبوة فلا أبوة. قال شاعر:

لعمرُكَ ما الإنسانُ إلاّ بدينهِ ... فلا تتركِ التّقوى اتّكالاً على الحسَبِ
فقد زيّن الإيمانُ سلمانَ فارسٍ ... وقد وضعَ الشّركُ الشريفَ أبا لهَبِ(٢)

● كونُ الشريف من شرّفه السّلطان

اصطنع كسرى أنوشروان رجلاً لم يكن له نسب فقيل له في ذلك، فقال: اصطناعنا إياه نسب له.

وفد حاجب بن زرارة على كسرى فاستأذن عليه، فقال: كسرى لحاجبه: سله من هو، فقام رجل منهم فلما مثل بين يديه، قال له: من أنت؟ قال: سيد العرب، قال: ألست زعمت أنك رجل منهم؟ قال: منذ أكرمتني وأجلستني صرت سيدهم فحشا فاه لآلىء.

● ما اختُصّ به كل قبيلة مِن فضِيلة

قال النبي ﷺ: الأئمة من قريش وقال: الناس تبع لقريش في الخير والشر، وقال: لا يقومنّ أحد لأحد إلا لهاشمي.

قال يونس: ما في أسد إلا خطيب أو شاعر أو قائف أو زاجر أو فارس، وقال: ليس في هذيل إلاّ شاعر أو رام أو شديد العدو.

وقال معاوية: من لم يكن من بني هاشم جواداً ومن بني العوام شجاعاً ومن بني مخزوم ذا أباء وأبهة ومن بني أمية حليماً لم يشبه أباه.

وقال محمد بن إسحاق: ما فتش أحد من بني المطلب إلا عن خصلتين بأس وكرم. وقيل لرجل ممن أنت؟ فقال: من قوم إذا عشقوا ماتوا، قيل: فأنت إذاً من بني عذرة(٣)

---

(١) القرآن الكريم: الحجرات/١٣.

(٢) أي أن سلمان الفارسي ليس من أصل عربي ولكن الإيمان زيّنه وشرفه، بعكس أبي لهب ذي الأصل الشريف الذي وضعه الشرك.

(٣) بنو عذرة: قبيلة عربية اشتهر أفرادها بصدق العاطفة وقوّة الوجد، ومنهم الشاعر جميل بن معمر، صاحب بثينة.

● **المعرِّض بهجاء قبيلة**

قصد شويعر أبا دلف يمدحه، **فقال** أبو دلف: ممن أنت؟ **قال**: من تميم **قال**: الذي يقول فيهم الشاعر:

تميمٌ بطُرْقِ اللؤم أهدَى من القطا

فقال: نعم بتلك الهداية جئتك، فخجل أبو دلف وخوله وشارطه أن يستر ذلك عليه.

ومازح معاوية الأحنف بن قيس، **فقال**: ما الشيء الملفّف في البجاد[1]، **فقال** الأحنف: السخينة[2] يا أمير المؤمنين، أراد معاوية **قول الشاعر**:

إذا ما ماتَ ميتٌ من تميم فسرّكَ أن يعيشَ فجِيء بزادِ
بسَمْنٍ أو بتَمْرٍ أو بخُبْزٍ أو الشيءِ الملفَّفِ في البِجادِ

وأراد الأحنف ما يعير به قريش من أكل السخينة.

ولقي شُريْك النميري تميماً **فقال** له التميمي: يعجبني البازي، **فقال**: خاصة إذا اصطاد القطا. أراد التميمي قول الشاعر:

أنا البازي المطلُّ عَلَى نُمَيْر

وأراد شريك قوله:

تميم بطَرْق اللؤمِ أهدى من القَطا

وكان سنان النميريّ يماشي عمرو بن هبيرة الفزاري وهو على بغلة، **فقال**: غضّ من بغلتك **فقال**: إنها مكتوبة. أراد ابن هبيرة قول الشاعر:

فغضَّ الطرْفَ إنك مِنْ نُمَيْرِ

وأراد سنان **قول الأخطل**:

لا تأمننّ فزارياً خلوتَ به على قلوصِك واكتبْها بأسْيارِ[3]

ومرّت أعرابية بجماعة من بني نمير فرمقوها، **فقالت**: يا بني نمير ما أخذتم بقول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾[4]، ولا بقول جرير:

فغضَّ الطرْف إنك من نُمَيْرِ

ودخل محاربي على هلالي وكان على حافة غدير فيه ضفادع، **فقال**: ما تركتنا البارحة شيوخ بني محارب أن ننام، **فقال**: إنها أضلت برقعاً فكانت في بغائه، أراد الهلالي قول الشاعر:

تنقُّ بلا شيء شيوخُ محارب وما خِلْتُها كانتْ تريشُ ولا تبْري[5]

---

(١) **البجاد**: الثوب المخطّط.
(٢) **السخينة**: نوع من الطعام يتخذ من الطحين.
(٣) **القلوص**: الناقة الشابة.
(٤) **القرآن الكريم**: النور/ ٣٠.
(٥) **تريش**: من راش: أعان وأعطى المال.

ضفادعُ في ظلماءِ ليلٍ تجاوبتْ   فدلَّ عليها صوتُها حيَّةَ البحرِ

وأراد المحاربي قول الشاعر

لكلِّ هِلالي من اللؤم جُبَّةٌ   ولابن يزيدٍ برقُعٌ وقميصُ

ورأى بعضهم على قيسيٍّ بُرداً، **فقال**: إنكم لتغالونَ بالبرود أراد قول الشاعر

المشتري الفسْوَ ببُرد حبْره[1]

وعرض ابن هبيرة على ضبيّ يلاعبه فصّ فيروزج فخجل منه، أراد به قول الشاعر:

ألا كلّ ضبيّ من اللؤمِ أزرقُ

● هجوُ القبائل

رُوي أن رجلاً عطش في مفازة فانتهى إلى خباء فعدت صبية فأقبلت عليه بماء ولبن، فسألها عن قبيلتها فقالت: من بني عامر. **فقال**: الذي يقول فيهم **الشاعر**

لعمرُك ما تبْلى سرائرُ عامرٍ   من اللؤمِ ما دامتْ عليْها جلودُها[2]

فتعثرت الصبية كمداً فكسرت الإنائين، **وقالت**: يا عَماه ممن أنت؟ **قال**: من تميم. قالت: الذي يقول فيهم الشاعر

تميم بطرقِ اللؤم أهدى منَ القطا

فقال: بل أنا من **بالهة**. **فقالت**:

إذا ولدت حليلةُ باهليّ   غلاماً زادَ في عددِ اللئامِ

فقال: بل أنا من بني **أسد**، **فقالت**:

ما سرّني أنّ أمّي منْ بني أسَدٍ   وأنّ لي كلّ يوم ألفُ دينارِ

قومٌ إذا استنْبَحَ الأضيافُ كلبَهم   قالوا لأمّهم بولي على النّارِ

فقال: بل أنا من بني **عبس**، **فقالت**:

إذا عبسيَّةٌ ولَدَت غُلاماً   فبشّرها بلؤمٍ مستفادِ

فقال: بل أنا من **قيس**، **فقالت**:

إذا قيسيةٌ عطسَتْ فنِكْها   فإنّ عطاسَها سببُ الوداقِ[3]

فقال: بل أنا من **كلب**، **فقالت**:

إذا كلبيَّةٌ خضبَت يداها   فزوِّجها ولا تأمَن زِناها

---

(١) **البرد**: الثوب المخطّط.

(٢) **سرائر**: جمع سريرة، وهي السرّ الذي يكتم، والمقصود أن اللؤم يدوم ما داموا أحياء.

(٣) **الوداق**: تقال لذات الحافر إذا أرادت الفحل ـ **وودقت سرته**: سالت واسترخت.

فقال: أنا من ثقيف، فقالت:

أضلّ الناسبون أبا ثقيفٍ فما لهم أبٌ إلاّ الضلالُ

فقال: بل أنا من خزاعة، فقالت:

باعتْ خزاعةُ بيْتَ الله إذ سكرَت بزقّ خمْرٍ وأثوابٍ وأبْرادِ

فقال بل أنا من جرم، فقالت:

إذا ما اتّقى اللّهُ الفتى وأطاعَه فليْس به بأسٌ وإن كان من جُرْمِ[١]

فقال: بل أنا من حنيفة، فقالت:

أكلتْ حنيفةَ ربها زمنَ التقحّمِ والمجَاعه[٢]

فقال: بل أنا من عبد القيس، فقالت:

علامةُ عبدِ القيس لا ينكرونَها أعاصيرُ من فسْو عليهم تفتُرُ[٣]

فضجر الرجل، فقال: أنا من إبليس، فقالت:

عجبتُ من إبليس في تيههِ وخبثِ ما أظْهَر من نِيّتِه

تاهَ على آدم في سَجْدَة وصارَ قوّاداً لذريّتِه[٤]

فقال: اعفيني، فقالت: إلى لعنة الله إذا نزلت بقوم فلا تجحد إحسانهم.

خرج قتيبة متنزّهاً فلقى أعرابياً فقال: له ممّن الرجل؟ فقال: من عبد قيس، فقال: نسب مهزول. فقال الأعرابي: ممن أنت؟ فقال: من باهلة، فقال: وا ويلاه واهولاه أمثلك يقول نسبي مهزول وأنت بين الدعة والخمول. فقال له قتيبة: يا أعرابي أيسرك أنك أمير وأنك باهلي، فقال: لا ولا خليفة الله في أرضه. فقال: ولك حمر النعم، فقال: لا ولا ما طلعت عليه الشمس. فقال: وإنك تدخل الجنة فاطرق ثم رفع رأسه فقال: إن كان ولا بد فعلى أن لا تعلم بذلك أهل الجنة فضحك قتيبة ووصله.

وسأله أعرابي عن نسبه، فقال: من باهلة فقال: أعيذك بالله. وقال آخر لأعرابي: أنا مولى باهلة، فأخذ الأعرابي يتمسح به ويقول: ما أبلاك الله بذلك إلا وجعلك من أهل الجنة. وتساب رجلان فقال أحدهما: يا ابن الزانية فقال الآخر: يا باهلي فقضى له، وقيل له ربأت عليه.

سأل أعرابي عبد الملك وقد رآه متنكراً ممن أنت؟ قال: من بني أمية، فقال: أنتم في الجاهلية مربون في التجارة وفي الإسلام تعادون أهل الطهارة، سيدكم حمار وأميركم حبار، إن نقصتم عن أربعينَ لم تدركوا بثار وإن بلغتموه كنتم بشهادة الرسول من أهل النار.

---

(١) باس: مخفّف بأس: قوة ـ جرم: ذنب.

(٢) زمن التقحم: زمن الجدب والقحط.

(٣) تفتر: تسكن.

(٤) قواد لذريته: سمسار دعارة لأبنائه.

وفخر على خالد بن صفوان ناس من بني الحارث بن كعب عند السفاح، **فقال له السفاح**: ألا تتكلم يا خالد؟ **فقال**: أخوال أمير المؤمنين وعصبته وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قرد وراكب عرد[1]، دل عليهم هدهد وملكتهم امرأة وغرقتهم فأرة. **فقال الجاحظ** وقد بلغه مقاله: لئن تفكر في هذا الكلام وأعده إنه لرواية كبير، ولئن حضره حين حرك فما له في العالمين نظير. وقال عمر بن عبد العزيز لحميري قومك الذين قالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم، **فقال**: وقومك الذين قالوا فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فتبسم عمر رضي الله تعالى عنه.

● **من افتخرَ بنَسبه فاعترَض عليه بما أخجَله**

قال قرشي لشريك: ألا ترى إلى حسن ما قال الله تعالى فينا: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[2] فقال شريك قد قال في موضع آخر: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾[3] وقال علويٌ لرجل: إنك تحتاج أن تدعو لي كل يوم خمس مرات تقول اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، **فقال**: إني أقول معه الطيبين الطاهرين، فأخرجك منهم.

ودخل رجل من ولد قتيبة الحمامِ وبشّار في الحمام، **فقال**: يا أبا معاذ وددت أنك مفتوح البصر فترى استي فتعلم أنك كذبت في قولك:

إذا أعْـيَـتْـك نـسـبـةُ بـاهـلـيٍّ   فـرفَـعْ عـنْـه حـاشـيـةَ الإزارِ[4]
عـلـى أسـتـاهِ سـادتـهـم كـتـابٌ   مـوالـي عـامـرٍ وَسْـمٌ بـنَـارِ

فقال بشار: فأنت من سادتهم أو من سفلتهم، **فقال**: بل أنا من سادتهم **فقال**: أخطأت، إنما قلت على أستاه سادتهم وأنت من سفلتهم لا من سادتهم.

● **من افتخر بأبٍ مطعون فيه فعُورِضَ بتعريضٍ أو تصريح**

قال بلال بن أبي بردة لأبي الأسود: أنا ابن الحكمين. **فقال**: أما أحدهما ففاسق وأما الآخر فمخدوع مائق.

أنشد ذو الرمّة بلالاً:

وحـقَّ لـمَـن أبـو مـوسَـى أبـوهُ   يـوفِّـقُـه الـذي نـصَـبَ الـجِـبـالا

فقال ابن أبي علقمة: والله ما وفق الله أبا موسى نفسه فكيف يوفق ابنه.

● **تفضيلُ العَلوية على سائرِ النّاس**

قال منصور لجعفر بن محمد: نحن وأنتم في رسول الله سواء. **فقال**: لو خطب

---

(١) **عرد**: عرَد يعرد عرداً الحجر رماه بعيداً، وعرِد عَرداً: هرب وخز، والعرد: الصلب الشديد.
(٢) **القرآن الكريم**: الزخرف/٤٦. (٣) **القرآن الكريم**: الأنعام/٦٦.
(٤) **الإزار**: الثوب.

إليكم رسول الله ﷺ وتزوج منكم لجاز له، ولا يجوز أن يتزوج منا فهذا دليل على أنا منه وهو منا.

وقال **المأمون** لعلوي: ما فضلكم علينا في العرب من رسول الله ﷺ؟ **فقال**: إنه عليه الصلاة والسلام يدخل على حرمنا ولا يدخل على حرمكم.

وقال **عمر بن عبد العزيز** يوماً وقد قام من عنده **علي بن الحسين** من أشرف الناس، **فقيل**: أنتم لكم الشرف في الجاهلية والخلافة في الإسلام، **فقال**: كلا أشرف الناس هذا القائم من عندي، فإن أشرف الناس من أحب كل إنسان أن يكون منه ولا يحب أن يكون من أحد وهذه صورته.

● الممدوحُ بأنه من عَترةِ الرسول

قال أبو الغمر:

تبوّأ من بيت النبوة مفخراً ... علا في السّماء فوقَ قطبِ الكواكِبِ
يخاطِبُ فيه الروحُ بالوَحْي جدّه ... وقدْكَ هما من مرسلٍ ومخاطبِ[1]

وقال بشّار:

دم النبيّ مشوبٌ في دمائهم ... كما يخالِطُ ماءَ المزنةِ الضّرَبُ[2]

وقال عبد الله بن موسى:

أنا ابنُ الفواطم من هاشم ... نمَاني عليٌّ وبنتُ النّبي
إليّ تناهى فَخارُ الورَى ... وكلُّهم لي بحقّ وَلي

● الحُجّة في أنهم أبناء الرسول ﷺ

قال **الحجّاج** ليحيى: أنت تزعم أن الحسن والحسين أبناء رسول الله ﷺ، **قال**: نعم. **قال**: والله لأقتلنك إن لم تأتِ بآيةٍ تدل على ذلك، **فقال**: نعم، إن الله تعالى يقول: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ﴾[3] إلى قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾[4] وهو ابن مريم، وقد نسبه إليه. **فقال الحجّاج**: أولى لك قد نجوت، ولما أنزل الله تعالى آية المباهلة دعا النبي ﷺ الحسن والحسين فدعا بهما إلى المباهلة، ولما قدم على البصرة اتخذ الأحنف طعاماً فحضره فقعد على سرير والحسن عن يمينه والحسين عن يساره، وجاء **محمد بن الحنفية** فلم يكن له على السرير موضع فقعد ناحية فتغيّر لذلك، **فقال**: أمير المؤمنين له: إنهما ابنا رسول الله وأنت ابني.

---

(١) **الروح**: أي جبريل ـ **الوحي**: غلب فيما يلقيه الله إلى أنبيائه.
(٢) **الضرب**: المطر الخفيف.
(٣) **القرآن الكريم**: المؤمنون/ ٨٤.
(٤) **القرآن الكريم**: الأنعام/ ٨٥.

● ذمّ علويّ

كتب أبو الحسين بن طباطبا إلى الكادوشي:

لـنْ تـحـلـبَ الـشـاةُ أفـاويـقـهـا ... أو يخلعَ التيسُ عليْها الرَّسَن[١]
فـاحـذَرْ عـلـى ثـغـرِك مـن منعـظٍ ... يقطعُ عن ضرعِك عرقَ اللبَن[٢]

فكتب إليه الكادوشي:

أبـا حـسـنٍ أيـمـا حـاجـةٍ ... دعـتـك إلى شَيْـن هـذا الـنـسبْ
تـصـونُ بـعِـرْضـك عِـرْضَ اللئام ... كـأنـك تـحـلُـهُـم عـن نَـشَـبْ[٣]
وتـعـنَـق فـي سـبـل الـمـنـكـراً ... تِ ظـلْـمـاً لـتـنـصـر أهلَ الـريـب[٤]
لـذاكَ الـخـلافـةُ لـم تـرضِـكُـم ... ولا نـصـرتـكُـم عـلـيْـهـا الـعـربْ
تـحـلـلـت بـالـسـبِّ لـمَـا رأيـت ... أديـمَـك صـحّ ومـن سُـبَّ سَـبْ[٥]
فـإن لـمْ نـجِـدْ فـيـك مـن مـغـمَـزٍ ... سـلـكْـنـا إلـيْـك طـريـقَ الـكَـذِبْ
ولـولا الـنـبـيُّ عـلـيـهِ الـسـلامُ ... ولـوْلا عـلـيٌّ لـقـيـتَ الـعـجَـبْ

وقال المتنبي:

بـهـا عـلـويّ جـدّه غـيـرُ هـاشِـم

وله:

إذا عـلـويٌّ لـم يـكـنْ مـثـلَ طـاهـرٍ ... فـمـا هـوَ إلا حـجّـةٌ لـلـنـواصِـبِ[٦]

وقال الخوارزمي: كأن الله لم يخلقه إلا لتنعطف القلوب على يزيد، وقال ابن الحجّاج علوي من أجله رحم الله معاوية، وقال بعضهم في ذم جعفري وبكري:

إن كـان جـعـفـرهـم طـيـار أجـنـحـةٍ ... فـإن أولادَهـم فـيـنـا مَـقـاصِـيصُ
وإن تـقـولُـوا إلـى الـطـيّـار نـسـبـتُـنـا ... فالتمْرُ ينبتُ في أضعافهِ الشِّيصُ[٧]

قال أحمد بن يزيد: تعدّى بكري على أبي في مجلس، فاحتمله وقال: احتملته كرامة لأبي بكر، فقال ما أمكنك أن تقول فيَّ فقل، فقال أبي:

لا بـاركَ الـلّـهُ فـي الـبَـكْـري أن لـه ... أبـا خـيـار أو سَـعْـيـاً غـيـرَ مُـخْـتـارِ
ثـانٍ لـراكـبـهِ رجـلَـيْـه مـغـتَـمِـلٌ ... أبـوه ثـانـي رسـولِ الله فـي الـغَـار[٨]

---

(١) أفاويق: جمع فيقة، اسم اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين.
(٢) المنعظ: الذي يعلوه الشبق ـ الضرع: مدر اللبن.
(٣) النشب: العقار والمال من نقود وماشية. (٤) تعنق: يطول عنقه.
(٥) أديمك: جلدك.
(٦) النواصب: وأهل النُصب: المتدينون ببغضة علي رضي الله عنه.
(٧) الشيص: التمر الرديء. (٨) المقصود هو أبو بكر الصديق.

أبوكَ يغلو إلى الفردوسِ سلّمَة وأنت مقتحمٌ تهوي إلى النارِ
وكانَ ثوباه من فضلٍ ومن كرمٍ وأنتَ ثوباكَ من خِزيٍ ومن عارِ

● **استنكافُ العرب من الهُجنة**

صار أعرابي إلى سوّار القاضي، فقال: إن أبي مات وتركني وأخي فخط خطين ناحية وترك هجيناً فخط آخر ناحية بعيداً من الأولين فكيف يقسم المال، قال: المال بينكم أثلاثاً. فقال الأعرابي لا أحسبك فهمت فأعاد عليه الفتيا، فقال: المال بينكم سواء. فقال: أيأخذ الهجين كما نأخذ؟ قال سوار: نعم. فغضب الأعرابي وقال: أعلم أنك قليل الحالات بالدّهناء فقال: لا يضرّني.

وجاء أعرابي إلى المهدي في طريق مكة فقال يا أمير المؤمنين أنا عاشق بنت عمّ لي وقد أبى أن يزوجنيها، فقال: لعله أكثر منك مالاً قال: لا قال: فما القصة؟ قال: ادن منّي يا أمير المؤمنين، فضحك المهدي وأصغى إليه برأسه، فقال سراً: أنا هجين. فدعا عمه وقال: لم لا تزوج ابن أخيك؟ فقال إنه هجين، فقال: إن ذلك لا يضره، أخوة أمير المؤمنين كلهم هجناء. زوجه فقد أصدقت عنه عشرة آلاف درهم.

قال الجاحظ: قلت لعبيد الكلابي وكان فصيحاً فقيراً أيسرّك أن تكون هجيناً ولك ألف جريب، قال: لا أحب اللؤم بشيء قلت فإن أمير المؤمنين ابن أمة قال أخزى الله من أطاعه، قلت: نبيا الله محمد وإسماعيل كانا ابني أمة، قال: لا يقول هذا إلا قدري. قلت: فما القدري، قال: لا أدري.

قال شاعر:

لا أرضع الدهر إلا ثَغر واضِحَة لواضح الجسمِ يحْمي بجورِ الجار

● **ذِلّةُ المَوالي عندَهم والاستخفافُ بهم**

كانت العرب إلى أن عادت الدولة العباسيّة إذا أقبل العربي من السوق ومعه شيء فرأى مولى دفعه إليه ليحمله معه فلا يمتنع ولا السلطان يغير عليه. وكان إذا لقيه راكباً وأراد أن ينزله فعل، وإذا رغب أحدهم في مناكحة مولاة خطب إلى مولاها دون أبيها وجدّها.

وكان نافع بن جبير إذا مرت به جنازة فيقال عربي يقول يا قوماه، وإن قيل مولى يقول مال الله يأخذ ما يشاء، ويدع ما يشاء ولا يقولون للمولى كريم ولا حسيب وإنما يقولون فاره[1]

● **مناقبُ أولادِ السّراري[2]**

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليس قوم أكيس من أولاد السراري لأنهم

---

(١) الفاره: جمع فُرة، وهو الحذق أو الشديد الأكل.

(٢) السراري: جمع سرية، وهي المرأة المملوكة التي يتخذها الرجل لمتعته.

يجمعون عزّ العرب ودهاء العجم.

عاتب هشام زيد بن علي وقال: بلغني أنك تريد الخلافة، وكيف تصلح لها وأنت ابن أمه، فقال: كان إسماعيل ابن أمة وإسحاق ابن حرّة فأخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم. فقال هشام: إذاً لا تراني إلا حيث تكره.

كانت أم علي بن الحسين عليهما السلام جيهان شاه بنت يزدجرد أخذها الحسين من جملة الفيء، وقال له أمير المؤمنين: خذها فستلد لك سيداً في العرب سيداً في العجم سيداً في الدنيا والآخرة.

ولما فتح قتيبة بعض بلاد العجم أخذ إحدى بنات يزدجرد فقال يوماً لبعض جلسائه: أترى ابن هذه يكون هجيناً؟ فقالت امرأة: نعم من قبل الأب.

● عذرُ الهُجناء

سابق عبد الملك بين بنيه فجاء الوليد سابقاً وسليمان مصلياً ومسلمة مكيثاً[١] وكان ابن أمة، فقال عبد الملك: لله در الأعور الشني حيث يقول:

نهيتُكم أن تحمِلوا هُجَناءَكم ... على خيلِكُم يومَ الرهان فتدرَكُوا[٢]
وما يسْتوي المرآن هذا ابنُ حرّةٍ ... وهذا هجينٌ بضعُه متشرِّكُ[٣]
فَسَعَدْن به خالاته فخذَلْنَه ... ألا إن عرْق السوءِ لا بدّ يدْركُ

فقال مسلمة بني وبينك الشني، أليس هو القائل:

وكائن ترَى فينا من ابنِ سبيةٍ ... إذا لقيَ الأبطال يطعنُهم شزْرا
فما زادها فينا السِّباءُ نقيصَةً ... ولا احتطبَتْ يوماً ولا طبخَتْ قِدْرا[٤]

وقال آخر:

لا تزرينّ فتًى من أنْ يكونَ له ... أمّ من الروم أو سوداءُ عجماءُ
فإنما أمهاتُ النّاسِ أوعيةٌ ... مستودعاتٌ وللأحساب آباءُ[٥]

● أصنافُ الموالي

الناس ثلاثة أصناف عرب وعجم وموال. فالعرب قسمان: ولد إسماعيل بن إبراهيم وقحطان بن عابر وهم هجان وهو الخالص وهجين وهو الذي أمه أعجمية حرّة كانت أو

---

(١) المكيث: المقيم في المكان.

(٢) هجناءكم: جمع هجين الذي أبوه عربي وأمه غير عربية ـ تدركوا: تؤخذوا بثأركم، تُنالوا.

(٣) متشرِّك: من تشرّك: أي جُعل شريكاً. (٤) السِّباء: الأسر للنساء.

(٥) الأحساب: جمع حسب وهو الشرف الثابت في الآباء.

أمة، فإذا تردد فيه أعراق العجم فهو **المعلهج**، وأما **الفلنقس** فهو الذي أمه أمة وخاله عبد، **والمكركس** الذي أمه أمة وكذلك جدته وجدة أمه. وإذا أحدقت به الإماء **فحيوس** من الحيس وهو الخلط، وإذا وصفوا الإنسان بغاية اللؤم قيل **قن**، وهو المملوك الأبوين **وعبد العصا** لكل ذليل **وعبد مملكة** وكعبيد **ذي الكلاع** باليمن، **وعبيد ابن الأشعث** بن قيس من أهل **نجران** الذين حكم عمر رضي الله عنه بأن يردوا أحراراً بلا عوض، وعبيد الأعتاق من سباهم النبي ﷺ من **هوازن وفزارة** وبني **المصطلق** وسماهم بذلك لأنه سار بهم كسيرته في سبايا غيرهم. ومن الموالي مولى السائبة وهذا كان في الجاهلية، وهو الذي سيب نذراً إلى الآلهة فلا يمنع من ماء ولا كلأ ولا يورث ولا يعقل عنه وصار خليعاً.

● **كونُ الموالاة قرابة**

قال النبي ﷺ مولى القوم منهم. وقال ﷺ الولاء لحمة كلحمة النسب لا يباع ولا يورث. وقيل: الرجل لأبيه والمولى من مواليه. وقيل: المعتَق من فضل طينة المعتِق.

وروي أن سلمان أخذ من بين يدي النبي ﷺ تمرة من تمر الصدقة فوضعها في فيه فانتزعها النبي ﷺ من فمه، فقال إنما يحلّ لك من هذا ما يحلّ لنا. وقال عمر رضي الله عنه: أبو بكر سيدنا أعتق بلالاً سيدنا فأجراه مجراه في السودد.

وكان **المهدي** يمشي وبين يديه **عمارة بن حمزة** فقال له رجل: مَن هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال هذا أخي وابن عمي عمارة، فلما ولى الرجل، قال عمارة: انتظرت أن تقول ومولاي، فانقض يدي من يدك فتبسم المهدي وقال: إنّا بنو هاشم موالينا أحب إلينا من أهالينا.

وكان لرجل عبد عامل فأراد أن يستخلفه، فقال: لست استأثر عليكم ولأن أكون عبد أحب إليّ من أن أكون عربياً لاحقاً.

● **فضلاءُ الموالي**

قال **عمر** رضي الله عنه لو كان سالم مولى **حذيفة** حياً لاستلحقته. وولّى رسول الله ﷺ **أسامة بن زيد** على المهاجرين والأنصار، وولّى عليهم أبو بكر رضي الله عنه سالماً يوم اليمامة.

وقال أبو بكر حين أرادوه على البيعة علام تبايعون ولست بأقواكم ولا أتقاكم أقواكم عمر وأتقاكم سالم. قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(1) يعني بقوله أفمن يلقى في النار **أبا جهل**، وبقوله أم من يأتي آمنا **عمار بن ياسر**.

● **فضيلةُ العجم**

قال النبي ﷺ: لا تسبّوا فارساً فما سبّه أحد إلا انتقم الله منه عاجلاً وآجلاً. وحضر

---

(1) **القرآن الكريم**: السجدة/ ٤٠.

عند النبي ﷺ مجوسي حسن الهيئة وضيء الوجه فجعل تحته وسادة حشوها قزو وأكرمه، فلما نهض قال عمر رضي الله عنه هذا مجوسي. فقال: قد علمت ولكن أمرني جبريل عليه السلام أن أكرم كريم كل قوم.

قال سليمان بن عبد الملك: العجب لهذه الأعاجم كان الملك فيهم فلم يحتاجوا إلينا، فلما ولينا لم نستغنِ عنهم. وقال أيضاً: ألا تتعجبون من هذه الأعاجم، احتجنا إليهم في كل شيء حتى في تعلم لغاتنا منهم. قال المأمون: الشرف نسب، فشريف العرب أولى بشريف العجم من وضيع العجم بشريفهم، وشريف العجم أولى بشريف العرب من وضيع العرب بشريفهم، وهذا كلام شريف.

ورأى النبي ﷺ في المنام كأنه ردفه غنم سود فردفتها غنم بيض ما يرى السود فيها لكثرتها، فأخبر النبي ﷺ بذلك أبا بكر رضي الله عنه، فقال: السود العرب ويسلمون والبيض العجم يسلمون بعدهم حتى ما يرى فيهم العرب لكثرتهم، فقال ﷺ: بذلك أخبرني الملك سحراً.

- **الممدوحُ بكونِه من العَجم**

قال بشّار:

نـمَـتْ فـي الـكِـرام بـنـي عـامـرِ ... فُـروعِـي وأصْـلِـي قـريـشُ الـعـجَـم

وأنشد الموبذ[1]**:**

أنـا ابـنُ الـمـكـارم مـن آلِ جَـم ... وطـالـبُ إرثِ مـلـوكِ الـعـجَـمْ
لـنـا عـلَـم الـكـابـيـان الـذي ... بـه نـرتـجـي أن نـسـودَ الأُمَـمْ[2]
فـقُـل لـبـنـي هـاشـم أجـمـعـين ... هـلـمّـوا إلى الـخـلْـعِ قـبل الـنّـدمْ
وعـودُوا إلـى أرضِـكـم بـالـحـجـازِ ... وأكـلِ الـضّـبـابِ ورعـيِ الـغـنَـمْ
فـإنّـي لأعـلـو سـريـرَ الـمـلـوكِ ... بـحـدّ الـحـسـامِ ورأسِ الـقـلَـمْ

وقال أبو سعيد الرستمي:

بـهـالـيـلَ عِـزٌّ مـن ذؤابـةِ فـارسٍ ... إذا انتسبُوا إلا من عرينةَ أو عُكْلِ[3]
هـمْ راضـةُ الـدّنـيـا وسـادةُ أهـلِـهـا ... إذا افتخرُوا لاراضةُ الشاءِ والإبْلِ[4]

---

(١) **الموبذ أو الموبذان:** حاكم الفرس أو المجوس.

(٢) **الكابيان:** الكابي: المرتفع، والكابي عظيم الرماد كناية عن المضياف.

(٣) **بهاليل:** جمع بهلول، وهو السيد الجامع لصفات الخير ـ **عرينة:** حيّ من قضاعة ـ **عكل:** بطن من طابخة من العدنانية.

(٤) **راضة:** من راض: ذلّل ـ **والإراضة:** من أراض الإبل سقاها فأرواها.

● **المستنكَف والمُزرى بهم**

سمع أعرابي يقول لآخر أترى هذه العجم تنكح نساءنا في الجنة، فقال الآخر: نعم أرى ذلك بأعمالهم الصالحة، فقال: توطأ رقابنا والله قبل ذلك.

وكان ناسك يقول: اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالي عامة، وأما العجم فهم عبيدك والأمر إليك.

وقال زياد[1] **للأحنف**: أرى هذه الحمراء قد كثرت وكأني أنظر إلى وثبة منهم على العرب وعلى السلطان، وقد رأيت أن أقبل شطراً وأدع شطراً لإقامة الشرف وعمارة الطرق.

وقال ابن الحجّاج:

لا تـغـتـرز أنـكَ مـن فـارسٍ ... فـي مـعْـدن الـمُـلْـك وديـوانِـه

لـو حـدّثـتْ كِـسـرى بـذا نـفـسُـه ... صـفْـعَـتُـهُ فـي جَـوْفِ إيـوانِـه[2]

● **ذمُّ النبطِ وأهلِ الرساتيق**

رُوي في الخبر أن النبي ﷺ قال إذا تفيهقت الأنباط ونطقت بالعربية وتعلمت القرآن فالهرب الهرب منهم، فإنهم أكلة الربا ومعدن الشر وأهل غش وخديعة. قال ابن عباس رضي الله عنهما لو كان الشيطان أنسياً ما كان إلا نبطياً.

وقال شاعر:

نـبـط إذا عـرك الـهـوان بـهـم ... ذلـوا وإن أكـرمـتـهـم ضـغـنـوا[3]

ورُفع إلى المأمون أن رجلاً شكا جاراً له وقال: واسيرة عمراه ذهب العدل منذ مات عمر، فاستحضره وسأله فذكر ما يشكو منه فقال له: من أين أنت؟ قال: من أهل ناتية وهم نبط، فقال المأمون: إن عمر كان يقول من كان جاره نبطياً فاحتاج إلى ثمنه فليبعه فإن كنت تطلب سيرة عمر فهذا حكمه ثم أمر له بألف درهم وأمر صاحبه أن ينصفه.

ولمّا نزل الحجاج واسطاً نفى النبط عنه وكتب إلى عامله بالبصرة وهو الحكم بن أيوب، يقول: إذا أتاك كتابي فانف من قبلك من النبط فإنهم مفسدة للدين والدنيا، فكتب إليه قد نفيت النبط إلا من قرأ منهم القرآن وتفقه في الدين. فكتب إليه الحجاج: إذا قرأت كتابي فادع من قبلك من الأطباء ونم بين أيديهم ليقفوا[4] عروقك فإن وجدوا فيك عرقاً نبطياً فاقطعه والسلام.

وأمر بعض الملوك عاملاً له أن يصيد شر طائر ويشويه بشر حطب ويبعثه على شر

---

(١) **زياد**: أي زياد بن أبيه. (٢) **جوف الإيوان**: داخل القصر.

(٣) **النبط**: قوم قيل أنهم من العرب قطنوا جنوبي فلسطين من قواعدهم بصرى وصلخد وصلع ـ ضغنوا: حقدوا.

(٤) **ليقفوا**: ليتبعوا.

رجل، فصاد رخمة وشواها ببعر ودفعها إلى خوزي، **فقال الخوزي**: أخطأت في كل ما أمرك به الملك. صد بومة واشوها بدفلى وادفعها إلى نبطي ولد زنا. ففعل الرجل وكتب به إلى الملك، فقال الملك: أصبت ولكن كفى أن يكون الرجل نبطياً لا يحتاج إلى ولد زنا فليس يزداد النبطي بذلك شراً فقد بلغ بجنسه الغاية.

قيل إذا جاء **الرستاقي**[1] بسلة فارغة ومعدة جائعة فاضرب الباب في وجهه. وقال أبو الحسن علي بن أحمد بن العباس لم يظلم أحد كما ظلم أهل الرستاق لأنهم غرموا الخشب وليست تكسر إلا على ظهورهم. ذُكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه روى عن النبي ﷺ أنه قال: الأكراد جيل الجن كشف عنهم الغطاء، وإنما سموا الأكراد لأن سليمان عليه السلام لما غزا الهندسبى منهم ثمانين جارية وأسكنهن جزيرة فخرجت الجن من البحر فواقعوهن فحمل منهم أربعون جارية فأخبر سليمان بذلك فأمر بأن يخرجن من الجزيرة إلى أرض فارس فولدن أربعين غلاماً فلما كثروا وأخذوا في الفساد وقطع الطرق فشكوا ذلك إلى سليمان فقال أكردوهم إلى الجبال فسموا بذلك أكراداً.

(٣)

ومما جاء في الدعوة

•

• النهيُ عنِ ادّعاء غيرِ الأب

قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[2] وقال ﷺ: ملعون من انتسب إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه. وقال عليه الصلاة والسلام: الولد للفراش وللعاهر الحجر ونهى رسول الله ﷺ عن قبول شهادة الزنيم[3]

• المعرّض بنسَبِهِ

لقي مزيد رجلاً فقال له ممن أنت؟ قال قرشي والحمد لله. **فقال**: الحمد لله في هذا الموضع ريبة.

قال أبو نواس:

إذا ذكـرتَ عـديّـاً فـي بـنـي ثـعـلٍ ... فقدم الدالَ قبْل العيْن في النّسب[4]

وقال أحمد بن أبي سلمة:

حـنـفـيٌ كـمـا زعَـم ... وبـريءٌ مـنَ الـكـرم

---

(١) الرستاقي: معرّبة، وهو الخادم.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٨٢.
(٣) الزنيم: اللئيم، والملحق بقوم ليس منهم.
(٤) قوله: قدّم الدال ـ يعني: دعياً.

زدْ عـلـى الـفـاء نـقـطَـةً وارفَـعِ الـنّـونِ بـالـقـلَـم[1]

وقال زياد لرجل: يا دعيّ، فقال: الدعوة قد تشرف بها المدعي علي فكيف غير بهَا.

- **التعريضُ بمن لا يُشبه أباه أو ذويه خلقة**

قال عبد الملك لعبيد الله بن زياد: بلغني أنك لا تشبه أباك قال إني والله أشبه به من الماء بالماء والتمرة، بالتمرة ولكن إن شئت أنبأتك بمن لا يشبه أباه. قال: من هو. قال: من لم يولد لتمام ولم ينضج في الأرحام ولم يشبه الأعمام، يعرض بعبد الملك. فقال: ومن هو، قال: سويد بن هجوف فقال لسويد: أكذا أنت قال نعم. قال دعبل:

إن بـنـي عـمـرو لأعـجـوبَـةٌ تـعـجـزُ عن وصفِهم الـفـكْـره

أبـوهُـم أسـمَـر فـي لـونِـه وهـؤلاء لـونُـهـم شُـقْـره

أظـنّـه حـيـنَ أتـى أمَّـهـم صـيِّـرفـي نـطـفـتـهِ مُـغْـرَه[2]

وقال آخر:

كـأنّـهـم خـبـزُ كـتّـابٍ وبـقّـالِ

وقال وهيب الهمداني:

ألـوانُـهـم إلـيْـك عـنْ أنـسـابـهـم مـعـتَـذِرَه

كان بأصبهان مجنون يعرف بابن المستهام، فقيل لأحمد بن عبد العزيز إنه مليح ذو نوادر، قال فاستحضره فلما تأمله قال:

في اختلافِ الوجوهِ من آلِ عجْلٍ لـدليـلٌ عـلـى فـسادِ الـنـساءِ

فأراد أن يبطش به ثم كف عنه مخافة أن يتحدث الناس بقوله فيكثر.

- **التعريضُ بمَنْ لا يشبه أباه فعلاً**

دخل أبو الحسن بن طباطبا على أحمد بن عثمان البري، وكان هجاه أبو الحسن بأهاجي كثيرة، فقال له: بلغني أنك تشعر وتجيد فقال كذا يقول الناس. فقال له تعريضاً: أشعرت أن قريشاً لم تكن تجيد الشعر. وقال مروان بن أبي الجيوب في عليّ بن الجهم، وقد أجاد تعريضاً إلى الغاية:

لـعمْرك ما جهْم بن بـدرٍ بشاعرٍ وهـذا عـلَـى ابنِـه يـدّعـي الـشـعْـرا

ولـكِـن أبـي قـدْ كـانَ جـاراً لأمّـهِ فـلمـا ادّعى الأشعار أفـهـمـني أمْـرا

- **التعريض بالرجل أن ابنه من زانية**

اختصم إلى معاوية رضي الله عنه في غلام ادعى، فقال: ائتنوني غداً أقض بينكما

---

(١) يعني: حلْقي.

(٢) المغر: اللون الأحمر.

فلما أتوه أخرج حجراً دفعه إلى المدعي، يعني بذلك قول النبي ﷺ وللعاهر الحجر، فقال له الرجل: أنشدك بالله هلاً قضيت بقضائك في زياد. فقال معاوية: قضاء رسول الله ﷺ أولى بأن يتبع من قضائي.

دخل ابن مكرم على أبي العيناء مهنئاً له بابن ولد له، فوضع عنده حجراً، فلما خرج قيل: لأبي العيناء: **فقال**: لعن الله هذا أما تعلمون ما عنى، إنما أراد قول النبي ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحجر. ورأى عنده منجماً فقال ما يصنع هذا، قال إنه يعمل طالع مولد ابني، **قال**: فسله قبلُ هل هو ابنك حقيقة.

قال أبو علي البصير:

أتانا أبو العَيْناء بابنِ مزور ... سنحكُم فيه عادلاً غيرَ جائِرِ
نهنئه في أسبُوعه وملاكِه ... فإن ماتَ عزّيْنا سعيدَ بن ياسِرِ

وله فيه:

لأبي العيناء أولاد ... دهمٌ في الناس آيَه
فأبو القوم سعيدٌ ... وأبو العَيْناء دايَه

وقيل لرجل ولدت امرأة فلان بعد الزفاف بخمسة أشهر، **فقال**: كان إناؤها ضارباً. **وقيل** لآخر مثله، **فقال**: إنه بنى جداراً على أس غيره. وقال رجل من أولاد زياد لآخر يا ابن الزانية، **فقال**: لا تسبني بشيء به شرفت[1]

● **من راجع قاذفَه بدعوة بأحسن تعريض**

كان بين **يزيد بن معاوية** وبين **إسحاق بن طلحة** بن عبيد الله كلام بين يدي معاوية، **فقال يزيد**: يا إسحاق إن خيراً لك أن يدخل بنو حرب كلهم الجنة، **فقال إسحاق**: وأنت والله لخير لك أن يدخل بنو العباس كلهم الجنة، فأنكر يزيد ولم يدرِ ما عناه، فلما قام إسحاق قال معاوية: أتدري ما عناه إسحاق، قال يزيد: لا، **قال**: فكيف تشاتم رجلاً قبل أن تعلم ما يقال لك وفيك أنه عنى ما زعم الناس أن أبا العباس أبي وكانت هند اتُّهمت به وبغيره، ولذلك لما جاءت إلى النبي ﷺ تبايعه فتلا عليها الآية، فلما بلغ قوله ولا يزنين، قالت: وهل تزني الحرة؟ فنظر النبي ﷺ إلى عمر وتبسم.

وخاصم **غيلان** رجلاً من ولد زياد، فقال له الزيادي يا دعيّ، فأنشد يقول:

بثينَةُ قالتْ يا جميلُ أربتَنا ... فقُلْتُ كلانا يا بثينَ مريبُ

فبلغ قولهما ابن عائشة، **فقال**: والله إن غيلان في التمثل بهذا البيت أشعر من جميل. وشاتم أعرابي ابنه، **فقال**: لست بابني، فقال الابن: أنا والله أشبه بأبيك ولأنت كنت أغير على أمي من أبيك على أمك.

---

(١) يقصد نسب زياد بن أبيه.

● من احتمل عيباً لتصحيح نسبه

نافر لهبي[1] رجلاً من ولد عمرو بن العاص فعابه بسورة ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾[2]، وعاب اللهبي بسورة ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾[3]، فقال اللهبي: إنك لو علمت ما لأولاد أبي لهب من الدرك في سورة تبت لم تفه بها، لأن الله تعالى صحح نسبهم بقوله: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾[4] وأنهم من نكاح لا من سفاح ونفى بني العاص بقوله عتل بعد ذلك زنيم، والزنيم المنتسب إلى غير أبيه. قال العودي مضيت يوماً في حاجة مع يحيى بن أكثم فاختصر بين طريقاً لم أعرفها، فقلت له: أنا ابن بجدة[5] هذه البلدة ومن لا يبرحها ولا أعرف هذا الطريق، قال لأن قول الشاعر لم يلحقك:

تميم بطرقِ اللؤمِ أهدى من القَطا

فاحتمل هذا الهجاء تصحيحاً لنسبه

● المعروفُ بأنه عجميّ أو نبطيّ متعرّب

قال بشّار:

أرفِقْ بعمرو إذا حرّكت نسبتَه ... فإنّه عربيٌّ من قواريرِ

وقال آخر:

عربيٌّ في مجان ... نبطيٌّ في الحقيقه

وقال مخلد المولي:

أنت عندي عربيّ ... ليس في ذاكَ كلامُ
عربيّ عربيّ ... عربي والسّلامُ
شعر أجفانِك قيصو ... مٌ وشيحٌ وثُمامُ[6]

● المدعي أكارم العجم

لبعضهم:

يصيح لِكِسْرى حين يسمعُ ذكرَه ... بصمّاء عن ذكرِ النبيّ صدوفِ
ويعجبُه أخبارُ كسرى وذكرُه ... وما هُوَ في أعلاجِهم بشريفِ

وقال جحظة:

وأهلُ القرى كلُّهم ينتمون ... لِكِسْرى ادعاءً فأين النبيطُ

---

(١) لهبي: نسبة إلى أبي لهب.
(٢) القرآن الكريم: الكوثر/ ١.
(٣) القرآن الكريم: المسد/ ١.
(٤) القرآن الكريم: المسد/ ٤.
(٥) ابن بجدة البلدة: أي العالم بها.
(٦) القيصوم: نبات ذهبي الزهر طيب الرائحة ـ الشيح: نبات طيب الرائحة قويها.

● ذمّ مدّعي العَلوية

قال محمد بن وهب:

فـتـىً لـمـا رأى الأنـسـابَ عـزًا		تـنـاولَ غـيـرَ نـسـبـةِ والـدَيْـه
ويـرضـى أن يُـقـال لـه شـريـفٌ		ومـنْ يـرضـى إذا كـذبـوا عـلَـيْـه

● ذمّ من يدّعي نسباً مرغوباً عنه

قال حمّاد عجرد في بشّار بن برد:

نُـسـبـت إلـى بـردٍ وأنـت لـغـيـرِه		فـمنْـك لـبرْد نـكـت أمـك مـن برْد

وهذا البيت في الهجاء من الأبيات النادرة العجيبة، وقيل إن بشاراً لما سمع ذلك قال: تهيأ لحمّاد في هذا البيت بهجائي خمسة معانٍ أرادها جرير في الفرزدق فلم يستكملها، حيث يقول:

لما وضعتُ على الفرزدق ميْسمي		وضغَا البعيثُ جدعتُ أنفَ الأخْطل[1]

وقال أبو محمد البريدي في الأصمعي:

ابْـن لـي دعـيٌّ بـنـي أصـمـعِ		مـتـى كـنْـت فـي الأسـرَةِ الـفـاضِـلَـه
ومـن أنـت؟ هـل أنـت إلا امـرؤ		إذا صـحّ أصـلُـك مـن بـاهِـلَـه

● المتقلّب في الدّعوة

قال دعبل:

كل يوم لأبي سعد على الأنساب غارَه

فـهـو يـومـا فـي تـمـيـمِ		وهـو يـومـاً فـي فـزارَه[2]

وقال أبو نواس:

لـهُـم فـي بـيـتِـهـم نـسـبٌ		وفـي وسَـط الـمَـلا نـسَـبُ

● من ادّعى نسباً لاستفادته جاهاً أو نشباً

وقال خالد التمار:

عصام بن فيض باللجينِ وبالذّهَب		ولبس الكِسا والزعْفران الذي يَهبْ[3]
ودار بـنـاهـا فـي ثـقـيـفٍ ومـسـجـدِ		يـرجـى عـصـام أن يـعـدَّ مـنَ الـعَـرَب

وقال دعبل:

لـيـهـنِـك دولـة حـدثَـت		فـأحـدث عـزُّهـا نـسـبـا

---

(١) ميسم: علامة، وهنا أراد القوافي والأهاجي ـ ضغا: صوّت مستغيثاً، وخضع.
(٢) فزارة: اسم قبيلة.		(٣) الزعفران: نبات زهره أحمر.

- **مَن نسبُهُ مقصورٌ عليه**

قيل: فلان نفع بقاع، ليس له فعل موصوف ولا نسب معروف.

قال شاعر:

كالودّ بالقاعِ لا أصْلٌ ولا ورقُ[1]

وقال الجاحظ:

نسب الخمار مقصور إليها منتهاه

وقال آخر:

يقول سهل والدي صاعِدٌ فقلْ لسهلٍ مَنْ أبو صاعدِ؟
للناسِ آباءٌ وما ينتمي سهلٌ إلى أكثر من واحدِ

وقال آخر:

ليسَ له ما خلا اسمه نسب كأنّه آدمُ أبو البَشَر

- **من صار مدّعٍ بين جماعة**

خبر زياد بن أبيه معروف جعيفران:

ما جعفرٌ لأبيه ولا لَهُ بشبيهِ
هذا يقولُ بنيّ وذا يخاصِمُ فيهِ
والأمُّ تضحك منهم لعلمِها بأبيهِ

- **من نفى عنه الدعوة خسة**

قال ابن الزيات لابن أبي دؤاد في مناظرته: ما أنا بدعي. **فقال**: صدقت ما دونك أحدِ فتستنزل إليه ولا فوقك من يقبلك فتنتمي إليه. وقال رجل بين يدي أبي عبيدة: إن الأصمعي دعيٌّ. **فقال**: كذبت لا يدّعي إلى أصمع أحد.

وقال شاعر:

فما أنفيك كي تزدادَ لؤماً لا ألأم من أبِيك ولا أذلاّ

- **المتشكّكُ في أمه فضلاً عن أبيه**

قال عبدان، وهو من الأبيات الجيدة المشهورة:

صحّ لنا والدَة أولادِ وأنتَ في حِلّ منَ الوالدِ

وقال آخر:

إذا أقمت لنَا أماً فصحّ لها وأنت في حرجٍ إن جئتَنا بأبِ

---

(١) الوَد: الوتد.

وقال آخر:

إذا الأدعـــيـــاءُ ادعَـــوا والِـــدا وجـــدْنـــاك مـــدّعِـــيَـــا والـــدَه

وقال مساور الوراق:

ابـن عـبـدِ الـعـزيـز أدغـمَ فـيـه شـبـةٌ مـن شـرارِ كـلّ قـبـيـلَـه
صـدرُه مـن مـحـاربِ ويـداه مـن غـنـي ورأسـه مـن بُـجَـيْـلـه[1]

● **ذكاء ولد الزنا وفرعنته**

قال قدامة: أولاد الزنا أنجب لأن الرجل يزني بشهوة ونشاط فيخرج الولد كاملاً، وما يكون عن حلال فعن تصنع للرجل إلى المرأة.

قال ابن بوسة الأصبهاني:

إنـي إذا مـا رأيـتُ فـرْخ زنـا فـلـيْـس يَـخْـفـى عـلـيّ جَـوْهَـرُه
لـو فـي جـدارٍ يـخـطّ صـورتَـه لـمـاجَ فـي كـفّ مـنْ يُـصَـوّرُه

(٤)
وممّا جاء في الأقارب

●

● **فضل صلة الرحم وذم قطيعته**

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[2] وقال النبي ﷺ يقول الله: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وقال عبد الله بن أبي أوفى: كنا مع النبي ﷺ فقال لا يجالسنا قاطع رحم فقام شاب فأتى خالة له، وكان بينه وبينها شيء فأخبرها بقول النبي ﷺ فاستغفرت له واستغفر لها، ثم رجع والنبي ﷺ في مجلسه فأخبره فقال النبي ﷺ: إن الرحمة لا تنزل على قاطع رحم. وقال ﷺ: الرحم منماة للعود مثراة للمال منسأة[3] في الأجل. وقال جعفر بن محمد: صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[4] وتذاكر واصلة الرحم فقال أعرابي: منسأة في العمر مرضاة للرب محبة في الأهل. وقيل: الصلة بقاء والقطيعة فناء.

---

(١) **بجيلة**: اسم قبيلة.
(٢) **القرآن الكريم**: النساء/ ١.
(٣) **منسأة**: من نسا، أي أخر.
(٤) **القرآن الكريم**: الرعد/ ٢٣.

● **حث الأقارب على التظاهر**

دعا أكثم بن صيفي أولاده عند موته، فاستدعى بضمامة من السهام وتقدم إلى كل واحد أن يكسرها فلم يقدر أحد على كسرها، ثم بددها، وتقدم إليهم أن يكسروها فاستسهلوا كسرها، **فقال**: كونوا مجتمعين ليعجز من ناواكم عن كسركم كعجزكم.

وفي ذلك شعر:

إن القداح إذا اجتمعن فرامَها ... بالكسر ذو حرد وبطش أيّد[1]
عزت فلم تُكسر وإن هي بُددت ... فالوهن والتكسير للمتبدد

وقال عبد العنبري:

إذا ما أرادَ الله ذلّ قبيلةٍ ... رماهُم بتشتيتِ الهوى والتخاذلُ

● **المُراعي رحمَه والمحَامي عليه**

قال بعض بني أسد:

وأستنفذُ المَوْلى من الأمر بعدَما ... يزلّ كما زلّ البعيرُ عن الدحض[2]
وأمنحُه مالي ووُدّي ونَضرتي ... وإن كان محنيّ الضلوع على بُغضي

وقال بعضهم:

ومولى جفَتْ عنه المَوالي كأنّه ... من البؤسِ مطليٌّ به القارُ أجْرَبُ
رئِمْتُ إذا لم ترأم البازلُ ابنَها ... ولم يك فيهَا للملبسينَ مَحْلبُ[3]

● **تفضيلُ الأقاربِ على الأباعِد وإن عادُوا**

لما استخلف يزيد بن المهلب ابنه بجرجان، **قال له**: انظر إلى هذا الحي من اليمن فكن لهم كما **قال العباس**:

فقومَك إن المرءَ ما عاشَ قومُه ... وإن لامهُم ليسُوا له بأباعِدِ

ونحوه **قول بعضهم**:

أدناك أدناك وإن رفضك وقلاك[4]

وقال بعض بني قيس:

وآخ لحالِ السلم إن شئت واعلمَنْ ... بأن سوى مولاك في الجَوْر أجنبُ[5]

---

(١) **الأيد**: القوي.
(٢) **الدحض والدَّحَض**: المكان الزلق.
(٣) **رئمت**: عطفت عليه ـ **البازل**: الذي طلعت نابه من الإبل.
(٤) **قلاك**: أبغضك.
(٥) **الأجنب**: الذي لا ينقاد.

ومولاك مولاكَ الذي إنْ دعوتَه ... أجابَك طوْعاً والدماءُ تصبَّبُ

وقال آخر:

لعمْري لرهطُ المرءِ خيْرُ بقيةٍ ... عليْه وإن عالُوا به كلّ مركَبِ[1]

● **استبقاءُ الأقاربِ لدفع الأباعد**

قال النعمان بن حنظلة:

وإني لأستبقي امرأ السوء عدّة ... لعدوة عريض من القوم جانبِ[2]

أخافُ كلابَ الأبعدِين وهرشِها ... إذا لم تهارِشْها كلابُ الأقاربِ

وقال هبيرة المري:

ولا تهجُرْ كلابَك واصطنِعْها ... لتطعَمَها كلابَ الأبعَدينا

وله:

وذوي ضبابٍ مظهرينَ عداوةً ... قرْحى القلوب معاودي الأفنادِ[3]

ناسيتُهم نقْصاهم وتركتُهم ... وهُمْ إذا ذُكرِ الصديقُ أعادي

كيما أعدّهم لأبعد منهمُ ... عدّ السلاحِ إلى ذوي الأحْقادِ

● **تفضيلُ بعضِ الأقاربِ على بعض**

قيل لامرأة أسر الحجاج زوجها وابنها وأخاها: اختاري واحداً منهم، **فقالت**: الزوج موجود والابن مولود والأخ مفقود، أختار الأخ. فقال الحجّاج عفوتُ عن جماعتهم لحسن كلامها.

● **ذمُّ الأقارب**

قال بعضهم: الأب رب والعم غم والأخ فخ والولد كمد والأقارب عقارب. **قال شاعر**:

إنَّ الأقاربَ كالعَقَارِ ... ب أو أضرُّ من العَقارِبِ

وقال آخر:

يقولون عزٌّ في الأقاربِ إن دنَتْ ... وما العِزّ إلا في فِراقِ الأقارِبِ

تراهُم جميعاً بين حاسدِ نعمةٍ ... وبين أخي بغْضٍ وآخر عائبِ

وقال أبو نواس:

وما أنا مسرورٌ بقرْب الأقاربِ ... إذا كانَ لي منهم قلوبُ الأباعِدِ

---

(١) **عالوا**: جاروا.

(٢) **عريض**: الذي يتعرض للناس بالشر.

(٣) **الأفناد**: جمع فَنَد وهو الباطل.

● **تفضيلُ بعيدٍ موالٍ على قريب معاد**

قال مقاتل: صديق موافق خير من ولد مخالف، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾. وقيل: القرابة تحتاج إلى المودة والمودّة تستغني عن القرابة:

رُبّ بـعـيـدٍ كـأخٍ نـاصِـحٍ ... وابـنِ أب مـنـهـم الـغـيـب

وقال الزبيري:

لـمُـغـتـربٌ يـسـرّ بـحـسـنِ حـالـي ... وإن لـمْ تـدْنِـهِ مـنّـي قـرابَـه
أحـبّ إلـيّ مـن ألـفـي قـريـب ... تـبـات صـدورُهـم بـي مـسـترابَـه[1]

وقال بشار:

ربّـمـا سـرّك الـبـعـيـدُ وأصـلا ... كَ الـقـريـبُ الـنـسـيـبُ نـاراً وعـارًا[2]

وقال يزيد بن الحكم:

ولـقـدْ يـكـونُ لـكَ الـغـريـبُ ... أخـاً ويـقـطَـعُـك الـقـريـبُ

● **التندّم لتركِ الأقارب واتّباع الأباعد**

قال الحارث بن ظلامة:

سـفِـهْـنـا بـاتّـبـاع بـنـي بـغـيـضٍ ... وتـركِ الأقـربـيـن لـنـا انـتـسـابَـا
سـفـاهـةَ فـارصٍ لـمـا تـروّى ... هـراقَ الـمـاءَ واتّـبَـع الـسـرابَـا

● **ذم مَنْ نَفعُهُ للأباعد دون الأقارب**

قال ابن الأحوص:

من النّاس من يغشَى الأباعدَ نفعُهُ ... ويشقى به حتّى المماتِ أقاربُه[3]

وقال آخر

وما خيرُ من لا ينفعُ الأهل عيشُهُ ... وإن ماتَ لم تجزعْ عليه أقاربُه

وقال آخر:

فتىً هو لابنِ العمّ كالذئب إن رأى ... لصاحبه يوماً دماً فهو آكلُه

● **ذمُّ مَنْ يناوىء ذويه ويَضرع لأعاديه**

ذمّ أعرابي رجلاً، **فقال**: هو أقل الناس ذنوباً إلى أعدائه وأكثرهم تجرؤاً على أصدقائه

---

(١) مسترابة: من استراب، وقع في الشك. (٢) أصلاك ناراً وعاراً: فيهما ألقاك.
(٣) يغشى: يغطي، يصيب.

وأقربائه. وقيل لمعاوية رضي الله عنه ما النذالة، **فقال**: الجراءة على الصديق والنكول عن العدو.

وقال الجعدي:

ألا إن قومي أصبحُوا مثلَ خيبرَ   بها الداءُ لكنْ لا يضُرُّ الأعاديَا

وقال بيهس الضبي:

إذا ما ألقى العدوَّ فثعلبٌ   وعلى الأقارب شبهُ ليثٍ ضيغَمِ

وقال الغطفاني:

جهلاً علينا وجبْناً عن عدوِّهم   لبئستْ الخلّتان النكلُ والجبْنُ[1]

وقال زياد الأعجم:

تلينَ لأهل الغلِّ والغمّ منهم   وأنتَ على أهلِ الصفاء غليظُ

وقال أيوب:

تصولُ على الأدنى وتجتنبُ العِدا   وما هكذا تُبنى المكارمُ يا يَحْيى
وأنتَ كفحلِ السّوء يبدأ بأمّه   ويتركُ باقي الخيْلِ سائمةً ترْعَى[2]

وقال كشاجم:

وتراه يكرمُ من نأى   عنه ويؤذي من حَضَر
كالشّمس تنحَسُ من دنَا   منها وتُسْعِدُ مَنْ نَظَر

● **عذرُ مَنْ يكره بعيداً ويطرح قريباً**

إن يعجبِ الأقوام أني عندَهُم   من دون ذي رحم بها يتوصّلُ
فبنو أمية والفرزدق صنوُهُم   نسباً وكان وصالهم لا يُقْبَلُ

● **عداوةُ الأقارب وتعسُّر إزالتها**

أعداؤكم اكفاؤكم والأقارب عقارب وأمسهم بك رحماً أشدهم لك لدغا. وقال جاويذان: فروخ ثلاث لا يُستصلح فسادهم بشيء من الحيل: العداوة بين الأقارب، وتحاسد الأكفاء، والركالة في الملوك.

وكان **ابن هبيرة يقول**: اللهمّ احفظني من عداوةِ الأقارب.

وقال طرفة بن العبد:

وظلمُ ذوي القربى أشدّ مضاضةً   على المَرْءِ من وَقْعِ الحُسَام المهنّدِ

---

(١) **الخلّتان**: الصفتان ـ **النكل**: الإحجام والامتناع.   (٢) **السائمة**: الماشية التي ترعى.

ويروى عداوةُ ذي القربى.

قال الهيثم النخعي:

بـنـي عـمّـنـا إن الـعـداوة شـرّهـا ... ضـغـائنُ تبقى في نفوسِ الأقارِب

وقال بيغاء:

لـلـظّـلـم بيْـن الأقـرَبـيـن مـضـاضـةٌ ... والـدلّ مـا بـيْـن الأبـاعـدِ أروحُ[1]

فـإذا أتـتْـكَ مـنَ الـرّجـال قـوارضٌ ... فـسـهـامُ ذي القُربى الـقـريـبـةِ أجرحُ

● مَن يتحامل على ذويه إذا رآهم في محنة

قال عامر بن لقيط:

لـعـمـرُكَ إنـي لـو أخـاصِـمُ حـيّـةً ... إلى قـعـفـس مـا أنـصـفَـتْـني قـعـفَـسُ

فـمـا لـهُـم طـلـسـاً إلـيّ كـأنّـهـم ... ذئابُ الفضا والذئبُ بالليلِ أطلسُ[2]

وقال عدي النبهاني:

أُعـانُ عـلـى الـدّهـر إذ حـلّ بـرْكُـه ... كفى الدهر لو وكّلتُه بي كافيا[3]

وقال آخر:

وكنتُ كذئبِ السوءِ لـمـا رأى دمـاً ... بـصـاحـبـه يـومـاً أحـالَ عـلـى الـدمِ

● الحمية للأقارب وإن كانوا أعداء

في المثل: آكل لحمي ولا أدعه لآكل. وقيل: الحفائظ تُذهب الأحقاد لا يعدم الجوار من أمه حية.

قال شاعر:

لـكـلّ امرئٍ حـالان بـؤسٌ ونـعـمَـةٌ ... وأعـطـفُـهُـمْ في الـنّـائـبـات أقـاربُـه

وقال حريث بن جابر:

إذا ظـلـمَ الـمـوْلى فـزعْـتُ لـظـلـمِـه ... فـحـرّكَ أحـشـائي وهـرّت كـلابـيَـا[4]

وقيل لأعرابي: ما تقول في ابن العم، **فقال**: عدوّك وعدوّ عدوّك. ولما مات عبادة بن الصامت، رضي الله عنه بكى عليه أخوه أوس بن الصامت فقيل له: أتبكي عليه وقد كان يريد قتلك فقال حركني للبكاء عليه ارتكاضنا في بطن وارتضاعنا من ثدي.

---

(١) **الدلّ**: معربة، بمعنى الفؤاد ـ **أروح**: واسع.

(٢) **طلس طلسا**: كان أغبر إلى سواد، فهو أطلس جمع أطالس، والأطلس: الذئب الذي لا شعر على جسده.

(٣) **البَرْك**: الكابوس.

(٤) **هرّت كلابيا**: هرّت: طعنت بالرمح.

● **التجافي عن ذنوبهم ومداواة عداوتهم**

قال الشعبي: لا يكون الرجل سيداً حتى يكون مستعملاً قول الشاعر:

وإنّي للبّاسٌ على المقْتِ والقِلى ... بني العمّ منهُم كاشِحٌ وحسودُ[1]
أذبُّ وأرمي بالعَصا من ورائِهم ... وابدأ بالحُسْنى لهُم وأعودُ

وقال سالم بن وابصة:

ونيربٌ من موالي السّوء ذي حسبٍ ... يقتاتُ لحمي وما تشفيه من قَرَمِ[2]
داويْتُ صدراً طويلاً غمره حقداً ... منه وقلّمت أظفاراً بلا جَلَمِ[3]

وقال محمد بن عبد الأزدي:

ولا أدعْ ابنَ العم يمْشي على شفًا ... وإن بلغَتْني من أذاه الجنادِعُ[4]

والأبيات كلها.

قال الموسوي:

لويتُ إلى ودّ العشيرةِ جانِبي ... على عُظْم داءٍ بينَنا وتفاقُمِ
وقلّمْتُ أظفاري وكنْت أُعِدُّها ... لتمزيقِ قربَى بينَنا ومحارم
وأوطأتُ أقوالَ الوشاةِ أخامِصي ... وقد كان سمعي مدرجاً للنّمائمِ[5]

● **تأسّفُ من جنَى عليه أقاربُه فلم يكنْه الانتصافُ منهم**

قال المتلمّس:

فلو غيْرُ أخوالي أرادُوا نقيصَتي ... جعلْتُ لهم فوقَ العرَانين ميْسَما
وما كنتُ إلا مثلَ قاطِعِ كفّه ... بكفٍّ له أخرى فأصبحَ أجذَما
يداه أصابَت هذه حتفَ هذه ... فلم تجِدِ الأخرى عليه مقدَما
فأطرقَ إطراقَ الشّجاعِ ولو يرَى ... مساغاً لنابَيْه الشجاعُ ليَمّما[6]

وقال ذو الأصبع:

لولا أواصِرُ قُربى لسْتَ تحفظُها ... ورهبةُ الله في منْ لا يُعاديني
إذاً بريتُك بَرْياً لا انجيابَ له ... إنّي رأيتُك لا تنفَكّ تبريني

---

(١) **الكاشح**: العدو المبغض.
(٢) **النيرب**: الشرير ـ **القرم**: شدّة شهوة اللحم.
(٣) **بلا جلم**: بغير قطع وجز.
(٤) **الجنادع**: البلايا.
(٥) **الأخامص**: جمع أخمص، وهو من القدم باطنها الذي يتجافى عن الأرض.
(٦) **مُساغ**: من ساغ (الطعام): سهل مدخله في الحلق ـ **يمم**: قَصَد.

● **من جازى أقاربَه بذنوبهم فتأسّف لذلك**

قال العديل العجلي:

ظللت أساقي الهمّ إخوتي الألى أبوهُم أبي عند المزاحِ وفي الجَدّ
كفَى حزناً أن لا أزال أرى القنا يمجّ نجيعاً من ذِراعي ومن عَضُدي(1)
وإني وإن عاديْتُهم وجفوتُهم لتألمُ ممّا عضّ أكبادَهم كَبِدي

وقال قيس بن زهير:

فإن أكُ قد برّدت بهم غليلي فلم أقطع بهم إلاّ بناني(2)

وقال آخر:

فإن تكُ حينَ تبلغُهم بجُرم وإن ظلمُوا لمُخترقَ الضميرِ

● **الحثّ على معاقبة من يعادي من الأقارب**

قال أوس بن حينا التميمي:

إذا المرءُ أولاكَ الهوانَ فأوْلِه هَوَاناً وإن كانَتْ قريباً أواصِرُه(3)

وقال غيره:

إذا مولاكَ كانَ عليْك عوناً أتاكَ القوْمُ بالعجَبِ العَجيبِ
فلا تخنَع إليْه ولا تردّه ورامِ بنفْسه عرضَ الجنوبِ
فما لكَ كالقِلى في غيرِ جدّ إذا ولّى صديقُك من طبيبِ

● **مَنْ تبجّح بمعادَاة ذويه**

قال أرطاة بن سهية:

ونحنُ بنو عمٍّ على ذات بيننا ذرانِي فينا بغضَةٌ وتنافسُ
ونحنُ كصِدعِ العسّ إن يعطَ شاعباً يدعه وفيه عيبُه متشاخِسُ(4)

وتمثل يزيد بن معاوية لما بلغه قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بقول **الفضل بن العباس بن عتبة:**

مهلاً بني عمّنا مهلاً موالينا لا تنبُشوا بيننا ما كانَ مدْفُونا

(الأبيات) وهي في الحماسة.

---

(1) القنا: الرمح ـ يمجُّ: يقذف ـ النجيع: الدم. (2) الغليل: شدّة العطش.
(3) أولاك الهوان: جعلك ذليلاً.
(4) العس: القدح الكبير ـ متشاخص: من شخص بمعنى اضطرب.

● ذمُّ من يتطاولُ على ذويه في الرّخاء ويضرعُ لهمْ في اللأواء[1]

قال علمس بن عقيل:

فأما إذا عضت بك الحربُ عضّةً ... فإنك معطوفٌ عليك رحيمُ
وأما إذا آنستَ أمناً ورخوةً ... فإنك للقُربى ألدُّ خصومُ[2]

وقال شاعر:

إذا أخصبتُم كنتُم عدوّاً ... وإن أجدبْتُم كنتُم عِيالا[3]

● الشاكي ظلمَ مولاه وحده

قال شاعر:

إذا ما ابتنَى المجدَ ابنُ عمّك لم تُعِنْ ... وقلتَ ألا يا ليْت بنيانَه هوَى
تملاً من غيظٍ عليّ فلم يَزَل ... به الغيْظُ حتّى كادَ في الغيْظ يُنشوَى

وقال عبد الله بن طاهر:

أخي مالك لا تنفَكّ عنْ تِرَتي ... كأن أعضاءنَا لم تُغْذَ مِنْ جسَدِ

● ذمُّ عشيرة بذّد الجهلُ شملَهم

وقال أبو يعقوب الجريمي:

كانُوا بني أمٍ ففرّق شملَهم ... عَدَمُ العقولِ وخفّةُ الأحْلامِ

وقال علاق بنُ مروان:

وكانَتْ بنو ذبيان عزّاً وإخوَةً ... فطِرْتُم وطارُوا يضرِبون الجَماجِما

● وجوبُ تعظيمِ الأخِ الأكبر

حضر عند النبي ﷺ أخوة، فتكلم أصغرهم فقال عليه السلام: كبروا كبروا. وقيل لحكيم معه أخ أكبر منه، أهذا أخوك، **فقال:** بل أنا أخوه.

وكان بين الحسن والحسين رضي الله عنهما كلام فقيل للحسين ادخل على أخيك فهو أكبر منك، **فقال:** إني سمعت جدي ﷺ يقول أيما اثنين جرى بينهما كلام فطلب أحدهما رضا الآخر كان سابقه إلى الجنة، وأنا أكره أن أسبق أخي الأكبر فبلغ قوله أخاه فأتاه عاجلاً وأرضاه.

● وصفُ أخوين مختلفَين في الكيسِ والبِلْهَ

من الأخوين اللذين كانا لأب وأم وتفاوتا في العقل جداً علي وعقيل ابنا أبي طالب، أمهما فاطمة الأسدية. ومعاوية وعتبة ابنا أبي سفيان، أمهما هند بنت عتبة.

---

(١) **اللأواء:** الشدّة والضيق. (٢) **رخوة:** رخاء العيش. (٣) **عيالاً:** كثير العيال.

● **وصفُ أخوين وضيعٍ ورفيع**

قال الأصمعي: لم يقل أحد في تفضيل أخ على أخ وهما لأب وأم مثل قول ابن المعتز لأخيه صخر:

أبوكَ أبي وأنتَ أخِي ولكِن ... تفاضلَتِ المناكِبُ والرؤوسُ[(١)]

وقال ابن أبي عيينة:

داود محمودٌ وأنتَ مذمّمُ ... عجَباً لذاك وأنتُما من عُودِ

فلربَّ عودٍ قد يُشَقّ لمسجِدٍ ... نصفٌ وسائرُه لحشِّ يهودِ[(٢)]

وقال الموسوي:

تفرّدَ بالعَلْياءِ عنْ أهلِ بيتِه ... وكلٌّ يُهَدّيه إلى المَجْد والدُ

وتختلفُ الأثمارُ في شَجَراتِها ... إذا شرِقَتْ بالماءِ والماءُ واحِدُ

وقال السيد الحميري:

فإن قلتُم أبونا عبْدُ شمسٍ ... فإن الزنجَ من أولادِ نُوحِ

هما عِرْقان من أصلٍ جميعاً ... ولكنْ ليس نبْعٌ مثْل شيحِ[(٣)]

وقال أبو العواذل:

عليّ وعبدُ الله ينميهُما أبٌ ... وشتّان ما بينَ الطبائعِ والفِعْلِ

ألم ترَ عبدَ الله يلحَى على النّدى ... علياً ويلحَاه عليّ على البخْلِ[(٤)]

وقال رجلٌ لأخيه لأهجونّك، فقال: كيفَ تهجوني وأنا أخوك لأبيك وأمك. **فقال**:

غلام أتاه اللؤمُ من شطْرِ نفسِه ... ولم يأتِه من شطْرِ أم ولا أبِ

● **عذرُ من صارَمَ أخاه وباعَدَهُ وجفاه**

كتب الفضل بن سهل إلى المأمون أمابعد فإن المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة فقد فرق كتاب الله بينهما، فيما اقتص علينا من نبأ نوح، قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح. فلا صلة لأحد في معصية الله ولا قطيعة ما كانت القطيعة في ذات الله والسلام وقيل لأعرابي لم تقطع أخاك شقيقك، **فقال**: أنا أقطع الفاسد من جسدي الذي هو أقرب إليّ منه فكيف لا أقطعه إذا فسد.

---

(١) **المناكب**: جمع منكب وهو مجتمع رأس الكتف والعضد. وهنا بمعنى الأعضاء الأطراف.

(٢) **حش اليهود**: الحش: القطع، وفي المثل أحشك وتروثني أي ألقي عليك حشيشاً وتلقي علي روثاً.

(٣) **النبع**: شجر تتخذ منه القسيّ ومن أغصانه السهام ـ **الشيح**: نبات طيب الرائحة.

(٤) **لحى يلحى**: يلوم ـ **الندى**: الكرم.

● **وصفُ أخوة متفاوتةٍ في الخُلقة**

قال مخنث لأبي عباد وكان قبيحاً ومعه أخ صبيح: ما أمّك إلا شجرة البلوط تحمل سنة بلوطاً وسنة عفصاً، أخذه ابن طباطبا **فقال**:

أمّ أبي عيسى وإسحاق غدَت مرتهنَه ... بصورة قبيحَه جداً وأخرى حَسَنَه
متى تسَلْ عن قصة إبنيْها تقُلْ يا ابنِ هنَه ... أنا التي تشبهها البلوطةُ الممتَحَنَه
تحملُ بلُوطاً سنَةً ... وتحمِل العَفْصَ سنَه
لقَدْ أتَتْ بحُجَّة ... لله درّ الفَطِنَه

وقال آخر:

أما رأيتَ بني بدْر وقد حفلُوا ... كأنهم خبزُ بقال وكتّابِ
هذا طويلٌ وهذا حنبل جحْدٌ ... يمشونَ خلْفَ عميرٍ صاحِبِ البابِ(١)

● **ما يجبُ أن يكونَ عليْه فضلاءُ الأقارِب**

قال عبد الملك لغيلان: أخبرني عن أفضل البنين، **فقال**: السار البار المأمون منه العار. **قال**: فأفضل البنات، **قال**: المتعجلة إلى القبر المفيدة أباها سنا الأجر. **قال**: فأفضل الإخوان، **قال**: الشديد العضد الكريم المشهد الذي إذا شهد سرّك وإذا غاب برّك. **قال**: فأفضل الأخوات، **قال**: التي لا تفضح أخاها ولا تكسو عاراً أباها. فقال عبد الملك: للّهِ أم درّت عليك.

● **فضيلة الخؤولة وكونُها كالأبوة**

يُروى أن **الأسود ابن وهب** خال رسول الله ﷺ استأذن عليه فبسط له رداءه، فقال الأسود: حسبي أن أجلس على ما أنت عليه، فقال ﷺ: اجلس فإن الخال والد، فأجلسه عليه.

وقال عمر رضي الله عنه: لئن بقيت لأسوّينّ بين طرفي رسول الله ﷺ حتى إذا **قيل**: بنو هاشم **قيل**: بنو زهرة، فإن الله اختارهم له من قبل أمه كما اختار بني هاشم من قبل أبيه.

وقال الحجّاج لابن معمر إنك تزعم أن الحسن والحسين رضي الله عنهما ابنا رسول الله ﷺ، **قال**: نعم، **قال**: والله لأقتلنك. فقال ابن معمر: أليس الله يقول ومن ذريته داود وسليمان إلى قوله وزكريا ويحيى وعيسى وإنما عيسى ابن مريم ابن بنت، **فقال**: نجوت.

● **ذمُ الخؤولةِ وإنّها ليسَتْ بنسَب**

قال حسّان بن وعْلة:

إذا كنتَ في سعْد وأمُك منهمُ ... غريباً فلا يغرزك خالُك من سعْدِ

---

(١) **الحنبل**: القصير الضخم البطن ـ **جحد**: قليل الخير.

فإنّ ابنَ أختِ القومِ مصغٍ إناءه إذا لم تزاحم خاله بأبٍ جلْدِ[1]

وتقدم شاب إلى عبد الله بن الحسين فقال: إن جدّي أوصى بثلث ماله لو لَد ولده وأنا من ولد بنته والوصي ليس يعطيني منه، فقال: لاحق لك فيه، أما سمعت قول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا وبناتُنا بنوهُنّ أبناءُ الرّجال الأباعِدِ

● **المدّعي قرابة بعيدة**

قال رجل لآخر: لست ترعى حقى وبيننا قرابة **فقال** من أين؟ **قال**: إن أباك كان قد خطب أمي فلو تم الأمر لكنت أنا أنت، **فقال** هذه والله رحم ماسة.

وتعرض رجل لهشام وادعى أنه أخوه، فسأله من أين ذلك؟ قال من الأم فأمر بأن يعطى درهماً، **فقال**: لا يعطى مثلك درهماً، **فقال**: لو قسمت ما في بيت المال على القرابة التي ادعيتها لم ينلك إلا دون ذلك.

وقال ابن مقرع في زياد:

وأشهد أن آلكَ في قُريشٍ كآل السقْب من ولدِ الحمارِ

وفي شعر آخر:

كآل السقبِ من آلِ النّعام

---

(١) **الجلد**: القوي الشديد على المكروه ـ **السقب**: ولد الناقة.

في الشكر والمدح والحمد والذم والاغتياب والأدعية والتهنئة والهدية والمرض

(١)

فمما جاء في الشكر

●

● حقيقةُ الشكر

قيل: الشكر ثلاثة: شكر لمن فوقك بالطاعة قال الله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾[١]، ولمن فوقك بالإفضال قال الله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[٢]، ولنظيرك بالمكافأة[٣] قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[٤]

وقيل: الشكر ثلاث منازل، ضمير القلب وثناء اللسان والمكافأة بالفعل. وقال عمر بن عبد العزيز: ذكر النعم شكر.

● إيجابُ الشكر

قال النبي ﷺ: من كان عليه يد فليكافأ عليها فإن لم يفعل فليثنين عليه فإن لم يفعل فقد كفر النعمة. وقيل: إذا قصرت يدك بالمكافأة فليطل لسانك بالشكر.

قال شاعر:

أعليّ لومٌ إن مدحتُ معاشراً ... خطبوا إلى المدْحَ بالأموالِ[٥]
يَتَزَحْزحون إذا رأوني مقبِلاً ... عن كلِّ متكامِنِ الإجلالِ

● ذمّ الكفران

خطب نصر بن سيار فقال: قال النبي ﷺ من أنعم على قوم فلم يشكروه فدعا الله

---

(١) القرآن الكريم: سبأ/ ١٣.
(٢) القرآن الكريم: التغابن/ ١٧.
(٣) القرآن الكريم: النساء/ ٨٦.
(٤) خطبوا: حققوا، وصلوا إلى.
(٥) القرآن الكريم: إبراهيم/ ٧.

عليهم استجيب له فيهم، اللهم إني قد أحسنت إلى آل سام فلم يشكروه اللهم فاذقهم حر الحديد فما دار عليهم الحول حتى قتلوا جميعاً. وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[1] إذا قلّ الشكر حسن المن. روي عن النبي ﷺ أنه قال لعن الله قاطعي سبل المعروف فقيل: من هم؟ قال: من أزهد في المعروف لكفران النعمة.

● **الحثّ على استزادة النّعمة وارتباطها بالشكر**

قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[2] وقال عمر رضي الله عنه: أهل الشكر في مزيد من الله تعالى لهذه الآية، **قيل:** لا زوال للنعمة إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت. الشكر نسيم النعم، النعمة وحشية فاشكلوها بالشكر.

وقال النبي ﷺ: أوطد الناس نعمة أشدهم شكراً، وقال النبي ﷺ: أشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك فإنه لا زوال للنعمة إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت وإذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة.

وقال ابن المقفع: استوثقوا عز النعم بالشكر. **وقيل:** النعم إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت. قال ابن سقلاب: رأيت البحتري فقلت ما خبرك فأنشد بديهة:

يـزيـدُ تـفـضـلاً وأزيـدُ شـكـراً ... وذلـكَ دأبُـه أبـداً ودأبـي

● **الحثُّ عن الإسداء إلى من لا يشكر**

قال عمرو بن مسعدة قيل: لا تصحب من يكون استمتاعه بما لك وجاهك أكثر من امتاعه لك بشكر لسانه وفوائد عمله. **وقيل:** اصنع المعروف إلى من يشكره ويذكره واطلبه ممن ينساه.

● **من تكفّلَ لمسترفده بشكرِه**

قال دعبل:

لأشكرنَ لنوحٍ فضلَ نعمَته ... شكراً تصادرُ عنه ألسنُ العَرَبِ

وقال البحتري:

فإن أنا لم أشكُرك نعماكَ جاهداً ... فلا نلتُ نعْمى بعدَها توجِبُ الشُّكرَا

وقال عمارة بن عقيل:

فلأشكرنك بالذي أوليتَني ... ما بلَ ريقي للكلامِ لِسَاني

وقال أبو تمّام:

لئن جحدتُك ما أوليتَ من حسنٍ ... إنّي لفي اللؤمِ أحظَى منكَ في الكَرَمِ

---

(١) **القرآن الكريم:** إبراهيم/٧.

(٢) **القرآن الكريم:** الزمر/٧.

ولبعض المتأخرين:

لأملأنّ لسانَ الشّكر فيك فقَدْ ... أطلقته بفَعالٍ مِلْؤهُ كَرَمُ

● **من لم يردعْه خوفه عن شكر المحسِن إليه**

بعث المنصور إلى شيخ من بطانة هشام فاستحضره وسأله عن تدبير هشام وأحواله، فأقبل الشيخ يقول: فعل رحمه الله، وقال: يوم كذا رحمه الله، فقال المنصور قبّحك الله أتطأ بساطي وتترحّم على عدوّي، فقال الشيخ: إن نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها إلاّ غاسلي، فقال المنصور: ارجع إلى حديثك فإني أشهد أنك غرس شريف وابن حرة.

ولما قتل مسلمة بن عبد الملك يزيد بن المهلب أمر بأن يحضر الشعراء ليقولوا في ذلك، فلم يألوا أن ذكروه بأقبح ما قدروا عليه ما خلا رجلاً من بني دامر فإنه قال: لا أذم رجلاً لا أملك ربعاً ولا مالاً ولا أثاثاً إلا منه ولو قطعت إرباً إرباً، ولقد رثيته بأحسن ما يرثى به رجل، فأنشد أبياتاً رائعة فجزاه سليمان خيراً، وقال: إذا اصطنع فليصطنع مثل هذا.

● **المظْهِرُ عجزَه عن شكرِ المُنعِم عليه**

قال أبو الوفاء:

أيادي لا أستطيعُ كنْهَ صفاتِها ... ولو أن أعضَائي جَميعاً تكلّمُ

وقال بعضهم:

شُكري لا يقعُ من نعمِهِ المتظاهرَه ... موقعَ النقْطة منَ الدائرَه

وقال شاعر:

ولو أنّ لي في كُلّ منبت شعرةٍ ... لِساناً يبثّ الشكرَ فيك لقصّرا

وقال آخر:

وأسكتني نُعْمى كأنّي مفحَمٌ ... ولم أرَ مَثلي مفحَماً وهو مَقولُ(١)

وقال آخر:

أيادي منهم ليس يبلغُها الشّكْر

وقال الغسّاني:

أثقلتُ بالشكْر كلّ عافٍ ... فراقب الله في الرّقابِ(٢)

وقال آخر:

ما زِلْتَ تُحْسِنُ ثمّ تحسن عائداً ... وأعودُ شاكرَ نعْمَةٍ فتعودُ
فتزيدُني نِعماً وأشكُرُ جاهِداً ... فكذاك نحْنُ تزيدُني وأزيدُ

---

(١) المفحم: المسكِت. (٢) الرقاب: العبيد.

وقال آخر:

فإن يكُ أربَى عفوُ شكرِك عن يَدِي ... أناسٌ فقد أربى نِداه على شُكْري[1]

● **المستنكِف آلاء معطيهِ عجزاً عن شكْره**

وقال المتنبي:

ولـم نـمـلَـل تـفـقـدَك الـموالـي ... ولـم نَـذْمُـم أيـاديَـك الـجِـسـامـا

ولـكـن الـغـيـوثَ إذا تـوالَـت ... بـأرضِ مـسـافـرٍ كـرِهَ الـغـمـامـا

وقال محمد بن أبي عمران:

رويـدَك لا تـعـنـفْ عـليَّ واعـفِـني ... على حسب أقضي ما أطيقُ من الشكرِ

وقد أجاد أبو نواس في هذا المعنى:

أنـتَ امـرؤٌ جَـلَّـلْـتَـنـي نِـعَـمَـا ... أوهَـتْ قـوى شُـكْـري فـقَـدْ ضـعُـفـا

لا تـسْـديَـنَّ إلـيّ عـارفَـة ... حتّى أقومَ بشكر ما سَلُفا[2]

وقد أبدع البحتري في هذا المعنى، حيث يقول:

أخـجـلـتَـنـي بـنـدى يـدِي وسـوَّدَتْ ... مـا بـيـنَـنـا تـلـكَ الـيـدُ الـبـيـضـاءُ

وقـطـعـتَـنـي بـالـجـودِ حـتّى إنّني ... مـتـخـوِّفٌ أن لا يـكـونَ لـقـاءُ

وله أيضاً:

أيها أبا الفضل شكري منك في نَصَب ... أقصَر فمالي في جَدْواك من أرَب[3]

لا أقـبَـل الـدّهْـرَ نـيْـلاً لا يـقـومُ لـه ... شـكْـري ولـو كـانَ مـسْـديـهِ إلـى أبـي

وقال العثماني في الصاحب:

وفـدْنـا لـنَـشْـكُـرَ كـافـي الـكُـفـاة ... ونـسـألُـه الـكـفَّ عـن بِـرِّنـا[4]

فقال العلوي قد كفيت فإن الصاحب صار لا يعطي شيئاً.

● **مَن لا يُخفي أياديه**

أياد تتضوع ونعم تسطع وآلاء تتطلع.

قال الشمردلي:

أياديكَ لا تـخـفَـى مواقـعُ صوبِـهـا ... فتعفُو إذا ما ضُيّعَ الحمدُ والشكْرُ

وهل تستطيعُ الأرض من بعْدما انطوَتْ ... عـلـى ريِّـهـا إنـكـارَ مَـا فَـعَـل الـقَـطْـرُ

---

(١) أربى: زاد.

(٢) العارفة: العطية.

(٣) عيش ناصب: أي فيه كدّ وجهد ـ أرب: غاية وهدف.

(٤) برّنا: الإحسان إلينا.

وقال نصيب:

فعاجُوا فأثنَوا بالذي أنتَ أهلُه ... ولو سكتُوا أثنَتْ عليْك الحقائِبُ[1]

وقال آخر:

هبِ الرّوضَ لا يُثني على الغيث نشرُه ... أمنظره تخفَى مآثرُه الحسْنا

وقال أبو الحسين الحسني:

وكيْفَ بكفرانِي صنائعهُ التي ... إذا جُحِدَتْ يوماً أقرّ بها جِلْدي

● ذكرُ الحالِ بأنها منبئةٌ عن المقال

في المثل: لسان الحال أفصح من لسان الشكر. وقال الجاحظ: نحن نزخرف باللسان والناس يقضون بالعيان وفي أمرنا أثر ينطق عنا ويتكلم إذا سكتنا.

وقال الموسوي:

وإذا سكَتُّ فإنّ أنطقَ من فمِي ... عنّي يدُ المَعْروف والإحْسانِ

● المسلف شكرَه قبلَ النعم

وقال محمد بن عمران:

شَكَرْتُك قبْلَ الخير أن كنتُ واثِقاً ... بأنّي بَعْدَ الخيرِ لا شكّ شاكِرُ

الناشيء

● عتبك مَنْ شكرتَه ولما يستوجب

وقال مسلم:

فما مِن يدٍ قدّمْتُهَا كُنتُ مثْنياً ... عليكَ ولكِنّي هززتُك للمَجْدِ

وإن شئتَ ألقيتُ التفاضُلَ بيننا ... وقُلنا جميلاً واقتصرْنا على الحَمْدِ

وقال آخر:

وشُكرُ الفتى من غيرِ عرفٍ ولا يدٍ ... ولا منّةٍ توليه هزةَ عَاتِبِ[2]

وقال الصاحب:

وإذا الصّديق أدامَ شكْري للّتي ... لم آتِها إلاّ على التّقْديرِ

أيقنتُ أن العتْبَ باطنُ أمرِهِ ... فسكَتُّ مختَشِماً على التقصيرِ

وقال آخر:

إذا ما المدْحُ صارَ بِلا ثَوابٍ ... من الممدوحِ كانَ هو الهِجَاء

---

(١) عاجوا: رجعوا ومالوا ـ الحقائب: العطايا.

(٢) عرف: اعتراف ـ عاتب: لائم.

وقال دعبل:

لا يقبلونَ الشكْرَ ما لم ينْعموا نعَماً يكون لها الثَّناءُ تَبيعَا

وقيل: من رضي بالثناء قبل الاستحقاق تبين ضعف عقله.

● الحثُ على الشكر بقدر الاستحقاق

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه الثناء من غير الاستحقاق ملق[1] والتقصير عن الاستحقاق عيٌ وحسد. وقال رجل لابن الأعرابي: إن نصيباً يقول إنما تمدح الرجال على قد ثوابها، فقال: إن العرب تقول: على قدر ريحكم تمطرون.

● شكرُ مَن همَّ بإحسانٍ وإن لم يفعله

من لم يشكر على حسن النية على إسداء العطية، وكتب الصاحب: إن شكرت فاشكر النية لا العطية، قال شاعر:

لأشكُرنَّك معْروفاً همَمْتَ بهِ إن اهتمامَك بالمعروفِ معْروفُ

ولا أذمّك إن لم يمْضهِ قدرٌ فالشيءُ بالقدَرِ المحتومِ مصْروفُ

● ثقلُ الحمْدِ وتفضيله على الرفْد

قال محمود:

فما بلَغَتْ أيدي المنيلينَ بسطةً من الطولِ إلا بسطةُ الشكْرِ أطولُ

ولا رَجَحتْ في الوزنِ يوماً صنيعةٌ على المرءِ إلا منّة الشكْرِ أثقلُ

وقال آخر:

تَبهج لي بعُرفٍ تشتَريهِ بشكْرِكَ أنه بالشكْرِ غالِ

وقال أبو تمّام:

والحمدُ شهدٌ لا ترى مشتارَه يجْنيهِ إلا مِنْ نَقيعِ الحَنظَلِ[2]

غلٌ لِحامِلِه ويحْسَبُه الذي لم يوهِ عاتقَه خفيفَ المَحْمَلِ[3]

ومن باب ثقل الشكر ما روى عن بعض الصالحين، وقد قيل له: مالك لا تطلب الدنيا، فقال: مَن خاف السؤال عن الشكر طابت نفسه عن المال.

● المستغْني عن رفدِ من استغنى عن الشكر

قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

لَئِنْ طبْتَ نفساً عن ثَنائي إنني لأَطيبُ نفساً عن نداكَ على عُسْري

---

(١) الملق: التودد باللسان. (٢) مشتاره: اشتار العسل: جناه. (٣) يوهي: يثقل ويضعف.

وقال أبو العتاهية:

ما فاتني خيرُ امرئٍ وضعتْ عني يداهُ مؤونةَ الشكرِ

● ذمُّ من كفر نعمةً

قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾[1] وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[2] وقيل: من لم يشكر الناس لم يشكره الله، وأخذه البحتري فقال:

فمَن لا يؤدي شُكرَ نعمةِ خلّه فأنى يؤدي شكرَ نِعمة ربّه

وقال النبي ﷺ: إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة قال لعبد هل شكرت فلاناً فيقول: يا رب علمت أنك المنعم فشكرتك، فيقول الله تعالى: لم تشكرني إذا لم تشكر من أجريت ذلك على يده. وقيل: إذا وقع الكفر وجب المن.

وقال الخبزارزي:

منْ لَمْ يُلاقِ كراماتِ الرجالِ لهُ بالشكْرِ أصبحَ في طرقِ الهوانِ لقى[3]

وقال أبو تمام:

شرُ الأوائلِ والأواخرِ ذِمّةً لم تُصطَنعِ وصَنيعةً لم تُشكَرِ

وقيل: هو أكثر من ناشرة، وكان قد أخذه همام بن مرة من أمه وأرادت أن تئده فلما بلغ سعى في قتل همام، وقيل: من لم يحمد صاحبه على حسن العطية كيف يحمد على حسن النية.

(٢)

ومما جاءَ في المدحِ ومستحقيه والهجوِ وذويه

●

● وصف الثناء بالبقاء والترغيب فيه

فُسر قول الله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾[4] بأنه الثناء الحسن، وقال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[5] أي يقال له هذا أطول الناس عمراً أعمهم بالخير ذكراً، في الثناء الباقي على الدهر خلف من نفاد العمر. وقال الأسدي:

وإني أحبُ الخلْدَ لو أستطيعهُ وكالخلدِ عندي أن أبيتَ ولم أُلَمْ

(١) القرآن الكريم: عبس/ ١٧.
(٢) القرآن الكريم: سبأ/ ١٣.
(٣) لَقى: مطروح.
(٤) القرآن الكريم: الشعراء/ ٨٤.
(٥) القرآن الكريم: الصافات/ ١٠٩.

وقال آخر:

وبقاءُ الذكْرُ في الأحياءِ للأمواتِ عُمْرُ

وقال الروم: ما فني من بقي ذكره. وقيل لبزرجمهر حين كان يقتل: تكلم بكلام نذكره، فقال: الكلام كثير ولكن إن أمكنك أن تكون حديثاً حسناً فافعل.

قال شاعر في معناه:

وكُنْ أحدوثَةً حسُنَت فإني ... رأيتُ الناسَ كلّهم حَديثا

وقال آخر

أرى الناسَ أحدوثةً ... فكُوني حَديثاً حَسَن

ولما جعل ابن الزيات في التنور، قال له خادمه: يا سيدي قد صرت إلى ما صرت وليس لك حامد. قال: وما نفع البرامكة صنيعهم. قال: ذكرك لهم الساعة. فقال: صدقت وقال:

حبُ الثناءِ طبيعَةُ الإنسانِ

- **التحذيرُ من ألسنةِ الشعراء وذمِّهم**

قيل: اتقوا ألسنة الشعراء فإنها سمة لائحة، وأنشد:

وللشعراءِ ألسنَةٌ حِدادُ ... على العوراتِ موفيةٌ دلِيلَه

إذا وضِعَت مكاويهم عَليها ... وإن كذبوا فليسَ لَهن حيله

ومن عقل الفتى أن يَتّقِيهم ... ويَدفعهمْ مدافَعَة جميلَه

- **فضلُ الشكر على الوفر والحمْد على الرِّفْد**

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنة هرم: ما وهب أبوك لزهير فقالت أموالاً فنيت وأثواباً بليت وأشياء انتسيت، فقال عمر رضي الله عنه: لكن ما أعطاكموه زهير لا يفنى ولا ينسى وكتب أرسطوطاليس إلى الإسكندر أن كل عقيلة يأتي عليه الدهر فيخلق أثره ويميت ذكره إلا ما رسخ في القلوب من الذكر الحسن يتوارثه الأعقاب.

- **التخويفُ من فعْلٍ يورثُ قبْح الذكر**

قال بعضهم: فلان حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث في غد.

قال عوف بن محلم:

فتى يَتقي أن يخْدُشَ الذمُّ عِرْضَه ... ولا يَتّقي حدَ السيوفِ البواتِرِ

وقال أبو لحاد:

حذارِ الأحاديثَ التي يومَ غيّها ... عَقدنَ بأعناقِ الرجالِ المَخازيا(١)

---

(١) غيٍ: ضلال ـ المخازي: العار والذلّ.

● **حثّ محِبّ الحمْد على أسداء النعَم**

قال حكيم: من أحب الثناء فليصبر على بذل العطاء وليوطن نفسه على الحقوق المرةِ على احتمال المؤونة.

وقال شاعر:

ما أُعلم النّاسُ أن الجودَ مكْسبَةٌ ... للحمدِ لكنّه يأتي على النَّشَبِ[1]

وقال:

أي أحـدوثـةٍ تـجـب فـكـنـهـا

● **فضلُ استقبالِ الإنسان بممادحِه**

خياركم من ملئت مسامعه من حسن الثناء وهو يسمع وشراركم من ملئت مسامعه من قبح الثناء وهو يحذر. وقال خالد بن سالم دخلت عليَّ أسامة بن زيد فأثنى عليّ ثناء حسناً، ثم قال لي: إنما حملني على أن أمدحك وجهك لأني سمعت النبي ﷺ يقول: إذا مدح الإنسان في وجهه ربا الإيمان في قلبه، وقال رجل لرسول الله ﷺ: إني أحب أن أمدح، **فقال**: وما عليك أن تعيش حميداً وتموت فقيداً. وروي عنه ﷺ أنه **قال**: ما أحد أحب إليه المدح من الله عزّ وجلّ فقد مدح نفسه وأمر العباد بمدحه.

● **كراهية ذلك**

سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على آخر **فقال**: **قطعت مطاه**[2] لو سمع ما أفلح. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: المدح ذبح. وقيل إن الإطراء يدعو إلى الغفلة. ولما جرح عمر رضي الله تعالى عنه أثنى عليه الناس، **فقال**: المغرور من غررتموه لو أن لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع. **وقيل**: استحياء الكريم من المدح أكثر من استحياء اللئيم من الذم. وأثنى رجل على هشام بن عبد الملك **فقال**: إنا نكره المدح، **فقال**: لست أمدحك ولكني أحمد الله فيك.

● **استحسانُ المدْح بينَ الإخوان واستقباحُه**

قيل: إذا قدم الإخاء سمج الثناء.

قال كشاجم:

ومُسْتهجِنٍ مدْحي لَهُ إن تأكدت ... لنا عقدُ الإخلاصِ والحَقّ يمْدحُ

وما بي الذي في القلْبِ إلا تبيّناً ... وكلُّ إناءٍ بالذِي فيهِ يرْشَحُ[3]

---

(١) النشب: المال الأصيل. (٢) مطاه: ظهره.

(٣) يرشح: رشح الإناء تحلّب منه الماء والجسَدُ عرق، وفي رواية: ينضح في موضع يرشح.

● التحذيرُ ممّن يمدحُك في وجهِك تصنّعاً

قيل: أعوذ بالله من صديق يطري وجليس يغري. وكان رجل يكثر الثناء على أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه، وعلم من قلبه خلاف قوله، **فقال له**: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك. **قال الجاحظ**: شر الشكر ثناء المواجه لك المسرف في مدحك وخيره ثناء الغائب عنك المقتصد في وصفك.

وصف **العتابي** رجلاً بالمداهنة، **فقال**: ذلك إن وجد مادحاً مدح وإن وجد قادحاً قدح وإن استودع سراً افتضح.

قال أبو فراس:

ولا تَقْبلنَّ القول من كلِ قائلٍ   سأرضيك مرأى لست أرضِيك مسْمَعا

● التحذيرُ ممّن يتجاوزُ الحدّ في مدْحكَ

قيل: كن ممن أفرط في تزكيتك أحذر ممن أفرط في الزراية بك. **وقيل**: من مدح الرجل بما ليس فيه فقد بالغ في ذمه. **وفي المثل**: من حفنا أو رفنا فليقتصد. **وقيل**: من أحب أن يمدح بما ليس فيه استهدف للسخرية.

● من وضعَ نفْسه وكرهَ الثناء

لما ولي أبو بكر رضي الله عنه خطب **فقال**: إني وليتكم ولست بخيركم فلما بلغ الحسن قوله **قال**: بلى ولكن المؤمن يهضم نفسه. وقال الفضيل: لو شممتم رائحة الذنوب مني ما قربتموني، وأثنى على زاهد **فقال**: لو عرفت مني ما عرفت من نفسي لأبغضتني.

قال المتنبي:

يحدّث عن فضلِه مُكرهاً   كأنّ له منه قلْباً حَسوداً[1]

● ما يقول الفاضل عند مدح الناس له

كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يقول إذا مدح: اللهم أنت أعلم مني بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون. وقيل لأعرابي: ما أحسن الثناء عليك، **فقال**: بلاء الله عندي أحسن من وصف المادحين وإن أحسنوا وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الذامين وإن أكثروا.

● النهيُ عن المدْح قبلَ الاختبار

قيل: لا تهرف قبل أن تعرف. **وقيل**: لا تحمدنَّ أمَة عام شرائها ولا حرة قبل بنائها. وقال رجل لعمر رضي الله عنه: إن فلاناً رجل صدق **فقال**: هل سافرت معه أو ائتمنته، قال

---

(١) أي لأنه لا يحب نشر فضائله بين الناس، كما لا يحب الحاسد نشر فضائل المحسود.

لا فقال: إذاً لا تمدحه فلا علم لك به لعلك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد[١]

● **عتب من يمدحُ نفسه**

قيل: خطب معاوية خطبة حسنة **فقال**: هل من خلل **فقال** رجل: من عرض الناس خلل كخلل المنخل فاستدعاه، وقال: ما ذاك الخلل **فقال**: إعجابك به ومدحك له. وقيل لحكيم: ما الذي لا يحسن وإن كان حقاً قال مدح الرجل نفسه.

وقال معاوية لرجل: من سيد قومك **فقال**: أنا، **فقال** له: لو كنت كذلك لم تقله. وسئل الشاعر الأهوازي كيف أصبحت؟ **فقال**: أصبحت والله أظرف الناس وأشعر الناس وآدب الناس، **فقال** السائل: اسكت حتى يقول الناس ذلك، **فقال**: أنا منذ ثلاثين سنة انتظر الناس وليسوا يقولون ومدح أعرابي نفسه فعوتب في ذلك، **فقال**: أكله إليكم إذاً لا تقولون أبداً.

● **الرخصَةُ في ذلك**

قال النبي ﷺ: أنا سيد العرب ولا فخر. وحكى الله تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام أنه قال: إني حفيظ عليم ولم يستقبح ذلك من الشعراء، إذ قالوه نظماً.

● **عذرُ من يحوج إلى مدْح نفسِه ومن عرّض بذلك**

قد أحسن ابن الرومي في ذلك حيث يقول:

وعـزيـزٌ عـلـيّ مـدحـي لِـنَـفـسـي غـيـرَ أنـي جـشـمْـتُـه لـلـدَّلالَـه[٢]
وهـو عـيـبٌ يـكـادُ يـسْـقـط فـيـه كـلُّ حـرّ يـريـد يُـظـهِـرُ حـالَـه

ووصف للمنصور مشير بن ذكوان فأمر بإشخاصه إليه، فلما دخل قال له: أعالم أنت؟ **فقال**: أكره أن أقول نعم وفيه ما فيه أو أقول لا فأكون جاهلاً، فأعجب المنصور بجوابه وألزمه المهدي. وسأل المأمون عبد الله بن طاهر عن ابنه، **فقال** ابني: إن مدحته ذممته وإن ذممته ظلمته إلا أنه نعم الخلف لسيده من عبده إذا اخترمته منيته

● **من عجزَ الشعراءُ عن استيعابِ مدْحه**

قال المالكي:

جَـهـدتُ ولـم أبـلُـغ مـداكَ بـمِـدْحـةٍ وليسَ مع التقْصِيرِ عنْدي سِوى العُذرِ

وفي شعر آخر:

وليسَ على منْ كانَ مجْتهداً عتَبُ

---

(١) يرفع رأسه ويخفضه في المسجد أي لا يعني أنه يقول الصدق.
(٢) جشمته: تكلّفته.

وقال آخر:

يـزيـدُ عـلـى شَـأوي زيـادٌ وجَـرولٌ ... وقد غودرَ ابنُ العبْدِ في نظْمهِ عَبدي

وقال أشجع:

مـدحْـنَـاهُـمَ فـلـم نُـدرِك بـمـدحٍ ... مـآثِـرَهـم ولـم نـشْـرُكْ مَـقـالا

وقال المتنبي:

وقد وجدتُ مكانَ القولِ ذا سَعَةٍ ... فإن وجدْتَ لِساناً قائِلاً فَقُلْ[1]

وقال ابن الحجّاج:

هو البحرُ إن حدثْت عَنِ معجزاتِه ... ضَعُفَت عن استغراقِ تلكَ العَجائِب

وإنْ رامَ شِعري بأنْ يحيط بوصْفِهِ ... أحاطَ بشعْري العجزُ من كلِّ جانِبِ

● من كثرَتْ ممادحُه سهلَ الشعر على مادحه

قيل للفرزدق: أحسن الكميت في الهاشميات، فقال: وجد آجراً وجصّاً فبنى. كتب بعضهم: فتحت شيمه على المداح مستغلقات الكلام. وقال آخر: جود آل المهلب تراهم أهدافاً للمديح.

قال أحمد بن أبي طاهر:

إذا نَحْنُ حِكْنا الشعرَ فيكَ تَسَهَّلَتْ ... عليْنا معانيه وذلّتْ صِعابُها

فما انتظَمَتْ إلا عليْكَ عقودُها ... وما انتَشَرتْ إلا عليْكَ ثِيابُها

وقال ابن الرومي:

كرمتُمْ فجاشَ المفْحمونَ لمدحِكمْ ... إذا رجزوا فيكُم أبيتُم فقصّدُوا[2]

كما أزهرتْ جنّاتُ عدنٍ وأثمرتْ ... فأضحتْ وعجْمُ الطيرِ فيها تغرّدُ

وله:

عجبتُ لمن يهديه للشعرِ مذحكُم ... وتُنْطقُه أيامُكم وهو مفْحَمُ

وقال نصيب الأصغر:

ما لقينا من جودِ فضْلِ بن يَحيى ... تَـرَكَ الـنّـاسَ كُـلّـهـم شُـعـراء

فأجمعوا على جودته، وأنه لا عيب فيه إلا أنه منفرد. ولعابدة المهلبية:

فَـيـا يَـومـاً أديـلَ الـمَـوت فـيـه ... وقـالَ الـسّـيفَ لـلـشعـراءِ قُـولـوا

---

(١) يقول: إنّ دواعي مدحه كثيرة، وإنما ينقصها لسان يقوم بتعدادها.

(٢) المفحمون: جمع مفحم، وهو من لا يقدر أن يقول الشعر.

- **من أحيا بأفضالِه طريقةَ الشعر.**

قال أبو تمّام:

مـلـك إذا مـا الـشِّـعْـرُ حـارَ بـبـلـدةٍ ... كـان الـطـريـقَ لـطـرفِـهِ الـمـتـحـيِّـرِ[١]

وله:

وحـيـاةُ الـقـريـضِ إحـيـاؤك الـجـو ... دَ فـإنْ مـاتَ الـجـودُ مـاتَ الـقـريـضُ

وقال المتنبي:

يا أيها المحسنُ المشكورُ من جهَتي ... والشكْرُ من قبلِ الإحسانِ لا قِبَلي

وقالت عابدة المهلبية:

إلـيَّ إلـيَّ أيـتُـهـا الـقـوافـي ... سَيُغْلِي مهرك الملِكُ الجليلُ

ويُروى للخوارزمي:

خذي ثأرَ الكسادِ منَ الليالي ... لـكُـل صـنـاعـةٍ يـومـاً مـديـلُ[٢]

وقيل لذي الرمّة: لِم خصصت بلالاً بمدحك؟ **قال:** لأنه وطأ مضجعي وأكرم مجلسي فاستولى بذلك على شكري ومدحي.

- **المستفادُ منه ما يمدَحُ به**

قال أحمد بن إسماعيل:

وإني وإنْ أحسنْتُ في القَوْلِ مرةً ... فمنكَ ومنْ إحسانِكَ امتارَها جِسْمي[٣]

وقال آخر:

تـعـلَّـمْـتُ مـمّـا قـلْـتَـه وفـعـلْـتَـه ... فـأهـديتُ حُـلـواً مـن جـنـايَ لِـغـارِس

وقال ابن طباطبا:

لا تـنـكـرنَّ إهـداءَنـا لـك مَـنـطـقـاً ... مـنـك اسـتـفـدنـا حُـسْـنَـه ونـظَـامَـه

والله عـزَّ وجـلَّ يـشـكـرُ فِـعـلَ مَـنْ ... يـتـلـو عـلـيـه وحْـيَـهُ وكـلامَـه

وقال آخر:

إن جدَّ معنى فمنْ جذْواه مغتَصَرُ ... أو جلّ لفظاً فمِنْ عَلياه مَهْتَصَرُ[٤]

- **المعني بكلّ مدحٍ حسَن**

متَى ما أقل في آخرِ الدهرِ مِدحَةً ... فـمـا هـيَ إلا فـي لَـيـالـي الـمُـكْـرم

---

(١) **الطرف:** العين والنظر.

(٢) **مديل:** دال، انقلب من حال إلى حال.

(٣) **امتارها:** جمعها، انتزعها.

(٤) **مهتصر:** مأخوذ بشدة.

قال المتنبي:

فظنوني مدحتهم كثيراً ... وأنت بما مدحتهم مُرادي

● **من يليق به مدحه**

قال المتنبي:

وأصبحَ شعْري مِنهما في مَكانه ... وفي عُنُقِ الحَسْناءِ يستحْسنَ العِقْدُ

وقال ابن الرومي:

خذها هدياً ولم أنكحكها عَزبا ... يا ابنَ الوزير وكمْ أنكحْت من عزبِ

وقال عليّ بن عبد العزيز:

وأرَى المديحَ إذا عَداكَ نقيصَة ... فأعافُه ولو أنَّه في حاتِم[1]

فإذا امتَدحتُ سِواك قالَ الشعرُ لي ... لم ترعَ حَقّي إذ أبحْتَ محارمي

● **من يستطابُ مدْحُه**

قال أبو تمّام:

عذبت مَمادحه بأفواهِ الوَرى ... فَثَناؤه يَنْتَاب كلّ مَكان[2]

وقال المتنبي:

ألذُّ من الصَهْباء بالماءِ ذِكْرُهُ ... وأحْسنُ من يُسْر تَلَقّاهُ مُعْدِمُ

● **المجمعُ على مدْحه**

ذكر أعرابي رجلاً **فقال:** كأن الألسن والقلوب ريضت له فما تعقد إلا على وُدِّه ولا تنطق إلاّ بحمدِه. **وقيل:** غاية المدح أن يمدحك من لا معرفة له بك ضرورة إلى مدحك، وأن يسلفك حسن الثناء من عسى أن لا يصل منك إلى نفع.

وقال البحتري:

وأرَى الخلقَ مجْمِعينَ على فضلِكَ ... من بَينِ سيِّدٍ ومَسودِ

عَرفَ الجاهِلون فضلَكَ با ... لعلم وقالَ الجِهال بالتقليدِ

وقال ابن أبي طاهر:

وما أنا في شكري علياً بِواحدٍ ... ولكنّه في الفَضلِ والجودِ واحدُ

● **من لا يجد أحد عن مدحه محيصاً**

قال أبو عمر: وغاية المدح أن يمدحك من لا يريد مدحك وغاية الذم أن يذمك من

---

(١) **أعافه:** أكرهه وأتركه ـ **حاتم:** أي من باب الإشارة إلى حاتم الطّائي الكريم.

(٢) **ممادحه:** محاسنه ـ **الورى:** الخَلْق، النّاس ـ **الثناء:** المدح.

لا يريد ذمك، وكتب بعضهم: الجاحد فضلك كمن سمى النهار ليلاً والشمسَ ظلاً.

قال ابن الرومي:

يـا مَـنْ إذا قـلْـتَ فِـيـهِ صـالِـحَـةً ... عـنـدَ عـدو أقَـرّ واعْـتَـرفـا

وقال آخر:

ليسَ يستطيعُ أن يقولَ المعادي ... فيكَ إلا الذي يَقولُ المُوالي

وقال السلامي:

فما عَثرتْ لكم تهَمُ الأعادي ... على خَلْقٍ ولا خَلْقٍ قَبيحِ

● من مدحه صدقٌ غير منحول

قال الأحوص:

وما أثني مِنْ خيرٍ عليْكَ فإنّه ... هو الحَقُ معروفاً كما عُرِفَ الفَجْرُ

وقال ابن الرومي:

إذا امتدحُوا لم يُنحلوا مجدَ غيرِهم ... وهلْ يَنحل الأطواقَ وُرْقُ الحمائمِ(١)

وكتب بعضهم: مما يبسط لسان مادحك أمنه من تحمل الإثم فيه وتكذيب السامعين.

● مَن يتزيَّن بممادحه المدْح والمدّاح

قال ابن الرومي:

أنتَ زِنتَ القَلائدَ الزّهرَ قِدْماً ... ضِعفَ ما زانَتِ القلائِدُ جِيدَكْ

وقال الرفاء:

إذا القوافي بذِكْره اشتَملَتْ ... عطّرها ذكْرُه وحلاّها

وقال آخر:

وتزَيّنتْ بصفاته المِدَحُ

وقال آخر:

على تطيبُ بريّاها مدائحُنا ... كالمسكِ تأخذُ منهُ الريحُ أعرافاً(٢)

● المستغني عن المدْح لكثرةِ فضله

كتب بعضهم: إذا أنا تعاطيت مدحك فكالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر وهل يخفى ذلك على الناظر.

---

(١) الوُرق: جمع ورقاء وهي الحمامة التي يميل لونها إلى الخضرة ـ ينحل: ينسب إليه ما ليس له.
(٢) أعراف: جمع عَرْف، الرائحة الطيبة.

قال البحتري:

جلّ عنْ مذْهبِ المديح فقدْ ... كادَ يكونَ المديحُ فيهِ هِجاء[١]

وقال المتنبّي:

تجاوزَ قدْر المَدْحِ حتّى كأنّه ... بأكثر ما يُثنى عليه يُعابُ

● من ذكرَ أن أحداً لا يستغني عن الشكر

وقال شاعر:

فلو كان يَستغني عن الشكْرِ ماجدٌ ... لعزّةُ مُلْكٍ وارتفاع مكَانِ

لما أمرَ اللّهُ العبادَ بشكرِهِ ... فقالَ اشكُروا لي أيّها الثَّقَلانِ[٢]

● مدْحُك محسناً لم ينلك إحسانه

قال أبو تمّام:

وحسْبي أن أطري الحُسامَ إذا مضى ... وإن كان يومُ الروعِ غَيري حَامِلُه[٣]

وقال عمارة بن عقيل:

أرى الناسَ طرّاً حامدينَ لخالدٍ ... وما كلّهم أفضْت إليه صَنائِعهُ

ولن يتركَ الأقوامُ أن يحمدوا الفتى ... إذا كرمتْ أعراقُه وطبائعُه

● المُعتذِرُ إلى رئيس لمدحه غيره

كان ابن الزيات عاتب أبا تمام في مدحه سواه فاعتذر إليه بقوله:

أما القَوافي فقَد عضلت عذرتها ... فما يصابُ دمٌ منها ولا سلبُ[٤]

ولَو منعَتِ مِنَ الأكْفاءِ أيِّمُها ... ولم يكنْ لك في إظهارها أرَبُ[٥]

كانت بنات نصيبِ حينَ ضُنّ بها ... عنِ العوالي ولم تحفَل بها العَرَبُ[٦]

وقال بعض الأكابر لأبي هفان مالك لا تمدحني، فقال:

لِسانُ الشُكرِ تُنطقه العَطايا ... ويخرسُ عند منقَطع النوالِ[٧]

● تبكيتُ من يذمّ من لا يستحق الذم

قام رجل في أيام صفّين إلى معاوية رضي الله عنه، فقال: اصطنعني فقد قصدتك من

---

(١) يقول إنه فوق قدر المدح، فإذا مدحته كنت كأنك تعيبه.

(٢) الثقلان: الإنس والجن.

(٣) اطري: أمدح ـ يوم الروع: يوم الحرب.

(٤) عذرتها: البكارة، الجدة.

(٥) الأيم: من النساء من لا زوج لها. ومن الرجال من لا زوجة له ـ الأرب: الحاجة.

(٦) العوالي: الرماح ـ لم تحفل بها: لم تكترث لها.

(٧) النوال: العطاء.

عند أجبن الناس وأبخلهم وألكنهم، **فقال**: من الذي تعنيه؟ **قال**: علي بن أبي طالب. **فقال**: كذبت يا فاجر. أما الجبن فلم يك قط فيه وأما البخل فلو كان له بيتان بيت من تبر وبيت من تبن لأنفق تبره قبل تبنه، وأما اللكن فما رأيت أحداً يخطب ليس محمداً ﷺ أحسن من عليّ إذا خطب. قم قبّحك الله ومحا اسمه من الديوان.

وقف رجل على شيرويه **فقال**: الحمد لله الذي قتل أبرويز على يديك وملّكك ما كنت أحقّ به منه وأراحنا من عتوّه ونكده، **فقال** للحاجب: احمله إليّ. **فقال** له كم كان رزقك؟ قال: ألفان، **قال**: والآن، **قال**: ما زيد شيء. **قال**: فما دعاك إلى الوقوع فيه وإنما ابتداء نعمتك منه ولم نزد لك. وأمر أن ينزع لسانه من قفاه.

● **بخيلٌ راغبٌ في مدحٍ بلا صِلَة**

قال الغفالي:

عثمانُ يَعلمُ أن المدحَ ذو ثمنٍ　　　لكنّه يبتغي حَمداً بمَجّانِ
والناسُ أكيسُ منْ أن يمْدحوا رجلاً　　　حتّى يَروا عنْده آثارَ إحسانِ

وقال علي بن الجهم:

أردت شُكراً بلا برٍّ ومرزِئَةٍ　　　لقد سلكْت طريقاً غير مَسْلوكِ

وقال البحتري:

خطبَ المديحَ فقلتُ خلِّ طريقَه　　　ليجوزَ عنكَ فلستَ من أكفائِه

أخذه أبو تمّام حيث يقول:

تزحزحي عن طريق المجد يا مُضَرُ

● **عذر من يغتاب مسيئاً**

قال المتوكل لأبي العيناء: إلى كم تمدح الناس وتذمهم؟ **فقال**: ما أحسنوا وأساؤوا، وذلك دأب الله عزّ وجلّ رضي عن عبد فمدحه. وقال: نعم العبد أنه أواب، وغضب على آخر فزناه **فقال**: ويلك وكيف زناه؟ **قال**: إنه قال في الوليد عتل بعد ذلك زنيم، والزنيم هو الداخل في القوم وليس منهم، ثم أنشد:

إذا أنا بالمعْروفِ لم أثنِ صَادقاً　　　ولم أذممْ الحيس اللئيمَ المذمّما[1]
فَفيمَ عرفتُ الخيرَ والشرَ باسمهِ　　　وشقّ ليَ اللهُ المسامعَ والفَما

وقال ابن أبي عيينة:

أنا ما عِشت عليه　　　أسوأ النّاس ثَناءَ

---

(١) **الحيس**: الفاسد، والمخلوط النسب.

إنَّ مــنْ كــانَ مُــسِــيــئــاً ... لَــحَــقِــيــقٌ أن يُــســاءَ

● **تذمّم من مدحَ لئيماً فحرمه**

قال أعرابي وقد مدح رجلاً فخيّبه: إن فلاناً تعدّى بلؤمه من تسمى باسمه ولئن خيبني فلرب قافية قد ضاعت في طلب كرمي.

ومدح بشار المهدي بشعر فخيبه، فقيل له: لعلك لم تستجد المدح، **فقال**: لو مدحت بشعري ذلك الدهر لم أخش صرفه على حر ولكن أكذب في العمل وأخيب في الأمل، وأنشد:

إنّي مدحتُك كاذباً فأثَبْتَني ... لما مدحتُك ما يُثابُ الكاذبُ

قال ابن الرومي وقد هجا كبيراً أمل منه كثيراً فأجازه حقيراً:

أتيتُك مادِحاً فهجَوْتَ شِعْري ... وكانَتْ هفوةً مني وغَلْطَه

لذلك قيلَ في مثلٍ سخيفٍ ... جزاءُ مقبّلِ الوجعاءِ ضَرْطَه

ولابن ريذة:

مدحتُ الغالبيّ بمدْحِ صدقٍ ... فقابَلَ مِدْحَتِي بجريبِ حِنْطَه

فإن لاقيتَه يا صاحِ يوماً ... فحيّ سبالَه عنّي بضَرْطَه[1]

قال أبو هشام الباهلي:

لكلّ أخي مدحٍ ثوابٌ يعدّه ... وليس لمدحِ الباهليّ ثوابُ

مدحتُ ابنَ سلمٍ والمديحُ مهزةٌ ... فكانَ كصفوانٍ عليه تُرابُ

ومدح أعرابي رجلاً فلم يعطه، **فقال** المادح: إنه أباحني عرضه فتنزهت له.

وقال أبو الهول:

هززتُك للعُلى فكبَوْت عنها ... كبوّ البغْلِ طالَ به التعنّي[2]

وقال آخر:

ولم أُلبِسك ثوبَ الفخرِ إلا ... وجدتُك قد خَريتَ على الطّرازِ

وقال آخر:

ألا في سبيلِ الله سعيّ سَعيتَه ... فمرّ ضياعاً لا ثوابٌ ولا يدُ

فخيبةُ آمالي وعِصْيانُ خالقي ... وكفّارةُ الزّور الذي كنتُ أنشدُ

متى يستحقّ الأجرَ من ظلّ عاكِفاً ... على صنمٍ يعنُو له ثمّ يسجُدُ[3]

---

(١) **سباله**: السبال مقدم اللحية، أو طرف الشارب.

(٢) **هززتك**: دفعتك بقوة. (٣) **يعنو له**: يتخضع له أو يسجد، وعنا (فلان): صار أسيراً.

ومدح مخنث رجلاً فذمه الرجل، فالتفت إلى القوم وقال أكذب عليه ويكذب عليَّ، ليعلم أينا أكذب.

● **من رُدَّ إليه مدحهُ**

مدح ابن الرومي بعض الكتاب بشعر وتردد إليه طالباً جائزته، فدفع شعره إلى غلامه وقال: أمدح به غيري فلست أرغب فيه، فقال:

رددتَ عليَّ شِعْري بعد مطْلٍ ... وقد دنُسْتَ ملبسَه الجَديدا[1]
وقلتَ امدَحْ بهِ منْ شِئْتَ غيْري ... ومن ذا يقبَلُ المَدْح الرّديدا
وما للحيِّ في أكفانِ ميْتٍ ... لبوسٌ بعْدَ ما امتلأتْ صَديدا[2]

● **من استردّه لمّا حُرِمَ الجَدْوى**

قال ابن الرومي:

ردّوا عليَّ صحائِفاً سوّدْتُها ... فيكُم بلا حَقٍّ ولا استِحْقَاقِ

وله:

إن كنتَ مِنْ جهْلِ حقّي غيْرَ معتذرٍ ... وكُنْتَ من ردّ مَدْحي غيْرَ مُتّئِبِ[3]
فأَعْطِني ثَمَنَ الطّرسِ الذي كتبتُ ... فيهِ القصيدة أو كفّارَةَ الكَذِبِ[4]

● **من لا يليقُ به المَدْح**

قال البحتري:

خطبَ المديحَ فقلْتُ خلِّ طريقَه ... ليجوزَ عنك فلسْتَ من أكفائِهِ

وقال منصور بن باذان:

نبَتِ المَدائِحُ عن طبَائعِهِ ... ولَقَدْ يليقُ بوَجْهِهِ القَذْفُ

وقال سلم الخاسر:

فإن تُعْطِني جرمُ لأني أمتدحْتُها ... فما علمَتْ جرم لها مادِحاً قبْلي[5]

ومدح أبو خليفة رجلاً فلم يكن منه ما يحب، فقال: لله در الكميت حيث يقول:

وقرّظْتُكم لو أن تقريظَ مادحٍ ... يواري عواراً من أديمِكم النغْلِ[6]

---

(١) مطل: تسويف.
(٢) صديد: قيح.
(٣) غير متئب: غير مستح.
(٤) الطرس: الكتاب، أو الصحيفة.
(٥) جرم: قبيلة.
(٦) التقريظ: المدح ـ الأديم: الجلد، والأديم النغل: الجلد الفاسد في الدباغ.

وقال أبو نواس لما مات جعفر بن يحيى. لا يكون في الدنيا أكرم منه هجوته وقلت فيه:

فلستُ وإن أطنبتُ في مدْحِ جعفرِ   بأوّلِ إنسانٍ خرى في ثيابه

فأمر لي بعشرة آلاف درهم وقال اغسل بهذا ثيابك التي خريت فيها.

قال الموسوي:

مدحتُهم فاستُقبِحَ المِدْحُ فيهِمُ   ألا ربّ عُنقٍ لا يليقُ بهِ العقدُ

● **من لا يستحقُّ الهجوَ لخسّته ودناءَتِه**

قال أبو مسلم لأصحابه: أي الإعراض أدنأ، **فقال بعضهم:** عرض بخيل. **فقال:** رب بخيل لم يكلم عرضه أدنأ الأعراض عرض لم يرتع فيه حمد ولا ذم. **وقيل للفرزدق:** وضعت كل قبيلة إلا تيماً **فقال:** لم أجد حسباً فأضعه ولا بناء فأهدمه. **وقال ابن مناذر** لرجل: مالك أصل فأحقره ولا فرع فأهصره. **وقال رجل للنمري:** اهجني. **قال:** إنما يهجو مثلك مثلك، **وقال:**

إنّي لأكرمُ نفسي أن أكلّفَها   هجاءَ جرم وما يهجوهمُ أحدُ
ماذا يقول لهُم منْ كان هاجيهم   لا يبلغُ النّاس ما فيهم وإن جهِدُوا

قال مسلم:

أمّا الهجاءُ فدقّ عرضُك دونَه   والمدحُ فيك كما علِمْتَ جَليلُ
فاذهبْ فأنتَ طليق جَدّك إنه   جدّ عَزَزْتَ بهِ وأنتَ ذليلُ(١)

وقال المتنبي:

فلو كنت امرأ يُهجي هجَوْنا   ولكنْ ضاقَ فترٌ عنْ مَسيرِ(٢)

أخذه من قول الراعي:

لو كنتَ منْ أحدٍ يُهجى هجوتُكم   يا ابنَ الرّقاعِ ولكنْ لستَ من أحَدِ

● **من لا يهتزُّ لمدحٍ ولا يغتمّ لهَجْو**

قال رجل لحكيم: لا أبالي مدحت أم هجيت، **فقال:** استرحت من حيث تعب الكرام. **وقيل:** من لا يبالي سخط الكرام وشكية الأحرار فطوقه سوءة الحمار. **وقيل:** ليعد ميتاً من لم يهتز لمدح ولا يرتمض من ذم.

قال ابن الرومي:

فما يرتاحُ للمَدحِ   ولا يرتَاح للذّمِ

---

(١) وفي رواية: طليق عرضك وفي موضع جدّل.

(٢) إن مسافة الفتر تضيق عن المسير فيها.

وله:

لا يُبالي الشتمَ عِرضٌ ... كلّهُ شتمٌ وذمُّ

وقال إبراهيم بن المدبر:

أحقّ الناس كلّهم بعيبٍ ... مسيءٌ لا يُبالي أن يُعابَا

وقال أبو نواس، وقد تبجح بقلة مبالاته وبما يقال فيه، ويعني بذلك في باب تعاطيه الخسارة:

جريْتَ مع الصبا طلْقَ الجموحِ ... وهان عليّ مأثورُ القبيحِ

● **من يشرُف بالهَجْو**

قال أبو نواس:

أصبحَ فضلٌ ظاهِرَ التيهِ ... وذاكَ مِذ صِرْتُ أُهاجيهِ

كمْ بينَ فضلِ منذُ هاجيته ... وبينَه قبل هجائيهِ

● **من يصدق هاجيه ويكذب مادحه**

قال مثقال:

ما قلْت فيكَ هجاءً خلْتُهُ كذِباً ... إلا بدَتْ لكَ سوآتٌ تحققه

وقال ابن الرومي:

خيْرُ ما فيهِم ولا خيْرَ فيهِم ... أنهم غيْرُ آثمي المغتابِ(١)

وقال منصور بن باذان:

أبا دلفٍ يا أكذبَ الناس كلّهم ... سِواي فإنّي في مديحِك أكذَبُ

ونظر رجل إلى أبي هفان يحدث آخر فقال: فيم تكذبان؟ فقالا: في مدحك.

● **منْ لا يأثمُ هاجيه**

ورد في الحديث: اذكروا الفاسق بما فيه. وقيل: لا غيبة للفاسق.

قال عبدان:

وقالُوا في الهجاء عليْك إثمٌ ... وليسَ الإثمُ إلا في المَديحِ

لأنّي إن مدحت زوراً ... وأهجو حين أهجو بالصحيحِ

● **المهجوّ بكلّ لسان**

ذكر أعرابي قوماً، فقال: قد سلخت أقفاؤهم بالهجاء ودبغت جلودهم باللؤم. لباسهم في الدنيا الملامة وزادهم في الأخرى الندامة.

---

(١) آثم المغتاب: أوقعه في الإثم.

● **الداعي على هَاجيه وعائبُه**

نظر الفرزدق إلى رجل ذي عمة، **فقال:**

قبحت العينان تحتَ العِمَة

فقال:

بل قُبّح الهاجي وناك أمّه

قال البسامي:

مَنْ هَجاني مِنَ البريّة طُرّاً ... وسعَى في مسَاءتي أوْ لحَاني[1]

فاللواتي عليه حرمهنّ الله في سورة النساء زَواني

وقال أخو دعبل:

بنِيتُ قافيَةً قيلَتْ تناشَدَها ... قومٌ سأترُكُ في أعراضهم نُدُبا[2]

ناكَ الذين روَوْها أمّ قائِلها ... وناك قائلُها أمّ الذي كَتَبَا

● **ذمّ قبيحِ الكَلام**

قيل: قبيح الكلام سلاح اللئام. وسمع المهلب رجلاً يسبّ آخر، **فقال:** اكفف فوالله لا ينقى فوك من سهكها[3] أبداً. **وقال يزيد:** إياك وشتم الأعراض فإن الحرّ لا يرضيه من نفسه شين.

● **النهيُ عن المشاتَمة وذمّ الغالبِ منهما**

قال النبي ﷺ: البذاء لؤم وصحبة الأحمق شؤم. **وقال ابن عامر:** دعوا قذف المحصَنات تسلم لكم الأمهات. **وقيل:** المبتدىء شاتم نفسه والبادىء أظلم. وشتم رجل حكيماً **فقال:** اسكت فلست أدخل في حربِ الغالبُ فيها شرّ من المغلوب.

وقال أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه: ما تسابّ اثنان إلاّ غلب الأمهما.

قال شاعر:

وإنك قدْ سابَبتَني فغلبتَني ... هنِيئاً مَريئاً أنت بالسّبِ أحْذَقُ[4]

وقيل: ما تسابّ اثنان إلا انحط الأعلى مرتبة الأسفل. **وقال حذيفة بن بدر لرجل:** أيسرُك أن تغلب شر الناس، **قال:** نعم. **قال:** لن تغلبه حتّى تكون شراً منه.

نازع رجل المهلب فأربى عليه **فقيل:** لِمَ أمسكت عنه، **فقال:** كنت إذا أردت إجابته رغبت في غلبة اللئام، وكان إذا سبني تهلل وجهه واستنار لونه وتبجّحت نفسه، فإن ظفر

---

(١) **لحاني:** من لحا، قبّح ولعن.

(٢) **ندب:** علامات.

(٣) **السّهك:** الرائحة الكريهة.

(٤) **سابيتني:** شتمتني.

فبفضل القحّة ونبذ المروءة وخلع ربقة الحياء وقلة الاكتراث بسوء الثناء.

● الحثُّ على قطعِ مادةِ الذمّ بالسّكوتِ عنه

قيل: مَن سمع كلمة كرهها فسكت عنها انقطعت، وإلا سمع أكثر منها. وما أحسن ما **قال الشاعر**:

وتقلَقُ نفسُ المرءِ من أجْلِ شَتْمَةٍ ... فيشتمُ ألفاً بعدَها ثمّ يصْبِرُ

وقيل: إذا سمعت كلمة تؤذيك فتطأطأ لها تتخطاك.

قال شاعر:

كلّما خفتَ من لئيمٍ جوَاباً ... فأطلْتَ السّكوتَ عنه غمَمْتَه

وشتم الحسن رجلٌ وأكثر، **فقال**: أما أنت فما أبقيت شيئاً وما يعلم الله أكثر.

● ذمّ من يُنزّه عن سبّه

قيل: ذمُّ من كان خاملاً إطراء، وشتم رجل آخرَ فلم يرد عليه، **فقيل له في ذلك، فقال**: أرأيت لو نبحك كلب أتنبحه أو رمحك حمار أكنت ترمحه. **وقال آخر**:

قد ينبَحُ الكلبُ النّجوما

وقال آخر:

وما كلّ كلبٍ نابحٍ يستفزُّني ... ولا كلّما طنّ الذّبابُ أُراعُ

وقال شاعر:

شاتمَني عبْدُ بني مسمعٍ ... فصنْتُ منه النّفس والعِرْضا

ولم أُجِبْه لاحتقاري لَهُ ... منْ ذا يعَضّ الكلْبَ إن عَضّا

وقال عليّ بن الجهم:

بلاءٌ ليس يشبِهُهُ بلاءٌ ... عداوةُ غير ذي حسَبٍ ودينِ

يُنيلكَ منه عِرْضاً لم يصُنْه ... ويرتَعُ مِنْكَ في عِرْضٍ مَصونِ(١)

ونحو ذلك ما **قال جرير لذي الرمة**: هل لك أن تهاجيني؟، **فقال**: لا، إن حرمك قد هتكتهن الأشعار فما فيهن مرتع.

قال شاعر:

أو كلّما طنّ الذُّبابُ زجَرْتَهُ ... إنّ الذّبابَ إذاً عليّ كريمُ

---

(١) يرفع في عرض مصون: يتمادى في شتمه.

وقيل لنصيب: ألا تهجو فلاناً وقد حرمك، فقال: إنما كان ينبغي أن أهجو نفسي حيث سألته، فقيل: ويحك قد هجوته بأشد هجاء؟ قال أبو علي بن عروس الشيرازي:

ومتى هُجيتَ فقدْ مُدِحْتَ لقدَ غلاَ   سومُ البعوضةِ إنْ رمَاها الصائِدُ

وقال عبد الله بن خلف:

دناءَةُ عِرْضِكَ حِصْنٌ منيعٌ   يَقيكَ إذا شاءَ منْك الضّبيعُ[1]
فقُلْ لعدوّك ما تشتهي   وأنتَ الرفيعُ المنيعُ الوَضيعُ

● من لا يخاف لكونه ممتنعاً بغيره

قيل: وقف جدي على سطح فمر به ذئب فأقبل الجدي يشتمه، فقال الذئب: لست تشتمني وإنما يشتمني المكان الذي تحصّنت به.

قال منصور بن باذان:

لو كنتُ أجسُر أنْ أقولا   لشفيْتُ منْ نفْسي الغَليلا
لكِنْ لِساني صارِمٌ   مُلئَتْ مضاربُه فُلُولا[2]

وقال آخر:

وما جهلْتُ مكانَ الآمريكَ بذا   يا منْ هويت ولكنْ في فِيَّ ماءُ[3]

● إجابةُ من عابَك تعريضاً بما عابَك به

كتب ابن مكرم إلى أبي العيناء: لست أعرف طريقاً للمعروف أحزن ولا أوعر من طريقه إليك لأنه ينضاف إلى حسب دنيء ولسان بذيء وجهل قد ملك عنانك، فكتب إليه أبو العيناء في أسفل رقعته:

وأنتَ رعَاكَ الله فينا فإنّما   مدحت بفضلِ ضِعْفه فيك يوجَدُ

فعدّوه أبلغ من الأول.

قال ابن مكرم لأبي العيناء: يا مخنّث، فقال: وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه. وقال ابن ثوابة لرجل: يا مأبون، فأنشد:

كلانا يرَي الجوزاءَ يا جمل إن بدَت   ونجم الثريّا والمزارُ بعيدُ

وقال رجل لآخر: يا دعيّ، فقال:

عبد شمسٍ أبوك وهو أبونا   لا نُناديكَ منْ مكانٍ بَعيدِ

---

(١) الضبيع: المضبوع، والمصاب بالهلع.   (٢) فلول: كسور.
(٣) في فيّ ماء: لا أستطيع الكلام.

وقال رجل لآخر: يا ابن الفاعلة، فقال له ذاك: يا ابن الصالحة، أكذب حتى أكذب، وعلى هذا المعنى قال:

ثالبني عمرو فثالبته ... فأثم المثلوبُ والثالبُ

قلتُ له خيراً وقال الخنى ... كلٌّ على صاحبه كاذِبُ[1]

وقال رجل لشاعر: إنك تغتاب المحصنات، فقال: إذاً لا بأس على عيالك مني.

● **تعريضاتٌ عن الأجوبة في الذمّ بالنثر والنظم**

لما قال كعب الأشتر لزياد الأعجم:

وأقلفُ صلى بعدما كان أمةً ... يرَى ذاك في دينِ المَجوس حَلالاً

فقال زياد:

لا جزيتْ أمه خيراً فقد أخبرته أني أقلَف

ولما قال جرير لابن الرقاع:

يقصرُ باعُ العامِليّ عنِ العُلا ... ولكنّ أيرَ العامليّ طويلُ

قال ابن الرقاع:

أأمك كانتْ أخبرتْك بطولِه ... أمْ أنتَ امرؤٌ لم تدرِ كيف تقولُ

فقال: لم أدر كيف أقول.

ولما قال أرطأة بن سهية للربيع بن قعنب:

لقدْ رأيتُك عرياناً ومؤتزِراً ... فمَا دريتُ أأنثى أنتَ أم ذَكَرُ

فقال الربيع:

لكن سهية أدرَى يومَ زرتُكم

ومرّ الفرزدق بباب المكاري، فقال:

وكمْ من هنٍ يا بابُ ضخمٍ حملْته ... على الرجل فوقَ الأخدريّ المراكِبُ[2]

فقال باب:

قد حملت النوارَ فيمَن حمَلْتُ

فقال الفرزدق: غلبني والله.

ولما قال مسكين الدارمي:

ناري ونارُ الجارِ واحدَةٌ ... وإليه قبْلي ينزلِ القِدْرُ

قالت امرأته: نعم، لأن القدر والنار للجار.

---

(١) الخنى: الفحش.

(٢) الأخدري: نوع من الحمر الوحشية.

ولما قال إبراهيم بن هرمة:

لأمنع العودَ بالفصالِ ولا ... أبتاعُ إلاّ قريبةَ الأجلِ[1]

قال المزيد: صدق ابن الخبيثة فإنه يشتري شاة الأضحية فيذبحها من ساعته. وتبجّح رجلٌ **فقال:** إن أبي ممّن قال فيهم شاعر:

يقومُ القعودُ إذا أقبَلوا

فقال له: صدقت، لأنه كان بين يديه حمل شوك.

- **من قصدَ مدْحاً فاتفق منه هجْوٌ**

عيب على جرير قوله:

تعرضت تيْم لي عمْداً لأهجوَها ... كما تعرّض لإست الخارىء المدرُ[2]

فقيل: جعل نفسه إست الخارىء ولو هجى بهذا لكان كثيراً. وقد تقدم في هذا المعنى باب في كتاب الشعر.

- **التهديدُ بالهِجاء**

لما هجا جرير حنيفة بقوله:

إن اليمامَة أضْحَت لا أنيسَ بها ... إلا حنيفة تفسُو في مناحيها

لقيه عطية بن دعبل الحنفي، **فقال** يا جرير: إنك قد عرفت نصرة الفخم وإن لي سيفاً يختصم الجزور فوالله لئن عدت لهجاء قومي لأسيلنه منك بشرطين، **فقال:** لا أنطق بعد هذا فاعف هذه المرة.

وتهدد الفرزدق رجلاً بالهجاء **فقال له:** قل واصدق **فقال:** إذاً أقول خيراً.

قال أبو القاسم بن أبي العلاء:

دعِ الفضائحَ تخْفى ... والليْثُ في الغيل رابِضٌ

وله:

لا تخرجني من خيْسي فتنكرني ... وتؤذي النّاسَ أحياءً وأمواتا[3]

كأنني بك قد ضيّعْتَ موعظَتي ... وجئتَني نادِماً والأمر قد فاتا

---

(١) **العود:** المسن من الجمال والشاء ـ **الفصال:** الفطام.

(٢) **المدر:** الطين اللزج الذي لا يخالطه رمل.

(٣) **خيسي:** خيري.

(٣)
وممّا جَاء في الغيبَة والنّميمة

●

● حقيقةُ الغِيبة

قال محمد بن عبيدة: الغيبة أن تغتابه إذا أقلع لا أن تغتابه وهو مقيم على فسقه، **ولذلك قال النبي ﷺ**: ليس للفاسق غيبة. **وقال عليه الصلاة والسلام**: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فقد بهته. **وقيل**: ما قلته في وجه الرجل ثم تقوله من ورائه فليس بغيبة. **وقال بعض الفقهاء**: الغيبة أن تذكر الإنسان بما فيه من العيب من غير أن تحوج إليه، وفي ذلك احتراز مما يقول الشاهد عند الحاكم.

● ذمّ الغيبةِ والنميمةِ وفضلُ تركِهما

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1] فما رضي بأن جعله آكلاً لحم أخيه حتى جعله ميتاً. **وقال النبي ﷺ**: الغيبة أشدّ من الزنا لأن الله تعالى يتوب على الزاني ولا يغفر الغيبة إلا بتحليل صاحبها. وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما إياك والغيبة فإنها أدم كلاب النار.

وقال قتيبة لرجل يغتاب آخر: لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام، الغيبة مرعى اللئام وجهد العاجز. وقال المأمون: حسبك من السعاية أن ليس في الدنيا صدق مذموم غيرها.

وقال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾[2]، **وقال النبي ﷺ**: لا يدخل الجنة قتات[3]، وقال: النميمة تفطر الصائم وتنقض الوضوء، وقال: من قلّ ماله وكثر عياله وحسنت صلاته ولم يغتب المسلمين كان معي يوم القيامة كهاتين. **وقال**: عذاب القبر من ثلاثة من الغيبة والنميمة والبول. **وقيل**: الساعي غاش وإن **قال**: قول المتنصح. **وقال ابن أكثم**: القول بالمحاسن في المغيب فريضة على كل ذي نعمة. **وقال المأمون لابنه العباس**: قلّم أظفارك من جليسك فأخس الناس من دمّى جليسه بظفره، **قال ولله در القائل**:

لا أخدشُ الخدشَ بالجَليس ولا ... يخْشى جَليسي إذا انتشبَتْ يدي[4]

● من امتنعَ أن يجعلَ مغتابَه في حِلّ

قال رجل لابن سيرين: قد نلت منك فاجعلني في حلّ، **فقال** لا أحل ما حرم الله

---

(١) القرآن الكريم: الحجرات/ ١٢.
(٢) القرآن الكريم: القلم/ ١١.
(٣) القتات: النمّام والمفسد.
(٤) انتشبت: اعتلقت به.

عليك. **وقيل للحسن**: إن الحجّاج كان يذكرك بسوء، **قال**: علم ما في نفسي له فنطق وعلمت ما في نفسي له فسكت، وكل امرىء بما كسب رهين.

● **من سمحَتْ نفسُه بأن يجعَل في حِلّ**

كان **أبو الدرداء** رضي الله عنه إذا خرج **يقول**: اللهم إني قد تصدَّقت بعرضي على عبادك، وقد روي عن النبي ﷺ ذلك. **وقال كثير**:

هنيئاً مَريئاً غير داءٍ مخامر   لعزّة من أعراضنا ما استحَلّت[1]

وقيل لرجل: فلانٌ شتمك واغتابك، **فقال**: هو في حلّ. **فقيل**: اتحل من يغتابك وبه يقل ميزانك، **فقال**: لا أحب أن أثقل ميزاني بأوزار إخواني.

● **من قلّت مبالاتُه بمَن اغتابَه**

قيل لفيلسوف: فلانٌ يشتمك بالغيب، **فقال**: لو ضربني بالسياط في الغيب لم أبالِ به، قال:

وإنّ الذي يُؤذيك منه استماعهُ   وإن الذي قالُوا وراءَك لم يقُلِ

قال المتوكل لأبي العيناء: ما بقي أحد إلا اغتابك، **فقال**:

إذا رضيَتْ عنّي كرامُ عَشِيرَتي   فلا زال غضباناً عليّ لئامُها

وقيل للأحنف: فلانٌ اغتابك، **فقال**:

ربّ من يعيبُه امرؤ   وهو لم يخطُرْ بِبالي

قلبهُ ملآنُ من غيظي   وقلبي منه خالِ

وقيل لأعرابية: فلانة تقع فيك، **فقالت**: دعوها فشكاتها وسكاتها عندي سواء. **وقيل لرجل**: فلانٌ يغتابك، فقال دعني يرفضي الله بذلك، فمن أكثرت فيه الوقيعة رفعه الله فإن بني أمية لعنوا علياً على المنابر فما زاده الله إلا رفعة.

وحُكي عن ببغا الشاعر البغدادي أنه قيل له: إن فلاناً يغتابك، **فقال**: لا ضير أنه أراد أن يمتحن ودّي. **وقيل**: لآخر ذلك، **فقال**:

ولم يمحِ من نورُ النبيّ أبو جَهْل

● **ذمّ ناقصٍ يغتابُ فاضِلاً**

قيل: كفى بالمرء شراً أن لا يكون صالحاً، وهو يقع في الصحالين.

قال شاعر:

عثيثةُ تقرضُ جِلداً أملَسا

---

(١) خامرَه المرَض: خالطَ جوفه.

وقال المتنبي:

وإذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ فهي الشهادةُ لي بأنّي كاملُ

وقال الموسوي:

عاداتُ هذا الدّهرِ ذمّ مُفضلٍ وملامُ مِقْدامٍ ونَقْصُ جَوادِ

وكأنه من قول الآخر:

وما زالتِ الأشرافُ تُهجى وتُمْدَحُ

ونحوه قول الآخر:

إنما الغيبة تلقيحُ الشّرَف

● **منْ رمَى غيرَه بعَيْبه**

رمتني بدائها وانسلت عير بجير بجره، نسي بجير خيره. **وقيل:** أتبصر القذاة في عين أخيك وتدع الجذع المعترض في حلقك.

● **اغتيابُ المرْء غيرَه يدلّ على عيبه**

قيل: من وجدتموه عيّاباً وجدتموه معيباً، لأنه يعيب الناس بفضل عيبه، وفي ذلك **قال:**

ويأخذُ عيْبَ المرءِ من عيْبِ نفسه مرادُ لعمْري ما أرادَ قريبُ

قال أبو العيناء: ما قطعني أحد كما قطعني المهدي، فإنه **قال:** بلغني أنك تغتاب الناس، فقلت له: يبطل ما قيل في شغلي بعيبي، **فقال:** والله ذاك أشد لغيظك على أهل العافية، أعرف الناس بعوار الناس المعور.

● **تشهّي الغيبةُ واستطابتُها**

قال قتيبة لرجل يغتاب آخر: لقد تلمظت بما يعافه الكرام، **فقال:** لو تلمظت به ما صبرت عنه. وقال رجل لبنيه: إذا اجتمعتم فعليكم حديث أنفسكم ودعوا الاغتياب، **فقال أحدهم:** نحن نحتاج في هذه السنة إلى كذا وكذا ونفعل ونصنع كذا وكذا، فقد فرغنا من حديثنا فبماذا نشتغل؟ **وقيل:** الغيبة فاكهة النساك والقرّاء. وقصد رجل ابن عمه مسترفداً لحق له فأحسن إليه فلما عاد سئل **فقال:** منعني التلذذ بالغيبة والشكوى. ونحوه **قول الآخر:**

فقضَتْ حاجَتي معجلَةً فجعتني بلذّةِ الشكْوى

● **من اغتابَ فاغتيبَ**

قيل: من رمى الناس بما فيهم رموه بما ليس فيه، **وقيل:** بحثك عن عيوب الناس

يدعو إلى بحثهم عن عيوبك، وقال آخر:

ومن دعَا النّاسَ إلى ذمّه ... ذمّوه بالحَقِّ وبالبَاطلِ

وقال الكلوشي:

تحلّلت بالسبّ لما رأيتُ ... أديمَك صحّ ومن سبّ سُبّ

فإن لمْ نجدْ فيكَ منْ مغمَزٍ ... سلَكْنا إليْك طريقَ الكَذب

وقال الشطني:

لا تكشفنّ مساوىءَ النّاسِ ما ستَرُوا ... فيهتُكَ اللّهُ ستْراً عنْ مَساوِيكا

● النهيُ عن استِماعِ الغِيبة

قال عمرو بن عبيد لرجل يستمع إلى آخر يغتاب: ويلك نزّه أذنك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن النطق به. قال شاعر:

وسمعَك صُنْ عنْ سماعِ القَبيح ... كصَونِ اللسانِ عن النُّطْق بهِ

وقال آخر:

والسامِعُ الذمّ شريكٌ له ... والمُطْعِمُ المأكول كالآكلِ

وقال: الفضيل الرجل يقول سبحان الله وأخشى عليه بذلك النار وهو الذي يستمد بذلك الغيبة إذا سمعها وقيل: إذا رأيت من يغتاب الناس فاجهد جهدك أن لا يعرفك، فاشقى الناس به معارفه.

قال إبراهيم بن المهدي:

من نمّ في النّاسِ لم تؤمن عقاربُه ... علَى الصّديقِ ولمْ تؤمَنْ أفاعِيه[1]

● الممدوحُ بصيانةِ مجلِسه عن الغِيبة

مدح بعضهم رجلاً فقال: ينزه مجالسه عن الغيبة ومسامعه عن النميمة.

قال كعب الغنوي:

إذا ما تراآه الرجالُ تحفّظوا ... فلمْ تنطِق العوراءُ وهو قريبُ[2]

ومثله قول البهلول:

نبئتُ أن النار بعدك أوقدت ... واستبّ بعدك يا كليب المجلسُ[3]

● الحثّ على التثبّتِ فيما يُسْمَعُ من السعَاية

وُشي برجل إلى بلال فلما أتي به، قال: قد أتاك كتاب من الله في أمرنا فاعمل به،

---

(١) العقارب والأفاعي دلالة على فعل الذي يغتاب.

(٢) العوراء: الكلمة القبيحة. (٣) استبّ المجلس: استب بعضهم بعضاً، شتم.

قال الله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[1]، فقال: صدقت. وأبلغ ملك عن رجل منكراً فأمر بقتله، فقال: إن قتلتني ومن سعى بي كاذب يعظم وزرك، وإن تركتني وهوصادق قلّ وزرك، وأنت من وراء ما تريد، والعجلة موكل بها الزلل فأمر بإبقائه والفحص عن أحواله.

قال كثيّر:

وإن جاءكِ الواشون عنّي بكذبةٍ فَرَوها ولم يأتوا لها بحَويلِ[2]
فلا تعْجَلي يا عزّ أن تتبيّني بنُصْحٍ أتى الواشون أم بِحبولِ[3]

● من سألَ صاحبَه أن لا يصْغي إلى الساعي

لما أراد عند الملك بن صالح الهاشمي الخروج إلى الشأم استدعى حوائجه من جعفر بن يحيى، فقال: أسألك أن تكون لي كما قال ابن الدّمينة:

فكُوني على الواشين لداءِ شغبة كما أنا للواشي ألدُّ شغوب[4]

فقال له جعفر أكون كما قال الآخر:

وإذا الواشي أتى يسْعى بها يقع الواشي بما جاءَ يضرُّ

● من بكّت الساعِي به ودَلّ على بُطلان قوله

سعى رجل بالليث بن سعد إلى والي مصر فأحضره، فقال: إن رأيت أن تسأله أمراً ائتمنته عليه فخانه أم كذب بقوله فالخائن والكاذب لا يقبل قولهما. ووشى واشٍ إلى زياد بن همام وقال: إنه هجاك فاحضره واعلمه، فقال: كلا. فقال: أخبرني بذلك الثقة، فقال: الثقة لا يكون نماماً فأحضر الساعي وجبهه بذلك، فقال:

وأنتَ امرؤٌ ما ائتمنتُك خالياً فخنْت وإما قلت قوْلاً بلا عِلْمِ
فأنتَ منَ الأمر الذي كانَ بينَنا بمنزلةٍ بين الخيانةِ والإثْمِ

وقال الواثق لأحمد بن أبي دؤاد: فلان قال فيك كذا، فقال: الحمد لله الذي أحوجه إلى الكذب فيّ ونزّهني عن الصدق فيه.

● من ردّ السعايةَ على السّاعي وبكّته

كان الفضل بن سهل يبغض السعاة، فإذا أتاه ساع، يقول: إن صدقتنا أبغضناك وإن كذّبتنا عاقبناك وإن استقلتنا أقلناك. ودخل رجل على عبد الملك، فقال: هل من خلوة فأقبل عبد الملك على أصحابه، وقال: إذا شئتم، فقاموا. فقال له عبد الملك: اسمع لا

---

(١) القرآن الكريم: الحجرات/٦.
(٢) فرى عليه الكذب: اختلقه ـ الحويل: الشاهد.
(٣) الحَبول: الداهية.
(٤) الشغبة والشغوب: المثير للفتنة والشرّ.

تمدحني في وجهي فإني أعرَف بنفسي منك ولا تكذبني فليس لكذوب رأي ولا تسعين بأحد إليّ، فقال الرجل: أأنصرف، قال إذا شئت، فقام وانصرف.

ووقع عبد الله بن طاهر في قصة ساع سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين؟ ورفع رجل قصة إلى أنوشروان أن رجلاً من العامة دعاه إلى منزله فأطعمه طعام الخاصة فوقّع في قصته قد أحمدنا فعلك فيما تأتيه وذممنا صاحبك لسوء اختياره لمن يؤاخيه. ووقّع طاهر بن الحسين في رقعة متنصح: قد سمعنا ما كره الله فانصرف لا رحمك الله. ووقّع السفاح في قصة ساع: أنت ظاهر السعاية قليل النكاية. وسعى إلى عبد الملك بن مروان في عبد الحميد فوقّع:

أقلّوا عليه لا أباً لابيكم ... من اللوم أو سُدّوا المكانَ الذي سدّا

وقال الواثق لأحمد بن أبي دؤاد: ما زال القوم في ثلبك إلى الساعة، فقال: يا أمير المؤمنين لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم، والله وليّ جزائه وعقابك من ورائه فما الذي قلت لهم، قال قلت:

وسعى إليّ بعيبِ عزّةَ نسوةٌ ... جعل الإله خدودَهنّ نعالَها

وقال الموسوي:

وأوطأت أقوالُ الوشاة أخامصي ... وقد كانَ سمْعي مدرجاً للنمائِمِ(١)

- **قلّةُ التخلّصِ من اغتيابِ النّاس وذمّهم**

سأل بعض الأنبياء ربه عزّ وجل أن يدفع عنه ألسنة الناس باغتيابه وذمه، فقال: هذه خصلة لم أجعلها لنفسي فكيف أجعلها لك. وقيل: ليس إلى السلامة من ألسنة الناس سبيل فانظر إلى ما فيه صلاحك فالزمه. قال شاعر:

إذا كنتَ مليحاً مُسيئاً ومحسناً ... فغشيانُ ما تهوى من الأمرِ أكيَسُ(٢)

- **ذمُّ ناقلِ الغيبة**

قيل: الرواية أحد الشاتمين، وقيل من بلّغك فقد سبك، قال:

مبلِغُك السوءَ كبَاغيه لكا

وقيل لحكيم: فلانٌ عابك بكذا، فقال: لقد لقيتك نفحتني بما استحى الرجل من استقبالي به. وقيل: ما ضرّت كلمة ليس لها مخاطب. ويدخل في هذا الباب قول الشاعر:

وأنتَ امرؤٌ ما ائتمنتُك خالِيا

البيتين وقد تقدما.

---

(١) أخامصي: جمع أخمص، وهو باطن القدم.
(٢) الغشيان: الإتيان ـ أكيس: من الكيس وهو العمل الحسن.

وكان أبو ضمضم إذا قعد للحكم يقوم بإزائه رجل يعلق نوادره فعلم بذلك أبو ضمضم فرماه يوماً بلوح في يده فشجّه، فقال له بعضهم: ما أصاب فقال استرق السمع فاتبعه شهاب ثاقب.

● **الموصوفُ بالنّميمة**

قال الله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾. وقيل: فلان أنم من الزهر.

قال ابن الرومي:

أنمّ بما استودعته من زُجاجةٍ ... ترَى الشيءُ فيها ظاهراً وهو باطن

وقال آخر:

قد كانَ صدرُك للأسرار جندلة ... ضنينةً بالذي تحوي نواحيها[1]

فصارَ من بثّ ما استودعت جوهرةً ... رقيقةً تستشف العينُ ما فيها

وأنكر بعضهم لمحة جليس له فنسبه إلى النميمة، فقال: ما نطقت ولكن رمقت وربّ عين أنمّ من لسان وطرف، أشد من سيف وأوجع من حتف، وقال الرشيد لأبي عمرو الشفافي: فلان نم بك فقال: يا أمير المؤمنين إن فلاناً لو كان بينك وبين الله واسطة لسعى بك إليه. وقال أعرابي: فلان بنميمة منمنمة وسخيمة مسخمة.

قال العباس بن الأحنف:

أناسٌ أمناهُم فنمّوا حديثَنا ... فلمّا كتمْنا السرّ عنهم تقوّلوا

من قول أبي ذهل:

أمنا أُناساً كنْت قد تأمنينهم ... فزادُوا علينا في الحديثِ وأوهمُوا

وقالُوا لنَا ما لَمْ نقُلْ ثم أكثَروا ... عليّ وراحوا بالذي كنْتُ أكتُمُ

● **من اغتابَ غيرَه فرآه**

اغتاب أعرابي رجلاً فالتفت فرآه، فقال: لو كان خيراً ما حضرته. ويقال لمن حضر إذا ذكر غائباً نزه: اذكر الكريم وافرش له اذكر الكلب وهيىء له العصا.

● **الحثّ على التحرّز ممّا يقتضي الغِيبة**

قال الحسن رضي الله عنه: من دخل مداخل التهمة لم يكن له أجر الغيبة. وقيل: من عرّض نفسه للتهمة فلا يلومنّ من أساء به الظن واغتابه.

---

(١) جندلة: صخرة ـ الضنين: البخيل والحريص على الشيء.

● **من لا يحرّم اغتيابُه**

قال النبي ﷺ: للفاسق غيبة، **وقال**: اذكروا الفاسق بما فيه. **وقال**: لا غيبة لثلاثة فاسق مجاهر وإمام جائر ومبتدع فاجر.

● **نوعٌ من ذلك**

روي فيما أظن عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه **قال**: سعى رجلان بمؤمن آل فرعون إليه وقالا إن فلاناً لا يقول إنك ربه، فأحضره فرعون **وقال للساعيين**: مَن ربكما فقالا: أنت، **وقال للمؤمن**: من ربّك **فقال**: ربّي ربهما، **فقال**: سعيتما برجل على ديني لأقتله، لأقتلنكما، وأمر بهما فقتلا، فذلك قول الله عز وجل: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾. جرى بين عتبة بن رؤبة وبين بشار شيء، **فقال عتبة**: أتقول لي كذا وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر؟ **فقال**: أقول لك ذلك ولو كنت من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

(٤)

●

وممّا جاء في التحية والأدعية والتهنئة

● **الحثّ على التحيّة ووصفُ فضلِها**

قال النبي ﷺ: إذا التقيتم فابدؤا بالسلام قبل الكلام، ومن بدأ بالكلام فلا تجيبوه **وقال ﷺ**: بلوا أرحامكم ولو بالسلام. **وقال بعضهم**: بثوا السلام فهو رفع للضغينة بأيسر مؤنة واكتساب أخوة بأهون عطية.

قال شاعر:

كيفَ أصبحتَ كيفَ أمسيْتَ ممّا ... يـزرعُ الـودَّ فـي قـلـوبِ الـكِـرام

عنى تحية فقال هدية فلاناً **وقال رجل لآخر**: أبلغ حسنة ومحمل خفيف.

● **الحثّ على الجواب**

روي أن التحية نافلة والجواب فريضة ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾(١) ومر رجل بقوم فسلم فلم يردّوا عليه، **فقال**: يا عجباً ممن خولتهم نافلة فمنعوا عني واجباً. وسلم نصراني على الشعبي **فقال**: وعليك السلام ورحمة الله، **فقيل**: أتقول ذلك لنصراني؟ **فقال**: أليس في رحمة الله يعيش؟ وقال ﷺ: أطعموا الطعام وأفشوا السلام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام.

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٨٥.

● **ذمّ من بَخُلَ بالتحيّة وعذرُه**

أنشد ثعلب:

ومالك نعمَةٌ سلفَت إلينا ... فكيف نراك تبخَلُ بالسَّلامِ

وقال كشاجم:

إذا كاتبُوا صادقُوا في الدعا ... كانَ دعاءهم مستجاب

وأنشد المبرّد:

إذا لمْ تجُدْ بجميلِ الكلام ... فمَا الذي بعْده تبْذُلُ؟

وقال آخر:

يا جواداً بالثّراء ... وبَخيلاً بالدّعاءِ

فتفضّلِ يا أخا ... الفضلِ بتفخيم الثناء

وسلم آخر على رجل بسوطه فلم يجبه، **فقيل له في ذلك، فقال:** سلَم عليّ بالإيماء فرددت عليه بالضمير:

لقد مرّ عمروٌ على مجلسي ... فسلّمَ تسليمَةً خافِيَه

لئِن تاه عمرو بفَضل الغِنى ... لقدْ فضل اللّهُ بالعَافِيه

وقيل: من بدأ بغيضاً بالسلام فهو أبغض منه. **وقال ابن المقفع:** لا تكوننّ نزر الكلام والسلام ولا تتهافتن بالبشاشة والهشاشة، فإن أحدهما كبر والآخر سخف. وقال الشعبي: انتهت التحية إلى قولهم وبركاته. ولقي رجل أبا العيناء فقال أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك، **فقال:** هذا العنوان ما هو. وقال المتنبي في عذر تخفيف السلام:

أقلّ سلامي حُبّ ما خفّ عنكم ... واسكت كيما لا يكونُ جواب

● **مواضِعُ التسليم**

جاء رجل إلى النبي ﷺ وهو يبول فسلم عليه **فقال ﷺ:** إذا أتيتني على هذه الحال فلا تسلم عليّ، فإنك إن فعلت لم أرد عليك **وقال ﷺ:** إذا أتى أحدكم المجلس فليسلم، فإن قام والقوم جلوس فليسلم فإن الأولى ليست بأحق من الآخرى. أتى أبو معكم الأسدي النبي ﷺ **فقال:**

يقولُ أبو معَكُم صادِقا ... عليك السلامُ أبا القاسِم

فقال ﷺ: إن عليك السلام تحية الموتى وكذا يقال للميت نحو، عليك سلامَ الله قيس بن عاصم. ودخل الحسن بن الكتاني على عبد الله بن جعفر **فأنشد:**

عليك السلامُ أبا جعْفر ... ولست بهر لدى المحْضَرِ

فقال: أخطأت حييتني بتحية الموتى، وقد أمكنك أن تقول:

سلامٌ عليك أبا جعفر

قال:

ألا طرقتنا آخرَ الليل زينبُ ... عليكَ سلامٌ هلْ لما فاتَ مطلَبُ

فقلْتُ لَها حيِّيتِ زينبُ خِدْنَكم ... تحيَّةَ موْتى وهو في الحيّ يشْرَبُ

● ذمُّ تحية مِن لا نفع لديه

قال شاعر:

وما مرحبٌ إلا كريحٍ تنسَّمت ... إذا أنتَ لم تخلُط نوالاً بمرحبِ[1]

وقال آخر

إذا كانَ ردّ المرءِ ليس بزائدٍ ... على مرحَبا أو كيْف أنْتَ وحالُكِا

فلمْ يكُ إلا كاشِراً وموارِياً ... فأفّ لودٍّ ليس إلا كَذلِكا[2]

● التسليم

دخل رجل على أمير المؤمنين كرّم الله وجهه فقال: السلام عليك سلاماً تتصل آماله بسمعك أبداً ما بقيت من وليك بطوع قلبه وصادق ودّه، ومن عدوك برغم أنفه وذل خدّه.

● في التلبية

لبيكَ إذ دعوتَني لبّيْكا ... أحمدُ ربّاً ساقَنِي إلَيْكا

● حمْد المصافحة والحثّ عليها

قال النبي ﷺ: إذا لقي المؤمن المؤمن فصافح أحدهما الآخر تناثرت الخطايا بينهما كما يتناثر ورق الشجر. وكان ﷺ إذا صافحه إنسان لم ينزع يده حتى يكون هو الذي ينزع يده وقيل: المصافحة تزيد في المودّة.

قال شاعر:

تصافحتِ الأكفُّ وكانَ أشهى ... إليْنا أن تصافحَت الخدودُ

نعيشُ إذا التَقى كفٌّ وكَفٌّ ... فكيْف إذا التقَى جِيدٌ وجيدُ

وقال آخر:

وصافحتُ من لاقيتُ في البيتِ غيرَها ... وكلّ الهوى منّي لِمَنْ لا أصافِحُ

وقال القصاني:

قد أحدثَ النّاسُ ظرفاً ... أربَى على كلّ ظرفِ

كانُوا إذا ما تلاقَوا ... تصافَحُوا بالأكفّ

---

(١) النوال: يقول: لا تكفي كلمة الترحيب ما لم ترفق بنوال وعطاء.

(٢) كاشر: ضحك في وجهه وكشف عن أسنانه.

فأحدثوا اليومَ لثمَ الـ ـخدود واللثمُ يَشفي
فصِرتُ ألثُمُ خدّيـ ـه من طَريق التحَفّي[1]

● بقية بابِ حمدِ المصافحة والحثّ عليها

قيل لرجل من قريش: كيف حالك؟ **فقال**: حال من يهلك ببقائه ويسقم بصحته ويؤتى من مأمنه. **قال الربيع الحاجب لأبي العتاهية**: كيف أصبحت؟ **فقال**:

أصبحْتُ والله في مضيقِ هل مِنْ دليلٍ إلى طَريقِ

ولها باب في غير هذا الموضع.

● جوابُ من سُئل من الصالحين عن حالهِ فشكا علّة أو حالةً منكَرَة

قيل لأبي عمرو بن العلاء رضي الله عنه: كيف أصبحت؟ **قال**: أصبحت، **كما قال الربيع الفزاري**:

أصبحتُ لا أحملُ السلاحَ ولا أملِكُ رأسَ البَعيرِ إن نفَرَا
والذئبُ أخشاه إن مررْتُ به وحدي وأخشى الرياحَ والمُطَرَا[2]

وقيل للحسن بن وهب: **قال**: أصبحت على النشاط كالّ[3] القريحة صدىء الذهن ميت الخاطر من سوء اختيار الزمان وتغيّر الإخوان. **وقيل** لمحارب بن دثار، **فقال**: كما **قال الأعشى**:

ولكِنْ أراني لا أزالُ بحادثٍ أُعادي التي لم تمسِ عندي وأطرقُ[4]

وقيل لأبي العالية السامي: كيف أنت؟ **فقال**: على غير ما يحب الله وغير ما أحب وغير ما يحب إبليس، لأن الله يحب أن أطيعه وأنا أعصيه، وإبليس يحب أن أتعاطى ضروب الخسارة ولست كذلك، وأنا أحب أن يكون لي ثروة وصحة وليس كذلك. **وقال أبو حزابة ليزيد بن المهلب**: كيف الأمير؟ **فقال**: كما تحب. **فقال**: لو كنت كذلك لكنت قائماً مقامي وكنت قاعداً محلك.

● الدعاءُ بالرحب والسّعة

قال رجل للأصمعي: مرحباً وأهلاً وسهلاً، **فقال**: أرحب الله بلدك وأهلّ رحلك وسهل أمرك. **وقال رجل لخالد بن صفوان**: مرحباً بك، **فقال**: رحب واديك وعزّ ناديك.

● الدعاءُ بإطالةِ البقاء

قيل: ليس في الدعاء مثل **أطال الله لك البقاء وأدام لك العلاء**، **ومثل ذلك**: عش ما شئت كما شئت.

---

(١) **التحفي**: المبالغة في الإكرام وإظهار السرور.
(٢) **المضر**: البدو، عكس الحضر.
(٣) **كالّ**: تعبٌ.
(٤) **أطرق**: أسكت ولا أتكلم.

وقال المتنبي:

بقيتَ بقاءَ ما تبني فإني ... أراه بقاءَ يذبُلَ أو أبانِ

وقال آخر:

فلا زالتِ الشمسُ التي في سمائِه ... مطالعةَ الشمسِ التي في لِثامِهِ[1]

ولا زالَ تجتازُ البدورُ بوجْهه ... فتعجبُ من نقْصانِها وتمامِه[2]

وقال عمارة:

فذا العرْشُ زدْ في عمرِه من صلاتِنا ... وأعمارِنا حتّى يطولَ له العُمْرُ

وقد نسب قوم: أطال الله بقاءك وجعلني فداءك إلى الإحالة. وقد روي أن أول من خاطب بذلك أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه.

● **التفديَةُ**

قال ابن بوقة:

أفديكَ بلْ أيامُ عمْري كلُّها ... يفْدينَ أياماً عرفْتُكَ فيها

وله:

نفْسي فداؤُكما وقلت في الورى ... للسيِّد المخْدومِ نفْسُ الخادِمِ[3]

وقال آخر:

بنفْسي أنتَ لا بِأبي فإنّي ... رأيتُ الجودَ بالآباء لُؤما

وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: جعلني الله فداء نعلك، فقال:

إذاً يطيل الله هوانَك

وقال يعقوب بن الربيع:

فلو أنني إذ كانَ وقتُ حمامها ... أحكّمُ في عمري لشاطرتُها عُمْري[4]

فحلّ بنا المِقْدار في ساعَةٍ معاً ... فماتَتْ ولا أدري ومِتّ ولا تَدْرِي

وقال الخوارزمي:

أطالَ اللّهُ أعمارَ المعَالي ... وذاكَ بأن يطولَ لكَ البَقَاءُ

---

(١) المطالعة: المشاركة في الطلوع ـ الشمس في لثامه: يعني وجهه ـ الشمس التي في سمائه: شمس الطبيعة التي فوقه.

(٢) البدور: جمع بدر، وهي تعجب حين ترى أنها تنقص وهو لا يزال تاماً.

(٣) الورى: الخلق. (٤) حمامها: موتها.

ولا زالتْ تُمَدُّ إليكَ كَفٌّ ... بضاعتُها ثناءٌ أو دعاءُ
وإن رضي الزمانُ بمثلِ رُوحي ... فداءً عنكَ فهي لكَ الفِداءُ

وقال أبو سعيد الرستمي:

وقاكَ بنو الدنيا جميعاً صروفَها ... جميعاً فإن الجفْنَ من خدَم النَّصْلِ

وقال آخر:

فداؤكَ مالي فهو منك ومهْجَتي ... فإنك قد أقررتَها في جَوانحي[1]

قال إبراهيم الصولي: إن قولهم قدّمني الله قبلك مأخوذٌ من قولِ الأقرع بن حابس:

إذا ما أتى يومٌ يفرّق بيننا ... بمَوْتٍ فكُنْ أنتَ الذي تتأخَّرُ

وقال منكة الطبيب الهندي ليحيى بن خالد البرمكي: لو أمكنني تخليف الروح عندك لفعلت، وهذا يجوز على سبيل الدعاء له.

● الدعاءُ بصبّحك اللّهُ بخَير

كانت العرب تتحيا في الجاهلية بقولهم:

صبّحكَ الله بخَيْرٍ فاخرِ ... ولحمِ طيْرٍ وشَرابِ خازرِ[2]
قبْلَ طلوعِ الشمس للمسافِر

صبّحك الافلاح بكل خير ونجاح، صبحك الخير وجنّبك الضير وقوّى منك الأير.

وقال رجل لآخر كيف أصبحت؟ فقال بخير، فقال: هلا قلت: أحمد الله وأستغفره فكان أوله شكراً وآخره عبادة، صبحتك الأنعمة بطيّبات الأطعمة.

● الدعاءُ بكبْتِ العِدا والحسّاد والإعاذةُ من شماتتهما

قال أعرابي: أراك الله في عدّوك ما يعطفك عليه وقالت امرأة لرجل كبت الله كلّ عدو لك إلا نفسك، وإنما أرادت بذلك قول النبي ﷺ: أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، أعاذك الله تعالى مما يقلق قلب الصديق ويضحك سنّ العدو، أعاذك الله من خيبة الرجاء وشماتة الأعداء وزوال النعمة وفجاءة النقمة.

قال الصاحب لا زال أعداؤه في قل وذل وأمر منحل مضمحل وقال الخوارزمي:

ولا زالَتْ عِداكَ بِكُلّ أرْضٍ ... لَهُمْ من سوءِ ظَنّهم نَذيرُ
قصيرٌ نهارِهم خَوْفٌ طويلٌ ... بهِم وطويلُ عمْرِهِمْ قصِيرُ

---

(١) جوانحي: أضلعي لجهة الصدر. (٢) خازر: اسم لنهر.

وقال المتنبي:

وأراكَ دهرُك ما تحاوِلُ في العِدى ... حتّى كأنَّ صروفَها الأقدارُ[1]

● **الدعاءُ ببلوغِ الأمل**

قال شاعر:

أنالَكَ ربّكَ ما تأمُلُه ... وحقّ لكَ الله ما تسألُه

قال الموسوي:

ظفِرتَ بما اشتهيتَ من الليالي ... وأُعطِيتَ المُرادَ منَ الأماني

● **الدعاءُ بأن جعلَ الله له النعَم وأدامَها عليه**

زادك الله كما زاد نابك وأعطاك أكثر مما أعطانا منك، **وقال ابن القرية**: لا زلت في رحب من البال وثروة من المال في غبطة وسرور وبعد من المكروه والشرور. أعطاك تعالى حتى ترضى وزادك بعد الرضا وتوفر لك من سعته ما لا تهتدي لمسألته ولا يحيط قلبك بمعرفته، وجعل ذلك موصولاً بالثواب المدّخر للمحسنين. أنعم الله عليك بما يعجز عنه شكرك ولا أبلاك بما يضيق عنه صدرك، منحكم الله منحة لا تغار ليست بجداء ولا نكراء ولا ذات داء جعل الله نعمك هبة مخلّدة لا عارية مستردة.

قال المتنبي:

أتمّ سعدك من لقاك أوله ... ولا استردّ هبات منك معطيها

وقال عليّ بن الجهم:

أتمَ الله نعمَتَه علينا ... فإنّ تمامَه نعمٌ علينا

● **الدعاءُ بزيادةِ النعماء والعَلاء**

قال المتنبي:

إن كانَ فيما نراهُ من حسن ... فيكَ مزيدٌ فزادَكَ اللهُ[2]

وقال أبو تمّام:

إسمَعْ أقامَتْ في ديارِكَ نعمَةٌ ... خضراءُ ناعمةٌ ترِفُ رفيفا[3]

وقالت عنان جارية الناطفي:

نعم إذا النعم انتقلْن تخيّمَتْ ... وإذا نفَرْن عدت عليك ألوفا[4]

---

(١) **صروف الدهر**: حوادثه. يدعو له بالظفر حتى تصير صروف الدهر أعواناً له على الأعداء.

(٢) **من حسن**: وفيرواية من كرم - يقول لممدوحه بلغت الغاية من الحسن أو الكرم، فإن كان سبيل إلى الزيادة، فزادك الله منه.

(٣) **وفي رواية**: ناضرة في موضع ناعمة. (٤) **تخيمت**: أقامت في المكان.

وقال آخر:

أيـا رب زدهُ نـعـمـةً وكـرامـةً علـى غيْظ أعداءٍ وإرغامِ حـاسـدِ

- **الدعاءُ بأن يقيه الله من الفقر ويجعلَ له سعةً من اليُسر**

جعل الله لك في الخير جداً ولا جعل معيشتك كدّاً، أعاذك الله من القنوع والخضوع والخنوع، أعاذك من بطر الغنى ومذلة الفقر، جعل الله لك رزقاً واسعاً وجعلك به قانعاً، وهب الله من غناه ما لا يقدر عليه سواه. **قال رجل لمسروق بن الأجدع:** أعاذك الله من خشية الفقر وطول الأمل ولا جعلك ردية السفهاء وشيناً على الفقهاء.

وقال أعرابي: رزقك الله من غير طلب شديد ولا سفر بعيد، جعلك الله في الرزق حولاً لغيرك.

- **الدعاءُ بالتّوفيق والإعاذةِ من الشّرور**

فرّغك الله لما له خلقك ولا شغلك بما تكفل به لك. **وقال سعيد بن المسيب:** مرَّ بي صلة بن أشيم **فقلت:** ادع لي، **فقال لي:** رغبك الله في ما يبقى وزهدك في ما يفنى أعاذك من هيجان الحرص وسورة الغضب وغلبة الحسد ومخالفة الهدى وسنة الغفلة وإيثار الباطل على الحق، وأعاذك من سوء السيرة واحصاء الصغيرة ومن شماتة الأعداء والفقر إلى غير الاكفاء ومن عيشة في شدة وميتة من غير عدة ومن سوء المآب وحرمان الثواب وحلول العقاب.

وقال أعرابي: أعاذك الله من هول المطلع وضيق المضطجع وبعد المرتجع.

وقال آخر: أعانك الله على الدنيا بالسعة وعلى الآخرة بالمغفرة.

قال المتنبّي:

فـلا تـنـلْـك الـلـيـالـي إن أيـديـهـا إذا ضربنَ كسَرْن النّبْعَ بالغَرَبِ[1]

ولا تـعـزّ عـدواً أنـتَ قـاهِـرُه فإنّهنّ يصدن الصّقْر بالخَرَب[2]

وقال ابن الرومي:

فـزادكـم بـالـمَـدْح كـلّ قـصـيـدةٍ ولا قصدتُكم بالمَراثي القصائدُ

وقال أبو محمد الخازن:

لا زال ألـسـنـةُ الـقـريـضِ نـواطـقـا تـخـدمْنَ مجْدَك بالثناء الأفصَح

- **تهنئةٌ بولاية**

أهنىء بك العمل الذي وليته ولا أهنئك به، لأن الله تعالى أصاره إلى من يورده موارد الصواب ويصدره مصادر الحجّة. لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه دخل عليه شاب من الأنصار، **فقال:** ما طيبتك الخلافة ولكن طيّبتها

---

(١) **النبع:** شجر صلب وقوي ـ **الغرب:** الشجر الضعيف.

(٢) **الخرَب:** ذكر الحبارى (الحبارى طائر يشبه الأوزة).

وما زينتك الولاية بل زينتها، فأنت كما قال:

وتـزيـدن أطـيـبَ الـطـيـبِ طِـيـبـا

وقال إبراهيم بن العباس:

ما حدثَتْ لكَ من نُعْمى وإن عظمَت ... إلا يـصـغـرُهـا الـقـدرُ الـذي فـيـكَـا

لا زلتَ مستحدثاً نعْمى تُسرّ بها ... على الليالي ولا زِلْنا نُهَنّيكا[1]

وقال ابن الرومي:

قـل لـكَ الـمـلْـك ولـو أنـه ... مـجـمـوعـةٌ فـيـه الأقـالـيـمُ[2]

والله يـبـقـيـكَ لـنَـا سـالِـمـا ... يـأتـيـكَ تـبـجـيـلٌ وتـعـظـيـمُ

وقال أبو الغمر:

ليهنِكَ الفتحُ مشفوعاً حساً وزكا ... وصاحبتْكَ الليالي غضّةً ضحكَا

● **تهنئةٌ بنيروز**

قال شاعر:

أنـعـمْ بـنـيـروزك وابـهَـجْ بـه ... مـتـعـتَ ألـفـاً مـثـلَـه بـعْـدَه[3]

أهدي بعض الأدباء يوم نيروز وردة وسهماً وديناراً ودرهماً فقال:

لا زلـتَ كـالـوردِ لـذيـذَ الـمـنـسـم ... ونـافـذاً مـثـلَ نـفـاذِ الأسـهُـمِ

فـي عـزّ ديـنـارٍ ونـجـحِ درهَـمِ

● **تهنئة بمهرجان**

قال المهلّب بن مالك:

جـاءك الـمـهـرجـانُ يـخـتـالُ طـلْـقـا ... فـي هـواء صـافٍ وفـي زعـفـرانِـه

نلتَ فيه الذي به نالَ افريدون من رغم حاسدٍ وهوانه

● **تهنئةٌ بزفاف**

نهى النبي ﷺ أن يقال بالرفاء والبنين، **وكان يقول**: بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينما بخير. وهنأ ابن القرية الحجّاج، **فقال**: أقرّ الله عينك ورزقك ودها وولدها وجعلك الباقي بعدها.

قال ابن الرومي:

سـيـدةٌ زُفـت إلـى سـيـد ... أبـدلَـنـا الـيُـسْـرَ مـن الـعُـسْـرَه

ألّـف بـالـتـوفـيـق شـمْـلاهُـمـا ... فـي نـعـمَـةٍ تـمّـت وفـي خـيـره

---

(١) **نهنّيكا**: نبارك لك بما استحدثته. (٢) **الأقاليم**: المناطق من البلاد.

(٣) **النيروز**: عيد النيروز وهو عند الفرس بمثابة عيد الربيع.

عـمّـره الـلّـهُ وأبـقـى لـهُ ... ركـنَـيْـه مـن عـزّ ومِـنْ قُـدْرَه

● تهنئة بولد

قال شبيب بن شبة للمهدي: أراك الله في بنيك ما رأيته في أبيك. **وقال رجل عند الحسن:** ليهنك الفارس، **فقال:** لعله يكون بغالاً، قل شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ورزقت رشده وبلغ أشده. ونظر رسول الله ﷺ إلى رجل معه صبي **فقال:** أهذا ابنك؟ **قال:** نعم. **قال:** أمتعك الله به. **وقال إسحاق الموصلي للفضل بن الربيع:**

مـدّ لـك الـلّـهُ الـحـيـاةَ مـدّا ... حـتّـى يـكـونَ ابـنُـك هـذا جَـدّا
ثـم يُـفـدّى مـثـلـمـا تـفـدى ... أشـبـه مـنـكَ سـنّـة وقـدّا

وقال الرفاء:

تـملّ فـارسَـك الـمـذكـورَ فـي شِـيَـم ... بـمثلِها الـذكرُ الـصمصامُ مذكُورُ[1]
وافـى ومـولـدُه الـوافـي يـخـبـرُنـا ... بـأنـه نـاصـرٌ لـلـمـجْـدِ مـنـصـورُ
فـعـاشَ مـا نـشـر الـديـجـورُ حـلّـتَه ... وما انطوى بضياءِ الفجْرِ ديْجورُ[2]
حـتّـى تـراهُ وقـدحُ الـسـيـفِ فـي يـدِه ... مـثـلـمٌ وسِـنـانُ الـرّمـح مـأطـورُ[3]

● تهنئة بابنة

كانوا يقولون: أمنكم الله منها العار وكفاكم منها المؤونة.

قال الصاحب:

إيّـاك أنْ تُـنـكِـرَ الإنـاثَ فـكَـم ... أنـثـى غـدَت فـي فـخـارِهـا ذكَـرا

● الدعاء للمسافر

قال النبي ﷺ لرجل أراد سفراً: اللهم أطوله البعيد وهوِّن عليه العسير. **وكانوا يقولون:** أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل.

قال السري الرفاء:

الله جـارُك ظـاعِـنـاً ومُـقـيـمـا ... وظـهـيـرُ نـصـرِك حـادِثـاً وقَـديـمـا[4]
إن تغنَ كـان لـكَ النجاحَ مصاحبا ... أو تـثـوِ كـانَ لـك الـسـرورَ نـديـمـا[5]

---

(١) الصمصام: السيف القاطع.
(٢) الديجور: الظلام.
(٣) مأطور: محنيّ ومعطوف.
(٤) ظاعناً: مرتحلاً ـ حادثاً: جديداً.
(٥) تثوي: تقيم.

وقال المتنبي:

وإذا ارتحلْتَ فشيَّعَتْك سلامة ... حيث اتجهتَ وديمَةٌ مدرارُ[1]
وصدرتَ أغنمَ صادرٍ عن موردٍ ... مرفوعةٌ لقدومِك الأبصارُ

وقال الخبزارزي:

رعاهُ الله حيثُ غدَا وسارَ ... وأعقبَه الغنيمَةَ والإيابا

وقال أبو المعافاة:

ردَّكَ اللهُ إلينا سالِماً ... بغنمٍ واغتباطٍ وظَفر

● **الدعاءُ للقادِمِ من سَفَر**

قال أبو العتاهية:

لا زِلْتَ مِنْ غُنْمٍ إلى راحَةٍ ... تقَدّمُ يا خيرَ فتًى قادِمِ

وقال ابن الرومي:

لا زِلْتَ مِنْ غنْم إلى ... دعَةٍ وأمْنٍ قادِما[2]

وله:

قدومُ سعادةٍ وقفولُ يمنٍ ... هوَ البِشر المخَفّفُ كلّ حزنِ

وقيل لما دخل النبي ﷺ المدينة كان نساؤها يقلن:

طلَعَ البدْرُ علَيْنا ... من ثنِيَّاتِ الوَداعِ
وجبَ الشكْرُ علَيْنا ... ما دعا لله داعِ

● **تهنِئَةٌ بالصَّوْم**

قال الصنوبريّ:

نلتَ في ذا الصّيام ما ترتَجيه ... ووقَاك الإلَه ما تَتَّقيهِ
أنتَ في النّاس مثلُ ذا الشهرِ ... في الأشهرِ بل مثلُ ليلة القدرِ فيهِ[3]

● **تهنِئَةٌ بالعِيد**

قيل: قبل الله منك الفرض والسنّة واستقبل بك الخير والنعمة.

وقال ابن خلاد:

بأسعد طالع عيّدْتَ يا مَن ... بطلْعَتِه سعادةُ كلّ عيدِ

---

(١) ديمة مدرار: مطر غزير (الخير الكثير). (٢) الدعة: الأمان.
(٣) أي مبارك كليلة القدر في شهر رمضان.

وقال المتنبي:

هنيئاً لك العيدُ الذي أنتَ عيدُه ... وعيدٌ لِمَنْ سمّى وضحّى وعيّدا[1]
ولا زالتِ الأعيادُ لبسَك بعدها ... تُسَلِّمُ مخروقاً وتُعطى مُجَدَّدا

وقال آخر:

البسِ النعماءَ ما أو ... مضَ برقٌ في غَمَامِ
واصِلاً عيداً بعيدٍ ... ودوامَاً بدوامِ

● تهنئةٌ بخِلْعَة

قال أبو بكر الصولي:

خِلَعٌ خُلِعَتْ بها قلوبُ عِداكا ... ملأتْ سروراً كلَّ من يهواكا
لا زلتَ تلبَسُ كلَّ يومٍ مثلها ... أبداً على إرغامِ من عاداكا[2]
ووقاك ربّ النّاس ما تخشاه من ... عنَتِ الزّمانِ وظلمِه وكفاكا[3]

● تهنئةٌ بدار

قال ابن الرومي:

دار أمنٍ وقَرار ... واعتلاءٍ واقتدارِ
أسستْ والطيرُ باليُمْن وبالسّعْد جوار
خيرُ دارٍ حلّ فيها ... خيرُ أربابِ الدّيارِ
وقديماً وفقَ الله خِيارَ الخيارِ

وقال القاضي علي بن عبد العزيز:

ليهنَ ويسعَدْ من بهِ سعُدَ الفضْلُ ... بدارٍ هيَ الدنيا وسائرُها فضْلُ

● دعاء لتناول شيءٍ من لحيته

نزع رجل من لحية الحسن قذاة، **فقال**: لا بك السوء، وقال آخر: لا عدمت ربك نافعاً. وتناول بعضهم من لحية رجل شيئاً **فقال**: صرف الله عنك السوء. فقال إليك لا عاد. ورأى الفتح شيئاً في لحية المتوكل فلم يمد يده إليه ولا قال له شيئاً، بل قال يا غلام هات مرآة أمير المؤمنين فجيء بها ونظر فيها فأخذه بيده.

● وعَلى العَكْس من هذا الباب

قال الأصمعي: نزع رجل من لحية آخر شيئاً **فقال**: نزع الله ما بك من نعمة. وتناول

---

(١) سمّى: أي ذكر اسم الله عند الذبح. يقول إن ممدوحه عيد للعيد.
(٢) لبسك: ما يلبس استعاره للأعياد فأجراها مجرى الملبوسات.
(٣) عنت الزمان: جوره.

بشّار من لحية رجل شيئاً **فقال**: لا يمنعني أن أقول صرف الله عنك السوء إلا مخافتي أن يذهب الله بوجهك إنه سوء. ومن هذا الباب **قال أبو الأسود**: لا يفضض الله فاك أي لا يجعله فضاء بذهاب الأسنان. **وقال بعضهم**: طاب طيبك وعاش حبيبك ولا زال خير ينوبك. **وقال رجل لآخر**: رحمك الله **فقال له مجيباً له**: يغفر الله لي ولكم، فقال ما أنصفتنا آثرناك على أنفسنا بالدعاء وجعلتنا علاوة على نفسك.

● دعاء مكروه المبدأ

دعا رجل لسلطان **فقال**: لا صبّحك الله إلا بخير فأمر بأن يصفع، **وقال**: من آخذني باحتمال قبيح ابتداء سلامه والصبر على انتظار تمامه. ولما أنشد أبو مقاتل الضرير الراعي يهنئه بمهرجان:

لا تـقـلْ بـشـرى ولـكِـن بـشـرَيـان

أمر بطرده، **وقال**: أعمى ينشد يوم المهرجان لا تقل بشرى. **وقال رجل لبعض الخلفاء في كلام نفاه**: لا أطال الله بقاءك، **فقال**: قد علمتم لو تعلمتم ألا قلت: لا وأطال الله بقاءك، وعنى بذلك ما روي أن رجلاً **قال لبعضهم**: لا وأطال الله بقاءك، **فقال**: ما رأيت واواً أحسن موقعاً من هذا الواو. **وقال رجل لآخر**: كيف أنت؟ **فقال**: كبر ضعفي، فقال قوّى الله ضعفك، فقال: اسكت إذاً يزيد في علتي، **قل**: قوّاك الله على ضعفك. ويقرب من ذلك ما حكي أن رجلاً تعرض للصاحب **فقال**: أنا قاضي شلنبة وأدعو أبداً على مولانا، **فقال**: ادع على نفسك. **فقال**: لا بل على مولانا، وقدر أن ذلك زيادة في الدعاء، **فقال** الصاحب: زادنا في البر.

(٥)
ومما جاء في الدعاء على الإنسان

●

● حذقُ اللئيم بالسّباب وعجزُ الكريم عنه

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ما تساب اثنان قط إلاّ غلب الأمهما. أخذه الشاعر، **فقال**:

وإنّـك قـد سـابَـبْـتَـنـي فَـغَـلَـبْـتـنـي ... هنيئاً مريئاً أنتَ بالسبّ أحذقُ[1]

ونازع رجل المهلب فأربى عليه، **فقيل له**: لم سكتّ عنه؟، **قال**: استحييت من سخف المسابة ورغبت عن غلبة اللئام، وكان إذا سبني تهلل وجهه واستنار لونه وتبجحت

---

(١) سابيتني: شتمتني ـ أحذق: أمهر.

نفسه فإن غلب فبفصل القحة ونبذ المروءة وخلع ربقة الحياء وقلة الاكتراث بسوء الثناء.

• ما جعلته العربُ تعجّباً من الشّتم

تقول العرب: قاتله الله. **قال ابن الأعرابي:** إذا قيل قتله الله لا يكون إلا شتماً وإذا قيل قاتله الله يكون تعجباً. وماله، لا عُد من نفره وتربت يداه وثكلته أمه وهوت أمه كل ذلك يستعمل على طريق التعجب واستعظام القول فيه، ولهذا **قال بعض الشعراء:**

أسب إذا أجدْت القولَ ظُلْماً ... كذاكَ يُقال للرجُل المُجيدِ

• الحثُّ على التعريض بالشّتم دونَ التصريح

قال أبو عمرو بن العلاء: أحسن الشتم ما يتذاكره ذوو المروآت في مجالسهم ولا يتحاشى من روايته أهل الأديان.

• من شتمَ كثيراً معرّضاً غير مصرِّح

سأل رجل بعض الكبار شيئاً فاعتذر إليه بفقر ناله، **فقال:** إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً وإن كنت محجوباً فجعلك الله معذوراً. **كتب هشام إلى ملك الروم:** من هشام أمير المؤمنين إلى ملك الطاغية، فكتب إليه ما ظننت أن الملوك تسب وما الذي يؤمنك أن أكتب إليك من ملك الروم إلى الملك المذموم هشام الأحول المشؤوم.

كان محرز الكاتب إذا رأى ابن شاهين **قال:** حيّاك الله وجهاً ألقاك به وهو لا يفهم، فلما أكثر، قيل له: إنما عنى نفسه بما يقوله، **فقال:** دعوه لي فلما رآه وقال له ذلك، **قال:** لا حيا الله وجهاً أراك به، فضحك محرز وقال: آمين.

قال بعضهم:

سلامٌ ساقِطُ الميم ... على وجهك بالحَاءِ
لنَا في البيْت خروفٌ ... فكُلْ مَنْه بلا فاءِ

وقال ابن الحجّاج:

وزنتُه ألفين يا ليتَه ... أصبَح في تصْحِيف ألفيْن

أي في القبر.

وسأل أمير المؤمنين بعض الناس **فقال:** هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليٌّ مني كهرون من موسى، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، **فقال:** كبرت سنّي ونسيته، **فقال:** إن كنت كاذباً فضربك الله ببيضاء لا تواريها العمامة فصار ذا برص إلى أن مات.

• من تملحَ في شتْم كبير

خرج المهدي إلى الصيد فتفرد مع غلام فرأى أعرابياً، **فقال:** إني أريد أن أضحك من هذا الأعرابي فأتاه الغلام **فقال:** أجب أمير المؤمنين فقال مالي ولأمير المؤمنين؟ فزناه وشتمه. **فقال الأعرابي:** يا أمير المؤمنين هذا شتمني. **فقال المهدي:** يا غلام اعطه دانقاً،

فقال الأعرابي أدية فريتكم دانق يا أمير المؤمنين، **قال**: نعم، **قال**: فأنت زان وابن زانية وابن زان خذ درهماً ومر في حفظ الله. **وقال هشام**: من يسبني ولا يفحش وهذا المطرف له، **فقال له أعرابي**: هاته يا أحول، **فقال**: خذه قاتلك الله. **وقال البوشجان**: حضرت مجلس المبرّد فسمعنا نفاشاً يقول في جر أم أصفهان، **فقال أبو العباس**: هذا قد شتمكم على قول الله تعالى: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[1] أي أهلها.

- **الدعاءُ على إنسان بالمرَض**

قال أعرابي لرجل: إن كنت كاذباً فبعث الله عليك داء ليس له دواء. **وقال آخر**: رماه الله من الداء بما يصير به رحمة للأطباء. **وقيل**: ماله خرب وحرب وذرب، معنى ذرب فسدت معدته. ماله وراه الله الورى سعال يقيء منه الدم، **قال عبد بني الحسحاس**:

وراهـنَّ ربّـي مـثـلَ مـا قـدْ ورِيـنَـنـي　　　وأحـمَـى عـلـى أكـبـادِهـن الـمَـكـاويـا

وقيل: بفيه الثرى وحمى خيبرا. فإنه خيسرى ابن خاسر أبرد الله مخه، أي أهزله. ماله ال[2] وغل وسل كساه الله عصابة رمد ورداء نكد وإزار جذام.

- **الدعاءُ عليه بِفقْدان الجَوارح**

جـذعـه الله جـذعـاً مـرعـبـاً ، أشـل الله عـشـره
فـلا اسـتـقـلَـت أبـداً　　　سـوطـاً مـن الأرض يـده

وقالت جارية الناطفي:

فـلـيْـتَ مـنْ يـضـرِبُـهـا ظـالِـمـاً　　　تـيـبَـسُ يـمْـنـاه عـلـى سَـوْطِـه

- **الدّعاءُ عليه بذهاب المال**

شرب بارداً وجلب قاعداً. أي لا كان له لبن حتى يشرب الماء القراح، وعوّض من الإبل غنماً يحلبها قاعداً ونحوه. أباد الله رواغيه وأبقى ثواغيه. رماه الله بقرع الفناء وصفر الإناء. قرع مراحه وساف ماله. لا طلبته الخيول ولا تكاءدته المحول، أي لا جعل الله له مالاً تطلبه الخيول للغارة أو يتكاءه[3] جدب الزمان. فعلى هذا حمل قول الشاعر

وجـنّـبْـتِ الـجـيـوشَ أيـا زيـنـبُ　　　وجـادَ عـلـى مـنـازِلـك الـسّـحـابُ

- **الدعاءُ عليه بالهَلاك**

رماه الله حيث لا يُرى بفاقرة الشرى، أي الأفعى. **كقولهم**: رماه الله بأفعى عادية ورماه الله ببليّة لا أخت لها، **وتقول**: ثل عشره وجذ ثدي أمه وهوت أمه، وزال زواله ولا

---

(١) القرآن الكريم: يوسف/ ٨٢.　　(٢) الإل: الحقد والعداوة.
(٣) تكاءه الأمر فلاناً: شقّ عليه ـ السحاب: المطر.

عد من نفره، رماه الله بثالثة الأثافي ورياح عاصفة وسيول جارفة. **ويقال**: مالكم تفاقدتم فجع الله به واداً ودوداً واشمت به حاسداً حسوداً، وسلّط عليه هماً يضنيه وجاراً يؤذيه وعدواً يرديه، أقام الله عليه ناعيه وأشمت به أعاديه.

قالت امرأة:

ارمِ بِسهمَين على فؤادِه ... واجعَل حِمام نفسهِ في زادِه[(١)]

● **وفي معنى أفقدنيه الله**

فقَدت خيالَك لا من عمى ... وصوتَ كلامِك لا مِنْ صَمَم

قال الحميري:

ربّ قد أعطيتَناه ... وهو مِنْ شرّ عطاءِ

فارجعنه ربّ عنا ... بإزارِ ورِداءِ

● **الدعاءُ بإزالَة الدولة**

قال أبو هفّان:

أزال الله دولتَهم سريعاً ... فقد ثقلَتْ على عنقِ الزّمانِ

وقال جحظة البرمكي:

سألتُ الله تعميراً طويلاً ... ليبهجَني بخطب يغتريكُمْ[(٢)]

أخافُ بأن أموتَ ولن تُريني ... صروفُ الدهرِ ما أهواه فيكُمْ

● **الدعاءُ على ظاعِن**

ودعت امرأة زوجها ورمته بروثة ونواة وحصاة، **وقالت**: راث خبرك وتناءت دارك وانحصى أثرك، **ثم أنشدت**:

اتبعتُه إذ رحلَ العيسُ ضحًى ... بعْد النواةِ روثةً حيث انتَوى[(٣)]

للروثةِ الريثُ وللنّأي النوى

وقال علي بن عاصم:

أمَا وقدْ ضمّه الفرارُ ... فلا يضمنه القرارُ

ولا اطمأنّت بهِ الفَيافي ... ولا استقرّت به الدّيارُ

وقال ابن حازم:

وداعٌ دون أوبَته النّشورُ ... ونأيٌ لا يقرّبه مَسيرُ[(٤)]

---

(١) **حِمام**: موت. (٢) **خطب يعتريكم**: أي مصيبة تصيبكم.

(٣) **انتوى**: انتقل من مكان إلى مكان ـ **روثة**: من روث الفرس وذوات الحافر ـ **الريث**: البطء.

(٤) **أوبته**: رجوعه ـ **النشور**: يوم القيامة ـ **النأي**: البعاد.

وقـــالَ غـــيـــرُ مـــيـــمـــونٍ ولـــكِـــن ... بـــأنـــكـــد مـــا يـــدورُ ومـــا يـــطـــيـــرُ

وقال أبو هفان:

فـــي عـــذاب يـــطـــلـــب الـــطـــا ... لـــب مـــن أدنـــاه مـــوتـــه
ونـــحـــوسٌ قـــاطـــعـــاتٌ ... لـــك عـــمـــا قـــدْ نـــويـــتَـــه

● الدعاءُ على متزوّج

قال بعضهم: المتزوج بالبيت المهدوم والطائر المشؤوم والرحم المعقوم.

قال أبو الفرج الكاتب:

بـــالـــرزايـــا والـــطـــائـــر الـــمـــنـــكـــوسِ ... كـــانَ يـــومَ الـــزفـــافِ والـــتـــعـــريـــسِ[1]
واصـــلَ الله بـــاتـــصـــالِـــك هـــذا ... نـــكـــبـــاتٍ مـــبـــيـــدةً لـــلـــنـــفـــوسِ[2]
دخـــلـــتُ رجـــلـــهـــا دخـــولَ قـــدار ... وطـــويـــسٍ ومَـــنـــشـــمٍ والـــبـــســـوس[3]
وتـــبـــدلَـــت بـــالـــجـــلاءِ جـــلاء ... وبـــرحـــب الـــديـــارِ ضِـــيـــقُ الـــحُـــبـــوس[4]

● الدعاءُ على باني دار

قال البسّامي:

شـــدت داراً خـــلْـــتَـــهـــا مـــكـــرُمَـــةً ... ســـلـــطَ الـــلَّـــهُ عـــلـــيـــهـــا الـــغـــرَقـــا
وأرانـــيـــكَ فـــقِـــيـــراً وسْـــطـــهـــا ... وأرانِـــيـــهـــا صـــعـــيـــداً زلَـــقَـــا[5]

● أنواعٌ مختلفة

قال أبو الوليد الكناني:

بـــلـــوْنـــاهـــم واجِـــداً واجِـــدا ... فـــكـــلَـــهـــم شـــأنُـــهـــم واحـــدَه
فـــلا ذرأ الـــربّ أولادَهـــم ... ولا بـــاركَ الـــربّ فـــي الـــوالِـــدَه[6]

وقال أعرابي:

وصـــاحـــبٍ قـــلـــت ولـــم أســـمـــه ... لـــمـــا بـــه مـــن مـــقـــتـــه وغـــمّـــه
لـــعـــن الإلـــهُ ثـــعـــلـــة بـــن ســـافـــر ... لـــعْـــنـــاً عـــلـــيـــه يـــشـــقّ مـــن قـــدّامِـــه

---

(١) **الطائر المنكوس:** طائر الشؤم. (٢) **نكبات:** مصائب ورزايا، جمع نكبة.
(٣) **منشم:** نوع من العطر المشؤوم ـ **طويس:** مصغّر طاووس ـ **البسوس:** خالة جسّاس من بني بكر وهي التي تسبّبت بالحرب بين بني تغلب وبني بكر وهي الحرب المعروفة باسمها: حرب البسوس.
(٤) **الحبوس:** كثرة الانحباس. (٥) **الأرض الزلق:** الأرض التي ليس بها شيء.
(٦) **ذرأه الرب:** خلقه.

وقال أبو الأشعث الهمداني وقد سرق له أضحية:

يا سارقَ الكبش رجلاه وجبهته ... في صدع أمّك بالقرنين والذنبِ[١]

هلا سرقت جزاك الله لعنته ... من الموالي ولم تسرق من العرب

سمع ذو الرمة رجلاً يقول: على فلان لعنة الله، فقال: لم يرضَ بواحدة حتى شفعها بأخرى، ومعنى ذلك أنه اعتقد في قوله لما سمعه مفتوحاً أنه مرفوع مثنى كقولك. هذان عبد الله.

قال شاعر:

وما دعوتُ عليه قطّ ألعنه ... إلا وآخر يتلوني بآمين[٢]

سقط مخنث من جبل فغشي عليه، فلما أفاق قال: يا جبل ما أصنع بك أضربك لا يوجعك، أشتمك لا تبالي، ولكن بيني وبينك يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش.

ومن كلام أبي العبر: استودعك الله حائطاً مائلاً وكنيفاً سائلاً. وقع بين أنس بن مالك وامرأته شرٌّ فقال لامرأته: لأدعون الله عليك، فقالت: قد دعوته على الحجّاج فما زادت رقبته إلا غلظاً.

حكى الصاحب أن أبا علي بن مثوبة كان إذا شتم إنساناً في غضب عظيم يقول: يا قواد يا قواد ترقال هذه الزيادة لم تسمع إلا منه.

قال لرابية الأسدية:

فمن لامني في حبّ نجدٍ وأهلِه ... فليم على مثل وأوعبَ جادعه[٣]

وقال معاذ الدهلي:

لحى الله أدنانا إلى اللؤم زلفة ... وألأمنا أمّا وأسقطنا جداً[٤]

قال الأصمعي: كان النساء يقلن للشيخ إذا سعل ورياً وقحابا، وللشاب عمراً وشباباً. القحب السعال. حكي عن يهودي بأصبهان أنه كان إذا أتاه جندي فيقول: يا أخا القحبة، يقول: لما سمعت صوتك علمت أنه هو، وقال له غلامه. إن هذا يقول يا ديوث، فقال: الديوث إيش يعمل ههنا يعرض به. وقال إنسان امرأته قحبة، فقال: أليست أختاً لك أليست بنتاً لك. قال له إنسان: امرأته قحبة، فقال: خلالت هوذا أي أنها امرأتك.

---

(١) الصدع: الشق.

(٢) آمين: بمعنى استجب الدعاء.

(٣) جادعه: شاتمه.

(٤) لحاه الله: قبحه الله.

(٦)
وممّا جاء في الهدايا

●

● الحثُّ على الإهداء وذكرُ فضيلته

قال النبي ﷺ: تهادوا تحابّوا، وقال: الهدية تسلّ السخيمة. **وقال عمر رضي الله عنه**: نعم الشيء الهدية بين يدي الحاجة. **وفي الخبر**: إذا قدم أحدكم من سفر فليهد إلى أهله وليطرفهم، وإن حجارة. **وقيل**: أسكفة الباب تضحك من الهدية، **وقيل**: الهدية هداية. **قال**:

ما من صديق وإن تمّت صداقتُه ... يوماً بأنجحَ في الحاجاتِ من طبَق
لا تكذبنّ فإنّ النّاس مذ خلِقُوا ... عن رغبة يعظمون النّاس أو فرَق[1]
أما الفَعال ففوقَ النجم مطلبُه ... والقول بوجد مطروحاً على الطّرُق

وقال آخر:

إذا أتت الهديّةُ دارَ قوم ... تطايَرتِ الأمانةُ منْ كُواها[2]

وقيل: الهدية بضاعة تيسّر الحاجة، ومن صانع بالمال لم يحتشم. **قال الغاضري لأصحابه**: أي راكب أحسن؟ فقال بعضهم تمرة على زبدة، **فقال**: لا بل هدية على حمال. **ومن أمثال الفرس**: الهدية تغالط العقول.

● الحثُّ على قبولِ الهَدية

قال النبي ﷺ: إن الهدية رزق الله فمن أهدى إليه شيء من غير سؤال ولا إسراف فليقبله فإنما هو رزق ساقه الله إليه، **وقال**: من سألكم بالله فاعطوه ومن استعاذكم فأعيذوه ومن أهدى إليه كراع فليقبله. **وقال**: لو أهدي إليّ كراع لقبلت، ولو دعيت إلى كراع لأجبت.

● الحث على المُقابلة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[3]، فسّره بعضهم بالهدية وجعل الثواب بها واجباً وروي أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها.

---

(١) **فَرَق**: خوف. (٢) **كواها**: جمع كوة، وهي الفتحة أو الخرق.
(٣) **القرآن الكريم**: النساء/ ٨٥.

أنشدني بعضهم:

رأيتُ النّاسَ طرّاً في الهَدايا	كبيعِ السوقِ خذْ منّي وهاتِ

● **طلب الهدية ومعاتبة من تركها**

روي أن رجلاً أهدى إلى الحسن والحسين رضي الله عنهما ولم يهد إلى ابن الحنفية فأنشأ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول:

وما شرّ الثلاثةِ أم عمرو	بصاحبك الذمي لا تصحبينا[١]

وكتب رئيس إلى بعضهم: لا تهدين ما يجحف بحالك فإنه لا يزيد في مالي ولا يمنعك من ملاطفتي بيسير، واللطف استعظامك لمكاني فالكثير منك يسير واليسير عندنا كثير والسلام.

قال المعيطي:

أتاني أخٌ من غيبة كان غابَها	وكنتُ إذا ما غابَ أنشده الركبَا[٢]
فجاءَ بمعروفٍ كثيرٍ فدسّه	كما دسّ راعي السوء في حضنه رطْبَا
فقلتُ له: هلْ جئتني بهديةٍ	فقال: بنفسي قلت: أطعمتها الكَلْبَا
هي النفسُ لا أرثي لها من ملمةٍ	ولا أتمنّى إن نأيت لها قُرْبَا

● **الهديةُ مشتركة**

قال النبي ﷺ: إذا أتى أحدكم بهدية فجلساؤه شركاؤه فيها. وكان الهيثم بن عدي يحدث بهذا الحديث فما تم حتى طلعت هدية فقال: ما خلا هذه.

● **نهي الولاةِ عن قبولِ الهديّة**

صعد النبي ﷺ المنبر فقال: ما بال أقوام استعملتهم على الصدقات فيجيء أحدهم فيقول هذا ما لكم وهذا أهدي إليّ، هلاّ جلس في حفش أمه فينظر أيهدى إليه، والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقّه إلا لقي الله يحمله فليأتين أحدكم وعلى رقبته بعير له رغاء بقرة لها خوار وشاة لها ثغاء، ثم رفع يده وقال: اللهم قد بلغت.

وروي: إياكم والهدية فإنها ذريعة الرشوة. ولعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي. قال الشيخ وقد ذكرت خبر أنوشروان مع غيره في مثل هذا الباب في الولايات.

● **الممتنعُ من أخذ الهديّة**

سأل رجل الخيزران حاجة فاستبطأها فأهدى إليه هدية، فكتب إليه: إن كان ما وجهته ثمناً لرأيي فيك فقد بخستني في القيمة وإن كان استزادة بها استغششتني في النصيحة.

---

(١) أم عمرو: الضبع.	(٢) الركب: جمع أركب، ركبان الإبل أو الخيل.

وقال المدائني: أهدى رجل إلى مجوسي هدية فاغتم لذلك فقيل له، **فقال**: لئن ابتدأني بها فإنه يدعوني إلى أن أتقلد منه، ولئن كافأني على معروف عنده إنه ليروم أخذ ذلك، فمن أي هذين لا أجزع.

وطلب عبد الله بن جعفر لأزادمرد حاجة من أمير المؤمنين رضي الله عنه فأهدى إليه أزادمرد أربعين ألف درهم فامتنع عبد الله من أخذها، وقال: إنّا أهل بيت لا نأخذ على معروفنا ثمناً وأهدى عبد الله بن السري إلى عبد الله بن طاهر لما ولاه مصر مائة وصيفة مع كل واحدة بدرة وبعثها إليه ليلاً، فردها وكتب إليه: لو قبلت هديتك ليلاً قبلتها نهاراً وما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون.

● **من لانَ بعد شدةٍ لأخذ هديّة**

مرّ زياد بأبي العريان بالبصرة، **فقال**: من هذا؟ **فقالوا**: زياد بن أبي سفيان، **فقال** ما أعرف في ولد أبي سفيان زياداً، فبلغه ذلك، فوجه إليه دنانير ثم مر به، **فقال**: من هذا فقالوا زياد بن أبي سفيان، **فقال** لقد ذكرني شمائل أبي سفيان، فبلغ ذلك معاوية رضي الله عنه، **فكتب إليه**:

ما لبثتك دنانير رُشيتَ بها ... إن لونتك أبا العريان ألوانَا
لله درّ زياد منذ قدمها ... كانتْ له دونَ ما يخشاه قربانَا[1]

فكتب له:

ابعَثْ لنا صِلَةً تحيا النفوسُ بها ... قد كدتَ يا ابنَ أبي سفيان تنسانَا
من يسدِ خَيراً يجِدْه حيثُ يجعلُه ... أو يسد شراً يجِدْه حيثُما كانَا
أما زيّاد فلا أنسيت نسبتَه ... ولم أرِدْ بالذي حاولتُ بُهتانَا[2]

ولما ولي الحسن بن عمارة المظالم، قيل ذلك للأعمش **فقال**: ظالم ولي المظالم، فأهدى إلى الأعمش رزمة ثياب فجعل يقول من بعد: إن الحسن كريم وحر سخي. وكان رؤبة له حكومة فلم يكن يبلغ مراده فيها فأهدى إلى الحاكم شيئاً فنال ما رام، **فقال**:

لما رأيتُ الشفعاءَ بلدوا ... أسوتهم برشوةٍ فقردوا[3]
وسهل الله بها ما شدّدوا

وكان بعض الولاة يخاشن بعض عماله فأرضاه بما أهداه، فسألته كيف حالك مع فلان؟ **فقال**: قد سد ابن بيض الطريق وخبره معروف.

---

(١) **قربان**: كل ما يُتقرب به إلى الله.
(٢) **قوله**: أنسيت نسبته: يغمز في نسب زياد بن أبيه.
(٣) **بلدوا**: كانوا قليلي النشاط.

● استردادُ ظروفِ الهَدايا وتركِها

قال الغنوي: استديموا الهدايا برد الظروف، وقال إسحاق بن إبراهيم: كنت مع الرشيد بالكوفة في شهر رمضان، **فقال** لموسى بن عيسى: يا أبا عيسى. حلواؤنا عليك، وكان يوجه إليه كل ليلة عشر صحاف. فلما كان بعد عشر ليال قطعها، فقال له الرشيد أصغوت فقطعت الحلواء، **فقال**: ما قطعها غيرك إن أنصفت. **قال**: كيف؟ **قال**: إن من يأخذها منا لا يريد صحفة ولا منديلاً ولا طبقاً، **قال**: بئس ما عمل إن الهدايا تستدام برد الظروف فإذا صرت المتقاضي وأنت القاضي فلا تحتشم أحداً في استرداد الظروف. للصاحب وقد أهدى دنانير على طبق فضة فكتب بأبيات فيها:

والـظـرفُ يـوجـبُ أخـذَه مـع ظـرفِـه

● الاعتذارُ من إهداءِ شيءٍ طَفيف

كتب بعضهم: سهل لي سبيل الملاطفة فأهديت هدية من لا يحتشم إلى من لا يستغنم. كتب أحمد بن يوسف: للهدية معنيان كلاهما يوجب القبول، وإن قل. **وقيل**: إن كان لك عند المهدي يد فلا تستقصر بمزيدك وإن كان مبتدئاً، فالتفضل لا يستقل الهدية. أظرفها أخفها وأقلها أنبلها. وكتب آخر قدمت المعذرة في إهداء ما اتسعت به المقدرة. وروي أن سليمان عليه الصلاة والسلام مرّ بعش قنبرة فأمر الريح أن تتجنب عشها الذي فيه فراخها. فجاءت القنبرة لما نزل سليمان فرفرفت على رأسه وألقت جرادة هدية له لما فعل، **فقال سليمان**: هي مقبولة فكل يهدي على قدر وسعه. **ومما يروى لأبي يوسف القاضي**:

علـيـنـا بـأنْ نـهْـدي إلـى مـنْ نـحـبّـه ... وإن لمْ يكنْ في وسعنا ما يُشاكلُه[1]
ألـم تـرَنـا نـهْـدي إلـى الله مـالَـه ... وإن كـانَ عـنْـه ذا غِـنـىَ فـهـو قـابِـلُـه

وقال دعبل:

هـذي هـديـةُ عـبْـدٍ أنْـتَ مُـلْـبِـسُـه ... ثوبَ الغِنى فأقبَلِ الميسورَ من خدَمِك

وقال الخبزارزي:

تـفـضَّـل بـالـقـبـولِ عـلـى أنّـي ... بـعـثْـت بـمـا يـقِـلّ لـعـبْـدِ عـبـدِك

أهدى بعض الأدباء إلى المعتز شيئاً، وكتب إليه: لا يعيب العبد أن يهدي إلى سيده القليل من نعمته عنده ولا السيد أن يقبل ذلك وإن كان الكل له والسلام.

● المقتصِرُ في الهديّة على الشكرِ

قال المازني: أظرف من اعتذر للفقر واقتصر على الشكر في الإهداء أحمد بن إبراهيم

---

(١) **يشاكله**: يشبهه.

كتب إليه ابن ثوابة:

إنّي جعلتُ هديّتي ... في المهرجانِ إليك شُكْري
لمّا تعذّر واجبٌ ... فسَح التعذر فيه عُذْري
فإذا مررت بذكر مَنْ ... جاءتْ هديّته ببِرّ
فادر على اسمِي دارةً ... واكتُبْ عليهِ أتى بِعُذرِ

وقال محمد بن أبي حكيم:

رأيتُ كثيرَ ما يُهْدي قليلاً ... لعبدِك فاقتصرْتُ على الدعاء

وقال آخر:

وافق المهرجانُ والعيدُ منّي ... رقّةَ الحال وهيَ داءُ الكِرام[1]
فاقتصرنا على الدعاء وفيه ... عونُ صدقٍ على قضاء الذِّمامِ[2]

● **المقتصِرُ على إهداء النفس**

اقتصد المتوكل فلم يبق أحد من جواريه وحشمه إلا أهدى إليه، فأخبرت قبيحة بذلك، وكانت معشوقته فتزينت ودخلت عليه **فأنشدته**:

طلبْتُ هديّةً لك باحتيالِ ... على ما كانَ من حسّي وبسّي[3]
فلمّا لم أجِدْ شيئاً نفيساً ... يكونُ هديّتي أهديْتُ نفسي

فقال المتوكل: نفسك والله أحب إليَّ.

قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

حبيبي فصدْتُ العرقَ من أجْلِ علّةٍ ... فلم تهدِ لي فيه وِصالاً مجدّدا
فأهديْتُ نفسي يومَ فصدي بوصلِها ... إليْك فخُذْها كي تكونَ لك الفِدا

● **استهدَاء النفس**

كتب أبو العباس بن رشيد إلى صديق كان مشغوفاً به:

النّاسُ يُهْدون إلى المفتصِد ... أحسَن ما يلقَوْنه في البَلَدْ
فاهدِ لي وجهَك يا سيّدي ... فإنّه أحسَن شيءٍ يرِدْ

● **المُهْدي شيئاً معيناً**

أهدى أبو عبادة الوزير إلى المأمون مصحفاً في يوم مهرجان ووافق أول يوم من شهر

---

(١) **المهرجان**: من أعياد الفرس، أشرنا إليه في غير هذا الموضع.
(٢) **الذمام**: العهد والأمان.   (٣) **بسي**: جهدي.

رمضان فكتب إليه عدلت عن هدايا السلطان إلى التيمّن بالقرآن وما يرضى الرحمن فوقع في رقعته ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1] وأهدى أحمد بن يوسف إلى المأمون هدايا وكتب إليه رقعة، فلم يستظرف من هديته شيئاً إلاّ قوله في رقعته هذا يوم جرت فيه العادة بالطاف العبيد للسادة. وبعث إبراهيم بن المهدي بجراب ملح وجراب أشنان وكتب معهما: قصرت البضاعة عن بلوغ الهمة فكرهت أن تطوى صحف البر خالية من ذكرى، فبعثت بالمبدوء به لبركته والمختوم به لنظافته والسلام. وشرب الرشيد دواء فأهدت إليه الخيزران جارية بكراً معها جام، كتب عليه:

إذا خــرجَ الإمــامُ مــن الــدواءِ　　　وأعـقـبَ بـالـسّـلامـة والـشّـفـاءِ
فـلـيـسَ لـهُ دواءٌ غـيـرُ شـرْبِ　　　بـهـذا الـجَـام يـنـزعُ بـالـطّـلاءِ
وفـضّ الـخـاتـمِ الـمـهـدِي إلـيْـه　　　فـهـذا الـعـيْـشُ من بـعْـد الـدواءِ

وأهدى رجل إلى آخر قلنسوة ونعلاً وخاتماً فقال لقد أشواني فلان بكسوته أي أصاب شواي.

● ذكرُ الهدية بأنها أمارةُ لفضل صاحِبها أو نقصه

قيل: يعرف فضل المرء بفضل هديته وسخافته بسخافة بره. **وقيل**: ثلاثة تدل على عقول أربابها الهدية والرسول والكتاب. وقد حكى الله تعالى عن بلقيس أنها قالت وإني مرسلة إليه بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون، فجعلت جواب الهدية دلالة.

قال كشاجم:

إنّ هَـدايـا الـرجـالِ مـخـبـرَةٌ　　　عـن قـدرِهـم قـلّـلوا أو احـتـفَـلُوا[2]

● المهدي هديةً سخيفَة

أهدى أبو رهم السدوسي إلى قينة كان يتعشقها زنبيل بصل، فقال فيه ابن المعدل: قالت جبل ماذا العمل هذا الرجل حين احتفل أهدى بصل. أهدى رجل إلى إسماعيل الطالبي فالوذجة عتيقة قد زنخت، وكتب معها إني اخترت لعملها سكر السوس والعسل الماذي والزعفران الأصفهاني، فكتب إليه: برئت من الله إن كانت هذه الفالوذجة قد عملت إلا قبل أن يوحى ربك إلى النحل. وأهدى أبو علي البصير إلى أبي العيناء كرينجان قد كتب على كل واحدة منها ادخلوها بسلام آمنين، فردها أبو العيناء وقد كتب عليها فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن. وكان رجل قد شغف بصبي فأهدى إليه، كلباً **فقال أبو شبل**:

ومـا رأتْ عـيْـنـي ولا قـيـلَ لـي　　　إن فـتـىً مـسـتَـهْـتِـراً صـبّـا[3]

---

(١) القرآن الكريم: الرحمن/ ١٣.　(٢) احتفلوا: بالغوا.
(٣) الصبّ: المشتاق، والعاشق المولّه

لـمّـا دنـا مـن وصْـلِ أحـبـابِـه أهـدى إلـى أحـبـابِـه كـلْـبَـا[1]

قال الصولي:

أهـدى إلـيَّ هـديّـة مـذمـومَـةً وأذَمُّ مـنـهـا عـنـدنـا مُـهْـدِيـهـا
وكـأنـمـا هـيَ فـي سـمـاجَـةِ منظَرٍ تـحـكـيـهِ فـي قـبْـحٍ كـمـا يـحْـكِـيـهـا[2]

● **الممتنّ بهديّةٍ أهْداها**

أهدى رجل إلى الأعمش بطيخة، فلما أصبح **قال**: يا أبا محمد كيف كانت البطيخة، **قال**: طيبة. ثم أعاد عليه ثانياً وثالثاً **فقال**: إن خففت من قولك وإلا قئتها. وأهدى أبو الهذيل إلى أستاذ له ديكاً فكان بعد ذلك إذا خاطبه أرّخ بديكه، **فيقول** إنه كان يوم أهديت إليك الديك وإنه كان قبل الديك بكذا وبعد الديك بكذا. وقدم زياد على معاوية وأهدى إليه هدايا كثيرة فأعجب بها معاوية، فلما رأى زياد سروره بذلك **قال**: يا أمير المؤمنين إني دوخت لك العراق وجبيت لك برها وبحرها وغثها وسمينها وحملت لك لبها وسروها، فقال له يزيد: أما إذا فعلت ذلك فقد نقلناك من ولاء ثقيف إلى شرف قريش ومن عبيد إلى أبي سفيان، وما أمكنك تدويخ العراق إلا بنا. **فقال معاوية**: حسبك فداك أبوك ووريت زناده فيك.

● **الشاكِرُ المهدِي إليه**

أتـتْـنـا هـدايـا مـنـه أشـبـهْـنَ فـضـلَـه ومـنَّ عـلـيَّ مُـنْـعِـمـاً مـتـفـضّـلا
ولـو أنـه أهْـدى إلـيَّ وصـالَـه لـكـانَ إلـى قـلْـبـي ألـذَّ وأوصَـلا

(٧)

وممّا جاء في الطبّ والمرض والعيادة

●

قيل: حد الطب دفع الضد بالضد، **وقيل**: هو معرفة الداء وتلقيه بالدواء. وأصل الطب العلم والطبيب صار اسماً للعالم بمداواة أبدان الناس. **وقيل**: هو استدامة الصحة ومرمة السقم. وقال عبد الله بن المعتز: المرض حبس البدن والهم حبس الروح.

● **مدحُ طبيبٍ حاذق**

حكي أن سلمويه طبيب المأمون، وكان قد أسنّ وذهب بصره، كان دخل على

---

(١) **الوصل والوصال**: نقيض القطيعة والهجر.

(٢) **سماجة المنظر**: بشاعته ـ **تحكيه ويحكيها** من حاكى يحاكي أي شابه وماثل.

المأمون يتكىء على صبية تقوده، فلما قام المأمون قام ثم رجع، فرجع سلمويه إلى حضرته واتكأ على تلك الصبية، فقال للمأمون: هذه الصبية كانت بكراً وخرجت من عندي الساعة وعادت ثيباً فاستخبرها[1]، فقالت: إن العباس ابن أمير المؤمنين دعاني إلى نفسه لما خرجت فافتضني، فقال له المأمون: وكيف علمت ذلك؟ فقال: كنت أخذت مجستها فوجدتها قوية ثم جسستها فوجدت نقصانها فعلمت ذلك، فتعجب المأمون من حذقه ونحو ذلك في التنجيم.

● **حديثُ الفيْلَسُوف**

الذي كان ينام على سرير فنام عليه ذات يوم فأنكره وقال: إما أن تكون السماء قد انحدرت أو الأرض قد ارتفعت، فتأمّل فإذا قد جعل تحت قائمة السرير شيء ارتفع به عن الأرض.

ومن الحذق البيّن ما حكي أن عمرو بن الليث زلقت رجله فانخلعت إحدى فخذيه فنام على الفخذ الوجعة واستحضر المجبرين، وجعل يعرض على واحد واحد الفخذ الصحيحة ويئن إذا مست، وكان يقول: بهذا نختبرهم إلى أن حضر المعروف بابن المغازلي فلما جسها أنَّ عمرو، فقال ابن المغازلي: ما هذه الجلبة ما بك من قلبة، وإن فخذك أصح من فخذ الظليم. فعرض عليه الفخذ الأخرى فقال أما هذه فنعم، فعلم عمرو أنه حاذق، فقال: إن مداواتها صعبة لأنها تحتاج إلى إشالة الرجل وأنا استسمج ذلك ولكنني أحتال له، فعمد إلى زق فوضعه بين رجلي عمرو وشد إبهامي رجليه بعضهما إلى بعض وجعل ينفخ في الزق وهو يربو وينتفخ ويرتفع الفخذ بانتفاخه إلى أن امتد الزق ورد العضو إلى موضعه، ثم حل الإبهامين وشده إلى أن برأ.

وقال رجل: توجّعت من رجلي مدة وتداويت بكل دواء فلم ينفع فرأيت طبيباً فوصفت ذلك له، **قال**: انظر فلعل إحدى ركابيك أطول من الآخر فتأملت فإذا هو كذلك، فأصلحته فزال الوجع السري.

قال الكندي:

أَحيا لنا علمَ الفلاسِفَةِ الذي ... أودَى فأوضحَ رسمَ طب عاف[2]
فكأنهُ عِيسى بن مريمَ ناطِقاً ... يهبُ الحياةَ بِأوهنِ الأوْصافِ
يبدو له الداء الخفيّ كما بدا ... للعينِ رضراض الغديرِ الصافي[3]

وله:

كأنّه من لطف تدبيرِه ... يجولُ بينَ الدمِ واللحمِ

---

(١) استخبرها: اسألها عن خبرها. (٢) عاف: متروك، مهمل.
(٣) الرضراض: الحصى الدُقاق في مجرى النهر.

لو غضبَتْ روحٌ على جسمِها ... ألّفَ بينَ الروحِ والجسمِ

● **ذمّ طبيب**

رأى أفلاطون إنساناً مدعياً للصراع ضعيفاً في دعواه ثم تحول طبيباً، **فقال له**: الآن أحكمت الصراع، تهيأ لصراع من شئت فإنك تصرعه. ترك لافس التصوير وتطبب فقيل له في ذلك **فقال**: الخطأ في التصوير تدركه العيون وتلحقه العيوب وخطأ الطبيب تواريه القبور. ورأى فيلسوف طبيباً جاهلاً، **فقال**: هذا مستحث للموت.

قال الخبزارزي في طبيب اسمه نعمان:

أقولُ لنعمانَ وقدْ ساقَ طبّه ... نفوساً نفيساتٍ على سَاكني الأرْضِ
أيا منذر أفنيْتَ فاستبْقِ بعضَنا ... حنانيْك بعضُ الشرّ أهونُ من بغضِ

● **مدحُ الحِمْية**

قيل: الحمية طابع الصحة. وقيل للحرث بن كلدة: ما الدواء الأكبر، **فقال**: الأزم وقيل حمية شهر أيسر من سهر ليلة، وأن تصبر على الحمية شبراً خير من أن تقاسي العلة فتراً. وقيل لا تأكل ما تشتهي فيصيرك إلى ما لا تشتهي. **وقيل للسري**: قد تركت الشهوة، **فقال**: تركت ما أحب لأستغني عن العلاج بما لا أحب.

واحتمى أحمد بن المعدل لعلة به فبرأ، **فقال**: الحمية صالحة لأهل الدنيا تبرئهم من المرض ولأهل الآخرة صالحة تبرئهم من النار. وقال عمر رضي الله عنه: عزم الرجل بحميته وحزمه بمتاع بيته. وقال المأمون لطبيبه: ما الذي يذهب بأكل الطين، **فقال**: عزمة من عزمات الرجال، قال صدقت، فتركه بعد ذلك ولم يعاوده، قيل للصاحب يوماً: تحتمي وتشرب الأدوية، فقال افعل ذلك بغضاً في الحمية وشرب الأدوية.

● **ذمّ الأدويةِ أيامَ الصحة وتجاوزِ الحدّ فيها**

قيل: ليس الحمية في الصحة بأوجب من التخليط في الصحة. واستوصف العباس أخو المنصور طبيباً **فقال له**: كلّ في الصحة على الطبيب وفي المرض على مقتضى قول الطبيب. ودخل بيادوق طبيب الحجاج على بشر بن مروان **فقال**: أما ترى هذه العلة قد طالت بي، **فقال**: إلى أن أختبرك ولا يكون ذلك إلا على الريق فبكر إليه وأضجعه على الحصير وجسه ما بين أخمص قدمه إلى هامته، ثم **قال**: أيما أحب إليك الصدق أم الكذب؟ فقال وما حاجتي في الكذب؟ **فقال**: إنك ميت، فقال أرني أمارة ذلك فدفع إليه قطعة لحم طري وشدها في أبريسم وقال ازدردها ففعل، وتركها ساعة ثم قلعها فإذا عليها دود كثير، **فقال**: كيف أصابني ذلك وقد قدمت بلدكم وكننت نفسي من الحر والبرد، **فقال**: منها أتيت فقد نغل جسمك، فالأبدان لا تقوم إلا بالحر والبرد وإن أذياها. فعاش بعد ذلك ثلاثة أيام. وقيل الجوع للحمية أضر على البدن من العلة.

● **صعوبة الحمية ومدح تركها**

قيل: الحمية إحدى العلتين، فمن احتمى فهو على يقين من المكروه وفي شك من المحبوب.

قال عبد الصمد بن المعذّل:

وقـالُـوا شـفـاؤُكَ فـي حِـمْـيَـةٍ تـعـودُ عـلـيـكَ بـهـا الـنّـضْـرَه
فـأصـبـحـت فـي بـلـدٍ مـخـصـبٍ بـبـلـقَـعـةٍ جـدْبَـةٍ قـفْـرَه[1]

وقال الرشيد للفضل: ما أطيب ما في هذه الدنيا؟ فقال: رفض الحشمة وترك علم الطب، فلا عيش لمحتشم ولا لذة لمحتم. **وقيل**: من عرف ما يضره مما ينفعه فهو مريض. وقال **أفلاطون**: الموت موتان طبيعي وإرادي، فالطبيعي مفارقة الروح البدن والإرادي منع الأبدان الشهوات. **وقيل**: الأبدان المعتادة للحمية آفتها التخليط والأبدان المعتادة للتخليط آفتها الحمية.

● **مدحُ القليلِ من الطّعام وذمُّ الإكثار**

اجتمع أربعة من الأطباء عند المأمون عراقي ورومي وهندي وسوادي، **فقال**: ليصف كل منكم الدواء الذي لا داء معه، **فقال** الرومي حب الرشاد، **وقال** الهندي الهليلج الأصفر، وقال العراقي الماء الحار، **وقال** السوادي وهو أبصرهم حب الرشاد يورث الرطوبة والماء الحار يرخي المعدة والهليلج يرقق البطن، ولكن الدواء الذي لا داء معه أن تجلس على الطعام وأنت تشتهيه. وتقوم عنه وأنت تشتهيه وقيل لطبيب كم آكل فقال خوف الجوع ودون الشبع.

● **مضَرّةُ الشبعَ فوقَ مضرَّة الجُوع**

قال أبقراط: الإكثار من المنافع شر من الإقلال من المضار. **وقال أرسطوطاليس**: المطعم والمشرب إذا كثرا على المعدة أطفآ نارها، فجرت الأغذية في البدن غير نصيحة فصار ذلك نقصاناً للبدن يورث الفترة كالشجرة إذا كثر ماؤها عفنت وإن قل جفت، وكالسراج إذا قل دهنه أو كثر انطفأ.

وقال محمد بن عبد الله بن جعفر: من تغدى وتعشى ولم يأكل فيما بينهما سلم من الأوجاع لقول الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[2] وقال بعض الأطباء: أحب الناس إلينا الرغيب البطن لكثرة حاجاتهم إلينا. وقد ذكر بعض هذا الباب في كتاب الأكلة.

● **ما تُستدام به الصحة من الأكلِ والشّرْبِ والصّوْم والجِماع**

قال طبيب الحجاج: لا يحفظ الصحة كالأكل بالنهار وتقليل الشرب بالليل وأن لا

---

(١) البلقعة: الأرض الخالية من كلّ شيء. (٢) القرآن الكريم: مريم/ ١٠

يحبس البول والنجو والرياح التي تعرض في البطن من أراد حفظ الصحة فليقلّ الغذاء وغشيان النساء وشرب الماء. ولما احتضر الحارث بن كلدة اجتمع إليه شبان قريش فقالوا أوصنا، **فقال**: لا يتزوجن أحدكم إلاّ شابة، ولا يأكل إلا لحم فتي، ولا يتناولن أحدكم الدواء ما احتملت نفسه الداء، ولا تأكلوا الفاكهة إلا في إبان نضجها. وإذا تغدى أحدكم فلينم عليه نومة وإذا تعشى فليتخطّ على أثر عشائه أربعين خطوة، وعليكم بالنورة في كل شهر فإنها مذيبة للبلغم مهلكة للمرة.

وقال أبقراط لما حضرته الوفاة: خذوا جامع العلم مني من كثر نومه ولانت طبيعته ونديت جلدته طال عمره. **وقال اسكندر** اجمعوا لي الطب في كلمات أتصورها. **فقالوا**: لا تدخل الفضل على المعدة ولا تمنع نفسك شهوتها فإن النفس تقوى على هضم المشتهي، ولا تنكحن عجوزاً ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن إخراجه فإنك لا تعل إلا علة الموت. **وقيل**: راع غذاءك فأنت تحكم به بناءك.

أخبر حاتم بن زيد بن المهلب بشيخ قد أتت له مائة وخمسون سنة في اعتدال جسم ونضارة لون استدعاه وسأله، **فقال**: إن كان لما أرى من هذه الموهبة الجميلة سبب بعد تقدير الله تعالى فما أصفه ما احتملت مهما تبعد على مدافعته، ولا رأيت من زوجة مكروهاً، ولا اجتمع في بطني طعامان، وإذا شربت شراباً تناولته رقيقاً طيباً لا أثمل منه ولا استدعي الطبيعة من غير عارض، وما استدعيت للباه حركة ألا أن يهيج بالطبيعة على القلب وإذا فعلت ذلك أقللت الحركة بقية يومي. وكان **جالينوس يقول**: اجتنبوا ثلاثة وعليكم أربعة ولا حاجة لكم بالطبيب. اجتنبوا الغشيان والغبيراء والنتن وعليكم بالدسم والطيب والحلواء والحمام.

● نفعُ النومِ ومضرّة السهَر

قال المأمون: قد أصبت دواء يمرىء ولا يؤكل ولا يشرب فقيل ما هو؟ **قال**: النوم أثر الغذاء. **وقيل**: إذا أكلت فاضطجع على جنبك الأيسر فإن الكبد يقع على المعدة فينضج الطعام فيهضمه.

● ما تتولّد منه العِلل

قيل: أضر الأشياء طعام بين شرابين وشراب بين طعامين. **وقيل**: أضر الأشياء للبدن الفكرة والسهر، وأنهك الأشياء للبدن الخوف. **وقيل**: ثلاثة تورث الهزال، شرب الماء على الريق والنوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع صوت، **وقيل**: أربع يهدمن الجسم وربما قتلنه، أكل القديد الجاف والجماع على الامتلاء ومجامعة العجوز وإدخال الطعام على الطعام. وشرب الماء في ثلاثة مواضع متلف: عقيب الخروج من الحمام وأثر الجماع وعلى الإعياء. **وقيل**: من أدوأ الداء الشرب على اللقمة في الفم وقال طبيب الهند: اجتنبوا ما أخرج الضرع والبحر والنخل تسلموا.

وقال الحارث بن كلدة لأنوشروان: الأكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها وغشيان المرأة المولية يضعف القوة ويسقم البدن لأنها كالشن البالي ماؤها سم قاتل ونفسها موت عاجل تأخذ منك ولا تعطيك. واجمع علماء الطب على مضرة اللحم الجاف والسمك والبيض البارد، واجمعوا على منفعة النبيذ والسويق والسكنجبين. **وقيل:** من حم يوماً فلا يأكل الكشك سنة، **وقيل:** كثير الرمان ضار كما أن قليله نافع.

● من تناولَ طعَاماً وتحقّق تولّدَ علّة منه

اجتاز رجل بصديق له محموم فسأله عن سبب علته، **فقال:** أكلت في هذا الصيف فراخاً وعسلاً وشربت خمراً صلباً ونمت في الشمس، **فقال له:** عليّ كل يمين لو كانت الحمى من حملة الشمس ورأتك بهذه الحالة لتركت عملها ووافتك. وقال بعضهم: أكل رجل سمكاً وخبزارز ولبناً وشرب عليه ماء كثيراً بجليد ودخل سرداباً فجامع ونام هناك فأتى الموت حيه ودق عليهم الباب، وقال تعالوا وانظروا إلى هذا المتخلف وفعله، فإن هذا يموت فيقال اختطفته المنية ولا يعرفون سوء تدبيره وقبح صنيعه.

نظر طبيب إلى دهقان يغرس شجرة مشمش فقال له ما تصنع؟ **قال:** أعمل لي ولك يعني أن الطبيب ينتفع بالمشمش لسوء أثره على آكليه وحاجتهم إلى الطبيب لما يتولد عليهم من الأدواء لأكل الطري منه، وفي هذا المعنى يقول ابن الرومي:

إذا ما رأيتَ الدهرَ بستانَ مشمشٍ ... فأيقِنْ يقيناً أنه لطبيبْ
يغلُ لهُ ما لا يغلُ لغيْرِهِ ... يغلُ مريضاً حمل كلّ قضيبْ

● هيجانُ الدمِ ونقصانُه

قال النبي ﷺ: إذا تبيغ بأحدكم الدم فليحتجم لئلا يقتله. قال ابن ماسويه: في الفصد ثلاث منافع وثلاث مضار، أما منافعه فإنه يحد البصر ويصفر اللون ويزيد في اللحم، ومضاره أنه يضعف البدن ويجلب الضعف ويقطع الباه، **قال جالينوس:** الدم في الجسد كالزيت في السراج إذا نفد الدهن طفىء السراج، **وقال بختيشوع للمأمون:** البدن إلى الدم أحوج منه إلى إخراجه، ألا ترى إلى الطبّاخ الحاذق يجيىء إلى القدر وهي تفور فيأخذ رغوتها ويسكنها بشيء من الماء أو غيره وهي ممتلئة، فكذلك يفعل بالدم.

واقتصد المأمون يوماً فأراد أن يشرّح وكان قد أتخم فشدوا الرباط عليه فلم يخرج الدم، فقال المأمون: قد عقرتموني فحلوا الرباط واعتزلوا وتشاوروا بظهر الغيب غني فالهيبة قد أدهشتكم، فاعتزلوا يتشاورون فدعا فراشاً وأمره بمصه فمصه فخرج الدم. **فقال:** ادع هؤلاء الحاكة، فلما رأوه أخبرهم بذلك فقالوا لو فعل جالينوس هذا كان عجيباً.

● تهنِئةٌ بالفَصْد

قال ابن رزين الواسطي:

أراقَ الفَصْدُ خيْرَ دم ... دمُ الأذهانِ والفَهْمِ

لقد أخطأ الطبيبُ غداةَ فَصدك طيِّب النسمِ
وراحَ وفي حديدتِه دمُ المعروفِ والكرمِ

قال ابن الرومي:

يا فاصِداً من يدٍ جَلّتْ أياديها وذاقَ طعمَ الردَى والبؤسَ شانيها[1]
يدُ الندى هي فارفقْ لا تَرِقْ دَمها فإن أرزاق طلاّب الندَى فِيها

واقتصد جعفر بن يحيى فكتب إليه الفضل:

إذا أنتَ أسبلْتَ للباسليقِ عيوناً من أجفانِهِ الواهيَة[2]
رأيتَ اعتدالَك يَبكي دماً وتضحَك من جنبِك العافِية

● جُملة التّداوي

قال أبقراط: جملة المعالجة خمسة أضرب، يعالج ما في الرأس بالغرغرة، وما في المعدة بالقيء، وما في أسفل المعدة بالإسهال، وما بين الجلد بالعرق، وما في داخل الجلد بإخراج الدم. **وقال جالينوس:** يعالج ما في قعر الكبد والطحال والكليتين بإخراج البول، وما في المعدة من ضعف أو تغير مزاج أو فضول زائدة يرقق بالأدوية، إن كانت حرارة بردت وإن كانت رطوبة جففت.

● من امتنعَ في مرَضِه من التّداوي وذكرِ قلّة غَنائه

قيل **لأبي بكر رضي الله عنه ألا ندعو لك طبيباً، فقال:** قد رآني الطبيب وقال أنا فعال لما أريد. ودخل **عثمان على ابن مسعود رضي الله عنهما في مرضه. فقال:** ما تشتكي؟ قال ذنوبي، قال ما تشتهي؟ قال رحمة ربي، قال ألا ندعو لك طبيباً قال الطبيب أمرضني، قال ألا نأمر لك بشيء قال فما منعني قبل اليوم فلا حاجة لي فيه اليوم، قال تدعه لعيالك قال إني علمتهم شيئاً إذا راعوه لم يفتقروا.

سمعت رسول الله ﷺ **يقول:** من قرأ في كل يوم وليلة سورة الواقعة لم يفتقر أبداً. وقيل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ذلك، **فقال:** لو علمت أن دوائي في مسح أذني ما مسحتها نعم المذهوب إليه ربي. وقيل للربيع بن خيثم في مرضه: ألا ندعو لك طبيباً فقرأ: وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيراً قد كان فيهم مرضى وأطباء فلا المداوي بقي ولا المداوى، واستحسن **قول الشاعر:**

إن الطَّبيبَ بطبِّهِ ودوائِهِ لا يستطيعُ دفاعَ مقدورٍ أتَى
ما للطبيبِ يموتُ بالداءِ الذي قد كانَ يُبرىءُ مثلَه فيما مضَى
هَلكَ المُداوي والمداوَى والذي جَلَبَ الدواءَ وباعَهُ ومن اشترى

---

(١) شانيها: مبغضها.

(٢) الباسليق: وريد يمتد في الذراع.

وقال المتنبي:

يموتُ راعي الضأن في جهلهِ ... ميتةَ جالينوسَ في طبّهِ[1]

وروي أن موسى عليه السلام قال: يا رب من أين الداء؟ قال من عندي، قال فالدواء قال من عندي، قال فالأطباء ما يصنعون، قال يطيّبون قلوب عبادي حتى تحل عافيتي أو بلائي، وقال ابن نباتة:

نعللُ بالدواءِ إذا مرضْنا ... وهل يشفي من الموْتِ الدواءُ

ونختارُ الطبيبَ وهل طبيبٌ ... يؤخرَ ما يقدّمهُ القضاءُ

وما أنفاسُنا إلا حسابٌ ... ولا حركاتُنا إلا فناءُ[2]

وقال مسلمة ما وعظني شيء بعد القرآن كما وعظني بيتان لعمران بن حطان:

لنا كلُ عام مرضةٌ ثم نقهةٌ ... ونَبغي ولا نَبغى مَتى وإلى مَتى

فيوشِكَ يومٌ أن يوافقَ ليلةً ... يسُوقانِ حتْفاً راحَ نحوَك أو غدَا

● وصفُ الحمّى

دخل بختيشوع على يحيى بن خالد بعقب حمى، فقال له: تَوقَّ فإن حمى ليلة يبقى في البدن تأثيره سنة، وعنده وكيع فقال صدق، فقال يحيى ما أقرب تصديقك إياه، قال لأن النبي ﷺ قال: حمى ليلة كفارة سنة فعلمت أن هذا كما قال. وقال النبي ﷺ: إن الله تعالى يقول الحمى ناري أسلطها على عبدي فإن لم يشكني إلى عوّاده أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وأخرجته من ذنوبه لهيئة يوم ولد. وقال ﷺ: الحمى من قبح جهنم فاطفؤوها بالماء، ويستجاد قول المتنبي:

وزائرتي كأنّ بها حياءً ... فليسَ تزور إلاّ في الظلامِ

بذلتُ لها المطارفَ والحَشايا ... فعافَتْها وباتتْ في عِظامي

إذا ما فارقَتْني غسلتْني ... كأنّا عاكفانِ على حَرامِ

أراقبُ وقتَها من غيرِ شوقٍ ... مراقبةَ المشوقِ المستهامِ[3]

حُمّ أعرابي في أيام القيظ بمكة فأتى الأبطح وقت الظهيرة، فتعرى وطلى بدنه بالزيت ونام في الشمس وجعل يتقلب فيها، ويقول مخاطباً للحمى: لتعلمن ما نزل بك يا حمى عدلت عن الأمراء وأهل الثراء وجئتني، فعرق وذهبت حمّاه. وقام فسمع قائلاً يقول: حم الأمير، فقال: أنا والله بعثها فلعن الله من وشى به عليّ.

---

(١) يعني أن الراعي الجاهل يموت كما يموت الطبيب الحاذق.

(٢) حساب: يعني معدود.

(٣) المشوق المستهام: يريد أنه يراقب زيارتها خوفاً لا شوقاً.

وقيل: التقى حمتان فسألت إحداهما الأخرى فقالت آتي كل يوم رجلاً خريماً ناعماً فيضجعني على فراش وطيء فأضاجعه في أرغد عيش فأنصرف عنه بأطيب حال، فقالت الأخرى: ويحكِ إني وقعت إلى كساح قذر متى قصدته يأت بي سبخة فيعركني في التراب فأرجع عنه متربة. فقالت: ويحكِ تعالي إلى صاحبي لأغاديه أنا وتراوحيه أنت.

● الرّمَدُ

كتب علي بن القاسم رحمه الله: بلغني عن حال رمد عرض له ما أرمد خاطري وأظلم ناظري وأذهلني عن كل مهم وخفف في عيني وقلبي كل ملم. ويستحسن في عين محبوب رمداء قول ابن المعتز:

قالوا شكتْ عَينهُ فقلتُ لهم ... من شدةِ الفتك نالها الوصبَ[1]
حمرتُها من دماء من قتلتْ ... والدم في النصلِ شاهدٌ عجبَ

وقال ابن الحجّاج:

أنا الفداءُ لعينٍ بعض أسهمها ... مسكونة بين أحشائي وفي كَبدي
فيها فتورَ سقامٍ لا خفاءَ بهِ ... يجردَ السُقم في قلبي وفي جسدي
كانت تعلُّ فؤادي وهي سالمةٌ ... فكيفَ بي وهي تَشكو عُلَةَ الرَمدِ

● النقرس

كان أبو الفضل بن العميد يكثر برجله النقرس، فقيل له: لا تغتم فإن ذلك يؤذن بطول العمر، **فقال**: طول العمر هو أن من به النقرس يسهر فيصير ليله نهاراً فكأنما يتضاعف عمره، قال شاعر:

ألا فاعجبوا من مفلسٍ حلف نقرس ... أما نقرس في مفلسٍ بعَجيبِ[2]

وقال المبرد: ذكر أعرابي رجلاً قد أثرى فقال تنقرس كأنه سمع أن النقرس يكون مع النعمة، ومنه قول أعرابي:

فصرتُ بعد الفقْرِ والتفلسِ ... يُخشى على الحيِّ داءُ النِّقْرسِ

وقال ماسرجويه: لا ينقرس الناطفي في رجله والشطرنجي في يده.

● الحبُون

دخل شبيب بن شبة إلى ابن هبيرة، **فقال**: ما حبسك عنا؟ **فقال**: علة منعت الحركة ولم توجب العيادة حتى خرج علي، **فقال ابن هبيرة**: إن لحماً شديداً أعاد قيحاً وصديداً

---

(١) **الوصب**: المرض، والفتور.

(٢) **الحلف**: الملازم للشيء لا يفارقه ـ **النقرس**: الورم يصيب إبهام الرجل.

لأهلٌ أن يعاد صاحبه. **وقيل**: حبنك يؤذن بمالك، وقال بعض الأدباء: إنما يؤذن بمالك بفتح اللام أي يقتضي أن يقال أي شيء لك.

قال شاعر:

وبـي دُمَّـلٌ فـي كـلّ يـومٍ يَـزورنـي ... فـيُـقْـلِـقُ أحشـائي ويُـسهـرُ مقلَتـي
يـقـولُ لـي الـعـوّادُ مـالٌ وصـحـةٌ ... فـيـا لـيْـتَـهـم آبـوا بِـمَـالي وصِحَّتي[1]

وقال أبو حكيمة:

أيَحْسـدُني إبليسُ داءين أصبَحا ... بـرأسِـي ورجْـلـي دمَّـلاً وزُكـامـا
فـلـيـتَـهُـمـا كـانـا وأزيـدُه ... زمـانـةَ أيـرٍ لا يُـطـيـقُ قِـيَـامـا[2]

● الجَرَب

في الخبر أن النبي ﷺ **قال**: لا دعوى فقيل: إن البعير يجرب في القطيع فيجرب بجربه الإبل كلها، قال فمن أجرب الأول. ويسمى الجرب حبيبات الطرب. **وقيل**: صاحب الجرب شاكر لأنه أبداً يقول قد ذهب، قال الصنوبري:

الشيبُ عندي والإفلاسُ والجربُ ... هـذا هـلاكٌ وذا شـؤمٌ وذا عـطَـبُ

وقال عبدان:

ومـسـتـخـبـر حـالـتـي إذ رأى ... أقـضِ عـلـى جـنْـبـي الـمـضْـجَـعْ
فـقـلـتُ مُـجـيـبـاً لـهُ إنَّـنـي ... لـضُـرّي كـمـا قـالَ لـي أسْـجَـعْ[3]
إذا الـلـيـلُ ألـبـسَـنـي ثـوبَـه ... يـقـلّـبُ فـيـهِ فـتـىً مـوجَـعْ

● الزّكام

روي أنه قيل: ثلاثة لا يُعدنَ المزكوم والرمد والجرب، **وقالت عائشة رضي الله عنها**: من لا يعودني في الزكام لا أبالي أن لا يعودني في مرض آخر وقيل مؤنة أنف المزكوم أعظم من مؤنة استين. ودعا عيسى بن علي بن المقفع إلى الغداء، **فقال**: لست اليوم بمؤاكل للكرام لأنني مزكوم، والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الأحرار. ويقال: إن الشيطان قال ما حسدت ابن آدم إلا على شيئين الطشاءة والحقوة، أي الزكام والهيضة.

قال الوزير الرئيس الكافي الأوحد:

ونـزلـة كـنـتُ أحـمـي وجـهَ مَـورِدهـا ... فـفـاجـأتْـنـي عـلـى ضـربٍ مـن الـخَـمـرِ

---

(١) **العواد**: الذين يعودونه في مرضه ـ **آبوا**: عادوا ورجعوا.
(٢) **الزمانة**: العاهة والعطل. (٣) **أسجع**: أردد أصواتاً.

سُدتْ عليَّ طريقَ الروحِ منتَشِقاً ... وأسلمتْني لأيدي الروعِ والخدَرِ[1]
وأنشأتْ مزنةً في الرأسِ مضرَمةً ... ينعقُ بارقُها في السَمعِ والبصَرِ[2]
حَتى إذا مَخضتُها مدةً قدرت ... مدتْ بصفوِ حميمٍ غيرِ ذي كدَرِ
فَفي شُؤني حريقٌ من تَلَهُبِهِ ... وفي الخياشيمِ ضيقٌ محصد المرَرِ
لا الفصدُ يُغني ولا ماءُ الشعيرِ ولا ... طولُ احتماءٍ إذا ما هم بالدرَرِ
فالحمدُ للّهِ حمداً لا كفاءَ له ... على السلامةِ وقَاها من الغِيَرِ

● **شربُ الأدويةُ المسهلَةِ**

سئل طبيب كسرى عن دواء المشي **فقال**: سهم ترمي به في جوفك أخطأ أم أصاب.

وقيل: الدواء مثل عدوّ إلى جانبه صديق ترمي العدو فلا تأمن من أن يصيب الصديق. **وقيل**: الدواء في البطن كالصابون في الثوب ينقيه لكن يخلقه.

وقيل لأبقراط: ما بال الإنسان أثور ما يكون بدناً إذا شرب الدواء؟ **فقال**: مثل ذلك مثل البيت أكثر ما يكون غباراً إذا كنس. **وقيل**: لا تستعمل الأدوية في ما تنفع فيه الأغذية. **وقيل**: النفس إذا ألفت الدواء فسدت لأن الدواء يحب أن يطرأ عليها غريباً فتحتشم.

● **الكِنايةُ عنِ الأدويةِ المسْهلة**

كان ظرفاء البصرة يقولون لشارب الدواء: لم لبست النعل، ويقال: شربت فما أنجاني كناية عنه.

وكتب الصنوبري إلى صديق له شرب دواء:

نبّني كيفَ تخطّيك إلى دارِ الكرامةِ ... كم جدار هُدّ من رعدٍ وكمْ سحّت غمامه[3]

فلم يجبه فكتب إليه ثانياً:

إبنْ لي كَيفَ أصبحْتَ ... وما كانَ من الحَال
وكمْ سارتْ بكَ النا ... قةُ نحو المَنزِلِ الخَالي

فأجابه:

كتبتُ إليكَ والنعلانِ ما إن ... أغبهما من السيرِ العنيفِ
فإن رُمت الكتاب إليّ فاكتبْ ... على العنوانِ يوصل في الكنيفِ

---

(١) الروع: الخوف. (٢) المزنة: المطرة، والسحاب.
(٣) نبني: أخبرني ـ سحت غمامة: نزلت من عل.

● الحقنةُ

كان كرتكين أمير بغداد أمره الطبيب بالحقنة، **قال**: يوضع في إسته (كذا) فقال: في إست من؟ فخاف الطبيب، **فقال**: في إستي أيّد الله الأمير. وكان عين الدولة أصابه مغص فأشير عليه بالحقنة فأبى وتفادى منها فلما اشتد به الوجع، **قال**: يا قوم أدخلوا هذا الجذع في إستي وأريحوني فحقن وبرأ.

واعتلّ أعرابي فأشير عليه بالحقنة، فقال صديق له:

كفى سوءةً أنا نراكَ محبساً على شكوةٍ قبْحاً وفي إستِكَ عودُها[1]

● الحثُ على التّداوي بالأدوية

روي في الخبر تداووا فإن الله ما وضع داء إلا وضع له دواء، إلا الهرم، وقال طبيب لرجل: بمَ تداوى من حمّاك، **قال**: بالنشرة[2]، **فقال**: إن رأيت أن تغسلها بماء الشعير وتشربه فافعل. وقال رجل لآخر، وكان معه إبل جرب: هلاّ داايتها؟ **فقال**: إن لنا عجوزاً صالحة نتكل على دعائها ونستغني به عن الدواء، فقال اجعل مع دعائها شيئاً من القطران.

● التداوي بالقرآنِ والأدعية

وجد ابن أسقع يشكو حلقه فقال له النبي ﷺ: عليك بقراءة القرآن. ووجد بعض الصحابة شكوى في بعض بدنه، فقال ﷺ: ضع يدك اليمنى عليه وقل بسم الله أعوذ بالله وبقدرته من شرّ ما أجده سبع مرات.

● ذِكرُ التأنّي في المداواة والمبادرة

قيل: حقّ الطبيب أن يتأنى في المداواة فعثرته لا تقال. **وقيل**: المتأني في علاج الداء بعد معرفة الدواء كالمتأني في إطفاء النار وقد أخذت بحواشي ثيابه.

● نوادِرُ الأطِباء

جاءت امرأة إلى طبيب بقارورة. **فقال**: ما يجد صاحبها؟ قالت به حرارة وضيق ويبوسة، **فقال**: ليت ذاك في حِرّ امرأتي. وجاءت أخرى ببستوقة فيها ماء، **فقال**: لو جاز في البستوقة لجاز أن تحمليه في حرك.

وشكا رجل إلى طبيب سوء الهضم، **فقال**: كله مهضوماً. وجاء آخر إلى طبيب، فقال أكلت الشعير والرطبة فأصابني مغص، **فقال**: هذا طعم الحمار فاذهب إلى يحيى البيطار يعالجك. واعتلّ رستاقي[3] فجاء إلى الطبيب فقال له: كل الرائب، **فقال**: والله إني

---

(١) **الشكوة**: المزة من شكا. (٢) **النشرة**: الرقية.

(٣) **الرستاقي**: نسبة إلى رصناق وفي اللسان الرزتاق وهو والرستاق واحد، وهو من رستق، ألحقوه بالقرطاس.

لو عصرت ما انعصر مني إلا الراتب. وقال طبيب لمريض لا تأكل السمك واللحم، فقال له: لو كانا عندي ما اعتللت.

شكا عبد الله بن جعفر ضرسه، فقال له عبد الله بن صفوان: إن إبليس يقول دواء الضرس قلعه، فقال: إنما يطيع إبليس أولياؤه. شكا رجل إلى أبي السائب وجع رجله، فقال له: لا تأكل القديد، فقال أنا أحبه، قال: فالوجع أيضاً يحب رجلك، وظن خادم أن بشراً المريسي طبيب فعرض عليه ماءه فقال أنا طبيب الأديان لا طبيب الأبدان.

● سخفياتٌ في الطبّ

نظر عبادة إلى رجل في عينه جرب، فقال: أعطني مائة درهم أصف لك دواء، قال: افعل، فقال: خذ ورق المدر وعروق الحجر واسحقهما واكتحل بهما سبع سنين فإن لم تذهب عينك فخذني به، فرفع رجله وضرط عليه ضرطتين، فقال خذ هذين الدرهمين فإن نفع دواؤك زدناك.

وركب بختيشوع يوماً مع المأمون فتعلق به مجنون، وقال: أيها الطبيب خذ نبضي فأخذه، وقال ما تشتكي؟ فقال المجنون: أشتكي الشبق[1]، فقال بختيشوع: خذ مسواكَ أراك[2] وأدخله من وراك فإنه صالح لذاك، فضرط المجنون وقال: خذ هذا لذاك حتى تجرب دواك فإن كان صالحاً زدناك ولا يكون لنا طبيب سواك، فضحك المأمون:

● شهوة المريضِ للطّعام

قيل للخليل في علته أتشتهي شيئاً، قال: لا، وبودي أن أشتهي. وقيل ذاك لآخر فقال: أشتهي ما لا أجد وأجد ما لا أشتهي. وقيل ذلك لآخر: فقال: أشتهي أن لا أموت. قال أبقراط: المريض الذي يشتهي أرجى عندي من الصحيح الذي لا يشتهي. وقال المتنبي:

ومـنْ يَـكُ ذا فَـم مـرٍ مـريـضٍ ... يَـجـدُ مـرٌ بـه الـمَـاء الـزُلالا

● من شكا علته

قال أبو نواس، وقيل هو آخر شعر قاله:

دبَّ فـيَّ الـسَّـقـامُ سـفْـلاً وعـلْـواً ... وأرانـي أمـوتُ عُـضْـواً فَـعُـضـوا

لـيسَ يـمْـضـي مـن سـاعَـة بـي إلا ... نـقـصـتـنـي بـمـرهـا بـي جزْوا[3]

لـهـفَ نـفْـسـي عـلـى لـيـالٍ وأيـا ... م تـمـشّـغـتُـهـنَّ لـعْـبـاً ولَـهْـوا

وقيل لعمرو بن العاص في مرضه كيف تجدك؟ قال: أجدني أذوب ولا أثوب

---

(١) الشبق: شدّة الشهوة. (٢) الأراك: شجر يستاك بعيدانه. (٣) جزواً: مخففة من جزء.

وأجد نجوي[1] أكثر من رزي[2]، فما بقاء للشيخ على ذلك.

وقيل:

ولا بدّ من شكوى إذا لم يكُنْ صبْرُ

● **حمدُ شكوى العِلّة**

قال بعضهم: دخلت على سفيان وهو عليل **فقال**: أشتكي كذا وبت البارحة بكذا، فقلت أما تخشى أن تكون هذه شكاية من الله؟ **فقال**: أنا أذكر قدرته عليَّ. ولما مرض أمير المؤمنين دخل إليه الناس **فقالوا**: كيف تجدك، **قال**: بِشرّ، **قالوا**: أهذا كلام مثلك، قال أجل إن الله تعالى يقول: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[3] فالخير الصحة والشر المرض.

وقيل: الشكوى تخفف الهم وتزيل الألم. وقيل لآخر: ما تشكو، **فقال**: تمام العدة وانقضاء المدة. ووجه المتوكل إلى الجاحظ يدعوه، **فقال**: ما يصنع أمير المؤمنين بشخص ليس بطائل ذي شق مائل ولعاب سائل وفرج مائل وعقل حائل.

● **شكْوى العِلّة**

قال المأمون لابنه العباس وقد شكا إليه وجعاً في بطنه: يا بني إنك لا تجد مواساة في عرض ما تجده في بدنك ولا يشركك فيه صديقك فلا تشمتن به عدوك. وقال بعضهم لمن يشكو: أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك؟. **وقيل** لسعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، وهو مريض: إن المريض يتفرج إلى الأنين وإلى أن يصف ما به إلى الطبيب، **فقال**: أما الأنين فوالله إنه لجزع وعار ولا يسمع الله مني أنيني فأكون عنده جزوعاً، وأما الطبيب فوالله لا يحكم غير الله في نفسي فإن شاء قبضها إليه وإن شاء منّ بها عليّ.

● **فضلُ الصحّة والعافية**

قيل: شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما الشباب والعافية. **وقيل**: لا يعرف طعم العافية إلا من نالته يد العلة ولا طعم الرخاء من مسته يد البلاء. **وقيل**: الدنيا بحذافيرها الأمن والعافية لا تزال غنياً ما دمت سوياً.

● **نفعُ المرَض**

إعتلّ **الفضل بن سهل** بخراسان ثم برأ فجلس للناس، فهنأوه بالعافية وتصرّفوا في فنون الكلام، فلما فرغوا، أقبل على الناس، **فقال**: إنّ في العلل نعماً ينبغي للعاقل أن يعرفها: تمحيص الذنب والتعرّض للثواب، والإيقاظ من الغفلة والإذكار بالنعمة في حال الصحة، والاستدعاء للتوبة والحضّ على الصدقة. وفي قضاء الله وقدره الخيار.

---

(١) **النجو**: السرّ بين اثنين. (٢) **الرزّة**: صوت البطن. (٣) **القرآن الكريم**: الأنبياء/ ٣٥.

ودخل الحسن بن علي رضي الله عنهما على عليل، **فقال**: إن الله قد أقالك فاشكره وذكرك فاذكره.

واعتلّ جعفر بن محمد عليهما الرضوان، **فقال**: اللهمّ اجعله أدباً لا غضباً، وقال عليه السلام: إن المريض تتحات[1] عنه خطاياه كما يتحات ورق الشجر.

وذكرت الأدواء عند أبي الدرداء، فقال رجل ما اشتكيت قط، **فقال**: لا جرم أن ذنوبك لم تحطّ عنك.

● وجوبُ عيادةِ المريض

قال النبي ﷺ: حق المسلم على المسلم ثلاث: عيادة المريض وتشميت العاطس وتشييع الجنازة.

وقال ﷺ: من عاد مريضاً خاض الرحمة فإذا قعد عنده استنقع فيها، وإذا خرج من عنده خاض الرحمة. **وقيل**: عيادة المريض بعد ثلاث. وفي الخبر: عودوا مرضاها وشيعوا هلكاها وعزوا ثكلاها.

● أدبُ عيادةِ المريض

قيل: سوء العيادة تلقيح العلّة. وقال الفضل بن الربيع: لا تقولوا كيف أمير المؤمنين ولا تسألوه عن حاله فتكلّفوه الجواب، ولعله يثقل عليه الكلام، ولكن اجعلوا مسألتكم الدعاء له، وقولوا بدل كيف يجد أمير المؤمنين نفسه؟، أنزل الله عليه الشفاء والرحمة. قال شاعر:

حقّ العيادةِ يومٌ بعد يومين ... وجلسةٌ لكَ مثلُ اللحظِ بالعينِ[2]
لا تبرمنّ مريضاً في مساءلةٍ ... يكفيكَ من ذاكَ تَسآلٌ بحرفينِ[3]

ودخل قوم على السرى السقطي رحمه الله، وهو عليل، فأطالوا الجلوس وقالوا: ادع لنا، **فقال**: ارفعوا أيديكم وقولوا اللهمّ اجعلنا ممّن علّمتهم عيادة المرضى.

ودخل قوم على مريض فأطالوا ثم قالوا أوصنا، فقال أوصيكم أن لا تطيلوا الجلوس عند المريض إذا عدتموه. ودخل ثقيل على مريض فأطال الجلوس، ثم **قال**: ما تشتكي؟ **قال**: قعودك عندي:

● شكايةُ من لا يعودُه إخوانهُ

قال جحظة البرمكي:

مرِضتُ فلمْ يَكنْ في الأرضِ حرّ ... يُشرِّفُني ببِرّ أو سَلامِ

---

(١) تتحات: تتساقط.

(٢) مثل اللحظ بالعين: أي أن تكون الزيارة خاطفة.

(٣) لا تبرمن: من برم: ضجر.

وضَنّوا بالعيادة وهي أجرٌ | كأنّ عيادَتي بذل الطعامِ[1]

● **الاعتذارُ مِن تركِ العيادة.**

قال شاعر:

إن كُنتُ في تركِ العيادةِ تاركاً | حَظي فإنني في الدعاءِ لجاهدُ
ولرُبما تركَ العيادةَ مشفقٌ | وأتى على غلّ الضميرِ الحاسدُ

● **من عاده ممرِّضهُ**

قال عبد بني الحسحاس:

يعدنَ مريضاً هنّ هيجنَ داءَه | إلا إنّما بعضُ العوائدِ دائيا

وقال آخر:

وخبرت ليلى بالعِراق مريضةٌ | فأقبلْتُ من أهلي بمصر أَعودُها
فوالله ما أدري إذا أنا عِدْتها | أأبرئُها من دائِها أم أزيدُها

● **مريضٌ عاد صحيحاً**

قال شاعر:

إذا مَرضنا أتيناكُم نعودكُم | وتذنبونَ فنأتيكُمْ ونعتذرُ

قال العبّاس بن الأحنف:

قالَتْ مرضتُ فعدتُها فتبرّمَتْ | وهي الصحيحة والمريضُ العائدُ
واللّهِ لو أن القلوبَ كقلبِها | ما رقّ للولد الضعيف الوالدُ

● **وصفُ العِلّة بأنها تنال الأماثِل**

روي أن الله تعالى يجعل تمحيصاً لذنوب أوليائه. وقال النبي ﷺ: مَثَلُ المؤمن مثل الحزمة من الزرع تفيؤها الريح مرة هكذا ومرة هكذا، ومثل المنافق مثل الأرزة المجدبة على الأرض يكون انجعافها[2] مرة.

وقال أبو تمّام:

فإنْ يَكنْ وصب قاسَيْت صورتَه | قالوا رد حلف لِليث الغَابَة الأضم[3]
إنّ الرياحَ إذا ما أعصِفتْ قَصَفَتْ | عيدانَ نجدٍ ولم يعرضْن للرّتَمِ[4]

وقال البحتري:

وما الكلبُ محموماً وإن طالَ عمرَهُ | إلا إنما الحمَى على الأسدِ الوردُ

---

(١) ضنّوا: بخلوا.
(٢) الانجعاف: القلع.
(٣) وصب: مرض - الأضم: الغضبان.
(٤) الرتم: الكسر.

- **ذكرُ تباطؤ زوالِ العلّة**

دخل **سفيان** على جار له مخنث فقال له: كيف نجدك؟ **قال**: جاءتني العلّة باقات والعافية تأتيني طاقات. **وقيل**: العلّة تحمل على الجِمال وتنقل على النمال.

- **حثّ العائدِ على تنشيطِ المريض**

قال يوحنا: بشّروا المريض بالبرء ونشطوه لشرب الدواء ولا تصعبوا عليه العلة فتخاف نفسه ويموت حسه.

وقال أبقراط: حدثوا المريض حال من كان في أصعب من علّته فبرأ، ولا تحدثوه عمّن كان في مثل علّته فمات. **وقيل**: أدب العيادة تشجيع العليل بلطيف اللفظ وحسن الفأل.

- **الحث على تخويفه ليتجنّبَ المضارّ**

قيل: خوّفوا المريض ليجتنب المضار، فمن خوّفك لتلقى الأمن خير لك ممن أمّنك لتلقى الخوف. **وقيل**: من أوجرك[1] المرّ لتبرأ خير ممّن أوجرك الحلو لتسقم. ودخل طبيب على مريض قد أصاب إصبعه ريح فشمّها، **فقال**: إن أكلت اليوم شيئاً مت فلما كان من الغد برأ أفقيل له في ذلك، **فقال**: لو لم أخوفه لتجاسر على الأكل فكان يطول عليه.

- **رقيع خوّف مريضاً برقاعته**

عاد رجل مريضاً لم يكن به بأس **فقال**: لا ضير إذا رأيتم المريض هكذا فاغسلوا أيديكم منه، فقد كان أبي به هذا الداء فمات. وعاد آخر عليلاً، **فقال**: ما علّتك؟ **قال**: وجع الركبة، **فقال**: إن جريراً يقول بيتاً ذهب عنّي صدره، وآخره: وليس لداء الركبتين دواء، **فقال**: ليتما ذهب عنك عجزه مع نفسك.

ودخل آخر على مريض، **فقال**: آجركم الله، فقيل إنه لم يمت، **فقال**: يموت إن شاء الله.

وقال رجل لمريض: كيف أنت جعلني الله فداءك؟ **فقال**: على الموت، **فقال**: إذاً لا جعلني الله فداءك فإني قدرت أن في الأمر فسحة.

- **تهنئة من برَأ من مرضٍ والدعاءُ له.**

قال أشجع:

لَئِنْ جرحت شكاتك كلّ قلبٍ   لقَدْ قرت بصحتِكَ العيونُ[2]

وله:

---

(١) **أوجرك**: أسمعك ما فكره.

(٢) **شكاتك**: شكواك.

لـقـد أمـسـى صـلاح أبـي عَـلـيّ   لأهـلِ الأرضِ كـلّـهـم صـلاحـا[1]

قيل لأعرابي برأ من علته: الحمد لله الذي سلمك، فقال: أو يسلم من الموت في عقبه. كتب عبد الله بن المعتز: أذن الله بشفائك وتلقى داءك بدوائك ومسحك بيد العافية ووجّه إليك وافد السلامة وجعل علتك ماحية لذنوبك مضاعفة لثوابك.

وقال ابن المعتز:

يـا ربَ أمـسـكْ رَمَـق الـدنـيـا بـه   واغـسـلـه بـالـصـحـةِ مِنْ أوصـابِـهِ[2]

وقال أبو تمّام:

سـقـمٌ أُتـيـحَ لـه بـرءٌ فـزعـزعَـهُ   والـرمـح يـنـآد طـوراً ثـم يَـعـتَـدلُ[3]
قـد حـالَ لـونٌ فـردٌ الـلّـهُ نـضـرتَـهُ   والـنـجـمُ يـخـمـدُ حِـيـنـاً ثـم يَـشْـتَـعِـلُ

وقال المتنبّي:

صحتْ بصحتِك الغارات وابتهجَتْ   بـهـا الـمـكـارمُ وأنـهـلّـت بـهـا الـدِيَـمُ[4]
وراجَـعَ الـشـمـسَ نـورٌ كـان فـارقَـهـا   كـأنّـمـا فـقـده فـي جـسـمِـهـا سَـقَـمُ[5]

- **تفديةُ المريض**

قال شاعر:

فَدَيْناك لو نعطى المنى فيكَ والهوى   لـكـانَ بـنـا الـشـكْـوى وكـانَ لـكَ الأجـرُ

وقال البحتري:

بـأنـفُـسـنـا لا بـالـطـوارفِ والـتـلـدِ   نقيكَ الذي تخفى من السقْم أو تبدي[6]
بنا معشر العافينَ ما بك من أذى   فإنْ أشفَقوا مِمّا أقولُ فبي وَحدي[7]

وقال آخر:

يـا لَـيْـتَ عـلّـتَـه بـي غـيـرَ أنّ لـهُ   أجـرُ الـعَـلـيـلِ وإنـي غـيـرُ مـأجـورِ

وقال ديك الجن:

يا لَيْتَ حُمّاه بي كانَتْ مضاعفة   يَـومـاً بـشـهـرٍ وأن الـلّـهَ عـافَـاه
فيصبحُ السقْمُ منقولاً إلى جسدي   ويـجـعـلَ الـلّـهُ مـنـه الـبـرء عُـقْـبـاه

---

(١) صلاح: شفاء وصلاح: خير.   (٢) أوصابه: أمراضه وأوجاعه.

(٣) إنآد: انحنى.

(٤) انهلّت: سالت ـ الديم: جمع ديمة وهي مطر يدوم أياماً.

(٥) أي أن الشمس فقدت نورها أيام مرضه، وكان فقد ذلك النور كأنه سقمٌ لها.

(٦) الطارف: المال الحديث ـ التلد: المال والموروث.

(٧) أشفقوا مما أقول: خافوه وحذروا منه.

- **من ذكر شدّة ما قاساه بعدما صحّ.**

وقال عبد الله بن المعتز:

أتاني برءٌ لم أكُنْ فيه طامِعاً ... كَمثلِ أسيرٍ حلَّ بعد وثاقِهِ
فإنْ كُنتُ لم أجزع من الموتِ جزعةً ... فإني مججتُ الموتَ بعد مذاقِهِ[1]

- **تغيّر اللون**

قال الصولي: لم يُسمع أحسن من قول البحتري في صفرة اللون:

بدتْ صفرةٌ في لَونِه إن حمْدهم ... من الدرّ ما اصفرّت حواشِيهِ في العُقدِ

وقال أبو تمّام:

لم يَشِنْ وجهَه البهيج ولَكنْ ... جعلت وردَ وجنَتَيْه بَهارا[2]

- **أنواعٌ مختلفة في الطبّ**

اشتكى رجل بطنه **فقال** النبي ﷺ: إذهب إلى امرأتك واستوهب منها درهمين واشتر بهما عسلاً واقرأ عليه القرآن وتناوله، ففعل فبرأ، فقيل له في ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى يقول: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾[3]، **وقال** في العسل فيه شفاء للناس، **وقيل**: في الطعام إذا خرج من الجوف قبل سبع ساعات فهو مذموم غير محمود، وإذا بقي بعد أربعة وعشرين ساعة يضرّ. **وقيل**: كل شيء ينام من الإنسان إلا أربعة الوريد والسحر والمثانة والمعدة.

وقال جعفر بن محمد قيل: الطبائع أربع، الدم وهو عبد وربما قتل صاحبه، والبلغم وهو خصم ألد جدل إن خصمته من جانب احتج عليك من جانب، والصفراء وهي مرة كالصبى ومرة كالملك تداوى في الحالين، والسوداء وهي كالأرض إذا رجفت رجف ما فوقها. **وقيل**: إذا كان الطبيب حاذقاً والعليل عاقلاً والقيم فهما فأجدر بالداء أن يزول. لسعت عقرب صرم أعرابي، فقيل أين لسعتك؟ **فقال**: حيث لا يضع الراقي أنفه. ولسعت آخر **فقال أعرابي**: عندي دواؤه **فقيل له**: ما هو؟ **قال**: الصياح إلى الصباح. **قيل**: فرط الغم والسرور يقتلان، أما الغم فإنه يجمد الدم والسرور يلهبه حتى تعلو حرارته على الحرارة الغريزية.

ولما دخل الرشيد طوس اشتدت علته وطبيبه بختيشوع يغدو ويروح عليه ويعطيه الأباطيل ويمنيه الأماني، ويقول: إن علتك من حدّة السفر، فدعا الفضل يوماً **وقال**: أبغني

---

(١) **مججت الموت**: قذفته.

(٢) **شان**: عاب وشوّه ـ **بهاراً**: جمالاً وحسناً، والبهار نبت طيّب الرائحة.

(٣) **القرآن الكريم**: النساء/ ٣.

رجلاً عاقلاً من التجار أشاوره في أمري وأفضي إليه بسرّ، فجاءه برجل من أهل طوس[1] فاستنطقه فرآه عاقلاً، فقال: أتحفظ السر؟ قال: نعم. فخلا به وقال: خذ هذه القارورة فأت بها جبريل بن بختيشوع فقل له: ـ هذه قارورة أبي فتأمله فإن كان له دواء فعرّفني وإن لم يكن له دواء فعرفني ليتجهز ويصلح أمره، فذهب إليه بالقارورة. فلما نظر إليها جبريل أقبل على أبيه، وقال: ما أشبه ماءه بماء ذلك الرجل. إن هذا ميت لا محالة، فرجع الرجل وأخبر الرشيد بما قاله، فقال: ويلي على ابن الزانية يا فضل إذهب فاضرب عنقه، يعني الطبيب فأخذه الفضل وحبسه، فقال: أتركني محبوساً عندك ثلاثة أيام فإن عاش فاقتلني، وإلاّ فلا تتقلد دمي، ففعل، فمات الرشيد ليلة الثالث.

قال أنوشروان لوزيريه يوماً أيّ الفراش ألذ؟ فقال أحدهما: ألذ الفراش الخز محشواً، وقال الآخر: ألذ الفراش الحرير محشواً، وكان بين يديه غلام في عدد الحجاب، فقال: أيها الملك أتأذن لي في الكلام؟ فقال: نعم. قال: ألذ الفراش الأمن، قال: صدقت.

قال: فما ألذ الطعام، قال: ما لا يهيج على طبيعة علة ولا يعقد في عنق آكله منّة، فقال: أحسنت. فما ألذ الشراب؟ فقال: ما لا يزيل عقلاً عن محلّه ولا يهيج على طبيعة شيئاً من علله، قال: أحسنت. فما ألذ الريحان، قال: الولد السار ريحان أبيه في حياته وخلف له بعد وفاته، فرفع محله وألحقه بأكابر حشمه.

وكان بعض الأصبهانيين أصابه صداع فضمد رأسه بدار صيني وفلفل، فقال له الطبيب: هذا يعمل لرأس يوضع في التنور.

---

(١) طوس: مقاطعة في خراسان شرقي إيران فتحها العرب سنة ٢٩هـ (٦٤٩م).

الحدّ السابع

في الهِمَم والجدّ والآمال

(١)
فما جاء في الهمم الرفيعة والوضيعة

•

• مدحُ رفعِ الهمّة والحثّ عليه

قيل: الهمة تلقح الجد العقيم، **وقيل**: الهمّة جناح الحظ، **وقيل**: لا تدور رحى الجدّ إلا بقطب الهمّة وقيمة كل امرىء همّته. وقال عمرو بن العاص: عليك بكل أمر فيه مزلقة ومهلكة أي بجسام الأمور.

قال عمر رضي الله عنه: لا تصغرن همّتك فإني لم أر أقعد بالرجل من سقوط همّته.
وقال: أحسن ما قال لبيد:

أكْـذِبُ الـنـفْـسَ إذا حـدثْـتَـهـا ... إن صـدقَ الـنـفـسِ يُـزري بـالأمـلِ[١]

وقيل: ثلاثة لا تدرك إلا برفع الهمة: عمل السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدوّ.

قال ابن نباتة:

حَاولْ جسيماتُ الأمور ولا تَقلْ ... إن الـمـحـامِـدَ والـعُـلـى أرزاقُ[٢]
وارغَبْ بنفسكَ أن تكونَ مُقَصّراً ... عـن غـايـةٍ فـيـهـا الـطّـلاب سِـبـاقُ

• المرءُ تابعٌ لهمّته

المرء حيث يجعل نفسه: إن رفعها ارتفعت وإن قصر بها اتضعت. نظر رجل إلى برذون يستقى عليه، **فقال**: ما المرء إلا حيث يجعل نفسه لو هملج[٣] في سيره ما استقي عليه. **قال شاعر**:

ومـا الـمرءُ إلاّ حيث يجْعل نَفْسه ... ففي صَالحِ الأخلاقِ نفسَكَ فاْجْعَلِ

---

(١) **أزرى بالأمل**: قصر ووضع من قيمته. (٢) **جسيمات الأمور**: الأمور العظيمة.
(٣) **هملج في سيره**: مشى مشية سهلة في سرعة.

ولبعض بني عامر:

إذا لم يَكُنْ للفتَى همةٌ ... تبوّئه في العُلا مصعدَا
ونفسٌ يَعوّدُها المكرما ... تُ والمرءُ يلزم ما عوّدَا
ولم تعد همّته نفسه ... فليسَ ينالُ بها السؤددَا

● من عظُمَت همّته وقصُرتْ موجدتُه

قيل: ذو الهمة وإن حطّ نفسه، تأبى إلا العلو، كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً. **وقيل:** أسوأ الناس من اتسعت معرفته وضاقت مقدرته وبعدت همته، **أخذ ذلك المتنبي فقال:**

وأتعَبُ خلقِ الله منْ زادَ همّة ... ويقصرُ عمّا تَشْتهي النفسُ وَجدُه[1]

وقال ابن نباتة:

أرى هِمَمَ المرء اكتئاباً وحسرةً ... علَيْه إذا لم يسعد الله جَنْدَه

● الحثّ على طلبِ الحسام والاعتزالِ عن الأنام

قال في كليلة: ينبغي لذي المروءة أن يكون إمّا مع الملوك مبجّلاً أو مع النساك متبتلاً كالفيل إما أن يكون مركباً نبيلاً أو في البرية مهيباً جليلاً. وقال حكيم: الناس رجلان دنياوي وآخري فالدنياوي صاحب سلطان وذو لسان أو سنان لا يفضي على هوان، والآخري المتباعد من الناس الجاعل بينه وبينهم سدّاً ولا واسطة بينهما. وقال **معاوية** رضي الله عنه لابنه: كن مترفعاً عن الناس ومستتراً عنهم.

● الممدوحُ بعظم الهمّة

قال أعرابي: فلان يُرمى بهمّته حيث يشير إليه الكرم، يتحسى مرارة الإخوان ويسقيهم عذبه، له همة تناطح النجوم وكرم يشامخ الغيوم.

قال أبو الغمر:

وهمةٌ نبُلت عن أنْ يقالُ لها ... كأنّها وتعَالتْ عن مدَى الهِمم

وقال آخر:

ولي همٌ بيني وبينَ بلُوغِها ... بحورٌ من الآمالِ ليس لها جسرُ

وقال المتنبي:

له همٌ لا منتهى لكبَارِها ... وهمّته الصغرى أجلُّ من الدهرِ

---

(١) الهم: بمعنى الهمة ـ الوجد: الغنى.

وله:

فتىً أصابَ من الدُنيا نهايَتَها ... وهمةٌ في ابتداآتٍ وتَشتيتِ[1]

وقال آخر:

صدرٌ رحيبٌ لما يأتي الزمانُ به ... وهمةٌ تَسعُ الدُنيا وما تسعُ

● **من ضاقَ به الزمانُ لعظَم همّته**

قال المتنبي:

فتىً يَشتهي طولَ البلادِ ووقتُه ... تَضيقُ به أوقاته والمقَاصِدُ

وله:

تجمعَتْ في فؤاده هممٌ ... ملءُ فُؤاد الزمانِ إحداها[2]

وقال الموسوي:

ضاقَ الزمانُ فضاقَ فيه تَقَلُّبي ... والماءُ يجعل نفْسَه في جدولِ[3]

● **تحمّلُ المكارهِ في نيل المكارم:**

قيل: المكارم موصولة بالمكاره، **وقيل:** من سما لمكرمة فليتحمّل مكروهها.

وقال الخبزارزي:

فقل لمرجّي معالي الأمورِ ... بغَيْر اجتهادٍ رجوتَ المُحالا

وقال أبو تمّام:

ما ابيضّ وجهُ المرءِ في طلبِ العُلا ... حتّى يسودّ وجهُه في البيدِ[4]

وقيل: إذا لم تتعن لم تتودع وإذا لم تتفجع لم تتمتع. دون نيل المعالي هول العوالي. وقيل للربيع بن خيثم: أتعبت نفسك في العبادة وإصلاح أمر الناس، **فقال:** راحَتها أريد فإن أفره العبيد أكسبُهم لمولاه. وقيل لروح ابن حاتم: طال وقوفك في الشمس، **فقال:** ليطول وقوفي في الظلّ. وقد أجمع حكماء العرب والعجم أنه لم يدرك نعيم بنعيم قط، وما أدرك نعيم إلا ببؤس قبله.

قال شاعر:

وتحمُّل المكروه ليس بضائرٍ ... ما خلتَه سبباً إلى محمودِ

---

(١) **نهايتها:** منتهى الغاية ـ **تشتيت:** تفريق.

(٢) أي لعظم الهمم التي في قلبه واحدة منها تملأ قلب الزمان.

(٣) **تقلّب:** تنقل من جانب إلى جانب.

(٤) **البيد:** الصحارى، وهنا بمعنى تحمل المكاره والصعاب.

وقال امرؤ القيس:

فلو أنّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ ... كفاني ولم أطلُبْ قليلٌ من المالِ

وقال المتنبيّ:

إذا غامرتَ في شرفٍ مرومِ ... فلا تقنَع بما دونَ النجومِ
فطعمُ الموتِ في أمرٍ صغيرٍ ... كطعمُ الموتِ في أمرٍ عظيمِ

وله:

على قدْرِ أهل العزم تأتي العزائمُ

وقال الصاحب:

وقائلةٍ لِم عرَتْك الهمومُ ... وأمرُكَ مُمْتثلٌ في الأمَمْ[1]
فقلتُ دعيني على غصّتي ... بقدرِ الهُمومِ تكونُ الهِمَمْ

وكتب بليغ: فلان تعب في طلب المكارم غير ضالّ في طرقها، ولا متشاغل عنها:

● **استطابةُ تحمّلِ الشدّة للوصولِ إلى الرفعة**

قال المتنبي:

تَلذّ له المروءةُ وهي تُؤذي ... ومن يعْشَقْ يلذُّ له الغرامُ

وقال أبو فراس:

تهونُ علينا في المعَالي نفوسُنا ... ومنْ يخطبِ الحسْناءَ لم يغلهِ المَهْرُ

وقال أبو دلف:

وليسَ فراغُ القلب مجْداً ورفعةً ... ولكنْ شغْلَ القلبِ للهمّ رافعُ
وذو المجدِ محمولٌ على كلِ آلة ... وكلّ قصيرِ الهمّ في الحي وادعُ[2]

● **ذَمّ من همته نفسه**

لمّا قال الحطيئة في الزبرقان:

دعِ المكارمَ لا ترحَلْ لِبُغيتها ... واقعُدْ فإنّكَ أنتَ الطاعِمُ الكَاسي

شكاه الزبرقان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال عمر: ما في ذلك هجاء. فقال: يا أمير المؤمنين إنه عرّاني عما ابتنيته من المعالي فدعا حسّاناً وسأله، فقال: ما هجاه ولكنه سلح عليه.

---

(١) عرتك: أصابتك - الأمم: القوم. (٢) وادع: ساكن.

وقال حاتم:

لحى اللّهُ صعلوكاً مُناه وهمّه ... من العيشِ أن يُلفي لبوساً ومطْعمَا[1]

وقال آخر:

إنّي رأيتُ من المكارم حسبكمْ ... أن تلْبَسوا خزَّ الثياب وتشبعوا

فإذا تذوكرتِ المكَارمُ مرّة ... في مجلسٍ أنتمْ به فتقنّعوا

وقال ابن سوادة:

همهَم من هذهِ كلّه ... في الأكلِ والشربِ وفي الباهِ

أخذ ذلك من قول الأعرابي الذي قال: فلان كالبهيمة تأكل ما جمعت وتنكح ما وجدت، وقال:

إذا الفَتى لمْ يركبِ الأهوالا ... فاسعَ له وعدّه عيّالا[2]

● ذمّ من قصّرت همّتهُ عن طلبِ المعالي

ذم إعرابي رجلاً، فقال: هو عبد البدن حر الثياب عظيم الرواق صغير الأخلاق الدهر يرفعه وهمته تضعه.

قال أبو تمام:

بنو الهمَم الهَوامدِ والنفوس ... الخوامدِ والمروآتِ النيامِ

وكان لأعرابية ابن تحرضه على الإقامة والاقتصار على المطعم والمشرب، فأنشدها:

إذا ما الفَتى لم يبغِ إلا لبَاسه ... ومطعمَه فالخيرُ منهُ بعيدُ

وقيل: فلان بطر الدعة بخيل السعة سيء الرعة. قال ابن الأعرابي: فلان يشبعه كراع الأرنب إذا كان دنيء الهمة. ويقرب من هذا الباب ما قاله المنصور للمهدي: أشبع العباس بن محمد فإنّك إن لم تشبعه يأكلك. وأما محمد بن إبراهيم فإنه إذا قدر على فرج امرأته لم يفارقه، وإياك أن تولّي محمد بن سليمان صعود منبر فإنه إن صعده همّ بالخلافة.

● تذمُّمُ من قصّر في طلَب المعالي

قال المتنبّي:

إلى كم ذا التخلّفُ والتّواني ... وكمْ هذا التّمادي في التّمادي[3]

---

(١) لحى الله: قبح الله - يلفي: يجد. (٢) عيّال: متكل ومستعين بالآخرين.

(٣) التخلّف: التأخر - التواني: التقصير - التمادي في الأمر: بلوغ مداه.

وشغلُ النفسِ عن طلبِ المعالي ببيعِ الشعرِ في سوقِ الكسادِ[1]

● **ذمّ إيثار الدّعة والنهيُ عنه**

قال: ما لزم أحد الدعة إلا ذلّ، وحب الهوينا يكسب الذل، وحب الكفاية مفتاح العجز. **وقال الصاحب**: إن الراحة حيث تعب الكرام أودع لكنها أوضع، والقعود حيث قام الكرام أسهل لكنّه أسفل.

وقال آخر:

فتى بهمّته يلتذّ في دعةٍ وراحةٍ ويولي غَيرهُ التَّعبا

وقال أبو دلف:

ليس المروءةُ أن تبيتَ منعّماً وتظلُّ معتكفاً على الأقداحِ
ما للرجالِ وللتنعم إنّما خلقوا ليوم كريهة وكفاحِ[2]

قال يزيد بن المهلب: ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا كله لئلا أتعود العجز.

● **ذمّ الكسَل وتدرع العجز**

قال الأحنف إياك والكسل والضجر فإنك إن كسلت لم تؤد حقاً وإن ضجرت لم تصبر على حق.

قال شاعر

لا تضجرنَ ولا تدخلكَ معجزةٌ فالتجحُ يهلكُ بين العجْزِ والضجرِ

وقيل: زُوّج العجز التواني فنتج بينهما الحرمان.

قال ابن المعافى:

كأن التواني أنكحَ العجزَ بنته وساقَ إليها حين أنكحها مهرا
فراشاً وطيئاً ثم قال لهُ اتكىء فقصرا كما لا شكّ أنْ تلِدا فقْرا

وقال آخر:

خاطرْ بنفسك لا تنتفِع بمعجزةٍ فليسَ حرٌ على عجزٍ بمعذورِ

● **مدحُ إيثارِ الدّعة وقِصَر الهِمّة**

قيل لابن المقفع: لم لا تطلب الأمور العظام؟ فقال: رأيت المعالي مشوبة بالمكاره فاقتصرت على الخمول ضناً بالعافية، ومنه أخذ العتابي قوله:

دعيني تجئني مَنيتي مطمئِنة ولم أتجشمْ هولَ تلكَ المواردِ

---

(١) أي إلى كم يشغل نفسه عن طلب المعالي بنظم شعر كاسد.

(٢) **يوم الكريهة**: يوم الحرب.

فإن جسيمات الأمورِ مشوبةٌ   بمستودعاتٍ في بطونِ الأساودِ[١]

• مدحُ الخُمول مع الغِنى

قيل لحكيم: من أنعم الناس عيشاً؟، فقال: من اتسعت مقدرته وقصرت همته. وقال عبد الملك لأعرابي: تمنَّ. فقال: العافية والخمول فإني رأيت الشر إلى ذي النباهة أسرع، فقال: ليتني كنت سمعت هذه الكلمة قبل الخلافة.

وقيل لسعد: أرضيت أن تكون مشغولاً بأغنامك والناس يتنازعون الملك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يحبّ الغني التقي الخفي، قال البريدي:

وما العيشُ إلا في الخمولِ مع الغنى   وعافيةٍ تغدو بها وتروح[٢]

قال بعضهم: جرّبنا العيش فوجدنا أهنأه أدناه. وقال محمد بن زبيدة: أتروني لا أعرف الإيراد والإصدار، ولكنّ شرب كأس، وشم آس، واستلقاء من غير نعاس أحب إليّ من مداراة الناس.

• مدحُ التوسّطِ في الأُمور

مدح الله تعالى التوسّط في كلّ الأمور، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[٣]، وقال النبي ﷺ: خير الأمور أوساطها. وقيل: الغلوّ في العلو مؤد إلى وضع الضعة. وقيل: أكثر الخير في الأوساط.

قال أبو العتاهية:

عليكَ بأوساطِ كلِ الأمورِ   وعدْ عن الجَانبِ المشتبه[٤]

• ذمُّ التوسّط

قال كشاجم:

وقالوا عليكَ وسيطَ الأمورِ   فقلتُ لهمْ أكرهُ الأوسَطا
إذا لم أكنْ في ذرا شاهقٍ   ولا في حضيضٍ وطيءِ المَطا[٥]
وحاولْتُ في مرتقى هائلٍ   توسطه خفْتُ أن أسقَطا

وقيل ممّا يستقبح: معنى وسط ومغن وسط ونادرة وسط وحقيقة الوسط ما لم يكن سنياً ولا دنيئاً، كما قال أبو مهدية الأعرابي، وقد سئل عن طعام، فقال: ليس بخسيس ولا

---

(١) جسيمات الأمور: العظيمة ـ مشوبة: مختلطة ـ الأساود: جمع السواد، أي الشخص.

(٢) يؤثر الدعة والسلامة في ظلّ الغنى على السيادة والمجد محفوفين بالمخاطر.

(٣) القرآن الكريم: المائدة/ ٤.   (٤) الأمور المشتبهة: الملتبسة والمشكِلة.

(٥) الشاهق: الجبل العالي ـ الذرا: القمم، جمع ذروة ـ المطا: الظهر.

نفيس. **وقيل لإسحاق الموصلي**: قد خبرت فلاناً فكيف هو، **فقال**: ليس في الكمال كما تهوى ولا في التخلف كما تخشى.

● **ذمّ بلوغِ النِهاية.**

عند التمام يكون النقصان وبقدر السمو في الرفعة تكون وجبة الوقعة.

قال شاعر:

إذا تـمّ أمـرٌ بـدا نـقـصـه   تـوقَّـع زوالاً إذا قـيـلَ تـمّ

وفي بعض الأدعية: صرف الله عنك التمام. **وقال المأمون** لأحمد بن أبي خالد وهو يخلف الحسن بن سهل: رأيت أن استوزرك، **فقال**: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني ويجعل بيني وبين الغاية منزلة يرجوني إليها المولى ويخشاني لها العدو، فما بعد الغايات إلا الآفات. وما يضاد هذا الباب ما كتب **القاسم بن عبد الله الكرخي**: ولي فيما جدّد الله من هذه النعمة للوزير من بلوغ النهاية ما استديمها به، **قال**: انتزعته من كتاب الله تعالى في قوله ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[1] وقد علم أن دين الله بعد نزول هذه الآية لم يزل نامياً عالياً على كل دين، وأنه إنما ضرب بجرانه وقهر الأمم شرقاً وغرباً بعد كماله.

(٢)
وممّا جاءَ في الجَدّ[2]

●

● **تفضيلُ الجَدّ على الجِدّ**

قيل: جَدّك لا كدُّك، عارك بجِد أودِع. **وقيل**: لا جَد إلاّ ما أقعص عنك. الجَدُّ أجدى والجِد أكدى. وقيل: مدٌّ من حظ خير من صاع من عقل وجِد.

قال البديهي:

ليسَ يُجْدي عليك سعيٌ بِجِدّ   لم تيسّر له ملاقاة جَدّ[3]

وقيل:

الحظّ يأتي من لا يؤمه   ليس بالكدّ بلوغُ الراغب

وقال آخر:

الجَدُّ أنهضُ بالفتى من سعْيه   فانهَضْ بِجَدّ في الحوادثِ أو دعِ

---

(١) **القرآن الكريم**: المائدة/ ٤.   (٢) **الجد (بفتح الجيم)**: الحظ.

(٣) **ليس يجدي**: ليس ينفع ـ **يقول**: إن السعي الجاد لا نجح فيه ولا نفع، **والجِدّ (بالكسر)**: الاجتهاد والدأب بغير الجَدّ أي الحظ.

وقال آخر:

هل نافِعي جِدّي وفرطُ تيقّظي إن كان جَدّي يا أمامة جاهِدا

وأنشد محمد بن عمر الورّاق البلخي:

إن السعادةَ أمرٌ ليس يُدركُه أهلُ السعادةِ إلا بالمقاديرِ
مخزونةٌ عن أناسٍ طالبين لها وقد تُساق إلى قوم بتيسيرِ

وقال عمر للنبي ﷺ لما ذكر من أسعده الله من أهل الجنة وأشقاه من أهل النار: ففيم العمل يا رسول الله؟ فقال ﷺ: يا ابن الخطاب إعمل فكل ميسّر لما خلق له. أما أهل السعادة فميسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فميسرون لعمل أهل الشقاوة.

- **تفضيلُ الجَدّ على العقل**

تقدّم إخوة إلى سوار في ميراث لهم، فقال سوار: خيّروا الأكبر منكم فإنه خلف أبيكم والمنظور إليه دونكم، قالوا: قد فعلنا فأبى الأكبر أن يقبل ذلك، فقال سوار: ما يمنعك، فقال: إني بحظي أوثق مني بعقلي، فأقرع بينهم فخرج سهمه خيراً من سهامهم، فقال: كيف رأيت فقال سوار: استأذن العقل على الحظ فحجبه. وقد تقدم في باب العقلِ أمثلة لذلك.

- **كونُ العاقل محدوداً والجاهِلُ مجدوداً**

من زيد في عقله نقص من حظه. وقيل: ما جعل الله لأحد عقلاً وافراً إلا احتسب عليه من رزقه.

قال شاعر:

وخصْلة قلّ فيها من يُخالِفني الرزقُ والحمقُ ملزومان في قرنِ[1]

وقال آخر:

خابَ امرؤٌ ظلَّ يرجو أن يَنال غنى بالعقلِ ما عاشَ في دهرِ المجانينِ

وقال المتنبي:

وما الجمعُ بين الماءِ والنارِ في يدي بأبعدَ من أن أجمع الحظّ والفهْما

- **معارضةُ دنيءٍ ساعده القدر:**

ألا ليتَ المقادرَ لم تقدر ولم تكنْ إلا حظّى والجدودُ
فننظر أينا يُضحي ويُمسي له هذي المراكبُ والعبيدُ

---

(١) في قرن: أي مقرونان.

النحف النصال العراض والأكحل الذي يضرب لونه إلى الغبرة

● **المجيدُ من الرماةِ**

قيل: خرج بهرام إلى الصيد ومعه جارية فعرض له ظبي فسألته الجارية أن يجمع ظلف الظبي وأذنه بنشابة واحدة فرمى أصل أذن الظبي ببندقة فأهوى الظبي بيده إلى أذنه ليحتك فرماه بنشابة فوصل ظلفه بإذنه، وهذا إن كان صحيحاً فعجيب.

قال امرؤ القيس:

فــهــوَ لا تَــنْــمــي رمِــيَّــتُــه   مــالــه لا عُــدّ مِــنْ نــفَــرِه[1]

وقال إسماعيل بن علي:

إذا تــمــطّــى قــائِــمــاً ثــمّ انــثــنَــى   ومــدّهــا أحــسَــنَ مــدٌ وانــثــنــى
أرسَــل مــنــهــا نــافــذاً مــســنــاً   سيّــان مــنــه مــا نــأى ومــا دنــا[2]
يــســوقُ أســبــابَ الــنــحــوسِ والــفــنــا

وقد أوغل المتنبي في قوله:

إذا نُــكِــبَــتْ كِــنَــانَــتُــه اســتــبــنّــا   بــأنْــصُــلــهــا لأنــصُــلــهــا نُــدُوبَــا[3]
يـصـيـبُ بـبـعْـضِـهـا أفـواقَ بـعـضٍ   فـلـولا الـكـسْـرُ لاتّـصـلَـت قـضـيـبـا

● **الرديءُ الرمي**

نَظَر فيلسوف إلى رام سهامه تذهب يميناً وشمالاً فقعد في موضع الهدف **وقال:** لم أر موضعاً أسلم من هذا. ورمى المتوكل عصفوراً فأخطأه فقال له ابن حمدون: أحسنت فقال تهزأ بي؟ **فقال:** أحسنت إلى العصفور. **قال كشاجم:**

مـسْـتَـهْـتِـرٌ بـالـرّمْـي واهِ عــضُــدُه   أحــسَــنُ شــيء حــيــنَ يــرمــي طــردُه
كــأنّــه فــؤادُه أو كــبــدُه

● **المجن**

قال شاعر:

يُريكَ شعاعَ الشمْس في جنّةِ الدُّجَى

قال أبو فراس:

أواقــد لا آلــوك إلا مــهــنّــداً   وجـلـد أبـي عـجـل وثـيـقَ الـقـبـائـلِ

● **وصف جماعة الأسلحة**

سأل عمر بن الخطاب عمرو بن معدي كرب **فقال:** ما تقول في الرمح؟ قال أخوك

---

(١) **لا تنمي رميته:** أي لا تنحاز عن مكانها لأنها رمية صائبة.
(٢) **النافذ:** الرمح.
(٣) **الندوب:** آثار الجروح، جمع ندب.

وقال آخر:

لم أوتَ ويحكَ من سعي فلا تلم ... المنعَ من جانبِ الأقدارِ والقسمِ

وقال آخر:

تكامل فيّ آلةُ كل حرٍ ... ولكن لا يُساعدني الزمانُ

وقال الموسوي:

غرستُ غروساً وكنتُ أرجو لحاقَها ... وآمل يوماً أن تطيبَ جناتُها
فإن أثمرتْ لي غيْرُها كُنت آملاً ... ولا ذنبَ لي إن حنظَلَت نخلاتُها(١)

● **المجدودُ**

قال معاوية لما أتاه خبر موت أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه: لا جدّ إلاّ ما أقعص عنك. **قال شاعر:**

وكانتْ قريش يفلقُ الصخرُ جَدُّها ... إذا أقلقَ الناسَ الجُدودُ العواثرُ(٢)

وقال أبو تمّام:

ورِثوا الأبوةَ والحظوظَ فأصبحوا ... جمعوا جُدوداً في العلا وجدوداً

وقيل إنه لما قال ذلك أجمع الأدباء أنه أشعر أهل زمانه.

وقالت عابدة المهلبيّة:

ولو أرسلت نبلَك ناصِلاتِ ... لصارتْ في الطريقِ لها نصولُ

● **التّوفيق**

قال عمر رضي الله عنه: توفيق قليل خير من مال كثير. **وقيل لبزرجمهر:** أي الناس أفضل؟ **فقال:** مجتهد في الخير ساعده القدر، **وقيل لحكيم:** ما الشيء الذي لا يستغني عنه المرء في كل حال؟ **فقال:** التوفيق. من حرم التوفيق، فأقطع ما يكون إذا اجتهد. وقام إلى الشبلي رجل **فقال:** بم يبعد المرء من ربّه ويخذل عن أمر؟ فزعق زعقة ثم أنشد:

مَنْ لَمْ يكُنْ للوصالِ أهلاً ... فكلّ إحْسَانه ذنوبُ

وقال بعض الصوفية: إن العنايات لا تضرّ معها الجنايات، وأنشد الشبلي:

ويقْبُح مِن سواكَ الشيء عندي ... وتفعله فيحْسنُ منكَ ذاكا

سنة التوفيق أجدى من يقظة الرؤية، وقليل النجح خير من كثير من الجهد.

● **بُطلان الجِدّ والتدبير مع القَضاء والقدر**

قيل: إذا جاء الحين حار العين وإذا جاء القدر عمي البصر. المرء طالب والقضاء

---

(١) **حنظلتِ النخلة:** صار ثمرها مراً.
(٢) **الجدود العواثر:** الحظوظ الكابية.

غالب. إذا انقضت المدة لم تنفع العدّة. إذا نزل البلاء ذهبت الآراء. إذا حلت المقادير ضلّت التقادير. **وقيل**: إذا حل القدر بطل الحذر.

لما حجّ أبو مسلم قيل له إن بالحيرة نصرانياً أتت عليه مئتا سنة وعنده علم من علوم الأوائل فقصده، فلما نظر إلى أبي مسلم **قال له**: قمت بالكفاية ولم تأل في العناية. حتى بلغت النهاية، أحرقت نفسك لمن لا يرحم حسّك، وكأني بك وقد عاينت رمسك، فبكى أبو مسلم، **فقال**: لا تبك فإنك لم تؤت من حزم وثيق ولا من رأي دقيق ولا من تدبير بارع ولا من سبب قاطع، ولكن ما استجمع لأحد أمله إلا أسرع في تفريقه أجله. **قال**: فمتى يكون؟ **قال**: إذا تواطأ الخليفتان على أمر والتقدير في يدَيْ من يبطل معه التدبير. وإذا صرت إلى خراسان فقد سلمت. وهيهات فلولا أن البصر يعمى إذ نزل القدر لكان في ذلك ما يبعث على الاحتيال.

انتهى أعرابي إلى أرض، **فقيل له**: إنها مَفْعاة[1] فبات على ظهر راحلته فتعلقت حية بنسعة كانت في يده فلسعته، فقال وهو يجود بنفسه:

لعمركَ ما يَدري امرؤٌ كيفَ يتقي ... إذا هـو لـم يـجـعـلْ لـهُ اللهُ واقِـيـا

ولأمير المؤمنين رضي الله عنه:

إذا لـم يكـنْ عونٌ من اللّـهِ للفتـى ... فـأكـثرُ مـا يجْني عليه اجتِهَاده[2]

وقال آخر:

سبقَ القضاءُ بكلِ ما هو كائنٌ ... فـلـيـجـهـدِ المتقلبُ المحتالُ

وقال ابن نباتة:

وإنّي إذا ما حاجة حالَ دونَها ... نـهـارٌ ولـيـلٌ لـيـسَ يـعـتـوِرانِ[3]

حملْتُ على سوءِ القضاءِ مَلامَها ... ولـم أُلـزمِ الإخـوانَ ذنـبَ زمـانـي

إذا اللّـهُ لـم يأذنْ بمـا أنتَ طالبٌ ... أعانكَ فيَ الحاجاتِ غير معانِ

وقيل: القضاء يقرب البعيد ويبعد القريب. **قال شاعر**:

وقد يجلبُ الشيءَ البعيدَ الجوالِبُ

وقيل: إذا كان المقدور كائناً فالهم فضل. وكان نقش خاتم أبي العتاهية:

سيكون الذي قضي سخط العبد أم رضي

---

(١) أرض مفعاة: أي كثيرة الأفاعي. (٢) اجتهاده: عمله.

(٣) يعتوران: يتداولان أو يتواليان.

(٣)
ومما جاء في الأماني والآمال

●

● ما يدلُّ على جَواز التمنيّ

قال الله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام قالت: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾[1] فدل أن تمني ما لا يكون محظوراً مباح، وقال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾[2]، وسمع ذلك رجل من الصالحين، **فقال**: ليت ذلك تم.

● طيبُ الأماني والآمال

قيل لبعض من كان يخطب عملاً: ما تصنع؟ **قال**: أخدم الرجاء حتى ينزل القضاء. **قيل**: ليس سرور النفس بالجدة والمقدرة إنما هو بالأماني والآمال. **وقيل لحكيم**: أي شيء أدوم إمتاعاً؟ **فقال**: الأماني.

وقال رجل من بني الحارث:

منًى إن تكنْ حقاً تكن أحسنَ المُنى ... وإلا فقدْ عِشْنا بها زَمناً رغْدا
أماني من سعْدٍ حساناً كأنما ... سقَتكَ بها سَعدى على ظمأ بردا

وقال آخر:

إذا ازدحمَتْ هُمومي في فؤادِي ... طلبتُ لها المخارجَ بالتمنّي

وقال آخر:

في المُنى راحةٌ وإن علَّلتْنا ... من هَواها ببعضِ ما لا يكونُ

● ذمُّ الأماني وبطلانُها

قيل: إيّاك والمنى فإنها بضاعة النوكى. الأمل سلطان الشيطان على قلوب الغافلين. الخذلان مسامرة الأماني والتوفيق رفض التواني.

قال ابن المقفّع: كثرة المنى تخلق العقل وتطرد القناعة وتفسد الحس. **وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه**: تجنّبوا المنى فإنها تذهب ببهجة ما خوّلتم وتصغر مواهب الله التي رزقتم.

قيل: ثلاث تخلق العقل وفيها دليل على الضعف: سرعة الجواب وطول التمنيّ والإستغراق في الضحك.

---

(١) القرآن الكريم: مريم/ ٢٢.
(٢) القرآن الكريم: الدهر/ ١.

قال رجل لابن سيرين: رأيتني كأني أسبح في غير ماء وأطير بغير جناح، **فقال**: أنت رجل تكثر الأماني. **وقيل**: المنى والحلم أخوان. إن المنى طرق الضلال. إن ليتا وإن ولو إعناء.

قال كثير: وددتُ وما تغني الودادة أنني. (البيتين).

وقال محمد بن أميّة:

أقطَعُ الدهرَ بظنٍّ حسن ... وأجلي كربةً لا تنجَلِي
كلّما أملت وجهاً صالحاً ... عرض المَكروهُ دونَ الأمل
وكذا الأيامُ لا تدني الذي ... أرتجي منكَ وتدني أجَلي[1]

وقال البسّامي:

أعلِّلُ نفسي بما لا يكونُ ... كمَا يفعلُ المائقُ الأحمقُ[2]

وقال المتنبي

تمنّ يلذُّ المستهامُ بمثلِه ... وإن كان لا يُغْني فَتيلاً ولا يجْدي

وقال أبو تمّام:

من كانَ مرعَى عزمِه وهمومِهِ ... روضُ الأَماني لم يَزلْ مهزولا

وقال آخر:

إنّ المنى رأسُ أموال المفاليس

وقال أفنون التغلبي:

ولا خيرَ في أن يكذبَ المرءُ نفسَه ... وتقوالِه للشيء يا ليتَ ذا لِيا

● أماني من تمنى أمراً فأدرَكَهُ

اجتمع ابن عمر وعروة بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة، **فقال مصعب**: هلموا نتمن. فتمنى عروة الفقه وأن يحمل عنه الفقه، وتمنى عبد الملك الخلافة، وتمنى مصعب ولاية العراق وتزويجه سكينة بنت الحسين بن علي وعائشة بنت طلحة، وعبد الله بن عمر الجنة. فنال مصعب وعبد الملك وعروة ما تمنوه، وشهد ابن عمر رضي الله عنهما مدرك ما تمناه وطلبه.

وروي أن كعب بن ربيعة بن عامر أتاه آت في المنام فقال: إجمع بنيك ومرهم بالتمنيّ فإنهم يعطوْن، فجمعهم فقال لعقيل: تمنّ، **فقال**: العدد والرمي فليس في بني كعب أكثر عدداً منهم ولا أرمى. **وقال لجعدة**: تمنّ، **فقال**: المال فهم أكثر بني كعب خيلاً

---

(١) تدني الأجل: تقرّبه.

(٢) المائق: الأحمق، من ماق يموق مؤوقاً الرجل، حمق في غباوة.

وإبلاً. وهم أهل رضاخ وضرية والفلج، **وقال لقشير**: تمنّ، **فقال**: البقاء والجمال فهم أجمل بني كعب ويكثر فيهم ذو السن وذو الرقية منهم أدرك الإسلام وله مائة وعشرون سنة وله ألف من ولده، **هذا يقول**: يا أبتاه وذا **يقول**: يا جداه، **وقال لحريش**: تمنّ، **فقال**: النعظ فهم أنكح بني كعب. **وقال لخبيب**: تمنّ، **فقال**: المودّة من إخوتي فيما بينهم وأن لا يؤثروا بهم. **قال الشيخ أبو القاسم رحمه الله**: نسأل الله أن يعطينا منانا بعد أن يوفقنا التمنّي ما فيه مصالحنا.

● من ذكر قلّة مبالاته بالمنية لإدراكه قاصية الأُمنية

قال الله تعالى مخبراً عن يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1]

وقال قيس بن الحطيم:

متى يأتِ هذا الموت لا تلف حاجةٌ ... لنفسي إلا قد قضيتُ قضاءَها

ونحوه:

أدركتُ في الدهرِ أياماً بلغت بها ... رضا الشبابِ الذي قد كانَ عاصانِي

وقال منصور بن طلحة بن عامر: رأيت عبد الله بن طاهر في المنام بعد موته **فقلت له**: ما خبرك أيها الأمير؟ **فقال**:

من كلّ شيءٍ قضتْ نفسي لبانَتَها ... فإذ أتانِي رآني قاضياً أجلي[2]

وقال زهير بن خباب الكلبي وكان من المعمرين:

من كلُّ ما نالَ الفتى ... قد نلته إلا التحيّة

● طيبُ إدراكِ المُنى

في المثل: أطيب من نيل المنى وإدراك الأمل. **وقيل**: ليس بعد بلوغ المنى إلا نزول المنيّة. قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾[3] **وقال أبو الفتح بن العميد**:

إذا المرءُ أدركَ آمالَه ... فليسَ له بعدُ ذا مقترحُ

● أماني قوم بحسبِ أحوالِهم

قال قتيبة بن مسلم للحصين بن المنذر: ما تتمنى؟ **فقال**: لواء منشور وجلوس على السرير وسلام عليك أيها الأمير. **وقيل لعبد الله بن الأهتم ذلك، فقال**: رفع الأولياء وقمع

---

(١) القرآن الكريم: يوسف/١٠١. (٢) لبانتها: حاجتها. (٣) القرآن الكريم: الأنعام/٤٤.

الأعداء وطول البقاء مع القدرة والنماء. **وقيل ذلك للفضل بن سهل، فقال**: توقيع نافذ وأمر جائز. **وقيل لحكيم**: تمنَّ، **فقال**: محادثة الأخوان وكفافا من عيش والانتقال من ظل إلى ظل. **وقيل ذلك لمطرف فقال**: مركب وطي ومطعم شهي وملبس دفي. وقيل لآخر، **فقال**: شواء مستنشل وغناء مسترسل ونكاح مستعجل.

وقال بعضهم: العيش كلّه في صحة البدن وكثرة المال وخمول الذكر. **وقيل لحكيم، قال**: هوى وافق حقاً. وقيل لرجل، **فقال**: أن تعطي جوارحك لذاتها. وقيل لأعرابي، **فقال**: خباء في أرض خلاء وكلب إذا أصابه المطر زاحمني فيه. وقيل لابن سنان **فقال**: ليل طويل الطرفين أقرن بينهما بذكر الله تعالى. **وقيل لمأبون**: **فقال**: لذّة الأبنة وحكّ الجرب فمن حرمهما فقد حرم لذات الدنيا. نعوذ بالله من بعض الأماني.

● أماني البُله

قال شاعر:

إذا تمنّى مائقٌ أمنيةً　　　تحسبها كائنةً مقضيّةً

قال الأصمعي: قال شيخ من بني العجيف إني تمنيت أن أبني داراً فمكثت أربعة أشهر للدرجة أين أضعها. ومرّ الحجاج ليلة بدكان لبّان وعنده بستوقة فيها لبن. وهو يتمنى ويقول: أنا أبيع هذا اللبن بكذا درهماً وأشتري به كذا، ثم أبيعه ثم يكثر مالي ويحسن حالي، وأخطب إلى الحجّاج ابنته فأتزوج بها فتلد لي إبناً فأدخل عليها يوماً فتخاصمني، فأضربها برجلي هكذا، ومدّ رجله فكسر البستوقة، فقرع الحجاج بابه واستفتحه فضربه خمسين، وقال: أليس لو ضربت بنتي بوكزة هكذا لفجعتني بها.

● نوعٌ من الأماني

قال الوليد بن عبد الملك لبديح المغني: خذ بنا في الأماني فلأغلبنك، **فقال**: والله لا تغلبني فيها أبداً إني أتمنى كفلين من العذاب وإن يلعنني الله لعناً يشن عليَ من خلفي ومن قدّامي أتتمنى مثله؟ **فقال**: غلبتني لعنك الله. وقيل لرجل: أيسرك أن يكون لك ألف درهم؟ **فقال**: نعم وأضرب مائة، فقال: وضربُ المائة لِمَه، **فقال**: لأنه لا يكون شيء إلا بشيء.

وقيل: كان رجل يطلبه الحجّاج فمر بساباط فيه كلب، **فقال**: ليتني كنت هذا الكلب فأستريح من الغمّ والخوف، فما لبث أن جيء بذلك الكلب وفي عنقه حبل، **وقيل**: ورد كتاب الحجاج يأمر فيه بقتل الكلاب. وقعد ابن أبي عتيق **فقال**: ليت لنا لحماً فنطبخ سكباجاً[1] فما لبث أن جاء جار له بصحفة، فقال أعطونا قليل مرق، فقال إن جيراننا يشمّون رائحة الأماني.

---

(١) السكباج: مرق يعمل من اللحم والخلّ (واللفظة فارسيّة).

● **التحذيرُ من طولِ الأمل**

قال النبي ﷺ: أخوف ما أخوف على أمتي الهوى وبعد الأمل. أما الهوى فيعدل عن الحق وأما طول الأمل فينسى الآخرة. ما أطال عبدٌ الأمل إلا أساء العمل، من جرى في عنان أمله فعاثر[1] لا شك بأجله. الآمال مصائد الرجال.

ووجد على حجر مكتوب: يا ابن آدم لو رأيت ما بقي من أَجَلك لزهدت في طول ما ترجوه من أملك.

● **تبكيتُ من أطالَ الأَمل**

أقام معروف الكرخيّ الصلاة **فقال** لمحمد بن ثوابة: تقدّم، **فقال**: إن صليت بكم الصلاة لم أتقدم بعده، **فقال**: وأنت تحدث نفسك بصلاة أخرى نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع من خير العمل، من عدَّ غداً من أجله فقد أساء.

● **نفْعُ طولِ الأمل في الورى**

قال النبي ﷺ: الأمل رحمة لأمتي ولولا الأمل ما أرضعت أمّ ولداً ولا غرس غارس شجراً. ومن هذا أخذ الحسين رضي الله تعالى عنه: لو عقل الناس وتصوروا الموت بصورته لخربت الدنيا. **وقال مطرف**: هذه الغفلة رحمة فلو دخل الناس الخوف من الموت ما انتفعوا بدنياهم.

● **مضرّة انقطاعِ الأَمل**

قيل: أعظم المصائب انقطاع الرجاء. **وقيل لبزرجمهر**: ما الذي يشدد البلاء على الناس؟ فقال القنوط والاستبسال، **قيل**: فما الذي يهوّنه عليهم، قال الرجاء وحسن الظن. **قال النظّام**: كنا نلهو بالأماني وتطيب أنفسنا بها، فذهبت من بعد وانقطع الأمل.

● **بقاءُ الأمل والمنى ببقاءِ الحياة**

قيل: لا ينقطع رجاء المرء ما لم تنقطع حياته. **وقيل**: الأمل يساوق الأجل.

قال علقمة:

والـعـيـشُ شـحٌ وإشـفـاقٌ وتـأمـيـلُ

ومثله:

العيشُ إن تَجلُ عنهُ كلُه تعبُ   والـمـرءُ إن قـرّ عـيـنـاً كـلّـه أمـلُ

قال بشار: الإنسان لا ينفك من أمل فإن فإنه عوّل على الأماني، فالأمل نفع نسيب، والهوى لا يكون نسيباً وبابه مفتوح لمن يكلّف الدخول فيه.

---

(١) **العاثر**: الساقط والهالك، والعاثر النفس من عثر الفرس إذا زلّ وكبا.

● **تضمنُ الرجاءِ للخوف**

قيل: خوف وقوع المكروه مقرون برجاء السلامة، كل رجاء متضمن للخوف ولذلك استعمل كل واحد منهما موضع الآخر، وقول الهذليّ:

إذا لَسعتْه النحلُ لم يرج لَسْعَها

أي لم يخف. **وقيل**: لا ينبغي للعاقل أن يسرّ بالرجاء فإنه مشوب بالذعر والسرور به غرور، إن خاب أضعف الأكداء عليه الغم.

الحد الثامن

في الصناعات والمكاسب والتقلّب والغِنى والفَقْر

(١)

فيما جاء في الحِرفة

●

● مدحُ الحِرفة وفضلُها

قال النبي ﷺ لوفد عبد القيس: ما المروءة فيكم؟ قالوا: العفة والحرفة. **وقال النبي** ﷺ: خير الكسب كسب اليد لمن نصح. وكان عمر رضي الله عنه إذا نظر إلى رجل سأله أله حرفة فإذا قال: لا، سقط من عينه.

ونظر عمر رضي الله عنه إلى أبي رافع وهو يقرأ ويصوغ، **فقال**: يا أبا رافع أنت خير من تؤدي حقّ الله تعالى وحقّ مواليك. **وقيل لأعرابي ينسج**: ألا تستحي أن تكون نسّاجاً، **قال**: إنما أستحي أن أكون أخرق لا أنفع أهلي، وحرفة يقال فيها خير من مسألة الناس. **وقال** ﷺ: إن الله يحب التاجر الصدوق والصانع الناصح لأنه حكيم.

وقال أبو العتاهية:

ولا تـدعْ مـكـسـبـاً حَـلالاً   تـكـونُ مـنـه عـلـى بَـيـانِ

● ذمّ السّرقَة

قيل: لا ترج الخير ممن يكون رزقه من ألسنة الموازين ورؤوس المكاييل يؤتى يوم القيامة بسوقي فيوزن عمله فتميل به الميزان، فيقول حوّلوا إلى الكفة الأخرى ففي الميزان عيب.

● أصنافُ الصنّاع وتفضيلُ بعضِها على بعض

قيل: **الناس أربعة**: ذو صناعة وزراعة وتجارة وإمارة، وما سوى ذلك فإنهم يغلون الأسعار ويكدرون المياه. وقال المأمون: السوقيون سفل والصناع أنذال والتجار بخلاء والكتاب ملوك على الناس.

كتب الوليد إلى صاحب الساحل: اجعل الحائك والإسكاف في مرتبة والحجام والبيطار في مرتبة، والبزّاز والصيرفي في مرتبة، والمعلّم والخصيّ في مرتبة والنخاس والشيطان في مرتبة.

وقيل: ثلاثة أعمال لم تزل في سفلة الناس: الحياكة والحجامة والدباغة. **وقال** حبيب بن محمد لمالك بن دينار: لو خيرت في الصناعات ما كنت تختار؟ **فقال**: أكون حداداً فأرى لفح النار لعلّي أتقيها، **فقال** حبيب: كنت أختار أن أكون حفّاراً للقبور.

● المتولّي صناعةً تُنافيه

قال شريك بن عبد الله: خمسة من الكبائر: عمياء مكتحلة، وسوداء مختضبة وخصي له امرأة، ومخنث يؤم قوماً، وإعرابي أشقر ومن العجائب: منجّم أعمى وأطروش صاحب خبر، وعطار أخشم، ومناد أخرس ومؤاجر أصلع، وجندي محفوف الشارب، وكنّاس متعزز وفيج منقرس ولحياني ينتف لحية كوسج، وديدبان أعمش وحجام قليل الفضول، وإمام أمي وكحال أرمد.

وضرب عبد الله بن أبي بكر ملاحاً لم يحسن السباحة، **وقال**: من العجائب ملاح غير سابح.

● المتولّي صناعةً تليقُ به

من تمام آلة القاضي أن يكون لحيانياً، والقاص أن يكون أعمى شيخاً بعيد الصوت، والزامر أن يكون أسود، والمغني فاره الدابة برّاق الثوب عظيم الكبر سيء الخلق، والشاعر أن يكون أعرابياً، والداعي إلى الله أن يكون صوفياً. من عمل عمل أبيه كفي نصف المعاش.

● أنذالٌ من الصناع متبجّحٌ بعضُهم على بعْض

دعا حجّام كناسين يكنسان له كنيفاً، **فقال** أحدهما للآخر: أتدري عند من نعمل؟ قال: لا، **قال**: نعمل عند حجّام، **فقال**: الحمد لله الذي أعلمنا ذلك قبل أن نشرب من كوزهم أردت والله أن أرمي بكل ما في جوفي. أطلب لي شيئاً أشرب به فضرب يده إلى كوز معه في جوف جرّة ينقلون فيها الخرء، فمسحه بيده وناوله فشرب منه.

اجتمع كناسان على كنيف، **فقال أحدهما**: فيه من الخرء قامة، **وقال الآخر**: قامة وبسطة، فنزع ثوبه وقفز فيه وغاص ثم أخرج رأسه، **وقال**: تظنني حائكاً.

وقع شرٌّ بين حجّام وحذّاء، **فقال**: أنت تمشط وتسرج، وأنا أحذو وأنت تشق بمبضع، وأنا بمخصف فما فضلك عليّ؟

● ذكر من تولّى صناعة دنيئة من الأكابر

قيل: كان طالوت دباغاً فآتاه الله الملك على رغم من كره، وكان داود عليه السلام راعى غنم وآتاه الله الملك والحكمة، وموسى راعياً أجيراً لشعيب عليهما السلام، وعيسى عليه السلام صيّاد سمك وهذا باب يكثر أن يتبع.

● **ذمُّ الحاكة**

قيل: الحمق عشرة أجزاء تسعة في الحاكة. مرّ على أمير المؤمنين كرم الله وجهه رجلٌ فقال له: إلى أين؟ **قال**: إلى البصرة في طلب العلم، **فقال**: أتترك علياً وتطلب العلم بالبصرة؟ **ثم قال له**: ما صناعتك؟ **فقال نسّاج فقال رضي الله عنه**: من مشى مع حائك في طريق ارتفع رزقه، ومن كلّم حائكاً لحقه شؤمه، ومن اطلع في دكانه اصفرّ لونه. **فقال قائل**: لم يا أمير المؤمنين وهم إخواننا؟ **فقال**: إنهم سرقوا نعل النبي ﷺ وبالوا في فناء الكعبة، وهم تبع الشيطان وشيعة الدجّال، وسراق عمامة يحيى بن زكريا وجراب الخضر وعصا موسى وغزْل سارة وسمكة عائشة من التنور، واستدلتهم مريم عليها السلام فدلّوها على غير طريق، فدعت عليهم أن يجعلهم الله سخرية وأن لا يبارك في كسبهم.

وقال حائك لعالم: دلّني على عمل أتواضع به، **فقال له**: ما عمل أوضع من عملك فالزمه. وقال: شهادة الحائك تجوز مع عدلين.

وكان النظّام يسمّى العروضي أخضر البطن فكشف عن بطنه **وقال**: ما ههنا خضرة، **فقال**: إنه يريد أنه حائك. ويقال فلان أخضر النواجذ[1]، والبراجم[2] للأكار بمعنى أنه يأكل الكراث ويتناول الخضراوات.

● **في مدحه**:

لـولا الـحـيـاكـةُ والـذيـن يـلـونَـهـا   بـدَتِ الـفـروجُ ولاحَـتِ الأَدْبـار

وفي ذم صناعة قليلة النفع يتمثل **بقول الشاعر**:

ومن يحترث حرثي وحرثك يهزِلِ

● **مدح الحجّام**

قال النبي ﷺ: نعم العبد يقل الدم ويخف الصلب ويجلو البصر. ومن فضلاء الحجّامين أبو ظبية حجّام رسول الله ﷺ حجم النبي ﷺ، وشرب دمه فاختلط دمه بدمه فخُطب إلى الأشراف وزُوج من الكرام ومنهم أبو هبة.

قال النبي ﷺ: يا بني هند إنما أبو هبة رجل منكم فانكحوه وانكحوا إليه. ومنهم عبيد الحجّام بالبصرة وكان أديباً، **قيل له**: كم يعطيك فلان؟ **قال** سدوسي، عنى **قول الشاعر**:

فـإن تـبـخَـل سـدوسُ بـدرهـمَـيْـهـا   فـإنّ الـريـحَ طـيّـبَـة قـبـولُ[3]

---

(١) **النواجذ**: الأضراس.
(٢) **البراجم**: جمع برجمة وهي مفصل الأصبع.
(٣) **سدوس**: قبيلة ـ **قبول**: ريح الصَّبا.

وقال ابن طباطبا:

أبو سليمان داود بنُ بنكلة قد فاتَ في الحجْم حذْقاً كل حجّامِ
وزانَ ذاك بصوتٍ لا يجاوزُه إلى الفضُول سِوى نطْقٍ بإبهامِ
لطفاً ورفقاً وحذْقاً في صناعتهِ وخفّةً لم تشنْ منه بإبرامِ
لولا مواقعُ موساه ومشرطُه لخلتَني منه في أضغاثِ أحلامِ

وقال محمد بن مسافر:

مزيّن حذّفني حاذقٌ ليس له في النّاس من شَبهِ
ظننتُ إذ حذّفني أنّه أحدث لي وجهاً سوى وجهي[1]

وقال أبو نزّ البلخي:

كأنما المحجمُ في كفّه شمْسُ نهارٍ آذنَتْ بالغُروبِ
يأخذُ من مجروحه أرشه فيا لهُ من جارحٍ مستثيبِ[2]

● كثرةُ فضولِ الحجّامين

استحضر عبد الله بن سليمان حجاماً شيخاً يقال له أبو دلحمة، وقال: أنا متبرم بحجامي لكثرة فضوله. فأخذ آلة التحذيف وطفق يشحذ الموسى فنظر الوزير إلى بعض أصحابه، فقال اعطِ القوس باريها، فقال أبو دلحمة: ما أول هذا البيت أيها الوزير. فقال الوزير: الله أكبر هربت من فضول فوقعت فيما فوقه، وقال ما هو يا أبا دلحمة، فقال: أنشدني الرياشي بمكة:

يا باريَ القوْس برْياً ليس يحسنُه أفسدتَ قوسَك أعطِ القوس باريها

وكان أبو دلحمة من الشعراء والفضلاء.

وقال الفضل بن الربيع: قال لي الرشيد أطلب لي حجّاماً أصمت من الحجر، فقلت: نعم، لي غلام سكيت، فقال: إبعثه إليّ. فدعوت به وأخذت عليه الوصيّة أن لا ينبس ولا ينبض عرقه إذا خدم أمير المؤمنين وأوصيته بأن يتأهب ثم دخلت إلى الرشيد فرأيته يضحك، وقال لي: إن لذلك الحجام شأناً ولا نراه بعد، ثم سألت فراشاً مختصاً بالرشيد عن خبره، فقال: إنه لما بدأ بالمحجمة قال: يا أمير المؤمنين إني أريد أن أسألك عن شيء فقال له ما هو؟ قال: لم قدّمت الأمين على المأمون والمأمون أسن منه؟ قال: أخبرك بالجواب إذا فرغت، فلم يلبث غير قليل حتّى قال: وأسألك عن شيء آخر، قال الرشيد: هات، قال: لم قبلت جعفر بن يحيى، قال: وهذا أيضاً أخبرك به إذا فرغت،

---

(١) حذّفني: سوّى شعري.

(٢) يأخذ أرشه: يأخذ الدية أو الرشوة.

واجتمع عند أبرويز تسعمائة وخمسون فيلاً ولم تجتمع عند ملك قط ووضعت فيلة عنده ولم تنتج بالعراق وكانت حمير والتبابعة والمقاول والعباهلة والكيسوم من ملوك الحبشة يكرمون الفيلة ويركبونها.

● **ابن طباطبا**

أعـجـب بـفـيـل آنـس وحـشـيّ   بـهـيـمـةٍ فـي صـفـةِ الأنـسـي
يـفـهَـمُ عـن سـائـسِـه الـسـنـديّ   غـيـب مـعـانـي رمـزْه الـخَـفـيّ
أقـبَـل فـي سـربـالـه الـغـمـيّ   يـزهـى بـسـجـزء مـنـه طـارونـيّ
مـمـلّـس الـجـلـبـاب فـاخـتـيّ   يـخـطـو عـلـى أسـاسِـه الـقـويّ
مـثـل الـدلـي الـمـوثـق الـمـبـنـيّ   سـائـسـه عـلـيـه ذورقـيّ
مـنـتـصـب مـنـه عـلـى كـرسـيّ   خـرطـومُـه كـجـعـبـةِ الـتـركـيّ
يـعـلـو بـشـطـر مـنـه خـابـوطـيّ   نـابـاه فـي هـولَـيْـهـمـا الـمـحـشـيّ
كـمـثـلِ قـرنِ نـاطـح طـوريّ   سـبْـحـان ربّ قـادر عـلـيّ
سـخـره لـلـسـائـب الـنـوبـيّ

● **الكلب**

الكلبُ موصوفٌ بالسرقة والتشمم ويسمى فلحس. وفلحس إسم طفيلي وهو يرجع في قيئه ويشغر ببوله في جوف أنفه. ومن مدائحه حفظه على أهله وحراسته وفي أرحامها أعجوبة لأنها تلقح من جميع أجناس الكلاب بخلاف الغنم وتؤدي شبه كل واحد. وأناثها تحيضُ كل سبعة أيام وعلامة ذلك ورم أطبائها[1] ولا تقبل السفاد في ذلك الوقت ويعتريها عند الولادة هزال وأكثرها مما تضع إثنا عشر جرواً وربما وضعت واحداً وجراؤها لا تتهارش بل يؤثر بعضها بعضاً بالطعام. وإناثها أطول عمراً.

والسلوقية كلما أسنّ كأن أقوى على المعاظلة[2] بخلاف سائر الحيوانات.

وكل كلب إذا أسن كأن صوته أجهر. ومن أمثالهم أصبر على الهوان من كلب وألأم من كلب على جيفة.

والـكـلـب أنـجـس مـا يـكـون إذا اغـتـسَـل

ومنها:

حـتّـى تـنـام ظـالـع الـكـلاب

وأنظر من كلب، وأسمع واشم منه. وعلى أهلها جنت براقش، وهو إسم كلبة نعم

(١) الأطباء: حلمات الضرع، جمع طبي.

(٢) المعاظلة (في الكلام): عقد الكلام وكزره والمعاظلة الركوب.

مكلب في بؤس أهله. اجع كلبك يتبعك. سمّن كلبك يأكلك. أجوع من كلب حومل مطل كنعاس الكلب.

- **أسماؤه**

سحام ومقلى القنيص وسلهب وجدلاً والرهان والمتناول.

وقال أبو محجن في رجل يسمى وثاباً ويسمّي كلبه عمراً:

ولـــوهـــيـــا لـــــه الله مـــن الـــتـــوفـــيـــق أســـبـــابـــا
لـــســـمـــى نـــفـــســـه عـــمـــرا وســـمـــى الـــكـــلـــب وثـــابـــا

- **جواز قتله**

قال النبي ﷺ لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها وإذا وجدتم الكلب البهيم الأسود فاقتلوه فإنه شيطان.

وقال أمير المؤمنين اقتلوا الجان ذا الطفيتين والأسود البهيم. وفي الخبر أنّ دية كلب الصيد أربعون درهماً، ودية كلب الدار زنبيل تراب، حق على القاتل أن يؤديه وعلى صاحب الكلب أن يقبله.

- **تحريمُ أكله**

أكله محرّم وبنو أسد يعيرون بأكله، ولذلك قال:

إذا أسـدي جـاعَ يـوْمـاً بـبـلـدةٍ وكـان سـمـيـنـاً كـلـبُـه فـهـو آكـلُـه

وقال مخاطباً بعضهم:

لـو خـافَـك الله عـلـيـه حـرمـه

- **ما يجوزُ إرتباطهُ من الكلاب**

قال النبي ﷺ من اقتنى كلباً ليس بكلب صيد ولا حرث ولا ماشية نقص من أجره كل يوم قيراط. **وقال:** إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً.

- **محاربةُ الكلب والوحشيات**

قال امرؤ القيس في صفة ثور وكلب:

فـأنـشـبَ أظـفـارَه فـي الـنـسـاء فـقـلْـتُ هـتـكْـتَ إلا تـتـنـصّـرُ
فـكـرّ إلـيـه بـمـبـيـراتـه كـمـا خـل ظـهـر الـلـسـان الـمـجـر

قال أبو ذؤيب:

والـدهـرُ لا يـبـقـي عـلـى حـدثـانـه سـيـب أقـرّتـه الـكـلابُ مـروعُ[1]

---

(١) **أقرته:** من القرى وهو طعام الضيف ـ **مروع:** من روع (ه): أفزعه وجعل الخوف يخامره.

شعف الكلابِ الضارياتِ فؤاده فإذا يرى الصبْح المصدقَ يفزعُ
ينهشْنه ويذودهن ويحتَمي عبْل الشوى ذو طرّتين مولعُ

● صيدُ الكلب

قال أبو نواس:

لما تبدّى الصبحُ من حجابِهِ كطلعة الأشمَط من جلبابِه[1]
هجنا بكلبٍ طالما هجْنا به ينتشف المقود من جذابِه
ما كانَ مشنيه لذى أسلابه متْناً شاعَ لجّ في انسيابِه
كأنّما الأظفورُ من قنابِه موسى صَناع ردّ في نصابِه[2]

وقال:

أنعتُ كلباً أهله في كدّه قد سعدَت جدودُهم بجدِّه
فكلّ خيرٍ عندَهم من عنده يظلّ مولاه له كعبدِه
ذا عزّة محجّلاً بزندِه تلذّ منهُ العينُ حسْنَ قدِّه
يا لكَ من كلبٍ نسيج وحدِه

● الفهد

كبارُها أقبل للآداب من صغارها، بخلاف سائر الحيوانات وهو أنوم خلق. فإنه نومه مصمت، وجميع الحيوانات تشتهيه ويستدل بريحه على مكانه. وربما يصطاد بالصوت الحسن يصغى إليه وإناثها أصيد من ذكورها **قال ابن طباطبا في وصفه:**

لهوتُ فيه بصيدِ راكبَةٍ نازلةٍ كل وقت إيماء
تركيةِ الوجه حينَ تنعتُها روميةُ المقلتَيْن كحْلاء
أبرزَها الحسنُ في مشهرة قد فوفَت مثلَ وشي صنعاء
يضاحِكُ الصبْح من ملمَعها داجيةً شيبَت بقَمْراء
يراقب الوحشُ في مراتعها بعينِ واشٍ ورعي حِرْباء

● الأسد

الأَسَدُ سيّد السباع **قال المتوكّل الليثيّ:**

وردٌ تظلّ له السّباعُ تطيعُه طوعَ العُلوج تلينُ للأساورِ

ويقلّ نسله لأن ولدها يجرح رحمها فتعقم وتقصد إذا قربت مملحة فتضع فيها

---

(١) **الأشمط:** الذي خالط بياض رأسه سواد.

(٢) **القناب:** المخلب ـ **الصناع:** المرأة الحاذقة في العمل.

الحمل خوفاً من النمل، لأن ولدها ككتلة شحم، فيقصده النمل. ولذلك قال المتنبّي:

يرد أبو الشبْل الخميسَ عن إبنه ويسلمُه عند الولادة للنمْلِ

واستوصف عبد الملك أبا زبيد أن يذكره نثراً فقال له: عينان حمراوتان مثل وهج التنور كأنما نقرا بالمناقير، في عرض حجر لونه ورد، وزئيره رعد، هامته عظيمة وجبهته شتيمة، نابه عنيد وشرّه عتيد، إذا استدبرته قلت أفرع. وإذا استقبلته قلت أقرع. إذا مشي تبهنس، وإذا أتى اللّيل إعلنكس تبوأ وتجسس. فقال: حسبك لقد وصفته بصفة خلته يثب عليّ. قال:

ضرغامةٌ أهرت الشدقَيْن ذو لبد كأنه برنسا في الغاب مدرع

وقال الفرزدق:

هزبرٌ هريتُ الشدقِ ريبال غابة إذا سار عزته يداه وكاهلُه[1]
شتيم المحيا لا يخاتل قِرنه ولكنّه بالصحصحان ينازلُه

وقال ابن هرمة:

أسدٌ في الغيل يحمي أشبُلا قلّما يعتادهُ فيه القرمْ
مطرقٌ يكذب عن أقرانِه ينقضُ الكلم إذا الكلم التأمْ

وقال المتوكل الليثي:

فهابوا وقاعي كالذي هبّ حادراً شتيم المحيا خطوه متدانِ
تشبه عينيه إذا ما فجأته سراجين في ديجورة يقدانِ[2]
كأنّ ذراعيه لِبْدةُ نحره خضبْن بحناء فهُنّ قوانِ
أزب هريت الشدْقِ وردٌ كأنما يعلي أعالي لونه بدهانِ
مضاعف طيّ الساعدَيْن مصنر همُوس دجى الظلماءِ غير جبانِ

● الذئبُ

قصد ذئب الفرزدق فألقى إليه ربع مسلوخة كانت معه فلما ارتحل عارضه فقال:

وليلة بتْنا بالعريئَيْن ضافَنا على الزّاد ممشوقُ الذراعيْن أطلسُ
تلمسنا حتّى أتانا ولم يزَل لدن فطمته أمّه يتلمّسُ
فقاسَمْتُه نصفَيْن بينِي وبينَه بقيةَ زادي والركائِبُ تُنعَسُ

---

(١) الهزبر: الأسد - هريت الشدق: واسع الشدق - الريبال: مخفّف رئبال وهو من أسماء الأسد - عزّته: قوّته.

(٢) الديجورة: الظلمة.

وكانَ ابنُ ليلى إذا قرى الذئبَ زادَه على طارقِ الظلْماء لا يتعبّسُ[1]

وقال النجاشي:

وماء كلونِ البوْلِ قدْ عادَ آجِنا قليلٌ به الأصواتُ جاوزتُه مخلِ
وجدْتُ عليه الذئبَ يعوي كأنّه خليعٌ خلا من كلّ مالٍ ومن أهْلِ
فقلْتُ له يا ذئبُ هل لك في أخٍ يواسي بلا أثر عليْك ولا نَخْلِ
فقالَ هداكَ اللّهُ للرشْد إنّما دعوْتِ لمّا لم يأتِه تبع قبلي
فلسْتُ بآتيه ولا أستطيعُه وهاكَ سْقِني إن كان ماؤك ذا فضْلِ
فقلْت عليْك الحوضُ إنّي تركتُه وفي صدرِه فضْلُ القلوصِ من السخْلِ
فطرب فاستعوى ذئاباً كثيرَة وعدت كلانا من هواه علَى شغْلِ

وقال آخر:

ينامُ بإحدى مقلتَيْه ويتّقي بأخرى الأعادي فهو يقْظان نائِمُ

وقال كعب بن زهير وكان قد رامه قومه أن يشتري غنما:

تقولُ حياي من عوفٍ ومن جشمٍ يا كعْبُ ويحَك لم لا تشتري غنَما
منْ لي بهنّ إذا ما أزمة جلبَت ومن أويس إذا ما أنفُه رزمَا
أخشَى عليها كسوباً غيْرَ مدّخر عاري الأشاجع لا يشْوي إذا ضغما[2]
إنْ يغْدُ في سرعةٍ لا يثْنِه بهر وإن عدا واحداً لا يتّقي الظلمَا[3]

وقيل: أغدر وأخبث وأكسب من ذئب، **وقيل:** من استودع الذئب ظلم.

● الخنزير

إنما أظهر الله تحريمه لأن كبار القبائل وملوكَها تستطيبه وتأكله، ولم يكن كالقرد إذا عافته النفوس. ونظر معاوية في وجه بعض نصارى الشأم فرآه بضّاً فقال الخمر على هالة الخنزير وهو ضرار. ربّما طلب عرقاً مندفناً فيحفر خريب أرض ويفسد فساداً كثيراً.

وليس في ذوات الأنياب أشدّ ناباً منه والذكر يقاتل في زمان هيَجه ومتى قلع إحدى عينيه هلك. وأما فرخ الخطّاف وفرخ الحية فإن عينها إذا قلعت تعود صحيحة وخطمه يسمى الخرطوم تشبيهاً.

---

(١) **ابن ليلى:** ليلى أم الفرزدق لهذا قيل له ابن ليلى ـ **قرى الذئب زاده:** أطعمه من زاده.

(٢) **الأشاجع:** عروق ظاهر الكف أو أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف.

(٣) **البهر:** انقطاع النفَس.

يلزمك العمل، ولو حلفت أنها كلمة نبي، لرجوت أن لا أحنث، ثم لم أره بعد ذلك فرحمه الله حياً وميتاً فقد نصح. **وقيل**: التاجر الصدوق، مع النبيين والصديقين.

● ذمّ الحكْرَة

قال النبي ﷺ: من احتكر على المسلمين طعامهم ضرب الله ماله بالإفلاس، وعنه ﷺ: من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد بريء من الله ورسوله **وقال ﷺ**: الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون.

وفي عهد أزدشير: لا تحبوا الاحتكار فيعمّكم القحط. **وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه**: قلت يا رسول الله ما الحكرة، **فقال**: الذي إذا سمع بالغلاء فرح وإذا سمع بالرخص اغتم. **وقال علي رضي الله عنه**: لا أسمع بالكوفة برجل احتكر إلا أحرقت طعامه بالنار أو أنهبته. **وكتب الوليد** بن مصعب إلى صاحبه بالساحل: تفقد أمر الحناطين فإن زادوا في السعر من غير علة فأنهبهم عوامك فالغلاء من أسباب الفتن. مع الغلاء تكون الشكوى ثم الجلاء ثم الوباء.

● تحليلُ البيْع وذمّ الرّبا

قال الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[1] وقال: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[2] وقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾[3] ولعن النبي ﷺ: آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه. **وقال ﷺ**: الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من ستة وثلاثين زنية زناها زان. **وقال ﷺ**: يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه أحد إلا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره. **وروي**: كل قرض جر منفعة فهو الربا.

● الحثّ على مراعاةِ العِلْم في المبايَعة

قال أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه: من أتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا. **وقال الضحاك**: ما من تاجر ليس بفقيه إلا أكل الربا شاء أم أبى.

● المكروهُ من البيوع

قال النبي ﷺ: لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه. **وقال ﷺ**: لا تناجشوا والنجش الزيادة في السلعة من غير حاجة، ونهى عن تلقي الركبان وبيع حاضر لباد. **وقال ﷺ**: لا يحل شراء المغنيات ولا بيعهن ولا تعليمهن، وتلا قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾[4] ونهى عن بيع فضل الماء، **فقال**: من منع فضل الماء ليمنع به فضل الكلأ منعه الله فضل رحمته يوم القيامة. **وقال ﷺ**: لا يحل

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٧٥.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٧٦.
(٣) القرآن الكريم: البقرة/ ١٨٨.
(٤) القرآن الكريم: لقمان/ ٦.

منع الملح، وكل ذلك مكروه، وإذا فعله إنسان صح بيعه وشراؤه.

• المحرّمُ بيعُه

نهى النبي ﷺ: عن ثمن الكلب إلا كلب الصيد، وفي خبر آخر: **نهى** عن ثمن الكلب والهر وعن مهر البغي. **وقال جابر**: سمعت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة **يقول**: ألا إن الله حرم بيع الخمرة وبيع الخنازير وبيع الأصنام، فقيل له: أرأيت شحوم الميتة فإنه يدهن به السفن والجلود، **فقال** ﷺ: قاتل الله اليهود إن الله حرم عليهم الشحوم فحملوها وباعوها.

وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه. **وقال** ﷺ: الورق بالورق والذهب بالذهب والبر بالبر والشعير وبالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح ربا إلا هاء وهاء مثل بمثل، ومن زاد أو ازداد فقد أربى. وأهل الظاهر قصروا الحكم على هذه المذكورات، وغيرهم تعداها، فجعل الشافعي رضي الله عنه العلة فيه الأكل فحرم بيع كل مأكول بجنسه إلاّ مثلاً بمثل. وأبو حنيفة رحمه الله جعل العلة الكيل فحرّم بيع كل مكيل بجنسه إلا مثلاً بمثل. ونهى النبي ﷺ عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة وعن بيعين في بيعة وعن بيع وسلف وعن ربح ما لم يضمن وبيع ما لم يقبض. وعن المحاقلة والمزابنة فالمحاقلة بيع البر الموضوع بالأرض والمزابنة بيع ثمر النخل بالتمر يابساً، ورخص في العرايا والعرية بيع ثمر النخل بالتمر يابساً إذا كان دون خمسة أوسق، ونهى عن الثنيا وعن المنابذة وبيع الغنيمة قبل القسمة.

وعن بيع المجر وهو أن يباع الشيء بما في بطن الشاة، وعن حبل الحبلة وعن بيع الغرز وعن بيع الثمرة قبل بدو صلاحها. **وفي الحديث**: أن عليه السلام نهى عن الكالىء بالكالىء وهو بيع الدين بالدين، ونهى عن بيع أمهات الأولاد، **وقال**: لا يبعن ولا يوهبن ولا يورثن، يستمتع بها سيدها ما بدا له فإذا مات فهي حرّة.

• السّلفُ

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قدم النبي ﷺ المدينة وهم يسلفون في التمر العام والعامين، فقال ﷺ: من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم. وكان ﷺ استسلف بكراً فجاءته إبل من إبل الصدقة، **قال أبو رافع**: فأمرني النبي ﷺ أن أقضي الرجل بكره فلم أجد إلا رباعياً، **فقال** ﷺ: أعطه إياه فإنّ خير الناس أحسنهم قضاء.

• السّهلُ البيع

مر النبي ﷺ برجل يبيع شيئاً، **فقال**: عليك بالسماح أول السوق فالرباح في المساح. **وعن أبي هريرة رضي الله عنه**: أحب الله عبداً سهلاً، إذا باع أو ابتاع سمحاً إذا قضى أو اقتضى. **وقال ابن عون**: ما أرسلني الحسن رضي الله عنه في ابتياع شيء له إلا **قال**: لما عدت بارك الله فيك، ولم يسألني عن ثمنه وما أرسلني ابن سيرين إلا قال حين عدت:

كيف اشتريت؟ **وقيل لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه**: بِمَ بلغ بسارك فقال لم أرد ربحاً ولم أشترِ عيباً ولم أبع بنسيئة.

● جَواز المماكَسة

قيل: المماكسة في البيع مكايسة. وكان عبد الله بن جعفر يماكس في درهم ويجود بمال، فقيل له في ذلك، **فقال**: الغبن في البيع بَلَه وفي الجود كرم. وقيل لآخر مثل ذلك، **فقال**: الغبن في البيع جود بالعقل وفي السخاء جود بالمال، ولا أسخى بالعقل **وقيل**: الحر يتغابن في ابتياع الحمد ولا يتغابن في الشراء والبيع. **وقيل**: من الغباوة السخاء في التجارة. وكان ابن عمر رضي الله عنه لا يرى بأساً بالمماكسة والمكايسة. والهند لا تستحل غرارة الجاهل وتستحل غبن البائع.

● ذمّ المبالَغة في المماَكسة

قيل: كثرة المكاس من أفعال الخساس. ورأى رجل إبنه يماكس في ابتياع لحم **فقال**: يا بني تساهل، فمما تضيعه من عرضك أكثر مما تناله من عرضك. وكان الأصمعي مضيقاً في معيشته مستقصياً في مبايعته، **فقال العتبي**: لو بذلت الجنة للأصمعي بدرهم لما رضي واستنقص شيئاً. **وقال رجل لخياط**: خط لي هذا الثواب وسامحني في الأجرة، **فقال**: أخيطه لك مجاناً، فقال زدني. **قال**: إذا تخرق رقعته لك. ونحو ذلك أن رجلاً كان يستأجر غلاماً فقال كم تطلب، **فقال**: أخدمك بملء بطني، **فقال**: سامحني، **فقال**: لا أعرف مسامحة في ذلك إلا أن أصوم لك الإثنين والخميس في الأسابيع لتربح غداءهما. وكان ابن بالة ببغداد قد اكترى غلاماً كوفياً فاستحضره المزين فحلق رأسه فلما فرغ وتنحى، جاء الغلام الكوفي إلى المزين فقعد بين يديه ليحلقه، فخرج ابن باله وقد حلق المزين بعض رأسه فناداه **وقال له**: هذا من حسابي أو من حسابك يحلق فقام الغلام على حالته محلوق بعض الرأس، وأخذ المنديل وعدا من بين يدي المزيّن، وحلف بالطلاق أنه لا يحلق رأسه حتى يعود إلى الكوفة.

● عذرُ مبتاعٍ مرغوبٍ فيه بفضل ثمن

اشترت سكينة شيئاً بفضل ثمن، **فقيل**: غبنت **فقالت**: ما غبن من بلغ شهوته، **وقيل**: استكرمت فاربط واشدد يديك بغرزة ولا تنظر إلى كثرة ثمنه. **قال شاعر**:

أشــددْ يــديْــك بــهِ وحــزْ ٭ فــإنــه عِــلْــقُ مــضــنّــه[1]

● الحثّ على استجادةِ ما تشتريه

قال عمر رضي الله عنه: إذا اشتريت بعيراً فاشتره سميناً فإن أخطأك الخبر لم يخطئك

---

(١) **علِقُ مضنّة**: العِلْق: النفيس من كلّ شيء، **والمضنّة**: ما يضنّ به.

النظر، **وقيل**: الغبن غبنان غبن الغلاء وغبن الرداءة، **فإذا** اشتريت فاستجد تربح أحد الغبنين. **وقيل لبعضهم**: بمَ كثر مالك؟ **فقال**: لم أشتر قط غبناً ولا شيناً.

● مدحُ متظلف[1] عن المبايعة

وعن التفكر في الطفيف. **قال شاعر**

يبيعُ ويشتري لهُم سِواهم ولكنْ بالسّيوفِ هم تجارُ

وقال العباس بن المأمون لغلامه: إن رأيت نقلاً حسناً فاشترِ بنصف درهم، فقال المأمون: لا تفلح إذا عرفت للدرهم نصفاً. وطلب الحسن رضي الله عنه ثوباً، فقيل: بثلاثة عشر ونصف، **فقال**: خذ أربعة عشر فالمسلم لا يشاطر أخاه الدرهم.

● المتَغالي ببيع شيء

ساوم مديني نعلاً، **فقال صاحبها**: بعشرة، **فقال المديني**: لو كانت من جلد بقرة بني إسرائيل ما أخذتها بأكثر من درهم، **فقال الحذاء**: لو كانت دراهمك من دراهم أصحاب الكهف ما أعطيتكها. باع رجل شيئاً مماكسة، **فقال البائع لما باعه**: لو صبرت لبعت منك بدرهم، **فقال المشتري**: لو صبرت لاشتريت منك بأضعاف ما اشتريت دنانير. ساوم أشعب رجلاً بقوس، **فقال**: بدينارين، **فقال**: لو أنها إذا رمى بها الطير في الهواء يسقط مشوياً بين رغيفين ما اشتريتها بدينارين. كان رجل ضلَّ له بعير فحلف إن وجده ليبيعنه بدرهم فوجده فلم تسمح نفسه أن يبيعه بدرهم، فعمد إلى سنور فعلقه في عنقه وجعل ينادي عليه: الجمل بدرهم والسنور بخمسمائة ولا أبيعهما إلا معاً، **فقال رجل**: ما أرخص الجمل لولا قلادته.

● تركُ مبيع لغلائه

كان الفضيل رضي الله عنه إذا أرسل غلامه ليشتري له شيئاً فرجع إليه، **فقال** وجدته غالياً، **قال**: الحمد لله إذا غلا علينا شيء تركناه. **وقال بعضهم**: إذا غلا عليّ شيء تركته فيكون حينئذ أرخص ما يكون، **قال شاعر**:

وإذا غلا شيءٌ عليّ تركتُه فيكون أرخصَ ما يكون إذا غَلا

وأنشد جحظة هذا البيت مجيزاً له:

إلا الدقيق فإنّه قوتٌ لنَا فإذا غلا يوْماً فقد نزَل البَلا[2]

واشتهت امرأة مزبد يوماً عليه جراد **فقالت**: اشتر لي فإن مداً منه بدرهم. فقال لو جاء الدجال بزلزلة المدينة وأنت ماخض بالمسيح تنتظرين أن تأكلي الجراد وتضعي الحمل ما اشتريته بهذا السعر.

---

(١) **المتظلِّف**: المبعد عن.

(٢) **البلا**: البلاء ـ **الدقيق**: الطحين.

● **من باعَ نفِيساً واشترى خسيساً**

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾[1] باع رجل دابة واشترى بها بازياً **فقال له أبوه:** يا أحمق بعت ما تركبه واشتريت ما يركبك. وباع رجل بستاناً واشترى به دابة، **فقال له رجل:** بعت ما كنت تعلفه السرجين[2] فيعوضك الشعير بما يأكل ويعوضك السرجين.

وفي المثل: كالمشتري النافقاء باليربوع وما كل مبتاع من رابح، **قال ابن معروف القاضي:**

يا خاسرَ الصفقةِ في سعْيه ... وبائعاً بالخزفِ الدرّه[3]

كان يباع زرياب بدينار فقال أعرابي: لماذا يصلح هذا؟ فقيل إنه يضغب[4] ضغيب السنور، **فقال:** اشتر سنوراً بنصف درهم يضغب لك أجود من هذا ويصطاد الفأر زيادة.

● **بيعُ نفيسٍ للحاجَة إليه**

دخل أعرابي بفرس يبيعه، فقيل له: صف فرسك، **فقال:** ما طلبت عليه قط إلا لحقت ولا طلبت عليه إلا سبقت، **فقيل له:** فلم تبيعه؟ **فقال:**

وقد تخرجُ الحاجاتُ يا أمّ مالكٍ ... كرائمَ من ربّ بهنّ ضنينُ[5]

● **ذمّ البيعِ والابتياع نسيئَة**

قيل: إياك أن تتكلم على وجهك في سوقك دون رأس مالك، أو تشتري شيئاً بجميع مالك وخير التجارة ما لا يعرف أهلها النسيئة. باع رجل داراً من تركي نسيئة فجاءه يوماً متقاضياً فأخذه وصفعه صفعات، فلما انصرف، **قيل له:** ما استوفيت من ثمن الدار، **فقال:** صفعات في قفاي. عُرضت جارية على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فأحب شراءها ولم يكن عنده ثمنها، **فقال البائع:** أنا أوخرك، إلى العطاء، **فقال:** لا أريد لذة عاجلة بذلة آجلة. وعُرض على رجل شيء ليشتريه، **فقال:** ما عندي ثمنه، **فقال البائع:** أنا أؤخرك، **فقال:** أنا أؤخر نفسي.

● **بيعٌ مرغوبٌ عنه**

قال أبو حكيمة في عبد باعه:

بِعْنا تعِيساً ولمْ يحزَن لهُ أحدٌ ... قد غابَ عنّا فغابَ الهَمّ والنكَدُ
أحسن به خارِجاً من بين أظهرِنا ... لم نفتقدْه وكلبُ الدار يُفتَقَدُ

وباع عبيد الله ضيعة له، فقال:

قيلَ لي كيْفَ أنتم قلْت بِعْنا ... ضيْعَة عدةً بشيءٍ قليلِ

---

(1) **القرآن الكريم:** النساء/ ٢.
(2) **السرجين:** الزبل.
(3) **الخزف:** الفخار ـ **الدر:** اللؤلؤ.
(4) **يضغب:** يصوّت كالذئاب والأرانب والسنور.
(5) **كرائم الأموال:** نفائسها.

فيه أدنى صونٍ وأدنى نوالٍ ... واسترَحْنا من طولِ غمّ الوكيلِ

وله:

ومبتاعُ بعضِ الملك مني يقولُ لي ... وما باعَه إلاّ نوائبُ تغتري

متى صرتَ مضطراً لبيع ذخائرٍ ... فقلْتُ له مذ صار مثلُك يشتري

● المُغالاةُ بما لا يقِلّ وجوده

عاتب محمد بن عبد الملك الزيات أبا تمام في أنه يمدح غيره من السوقة، **فقال:**

رأيتُك سمح البيعِ سهلاً وإنّما ... يُغالي إذا ما ضنّ بالشيء بائعُه

فأما إذا هانتْ بضائعُ مالِهِ ... فيوشكُ أن تبقَى عليْه بضائعُه

هو الماءُ إن أجممتَه طابَ وردُه ... ويفسدُ منه أن تُباحَ شرائعُه[1]

وقال ربيب النصراني:

وكلّ شيء غلا أو عزّ مطلبُه ... مسترخصٌ ومهانُ القَدْرِ إن رخُصا[2]

أحبّ شيء إلى الإنسان ما مُنِعا

قيل: كل مبذول مملول، وكل ممنوع متبوع.

● الوزنُ والكَيْل

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[3] (الآية) **وقال ابن عمر رضي الله عنهما:** أقبل علينا رسول الله ﷺ **فقال:** يا معشر المهاجرين لا ينقص قوم المكيال والميزان إلا أخذهم الله بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم. **قال عكرمة:** أشهد لكل كيال ووزان بالنار إلا القليل منهم، **فقيل له:** سبحان الله وكيف؟ **قال:** لأنه لا يزن كما يتزن ولا يكيل كما يكتال. **وقال ﷺ لقوم شكوا إليه سرعة فناء طعامهم:** كيلوا ولا تهيلوا، **وقال ﷺ لرجل ابتاع منه شيئاً:** زن وأرجح.

● مدحُ الإقالةِ في البيع والحثُّ عليها

قال ﷺ: من أقال مسلماً أقال الله عثرته يوم القيامة.

● الشريكُ في البَيْع

قال السائب: كان رسول الله ﷺ شريكي، وكان خير شريك لا يشاري ولا يماري.
وقال ﷺ: لا تزال يد الله على الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإذا خان أحدهما صاحبه رفع البركة عنهما.

---

(١) **أجممته:** جمعته وكثّرته. (٢) **مهان القدر:** بخس القيمة. (٣) **القرآن الكريم:** المطففين/ ٢.

● الشُفعةُ في البَيْع

قال النبي ﷺ: الجار أحق بصفقته. **وقال ﷺ**: الجار أحق بشفعة جاره ينتظر بها إن كان غائباً إذا كان طريقهما واحداً، **وقال ﷺ**: من كان له شريك في زرع أو نخل فليس له أن يبيع حتى يأذن شريكه، فإن رضي أخذ وإن كره ترك **وقال ﷺ**: إذا أرفت الحدود فلا شفعة، يعني ميزت وبينت، **وقال**: الشفعة فيما لم يقسم.

● الخيارُ في البَيْع

قال النبيّ ﷺ: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا إلا بيع الخيار. وشكا رجل إلى رسول الله ﷺ أنه يغبن في البيع، **فقال ﷺ**: إذا ما بعت فقل لا خلابة ثم أنت بالخيار إلى ثلاثة أيام. **وقال ﷺ**: من اشترى شاة مصرّاة فهو بالخيار إن شاء أمسك وإن شاء ردها ومعها صاعاً من تمر.

● ما هو في حُكْم المستثنى منَ البيع

قال النبي ﷺ: من باع عبداً وله مال فماله للبائع إلا أن يشترطه المبتاع. ومن باع نخلاً مؤبراً فثمرته للبائع إلا أن يشترطه المبتاع.

● مدحُ الدلالين وذمّهم

قال بعضهم: نعم المعين على البيع والإبتياع وعلى الألفة والاجتماع الدلالون، ولو أمكن الاستعانة بهم في الفراش لانتفع بمكانهم. **وقيل**: آذى بعض الدلالين الأصمعي في شيء، **فقال**: شر الناس الدلالون لأن أول من دل إبليس حيث **قال لآدم**: هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى.

● نوادِرُ لأنذالِ الباعة

جاءت عجوز إلى لحام بالمدينة ومعها درهمان، **فقالت**: أعطني بهما أطيب لحم وأخبرني باسمك أدعو لك، فأعطاها أخبث لحم، وقال اسمي من يمد، فجعلت العجوز عند الأكل تمد اللحم فلا تقدر على أكله، **فجعلت تقول**: لعن الله من يمد، فتلعن نفسها وهي لا تعلم. **وقال جحظة**: رأيت سوقياً ينادي على جدي علقه، **يقول**: هذا مانع نفسه، **فقلت له**: ما معنى مانع نفسه؟ **فقال**: يا سيدي لا يقدر أحد أن يأكل منه لقمتين لسمنه. قال، ورأيت آخر وهو يقول: زبد في أديم. **وقال جراب الدولة**: رأيت ثلاثة من الهراسين على بقعة وهم يتكايدون في مدح هرائسهم، فواحد أخرج قطعة هريسة علقها بالمغرفة **وهو يقول**: إنزل ولك الأمان، **وآخر يقول**: يا قوم إلحقوني أدركوني أجذبها وتجذبني والغلبة لها، **والثالث يقول**: أنا لا أدري ممن أكل من هريستي لقمتين أسرج ببوله شهرين. **وقال رجل للحام**: ليس لحمك بسمين، **فقال**: إن فلاناً جالسني ووضع راحته على هذا اللحم وانصرف إلى منزله فجعل ما علق بها في قدر واتخذ منها دعوة، وكان بائع رمان

قشّر رماناً وهو يقول: نزع الأمير قميصه وخرج في غلالة.

● **الكفَالة**

قال النبي ﷺ: الزعيم غارم. وكلم رجل آخر في أن يؤخر شيئاً على غيره، **فقال**: إضمن أنت عنه، **فقال**: أردنا منك سعة المهلة فكفتنا ضيق الضمان. **قال الخليل**: في الكفالة ست خصال، الندامة والملامة والكفران والخسران والغرامة والقطيعة. **وقيل**: إن الفرس صورت كل شيء حتى الكفيل ينتف لحيته من الندامة.

● **الحوَالة**

قال النبي ﷺ: إذا اتبع أحدكم على ملأ فليتبع، ومن غير هذا الباب احتيج أن يكتب على المعتضد كتاب ليشهد فيه العدول، فكتب في صحة من عقله وجواز أمر له وعليه، **فقال جعفر بن محمد بن ثوابة**: لا يجب أن يكتب هذا للخليفة، فضرب عليه وكتب: في سلامة من جسمه وأصالة من رأيه.

● **الإجارَة**

روي عن فاطمة رضي الله عنها أنها **قالت**: دخل عليٌ يوماً وأخذ بيد الحسن والحسين فأخرجهما فجاء النبي ﷺ **فقال**: أين إبناي، **فقلت**: أصبحنا وليس في بيتنا شيء نذوقه فدخل عليّ فأخرجهما حتى لا يبكيا، فخرج النبي ﷺ في أثرهما فوجدهم في حائط يهودي وعليٌ ينزع كل دلو بتمرة والحسن والحسين يلعبان في سربة لليهودي وبين أيديهم أفضل من تمر، **فقال**: يا علي، ألا تنقلب يا بني قبل أن يشتد عليهما الحر، **فقال**: إجلس فإني قد أشبعتهما، فجلس حتى اجتمع له شيء من تمر فجعله في حجره، ثم حمل النبي ﷺ أحدهما وعليٌ الآخر.

وروي: ما أكل أحد طعاماً خيراً له من أن يأكل من عمل يده. وكان داود عليه السلام لا يأكل إلا من كسب يده. ونهى النبي ﷺ أن يستعمل الرجل أجيراً حتى يعلمه أجرته، **وقال**: من استأجر أجيراً فليعلمه أجرته. **وروي في الخبر**: بينما نفر يتماشون فأخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل فانحطت صخرة على فم الغارة فأطبقت عليهم، **فقال بعضهم لبعض**: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة، فادعوا الله بها لعلّه يفرجها عنا. **فقال أحدهم**: اللهم إنك تعلم أني استأجرت أجيراً بقفيز أرز فلما قضى عمله سخطه فتركه فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقراً ورعاء، ثم جاء **فقال**: اتق الله ولا تظلمني حقّي، فقلت له: انطلق إلى هذه البقر ورعائها فخذها، **فقال**: أتهزأ بي؟ فقلت: أنا لا أهزأ خذها فأخذها، فإن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنّا ففرج لهم.

● **إعطاءُ أجرَةِ الأَجِير**

قال النبي ﷺ: ثلاثة أنا خصمهم ومن كنت خصمه خصمته: رجل أعطى ثم غدر،

ورجل باع حراً ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى عمله ولم يوفه أجره. وكان أبو بكر رضي الله عنه لما استخلف، **قال للناس**: إنكم شغلتموني عن تجارتي، فافرضوا لي ففرضوا له كل يوم درهمين. استأجر رجل حمالاً ليحمل قفصاً فيه قوارير على أن يعلمه ثلاث خصال ينتفع بها، فحمل الحمال القفص فلما بلغ ثلث الطرق، **قال**: هاتِ الخصلة الأولى **فقال**: من قال لك أن الجوع خير من الشبع فلا تصدقه، **فقال**: نعم. فلما بلغ ثلثي الطريق، **قال**: هاتِ الثانية، **فقال له**: من قال لك أن المشي خير من الركوب فلا تصدقه. **فقال**: نعم، فلما انتهى إلى باب الدار قال هات الثالثة، **فقال**: من قال لك أنه وجد حمالاً أرخص منك فلا تصدقه، فرمى الحمال القفص على الأرض، **وقال**: من قال لك في هذا القفص قارورة صحيحة فلا تصدقه.

(٣)

ومما جاء في الدَّين ومتعلّقاته

•

• ذم الدّين والنهي عنه

قيل إن النبي ﷺ بعث إلى رجل من اليهود يستسلفه إلى الميسرة، **فقال**: ليس لمحمد زرع ولا ضرع فأي ميسرة له، فبلغ ذلك النبي ﷺ **فقال**: كذب عدو الله لو أعطانا لأدينا إليه، ولأن يلبس أحدكم ألواناً شتّى خير له من أن يستدين ما ليس عنده قضاؤه. وقال معاذ بن جبل: الدّينُ شَيْنٌ. **وقال النبي ﷺ**: أعوذ بالله من الكفر والدّيْن. **وقال بعض الحكماء**: الدّين رقّك فلا تبذل رقك لمن لا يعرف حقك. **وقيل**: الديْن هدم الدين، **وقيل**: ما استرق الكريم مالك أفظ عليه من الدين، **وقيل**: الدّيْن غلّ الله في أرضه فإذا أراد أن يذلّ عبداً جعله في عنقه. وسأل فيلسوف رجلاً أن يقرضه مالاً فرده وذمه. وقال بعض الناس إلى الفيلسوف إنه جبهك بالرد، **فقال**: ما زاد على أن حمّر وجهي بالخجل مرة واحدة ولو أقرضنيه لصفّر وجهي مرات كثيرة.

• من ماتَ وعليه دَيْنٌ

قال النبي ﷺ: من داين الناس بدَين في نفسه وفاؤه ثم مات وليس عنده وفاؤه، تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء. ومن داين الناس بدين ليس في نفسه وفاؤه ثم مات وليس عنده وفاؤه اقتص الله لغريمه منه. **وقال النبي ﷺ**: نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضي عنه **وقال أبو هريرة رضي الله عنه**: جيء بجنازة يوماً فوضعت بين يدي النبي ﷺ، فقام ليصلّي عليه، **فقيل**: إن عليه ديْناً، فقال صلّوا على صاحبكم، فقال أبو قتادة رضي الله عنه، على ديْنه يا رسول الله، ثم خطب **فقال**: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، من مات وعليه دين أو ضياع فعليَّ ومن ترك مالاً فلورثته.

● **مدح الدّين والرخصة فيه**

قال النبي ﷺ: من أعياه الرزق فليستدن على الله ورسوله. دخل عتبة بن هشام على خالد بن عبد الله القسري، **فقال خالد معرّضاً به**: إن رجالاً يدانون في أموالهم فإذا أفنيت أموالهم أدانوا في أعراضهم، **فقال عتبة**: أصلح الله الأمير إن رجالاً تكون أموالهم أكثر من مروآتهم فلا يدانون، ورجالاً مروآتهم أكثر من أموالهم، فإذا نفدت أموالهم أدانوا على سعة ما عند الله، فخجل خالد **وقال**: إنك منهم فيما علمت. **وقيل**: تعرف مروءة الرجل بكثرة ديونه. **وقيل**: الدين من مواسم الأشراف.

قال المقنع الكندي:

يعاتبُني في الدَّيْن قومي وإنّما ... دُيوني في أشياء تكسبهُمْ حمْداً

وقال أبو شراعة:

والدَّيْن طوْقُ مكارم لا تلتقي ... طرفَاه في عنُق البخيل الحازم[1]

وذلك من قول عمر لزنباع، حين **قال له**: ما أقدمك المدينة؟ **قال**: دين عليّ. **فقال**: الدّين ميسم الكرام. وسأل عمرو بن عبيد عن رجل، **فقالوا**: إنه استتر لديْن حصل عليه. **فقال**: طالما وفد به الكرام.

● **مدْحُ من أدنتَ عليه.**

وقال سعدان:

ولو كنتُ مولَى قيسِ عيلان لم تجدْ ... على الإنسان منَ الناس درهَما

ولكنّني مولى قضاعة كلّها ... فلسْتُ أبالي أن أدين وتُغرَما[2]

وهذا أجمع شعر جمع فيه بين مديح وهجاء. **وقال ابن الرومي**:

عليَّ ديْن نبيلٌ أنتَ قاضيهُ ... يا مَنْ يحملُني ديناً رجائيه

● **من قضى ديناً بدَين**

قال شاعر:

إذا ما قضيت الدَّيْنَ بالدّينِ لم يكُن ... قضاءً ولكن كان غرماً على غرمِ

وقال آخر:

أخذْتُ الدينَ أدفعُ عن تِلادي ... وكانَ الدينُ أدفعَ للتلادِ[3]

وقيل لمحمد بن واسع: فلان قد قضى دينه مما كسبه، **فقال**: ما كان أكثر ديناً قط منه الساعة.

---

(1) **لا تلتقي طرفاه**: أي لا يتقابلان.

(2) **تُغرم الدين**: تُلزَم تأديته.

(3) **تلادي**: مالي القديم الموروث.

● **من أعطى ديناً على أن يسترجع.**

قال أبو الأصبع:

أيـهـا الـمـسـتـرفِـدون ... الـقـرضَ فـي بـرْد الـشـتـاءِ[1]
لـيْسَ قـرْضـي لـكُـم الـدهـر ... بـقـرضٍ ذي اقـتِـضـاءِ
أنْـتَ عـنـدي مـنـه فـي ... حـلّ إلـى جـن الـظّـبـاءِ[2]
فـاسـتـعِـن بـالـواحِـد الـفـر ... دِ وأخـلِـصْ فـي الـدّعـاءِ
فـلـعـلّ الـدهـرَ يـأتـي ... عـن قـريـب بـامْـتِـلاءِ

● **من تقاضى ديناً قديماً.**

للبحتري:

مـن أمـارات مـفْـلـس أن تـراه ... موجِـفـاً في اقـتـضـاءِ ديـنٍ قـديـم[3]

وطلب رجل ديناً عتيقاً، **فقال**: دعْني من هذا، فهذا دين عتيق. **فقال**: لعن الله من أعتقَه.

● **من أحسنَ التقاضي**

قال النبي ﷺ: خيركم أحسنكم قضاء. **وقال ﷺ**: خيركم الذي إذا كان عليه دين أحسن القضاء وإذا كان له أحسن الاقتضاء. **وقال ﷺ**: من أدان ديناً وهو ينوي أن لا يؤديه إلى صاحبه فهو سارق.

قال ابن الرومي:

هـو ديـنٌ وأحـسَـنُ الأمـرِ فـيـه ... أن يـكـونَ الـقـضـاءُ قـبْـلَ الـتّـقَـاضـي

● **الحثّ عليه**

قال النبي ﷺ: رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل التقاضي. **وقال ﷺ**: من طلب أخاه فليطلبه في عفاف وافياً أو غير واف. **وقال ﷺ**: كفى بالمرء من الشحّ أن يقول آخذ حقي لا أترك منه شيئاً، **قال**:

إنـي وجَـدْتُـك مـنْ قـومٍ إذا طـلـبُـوا ... بـعْـد الـنـسيـئـةِ ديْـنـاً أحـسـنُـوا الـطّـلَـبـا[4]

وقال آخر:

وحـسـبُـك مِـن تـقَـاضِ الـمـرءِ يـوْمـاً ... لـحـاجـتِـه الـزيـارةُ والـحَـديـثُ

● **الرخصَةُ في التقاضي**

استسلف النبي ﷺ من رجل تمراً فلما جاء يتقاضاه قيل له في ذلك، **فقال رسول الله ﷺ**:

---

(١) **المسترفدون**: المستعينون.

(٢) **في حلّ**: الحلّ ضد الحرام.

(٣) **أمارات**: علامات ـ **موجفاً**: خائفاً.

(٤) **النسيئة**: التأخير في تسديد الدّين.

دعه فإن لصاحب الحق مقالاً، انطلق إلى خولة بنت حكيم فالتمسوا عندها تمراً، **فقالت**: والله ما عندي إلا تمر ذخيرة. **فقال**: خذوه فاقضوه، فلما استوفى **قال له**: استوفيت، **قال**: نعم قد أوفيت وأطيبت. **فقال ﷺ**: إن خيار هذه الأمة الموفون المطيبون.

- **ذمُّ ماطلٍ ديناً**

قال النبي ﷺ: مطل الغني ظلم، **وقال ﷺ**: الواجد يحل عرضه وعقوبته، **فقيل**: عقوبته حبسه وعرضه شكواه. **قال**:

فما بال ديْني إذًا يحلّ عليكم ... أرى النّاسَ يقضُون الديونَ ولا أقْضي

يقال: حل الديْن يحل وجب محله وحل يحل حصل. **وكتب رجل إلى غريم له**:

أماطلُك العصرين حتّى تملَّني ... وترضَى بنِصْف الدّيْن والأنفُ راغِمُ[1]

فأجابه:

ستُعطي برغم منك في السجْن نادِماً ... وتشقَى بطولِ الحبْس والحَقُّ لازمُ

وقيل: الأكل سلجان[2] والقضاء ليان. **وقيل**: الأكل سر يطي والقضاء ضر يطي. مرّ بائع زيتون بامرأة فطلبت منه نسيئة، **فقال**: ذوقي لتعرفي جودته. **فقالت**: أنا صائمة قضاء عن رمضان العام الماضي، **فقال**: يا فاعلة أنت تمطلين ربّك هذا المطل وتطلبين منّي الزيتون بنسيئة متى تقضي؟

قال: ومما يتمثّل به في هذا الموضع، **قول كثيّر**.

قضَى كلّ ذي ديْن فوفَّى غريمَه ... وعزّةُ ممطولٌ مُعَنّى غريمُها[3]

وقال آخر:

من النّاس إنسانان ديْني عليهِما ... مليان لو شاءا القضَا قضَياني[4]
خليلي أما أمّ عمرو فمنهما ... وأما عنِ الأخرى فلا تسَلاني
إلى اللّهِ أشكو ما أُلاقي وأشتكي ... غريماً لو أن الديْنَ منذُ زمانِ

- **الحث على إنظار المُعْسِر**

قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[5] **وروي عن النبي ﷺ**: أن رجلاً فيما مضى لم يعمل خيراً قط، وكان يداين الناس **فيقول لرسوله**: خذ ما تيسر ودع

---

(١) **العصرين**: الليل والنهار.
(٢) **سَلَجان**: من سلج: بلع، **والسُّلجان** (بكسر السين): الحلقوم.
(٣) **عزة**: هي صاحبة الشاعر كثيِّر ـ **ممطول**: الذي يُماطل فلا يستوفي دينه ـ **المعنى**: المتألم.
(٤) **الملي**: من ملّى الله عمرَه أي أطاله. (٥) **القرآن الكريم**: البقرة/ ٢٨٠.

ما تعسر وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا، فلما هلك، قال الله تعالى له. هل عملت خيراً قط قال: لا، إلا أنه كان لي غلام أقول له خذ ما تيسر ودع ما تعسر لعل الله يتجاوز عنا، فقال الله تعالى لقد تجاوزت عنك. وقال ﷺ: من أنظر معسراً ووضع عنه أظلّه الله عزّ وجلّ في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه. وقال ﷺ: من يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة.

لزم رجل غريماً له وهو يقرأ عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[1]، والغريم يقرأ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[2] وسئل ابن الزيات في رجل له عليه دين أن يصالحه على بعض وينظره به، فقال: إما توفير وتأجيل وإما صلح وتعجيل.

● المتبجّحُ بمطل الدينِ والناوي الذهابَ به

قال بعضهم:

أماطلُه العصرين حتّى يملّني ... ويرْضى بنِصْفِ الدّيْن والأنفُ راغِمُ

وقال عبّاس السليطي:

إني وجدّك ما أقْضي الغريمَ وإن ... حانَ القضاءُ ولا رقّتْ لهُ كبِدي

إلاّ عصا رزنت طالَت برايتُها ... تنوءُ ضربتُها بالكفّ والعَضُدِ[3]

وقال، وقد نظر إلى غريم له يحسب ربحه:

يلْوي بنانُ الكفّ يحسَبُ ربحَه ... ولا يحسَبُ المَطْلَ الذي أنا ماطِلُه

ومن دونِ ما يرجو عناءٌ مبرح ... أواخرُه ما تنقَضِي وأوائلُه[4]

وذهب رجل إلى صديق له، فقال: أقرضني مائة درهم لأشتري بها شيئاً عسى أربح فيه عشرين درهماً، فقال: إني أعطيك عشرين درهماً وأتخلص. فقال: لا أريد إلا المائة، فقال: حديث من لا يريد أن يرد الدين.

● العارِيةُ

قال النبي ﷺ: العارية مؤداة. قال بشر: أحق الخيل بالركض المعار. وجلس بعض أصحاب الحديث فقال واحد لآخر: تفضل وأعرني قلماً فأعطاه، فقال: وأولني ورقاً فدفعه إليه، فقال: ومحبرة فأعطاه، وقال: يا فتى أتنشط للتزوج فإن أمي فارغة. وفي ذم من لا يعير، قال الله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾.

● الإفلاسُ

قال رسول الله ﷺ: أيما رجل أفلس وعنده مال امرىء بعينه لم يقبض منه شيئاً فهو

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٥٨. (٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٨٠.

(٣) رزنت: ثقلت، والأرزن شجر تتخذ منه العصي ـ البراية: النحاتة.

(٤) عناء مبرّح: عذاب متألم.

أحق بعين ماله، فإن قبض منه شيئاً فهو أسوة الغرماء. **وقال الحجّاج**: لا تجعلوا مالي عند من لا يمكنني استرجاعه منه، **فقيل**: ومن الذي لا يمكنك استرجاعه منه، **قال**: المفلس.

وقيل لمفلس: يا مرابي، **فقال**: فأل حسن. **وفي المثل**: أفلس من طنبور بلا وتر. **وقيل لمفلس**: هل في كفك مال، **فقال**: هو أفرغ من فؤاد أم موسى. وفلس القاضي رجلاً فأركبه حماراً وطوّف به ونودي عليه أن لا يبايع فإنه مفلس، فلما أنزل، **قال له صاحب الحمار**: هات الكراء، **فقال له**: فيم كنا من أول النهار يا أبله.

● الحث على أخذِ الرّهن

قال الله تعالى: ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقۡبُوضَةٌۖ﴾[1] **وقيل**: إن الله تعالى لا يسمع دعاء من له على غيره حق، ولا رهن لديه ولا قبالة له عليه، فيقول: قد أمرتك بالاستيثاق فخالفت. ورهن ﷺ درعه بثلاثين صاعاً من شعير كان أخذها رزقاً لأهله.

● حُكم غلقِ الرهن وتلفُه

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: لا يغلق الرهن الرهن، من راهنه الذي رهنه له غنمه وعليه غرمه. **وروي**: الرهن بما فيه وروي عنه ﷺ: الرهن مركوب ومحلوب. وقال بعض الشعراء في السخف:

أمسى غلامُك رهناً لا انفكاكَ له ... والرهنُ في الحُكم مركوبٌ ومحلوبُ
فالدرّ منه حرامٌ ما نطيفُ به ... والظهرُ منه على الأحوالِ مركوبُ[2]

● الراهِنُ آلاتِ دارِه لفَقْره

قال زياد الأعجم يشكو فقراً:

لقد لجّ هذا الدهرُ في نكَباته ... عليّ إلى أن ليْس في الكِيس دِرْهَمُ
وأمسَت جواليقي برغم طبِيعَتي ... رهاناً عليّ ما في الجواليقِ يُغْلَمُ[3]

وأخذ ذلك أبو زرعة الكتاني، فقال:

وسفرتي في السّوق مرهونةٌ ... على الذي يؤكل في السّفْرَة[4]

● الرهونُ الظريفةُ منَ السخَفاء

قيل: تقدم رجل إلى بقال يسأله فامتنع فدنا منه فسارّه فدفع إليه، **فقيل له**: ما قال لك؟ **قال**: رهنني طلاق امرأته وذلك أنه حلف بالطلاق أنه يرده غداً. **فقال**: ما رأيت رهيناً مثله قط.

---

(١) **القرآن الكريم**: البقرة/ ٢٨٣.

(٢) **ما نطيف به**: أطاف بالشيء ألمّ وأحاط به، قاربه، أو طرقه ليلاً.

(٣) **الجواليق**: جمع جوالق وهو العدل من صوف أو شعر.

(٤) **سفرة**: طعام المسافر.

وتقدم فتيان إلى فقاعي[1] فشربوا فقاعاً، وقالوا: ما معنا شيء فخذ من كل واحد منا صفعة رهناً، فصفع كل واحد صفعة، فجاؤوه في اليوم الثاني فقالوا خذ حقك ورد الرهن، فقال: حلال لكم، فأبوا إلاّ رد الرهن وأخذ الحق فأعطوه حقه وصفعه كل واحد صفعة.

(٤)

ومما جاء في الأَيمان

●

● النهيُ عن الأيمان وذمُّ من يكثرها

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[٢] وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾[٣] قال سعيد بن جبير: هو أن يقول الرجل فيما شكّ على يمين وقال النبي ﷺ: اليمين الغموس تدع الديار بلاقع. وقال: اليمين حنث أو مندمة، وأخذه بعض الشعراء فقال:

يا أيّها المُولي على جَهْد القَسَمْ بغضَ التأنّي لا تُسَفَهْ أو تلُمْ[٤]

وقال النبيّ ﷺ: الأيمان الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: الحلف ينفق السلعة ويمحق البركة، والتاجر فاجر إلا من أخذ الحق وأعطاه. قيل: العاقل إذا تكلم بكلمة أتبعها مثلاً، والفاجر إذا تكلم أتبع كلامه حلفاً. قيل: فلان لو سكن الفالج في لسانه لما نقص حرفاً من أيمانه.

● النهيُ عن الحلف بغير الله

قال النبي ﷺ: من كان حالفاً فليحلف بالله. وكانت قريش تحلف بآبائهم، فقال ﷺ: لا تحلفوا بآبائكم.

● الرخصةُ في لغو اليمين

قال الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾[٥] وقيل: لغو اليمين أن يقول كان كذا والله ولا والله ونحو ذلك، ورُوي أن رجلاً قال للحسن، وعنده الفرزدق، ما تقول فيمن يقول بلى والله ونعم والله، فقال الفرزدق: أما سمعت قولي في ذلك. فقال الحسن ما قلت، فقال:

فلستَ بمأخوذٍ بلغوٍ تقولُه إذا لم تَعَمَّدْ عاقداتِ العزائمِ[٦]

---

(١) الفقاعي: بائع الفقّاع، والفقاع شراب يتخذ من الأثمار أو من الشعير.

(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٤١. (٣) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٢٤.

(٤) القسم: اليمين بالله أو غيره ـ لا تُسفه: لا تُذلّ.

(٥) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٢٥.

(٦) اللغو: الكلام الذي لا يُعتدّ به ـ تعمد: تدعّم ـ عاقدات العزائم: العزائم المؤكدة والمحكمة والعزائم جمع عزيمة وهي الرقية.

فقال الحسن: أصبت. ثم قيل له: ما تقول في امرأة لها حليل؟ **فقال الفرزدق**: **ألم تسمع قولي**:

وذات حـليـلٍ أنـكَـحـتْـهـا رمـاحُـنـا   حلالاً لِـمَـنْ يبْني بِـهـا لـم تُـطَـلّـقِ[1]

فقال الحسن: أصبت. **فقال الفرزدق**: كنت أراني أشعر منك، فإذا أنا أفقه منك أيضاً.

● وصفُ الكاذِب بكثرةِ الحَلْف

قيل: علامة الكاذب جوده بيمينه لغير مستحلف، **ومنه أخذ المتنبي**:

وفي اليمينِ على ما أنتَ واعِدُهُ   ما دلّ أنك في الميعادِ مُتَّهَمُ[2]

وقال المنصور لعمر بن عبيد: بلغني أن كتاب محمد بن عبد الله الدارمي ورد عليك، **فقال**: قد ورد له كتاب وما قرأته وأنت تعلم رأيي في الخوراج، فقال له: طيّب نفسي بخلعة، **فقال**: لا تسمني فإني إن كذبتك تقية لأحلفن تقية.

● القليلُ المبالاة بالحَلْف

قال النبي ﷺ: ومن لم يحلف على ماله فلا مال له وادّعى رجل على المأمون مالاً فاستحضر قاضيه يحيى بن أكثم فاستحلفه فحلف، ثم أمر للمدعي بما ادعى عليه، **فقيل** له في ذلك، **فقال**: حلفت له لئلا يجعل إتقاي ذريعة إلى أن يدعو عليّ، وبذلت المال لئلا يظن أحد أني حلفت لمبالاتي بهذا المال.

وادّعى رجل على عمر ما لم يلزمه فحلف له واستحلف أبيّ بن كعب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحلف كراهة أن يجعل الناس ترك الايمان مع معرفتهم بالبراءة سنة، فدخل ذلك في شدة الورع.

واستحلف عمرو ابن عبيد على درهم ادعاه عليه بعض من أراد عنته، **فقال حفص بن سالم**: نعطيه نحن ونعفيك منه ونرفع قدرك عن مطالبة مثله، **فقال**: ما أكره أن أحلف على حق وما كنت لأعينه على معصية. وادعى رجل على عثمان رضي الله عنه مالاً واستحلفه فأبى واتقاه بدعواه، **فقيل له**: هلاّ حلَفت إذ كان مبطلاً، **فقال**: خشيت أن يوافق حلْفي قضاء، فيقال إن ذلك أصابه لجراءته على الحلف.

قال المتنبي:

وفاعل ما أشتهي يُغْنيه عن حَلفِ   على الفِعال حضورُ الفعل والكرم[3]

---

(١) **ذات حليل**: أي ذات زوج، **والحليل** الرجل الحلال. **يقول الحسن البصري**: ان الفرزدق صدق في هذا لأنه حكم بظاهر القول، وصاحب العمدة يقول: إنه أراد مذهب الجاهلية في السبايا.

(٢) **يقول**: حلفك على ما تعده من نفسك يدل على عدم الصدق، أي أن الصادق لا يحتاج إلى يمين.

(٣) معناه أنه غني عن القسم لأنه موثوق بقوله لكرمه.

● **من لمْ يتحاش من اليمينِ ولم يبالِ له**

حلف مديني على حق كان قبله، فقيل له في ذلك، **فقال**: بالله أدفع ما لا أطيق، وأخذ ذلك ابن الرومي **فقال**:

وإنّي لذو حلفٍ كاذبٍ إذا ما اضطررتُ وفي المالِ ضِيقُ
وهلْ من جُناحٍ على مُعسرٍ يدافِعُ بالله ما لا يُطيقُ

ويقال في المثلِ: جذها جذ العير الصليانة إذا أسرع في اليمين، كأنه اقتلعها اقتلاع العير هذا النبت. جاءت امرأة بزوجها إلى ابن شبرمة فحلف لها، فلما ولي **أنشد**:

ألمْ تعلَمِي أني جموحٌ عنانُه وأنّي لا أعدي عليّ أميرُ[1]
محوْتُ الذي في الصكّ عنّي بحلفةٍ سيغفرُها الرحمَنُ وهو غفورُ

فسمعها الحاكم فردّه، فعلم الأعرابي أنه أخطأ، **فقال**: أيها الحاكم أنت أفضل من أن ترجع في قضيتك، **فقال**: صدقت ولكنني أقضي عنك، وقضى عنه. **قال البحتري**:

سألوني اليمينَ فارتغتُ منها ليغروا بذلك الارتياعِ[2]
ثم أرسلتُها كمنحدرِ السّيْلِ تهاوَى من المَكانِ اليفاعِ[3]

وكان الشمّاخ عليه دين فقعد به، **فقيل له**: إنك تحضر القاضي وتحلف فتروع لذلك، **فقال**: حاش الله أن أحلف، ولوْ سِيمَ مني باطل فكيف وعليّ حق لازم، فاغتر خصمه فأحضره وحلفه فحلف وخرج من عند الحاكم، **فقال**:

وجاءت سليم قضّها بقضيضها تنفضُ حولي بالبَقيع سبالَها
يقولون لي إحلفْ قلتُ لستُ بحالفٍ أخادِعُهم عنْها لكيْما أنالَها
ففرّجت همّ النفسِ عنّي بحِلْفة كما قدّتِ الشقراءُ يوماً جلالَها[4]

وقال أعرابي:

إذا حلّفوني بالغموسِ منحتُهم يميناً كسحقِ الألحمي المحرقِ[5]
وإن حلّفوني بالعِتاق فقَد درَى سُحيم غلامي أنني غيرُ معتقِ[6]

قال ابن المعتز بودي لو أن لي بيت الخثعمي بألف بيت:

وآلتْ يميناً كالزجاج رقيقةً وما حلفَت إلا لتَحْنثَ مِنْ أجْلي

---

(١) **الجموح**: المتمرد، الذي لا يرده شيء.
(٢) **الارتياع**: الخوف.
(٣) **اليفاع**: ما ارتفع من الأرض.
(٤) **قدّت جلالها**: تزيّنت وجملت.
(٥) **اليمين الغموس**: الكاذبة.
(٦) **عتقت اليمين عليه**: قدُمت ووجبت.

- **الحثُّ على الحنث وكفّارة اليمين**

قال النبي ﷺ: إذا حلف أحدكم على يمين فرأى غيرها خيراً له منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه. **وقال أبو العيناء**: أتي بابن أبي خالد الذي كان بالسند بين يدي المتوكل، **فقال**: والله لأضربنه بالسياط، والله لا يشفع فيه أحد إلا ضربت ظهره وبطنه. وكان ابن أبي دؤاد حاضراً فتركه حتى ضربه عشرين سوطاً، ثم قال يا أمير المؤمنين في هذا أدب وإن تجاوزت فسرف. فقال له: أما سمعت يميني، **فقال**: بلى ولكن ما كان أمير المؤمنين ليؤثر غيظه على ما قال نبيه وابن عمه صلوات الله عليه وعلى آله، **قال**: من حلف على شيء فرأى خيراً منه فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه، وكفارة أمير المؤمنين مع العفو أقرب إلى الله وأفضل، فعفا عنه وكفّر عن يمينه.

سأل بعض الناس بعض الخلفاء حاجة، **فقال**: حلفت أن لا أفعل. فقال يا أمير المؤمنين: إن لم تكن حلفت بيمين إلا بررتها فما أحب أن أكون أوّل من يؤثمك وإن كنت ربما حلفت فرأيت ما هو خير منها فكفرتها، فلست أحب أن أكون أهون إخوانك عليك، فقال سحرتني وقضى حاجته.

- **الإستثناءُ في اليمين**

قال بعضهم لرجل يحلف: قل إن شاء الله فإنه يدفع الخبث ويذهب الحنث وينجز الحاجة ويدرأ اللجاجة. كانت العرب تسمي الاستثناء في اليمين التحليل والمثنوية على ذلك، **قال الشاعر**:

تحلّل أبيْتَ اللعْنَ في قول آثمِ

وقال:

وإذا حلفْتَ مماريا فتحلّل(١)

وقال تعالى: ﴿تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾(٢)

وقال النابغة:

حلفْتُ يميناً غيْرَ ذي مثْنويّة(٣)

وكان **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما **يقول**: إن الاستثناء بعد تراخي الأزمان يصح وكان المنصور دعا أبا حنيفة يوماً، **فقال الربيع وكان يعاديه هذا**: أبو حنيفة يخالف جدك حيث يقول إذا استثنى الرجل في يمين بعد يوم جاز استثناؤه، **فقال أبو حنيفة**: يا أمير المؤمنين هذا الربيع يزعم أنه ليس لك بيعة في رقبة جندك، **قال**: كيف؟ **قال**: يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون، فتبطل أيمانهم، فضحك المنصور، وقال: يا ربيع إياك وأبا حنيفة، فلما خرجا **قال الربيع**: كدت تشيط بدمي، **فقال أبو حنيفة**: أنت أردت أن تشيط بدمي فحصنت نفسي وإياك.

---

(١) تحلّل من يمينه: حلّها وخرج منها.

(٢) القرآن الكريم: التحريم/ ٢.

(٣) المثنوية: اليمين غير المحلّلة.

● **المعاريض[1] في الأيمان**

قيل: في المعاريض مندوحة على الكذب. **وقال عمر رضي الله عنه**: إن في المعاريض ما يكفي أن يعف الرجل عن الكذب. **وقال أبو الحسن اللؤلؤي**: واللاهِ لا أفعل كذا، ويعني فاعل اللهو، ومالي صدقة يعني ليس لي صدقة. وفي كتاب المنقذ للمفجع الشاعر ما فيه مقنع من معاريض الأيمان.

● **الإيمان بالله**

من حلف أمير المؤمنين رضي الله عنه: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لا والذي أمن من آمن به، وبالله جهد المقسم، وبالله الذي لا شيء أعظم منه وكل يمين بعد دونه، وأنا أعلم علم اليقين واحلف إن دعيت إلى اليمين الصابي، والله العظيم مالك يوم الدين وأنا غني عن اليمين، إني أعلم ذلك علم اليقين، بالله يميناً حلوة مرة. **ومن أقسام النبي ﷺ**: **لا ومقلب القلوب، لا والذي نفسي بيده، قال شاعر**:

وأقسَمْتُ بالرحمَنِ لا شيءَ غيْره ... يـمـيـنَ امرىءٍ برّ ولا أتحلّلِ[2]

قال أبو بكر الصولي: لا أعرف في الأيمان شعراً أعذب من **قول البحتري**:

حلفتُ بربّ زمزم والمصلّى ... وربّ الحجرِ والحجر اليمَاني

وبالسّبْعِ الطّوال ومَنْ تولّى ... تلاوتَهنّ والسبْعِ المثَاني[3]

● **اليمينُ بالبيت والهدى**

تقول العرب: وحقّ هذه البنية.

قال عويف بن الأحوص:

وإنّي والذي حجّتْ قريشٌ ... محارمَه وما جمعَت حِراءُ

وشهر بني أميّة والهدايا ... إذا حبست تضرّجُها الدماءُ[4]

وقال الفرزدق:

حلفْت بما إليْه يؤمُ ناسٌ ... من الآفاقِ من يَمَنٍ ومضرِ

● **اليمينُ بالطّلاق**

أول من استحلف بالطلاق ابن مسلمة، وكان والياً على كرمان، استحلف جنده بالطلاق، **فقال بعضهم**:

رأيتُ هذيلاً أحدثتْ في طلاقهم ... طلاقَ نساءٍ لم يسوقوا لها مهرا[5]

---

(١) **المعاريض**: جمع المعرّض وهو خلاف المصرّح به.

(٢) **البَرّ**: الصادق ـ **تحلّل من يمينه**: خرج منها بكفّارة.

(٣) **السبع الطوال**: السور السبع الطويلة في القرآن ـ **السبع المثاني**: الآيات القرآنية التي تتلى وتتكرر.

(٤) **الهدايا**: ما يُهدى إلى الحَرَم من النّعم جمع هَدْيَة. (٥) **ساق المهر إلى المرأة**: حمله إليها.

وقيل: أول من استحلف بالطلاق العبّاس بن عبد المطلب استحلف الأنصار ليلة العقبة حين أخذ عليهم البيعة لرسول الله ﷺ.

طلق رجل امرأته عدد نجوم السماء فجاء إلى ابن عباس واستفتاه، **فقال**: يكفيك من ذلك الهقعة[1]، وهي رأس الجوزاء ثلاثة أنجم. **قيل لمزيد المديني**: لِم تكثر الحلف بالطلاق؟ فقال لأني لما تزوجت امرأتي حلفت بالطلاق إني أحلف بالطلاق في كل حقّ وباطل كل يوم، فيميني بالطلاق إمساك لها وإلا بانت[2] حلف رجل بالطلاق فقدمته امرأته إلى القاضي فسأله عن اليمين فأخبره فجعل القاضي يتفكر، **فقال له الرجل**: فِيمَ تتفكر؟ **قال**: أطلب لك مخرجاً من اليمين قال قد هون الله عليك: أشهدك أنها طالق سبعين. **قال الأصمعي**: كان على بعض الأعراب دين ثقيل فتعلق به غرماؤه وكان معدماً فساموه أن يحلف لهم بالطلاق أن لا يهرب فحلف لهم بطلاق امرأتين كانتا له ثم هرب، **وأنشأ يقول**:

لو يعلَمُ الغرَماء ما مقْتي لهُم ... ما حلّفوني بالطّلاق العاجِلِ
قد ملّتا ومللتُ منْ وجهيهِما ... عجفاء مرضعةٍ وأخْرى حاملِ[3]

وقال ابن الرومي:

إذا ما حلف النغلُ ... ففي أيمانه رخْصَه[4]

وقال منصور بن باذان:

يا ذَا الذي جعَل الطلا ... قَ سلاحَه عنْد الحقيقَه
لا تحلفنْ بطلاقِ من ... أمسَت حوافرُه رقيقَه
هيهات قد علمَ الأنا ... مُ بأنها صارَتْ صديقَه

● الأيمان بأهل البيت

كان **حمّاد بن موسى** يترفض، وكان له صديق يثق إليه ويوافقه في مذهبه فأودعه حمّاد دراهم وطالبه بها بعد مدة، فجحده فاضطر إلى أن مضى لمحمد بن سليمان وسأله أن يحضره، ويحلف له بحق **عليّ بن أبي طالب** فإنه يتحرج من ذلك، **فقال**: أعز الله الأمير، هذا الرجل أجل عندي من أن أحلف له بالبراءة من مختلف في ولايته وإيمانه، ولكني أحلف له بالمتفق على إيمانهما وخلافتهما أبي بكر وعمر فضحك محمد بن سليمان، والتزم بعض ما ادّعى عليه وصالحه على بعض.

اعترضت امرأة المأمون، وكان قد غصبها ضيعة، فقالت:

ألا أيها الملِك المرتَجى ... لريب المَنونِ وصرْفِ الزمَن[5]

---

(١) **الهقعة**: دائرة في وسط زور الفرس، وهي أيضاً ثلاثة كواكب نيّرة فوق منكبيّ الجوزاء كما أشار.
(٢) بانت (المرأة من زوجها): انفصلت ووقع عليها الطلاق. (٣) **عجفاء**: هزيلة وضعيفة.
(٤) **النغل**: حيوان متولّد من الحصان والأتان.
(٥) **صرف الزمن وصروفه**: نوائبه ومصائبه.

بـحَـقّ الـنـبـيّ وحـقّ الـوَصـيّ وحـقّ الـحـسـيـن وحَـقّ الـحـسـنْ
وحـقّ الـتـي غـصـبـت حـقّـهـا[1] ووالـدُهـا بَـعْـدَ ذا مـا انـدفَـنْ
شـفـعـتُ إلـيْـك بـأهْـلِ الـكِـسـاء[2] فـإنْ لـم تـشـفَـع شـفِـيـعـي فـمَـنْ

وكان أهل الكوفة إذا حلفوا **يقولون**: وحق الثلاثة يعنون النبي وأبا بكر وعمر، فرفع رجل إلى الحسن بن زيد وهو أمير المدينة في ذنب فأمر أن يضرب **فقال له**: بحق الثلاثة عليك إلا ما عفوت عني، **فقال**: وحق أحد الثلاثة عليّ وحقي على الإثنين ألا أوجعتك، فبلغ قوله المنصور، **فقال**: قاتله الله فما أمر نفسه.

● أيمانُ الأعراب

اختصم أعرابيان في حق فأقبلا إلى والٍ فوجبت اليمين على أحدهما، **فقال المدّعي**: كله إليّ أيها الحاكم أحلفه، **فقال له**: أنت وذاك فدوّر له دائرة في الأرض، **وقال**: إجلس فيها فجلس، **فقال له**: جعل الله نومك نغصاً وأكلك غصصا ومشيك رقصا ومسحك برصاً وقطعك حصصاً فأدخلك قفصاً وأدخل في إستك هذا العصا، فأبى أن يحلف واتقاه بحقّه.

واستحلف أعرابي خصماً **فقال**: قل لا أصحبني الله عصمة ولا سدّ عنّي خلة وأحضرني كل نقمة وأثكلني كل نعمة وصرّد لي المشرب وسلبني الأقرب فالأقرب، إن كان ما ادعيت حقاً، فاتقاه بحقّه.

اختصم أعرابيان إلى أمير اليمامة **فقال أحدهما**: إن لي قبل صاحبي حقاً فمره يخرج منه فأنكر، **فقال الوالي**: أحالِفٌ أنت؟ **قال**: نعم، **فقال خصمه**: دعني من يمينك حتى أحلفه، **فقال**: قل لا ترك الله لي خفاً يتبع خفاً ولا ظلفاً يتبع ظلفاً، وحتني[3] من أهلي ومالي حتّ الورق، وخلعني من أهلي ومالي خلع الخضاب، وأحوجني إلى شرّ خلق الله إن كان لهذا قبلي حق. **فقال**: لا أحلف وأتقاه بما ادّعى عليه.

وحلف أعرابي آخر، **فقال**: قل لا استتبتُ الله من خطيئة ولا استنجدته لبليّة ولا وفيت له بعهد ولا استجزته أوان جهد، فأتقاه بحقّه. **وقال أعرابي** لآخر في حق: أتحلف، فقال نعم، **فقال**: قل ألزمني الله الزلل ولا سدّ عني الخلل، وألبسني القل والملل، وألصق بي الغمّ والعلل، وقطع عني سببه وأصحبني غضبه وأحضرني نقمه وأعدمني نعمه، وكدر لي المشرب وأفقدني الأقرب فالأقرب، إن كان لك عندي حق فاتّقاه ولم يحلف.

● أيمانُ الأسخياء وذوي العلاء

كان من يمين يحيى بن خالد: لا وعزّة الوفاء وحرمة السخاء. **قال الأشتر**:

بقيت وفري وانحرفت عن العُلا ولقِيت أضيافِي بـوجـهِ عـبـوسِ

---

(١) **التي غُصبت حقها**: يعني فاطمة الزهراء.
(٢) **أهل الكساء**: كناية عن أهل بيت رسول الله.
(٣) **حتني**: أزالني.

وقال أبو علي البصير:

أكذبتُ أحسنَ ما يظنّ مؤمّلي ... وهدَمتُ ما شادَته لي أسلافي
وعدِمتُ عاداتي التي عوّدْتها ... قِدماً من الإخلاف والإتلافِ
وغضضتُ من ناري ليخفى ضوؤها ... وقريتُ عذراً كاذباً أضيافي[1]
إنْ لمْ أصِبْ على عليّ حلّةً ... أضحَت قذىً في أعيُنِ الأشرافِ

وقال أبو مسلم الرستمي:

إذاً فلا رفعت كاساً بنانُ يدي ... ولا سعَت بي لتطلّابِ العُلى قدَمِي
وأثكلتني القوافي رقّتي وغدتْ ... في نسجِها كلْمى غُفْلا بلا علَمِ[2]

وقال الأستاذ الرئيس:

عققتُ العُلى إن كنت خنتُك بالقِلا ... وعفْتُ النّدى إنْ لمْ أكنْ ذا جوى يذْوي[3]

وقال التنوخي:

إذاً فرأيت العرف في صورةِ النكْرِ

وقال آخر:

إذاً فلا بلغَت نفْسي أمانِيها

وقال آخر:

إذاً فثكلتُ سابغَتي وسيفي ... غداةَ وغى وراحلَتي وزادِي[4]

وقال الموسوي:

وإلا فلا أمَّني النازِلون ... ولا جاءَني الطارقُ المجْتدي[5]

- **أيمانُ الشّرب ومتماطي اللهو**

قال وهب الهمذاني:

لا والذي سنّ للمدامة ولاماء نكاحاً بغير طلاق

وقال المخزومي:

لا والذي قسّم الصهباءَ من ذهبٍ ... والماءَ من فضّة ما سادَ من بخُلا

وقال علي الأحول:

كفرتُ إذاً بحقوقِ الصّديقِ ... وعربدتُ في الشّرْبِ عند المُدامِ[6]

---

(١) غضّ ناره: كفّها - وقريت أضيافي: استضفتهم.
(٢) أثكلتني: أفقدتني - كلمى: مجرحة - غفلاً: منسية وغير معروفة.
(٣) عققته: تركته واستخفيت به - القلا: البغضاء - الجوى: شدّة الوجد.
(٤) السابغة: الدرع الطويلة - الراحلة: المطيّة. (٥) النازلون: الضيوف.
(٦) عربدتُ: ساء خُلقي، والغضب العربيد: الشديد.

● **أيمان الكهنة وأهل الجاهلية**

أقسم بالضياء والحلك، والنجوم والفلك، والشروق والدلك[1] لقد خبأت ثدين فرخ في إعليط مرخ.

كانت العرب تتحالف على النار وتتعاقد على الملح، ولذلك **قال الشاعر**:

حلفْتُ لهُم بالملحِ والقومِ شُهّدُ ... وبالنّار واللاتِ التي هيَ أعْظَمُ

وقال الكميت:

بهولةِ ما أوقد المخلفونَ ... لدَى الخائفين وما هوّلوا[2]

والهولة نار كانوا يوقدونها ويلقون عليها الكبريت ليستعظم مرآها، ويهابها من أقدم على اليمين، ويخشاها.

● **أيمانُ النوكة والسفل**

من أيمان أهل بغداد: أعطيت الله ألف جوالق عهود، ويقولون: أعطيت الله مائة ألف كر مواثيق. كانت أيمان مزبد، وإلا فسلحت في القبلة وحشرت في صورة قرد. **قال**: بعض أعقاب الأنبياء: ادّعى رجل على آخر طنبوراً عند بعض القضاة، **فقال**: حلفه، **فقال القاضي**: إن كان عندك الطنبور فأيري في حجرك، **فقال**: أي يمين هذا، **فقال**: يمين الطنابيريين.

وادّعى رجل على امرأة، **فقال الرجل**: إن كنت كاذبة فأير القاضي في حِرِك فتوقفت المرأة. **فقال لها القاضي**: قولي وإلا أخرجي من حقه. وادّعى ريحاني شيئاً على آخر عند قاض، **فقال القاضي** له: قل والله الذي لا إله غيره، **فقال**: ليس هذا من يمين الريحانيين. أمي بظراء إن كان له عندي شيء، **فقال القاضي**: قم فما أراك إلا صادقاً. وحلف مزبد **فقال**: إن كان كذا فعليّ أن أصعد السماء في حزيران على سلم من الزبد.

● **أيمان الظرفان**

قال الرصافي:

أما وتفتير طرفِك الوّسِن ... وحسن خالٍ بخدّك الحَسَن[3]

وقال الخبزارزي:

بمجاري فلك الحسْنِ التي في وجَناتِك

وقال ابن المعتز:

وحياةِ عاذلَتي لقَد صارمْته ... وكذبت بلْ واصلْته وحياته[4]

---

(١) **الدلك**: ميل الشمس إلى الغروب.

(٢) **الهوْلة**: العَجب ـ **وهوّلوا**: أخافوا بالهولة وهي نار كما ذكر.

(٣) **الطرف الوسن**: العين الناعسة. (٤) **عاذلتي**: لائمتي ـ **صارمته**: قاطعته وهجرته.

وقال البحتري:

وحياةِ من أهوى فإنّي لمْ أكُن ... أبداً لأحلفَ كاذباً بحياتِه

● أيمان أهلِ الذمة

قال إسحاق الموصلي: وجبت على عون العيادي يمين بحضرة الفضل بن الربيع، وكانت بيننا وحشة، **فقلت**: ولّني استحلافه، **فقال**: قد فعلت، **فقلت**: قل بالذي لا يعبد غيره ولا ندين إلا له وإلا فخلعت النصرانية وبرئت من المعبودية، وطرحت على المذبح حيض يهودية، وقلت في المسيح ما يقول المسلمون إن الله خلقه من غير أب كمن خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون، ولعنك البطريق الأكبر والبطارقة والقمامسة والأساقفة والديرانيون وأصحاب الصوامع عند مجمع الخنازير وتقريب القربان، وعليك لعنة الثمانية عشر أسقفاً الذين خرجوا من رومية حتى أقاموا عهود النصرانية، وإلا فشققت الناقوس وطبخت به لحم الجمل يوم الإثنين عند مدخل الصوم وهدمت كنيسة لد وبنيت بحجارتها مستراحاً لليهود، وهتكت درع داود وإلا فسقط عليك قربانك من يدك وأخذته من يد يهودي، وأنت حنيف مسلم، وهذه اليمين لازمة لك ولعقبك من بعدك، **فقال**: والله ما أجوز أن أسمعها فكيف أحلف بها.

● ومن أيمان اليهود

والله الذي لا إله إلا هو منزل التوراة على موسى، وإلا فأنت بريء من اليهودية داخل في الحنيفية، وبرئت من الآيات العشر التي أنزلت على موسى بطور سيناء، وبرأك الله من الأربعة الأخياط التي في كساء هارون أخي موسى، وبرئت من شمعون وشمعى ومن يوم السبت وحقّه، وحرمت الفطير في وقته، وخرقت توراة موسى بأسنانك ومحوت كل آية بلسانك، وعليك المشي إلى بيت المقدس.

● أنواعٌ من ذلك

حلف أعرابي بالمشي إلى بيت الله أن لا يكلم ابنه، فحضرته الوفاة فقيل له كلمة قبل مفارقة الدنيا، **فقال**: ما كنت قط أعجز عن المشي إلى بيت الله منّي الساعة. كان قوم عليهم دين لأعرابي فقدموا على أن يحلفوا، **فقال الأعرابي**:

يا ربّ إن كانَ بَنو عميْرَه ... قد أَجمَعوا بحلفةٍ مشهورَه

فابْعَثْ إليهِمْ سنةً قاشورَه ... تَحتلِقُ المالَ احتلاقَ النوْرَه[1]

(١) سنة قاشورة: أي مجدبة ـ النورة: أخلاط تضاف إلى الكلس وتستعمل لإزالة الشعر.

(٥)
وممّا جاء في الاكتساب والإنفاقِ

•

• الحثُّ على تثميرِ المالِ في الصّغر والكِبَر

حُكي أن كسرى مرّ بشيخ كبير يغرس فسيلاً[١]، فقال له يا هذا: كم أتى عليك من العمر؟ **قال**: ثمانون سنة، قال أفتغرس فسيلاً بعد الثمانين. **فقال**: أيها الملك لو اتكل الآباء على هذا لضاع الأبناء. **قال كسرى**: زه[٢] يأخذ أربعة آلاف درهم. **فقال**: أيها الملك: الفسيل يطعم بعد سنين من غرسه وهذا قد أطعمني في سنته **فقال**: زه يأخذ أربعة آلاف درهم **فقال**: أيها الملك: الفسيل يطعم في السنة مرة وهذا قد أطعمني في أوّل السنة مرتين، **فقال**: زه يأخذ أربعة آلاف درهم، فقال الوزير: إن لم ينهض الملك أردى هذا بحكمته بيت المال.

• تثميرُ ذي مالٍ كثيرٍ لمالٍ حقير

قال سعيد: ولاني عتبة بن أبي سفيان ماله بالحجاز، **فقال**: تعهد صغير مالي يكبر ولا تجف كبيره فيصغر، فإنه ليس يمنعني كثير ما في يدي من إصلاح قليل مالي، ولا يشغلني قليل ما في يدي عن الصبر على كثير ما ينوبني. وأتى قوم قيس بن عبادة يسألونه حمالة، فصادفوه في حائط له يتبع ممّا يسقط من الثمر فيعزل جيده ورديئه، فقاموا حتى فرغ، فكلّموه في ذلك، فبذل لهم ما أرادوا، **فقال بعضهم**: صنيعك هذا مناف لترقيح[٣] عيشك، **فقال**: بما رأيتم من فعلي أمكنني أن أقضي حاجتكم. **وقال زياد**: لو أن لي ألف ألف درهم ولي بعير أجرب لقمت به قيام من لا يملك غيره، ولو أن عندي درهماً واحداً فلزمني حق لوضعته فيه. **قال الوليد بن يزيد**: لأجمعن جمع من يعيش أبداً ولأنفقنه إنفاق من يموت غداً.

• التمدُّحُ بالتكسبِ والحثّ على ذلك

قال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[٤]، فدل على وجوب الطلب أو فضيلته. **قال الموصلي**: عليكم بالتكسب فأوّل ما يبدأ به الفقر دين الإنسان. ولما أقبل النبي ﷺ من غزوة تبوك استقبله معاذ فصافحه، **فقال**: كبنت يداك، **قال**: نعم أحترث بالمسحاة وأنفقه على عيالي فقبله، وقال لا تمسها النار. **وقال بعض الحكماء**: لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان فالكريم محتال والدنيء عيال.

قال عروة بن الورد:

إذا المرءُ لمْ يطْلبْ مَعاشاً لنفسِهِ شكى الفقرَ أو لامَ الصديقَ فأكثَرا

---

(١) **الفسيل**: الشتل.
(٢) **زه**: كلمة استحسان.
(٣) **الترقيح**: الإصلاح.
(٤) **القرآن الكريم**: الجمعة/ ١٠.

فسرْ في بلادِ اللّهِ والْتمسِ الغِنى   تعِشْ ذا يسارٍ أو تموتَ فتُعْذَرَا

وقيل: هو أكسب من الذر والنمل ومن الذئب. **وقيل**: فلان يسعى سعي الأم البرّة ويجمع بجهده جمع الذره.

● تفضيلُ الكسبِ على السؤالِ

كان عمر رضي الله عنه إذا نظر إلى فتى وأعجبه، **سأل**: هل له حرفة فإذا قالوا: لا سقط من عينه. **وكان يقول**: مكسبة فيها دناءة خير من مسألة الناس. **وقال ابن عباس رضي الله عنه**: قدم قوم على النبي ﷺ فقالوا إن فلاناً يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر، **فقال**: أيكم كان يكفي طعامه وشرابه، **فقالوا**: كلنا فقال كلكم خير منه. وروى أنس أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ **وقال**: أتيتك من أهل بيت لا أراني أرجع إليهم من الجوع، **فقال**: أما عندك شيء؟ **قال**: لا، فأعطاه درهمين وقال له: إذهب فابتع بأحدهما طعاماً وبالآخر فاساً واحتطب وبع. فغاب خمسة عشر يوماً ثم جاء **فقال**: بارك الله لي فيما أمرتني به أصبت عشرة دراهم فابتعت لأهلي بخمسة طعاماً وبخمسة كسوة، فقال النبي ﷺ: هذا خير لك من المسألة[1]، إن المسألة لا تحِلُ إلا لأحد ثلاثة دم موجع أو غرم مفظع أو عدم مدقع.

وقال إبراهيم عليه السلام: يا رب استحييت من كثرة تصرّفي في طلب الرزق فأوحى الله إليه ليس طلب المعيشة من طلب الدنيا.

وقال شاعر:

ولا تَدَعْ مَكْسَباً حلالاً   تكونُ مِنْهُ على بيانِ

● تفضيلُ التكسبِ على التوَكل

قال حكيم لرجل يجلس إليه: ما حرفتك؟ قال التوكل على ربّي والثقة بما عنده، فقال الحكيم: الثقة بربّك تحرم عليك إصلاح معيشتك، أو ما علمت أن طلب ما تعف به عن المسألة حزم والعجز عنه فشل والفقر مفسد للتقى، متهم للبريء ولا يرضى به إلا الدنيء، وأنشد:

فإنْ قلْتَ يَكْفيني التوكّلَ والأسَى   فقد يطْلبُ الرزقَ الذي يَتوكّلُ

وقيل لحكيم: إحذر كل الحذر أن يخدعك الشيطان فيمثل لك التواني في التوكل ويورثك الهوينا بإحالتك على القدر، فإن الله أمرنا بالتوكل عند انقطاع الحيل والتسليم للقضاء بعد الأعذار، **فقال**: خذوا حذركم، **وقال**: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة. وقال النبي ﷺ: إعقلها وتوكل. **وقال عمر لرجل**: ما معيشتك؟ **قال**: رزق الله، **فقال**: لكل رزق سبب فما سبب رزقك؟ **قال أبو تمّام**:

وصدقتَ إن الرزقَ يَطْلبُ أهلَهُ   لَكنْ بسيرةِ متعبٍ مكدودِ

---

(١) **المسألة**: التسوّل والاستعطاء.

وقال الموسوي وقد أحسن في معناه:

اعـزمْ فـلـيـسَ عـلـيْـكَ إلاّ عـزمـةٌ   والـعَـجـزُ عـنـوانٌ لِـمَـنْ يـتَـوكّـلُ
أو حـمّـل الـلّـومَ الـقـضـاءَ فـإنّـهُ   عـودٌ لأحـمـالِ الـمـلامِ مـذلّـلِ[1]

● الترغيبُ في طلبِ المعَاش مع مراعاةِ المعَاد

قال النبي ﷺ: خيركم من لم يدع دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه. **وقال أبو الدرداء رضي الله عنه**: إحرث لآخرتك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً. ينبغي للعاقل أن يكون ظاعناً إلا في ثلاث: تزود لمعاد ومرمة لمعاش ولذة في غير محرم، **قال جرير**:

فلا هوَ في الدُنيا مُضيعٌ نَصيبَهُ   ولا عَرَضُ الدُنيا عن الدِّينِ شاغِلُه

وقال خالد: يا بنيّ، خصلتان لا تبال ما صنعت بعدهما، دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك.

● التّرغيبُ في اكتسابِ الحَلالِ

قال ابن المبارك: لقيت رجلاً بمكة يبيع الخرز وكان أبوه خزازاً فسألته عن ذلك، **فقال**: إن الله لا يسألني هلاّ كنت خزازاً، وإنما يسألني من أين اكتسبت وفيم أنفقت؟ **وقال** ﷺ: لا يكتسب عبد درهماً من حرام فيتصدق به أو ينفقه أو يتركه إلا كان زاده إلى النار.

وقال سفيان: عليكم بعمل الأبطال الإكتساب من الحلال والإنفاق على العيال. واستأذن رجل النبي ﷺ في الجهاد، **فقال**: ألك من تعوله؟ **قال**: نعم، **قال**: كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعوله.

● النّهيُ عن التّواني في التّكسب

قال هرم: من التوفيق رفض التواني ومن الخذلان مسامرة الأماني.

قال شاعر:

وإنّ وطـاءَ الـعَـجْـزِ أورثَ خـلّـة   وأصلدُ ما أورى الأكُفُ القَوادحُ[2]

وقال:

ومـا طـلـب الـمـعـيشة بـالـتـمنّي   ولـكـن ألـق دلـوَك فـي الـدّلاء

وقيل:

حُبُّ الـهـوَيـنـا يُـكـسِـبُ الـنّـصَـبـا[3]

---

(١) **عود مذلّل**: طريق مسهّلة.

(٢) **أورى**: أشعل ـ **القوادح**: جمع قادِح وهو الكف الذي يقدح بالزند لإخراج النار، وهو السهم قبل أن يجعل فيه نصل.

(٣) **النصب**: التعب والعناء.

● مدحُ الشغلِ وذمُّ الفراغِ

قال بزرجمهر: إن يكن الشغل محمدة فالفراغ مفسدة. الراحة للرجال عقلة وللنساء غلمة. واستشار رجل في عمل يتولاه آخر، **فقال**: إعلم أن الفراغ من شأن الأموات والإشتغال من شأن الأحياء، فإن قدرت أن تكون حياً فافعل. **وقال حكيم**: لا تفرغ قلبك من ذكر ولا ولدك من شغل، فالقلب الفارغ يبحث عن السوء واليد الفارغة تنازع إلى الإثم. **وقال آخر**: أحذركم عاقبة الفراغ فإنه شر من السكر. **وقال الفضل بن مروان**: الكاتب كالدولاب إذا تعطل انكسر.

● الأمرُ بالاقتصادِ في الطلبِ

قال النبي ﷺ: اقتصدوا في الطلب فإن ما رزقتموه أشد طلباً منكم له وما حرمتموه فلن تنالوه ولو حرصتم. **وقيل**: لا يدرك بالحذق هارب الرزق.

قال المرقش الأصغر:

أجْـمِـلِ الـعَـيْـشَ إن رزقَـكَ آتٍ ... لا يـرُدُّ الـتَّـرقـيـحُ شـروى فَـتـيـلِ[1]

وقال أبو الشيص:

لِكُلِ امرىءٍ رزقٌ ولِلرزقِ جالبٌ ... وليسَ يفوتُ المرءَ ما خطَّ كاتِبُه[2]

يُـسَـاقُ إلـى ذا رزقُـهُ وهـوَ وادِعٌ ... ويـحْـرمُ هـذا الـرزقَ وهـو يُـطـالِـبُـه

وقال أبو تمّام:

والـحَـظُّ يُـعْـطـاهُ غـيـرُ طـالِـبـه ... ويـحْـرزُ الـدرَّ غـيـرُ مـجْـتـلِـبِـه

تـلْـكَ بـنـاتُ الـمـخـاضِ راتِـعَـةٌ ... والـعـودُ فـي كـورٍ وفـي قَـتَـبِـه[3]

وقال آخر:

حـظُّـكَ يـأتـيـكَ وإنْ لـم تَـرِمِ

وقال راشد الكاتب:

إذا كانَت الأرزاقُ في القربِ والنّوى ... عَـلَـيْـكَ سواء فـٱغْـتَـنِـمْ لـذةَ الـدَّعَـه[4]

وإن ضاقَ أمرٌ يفرجُ اللّهُ ما ترى ... ألا رُبَّ ضـيـقٍ فـي عـواقِـبِـهُ سـعَـه

وقال العطوي:

لا تَـحْـسَـبَـنَّ طـولَ الـرحَـلْ ... يـــزيـــدُ فـــي رزْقِ الأَجَـــلْ

---

(١) **الترقيح**: ترقيح العيش: إصلاحه ـ **الشروى**: المثل ـ وشروى فتيل: لا يماثل بأي شيء.

(٢) **ما خط كاتبه**: أي ما هو مقدّر للإنسان من رزق.

(٣) **في كور وفي قتبة**: في رحل كبير أو في رحل صغير. (الرحل ما يُحمل على ظهر الجمل كالسرج).

(٤) **في القرب والنوى**: أي في القرب والبعد.

ولا مَـقـامـاً وادعـاً يَـدفَـعُ رزقـاً قـد نَـزل

وقيل: لبعض من تقاعد به الزمان ألق الدلاء وأجذبها ملاء، **فقال**: كيف أنزع دلواً خان رشاؤها[1] وأسدد سهماً زالت أغراضها.

- **الحثُّ على السفر في طلبِ المالِ**

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[2] **وقال النبي ﷺ**: سافروا تغنموا. وسئل ضمرة بن ضمرة عن الفقر الحاضر والعجز الظاهر، **فقال**: أما الفقر الحاضر فمن لا تشبع نفسه وأما العجز الظاهر فالشاب القليل الحيلة اللازم الحليلة إن غضبت ترضّاها وإن رضيت فداها، يحوم حولها ويطيع قولها.

قيل: رأس العجز أن تقيم فلا تريم وأن تخيم فلا تظعن، فمن طلب جلب ومن تبغل تبقل، ومن نام رأى الأحلام. **وقيل**: الحركة لقاح الجد العقيم.

قال أبو تمّام:

أرادَ بـأَن يَـحْـوي الـغِـنـى وهـوَ وادعٌ وهل يغرسُ الليثُ الطَّلا وهو رابِضُ[3]

قال بزرجمهر: السعيد يتبع الغني والشقي يتبع مسقط رأسه، **قال شاعر**

ذو اللـبّ تـنـزع لـلـرفـاهـة نـفـسُـه وتـرى الـشـقـي نـزوعـه لـلـمـوطـن

أخذه المبرّد:

الـفَـقْـرُ فـي أوطـانِـنـا غـربَـةٌ والـمـالُ فـي الـغُـربَـةِ أوطـانُ

وقال آخر:

وكـلّ بـلادٍ أخـصـبَـتْ فَـبِـلادِي

وقال المتنبي:

ومـا بـلـدُ الإنـسـان غـيـرُ الـموافـقِ ولا أهـلُـهُ الأدنونَ غـيـرُ الأصادِقِ[4]

- **إقامةُ العذرِ في الطلبِ**

قال عروة بن الورد:

لِـتـبـلـغَ عُـذراً أو تُـصـيـبَ رغـيـبـةً ومبلغُ نفسٍ عـذرَهـا مـثـلُ مُـنـجِـحِ

وقال كشاجم:

وعـلـيَّ أن أسْـعـى ولـيـسَ عـلـيَّ إدراكُ الـنَّـجـاحِ

---

(١) **رشاؤها**: حبلها.

(٢) **القرآن الكريم**: الملك/ ١٥

(٣) **الطَّلا**: ولد الغزال والصغير من كلّ شيء.

(٤) **الأدنون**: الأقربون ـ **الأصادق**: جمع صديق.

وقال آخر:

قد قَضى ما عَليهِ من بلَغ الجهـ ـدَ وإن لـم يَـصِـلْ إلـى مـا أرادا

- **المتكسِّبُ بسلاحِهِ**

دخل رجل على أبي دلف فاستماحه وانتسب له، **فقال له**: أتستميح وجدك القائل:

ومن يَفتَقر منّا يَعيشُ بحُسامِهِ ومن يَفتقِرْ من سائرِ الناس يَسْأَل

فخرج الرجل وجرّد سيفه فاستقبله وكيل لأبي دلف معه مال، فاستلبه وقتله، فاتصل الخبر بأبي دلف. **فقال**: دعوه، فإني علّمته. **وقال بعض الشجعان**: التظلل ضرر والاتكال غرر، ولا يكسب الأموال إلا منازلة الأبطال ومصاولة الرجال وتجريد السيوف ومباشرة الحتوف.

قال الأعشى:

فتىً لا يَحبُ الزادَ إلا منَ التُقى ولا الـمَـالَ إلا مـنْ قَـنـا وسـيـوفِ

وقال ابن نباتة:

شرابُهمْ في الحربِ ما تُمطرُ القَنا وأَكْـلُـهُـم مـا تَـجْـتَـنـيـهِ الـصـوارِمُ[1]

- **وصفُ الناس بأنّ تصرفُهم في طلبِ المعاشِ**

وقال أبو العتاهية:

الـمـرءُ يَـغـلـطُ فـي تَـصـرُّفِ حـالِـهِ فـلـربَـمـا اخـتـار الـعـنـاءَ عـلـى الـدَّعَـه
كـلٌ يُـحـاولُ حـيـلـةً يَـرجـو بـهـا دَفـعَ الـمـضـرَةِ واجـتـلابَ الـمـنـفـعَـه

وقيل لفارسي: فيم تقلب الناس، **فقال بالفارسية** أش نياز واز، أي من الفقر والحرص، **قال آخر**

كـلُّ امـرىءٍ مـشـتـغـلٌ بـنـفـسِـه يَـطْـلـبُ مـا يَـطْـحَـنـهُ بـضِـرْسِـهِ

- **النَهيُ عن الاغترارِ بما في يدِ الغَير**

قيل: غثّك خيرٌ من سمين غيرك. **قال شاعر**:

وإنْ حـدَّثـتـكَ الـنـفـسَ أنـكَ قـادرٌ على ما حَوتْ أيدي الرجالِ فجرّبِ

وقال أبو العتاهية:

لا تـغـضَـبَـنَّ عـلـى امـرىءٍ لـكَ مـانـعٍ مـا فـي يَـديـهْ
واغـضـبْ عـلـى الـطَـمَـعِ الـذ ي اسـتَـدْعَـاكَ تَـطْـلُـبَ مـا لَـديـهْ

---

(١) **القنا**: الرماح ـ **الصوارم**: السيوف.

● **تَفضيلُ الحاضرِ على المُنتظرْ**

في المثل: عشْ ولا تغتر. **وقيل**: لقمة في فمك أحضر منفعة من فخذ في تنور. معاطاة الموجود خير من انتظار المفقود.

● **الحثُّ على حفظِ المكتَسب**

قال سقراط: لتكن عنايتك بحفظ ما اكتسبته كعنايتك باكتسابه. قال شاعر

لحفظِكَ مالاً قد عُنيتَ بجَمْعه ... أشدُّ من إدراكِ الذي أنتَ طالِبُه

وقال آخر:

لحفظُ المالِ خيرٌ من ضياعٍ ... وطوفٌ في البلادِ بغيرِ زاد

وقيل: حفظ الموجود أيسر من طلب المفقود، **وقيل**: احذر نفاد النعم فما كل شارد مردود.

● **الحثّ على حفظِ المالِ لنُوَبِ الأيامِ**[١]

قال محمد بن غالب:

إنَّما الدُّنْيا ضبابُ قذَى ... تكفُ الأحزانُ عن مَطرِه[٢]

فاتَّخذْ للدهرِ في يُسرِ ... عدةً تقضي على عسره

وقال البديهي:

لا تحسبنَّ إدخارَ المرء قنْيَتَه ... لصونِهِ وجهَهُ بلْ لا، هُوَ الكَرَمُ[٣]

عِزُّ القناعةِ بالموجودِ يمنعُ من ... ذلّ القنوعِ، وحفْظُ العرْضِ مغتنَمُ

● **حفظُ المالِ بالختْمِ عليه**

قيل: من ختم البِضاعة أمِن الضياعة. من الكَيْس ختم الكِيس[٤] طينةٌ خير من ظِنّة. **وقيل**: أربعة أشياء لا يستحيا من الختم عليها: المال لنفي التهمة، والجوهر لنفاسته والطِّيب للإبدال، والدواء للاحتياط.

● **الحثُّ على حُسنِ التدبيرِ والنَّهيُ عن التبذير**

قيل: حسن التدبير نصف الكسب وسوء التدبير داعية البؤس. الإفلاس سوء التدبير. كن مقدراً لا مقتراً. **وقال النبي** ﷺ: الرفق في المعيشة خير من بعض التجارة. قال الله

---

(١) **نوب الأيام**: مصائب الدهر

(٢) **ضباب قذى**: أي سحاب ذلّ والقذى أصلاً ما يقع في العين من تبنة ونحوها ـ **عن مطره**: عن إنزاله.

(٣) **قنيته**: ما يملكه. (٤) **الكيس**: الفهم والفطنة.

تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾[1] **وقيل**: التبذير إنفاق المال في غير الحق. وسئل سعيد بن جبير رضي الله عنه عن التبذير، **فقال**: هو أن تنفق الطيب في الخبيث.

وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾[2] ولم يأذن في الفضول وقال عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾[3]

وقال ﷺ: أنهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال. **وقال**: ليس في السرف شرف.

وقال معاوية: ما رأيت تبذيراً إلاّ وإلى جنبه حق مضيع. **وقال** ﷺ: ما عال امرؤ عن اقتصاد.

وقال أبو بكر رضي الله عنه: إني لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام في يوم واحد.

وقيل: ما وقع تبذير في كثير إلاّ هدمه ولا دخل تدبير في قليل إلا ثمره.

وقيل: إنك إن أعطيت مالك في غير الحق يوشك أن يجيء الحق وليس عندك ما تعطي منه.

● التهكُّم على مُبذِّر

قيل في المثل: خرقاء وجدت صوفاً. **وقيل**: من يطل ذيله ينتطق به. **وقيل**: يطأ فيه. ومن وجد دهناً دهن إسته. **وقيل**: عبد خلي في يديه، وعبد ملك عبداً. وكان بعض المتخلفين ورث مالاً فكان يحمل الدنانير ويأتي الشطّ فيقذف واحداً واحداً في الماء، فقيل له في ذلك، **فقال**: يعجبني طليته وصوته. وبنى عون العبادي دكاناً وسط داره وأسرف في الإنفاق عليه إسرافاً متناهياً فليم في ذلك، **فقال**: ما أصنع بالدراهم إذاً.

● الحثُّ على حِفْظ المَال والإستغناء به عنِ الأنْذال

كان لسفيان بن عيينة صرة دنانير يحفظها، **فقيل له**: أتحفظ ذلك، وأنت موصوف بالزهد؟ **فقال**: لئلا أكون مناديل الغمر من الرجال. وقيل لأفلاطون: لم تدخر المال فأنت شيخ؟ **فقال**: لأن يموت الإنسان ويخلف مالاً لعدوّه خير من أن يحتاج إلى أصدقائه في حياته.

وقيل: خلّف للأعداء ولا تحتج إلى الأصدقاء. وقيل لحكيم: لم حفظت الفلاسفة ما في أيديهم؟ **فقال**: لئلا يقيموا أنفسهم المقام الذي لا يستحقونه، فقد علموا أن لا اتكال على ما في يد الغير. وفي المثل: بقِ نعليك وأبذل قدميك[4]

● النهيُ عن إنفاقِ جميعِ المَال والرخصَة في ذلك

رُوي في الخبر: أن كعب بن مالك أراد أن يتصدق بماله كله، فنهاه النبي ﷺ وقال

---

(١) القرآن الكريم: الإسراء/ ٢٦. (٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢١٩.

(٣) القرآن الكريم: الفرقان/ ٦٧.

(٤) أي ابذل نفسك واستبق مالك لئلا يختلّ أمرك.

له: إمسك عليك مالك فإنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس.

وقال ابن عباس رضي الله عنه حث النبي ﷺ ذات يوم على الصدقة، فجاء أبو بكر بماله كله، فقال له النبي ﷺ: ما أعددت لعيالك فقال الله ورسوله، وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله، فقال له: ما أعددت لعيالك؟ فقال: الله ورسوله ونصف مالي، فقال ﷺ: بين الرجلين ما بين الكلمتين.

وسئل الشبلي عمّا يجب في مائتي درهم، فقال: أما من جهة الشرع فخمسة دراهم وأما من جهة الإخلاص فالكل. وقيل للمأمون لا شرف في السرف، فقال: لا سرف[1] في الشرف.

● الإنفاقُ على الأَهْل

قال النبي ﷺ: نفقة الرجل على أهله صدقة، وقال: خيركم خيركم لأهله، وقال: ابدأ بمن تعول ولا تعجز عن نفسك.

وكان أيوب يقول لأصحابه: تعاهدوا أولادكم وأهليكم بالبر والمعروف ولا تدعوهم يطمحوا بأبصارهم إلى ما في أيدي الناس.

وقال زيد بن على رضي الله عنه: ثلاث لا يسأل الإنسان عنها: ما ينفقه في مرضه وما ينفقه في إفطاره، وما ينفقه على ضيفه.

● مدْحُ مُفيد مُبيد

مدح إعرابي رجلاً، فقال: هو أكسبكم للمعدوم وآكلكم للمأدوم وأعطاكم للمحروم.
وقال الوليد بن يزيد: لأجمعنّ جمع من يعيش أبداً ولأنفقنه إنفاق من يموت غداً.

قال أبو تمّام:

إذا ما أغاروا فاحتووا مال معشرٍ　　أغارت عليهم واحتوته الصنائعُ

وقال آخر:

إذا أسلفتهن الملاحم مغنماً　　دعاهن من كسب المكارم مغرمُ

وقال المتنبي:

وَالسّلمُ يكسِرُ مِنْ جناحَيْ مالِهِ　　بنوالِه ما تجبُرُ الهَيْجاءُ[2]

● النهي عن إمساك المال

قال النبي ﷺ: ينادي منادٍ كلّ ليلة، فيقول: اللهم اجعل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً.

---

(١) السرف: الإسراف.

(٢) الجناح: بمعنى اليد ـ النوال: العطاء ـ الهيجاء: من أسماء الحرب ـ يقول إنه أنفق في السلم ما كان غنمه في الحرب.

وقال ﷺ: أنفق بلالاً[1] ولا تخش من ذي العرش إقلالاً

قال شاعر:

وإن أشدّ الناس في الحشر حسرةً ... لمورثُ مال غيرَه وهو كاسبُه

ولهذا باب في ابتداء فضل الجود.

● **الحثُ على الإنفاق وقتَ السعَة وإظهار أثر النعمة**

قال الله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[2] (الآية). وبعث عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة بن الجراح وهو أمير الشام مالاً، **وقال للرسول:** أنظر ماذا يصنع فرآه يوسع على عياله، ثم نقص من أرزاقه فقتر عليهم. **فقال عمر** رحم الله أبا عبيدة وسعنا عليه فوسع وقترنا عليه فقتر. وسئل الحسن رضي الله عنه عن رجل آتاه الله مالاً فأنفق على أهله ما لو أنفق دونه لكفى، **فقال:** وسع على نفسك وعلى عيالك كما وسع الله عليك فإن الله قد أدب عباده أحسن تأديب. **فقال:** لينفق ذو سعة من سعته، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله، وما عذب الله قوماً وسع عليهم فشكروه ولا غفر لقوم ضيق عليهم فكفروه. **وقال ﷺ:** إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس. **وقال ﷺ:** من آتاه الله خيراً فلير أثره عليه.

● **ذهابُ المالِ الحَرام في الأباطيل**

قال الحسن رحمه الله: إذا أردت أن تعلم من أين أصاب الرجل المال فأنظر في أي شيء ينفقه، إن الخبيث ينفق في إسراف. **وقيل:** من درى من أين أخذ درى أين أنفق.

● **التظلف والتذمم لمكسب دنيء**

قيل في المثل: نفع قليل وفضحت نفسي. تجوع الحرّة ولا تأكل بثدييها.

قال شاعر:

أصبتُ صنوفَ المال من كلّ وجهةٍ ... فما نلتُه إلا بكفّ كريمِ

وإنّي لأرجو أن أموتَ فتنقضي ... حيَاتي وما عندي يدٌ للئيمِ

● **حكم وجود الضالة**

سئل النبي ﷺ عن ضالّة الإبل، **فقال:** مالك ولها، معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء وتأكل الشجر. **قيل:** فضالة الغنم، **قال:** هي لك أو لأخيك أو للذئب. وسئل عن اللقطة **فقال:** إحفظ عفاصها ووكاءها[3] وعرفها سنة فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها.

---

(١) **البلال:** كل ما يبلّ به الريق. (٢) **القرآن الكريم:** الطلاق/ ٨.

(٣) **عفاصها:** جلدها وغطاؤها ـ **وكاؤها:** رباطها.

وروى جارود بن المعلى عنه عليه الصلاة والسلام أنه **قال**: ضالّة المؤمن حرق النار. **وقيل**: ما يوجد بمكة فلا يجوز الانتفاع به، لقوله ﷺ إن الله حرم مكة ما بين لابتيها لا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا لمعروف.

وقال عمر رضي الله عنه: إذا وجدتم تمرة ملقاة في الطريق فليلتقطها من هو أحوج إليها. ووجد النبي ﷺ تمرة ساقطة، **فقال**: لولا أني أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها.

(٦)
وممّا جاء في مدح الغِنى وذمّ الفَقْر

•

● منفعة المال دِيناً ودُنيا

كان النبي ﷺ **يقول**: اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفة والغنى، **وقال** ﷺ: نعم العون على تقوى الله المال. **وقال أبو قلابة**: الغنى من العافية. نظر أعرابي إلى دينار **فقال**: ما أصغر مرآك وأكثر منافعك.

قال ابن الرومي:

لم أر شيئاً صادقاً نفعُه ... للمرء كالدرهَم والسيْفِ
يقْضي له الدرهمُ حاجاتِه ... والسيفُ يحميه منَ الحَيْفِ[1]

وقيل: نعم العون على الدين اليسار. **وقال شاعر في معناه**:

ما أرسل الإنسانُ في حاجةٍ ... أقضى من الدرهمِ في كمّه

وقال آخر:

إذا ما خليلي صدّ عني بنبوَةٍ ... فدرهمي المنقوش خيرُ خليلِ[2]

قال أحمد بن أبي طاهر:

ولا يُساوي درهماً واحداً ... منْ ليسَ في منزلِه درْهَمُ

وقال آخر:

ولا خيرَ في الدنيا لمنْ لمْ يكُن له ... دنانيرُ فيها جمّةٌ ودراهِمُ

وقيل في قوله: فأرسل حكيماً ولا توصه، إنه الدرهم. **وقيل**: الدرهم هو الأخرس النجيح[3] **قال وهب بن منبه**: الدرهم والدينار خواتيم ربّ العالمين أينما بعث قضى الحوائج.

---

(١) **الحيف**: الظلم. (٢) **صدّعني بنبوة**: جفاني، وابتعد عني.
(٣) **النجيح**: الذي تنجح مراميه، **والنجيح أيضاً** الصائب من الآراء.

● **محبةُ النّاس للمال**

قال عمرو بن العاص لمعاوية: ما أشد حبك للمال، **قال**: ولم لا أحبه وأنا أتعبد به مثلك، وأبتاع به مروءتك ودينك. **وقال بعض الفرس**: من زعم أنه لا يحب المال فهو عندي كاذب حتى يثبت صدقه، وإذا ثبت صدقه فهو عندي أحمق. **وقيل لابن زياد**: لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا؟ **فقال**: هي وإن أدنتني منها فقد أغنتني عنها. **وقيل**: تقليب الدرهم يوقف الشيب ويزيل الهم والتعب، **وقيل**: من نقر درهماً زرع في قلبه شهوة.

● **تشاحُحُ[1] الناس بالمال**

قال يونس: لو أن الدنيا مملوءة دراهم على كل درهم مكتوب من أخذه دخل النار لأمست وما على ظهرها درهم يوجد. **وقيل**: لما ضربت الدراهم والدنانير صرخ إبليس صرخة وجمع أصحابه، **فقال**: قد وجدت ما استغنيت به عنكم في تضليل الناس فالأب يقتل إبنه والابن يقتل أباه بسببه.

● **وصفُ أنواعِ المال وتفضيلُ بعْضها على بعض**

سئل أبو بكر عن أصناف الأموال، **فقال**: أما الماشية فإنها تقبل من السنة إذا أقبلت وتدبر معها إذا أدبرت، وأما الرقيق فإنه يغدو عليها ضرّها ونفعها وقليل الضر يأتي على كثير النفع، والصامت مال من لا مال له، لأنه إن أنفقه أتلفه وإن أمسكه أهان به نفسه، وكان كمن لا مال له.

وقال: خير المال ما أطعمك ما لا تطعمه. **وقال عبد الله بن الحسن**: غلّة الدور مسألة[2] وغلّة النخل كفاف[3]، وغلة الحب غنى. وقيل للأحنف: أي المال أبقى وأوفى؟ **فقال**: المساكن والأرضون، وقيل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا﴾[4] إن له غلة شهر بشهر. قيل لمجنون لم صار الدينار خيراً من الدرهم والدرهم خيراً من الفلس؟ **فقال**: الفلس ثلاثة أحرف والدرهم أربعة أحرف والدينار خمسة.

وقيل لآخر: لم صار لون الذهب أصفر؟ فقال لأن طلابه كثير. وقيل لآخر، **فقال**: لخوف الدفن.

وقيل لرجل: لم فضل الدينار على الدرهم؟ **فقال**: لأن الدينار يؤدي إلى النار والدرهم دار هم، وعذاب الهم عاجل وعذاب النار آجل، وإلى ذلك محيا وممات.

ودفع إلى أعرابي دينار فحمله إلى الصرّاف فملأ له يديه دراهم، **فقال**: ما أصغر منظرك وأعظم مخبرك.

---

(١) **التشاحح**: التباخل.
(٢) **المسألة**: الحاجة.
(٣) **الكفاف (من الرزق)**: ما كفى عن النّاس وأغنى.
(٤) **القرآن الكريم**: المدثر/١٣.

وقال أنصاري لابن عبد الرحمن بن عوف: ما ترك أبوك لك من المال؟ فقال: ترك أموالاً كثيرة. فقال: ألا أعلمك ما هو خير لك مما ترك أبوك، قال: نعم، قال: إعلم أنه لا مال لعاجز ولا ضياع على حازم والرقيق جمال وليس بمال، فعليك من المال بما يعولك لا بما تعوله.

● وصف الحيوان من بين المال

قيل لابنة الحسن: ما تقولين في مائة من المعز؟ قالت: غنى، قيل: وفي مائة من الضأن قالت: قنى، قيل: وفي مائة من الإبل قالت: منى. قيل: فما تقولين في الحمار قالت: أخزاه الله، مال لا يزكي ولا يذكي.

وقيل لرجل: أي مركب إذا كان أكبر كان أنذل[1]؟ فقال: الحمار. وقيل لآخر: أي المال أحب إليك؟ فقال: الذي يقيم بقيامي ويظعن ويحملني ومالي وداري، يعني الإبل. وعلى عكسه، قول الآخر:

وإن اقـتـنـاء الـنـوق مـوقٌ وحـرفـةٌ　　　يبيتُ على يسْرٍ ويغدو على ثُكْلِ[2]

● قدرُ ما يحمَدُ من المال

قال النبي ﷺ: نعم المال الأربعون والكثير الستون، وويل لأصحاب المائتين إلا من أعطى في نجدتها، ونحر سمينها ومنح لبونها وأطرق فحلها وأفقر ظهرها. قال خالد بن صفوان: من كان له مال كفافاً فليس بغني ولا فقير، لأن النائبة إذا أتت أجحفت بكفافه. ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقير ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غني.

● وصفُ درهم أو دينار ثقيل الوزْن

كان المتوكل ضرب دراهم وزن كل واحد عشرة، وعلى جانب منه مكتوب:

أمـازِحُـهـا فـتـغـضـبُ ثـم تـرضـى　　　وكـلّ فـعـالـهـا حـسـنٌ جـمـيـلُ

وعلى الآخر:

فـإن غـضـبـت فـأحـسـنُ ذي دلال　　　وإن رضـيـتْ فـلـيْـس لـهـا عـديـلُ

ووُجِد في خزانة جعفر بن يحيى دنانير، في كل دينار مائة مثقال ومثقال، نقشه:

وأصْـفـر مـن ضـربِ دارِ الـمـلـوك　　　يـلـوحُ عـلـى وجـهـه جـعـفَـرُ[3]

يـزيـدُ عـلـى مـائـةٍ واحِـداً　　　إذا نـالَـه مـعْـسِـرٌ يـوسِـرُ

وأهدى عضد الدولة إلى ركن الدولة دنانير كل دينار منها مائة مثقال، ونقشه:

بـذكـرِ الله أكـرمِ مـسـتـجـارِ　　　ضـربْـنـاه مـن الـذهَـبِ الـنّـضـارِ

---

(١) أنذل: أكثر نذالة، والنذالة: الخسّة والاحتقار.

(٢) موق: حمق في غباوة ـ حرفة: حرمان ـ الثكل: الفقد.

(٣) جعفر: المقصود هنا جعفر بن يحيى.

جعلنا وزنَه مائةً فأضحى ... عديمَ النِّدِّ مفقودَ النِّجارِ[1]
لِنُهديَه إلى الركنِ المرجّى ... بويه إلى علي ذي الفخارِ

وأمر الصاحب أن يضرب دينار من ألف مثقال، وأهداه إلى فخر الدولة وكتب عليه.

وأحمرُ يحكي الشمسَ شكلاً وصورةً ... وأوصافُه مشتقّةٌ من صفاتِه[2]
فإنْ قيلَ دينارٌ فقد ذكِرَ اسمُه ... وإن قيل ألفٌ كانَ بَعْضَ سماتِه
بديعٌ فلم يطبعْ على الدهر مثلُه ... وإن ضُربَت أضرابُه ببراتِه
لقد أبرزَتْه دولةٌ فلكيّةٌ ... أقامَ بها الأفلاكَ صدرُ قناتِه
وصارَ إلى شاهان شاه انتسابُه ... على أنه مستصغَرٌ لعُفاتِه[3]
تأنّقَ فيه عبْدُهُ وابنُ عبدِه ... وغرسُ أياديه وكافي كفاتِه

- **وصفُهما إذا كانا خفيفَين**

كان المتوكل أمر أن يضرب له ألف ألف درهم في كل درهم قيراط، لينثره مكان الورد، وأمر بأن تصبغ صفراً وحمراً وخضراً. وكان الدرهم يبقى في الهواء بقاء الورد.

قال العبّاس في وصف دينارين خفيفين:

جادَ بدينارَين لي جعفَرُ ... أصلَحَه الله وأخزاهُما[4]
وكاد لا كانا ولا أفلَحا ... عليْهما يرجحُ ظلاهُما

قال ابن الرومي في دينار خفيف:

كأنّه في الكفِّ من خفّةٍ ... مقدارُه من صفْرة الشمْسِ

وقيل لرجل: ما أولاك فلان، **فقال:** درهماً كأنما عناه الشاعر بقوله:

مرّ بنا والعيونُ ترمقُه ... تُجرَحُ منه مواضِعُ القُبَلِ[5]

- **وصفُ مالٍ بالكثرة**

قيل: هو في خير لا يطير غرابه، ووجد فلان تمرة الغراب. وعنده عائرة عير وله كحل وسواد، والنشب والعرض والطم والرم. وجاء بما صأى وصمت وبالضح والريح.

---

(١) **النجار:** الأصل والحَسَب.

(٢) **براته:** جمع بُرة وهي الحلقة من فضة أو نحاس أو نحوهما.

(٣) **عفاته:** التاركين له. (٤) **أخزاهما:** أذلهما.

(٥) **ترمقه:** تطيل النظر إليه ـ **مواضع القبل:** الشفاه.

● **كونُ المالِ موفياً على الحَسب والنسَب**

قال النبي ﷺ: إن أحساب أهل الدنيا الذي يذهبون إليه هذا المال، **وفي مثل**: ربّ حسبٍ دفنَه الفقر. **قال شاعر**:

وأجـهـدُ الـنـاسِ مـنْ بـعـنـصـرِه يـزهـو عـلـى مـن يـزيـنـه الـنـشَـبُ[1]

وقف إعرابي من بني فقعس يسأل وهو عريان:

كـسَـانـي فـقْـعـس وكـسـا بـنـيـه عـطـافَ الـمـجْـد أن لـه عـطـافـا[2]

فقال له بعض الحاضرين: لو كساك خرقة تواريك لكان أصلح لك.

● **من سوّده مالُه**

قيل: المال يسوّد غيرَ السيد ويقوّي غير الأيد[3]

قال شاعر:

الـفـقـرُ يـزري بـأقـوامٍ ذوي حـسـبٍ وقـد يـسـوّد غـيـرَ الـسـيـدِ الـمـالُ

وقال عمارة:

حيّاك من لم تكنِ ترجو تحيّتَه لـولا الـدراهـم مـا حـيّـاك إنـسـانُ

● **تعظيمُ الناس لذي المال**

قيل للحسن رضي الله عنه: ما بال الناس يكرمون أرباب المال؟ **فقال**: لأن عشيقتهم عندهم. ومر موسر بالشعبيّ فتزعزع له، فقيل له في ذلك، **فقال**: رأيت ذا المال مهيباً. وعوتب ابن أبي ليلى لتخفره لغني مرّ به، **فقال**: إن تعظيم ذوي المال شيء جعله الله في القلوب لا يستطاع دفعه.

وقال العطوي:

اقـصـدْ إلـى أيّ ودّ شـئـتَ مـعـتـصِـمـا بـحـبـل ودّ فـلا ذنـب ولا ضـبَـعُ
الـمـالُ أعـضَـبُ سـيـفٍ عـنـد صـولـتِـه مـن أن يـعـنّ لـه فـي مـنـهَـل سـبُـعُ[4]

وهذا كقول بعض اللصوص لبعض أصحابه: لا تنقبوا على غني، وكونوا مع الله على المدبر.

● **مصادقةُ الناسِ للأغنياء ومعاداتُهم للفقراء**

قيل لبعض العقلاء: كم لك من صديق، **فقال**: لا أعلم ذلك لأن الدنيا مقبلة عليّ

---

(١) **النشب**: المال الموروث والأصيل.
(٢) **عطاف**: رداء يلبس فوق الثياب في البرد.
(٣) **الأيْد**: القوي.
(٤) **السيف العاضب**: السيف القاطع، **ويعنّ له**: يظهر أمامه.

والأموال موجودة عندي، وإنما أعرف ذلك إذا ولت، ألم تسمع **قول طريح**:

الـنـاسُ أعـداءٌ لـكـلِّ مـدْقـعٍ ... صفرِ اليديْنِ وإخوةٌ للمكثرِ[(١)]

ولما استوزر **علي بن عيسى** ورأى اجتماع الناس عليه، **تمثل بقول أبي العتاهية**:

ما النّاسُ إلاّ معَ الدنيا وصاحبها ... فكيفَ ما انقلبَت يوماً به انقلبُوا
يعظّمون أخا الدنيا فإن وثبَت ... يوماً عليه بمَا لا يشتهِي وثبُوا[(٢)]

وقال شاعر:

إذا مالتِ الدنْيا على المرءِ رغبتْ ... إليهِ ومالَ النَاسُ حيثُ يميلُ

ومثله لأبي العتاهية:

الـنـاسُ أخـوة نـعـمَـةٍ ... لـكَ مـا دامَـت عـلـيْـكـا

وقول الآخر:

إن الحبيبَ إلى الإخوان ذو المَال

وقال آخر:

النّاسُ خلاّنك ما لَمْ تفتَقِرِ

وقيل: إذا أيسرت فكل رحل رحلك وإذا افتقرت أنكرك أهلك. **وقيل**: العسرة والعشرة لا يجتمعان.

● زيارةُ الناس لذي المال

قال بشار:

يـزدحـمُ الـنّـاسُ عـلـى بـابِـه ... والمنهَلُ العذب كثيرُ الزّحامِ[(٣)]

وقال آخر:

إن الـغـنَـى يـهْـدي لـك الـزوّارا

وقال آخر:

وأيّ الـنـاس زوّار الـمـقـلّ؟

● الفقرُ مجمَعُ العُيوب

قيل: الفقر مجمع العيوب. **وقال بعضهم**: وجدتُ خيرَ الدنيا والآخرة في شيئين، وشرّهما في شيئين، خيرهُما الغنى والتقى، وشرّهما الفقرُ والفجور.

---

(١) **المدقع**: الشديد الفقر.

(٢) **أخا الدنيا**: يعني صاحب المال، الذي تكون الدنيا إلى جانبه.

(٣) **المنهل**: المورد، **والمنهل العذب (هنا)**: المقصود ذو المال.

قال جرير:

تـرادفـهـم فـقـرٌ قـديـم وذلّـةٌ　　وشرّ الرديفات المذلّةُ والفَقْرُ[1]

وقيل: ما روي أجود من قول عروة في ذم الفقر:

ذريـنـي لـلـغـنـى أسـعـى فـإنّـي　　رأيـتُ الـنـاسَ شـرّهـم الـفـقـيـرُ

وما من خصلة تكون للغني مدحاً إلا وتكون للفقير ذماً. إذا كان حليماً، **قيل:** هو بليد، وإذا كان شجاعاً **قيل:** هو أهوج، وإذا كان لسناً **قيل:** مهذار. ولقد صدق من قال:

إن ضَـرَطَ الـمـوسِرُ فـي مـجـلسٍ　　قـالـوا لـه يـرحـمُـك الـلّـهُ

أو عـطسَ الـمفلسُ في مجلس　　سُـبّ وقـالـوا فـيـه مـا سـاه

فـمـضـرَطُ الـمـوسِر عـرنـيـنُـه　　ومـعـطـس الـمـعـسِرِ مَـفْـسـاه[2]

وقال حسّان:

ربّ حـلـم أضـاعـهُ عـدمُ الـمـا　　لِ وجـهـلٍ غـطّى عـلـيـهِ الـنـعـيـمُ

وكان **الحسن رضي الله عنه** إذا رأى المساكين، **قال:** هؤلاء مناديل الخطأ. **وقيل:** الخلّة[3] تقدح في الذهن وتغمز في العقل.

● **خفة الموت في جنب الفقر**

قيل: القبر ولا الفقر

ولا الموت خيرٌ للفتى من قعودهِ　　عديماً ومن مولى تدبّ عقاربُه[4]

وقال آخر:

خيرُ حـال الـفـقـير عـنـد ذوي الـ　　ـألـبـاب أن تـنـطـوي عـلـيـه الـقـبـورُ

وقال ابن طباطبا:

قـد يـصـبرُ الـحرُّ عـلى الـسـيْـف　　ويـجـزعُ الـحـرُّ مـن الـحَـيْـفِ

ويـؤثـرُ الـمـوتَ عـلـى حـالـةٍ　　يـعـجـزُ فـيـه عـن قِـرى الـضَّـيْـفِ

● **التعوذ من الفقر وكونه كالكفر**

كان النبي ﷺ يتعوذ من الكفر والفقر، فقال له رجل: أيستويان؟ **فقال:** نعم. كاد الفقر أن يكون كفراً. ودعا رجل لمسروق **فقال:** جنّبك الله الفقر وطول الأمل. **وقال سفيان:** كان من دعائهم اللهم زهّدنا في الدنيا ووسّعها علينا ولا تزوها عنا وترغبنا فيها.

وقالت المجوس: من لا مال له لا عقل له، ومن لا عقل له فلا دنيا له ولا دين.

---

(١) **ترادفهم:** تبعهم ولحق بهم ـ **الرديفات:** جمع رديفة، تبعات الأمور.

(٢) **عرنينه:** أنفه.　　(٣) **الخلّة:** الحاجة والفقر.

(٤) **العقارب:** الشدائد والمصائب.

● **عدم المجْد حيثُ عدمِ المال**

كان **طلحة رضي الله عنه يقول**: اللهم أرزقني مجداً ومالاً فلا يصلح المجد إلا بالمال، ولا يصلح المال إلا بالأفعال.

قال المتنبي وقد أخذ هذا المعنى:

فلا مجدَ في الدنيا لمَنْ قلّ مالهُ ... ولا مالَ في الدنيا لمن قلّ مجدُهُ

وقال هرم بن عمير التغلبي:

إنـي امـرؤ هـدم الاقـتـار مـأثـرَتـي ... واجتاحَ ما بثّتِ الأيامُ من خطَري[1]
أرومـةٌ عـطـلـتـنـي مـن مـكـارمِـهـا ... كـالقـوس عطّلَها الرامي من الوتَرِ

ومما يناقض هذا الباب قول جرثومة بن مالك:

فـتًى إن تـجـده مـعـوزاً مـن تـلادِه ... فليْس من الرأي الأصيلِ بمعوزِ[2]

وقال الأحنف:

وإن الـمـروءةَ لا تـسـتـطـاعُ ... لـمَـنْ لـم يـكُـنْ مـالُـه فـاضِـلا

● **صعوبةُ الفقر على ذي همّة وجود**

قيل لحكيم من أشقى الناس؟ فقال من اتسعت معرفته وضاقت مقدرته.

وقال أعرابي: لا تنظر إلى هيئتي وانظر إلى همّتي.

وقال الطرمّاح:

أرى نـفْـسـي تـتـوقُ إلـى أمـورٍ ... ويـقـصـرُ دون مـبـلـغـهِـنّ مـالِـي
فـنـفـسِـي لا تـطـاوعُـني لـبُـخْـلٍ ... ومـالـي لا يـبـلـغُـنـي فـعَـالـي

وقال المتنبي:

إلى اللّهِ أشكو لا إلى الناسِ أنني ... أرى صالحَ الأخلاق لا أستطيعُها
أرى خـلـة فـي إخـوةٍ وقـرابـةٍ ... وذي رحـمٍ مـا كـنْـت ممّن يضيعُها

وقال آخر:

أرى الدهرَ يجفوني ونفْسي عزيزةٌ ... وليْس معي زهْدٌ فأسْطو على الدّهرِ

● **صعوبةُ الفقر على متعودّي اليُسْر**

كان النبي ﷺ يتعوذ من الحور بعد الكور[3]، **وقال**: إرحموا ثلاثة، عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر وعالماً بين جهال.

---

(١) **الإكثار**: الحاجة والعوز ـ **خطري**: ارتفاع قدري.

(٢) **معوزاً من تلاده**: فقير المال، **والتلاد** الموروث من المال والمجد.

(٣) **الحور**: النقص والهلاك ـ **الكور**: الزيادة.

وقيل: جهد البلاء أن تزول النعمة وتبقى العالة ثم لا تعدم صديقاً مؤنباً وعدواً شامتاً وزوجة مختلفة وجارية مستبيعة وعبداً يحقّرك وولداً ينتهرك.

وأتى عبد الله بن معاوية بأسير، **فقال**: هذا هو جهد البلاء، **فقال الأسير**: كلا جهد البلاء فقر مدقع بعد غنى موسع.

● صعوبةُ مقاساة الجوع

قتل رجل بصفّين أبا امرأة وابنَها وأخاها وعمّها وعشرين من أهل بيتها، ثم أتت تسأله، **فقال**: ما أظن على ظهر الأرض أبغضَ إليك منّي، فقالت: بلى، إن الذي ألجأني إليك أبغضُ إليّ منك، وهو جوع بطني.

وأخذ رجل بلجام عبد الملك، **فقيل له**: ما جرأك، **فقال**: الجوعُ شجاع. **وقيل**: الجائع فقير ضيّق النفس والشبعان واسع الصدر غنيّ النفس.

● سترُ الحالِ في العسْرِ واليُسْر

قال عبد الملك للهيثم بن الأسود: كم مالك فلم يخبره به. فقيل له في ذلك، **فقال**: صاحب المال بإحدى منزلتين إن كان كثيراً حُسِد وإن كان قليلاً حُقِر. **وقيل**: رضي بالذلّ من كشف ضرّه وبالحسد من كشف يسره.

● شاكِ فقرَه

قال الحاركي:

من كانت الدنيا له شارة ... فنحن من نظارة الدنيا
نرمقُها من كثب حسرةً ... كأننا لفظٌ بلا معنى(1)

قال العطوي:

أنا طرح بين خلا ... ت حديداتِ النّصال(2)
بين دين وشتاءٍ ... وعيالٍ واختلالِ

وقال آخر:

من رآني فقد رآني ورحْلي

وقال آخر:

ومن عجبٍ أنّ حلْفَ الفسوق ... غِنى وقدْ أعدِم الأتقِياءُ

وقال مخنث: أنا عظيم البليّة أموت من حبّ رزقي، ويموت هو من بغضي.

● نادرةُ ماجنٍ شاكي الفقْر

شكا بعضهم فقره، **فقيل له**: احمد الله الذي رفع السماء بغير عمد، **فقال**: وددت

---

(1) **نرمقها من كثب**: ننظر إليها من قرب.

(2) **خلاّت**: صديقات ـ **حديدات النصال**: كناية عن ضراوة وقعها عليه.

أنه وسع رزقي وجعل بين كل ذراع أربع أسطوانات، فليس لي دار يضيقها. سمع صبي فقير امرأة في جنازة تقول: يذهبون بك إلى بيت ليس له غطاء ولا وطاء ولا عشاء ولا غداء ولا سراج، فقال الصبي: يا أبتِ إنهم يذهبون به إلى بيتنا. وقيل لمزبد: بع قطيعتك، فقال له: ما ملكت قط إلا قطيعة الرحم، قيل له ما عندك من آلة الخبيص، قال: الماء، وقيل له ما أعددت للبرد، قال: الرعدة.

- **متعذرٌ لفقره بأنّ الجودَ فرق ماله**

طلب قوم ابنَ هرمة فلم يجدوه في منزله فقالوا لابنته: أقرينا، قالت: مالنا شيء، قالوا فأين قول أبيك:

لا أمتع العود بالفِصال ولا أبتاعُ إلا قصيرةَ الأجَلِ

قالت فذلكم الذي منعكم القِرى.

قال دعبل:

قالت سلامةُ أينَ المالُ قلتَ لها المالُ ويحَك لاقى الحمْد فاصطحَبا
الحمدُ فرّقَ مالي في الحقوق فما أبقين ذماً ولا أبقت له نشَبا[1]

وقال جحظة:

جاءَ الشتاءُ وما عندي له ورق مما وهبت ولا عندي له خِلَعُ[2]
كانت فبدّدها جودٌ ولعتُ به وللمساكينِ أيْضاً بالنّدى وَلَعُ[3]

- **منْ نسيَ فقرَه بعْد زوالِه**

قال شاعر:

يعيشُ الفتى بالفقْر يوْماً وبالغِنى وكلّ كأنْ لم يلقَ حينَ يزايلُه[4]

وقال آخر

كأن الفتى لم يعرَ يوماً إذا اكتسَى ولم يكُ صعْلوكاً إذا ما تموّلا

- **تأسّفُ من ضيَّعَ ماله ثم احتاج إليه**

وكانَ المالُ يأتِينا فكنّا نبذّرهُ وليْس لنا عُقولُ
فلمّا أن تولّى المالُ عنّا عقَلْنا حينَ ليْس لنا فُضولُ[5]

- **تأسّفُ من وجد خيراً لم ينتفِع به**

قال القلابي: دخلت على الجاحظ في منصرفي من عند السلطان، وقد حسنت حاله

---

(١) ذماً: لوماً ـ النشب: المال الأصيل.
(٢) خِلع: ثياب.
(٣) ولعت به: علقت به ـ الندى: الكرم.
(٤) يزايله: ينتقص ويزول.
(٥) الفضول: ما لا فائدة منه.

واشتدّت علته، فسألته، فقال: كنا إذا أردنا لم نجد حتى إذا وجدنا لم نرد.

● **الموصوفُ بالفقر والجهل**

وقال شاعر:

يـظـلّ عـديـمَ أمـوالٍ ولُـبّ ... يـرقّ لـه الـمُـكـاشِـحُ والـمُـعـادي[1]

وسئل أعرابي عن رجل، **فقال:** ماله حول ولا معقول ولا مال ولا حال.

● **ذمّ دنيء تموّل**

إذا أيسر الدنيء ابتلي به ثلاثة، صديقه القديم يفارقه، وامرأته يتسرّى عليها وباب داره يغيّره، **وقد نظم ذلك في قوله:**

إذا استغنى الوضيعُ ونالَ جاهاً ... وأنكرَ نخوةً في الناس نفْسَه

حبا خلصانَ إخوته جفاءً ... وغيّر بابَه وأبانَ عِرْسَه[2]

أخذه من ابن أبي البغل:

إذا ما ساقِطٌ أثرى تعدّى ... وأنكر قبْلَ كلّ الناسِ نفسَه

وغيّر بابَ منزلِه وأربى ... على جيرانِه وأبانَ عِرْسَه

قال عمرو بن العاص: لأن يسقط ألف من العِلْية خير من أن يرتفع واحد من السفلة.

وقال البحتري:

محاريب الدنيا نباهَةُ جاهلٍ ... فلا ترتَقِبْ إلا خمولَ نبيهِ

● **النهيُ عن البطَر عند الغنى وذمّ ذلك**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[3] **وقيل:** البطر يقتضي الفقر والنظر يقتضي العبر. **وقيل:** أكثر شكر الله على نعمهِ فالبطر من قلّة الشكر.

وقال شاعر:

خُلقان لا أرضى طريقَهما ... خلقُ الغِنى ومذلّةُ الفَقْرِ

فإذا غنيتَ فلا تكُنْ بطِراً ... وإذا افتقرتَ فتِهْ على الدّهرِ[4]

وفي كتاب كليلة: لا يبطر العاقل لمنزلة أصابها كالجبل الذي لا تزلزله الرياح الشديدة والسخيف تبطره أدنى منزلة كالحشيش الذي تحركه أدنى الرياح.

---

(١) **المكاشح:** من كاشح: وهو المعادي.

(٢) **العرس:** الزوجة، **وقوله أبان عرسه:** أي فارق زوجه وتعلّق بأخرى.

(٣) **القرآن الكريم:** العلق/٦.

(٤) **فتِه على الدهر:** أي تكبّر على الزمان، والتيه الزهو والكِبر.

وقيل: سوء حمل الغنى أن يكون الفرح مرحاً وسوء حمل الفقر أن يكون الطلب شرهاً. **وقيل**: حمل الغنى أشدّ من حمل الفقر ومؤنة الشكر أصعب من مشقة الصبر.

وقال بعضهم في من لا يبطر ولا يمكنه ستر غناه:

تأبى الدراهمُ إلا كشفَ أرؤسِها ... إن الغنى طويلُ الذيلِ ميّاسُ[١]

وقال المرقّش:

إنْ يخصِبوا يعيوا بخِصبِهم ... أو يُجدِبوا تجديهم الأم[٢]

وقال الخبزارزي:

قد كانَ في حالِ محسودٍ فأبطَرَه ... طغيانُه فاغتدَى في حالِ مرْحومِ

وقال مسلم بن الوليد:

فالكلبُ إن جاعَ لم يعدمْك بصْبصَةً ... وأن ينَل شبعةً ينبَح على الأثرِ[٣]

● **مدح من لا يبطره اليسر ولا يدقعه الفقر**

وقال هدبة:

ولستُ بمفراحٍ إذا الدهرُ سرّني ... ولا جازعٍ من صرفِه المتقلّبِ

وقال طرفة بن العبد:

إن نَنَلْ منفَسَةً لا تلفِنا ... ترف الخَيْلِ ولا نَكْبو لضُرّ[٤]

وقال الزبير بن الأسدي:

ولا يراني على ما ساء مكتئِباً ... ولا يراني على ما سرّ مبْتهِجا

ومثله:

فتىً إنْ هوَ استغنى تحذّقَ في الغِنى ... وإن قلّ مالاً لم يضعْ سنةَ الفقرِ[٥]

● **اجتناب عرض الدنيا**

قيل: العاقل من لا يجزع من قعود الدهر به علماً بأن مراتب الأقسام توضع على قدر الأفهام. **وقيل**: وكل الله الحرمان بالعقل، والرزق بالجهل ليعلم العبد أن ليس له من أمر الرزق شيء.

---

(١) **طويل الذيل**: غني - **مياس**: مختال في مشيه.

(٢) **يعيون**: يتعبون - **يجدبون**: يصيبهم الفقر.

(٣) **بصبص الكلب**: حرّك ذنبه.

(٤) **المنفس**: النفيس من المال والثروة - **لا تلفنا**: أي لا تجدنا - **نكبو**: نسقط - يفتخر طرفة برزانة قومه فهم لا يبطرون في الرخاء، ولا يكبون في الشدائد.

(٥) **تحذق**: صار حاذقاً ماهراً.

وقيل: أبت الدنيا أن تعطي أحداً ما يستحقه، إمّا محطوط عن درجته أو مرفوع فوق قدره. **وقيل لأفلاطون**: لم لا يجتمع العلم والمال، فقال لعزّة الكمال، **قال**:

ومن الدليلِ على القَضاء وكونه ... بؤسُ اللبيبِ وطِيبُ عيْشِ الأَحْمَقِ

وقيل: من أعطاه الله عقلاً احتَسب عليه من الرزق، وقيل لو جعلَ الله المالَ للعقلاء مات الجهال، فلما جعله في أيدي الجهال استقلّهم العقلاء واستنزلوهم عنه بلطفهم. وقد تقدم في باب العقل شيء من هذا.

● **علّة مَيْل الدنيا إلى الأنْذال**

قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه: الدنيا نذلة تميل إلى الأنذال. **وقال حكيم**: إذا أردت أن تزهد في الدنيا فانظر عند من هي. **وقال النظّام**: مما يدل على لؤم الذهب والفضة كثرة كونهما عند اللئام فالشيء يصير إلى شكله ومن هنا أخذ **المتنبي قوله**:

وشِبْه الشيءِ منجَذِبٌ إليْه ... وأشْبَهُنا بدُنيانا الطَّغامُ(١)

وقال حسان:

المالُ يغْشى رِجالاً لا طباعَ لهُم ... كالسيْلِ يغْشى أصولَ الدندَنِ البالي(٢)

وقال أبو تمّام:

لا تنكِري عطْلَ الكريمِ من الغِنى ... فالسَّيْلُ حرْبٌ للمكانِ العالِي

وقال ابن الرومي:

رأيتُ الدهرَ يرفَعُ كلّ وغْد ... ويخفِضُ كلّ ذي رتَبٍ شريفَه(٣)

كمثْلِ البحْرِ يرسُبُ فيه حيٌّ ... ولا ينفكُّ تطْفو فيه جِيفَه(٤)

وكالميزانِ يخفِضُ كلّ وافٍ ... ويرفَعُ كلّ ذي زِنَةٍ خفيفَه

● **معاتبةُ الدهْرِ لتقديمِ جاهلٍ وتأخيرِ فاضل**

وقال جحظة البرمكي:

غلطَ الدهْرُ بما أعطاكُم ... وفعالُ الدهْرِ جهْلٌ وغلَط

وقال الموسوي:

ومما يحلِّلُ ذمّ الزما ... ن إقصَاؤه الأفضَلين الخِيارا

---

(١) **الطغام**: أرذال الناس.

(٢) **الدندن**: النبات الأسود لتقادم عهده.

(٣) **وفي رواية**: كل ذي زنة في موضع رتب.

(٤) **وفي رواية**: درّ في موضع حيّ.

وقال أبو حاتم:

أظنّ الدهرَ قد آلى فبرّا ... بأنْ لا يكسِبَ الأموالَ حُرّا[1]
لقد قعَدَ الزمانُ بكلّ حُرٍّ ... ونقّصَ من قُواه ما استمرّا

وقال أبو تمّام:

لقد ساسَنا هذا الزمانُ سياسةً ... سدى لم يسسْها قطّ عبْد مجدّعُ[2]
حلّتْ نطفٌ منها النكس وذو الحِجى ... يداف له سمٌ منَ العيْشِ منقعُ[3]
فإنْ نكُ أُهمِلْنا فاضعفْ بسعينا ... وإن نك أجيزنا ففيمَ نتعتعُ[4]

وما أحسن ما قال:

ليسَ المقلّ على الزمانِ براضٍ ... ومنَ السخْفِ قولُ التماري[5]

وقيل:

أرى فقحَةَ الدنيا على معشر تخرى ... فإن أقبلَتْ نحوي رأيتُ بها خضْرا

ومن الجيد في هذا **قول عابدة المهلبيّة ويروى للمهلبي:**

ألستَ ترى استراقَ الدهر حظّي ... وكيفَ يُفيتُ في أدبِ الخَمُول
أأبغي العونَ منه وهو خصْمي ... كما استبكَتْ ضرائرَها الثّكُول[6]

وقال رجل لمنجم: أنظر في نجمي هل ترى لي غنى؟ **فقال:** دع عنك هذا فإن الدهر مشغول بالسفل فلا يتفرغ إلى أحد. **وقيل:** الدهر لا يعطي أحداً ما يستحقه إما أن يزيده أو ينقصه.

● معاتبةُ القَدرِ في ذلك

قال أبو العيناء لرجل سأله: ما بال الركيك الأحمق يرزق والأديب يحرم؟ **فقال:** لأن هذا الدنيا دار اختبار وأحب الرازق أن يعلمهم أن الأمور ليست لهم، فإن غلات السواد تباع بكف أنموذج فهلا اكتفى في ذلك بنقرة.

وقال جحظة:

يا ربّ إن الشكوكَ قد علقَت ... أوكارَنا والشكوكُ تعترِضُ
وغدٌ له نعمَةٌ مؤثّلةٌ ... وسيّدٌ لا يزال يعترِضُ

---

(١) **آلى فبرا:** أقسم فوفى بقسمه. (٢) **عبد مجدع:** عبد مقطوع الأذن أو الشفة.
(٣) **ذو الحجى:** ذو العقل ـ **يداف:** يخلط له السم مع الماء.
(٤) **تتعتع:** نتلجلج في الكلام. (٥) **التماري:** التعادي والبغض.
(٦) **الثكول:** الفاقدة ابنها.

فنحن من قبحِ ما نشاهدُه ... من معشرٍ في قلوبِهم مَرَضُ

وقال عبدان:

لقوله نحنُ قسمنا ... بينَهم زال المرا[1]

ولو تولّى غيره ... قسمة أرزاق الورى

جرتْ حظوظ بينَنا ... لكننا تحتَ العرا

وقيل: إذا رأيت الجاهل مرزوقاً والعاقل منحوساً فاعلم أن بين السماء والأرض أكراداً يقطعون الطرق. وقيل لمدني شكا الفقر احمد الله فإنه رزقك الإسلام والعافية، **فقال:** أجل لكن جعل بينهما جوعاً تقلقل منه الأحشاء. **قال شاعر:**

يا حجةَ الله في الأرزاقِ والقسم ... ومحنة لذوي الأخْطار والهِمَم

تراكَ أصبحتَ في نعماء سابغةٍ ... إلا وربّك غضبان على النعمِ[2]

وقال آخر:

عجباً للناس في أرزاقِهم ... ذاك عطشانٌ وهذا قدْ غرِق

- **سؤال الله تعالى الغني بغلظة مقال**

قال الأصمعي: رأيت بالموقف أعرابياً قد رفع يده إلى السماء، **وهو يقول:**

أما تستَحِي يا خالِق الخَلْقِ كلّهم ... أناجيك عريْاناً وأنتَ كريمُ

أتـرزقُ أولادَ اللئامِ كما ترَى ... وتتركُ شيْخاً من سُراة تميمِ

فقلت له: ما هذه المناجاة؟ **فقال:** إليك عني فإني أعرف من أناجيه، إن الكريم إذا هز اهتز. فرأيته بعد أيام عليه ثياب حسنة، **فقال لي:** ألست ترى الكريم كيف أعتب.

ودعا أعرابي، **فقال:** يا رب إن كنت تدع رزقي لهواني عليك فنمرود كان أهون مني، وإن كنت تدعه لكرامتي عليك فسليمان بن داود كان أكرم مني، **فقيل له:** أخذت الحبل بطرفيه.

(٧)

وممّا جاء في الزهد ومدح الفقر وذم الغنى

•

- **حقيقةُ الزهد والحرصِ واليقين**

قال النبي ﷺ: ليس الزهادة في الدنيا تحريم الحلال ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق ممّا في يدك.

---

(١) زال المرا: (٢) سابغة: وافية.

سئل حكيم عن الزهد، **فقال**: أن لا تطلب المفقود حتى تفقد الموجود. **وقيل**: ظلّف النفس عن الشهوة. **وقال سفيان**: هو قصر الأمل لا أكل الغليظ ولبس العباء.

وقال يونس بن حبيب: هو ترك الراحة. وسئل الجنيد عنه، **فقال**: خلو الأيدي من الأملاك وخلو القلب من التتبع. وسئل مرة، **فقال**: ترك ما في الدار على من في الدار.

وذكر الزهد عند الفضيل، **فقال**: هو حرفان في كتاب الله تعالى: لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم. وهذا يوافقه قول من قيل له من الزاهد؟ **فقال**: من لم يغلب الحرام صبره ولا الحلال شكره.

وسئل الجنيد رحمه الله عمّن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مص نواة، **فقال**: المكاتب عبد ما بقي عليه درهم.

وقال يحيى: الزاهد هو الذي بلغ من حرصه في تركها حرص الحريص في طلبها.

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: الزهد ثلاثة، زهد فرض وذلك في الحرام وزهد فضل وذلك في الحلال وزهد سلامة وذلك في الشهوات.

وقيل: أصل القناعة والزهد اليقين، فمن أيقن قنع وزهد **وقال ذو النون**: الزهد الاستخفاف بثلاثة أشياء بالنفس والشيء والخلق فإذا استخف بالنفس عزّ به وإذا استخف بالشيء ملكه، وإذا استخف بالخلق خدمه. **اليقين** ترك التدبير فيما لا تملك. **الحرصُ** طلب ما في يد الغير. **وقيل**: الحرص تضييع الكثير وطلب القليل.

● حقيقةُ التوكّل ووصفهُ

قيل: التوكل هو الاعتماد على الحقّ والتخلّي من الخلق. **وقيل**: الاستسلام لما قضى. **وقيل**: الثقة بالله فيما ضمن. وقيل: الاكتفاء بضمانه وإسقاط التهم في قضائه.

وقيل للحارث ما علامة المتوكل؟ **فقال**: أن لا يحركه إزعاج المستبطىء فيما ضمن له من رزقه، **فقيل له**: هل ينقص من توكله قصده من يسد جوعته، **فقال**: لا، لأن النبي ﷺ خرج فلقيه أبو بكر وعمر، **فقال**: ما الذي أخرجكما، قالا الجوع، **فقال**: أخرجني الذي أخرجكما، فدخلوا منزل أبي الهيثم فأكلوا وشربوا.

وقيل: التوكُّل الانقطاع إلى الله تعالى في إيصال النعماء ودفع البلاء، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(١)

خيّر يوسف عليه السلام بين خصلتين، فاختار إحداهما، فقيل له: اخترت فتركناك مع اختيارك فبقي في السجن ما بقي.

● ذمّ المال

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾(٢) وقال المسيح عليه السلام: لا خيرَ

---

(١) القرآن الكريم: الأنفال/ ٥٠. (٢) القرآن الكريم: الأنفال/ ٢٨.

في المال، فقيل: ولم يا روح الله؟ فقال: لأنه يجتمع من غير حلّ. قيل: فإن جمع من حلال؟ قال: لا يؤدي حقّه، قيل: فإن أدى حقه، قال لا يسلم صاحبه من الكبر والخيلاء، قيل فإن سلم قال: يُشغل عن ذكر الله، قيل: فإن لم يشغل، قال: يطول عليه الحساب يوم القيامة.

وذكر المال عند أفلاطون، فقال: ما أصنع بما يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم ويهلكه الكرم؟ وقيل لآخر، فقال: ما أصنع بشيء يجيء بالإتفاق لا الإستحقاق، والزهد والجود يأمران بإتلافه والشؤم والبخل يأمران بإمساكه.

وقال النبي ﷺ: تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس ولا انتعش. وإذا شيك فلا انتقش.

وقال أبو الدرداء: أعوذ بالله من تفرقة القلب، قيل وما تفرقة القلب؟ قال: أن يكون للإنسان مال في كل واد. وقال النبي ﷺ: من رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله منه باليسير من العمل.

● **كثرةُ المال سببُ الهَلاك**

وقال ابن طباطبا:

إنّ في نيْل المُنى وشك الرّدى ... وقياسُ القصْد ضدّ السّرَفِ[1]
كسراجٍ دهنُه قوتٌ لهُ ... فإذا غرّقته فيه طُفِ[2]

وقال ابن الرومي:

ألمْ ترَ أن المالَ يُهلكُ أهلَه ... إذا جم آتيه وسُدّ طريقُه[3]
ومن جاوزَ الماءَ الغزيرَ مجمّهُ ... وسُدّ سبيلُ الماءِ فهو غريقُه[4]

وقيل: صاحب الدنيا كدودة القز لم يزدد الأبريسم على نفسه إلاّ زاد من الخلاص بعداً. وقال عبد الله بن رؤبة:

يرى راحةً في كثرةِ المال ربّه ... وكثرةُ مالِ المرْء للمرْء متعِبُ
إذا قلّ مالُ المرْء قلّت همومُه ... وتشعبه الأموالُ حين تشعَبُ

● **كون العدم نعمة وبسط الدنيا نقمة**

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾[5] وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ﴾[6] وفي بعض المناجاة: يا من منعه عطاء. وقال رسول الله ﷺ:

---

(١) وشك الردى: سرعة مجيء الموت.
(٢) طفِ: أي انطفأ وذهب نوره.
(٣) إذا جم آتيه: تركه صاحبه يتجمّع.
(٤) مجمّه: المجمّ: الصدر.
(٥) القرآن الكريم: الشورى/ ٢٧.
(٦) القرآن الكريم: المؤمنون/ ٦٥.

يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام، وقال ابن أبي عيينة:

لا تشعرنّ قلبَك حبّ الغِنى ... إنّ من العصمة أنْ لا تجد
كمْ واجد أطلقَ وجدانُه ... عنانَه في بغض ما لَمْ يَرِد[1]

وقال الحسن رضي الله عنه: ما بسط الله على أحد دنياه إلاّ اغتراراً، ولا طواها عنه إلا اختباراً. **وقال بعضهم**: نعمة الله علينا فيما طواه عنا أعظم من نعمته علينا في ما بسطه لنا.

وقال محمود الوراق:

من شرفِ الفقْر ومن فضْله ... على الغِنى لو صحّ منْك النّظَرْ
أنك تعصي لتنالَ الغنى ... ولسْتَ تعصي الله كي تفتقِرْ

وقال عبدان:

تبيّن فضلُ الفقْرِ عندي على الغِنى ... بواحدةٍ فيها عزاءٌ لذي حجَرِ
متى متّ لم آسَف على فقْد نعمةٍ ... يودّ الفتَى من أجلِها المدّ في العُمُرِ

● صنوفُ الفقْر وما يُحْمَد منه:

قيل: الفقر على ثلاثة أقسام، فقر الخلق إلى الله وعدم الأملاك لعرض الدنيا والحرص وهو فقر الناس إلى الناس، وهو الذي استعاذ منه النبي ﷺ، والمشار إلى فضله ما حُكي عن الجنيد أنه قيل له: متى يكون الفقير مستوجباً لدخول الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام؟ **فقال**: إذا كان موافقاً لله تعالى، يعد فقره نعمة يخاف على زوالها مخافة الغني على زوال نعمته وغناه، مستغنياً بربّه، كما قال تعالى للفقراء: ﴿ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[2] الآية.

● نفيُ العارِ بالفقْر

كان النبي ﷺ يقول: اللهم أحيني مسكيناً وأمِتْني مسكيناً واحشُرْني في زمرة المساكين. وكان ﷺ يستنصر بصعاليك المهاجرين، **وقال ﷺ**: اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء، وقال العطوي:

ما الفَقْر عارٌ إنّما العارُ الثرا والبخْلُ[3]

---

(١) **أطلق له العنان**: أرسله وتركه منطلقاً.
(٢) **القرآن الكريم**: البقرة/ ٢٧٣.
(٣) **الثرا**: الثراء، الغنى.

وقال رجل من بني قريع:

وكـائـن رأيـنـا مـن غـنـي مـذمّـم ... وصـعـلـوكِ قـوم مـاتَ وهـو حَـمـيـدُ

وقال أبو تمّام:

لا يـحـسَـبِ الإقـلالَ عـدمـاً بـل يَـرى ... أن الـمـقـلَّ مـن الـمـروءة مُـعْـدَمُ[1]

● طيبُ عيشِ مؤثرِ الفقر وعزّتُه وفضلُهُ

كان سقراط فقيراً، **فقال** له بعض الملوك: ما أفقرك؟ **فقال**: لو عرفت راحة الفقر لشغلك التوجع لنفسك عن التوجّع لي، فالفقر ملك ليس عليه محاسبة. **وقيل** له: لِم لا يرى أثر الحزن عليك؟ **فقال**: لأني لم أتخذ ما إن فقدته أحزنني. **وقال بعض الحكماء**: من أحبّ أن تقلّ مصائبه فليقل قنيته للخارجات من يده، لأن أسباب الهمّ فوت المطلوب وفقد المحبوب، ولا يسلم منهما إنسان، لأن الثبات والدوام معدومان في عالم الكون والفساد. وبهذا ألمّ ابن الرومي، **فقال**:

ومـن سـرّه أن لا يـرى مـا يـسـوؤه ... فـلا يـتّـخِـذْ شـيـئـاً يـخـاف لـه فـقْـداً

حُكي أنه لما غرقت البصرة أخذ الناس يستغيثون، فخرج الحسن رضي الله عنه ومعه قصعة وعصا، **فقال**: نجا المخفّون. وقال بعض الزهاد، وقد قيل له أترضى من الدنيا بهذا؟ **فقال**: ألا أدلك على من رضي بدون هذا؟ قال: نعم، **قال**: من رضي بالدنيا بدلاً من الآخرة.

وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله: أترضى بالدون، **فقال**: إنما رضي بالدون من رضي بالدنيا وترك الآخرة.

● طيبُ عيشِ من قنعَ بما رُزِق

سئل الفرغاني عن الفتوّة، **فقال**: هو أن يكون في كل وقت بشرطه. وقيل لبزرجمهر أي الناس أقل هماً، **فقال**: ليس في الدنيا إلا مهموم، ولكنّ أقلهم هماً أفضلهم رضا وأقنعهم بما قسم.

وقيل لبعضهم: من أنعم الناس عيشاً؟ **فقال**: من رضي بحاله ما كانت. **وقيل**: من رضي بما قسم له كان دهره مسروراً. وقيل لابن عوف ما تتمنى؟ **فقال**: أستحي أن أتمنى على الله ما ضمنه لي، قال بعض النقّاد:

دُنـيـا تـخـادِعُـنـي كـأنّـي ... لـسْـتُ أعـرفُ حـالَـهـا
حَـظَـرَ الإلـهُ حـرامَـهـا ... وأنـا احـتـمـيْـتُ حـلالَـهـا[2]

---

(١) **الإقلال**: قلة المال ـ **عدماً**: فقراً ـ **يقول** ليس المعدم من كان يفتقر إلى المال، بل هو المفتقر إلى المروءة.

(٢) **الحظر**: المنع ـ **احتمى الشيء**: اتقاه.

وَوَجَدْتُهَا مُحْتَاجَةً ... فَوَهَبْتُ لَأُمَّتِهَا لَهَا

- **كونُ الدنيا عبداً لمن زَهِد فيها**

قال زاهد لملك: أنت عبد عبدي لأنك تعبد الدنيا لرغبتك فيها، وأنا مولاها لرغبتي عنها وزهدي فيها. ويقوي ذلك ما رُوي عن النبي ﷺ أن الله أمر الدنيا **فقال**: من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه. **وقيل**: من زهد في الدنيا ملكها ومن حرص عليها أملكها. **وقال الحسن رضي الله عنه**: أهينوا الدنيا فوالله لأهنأ ما تكون حين تهان.

وقال أبو العتاهية:

أرى الدنيا لِمَنْ هي في يديْه ... عذاباً كلما كثُرَت لديْهِ
تهينُ المكرِمين لها بصُغْرٍ ... وتكرِمُ كلَّ من هانَتْ عليْهِ
إذا استغنيتَ عن شيءٍ فدَعْهُ ... وخذْ ما أنتَ محتاجٌ إليهِ

- **الحثّ على التوكّل في أمرِ الرزقِ وتركِ الحرص**

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن في القرآن آية لو أن جميع الناس أخذوا بها لكفتهم في القناعة. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[(1)]

وسئل بزرجمهر عن الرزق، **فقال**: إن كان قد قسم فلا تعجل وإن كان لم يقسم فلا تتعب. **وقال الحسن رضي الله عنه**: الحريص الجاهد والقنع الزاهد كلاهما مستوف حظّه، وأكله غير منتقص ما قدر له، فعلام التهافت في النار؟

وقال النبي ﷺ: لو توكلتم على الله حقّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً[(2)] وتروح بطاناً[(3)] وقيل للحارث كيف قال ذلك والطير تغدو في طلب الرزق وتروح؟ **فقال**: مهلاً إن الطير يأخذ في الحوصلة وأنت لا تقنع بذلك، مع أن الطير لم يخاطب بالضمان منه لرزق ولم ينزل عليه كتاب.

وقال سهل بن وهبان: لا تكونوا للمضمون مهتمين. وقال أعرابي لآخر رآه حريصاً: يا أخي أنت طالب ومطلوب، يطلبك طالب ولن تفوته وتطلب ما كفيته كأنك لم تر حريصاً محروماً ولا زاهداً مرزوقاً.

وقال آخر: إنك لا تدرك أملك ولا تسبق أجلك ولا تغلب على رزقك ولا تعطي حظ غيرك، فعلام تهلك نفسك؟ لكل صباح صبوح ولكل عشاء عشاء. وفي بعض كتب الله: يا ابن آدم لو أن لك الدنيا كلها لم تنل منها إلا القوت فإذا أعطيتك القوت، وجعلت حسابه على غيرك ألم أكن محسناً إليك.

---

(١) **القرآن الكريم**: الطلاق/٣.

(٢) **خماصاً**: أي ضامرة البطن من الجوع.

(٣) **بطاناً**: أي ممتلئة البطن.

● من قلّ تفكّرُه في أمرِ الأرزاق وتوكّل على الرزّاق

قيل لصوفي من أين رزقك؟ **قال**: الذي خلق الرحى يأتيها بالطحين. وقيل لآخر، **فقال**: من كدك على رغم أنفك رب ساع لقاعد. وقيل لزاهد من أين المطعَم؟ **فقال**: من عند المنعم، **فقال**: هل بالقرب من يأتيك برزق من قوم؟ قال يأتيني به من لا تأخذه سنة ولا نوم.

وأتى رجل إلى شقيق البلخي يطلبه، فقالت امرأته قد خرج إلى الجهاد، **فقال**: وما خلف عليكم؟ **فقالت**: أرزاق شقيق أو مرزوق؟ **فقال**: بل مرزوق، **فقالت**: إن المرزوق خلف علينا الرزاق. يا هذا لا تعد إلينا فتفسد على الله قلوبنا، وسئل آخر **فقال**:

إن الذي شقّ فمي ضامِنٌ ... لي الرزقَ حتى يتوفاني

وسئل أحمد بن الجلاء عن قوم يدخلون البادية بلا زاد، **قال**: هم رجال الحق، **قيل**: فإن هلك أحدهم، **قال**: الدية على العاقلة. **وقال عبد الواحد بن زيد**: اجتزت بجبل لكّام[1] فرأيت جارية سوداء عليها جبة صوف، قلت من أين؟ **قالت**: من عند من لا تخفى عليه خافية، **فقلت**: إلى أين؟ **قالت**: إلى من يعلم السرّ وأخفى، فقلت ليس معك زاد، فنظرت إليّ شزراً وقالت:

من قصدَ الله لا يُبالي ... بأيّ أرض بها يموتُ

ولم يخامِرْه فسخ عزم ... إن هو أبطأ عليه قوت[2]

روي عن النبي ﷺ أنه ذكر عنده أن قوماً من اليمن يحجون بلا زاد، **فقال**: أليس قد قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[3]. وقيل: عجباً لمن آمن بكتاب الله تعالى ثم رفع بعد سماعه لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾[4] حاجة إلى غير الله تعالى.

● تبكيتُ من يشفِقُ لفقدِ القوتِ ويبكي لضُرّ

شكا رجل إلى الحسن سوء الحال وجعل يبكي، فقال الحسن: يا هذا كل هذا اهتماماً بأمر الدنيا، والله لو كانت الدنيا كلها لعبد فسلبها ما رأيتها أهلاً لأن يُبكى عليها، قال كشاجم:

لا تغدُ كلاً واجتَنِبْ ... أمراً يخافُ العبدُ عارَه[5]

وإذا عدِمْتَ من المآ ... كلِ كلّها فكلِ الحِجارَه

---

(١) جبل لكّام: شديد، وهذا استعارة من قولهم: رجل لكّام أي صلب يكسر الحجارة.

(٢) فسخ عزم: فساد وضعف.

(٣) القرآن الكريم: البقرة/١٩٧.

(٤) القرآن الكريم: الحجر/٢١.

(٥) الكل: المتعب، والذي لا ولد له ولا والد.

- **ذمّ المشتغِل برزقِ مستقبل الزّمان**

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: لا تجعل همّ يومك لغدك فإن غدك إن كان من أجلك يأتي الله برزقك. **وقيل**: إذا طالبتك نفسك برزق غد فقل هاتي كفيلاً بالغد.

وقال شاعر:

إن ربّاً كانَ يكفيكَ الذي ... كانَ بالأمسِ سيكفيك غدَك

وقال آخر:

ولا يكُنْ همُّكُمْ في يومِكم لِغَد

وقال آخر:

من كانَ لم يغطَ علماً في بقاءِ غدٍ ... ماذا تُفكرُه في رزق بعْدَ غَد

- **النهيُ عن النظر إلى من هوَ فوقَه**

روي في الخبر: أنظر إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري بنعمة الله. وقال الضحاك: خصلة من وُفّق لها وفق لحظة من نظر في دنياه إلى من هو دونه فاستكثر قليل ماله.

- **نُهي ذوي عيالٍ عنِ الاهتمام برزقِهم**

شكا رجل إلى الشبلي عياله، **فقال**: له إرجع إلى بيتك، ومن لم يكن منهم رزقه على الله فأخرجه من دارك. وقيل لرجل كان كثير الحاشية: لو أخرجت بعضهم لكان يكثر مالك، فهمّ بذلك فرأى ليلة في المنام كان العيال الذين همّ بإخراجهم يدخلون بيته ويخرجون دقيقاً يحملونه، فسألهم عن حمل ذلك فقالوا هذا رزقنا نخرجه من دارك إلى من يتكفل بنا، فانتبه وعلم خطأ عزمه فقارّهم وزاد لكل منهم.

- **مدحُ منْ لا يدّخِر**

أتى عمر رضي الله عنه بمال **فقال**: له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لو حبست من هذا المال في بيت المال شيئاً لنائبة، **فقال**: كلمة ما عرض بها إلا شيطان لقنني الله حجتها ووقاني فتنتها، أأعصي الله العام مخافة القابل[1] أعد لهم تقوى الله، قال تعالى: ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ولتكونن فتنة على من بعدك. قال النابغة:

ولست بخابىءٍ لغدٍ طعامَاً ... حذارَ غدٍ، لكلّ غدٍ طعامُ[2]

وأخذه الآخر فقال:

إن كانَ عندك رزقُ اليوْمِ فاطرحَنْ ... عنكَ الهمومَ فعند الله رزقُ غد

---

(١) **القابل**: أي العام المقبل. (٢) **حذار غدٍ**: أي خوف الغد.

وقال آخر:

رزق غـدٍ يـأتـي مـعـه

وقال آخر:

لأصبرنّ على عُسْري وميسَرتي   يوماً بيومٍ كمَا تحيَى العصافيرُ

● نهيُ من لا عيالَ له عن الاهتمامِ بالمعِيشة

قيل: : لا تهمنك المعيشة ما كنت وحدك، فإن المرء يعيش بالبقلة كما يعيش بالكسرة، ويروى بالمذقة[1] كما يروى بالضرع[2] وقيل: قلة العيال أحد اليسارين.

● طيبُ عيشٍ من لا مالَ له ولا عِيال

وقال أبو حازم:

فلا ولد يروعُني بسُقْم   ولا مالٌ على شرف الثواءِ[3]
ولا لي صاحِبٌ أبكي عليْه   ولا عقِبٌ أُخَلِّفُ من وَرائي

وقال ابن عبد القدوس:

الله أحمَدُ شاكراً   فبلاؤه حسنٌ جميلُ
أصبحت مستوراً معا   في بين أنعمِه أجولُ
خلواً من الأحزان خفّ   الظهر يقنعُني القليلُ
حراً فلا منٌّ لمخلوقٍ   عليَّ ولا سبيلُ
ونفيتُ باليأس المُنى   عنّي فطابَ لي المَقيلُ

● طيبُ عيشِ مَن عندَه قوتُ يومه

قال رسول الله ﷺ: من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها. وقال سفيان رضي الله عنه: مَنْ كان عنده قوت يومه فليس بفقير.

وقيل: من أُعطي القوت فطلب مالاً كمن أعطي السلامة فطلب المال، فإن المال ألم.

وقال شاعر:

إذا ما أصبْنا كلّ يوم مذيقةً   وخمْسَ تُمَيراتٍ صغارٍ جوائز
فنحْنُ ملوكُ النّاس خصْباً ونعمَةً   ونحْن أسودُ الغِيل عنْد الهزاهزِ[4]

وقال آخر:

أراني وقارونا سويين في الغِنى   إذا كانَ عنْدي ما يزجّى به الوَقْتُ[5]

---

(١) المذقة: اللبن الممزوج بالماء.   (٢) الضرع: مدرّ اللبن للنساء والبقر وهو كالثدي للمرأة.

(٣) يروعني بسقم: يخيفني بمرض - الثواء: الإقامة في المكان.

(٤) الهزاهز: الفتن والبلايا التي يقع فيها الناس - يزجي به الوقت: يسهل مروره.

(٥) قارون: الموصوف بأنه ربّ الغِنى.

وقال أبو العتاهية:

إذا القوتُ تأتّى لك والـ ... صحةُ والأمنُ
وأصبحت أخا حزنٍ ... فلا فارقك الحُزنُ

وقال آخر:

إذا كان لي قوتٌ بيومي وصحّةٌ ... فلا حالَ أرجو بعدَها أن أنالَها
ولم أتتبع رتبةً إن بلغتُها ... أخافُ بعزل أو بموتٍ زوالَها

● ذمّ النفس لخوفِ الفقر والطمع

قيل: أهلك الناس حب الفخر وخوف الفقر.

وقال أبو العتاهية:

رأيتُ النفسَ تحقرُ ما لديها ... وتطلبُ كل ممتنع عليهَا
فإنْ طاوعت حرصَك كنت عبداً ... لكلّ دنيئة تدعو إليهَا[١]

● تبكيتُ شيخ يعمرُ دنياه

قال محمود:

يا عامر الدنيا على شيبه ... فيكَ أعاجيبٌ لمِنْ يعجبُ
ما عذرُ من يعمرُ بنيانَه ... وعمره مستهدَم يَخربُ[٢]

وقال آخر:

عجبتُ لتغريسي نوَى النخْل بعدَما ... طلعتُ على الستين أو كدْتُ أفعَلُ
وأدركْتُ ملءَ الأرض ناساً فأصبحُوا ... كأهلِ ديار أدلجوا فتحمّلُوا[٣]
وما الناسُ إلا رفقةٌ قد تحملتْ ... وأخرى تقضي حاجَها ثم ترحَلُ

● راحةُ القَنِع وعزّته

قال الحسن في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[٤]، أنها القناعة. **وقال النبي** ﷺ: الزهد في الدنيا يريح البدن والرغبة فيها تكثر الهم والحزن. وقيل لمحمد بن واسع: أوصني، **فقال:** كن ملكاً في الدنيا ملكاً في الآخرة. فقال آجله. وكيف لي هذا، **قال:** ازهد في الدنيا واقنع.

وقال بزرجمهر: القنِع عزيز في عاجله مثابٌ في آجله، وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه: ما كرمت على أحد نفسه إلا هانت عليه دنياه. من حصّن شهوته صان قدره.

---

(١) حرصك: تمسكك بالشيء.
(٢) مستهدم: يداخله الخراب.
(٣) أدلجوا: ساروا ليلاً.
(٤) القرآن الكريم: النحل/ ٩٧.

وقال الموسوي:

مَن كانَ يرجُو نَعيماً لا زوالَ لهُ ... فلا تكُنْ هذه الدنْيا لهُ شجَنا[1]

قال وهب: خرج العزّ والغنى يجولان فلقيا القناعة فاستقرا. **قال شاعر**:

بلوغُ المنَى أن لا تكاثر بالمُنى ... ونيْلِ الغِنى أن لا تنافُسَ في الغِنى

ومَنْ كانَ للدنْيا أشدَّ تصوّراً ... تجِدْه عن الدنيا أشدَّ تصونا[2]

وقيل: ثمرة القنع الراحة وثمرة التواضع المحبة.

قال الموسوي:

وإني لألقى راحَتي في تقنعٍ ... وفي طلبِ الإثراءِ طولُ عَنائيا[3]

وله:

حسبي غِنى نفسي الباقي فكلُّ غنى ... من المغانمِ والأموال ينتقلُ

وقال ابن نباتة:

وإن المرءَ ما استغنَى غِنىً ... وحاجتُه إلى الشيء افتقارهُ

● غمّ الحريصِ وتعبُه

من لم يكن قنعاً لم يزل جزعاً. الرغبة مفتاح التعب وغاية النصب. **وقيل**: جعل الله الخير في بيت وجعل مفتاحه الزهد، وجعل الشر في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا.

وقال بزرجمهر: الغنى قلة التمنّي والرضا بما يكفي. غمّ الدنيا الحرص عمّا لعلك لا تناله، إياك والحرص فإنه يورد المشارب الكدرة ويسف للمطاعم القذرة.

وقال عمر رضي الله عنه: ما كانت الدنيا هم أحد إلا لزم قلبه أربع، فقر لا يدرك غناه وهم لا ينقضي مداه وشغل لا تنفذ أولاه وأمل لا يدرك منتهاه، **وقيل**: لا تخدم الحرص تعش ذا سرور. واجتاز عبد الله الصفار بسجن فقال لصاحب له: بم حبس من في السجن؟ **فقال**: لا أدري، **فقال**: غطى النعيم على قلبك في شيئين التشفّي والشره.

● ذمُ الحريص وعزة القِنع

قال النبي ﷺ: حب الدنيا رأس كل خطيئة ومن خطبها تأهب للذل. من قل قنوعه كثر خضوعه. الحر عبد إذا طمع والعبد حر إذا قنع. الطمع طبع من صبر على الخل والبقل لم يستعبد.

وقال أبو العتاهية:

إذا ما المرءُ لم يقنَع بعيشٍ ... تقنّع بالمذلّةِ والصَغارِ[4]

---

(١) **الشجن**: الحزن. (٢) **تصوّنه عنها**: تَكَلُّفُه حفظها.

(٣) **طول العناء**: طول التعب والكدّ.

(٤) **تقنّع**: لبس قناعاً ـ **الصغار**: المذلّة والاحتقار وقلّة الشأن.

بينما فتحُ الموصلي في أصحابه إذا بصبيين معهما رغيفان، على رغيف أحدهما كامخ وعلى رغيف الآخر عسل، فقال: صاحب الكامخ لصاحب العسل: أطعمني من عسلك، فقال: أطعمك على أن تكون لي كلباً، فقال: أنا كلبك فجعل في فمه خرقة يجرّه بها، فالتفت فتحُ إلى أصحابه، وقال: لو قنع هذا بكامخه لم يصر كلباً لصاحب العسل.

ولقي صاحب سلطان فيلسوفاً يلتقط الحشيش ويأكله، فقال له: لو خدمت الملوك لم تحتج إلى أكل الحشيش، فقال: وأنت لو أكلت الحشيش لم تحتج إلى خدمة الملوك.

وقيل: يا عجباً من مسكين بقناعته ثري ومن غنيّ بحرصه دنيء.

قال عبد الصمد لأبي تمام:

لستَ تنفكُّ طالِباً لوصالٍ ... من حبيبٍ أو راغباً في نَوالِ[1]

أي أخي ما لحرّ وجهك يبقى ... بين ذلّ الهوى وذلّ السّؤال

وقال آخر

أذلّ الحِرْص أعناقَ الرّجالِ

وقال أبو العتاهية:

الحِرْصُ داءٌ قد أضرّ ... بمَنْ ترى إلا قليلا

● **طالبُ الدنيا متحمّلٌ للذلّ**

قال علي بن الحسين رضي الله عنهما: إنما الدنيا جيفة حولها كلاب فمن أحبها فليصبر على معاشرة الكلاب. ومن ذلك أخذ ابن حجاج:

تركتُ مطالبَ الدنيا لقوم ... دعتْهم للمخازي فاستجابُوا

وليس الليثُ من جوعٍ بغادٍ ... على جِيَفٍ يطوفُ بها كِلابُ[2]

ومثله:

إنّما الدنيا ومن يصـ ... ـبُو من النّاس إليها

جيفةٌ بينَ كلابٍ ... قاتَلوا حرْصاً عليها

● **الحرصُ فقرٌ حاضِر**

قيل في قول الله تعالى فإن له معيشة ضنكاً، إنه الحرص. الحرص فقر واليأس غنى. قد يكثر المال والإنسان مفتقر، وهذا مأخوذ من قول بعضهم وقد سئل: أفلان غني، فقال: لا أدري غناه ولكنه كثير المال. سأل النعمان ضمرة بن ضمرة عن الفقير، فقال: الذي لا تشبع نفسه وإن كان من ذهب حلسُه. وحمل رجل إلى إبراهيم بن أدم شيئاً، فقال: ألك مال، قال: نعم. قال: أتحب أكثر منه، قال: شديداً، قال: إنك فقير. وأنا لا أقبل الصلة إلا من غني، عنى بذلك ما رُوي: الغنى غنى النفس.

---

(١) النوال: العطاء.

(٢) غدا على: انطلق.

● **الحرصِ عِمادُ كلّ شرّ**

قال الفضيل: جعل الشر كلّه في بيت وجعل مفتاحه حبّ الدنيا، وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا. **وقيل**: الحرص رأس كل خطيئة. وفي الحديث: إن الصفاة الزلاء التي لا يثبت عليها قدم العلماء الطمع.

● **الحِرْصُ يمنَعُ صاحبَه التمتّعَ بما خوّله**

قيل: الحريص يشغله طلب ما أمل عن التمتع بما خول، ومن هذا أخذ كشاجم:

ومستزيدٍ في طلابِ الغِنى ... يجمعُ لحماً ما لهُ طابِخُ
ضيّع أموالاً بما يرتجي ... والنّار قد يطفِئُها النافِخُ[1]

● **الحرصُ سبب التلف**

الليث يبعث حتفه كلبه. في **كتاب كليلة**: مَن لم يرض بما يكفيه وطلب الفضول، كان كالذباب الذي لا يرضى حتى يطلب الماء السائل من آذان الفيلة فتضربه بآذانها فترديه.

وقيل:

إن المطامِعَ تنصُبُ الشبكا[2]

وقال ابن أبي الأسود:

قد دعاهُ الطمعُ الكا ... ذبُ والحرصُ اللجوجُ
صيدَ بالحرْص وقد يصطا ... دُ بالحِرْصِ الزَنوجُ

● **قدْحُ الحِرْص في العَقْل**

قيل: أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع. وقال عمر رضي الله عنه: ما الخمر صرفاً أذهب لعقول الرجال من الطمع، ما أعمى النفس الطامعة عن العقبى الفاجعة. **وقيل**: الحرص والطمع إلّهان معبودان.

● **عودُ حريصٍ على نفسِه باللائِمة**

وقال شاعر:

ولو أنّي رضيتُ مقسومَ أمري ... لكفاني من الكثيرِ القليلُ

وقال آخر:

نسْعى وأيسرُ هذا السعي يكْفينا ... لولا تطلبُنا ما ليْسَ يغنينا

وقال أبو العتاهية:

أطعت مطامِعي فاستعبدتني ... ولو أني قنِعْتُ لكنْت حرّاً

---

(١) النار التي تُهيّج بريح النافخ قد يطفئها هذا النافخ لكثرة ما يُخرج الريح من فيه.
(٢) تنصب الشبك: توقع بصاحبها في التهلكة.

وقال آخر:

رأيتُ مخيلةً فطمعتُ فيها		وفي الطمَع المذلّةُ للرّقابِ[1]

وقال الحارثي:

حتّى متى وإلى متى		طولُ التّمادي في اللعِبِ

لا تستفيق ولا تفيق ولا تمَلّ من الطلبِ

وقال سابق البربري:

النفسُ تكلَفُ بالدنْيا وقد علمَتْ		أن السلامة مَنْها تركُ ما فِيها

وقال أبو جرير السلمي:

كلّفني حِرْصي على الدراهِم		خدمَة من لسْت لهُ بخادِمِ

وقال أحمد بن بارس:

أجيءُ به من حلّه وحرامهِ		إلى حامدٍ لي فيه أو غير حامدِ[2]

وأشقَى به من بينِهم بحسابهِ		وحظّي من إنفاقه حظّ واحدِ

وأنشد عبد الله الخازن لنفسه:

يا نفْس يا نفْسُ ثقي		بالله ربّاً واتّقِي

لا تحسَبي أنّك إن		لَمْ تتعبي لَمْ تُرزَقي

واقتصِدي واقتصِري		فما أقلّ ما بقِي

- **نهيُ المرءِ عن جمْع ما عساه لا ينفعه**

قال النبي ﷺ: إن لك في مالك شريكين الحارث والوارث فلا تكن أخس الثلاثة نصيباً. وقال ﷺ: إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو تصدقت فأمضيت أو لبست فأبليت، وما سوى ذلك فهو للوارث.

وقيل لبخيل: لِم تحبس المال وتقاسي الشدة؟ **فقال:** خشية الفقر، فقيل: قد نزل بك الفقر بتضييقك عن نفسك، ومن هنا أخذ المتنبي:

ومنْ ينفقِ الساعاتِ في جَمْعِ ماله		مخافَةَ فقر فالذي فعَل الفَقْرُ

وقال العطوي:

جمعتُ مالاً ففكِر هل جمعْتَ له		يا جامعَ المالِ أياماً تفرّقه

وقال أبو العتاهية:

نرقّع دنيانا بتمزيقِ دينِنا		فلا دينُنا يبْقى ولا ما نرَقّعُ

---

(١) مُخيلة: المخيلة من السحب التي تحسب ممطرة وهي ليست كذلك.

(٢) أجيء به: يعني المال.

وقال آخر:

نـرقِّـعُ بـغـض دنـيـانـا بـبـغـضٍ ... ونـتـرُك مـا نـرقـعـه ونـمـضـي

وقال آخر:

ومـا تـصـنَـعُ بـالـدّنـيـا ... وظلّ الـمـيـلِ يـكْـفـيـك[1]

● التزهيدُ في الإدخارِ للوارثِ والتحسّر على ذلِك

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: يا بنيّ لا تخلف وراءك شيئاً من الدنيا فإنك تخلفه على رجلين: رجل عمل بطاعة الله تعالى فسعد بما شقيت به، ورجل عمل بمعصيته فكنت عوناً له على ذلك، وليس أحد بحقيق[2] على أن تؤثره على نفسك أغبن الغبن كدك فيما نفعه لغيرك.

وقال أبيّ لأخيه، وكان مثرياً بخيلاً: يا أخي إن مالك إن لم يكن لك كنت له فلا تبق عليه فإنه لا يبقى عليك، وكلّه قبل أن يأكلك.

قال الخليل: لم يُر الرجل يجمع المال إلا لثلاثة أنفس، وهم أبغض خلق الله إليه، لزوج امرأته وامرأة ابنه وزوج ابنته. وقيل: المأكول للبدن والموهوب للشكر والمدخر والمحفوظ للعدو. وقيل: لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه ويوم حشره ميزانه. وقال جعفر بن يحيى: شر مالك ما لزمك مكسبه وحرمت أجر إنفاقه.

وقال أبو الشّيص:

يقولُ الفتى ثمّرتُ مالي وإنّما ... لـوارثـهِ مـا ثـمّـر الـمـالَ كـاسـبُـه

يـحـاسِـبُ فـيـه نـفـسَـه بـحـيـاتِـه ... ويـتـرُكـه نـهـبـاً لـمـن لا يـحـاسِـبُـه[3]

وقال آخر:

بـقـيـت مـالُـك مـيـراثـاً لـوارثِـه ... فـليت شعري ما أبقى لكَ المالُ

القومُ بـعـدَك فـي حـالٍ تـسـرهـم ... فكيف بعدَهم حالَتْ بكَ الحالُ

ملّوا البكاءَ فما يَبْكيك من أحدٍ ... واستحكَم القيلُ في الميراثِ والقالُ[4]

وقال آخر:

هـالُـوا عـلـيْـه الـتـربَ ثـم انـثـنَـوا ... عـنـه وخـلّـوه وأعـمـالَـه

لـم يـنـقـضِ الـنّـوح مـن دارِه ... عـلـيْـه حـتّـى اقـتـسـموا مـالَـه

وقال آخر:

إذا كنت جمّاعاً لمالك ممْسكاً ... فـأنـتَ عـلـيْـه خـازنٌ وأمـيـنُ

---

(١) الميل: ما يجعل به الكحل في العين واللفظة يونانية، وظلّ الميل كناية عن القناعة بالقليل.

(٢) حقيق: جدير.

(٣) لمن لا يحاسبه: أي الوارثون.

(٤) استحكم القيل والقال: دار الحديث في الميراث بين الوارثين.

● **الخودان**

قال بعضهم:

وكــأنّ الــخـــودانَ فـــيـــهـــا لآلٍ   مـشـرقـات نُـظِـمْـنَ في عُـنْـقـودِ[1]

● **الخطمي**[2]

قال الحسن بن محمد:

وقـد أظـهـر الـخـطـميّ نوراً كـأنـه   صحافٌ من الـيـاقـوتِ فـيـهـا ذرائرُ

● **الزعفران**

قال الباذاني:

كـأنّ صـبـايـا الـزعـفـران إذا بـدَتْ   نـصـالُ سـهـامٍ أفـردَتْ لا تـركـبُ

وقال الباذاني الأصفهاني:

ورد يـعـظـم والـتـرابُ مـحـلّـه   وتـرى الـكـريـمَ يـعـزُّ حـيـنَ يـهـونُ

وقال محمد بن بحر:

هـاكَ خـذْهـا عـرائـسـاً يـتـصـدَ   يْـنَ صـبـاحـاً ويـخـتـفـيـن مـسـاءَ

يـتـفـلّـقْـن عـن صـبـايـا ثـلاثٍ   قـد تـعـانَـقْـن إلـفـةً وصـفـاءَ

وقال آخر:

كـتـخـطـيـطِ الـمـطـرّزِ في الـكـمـامِ   بـــلامٍ ثـــم لامٍ ثـــم لامِ

● **القطنُ النابتُ**

قال أبو العويص:

نـشـا عـن ضـمـور واسـتـدارة قـالـب   فـصـارَ عـريـضـاً نـاتـئ الـقـصَـاتِ[3]

وأثـمَـر تـفّـاحـاً بـغـيـرِ تـفـكّـه   طـويـلَ عـلـى تـفـاحـةِ الـشـجـراتِ

نـمَـا وربَـا حـتّـى تـفـتّـقَ صـلـبُـه   بـأربـعِ فـقـراتٍ لـه حـدبـاتِ

وإن بُـزَّ عـنـه شـحـمُـه وسـديـفُـه   تـزيّـد شـدقُ الـفـحْـل لـلـنـزواتِ[4]

شـبـيـهُ فـمِ لـشـاهـيـنٍ يـنـقّـضُ فـاغِـرا   لـيَـلْـهَـمَ يـغـفـوراً عـلـى وكـراتِ[5]

---

(١) **لآل:** مخفّف لآلىء.

(٢) **الخطمي:** زهر من فصيلة الخبّازيات، له ساق طويلة ـ **الذرائر:** جمع ذرارة وهي ما تناثر من الذريرة وهي من ضروب الطّيوب.

(٣) **نشا عن:** أي نشأ عن بتخفيف الهمزة.   (٤) **السديف:** شحم السنام.

(٥) **الشاهين:** طائر من الجوارح ـ **فاغراً:** من فغر فاه أي فتحه ـ **اليعفور:** الظبي الذي لونه كلون العَفَر أي التراب.

● **الكماة**

قال النبي ﷺ: الكماة بقية من المن وماؤها شفاء للعين. والعجوة من الجنة، وفيها شفاء من السحر والسمّ **وأنشد الأصمعي لرجل من بني بكر**:

وأشعثٍ قد ناولتُه أحرش القوي ... أدرت عليه المدجنات الهواضِب
تخطّاه القنّاصُ حتّى وجدته ... وخرطومُه في نبْع الماءِ راسب

يعني بالأشعث فقيراً وبأحرش القوي كماة خشنة.

قال الراعي:

بأرضٍ يبينُ النقْعُ فيها قناعة ... كما انتصّ شيخٌ من رفاعة أجلَحُ[1]

● **اللبلاب**[2]

قال الواواء:

لبلابَتي أحسنُ لبلابَه ... قد حوَت الحسنَ وأسبابَه
كأنها بالغُصْنِ ملتفّة ... متيّمٌ عانقَ أحبابَه

● **الريباس**

قال المرادي:

ومكنونةٍ من بنات الثّرى ... تجمّع في الباب خطّابُها
تمد يداً برزَت كفُّها ... بحر الزمرّدِ عنابُها

● **الباقلاء**

قال كشاجم:

تخالُ فيه النور جزِعاً في سخبِ ... أو بُلقِ طير وقعَت على قُضُبِ[3]

قال الصنوبري:

ونيات باقلاء يشبهُ وردُه ... بلقَ الحَمام مُقيمةً أذنابَها[4]

وقال:

فصوصُ زمرّد في غلف درّ ... بأقماعٍ حكَتْ تقليمَ ظُفرِ[5]

وقال آخر:

زبرجدٌ ضمّن درّةً لبست ... حريرةً بطِّنت بكافورِ[6]

---

(١) **الأجلح**: المنحسر شعره ن جانبي رأسه.

(٢) **اللبلاب**: نبت يتعلّق على الشجر من فصيلة القرنيّات، أصفر الزهر.

(٣) **السخب**: السخاب قلادة من قرنفل ـ **القضب**: الأغصان، جمع قضيب.

(٤) **البلق**: البيض. (٥) و (٦)**الزمرّد والزبرجد** من الحجارة الثمينة.

● **البطيخ**

قال بعضهم في وصفه: هو فاكهة وأدم وأشنان وحلواء وعند العدم قعب للمدام ويطل في الحمام.

قال كشاجم:

وزائرٍ زارَ وقدْ تعطّرا ... أسرَ شهداً وأذاعَ عنبرا[1]

ملتحفاً للصين ثوباً أصفرا ... يظنّه الناظِرُ إن يقدرا

دبّ الوبا بشمنه فأنشرا

وإذا أردت الشراء للبطيخ فخذ أثقلها رأساً وأعظمها فلساً وأخشنها مسّاً.

قال أبو طالب المأموني:

وحمراءَ خلْناها أذاعَت وأضمرَت ... وقدْ علّ بردَيها جسامٌ وعندمُ

قراضةُ تبرٍ في صفائح فضّة ... تضمّنها حقّ من الجزع مسهمُ[2]

إذا قطِّعت كانتْ سفائنَ لجّةٍ ... وإن لم تُقطّع فهي عِكمٍ محزمُ[3]

وله:

رياضةٌ مسكيّةٌ عسليّةٌ ... لها لونُ ديباجٍ وعرفُ مدامِ

● **ولهُ في البطيخِ الهنديّ**

ومبيضةٍ فيها طرائِقُ خضرةٍ ... كما اخضرّ مجرى السيلِ في صِيب الحَزْنِ

كحقةِ عاجٍ صيغَت بزبرجدٍ ... حوَتْ قطعَ الياقوتِ في قطعِ القُطْنِ[4]

● **القِثّاء**

قال الخوارزمي:

يا ربّ قثّاءٍ برود المورِدِ ... درّ الحشا زمرّد المجردِ

سخت الروس لصور المقلدِ ... مثل ذنابى ريش ديكٍ أعقدِ

قد التوَى فوقَ الثرى الرطبِ الندى ... كما تلوّى أسودٌ بأسودِ

ذي زغبٍ وفيه لينُ الأجرد ... كالخدّ بين الملتحي والأمرد[5]

كأنه في اللونِ والتأوّدِ ... صوالجُ ركبن من زبرجدِ

يكادُ للين وللتعقّد ... تجنيه ألحاظُ الفتى قبلَ اليدِ

ماء كطعمِ السكّر الطبرزد

---

(١) **العنبر**: ضرب من الطيب، والعنبر الزعفران.

(٢) **القراضة**: ما سقط بالقرض وقرض الشيء قطعه. (٤) **الحقّة**: الوعاء الصغير.

(٣) **العِكم**: ما شدّ من الثوب، أو الكارة أو العدل. (٥) **الأمرد**: الشاب الذي طرّ شاربه ولم تنبت لحيته.

● **الباذنجان**

وصفه **بعضهم فقال**: كرات أدم قمعت بكيمخت وحشيت بصغار الدرّ وسط لبن حليب وقمعت بنفسجا.

● **الزَرْعُ والغَرْسُ**

قال النبي ﷺ: ما من رجل يغرس غرساً فيأكل من إنسان أو طائر أو بهيمة إلا كان له صدقة.

وقالت عائشة: التمسوا الرزق في خبايا الأرض.

وقال ابن الزبير: عليك بالزرع فإن العرب كانت تتمثل لذلك ببيت شعر:

تَتَبَّعْ خبايا الأرض وادع مليكَها ... لعلّك يوماً أن تُجاب فترزَقا

وقال بعض البلغاء: أجود الزرع ما غلظت قصبته وعرضت ورقته، وأدهامت خضرته، وعظمت سنبلته، والتفّت نبتته.

وقيل لبعض الفلاسفة: ما بال الحشيش أنضر وأغضّ من الزرع؟ فقال لأن الحشيش ابن للأرض والأرض داية للزرع. **وقيل**: للزرع ألف آفة ليس فيها أعظم من جور السلطان.

وقال النبي ﷺ: إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن يقوم حتى يغرسها فليغرسها. **وقال ابن عباس**: المتوكل من يبذر.

● **البُرّ**[1]

قيل: أفضل نابت وأحب مأكول البر. **وقال بعضهم**: ما ظنّك بشجرة فتنت آدم وحواء وأخرجتهما من الجنة إلى دار الكلفة والمهنة وعصيانهما للرحمن، **وقال لهما إبليس**: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا﴾ الآية.

● **مفاضلة البُرّ والتمر**

قيل: غلة النخل العنا وغلة البر الغنى. **وقيل**: البرّ خبز والتمر أدم والخبز أفضل من الأدم. وقيل البرُّ إذا أُكِلَ لا بد وأن يداس ويُذَرّى ويغربل ويعجن ويخمر، ثم لا يأكله بغير أدم إلا جائع، ومن أكله بغير طحن وخبز تولّد في بطنه الدود.

والتمر يؤكل من النخلة على أي نوع أردت، ثم منافعه لا تحصى. واختلف في البر والتمر إثنان عند محمد بن سليمان **فقال**: طالما اختلف في ذلك الأمم. **وقال لابن داحة**: اقض بينهما فقال لصاحب البرّ: خبرني أيهما أوجد في الجدب؟ **قال**: التمر. **قال**: فأيهما أبقى على الغرق؟ **قال**: النخل **قال**: فأيهما الحرق أسرع إليه؟ قال السنبل **قال**: أيهما أمنع من النار؟ **قال**: النخل. **قال**: أي الأرضين أعز؟ **قال**: أرض النخل. فقال سلمان: قد

---

(1) البرّ: القمح.

قضيت وفضلت النخل.

● **الكرم**

قال أبو نواس:

لنا هجمةٌ لا يدرأُ الذئبُ سخلَها ... ولا راعَها زر العجالةِ والخَطَرْ[1]
إذا منحت ألوانَها مالَ صفرها ... إلى الجوّ إلاّ أن ألوانها خضرُ

قال إبراهيم بن المهدي:

سلافةُ كرمٍ تظِلّ النبيط ... ترفعُ منه عريشاً عريشاً[2]
إذا أنتَ قابَلته خلتَه ... مطارفَ خضرا كُسين النقوشا

قال الرفاء:

وشاحبةُ الظلالِ مقرطات ... ظروفُ الراحِ من زنْجٍ ورومِ

قال أبو رافع الهروي:

كأنّ عناقيدَ العرائشِ فوقَنا ... زنوجٌ ورومٌ علّقوا بالحناجرِ

● **مدح النخل**

قال ابن المعتز:

ظلّت عناقيدُها يخرُجن من ورقٍ ... كما احتبَى الزنجُ في خضْر من الورقِ

وقال النبي ﷺ: أكرموا النخل فإنها عمّتكم. **وقال:** خلق آدم والنخلة والعنبة والرمانة من طينة واحدة. **وقال:** نعمت العمّة لكم النخلة تغرس في أرض خوّارة وتسقى من عين خرّارة.

وقال ابن دريد: سألت أعرابياً فقلت ما أموالكم؟ **قال:** النخل. **فقلت:** أين أنتم من غيره **فقال:** النخل سعفها صلاء وجذعها غماء وليفها رشاء وفروها إناء ورطبها غذاء.

وقال جعفر بن محمد: نعمت العمّة لكم النخلة، وعمرها كعمر الإنسان وتلقيحها كتلقيحه.

وقيل: خير أموال الناس أشبهها بهم. ووصف خالد بن صفوان لهشام النخل **فقال:** هنّ الراسخات في الوحل المطعمات في المحل الملقحات بالفحل، تخرج أسفاطاً عظاماً وأوساطاً كأنها ملئت رياطاً[3] ثم تفتر عن قضبان اللجين منظومة باللؤلؤ المزين، فيصير ذهباً أحمر منظوماً بالزبرجد الأخضر، ثم يصير عسلاً في لحاء معلقاً في هواء ووصفها بعضهم **فقال:** شريعة العلوق سائحة العروق، صابرة على الجدوب، لا يخشى عليها عدو الذئب. **وقيل:** إن النخلة تقول للنخلة: أبعدي ظلك من ظلي، أحمل حملي وحملك. **وقيل:**

---

(١) السخل: الحمل. (٢) السلافة: الخمر. (٣) الرياط: الملاءة من قطعة واحدة.

الحرب الخفي أن تقرب النخلة من النخلة وهو كما قيل: الحرب الخفيّ إذكار الإبل. وقال بعض البصريين: النخلة تقتل نفسها سنة وصاحبها سنة لأنها تحمل سنة كثيراً وسنة قليلاً قال شاعر:

لنا على دجلةَ نخْلٍ منتخلٌ   نسلفُه ماءً فيعطينا عسلْ
مسطر على قوام معتدِل   يُسْقى بماء وهو شيء في الأكل

وقال أحيحة بن الجلاح وكان قومه لاموه في ابتياعه النخيل:

يلومُونَني في اشتراءِ النخيل قو   مي وكلُّهم يعذلُ
تغشى الحبوب بأذنابها   ويجلبُ من ضرعها من علُ
نعم لعمّكم نافع   وطفلٌ لطفلكم يؤملُ
هي المالُ والظلّ حق الظليـ   ـلِ والمنظر الأحسنُ الأجملُ

وقيل: سمّي النخل نخلاً لأنه منتخل.

• ذمُّ النخل ووصفُ الرديءِ منه

عاب أعرابي النخل فقال: صعبة المرتقى بعيدة الهوى، مهولة المجتنى، دقيقة السلاء، شديدة المؤونة، قليلة المعونة، خشنة المس، ضئيلة الظل.

وأهدى رجل إلى جحظة[١] نخلة زعمها قرشية، فغرسها ولم يزل يتعاهدها حتى حملت، فإذا هي دقلة. فجاء الرجل فسأله عنها فقال: ما فعلت قرشيتك؟ فقال: هي قرشية من ولد زياد.

قال بعضهم في نخلة قطعت فجعلت جلوعاً:

إلى الله أشكو هجمَةً هجرية   تحرمها مرّ السنين الغوابرِ[٢]
فأضحَت رذايا تحمِل الطينَ بعدما   تكون غنى للمقترين المفاقرِ

• خرص[٣] النخْل والكرم

كان لخثعمة البكارى نخيل فجاء خارص، يخرص عليه فأخذ فاساً وجعل يضرب أصولها، ويقول أقطعها فاستريح، فقال عريفه أكفف فليس عليك إلا الحق فقال:

لئن كان هذا الخرصُ فيكن دائب   فأبعدكن الله من نخلات
أفي كل عامٍ خارصٌ غيرُ عادلٍ   تصعّدُ من أفعاله زفراتي

---

(١) جحظة: شاعر عبّاسي مرّ ذكره سابقاً.   (٢) السنين الغوابر: السنين الماضية.
(٣) الخرص: جريدة النخل.

● **شجر التفاح المثمر**

قال أبو العلاء السروي:

وأشـجـار مـن الـتـفـاح زهـر ثـقـلـن بـحـمـلـه ثِـقـلاً وبـيـدا
تـظـلّ الـريـحُ تـنـشرُها عـلـيـنـا فـنـلـقـطُـهـا ونـحـسـبُـهـا خـدودا

● **نفع التفاح وحسنه**

روي أن أرسطاطاليس حضرته الوفاة فاستدعى ثلاثة من تلامذته، فعجز عن مناظرتهم، فاستدعى تفاحة اعتصم بها وبرائحتها ريثما قضى وطره.

وقال أبقراط: الحمرة في التفاح صديقة الجسم وريحه صديقة الروح.

وذكر التفاح بحضرة المأمون **فقال:** في التفاح الصفرة الرديئة والحمرة الذهبية وبياض الفضة ونور القمر تلذّها من الحواس ثلاثة: العين بلونها والأنف بشمّها والفم بطعمها وفي وصف احمراره قيل:

خـدودُ مـلاحٍ كـذّهـا لـومُ لائـمِ

وقيل:

خدودُ عذارى قد جمعن على طبَق

قال أبو نواس:

الـخـمـرُ تـفّـاح جـرَى ذائـبـاً ذلـك الـتـفّـاح خـمـرٌ جـمَـد
فـاشـرَب عـلـى جـامـدٍ ذا ذوب ذا ولا تـدَع فـرصـةً يـومٍ لـغَـد

وقال الرفاء:

لـو جـمـدت راحُـنـا اغـتـدَتْ ذهـبـاً أو ذابَ تـفـاحُـنـا غـداً راحـا[(١)]

وقال المأمون: لو أن التفاح ينحلّ لكان قزحاً، ولو تجسّم قزحٌ غداً تفاحاً.

● **التفاحة المهداة**

وقال ابن المعتز:

تـفـاحـةٌ مـعـضـوضـةٌ صـارتْ رسـولَ الـقُـبَـل

وقال أبو هفّان:

تـفـاحـةٌ مـن عـنـدِ تـفـاحـةٍ بـالـمِـسْـك والـعـنـبرِ نـفّـاحَـه[(٢)]
أخـذتُـهـا مـن كـفّ ظَـبـيٍ وقـد كـانـتْ إلـيـه الـنـفـسُ مـرتـاحَـه
مـا مـسّـهـا طـيـبٌ ولـكـنّـهـا بـاشـرَهـا بـالـكـفّ والـراحَـه

---

(١) الراح: الخمر.

(٢) نفاحة: مبالغة من نفح، أي شديدة الانتشار.

وقال:

أهدى لنا التفّاحَ من كفّه يا ليتَه أهداهُ من خدّه

- **معاتبةُ من أكلَ التفاح**

نظر بعض الفتيان إلى آخر وقد أقبل على أكل التفاح في بعض المجالس فقال:

يا ذَا الذي يأكلُ التفاحَ من شرّه رِفْقاً فقدتك يا حتْفَ التحيّات

وقال أبو إسحاق بن العباس:

إن الذي يأكلُ تفَاحة لمُسْتخِفٌ بمهادِيها

وقال الخبزارزي في الاعتذار لأكلها:

أكلتِ تفاحة فعاتبني فتى رآها كخدّ معشوقِهِ

فقال خذ الحبيب تأكلُه فقلت: لا، بل أمصّ مِنْ ريقِه

وقال رجل لآخر أكل تفاحة حيّاه بها: أتأكل التحيّات فقال: والمباركات والطيّبات.

- **اختلاف الأمكنة في إدراك الأصناف بصنعاء**

تدرك الحنطة بصنعاء مرتين، والشعير والذرة ثلاث مرات وأربعاً، والعنب دفعتين. وعندهم نحو سبعين لوناً عنباً. ويدرك الموز كل أربعين يوماً وعندهم قصب سكر، وباقلاء ولوز وتين ورمان وسفرجل.

- **تعانق الأشجار**

قال بعضهم:

كأنَّ فروعَها في كلّ ريحٍ جوارٍ بالذوائبِ ينتَضينا[١]

وقال أبو محلم:

نشاوى تثنيها الرياحُ فتنثني ويلثمُ بعضَ بعضِها ثم يرجعُ

وقال سعيد بن حميد:

وترى الغصونَ إذ الرياحُ تنفّست ملتفّةً كتعانُقِ الأحبابِ

وقال التنوخي:

عذارى تباثَثْنَ الحديثَ المكتّما[٢]

وقال آخر:

فكأنّما ينوي التعا نُقَ ثمّ يدركهُ الخَجَلُ

---

(١) الفروع: الأغصان المتفرّعة ـ الذوائب: جمع ذؤابة وهي ضفيرة الشعر.

(٢) ريث الحديث: أذاعه ونشره ـ الحديث المكتّم: المكتوم أي غير المذاع.

● **ارتجاسُ الريحِ في الشجر**

قال التنوخي:

كأنّ إرتجاسَ الريحِ في جنباتِه ... إذاعةُ شكْوى أو مرارُ تعاتُبِ

وقال عبدان:

أنّ رقارقَ الأرواحِ فيها ... نشيشُ ملْهوجَاتٍ في المَقالِ[1]

● **السروُ**[2]

كان بعضهم يبغض السرو **ويقول**: **كأنه نساء لابسات حداداً**. وكان **يقول**: كان السرو ذنب عرس.

خرج عبد الله بن طاهر **فقال له رجل**: **قد جئتك ببشارة، قد صدق الله قولك حيث تقول**:

أيا سروتَيْ بسْتان زكي سلمتما ... ومن لكما أن تسلما بضمانِ

أيا سروتَيْ بسْتان زكي سلمتما ... وغال حبيبي غائلُ الحدَثانِ

فقد سقطت إحداهما. **فقال له عبد الله**: ألم يكن بالرقة حمّى تشغلك؟ وأمر له بخمسة آلاف درهم، **وقال**: أخشى أن لا أحقق ظنك.

● **نورُ شجَرِ الخلاف**

قال أبو حاتم الورّاق:

كأن نور شجرِ الخلافِ ... أكفُّ سِنّوْرٍ بلا خلافِ

مردودةُ البرثنِ في الغِلافِ

● **ضروبٌ من الأشجار**

أشجار **اللبان** لا تورق بل تحمل أغصانها. **الكندر** أطول الشجر عمراً. شجر **الزيتون** فإنه يقال إنه يبقى ثلاثة آلاف سنة وكل زيتونة بفلسطين فمن غرس اليونانيين، وكانوا قبل الروم.

والبقم ينبت من غير أن يغرس، **والساج** تتصاعد في الهواء ملساء مستوية لا تخرج أغصاناً، وغاية طول الشجر مائة وعشرون ذراعاً وأوراقها عراض في رأس الشجرة كل ورقة تقطع لرجل سراويل.

وأشجار **الكافور** طوال ولها أغصان وعلى رأسها ورق مثل الترس وفي نفس الشجر

---

(١) **النشيش**: صوت الماء وغيره إذا غلى.

(٢) **السرو**: أي شجر السرو، وهو من فصيلة الصنوبريات.

عقد، فإذا أراد الرجل الكافور عمد إلى فهر فيعلوها به فيضربها، فإذا أحس بها أنها قد فجرت، عمد إلى حبل فقلع الشجرة وتناثر الكافور الرياحي منها، فيجتمع في كل شجرة نحو ثلاثين منها وأما ماء الكافور فإنه يعمد إلى الأشجار التي لم تعقر فيضرب بالقدوم مواضع العقد، ثم تؤخذ قلّة وتشد على وقع القدوم فيسيل ماء الكافور من تلك الضربة ويجتمع في تلك القلّة.

وبالزنج القرنفل ومشتريه يأتي بالدنانير فيضعها على ساحل البحر وينصرف إلى منزله فإذا أصبح عاد إليه، فيجد هناك القرنفل وتكون الدنانير قد حملت. وبها الخيزران ويقال إنه خيزرانه يبلغ طولها تحت الأرض ست فراسخ.

ولبعضهم في العوسج[1]:

عذرنا النخلَ في إبداءِ شوْكٍ ... يذود به الأناملَ عنْ جناهُ[2]
فما للعوسجِ الملعون أبدى ... لنا شوْكاً بلا ثمرٍ نراهُ
تراهُ ظنّ فيه جنى كريماً ... فأبدى عدةً تحمي حِماهُ
فلا يتسلّحن لدفعِ كفّ ... كفاه لؤم مجناه كفاهُ

(٤)
وممّا جاء في الأمكنة والأبنية

●

● **مكّة**

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾[3] وهي حرم إلى يوم القيامة. وأيّ ناحية من الكعبة يصيبها المطر فالخصب في تلك السنة في تلك الناحية. ومن علا الكعبة من العبيد فهو حرّ، وإن الذئب لا يصيد بها الظباء. وإن الطير لا يعلو الكعبة إلا وهو عليل، وإذا طار فانتهى إلى الكعبة افترق فرقتين. وشأن الفيل معروف.

● **المَدِينة**

تسمى طيبة فإنّ من دخلها وأقام وجد من تربتها وحيطانها رائحة ليس لها اسم في الأراييح، وأنواع الطيب تزداد بها طيباً **وقال** ﷺ: إن إبراهيم عليه السلام حرّم مكة وأنا حرمت ما بين لابتي[4] المدينة. ونهى أن يعضد شجرها، **وقال**: لا يدخلها الطاعون ولا الدجال، ولا يكون بها مجذوم قطّ. **وقال**: اللهمّ حبّب إلينا المدينة كحبّنا مكة وأشدّ

---

(١) **العوسج**: جنس شجر أغصانه شائكة.
(٢) **يذود عن جناه**: يدافع عن ثماره.
(٣) **القرآن الكريم**: العنكبوت/ ٦٧.
(٤) **بين لابتي المدينة**: اللابة الحرّة من الأرض.

وبارك لنا في صاعها ومدّها، وانقل حماها واجعلها بالجحفة.

● مِصْر

لم يذكر الله تعالى شيئاً من البلدان باسمه سوى مصر، وذكرها في مواضع بالكناية فقال: وقال نسوة في المدينة وقال: فلن أبرح الأرض يعني مصر. وسئل بعضهم عن مصر فقال: عيش رخي وموت وحي

● الكُوفَة

قال ابن عباس: لو كانت البصرة أمة للكوفة فضلّت ما طلبت رغبة عنها.

وقال كوفي لبصري: أتمدّون أرجلكم مع أهل الكوفة، ولقد كانوا يقرؤون بقراءة أسلاف الحرمين. فجاء حمزة الزيات من الكوفة فقرأ بلغة لا تعرفها العرب فتتابع الناس على قراءته حتى سكان دور الخلفاء.

وكانت القضاة والفقهاء على أحكام سلفهم، حتى جاء أبو حنيفة فتتابع كل الناس على رأيه.

● البصْرة

قال الأحنف: نحن أعذب منكم برية وأكثر بحرية وأبعد سرية. وقال خالد بن صفوان: نحن أكثر منكم ساجاً وعاجاً وديباجاً وخراجاً ونهراً عجاجاً، وقال: مياهها قصب وأنهارها عجب وسماؤها رطب وأرضها ذهب، وتبقى النخلة بالبصرة مائة وعشرين سنة وتبقى كأنها قدح وما تطول نخلة بالبصرة إلا أعوجت. وقيل: تمثّلت الدنيا على مثال طائر فمصر والبصرة جناحاها.

● وصفُ جماعةٍ من البلدان

قال الحجّاج لابن القرية: صف لي البصرة، قال: حرّها شديد وشرها عتيد. مأوى كل تاجر وطريق كل عابر. قال: فواسط، قال: جنة بين حمأة وكمأة[1] قال: فالكوفة، قال: نقصت عن حر البحرين وسفلت عن برد الشأم فطاب ليلها وكثر خيرها. قال: فالشأم، قال عروس بين نسوة جلوس أطوع الناس للمخلوق في معصية الخالق.

قال: فخراسان، قال: ماؤها جامد وعدوّها جاهد، بأسهم شديد وحرّهم عتيد. قال: فكرمان، قال: ماؤها وشل[2] وتمرها دقل[3] وعدوها بطل. إن قلّ الجيش بها ضاعوا وإن كثر جاعوا.

قال: فأصبهان قال في حاضرة من الأرض زائغة[4] من الطريق الأعظم. قال:

---

(١) الكمأة والكمء: جنس فطر يعيش تحت الأرض، يميل لونه إلى الغبرة.

(٢) ماء وشل: أي قليل. (٣) تمرٌ دقل: الدقل أردأ التمر.

(٤) زائغة: منحرفة.

وأحسن الأرض مخلوقة الريّ، وأحسن الأرض مصنوعة جرجان[1]، وأحسن الأرض قديمة وحديثة جندي سابور[2] وهو شر البلاد.

ودخل **محمد بن عبد الملك الزيات على المأمون فقال**: صف لي **أصبهان** وأوجز. **قال**: هواؤها طيب وماؤها عذب وحشيشها الزعفران، وجبالها العسل؛ إلا إنها لا تخلو من خلال أربع: جور السلطان، وغلاء الأسعار، وقلة مياه الأمطار فأطرق ساعة، **وقال**: لعلّ تجارها مرابون وقُراءها منافقون.

وقال المأمون: صف لي فارساً قال فيه من كل بلد بلد.

وسئل أعرابي عن **شهرزور**[3] **فقال**: إن رجالها لتوَق وعقاربها لبرق أي شائلة أذنابها.

وقال في بغداد: هي الشمطاء الحرقة والعجوز المتدللة والعمياء المتكحلة، والشملاء المختضبة. هواؤها دخان ونسيمها صدام تنقبض فيها أيدي المستغنين، وتصغر أنفس المفضلين. تجارها أسد مفترسون وصناعها لصوص مختلسون جارها حاسد ومزاجها فاسد.

● مضارّ البُلدانِ ومنافعُها

خيبر يحمّ بها كل يوم مقيموها دون الطارئين عليها:

ولكنّ قومي أصبحُوا مثلَ خيبر ... بهـا داؤهـا ولا يـضـرُّ الأعـاديـا

وقيل حمى خيبر، **وطحال** البحرين، **ودماميل** الجزيرة، **وطاعون** الشام. ومن أقام **بالأهواز** حولاً فتفقد عقله وجد فيه نقصاً بيناً. ومن أكثر الصوم **بمصيصة**[4] خيف عليه الجنون.

وقصبة **الأهواز** تقلب من نزلها إلى طبائع أهلها، ومحمومها إذا نزعت عنه الحمى عادته من غير علة. وفي جبالها الأفاعي وفي بيوتها الحرارات.

وقيل من نزل **الكوفة** ولم يقرّ لهم بثلاث فليست له بدار بفضل أمير المؤمنين وماء الفرات ورطب المشان. ومن نزل **البصرة** ولم يقر لهم بثلاث فليست له بدار فضل عثمان والحسن ورطب السكر.

وقال حكيم بن جابر: قال الجوع أنا لا حق **بأرض العرب** قالت الصحة: وأنا معك.

● عجائبُ البُلْدان

بشيراز تفاحة نصفها في غاية الحلاوة ونصفها في غاية الحموضة. وبقرب

---

(1) **جرجان**: مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان، أخرجت العديد من الأدباء والعلماء (انظر معجم البلدان: ٢/١٣٩).

(2) **جندي سابور**: مدينة بخوزستان بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه (انظر معجم البلدان: ٢/١٩٨).

(3) **شهرزور**: كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان (معجم البلدان لياقوت: ٣/٤٢٥).

(4) **مصيصة**: مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم، على مقربة من طرسوس.

قرميسين[1] قرية يقال لها كركان[2] من أخذ من طينها ليلة الميلاد، وطيّن به داره وبيته أمن الغوائل إلى قابل.

وفي بعض جزائر الصين حيّات تبتلع الإبل والبقر، وقردة كالحمير وبمصر حجر من يمسكه في يده يتقايأ ما دام في يده. والسف حجر يطفو على الماء والأبنوس والشير يرسبان فيه والمغناطيس حجر يجذب الحديد، وإذا مسح بالثوم لم يجذب.

وبالأندلس السفلى وبالهند نار تشتعل في حجارة ولو رام أن يحمل منها شعلة لم تتقد وبمدينة ختن من حدود الصين، طواحين كثيرة يدور الحجر الأسفل والذي فوقه قائم لا يتحرك. وباذربيجان[3] واد لا يقدر أحد أن ينظر إليه.

● أرضُ العَرَبِ

قيل: إن نجداً من العذيب إلى ذات عرق وإلى اليمامة وإلى اليمن وإلى جبلَيْ طيء، ومن ظهر البصرة وهو المربد إلى وجرة. وذات عرق أول تهامة[4] إلى البحر وإلى جدّة. وإن المدينة لا تهاميّة ولا نجديّة، فإنها حجاز فوق الغور ودون نجد. وأنها جلس لارتفاعها عن الغور ونجد

وقيل القرى العربية مكة والمدينة والطائف واليمامة، فأما البحرين فهو خلط فيه عرب وعجم.

● حدّ السّودان

من لدن الموصل[5] ماراً إلى ساحل البحر ببلاد عيان من شرقي دجلة. هذا طوله وأما عرضه فحدّه منقطع الجبل، من أرض حاران إلى منتهى طرف القادسية المتصل بالعذيب من أرض العرب، وعليه وقع الخراج والمساحة.

● الأبنيةُ المحْكَمَةُ

من ذلك الخورنق بناه سنمار لكسرى على فرات الكوفة، فلما صعده كسرى أعجب منه وخاف أن يبني لغيره مثله فقتله. وقيل: إنما قتله لقوله أعرف في أركانه موضع حجر إن نقضته تداعى هذا البناء كله. ومن ذلك مارد والأبلق الفرد، وفي المثل تمرد مارد وعز الأبلق.

وغمدان باليمن من أعجب ما بنى الملوك أربعة عشر غرفة بعضها فوق بعض، فهدم الحبشة بعضها وهدم عثمان بعضها، كما هدم آطام المدينة والمشقر وقصر سنداد بالكوفة وفيه يقول الأسود:

مـــاذا أؤمــلُ بـــعــدَ آل مــحــرّق   تـــركُــوا مــنــازلَــهــم وآلَ إيــادِ

---

(١) قريسين: بلد معروف على مسافة من همذان. (٢) كركان: قرية بفارس (معجم البلدان: ٤/ ٥١٣).

(٣) أذربيجان: إقليم واسع غربي أرمينية.

(٤) تهامة: السهل الساحلي الضيّق الممتد من شبه جزيرة سيناء إلى أطراف اليمن.

(٥) الموصل: مدينة مشهورة تصل بين دجلة والفرات تقع على طرق دجلة وفي مقابلها خرائب نينوى.

أهـل الـخَـوَرْنـقِ والـسَّـديـر وبَـارقٍ والـقـصـرِ ذي الـشـرفـاتِ من سِـنـدادِ

وبناء الإسكندرية وقد ذكره النابغة في قوله:

وخيّسِ الـجـنَّ إنـي قـد أذنـتُ لـهُـم يـبـنـونَ تـدْمـرَ بـالـصـفّـاح والـعَـمَـدِ

وكان المنصور تقدّم بهدم إيوان كسرى، وحمل نقضه إلى مدينة السلام. فقال له خالد: لا تهدم بناء دلّ على فخامة قدر بانيه الذي غلبته وأخذت ملكه، فتعجز عنه فيدلّ ذلك على عجز منك، فقال: هذا الميل منك إلى المجوس، وأمر بهدمه فعجز عنه، فقال: يا خالد صرنا إلى رأيك، فقال: الآن أشير أن لا تكفّ عنه. فإن الهدم أيسر من البناء. ويتحدث الناس أنك عجزت عن هدم بناء بناه عدوّك.

وقال المأمون لما سمع هذا: قد حبّب إليّ هذا الخبر، أن لا أبني بناء يعجز عن هدمه.

والهَرَمان قيل كل هرم سمكه أربعمائة في الهواء مبنية بحجارة المرمر والرخام، وغِلظ كل حجر وطوله ما بين عشرة أذرع إلى ثمان أذرع، مهندم لا يستبين مسّاده إلا حادُّ البصر، عليها منقور كل عجب من الطب والطلاسم ومكتوب عليه: إني بنيتها فمن ادّعى قوة في ملكه فليهدمها، والهدم أيسر من البناء. وأراد بعض الخلفاء هدمها فإذا خراج مصر لا يقوم به فتركها.

وفي الخبر أن الإسكندرية بقيت مدة لا يدخلها، أحد إلا على بصره خرقة سوداء من بياض جصّها وبلاطها، وقيل بنيت في ثلاثمائة سنة، وكان فيها ستمائة ألف من اليهود خولاً لأهلها.

● **اختيارُ بلدٍ دونَ بلَد**

قيل: لا تقيموا ببلد ليس فيها نهرٌ جارٍ وسوقٌ قائمة وقاضٍ عدل. وقيل: لا تبنى المدن إلا على الماء والمرعى والخصب

● **مدحُ الدورِ الواسعة**

مر النبيّ ﷺ ببناء يبنى، فقال: أوسعوه. وقيل: خير المنازل ما سافر فيه البصر وأترع فيه البدن. وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر: تريد أن تبني دارك فاعلم أنّ عمرانها عمران قليل وخرابها خراب قليل، فاستوسع فإن الهمّة مع السعة. وقال: دارك قميصك فإن شئت فوسّعها وإن شئت فضيّقها.

وسئل بعضهم ما الغنى؟ فقال: سعة البيوت ودوام القوت. وقيل لآخر: ما السرور؟ فقال: دار قوراء[1] وامرأة حسناء، ويسار مع طول البقاء.

---

(١) الدار القوراء: الواسعة.

● **ذمّ الدور الواسعة**

دخل بعض الناس على كبير يبني داراً واسعة، كبيرة الدرع واسعة الصحن رفيعة السمك عظيمة الأبواب، **فقال**: أعلم أنك ألزمت نفسك مؤنة وعيالاً يقلّ حمل مثلهم ولا بدّ لك من الخدم والستور على حسب ما ابتنيته فقد حملت نفسك عناء معنياً.

● **ذمّ الدور الضيقة**

وصف رجل داراً ضيّقة **فقال**: أضيق من أفحوص[1] القطاة، وأضيق من بياض الميم ومن خرق الإبرة ومن عقد تسعين ومن مبعج الضبّ. وقيل شؤم الدار أن تكون ضيقة فيكثر سخط مالكها ولا يرضى بما قسم له فيها. وشؤم الدابة أن لا تكون فارهة، وشؤم المرأة أن لا تكون موافقة.

قال ابن المعتز:

ولكنها في دار سوء كأنها ... بقية ناوس على ساحل البحر[2]

وقال ابن الحجّاج:

في منزلٍ غمر الو ... قتُ أهلَه بالرّخاءِ
وقدّم السخاء حتّى ... يصحّ معنى الهجاءِ
خالٍ علَى كلّ حالٍ ... من سائرِ الأشياءِ
سوى كنوزِ بطونٍ ... مكنوزةٍ في الخَلاءِ
أخافُ فيه وأخشى ... من لا يخافُ هِجائي
ومن ضِراطي وشعري ... في وجهه بالسّواءِ
جزاهمُ الله عنّي ... تصحيفَ معنى الهجاءِ

● **الحثّ على إحكام البناء**

لما بلغ **عمر** رضي الله عنه أن سعداً وأصحابه بنوا بالمدر كتب إليهم: قد كنت أكره إليكم البنيان بالمدر. أما إذا فعلتم فعرضوا الحيطان وأطيلوا السمك وقاربوا بين الخشب.

ولمّا بنى **معاوية** رضي الله عنه داره باللبن دخلها **الروم فقالوا**: ما أجودها للعصافير فهدمها وبناها بالحجر. **وقال يحيى البرمكي**: ينبغي للإنسان أن يتنوق في دهليزه فهو وجه الدار ومنزل الضيف ومجلس الصديق إلى أن يؤذن له.

● **الدّارُ الحَسَنة**

دخل **المعتصم** على **خاقان** في داره عائداً له، والفتح[3] يومئذ غلام **فقال له**: يا فتح

---

(١) **الأفحوص**: الموضع الذي تفحص فيه القطاة التراب لتبيض فيه.

(٢) **ناوس**: أي الناووس وهو حجر منقور توضع داخله جثة الميت.

(٣) **الفتح**: يريد الفتح بن خاقان الذي أصبح وزير المتوكل، وهو تركي الأصل.

دارنا أحسن أم داركم؟ قال دارنا ما دام أمير المؤمنين فيها.

وقال جعفر بن سليمان ليس في الدنيا أحسن من داري قيل: كيف؟ قال: لأن العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد.

وقيل لأبي الدهمان أين دارك؟ فقال: إذا دخلت سكة بني العنبر، فالدار التي تدل على شرف أهلها هي داري. وقيل أجود الدور وأكثرها غلة ثلاثة دار البطيخ بسرّ من رأى[1]، ودار الزبير بالبصرة، ودار القطن ببغداد.

قال شاعر:

مـنـزلٌ فـيـه كـلّ مـا صـبـَبـتِ ... الـعـيـنُ إلـيـهِ مـن بـهـجـةٍ وضـيـاءِ

وقال رجاء بن الوليد:

كـانَ الـربـيـعُ بـالـزخـارفِ أرضَـه ... وحـسْـنَ الـسّـمـاءِ بـالـكـواكـبِ سـقْـفـهُ

وصف بعضهم دهليزاً فقال:

ودهـلـيـزِ دارٍ فـيـه لـلـحُـسْـن بـهـجـةٌ ... ولـلـنـفْـسِ فـيـه لِـلّـذاذة أوطـارُ

إذا دخـلَ لـم يـخـتـبـر مـا وراءَه ... تـوهـمَـه مـن طـيـبـهِ أنـه الـدارُ

وقال عبدان:

دهـالـيـزُنـا ضـاقَـتْ لـخـوفِ نـزولِـهـم ... كـأنّـا يـهـودٌ نـدخـلُ الـبـابَ سـجّـدا

● القُصورُ الرفيعَة

لما بنى عيسى بن جعفر بناءه بالبصرة، دخل إليه عبد الصمد فقال: بنيت أجلّ بناء بأطيب فناء، وأوسع فضاء على أحسن ماء بين صرار ورعاء وحيتان وظباء، فقال عيسى: كلامك أحسن من بنائنا البحتريّ في الجعفرية:

مـخـضـرةٌ والـغـيـثُ لـيـسَ بـسـاكـبٍ ... مـبـيـضّـةٌ والـلـيـلُ لـيـس بـمـقـمـرِ

أربى على هـمـم الـملوكِ وغضّ من ... بنيانِ كِسْرى في الزّمانِ وقيصَرِ[2]

عـالٍ عـلـى لـحْـظِ الـعـيـونِ كـأنّـمـا ... ينظرْنَ منه إلى بياضِ المشتري[3]

مـلأت جـوانـبُـه الـفـضـاءَ وعـلّـقـتْ ... شـرفـاتُـه قـطـعَ الـسـحـابِ الـمـمْـطـرِ

وقال ابن عيينة

فـيـا حـسـنَ ذاكَ الـقـصـرِ مـن مـتـنـزهٍ ... بأفيح سهلٍ غيرِ وعرٍ ولا ضنْكِ[4]

---

(١) سرّ من رأى: هي بلدة السامراء في العراق، بناها العباسيون سنة (٨٣٦م)، على مسافة ١٠٠ كيلو متر شمالي بغداد.

(٢) أربى: زاد ـ غضّ منه: قلّل من شأنه ـ كسرى: من ملوك الفرس ـ قيصر: ملك الروم.

(٣) المشتري: كوكب يتفاءل به، بخلاف المريخ الذي يتشاءم باسمه.

(٤) ضنك: ضيق.

بغرسٍ كأبكارِ الجواري وتربةٍ كأن ثراها ماءُ وردٍ على مِسْكِ
كأنَّ قصورَ القوْمِ ينظرْن حولَه إلى ملكٍ مترفٍ على منبر المُلْكِ
يدلّ عليها مستطيلاً بحسنه ويضحكُ منها وهي مطرقةٌ تبْكي

وقال الأشعري في قلعة افتتحها المسلمون بخراسان:

محلّقةٌ دونَ السماءِ كأنّها غمامةُ صيفٍ زالَ عنها سحابُها
فما يلحقُ الأروى شماريخَها الذرى ولا الطيْر إلا نسرُها وعقابُها[1]
فما روعت بالذئبِ ولدانُ أهلِها ولا نبحَت إلا النجوم كلابُها

وقال أحد الخالديين:

وخرقاء قد تاهتْ على مَنْ يرومُها لمرقَبِها العالي وجانِبِها الصعْبِ
يزرّ عليها الجوُّ جيبَ غمامةٍ ويلبسُها عِقداً بأنجمِهِ الشهْبِ

● **اختيارُ طرفِ البلدِ ووسطِهِ**

قيل: الأطراف للأشراف وقيل لرجل: في أيّ موضع من القرآن الأشراف في الأطراف؟ قال: في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾[2] فهذا أشرفهم وكان أقصى المدينة وطرفها.

وسأل الرشيد عبد الملك بن صالح عن منزله أهو لك؟ فقال: هو لك ولي بك. قال: كيف هواؤه وماؤه؟ قال أطيب هواء وأعذب ماء. قال: كيف ليله؟ قال: سحر كلّه.

● **أبنيةٌ متفاوتة**

استدان بعض الحمقاء خمسمائة درهم فأنفقها على مخزنه، فبلغ ذلك بعض إخوانه، فقال: ليت شعري ما يريد أن يخرأ فيه؟ وسأل رجل آخر: كم بيت في منزله؟ فقال صفة وكنيفان. فقال: هذا تقطيع رجل مبطون.

● **من بَنى بناءً نفعُه لغيره**

لما بنى الحجاج مدينة واسط قال لابن جامع: كيف ترى؟ قال: بنيته في غير بلدك وورثته لغير ولدك.

قال شاعر:

ألم ترَ حوشياً أضحى ويبني بناءً نفعُه لبني نفيلَه
يؤملُ أن يعمرَ عمْرَ نوحٍ وأمرُ الله يأتي كلَّ ليلَه

---

(١) العقاب: من الطيور الجارحة.

(٢) القرآن الكريم: القصص/ ٢٠.

وقال:

لِدُوا لِلمَوْت وابنُوا لِلخَراب ... فكلُّكم يصيرُ إلى التّرابِ[1]

وبنى أزدشير[2] بناء عظيماً فدخله هو ووزيره، **فقال**: هل فيه عيب؟ **قال**: عيب عظيم لا يمكنك إصلاحه. لك منه خروج لا دخولَ بعده، أو دخول لا خروج بعده. **فقال**: لقد نغّصته عليّ.

ودخل ابن السائب القاضي على المتّقي وقد بنى داره، **فقال له**: كيف ترى؟ **فقال**: تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنّات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً.

● الرغبةُ عنِ البناء

قيل ليزيد بن المهلب: مالك لا تبنى بالبصرة داراً؟ **فقال**: أنا لا أدخلها إلا أميراً أو أسيراً. فإن كنت أسيراً فالسجن داري، وإن كنت أميراً فدار الإمارة داري.

ومرّ رجل من الخوارج على دار تبني، **فقال**: من هذا الذي يقيم كفيلاً؟ **وقيل**: كل مال لا ينتقل بانتقالك فهو كفيل. ولما بنى مروان داره **قيل لأبي هريرة**: كيف ترى؟ **فقال**: بناء شديد وأمل بعيد وعيش زهيد.

● حرصُ الإنسان على البناء وذمُّ الاشتغال به

قيل خلق الله ابن آدم من تراب فهمته في حفر التراب، وخلقت المرأة من ضلع الرجل فهمتها في الرجل. **وقيل**: ليس في الأرض جواد ولا بخيل ابتاع داراً إلا هدم هذا وبنى هذا وإن قلّ.

ونظر الحسن إلى قصور لبعض المهالبة **فقال**: يا عجباً رفعوا الطين وركبوا البراذين[3] واتخذوا البساتين وتشبهوا بالدهاقين، فذرهم في غمرتهم حتى حين.

ومر عبد الله بن جعفر بعبد الله بن صفوان فأدخله بساتين اتخذها **وقال له**: كيف ترى؟ **قال**: أراك خالفت ما قال لك إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾[4]، وأنت قد اتخذتها بساتين.

● المعيّر بأن شرفه بناؤه

هجا بعضهم بني عميرة وكان لهم دار شريفة في الدور الشارعة على المسجد فقال:

بنو عميرٍ مجدُهمْ دارُهم ... وكلُّ قومٍ لهمُ مجدُ

---

(١) إلى التراب: وفي رواية إلى يباب. (٢) أزدشير: من ملوك الفرس.

(٣) البراذين: جمع برذون وهو دابة الحمل الثقيلة، والتركيّ من الخيل.

(٤) القرآن الكريم: إبراهيم/ ٣٧.

كـأنّـهُـم فـقـع بـدويّـة ... لـيـس لـهـم قـبـلُ ولا بـعـدُ

وهجا بعضهم بني علي فقال:

لـيسَ لـهـم مـجـدٌ سوى مـسـجـدٍ ... بـه تـعـدوا فـوقَ أطـوارِهـم
لـو هُـدمَ الـمـسـجـدُ لـم يُـعْـرَفـوا ... يـومـاً ولـم يُـسْـمَـعْ بـأخـبـارِهـم

وقال عمر الخارق:

قـد رأيـنـا حـسْـنَ سـابـا ... طـك والـدارَ الـجـلـيـلَـه
وعـلـمـنـا أنّ فـيـهـا ... كُـلّ مـا يـكْـفـي قـبـيـلَـه
غـيـرَ أنّ الـجـنَّ لا تـخْـسِـن ... فـي خـبـرك حـيـلَـه

وقال:

يـا مـنْ تـشـرّفَ بـالـبُـنـيـان يـرفـعـهُ ... لـيْـس الـتـشـرّفُ رفـعَ الـطـين بـالـطّـينِ
إذا أردتَ شـريـفَ الـنّـاس كـلّـهـم ... فـانـظـر إلـى مـلـكٍ فـي زيٍّ مـسـكـينِ

وقال مسكويه:

لا يعجبنّك حسنُ القصرِ تنزلُه ... فضيلةُ الشمسِ ليسَتْ من منازِلها

● الجار

قيل: الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق. **وكان ابن المقفع** بجنب داره دار، وكان يستامها[1] وصاحبها يمتنع من بيعها. فاتفق أن ركب صاحب الدارين واحتاج إلى بيعها فعرضت عليه. **فقال**: ما قمت إذاً بحرمة الجوار إن رغبت من ابتياعها بعد أن باعها معدوماً. وحمل إليه ثمن الدار **وقال**: بقّ دارك عليك ورد هذا على دينك.

وساوموا جاراً لفيروز على داره بثمن **فقال**: هذا ثمن الدار فأين ثمن الجوار؟ **قالوا**: وهل يباع الجوار؟ **قال**: نعم لا أبيعه إلا بإضعافه دراهم فبلغ فيروز فأرسل إليه بثمن الدار.

● هدمُ دورِ السلاطين المتقدّمة

قيل لابن الزبير: أهدم دور بني أمية. **قال**: لا أفعل إن ظفرت بهم فهي مبنية أفضل وإن عطفت عليهم بأرحامهم فهو أجمل. فلما قتل ابن الزبير لم تمس لهم لبنة ولما همّ أهل البصرة بهدم دار زياد وانتخاب أهلها، **قال الحسن رضي الله عنه**: قلّ بلدة خربت الدار التي بنيت عليها إلا خربت وإن البصرة بنيت على دار زياد، فانتهوا عن ذلك.

● بيعُ الدار وابتياعُها

قيل: لتكن الدار أول الشيء الذي يبتاع وآخر ما يباع. **وقيل للأحنف**: أي المال أبقى وأوفى؟ **فقال**: المساكن والأرضون.

---

(١) استام يستام فلاناً السلعة: سأله تعيين ثمنها.

وقال ﷺ: من باع داراً أو عقاراً فلم يرد ثمنهما في مثلها، كان كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف. **وفي حديث آخر**: فذلك مال جدير أن لا يبارك فيه. وباع رجل داراً فلما أراد أخذ الثمن وأشهد، **قال البائع**: أما أنك قد أخذتها غليظة المؤنة قليلة المعونة، **فقال المشتري**: أما أنك قد أخذتها سريعة الذهاب بطيئة الاجتماع.

● ذكرُ غلّةِ الدّار

قيل: غلة الدار مسيل، وغلّة النخل كفاف، وغلّة الحب غنى. **وقال الحكم بن سعيد** قال لي ملك سرنديب: صف لي أهل البصرة، **فقلت**: قوم لهم نخل يأكلون فضول ثمارهم، وقوم لهم دور يكرونها، وقوم لهم أرقاء يستعملونهم، وقوم لهم أموال يغدون إلى الأسواق فيأكلون فضولها **فقال**: من كان معاشه من كراء منزله فلئيم، ومن استعمل الأرقاء فكلب ولكن أصحاب النخل بها.

● نوادرُ في كِرائها

دخل رجل ليكتري حجرة **فقال**: أين المطبخ؟ **قيل**: في الجيران من يطبخ لك. **قال**: فأين المخبز؟ **قيل**: هم يخبزون لك. **قال**: فأين المرتقى إلى السطح؟ **قيل**: على باب الدار ساحة يطيب النوم بها. **قال**: إن كانت حوائج الدار كلها خارجها فنحن خارجون ونربح الأجرة.

● الرحاء

قال بعض الشعراء فيها:

وضيفَيْن جاءا من بعيد فقربا ... على فرش حتّى اطمأنَّ كلاهُما
قربْناهما ثم انتزعْنا قِراهما ... لضيفينِ جاآ من بعيدٍ سِواهما

وقال:

أغدو علي كالناب في هِجارها ... الشارفِ النافرِ من حوارها
بصاحب قد ضجّ من إمرارها ... كانَ فوقَ النّار من غبارها
شيب عجوز شفَّ من خِمارها

● الحمام

قال النبي ﷺ: بئس الحمّام يهتكُ العورة ويذهب الحياء

وقال الرقاء:

يتمشّى إلى النعيم الذي فيـ ... ـه صلاحُ الأجسادِ والأرواحِ
بيتُ ريفٍ ترودُ عينُك فيـ ... ـه بسوادِ الطلى وبيضِ الفقاحِ

وقيل للفضل الرقاشي: صفِ الحمّام، **فقال**: نعم البيت الحمّام يذهب

القشافة[1] ويعقب النظافة، ويهضم الطعام ويجلب المنام، وينفي الغضب ويقضي الإرب. قيل: قد مدحته، فذمّه قال: بئس البيت الحمام يهتك الأستار ويؤلف الأقذار ويحرق كالنار، **وقال شاعر:**

وبيتُ خزيٍ تَرى فيه العُراةَ كمَا ... يومَ القيامةِ موقُوفون للنّار
أيدي عُفاةٍ وقد مدّت إلى ملكٍ ... يعْطي الجزيلَ بقلْبٍ غيرِ خوّار[2]

ورد أعرابي الحضر فمر بحمّام **فقيل له:** أدخل وتطهر فدخل فَشجّ رأسه، **فقال:**

وقالوا تطَهّر إنه يومُ جمعةٍ ... فرحتُ من الحمّام غيرَ مطهّرِ
وزوّدتُ منه شَجّةً فوقَ حاجبي ... بفِلْسِيْن إني بئسما كان متْجَرِي
وما تخسِنُ الأعرابُ في السّوقِ مِشيةً ... فكيفَ ببيتٍ من رُخامٍ ومَرْمَرِ

وقال السريّ:

ذو قبّة كسماءٍ والبدورُ لها ... جاماتُها في أعالي الجوّ تَنْسَرِجُ
حرّ وبردٌ وماءٌ والهواءُ بهِ ... معدل منْهُما ما شانَه عِوَجُ

وقال:

كأنّ ما قببَ من سقفه ... قحفٌ من البلّوْرِ مكْبوبُ

وقال ابن المعتز:

وحمّامُنا كالعَجوز ... ويشقَى بها الواردُ
فبيتٌ له منتنٌ ... وبيتٌ له باردُ

● النورَة

قال السري الرفاء:

ومجرّد كالسيفِ أسلمَ نفسه ... لمجرّد يكسوهُ ما لا يُنْسَجُ
ثوبٌ تمزّقه الأناملُ رقّةً ... ويصيبُه الماءُ القراحُ فينهَجُ
وكأنّه لما انتَهى في خضرةٍ ... ثوبانِ ذا عاجٌ وذا فيروزَجُ

وقال:

وقمص حجارة نسجت بماءٍ ... ويلبَسُها الغَنِيُّ معَ الفقير

● الأطلالُ البالية

قال بكر بن النطاح:

لعبَ البلاءُ بطولِها ورسومِها ... لعبَ الصبابةِ في فؤادِ العاشقِ

---

(١) **القشافة:** سوء الحالة.

(٢) **الخوّار** (صيغة فعّال للمبالغة): الضعيف.

وقال معلى الطائي:

لَبِسنَ البِلى حتّى كأنَّ رسومَها ... طَعِمْنَ الهوى أو ذقنَ هجرَ الحبائبِ

وقال:

هو مُلقى على الطَّريقِ اللّيالي

وذكر أعرابي قوماً فقال: كانوا بدور جموع وجمال ربوع، فصارت منازلهم معتصر الدموع، جرت بها: الريح أذيالها وحطت بها الغيوث أثقالها وسلبتها الأيام جمالها.

● الباليةُ بالمطَر

قال ماني:

المزنُ يَمحو بكفٍّ مالَه قلمُ[1]

وقال:

رهينةُ أرواحٍ وصوبُ رُعودِ

وقال بشّار:

وأبدي البِلى فيها سُطوراً مبيَّنَةً ... عباراتُها أنّ كلَّ بيتٍ سيدثُرُ[2]

وقال ابن المعتز:

وحِيطانٌ كشطرنجٍ صفوفٌ ... فما تنفكُّ تضربُ شاه ماتَا

وقال:

أرى سرّمرا مذ سنين كثيرة ... تزيدُ خَراباً كلَّ يومٍ وتذبُلُ[3]

كأنَّ بها داءً دخيلاً فجسمُها ... على ما بها منْ سقمِها يتسلّلُ

● دارٌ شوهدَ منها النعيم

قال:

لعهدي به والسّعدُ في جنباتِه ... وثغرُ نعيمُ الخفضِ يُبدي تبسّما

● استقباحُ المنزلِ لارتحالِ الحبيب عنه

قال سليمان المحاربي:

إذا لمْ تكنْ ليلى بنجدٍ تغيّرتْ ... محاسِنُ دنيا أهلِ نجدٍ وطيبُها

وقال:

فما أحسنَ الدنيا وفي الدا ... رِ خالدٌ وأقبحَها لمّا تجهزَ غازيا

وقال علي بن محمد:

إنّما الدارُ بالحلولِ فإنْ هم ... فارقُوها فحيثُ حلّوا الديارا

---

(١) المزن: السحاب الممطر. (٢) سيدثر: الدثور: الزوال والفناء.

(٣) سرمرا: أي سرّ من رأى أو السامراء وهي مدينة في شمال العراق.

● **دارٌ خلَتْ عن كثبٍ**

أنشد أحمد بن أبي طاهر:

أمــا الــطــلــولُ فــمــخــبــرا تُ أنــهــم ظــعَــنُــوا قــريــبــاً
لــم يــعْــفِــهــا مــطــرٌ ولــمْ تــسـفُ الــريــاحُ بــهــا كــثــيــبــا
وطء الــنــعــالِ وأثــر مــفــ ــتــرَش ومــغــتَــســلاً رطــيــبــا

● **الأطلال اللائحة**

مرّ الفرزدق بمؤدب ينشده صبي قول لبيد:

وجلا السيولُ عن الطلول كأنها زبُرٌ تجد متونَها أقلامُها[1]

فنزل وسجد فقيل: ما هذا؟ فقال: أنتم تعرفون سجود القرآن، وأنا أعرف سجود الأشعار. وهذا البيت موضع سجدة.

وقال طرفة:

يلوح كباقي الوشم في ظاهرِ اليَد

قال أبو نواس:

لمن طللٌ تزدادُ حسْنُ رسومِ على طول ما أقوَتْ وطيب نَسيمِ
تجافَى البِلى عنهُنّ حتّى كأنما لبِسْنَ على الإقواءِ ثوْبَ نَعيمِ

وقال البحتري:

دمنٌ مواثِلُ كالنجومِ وإن عفَت فبأيّ نجم للصبابةِ تَهتَدي

وقال مخلد الموصلي

لم تجرِ فيها الصَبا إلا مسلمةً ولم يشُنْ وجهَها الأرواحُ والدِّيَمُ

● **عرفان المركوب المحال المعهودَة**

قال المتنبي:

مررتُ على دارِ الحبيبِ فحمحَمَتْ جوادي وهلْ تشكُو الجيادُ المعاهد[2]
وما تنكرُ الدهماءُ من رسمِ منزلٍ سقتْها ضريبَ الشوْلِ فيهِ الوَلائد[3]

وقال السلامي:

أنا المشوقُ فما للخيْل والإبل تحنّ قبلي إذا مرّتْ على طلَلِ

---

(١) **الزبر:** الكتب، جمع زبور. (٢) **حمحم:** ردّد صوته إذا رأى من يأنس به.

(٣) **الولائد:** جمع وليدة وهي الخادمة أو الأمة أو المولودة.

● **استبدالُ الدار بأهلِها الوحوش**

قال بعضهم:

عهدتُ بها وحْشاً عليها براقعُ ... وهذي وحوشٌ أصبحَت لم تبرقَعِ

وقال الوائلي:

فكَمْ آنسٍ بُدِّلَتْ منه بنافرٍ ... وحالي الشوى بدِّلَتْ منه بعاطلِ[١]

وقال أبو سعيد الرستمي:

ظباءٌ سرت بالأبطحَيْن عواطِلا ... وكنتُ أراها في الرعاثِ وفي الحجلِ[٢]

● **الدارُ المتغيرةُ بالرياح**

قال ذو الرمّة:

رسومٌ كساها لونُ أرضٍ غريبةٍ ... سوى أرضِها منها الهباءُ المغربَلُ

وقال النابغة:

كأنّ مجرّ الراسياتِ ذيولَها ... عليهِ قضيمٌ نمّقَتْهُ الرواسِمُ[٣]

وقال:

وأربَتْ بها الأرواحُ حتّى كأنّما ... تهادِيْنَ أعلى رتبة بالمناخِلِ

وقال الحماسي:

تعفوهُ بالغدوِ والأصائلِ ... كلّ هدوجٍ ذات ذيلٍ ذائلِ

كأنّما يُنْخَلُ بالمناخِلِ

وقال التنوخي:

كأنَ إرتجاسَ الريحِ في جنَباتِها ... إذاعةُ شكوى أو سرارُ تعاتُبِ

● **استطابةُ أرضِ المحبوبَ**

قل بعض الأعرابِ:

أرى كلَّ أرضٍ دمنتها وإن مضَتْ ... لها حججٌ تزدادُ طيباً ترابُها

وقال النميري:

تضوّعَ مِسكاً بطنُ نعمانَ إذْ مشَت ... به زينَبُ في نِسْوةٍ خفراتِ[٤]

---

(١) **الشوى**: ما هو ليس مقتلاً من الأعضاء، **والشوى** رذال المال.

(٢) **الرعاث**: القرط، جمع رُعْث.

(٣) **القضيم**: السيف، والصحيفة ـ **الرواسم**: جمع روسم وهو الخاتم وما يطبع به الطين، **والرواسيم**: كتب كانت في الجاهلية.

(٤) **النسوة الخفرات**: الحييات.

وقال:

استودعت نشرَها الرِّياحُ فما ... تزدادُ إلا طيباً على القِدَمِ

● دارٌ تفانى سكانها

قال ذو الرمّة:

منازلُ الآفِ أتى الدهرُ دونَهم ... وما الدّهرُ والألافُ إلا كذلك

وقال أعرابي:

تشكو إليّ الدارُ فرقةَ أهلِها ... وعندي ما بالدارِ من فرقةِ الأهلِ

أخذه محمد بن حبيب فقال:

طللانِ طالَ عليهما الأمدُ ... درسَا فلا علَم ولا قصَدُ

لبسا البِلى فكأنما وجَدا ... بعْد الأحبّةِ مثلَ ما أجِدُ

● محاورةُ الديّار ومجاوبتُها

قال ذو الرمّة:

وقفتُ على ربعٍ لميّةَ ناقتي ... فما زلتُ أبكي عندَه وأخاطبُه

وأسقيهِ حتّى كادَ مِمّا أبثّه ... تخاطِبني أحجارهُ وملاعبُهُ

● البكاءُ في الديارِ الدارسَة

قال بشّار:

وقفتُ بها صحْبي فظلّت عِراصُها ... بدمْعي وأنفاسِي تراحُ وتمطرُ

وقال العتابي:

منازلُ لم تنظرْ بها العينُ نظرةً ... فتقلِع إلا عن دموعٍ سواكِبِ

وقال الصمة:

أخادعُ عنْ أطلالِها العينَ إنه ... متى تعرفُ الأطلال عنك تذيعُ

● المنعُ من البكاءِ عليها ومساءلتها

قال البحتري:

لا تقِفي على الدِّيار فإنّي ... لستُ من أربعٍ ورسم محيلِ(١)

في بكائي على الأحبّة شغلٌ ... لأخي اللهوِ عن بُكاء الطلولِ

وقال أبو نواس:

يا كثيرَ النّوحِ في الدِّمَنِ ... لا عليها بل على السكَنِ

---

(١) الرسم المحيل: الدارس.

سِتَّةُ العُشَّاقِ واحِدَةٌ فإذا أحبَبْتَ فاستَكِنِ

وقال ابن المعتز:

إنّ دمعي لضائعٌ في رسومٍ وسُؤالي عن المُحالِ مُحالُ

وقال:

أحسنُ من وقفةٍ على طلَلٍ ومن بكاءٍ في أثرِ مُحتَمِلِ
كأسُ صبوحٍ أعطتْكَ فضلتَها كفُّ حبيبٍ والنقلُ من قُبَلِ[1]

● معاتبةُ من لمْ يقِفْ عليها

قال إسحاق بن إبراهيم:

يا ذا الذي جازَ الديارَ ولمْ يقِفْ قفْ لا وقفتَ أما ترَى أطلالَها
لو كنتَ ذا وجدٍ بساكِنِها لما جاوزتَها حتى أطلْتَ سؤالَها[2]

● الاستسقاءُ للدار

قال أبو تمّام:

لا زلتِ ناضرةَ العِراصِ ولم تزلْ فيك الرياحُ ضعيفةَ الأنفاسِ[3]

وقال ابن الرومي:

لا يحرِمِ اللّهُ الطلولَ الدرسَا أقاحياً وسوسناً ونرجِسَا
يكادُ ريّاه إذا تنفَّسَا ينشيء في تلك المواتِ أنفسا[4]

وقال الوابلي:

سقيتِ رجوعَ الظاعنين فإنه غنى لك عن سُقْيا الغُيوثِ الهواطِلِ

● الدعاءُ على الدار

قال زياد بن جملة:

إذا سقى الله أرضاً صوبَ غاديةٍ فلا سقاهُنَّ إلا النارَ تضطرمُ[5]

● تنكرُ الدار وعرفانُها

قال امرؤ القيس:

لِمَنْ طلَلٌ درستْ دارُه وغيّره سالفُ الأخرسِ

---

(١) الصبوح: خمر الصباح ـ النقل: ما يتناقله في مجلس الشراب من فستق وتفاح ونحوهما.
(٢) الوجد: المحبة.
(٣) العراص والعرصات: جمع عرصة وهي الساحة الواسعة أمام الدار.
(٤) ريّاه: رائحته. (٥) الغادية: السحابة الممطرة في الغدوة، باكراً.

تـنـكـره الـعـيـنُ مـن حـادث ... ويـعـرفـه شـغـفُ الأنـفُـسِ

وفيه:

تـعـرفُـهُ الـعـيْـنُ ثـم تـنـكِـرُهُ

وفيه:

فـتـعـرفُـهُ عـيْـنـي ويـنـكـرُهُ فَـمِـي

وقال البحتري:

وما أعرفُ الأطلالَ من بطنِ توضحَ ... لطولِ تعفّيها ولكن إخالُها

- **الأثافي والرّماد**

قال بشر:

كـأنّ خـوالـداً فـي الـدّار سـفـعـاً ... بـعـرصـتِـهـم حـمـامـاتٌ وقـوعُ

وقال جرير:

مَـطـايـا الـقِـدْر كـالـحِـدا الـجـثـوم

وقيل: ما بقي إلا ثلاث سفع كحمام وقع، كانت مطايا القدور فانهلن في عرصة الدور، **وقال شاعر:**

أشاعتْ كالخيلانِ في خدِّ كاعبٍ ... وسفعٍ كنقطِ الثاء من كفِّ كاتبِ[1]

وقال الكميت:

إلا ثـلاثـاً فـي الـمـقـا ... مَـة مـا يـحـولـهُـنّ نـاقـلُ

سـفـعُ الـخـدودِ كـأنـمـا ... نُـثـرتْ عـلـيـهِـن الـمـكـاحِـلُ

وقال ابن المعتز:

عـفـا غـيـرُ سـفـعٍ مـاثـلاتٍ كـأنـهـا ... خـدودُ عـذارى مـسّـهُـنّ شُـحـوبُ[2]

وقال آخر:

رمـادٌ كـمـا طـارَ عـلـى بـوّ ظـائـر

وقال الراعي:

أنـخْـنَ وهـنّ أغـفـالٌ عـلـيْـهـا ... وقـد تـركَ الـصـلاةَ بـهـنّ نـارا

- **النؤي**

قال أبو تمام:

ونـؤي مـثـل مـا نـقـصِـم الـسّـوارا[3]

وقال:

والـنـؤيُ أهـمـدَ شـطـرُه فـكـأنـه ... تـحـتَ الـحـوادثِ حـاجـبٌ مـقـرونُ

---

(١) **الخيلان:** جمع خال ـ **الكاعب:** الشابّة التي كعب ثديها.

(٢) **السفع (هنا):** حجارة الموقد. (٣) **النؤي:** الحوض حول الخيمة.

وقال:

ونؤيٍ كمقلى القَوسِ حالَتْ شحوبُه

وقال التنوخي:

وعطفنا نؤيَ كنونٍ عرقت

● **الوَتد**

قال ابن مقبل:

وقلدتُ أرسانَ الجياد معبداً ... إذا ما ضربنا رأسَه لا يرنحُ

فباتَ يقاسِي بعد ما شجّ رأسَه ... فحولا جمعناها تشبّ وتضرح

(٥)

وممّا جاء في المفازة

●

قال بعضهم:

وبيداءَ سمحالٍ كأنّ نعامَها ... بأرجائها القصْوى أباعرُ هملُ

ترى الثعلبَ الحوليّ فيها كأنّما ... إذا ما حلَلْناها نر حصان مجللُ

وقال بعضهم:

كأنّما المكاءُ في بيدِها ... سرادقٌ قد أوقدَتْه الأصلُ[1]

وقال:

تخالُ بها راعي الحمولةِ طائرا

● **الطريقُ الواضِحُ**

لاحبٌ كقرني الثعبان وكفرق الرأس وكحصير الراملات، قال شاعر:

كأنه نشطب بالسرو مرمول

وكالسحل اليماني وكظهر برجد.

وقال الراجز:

عودٌ على عودٍ لأقوامٍ أول ... يموتُ بالتّركِ ويحيا بالعمَل

وقال آخر:

ملسُ الحَصَى بدرس ما لَمْ يبْسس

---

(١) **المكاء**: جمع مكاكي طائر من القنبر وهو أبيض اللون ـ **الأصل**: جمع أصيل وهو الوقت من العصر إلى الغروب.

● **المفازةُ المهلكة للمطي**

وقال عمرو بن معدي كرب:

بـه جـيـف الـلـواغـب بـالـيـات ... كـأن عـظـامَـهـا الـرخْـمُ الـوقـوعُ[1]

وقال كثيّر:

بـدويـةٌ يـكـونُ بـهـا كـثـيـراً ... نـتـاجُ الـمـعـجـلاتِ مـن الـسّـخـالِ

وقال الموسوي:

تـلـقـى الأحبّةُ قتلي في مسالِكـهـا ... ديـاتـهـا فـي رقـابِ الـفـرز والأكـمِ

● **المفازة التي تضبح منها المطايا**

قال امرؤ القيس:

عـلـى لاحـب لا يـهـتَـدي لـمـنـارِه ... إذا سـاقَـه الـعـودُ الـنـبـاطـي جرجَرا[2]

● **المفازة المجهولة**

وصف بعضهم مفازةً فقال: هي غبراء الجوانب مجهولة المذاهب، تقطع المطا ويحار فيها القطا.

قال علقمة:

ودويّـــة لا يَـهـتَـدي لـفـلاتِـهـا ... بـعـرفـان أعـلامٍ ولا ضـوء كـوكـبِ

وقال:

وفـي ذكْـرِهـا عـنـدَ الأنـيـسِ خـمـولُ

وسأل رجل أعرابياً عن مفازة فقال: صادفتها عانسة عذراء، فافترعتها بعيرانة[3] أدماء.

وقال الوزير الرئيس أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم:

وبـهـمـاء مثلِ الـوهْـم عـذراء أعـرَضَـتْ ... فـقـالـتْ لـنـا نكْحا وقلْنا لـهـا خطْبا

● **المفازة الواسعة**

قال دعبل:

وفـــضـــاءٍ يـــرجـــعُ الـــطّـــرفُ بـــهِ ... قـــبـــلَ أن يـــرجـــعَ مـــأواه الـــبـــصَـــرُ

وقال ديكُ الجن:

يـا ربَّ خـرقٍ كـأن الـلّـةَ قـالَ لـه ... إذا طـوتْـك رقـابُ الـقـومِ فـانـتـشِـرِ

---

(١) **اللواغب:** جمع اللاغب الضعيف.

(٢) **اللاحب:** الطريق الواضح.

(٣) **العيرانة:** الناقة.

وقال ذو الرمّة:

دوٌّ ككفِ المشتري غيرَ أنه بساط لأخفاف المراسل واسع

وقال:

مجهولةٌ تغتالُ خطوَ الخاطي

وقال المتنبّي:

مهالكُ لم يصحَبْ بها الذئبُ نفسَه فلا حملتْ فيها الغرابَ قوادمُه[١]

وقال:

مشوّهةُ المعالمِ واليَفاعِ

وقال المأموني:

وكأن العرارَ راحةُ داعٍ أو مَطا ساجدٍ عليه ملاءُ

● **المفازة الموصولة بالأخرى**

وقال جابر بن حيي:

إذا زال رعنٌ عن يديها ونحرِها بدا رأسُ رعنٍ واردٍ متقدِّمِ[٢]

وقال آخر:

إذا قطعنا علَماً بدا علمُ[٣]

● **المفازة التي يلمَعُ فيها الآل**

وقال عدي بن الرقاع:

وإذا بدا علمٌ لهنّ كأنه في الآل حينَ يرى ذؤابةُ عالمِ

ووصف أبو النجم جبلاً في الآل فقال:

سائخٌ ماءهم بالرسوبِ

وقال المرقش في وصفه:

رؤوسُ رجالٌ في خليجِ تغامس

وقال آخر:

كأن أعلامَها في آلها القزع[٤]

وقال آخر:

وقوض الآلِ ساحرةُ السّراب

---

(١) القوادم: الريش الطويل في جناح الطائر.

(٢) الرعن: أنف الجبل. (٣) العلم: الجبل.

(٤) الآل: السراب ـ القزع: قطع السحاب الصغار المتفرّقة، وصغار الإبل.

● **المفازةُ التي تنخرقُ فيها الرِّياح**

خرق تنخرق فيه الرياح فتحسر طوراً وتلعب طوراً، **وقال مسلم:**

تمشي الرياحُ بها مرْضى مولهةً ... حيْرى تلوذُ بأطرافِ الجلاميدِ

وقال الموسوي:

توهمتُ عصفَ الريحِ بين خروجه ... يسيرُ إلى سمْعي بسرّ يصمم

● **المفازةُ التي يعرفُ فيها الجان**

قال الأعشى:

وبلدة مثلِ ظهرِ الترسِ موحشةٍ ... للجنّ بالليلِ في حافاتها زَجَلُ[1]

وقال آخر:

شياطينُها في أوجهِ القوم كلّحُ[2]

وقال حميد بن ثور:

وخرقٍ تحدّثُ غيطانُها ... حديثَ العَذارى بأسرارِها

● **المفازة التي تصيح فيها الأصداء**

وقال رؤبة:

وبلدةٍ عاميةٍ أعماؤهُ ... قد صخبَت في ليلةٍ أصداؤه

داع دعا لم أدر ما دعاؤه

وقال المرقّش الأكبر:

وتسمع تزقاءً من البومِ حولَنا ... كما ضربَت بعْد الهدوّ النواقسُ[3]

وقال ذو الرمّة:

يظلّ بها الحرباءُ للشمسِ ماثلاً ... على الجِذل إلا أنه لا يكبرُ

إذا حول الظل العشيّ رأيتَه ... حنيفاً وفي قرنِ الضّحى ينتصرُ[4]

وقال:

كأن يدَي حربائها متشمّساً ... يدا مذنبٍ يستغفرُ الله تائبِ

وقال المرار:

كأن حرباءها يصلي بتنّور

---

(١) **الزجل**: الجلبة والصوت المرتفع. (٢) **كلّح**: عابسة مقطبة.

(٣) **النواقس**: أي النواقيس، جمع ناقوس، والناقوس الجرس.

(٤) **الحنيف**: المستقيم.

وقال ابن المعتز:

كأن حرباءها والشمسُ تصهرُه ... صالٍ دنا من لهيبِ النار مقرورُ[1]

(٦)

وممّا جاء في التغرب

•

● حمدُ التغرّب والسَفَر

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[2] **وقال النبي ﷺ** سافروا تغنموا، فإنكم إن لم تغنموا مالاً أفدتم عقلاً.

وقال سافروا تصحوا. **وقيل**: السعي جناحُ الجدّ والزماع[3] أخو النجح. **وقيل**: من التوفيق رفض التواني، ومن الخذلان مسامرة الأماني.

وقيل: من لزم القرار سيم الصغار. **وقيل**: شمّر ذيلاً وأدرّع ليلاً اتخذ الليل جمل.

وكان بشر بن الحارث **يقول لأصحابه**: سيحوا فإن الماءَ إذا ساحَ طابَ وإذا وقف تغيّر.

● الحثّ على الانتقال من مكانٍ نبا بصاحبه والتمدّحُ بذلك

قيل: أوحش وطنك إذا كان في إيحاشه أنسك، واهجر منزلك إذا نبت[4] عنه نفسك.

وقف بهلول على قوم من أهل الأدب فقال لهم: كيف ترون قول الشاعر؟:

وإذ نبَا بكَ منزلٌ فتحَوّلِ

قالوا: جيّد، فضرط لهم **وقال**: إذا كان في حبس كيف يتحول؟ **قالوا**: فما عندك قال:

إذا كنتُ في دار يهينُك أهلُها ... ولم تكُ ممنوعاً بها فتحوّلِ

وقال أبو دلف:

وإذا الديارُ تنكّرتْ عن حالِها ... فدعِ المقامَ وأسرعِ التحويلا

ليسَ المقامُ عليك فرضاً واجباً ... في موطنٍ يذرُ العَزيزَ ذليلا[5]

---

(١) **الصالي**: المستدفىء ـ **مقرور**: مرتجف من البرد.

(٢) **القرآن الكريم**: سورة الملك/ ١٥، **والنشور**: البعث، يوم القيامة.

(٣) **الزماع**: العزم والمضاء في الأمر. (٤) **نبت عنه نفسك**: جفته.

(٥) **يذر**: يترك.

وقال المتلمّس:

ولـنْ يـقـيـمَ عـلـى خـسـفٍ يُـسامُ بـه ... إلا الأذلاّن عـيـرُ الـحـيّ والـوتَـدُ[1]

هـذا عـلـى الـخـسـفِ مربـوطٌ برمّـتـه ... وذا يـشَـجّ فـلا يُـرْثـي لـه أحـد[2]

وقال قيس بن الحطيم:

ومـا بُـغْـضُ الإقـامـةِ فـي ديـار ... يـهـانُ بـهـا الـفـتـى إلا بـلاءُ

وقال حرب بن خباب:

إذا مـا اجـتـوتْـنـي بـلـدةٌ لـمْ أكـنْ بـهـا ... نسيباً ولـم تـسدُدْ علـيّ المطامِعُ[3]

وقال البحتري:

ومنْ عادتي والعجْزُ مِن غيرِ عادتي ... متَى لا أرح عن منزلِ الذلّ أُدْلِجُ[4]

وقال أبو فراس:

إذا لـمْ أجِـد مـن بـلـدَةٍ مـا أريـدُه ... فـعـنـدي لأخـرى عـزمـةٌ ورِكـابُ

● **مخالفة العذّال في الترحّل والنهيُ عن مخافةِ نزول الأجل**

لما أراد عبد الملك الخروج إلى مصعب تعلّقت به عاتكة وهي تبكي وتقول قاتل الله القائل:

إذا مـا أرادَ الـغـزوَ لـم يـثـنِ هـمّـه ... حصانٌ عليها نظمُ درّ يزينها[5]

وقال ابن جبلة:

وخافتْ على التطوافِ فَوْتي وإنّما ... تُصاد غرارُ الوحشِ وهي رتوعُ

وقال بشّار:

يخافُ المنايا إن ترحلتُ صاحِبي ... كأنّ المنايا في المقام مناسبُه

● **كراهةُ إطالةِ الإقامة بمكان**

قال أبو تمام:

وطولُ مقام المرءِ في الحيّ مخلِقٌ ... لديباجتيْه فاغترب تتجدّدِ[6]

فإنّي رأيتُ الشمسَ زيدت محبّةً ... على النّاس إذْ ليسَتْ عليهم بسرَمدِ[7]

---

(١) **الخسف**: الذلّ.

(٢) **الرمة**: القطعة من الحبل.

(٣) **اجتوتني**: كرهتني.

(٤) **أدلج**: الإدلاج: السير في آخر اللّيل.

(٥) **الحصان**: المرأة العفيفة ـ وقوله: لم يكن همه أي لم يضعف همته أو إرادته.

(٦) **مخلق لديباجتيه**: أي يبلي ديباجتيه ـ **اغترب (هنا)**: أي هاجر.

(٧) **ليست بسرمد**: أي ليست دائمة الشروق.

وقال آخر:

السيفُ إن قرّ في الغمود صدًا

وقيل: الإغراب يعيد الجدّه ويفيد الحدّه، إذا أخلقك الوطن جددك الظعنُ لا يألف الوطن إلا ضيق العطن.

وقال يزيد بن المهلّب:

وإنّ لزومَ قعرِ البيت موتٌ ... وإن السيْرَ في الأرض النشورُ

• النهيُ عن الإقامةِ بمكانٍ مخصِبٍ فيه هوان

قال سعدُ بن ثابت:

ولسْنا بمتلين دار هضيمة ... مخافةَ موت إن بنا نبتِ الدارُ[1]

وقال المتنبّي:

وما منزلُ اللذّات عندي بمنزلٍ ... إذا لمْ أجلَّلْ عندَه وأكرمِ

• تأسّفُ من يلحقُه إذلالٌ فيعسرُ عليه الانتقال

قال شاعر:

أماليَ في بلاد الله بابٌ ... يؤدّيني إلى سُبلِ النّجاحِ
بلى في الأرض متّسعٌ عريضٌ ... ولكنّي منعْتُ منَ البراحِ
وما يُغني العقابُ عيان صيدٍ ... إذا كان العُقابُ بلا جَناحِ

وقرىء على حائط بأسد أباد:

غيرْتُ بين عزيمتَين كلاهما ... أمضَى عليّ من شَباة سنانِ
هِممٌ تشوّقُني إلى طلبِ العلى ... وهوى يشوّقُني إلى الأوطانِ

وقيل: إذا أعيا المقام في الوطن، أغنى الجلاء عن العطن[2]

• إيثارُ اليسرِ في الغربةِ على العُسْر في الوطَن

قيل: اليسر في الغربة وطن، والعسر في الوطن غربة. **وقيل:** إذا أيسرتَ فكل رحل رحلك، وإذا أعسرتَ اجتنبك أهلُك.

وقال عبد الملك للحارث: أي البلاد أحب إليك؟ فقال: ما حسنت فيه حالي وعرض فيه جاهي، لا كوفة أبي ولا بصرة أمي، خشونة الغربة مع الجدّة أوطأ من لين الموطن مع الفقر.

---

(١) **لسنا بمتلين:** من أتلاه أي أخلاه ـ **دار هضيمة:** أي دار ظلم وغضب، **والهضيمة** أيضاً طعام يعمل للميت ـ **نبت بنا الدار:** جفتنا.

(٢) **العطن:** مبرك الإبل.

وقال بزرجمهر: السعيد يتبع الرزق، والشقي يتبع مسقط الرأس، أخذه من قال:

ذو اللبّ تنزعُ للرفاعةِ نفسُه ... وترى الشقيّ نزوعُه للموطنِ[1]

وقال المتنبّي:

وما بلدُ الإنسانِ غيرُ الموافقِ ... ولا أهلُه الأدنَوْنَ غيرُ الأصادقِ

قال أبو نواس: دخلت دار السلطان بمدينة السلام، فرأيت أبا دلف الكرخي متعلقاً بعض ستائر الخاصة، وهو يقول:

طلبُ المعاشِ مفرِّقٌ ... بينَ الأحبّةِ والوطَنْ
ومصيّرٌ جلدَ الرجا ... لِ إلى الضَّراعةِ والوهَنِ
حتّى يُقادَ كما يُقا ... دُ النِضوُ في ثِنْيِ الرسَنِ
ثم المنيّةُ بعدَه ... فكأنّه ما لم يكنِ

فقلت: أيها الأمير لو صرت إلى حجرتي، لأنشدتك بيتين يسليانك فجاء معي فأكل وشرب وقال: هات ما عندك فأنشدته:

إذا كنتَ في أرض عزيزاً وإنْ نأتْ ... فلا تكثرنْ منها نِزاعاً إلى الوطَنِ
فما هي إلا بلدةٌ بعْدَ بلدةٍ ... وخيرُها ما كان عوناً على الزمَنِ

فسرّي عنه وحباني مالاً جمّاً.

- **إيثارُ العسرِ في الوطن على اليُسر في الغُربة**

قيل: عسرك في وطنك أطيبُ من يسرك في غربتك. وقيل: إذا وجدت بعض القوت فالزم قعر البيوت. وقيل: إحفظ بلدا ربّاك. وقيل: بلدٌ أغذيتَ فيه السلامة فلا تزايله[2] وقال:

وإن اغترابي كي أنالَ معيشةً ... وفضلَ غنىً للوارثينَ خسارُ

- **ذمّ الخروجِ عن الوطن**

قيل الغربة ذلّة وكربة. وقد قال النبي ﷺ: من رضي بالذل فليس منّا. وقيل السفر سقر، ولكن غلط باسمه. وقيل السفر شعبة من جهنم، ولذلك قيل: لولا فرحة الأوبة لعذبت بالسفر.

وقال التنوخي:

مسيرٌ دعاه الناس سيراً توسّعا ... ومعنى اسمه إن حقّقوه إسارُ

---

(١) تنزع نفسه: تحنّ وتشتاق.

(٢) لا تزايله: لا تفارقه ولا تتركه إلى سواه.

وقيل: عذابان لا يعرف قدرهما إلا من بلي بهما: السفر الشاسع والعذاب الواسع، وقال:

وإن اغترابُ المرءِ من غير خلّة ... ولا همّة يسمو بها لعجيب

وقال مروان:

إذا ما حِمامُ المرءِ حُمّ ببلدَة ... دعتْه إليها حاجةٌ وتَطرُّبُ[1]

وقال البحتري:

وإن اغترابَ المرءِ في غير بغيةٍ ... يطالبُها من حيفِ دهرٍ يطالبُه[2]

وقال الحسن رضي الله عنه في دعائه: اللّهمّ إنا نعوذ بك أن نملّ معافاتك. فقيل له في ذلك، فقال: أن يكون الرجل في خفض فتدعوه نفسه إلى سفره، وقيل - ما دار من يشتاق إلى السفر بدار سلامة.

● **ذمّ الإقامة في غير الأهل**

قيل: إذا كنت في غير قومك فلا تنسَ نصيبك من الذلّ، وقال:

نصيبك من ذلّ إذا كنتَ جاليا

وقال:

إذا كنت في قومٍ ولم تكُ منهمُ ... فكُلْ ما علفتَ من خبيثٍ وطيّبِ

الغريب كالفرس الذي زايل أرضه وفقد شربه فهو ذاوٍ لا يثمر وذابل لا ينضر وقال الأعشى:

ومن يغترب عن قومهِ لا يجدْ له ... على منْ له رهطٌ حواليْه مغْضَبا

وتدفنُ منه الصالحاتُ وإن يسيء ... يكن ما أساءَ النار في رأس كوكبَا

وقال:

ولم أر عزّا لامرىءٍ كعشيرةٍ ... ولم أر ذلاً مثل ناءٍ عنِ الأهْلِ

وقال أبو عيينة:

وقائلةٍ ماذا نأى بك عنهم ... فقلتُ لها لا علْم لي فسلي القدَر

فيا سفراً أودَى بلهوي ولذّتي ... ونغّصني عيشى عدمتُك من سفر

وروي أنه رثي القاسم بن عبيد الله فقيل له: ما خبرك؟ فقال:

وارحمتا للغريبِ في البلدِ ... النازحِ ماذا بنفسه صنعَا[3]

فارقَ أحبابه فما انتفعُوا ... بالعيشِ من بعْده وما انتفَعَا

---

(١) الحِمام: الموت. (٢) الحيف: الجور والظلم. (٣) البلد النازح: البلد النائي البعيد.

● الحثّ على إجمالِ المعاشرَة في السّفر

قيل: لا تحمدنّ امرأ حتّى تجربَه في معاملة أو سفر. **وقيل**: السفر ميزانُ القوم. **وقيل**: سمّي السفر سفراً لأنه يسفر عن الأخلاق المحمودة والمذمومة.

وقال المطوي:

أكرمْ رفيقَكَ حتّى ينقَضي السفرُ ... إنّ الذي أنتَ موليه سينتَشِرُ
ولا تكنْ كلئامٍ أظهروا ضجَرا ... إن اللئامَ إذا ما سافروا ضجِروا

وقال أبو دلف:

وممّا يسكِنُ قلبَ الغريب ... رفيقٌ تطيبُ به الصّحْبَة

وأراد الحسن الحجّ **فقال له ثابت**: نصطحب، **فقال**: دعنا نتعايش بستر الله إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت[١] عليه.

● الكثيرُ التقلّبِ في البلدان

مدح بعضهم رجلاً **فقال**: يدّرع الليل ويستحقر السير، فيظل بموماة[٢] ويمسي بغيرها:

أسْيَرُ في الآفاقِ من مَثَلِ

وقال البحتري:

تقاذفُ بي بلادٌ عنْ بلادٍ ... كأنّي بينَها خبرٌ شَرودُ

وقال آخر:

وذاكَ تروكٌ للفِراشِ المُمهّدِ

وقال أبو تمّام:

خليفةُ الحضرِ من يربع على وطَنٍ ... في بلدةٍ فظهورُ العِيس أوْطاني

وقال آخر:

وأيّ بلادٍ لم تطأْها ركائِبي

● المُتشمّر في السّفر

قال زياد بن جميل:

مخدّمون ثقالٌ في مجالسِهم ... وفي الرّحال إذا صاحبتَهم خدمُ

وقيل: فلان عبد أصحابه في السفر وسيّدهم في الحضر، **وقال شاعر**:

وعبْدٌ للصّحابةِ غيرُ عبْدِ

وقال هشام لرجل أراد سفراً: أخدم أصحابك وإيّاك أن تكونَ كلبَهم، فإن لكل رفقة

---

(١) **نتماقت عليه**: نتباغض بسببه. (٢) **الموماة**: الفلاة الواسعة لا ماء فيها.

كلباً ينبح دونهم، فإن كان خيراً أشركوه وإن كان شراً تقلّده دونهم.

● **مشاركةُ الرفيقِ في المركوبِ والزاد**

قال ابن مسعود: كنّا يوم بدر ثلاثة على بعير، وكان أمير المؤمنين وأبو لبابة زميلَي رسول الله ﷺ وإذا دارت عقبتهما. **قالا**: يا رسول الله إركب ونمشي عنك، **فيقول**: ما أنتما بأقوى منّي وما أغنى بالأجر منكما.

وقال حاتم:

إذا كنتَ ربّاً للقلوص فلا تدعْ ... رفيقَك يمْشي خلفَه غيرَ راكبِ
أنِخْها وأردفه فإنْ حملتكما ... فذاكَ وإن كانَ العقَاب فعاقبِ

وقال آخر:

إذا ما خليلي ظلّ ينسِلُ خلفَها ... وفي ناقَتي فضْلٌ فلا حملَتْ رِجْلي
ولَمْ يكُ من زادي له مثل مزودي ... فلا كنت ذا زادٍ ولا كنت ذا رحلِ

● **حمْدُ الإيغالِ[1] في السّير والتبجُّح به**

قيل لرجل: كيف كان سيرك؟ **قال**: كنت آكل الوجه، وأغرس إذا أسحرت، وأرتحل إذا أسفرت، فأسير الموضع وأجتنب الملمع. فجئتكم بمشي سبع.

وسار ذكوان من مكة في يوم وليلة، فقدم على أبي هريرة وهو خليفة مروان على المدينة فصلّى العتمة **فقال له أبو هريرة**: حاج غير مقبول منه. **فقال**: لمه؟ فقال: لأنك نفرت قبل الزوال فأخرج كتاب مروان مؤرّخاً بعد الزوال. وحذيفة بن بدر أغار على هجاء بن المنذر بن ماء السماء فسار في ليلة مسير ثمان، وفيه يقول قيس بن الحطيم:

هَمَمْنا بالإقامةِ ثمّ سِرْنا ... مسيرَ حذيفَة الخيْر بنِ بدْرِ

● **ذمّ الإيغالِ في السّير**

في الحديث: إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. **وفي الحديث**: خيرُ الأمور أوساطها. وشرّ السير الحقحقة.

قال المرار:

نقطعُ بالنّزولِ الأرضَ عنّا ... وبُعْدُ الأرض يقطعُه النزولُ

● **الشاحب اللون لسفره**

يقال: فلان رجيع سفر، ووقيد سهر، **وقال المرار**:

وغبره تهجير ركبٍ يلفّهم ... سمومٌ أتتْ دونَ العجائبِ تلفَحُ[2]

---

(١) **الإيغال**: التوغل والإمعان في السير، **ويقال أيضاً** غذ إغذاذ السير وفي السير أسرع وحثّ مطيته.

(٢) **تلفح**: تصيب الوجه وتحرقه.

وقال:

نضوُ هوى بالَ على نضوِ سفَر[1]

وقال آخر:

أتـرك أنـقـاضـاً عـلـى أنـقـاض

وقال البحتري:

ردّ الهجيرُ لحاهُم بعْد شعلتِها ... سوداً فعادُوا شباباً بعدَما اكتهلُوا

● **من غلبه النعاس لإدامةِ السّرى**

قال شاعر:

فلانٌ يجودُ من صباباتِه الكرَى ... سقاهُ السُّرى خمْراً فصارَ به سكْرُ[2]

وقال كعب بن زهير[3]**:**

وأشعثُ رخوُ المنكِبَيْن بعثتُه ... وللنّومِ منْه في العِظام دبيبُ

وقال إسحاق:

ومـعـرّسٍ نـبّـهـتُـه ... فـكـأنّـمـا نـبّـهـتُ فـهْـدا[4]

● **قطعُ المفاوزِ باللّيل**

وقال عليّ بن جبلة:

وليلٍ بعيدٍ صبحُه من مسائهِ ... منوع السّرى لا يمتَطيه هيوبُ
بنيتُ على أولاه أخراه فالتَقى ... على العِيس منْه مطلعٌ ومغيبُ

وقال أعرابي: جبت أودية الظلام وهجرت لذيذ المَنام، إلى أن وصلت إلى المرام،

وقال شاعر:

ونضوتُ سربالَ المفاوزِ بالسّرى ... وجعلتُ أرديةَ السُّرى سِرْبالي[5]

وقال المتنبّي:

وأسري في ظلامِ الليل وخدي ... كأنّي منْه في قمَرٍ مُنيرِ

---

(١) **النضو:** السهم الذي فسد من كثرة ما رمي به والنضو الثوب البالي، والمهزول المجرّد من اللحم.

(٢) **الصبابة:** الولع الشديد ـ **الكرى:** النوم ـ **السرى:** السير في الليل.

(٣) **كعب بن زهير:** شاعر مخضرم، أدرك الإسلام عزض بالإسلام، ثم جاء النبي وأسلم فصفح عنه، وهو صاحب قصيدة «بانت سعاد» في مدح النبي ﷺ.

(٤) **المعرّس:** المستريح من السفر قبل الارتحال.

(٥) **نضوت:** خلعت ـ **سربال:** لباس ـ **المفاوز:** جمع مفازة، وهي الفلاة ـ **الأردية:** جمع رداء وهو الكساء.

● **قطع المفاوزِ بالهاجِرَة**

قال أعرابي: خرجت في هاجرة كادت النفوس لها تلتهب، والحرابي من شمسها تصطلب. **وقال النابغة**:

إذا الشمسُ مجّتْ ريقَها بالكَلاكِلِ[1]

وقال علقمة:

وقدْ علوتُ قتودَ الرحْلِ يسعفُني ... يومٌ تجيءُ به الجوزاءُ مسْمومُ
حامٍ كأنّ أوارَ الشمسِ شاملُه ... دونَ الثيابِ ورأسُ المرءِ مغمومُ[2]

● **من ألفته السّباع والمفاوز**

وقال تأبّط شرّاً:

أبيتُ بمغْنى الوحشِ حتّى ألفتُه ... وتصْبح لا يحمي لها الدهرُ مرتَعاً

وقال أبو تمّام:

أَبَنّ مع السّباعِ الماءَ حتّى ... لَخالتْه السّباعُ منَ السّباعِ[3]

وقال المتنبي:

صحبتُ في الفلوَاتِ الوحْشَ مُنفرداً ... حتّى تعجّب منّي القورُ والأكَمُ[4]

وقال الشنفرى:

ولي دونَكم أهلونَ سيدٌ عملّسٌ ... وأرقطُ زهلولٌ وعرفاءُ جيْألُ[5]

● **المهتّدي بالنّجوم والعارفُ المفاوز**

وقال بشّار:

ويهماء يستاف الترابُ دليلَها ... وليْس له إلا اليَماني مخلقُ[6]
تجاوزتُها وخدي ولمْ أرهَبِ الرّدى ... دَليلي نجْمٌ أو حوارٌ محلّقُ[7]

وقال حميد:

تيهاء لا يتخطّاها الدليل بها ... إلا وناظرُه بالنجم معقودُ

---

(١) **الكلاكل**: جمع كلكل، وهو الصدر.

(٢) **الأوار**: شدّة الحرّ ـ **الرأس المغموم**: المغطّى بالعمامة.

(٣) **خالته**: ظنّته وحسبته.

(٤) **القور**: الجبل الصغير ـ **الأكم**: جمع أكمة، وهي المرتفع من الأرض.

(٥) **العملس**: الذئب الخبيث ـ **الأرقط**: النمر، **والأرقط** الأسود المشوب بنقط بياض، أو أبيض مشوب بنقط سواد ـ **الزهلول**: الأملس ـ **العرفاء**: الضبع الكثيرة الشعر ـ **الجيأل**: من أسماء الضبع.

(٦) **اليهماء**: الفلاة التي لا ماء فيها ولا يهتدى إلى طرفها ـ **اليماني**: السيف المنسوب إلى اليمن.

(٧) **الحوار**: التجاوب في الكلام.

وقال تأبّط شرّاً:

يرى الوحشةَ الأنسَ الأنيس ويهتَدي بحيثُ اهتدَتْ أم النّجوم الشوابك

وقال آخر:

تـرَى الـليـلَ كـورا والـمـجـرّةَ مـقـودا

وقال المتنبّي:

وإنّـي لـنـجْـمٌ يـهـتَـدي صـحـبتي بـه إذا حـالَ مـن دونِ الـنّـجـوم سـحـابُ

وقيل: فلان أدلّ من دعميص[١] الرمل لأنه بلغ آخر رمال بني سعد، ولم يبلغه غيره وعبد الله بن أريقط وهو الذي دل النبي ﷺ ليلة الهجرة وفلان أهدى من القطا ومن اليد إلى الفم.

● القادرُ على المشي

قال أعشى باهلة:

لا يـغـمـزُ الـسـاق من أيـن ولا وصَـب ولا يـعـضّ عـلـى شرسوفـه الـصـقرُ[٢]

وقال:

تـحـسـبـنـي مـحـجّـلاً سـبـطَ الـسـا قـيْـن أبـكـي أن يـظـلَـعَ الـجـمـلُ[٣]

● المسرّةُ بالعودِ من السفرِ سالماً

قال ابنُ عيينة:

إذا نـحْـنُ عـدْنـا آيـبـيـنَ بـأنْـفُـسٍ كـرام رجَـتْ أمـرأ فـخـابَ رجـاؤُهـا

فـأنـفـسُـنـا خـيْـر الـغـنـيـمـةِ إنـهـا تـؤوبُ وفـيـهـا مـاؤُهـا وحـيَـاؤُهـا

وقال:

فألقَـتْ عـصَـاهـا واسـتـقـرّ بـهـا الـنّـوَى كـمَـا قـرّ عـيْـنـاً بـالإيـابِ الـمـسـافِـرُ[٤]

وقال آخر:

رضـيـتُ مـن الـغـنـيـمَـةِ بـالإيـابِ

● مسرةُ الراجعِ بقَضاء الحاجَة

قيل لأعرابي: ما السرور؟ قال: أوبةٌ بغير خيبة. وقال آخر: غيبةٌ تفيد غِنّى وأوبةٌ تعقبُ منىً وقال أبو تمّام:

مـا آبَ مـن آبَ لـمْ يـظْـفـرْ بـحـاجَـتـهِ ولـمْ يـغـبْ طـالـب لـلـنجـح لـم يـخـب

---

(١) الدعميص: دودة سوداء.

(٢) الأين: التعب والإعياء ـ الوصب: الوجع ـ الشرسوف: طرف الضلع المشرف على البطن.

(٣) ظلع يظلع الجمل: غمز في مشيه.

(٤) النوى: البعد، الوجه الذي يذهب فيه وينويه المسافر ـ الإياب: العودة، الرجوع.

وسأل الحجاج أصحابه: أي شيء أذهب للتعب؟ فقيل: التمريخ[1] وقيل الحمام وقيل النوم وكان فيهم فيروز فقال ما شيء أذهب للتعب من قضاء الحاجة قال المؤلف وهذا من قولِ **القطامي**:

وقد يهونُ على المستنجحِ العمَلُ

● **الدعاءُ للمسافر**

كما يقال للمسافر استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، **وقال النبي ﷺ لرجل**: اللهم أطو له البعيد وهون عليه السير **وقال**: نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، ومن الحور بعد الكور. اللهمّ أنتَ الصاحب في السفر والخليفةُ في الأهل والوطن.

(٧)
وممّا جاءَ في الحنينِ إلى الأوطان

●

● **رضي الناس بمسقط رأسهم**

قال النبيّ ﷺ: لولا حبّ الوطن لخربت بلاد السوء. **وقيل**: بحب الأوطان عمارة البلدان.

وقال ابن عباس: لو قنع الناس بأرزاقهم قنوعهم بأوطانهم لما شكا عبد رزقه. **وقيل لأعرابي**: كيف تصبرون؟ على جفاء البادية وضيق العيش؟ **فقال**: لولا أن الله تعالى أقنع بعض العباد بشر البلاد ما وسع خير البلاد جميع العباد، **وقال بعض الفلاسفة** فطرة الرجل معجونة بحب الوطن.

● **فضلُ محبةِ الوطَن**

روي في الخبر: حبّ الوطن من طيبِ المولِد. **وقال أبو عمرو بن العلاء** مما يدلّ على كرم الرجل وطيب غريزته حنينه إلى أوطانه وحبه متقدمي إخوانه وبكاؤه على ما مضى من زمانه.

وقالت العجم: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة وإلى مسقط رأسها توّاقة. وسمع أبو دلف رجلاً ينشد:

أَلقَى بكلِّ بلادٍ إن حللتُ بها ... ناساً بناسٍ وإخواناً بإخوان

فقال: هذا الأم بيت قالته العرب، لقلة حنينه إلى الآفه.

● **الحث على صيانةِ مسقط الرأس**

قيل: لا تجف بلداً فيه قوابلك، وأرضاً تبنكها[2] قبائلك. **وقيل**: إحفظ بلداً

---

(١) التمريخ: مصدر مرّخ جسده: أي دهنه. (٢) تبنكها: تقيم فيها.

رشحك غذاؤه وأرع حمى أكنك[1] فناؤه وقيل: ميلك إلى بلدك من شرف محتدك.

● **حبّ مسقطِ الرأسِ وصعوبةُ مفارقتِه**

قال حفص الطائي: رأيتُ جارية تقود عنزاً فقلت: يا جارية أيّ البلاد أحب إليك؟ فقالت:

أحبُّ بلاد الله ما بين منعج ... إليّ، وسلمي إن تصوبَ سحابُها
بلاد بها نيطت عليّ تمائمي ... وأول أرض مسّ جلدي ترابها[2]

وقال ابن الرومي:

ولي وطنٌ آليتُ أن لا أبيعَه ... ولا أن أرى غيْري له الدهرَ مالِكا[3]
عهدتُ به شرخَ الشباب ونعمَةً ... كنعمةِ قوم أصبحُوا في ظلالِكا[4]
فقد ألفته النفسُ حتّى كأنه ... لها جسدٌ إن بان غودرَ هالِكا
وحبّبَ أوطانَ الرجالِ إليهم ... مآربُ قضّاها الشبابُ هنالكا
إذا ذكروا أوطانَهم ذكرتهم ... عهودُ الصِّبا فيها فحنوا لذلِكا

وقال آخر:

وكلّ نفس تحبّ محياها

وكفى بدلالة محبته قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ﴾[5] الآية **وقال الشريفُ الموسوي**:

وفي الوطنِ المألوفِ للنّاس لذةٌ ... وإن لم ينلْنا العزّ إلا التقلبُ

● **المستشفي بتراب أرضه وريحها**

لما أسر سابور[6] ببلد الروم قالت له بنت الملك، وكان قد مرض وعشقته، ما تشتهي؟ **قال**: شربة من ماء دجلة وشمّة من تراب اصطخر[7] فحملا إليه فبرأ. واعتلّ أعرابي فقيل له: ما تشتهي؟ **قال**: حسل[8] فلاة وحسي قلاة.

وكان من عادة العرب إذا غزت أو سافرت حملت معها من تراب بلدها فتنشقه عند نزلة أو صداع.

● **من تشوّق مكان إلفه بعدما كرهه**

قال بعضهم:

ألفنا دياراً لم تكن من ديارنا ... ومن يتألف بالكرامةِ يألف

---

(١) **أكنك**: سترك.
(٢) **نيطت تمائمي**: علقت والتمائم جمع تميمة، وهي الحرز أو التعويذة التي تعلّق لدفع الروح الشريرة.
(٣) **آليت**: أقسمت وأخذت عهداً.
(٤) **شرخ الشباب**: ريعانه وأوّله.
(٥) **القرآن الكريم**: النساء/ ٦٥.
(٦) **سابور**: من ملوك الفرس.
(٧) **اصطخر**: مدينة في إيران.
(٨) **الحسل**: ولد الضبّ.

وقال:

نزلنا مكرَهين بها فلما ... ألِفناها خرجْنا مكرَهينا
وما حبّ البلاد بنا ولكن ... أمرُّ العيش فرقةُ مِنْ هوينا

● الحنينُ إلى البادية والتبرّم بالحاضرة

قال بعض الأعراب المتوجهين إلى خراسان في زمن عثمان رضي الله عنه يقول:

بلغتُ إلى حلوان والقلبُ نازعٌ ... إلى أهلِ نجْد أينَ حلوان من نجدِ
لجنجاثُ أرض حين يضربه الندى ... أحب وأشهى عندنا من جنى الوردِ(١)

قيل لزينب أم حسانة الضبية وهي قاعدة على حافة بركة في وسط رياض وأزاهر: أما ترين حسن هذا المكان؟ فأطرقت ساعة وقالت:

أقولُ لأدنى صاحبي أسرّه ... وللعين دمعٌ يحدر الكحلَ ساكبُه(٢)
أحبّ إلينا من صهاريج ملئت ... للعب ولم تملح إليّ ملاعبُه(٣)
فيا حبّذا نجدٌ وطيبُ هوائِه ... إذا أهضبَتْه بالعشيّ هواضبُه(٤)
وريحُ صبا نجْدٍ إذا ما تنسّمتُه ... ضحىً وسرَت جنح الظلامِ خبائبُه(٥)
فأقسمُ لا أنساه ما دمْت حيّةً ... وما دام ليلٌ عن نهارٍ يعاقبُه
ولا زالَ هذا القلبُ مسقيّ لوعةٍ ... بذكراه حتّى يترك الماءَ شاربُه

● الحنين إلى منزل لا يرجى لحوقه

وقال لرجل من بني طهم:

أحنّ إلى نجدٍ وإني لآيس ... طوالَ الليالي من قفولٍ إلى نجْدِ

وقال:

يقرّ بعيني أن أرى رملَةَ الفضا

وقال آخر:

فلستُ وإن أحببتُ منْ يسكنُ الفضَا ... بأولِ راجٍ راحةً لا ينالُها

وقال المتنبّي:

أحنّ إلى أهلي وأهوَى لقاءهم ... وأين من المشتاق عنقاء مُغرِب(٦)

---

(١) **الجنجاث**: لعلهالجنيث وهو غسيل النخل ـ **الندى**: الطلّ.

(٢) **يحدر الكحل**: يسيله ويجعله ينحدر. (٣) **الصهاريج**: أحواض الماء.

(٤) **أهضبته الهواضب**: نزلت فيه الأمطار أو دفعات المطر.

(٥) **الصبا**: ريح لينة مهبّها من جهة الشرق ـ **الخبائب**: جمع خبيبة وهي الشريحة من اللحم.

(٦) **عنقاء مغرب**: العنقاء طائر لم يوجد، وقوله: عنقاء مغرب كناية عن استحالة الشيء وبطلانه.

● **حمد سكون البادية وذمّه**

وقال شاعر:

ومن تكن الحجارةُ أعجبَتْه فأيّ أناسِ باديةٍ ترانا

وقال ﷺ: من سكن البادية جفا ومَن اتبع الصيد لها ومن أتى السلطان فتن.

(٨)
وممّا جاء في النيران

●

● **ماهية النّار**

قال النظّام: النار اسم للحر والضياء، وهما جوهران صعادان. والضياء هو الذي يعلو إذا انفرد ولا يعلى. فإذا قيل أحرقت النار وسخنت، فذلك للحرّ لا للضياء.

وقال: النار مكنة في الأشياء كلّها، فإذا أطفئت نار الأتون فوجدنا حرّها ولم نجدها مضيئة فلأن حرّ النار يهيج تلك الحرارات فيظهرها، ولم يكن ثم ضياء فيظهر إذا خالطته النار فهو أشدّ كالصاعقة.

● **منفعة النار**

قيل: من أكبر المواعين الماء والنار ثم الكلأ والريح، ومنافعها يطول حصرها ويصعب ذكرها. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾[١] (الآية). وهي أعظم ما زجر به عن المعاصي. وقد جعلها الله تعالى من عذاب الآخرة فقد عذب في الدنيا بالغرق والرياح والحاصب، والرجم والمسخ والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ولم يبعث عليهم ناراً، وهي ما ركب منه العالم ولا يتعرّى شجر ومدر منها.

وقيل في الإخوان: هم بمنزلة النار قليلها ينفع وكثيرها يضرّ. وكانوا إذا تتابعت عليهم الأزمان وأحوجهم الاستمطار عقدوا في أذناب البقر شسعاً[٢] فصعدوا بها جبلاً وأوقدوها ناراً وضجوا بالدعاء.

وناراً كانوا يوقدونها في التحالف وقد ذكرناه في الإيمان وناراً كانوا يوقدونها خلف مسافر لا يريدون رجوعه.

قال شاعر:

وجمةِ أقوامٍ حملتُ ولم أكن لأوقدَ ناراً خلفهم للتندّمِ

---

(١) القرآن الكريم: يس/ ٨٠.

(٢) شسعاً: الشسع زمام للنعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها.

● **حسنُ النّار ووصفُها**

إذا وصفوا شيئاً بالحسن **قالوا**: ما هو إلا نار موقودة. **وقالت امرأة**: أنا والله أحسنُ من النار الموقدة. **وقال قدامة في وصف الذهب**: شعاعٌ مركوم ونسيم معقود.

ونظر مجوسيّ في مجلس الصاحب إلى لهيب نار **فقال**: ما أشرقه! **فقال الصاحب**: ما أشرقه وقوداً وأخسأه معبوداً. **الياس**:

ما ترى النارَ كيفَ أسقمَها القرُّ ... فأضحت تخبو زماناً وتبصَرُ
وبدا الجمرُ والرمادُ عليها ... في قميصَيْن مذهب ومعنبَرُ

وقال أحمد بن الضحاك:

كأنما النارُ حينَ ترمُقُها ... وجمرُها من رمادِها يُحجَبْ
وجنَةُ عذراء مسّها خجلٌ ... فالتهبَتْ تحت عنبرٍ أشهَبْ

وقال الصاحب: الاصطلاء طيّب عند الامتلاء[١]

وقال شاعر:

وشعثاء غبراء الفروع منيفة ... بها توصفُ الحسناءُ أو هيَ أجمَلُ
دعوتُ بها أبناءَ ليلٍ كأنهم ... إذا أبصروها معطَشون قد أنهلوا

وقال الجريمي:

نارٌ كهادي الشقراء نافرةٌ ... تركضُ من حولِها أشافرُها

● **النيرانُ التي جعلَها اللّهُ تعالى آية**

كانت بنو إسرائيل إذا قرّب أحدهُم قرباناً مخلصاً لله، نزلت نار فتأكله ومتى لم تنزل النار وبقي القربان على حالته دلّ على أن صاحبه مدخول النيّة. وهذه النار هي التي اقترحوها على النبي ﷺ فحكى الله عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٍ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ﴾[٢] (الآية) وقيل إن الحجاج لما جنّق[٣] الكعبة جاءت نار فوقعت في المنجنيق فأحرقته فامتنعَ أصحابه من الرمي، فقال الحجّاج: إن هذه نار القربان دلّت على أن فعلكم متقبّل. ومن ذلك، النار التي قصدها موسى فكانت سبب نبوّته[٤] ومنه نار إبراهيم التي صارت برداً وسلاماً[٥] ومنه نار الحرّتين[٦] وذلك أنه ظهر

---

(١) **عند الامتلاء**: أي عند الشبع وامتلاء البطن أو المعدة بالطعام.

(٢) **القرآن الكريم**: آل عمران/١٨٩.

(٣) **جنّق الكعبة**: ضربها بالمنجنيق.

(٤) **قوله**: النار التي قصدها موسى، إشارة إلى الآية رقم ١٠ التي وردت في سورة طه ونصها: **﴿إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا لعلي آتيكم منها بقبس﴾**.

(٥) **قوله**: نار إبراهيم إشارة إلى الآية الكريمة: **﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾** [الأنبياء: ٦٩].

(٦) **نار الحرّتين**: الحرّة: أرض ذات حجارة نخرة سود كأنّها أحرقت بالنّار.

في حرة بلاد بني عبس نار تسطع بالليل والنهار، ويظهر دخانها بالنهار، وكانت طيء تنقش فيها الإبل من مسيرة ثلاث. وربما ندرت منه عنق فتحرق ما تأتي عليه، فبعث الله خالد بن سنان وهو أول ولد إسماعيل عليه السلام، ولم يكن في أولاده غيره فاحتفر لها بئراً ثم أدخلها فيه والناس ينظرون، وهو يقول: كذب ابن راعية المعزى لأخرجن منها وجبيني يندى. ثم لما حضرته الوفاة قال إذا دفنتموني فاحضروا بعد ثلاث، فإنكم ترون عيراً أبتر يطوف بقبري، فإذا رأيتم ذلك فانبشوني أخبركم بما هو كائن إلى يوم القيامة. فلما حضروا بعد الثلاث ورأوا العير، اختلفوا قال ابنه: لا أفعل إني أدعى إذاً ابن المنبوش. وقدمت ابنته على النبي ﷺ فقال: هذه بنت نبيّ ضيّعه قومه، وبسط لها رداءه. وقيل: سمعت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقالت: كان أبي يتلو هذه السورة والمتكلمون[1] ينكرون ذلك. فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰٓ﴾. وخالد كان من الفدادين أعرابياً من أهل الوبر. وما بعث الله نبياً قط إلا من أهل القرى وسكان المدن.

● النيرانُ المعبودةُ المعظّمة

أما النار العلوية فقد عُبدَتْ. قال الله تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[2] وقد يجيء في الأثر وسنة بعض الأنبياء تعظيماً على جهة المحنة وإيجاب الشكر على النعمة.

ويزعم أهل الكتاب أن الله تعالى أوصاهم وقال: لا تطفئوا النيران من بيوتي وأما المجوس فقد جاوزوا الحدّ حتى اتخذوا لها البيوت والسدنة[3] والوقوف[4] الكثيرة.

● نيران كانوا يوقدونَها في أوقاتٍ مختلفة

إذا أرادوا حرباً وقصدوا جمعاً، يوقدون ناراً عظيمة يجعلونها أمارة[5] لاجتماعهم، قال عمرو بن كلثوم:

ونحنُ غداة أوقِدَ في خزازي … رفدنا فوق رفد الرافدينا[6]

وقال الفرزدق:

ضربوا الصنائعَ والملوكَ وأوقدوا … نارَيْن أشرفنا على النيرانِ

---

(١) **المتكلمون**: علماء الكلام الذين يدافعون عن قضايا الدين بالأدلّة العقليّة.

(٢) **القرآن الكريم**: النمل/ ٢٤.

(٣) **السدنة**: خدم الكعبة أو خدم بيت صنم، جمع سادن.

(٤) **الوقوف**: جمع وقف وهو حبس العين على ملك الواقِف، أو على ملك الله والتصدّق بالمنفعة.

(٥) **الأمارة**: العلامة.

(٦) **خزازى**: أي يوم خزازى وهو من أيام العرب.

ومنها النار التي يوقدونها ليحيروا بها الظباء بالليل ويهوّلوا على الأسد إذا حدقَ إليها.

● **ما يتراءى من النيران ولا حقيقةَ لها**

يحكى أن السعالي[1] توقد ناراً حوالي الإنسان تخوّفهم بها.

قال عبيد الأبرص:

لـلّـه درّ الـغـول أي رفـيـقـة ... لـصـاحـبِ قـفـر خـائـف مـتـقـتـر
أرفـت بـلـحـن فـوق لـحـنٍ وأبـعـدتْ ... حـوالـي نـيـرانـاً تـبـوخ وتـزهـر

ونار حباحب وقيل أبي حباحب، وهو ما يكون من الأكسية ونحوها مما لا حقيقة له من النيران. **ونار البرق** وكل نار تحرق العود إلا نار البرق فإنها تجيء بالمطر. وتحدث حدة الشجر ونار اليراعة، وهي طائر كبعض الطيور بالنهار وإذا طار بالليل فهو كشهاب قبس، ويلمح لها لمع ينض[2] ويلمع من بعيد، فإذا دنوت منها لم ترها شيئاً. والعرب تقول أكذب من يلمع.

● **أنواعٌ مختلفة من ذلك**

قال بعضهم:

كـأنَّ نـيـرانَـنـا فـي جـنْـب قـلـعـتـهـم ... مـصـقـلات عـلـى أرسـانِ قـصـارِ

وقال البحتري في حريق وقع في دار المعتز:

مـا كـانَ قـدر حـريـق إن بـنـيـت لـه ... وكـلّـنـا قـلـقُ الأحـشـاء حـرّانُ
تـفـاءلَ الـنـاس واشـتـدتْ ظـنـونُـهـم ... والـفـألُ مـنـه لـبـعـضِ الـنـاس تـبـيـانُ
وأيـقـنـوا أنّ تـنـويـرَ الـحـريـق هـو الـذّنـ ... ـيـا تـمْـلـكـهـا والـنّـارُ سُـلـطـانُ

وقال بعض الحكماء: النيران أربع: نار تأكل وتشرب وهي نار المعدة، ونار تأكل ولا تشرب النار الموقدة، ونار تشرب ولا تأكل، وهي نار الشجر، ونار لا تأكل ولا تشرب، وهي نار الحجر.

● **مدحُ السراج**

قال النبي ﷺ: المصباحُ مطردة للشيطان، مذبة[3] للهوام مدفعة[4] للصوص.

وقال النابغة:

ولا يـضـلّ عـلـى مـصـبـاحِـهـا الـسـاري

---

(١) **السعالي**: جمع سعلاة وهي أنثى الغول. (٢) **ينض**: يسيل قليلاً أو يرشح.
(٣) **المذبّة**: ما يذبّ أي يدفع به الذباب، جمع مذبّات ومذاب.
(٤) **المدفعة**: ما يدفع به اللصوص.

يضرب ذلك مثلاً للمصباح المضيء.

● **الزّند**

قالت العرب في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار. **وقيل**: أرح يديك واسترح إن الزناد مرح.

وقال ذو الرمّة وقد ألغز:

وسقطٍ كعيْن الديك عاودتُ صاحبي ... أباها وهيأ بالموضعه وكْرا
مشهرة لا تمكن الفحل أمّها ... إذا هي لم تمسك بأطرافها قسْرا
أخوها أبوها والضوى لا يضيرُها ... وساق أبيها أمها اعتقرت عقْرا

وقال الأعشى:

ولو بتّ تقدح في ظلمةٍ ... صفاة تتيع لا ورَيْت نارا

وقال آخر:

وزندك أفضلُ أزنادِها

● **الدّخان**

يقال دواخن تنصب ودخان الرمث. **وقال في صفة ذئب:**

كأن دخان الرمث خالطَ لونه

وقال الراعي:

كدُخان مرتجل بأعلى تلعةٍ ... غرثان ضرم عرفجاً مبْلولا(١)

والمرتجل الذي يطبخ رجل جراد أي جماعتها.

---

(١) **التلعة**: ما علا من الأرض ـ **العرفج**: نبات سهلي.

الحدّ الثالث والعشرون

في الملَك والجنّ

•

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ليس من خلق الله تعالى أكثر من الملائكة. وعن أبي نجيح عن مجاهد ﴿والمقسمات أمراً﴾ قال: الملائكةُ ينزلها الله تعالى بأمره على من يشاء. وعن مسلم عن مسروق ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾. قال: هي الملائكة. وعن الحكم وما ننزله إلا بقدر معلوم.

قال: بلغني أنه ينزل مع المطر أكثر من ولد آدم وولد إدريس يحصون كل قطرة وأين تقع ومن يرزق ذلك النبات.

وعن العلاء بن عبد الحكم عن ابن سابط في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[1]

قال في أم الكتاب كل شيء هو كائن إلى يوم القيامة. ووكّل به ثلاثة من الملائكة يحفظونه: فوكل جبريل بالكتاب أن ينزل به إلى الرسل، ووكّل جبريل بالهلكات إذا أراد الله أن يهلك قوماً ووكّله أيضاً بالنصر عند القتال.

ووكّل ميكائيل بالحِفْظ والقطْر[2] ونبات الأرض. ووكّل عزرائيل بقبض الأرواح فإذا ذهب الله بالدنيا جمع بين حفظهم وبين ما في أمّ الكتاب فيجدونه سواء.

وعن ابن عباس ويتلوه شاهد منه جبريل وعن النبي ﷺ أنه رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح.

وعن الربيع ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ قال: جبريل، وهو بالأفق الأعلى، قال: ﴿بالسماء الأعلى﴾ يعني جبريل، ثم ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ يعني جبريل، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾. قال على لسان جبريل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ يعني جبريل رآه في صورته وعن النبي ﷺ أنه قال: الروحُ الأمين جبريل له ستمائة جناح من لؤلؤ قد نشرها مثل ريش الطواويس.

عن ابن شبابة، قال: يدبر الأمر أربعة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

---

(١) القرآن الكريم: الزخرف/ ٤.
(٢) القطر: المطر.

فجبريل على الريح والجنود، **وميكائيل** على القطر والنبات، **وملك الموت** على قبض الأرواح **وإسرافيل** يبلغهم ما يؤمرون به.

وعنه ﷺ أنه قال لجبريل لم أر ميكائيل ضاحكاً. **قال**: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار.

عن عليّ بن أبي طالب **في قوله**: يسألونك عن الروح، **قال**: ملك له سبعون ألف وجه فيها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبّح الله بكل اللغات.

عن ابن عبّاس قال: أتى نفر من اليهود إلى النبي ﷺ **فقالوا**: أخبرنا عن الروح ما هو؟ **قال**: جند من جنود الله ليسوا بملائكة لهم رؤوس وأرجل يأكلون الطعام. ثم قرأ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[1] قال هؤلاء جند وهؤلاء جند. **وعن الأعمش قال**: سألت مجاهداً عن قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ **قال**: هم الملائكة.

(١)
وممّا جاءَ في إبليس والجنّ

• حقيقةُ الجنّ

الجنّ من الخلق التي لطفت أجسادها. ويشهد لحقيقته القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وذكر بعض الفلاسفة ممن لا يثبت القديم أن لا حقيقة للجن والملائكة.

• بعضُ التحذير الواردِ في الشريعة من الشيطان

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[2]، وذلك في آيات كثيرة. **وقال** ﷺ: خمروا آنيتكم وأوكئوا أسقيتكم وأجيفوا الأبواب، وأطفئوا المصابيح، واكفتوا صبيانكم، فإن للشيطان انتشاراً وخطفة.

وقال ﷺ: لا تشربوا من ثلمة[3] الإناء فإنها كفل الشيطان.

• رجمُ الشياطين

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾[4] وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾[5]

---

(١) القرآن الكريم: النبأ/ ٣٨.

(٢) القرآن الكريم: المؤمنون/ ٩٨.

(٣) الثلمة: محلّ الكسر، الخلل.

(٤) القرآن الكريم: الملك/ ٥.

(٥) القرآن الكريم: الصافات/ ٦.

وحكى الله تعالى عنهم أنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئت حرساً شديداً وشهباً (الآيات) وكان الشياطين يتسمعون ما يوحونه إلى أوليائهم. وقد زعم بعض الناس أن الله تعالى جعل الرجوم حجة لنبيه ﷺ وقال قوم ليس كذلك. فقد قال بشر:

فجالَ على نفَر كمَا انقضَّ كوكبٌ ... وقد حالَ دون النقْعِ والنقْعُ يسطَعُ[1]

وقال أمية بن أبي الصلت:

وترى شياطينا تروغُ مضافةً ... ورواغُها صبر إذا ما تطرَدُ[2]

تلْقَى عليها في السّماءِ مذلّة ... وكواكبُ تُرمى بها فتعردُ

● **صرْعُ الجنّ للإنسانِ وغيره**

عندهم أن الجن يصرع الإنسان لحبّه له. **وقيل**: إن فتى قبيحاً حصل جارية مليحة **فقال لها**: ما في الدنيا أملح منّي. فجاء إلى بابه يوماً فتى ظريف يطلبه فتطلّعت فرأته فلما عاد **قالت له**: ألم تقل إن ما في الدنيا أحسن منك؟ وقد جاء فلان يطلبك فرأيته أملح منك. **فقال الرجل**: يريد أن يقبحه في عينها: هو مليح لكن له جنية تصرعه كل شهر مرة. **فقالت**: لو كنت جنيته لصرعته ألفين.

واستدل على أن نتيجة الصرع من الجنّ بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[3] وقالوا في بعير مجنون: إنه لا يرى ما لا ترى الإبل. **وقالوا**: قد يجن الجن. وأنشد لدعلج الحكم:

وكيفَ يفيقُ الدهر كعبَ بنَ ناشب ... وشيطانُه عند الأهلةِ يصرعُ

● **تصوّرُ الجنِ للإنسان بصور**

تزعم العامة أن الجنّ تتصور بأي صورة تشاء، إلا الغول[4] فإنها تتصور في صورة امرأة، إلا رجليها فإنهما لا بد وإن يكونا رجلي حمار. وقاسوا ذلك بتصوير **جبريل عليه السلام** بصورة **دحية الكلبي**، وتصوّر **إبليس** بصورة **سراقة بن مالك**، وبصورة **الشيخ النجديّ**.

والغول تتصور للإنسان فتغوله أي تهلكه، ويقولون من ضربها ضربة قتلها وإذا زيدت لم تمت ولو ضربت ألوفا. **قال شاعر**:

فقالتْ زدْ فقلْتُ رويدَ أني ... على أمثالِها ثبتُ الجَنان

---

(١) **النقع**: الغبار.

(٢) **الرواغ**: مصدر راغ يروغ، أي حاد عن الطريق وذهب هكذا وهكذا.

(٣) **القرآن الكريم**: البقرة/ ٢٧٥. (٤) **الغول**: حيوان لا وجود له.

● **من ادّعى أنه قتله الجنّ**

قالوا: خرج علقمة بن صوفان في الجاهلية يريد مالاً على حمار ومعه سوط في ليلة، فإذا بشيء يدور ومعه سيف وهو يقول:

علـقـم إنـك مـقـتـول　　　وإن لـحـمـك مـأكـول

فقال علقمة: شق مالي ولك تقتل من لا يقتلك أغمد عنّي منصلك. فواثبه وضرب كل واحد صاحبه فخرّا ميتين. **وقالوا:** إن الجن قتلت حرب بن أمية، وفيه **قالت الجنّ:**

وقـبـرُ حـربٍ بـمـكـانٍ قـفـرٍ　　　ولـيـسَ قـربَ قـبـرِ حـربٍ قـبْـرُ

وقتلت سعد بن عبادة وقالت:

قـد قـتـلْـنـا سـيّـد الـخـز　　　رج سـعـدَ بـن عـبـاده[1]

ورمـيْـنـاه بـسـهـمـيـ　　　ـنِ فـلـمْ نـخـطِ فـؤادَه

● **من ادّعى أنه قتلَ الجنّ**

من ذلك ما روي أن تأبّط شراً قتل غولاً، وعاد إلى قومه وقد تأبّط رأسه، **فقيل:** تأبّط شرّاً. وروي أن عمر رضي الله عنه صرع جنيّاً.

● **ما نسبَ إليهم من الداء**

قالوا: الطاعون من الجنّ وسمّي رماح الجن، **قال:**

ولـكـنّـي خـشـيـتُ عـلـى أبـي　　　رمـاح الـجـنّ أو إيـاكَ جـاري

● **الإستجارةُ بالجنّ**

كانت العرب إذا صار أحدهم في تيه من الأرض وخاف الجنّ **يقول:** رافعاً صوته، أنا مستجير بسيّد هذا الوادي ويصير له بذلك خفارة. ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[2] الآية.

● **رئيّ الشعراء**

ادّعى كثير من فحول الشعراء أنّ له رئياً يقول الشعر بفيه، وله إسم معروف من ذلك **مسحل شيطان الأعشى** وفيه **يقول:**

دعـوتُ خـلـيـلـي مـسـحَـلاً ودعـوا لـه　　　جـهـنـام جـدعـاً لـلـهـجـيـنِ الـمـذمّـمِ

---

(١) **الخزرج:** قبيلة يمنية، وهي مثل الأوس من أصل واحد وقد رحلوا جميعاً من جنوبي جزيرة العرب إلى المدينة المنوّرة بعد خراب سدّ مأرب.

(٢) **القرآن الكريم:** الجن/٦.

وذكر أن خال مسحل هميم شيطان الفرزدق قال أبو النجم:

إنّي وكلّ شاعرٍ من البشر ... شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

وقال آخر

إنّي وإن كنتُ صغيراً سنّي ... فإنّ شيطاني كبيرُ الجنّ

● **رؤية الجنّ وسماعُهم وصحبتُهم**

روي أن ابن علاثة قضى بين الجنّ في دم. **وقال ابن الأعرابي**: نزلت بأعرابي فاستطبت ماءه فسألت عن مكانهم. **فقال**: هو كثير الجان. فقلت: أو ترونهم؟ **قال**: نعم مكانهم في ذلك الجبل وأومأ بيده إلى جبل يقال له سواج.

وقد ادعى عدّة من العرب أنهم رأوا خياماً وناساً ثم فقدوهم من ساعتهم، **قال ذو الرمّة**:

للجنّ باللّيلِ في غيطانِها زجَلُ ... كما تناوحَ يومَ الريحِ عيشومُ[1]

وقال:

ورملٌ عزيفُ الجنّ في عقداتِه ... هزيزٌ كتضرابِ المغنّين بالطَّبْلِ[2]

ولا تتحاشى العرب من سماع **الهاتف** وذلك كثير. **وقالوا**: دويّ الفيافي عزيف الجن. وأصل ذلك أن من سكن الفيافي وتوحش وقلّت أشغاله ربما يتوسوس، فيتصور الصغير كبيراً ويتفرق ذهنه ثم يجعل ما يتصوره أحاديث فيحكيها. **قال عبيد بن أيوب**:

أخو فقرات حالفَ الجنّ واتقى ... من الأنسِ حتّى قد نقضتْ وسائله

● **من ادّعى أنه تجيبُه الجنّ**

يقال: فلان مخدوم إذا كان إذا عزم[3] على الجنّ أجابوه. **فمنهم عبد الله بن هلال الحميري** صديق إبليس، **وكرباس الهندي وصالح الدبيري**.

وقالوا: من أراد أن يحبه الجن فليتبخر باللّبان ويراعي سير **المشتري**[4] ويغتسل بالماء القراح، ويكثر من دخول الخرابات.

وقالوا إذا آخى الجنيّ أنسياً أخبره ووجد حسه ورأى خياله.

ومنهم الكهان نحو جارية جهينة وكاهنة باهلة وشق وسطيح. **والعرّاف** دون الكاهن.

● **من استهوته الجنّ**

قالت العرب: استهوت الجنّ سنان بن أبي حارثة يستفحلونه فمات فيهم. واستهووا طالب بن أبي طالب فلم يوجد له أثر قط. وعمرو بن عدي اللخميّ ثم ردّوه إلى جذيمة

---

(١) **الزجل**: عزيف الجن ـ **العيشوم**: نبت يتخشخش إذا هبّت عليه الريح.

(٢) **عقدات الرمل**: ما تعقد وتراكم من الرمل ـ **الهزيز**: دويّ الريح وصوت الرعد.

(٣) **عزم على الجن**: أي قرأ العزائم واحدتها عزيمة وهي الرقية، **والمعزّم**: الراقي.

(٤) **المشتري**: نجم من السيّارات.

الأبرش. واستهووا عمارة بن الوليد بن المغيرة، ونفخوا في أحليله وصار مع الوحش.

وقالوا خرافة رجل استهوته الجنّ ثم عاد يخبر عنها، وبه ضرب المثل **فقيل**: المثل حديث خرافة.

وروي أن عمر رضي الله عنه استخبر المفقود الذي استهوته الجن ما كان طعامهم؟ **قال**: الفول. وقيل الرمّة وما لم يذكر إسم الله عليه.

● من ادّعى أنه من ولد الجنّ

ذكرت العرب أن عمرو بن يربوع من ولد السعالي. وذكر أبو زيد النحويّ أن سعلاة أقامت في بني تميم حتى ولدت فيهم. فلما رأت برقاً يلمع من نحو ديارهم حنّت فطارت إليهم، **وفيهم قال الشاعر**:

يا قاتل الله ابني السعلاةِ عمراً وقابوساً شرارَ النات

أي الناس. وذكروا أن جرهما من ولد الملائكة. واستدل على صحة تناسل الجن من الأنس بقوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[1] وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[2]

وزعموا أن النسناس تركيب ما بين الشقّ والإنسان.

● مساكنُ الجنّ

زعمت العرب أن الله تعالى لما أهلك الأمة الساكنة وبار، كما أهلك طسماً وجديساً وعاداً وثمود، سكنت الجن منازلهم وحمتها من كل من أرادها. وأنها أخصب بلد فإن دنا اليوم منه إنسان غالط حثوا في وجهه التراب فإن أبى الرجوع خبلوه. وإن من أراده ألقى على قلبه الصرفة حتى كأنهم أصحاب موسى في التيه.

وقيل في المثل: لا يهتدي لكذا حتى يهتدي لوبار وليس بذلك المكان إلا الجن والإبل الحوشية.

وقالوا شيطان الحماطة، وغول القفر، وجان العشر، وشيطان عبقر. ونسب كل شيء في الجودة إلى عبقر حتى قيل لم أر عبقرياً مثله.

● مراكِبُ الجنّ

ادعوا أن الجنّ يركب كل وحش من البهائم والطيور، إلا الأرنب لأنها تحيض. والضباع لأنها تركب أيور القتلى والموتى، إذا جيفت أبدانهم، والقرد وأنها لا تغتسل من الجنابة.

وقالوا يكثر ركوبها القنفذ والورل[3] وأنشدوا للجن:

وكلّ المَطايا قد ركِبْنا فلم نجِدْ ألذَّ وأشهى من ركوب الجنادبِ

---

(١) القرآن الكريم: الإسراء/ ٦٤. (٢) القرآن الكريم: الرحمن/ ٥٦ و٧٤.

(٣) الورل: من الزواحف على خلقة الضبّ وهو طويل الذنب ودقيقه.

ولـمْ أرَ فـيـهـا غـيـرَ قـنـفـذ بـوقَـة   يـقـودُ قـطـاراً مـن عـظـيـم الـعـنـاكـبِ

وقالوا من قتل من أول الليل بعض هذه المراكب لم يأمن على فحل إبله. ومتى اعتاره غمّ أو مرض في ماله وأهله، حكموا بأن ذلك عقوبة من قتلهم.

● **ما نسبَ فعلُه إلى الجنّ**

نسب كثير من الناس أبنية محكمة إلى الجن واستدلوا على أنهم كانوا يبنون، بقول الله تعالى: فيهم ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾[1] وقال النابغة:

وخـيّـس الـجـنّ إنـي قـد أذنـتُ لـهـم   يـبـنـون تـدمرَ بـالـصـفّـاح والـعـمَـدِ[2]

وقالوا للمأثور من السيوف عملته الجن. **وقالوا في الإبل** فيها عرقاء من سفاد الجن. حتى قالوا الحوشية من نسل حوش وهي إبل الجن. **والمهرية** منسوبة إلى فحل لهم وذهبوا إلى أن النبي ﷺ كره الصلاة في أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين. **وقال الجاحظ** جهلوا مجاز الكلام فحملوا اللفظ على غير جهته.

---

(١) **القرآن الكريم**: ص/ ٣٧.

(٢) **خيّس**: أي ذلّل ـ **تدمر**: بلدة بالشام بناها سليمان الحكيم ـ **الصفّاح**: الحجارة العراض الرقاق ـ **العمد**: السواري من الرخام وهي الأساطين جمع أسطوانة.

في الحيوانات

●

(١)

فما جاء في الخيل والبغال والحمير

●

قال الله تعالى: ﴿وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[١] وقال خالد بن صفوان: الخيل للإيغال[٢] والبغال للجمال، والحمير للأحمال.

وقال الحسن رضي الله تعالى عنه: الجفاء مع أذناب الإبل والمذلّة مع أذناب البقر، والسكينة مع أذناب الغنم، والعزّ في نواصي الخيل.

● **وصفُ البغل مدحاً وذماً والاعتذار لركوبه**

قال شاعر في مدحه:

البغلُ فيه لمَنْ يمارسُه ... صبرُ الحِمار وقوةُ الفرَس

وقال البحتري:

وأقبّ نهْد للصواهِل شطرُه ... يومَ الفخار وشطرُه للمسحَجِ[٣]

خرقٌ يتيهُ على أبيه ويدّعي ... عصبيةً لابنِ الصليبِ وأعوجِ

مثل المدرع جاءَ بين عمومةٍ ... في عاتقٍ وخؤولةٍ في الخزرجِ

وقيل: ما من شيء بين جنسين أخذ منهما الشبه على السواء كالبغل. وسئل بعضهم: على أي مركب كنت في الطريق؟ **فقال**: على التي بين الحمار والبغل.

وروي أنه وقع بين حيّين منازعة، فخرجت عائشة رضي الله عنها، **وقالت**: ائتوني ببغلة أركبها وأصلح بينهما، **فقال ابن أبي عتيق**: ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل كيف توقعينا بهم يوم البغلة؟ **قال الجاحظ**: وهذا الحديث من توليد الروافض. فأما عائشة فكان

---

(١) القرآن الكريم: النحل/٨.

(٢) **الإيغال**: مصدر أوغل في كذا: أدخله فيه، وفي السير أسرع.

(٣) **الأقب (من الخيل)**: الضامر البطن والدقيق الخصر ـ **النهد**: البارز أو العالي الصهوة ـ **المسحج**: كل ما يجري دون الجري الشديد من الدواب.

أمرها أنفذ من أن تحتاج أن تركب وأي شيء يتفاقم حتى تحتاج عائشة فيه إلى الركوب ثم لا يعرف خبره.

وقال بعضهم في تفضيل الإناث منها:

عليكَ بالبغلةِ دونَ البغلِ مركبِ قاضٍ وإمامِ عدلِ
وعالم وسيّد وكهل تصلحُ للوحلِ وغيرِ الوحلِ

ويضرب به المثل في تلوّن أخلاقه. قال الشاعر:

خلقٌ جديدٌ كلّ يوم مثلُ أخلاقِ البغالِ

وقال آخر:

متلوّن كتلوّن البغْل

لقي الرشيد موسى بن جعفر على بغلة فاستنكر ذلك، وقال: أتركب دابّة إن طلبت عليها لم تلحق وإن طلبت لم تسبق؟ فقال: لست بحيث أحتاج أن أطلب أو أطلب فإنها دابّة تنحط عن خيلاء الخيل، وترتفع عن ذلّة الحمير وخير الأمور أوساطها.

● وصفُ الحمار مدحاً وذمّاً

وصفُ الفضلُ بن عيسى الحمارَ فقال: هو أقرب الدواب داءً وأكثرها دواء وأكبرها جماحاً. أنفض مهوى وأقرب مرتقى. قد تواضع راكبه. ولو أراد أبو سيارة لركب في الموسم مهرياً وفرساً عربياً، لكنه ركب الحمار أربعين سنة، فعارضه أعرابي، فقال: الحمار إن وقفته أدلى وإن تركته ولى، كثير الروث قليل الغوث لا ترقأ به الدماء ولا تمهر[1] به النساء ولا يندى به الإناء.

ونظر الرقاشي إلى حمار فاره لمسلم بن قتيبة، فقال: قعدة نبي وبذلة جبار، ذهب إلى حمار عزير وحمار عيسى وحمار بلعم.

وقرّب إلى أبي لجيم حمار له ليركبه وهو والي البصرة، فقال خالد بن صفوان: أعيذك بالله أيها الأمير من ركوبه فإنه عير، والعير عار وشنار منكر الصوت بعيد الفوت متفرق الصحل، متورط في الوحل بسائره، مشرف ولراكبه مقرف. فقال أبو لجيم: أمصله. فقال خالد: اجعله لي. فقال: هو لك فعاد عليه راكباً. فلما بصر به، قال: ما هذا؟ قال: عير من نسل الكداد أصحر السربال محملج[2] القوائم يحمل الرجل ويبلغ العقبة، ويمنعني أن أكون جباراً.

وقيل: شر المال مالاً يزكى ولا يذكى يعني الحمير، لأنها لا تجب الزكاة في سائمتها.

---

(١) تمهر به النساء: أي يعطى مهراً لهنّ.

(٢) المحملج: من حملج الحبل إذا فتله فتلاً شديداً.

وكتب قيصر إلى الرشيد على سبيل المعاياة: إبعث إليّ بشر الطعام على شرّ الدواب مع شر الناس فبعث إليه جبناً على حمار مع خوزي.

وقيل: اصبر على الذلّ من الحمار. ويضرب المثل به في الصوت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[1] وقيل لأعرابي: ألا تركب الحمار؟ فقال: إنه عشرة منخرة، تبوع للحجرة. وقيل: الحمار مطية الدجال قال شاعر:

إن الحمارَ معَ الحمار مطيّة ... فإذا خلوتَ به فبئس الصاحبُ

وقيل لبعضهم: أي مركوب كلما كان أكبر كان أذلّ لصاحبه؟ فقال: الحمار. وقيل: لا تركب الحمار فإنه إذا كان سلساً أتعب يديك، وإن كان بليداً أتعب رجليك.

ولقي جحظة بعض أصحابه على حمار فقال: مالك اقتصرت على ركوب حمار، لا يساوي ثمن قضيمه؟ فأنشأ يقول:

لا تنكرنّي على حمار ... يضيعُ في مثله الشعيرُ
وكيفَ لا يمتطي حماراً ... منْ جُلُّ إخوانهِ حميرُ

وقال:

ولا عنْ رضا كان الحمارُ مطيّتي ... ولكنْ من يمْشي سيرضى بما ركِب

(٢)
فضلُ الفرَس

قال الله تعالى في الامتنانِ به: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2] ومن فضيلته أن النبي ﷺ أسهم له سهمين، ولم يجعل لراكبه المسلم إلا سهماً. وقال ﷺ: الخيل معقود في نواصيها الخير.

وقال رجل من الأنصار وقد روي لامرىء القيس:

الخيرُ ما طلعَت شمسٌ وما غربتْ ... معلّق بنواصي الخيل معصوبُ

ويروى أن النبي ﷺ أمرغ فرساً له، ثم جعل يمسحه بردائه، فقيل له في ذلك فقال: بتّ البارحة وجبريل يعاتبني في سياسة الخيل.

وكانت العرب لا تهنأ إلا بثلاث إذا ولد للرجل ذكر قيل له ليهنك الفارس، وإذا نبغ في الحيّ شاعر قيل لوالده ليهنك من يذب[3] عن عرضك، وإذا نتج مهراً قيل له: ليهنك ما تطلب عليه الثأر.

---

(١) القرآن الكريم: لقمان/ ١٩.
(٢) القرآن الكريم: الأنفال/ ٦١.
(٣) ذبّ عن: دافع، والعرض: كل ما يحامى عنه.

وقال **الجاحظ**: لم تكن أمة قط أشد عجباً بالخيل ولا أعلم بها من العرب، ولذلك أضيفت إليهم بكل لسان ونسبت إليهم بكل مكان، فقالوا: فرس عربي ولم يقولوا هندي ولا رومي ولا فارسي.

وعرض **الحجاج** أفراساً وجواري وبين يديه أعرابي فخيّره بين فرس وجارية، فقال:

لَصلصلةُ اللجَام برأسِ طِرْفٍ ... أحبّ إليّ من أن تنكحيني
أخافُ إذا حللنا في مضيقٍ ... وجدّ الركضُ أن لا تحمليني(١)

● الحثّ على إيثاره والإحسان إليه، والتمدحُ بذلك

قال النبي ﷺ: من قدر على ثمن دابة فليشترها، فإنه تعينه على رزقه وتأتيه برزقها. **وقال أبو ذرّ**: ما من ليلة إلا والفرس يدعو ربّه ويقول: اللهم سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي بيده، فاجعلني أحب إليه من أهله وماله، اللهم ارزقه وارزقني على يديه.

وقال ابن سيرين لرجل: لم بعت فرسك؟ **قال**: لمؤنتها. **فقال**: تراه خلق عليك رزقه. **وقال مالك بن نويرة**:

جزَاني دَوائي ذو الخِمار ومنعتي ... بما باتَ أطواء بني الأصاغرُ
رأى أنني لا بالقليل أمورهُ ... ولا أنا عنه في المُواساة ظاهرُ

وقال يزيد العبدي:

قصرْنا عليْه بالمقبضِ لقاحَنا ... رباعيةً أو بازلاً أو سُداسيا

وقال:

مفدّاة مكرمةٌ علينا ... تجاع لها العيالُ ولا تجاعُ

وقال:

هاجرتني يا بنتَ آلِ سعد ... أأن حلبت لقحة للوردِ
جهلت من عناقه الممتدِ ... ونظرتي في عطفهم الألدِّ
إذا جيادُ الخيلِ جاءتْ تردى ... مملوءة من غضبٍ وحرْدِ(٢)

وقال:

تلومُ على أن أعطي الوردَ لقحة ... وما تستوي والوردُ ساعةَ تفزعُ

وقال عامر بن الطفيل:

وللخيل أيامٌ فمن يصطبرْ لها ... ويعرفُ لها أيامَها الخير تعقبُ

---

(١) **المضيق**: ما ضاق من الأماكن والأمور.

(٢) **تردي (الفرس)**: ترجم الأرض بحوافرها ـ **الحرْد**: الغضب والحَرَد استرخاء عصب يد البعير.

● **كونه معقِلاً**

قال شاعر:

إن الحصونَ الخيلَ لا مدرى القرى

وقال لبيد:

معاقلُنا التي نأوى إليها ... بنات الأعوجية لا السيوفُ[1]

وعن بعض الفرس: الخيلُ حصون منيعة، ومعاقل رفيعة. **وقيل:** لا حصن كالحصان ولا جنّة كالسِنان.

● **الأمرُ بإهانته وإعارتِه**

قال بعضهم:

أهينوا مطاياكم فإنّي رأيتُكم ... يهونُ على البرذونِ موتُ الفتى الندبِ[2]

وقال آخر:

وإنّي إذا ما المرءُ آثرَ بغلَه ... على نفسِه آثرتُ نفْسي على بغْلي

وأبذُله للمستعيرينَ لا أرى ... به علّةً ما دامَ ينقادُ للحبْلِ

● **مدحُ إناث الخيل**

قال ﷺ: عليكم بأناث الخيل فإن ظهورها وبطونها كنز. وقيل له ﷺ: أي المال خير؟ **فقال:** سكة مأبورة ومهرة مأمورة. **وقال:** بطون الخيل كنز وظهورها جرز.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الحصان لأمرت به فإنه أخفى للغارة والكمين، ولكن عليكم بالأناث.

● **مشاهيرُ الأفراس**

كان ملك الهند أهدى شبديز إلى كسرى، وكان من أزكى الدواب وأعظمها خلقاً وكان لا يبول ولا يروث تحته وكان ينخر ولا يزبد، وكان استدارة حافره ثلاثة أشبار، فبقي مدة ثم نفق. فلإعجاب كسرى به أمر بتصويره. فلما تأمل صورته استعبر.

ومن فحول الخيل عند العرب العسجد والوجيه والغراب ولاحق ومذهب ومكتوم.

وقال طفيل:

بناتُ الوجيه والغرابُ ولاحقٌ ... وأعوج ينمي نسبةَ المتسبب

وأشقر مروان من نسل **الذائد**، والذائد من ولد **بطين** من البطان، وهو الذي بعث الحجّاج إلى الوليد. ومن نسل أعوج **داحس** كان لعبسيّ بن جذيمة العبس، والغبراء لحمل بن بدر بن حذيفة. وتشامت العرب **بداحس** لوقوع الحرب بسببها.

---

(١) **الأعوجيّة:** الخيل المنسوبة إلى فحل يدعى الأعوجي.

(٢) **الفتى الندب:** السريع إلى الفضائل.

والعصا فرس جذيمة الأبرش، وقيل إن قيصر ركبها لما صار جذيمة في بلد الروم فركضها فلم تقف إلا على رأس ثلاثين ميلاً. ثم وقف هناك فبالت، فبنى على ذلك الموضع برج يسمى برج العصا.

وزهدم فرس عنترة، **والنعامة** فرس الحارث بن عباد. ومن أفراس النبي ﷺ **اللزاز** هداه المقوقس إليه من مارية، **والسكب واليعبوب** وبغلته **دلدل** وحماره **يعفور**. وله ناقتان **العضباء والقصواء**. وكان لعلي رضي الله عنه بغلة يقال لها **الشهباء**، **واليحموم والرقيب** فرسا النعمان. **والعباب** فرس مالك بن نويرة **وهسون** فرس الزبير بن العوام. **والغزالة** فرس خولان. **والحرون** لمسلم بن عمرو. واشتراه بألف دينار. **وكامل** لزيد الفوارس **وقسام** لبني جعدة **والزائد** لمحمد بن عبد الملك.

● **الماهرُ بالركوب العاجز**

قيل:

لم يركبوا الخيل إلا بعدما كبروا

وقال آخر:

وإني لأرثي للكريم إذا غدا ... على حاجةٍ عند اللئيم يطالبُه
وأرثي لهُ من وقفة عند بابه ... كمرسنى للطرف والعلجُ راكبُه

● **اللازمُ لظهر الدّابة**

يقال فلان حلس دابته وقال شاعر:

أراكَ لا تنزلُ عن ظهره ... ولو مَن البيت إلى الحَبْسِ

قال أمير المؤمنين: اضرب الفرس على العثار، ولا تضربه على النفار، فإنه يرى ما لا تراه، **وقال رجل لأمير المؤمنين:** متى أضرب حماري؟ **قال:** إذا لم يذهب إلى الحاجة كما ينصرف إلى البيت.

● **المسْتغني عنِ الضرب**

قال ثعلبة:

وتعطيكَ قبْلَ السوط ملءَ عِنانِها

وقال ابن المعتز:

أضيعُ شيءٍ سوطُه إذْ يركبُه

وله:

حسنا عليها ظالمين سياطَنا ... فطارتْ بها أيدٍ سراعٍ وأرجلُ

● **الخائِفُ من الضّرب**

قيل: أكرم الخيل لأمهاتها أجزعها من السوط، وأكيس الصبيان أشدّهم بغضاً للكتاب، وأكرم المهار أشدها ملازمة لأمهاتها.

وقال البحتري:

مواهبُ ما تجشّمنا السؤالَ لَهَا إنّ الغمامَ قليبٌ ليسَ يحتفرُ

وقال أبو تمّام:

أعطي ونُطْفَةُ وجْهي في قرارتِها تَصُونُها الوجناتُ الغضّةُ القُشُبُ
لَنْ يكرم الظَّفرُ المُعْطى وإن أَخِذَتْ به الرغائِبُ حتى يكرمَ الطّلَبُ

● مَنْ يكتفي في سؤالِه بالتّعريض

قال ابن الرومي:

يا منْ إذا التعريضُ صافحَ سمْعَه أغْنَى العُفاةَ بهِ عنِ التّصْريحِ

وقال المتنبي:

ومثْلُك منْ كانَ الوسِيطَ فؤادُه فكلّمَه عنّي ولمْ أتكلّم

● المُغني سائلَه عن سؤالِ غيره

سُئل بعض الأدباء عن جعفر بن يحيى بعد ما قتل، فقال: تركني مقطوع الآمال زاهداً بعده في طلب الأموال. قال ابن الرومي في معناه:

سألتُك إغنائي عن النّاسِ كلِّهم فأغنيتَني عنْهم وعنْك جميعاً

وقال أبو تمّام:

لم يدعْني وفي يَمِينيَ فضْلٌ لِنَدى غيرِه ولا في شِمالي

وقال ابن نباتة:

لم يُبقِ جودُك لي شيْئاً أؤمِلهُ تركتَني أصحبُ الدّنيا بلا أمَلِ

ولعابدة المهلبيّة

بحَمْدك لا بحَمْدِ النّاسِ أضْحى وكيلي ليْس يقنعُه وكيلُ
وكانوا كلّما كالُوا وزنّا فصارُوا كلّما وزنوا نكيلُ
وكنتُ وناقِص وزني فأضحى مفاعيلُن مفاعيلُن فعولُ

● مَنْ يصيرُ سائلُهُ مسؤولاً بما يُعْطيه

مدح أعرابي رجلاً، فقال: يعود عليه المجتدي مجدياً ومستعطي رفده معطياً والمنتجع منه منتجعاً. قال أبو تمّام:

وكمْ لحظةٍ أهديتُها لابن نكبَة فأصبح منْها ذا عفَاة ونائِلِ(١)

---

(١) لحظة: إلتفاتة ـ ابن نكبة: المنكوب ـ ذو عفاة: أي معافى ـ النّائل: العطية.

وله:

وما يلحَظُ العافي جداكَ مؤمّلاً سوى لحظةٍ حتّى يؤوبَ مؤمّلا

- **مَنْ لا يَرُدُّ سائِلَه**

قال أعرابي في مدح رجل: لم ينظر قط إلى محروم. قال ابن خارجة: لا أرد سائلاً فإنما هو كريم أسد خلته أو لئيم أشتري عرضي منه.

وقال أبو علي البصير:

فتىً لا يفيدُ المالَ إلا لبذلِه ولا يتلقّى صفحَةَ الحقّ بالعُذْرِ

وقال حاتم:

أماوي أنّي لا أقولُ لسائلٍ إذا جاءَ يوماً حلَّ في مالِنا نذْرُ(١)

وقال النمر بن تولَب:

ولا رحْلي بمخزونٍ عليْه إذا جاري استعارَ، ولا ردائي

- **المُحققُ رجاءَ آمليه**

قضى رجل حاجة أعرابي، **فقال:** وضعتني من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك.

قال أبو تمّام:

رجعت المنى خضراءُ تثْني غصونَها علينا وأطلقْت الرجاءَ مكبلا

وله:

همّ سرى ثم أضحى همّه أمماً راحتْ رجاء وباتَت وهي في نَشَبِ(٢)

وقال الخوارزمي:

كنّا وردْنا وكلّنا أمَلٌ ثمّ صدَرْنا وكلّنا نعَمُ(٣)

وقال البحتري:

ولئِنْ كفيتَ مهْمهَا فلمثلِها أعددْتُ مثْلَكْ(٤)

- **مَنْ لا يقطعُ نَوالَه عمَّن غَضِبَ عَليه**

كان العبّاس بن محمد يجري على رجل شيئاً فغضب عليه، وكان ابنه كتب إطلاقات رفعت إليه، فترك اسم المغضوب عليه، **فقال:** فأين ذكر رزق فلان؟ **فقال:** إنك قد كنت غضبت عليه، **فقال:** يا بني غضبي لا يسقط هبتي، إن أباك لا يغضب في النوال.

---

(١) **السائل:** المحتاج، طالب العطاء ـ **النذر:** ما تقدّمه الإنسان لله أو يوجبه على نفسه إذا نذر.

(٢) **الأمم:** القرب واليسير. (٣) **الورود والصدور:** المجيء والرجوع.

(٤) **المهمه:** المفازة البعيدة جمع مهامه، ومهمهه عن السفر منه.

وسئل بعض الصوفيين: لم وُصف الله تعالى بخير الرازقين، **فقال:** لأنه إذا كفر أحدُهم لا يقطع رزقه.

وكان محمد بن سليمان يجري على رجل شيئاً، فغضب عليه فقطعه، ثم رضي عنه فردّه، فأبى الرجل أن يقبله، وقال: إني كنت أظن أن إعطاءه مكرمة، فأما وقد صار غضبه يقطعه فلا حاجة لي فيه.

● مَنْ عَطاؤُه لا يَنْقطِع

قال الأعشى:

وليس عطاءُ اليوم مانعَه غدا

وقال ابن الرومي:

نوالُك كالسيْل المسهل بعضُه ... لبعْض طريق الجري في السّهْل والوَعْرِ

وقال آخر:

كلّما عذْنا لنائلِه ... افترزْنا جودَه جَذَعا[1]

وقال آخر:

وما كانَ نفعُك لي مرّة ... ولا مرتين ولكِن مِراراً

وقال الحطيئة:

وما أجَمَ المعْروفَ من طولِ كرهِ ... وأمرى بأفعالِ الندى وافتعالِها[2]

● المُتجنِّبُ لَفْظَ المَنْع

قال بعضهم: فلانٌ خُلقت نعم للسانه قبل أن خلق لسانه، فاجتنب «لا» ولزم «نعم».

وقال لبيد:

وبنو الديّان أعداء لـلا ... وعلى ألسُنِهم ذلّتْ نعَمْ

وأنشد عبد الرحمن الكندي:

لو قيلَ للعبّاس يا ابنَ محمّدٍ ... قُلْ لا، وأنتَ مخلّدٌ ما قالَها

فقال: ليس يجب أن يقول الإنسان في كل شيء نعم، وكان الوجه أن يستثني. **ثم قال:**

هجرْتُ في القَوْل لا إلا لنائبَةٍ ... تكونُ أولى بلا في اللفظ لا بنعَم

ويُستحسن قول الآخر:

لا فرْقَ في ناطقٍ بالشرْك عندَهُم ... وناطقٍ في جواب السائلين بلا

---

(١) **افترزنا جذعاً:** افتز (الشيء): استنشقه ـ **جذعا:** من قولهم أعدت الأمر جذعاً أي جديداً كما بدأ.

(٢) **أجَم:** وأجِم الطعام ونحوَه أي كرهه وملّ من المداومة عليه ـ **أمرى بأفعال الندى:** استدرّها من أمرى الناقة إذا درّ لبنها ـ **يقول:** أن ممدوحه لم يملّ أعمال الجود بل ما زال يستدرّ الندى.

وقال العتبي:

مـــا قـــال لا إلاّ لـــعـــذّالــــه ... وهـوَ بِـهـا عـن سـائـل أعـجَـم[١]

● **من هو مَقْصِدُ العُفاة**

قيل: أطيب الناس عيشاً من كثرت عفاته[٢] وعاش الناس في كنفه، **وقيل**: فلان داره مجمع عفاته ومربع عطياته. **قال أبو نواس**:

ترَى النّاس أفواجاً على بابِ داره ... كـأنّـهـا رِجـلا دبـى وجَـرادِ[٣]

وقال وهب الهمداني:

فـتـىً دارُه مَـغـمـورَةٌ بـعُـفـاتِـه ... ومـجـلـسُـه بـالـمـكـرُمـات مـنـجـدُ

وقال أشجع:

عـــلـــى بـــاب ابـــن مـــنـــصـــور ... عـــلامـــاتٌ مـــنَ الـــبَـــذْلِ

جـــمـــاعـــاتٌ وحـــســـب الـــبـــا ... بِ فـــضـــلاً كـــثـــرةُ الأهْـــلِ

وقال بشار:

يـطـوفُ الـعُـفـاة بـأبـوابـهِ ... كـطـوْف الـحـجـيـجِ بـبـيـتِ الـحَـرَم

وقال البديهي:

ولـلـجُـود حـسْـنٌ أيّ وقـت بـذلـتَـه ... وأحـسـنُـه مـا كـانَ فـي زمَـن الـمَـحْـلِ

● **باعثُ رِفْدِهِ إلى تارِكِ فَضْلِه**

قال الحجّاج يوماً: قلّ عفاتنا، فقال رجل: أصلح الله الأمير إنك أكثرت خير البيوت فاستغنى الناس بما يصل إليهم عن الترحال، فسرّ الحجاج، وقال: بارك الله فيك وأحسن إليه.

أنشد مروان بن أبي حفصة قول الشاعر:

إذا جئْتُ أعطاني وإن أنا لم أجىء ... أتـانِـي مـن جَـدواه مـا كـنْـت أرتَـجـي

فقال مروان قد قلت أحسن من هذا، بعث إليّ عبد الله بن طاهر عشرين ألفاً **فقلت فيه**:

لعمْرِي لنعمَ الغيْثُ غيْثٌ أصابَنا ... ببغداذَ من أرْض الجزيرة وابلُه[٤]

ونعْمَ الفتَى، والبيدُ بيني وبينَه ... بعِشْرين ألفاً صبّحَتْنا رسائِلُه

---

(١) **أعجم القول**: يقول: أنّ ممدوحه لا ينطق بـ«لا» إلا في مخاطبة عذاله، وهو لا يفصح بها لطالب نواله.

(٢) **عفاته**: جمع العافي وهو كل طالب رزق أو فضل.

(٣) **الرّجل**: القطعة العظيمة من الجراد ـ **الربى**: الجراد الصغير ـ شبه أفواج الناس على باب داره لكرمه وجوده.

(٤) **الوابل**: المطر الغزير.

وقال ابن الرومي:

ويشرك أدنى الأرض في صَوْبه القَصَوي[1]

وقال آخر:

لا أشتكي البذرَ على بعْده ... لقد أضاءتْ لي آفاقُه

وقال عمارة:

لعمرُك ما النائي البعيدُ بنازح ... إذا قربت ألطافه ونوائلُه[2]

وما ضرّنا أن السماكَ محلّقٌ ... بعيدٌ، إذا جادت علينا هواطلُه[3]

● **مَنْ أعطى الغنيّ والفقيرَ**

رُوي في الخبر: أعطوا السائل ولو جاء على فرس، وقال ﷺ: كل معروف صدقة لغني أو فقير. وقيل لبعضهم: ما الجود؟ فقال: أن تعطي الغني والفقير ولا تخص ولأحمد بن أبي طاهر:

ونداهُ مثلُ الغيثِ جادَ لمجدبٍ ... وغرٍ، وحلّ على المحلّ الممرعِ[4]

وقال المتنبيّ:

ويدٌ لها كرَمُ الغمام لأنه ... يسْقي العِمارةَ والمكانَ البلْقعَا[5]

● **المستشهِدُ على فَرْطِ جُوده بعُفاتِهِ وزمانِهِ**

قال الخطيم:

وإنْ تلْقَ ندماني تخبرْك أنني ... وكاءُ لكيْسٍ لمْ أعُد منه بالفَقْرِ[6]

وقال ديك الجن:

سلا هلْ كمجْدي أو كفخري لفاخرٍ ... وعندَكُما من قبْلِ إن تسْألا خبرُ

وقال المتوكل الليثي:

فإنْ يسألِ اللّهُ الشهودَ شهادةً ... تنبىء جمادى عنكُم والمُحَرّمُ[7]

بأنكما خيرُ الحجازِ وأهلِه ... إذا جعل المعطي يملّ ويسأمُ

● **مَنْ يباري الرياحَ**

قال عبد الله بن أبي السمط:

أعطى أبو دلف والريحُ عاصفَةٌ ... حتى إذا وقفَتْ أعطى ولم يَقِفِ

---

(١) الصوب: العطاء. (٢) نوائله: عطاياه.

(٣) السِّماك: برج في السماء وكل ما سُمك به أي رفع.

(٤) وعر: صلب وصعب ـ الممرع: الخصيب.

(٥) العمارة: أي الأرض العامرة ـ البلقع: الخالي، يعني جوده لا يفوت فقيراً ولا موسراً.

(٦) وكاء لكيس: رباط لكيس. (٧) جمادى والمحرم: شهران قمريان.

وقال آخر:

يَـكِـلُـونَ الـريـاح إذا تـبـارَت ... ويـمـتَـثـلـون أفـعـالَ الـسّـحـابِ[1]

● المُعطي بِلا شفاعة

قال ابن الرومي:

النـائِلُ الـمـعْـطي بـغَـيْـر وسـيـلَـةٍ ... كـالـمـاءِ مـغـتـرَفـاً بـغَـيْـر رشَـاء[2]

وقال آخر:

أفـردتـه بـرجَـائـي أن يـشـاركَـنـي ... فـيـهِ الـوسـائِـلُ أو ألْـقـاه بـالـكُـتُـبِ

● مَنْ شَارَكَ في مالِهِ عُفاتَه

قال ابن الرومي:

وامـدح فـتـىً حـظُّـه مـنّْ ومـأثـرةٌ ... كـحـظِّ نـاظـرِنـا مـن وجـهِـه الـحـسـنِ

وقال أبو تمّام:

لـو كـنْـتَ شـاهـدَ بـذْلِـهِ لَـشَـهِـدْت لـي ... بِـوِراثَـةٍ أو شِـرْكَـةٍ فـي مـالِـه

● مَنْ لا يُبقي مالاً

كـأنَّ عـلـيْـه أن يـفـرّقَ مـالَـه ... ألـيـةَ مـبـرورِ الألـيـة مـخـتـرزِ[3]

وقال المتنبي:

عـجـبـاً لـه حَـفِـظَ الـعِـنـانَ بـأنْـمُـلٍ ... ما حِـفـظُـهـا الأشـيـاءَ مِنْ عـاداتِـهـا[4]

وله:

لـو كـانَ ضـوءُ الـشـمـوس فـي يـدِه ... أضـاعَـهُ جـودُه وأفـنـاهُ[5]

وقال آخر:

يـقـولُ أنـاسٌ لـو جـمـعْـتَ دراهـمـاً ... وكـيْـف ولـم أخـلَـقْ لـجـمـع الـدّراهـم

أبَـى الـلّـهُ إلا أنْ تـكـونَ دراهـمـي ... مدَى الدّهرُ نهبى بينَ عافٍ وغانِمِ[6]

وقال أعرابي، حسن الحديث ضعيف خيط الدرهم.

---

(١) يكلون: من واكل، بمعنى يتكلون على. (٢) الرشاء: حبل الدلو.

(٣) الألية: القسم ـ المحترز: المتوقي.

(٤) العنان: سير اللجام ـ الأنمل: رؤوس الأصابع ـ يتعجب كيف حفظ العنان بأنمل ما عادتها أن تحفظ الأشياء، يكني عن شجاعة ممدوحه وركوبه الخيل وأنه معطاء.

(٥) صاعه: فرّقه ـ الشموس: على تقدير أن لكل يوم شمساً.

(٦) نهبى: غنيمة.

● **مَنْ لا تُجِبُ عليه زكاةٌ لإنفاقه ماله**

قال بكر بن النطاح:

وما وجبَت عليّ زكاةُ مالٍ ... وهل تجبُ الزكاةُ على الفقيرِ

وقال رجل من بني عذرة:

واللّهِ ما بلغتُ للجودِ ماشيَتي ... حدّ الزكاةِ ولا إبلي ولا مالي

● **مَنْ مالُهُ مُعدٌّ لِلبذْل**

قال البحتري:

فتىً لا يريدُ الوفرَ إلا ذخيرةً ... لمأثرةٍ تزدادُ أو مغرَمٍ يعرو[1]

وقال عليّ بن الجهم:

ولا يجمَعُ الأموالَ إلا لبذْلِها ... كمَا لا يُساقُ الهديُ إلا إلى النَّحرِ[2]

● **مَنْ لا يَبخلُ بروحِهِ ولا مالِهِ لو سُئل**

مَدح رجل آخر، **فقال:** كيسه محلول وماله مبذول، يطعمك نفسَه إن أوكلتها ويسقيك روحه إن شربتها، ومنه أخذ بعض بني غطفان:

ولو لمْ أجِد لنزيلي قِرى ... قطَعْتُ لهُ بعْض أطرافِيَه

وقال بكر بن النطاح:

ولوْ لمْ يكُن في كفّه غيرُ روحِه ... لجادَ بها فليتَقِ الله سائِلُه

وقال الكميت:

وتبتذلُ النفْسَ المصونَةَ نفسُه ... إذا ما رأى حقّاً عليْه ابتذالُها

وقال أبو هفّان في معناه، وإن كان في وصف الضيافة:

ولو نزلَ الأضيافُ ليلة لا قِرى ... لأطعمْتُهم لحمي وأسقيتُهم دَمي

وقال ابن نباتة:

وحكّمني حتّى لو أنّي سألتُه ... شبَابي وقد ولّى به الشَّيبُ ردّه

● **المُنخدعُ المُتبالِهُ في ابتذال مالِهِ**

قيل: الكريم هو المنخدع عن ماله حتى يحكم فيه الطمع ويستعمل في ماله الخدع. وقيل لبعضهم: ما الشرف؟ **فقال:** الإنخداع عن المال. ولا تجد أحداً يتغافل عن ماله إلا وجدت له في قلبه فضيلة لا تقدر على دفعها، وقد أدّبنا نبيّنا ﷺ بقوله: رحم الله سهل البيع سهل الشراء وهذا خلاف قول الناس: المغبون غير محمود ولا مأجور.

---

(١) يعرو: يأتيه طالباً معروفه.

(٢) الهدي: ما أهدي إلى الحَرَم من النعم.

وقد قال ﷺ: ألا أدلّكم على شيء يحبّه الله ورسوله، **قالوا**: بلى يا رسول الله، **قال**: التغابن للضعيف.

قال شاعر:

مِمَّن يغُرّ على الثناء فيُمْدَحُ

وقال البحتري:

وإذا خادعْتُه عن ماله ... عرفَ المسلكَ فيه فانخَدَع

وله:

وقد يتغابَى المرءُ في عظْم ماله ... ومن تحتِ بردَيْه المغيرةُ أو عمرو[1]

وله:

إذا معشرٌ صانُوا السماحَ تعسّفت ... به همّة مجنونةٌ في ابتذالِه

وتخطّى أبو تمّام ذلك حتى استُقبح قوله، **فقال**:

ما زالَ يهذي بالمكارمِ والعُلى ... حتى ظننّا أنهُ محمومُ

والهذيان والحمى مستقبحٌ ذكرهما في المدح، **قال المنذر الغساني يوصي ابنه**: آمرك بالذل في نفسك والإنخداع في مالك.

● **مَنْ عَيبُه إفراطُهُ في الجود**

فتىً كمُلَتْ أخلاقُه غيْرَ أنّه ... جوادٌ فلا يُبْقي من المالِ باقِيا

وقال كشاجم:

ما فيهُم عيبٌ سِوى الإ ... فراطِ في الجُود فقَط

وقال أبو هفان:

عيْبُ بني مخلد سماحتُهم ... وأنهم يُتْلِفون ما مَلكُوا

وقيل للحسن بن سهل، وقد كثر عطاؤه على اختلال حاله: ليس في السرف خير، **فقال**: ليس في الخير سرف.

وقال المأمون لمحمد بن عباد: إنك متلاف، فقال: منع الجود سوء الظن بالمعبود. وفي الزهد أخبار من ذلك.

● **السائرُ عَطِيّته**

رُوي أن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ملك أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية، فنزل فيه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[2] الآية.

---

(١) **المغيرة وعمرو**: أي المغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص.

(٢) **القرآن الكريم**: النساء/ ٣٧.

وقال المتنبي:

ستروا الندى سترَ الغراب سفادَه   فبدا، وهل يخفى الربابُ الهاطِلُ[1]؟

ووصف أعرابي رجلاً، فقال إذ أعطى شكر وإذا أعطى ستر.

● المَسرورُ بِما يُعطيه

لمّا دخل الفضل بن يحيى الرقّة، قال لوكلائه: أحصوا منزل من يغنيه ألف درهم فاحصوا ثلاثمائة منزل فوجه إليهم ثلاثمائة ألف درهم، ثم وضع له الطعام، فقال: ما أكلت طعاماً أهنأ منه اليوم، وقد علمت أني أغنيت ثلاثمائة بيت.

قال أبو تمّام:

لو يعلَمُ العافون كمْ لكَ في النّدى   مِنْ لذّة وقريحَةٍ لم تُحمَدِ[2]

وقال زهير:

تراه إذا ما جئتَه متهلّلاً   كأنّك تُعطِيهِ الذي أنتَ سائِلُه

وقال الأعشى:

يرى البخلَ مرّاً والعَطاءَ كأنّما   يلذّ به عذباً منَ الماءِ بارداً

وقال أبو تمّام:

ونغْمَةُ مُعتفٍ يرجوُه أحلى   على أُذنَيْه من نغَم السّماع

وقال معاوية يوماً لجلسائه: ما بقي من لذاتكم؟ **فقالوا:** ضروب من القول، **فقال** ذلك لوردان مولى عمر، **فقال:** النظر في وجه كريم أصابته من دهره جائحة فاصطنعت إليه، **فقال معاوية:** أنا أحق بهذه منك، **فقال:** أحق بها من سبق إليها وأنت أقدر عليها فافعل.

ودخل هشام بن عروة على المنصور، فشكا إليه ديْناً، فأعطاه عشرة آلاف درهم، **فقال:** يا أمير المؤمنين رُوي عن النبي ﷺ أنه قال من أعطى عطية وهو طيب النفس بورك للمعطي والمعطى منها، أفنفسك طيبة بها، **قال:** نعم.

● مَنْ اشتغالُه بِالعَطاء

قال بعضهم:

فتى لا تراهُ الدهرَ إلا ونفسُه   تجودُ بخيرٍ أو تهمّ بخيرِ

وقال آخر:

لا يعدّ المالَ إلا وهبا

---

(١) الرباب: السحاب الأبيض ـ السفاد: المجامعة.

(٢) القريحة: الطبع ـ الجائحة: المصيبة.

وقال دعبل:

يـعــدُّ مـا أنـفـقَ مـن مـالـهِ غــنــمــاً ومــا وفّــره غــرمــاً

وله:

فـتـىً لا يـرى الـمـالَ إلا الـعـطـاءَ ولا الـكـنـزَ إلا اعـتـقـالَ الـمِـنَـن

● مَنْ لا يعدُّ مالَه إلاَّ ما وَهَبَه

قال النبي ﷺ: أفضل الصدقة جهد من مقل. وقال بعض الصوفية: ليس السخاء أن تعطي الواجد العادِم إنما السخاء أن تعطي العادم الواجد قال شاعر:

إذا تكرَّمْتَ أن تُعْطي القليلَ ولم تقدِر على سَعة لم يظهرِ الجودُ

بُثَّ النوالَ ولا يمنَعْك قلَّتُه فكلّ ما سدّ فقراً فهو محمودُ

وقال آخر:

ليس العطاءُ من الفضُول سماحةً حتى تجودَ وما لديك قليلُ

وقيل: لم يحرم من قصد له.

● من يُكثِر العَطاءَ وإنْ قَلَّ مالُهُ

قال ابن هرمة:

ويـنـالُ بـالـمـالِ الـقـلـيـلِ تبرّعي فـمـا يـضـيـقُ بـهـا ذراعُ الـمـكْـثـرِ

وقال العرندس:

ولـم يـكُ أكـثـرَ الـفـتـيـان مـالاً ولـكِـن كـانَ أرحـبَـهـم ذِراعـاً

وقال آخر:

ما كانَ عاراً إذا ضيفٌ تضيفَني ما كان عنْدي إذا أعطيْتُ مجْهودي

جهْدُ المقلّ إذا أعطاكَ نائلَه ومُكْثر من غِنى سِيّان في الجُودِ

وقال معن بن زائدة: طلبني المنصور فهربت منه متنكراً، فلقيني أسود فتعلق بي وقال: أنت طلبة أمير المؤمنين، فقلت: إتق الله فإني غريب، فقال: دعني من هذا، فقلت: إنك إن أتيته بي لا تنتفع منه بكثير نفع، فدونك هذه الجواهر فقيمتها ألوف دنانير، فقال: دعني من ذا أنت موصوف بالجود، هل أعطيت مالك كلّه أو نصفه أو ثلثه، فقلت: لا، فقال: أنا مشاهرتي كل شهر عشرون درهماً ومالي على ظهر الأرض ما قيمته مائة درهم، وها أنا قد وهبت لك هذه الجواهر ووهبتك لنفسك لتعلم أن لله عباداً أسخى منك، ففارقته وأنا بعد في طلبه.

● مَنْ أعطى الكثيرَ لِمَنْ يُرضيه القَليلُ

سوّى حجّام شاربَ الحسن فأعطاه درهمين، فقيل: إنه كان يكتفي بدانق، فقال: لا تدنقوا يدنق عليكم.

ومرّ يزيد بن المهلّب بأعرابي في خروجه من السجن، فسأله شيئاً، فقال لغلامه: ما معك؟ **قال**: مائة دينار، **فقال**: أعطه، **فقال الغلام**: هذا يرضيه اليسير، **فقال**: أنا لا يرضيني إلا الكثير. **قال**: إنه لا يعرفك، **قال**: أنا أعرف نفسي. وأثنى أعرابي على رجل فقال: ما زال يعطيني حتى ظننت أنه يودعني وما ضاع مال أورث حمداً.

- **المُحكّم سائِلَه في مالِهِ**

قال التنوخي:

إن جاءَهـمْ سائِلٌ يبْغي نوالَهـم　　　أعطَوْه من مالِهم ما شاءَ واقترَحا

وقال ابن نباتة:

وحكّمني حتّى لو أني سألتُه　　　شَبابي وقد ولّى به الشيبُ ردّه

ودخل الغافري على الحسن بن عليّ رضي الله عنهما، فقال: إني عصيت رسول الله ﷺ، **قال**: بئس ما صنعت، كيف؟ **قال**: لأن النبي ﷺ **قال**: لا يفلح قوم ملكت أمرهم امرأة وقد ملكت عليّ امرأتي، أمرتني أن أشتري عبداً فاشتريته فأبِقَ منّي، **فقال**: اختر إحدى ثلاث إن شئت فثمن عبد، **فقال**: قف ههنا ولا تتجاوزه، فقد اخترته فأعطاه ذلك.

- **مَنْ جَاد بالعرَض دون العِرْض**

قال أبو شراعة:

عِرضٌ مصُونٌ وتُراثٌ مُنْتَهَبُ

وقال ابن الرومي:

قريبُ النوالِ بعيدُ المنالِ　　　ومسكنُه شَرَفٌ ممتنعُ[1]

كمثلِ السحاب نأى شخصُه　　　ولم ينأ منه صيّبٌ هَمِعُ[2]

وقال يعقوب التمّار:

حمى أعراضَه ضنّاً وشحّاً　　　وصيّر ماله نهباً مُباحا

- **الصَّائنُ عِرضَه بمالِهِ**

قيل: فلان منع الناس من عرضه، بما نشر عليهم من فضله.

وقال آخر:

خيرُ العُروضِ وقايةُ الأعْراض

وقال آخر:

وما أنالَ المالَ صانَ الجاهَا

---

(١) الشرف: المكان المرتفع.　　(٢) صيب همع: سحاب ذو مطر غزير.

وقال أحمد بن أبي طاهر:

العِرْضُ لَيسَ يصونُه مالٌ إذا ... ما المالُ عندَ حقوقِه لم يُبْذَلِ

وقال آخر:

لا يقي بالإحسانِ مالاً ولكن ... يجعَلُ المالَ جُنَّةَ الإحسانِ(١)

● **المُبتاعُ الحَمْدَ بالمال**

ذهابُ المالِ في حمْدٍ وأجرٍ ... ذهابٌ لا يُقالُ له ذهابُ

وقال مجنون:

وما اشتريْتُ بمالٍ قطّ مكرمَةً ... إلا تيقَّنْتُ أنّي غيرُ مغبونِ

وفرّق علي بن موسى الرضى ماله بخراسان كلّه في يوم عرفة، فقال له الفضل بن سهل: ما هذا المغرَم؟ فقال: بل هو المغنم لا تعدن مغرَماً ما ابتعت به أجراً وكرماً.

● **مَنْ يُعطي طوْعاً ويتأبى خَسفاً**

خبر الدهقان الذي طالبه بالمال قد تقدم في خبر السلاطين. وقيل: فلان لا يسمح بالغلب ولا يدرّ على الغضب. وقال معن بن أوس:

ونأبى فلا نُعطي على الخسْف درّةً ... ميساً ولكن بالتودّد نُختَلُ(٢)

وقال البحتري:

حرونٌ إذا عازرتَه في مُلِمّةٍ ... فإنْ جئتَه من جانبِ الذلّ أصحَبا(٣)

وقال المتنبي:

وأنتم فئةٌ تسخو نفوسُكم ... بما يهونُ ولا تسخونَ بالسَّلَبِ(٤)

● **إعطاءُ المُستحقّ وغيرِه والشاكِر والكافر**

قيل: لأن أخطىء باذلاً أحب إليّ من أن أصيب مانعاً. وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: لا يزهدنّك في المعروف كفر من كفره، فإنه يشكرك عليه من لم يصطنع إليه.

قال بعضهم:

يدُ المعروفِ غنْمٌ حيث كانَتْ ... تضمّنُها كفورٌ أو شكورُ

---

(١) الجنة: الدرع الذي يدرأ الأذى.

(٢) الخسف: الضعف والذل ـ ميساً: الميس: نوع من الزبيب يجنى من شجر حرجيّ ـ نختل: ننخدع. يقول: بالقهر لا نعطي شيئاً ولو كان من ثمر الميس غير المرغوب فيه، ولكن بالودّ نجود ونسخو.

(٣) حرون: يرفض الانقياد ـ عازرته: عارضته.

(٤) السلب: الشيء المسلوب والمقصود أنكم قوم أهل عزة وأنفة تسخون بالذي تهبونه ولا تسخون بما يُسلب منكم قهراً.

فـعـنـدَ الـشـاكـريـن لـه جـزاءٌ		وعـنـدَ الـلّـهِ مـا كـفـر الـكـفـورُ

وقال محمود:

سأمنَحُ مالِي كلّ منْ جاء عافِيا		واجعلُه فرْضاً على الفرْض والفرْضِ
فإما كريمٌ صنتُ بالجودِ عرضَه		وأما لئيمٌ صنتُ عن لؤمِهِ عِرْضي

وقال آخر:

لا يـذهـب الـعـرفُ بـيـنَ الله والـنـاس

● **الحثُّ على منْعِ اللّئامِ وَمَنْ يَستَصْغِرُ بإعطائِهِ**

قيل في التوراة: مكتوب من صنع معروفاً إلى غير أهله كتب له خطيئة. **وقال بزرجمهر:** المصطنع إلى اللئيم كمن طوق الخنزير تبراً وقرّط الكلب دراً وألبس الحمار وشياً وألقم الحية شهداً.

وقيل: من أشبع لئيماً فقد ضرى عدواً عاتياً وسبعاً عادياً. **وقيل:** اللئيم يزداد بالعرف خبالاً كما يزداد المريض من كثرة الطعام وبالا

قال أبو بجيلة:

متى تسدِ معروفاً إلى غيْر أهلِه		رزئتَ ولم تظفَرْ بحمْدٍ ولا أجْرِ

وقال آخر:

ومن يصنَعِ المعروفَ في غيْرِ أهلِه		يلاقِي كمَا لاقى مُجيرُ أمّ عامرِ

وقال آخر:

هم سمّنُوا كلْباً فأتْلفَ بعضَهم		ولو أخذوا بالحَزْم ما سمّنوا كلْباً

وقال آخر:

ليْس في منْع غيرِ ذي الحقّ بُخْلُ

● **مَنْ لا يبخلُ في حقٍّ يلزمه ولا يُسرفُ فيما يخوّله**

قيل للمنبوذ: إنك بخيل، **فقال:** ما أحمد في حق ولا أذوب في باطل. **وقيل لفيلسوف:** متى يكون قليل النوال موفياً على الكثير؟ **فقال:** إذا كان قليله في الحقوق وكثيره في الإسراف.

وقيل لمعاوية: ما الجود؟ **فقال:** إصابة موضع البذل والمنع. **وقيل:** السخاء أن تأخذ الشيء من حل وتضعه في حق.

قال الراعي:

فلست إن نابني حقٌّ بمنتكر		فيه ولا برم تعيى به السّبُلُ

● **المملوحُ بِمنْعِ العطاءِ غيرِ مُستحقه.**

قيل:

إذا المالُ لم يوجِبْ عليْك عطاءَه ... صنيعَةُ تقوى أو خليلٌ تُخالِقُه[1]

منعْتَ وبعْضُ المنْع عزمٌ وقوّةٌ ... ولمْ يبتذِلْك المال إلا حقائِقُه

● **المُشارِكُ ذويه في ما يَمْلِكه ويَحْويه**

صادف رجل موسراً يصحبه معسر، فسأل الموسر عن صاحبه، فقال: هو أخي، فقال له: ولم أنت غني وهو فقير؟ أما سمعت قول عبد الله بن معاوية:

وإذا أصبْتَ من القوافِل رغبةً ... فامنَحْ عشيرتَك الأدنى فضلَها[2]

وأحسن بقول الآخر:

بدا حينَ أثرى بإخوانِه ... فقلّل منهم شياة العدَم[3]

وعرفَه الحزمُ صرْفَ الدهورِ ... فبادَرَ بالعرْف قبْل التّدَمِ[4]

وقال عمرو بن الأطنابة:

كريمٌ رأى الإقلالَ عاراً فلَمْ يزَل ... أخا طلبٍ للمالِ حتّى تموّلا

فلمّا أفاد المالَ عاد بفضلِه ... على كلّ من يرجو جداه مؤمّلا[5]

وقال أبو عمر القاضي:

وتركي مواساةَ الأخلاءِ بالذي ... تحوزُ يدي ظلْمٌ لهُم وعقوقُ

وقيل: لا تعدنّ غنياً من لم يكن غناه مشتركاً.

● **الإعطاءُ في حالِ السُكْرِ والصّحْو**

لما كان السكر قد يذر البخيل كريماً، كرهوا مدح المرء بأنه يسخو في حال السكر، فغضوا من قول عمرو:

إذا ما الماءُ خالطَها سَخينا

واستجادوا قول امرىء القيس:

ينال جودك في صحوٍ وفي سكْرِ[6]

---

(١) **تخالقه:** تعاشره بخلق حسن. (٢) **الأداني:** الأقربون.

(٣) **شياة العدم:** جمع شية، الوشي والنقش وتحسين الثوب بالألوان.

(٤) **العرف:** المعروف. (٥) **جداه:** عطاؤه.

(٦) **الواردة في ديوانه قوله:**

وتعرِف فيهِ من أبيه شمائلاً ... ومِن خاله ومن يزيدَ ومن حُجرِ

سماحةَ ذا وبرّ ذا ووفاء ذا ... ونائلَ ذا إذا صحَا وإذا سَكِرْ

وقد استجيد قول زهير:

أخو ثقةٍ لا يهلكُ الخمرُ مالَه ... ولكنّه قد يهلكُ المالَ نائلُه

أي ليس ممن يعطى لسكره ولكن يعطي لسخائه. وقيل: ليس ينفق ماله في شرب الخمر ولكنه في البذل. قال البحتري:

تكرمت من قبْل الكؤوسِ عليْهم ... فما استطعنَ أن يحدثْن فيك تكرّما

وقال المتنبي:

لا تجد الخمرُ في مكارمه ... إذا انتشى خَلَّةً تلافاها[1]

● عُذْرُ سخيٍّ بَخُلَ في بَعْضِ الأحْوال

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما لرجل سأله شيئاً، فلم يمكنه: لو أمكنني لكان الحظ فيه لنا دونك، فإن حرمنا شكرك فلا تحرمنا سعة عذرك. قصد رجل الحسن بن سهل في حالة عسره فاستماحه، فلم ينل منه مطلبه فعاتبه، فقال الحسن:

الجودُ طبْعي ولكن ليْس لي مالٌ ... وكيف يسمح من بالديْن يختالُ

وشيمَتي في العَطايا لا تزايلُني ... وليْس ما أشتَهي يأتِي بهِ المَالُ

واستبطأ دعبل أبا دلف، فبعث إليه دنانير، وكتب معها:

أعجلْتَنا فأتاكَ عاجِلُ برّنا ... قلاً ولو أمهلْتَنا لم تقللِ

فخذ القليلَ وكنْ كأنّك لمْ تسَلْ ... ونكونُ نحن كأننا لم نُسْئَلِ

ومدح البحتري طاهر بن محمد، فبعث إليه دنانير، وكتب معها بأبيات منها:

والشريفُ الظريفُ يسمَح بالعُذْ ... ر إذا قصّر الصديقُ المُقِلّ

فكتب إليه البحتري:

وإذا ما جزيْتَ شعْراً بشعْر ... يبلغُ الحقّ فالدنانيرُ فضْلُ

دخل بعض الطالبيين على إسحاق الموصلي فأطال الجلوس، فلما خف الناس كلّمه في حاجة، فقال: ما إلى ذلك سبيل. فسكت قليلاً ثم عاوده، فقال له كذلك، فقال:

لا ييئسنّك من كريم نبوةٌ ... ينبو الفتَى وهو الجوادُ الخضرمُ[2]

فإذا أبى فاستبقِه وتأنّه ... حتى يفيءَ به الطباعُ الأكرمُ

فاهتز لكلامه، وقال: قد عاد الطباع الأكرم وخوّله.

وفي المثل: بيتي يبخل لا أنا. وقال والٍ لرجل كان يكثر سؤاله: دع الضرع يدرّ لغيرك كما درّ لك.

---

(١) انتشى: سكر - الخلّة: الثلمة - تلافاها: تداركها.

(٢) الخضرم: الكريم الكثير العطاء.

ووقّع عبد الحميد في رقعة مستميح كان قد برّه مراراً: قد نفد ما عندنا لمثلك فارغب إلى من لا ينفد ما عنده.

● عُذر مَنْ أعطى قليلاً

أتى رجل زياد بن أبي سفيان سائلاً، فأعطاه درهماً، فقال: صاحب العراقين يعطيني درهماً، فقال: إنّ من بيده خزائن السموات والأرض ربما رزق أخص عبيده التمرة واللقمة وما يكثر عندي أن أصل رجلاً بمائة ألف درهم ولا يصغر أن أعطي سائلاً رغيفاً، إذا كان رب العالمين يفعل ذلك.

ورفع حشم جعفر بن يحيى إليه قصة يستزيدونه أرزاقهم، فقال لعمرو بن مسعدة، فكتب إليه: قليل دائم خيرٌ من كثير منقطع، فقال جعفر: أي وزير بين جنبيه.

● عُذرُ مَنْ أفقره الجودُ

قصد جماعة ابن هرمة فخرجت بنية له فاعتذرت، فقالوا: أليس أبوك الذي يقول:

لا أمنعُ العودَ بالفِصال ولا ... ابتاع إلا قريبةَ الأجَل

فقالت: نعم. هذه العادة منه تركتكم بلا قِرى.

قال جحظة:

جاء الشتاءُ وما عندي له ورقٌ ... فيما عددتُ ولا عندي له خلعُ

كانت فبدَّدها جودٌ ولِعتُ به ... وللمساكين أيضاً بالنّدى ولَعُ

وقال أبو الشمقمق:

الجودُ أفلسهم وغيَّر حالَهم ... واليَوْمَ إن سُئِلوا النوالَ تمَحّلوا[1]

وسأل رجل آخر شيئاً فاعتذر إليه فقال السائل: العذر الصادق مع النية الجميلة يقومان مقام النجح.

● أنواعٌ مختلِفةٌ من بابِ الجودِ

قال ابن الرومي:

يُعطي وينمي اللَّهُ أموالَه ... والبَحْرُ لا ينْضبُه النزحُ[2]

ومما رُوي في الخبر: أن لله ملائكة تنادي كل صباح ومساء اللهمّ اجعل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً.

وقال البحتري فيمن سامحه بخراجه:

وكنْتُ إذا ما رمْتُ عندَك حاجةً ... على كنَدِ الأيام هانَ علاجُها[3]

---

(١) تمحّلوا: تكلّفوا. (٢) النزح: الماء الكدر، أو الماء القليل. (٣) كند الأيام: الأيام المجدبة.

فلم لا أُغالي بالضّياع وقد دنَا		عليّ مداها واستقامَ اعوجاجُها
إذا كان لي تربيعُها واغتلالُها		وكان عليه عشرُها وخراجُها[1]

وقال شرحبيل للرشيد: أعطني عطية تشبهك أو تشبهني، **فقال:** فوقك ودوني فأولاه مالاً، والعطايا تختلف أسماؤها فالحذياء للمبشر والحذية للعدل والبسلة للراقي، والحلوان للكاهن، والنشوع للساحر، والزبد للدلال، والشبر للنكاح والعزبر ثمن المرعى، والجعل للشرط.

(٥)
ومِمّا جاء في البخل بالأموال

•

• حَقيقةُ البُخل

سئل **الحسن** رضي الله عنه عن البخل، **فقال:** هو أن يرى الرجل ما أنفقه سرفاً وما أمسكه شرفاً. **وقال آخر:** البخل جلباب المسكنة. **وقيل** للأحنف: ما اللؤم؟ **فقال:** الاستفضال على الملهوف، **فقيل:** وما الجود؟ **فقال:** الاحتيال للمعروف.

• ذمُّ البُخْلِ وَتَعظيمُهُ على كلِّ الذُّنوب

قيل لإبليس: من أحب الناس إليك؟ **فقال:** عابد بخيل. **قيل:** فمن أبغض الناس إليك، قال فاسق سخيّ فينجيه سخاؤه.

وقيل: من بخل بمال في واجب ذهب ضعفه في باطل. **وقيل:** السخي حرّ لأنه يملك بماله والبخيل لا يستحق اسم الحرية، لأنه يملكه ماله.

وقال بشر بن مروان: لو أن أهل البخل لم ينلهم من بخلهم إلا سوء ظنهم بربهم في الخلف لكان عجيباً. **وقيل:** أعجب ما في البخيل أنه يعيش عيش الفقراء ويحاسب حساب الأغنياء. **قال شاعر:**

إن البخيلَ فقيرٌ غيرُ مأجورِ

وقال الديسق اليربوعي:

إذا ذو المال ضنّ بما لديْه		وأشفقَ فهو محتاجٌ فقيرُ

• كَثرةُ البُخلِ وقِلّة الجودِ في الناس

لما قال أبو العتاهية:

إطرح بطرفك حيثُ شئتَ فلن ترى إلا بخيلاً

---

(١) التربيع: الربع من الخراج.

قيل له: بخلت الناس كلهم، **فقال**: كذّبوني بواحد.

قال كشاجم:

إجتنبَ النّاسُ طريقَ النّدى ... كأنما قد أنبتَ العوسَجا[1]

وهذا مأخوذ من قول بعضهم، وقد سمع رجلاً **يقول**: تجنّب الناس طريق الندى، **فقال**: ذاك طريق نبت فيه العوسج:

أكلّ وميضِ بارقةٍ كذوبُ ... أما في الدّهر شيء لا يُريبُ
وشاعَ البخلُ في الأشياء حتّى ... يكاد يشحّ بالريحِ الهبوبُ
فكيف أخصّ باسمِ العيبِ شيئاً ... وأكثرُ ما أشاهده معيبُ

وقال ابن نباتة:

كيف السبيلُ إلى الغِنى ... والبخلُ عند الناس فِطْنَه؟

● **مُعاتَبَةُ مَنْ يَرْجو لَئيماً**

قيل: من أمل فاجراً فأدنى عقوبته أن يحرمه. وسأل أعرابي رجلاً فحرمه، **فقال له أخوه**: نزلت بواد غير ممطور ورجل غير مسرور، فارتحل بندم أو أقم بعدم. ذم العبّاس بن الحسين بعض الوزراء، **فقال**: الذليل من اعتزى إليك والفقير من أملك. **وقيل**: كدمت غير مكدم[2]، نفخت لو تنفخ في فحم، هيهات تضرب في حديد بارد.

وقال رجل: إني أقصد فلاناً راجياً نداه، **فقال له صاحبه**:

ترجُو النّدى من إناءٍ قلّما ارتشحا ... كالمستذيبِ لشحْمِ الكلْب منْ ذنبِه[3]

وقال أبو العتاهية:

وإنّ منْ يرتجي نَداكَ كمَن ... يحلبُ تيساً من شهوةِ اللبَن

وقال بعضهم:

أمن دارِ الكلابِ ترومُ عظْماً ... لقد حدّثتَ نفْسَك بالمُحالِ

وقال إسماعيل القراطيسي:

لقدْ أحلَلْتُ حاجاتِي ... بوادِ غيرِ ذي زَرْعِ

وقال أبو تمّام:

ومالي من ذنبٍ إلى الرزْق خلتُه ... سوى أمَلي إيّاكم للعظائمِ

ونحوه:

سجَدْنا للقرودِ رجاء دُنْيا ... حوَتْها دوننا أيدي القُرودِ

---

(١) **العوسج**: جمع عوسجة جنس شجيرات شائكة الأغصان، يستعمل سياجاً.

(٢) **كدمت غير مكدم**: طلبت من غير مطلب. (٣) أي ليس في ذنب الكلب شحم.

فـمـا بـلَّـتْ أنـامـلُـنـا بـشـيءٍ   عـلِـمْـنـاه سـوى ذلّ الـسّـجـودِ

وقال المتنبيّ:

تَـظُـنّ ابـتـسـامـاتـي رجـاءً وغـبـطـةً   ومـا أنـا إلاّ ضـاحـكٌ مـن رجَـائِـيـا[1]

● من لا يُنالُ خَيرُهُ ولا يُرجى فَضلُه

قال الصاحب بن زرارة في أخيه صاعد: هو والله ليس برطب فيعصر ولا بيابس فيكسر، ما عنده خلّ ولا خمر، سواء هو والعدم.

وكان عبد الملك يقال له رشح الحجر لبخله.

وشاتم أعرابي رجلاً **فقال:** إنكم لتقصرون العطاء وتعيرون النساء وتبيعون الماء، ما عنده فائدة ولا عائدة، ولا رأي جميل ولا إكرام دخيل. **وقالت امرأة لزوجها:** والله ما يقيم الفأر في دارك إلا حبّ الوطن. **وقيل في رجل:** بئس متنجع المجدب. **قال شاعر:**

وبـخـرُ الـسـرابِ يـفـوت الـطّـلاب   فـقـلْ فـي طـلابِـك جـئـنـا بـهِ

وقال المتنبيّ:

ولا يـدُرّ عـلـى مـرعـاكُـمُ الـلـبَـنُ[2]

وقال أبو هفّان:

سـواءٌ إذا مـا زرتَـهـم فـي مـلـمّـة   أزرتَـهـم أمْ زرتَ مـنْ فـي الـمـقـابِـرِ

وقيل لأبي العيناء: كيف وجدت فلاناً لما قصدته؟ **قال:** وجدته لا يعود إليه حرّ.

وقصد رجل سلطاناً فلما رجع، قيل له: ما ولاّك؟ **فقال:** ولاّني قفاه وأولاني منعه وحماني نفعه.

● مَنْ تأبى نفسُهُ السّماحَةَ

قال شاعر:

يـعـالِـجُ نـفـسـاً بـيْـن جـنـبَـيْـه كـزّةً   إذا همّ بالمعروف قالَتْ له: مَهْلا[3]

وقال آخر:

كـأنّـمـا يـعـطـيـكَ مِـن بـصَـره

وقال سعيد بن عبد الرحمن:

أبـى لـك فـعلَ الـخـيْـر رأيٌ مـقـصـرٌ   ونـفـسٌ أضـاقَ الـلّـهُ بـالـخَـيْـر بـاعَـهـا

إذا هـي حـثّـتـه عـلـى الـخـيـر مـرّة   عـصَـاهـا وإن هَـمّـتْ بـشَـرّ أطـاعـهـا

---

(١) الغبطة: المسرة وحسن الحال ـ يقول: إذا ابتسمت إليك ظننت ابتسامتي رجاء لك وغبطة، ولكنّي لست براضٍ عنك لتقصيرك في حقّي.

(٢) يقول: إذا رعت النعم في أرضكم لم يدرّ لبنها على مرعاكم لو خامته.

(٣) كزّة: يابسة ومنقبضة، كناية عن البخل.

● **المُتلَقِّي سائِلَه بِلَفظِ المَنْع**

قيل: فلان مشجب، من أي النواحي أتيته وجدت لا **وقال عمرو بن عبيد لرجل قد أكثر من لا**: أيها الرجل أقلّ من لا فليس في الجنة لا. **قال أعرابي**: وجدت فلاناً أخرس بنعم فصيحاً بلا.

● **بخيلٌ متكبِّر**

قال النبي ﷺ: خصلتان لا يجتمعان في مؤمن، البخل وسوء الخلق.

قال خلف الأحمر:

أنـاسٌ تـائـهـون لـهُـم رواءٌ ... تـغـيـمُ سـمـاؤهـم من غـيْـرِ وبْـلِ[1]

وقيل: ربّ صلف تحت راعِدة.

وقال أحدهم:

أتـجـمـع بـخـلاً فـاحِـشـاً وتـكـبّـراً ... ومـا جـرّ ذمـاً كـالـتـكـبّـر والـبُـخْـل

فَلَوْ كان عفى البخلَ منك تواضعٌ ... أو الكبْرَ جودٌ كنت منْ ذاك في وَعْلَ[2]

وقد تقدّم بعض ذلك في الكبر.

● **مَنْ عادَتُهُ البُخلُ**

قيل لثمامة: أي الناس أبخل؟ **فقال**: لم أر الديكة في بلد إلا وتأخذ بمناقيرها ما تلتقطه فتلقيه قدّام الدجاج إلا ديكة مرو، فإنها تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحبوب، فعلمت أن البخل في طباعهم.

وقال بعضهم: من لم يأتِ الخير صغيراً لم يأته كبيراً، أما سمعت قول الشاعر:

إذا الـمـرء أعـيَـتْـه الـمـروءةُ نـاشـئـاً ... فـمـطـلـبُـهـا كـهـلاً عـلـيْـه شـديـدُ

وقال ابن العميد:

البخْلُ مُسْتَحْسَنٌ في شيمَةِ الخَوْزِ[3]

● **ذَمُّ من لا يُعطي إلاّ على الخَسَف**

قال أبو نعامة: جلّ الناس لا ترشح أناملهم إلا بعسف وعنف. هذا محمد بن علي بن عصمة صرت إليه أطواراً أقتضيه، فكان يعد ويماطل، فأتيته يوماً فقلت: أتسمع بيتاً حضر، **قال**: هات، **فقلت**:

محمد بن علي بن عصمة بن عاصم

---

(١) من غير وبل: من غير مطر ـ الرواء: الحبل تشد به الأمتعة على ظهر الجمل.

(٢) في وعل: في حصن. (٣) الخوز: المعاداة.

فقال: هذه نسبتنا، **فقلت**:

جليلٌ فضلٌ كريمٌ ... منْ أهل بيتٍ كرامِ

فقال أحسنت، **فقلت**: أتسمع بيتاً أم تنجز الوعد؟ **فقال**: غداً، **فقلت**: فاسمع.

لكنّه مستهامٌ بأخذ أير الغلامِ

فقال: آه آه ويلك يا غلام أعطه وأرحنا منه. **قال بعضهم**:

العبْدُ لا يَطْلبُ العَلاء ولا ... يعْطيك شيئاً إلا إذا رَهِبا

مثْلُ الحمارِ الموقع الظهْرِ لا ... يُحْسِنُ مشياً إلا إذا ضُرِبا

وقال آخر:

رأيتُكَ مثْلَ الجوزِ يمنَعُ خَيرَه ... صَحيحاً ويُعْطي نفْعَه حينَ يُكْسَرُ

وقال شاعر:

صاحِبٌ لي لَيْسَ فيهِ ... خصلةٌ أشكرُها لَهْ

سمجاً شخصاً ومخبو ... راً وتفصيلاً وجُمْلَهْ

ومريداً من جفاه ... ومهيناً من أذلّهْ

فهو كالدينا ... رِ لا يُكْرِمُ إلاَّ مَنْ أذلّه

• بَخيلٌ أَعطى عَطِيّةً لِطَمَع

قيل لأعرابي: أعطاك فلان، **فقال**: نعم أعطاني طلب الثواب وصانع المعروف لعاجل الجزاء، كملقي الحب للطير ليصيده به لا لينفعه. ومن هنا أخذ **المتنبي تعريضاً بكافور**.

ومنْ قدْ ظنّ نثْرَ الحبّ جُوداً ... وينصبُ تحتَ ما نثَرَ الشّباكَا

• المُصْطنِع إلى الأراذِلِ دُونَ الأفاضِل

قال ابن الرومي:

تنبّه للأنذالِ يرفَع أمرَهم ... وأصبَح عن أهلِ المروءة ساهِيا

وقال آخر:

صنائعُه لدى الأنذا ... لِ تُنْبِي أنه سَفَله

وقال آخر:

وابنُ اللئيمَةِ للئام وَهوبُ

• بَخيلٌ مُتَشبِّهٌ بالأسخياء

كان لبعض الموسرين أخ لا يواسيه، **فقيل له**: لو واسيت أخاك كان أشبه بك من هذا البخل الذي استشعرته، **فقال**: والله ما أنا ببخيل. لو ملكت ألف ألف لوهبت له الساعة خمسمائة درهم، ثم التفت إلى القوم، **فقال**: يا قوم رجل يهب لأخيه في مجلس واحد

خمسمائة درهم يقال له بخيل. قالوا: والله أنت أجود من يمشي على قدم. قال جحظة:

ومـمـخـرقٍ يـصـفُ الـسـمـا ... حَ ونـفـسُـه نـفْـسٌ بـخـيـلَـه[1]

وقيل للماجشون كيف رأيت أهل العراق؟ فقال:

مـا شـئـتَ مـن رجُـل بـخـيـلِ ... يـأوي إلـى عـرضٍ دخـيـلِ
يـأتـي الـجَـمـيـلَ بـقـولـه ... وفـعـالُـه غـيْـرُ الـجَـمـيـلِ

● **المُتعجِّبُ مِنْ بَخيلٍ سَمح وقتاً بطفيف**

تـعـجّـبْـتُ لـمـا ابـتَـدا بـالجَـمـيـل ... ومـا كـانَ يـعـرفُ فـعْـلَ الـجـمـيـل
فـأطـلـعَ لـي كـوْكـبـاً كـالـسّـهـى ... قـلـيـلَ الـضـيـاءِ سـريـعَ الأفـولِ
ومـــا كـــانَ إعـــطـــاؤه ســـودَدا ... ولـكـنّـهـا غَـلْـطَـةٌ مـن بَـخـيـلِ

قال الخليل بن أحمد في سليمان، وقد ذكر له إنسان أنه جاءه فأعطاه شيئاً:

وخصلة يكثر الشيطان إن ذكرت ... منها التعجَبُ جاءتْ من سليمانا
لا تـعـجـبنّ لـخـيرٍ جاء مـن يـدهِ ... فكوكبُ النحسِ يسقي الأرضَ أحياناً[2]

وقال أبو تمام:

ربّـمـا أمـكـنَـت جـنَـاهـا الـسـحـوقُ[3]

وقال الموسوي:

ومـبـخـلٌ أعـطـى الـقـلـيـلَ وربّـمـا ... سـمـحَـت حـروفُ الـتـاء لـلـمـتـمـتـامِ

● **مَنْ أعْطى للتهوُّر**

قال شاعر:

لا تمدحنّ حسناً في الجودِ إن مطرَت ... كـفـاه يـومـاً ولا تـذمُـمْـه إن رزَمـا[4]
فـلـيْـس يـبـخـل إبـقـاءً عـلـى نـشـبٍ ... ولـن يـجـودُ بـفـضـل الـمـال مـعـتـزمَـا
لـكـنّـهـا خَـطَـراتٌ مِـنْ وسَـاوِسـهِ ... يـعْـطـي ويـمـنـعُ لا بُـخْـلاً ولا كـرَمَـا

● **رَدُّ عَطيَّةٍ خَسِيسة**

قصد أعرابي أبا الغمر، فسأله فأعطاه درهمين، فردهما إليه، ثم قال:

رددتُ لـبَـخْـرٍ درهـمَـيْـه ولـم يـكُـنْ ... لـيـدفَـعَ عن فـاقـتـي درهـمـا عـمْـرِو
فـقـلـتُ لـبـحـرٍ خـذْهـمـا واضـطَـرِفْـهُـمـا ... وأنـفـقْـهـمـا فـي غـيـر حـمـدٍ ولا أجـرِ

---

(١) الممزق: المختلف والكاذب.
(٢) كوكب النحس: زحل أو المريخ ـ وهام ناحس: مجدب.
(٣) السحوق: جمع سحق، وهو السحاب الرقيق. (٤) الرزم: المطر لا ينقطع رعده.

أتـمـنـعُ سـؤالَ الـعـشـيـرةِ بـعـدَمـا ... تسمّيْتَ بخراً واكتنيْتَ أبا الغَمْرِ؟

وكان ربيعة مدح العباس بن محمد بقوله:

لـو قـيـلَ لـلـعـبّـاس يـا ابـنَ مـحـمّـدٍ ... قُـلْ لا وأنـتَ مـخـلّـدٌ مـا قـالَـهـا

فأعطاه بعد مطل كثير دينارين فوهب ربيعة ذلك لصاحب دواته، وقال: خذ هذه الرقعة وأوصلها، وكتب فيها:

مـدحْـتُـك مـدحـةَ الـسـيْفِ الـمـحـلّـى ... لـتـجـريَ فـي الـكـلام كـمَـا جـريْـتْ

فـهـبْـهـا مـدحـةً ذهـبَـت ضَـيـاعـاً ... كـذبْـتُ عـلـيْـكَ فـيـهَـا وافـتـريْـتْ

● وَصْفُ غَنيٍ لا يُعطي ولا يَنفِق

قيل: فلان سمين المال مهزول النوال. وقيل: بطر الدعة بخيل السعة. وقيل لجعفر بن محمد إن منصوراً لا يلبس منذ صارت الخلافة إليه إلا الخشن ولا يأكل إلا الخشن، فقال: ويحه مع ما يكون له من السلطان وجبي له من الأموال، قالوا: إنما يفعل ذلك بخلاً، فرفع يده إلى السماء، فقال: الحمد لله الذي حرمه من دنياه ما ترك من أجله دينه. وقيل: إنه كان أعد اثني عشر ألف عدل من الثياب، فأخرج يوماً ثوب خز، وقال: يا ربيع إقطع منه جبة لي وقلنسوة، وبخل أن يأتي بثوب آخر، فلما أفضت الخلافة إلى المهدي أنهبها الغلمان.

قال البسامي:

لـقـد أُوتـيـت مـن مـلْـكٍ عـظـيـمٍ ... فـمـا آتـيْـت إنْـسـانـاً فـقـيـراً

وقال آخر:

ولـو يـكـونُ عـلـى الـخـزّانِ يـمـلـكُـه ... لـم يـسـقِ ذا غـلّـةٍ مـن مـائِـه الـجـاري

وقال آخر:

ألا لـيْـتَ شـعـري آل خـاقـان هـل لـكُـم ... إذا مـا سـلـبـتـم نـعـمـةَ الله ذاكِـرُ

فـأمـا وأنـتُـم لابـسـون ثـيـابَـهـا ... فـمَـا لـكـم والـحـمْـدُ لـلّـهِ شـاكِـرُ

● المُزدادُ بالثّراء بُخلاً

أحسن ابن الرومي في قوله:

إذا غـمـرَ الـمـاءُ الـبـخـيـلَ وجـدتَـه ... يـزيـد بـه يـبْـسـاً وإن ظـنّ يـرطُـبُ

ولـيْـس عـجـيـبـاً ذاكَ مـنْـه فـإنـه ... إذا غـمـرَ الـمـاءُ الـحـجـارَة تـصْـلُـبُ

وكـان ذلـك ممّا روي في الخبر: أن الله إذا سأله عبد شيئاً يقول خذه وضعفيه حرصاً.

قال ابن الحجّاج:

أنـــاسٌ كـــلّـــمـــا ازدادوا عـــلاءً ... تـنـاهَـوا فـي نـفـوسِـهـم اسـتِـفـالا

● **مَن لا يَفرجُ عمَّا يَقعُ في أنامِلِه**

فلان لا تندى أنامله ولا تُرجى فواضله، ألين من كفيه الحجر، هو نزر العرف جامد الكف:

كـأنـمـا خـلـقَـتْ كـفّـاه مـن حَـجَـرٍ　　　فـلـيـس بـيْـنَ يَـدَيْـه والـنّـدى عَـمَـلُ

وقال آخر:

وهـل لـلـصّـفـا الـعـادي مـاءٌ إذا عُـصِـر[1]

هو نكد الحظيرة أي مانع لما في يديه. **قال شاعر:**

لـو عـبَـرَ الـبَـحْـرَ بـأمـواجِـه　　　فـي لـيـلَـة مـظـلـمَـة بـاردَه

وكـفّـه مـمـلـوءَةٌ خـرْدلاً　　　مـا سـقَـطَـتْ مِـنْ كـفّـهِ واحِـدَه

وقال البحتري:

جدّةٌ يـذودُ الـبـخْـلَ عـنْ أطـرافِـهـا　　　كـالبَـحْـرِ يـدفـع مِـلْـحَـهُ عـن مـائِـه[2]

وقال الفرزدق:

فـتىً مـالُـه كـالـبـحـر يـمـنَـع صـاديـاً　　　مـنَ الـريّ مـنـه وكـدره أُجَـاجـه[3]

وقال الزبرقان:

طـوى كـلّ مـعـروفٍ وأحـضـر دونَـه　　　عـقـاربَ أخـشَـى لـسْـعَـهـا وأفـاعِـيـا

● **الرّاجِعُ في هِبَتِهِ والقاطِعُ لِصلتِهِ**

قال النبي ﷺ: الراجع في هبته كالعائد في قيئه، وهذا مما يستدل به على تحريم الرجوع في الهبة بأنه حرام. كما أن أكل المتقيء حرام.

قال ابن الرومي:

لا تـكُـنْ كـالـدّهْـرِ فـي أفـعـالـه　　　كـلّـمـا أعـطَـى عَـطـايـاه رجَـع

وقال البحتري:

أعـطـى الـقـلـيـل وذاك مـبـلـغُ قـدره　　　ثـم اسـتـردّ وذاك مـبـلَـغُ رأيِـهِ

وأجرى بعض الكبار على أعرابي شيئاً قطعه عنه، **فقال فيه:**

إن الـذي شـقّ فـمـي ضـامِـنٌ　　　لـي الـرزْق حَـتّـى يـتـوفّـانـي

حـرمـتَـنـي نـفْـعـاً قـلـيـلاً فـمَـا　　　زادَك فـي نـفـعِـك حِـرْمـانـي

وقال ابن هرمة:

كـمـكـنـةٍ مـن درّهـا كـفّ حـالـبٍ　　　ودافـقـةٍ مـن بـعـد ذلـك مـا حَـلَـبْ

---

(١) **الصّفا**: جمع صفاة، وهي الصخرة العريضة الملساء.

(٢) **جدّة**　السّعَة، والجدّة أيضاً شاطىء النهر.

(٣) **الصادي**: الشديد العطش ـ **الأجاج**: الشديد الملوحة.

● **السّالبُ مُستعطيه**

قيل في المثل: طلب القرن فجدعت أنفه، **وقال بشّار**:

فصِرْت كالهبتي غدا يبتغي		قَرْناً فلم يرجِع بأذنين[1]

وقيل:

سقطَ العشاء به على سَرْحان[2]

وقال آخر:

كمبتغي الصّيدِ في عريسَة الأسَد[3]

● **الصّائنُ مالَهُ بعِرْضِهِ والممنوعُ مِنْ سؤالِه**.

قيل: أبخلُ الناس بماله أجودُهم بعرضه. من صان نفسه أهان فِلسه.

وقيل: كان جحا إذا جلس كشف إسته ورفَع عنه ثوبه، **فقيل له في ذلك، فقال**: جلدة الإست أبقى من الثوب. **وهذا نحو المثل**: إبقِ نعليك وابذل قدميك.

قال أبو تمّام:

أضحوا بمستن سبلِ الذمّ فارتفعَت		أموالُهم في هضاب المطْل والعِلَلِ[4]

وقال ابن الرومي:

لا تطالبْه بالثّواب فما رز		ءُ ثوابٍ من مثله بحلالِ

● **المُقتّر على نَفسِهِ والتارِكُ لِشَهْوَتِهِ**

قال شاعر:

ولو يستطيع لتقتيره		تنفَّسَ مِنْ منخَرٍ واحِدِ

وقال آخر:

يحبّ المديحَ أبو خالدٍ		ويفزَعُ من صلَةِ المادِحِ

كبكرٍ تودّ لذيذَ النّكاحِ		وتخشَعُ من صولة النّاكحِ

● **الضّنينُ بِمالِ غَيْرِهِ والسّمِحُ بِه**

قيل فلان يمنع درّه ودرّ غيره. الحرّ يعطي والنذل يألم قلبه. وقيل البخيل يمنع ماله ويغضب على الجواد إذا رأى ابتذاله. **قال أبو تمّام**:

وإن امرأ ضنّتْ يدَاه على امرىءٍ		بنيلِ يدٍ من غيرِه، لَبَخيلُ

وقال آخر:

سبْط البَنان بما في رحْل صاحبه		جعْدُ البنَان بمَا في رحْله قطط

---

(١) **الهبتي**: الجبان وفاقد العقل.

(٢) **السرحان**: الذئب أو الأسد.

(٣) **العريسة**: مأوى الأسد.

(٤) **العِلل**: من علّل، **وعلّل الماء**: أحسن العناية به.

● **المَوْصوفُ بالسّكوتِ عِند السُّؤال**

قال بعضهم: فلان مرتز نكد كز[١] **وقال بعضهم:**

كـأنّـهـم عـنـد الـسـؤال جَـلامِـدُ[٢]

وقال آخر:

إن الـلـئـيـمَ إذا سـألـت بـهَـرْتَـهُ عـنـد السّؤال وقـلَّ مـنـه الـمـنـطِقُ

وأتى بعض الشعراء رجلاً فسأله فما زاده على التنحنح والتحوقل، **فقال:**

فـلا حـوْلَ إلا بـالإلـه وقـوّة إذا قلتَها دلّتْ على طرُق البخْلِ

وإنّـي لأرجـو ان أفـوزَ بـأجْـرِهـا كمَا قلتَها بعْد التنحنُحِ منْ أجْلي

● **الحَزينُ الهارِبُ مَخافَةَ أن يُسأل**

قال بعضهم:

مـخـافـةَ أن يُـرجـى نـداه حـزيـنُ

وقال جحظة:

إذا ذكـرَ الـنّـاسُ الـتـطـولَ أرعـدَت فـرائـصُـه خوْفاً لـذكـر الـتـطـوّلِ[٣]

وقال بشّار:

إذا سـلّـمَ الـمـسـكـيـنُ طـارَ فـؤادُه مـخـافـةَ سـؤالٍ واعـتـرَاه جُـنـونُ

وقيل: فلان يبغض نعمة الله عليه مخافة أن يستماح.

● **المُتَلَقِّي عافيَةً بِقُطُوب وَجْهِهِ**

ذم أعرابي رجلاً، **فقال:** رآني فخالني في نداه راغباً ولجدواه طالباً، **فقرب من حاجب حاجباً.**

كـأنّـمـا وجـهُـه بـالـخَـلّ مـنـضـوحُ

وقيل لامرأة: كيف وجدت فلاناً لما اعتفيته، **فقالت:**

تـلـقّـانـي بـوَجْـهٍ مـكْـفَـهِـرّ كـأنـمـا عـلـيْـه أرزاقُ الـعِـبـادِ

وقال آخر:

وعـنـونَ لـي إطـراقُـه عـنْ قُـطـوبِـه[٤]

وقال آخر:

طـعْـمُ الـنّـدى عـنْـدهُـم حـامِـضُ

وقال شاعر:

كـالـخُ الـوجْـه كـان مصّ حـمـاضاً وسـمَـا تـغـبـيـسـه ذوق حـمـاضِ

---

(١) **مرتز وَكَزّ:** بخيل وقليل الخير. (٢) **جلامد:** صخور.

(٣) **التطوّل:** التفضّل عليه. (٤) **أطراقه:** سكوته ـ **القطوب:** التقطيب وعبوس الوجه.

وأصل ذلك من قول الأعشى:

يزيدُ يغُضُّ الطرْفَ دوني كأنما زوَى بيْن عينيْه عليّ المحاجِمُ(١)

● **المُتلَقي عافِيهِ بِبشاشةٍ مِنْ غَيرِ جَدْوى:**

قيل لرجل: ما رأيت من فلان، **فقال:** برقاً بلا مطر وورقاً بلا ثمر وجه كريم وفعل لئيم.

وقال أبو العيناء لعبيد الله بن سليمان: أيّد الله الوزير لي ملك قرب الولي وحرمان العدو.

وقال ابن الرومي في معاتبة بعض الرؤساء:

لولا الثمارُ التي ترْجى منافعُها ما فضّل الناسُ تفّاحاً على غَرَبِ(٢)

ولجحظة:

وباُحسَنتَ لا يُباعُ الدقيقُ

وقال أبو العتاهية:

إن السلامَ وإن الردّ من رجُلٍ في مثْلِ ما أنْتَ فيه ليْسَ يكْفيني

● **المُعتذرُ إلى سائِلِهِ بِبشاشَةٍ مِن غَيرِ جَدوى**

سأل أبو العيناء رجلاً شيئاً فاعتذر إليه وحلف أنه صادق في اعتذاره، **فقال:** من كان الصدق حرمان صديقه ماذا يكون كذبه؟

وسأل رجل آخر فاعتذر بأحسن اعتذار، **فقال:** يعبر عن اللئيم لسانه وعن الكريم فعاله. واعتذر آخر، فقال السائل: إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً وإن كنت معتذراً فجعلك الله معذوراً. وهذا مأخوذ من **قول الآخر:** لا جعل الله حظ السائل منك عذرة صادقة. **قال الجريمي:**

لا ينْهَضون إلى مجْدٍ ولا كرَمٍ ولا يجُودون إلا بالمَعاذيرِ

● **المُخلِفُ إذا سَألَ الحارِمُ إذا سُئِلَ**

قال أعرابي: فلان إذا سأل ألحف، وإذا سئل سوّف، وإذا حدث حلف، وإذا وعد أخلف، ينظر نظر الحقود ويعتذر اعتذار الحسود. **وقيل:** إذا سئل أقنط وإذا سأل أفرط. **وقال آخر:** لم أر أحصر يداً منه بالنوال ولا أطول لساناً منه بالسؤال(٣)، إن سئل فجُحد وإن سأل فحرب. إن سئل أرز(٤) وإن سأل انتهز. هو بالإنجاح إذا سأل واثق، وبالرد إذا سئل حاذق.

---

(١) **المحاجم:** من حجم الطرف عنه أي صرف وجهه عنه.

(٢) **الغَرَب:** الشجر الضعيف.

(٣) **يلحّ قائلاً:** إنه يبخل يفيق بالعطاء إذا سئل، ويلحف بالسؤال إذا استجدى.

(٤) **أرز:** تقبض.

وقال شاعر:

وأخٍ إن جاءني في حاجةٍ … كانَ بالإنجاحِ منّي واثقا
وإذا ما جئتُه في مثلِه … كانَ بالردِّ بصيراً حاذِقا
يعمِلُ الفكرةَ في ردّي بها … قبلَ أن أفرغَ منها ناطِقا

● ومِمَّنْ تَلطَّفَ لِرَدِّ سائِلٍ.

كان لسعيد بن خالد قصر بإزاء قصر عبد الملك، فقال له عبد الملك: إن لي إليك حاجة فقال مقضية، قال: إجعل لي قصرك. قال: هو لك، فقال عبد الملك: فلك خمس حاجات مقضية، فقال سعيد: أولها أن ترد عليَّ قصري، قال: فعلت فما بعد ذلك، قال: أنت في حل من الأربع.

وقال رجل لآخر: إن لي إليك حاجة، قال: بشرط، أن تقضي قبلها لي حاجة، فقال لك ذلك، قال: حاجتي أن لا تسألني حاجة، قال: قد فعلت.

● مَنْ رَدَّ سائِلَهُ بِشَتْمٍ أو سَفاهَة

سأل أعرابي شيخاً من بني أمية وحوله مشايخ، فقال: أصابتنا سنة ولي بضعة عشر بنتاً، فقال الشيخ: وددت أن الله ضرب بينكم وبين السماء صفائح حديد، فلا تقطر عليك قطرة، واضعف بناتك أضعافاً وجعلك بينهن مقطوع اليد والرجل، ما لهن كاسب سواك، ثم صفر بكلب له فشدَّ عليه وقطع ثيابه، فقال السائل: ما أدري ما أقول لك إنك لقبيح المنظر سخيف المخبر فأعضك الله ببظور أمهات من حولك.

ودخل رجل إلى محمد بن عبد الملك، فقال: لي بك سببان، الجوار وسوء الحال، وذلك داع إلى الرحمة، فقال: أما الجوار فبين الحيطان والرحمة من أخلاق الصبيان، اخرج عني. فما مضى عليه أسبوع حتى نُكب.

● ذَمُّ مَنْ يَنسِبُ بُخْلَ نَفْسِهِ إلى القَدَرْ

خطب معاوية ذات يوم فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾(١) فلِمَ نلام نحن؟ فقام إليه الأحنف، فقال: إنا والله ما نلومك على ما في خزائن الله تعالى، ولكن نلومك على ما أنزل الله علينا من خزائنه فأغلقت بابك دونه، فسكت معاوية.

وقال بعض الشعراء:

إذا أعطاكَ قصَّر حينَ يعطي … وإن لم يعطِ قال أبى القضاءُ
يبخل ربّه سفهاً وجهلاً … ويعذرُ نفسَه فيما يشاءُ

---

(١) القرآن الكريم: الحجر/ ٢١.

● **المُحسِنُ لِلبُخلِ المُحتَجُّ له**

قيل لخالد بن صفوان: مالك لا تنفق ومالُك عريض؟ **قال**: الدهر أعرض منه. **قيل له**: كأنك تؤمل أن تعيش أبداً؟ **قال**: لا، ولا أخاف أن أموت في أوله.

قال الجاحظ: قلت لبعض الأغنياء البخلاء أرضيت أن يقال لك إنك بخيل؟ **قال**: لا أعدمني الله هذا الاسم، لأنه لا يقال بخيل إلا لذي مال، أعطني المال وادعني بما شئت من الأسماء.

من وهب ماله في عمله فهو أحمق ومن وهبه في عزله فهو مجنون. **وقيل لأبي الأسود**: أنت ظرف علم ووعاء حلم غير أنك بخيل، **فقال**: وما خير ظرف لا يُمسك ما فيه. **وقيل**: من لم يمنع لم يكن له ما يعطي. **قال**: وللبخل خيرٌ من سؤال بخيل.

وقيل: الشحيح أعذر من الظالم. وقال المنصور: الناس يزعمون أني بخيل وما أنا ببخيل، ولكني رأيت الناس عبيد المال فحظرت ذلك عليهم ليكونوا عبيدي.

وعمل سهل بن هارون كتاباً في مدح البخل وأهداه إلى الحسن بن سهل، وطلب منه ثواباً، فوقع على ظهره: قد جعلنا ثوابك ما حسنته وأمرت به.

قال الموسوي في عذر فاضل بخيل:

لا غرو إن كنتَ حراً لا تفيضُ ندى ... فالبحرُ غمْرٌ ولكنْ ليسَ بالجاري

● **ذَمُّ ممتنّ بالإعْطاء**

قيل: المنّة تهدم الصنيعة. **وقيل لأعرابي**: فلان يزعم أنه كساك، **فقال**: المعروف إذا منّ به كدر، ومن ضاق قلبه اتسع لسانه. وقيل لآخر في المعروف إذا أحصى، **قال**:

إنّ الذين يسوغُ في أعناقِهم ... طعم يمن عليهم لَلِئامُ

وقال آخر:

أفسدْتَ بالمنّ ما قدّمْتَ من حسنٍ ... ليس الجوادُ إذا أسدى بمنّانِ

وقيل لرجل: هل لك في ندى فلان؟ **فقال**: لا خير في ثمرة مقترنة بزنبور.

ومنْ ذا الذي يلتذّ شهْداً بعلقَمٍ ... أبَتْ لهَواتي ذاكَ والشفتانِ[1]

وقيل: شوى أخوك حتى إذا أنضجَ رمد، وقول الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾[2]، قال فتقديره يقولون إنما نطعمكم، قال مجاهد لم يكن ذلك منهم مقالاً وإنما أخبر عما كان لهم اعتقاداً.

---

(١) **اللهوات**: جمع اللهاة وهي اللحمة المشرفة على اللحق، من أعلى الفم.

(٢) **القرآن الكريم**: الذهر/٨.

دعا المنصور طبيباً للخيزران، وكانت قد اشتكت عينها، **فقال**: إن هذه في عينها شوكة سنبل فانتزع من عينها، فإذا هو شيء طار من السنبل ولصق بعينها وتراكبت الأكحال التي تعالج بها فزال الألم في الوقت، فأعطاه عشرة آلاف درهم، فلما دفعها إليه ندم. فأوصاه **فقال**: إحفظها فإنها مال له خطر، **فقال**: نعم، وفارقه فاسترده، **وقال**: إياك أن تنفق منها شيئاً حتى تتفق ضيعة تشتريها بها، **فقال**: نعم وفارقه، ثم استرده فأوصاه **فقال**: إن رأيت يا أمير المؤمنين فاختمها بختمك حتى ألقاك بها يوم القيامة على الصراط بختمك، فضحك وخلاه.

● **النَّهيُ عن الامتِنان**

قال النبي ﷺ: إياكم والامتنان بالمعروف، فإن ذلك يبطل الشكر ويمحق الأجر، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾. **وقيل**: تمام البذل ترك المنّ، **وقال بعضهم**: لا تمنّ بالمعروف فالمعروف إذا ذكر كدر، وإذا أنسي أمر. تعداد المنة من ضعف المنة. **وقيل**: المنة تهدم الصنيعة وتسترد النعمة فنزه منتك عن الامتنان، وسأل رجل آخر حاجة فجعل يؤنبه، **فقال**: أترى أن تقيم ترك التأنيب مقام قضاء الحاجة.

● **أنواعٌ مِنه**

قال المتنبي:

ومـا كـلّ بـمـعـذورٍ بـبُـخْـلٍ ... ولا كـلّ عـلـى بـخـلٍ يُـلامُ

وقال نُصيب الصغير:

متَى يجتمع يوماً حريصٌ ومانِعٌ ... فـليـس إلى حَـمْـدٍ هـنـاك سبـيـلُ

وقال آخر:

ولو عليْكَ اتكالي في الطّعام إذاً ... لـكـنْـتُ أول مـدفـونٍ مـنَ الـجُـوعِ

أحقر الناس البخيل لكي يستغنوا عن ماله. وسأل ابن عباس إنساناً حاجة فرده، **فقال**: أبوك لم يرد حاجة أحد جوداً. كان قد أتاه قوم يستعبرون كلباً لينزوه على كلبتهم، **فقال**: لا ينزو عليها غيري إيجاباً لكم. **وقيل**: أتاك ريان بلبنه إذا أعطى ما يفضل منه.

قال أبو علي المحمودي:

أعـزّ عـلـيّ مـن أبـويّ عـنـدي ... ومـن نـفـسـي أعـزّ عـلـيّ فـلْـسـي
فلولا الفِلْسُ هنتُ على صَديقي ... ولـم تـكـرمْ عـلـى الأطـمـاعِ نـفْـسـي

وله:

ومتّ على الدّرهم المنقوشِ موتَ فتىً ... يـرَى الـمـمـاتَ عـلـيْـه أكـرمَ الـكـرَمِ
ولولا غِناكَ لكنْتَ الكلبَ عندَهم ... فـإن أبـيـتَ فـجـرّب واشـقَ بـالـنّـدَمِ

وقال آخر:

لا لومَ في القصْدِ على ذي حبا ... يكرِم ما يكرَم مِن أجلهِ[1]

وقال آخر:

لا أحسبنّك بعدَ الموتِ تنفعُني ... وفي حياتي ما زوّدتني زادي

ومن أمثالهم:

لأيّ يومٍ يخَبّيء المرءُ السعَة

وقال آخر:

إذا فاتَ في الدنيا الذي بِك أرتَجي ... فنفعُك عنّي في المَعادِ قليلُ

وقال محمد بن يزيد، كتبه إلى من استعان به في أمر فلم يجد عليه:

أترضى لي بأن أرضَى ... بتقصيركِ في أمري

لعلّ اللّهَ أن يصنَع ... لي مِنْ حيثُ لا تدري

فألقاكَ بلا شُكْرِ ... وتلقاني بلا أجْرِ

(1) ذو حبا: ذو عطايا.

في الأطعمة

(١)
فمِمَّا جَاءَ في أوْصافِ الأطْعِمة

●

● الخُبزُ

قيل: الخبز يسمّى جابراً وعاصم بن حبة، كما **قيل**: التمر بنت نخيلة. **وقال أعرابي** عير بعمل تعاطاه.

فَـلا تَـلـومَـانـي ولُـومـا جـابـراً فـجـابـرٌ كـلّـفـنـي الـهَـواجِـر[١]

وقيل لأعرابي: الخبز أحب إليك أم التمر؟ **فقال**: التمر طيب، وما عن الخبز صبر. **وقيل لبعضهم**: ما طعم الخبز؟ **قال**: طعم أدامه، وقال النبي ﷺ: أكرموا الخبز، فإن الله تعالى سخّر له ما في السموات والأرض.

● السّويق

عاب عائب السويق عند الطفاوية، وكانت امرأة أدركت أصحاب النبي ﷺ **فقالت**: لا تفعل فإن السويق طعام المسافر والعجلان والحزين والسمنة والنفساء والمريض. **وقيل**: هو يرفو الضعيف ويشدّ فؤاد السقيم وفقاره ويجلو البلغم ومسمونه يصفّي الدم، إن شئت كان ثريداً وإن شئت كان خبيصاً.

● حَمْدُ اللّحم وَذَمُّه

قيل: أطيب اللحم عوده أي ما عاد منه بالعظم، **وقيل**: اللحم أقل الطعام نجواً[٢] **وقيل**: من لم يأكل اللحم أربعين يوماً نقص عقله. **وقيل**: من تركه أربعين يوماً ساء خلقه.

وقال بعض الأطباء: عجباً لمن أكْلُه الخبزُ واللحم وشربُه ماء الكرم[٣]، ثم اقتصد في تناولها كيف يموت. واستقبل عمر رجلاً ثلاثة أيام على الولاء وقد اشترى لحماً فعلاه بالدرة، **وقال**: إن الله تعالى يبغض قوماً لحميين، عاقب بين اللحم وغيره. **وقيل**: إياكم

---

(١) جابر: اسم للخبز ـ الهواجر: شدّة الحر. (٢) النجو: ما خرج من البطن من ريح أو غائط.
(٣) ماء الكرم: الخمر.

وهذه المجازر فإن لها ضراوة كضراوة الخمر. وقال المسيح: ألحِم[1] تأكل لحما، أف لهذا عملاً.

وسئل بعض الرهبان عن تركه أكل اللحم، فقال: إنا رأينا الغوائل تتولّد من أكل اللحم، ألا ترى أن أكلة اللحم من السباع هي أشد ضرراً من أكلة الحشيش.

● السكْباج والزّيرباج

يقال للسكباج: الخليّة والمخللة والشمقمقة والصفصاف لغة ثقيف، وسمّوه أم القرى. ولم يكن يطلق السكباج[2] أن يطبخ في أيام الفرس إلا بخاتم من الملك وسئل بعضهم عنه، **فقال**: إنه يشفي العرم ويفتق الشهوة ويقدم في الثرائد وتزيّن به الموائد، تجيدها الخاصة ولا تغلط فيها العامّة.

قال الحجاج لطباخه: اتخذ لنا صفصفاة[3] وأكثر فيجنها[4]، فلم يدر الطباخ ما عناه، فسأل ابن القرية، **فقال**: اتخذ سكباجة وأكثر سدابها.

وقال المنصور يوماً لحظيّة له: إلى كم نأكل السكباج، يعرّض بها، **فقالت**: يا أمير المؤمنين هو مخ الأطعمة لا يملّ حارّها ولا يكره باردها، فاستحيا منها.

قال عبد الملك بن محمد بن إسماعيل:

وسكباجَةٍ تشْفي السقامَ بطِيبها ... على أنها جاءَتْ بلوْن سَقيمِ
إذا زارَها أيدي الرجال تزاحمَتْ ... كأيدِي نساءٍ في ظِلال نَعيمِ

وقال بعضهم:

فتنتْنا بريحِها السكبَاجَة ... فتركْنا من أجلها ألفَ حاجَة

وأكل أعرابي القريش، فقيل له: ما أكلت قال: الفالوذج[5] إلا أنكم هضمتموه بعد.

وقال بعضهم:

قدم طاهيك زيرباجه ... وهي على الدّهر خيرُ باجَه
صبيغةُ الزعفرانِ تحْوي ... أطايبَ الفرْخ والدجَاجَه

وقدم إلى طفيلي سكباجة بلا زعفران، **فقال**: ما لها خرجت متفضلة بلا لباس.

● الثّريد

قيل لأعرابي: أي الطعام أطيب؟ **فقال**: ثريدة دكناء من الفلفل رقطاء من الحمص

---

(١) **لحم لحامَة**: كان شديد الشهوة في اللحم، **وألحمَ الرجل**: كثر اللحم في بيته.

(٢) **السكباج**: مرق يعمل من اللحم والخل. (٣) **الصفصفاة**: السكباجة.

(٤) **الفيجن**: السداب أو السّذاب وهو ضرب من البقل.

(٥) **الفالوذج**: حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل وهي فارسية.

ذات حفافين من الصبغ، لها جناحان من العراق أضرب فيها ضرب الولي السوء في مال اليتيم.

قال حسّان:

ثريدٌ كأنّ السمْن في جنباتِه ... نجومُ الثريّا أو عيونُ الضياوِن[١]

قال الأصمعي: قلت لأعرابي هل لك في ثريدة؟ قال نعم:

ثريدةٌ محمومَه ... في صحفة مكمومَه

قد ألحفَت رِقاقا ... وكللَت عُراقا[٢]

● **المَرَق**

قيل: المرق أحد اللحمين، **وقال النبي ﷺ:** إذا طبخ أحدكم اللحم فليستكثر من المرق، فمن عدم اللحم أكل المرق، فهو أحد اللحمين، **قال:**

وأكثر الشرْبَ إنْ لم يكثِر اللبن

وأهدى صالح بن عميرة إلى سعيد بن سلم جوذابة، **فكتب إليه:**

بعثتَ إليّ بجوذابة ... فأينَ التي جاءَ جوذابُها[٣]

فقال لابن أخيه أجبه، فكتب إليه:

بعثنا إليك بجوذابة ... وحازَ الأوزّة أصحابُها

● **الشّواء**

قال ابن الرومي:

وسميطةٍ صفراء دينارية ... ثمناً ولوناً زفّها لكَ حَزورُ[٤]

ظلْنا نقشِرُ جلدَها عن لحْمِها ... فكأنّ تبراً عن لُجينٍ يُقشَرُ[٥]

ويقاربه في صفته:

شديدُ اصفرارِ الكشيتين كأنما ... يُطلى بورسٍ بطنُه وشواكلُه[٦]

وقال ابن طباطبا:

لا أنسَ لمْ أنسَ قبلَ الحشرِ مائدةً ... ظلنا لديك بها في أشغَلِ الشغُلِ

إذْ أقبل الجَديُ مكشوفاً ترائبُه ... كأنّه متمطّ دائِمُ الكَسَلِ

قد مدّ كلتَي يديْه لي فأذكرَني ... بيتاً تمثلتُه من أحسنِ المَثَلِ

---

(١) **عيون الضياون:** عيون الهررة. (٢) **عراقا:** العُراق العظم أكل لحمه.

(٣) **الجوذاب:** طعام يصنع بسكّر وأرز ولحم. (٤) **الحَزور والحزوّر:** الغلام إذا اشتدّ وقوي.

(٥) شبّه إهاب الدجاجة بالتّبر لاصفراره ولحمها باللجين لابيضاضه.

(٦) **الورس:** نبات كالسمسم، يصبغ به ـ **شواكله:** جمع شاكله وهي الخاصرة.

كأنه عاشِقٌ قد مدّ بسطتَه يومَ الفراقِ إلى توديع مرتحِلِ

وقدّم إلى بعضهم جديٌ خشب لم ينضج، **فقال**: كأنه شريحة من قَصب. **قال ابن طباطبا يذمّه**:

قد أتينا بهِ عواري ضلوع هيَ في الوصْفِ والمدارِ سَواءُ
حارَ فهمي فلسْتُ أدري أَمِذراً ةٌ بدَت أم شريحَةٌ أم شِواءُ

وقدّم لأبي علي القسري مرّة شواء غير نضيج، **فقال**: هذا لا تعمل فيه العوامل.

وقال بعض القدماء في سفود عليه لحم:

وذي شعب شتّى كسوْتُ فروجَه بغاشيةٍ يوماً مقطّعة حمْرا

وينشد في غير النضيج عبدة بن الطيب:

لما نزلْنا رفعْنا ظِلّ أخبيَةٍ وفازَ للحم بالقوْمِ المراجيلُ
ورداً وأشقر لم ينهبْه طالبُه ما غيَر القلي منْه فهو مأكولُ

● القَديد

حُمل إلى أعرابي لحمٌ مقدّد صلب، **فقال**: ما هذا لحم مقدّد بل حبل ممدّد.

● البيض والعِجّة

قال ابن أبي البغل:

وصُفّ على الكانون بيْضٌ كأنّه فرائدُ درٍّ سُلّ من صدَف البحْرِ
كمَا اصطفّ أرجَاء الندى وصائف على دسْتبيد قد تملّى من الخَمْرِ[1]

أكل بعضهم بيضاً مع سلطان يأكل الصفرة ويؤثره بالبياض، **فقال الرجل**: سقى الله العجّة ما أعد لها. وكتب منصور الفقيه إلى جار له يستدعي منه بيضاً لابنه:

لأبي الفضل إذا هـ ـمّ بمَا يهْوى لجاجَه
فله عندك مطلو بٌ ومأمولٌ وحاجَه
درّة ليسْت من البحـ ـرِ ولكِن منْ دجاجَه

● البرزماورد

قيل: البرزماورد نرجس الموائد، وقد أحدثته الفرس في بعض الحروب واستخفّوا حمله في المعازل، وسموه رزماورد. هو طعام أفاده الحرب، ثم قيل بزم أورد. **وقيل**: سمي زماورد وسمي المهيأ والميسر، **قال الشاعر**:

كلّ الميَسّرِ من راسين يا سكني لا يسْتطاعُ ولا سيفان في غِمْدِ

---

(١) دستبيد: معربة عن الفارسية.

● **البَقل**

قال أبو نواس: مائدة بلا بقل كشيخ بلا عقل، ومجلس بلا ريحان كشجرة بلا أغصان.

● **الخَلّ**

قال النبي ﷺ: نعم الإدام الخلّ، وقال: ما أقفر بيت فيه خلّ.

● **الأرز**

كان الحسن بن سويد يأكل مع المأمون، فقدم الأرز، **فقال**: الأرز يزيد في العمر. فقال المأمون: كيف؟ **فقال**: ذكر أطباء الهند أن الأرز يرى المنامات الحسنة، ومن رأى مناماً حسناً كان في نهارين، فاستحسن المأمون منه ذلك. وجرى ذكر البهطّة[1] في مجلس إبراهيم التيمي القاضي، فقال رجل حضر لإقامة شهادة: ما هو؟ **فقيل**: الأرز باللبن، **فقال**: لا أشتهيه. فسكت ثم **قال**: وما أظن عاقلاً يشتهيه. فقال إبراهيم: أما الأولى فقد احتملناها وأما الثانية فلا محتمل عليها، فأخر شهادته.

وكان بعض شعراء الزمان عند عضد الدولة، فقدم البهطة، **فقال**: صفها فعجز عن ذلك، فقال عضد الدولة:

وبهطةٍ تعجزُ عن وصْفها ... يا مدّعي الأوصافِ بالزّورِ
كأنّها في الجامِ مجلوةٌ ... لآلىءُ في ماءِ كافورِ

وقال آخر:

ولسْت أحبّ الرزّ إنْ قلّ طبخُه ... فكيف أحبّ الرزّ وهوَ مسخنُ

● **الطباهجة**[2]

قال ابن الرومي:

طباهجةٌ كأعرافِ الديوكِ ... تروقُ العيْنَ من شرْطِ المُلوكِ
هلمّ إلى مساعدَتي عليْها ... فلستُ لمثْل ذلكَ بالترّوكِ

● **الهريسة**

روي عن النبي ﷺ أن نبياً من أنبياء الله تعالى شكا ضعفاً في بدنه ووجعاً في صلبه،

---

(١) **البهطة**: كلمة سنديّة وهي الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصّة بلا ماء والعرب تقول بهطّة طيبة، واللفظة فارسية معرّبة وفي هذا يقول الأزهري:

من أكلها الأرز بالبهط

(٢) **الطباهجة**: ضرب من قلي اللحم واللفظة فارسية معرّبة.

فأوحى الله تعالى إليه أن أطبخ اللحم بالبرّ وكُلْ، فإني قد جعلت القوة فيهما قال ابن الرومي:

هلُمّ إلى من عذبت طولَ ليلِها ... بأضيقِ حبْس في تنّور تعذّبُ

وقال آخر:

وقد ضربَتْ حذّين وهي بريئةٌ ... فقُوموا إلى دفْن الشهيدةِ تؤجروا

وقيل: الهريسة أوطأ فراش هُيء لنبيذ. **وللخوارزمي:**

هل تنْشطونَ لتنوريّة خنقَتْ ... من أولِ الليْلِ حتّى قلبُها يجفُ

كأنّها وهيَ فوقَ الجام قد غرقَتْ ... في دفنِها، قمرٌ بالشمْسِ ملتحِفُ

أو درهمٌ فوقَه الدينارُ منطبقٌ ... أو لوحُ عاجٍ على الزريابِ مُكْتنفُ(١)

وقال أبو طاهر المأموني:

درّ نثير أسلاكُه قِطَعٌ ... في ماءِ وزدٍ وصندلٍ نُقِعاً(٢)

● الرؤوس

كان الثوريّ يعجب بالرؤوس ويسمّيها مرة عرساً لما تجمع من الألوان المختلفة الطيّبة، ومرّة الجامع، ومرّة الكامل ويقول: هو شيء واحد ذو ألوان عجيبة وأطعمة مختلفة. وقيل لأعرابي: تحسن أكل الرؤوس؟ **فقال:** نعم، أبخص عينيه وأقلع أذنيه وأفك لحييه وأشجّ شدْقيه وأرمي بالعظم إلى من هو أحوج إليه منّي.

ودعا بعضهم آخر إلى دعوته، وقال: عندي رغف خوّارة ورؤوس فوّارة. ودُعي رجل إلى أكل الرؤوس، فلما قام **قال:** أطعمكم الله من رؤوس أهل الجنة. **وقال ابن الرومي:**

هامٌ وأرغِفَةٌ وضاءٌ ضخمةٌ ... قد أخرجا من فاحِم فوّارِ

كوجوهِ أهْلِ الجنّةِ ابتسمَتْ لنا ... مقرونةٍ بوجوهِ أهلِ النّارِ

● الدّماغُ والمُخ

قيل: أضرُّ الأطعمة للبدن الدماغ، فإنه يعلق بالمعدة ويتغرى ما بين غضونها، فلا يدخلها غذاء ولا دواء إلا زلق عنها. والعرب تكره أكل المخ وتتعير به، **وذلك قول الشاعر:**

ولا ننتقي المُخّ الذي في الجَماجِم

قال الأصمعي: كان أعرابي في يده عظم وعنده ثلاثة بنين، فقال للأكبر: إن أعطيتك هذا العظم ما تصنع به؟ **قال:** أتعرّقه حتى لا أدع لذرّ فيه مقيلاً، قال الأوسط: أتعرّقه حتى لا يدري أهو لعامنا أم لعام أول، فقال الأصغر: أتعرّقه ثم أتمشّشه ثم أدقّه فأستفه، **فقال:**

---

(١) **الزرياب:** الذهب، والأصفر من كلّ شيء. (٢) **الصندل:** جنس شجر هندي خشبه طيب الرائحة.

خذه، فأنت صاحبه. وقال في صفة جدب:

وبـاتَ شيـخُ الـعِيـال يـصـلُـبُ

أي يطبخ العظم فيخرج الدسم ويسمى ذلك الصلب.

• المَضيرة

قيل: شكا نبيٌّ من الأنبياء إلى الله تعالى ضعفَه، فأوحى إليه أن أطبخ اللحم باللبن وكله تقو.

قال بعض الشعراء:

مضيَرةٌ تنتمي في طِيبِ نكْهتِها   وفي الصِّفاء إلى مسْكٍ وكافورِ
كأنّما البصَلُ الشّاوي بصفحَتِها   فرائِدُ فرِشَتْ في صحْنٍ بِلّورِ

• المصلية

قال ابن أبي البغل:

ومصَليّة أما مجالُ وشاحِها   فقرْعٌ وأما خصْرُها فثريدُ
كأن هبيرَ اللحْمِ في جنباتِها   قطا جثّمٌ وسْطَ الفلاةِ ركودُ

• الشيراز

لا أحمَدُ المراقصي ما يبيضُ بهِ   إذا اعتمرناه أصْناف الشوَاريز
ما متعَةُ العيْن في خدّ توردهِ   يزهى إليْك بخالٍ فيه مَرْكُوز
أشهى إليْك من الشّيراز قد وضحَت   في صحْن وجنتِه خيلانُ شونيزِ[1]

• الكشك

قال بعضهم:

أمّ ذا الكشْكِ زانيَه   إن طبخناه ثانيَه

وقيل: من حُمّ يوماً واحداً فلا يأكلن الكشك سنة، ونزل رجل بأعرابي فكان كل يوم يقول لامرأته: قومي ائتني بخبز وما رزق الله، فكانت تأتيه بالخبز والكشك، فقال يوماً ذلك، فقال لها الضيف: هاتي الخبز ودعي ما رزق الله.

• الكامخ

دُفع إلى إعرابيين رغيفان بينهما كامخ، فقال أحدهما: خرء ورب الكعبة، فذاقه

---

(١) الشونيز: نبات عشبيّ سنويّ من الشقيقات، حبّه أسود اللون وهو يستعمل تابلاً - الخِيلان: جمع خال وهو شامة في البدن أي بثره سوداء، والخَيْلان (بفتح الخاء): وحش بحري يقال إن نصفه إنسان ونصفه سمك.

الآخر واستطابه، **فقال**: نعم، ولكنه خرء الأمير. **وقال آخر**: لا يفرق بين الكامخ والخرء إلا بالذوق.

وأضيف أعرابي فأطعم الكوامخ مراراً، فاستفتح الصلاة خلف الإمام، فقرأ الإمام حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير، **فقال الأعرابي**: والكوامخ فلا تنسها.

وقال النيخني:

أتـتـنِـي سـكـرجـةٌ لـونُـهـا ... يـرفُ كـبـلّـوزةٍ صـافِـيَـه
مـضـمـنـة مـن وضـيءِ الـطـعـام ... لـمـا يـذكـر الـعـيـشَـة الـراضـيَـه
فـلـمْ أدرِ هـلْ ضُـمّـنـت كـامِـخـاً ... مـن الـطّـيـبِ أم ضُـمّـنـت غـالِـيَـه

وقال آخر ضده:

شـيـبَ رأسـي وحـنّـى أعـظُـمـي ... طـولُ ائـتـدامِـي الـخـبْـزَ بـالـكـامِـخ
فـهـو إلـى نـفْـسـي مـنْ بـغْـضـه ... يـعـدِلُ سُـمَّ الأسْـودِ الـسـالِـخِ[1]

● **اللبن**

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ﴾[2] لم يتغير طعمه. وقال: من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين. **وقيل**: اللبن أحد اللحمين، وسموه شحماً لما كان من الشحم يتولد. وقيل لرجل الحليب أحب إليك أم الرائب، **فقال**: الرائب، فإنه على كل حال بات مع اللحم ليلة. **وقيل**: ما غص أحد باللبن قط لقوله تعالى: ﴿لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾[3] وفي الحديث: أن البقر لحومها داء وألبانها شفاء، وقال ﷺ: عليكم بألبان البقر فإنها ترم من كل الشجر. **وقيل**: ما رغى من اللبن أطيب من المصرح، **وقيل**: إن الرثيئة مما يغثا الغضب. قال ذو الرمة: كان إذا نزل بنا نزيل، قلنا له الحليب أحب إليك أم المخيض، فإن قال المخيض، **قلنا**: عبد من أنت، وإن قال الحليب، **قلنا**: ابن من أنت وقال شاعر:

إذا شئْتُ عنَانِي علَى رحْلِ فتية ... الحضجر يداوي بالبُدورِ كبير[4]

يعني أنه يمخض له. وقيل لبعضهم: الحليب أحبّ إليك أم الرائب، **فقال**: هو أكرم وأطيب من أن ينفى له حال.

● **الجبن**

قال خالد بن صفوان لجاريته: أطعمينا جبناً فإنه يشّهي الطعام ويدبغ المعدة ويهيج الشهوة، **فقالت**: ما عندنا، **فقال**: ما عليك فإنه يقدح في الأسنان ويلين البطن وهو من طعام أهل الذمة. **فقال بعض أصحابه**: بأي القولين نأخذ؟ **فقال**: إذا حضر فبالأول وإذا

---

(١) **السالخ**: الحية السوداء.
(٢) **القرآن الكريم**: محمد/ ١٥.
(٣) **القرآن الكريم**: النحل/ ٦٦.
(٤) **الحضجر**: العظيم البطن والمتفخ الخواصر.

غاب فبالثاني.

وكتب كسرى إلى واليه: ابعث إليّ بشرّ إنسان على شرّ دابة مع شر طعام، فبعث إليه بخوزي على خنزير معه جبن. قال شاعر:

إنما الجبْنُ آفةُ الجِسْمِ سُقْماً ... وعلى القَلْبِ كربةُ الأَوْهامِ[١]
بدُلوها بلقْمَتَيْ سِكباجٍ ... أو شِواءٍ مفصلٍ مِنْ عِظامِ

● السمك

قال أعرابي: كل من السمك القذال ودع منه المبال وقال آخر: كل ما تفلس ودع ما تملس، وقدم إلى جعفر بن يحيى سمك، **فقال**: هذا إن لم يكفن بخبيص ويقبر بنبيذ فالحذر منه. **وقال طبيب الهند**: اجتنبوا ما يخرج من الضرع والبحر. **قال أبو طالب المأموني**:

ماويّةٌ فضّيّةٌ لحمُها ... ألذُّ ما يأكلُه الآكلُ
يضمّها من جِلْدها جوشَنٌ ... مُذَبَّلٌ فهْوَ لها شامِلُ[٢]
تعيشُها اللجّةُ ما خيمَتْ ... بها كمَا يتلفُها الساحِلُ
لو نلتُ من فضّتِها عسْجَدا ... بقلْيِها ما ضافَني نازِلُ[٣]

● الباذِنْجان

في الخبر: كلوا القرع واجتنبوا الباذنجان. **قيل لأعرابي**: ما تقول في الباذنجان، **قال**: لونه لون بطون العقارب وأذنابه كأذناب المحاجم وطعمه طعم الزقّوم، **فقيل**: إنه يحشى باللحم ويقلى بالزيت فيكون طيباً، **فقال**: لو حشي بالتقوى وقلي بالمغفرة وطبخته الحور العين وحملته الملائكة ما كان إلا بغيضي.

وقيل لآخر: ما تقول في باذنجان عملته بوران، **فقال** إن شققته مريم وطبخته سارة وقدمته فاطمة لا رغبة لي فيه. وحكي أن الشبلي رئي يوماً على الجسر، وكان يوماً مطيراً، **فقيل له**: إلى أين؟ **فقال**: بلغني أن فلاناً يعيب الباذنجان فأريد أن أمرّ عليه فأخاصمه. **وقال الوأواء الدمشقي**:

أتانا بمقلي بورانه ... وشيرازه من لبانِ الغَنَمِ[٤]
وقد شنّجَ القَلْيُ منه الجُلودَ ... كتشنيجِ أوجهِ سودِ الخدَمِ

وقال آخر:

كرةٌ من المِسْكِ الذكيّ تضمّنت ... من تحتِ مسْكٍ لؤلؤاً مقْشوراً

---

(١) **كربة**: حزن شديد ـ **الأوهام**: جمع وهم، وهو ما يقع في القلب من الخاطر.
(٢) **جوشن**: صدر ـ **المذبل**: في غاية السِّمن.
(٣) **نازل**: ضيف. (٤) **اللبان**: الصدر.

وقال عبد العزيز:

وسودٍ تروّتْ بالدّهان فأبدلَتْ ... بتوريدِها لوْناً من النّار أكلَفَا[1]

كأفواه زنْجٍ تبصر الجلدَ أسودا ... وتبصر إن فرّت لُجَيْناً مؤلَفَاً[2]

كخلق حبيبٍ خافَ إكثار حاسدٍ ... فأظْهر صرْماً وهو يعتقدُ الوَفَا[3]

● **المزور**

قال أحمد بن حمدون:

قلْت الطعامُ فقالُوا من مزورة ... فقلْت زورٌ وليْسَ الزورُ من وطَرِي

هاتُوا أطايبَ ثوْرٍ فائقٍ سِمَنَا ... كالفيل قدّاً وإن عدّوه في البَقَرِ

وسكبَجوها ووفوها توابلَها ... وزغفروها وصفُوها عن الغيَرِ[4]

وقدّموها على بيْضاء صافيةٍ ... كأنّما خرطَتْ من دارةِ القَمَرِ

فمَن نجَا فدفاعُ الله سلّمه ... ومن مضَى فإلى الفردوسِ أو سقرِ[5]

وقال ابن سكرة:

قد صرت كالزور في أكْلي مزورَة ... فإنّها كاسمِها بيْن الورى زورُ

خذِ الحقائقَ واتْركْ ما تزوّره ... فالحَقّ متّبعٌ والزورُ مهْجورُ

ولا تؤخّر لذيذَ الأكْلِ خوف أذىً ... فليْس في الموْت تقديمٌ وتأْخِيرُ

● **طَعامٌ يُعادُ على مائِدة واحِدة**

قال ابن طباطبا:

أرزٌ جاءَ يتبعه أرزٌ ... هوَ الإيطاءُ يُتّخذُ اتّخاذا[6]

فإيطاءُ القريضِ كما علمْنا ... وإيطاءُ الطّعام كمثْل هذا

● **الملح**

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من الداء، منها الجذام والبرص. **وقال الخوارزمي**:

فهو بقْل وروضةٌ وجوارشن وأدم وزادٌ حامِلُ زادِ

وقال المأموني:

لا تدنِ منّي الملْحَ إن شبْته ... من الأبازيرِ بألوانِ[7]

---

(١) **لون النار الأكلف**: اللون المحمّر الكدر.

(٢) **فرت**: شُقّت وقطعت. (٣) **الصرم**: القطع والهجر.

(٤) **زعفر الطعام**: أضاف الزعفران ليطيب. (٥) **الفردوس أو سقر**: الجنة أو جهنم.

(٦) **الإيطاء**: الإيطاء في الشعر: تكرار القافية بلفظها ومعناها، وهو من العيوب.

(٧) **شبته**: خلطت به ـ **الأبازير**: جمع البزر، التابل الذي يطيّب به الطعام.

فوجهه أبرصُ ذو نمشة   بين ثآليلٍ وخِيلانِ
وهاتِه من غيرِ خلطٍ لهُ   إدام زهْارٍ ورهْبانِ

● **العسل**

قيل: أجود العسل الذهبي الذي إذا قطرت منه على الأرض قطرة استدارت استدارة الزئبق ولم يتغبش ولم يختلط بالتراب. **وقيل**: أجوده ما يلطخ على الفتيلة ثم توقد فيها النار فتعلق. وكتب هشام إلى عامله: أن ابعث إليَّ بعسل من عسل خدار من النخل الأبكار من المستشار الذي لم تقر به نار.

وقيل لرجل: ما تشتهي؟ فقال جنى النحل وجنى النخل. **فقيل له**: أيهما أحب إليك؟ **قال**: أشفاهما وأنقاهما وأبعدهما من الداء وأدناهما من الشفاء، وجعله الله تعالى في الجنان اللطيف بلا تفل، الخفيف بلا ثقل. وقال ديموقراطيس، وقد سئل عما يزيد في العمر، **فقال**: من أدام أكل العسل ودهن جسمه زاد الله في عمره.

● **الحلواء**

قال بختيشوع: الحلواء كلّها، حقّها إن تؤكل بعد الطعام، لأن للمعدة ثوراناً عقيب الامتلاء كثوران الفقاع، فإذا صادفت الحلاوة سكنت. **وقول** الناس إن في المعدة زاوية لا يسدها إلا الحلاوة على أصله، **قال**: والآكل إذا اشتهى الحلاوة ثم فقدها وجد في حواسه نقصاً.

● **الفَالوذَج والخَبيص**

قال سفيان: لا بد للعاقل في كل أربعين يوماً من خبيصة تحفظ عليه قوّته. كل طعام بلا حلو فهو خداج[1]، وقال رجل في مجلس الأحنف: ما شيء أبغض لي من الحلواء، **فقال**: ربّ ملوم لا ذنب له.

وسمع الحسن قائلاً يعيب الفالوذج، **فقال**: لُباب البرّ بلعاب النحل بسمن الماعز، ما عاب هذا مسلم قط.

وقال أعرابي: وددت أن الموت والفالوذج اعتلجا في صدري. وبعث رجل إلى مزبد فالوذجاً قليل الحلاوة، **فقال**: ينبغي أن يكون هذا عمل قبل أن يوحي ربك إلى النحل. **وقيل**: ذهبت بهجة الخبيص منذ عمل من عسل.

وأتى يزيد بن الوليد بفالوذج فجعل الغاضري يأكل ويسرع، فقال يزيد: أرفق، فالإكثار منه يقتل. فقال الغاضري: منزلي على طريق المقابر، وما رأيت جنازة قيل إن صاحبها مات من أكل الفالوذج.

(١) الخِداج: كلّ نقصان في شيء.

● **اللوزينج**

قيل لبعض الناس: إن التمر يسبح في البطن، **فقال**: إذا كان التمر يسبح في البطن فإن اللوزينج يصلّي فيها التراويح. **وقيل**: اللوزينج قاضي قضاة الحلاوات. **قال شاعر في وصفه**:

مستكثف الحشو ولكنه أرقّ جسماً من نسيم الصَّبا
يُخالُ من رقةِ خرشائِه شاركَ في الأجنحة الجَنْدُبا[1]
لو أنه صوّر من خبزه ثغرٌ لكانَ الباردَ الأشنبَا[2]

وقيل لآخر: ما تقول في لوزينجة قد رقّ قشرها وغرقت في سكرها ودهن لوزها، **فقال**: فما أشدّ الوصف إذا عدم الموصوف.

● **العصيدة**

قال بعض الأغفال:

وقدم من قبْل الخبيصِ عصيدةً مغشى أعاليها بمنشورِ سُكّر
ترى الجمْر أثناء العَصيدةِ كامِناً فتحسَبُ مِسْكاً بين إقطاعِ عنبَرِ[3]

ورثي مخارق، وهو يدور حول قدر يتخذ فيها عصيدة، ويقول بلحن عجيب:

أنستِ يا ذاتَ الأثافي أسْمِعينا غَليانَك
فبنشِّك ونشيشِك طابَ عنبرُك وبابُكِ
إنما قَتْلي لِنَفسي واجتِهادي لمكانِكِ

● **القطائف**

قال كشاجم:

قطائفُ مثلُ أضابيرِ الكتُب كأنها إذا تبدّت من كَثَبْ
كوائرُ النحلِ بياضاً وثقبْ

وقال آخر:

ألذّ شيءٍ على الصّيام من الحَلاوات في الطّعامِ
قطائفُ نضّدَت فحاكَتْ فرائِدَ الدرّ في النظامْ
منوّماتٌ على جُنوب في الجامِ كالصّبيَةِ النيّامِ[4]

---

(١) **خرشائه**: قشرته ـ **الجندب**: نوع من الجراد الصغير.
(٢) **البارد**: المستطاب ـ **الأشنب**: الأبيض الأسنان لرقيقها.
(٣) **العنبر**: مادة صلبة تنبعث منها رائحة ذكية إذا أحرقت ـ **المسك**: نوع من الطيب.
(٤) **الجُنوب**: الجهات ـ **الجام**: الإناء من فضة.

● **التمر**

قال النبي ﷺ: من تصبّح بسبع تمرات عجوة لم يصبه يومه ذلك سم ولا سحر **وقال** ﷺ: أول ما يفطر به الرطب والتمر وأول ما تأكل النفساء الرطب والتمر، لأن الله سبحانه وتعالى قال لمريم: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾[1]

وقال شيخ: ما وضع الناس في أفواههم شيئاً أطيب من عجوة، ووصف أعرابي تمراً، **فقال**: تمرات جرد فطس يغيب فيهن الضرس، كأن نواها ألسن الطير تضع التمرة في فمك فتجد حلاوتها في كعبك.

وقال أعرابي: ضفنا فلاناً فأتى بتمر كأعنان الوردان يوحل فيه الضرس. **وقيل**: خير التمر ما غلظ لحاه ورقّ سحاه ودقّ نواه.

قال النابغة يصفه:

صغارُ النّوى مكنوزةٌ لَيس قشرُها … إذا طارَ قشرُ التمْرِ عنها بطائِرِ

وقال آخر:

وكنتُ إذا ما قرّبَ الزادُ مولَعاً … بكلّ كميتٍ جِلدُه لم يوَسّف

مداخلةِ الأقرابِ غيرِ ضئيلةٍ … كميْت إذا خفت مزادة مخلف

وقال آخر:

يا حبّذا التمْرةُ ما أحْلاها … تدمِنُ الفقحَةُ من ذكْراها[2]

وقال الحجّاج يوماً لجلسائه: ليكتب كل واحد منكم أطيب طعام وليدفعه إليّ، فكتب كلهم: التمر والزبد، **وقال سوار** لرجل حضر الشهادة، بِمَ تشهد، **فقال**:

شهدْت بأن التمرَ بالزبْدِ طيّبٌ … وإن الحبارَى خالةُ الكَرَوان

فقال أما الأول فإني أشهد به أيضاً.

● **أكلُ التمر**

قال بعضهم: لم أنتفع بأكل التمر إلا مع الزنج وأهل أصفهان، فالزنج لا تختار وأنا أختار، وأهل أصفهان يأخذون قبضة فإلى أن يفرغوا من أكلها لم يأخذوا من غيرها وأنا أختاركما أحب. **وقيل**: فلان برم قرون أي لا يخرج مع أصحابه ويأكل تمرتين تمرتين.

---

(١) **القرآن الكريم**: مريم/ ٢٤.

(٢) **الفقحة**: الزهر من كل نبت. والفقحة حلقة الدبر وهو المقصود هنا.

● **الرُّطَب**

قال ابن هبيرة: أي لقمة مخلوقة غير مصنوعة، وصرف غير ممزوجة أطيب، **فقال** بعضهم البيضة، **وقال بعضهم:** التمرة، **فقال:** هلا قلتم رطبة.

قال المتوكل يوماً للمفتح: الحلواء أطيب أم الرطب؟ **فقال** يد الله أصنع. **وقال** الثوري: ما أعنف رجلاً يبيع ثيابه أيام الرطب فيشتريه بها.

ذاكر الرشيد عيسى بن جعفر، أي الرطب أطيب؟ **فقال الرشيد:** القريتا، **وقال عيسى:** السكر، فأرسلوا إلى الأصمعي، فسأل الأصمعي الرسول عمّا دعي له فقال الرسول: كان كذا، فلما دخل سألاه، **فقال:** هذا لا يخفي أن القريتا أجود. إنّا كنا بالبصرة صبياناً نلعب بالنوى، فنجعل نوى القريتا دنانير ونوى السكر دراهم، فنعطي نواة من قريتا ونأخذ عشرين من سائر النوى، فضحك الرشيد وأمر له بصلة.

● **العِنب**

قيل: أجود العنب ما غلظ أعمده وأخضر عوده وسبط عنقوده. **وقال أبو حنيفة الدينوري** عن بعض أهل دمشق: إنه وزن حبة عنب مجلوبة من قرية يقال لها قرية العنب، فكان وزنها عشرة دراهم، وإن العنقود منها يملأ السلة. **قال ابن الرومي:**

ورازقـي مـخـطَّـف الـخُـصـورِ كـأنّـه مـخـازنُ الـبِـلّـوْرِ
قد ضمِّنَتْ مسكاً إلى السطور وفـي الأعـالـي مـاءُ وردٍ جُـوري
لـم يُـبـقِ مـنـه وهَـجُ الـحَـرور إلا ضـيـاءً فـي ظـروفِ نُـورِ
لـو أنّـه يـبـقـى عـلـى الـدّهـورِ قـرط آذانَ الـحِـسـانِ الـحُـورِ

وقال الصاحب:

وحـبـةٍ مـنَ الـعـنَـب مـن الـمـنَـى مـتّـخـذَه
كـأنّـهـا لـؤلـؤةٌ فـي وسْـطِـهـا زمـرّدَه

وله:

حسبتُها من بعْدِ تمييزي لهَا لـؤلـؤةً قـد ثـقـبَـتْ مـن جـانِـبِ

● **الخَوخ**

قال الطيلساني:

وخـوخـة أعـطـيـتُـهـا هـشّـةً بـيْـضـاءَ مـثْـلَ الـلـبـن الـمـخْـض
كـأنّـهـا كـفّ امـرئٍ شـدّهـا قـبْـضـاً لـضـرْبٍ مـنـه أو عَـضّ

وقال آخر:

كـأنّـه الـزبْـدُ إذا مـا الـتَـوى بـالـعَـسـلِ الـماذيّ فـي صَـحْـنِـه

وقال الصنوبري:

كـوجـنَـةٍ ألـبـسَـت خَـلـوقـاً ... فـزالَ عـنْ بـعـضِـهـا الـخـلُـوقُ[1]

● الرّمان

قال النبي ﷺ: نعم الشيء الرمان، ما من رمانة إلا وفيها حبة من الجنة، من أكلها نورت قلبه وأذهبت عنه الوسواس. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: كلوا الرمان بشحمه فإنه دباغ المعدة. وقال الواسطي.

رأيتُ رمّـانـةً مـن فـوْق دوحَـتِـهـا ... ولـونُـهـا بـبـديـعِ الـحـسْـن مـنـعـوتُ

فـالـقـشر حقٌ لـمـاضٍ ضـمّ رائـحـة ... والشحْـم قطنٌ لَه والحَبُّ ياقوتُ[2]

أبو طالب المأموني:

حـقٌ خـلـيـعٌ نـاصِـعٌ دهـنُـه ... مـسـتـودعُ حـمْـرِ الـيَـواقـيـتِ

وله في وصفه عند تفتيته:

الـجـامُ أرضٌ وبـنَـانـي حـيـا ... تـمْـطِـرُ مـنْـه بـرداً أحْـمـرا[3]

وقال ابن شاه:

ورمـانـةٌ شـبْـهـتُـهـا إذ رأيـتُـهـا ... بـثـدي كـعـابٍ أو بـحـقّـةِ مـرْمَـرِ

مـنـمـنَـمَـةٌ صـفـراءُ نـضّـد حـولَـهـا ... يـواقـيـتُ حـمـرٍ فـي مُـلاءٍ مـعـصْـفَـرِ

لـهـا قـشْـرُ عـقْـيـان ورأسُ مـشـرق ... وأغـصـانُ خِـيري وأوراقُ عبْـهَـري[4]

● التّين

قال كشاجم:

أهــلاً بــتــيــنٍ جــاءنَــا ... مــبــتــسِــمــاً عــلــى طــبَــق

كــسُــفْــرَةٍ مــضــمــومَــةٍ ... قــد جُــمّــعَــتْ بِــلا حَــلَــق[5]

وقال البحتري:

وتـيـنٍ كـأطـرافِ الـثّـدي مُـغْـسـلِ

وقال كشاجم:

سُـفـرٌ جُـمِـعْـنَ مـن الـحَـريـر الأصْـفَـرِ

---

(١) الخَلوق: نوع من الطيب أعظم أجزائه من الزعفران، والخلوق: الشيء الخلق أو البالي.
الخلوق: من ضروب الطّيب بداخله الزعفران.

(٢) الحق: وعاء صغير يوضع فيه الطيب خصوصاً.

(٣) الحيا: المطر.

(٤) العقيان: الذهب الخالص - خِيري: زهر المنثور الأصفر - العبهري: المنسوب إلى العبهر، وهو النرجس.

(٥) السُفرة: واحدتها سِفار وهي حديدة أو جلدة توضع على أنف البعير، شبّه بها حبّات التين.

● **الزبيب**

خطب أعرابي امرأة، فطلب سكّراً للنثار فرآه غالياً، فاشترى زبيباً فنثره، **وقال**:

ولما رأيْتُ السكّرَ العامَ قد غلا ... وأيقَنْتُ أنّي لا محالة ناكِحُ
نثرْتُ على رأسي زبيباً وصحْبتي ... وقلْتُ كلُوا، كلّ الحَلاواتِ صالِحُ

وقال بعضهم:

حوى زقّينِ من عسَلٍ مصفّى ... نسينا عند طيبَته الرّضابَا[1]
وهابَ الاغتصابَ عليْه منّا ... فأنشأ فيه تدبيراً عجَابا
أرانا فوْقَ عاتِقِه سِنانا ... وأودعَ بيْنها خشَبا صلابَا

وله:

خذْ عسَلاً في زبَرْجَدٍ جعَلُوا ... لهُ صِمَاخاً يصونُ ما فِيه[2]

وقال المأموني:

وذاتِ احمرارٍ صادقِ اللونِ خلتُها ... أرتْنا بأعكانٍ لها شطبَ النَصْلِ[3]
قد انتحلَتْ لوْناً من النّخلِ ناصِعاً ... ليعلَم ما تحْويه من عسَلِ النّحلِ

● **الكشمش**

قال المأموني:

وكشْمِش كخَرَزٍ ... للنظم لم يُثقَبِ
تتلى بها الكاسُ لما ... بينَهما من نسَبِ
كأنّه أوعيةٌ ... يحمِلْنَ ذوبَ الضَّربِ[4]
أو لؤلؤٌ حلّي أعـ ... ـلاه بماءِ الذّهَبِ

● **الطين**

سئل بعض الفقهاء عن أكل الطين، **فقال**: لا يجوز، لأن الله تعالى قال: ﴿**كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا**﴾[5] ولم يقل كلُوا الأرض. **وقيل لرجل**: كل من هذا الطين، **فقال**: أو بلغك أن في بطني ركناً أو ثلمة يجب سدّها.

وكان المأمون مولَعاً بأكله، فسأل ابن بختيشوع عن دوائه، **فقال**: عزمة من عزمات الرجل فآلى على نفسه أن لا يعاود تناوله.

---

(١) **الزق**: وعاء الخمر ـ **الرضاب (هنا)**: لعاب النحل أو رغوة العسل.

(٢) **الزبرجد**: حجر كريم يشبه الزمرد، متعدّد الألوان.

(٣) **الأعكان**: جمع العُكنة، الثنيات والطيّات. (٤) **الضَرَب**: العسل الأبيض الغليظ.

(٥) **القرآن الكريم**: البقرة/١٦٨.

● **الموز**

قال ابن الرومي:

إنما الموز حينَ يمكن منه ... كاسمِه مبدلاً من الميم فَاء
وكذا فقدُه العزيزُ علينا ... كاسمِه مبدلاً من الزايَ تَاء
فلهذا التأويلِ سمّاه موْزا ... من أفادَ المعانيَ الأسمَاء

وله مثله في طيب الطعم:

يكادُ من موقعِه المحبوبِ ... يدفعُه البلعِ إلى القُلوبِ

● **الجَوْز واللّوز**

قال ابن الواسطي في وصفه:

قطعُ العَاجِ لففتْ في حريرِ ... أخضَر في مدَاهِنٍ من ساجِ[١]

وقال المأموني:

ومحققِ التدويرِ يبعُد نفعُه ... من كفّ من يجنيه ما لَمْ يُكْسَرِ
درعٌ يسوغُ لآكليه يضمّه ... صدفٌ تكوّن جسْمُه من عزعَرِ[٢]
متدرّع في السّلم فوْقَ غُلالةٍ ... دِرْعاً مظاهرة بثوْبٍ أخضَرِ

وله في اللوز:

ومستجنٌ عن الجَانِين ممتنِعٍ ... بجُنّةٍ لم يحكْها كفُّ نسّاجِ[٣]
درٌ تكوّنَ من عاجٍ تضمّنَهُ ... في البرِّ لا البحْرِ أصْدافٌ منَ العَاجِ

● **الفستُق**

قال الصنوبريّ:

من الفستقِ الشاميِّ كلّ مصونة ... تُصانُ عن الأحداثِ في بطْن تابوتِ
زبرجَدَةٌ مَلفوفَة في حريرةٍ ... مضمّنةٍ دراً مغشّى بياقوتِ

وقال ابن الواسطي:

مثلُ الزمرّدِ في حريرٍ أخضر ... قد ضمّه صدفٌ من العاجِ الحسَن

● **الشاهبلوط**

قال بيغا:

وشاهبلوط تناهَى واستتَم ... كخَرَزٍ من سبَحٍ لم ينتَظِمْ[٤]

---

(١) الساج: الثوب الأخضر يلبسه الخواصّ من المشايخ والعلماء.
(٢) العرعر: شجر يشبه السرو تستخدم ثماره لتعطير المشروبات الروحيّة.
(٣) المستجنّ: المستتر ـ الجنّة: الترس، السترة،
(٤) السبح: مخفف السبحة وهي خرزات تنظم في سلك الصلاة والتسبيح.

كـأنّـهُ لـمّـا تـرَاءى مـن أَمَـمٍ		في صِحّةِ التشبيهِ أظلافُ الغَنَمْ[1]

- **العِنّاب**

قال بعضهم:

بـنـادِقٌ قـد خـرِطَـت		مـن الـعـقـيـقِ الأحْـمَـرِ

- **الأجاص**

قال بندار:

إجّـاصَـةٌ تـحـكـي إذا حـدّ الـنـظَـرْ		في شكلها سودَ صغيراتِ الأكَرْ
مـحـزوزةٌ ولا يـرى فـيـهـا أثَـرْ

- **المشمش**

قال رجل طبيب لرجل يغرس مشمشاً: ما تصنع؟ فقال: أغرس شجرة تثمر لي ولك، فأخذ هذا المعنى ابن الرومي، فقال:

إذا ما رأيتَ الدهْرَ بستانَ مشمِشٍ		تـعـلـمْ يـقـيـنـاً أنـه لـطَـبـيـبُ
يـغـلّ لـه مـا لا يـغِـلّ لأهـلِـه		يغلّ مريضاً حِمْلُ كلّ قضيبِ[2]

وقال آخر:

كـأنّـهـا بـوْتَـقَـةٌ أُحْـمِـيَـتْ		يـجـولُ فـيـهـا ذهَـبٌ ذائِـبُ[3]

- **الفِرْصاد**[4]

قال بعضهم:

وجـنـيُ فـرصـادٍ كـأنّ مـتـونَـه		بـرشٌ عـلـى يـاقـوتَـةٍ حـمْـراء

- **السّفَرْجَل**

قال أبو علي بن أبي العلاء في وصفه:

نـصْـفُ الـسـفـرجَـل ثـديٌ		والـنّـصْـفُ يُـحْـسَـبُ سُـرّه
فـمـن أحـبّ رآه		فـمـا يـغـادرُ ذرّه[5]

وقال آخر:

إن الـسّـفـرجـلَ ريـحـانٌ وفـاكـهَـةٌ		يحْظى المشمّ بها والذوقُ والنظَرُ

---

(١) من أمم: من قريب.

(٢) يقول: كل غصن في الشجرة يغلّ ثمرة من المشمش مريضاً، والكلام من باب المجاز.

(٣) البوتقة: الوعاء الذي يذاب فيه المعدن.

(٤) الفرصاد: التوت.		(٥) ذرّه: الذرّة الجزء المتناهي في الصغر.

يحكي وديكة تبرٍ بلْ لهيبَ لظىً شبّت ضحىً وشعاعُ الشمْس منتشِرُ[1]

وقال ابن طباطبا:

سفرجلَةٌ حذَفوا راءها تجم الفؤادَ لقوْل النبي

وقد ذكر ما يضارع ذلك مع ذكر الأشجار والنبات في حده.

● جهلُ العرَب بطيباتِ الأطعمة

كانت العرب لا تعرف طيّبات الأطعمة، إنما كان طعامهم اللحم يطبخ بماء وملح، حتى أدرك معاوية رضي الله عنه الإمارة، فاتخذ ألوان الأطعمة. قال أبو بردة: كانوا يقولون من أكل الخبز الحواري سمن، فلما فتحنا خيبر أجهضناهم عن خبزهم فقعدت عليه آكل وأنظر في أعطافي هل سمنت.

وقال خالد بن عمير المطوي: شهدت فتح الأبلة فوجدنا سفينة مملوءة جوز، **فقال رجل:** ما هذه الحجارة؟ ثم كسروا واحدة، فقالوا: طعام طيّب.

وقال بعضهم: أصابوا أجربة من الكافور فقالوا هاء الملح فذاقوه، **وقالوا:** لا ملوحة لهذا الملح، ففطن ناس من أهل الخبرة فجعلوا يعطونهم جراباً من الملح ويأخذون جراباً من الكافور.

وقدّم إلى أعرابي خبز عليه لحم فأكل اللحم وترك الخبز، **وقال:** خذوا الطبق. وقدّم فالوذج إلى أعرابي فقيل له ما هذا؟ **قال:** الرمان المعلق.

● قاذوراتُ أطعمةِ العَرب

كانت بنو أسد يأكلون الكلاب، **ولذلك قال الفرزدق:**

إذا أسدي جاعَ يوْماً ببلْدَة وكانَ سميناً كلبُه فهو آكلُه

ويأكلون الهبيد، وهو الحنظل المالح، **وقال بعضهم:** نزلت برجل فأضافني فأتى بحيّة فشواها فأطعمنيها، ثم أتى بماء منتن فسقانيه، فلما أردت الإرتحال **قال:** ألا أقمت، طعام طيب وماء نمير.

وكانوا يأكلون في الجدب العلهَز وهو الحلم الكبار يدق مع الوبر.

وكان أحدهم يتناول الشعر المحلوق فيجعله في حفنة من الدقيق ثم يأكله مع ما فيه من القمل. **ولذلك قال شاعرهم:**

بني أسد جاءَتْ بكُم قمليّةً بها باطِنٌ منْ داءِ سُوءٍ وظاهرِ

ومن طعامهم **الفظ** وهو ماء الكرش. وقيل لأعرابي ما تأكلون؟ **فقال:** نأكل ما دب ودرج إلا أم حبين، **فقال:** لتهن أم حبين العافية.

---

(١) الوَديكة: الدقيق خلط بودك، والودك الدسم من اللحم والشحم، والوديكة أيضاً الدجاجة، والوديكة السمينة.

قال أبو نواس:

ولا تـأخـذْ عـن الأعـرابِ طـعْـمـاً ولا عـيْـشـاً فـعيْـشُـهـم جـديـبُ

وكان رؤبة يأكل الفأر، فقيل له ألا تستقذره، فقال: هو والله ما يأكل إلا فاخرات متاعنا. وبنو تميم يعيّرون بأكل الضبّ.

قال أبو نواس:

إذا مـا تـمـيـمـيّ أتـاك مـفـاخِـراً فقُلْ عدّ عن ذا كيْف أكلُكَ للضّبِ

● أكْلُ قاذوراتٍ على غَلط

قال الأصمعي: دنوت من بعض الأخبية في البادية فسُقيت لبناً في إناء، فلما شربته، قلت: هل كان هذا الإناء نظيفاً؟ فقيل: نعم، إنا نأكل منه بالنهار ونبول فيه بالليل، فإذا أصبحنا سقينا الكلب فيه فلحسه ونقاه. فقلت: لعن الله هذه النظافة ولعنكم من قوم متقذّرين. قال: ونزلت على امرأة فنظرت إلى قطع من القديد منظومة في خيط فأمعنت في أكله، فأقبلت المرأة، فقالت: يا هذا ليس ما أكلت مما يؤكل، فقلت ما هو، قالت: إني امرأة خاتنة أختن جواري الحيّ، فكلما خفضت واحدة نظمت خافضتها في هذا الخيط لأعرف عددهن، فتقيّأت استبشاعاً.

وقعد رجل في سفينة وركب معه يهودي قد احتضن سلّة قديد فاستولى عليها الرجل، وأخذ يأكلها حتّى لم يبق إلا عظيمات. فلما أراد الخروج إلى البرّ، رأى اليهودي السلّة فارغة فسأل عنها، فقيل: إن هذا الرجل أكل ما فيها فولول، وقال أكلت أبي؛ فسئل عن ذلك، فقال: كان أبي أوصى أن يدفن ببيت المقدس فلما مات قددناه ليسهل حمله، فأكله هذا.

● المَوْصوفُ بالطِّيب

يقال: ألذ من زبد بندسيان[1] وأحلى من الشهد وأزكى من الورد وأشهى من إنجاز الوعد. أحلى من المنّ والسلوى، ألذ من نظر المعشوق في وجه عاشق بابتسام. قال آخر:

وألـذ مـن أنـغـام خـلـةِ عـاشـقٍ زارتـه بـعـد تـمـنـع وشـمـاسِ[2]

أعذب من الماء الزلال. أطيب من قبلة الحبيب على غفلة الرقيب. طعام تضنّ به العين عن الفم.

وقال رقبة بن مصقلة في صفة دعوة: جاؤونا بخوان كالقاع في بياض الفضة عليه رقاق كقباطي مصر، ورغف كدارة القمر وبقول كوشي السندس، وخلّ كذوب العقيق، ثم جاؤوا بفالوذج كأن الزئبق الجاري ينبع من خلله للجريان على وجهه، ترى نقش الدرهم من تحته ظاهراً يذوب قبل التطعم ويبتلع قبل التينع.

---

(١) بندسيان: من قرى نهوند. (٢) الشماس: الإباء.

● المَوْصُوفُ بالنَّتَن

أنتن من الجيفة، ومن ريح الجورب، ومن العذراء، ومن مرقات النعجة، أي ما تمرق من شعرها أي ما ينتف.

● كِنى الأطْعمةِ وأسماؤها الأعلام عند الصّوفيّة

قد أكثر الناس من ذلك وذكرت منه طرفاً هو أقرب: **الخبز** أبو جابر، **والسكباج** أم القدور، **والقلية** زلزل المغني، **والطباهج** الزرزر الصناج، **والمضيرة** الشيخ اليهودي أبو الزئبق، **البقل** أبو زحام بلا منفعة، **الخل** أبو عامر الغضبان، الخيار أبو الأخضر البندق، **القثاء** أبو القرون، **البصل** أبو قمصان، **الدجاج** أم حفص، **الفروج** بنات المؤذن، **السكر** أبو شيبة الخوزي.

● أنواعٌ من ذِكْرِ الأطْعِمَة

كان النظّام إذا خلط كلامه في ذكر الأطعمة ببعض الفاكهة **يقول**: الزيت نصراني والخل يهودي، واللبن والزبيبان نصرانيان راهبان. وعلى لون صبغهما صبغوا ثيابهم.
وقيل: الصحناة والتفشيل يهوديان، والسمن مسلم.
من تعود أكل الطعام وإن كان ضاراً لم يضره بل ينفعه، حتى أن السم من تعود أكله لم يضره. والطعام الجيد النافع للعامة إذا أكله من كان مستغرباً له غير عاهده يضرّه.
وقد ذم الأطباء ما يخرج من الضرع. وقريش تعودت أكلها وانظر كيف كرمها وسخاؤها وعقولها ودهاؤها.
ومرّ جالينوس مع تلامذته ببقلة فسألوه عنها **فقال**: هي سم ساعة فإذا رجل يأكلها ولا تضرّه فسألوه، **فقال**: هذا غداء لنا، **فقال جالينوس**: هل لك في مصاحبتي فأحسن إليك؟ **فقال الرجل**: بلى، فصاحبه زماناً يأكل ما يأكلونه ثم عرض عليه ذلك البقل، فأكله فمات لوقته. قال أبو طالب المأموني في **السكنجبين**:

ومستنتج ما بين خلّ وسكّر ... دوائي من دائي به وشفائي
رأيتُ به في الكاس أعجبَ منظرٍ ... مذابُ عقيقٍ فيه جامِدُ ماءِ

(٢)
وممّا جاء في أحوال الأكل والأكلة والتطفل

●

● الرّخصة في تَناوُلِ المُباحات

قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾(١) وقال: ﴿وَكُلُوا

(١) القرآن الكريم: المائدة/ ٩٠.

﴿وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾(1) وقال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾(2) وقال تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾(3) وقال النبي ﷺ: اعمل صالحاً وكل طيباً والبس ليناً. وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطاك إسراف ومخيلة. ورغّب الله تعالى آدم في الخلود في الجنة، فقال: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾(4) فبدأ باشتراط الشبع.

ومرّ عمر رضي الله عنه بشاب فاستسقاه ماء فخاض له عسلاً فلم يشرب، وقال: إني سمعت الله تعالى يقول أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا، فقال الفتى: إنها والله ليست لك أقرأ ما قبلها ويوم يعرض الذين كفروا على النار، فشربها عمر رضي الله عنه، وقال: كل الناس أفقه من عمر. واجتمع فرقد السنجي والحسن على مائدة، فأتي بجام خبيص فأبى فرقد أن يأكل، وقال: أخاف أن لا أؤدي شكر الله تعالى عليه، فقال الحسن: كل فلنعمة الله عليك في الماء البارد أعظم منها في الخبيص. قال الشيخ أبو القاسم رحمه الله: فانظر إلى فقه الحسن وفهمه وإلى ضعف رأي فرقد مع إسلامه، واعتبر بهما قول النبي ﷺ: فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد.

● غَسْلُ اليَدَيْنِ قَبْلَ الطَّعام

دُعي سلمان رضي الله عنه إلى طعام فلما دخل توضأ للصلاة فصلّى، ثم قدم الطعام فاستدعى الماء وغسل يده، فقيل: ألم تغسلها آنفاً، فقال: نعم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول من غسل يده قبل الطعام وبعده أكل في سعة من رزقه. وقال الحسن رضي الله عنه: غسل اليد قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللّمم(5) وامتنع رجل من غسل اليد للطعام عند موسى الرضا، فقال: أغسلها فالغسلة الأولى لنا والثانية لك، فإن شئت فاتركها. وغسل رجلٌ يده عند المأمون ومدّ يده إلى رأسه فأمر بإعادة غسلها، ثم مدّها إلى لحيته فأمره بإعادته. وقال: لا يلي غسل اليد للطعام إلا الطعام.

وقُدّم إلى مالك بن أنس رضي الله عنه حيث يراه المهدي الماء ليغسل يده للطعام، فقال: هذا بدعة، فقال المهدي: يا أبا عبد الله البدعة تعتبر في الشرّ، فأما أبواب الخيرات فإحداثها سنة. وغسل رجل يده مراراً فلم تذهب عنها الدسومة. فقال: كاد هذا الدسم أن يكون لنا نسباً وصهراً. وامتنع أعرابي من غسل اليد بعد الطعام فسئل عنه، فقال: فقد رائحته كفقده.

وكان أعرابي عند سعيد بن مسلم فقعد للطعام فقتل قملة، فقيل له: أغسل يدك، فقال: لا ضير ما بقي على يدي الأخرى شأوها. وكان أعرابي يفلّي ثوبه ويأكل ويحبق(6) فقيل له: أما تستحي ويحك، فقال: وما أنكرت، أُدخل حديثاً وأخرج عتيقاً وأقتل عدواً. وكان عبد الله بن

---

(1) القرآن الكريم: الأنعام/ ١٤١.
(2) القرآن الكريم: البقرة/ ٥٧، ١٧٢.
(3) القرآن الكريم: الأعراف/ ١٥٩.
(4) القرآن الكريم: طه/ ١١٩.
(5) اللّمم: صغار الذنوب.
(6) يحبق: يضرط.

سلمان يبطىء في غسل اليدين ويقول: يجب أن تكون مدته مدة زمان الأكل.

● **ذِكرُ اللّهِ على الطّعام**

قيل: إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل، إذا كان حلالاً وكثرت عليه الأيدي وسمّي الله في أوله وحمد في آخره. **وقال طاوس**: من سمّى الله على طعامه لم يسأله عن نعيمه.

وقيل: ذكر الله على الطعام شفاء يبرىء من الداء، وذكر الناس داء لا يقبل الشفاء. **وقيل**: إذا أكلتم فسمّوا وادنوا، أي أذكروا الله وكلوا مما بين أيديكم.

وكان **ابن عباس** إذا وضع الطعام **يقول**: بسم الله عنّي وعن كل آكل معي. وكان سعيد بن جبير إذا فرغ من الطعام **يقول**: اللهم قد أشبعت وأرويت وطيبت فهنئنا برحمتك. **وقال بعض القصاد**: يا معشر الناس إن الشيطان إذا سمّي الإنسان على الطعام والشراب لم يأكل معه، فكلوا خبز الذرة والمالح ولا تسمّوا ليأكل معكم، ثم اشربوا الماء وسمّوا الله حتى تقتلوه عطشاً.

● **حَمدُ الأكلِ مِن جانبِ الصّحفة وعُذرُ ذلك**

قال النبي ﷺ: إن البركة تنزل في وسط الصحفة فكلوا من جوانبها ولا تأكلوا من وسطها. **وقال أنس بن مالك**: كلْ بيمينك وتناول مما يليك. وأكل أعرابي مع بعض السلاطين، **فقال**: كل ممّا يليك، **فقال**: رأيت جانبك أمرع ومن أجدب انتجع. وأكل أعرابيان على مائدة، فمدّ أحدهما يده، **فقال له الآخر**: كفّ يدك، فإن لك في ما بين يديك مقنعاً، **فقال**: إني من قوم إذا أجدبوا انتجعوا، **فقال له**: ويلك وهل على مائدة أمير المؤمنين جدب، ثم مد الآخر يده، **فقال له صاحبه**: كفّ يدك، **فقال**: إني من قوم إذا أخصبوا تخيّروا فاستحسن عبد الملك كلامه، وأمر له بصلة.

وأكل أعرابي من بني عذرة مع معاوية، فمدّ يده إلى ثريدة بين يدي معاوية، **فقال معاوية**: أخرقتها لتغرق أهلها، **فقال الأعرابي**: ولكن سقناه إلى بلد ميت، فضحك معاوية وأمر له بجائزة. وكان أبو علي بن حمدون في مجلس وعند القوم نقل[1] فمد يده إلى ما بين يدي صديق له، **فقيل له**: ما تفعل؟ فأنشد:

وأحيـانـاً عـلـى بـكـر أخينـا إذا مـا لـم نـجـدِ إلا أخـانـا

وكان الهائم الشاعر على مائدة عليها جدى فجعل يجرّ الجدي الذي كان يليه ولم ينجر، وكان الجانب الذي عليه اللحم يلي قوماً آخرين، **فقال**:

ففينـا غـواشِيهـا وفيـهـم صـدورُهـا

---

(١) **النقل**: ما يؤكل على الشراب من فاكهة أو فستق.

● أوقاتُ الطَّعامِ المحْمودةُ والمَذْمومةُ

سئل طبيبٌ أي أوقات الطعام أحمد، **قال**: أما من قدِر فإذا جاع، ومن لم يقدِرْ فإذا وجد.

● الغَداءُ والعَشاءُ

قيل: العشاء متخمة وتركه مهرمة، **وقال بقراط**: من تعوّد العشاء ثم تركه التبس عليه طبعه. **وقال عمر** رضي الله عنه لابنه: لا تخرج يا بنيّ من منزلك حتّى تأخذ حلمك يعني حتى تتغدى.

دعا الحجّاج رجلاً إلى غدائه. **فقال**: قد أكلت، فقال له الحجاج: إنك لتباكر الغداء، فقال الرجل: لخلال ثلاث إن نوجيت لم يوجد من فمي خلوف، وإن شربت شربت على ثفل، وإن حضرت قوماً أكلت ومعي بقية من عرضي.

وقيل: خير الغداء بواكره **فقيل**: أمحمود ذلك في كل وقت؟ **فقال**: نعم إذا كان شتاء فلطول الليل وإذا كان صيفاً فلبرد الماء وقلّة الذباب. واستدعى رجل الغداء، **فقيل له**: اصبر حتى تطلع الشمس **فقال**: أنتظر بغدائي قادماً من وراء خراسان. **وقيل**: خير الغداء بواكره وخير العشاء سوافره، أي أن تأكل وعليك ضوء.

وسأل رجل الحسن عمّن يأكل مرة، **فقال**: أكل الصالحين، **فقيل**: مرتين. **فقال** غداء وعشاء أكل التجّار، **فقيل**: ثلاث مرات، **فقال**: ذاك حمار يُبنى له آريّ[1]

● ذمُّ الشِّبَعِ والإكْثارُ من الأكلِ وَحَمْدُ الإقْلالِ مِنه

قال النبي ﷺ: إياكم والبطنة فإنها مفسدة للبدن مورثة للسقم مكسلة عن العبادة. **وقال ﷺ**: الرغب شؤم، **وقيل**: الموت جوعاً خير من الحياة شبعاً. **وقال ذو الرياستين**: ما عجبت لإتفاق الأطباء على ثلاث كلمات، **قال طبيب الروم**: كل قليلاً ولا تكن عليلاً. **وقال طبيب فارس**: كل قصداً لا تلق من الكظّة جهداً، **وقال طبيب الهند**: كل قدراً لا تضيق به صدراً.

وقيل: صحة الجسم قلة الطعم، وصحة الروح اجتناب الإثم. وجاء رجل إلى أبي مسلم **فقال**: أعطيك دواء تأكل معه ما شئت فلا يضرّك، **فقال**: لا حاجة لي فيه فقبيح بالإنسان أن يدخل المستراح في كل يوم أكثر من مرة، وقبيح به أن يحن في الشهر أكثر من مرة.

وقال الخليل: أثقل ساعاتي ساعة آكل فيها. **وقال مالك بن دينار**: وددت أن رزقي حصاة أمصها فقد ضجرت من كثرة ترددي إلى الخلاء.

---

(١) **الآري**: مأوى أو مربط الدابة.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾(١)

وقال ﷺ: ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، حسبُ ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان ولا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس.

وفي كتاب كليلة ودمنة: لِيُعد من البهائم من همّته بطنه وفرجه. وكانت العرب تسمي الشبع أبا الكفر. وقيل: إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة. البطنة تذهب الفطنة.

قيل: لا تسكن الحكمة بطناً مليء طعاماً. من الكرم تنزيه القرم. وقيل: الشبع داعية البشم والبشم داعية السقم والسقم داعية الموت، ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة.

قال الحسن: مسكين ابن آدم صريع الشبع أسير الجوع.

قال شاعر:

وإن امتلاء البطْن في جسد الفتَى قليلُ غناء، وهو في الجِسْم صالِحُ

وقال طرفة في عمرو بن هند:

ويشربَ حتّى يغمرَ المحْضُ قلبَه وإن أُعْطه أتركْ لقلبي مجْثَما(٢)

وباع مالك بن دينار جارية فزارته يوماً، فقال: كيف ترين مواليك؟ فقالت: ما أكثر خير بيوتهم، فقال: أخبرتني عن عمران حشوشهم.

وقال يحيى بن معاذ: من أكل حتى شبع عوقب بثلاث، يلقي الغطاء على قلبه والنعاس على عينيه والكسل على جسمه. وقال بشر الحافي: ـ من ضبط بطنه فقد ضبط الأعمال الصالحة كلها. وقال بشر بن الحارث: لا تعوّد نفسك الشبع من الحلال فتدعوك إلى الحرام. وسأله رجل عن غسل الجمعة، فقال: أغسل بطنك يكفيك عن غسل بدنك. واشتهى أبو مسلم الهريسة، فقال لطبّاخه: اشتهيت هريسة فاتخذها أجود ما يكون، فلما قدمت إليه أمر بأن ترفع ولم يأكل، ثم قال له من بعد اتخذ هريسة فاتخذها وقدمها إليه فلم يأكل، وتقدم إليه ثالثاً فعملها وقدمها فلم يأكل، فقال الطبّاخ: أيها الأمير لقد أجدت حتى لا غاية، فما الذي يحجزك عنها؟ قال: رأيت نفسي قد شرهت إلى تناولها فكرهت أن تغلبني شهوتي. وقيل: لا تجعلوا بطونكم خزائن الشيطان يضع فيها ما أحب.

● حدُّ الشّبَع

قيل لأعرابي سأل ما حدّ الشبع، هو الامتلاء من الطعام حتى لا تشتهيه، فقال: وهل يكون ذلك إلا في الجنة. وقال أعرابي: اللهم إني أسألك ميتة كميتة عرفجة، فقيل كيف مات؟ قال: أكل بزخاً وشرب مشعلاً والتف في كسائه ومات فلقي الله شبعان ريان دفآن.

---

(١) القرآن الكريم: السجدة/ ٢٤.

(٢) المحض: من اللبن أو غيره: الخالص الذي لا يخالطه غيره ـ المجثم: الثقل.

● حَمْدُ الطَّوى وَذَمُّه

قال المغيرة بن شعبة: علّموا أولادكم الخفاف احملوهم على الطوى، لأن من اتبع أمراً لزمه، ومن أكثر من تركِه أجمه[1] **وقال الحارث بن كلدة**: يى خير الدواء الأزم[2] وشر الدواء إدخال الطعام على الطعام. **قيل ليوسف عليه السلام**: لم تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ **فقال**: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع. **وقيل**: ترك الأكل يضيق الأمعاء.

● الصَّابِرُ على الجُوع

قال:

ولقد أبيتُ على الطّوى وأظلّه ... حتّى أنال به لذيذَ المطْعَمِ

وخرج أبو خراش في سفر فعدم الطعام أياماً، فمر بامرأة، **فقال**: هل من طعام فأتته بعمروس[3] **فقالت**: إذبحه فذبحه وسلخه ثم شواه، فلما وجد رائحة الشواء قرقر بطنه، فقال: أتقرقر من رائحة الشواء يا ربّة البيت هل من صبر؟ فأتته بصبر فاقتحمه وأتبعه بماء ثم ارتحل، ولم يأكل، **وقال**:

وإني لأثوي الجوع حتّى يمُلّني ... فيذهب، لم تدنّس ثِيابي ولا عِرْضي

وقال آخر:

وأغتبقُ الماءَ القَراحَ وأنتهي ... إذا الزاد أَمسى للمُزلّج ذا طعْم[4]

مخافةَ أن أحيا برغم وذلةٍ ... وللموت خيرُ من حياةٍ على رُغْمِ

● الصَّائِنُ بَطْنَه عمّا يلزم مِنّةً أو مَذَمَّةً

قيل: أحسن بيت في هذا المعنى **قول نهشل**:

أغرّ كمصباحِ الدجنةِ يتّقي ... قذى الزادِ حتّى يستفادَ أطايبُه

وقال:

إذا مَطْعَمي كانَ ذا غصّة ... غسلْتُ يدِي منه قبْل اكتفائي

وقال آخر:

ألبانُ إبْلِ تعلّة بنِ مساور ... ما دامَ يملكُها عليّ حرامُ

وطعامُ عمران بن أوفى مثلُها ... ما دامَ يسلكُ في البُطون طعامُ

إنّ الذين يسوغُ في أعناقِهم ... زاد يمنّ عليهِم للئامُ

قال بعضهم: اكتريت من جمّال، فكان يحدو بنا **بقول الشاعر**:

أبلجُ بيْن حاجبَيْه نورُه

---

(١) **أجمه**: حضره أو قرب منه. (٢) **الأزم**: الإمساك عن الاستكثار من الطعام.

(٣) **العُمروس**: الخروف.

(٤) **اغتبق**: أشرب في العشي ـ **المُزلّج**: البخيل والذي لا خير فيه.

فلما بلغ قوله:

إذا تَـغَـدّى رفـعَـتْ سـتـورُه

أمسك حتى بلغنا المنزل، **فقلنا**: لم لم تكن تنشد قبل هذا؟ **فقال**: تفادياً من أن تحسبوني أعرّض بزادكم.

● حَمْدُ الرِّضا بِما يَتَسَهَّل

قال النبي ﷺ: كفى بالمرء عيباً أن يتسخّط ما قرب إليه. **وقيل**: كلْ في شهوة أهلك. **قال الأصمعي**: رأيت إعرابية تأكل قشور الرمان، **فقلت**: ما هذا؟ **قالت**: أدفع به الجوع، فإن الجوع إذا دفعته بشيء اندفع. **قال شاعر**:

تـنـافـس فـي طِـيـبِ الـطـعـام وكـلّـه ... سـواءٌ إذا مـا جـاوزَ الـلـهَـوات

وقال ابن الرومي:

ومـتـى شـرهـتُ فـإنّ أيـسـر لـذّة ... لـكَ إن نـظـرت مـعَ الـسـلام كـافـيـة

وقال آخر:

ومـا هـي إلا جَـوْعـةٌ إن سـددْتَـهـا ... فـكـلُّ طـعـامٍ بـيْـنَ جـنـبَـيْـكَ واحِـدُ

وقال آخر:

ومـا أكـلَـةٌ إن نِـلـتَـهـا بـغـنـيـمَـة ... ولا جـوعَـةٌ إن جِـعـتَـهـا بـغَـرام

وقال بعضهم: لقيت أعرابياً، فقلت من أين؟ **فقال**: من البادية من جبل ضرَبة، أرض لا نبتغي بها بدلاً ولا عنها حولاً، في أرغد عيش وأنعم معيشة، فالحمد لله على ما بسط من السعة ورزق من حسن الدعة، أو ما سمعت **قول قائلنا**:

إذا مـا أصـبْـنـا كـلّ يـوم مـذيـقـةً ... وخـمـسَ تُـمَـيْراتٍ صغارٍ هوامِزِ(١)

فنحنُ ملوكُ النّاس خصْباً ونعمَةً ... ونحن أسودُ الغابِ وقْت الهَزاهِزِ(٢)

وكَـمْ مُـتَـمـنٍ عـيـشـةً لا يـنـالُـهـا ... ولـو نـالَـهـا أضْـحـى بـهـا جـدّ فـائِـزِ

● الشّاكي عَدَمَ المآكِل

قيل لرجل: بم تسحرت البارحة؟ **فقال**: باليأس عن الفطور الليلة. **وقيل لرجل**: ما تأكل، قال: الخبز والزيت، **فقيل**: أتصبر عليهما، **فقال**: ليتهما صبرا عليّ. قال جرير:

تـكـلّـفـنـي مـعـيـشـةُ آل زيـد ... ومـنْ لـي بـالـمـرقّـقِ والـصّـنـابِ(٣)

وقال أعرابي لامرأته: لو كان عندنا تمر وسمن لطلبنا دقيقاً واستعرنا طنجيراً واتخذنا

---

(١) **المذيقة**: اللبن الممزوج بالماء ـ **الهوامز**: المعصورة أو المكسرة.

(٢) **الهزاهز**: البلايا والحروب.

(٣) **المرقق**: الرغيف المرقق الواسع ـ **الصّناب**: إدامٌ يتّخذ من الخردل والزيت، واللفظة يونانية.

عصيدة. والعرب تسمي الجوع أبا عمرة. **قيل لأعرابي**: أتعرف أبا عمرة؟ **قال**: كيف لا أعرفه وكبدي مخيمة على أمعائه والصفر. **وقيل**: هو حية في البطن تعضّ إذا جاعت صاحبَها. **قال أعرابي**: مالي عهد بعضاض ولا مضاغ ولا لماج ولا شماج منذ زمان. **وقيل**: نزل به أبو عمرة وهو كناية عن الجوع، **وقال**:

حلّ أبو عمرة وسْط حجْرتي

● استطابةُ الجائعِ الطعامَ

قيل لأبي المملس: أي الطعام أطيب؟ **فقال**: طعام لقي الجوع بطعم وافق الشهوة. **قيل**: فما ألذ الأشربة؟ **قال**: شربة ماء تضيع بها غلّتك.

وقال محمد بن جعفر: العين طليعة المعدة. وكان مكتوباً على مائدة أنوشروان: ما طعمته وأنت تشتهيه فقد أكلته، وما طعمته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك. **وقيل**: أحدّ شيء ضرس جائعة.

● مَنْ جِسْمُهُ يُنْبِيء عن جُودَةِ أَكْلِهِ

في المثل: أفواهه هجاسة. **قيل**: يريك البشر ما أجاد مشفر. **وقيل لرجل**: ما أسمنك؟ **فقال**: أكلي الحار وشربي القار والإتكاء على الشمال. **وقيل لآخر، فقال**: قلة الفكرة وطول الدعة والنوم على الكظّة.

● وَصْفُ الأَكَلَة

من الأكلة سعد القراقر، الذي **قيل فيه**: أجوع من كلب حومل. ودرواس الذي **يقول**: الغداء غذاء والغبوق دواء والقليل حمض والجاشرية خفض. **وزهمان الذي قيل فيه** في بطن زهمان زاده.

أكل سليمان بن عبد الملك أربعين دجاجة وثمانين كلية بشحومها وثمانين جردقة[1]، وأحضر الإجاص فأحصى له ثمانمائة نواة. وكان **هلال بن مشعر التيميّ** أكل فصيلاً وأكلت امرأته فصيلاً، فلما تضاجعا لم يصل إليها، **فقالت**: تصل إليّ وبيننا جملان. **وقال سالم بن قتيبة**: عددت للحجاج أربعاً وثمانين لقمة في كل لقمة رغيف فيه ملء كف من سمك طري. وكان معاوية يأكل حتى يتربّع، ثم **يقول**: إرفع ما شبعت حتى مللت.

قال ابن أبي الأسود:

كأنما في فِيهِ أحجارُ الرّحا ... وكأنما في جوْفِهِ تنّورُ

---

(١) **الجردقة**: الرغيف بالفارسية.

وقال آخر:

أقـلّ مـا يـأكـلـهُ أقـلّـه		لا يـحـمـل الـنـيـل ولا يُـقـلّـهُ

ووصف أعرابي رجلاً، فقال: هو أكلة[١] وَكَلة تكَلة[٢]

وقال آخر:

كـأنّـه بـِرذونـة رغُـوث[٣]

وقال آخر:

قـرضابة طرَفاه الدهر في تعَب		ضرسٌ طحونٌ وفرْج يفسِد الدّينا[٤]

وقال آخر:

خـبّ جـبـانٌ وإذا جـاعَ بـكَـى		ولا يـوارى فـرْجـه إذا اصـطَـلـى[٥]

ويـأكُـل الـتـمْـر ولا يـلـقـي الـنّـوى		كـأنّـه غـرارة مـلأى خـنـا[٦]

وقال آخر:

أيـا آكـلُ مِـنْ نـسـارِ		ويـا أشـرَبَ مـن رمْـلِ

وكان بلال بن أبي بردة أكولاً، وفيه يقول الحسن رضي الله عنه: يتكي على شماله ويأكل غير ماله، حتى إذا كظّه الطعام يقول: إبغوا لي هاضوماً. وقيل: وهل تهضم إلا دينك. وقيل لرجل: كيف أكْلُ فلان، فقال كما لا يحبه لبخيل.

ويتمثل في هذا الباب بقول جرير:

كـالحُـوتِ لا يـلْـهيه شيءٌ يـلـهـمُـه		يـصـبِـح ظـمـآنَ وفـي الـبـحْـر فـمُـه

وفي الجشاء، لابن عيينة:

وتـصـبـح تـقـلـس عـن تـخـمَـةٍ		كـأن جـشـاءَك عـن فِـجْـلَـه

● المُسرِعُ اللُّقَم

قال شاعر:

ما بيْـن لقمتِـه الأولى إذا ازدُردَت		وبيْنَ أخرى تلِيها قيس أظْفور[٧]

وقال آخر:

يدارِكُ اللقْمَ ولا يخْشى الغصَص		تـلـقـمـاً يـقـطَـع أزرارَ الـقـمـص

---

(١) أكلة: كثير الأكل.

(٢) وكلة: بليد وتكلة: الذي يسلّم أمره إلى الناس.

(٣) برذونة: دابة غليظة الأعضاء ضخمة تتخذ للحمل خصوصاً ـ الرغوث: كل مرضعة.

(٤) القرضابة: النهم في أكله.		(٥) الخب: الخدّاع.

(٦) الغِرارة: الكيس الكبير توضع فيه الحبوب أو غيرها ـ الخنا: الفحش.

(٧) الأظفور: مادة قرنية في أطراف الأصابع.

وقال آخر: فلان إذا أكل شدق وعلق وحملق أي لقمة في فمه وأخرى في يده وأخرى يرمقها بعينه. **وقيل:** فلان برم قرون لمن لا يدخل في الميسر ثم يأكل تمرتين تمرتين.

وروي أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعاماً فرفع إلى فيه لقمة لم يأخذ غيرها حتى ينقي فاه منها.

● المُعظِّم اللُّقَم

قال شاعر:

أعددت للقم بَناناً مجْرماً ... وضرسَ نابٍ كالرّحا مخرفا
ومعدةً تغلي وبطْناً أكتفا ... حولا دكيكاً ما يذوقُ عَلَفا[1]

وقال أعرابي:

يحشو زوايا بطْنه إذا اضطّرم ... لُقَماً كأمثالِ جلاميدِ الأكَم[2]

وقال البحتري:

وكأن الفتى يطمّ ركابا ... قد تهورن أو يسد بثوقا[3]

وقال آخر:

يلقمُ لقماً ويغدى زادُه ... يرمي بأمثالِ القَطا فؤادُه

وقال آخر:

ترى كلّ محلولِ الإزار كأنما ... يطيّن سطْحاً أو يلقم ناضِحاً[4]

وقيل: فلان إن أكل لفّ وإن شرب اشتف.

قال شاعر:

وكأنما صوتُ التطعّم منهم ... قُبَلٌ يفوه بهنّ صوْتُ شِفاه

وقال آخر:

كأن ذوبه في الحَلق لمّا ... يهمهم صوْتُ رعْد في سَحاب

● الأكْلُ بالمِلْعَقة

أكل أعرابي بملعقة شيئاً فاحترق فمه، **فقال:** أبعدني الله أن أحكم على فمي غير يدي، فإنها رائد حق ونذير صدق، وكره الأكل بالملعقة مع الغير، فإن إدخالها في الفم وإعادتها إلى الصحفة مستقبح. وكان بعض أهل المروآت يضع بين يديه ملاعق فإذا التقم بواحدة لم يعد إليها.

---

(١) أكتف: حفِظَ ـ حولاً دكيكاً.
(٢) جلاميد الأكم: صخور التلال.
(٣) البثوق: اندفاع الماء فجأة.
(٤) الناضح: المطر.

● المملوءُ فَمُهُ من الطَّعام

سلّم رجل على أعرابي، وكان في فمه لقمة، فلما بلعها قال: حياك من خلا فوه.

وقال حميد الأرقط:

أتانا وما داناه سحبانُ وائلٌ ... بياناً وعلماً بالذي هو قائِلُ

فما زالَ عنه اللقمُ حتّى كأنّه ... من العيّ لما أن تكلّم باقِلُ[1]

● مَنْ أكَلَ ما اشْتَهاهُ وَلَمْ يَخَفْ عُقباه

حضر أعرابي طعام أمير فأكل معه، فأحضر الفالوذج، فقال الأمير: إن أكلت هذا حززت رأسك، فنظر ملياً ثم رأى تركه خسراناً، فمد إليه يده وقال: أوصيك بصبيتي خيراً.

مرّ أعرابي بقوم وعندهم طعام، فقال: ما هذا؟ قالوا: زقوم[2]، قال طيّب، والله لأساعدنكم على أكله.

● استدعاءُ الطَّعام

قال الأصمعي: أضفت أعرابياً فلما أكلنا. قلت يا جارية: أطعمينا تيناً فنسيته، فقلت له بعد ساعة أتحسن شيئاً من القرآن، قال: نعم، فقلت: إقرأ، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم والزيتون وطور سينين، فقلت وأين التين، فقال: نسيته أنت وجاريتك من ذلك الوقت.

دخل رجل على قوم يشربون فناولوه أقداحاً، وكان جائعاً، فقال للمغنّي غنّ:

خليليّ داويتما ظاهِراً ... فمَن ذا يُداوي جوى باطِناً

فعلم صاحب الدار أنه جائع، فقال غنّ له:

من يسألِ النّاس يحرموه ... وسائلُ اللهِ ما يَخيبُ

ودخل آخر على قوم، فقالوا له: أي صوت أحب إليك؟ فقال: صوت المقلى.

ودُعي ابن حجاج إلى دعوة مع جماعة فتأخر عنهم الطعام، فقال لصاحب الدعوة:

يا ذاهِباً في دارِه آتيَا ... من غيْر ما معنى ولا فائِدَة

قد جُنّ أضيافُكَ من جوعِهم ... فاقرأ عليْهم سورةَ المائِدة

وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما في دعوة، فاستبطأ الطعام، فقال: ائتونا بالخوان نأنس به إلى أن يحضر الطعام. وقال النبي ﷺ: إن الملائكة لا تزال تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة.

ودخل أعرابي على رجل بين يديه سلّة فيها طعام، فقال: ما هذا؟ قال: بظر أمك. فقال: أعضضن به.

---

(١) باقل: شخص معروف عند العرب بالعِيّ، فيقال: أعيا من باقل.

(٢) الزقّوم: كل طعام يقتل.

ودخل الشعبيّ على أبي عمرو فتطاولا، ثم قال الشعبي: أعندك تحفة؟ فقال: نعم، أي التحفتين أحب إليك، أتحفة إبراهيم أم تحفة مريم. فقال: تحفة إبراهيم عهدي بها الساعة يعني اللحم. ولكن ائتني بتحفة مريم فأتاه بالرطب. وقيل لأعرابي: ما تشتهي؟ فقال: حرف جردق وعرق مرق.

وقال بعض أهل الكوفة: دخل عليّ جعيفران، فقال له: هل من طعام؟ فقلت: سلق بخردل، فقال: فاشتر بطيخاً، فقلت للجارية: قدّمي الطعام واذهبي فاشتري بطيخاً، فقدمت الطعام وذهبت وتباطأت، فقال جعيفران:

سلقتنا وخردلتْ ثمّ ولّتْ وهرولَتْ
وأراها بواجدٍ وافرِ الأيرِ قد خلَتْ

فخرجتُ في طلبها، فإذا بالسائس قد خلا بها في الدهليز كما وصف.

● الاحتجاجُ للتطفّل والتَبَجُّح به

عوتب طفيلي، فقال: كلكم طفيليون لكنكم تجهلون أنكم تؤدون الأعمال من غير أن تدعوا إليها، وسواء تطفل على طعام أو على تمنية.

وقال طفيلي، وقد عوتب: قد تطفل بنو إسرائيل على الله فقالوا ربنا أنزل علينا مائدة من السماء، وقيل لطفيلي: لا يحلّ لك أن تأكل من طعام لم تدع إليه، فقال: هذا خلاف قول الله تعالى، حيث قال: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾[1] إلى قوله: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ﴾[2] إلى قوله: ﴿أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ﴾[3] وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[4]

وقال طفيلي: إن لم أدع ولم أجيء وقعت وحشة، ثم أنشد:

نَزوركُمْ لانكفائكُمْ بجفوَتِكُمْ إن المحبّ إذا لم يُستَزَرْ زارا

وقال آخر:

لا أرى التَطْفيلَ إلا في فتىً حرٍّ كَريم

وقال علي البصري:

أحسنُ الإخوانِ إنْ خفتَ منَ الإخوانِ جفْوه
طرحكَ الحشْمَةَ عنهم وتجي من غيرِ دعْوَه

وقال آخر:

قد أتيناك زائرينَ خِفافا وعلِمنا بأنّ عندَكَ فضْلَه

(١) القرآن الكريم: النور/ ٦١.
(٢) القرآن الكريم: النور/ ٦١.
(٣) القرآن الكريم: النور/ ٦١.
(٤) القرآن الكريم: الحجرات/ ١٠.

إن تـجِـدْنـا كـمَـا تـحِـبّ وإلا ... فـاحـتـمِـلْـنـا فـإنّـمـا هـي أكْـلَـه

● **المَهجوُ بالتَطفُّل وَذَمُّه**

قيل: فلان أطفل من ليل على نهار، وألزم للخوان من منديل الغمر، يأكل لمًّا ويوسع الحي ذماً.

قال ابن طباطبا:

ولـو نـشـر الـنـبـيّ لـكـنْـت مـنـه ... مـكـانَ أبـي هـريـرة غـيْـر مـيْـنِ[1]

ألَــحّ زيــارة لــيــلــفّ زاداً ... مـعـدّاً لابـن فـاطـمـة الـحـسـيـنِ

وقال آخر:

لـو يـسـمـعـونَ بـأكـلَـةٍ أو شـربَـةٍ ... بـعـمّـانَ أمْـسَـى جـمْـعُـهـم بـعَـمّـان

وقال النبي ﷺ: من مشى إلى طعام لم يُدعَ إليه مشى فاسقاً وأكل حراماً. وكان أبو دلف العجلي كتب من الكرخ إلى محمد بن فاخر بأصبهان: إني أريد أن ألم بك يوماً فأضيفك وأرى أصبهان، فهيأ ابن فاخر وأنفق مالاً جمّاً، وكان بأصبهان شويعر بينه وبين ابن فاخر عداوة، فكتب رقعة ودفعها إلى من تصدّى لأبي دلف لما قرب من أصبهان، فقرأها، فإذا فيها:

جِـئْـتَ فـي ألـفِ فـارسٍ ... لـغَـدَاء مِـنَ الـكَـرج

مـا عـلَـى الـمـرْءِ بـعـد ذا ... فـي دنـا الـنـفْـسِ مِـن حَـرَج

فانصرف أبو دلف راجعاً، وأفسد على محمد ما كان هيأه. قال ابن بشر فيمن أكل وحمل:

أكـلُـوا حـتّـى إذا شـبِـعُـوا ... حـمَـلوا الـفـضْـل الـذي تـركُـوا

● **إحتِمالُ المَشقَّةِ فِيه**

قال أبو الجهم:

كـمْ لطمةٍ في حرّ وجهِكَ صلبَةٍ ... مِـنْ كـفّ بـوّاب سـفـيـهٍ ضَـابـطِ

حتّى وصَلْت فنلْت أكلةَ ضيْغَم ... مـتَـضـمّـخ بـدمٍ وأنـفٍ سـاقـطِ[2]

فسمعها طفيلي، **قال**: نعم، من طلب عظيماً خاطر بعظيم.

● **الشَّديدُ الطَمَعْ**

قيل: هو أطمع من أشعب، وكان قيل لأشعب: ما بلغ من طمعك؟ **فقال**: ما زفّت عروس إلا كنّست بأبي ورشّشته، طمعاً أن تُحمل إلى داري، وما سارر أحد أحداً إلا ظننته

---

(١) **أبو هريرة**: من أصحاب النبيّ ومن رواة الحديث النبوي ـ **المين**: الكذب.

(٢) **الضيغم**: الأسد ـ **أنف ساقط**: ذليل.

يأمر لي بشيء. **وقيل الطفيلي**: ما بلغ من طمعك؟ **فقال**: ما سألتني عن هذا إلا وفي نيتك أن تعطيني شيئاً.

● حَثُّ المُتَطفِّل على الوَقَاحَة

رأى طفيليٌ آخر **فقال له**: هلاّ حضرت دعوة فلان، **فقال**: لا يجتمع التطفيل والحياء، أما سمعت قول الشاعر:

لا تستحيِنّ من القريب ولا مِنَ الفظّ البَعيدِ
ودَعِ الحَيَاءَ فإنّما وجهُ المطفِّلِ مِنْ حديدِ[1]

● نَوادِرُ المُتطفّلين

سمع طفيلي خشخشة الإبريق فأمسك عن الطعام، فقيل له في ذلك، **فقال**: حتى يسكن هذا الإرجاف. **وقيل لآخر**: ما بال وجهك أصفر؟ **فقال**: للفترة بين القصعتين أخاف أن يكون الطعام انقطع. وقيل لآخر ما تحفظ من القرآن، قال قوله تعالى: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[2] **وقيل لآخر**: اشتر لنا لحماً، **فقال**: لا أحسن الشراء، فقيل له أوقد النار، **قال**: أنا كسلان، **فقيل** له أطبخ **قال**: لا أحسن الطبخ. فلما غرف الطعام، **قيل**: له تقدم فكل، **فقال**: أكره أن أكثر مخالفتكم. وحضر طفيلي باب دعوة فمنعه البواب، فقام ينظر من صير الباب إلى الأطعمة، **وأنشد**:

ومالَكَ منها غيرُ أنّكَ ناظرٌ بعينَيْكَ عينَيْها وهل ذاكَ نافِعٌ

وأكل أعرابي عند قوم، فلما أراد الخروج قيل له: هل تعود إلينا؟ **فقال**: ليس مثل السوء لي، ولكن الكلب لا يدع خانطاً شبع منه. وقال طفيلي لقوم يحضرون دعوة: إجعلوني لحقاً بين سطرين.

● أَكْلُ فُضالَةِ المائِدَة

روي عن النبي ﷺ: من أكل من فضالة ما يسقط من المائدة لم يزل في سعة من الرزق ما كان، ووقي هو وولده وولد ولده الحمق. **وقيل**: مهور الحور العين أكل فتات المائدة.

● الخِلال

قال جعفر بن سليمان: لا بد من الخلال[3] وهو مخربة للأسنان. ودخل رستاقي على قوم يأكلون فأطعموه فلما فرغوا أعطوه، فأخذ يتأملهم ظناً منه أنهم يريدون قلع

---

(١) **المطفل**: الذي يأتي الولائم من غير أن يُدعى إليها.

(٢) **القرآن الكريم**: الكهف/ ٦٣.

(٣) **الخِلال والخِلالة**: ما تخلّل به الأسنان وتزال بقيّة الطعام بين الأسنان.

أسنانهم، فأخرج مسلة معه فقلع ضواحكه والتفت إليه، **وقال**: أنتم بعد في حفر أصل واحدة، وها أنا قد نزعت أربعاً.

وأكل طبري مع قوم فلما فرغوا دفعوا إليه خلالاً فقطنه مما يؤكل فأكله فنظر الغلام إليه فلم ير الخِلال معه، فدفع إليه آخر، **فقال الطبري**: قد أكلت واحداً ولا أشتهي غيره.

● أنواعٌ من هذا الفَصل

قال النبي ﷺ: إذا صنع خادم أحدكم طعاماً فليجلسه معه أو يناوله، وقال: لا تأكلوا في غربال ولا منخل، فإنه يمحق البركة ولا يشبع. وأتي ﷺ بطعام شديد الحرارة، **فقال**: ما كان الله ليطعمنا النار أقروه حتى يبرد، فإن الطعام الحار ممحوق البركة وللشيطان فيه شرك.

قال البحتري:

تنازعنا المدامَةَ وهي صِرْفٌ ... وأعجلنا الطبائِخَ وهي نَارُ

(٣)
وممّا جاء في الدعاء إلى الدعوات

●

● أسماءُ الدّعوات

المأدبة، والمأدبة الدعوة والوليمة عند الأملاك، **والعرس** عند البناء بالأهل، **والخرس** للولادة، **والأعذار** للختان، **والنقيعة** للقدوم من سفر، وكذلك **السفرة والوكيرة**، **والحيرة** للبناء، **والوضيمة** للمأتم، **والعقيقة** لأول ما يؤخذ من شعر الولد، **والنَقَرى** التخصيص في الدعوة، والجَفَلَى التعميم فيها[1] **قال** بعض الأدباء العارفين بالفارسية: ليس في اللغة الفارسية شيء من أسماء هذه الدعوات.

● الحثُ على اتخاذِ الدُّعوةِ والإجابةُ إليها.

قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أولم ولو بشاة. **وقال ﷺ**: لو دعيت إلى كراع لأجبت، ولو أهدي إليّ ذراع لقبلت.

ورُوي أن أصحاب النبي ﷺ كانوا إذا اجتمعوا لم يتفرّقوا إلا عن ذواق[2] **وقال** ﷺ: إذا دُعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن شاء طعم وإن شاء ترك. وفي حديث آخر فإن كان مفطراً فليأكل وإن كان صائماً فليصلّ، أي ليدعُ لهم بالبركة.

---

(١) فيها: أي في الدعوة.
(٢) الذواق: الطعم.

وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما إذا ادعي إلى طعام يحضر، فإن كان مفطراً أكل وإلا قال كلوا بسم الله ويذكر أن النبي ﷺ قال: الصائم إذا أكل عنده سبّحت أعضاؤه.

● **المُستدعي صاحبَه زاعماً أنّ به يَتمُّ السرورُ**

كتب **أبو الفرج الدمشقي** إلى صديق له:

شــهــدَ الله أنّ كــلّ ســرورٍ ... غبْتَ عنه فليْسَ لي بسرورِ

وقال آخر:

نحنُ في أطيبِ الحُبورِ ولكن ... ليس إلاّ بكُم يتمُّ السرورُ
عيبَ ما نحنُ فيه يا أهلَ ودّي ... أنكُم غبْتُم ونحن حضورُ
فأعدوا المَسيرَ بلْ إن قدرتُم ... أن تطيرُوا معَ الرّياحِ فَطِيرُوا

وقال الصولي:

حضَر السرورُ وعيبُه ... أن لسْتَ مسعدَنا عليْه

وقال آخر:

ائتِنا إن عندنا بغضَ منْ أنتَ ... له وامقٌ منَ الأصحابِ[1]
وأناسٌ فيهِم وفيهم ولكن ... ليس بدّ منَ القذَى في الشّرابِ

● **مَنْ دعا صَديقَه وَوَصَفَ له طَعامَه وشَرابَه**

كتب **جحظة** إلى صديق له:

لنَا يا أخِي فرحةٌ وافرةٌ ... وقدْرٌ موفّرةٌ حاضِرَه
وراحٌ تُريكَ إذا صفّقتْ ... سنَا البرقِ في الليلةِ الماطِرَه[2]
ومسْمِعَةٌ لمْ يخُنْها الصّوابُ ... وزامرةٌ أيّما زامِرَه[3]
وما شئتَ من خبَرٍ نادرٍ ... ونادرةٍ بعْدها نادِرَه
فوافِ وإن كنتَ يا ابنَ الكرامِ ... وحاشاكَ في السّاعةِ الآخِرَه

وكتب الوزير العباس إلى نديم له:

أيّها الكوفيّ شيْخي ... قمْ بنَا نحو الدويرَه
فلَنا فضلةُ سكبا ... جٍ لدينا في قَديرَه
ومدامٌ من دمِ الكَرْ ... مَةِ باتَسْتْ في ذكيرَه[4]
وإذا ما ارتاحَتِ النفسُ ... من الراحِ قُطيْرَه[5]

---

(١) وامق: محبّ.
(٢) الراح: الخمر.
(٣) مسمعة: منشدة.
(٤) الذكيرة: الجيّدة الحفظ.
(٥) القطيرة: القطرة الصغيرة.

فضجيجي ساعِداً عمـ ... ـرو وشيخي مع عميرَه

ودعا رجل صديقاً له، فقال ما عندك؟ قال: مرقة طيبة ونفس تستطيب أكلها، فقال: مثلك يجاب.

وكتب أبو سعد بن نوقة إلى أبي مسلم بن بحر، وراسله برسول يكنّى أبا بكر

إن كنتَ تأكلُ ما حضَره ... فاحضَر فإنك منتَظَرْ
والساعةُ اقتربَتْ لفرْ ... ط الجُوعِ وانشقَّ القمَرْ[1]
ورسولُنا بكتابِنا ... هذا الظريفُ أبو بكرْ
وبإذنِه حرّكْتُ منه ... الكافَ كيلاَ ينكسِرْ[2]

وقال محمد بن باج:

عندنَا قِدرٌ لذيذٌ ... ليس للقِدْرِ شريكُ
ونبيذٌ من زبيب ... وغزالٌ يستنيك
فائتِنا نأكلْ ونشربْ ... ثمّ نخلو فننيكُ

وقال آخر:

وماذا ترَى في برمَة بقريَةٍ ... وأخذٍ بأطرافِ الحديث المنمّق

كتب ابن مكرم إلى أبي العيناء: عندنا سكباج يرعف المجنون وحديث يطرب المحزون وإخوانك الملحدون، فلا تعلوا عليّ وائتون. فكتب إليه أبو العيناء إخسأوا فيها ولا تكلمون.

● مَنْ دَعا أصحابَه وَوَصَفَ لَهم مِنَ الأطْعِمَة ما لمْ يفِ به

قال الأعمش لجليس له: أتشتهي جدياً سميناً وأرغفة باردة وخلاً حاذقاً؟ فقال: أي والله قال: فانهض معي. فحمله إلى داره وقدم إليه خبزاً يابساً وبقلاً وخلاً. قال: فأين الجدي والأرغفة؟ قال: لم أقل لك هما عندي وإنما قلت تشتهيه.

والمسمّى بابن العباس الأبله قال لبعض من استقبله: هل لك في قديد هش وخبز لين وخبيص ملبق، قال: أي والله قال: إذهب إلى السوق فاشترها فإني قد اشتهيتها وها أنا أعود إلى دارك لآكلها.

قال العطوي: دخلت على أبي سعيد المخزومي وهو بين بابين وعلى أحدهما:

نعمَ النديمُ نديم لا يكلّفني ... ذبحَ الدجاج ولا ذبحَ الفراريج
يرضى بقدرَيْن من بُرّ ومن عدس ... وأن تشهّى فزيتونٌ بطيبوج[3]

---

(١) انشق القمر: تعبير عن الكشف والظهور. (٢) حركت الكاف: يعني حُركت بلفظ بكر.
(٣) الطيبوج: ضرب من الطعام.

فقلت قد رضيت بزيتون واعفيتك من القدرين، فقال: إقرأ ما على الحائط الآخر فإذا عليه:

إشرَبْ على الخيْرِ والريق ... لبعدنا الآنَ من السوقِ
لا تطلبَنّ الخبْزَ من بيتِنا ... فإنّما تنفُخُ في البُوقِ[١]

● مَنْ دعَا أخاه فاستعْجَلَه

قال كشاجم في أبيات كتب بها إلى صديق له يدعوه:

فكُنْ جَوابي ولا تركُنْ إلى عذرٍ ... فإن ركنتَ إلى شيء أتيناهُ
فقد تيقنْتُ أني ما التَمَسْت أخاً ... مساعِداً قط إلا كنتَ إيّاهُ

وكتب أبو مسلم بن بحر إلى أبي سعيد بن نوقة:

تلقّاك يومُك بالأسعدِ ... وأعطيْت سؤلَك في أحمَدِ
فبادِر إليّ وُقيت الرّدى ... وهبْ لي صلاتَك في المسْجِدِ[٢]

وقال آخر:

جُعِلْتُ فداكَ قدْ حضَر الطعامُ ... وصاحَتْ من تأخُّرِكَ المُدامُ
فإما جئْتَنا عجِلاً وإلا ... أخذْنا في اغتيابِك والسلامُ

وقال منصور:

كتبتُ والكاسُ في يمْناي مترعةٌ ... وأحسَنُ الناس يُلهينا ويَسْقِينَا
ونحْنُ في مجلسٍ حلّ السرورُ به ... خلْوَيْن من ثالثٍ حتّى توافينَا
فكُنْ جوابَ كتابي والسّلام فما ... أراكَ تذكِرُنا إلا مجانِينَا

وقال آخر:

كنْ جوابي إذا قرأتَ كِتابي ... لا تردَنَّ للكِتاب جَوَابا
أعفِني من نعَم وسوْف ولي شغـ ... ـل، وكنْ سيّداً دُعِي فأجابَا

● مُعاتبَة مُتباطِيء

قال بعض الناس: دعاني رجل إلى وليمة في يوم جمعة فمضيت إلى الجامع وتشاغلت فجئته مع العتمة، فقال لي: يا هذا عصيت الله في هذا اليوم ثلاث مرات، مضيت إلى الصلاة قبل النداء، وقد قال الله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٣] وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٤]

---

(١) تنفخ في البوق: كناية عن الطلب المستحيل.
(٢) بادر: أسرع بالمجي، وقوله وقيت الردى: دعاء بأن يكلأه الله ويحميه، والردى الموت.
(٣) القرآن الكريم: الجمعة/٩. (٤) القرآن الكريم: الجمعة/١٠.

فأقمت إلى العتمة، وعصيت الرسول، حيث قال: الداعي مستغيث فأغيثوه، فأخجلني.

قال كشاجم:

تـأخّرتَ حتّـى كـددت الـرسولَ ... وحتّـى سئِمْـتُ من الانـتـظـارِ
وأوحشْتَ إخوانَك المسعدين ... وفـجـعـتَـهـم بـشـبـابِ الـنَّـهـارِ
وأضـرمْـتَ بـالـجُـوع أحشاءَهم ... بـنـارٍ تـزيـدُ عـلـى كـلّ نـارِ
فـإن كـنـت تـأمـلُ أن لا تُـذَمَّ ... فـأنـتَ وحـقّـكَ عـيـنُ الـحـمـارِ

وكتب الصاحب إلى أبي الحسن العلوي في أبيات، وكان قد عاد إلى داره لشغل ووعد أن يعود إليه، فلم يعد:

لم ملْت في العود إلى التقصير ... كما يُقالُ حَوْصلي وطَيْري[1]

- **الحَثُّ على تَرْكِ مَن تَباطأ أو تأخّر**

قال ابن المعتز:

إذا مـا تـأخّـرَ مَـنْ قـد دعَـوْتَ ... فـدَعْـه ومـا اخـتـارَ مـن أمْـرِهِ
ولا تـشـربَـنّ بـتـذكـارِه ... ولـكِـن تـشـاءبْ عـلَـى ذِكْـرِه

وقال آخر:

إن الـفـتـوّة كـلُّـهـا ... فـي أكْـل مـا يـتـلـهـوجُ؟
فـإذا تـعـجّـل خـمـسـةٌ ... مـن سـتـةٍ قـد أزعـجُـوا
فـدَعْ انـتـظـاركَ واحِـداً ... لـجـمـاعـةٍ قـد زوّجـوا
إن الـبَـطـيءَ عـن الـدعـا ... ءِ إلـى الإجـاعـةِ أحـوجُ

- **المُعْتذِرُ لِتأخرِه عَن مَن دَعاهُ**

كتب المهلّبي إلى صديق دعاه فلم يمكنه الحضور:

لـولا شـغـيـلٌ عـاقَـنـي ... بـالـقُـرْبِ حـاولَ عـن مـزارِك
لأتـيـتُ نـحـوك مـسـرِعـاً ... ولـصـرْتُ مـنْ غـلـمـانِ دارِك
فَـبِـحَـق طـرْفِـكَ وافـتِـنـا ... نِـك والـمـهـذّبِ مـن نِـجـارِك[2]
إلا مـنـنـت وقـلـت لـي ... إنّـي وهـبْـتـك لاعـتـذارِك

وقال ابن طباطبا:

أبسطوا العذر في التأخر عنكم ... شغلَ الحلي أهلَه أن يُعارا

(١) يقال: حَوْصَل الطائر: ملأ حوصلته.
(٢) النجار: الحسب والأصل.

● **فَضلُ المُجيبِ الدّعوةَ على داعِيه**

قال ناصر الدولة، وقد دعاه إنسان إلى دعوته:

مــــن دعَـــا فـــأبـــيْـــنـــا فـــلـــهُ الـــفـــضْـــلُ عَـــلـــيْـــنـــا
فـــإذا نـــحْـــن أجـــبْـــنـــا رجـــعَ الـــفـــضْـــلِ إلـــيْـــنـــا

ودعا بعض الناس أديباً فامتنع، فقيل له في ذلك، **فقال**: إنه دعاني مرة فأجبته فلم يشكرني عليه.

قال شاعر:

أتـانـي رسـولُـك يـبْـغـي الـحـضـورَ فـخـلـيـت مـنْ كـنـتُ فـي دعـوَتِـه
وجـئـتُـك يـا سـيّـدي مـسـرِعـاً كـأنّـي نـوالُـك فـي سـرعَـتِـه

وقال ابن الحجاج في أبيات له:

جـئـتُ بـلا وعْـدٍ لأنّـي فـتـىً يـضـجِـرُنـي الـتـسـويـفُ والـوعْـدُ

● **مُعاتبَة مَنْ شَرِبَ الدّواءَ فلم يَدعُه**

قال أبو القاسم بن أبي سعد الأصبهاني:

أبـا فـرج عـشْ سـعـيـداً لـنَـا ودمْـتَ وبـلـغْـتَ أقـصَـى الـمُـنـى
أسـأتَ إلـيْـنـا وأوحـشْـتَـنـا وكـنـتَ قـديـمـاً فـتـىً مُـحْـسِـنـاً
ولـلـبـيـتِ مـصـراعُـه الـمـسـتـفِـيض ولـولاكَ جـئْـتُ بـه مـعـلـنـا
فـبـيّـن لـنـا الـعـذْرَ فـيـمَـا أتـيْـتَ وصـل جـمْـعَـنـا واغـتـنِـم شـكْـرَنـا

● **الدّاعي مَنْ لا يَدْعوه**

كان بدمشق شاعران يتعاشران، وأحدهما مكثر عن الآخر ولا يدعوه إلى منزله، فكتب إليه:

أبــداً تــحــصــلُ عــنْــدي ثــم لا أحــصَــل عــنْــدَك[1]
إن تُــنــاصِــفْــنِــي وإلا أبــتْ يــا طــائــي وحــدَك[2]

ذكر بعض الكتاب أنه كان يعاشر سوقياً فاتفق أن دعاه يوماً، **قال**: فلما تمكنت اشتغل عني صاحب الدعوة فعثرت برقعة بخطه فيها: فلان دعاني مرتين ودعوته ثلاث مرات فعليه دعوة، وقد ذكرنا على هذا أسامي كل من يعاشرنا، فلما انتهيت إلى اسمي فرأيته قد حصل له على دعوات، فخرجت **وقلت**: عليّ أن لا

---

(١) **لا أحصل عندك**: أي لا أكون ولا أثبت.
(٢) **الطائي**: المقصود الكريم.

أتناول طعامك حتى أرد ما عليّ، قال: فقلت في ذلك:

أرى الدعواتِ قد صارَتْ فُروضاً ... ولا أدعو فيلْقاني بغِيضاً

وقال آخر:

إذا كنتَ تدعُوني لأدعوكَ مثلَه ... ففعلُك منحولٌ إلى فعْل تاجرِ(١)

● **الحَثُّ على تَجْليد الإرسال إِلى مَنْ دَعوْتَه والتعريض**

إذا ما كانَ بينَك في عشي ... وبين أخ من الإخوان وعْدُ

فجَدِّدْ بالغداةِ له رسُولاً ... فإن حوادِثَ الأيام تغْدو(٢)

ومثله:

إذا صاحبٌ لكَ واعدْتَه ... ليوم اجتماع من الجمْعة

فقوِّ عزيمتَه في الوَفا ... بتذكرَة لك في رقْعَة

واجتمع قوم في دار ليلةً فأرادوا الصبوح، فقال المغني: دعوا صاحب الدار لي فإني أحمله على أن يحتبسكم، فغنّى:

ومعرسٍ طلبَ الصبوحَ وإنني ... لفتى يوافقُني الصّباح وحسْنُه(٣)

فقال الرجل لجاريته: القوم أرادوا الاصطباح فما الحيلة؟ فقالت الجارية: دعهم لي وأخذت العود، وغنت:

ودارِ ندامى عطّلوها وأدلَجوا ... بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارِسُ(٤)

فانصرف القوم.

(٤)
وممّا جاء في الأجواد بالقرى

●

قيل لأعرابي: ما القِرى؟ فقال: نار يعلو شرفها وخيمة يوطأ كنفها. وقال آخر: نلقى النزيل بالوجه الجميل. وقيل: بذل القِرى فوق بذل الندى.

● **الحَثُّ على الإضافة**

قال الله تعالى في مدح قوم: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾(٥) وقال

(١) منحول إلى تاجر: منسوب إلى التجارة.

(٢) الغداة: وقت طعام الغدوة ـ تغدو: تبكر وتتحول.

(٣) الصبوح: ما أكل وشرب في الصباح ـ المُعرّس: مكان للراحة والطعام.

(٤) أدلجوا: ساروا ليلاً ـ الدارس: الذي امّحى. (٥) القرآن الكريم: الدهر/٨.

النبي ﷺ: أطعموا الطعام وأفشوا السلام وصلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام، وقال ﷺ: إذا نزل الضيف بقوم نزل برزقه وإذا ارتحل عنهم ارتحل بذنوبهم. **وقال:** أيما مسلم أضاف فأصبح الضيف محروماً، فحق على كل مسلم نصرته حتى يأخذ قرى ليلته من زرعه أو ماله.

وقال أنس بن مالك: كلّ بيت لا يدخله ضيف سبعة أيام لم تدخله الملائكة.

ومرّ قتيبة بعذرة **فقال:** إن من يبخل يصير حاله إلى هذا البخيل. **وقيل لبعضهم:** ما الكرم؟ **فقال:** طعام مبذول ونائل موصول ووفاء لا يحول. **وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه:** لأن اختبز صاعاً أو صاعين فأدعوا إليه نفراً من إخواني أحب إليّ من أن أعتق رقبة.

● **حَثُّ الشّافِعِ المشفوعَ إليه على الاصْطِناع**

كلّم علي بن الحسين رضي الله عنهما عاملاً في رجل، **فقال:** أنا لا أكلمك في ما يوهي دينك ويوتغ[1] أمانتك، ولكن الحُر القادر إذا أراد أن يحسن أحسن. **وقال الواثق** يوماً لأحمد بن أبي داود، تضجراً بكثرة حوائجه! قد اختلت بيوت المال بطلباتك للائذين بك والمتوسلين إليك، **فقال:** يا أمير المؤمنين هي نتائج شكرها متصل بك وذخائر أجرها مكتوب لك، ومالي من ذلك إلا أن أخلد المدح فيك، **فقال:** أحسنت، وشفعه. وكتب **الصاحب في فصل:**

والــفــتَــى إن أرادَ نَــفْــعَ أخِــيــه　　　فــهــو يــذري فــي أمــرِه كــيْــف يــسْــعــى

(٥)
وممّا جاء في الجود والأجواد

●

● **ما حدُّ به الجُودُ والأَجْواد**

قيل للأحنف: ما السخاء؟ **قال:** الاحتيال للمعروف، **قيل:** فما اللؤم؟ **قال:** الاستقصاء على الملهوف. **وقيل:** السخي من كان بماله متبرعاً وعن مال غيره متورّعاً.

وقيل: لصوفي من الجواد من الناس؟ **فقال:** الذي يؤدي ما افترض عليه. وقيل للحسن رضي الله عنه مَن السخيُّ؟ **فقال:** الذي لو كانت الدنيا له فأنفقها لرأى عليه بعد ذلك حقوقاً. **وقال بعضهم:** الناس أربعة: جواد وهو الذي يعطي حظ دنياه وآخرته، وبخيل وهو الذي لا يعطي واحداً منهما، ومسرف وهو الذي جعل ماله لدنياه، ومقتصد وهو الذي أعطى كلاً بقدره.

---

(١) **يوتغ أمانتك:** يفسدها.

● كَونُ السّخاءِ واقياً من النّقم

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فلن تكفروه﴾[2] وقال النبي ﷺ: أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، وقال: عليكم باصطناع المعروف فإنه يقي مصارع السوء، وقال ﷺ: السخاء شجرة من أشجار الجنّة أغصانها متدليّة في الدنيا فمن أخذ بغصن من أغصانها أدّاه إلى الجنة، والبخل شجرة من أشجار النار فمن أخذ بغصن من أغصانها أداه إلى النار.

وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما أمهل فرعون مع ادعائه الربوبية لسهولة إذنه وبذل طعامه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: صاحب المعروف لا يقع، وإن وقع وجد متكأ وقيل لحكيم: ما الذي يشبه من أفعال العباد فعل الله؟ فقال: الإحسان إلى الناس.

● كَونُ المُحسنِ محبوباً عندَ اللّهِ ورسولِه

قال النبي ﷺ: ألا أدلكم على شيء يحبه الله ورسوله، قالوا بلى، قال: التغابن[3] للناس. وقال ﷺ: تجافوا عن ذنب السخي، فإن الله تعالى آخذ بيده. وقال: السخي قريب من الله قريب من الناس، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس. وقال ﷺ: سادةُ الناس في الدنيا الاسخياء وفي الآخرة الاتقياء. وقال: الخلق كلّهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله.

وقالت عائشة رضي الله عنها: جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها. وقيل: من بذل دراهمه أحبه الناس طوعاً أو كرهاً. وقيل: من غزر عوارفه كثر معارفه. وقيل لحكيم: هل شيء خير من الدراهم والدنانير قال معطيهما، ابن علقمة:

ولا تسأل الأضيافَ منْ همْ فإنّهم ... همُ النّاسُ من معروفٍ وجهٍ ومنكَرِ

● مَنْ لاَ يتعلّل على مُعْتفيه

قال معاوية بن جعفر:

بـل لا نـقـولُ إذا تـبـوّأ مـنـزلاً ... إن الـمـحـلّـة شـعـبُـهـا مكـدودُ[4]

إذ بعـضُـهـم يـحْـمـي مراصدَ بيتَه ... عـنْ جـاره وسـبـيـلُـنـا مـورودُ[5]

وقال آخر:

أضفْتُ ولـم أفحِش عليْه ولم أقُل ... لأحـرمَـه إن الـفـنـاءَ مَـضـيـقُ

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/ ١٩٧ و٢١٥. (٢) القرآن الكريم: النساء/ ١٢٦.

(٣) تغابن القوم: أن يغبن القوم بعضهم بعضاً، ويوم التغابن يوم البعث إذ يغبن أهلُ الجنة أهل النار أي استنقصوا عقولهم لاختيارهم الكفر ومن معاني التغابن التغافل والنسيان ولعلّه المقصود في هذا السياق.

(٤) المكدود: المغلوب. (٥) وسبيلنا مورود: طريقنا سالك.

● مَن لا يَغلِقُ بَابَه على مُعْتَفِيه

قيل: أمدح بيت قالته العرب، قوله:

يُغْشَوْن حتّى ما تهرّ كلابُهم لا يسألون عنِ السّواد المقْبِلِ[1]

وقال الرستمي:

ولم يُغْلَقوا أبوابَهم دونَ ضَيْفِهم ولا شتَموا خدّامهم ساعةَ الأكْلِ

إذا تغذّى رفعت ستورَه

وقال آخر:

وإذا حضرَنا البابَ عند غدائه أذنَ الغداءَ لنا برغم الحاجبِ

ولما عرس جعفر بن يحيى بابنه علي بن عيسى بن ماهان، جعل الطعام في الشوارع، فكلّ من شاء أكل، وجعلت الغوالي[2] في مراكن من ذهب فمن شاء تطيب ومن شاء أخذ وانصرف.

وكان عبيد الله بن عباس رضي الله عنهما يُسمّى معلم الجود، وهو أول من وضع الموائد على الطريق وكانت نفقته كل يوم خمسمائة دينار.

● النازلُ الرّوابي والأطرافَ

وقال أبو فراس:

لنا بيتٌ على عنقِ الثريّا رفيعُ مذاهبِ الأطنابِ سَامِي[3]

تظلّلهُ الفوارسُ بالعَوالي وتفرشُه الولائدُ بالطّعامِ[4]

وقال ابن هرمة:

أغشى الطريقَ بقبّتي ورواقِها وأحلّ في نشزَ الربا فأقيمُ[5]

قيل للحسن رضي الله عنه كيف نزلت بالأطراف، فقال: هي منازل الأشراف يتناولون من أرادوا بالقدرة عليه ويتناولهم من أرادهم بالحاجة إليهم.

● المبادِرُ إلى حَمْلِ الضّيف

قال شاعر:

وقمْتُ إليه مسرِعاً فغنمتُه مخافةَ قَوْمي أن يفوزوا به قَبْلُ

فأوسعَني حمْداً وأوسعْتُه قِرىً وأرخصْ بحمدٍ كان كاسِبَه الأكلُ

---

(١) تهر الكلاب: تنبح خائفة ـ السواد: العامة من الناس.

(٢) الغوالي: جمع غالية وهي وعاء الطيب أو العطر.

(٣) الأطناب: النواحي ـ الثريا: مجموعة من الكواكب، والمقصود البيت المنارة.

(٤) الولائد: جمع وليدة، المحدثة من كل شيء (٥) نشز الربى: الربى المرتفعة.

● **المسرورُ بِمَجيءِ الضّيفِ وَشاكرُهُ عليه**

قال دعبل:

اللهُ يَعلمُ أنني ما سرّني ... شيءٌ كطارقةِ الضيوفِ النزّلِ
ما زلتُ بالترحيب حتى خلتُني ... ضيفاً لهُ والضيفُ ربّ المنزلِ

وله:

نغماتُ الضيفِ أحلى عندنا ... من ثغاءِ الشاءِ أو تلكَ الوَغا[١]

وقال آخر:

لم يُطيقُوا أن يسمَعوا فسمِعْنا ... فصَبَرْنا على رحَى الأسنانِ
صوتُ مضغِ الضيوفِ أحسنُ عندي ... من غِناءِ القيانِ بالعِيدانِ

وقال الحرمازي:

لضيفي على الطّول ما دام نَازِلاً ... عليّ وفوقَ الطولِ ما استوطَن الرحْلا[٢]

● **المُختشِدُ لأَضْيافِهِ**

قال بعضهم:

فتىً لا تعدُ الرسلُ تقضي ذمامَه ... إذا نزلَ الأضيافُ أو تُنحرُ الجزرُ

وقال بعضهم: دعا فأحسن قِراناً وبرح حتى لم يبق في داره ما يتفقدنا به مرة أخرى. وقيل لبعض ما اتخذ دعوة: أسرفت، **فقال:** ليس في الشرف سرف. وقال الحسن فيما ظن لرجل أولم أسرف فليس في الطعام سرف. **قال كشاجم:**

كأنّ الزائرينَ إذا أتَوه ... مفاجأة أتَوْه على تَعادِ[٣]

● **الحَثُّ على تَرْكِ التَكلُّف وتَعجيلِ الحاضِر**

قال النبي ﷺ: هلاك بالرجل أن يدخل عليه النفر من أصحابه فيحتقر ما في بيته أن يقدم إليهم، وقال: لا أحب المتكلفين. دعي أمير المؤمنين إلى دعوة **فقال:** على أن لا تحتشد ما ليس عندك ولا تحتبس ما عندك. **وقال بكر المزني:** إذا أتاك ضيف فلا تنتظر به ما ليس عندك وتمنعه ما هو عندك، قدم إليه ما حضر. **وقيل:** الضيف إلى القليل العاجل أحوج منه إلى الكثير الآجل، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٍ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾[٥]، وقال بعض العلوية:

إذا طرقْتَ فمَا حضَر ... وإذا دعَوْتَ فلا تَذَر

---

(١) **الوغا:** الصوت والجلبة.
(٢) **الطول:** مدى الدهر ـ **استوطن الرحل:** أقام في المنزل.
(٣) **على تعادٍ:** أي أتوه متبارين في العدو.
(٤) **القرآن الكريم:** هود/ ٦٩.
(٥) **القرآن الكريم:** الأحزاب/ ٥٣.

● عُذْرُ مَنْ قَدَّمَ ما حَضَر

نزل ضيف بأعرابية فقدمت له خبزاً يابساً ولبنا حامضاً، فذمّها وقال:

ألم ترَ أن المرءَ من ضيقِ عيْشه ... يُلام على أخلاقِه وهو معْذَرُ
وما ذاكَ من لؤمٍ ولا مِن ضراعةٍ ... ولكنّه إن يطبلُ الدهْرُ يزمرُ[1]

وقال آخر:

إذا أنتَ لمْ تشركْ رفيقَك في الذي ... يكونُ قليلاً لم تشاركْه في الفَضْلِ

وقال آخر:

أقلّ عاراً إذا ضيفٌ تضيّفَني ... ما كانَ عندي إذا أعطَيْت مجْهودي
جهْد المقِلّ إذا أعطاكَ نائِلَه ... ومكثِرٌ من غِنى سيّان في الجُودِ

● عُذْرُ مَنْ لم يَقْدِرْ

استضاف قوم ابن هرمة فخرجت بنيّة له فصرفتهم واعتذرت إليهم، فقالوا لها: أليس أبوك القائل:

لا أمنعُ العودَ بالفِصال ولا ... أبتاعُ إلاّ قريبةَ الأجلِ

قالت: هذا الفعل هو الذي ترككم بلا قرى. وقال رجل لمن سأله فلم يعطه فعاتبه: بيتي يبخل لا أنا.

● عَتَبُ مَنْ لم يَرْضَ بِما حَضَرَ

قال شقيق: دخلنا على سلمان، فقدم إلينا شيئاً، وقال: لولا أن النبي ﷺ نهانا أن نتكلف للضيف لتكلّفت لكم. فجاءنا بخبز وملح فاقترحنا عليه السعتر فذهب بمطهرّته، فلما أكلنا، قال أحدنا: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا، فقال سلمان: لو قنعكم لم تكن مطهرتي[2] مرهونة. وقيل: ليس بكريم من لم يقنع بما حضر.

● مَدْحُ مَنْ آثَرَ على نَفْسِهِ أَوْ أَهْلِهِ

نزل ضيف على أنصاري، وكان عنده شيء طفيف فأحضره، وأطفأ السراج ليأكل الضيف فلا يشاركه فيه، فلما أصبح قال النبي ﷺ: عجب ربكم تعالى البارحة منكم فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[3] وقال صوفي لآخر: كيف يعمل فقراؤكم، قال: إذا وجدوا أكلوا وإذا عدموا صبروا، فقال: هذا فعل الكلاب إن الفقير منّا إذا عدم صبر وإذا وجد طعاماً آثر به غيره. وقال مالك بن دينار يوماً: ما أكلت

(١) يزمر: يصوّت. (٢) المَطهرة والمِطهرة (بفتح الميم وكسرها): إناء يتطهّر به.
(٣) القرآن الكريم: الحشر/ ٩.

العام رطبة، وكان حوله سبعمائة في تلك السنة لحطمة نالتهم. قال شاعر:

وزاد رفعْتُ الكفّ عنه تكرّماً إذا ابتدرَ القومُ القليلُ من العقْل

وقال آخر:

كريمٌ مكانُ الكفّ من ذي إنائِه إذا قلّ زادُ القوْم من جانِب اليَدِ

وقال آخر:

سأقدحُ منْ قِدْري نصيباً لجارَتي وإن كانَ ما فيها كفافاً على أهْلي

- **المُساعِدُ ضَيفَهُ في مُؤاكَلَتِهِ**

قال النبي ﷺ لبعض نسائه: آكلي ضيفك، فالضيف يستحي أن يأكل وحده. وكان ملوك الهند يؤاكلون أضيافهم وملوك الفرس يأكلون بعدهم.

قال بعضهم:

حسنُ أكلِ الفتَى يدلّ على إينا سِه ضيْفَه وبسْطِ أكيلِه

وتراهُ يفلّ منه ويدعو ذاك أضيافَه إلى تبْخِيلِه

وقال آخر:

وزادٍ وضعْتُ الكفّ فيه تأنّساً وما فيه لولا أنسة الضّيْفِ من أكْلِ

- **المُساعِدُ رُفقاءَه بِذات يَدِهِ**

قال بعضهم:

وإني إذا ما ضمّني السيْر والسّرى جعلْت مطايا الرحْل منّا تعاقُبا

فأوسعُ ركبانِ الفيافي مزَاودي وما زالَ مأدومي لصحْبي تناهبا[1]

ألوب وقد نفضتُ ما في حقائِبي جميعاً إذا ردّ اللئام الحقائِبا

وقال أرطأة بن سهية:

وما دونَ ضيْفي من تِلادٍ تحوزُه لي النفْس إلا أن تصانَ الحلائِلُ

- **الحَثُّ على إِكرام الضَّيْفِ**

قال النبي ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، وقال ﷺ: ليس مني من بات شبعان وضيفه بطنه طاو. **وقال عمرو بن الأهتم:**

وجاري لا يهينُنه وضيْفي إذا أمسَى وراءَ البيْت كور[2]

---

(١) **مزاودي:** ما بقي من حطام الزاد في المزود إذا نفضه القادم من السفر ـ **المأدوم:** من الطعام المخلوط بالإدام.

(٢) **الكور:** موضع الزنانير، **والكُور أيضاً:** رحل البعير.

وقال آخر:

والـضـيـف أكـرمـه فـإن مـبـيـتَـه | حـق ولاتـك لـعـنـةً لـلـمـنـزلِ

● **مَدْحُ القائِمِ بِخِدْمَةِ الضَّيْفِ**

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾[1]، قيل: وصفهم بذلك لأنه قام بخدمتهم بنفسه. قال المقنع:

وإني لعَبْدُ الضيفِ ما دامَ نازلاً | ولا فيّ إلا تلْك من شيمَة العبْدِ

وقال:

وعـبـدٌ لـلـصّـحـابـة غـيـرُ عـبْـد

وقال جحظة البرمكي:

يـا أمّ طـارق لـيـل قـد ألـمّ بـنـا | اسـتـغـنـمـي أجـره فـالأجـر مـغْـتـنَـمُ

كـونـي لـه أَمَـة فـيـمـا يـحـلّ لـه | ورفّـهـيـه فـفـي تـرفـيـهـه كَـرَمُ

ونزل ضيف بجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فتخفّف هو وغلمانه عند نزوله وعاونوه في حلوله، فلما أراد الإرتحال عنهم لم يعنه غلام، فشكاهم، فقال: إن غلماننا لا يعينون على الإرتحال عنا.

● **الاستِقْصاءُ على الأكيل مَدْحاً وَذَمّاً**

قال ابن عون: ما رأيت أسخى بالطعام من الحسن وابن سيرين. وكان الحسن رضي الله عنه يقول: الطعام أهون من أن يحلف عليه، وكان ابن سيرين يحلف بقول: أقسمت لتأكلن. قال دعبل:

كيفَ احتيالي لبسْطِ الضيْفِ من حصرٍ | عنْد الطّعام فقد ضاقَتْ به حِيَلي

وقدّم رجل إلى الشعبي طعاماً فقصّر في أكله، فقال: قصرت، فقال: يا هذا أما أن تحلف علينا أو تدعنا. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما من داخل إلا وله حيرة فابدأوه بالسلام، وما من مدعو إلى طعام إلا وله حشمة فابدأوه باليمين.

● **مُحادَثَةُ الأَكيلِ**

كَره قوم الحديث على المائدة واستحبه قوم، ومن صاحب الدعوة أحسن، ولذلك قال الشاعر:

صـادف أنـسـاً وحَـديـثـاً مـا اشـتـهـى | إنّ الـحَـديـث طـرَفٌ مـن الـقِـرى[2]

وقيل: محادثة الإخوان تزيد في لذة الطعام.

---

(١) القرآن الكريم: الذاريات/ ٢٤.

(٢) القِرى: الكرم وما يقدم للضيف.

وقال أحمد بن أبي طاهر:

وأكثرُ ما ألذّ به وألهو ... محادثةُ الضيوفِ على الطّعامِ

وقيل: من أكثر الكلام على طعامه غش بطنه، وثقل على إخوانه.

- **مُضاحَكَةُ الأضيافِ**

قال شاعر:

أضاحِكُ ضيْفي قبْلَ إنزالِ رحْله ... ويخصبُ عندي والمحلّ جديبُ

وما الخصْب للأضيافِ أن يكثُرَ القِرى ... ولكنّما وجهُ الكريمِ خصيب

وقال أعرابي:

نقريهم الوجه ثُمّ البذْلُ يتبعُه ... لا نتركُ الجهْدَ منا قلّ أو كثُرا[1]

وقال آخر:

أبسُط وجْهي للضيوف النزّل ... والوجْهُ عنوانُ الكريمِ المفضِلِ

- **فَضْلُ الاجتِماعِ عَلى الأكْلِ**

شكا رجل إلى النبي ﷺ قلّة البركة في طعامهم، فقال: لعلكم تتفرقون على طعامكم، قال نعم، قال: اجتمعوا عليه واذكروا اسم الله لديه. وقال ﷺ: ألا أخبركم بشراركم، من أكل وحده وضرب عبده ومنع رفده. وكانت العرب تعد التفرد بالأكل احتقاب وزر[2] حتى أنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾[3]، وقال أبو أمامة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾[4] أنه الذي يأكل وحده، قال شاعر:

إذا ما صنعتِ الزادَ فالتمِسي لهُ ... أكيلاً فإنّي لسْت آكلَه وحْدي

وقال عبد الله بن المعتز في اجتماع الأيدي على الطعام:

كأن أكفّ القوْمِ في جفناتِه ... قطا لم ينفرْه عن الماءِ صارِخُ[5]

- **مَنْ نَحَرَ سِمانَ الإبِلِ للضَّيْف**

وصف أعرابي رجلاً فقال: نحر لنا ذا سديف مسرهد[6] ونيء غير مصرد، فقدّمه في جفان كالجوابي[7] وقدور كالخوابي.

---

(١) **نقريهم**: نضيفهم ونكرمهم ـ **الجهد**: الطاقة والوسع.

(٢) **احتقاب وزر**: ارتكاب إثم. (٣) **القرآن الكريم**: البقرة/١٩٨

(٤) **القرآن الكريم**: العاديات/٦.

(٥) **جفناته**: جمع جفنة، وهي القصعة ـ **القطا**: طائر بحجم الحمام يعيش في الصحراء.

(٦) **ذو سديف**: أي جمل ذو شحم في حدبته ـ **مسرهد**: كثير الشحم في الحدبة.

(٧) **الجوابي**: جمع جابية وهي الحوض والخوابي الجرار العظيمة.

قال العجير السلوي:

وإن ابنَ عمّي لابن زيد وأنه ... لبلال أيدي حلّة الشوْل بالدمِ[1]

وقال ابن المعتز:

والسيْفُ راعي إبلي في المحْل ... يسلمها إلى قدور تغلي
يرقلُ فيها بالوقودِ الجزل ... لرقالِها في السيْر تحتَ الرحْلِ[2]

وقال المتنبي:

تفري صوارمه الساعاتِ عبطَ دمِ ... كأنما الساعُ قُفّال ونُزّال[3]

- **مَنْ نَحرَها لَهُ لمّا قَلَّ لَبَنُها**

قال لبيد:

إذا ما درُّها لم يُقرِ ضيْفاً ... ضمِنَ له قِراه من الشحوم

وقال عوف بن الأحوص:

إذا الشّوْلُ راحَتْ ثم لَمْ يغْدُ حملُها ... بألبانها ذاقَ السنان عقيرَها[4]

- **الخائِفُ إبِلِه النّحْرُ**

قال أبو هرمة:

وكانتْ تطير الشول عرفانَ صَوْته ... ولم تمْس إلا وهي خائفة العَقْرِ[5]

وقال أبو فراس:

وتصبح الكومُ أشتاتاً مروعةً ... لا تأمن الدهرَ إلا من أعاديها[6]

- **مَنْ لا يُبْقي إِبِلَه لِحُسْنِها عَن النّحْر**

قال بعضهم:

إذا أخذت بزل المخاضِ سلاحها ... تجرّد فيها مُتْلفُ المالِ كاسبه[7]

وقال البسامي:

ترى إبلَ البخيل لها سلاحٌ ... تُهاب وما لإبلي من سلاحِ
تناوِح إنْ رأتْ شخصاً غريباً ... يُوافي عند هبّات الرياحِ

---

(١) **بلاّل أيدي**: كناية عن الأيدي التي تعطي - **الشول**: بقية اللبن في الضرع.

(٢) **يرقل**: يسرع - **رقالها**: سرعتها.

(٣) **صوارمه**: سيوفه - **العبط**: العبيط، الطري - **الساع**: جمع ساعة - **نُزّال**: نازلون - **قفّال**: راجعون.

(٤) **السنان**: نصل الرمح - **العقير**: ذبحها - **الشول**: الناقة وقد جفّ لبنها.

(٥) **خائفة العقر**: خائفة الذبح. (٦) **الكوم**: القطعة من الإبل - **مروّعة**: خائفة.

(٧) **الزل**: قليل لحم العجز والفخذ - **المخاض**: وجع الولادة.

● **المُوقِدُ نارَهُ لِلأضياف**

قيل لأعرابي: ممن أنت؟ **قال**: ممن لا يزجر وفودهم ولا يسر وقودهم. وقيل لآخر مثله، **فقال**: ممن يهتدي برأيه الصحب ويستدل بناره الركب. وقال آخر: لهم نار وارية الزناد[1] قديمة الولاد تضيء لها البلاد ويحيى بها العباد.

وقال مضرس:

وإني لأدعوُ الضيْفَ بالضرّ بعْدما ... كسا الأرضَ نضّاحُ الجليدِ وجامدُه[2]

وقال آخر:

لـه نـارٌ تـشـبّ بـكـلّ قـاعٍ ... إذا الـنـيـرانُ أُلـبِسَـت الـقِـنـاعـا

وقال ابن مطرود:

أوقدَ الـنـار بـالـفَـضـا حـيـن لـم يرْ ... ضَ نـبـاحَ الـكـلابِ لـلأضـيـافِ

وقال كعب الأشعري:

رفعُوا الوقودَ على الجِبال ترفّعا ... أن يـسـتـدلّ عـلـيـهِـم بـنـبـاحِ

وقال ابن ميادة:

وناراه نار يجذبُ الضيفَ ضوؤها ... وأخرى يُصيب المجرمين سعيرُها

وأما قول الآخر:

متى تأتِنا تلمِمْ بنا في ديارِنا ... تجدْ حطَباً جزْلاً وناراً تأجّجا[3]

فلم يتبجح إلا بوجود الحطب والنار في اللفظ، **وقد أحسن القائل**:

متى تأتِه تعشُو إلى ضوءِ ناره ... تجدْ خيرَ نار عندها خيرُ موقِدِ

● **المُتَبَجِّحُ بِأَنَّ كِلابَهُ تُسَرُّ بِمَجِيءِ الضَّيْف**

قال جرير:

حبيبٌ إلى كلبِ الكريم مناخُه ... يفيضُ إلى الكوماء والكلبُ أبصرُ[4]

وقال آخر:

وكـلـبُـك أبـصـرَ الـمـعـتـفِـيـن ... مـن الأمّ بـابـنـتِـهـا الـزاهِـدة

وقال عبد الأعلى العبدي:

فللكلب لمّا أن هداه إلى القِرى ... نصيبٌ وللنّورِ الدليل نصيبُ

وقال ابن هرمة:

ويدلّ ضيْفي في الظلام على القِرى ... إشـرافُ نـاري أو نـبـاحُ كِـلابـي

---

(١) **وارية الزناد**: التي خرجت نارها.

(٢) **نضاح الجليد**: منثور الماء الجامد.

(٣) **جزل الحطب**: عظم وغلظ.

(٤) **الكوماء**: الناقة العظيمة السنام.

حتى إذا واجهته وعرفته ... فديته ببصابص الأذناب[1]

وقال آخر:

يبصبصُ كلبُنا إن جاءَ ضيفٌ ... ويقتُل إن ترمرَم بالهرير[2]

● **المُتَبَجِّحُ بأنَّ كِلابَهُ لا تَهِرُّ على الضَّيف**

قال حسّان بن ثابت:

يُغْشَوْن حتّى ما تهرّ كلابُهم ... لا يَسألون عن السّواد المقبِلِ[3]

وقال آخر:

وما يكُ فيَّ من عيبٍ فإنّي ... جبانُ الكلبِ مهزولُ الفَصِيل

قال الأصمعي لبعض الأعراب: ما تعرفون من مكارم الأخلاق؟ قال: تضيء نارنا للضيف ولا تنبح كلابنا، ونقريه وجوهنا قبل طعامنا.

قال الفرزدق:

وإنّي سفيهُ النّار للمبتغي القِرى ... وإنّي حليمُ الكلْبِ للضيف يطرقُ

فجمع بين سفه النار وهو فرط التهابها وحلم الكلب، وذلك بديع.

● **البارِزُ قِدْرُه**

قال بعض بني غطفان:

قُدُوري بصحراء منصوبةٌ ... ولا تمنَعُ الضيفَ أشجافِيَه[4]

وقال حاتم:

لا تستُري قِدْري إذا ما طبخْتِها ... عَلَيَّ إذاً ما تطبُخين حرامُ

وقال الراعي:

إني أقسِمُ قِدري وهي بارِزةٌ ... إذ كلّ قدر عروسٌ ذاتُ جِلبابِ[5]

● **العَظيمُ قِدْرُه**

قال حسّان:

رأيتُ قدورَ الصاد حوْلَ بيوتِنا ... قنابل دهما في المباءة صيما[6]

---

(١) **بصابص الأذناب**: الجمال الدقيقة الضعيفة.

(٢) **يبصبص**: يحرك ذنبه ـ **ترمرم بالهرير**: صوت الكلب دون نباح.

(٣) **تهر كلابهم**: تنبح خائفة ـ **السواد**: العامة من الناس.

(٤) **أسجافيه**: الأسجاف جمع سجف، الستران بينهما فرجة.

(٥) **قدر ذو جلباب**: مغطى، ومستتر.

(٦) **الصاد**: النحاس ـ **القَنابِل**: العظيم الرأس ـ **دهماً**: سوداً ـ **المباءة**: المنزل.

وقال آخر:

نصبْنا له جوفاءَ ذات ضبابةٍ ... من الدهْم مبْطاناً طويلاً ركودُها[١]

ولما قال مضرس:

وقِدْرٍ كحيزوم النّعامَة أحمشتْ ... بأجذال خشم زالَ عنها هشيمُها[٢]

سمع ذلك زياد الأعجم، فقال: وما حيزوم النعامة لعن الله هذه من قدر، فما أحسبها تشبع آل مضرس، فقيل له: فكيف تقول أنت؟ قال أقول:

وقدْرٍ كجوْف الليلِ أحمشتُ غليَها ... ترَى الفِيلَ فيها طافِياً لمْ يفْصَلِ

لو أن بَنِي حواءَ حوْل رمادِها ... لما كانَ مَنْهم واحِدٌ غيْرُ مضطلِ

● **غَلَيَانُ القِدْر**

قال الفرزدق:

كأن المجالَ الغرّ في حجُراتها ... عذارى بذت لمّا أصيبُ حميمُها[٣]

وقال دهبل:

وباتَتْ قدرُنا طرَبَاً تُغنّي ... علانِيَةً بأغضاء الجزورِ[٤]

وقال الكميت:

كأن هريرَ الغَلْي في جنَباتِها ... تغيّظ غيْرن عند بغضِ الضَرائرِ[٥]

وقال الشاعر:

وقدورٌ على اليفَاع ينادِي ... الضيْفَ منها تغيّظُ الغَلَيانِ[٦]

وقد زاد هذا الشاعر حيث زعم أن غليان قدره يدعو أضيافه، وإن كان فيه غلو معن بن زائدة في وصفه:

إذا اختلفَتْ أوصالُها فكأنّما ... يزعزعُها من شدّة القَلْي أفكلُ[٧]

وقال آخر:

كأن صياحَ الغَلْي في سجراتِها ... بغايا عليهِنّ الحليُ يُقَعْقِعُ[٨]

---

(١) **ذات ضبابة**: حديدة عريضة يضبب بها الباب أو غيره.

(٢) **حيزوم النعامة**: صدرها ـ **أجذال خشم**: ما بقي من الخيشوم ـ **الهشيم**: اليابس المتكسّر.

(٣) **المجال**: محل الجولان ـ **حجراتها**: نواحيها ـ **بذت**: ساءت حالتها.

(٤) **الجزور**: ما يجزر من النوق.

(٥) **هرير**: صوت ـ **تغيظ**: تغضب ـ **الضرائر**: جمع ضرّة وهي امرأة الزوج.

(٦) **اليفاع**: التلّ المشرف.

(٧) **الأفكل**: الجماعة ـ **يقال**: جاء القوم بأفكلهم أي بأجمعهم.

(٨) **سجراتها**: سجر التنور أوقده وأحماه ـ **يُقعقع**: صوّت.

وقال عامر بن الصلتان:

كأنّ تتابعَ الغَليانِ فيها ... فوارسُ عامرٍ تبغي قِراعا

● العَظِيم الجِفان

قال الأعشى:

يروحُ على آل المحلّق جفنة ... كجابيةِ الشيْخ العِراقي تفهَقُ[1]

وقال السفاح بن بكيرة:

المالىء الشيزى لأضيافِه ... كأنها أعضاد حَوْضٍ بِقاعِ

وقال أبو خراش:

نقاتلُ جوعَهم بمكللاتٍ ... من الفُرْنيّ يرعبُها الجميلُ[2]

● المُكْثِرُ مَرَقَه لمّا قَلَّ لَحْمُهُ

قال زيد الفوارس:

وسّع بمدّك ماءَ اللحمِ تقسمُه ... وأكثِرِ الشربَ إنْ لمْ يكثرِ اللبَنُ

وقيل: أكثروا المرق، فإنه أحد اللحمين.

● المُرخصُ لَحْمَهُ مَطْبوخاً

قال شبيب بن البرصاء:

وإنّي لأغلي اللحمَ نيئاً وإنني ... لمِمّن يهينُ اللحمَ وهو نضيجُ

وقال بعض بني ضبة:

أرى ذاكَ في عيْني قبيحاً وللفتى ... سوى الجارِ ربحٌ في التجارة واسعُ

(٦)

وممّا جاء في البُخلاء بالقِرى

●

● بَخيلٌ بالطّعامُ مُتجوّزٌ

قال ابن الحسن العصفوري:

لا تكارم تشبّهاً بالكرامِ ... ليس تخفى الوجوهُ عند الطّعامِ

---

(١) الجفنة: القصعة ـ الجابية: الحوض الضخم ـ تفهق: تمتلىء حتى تتصبّب.

(٢) الفرنيّ: خبز غليظ مستدير يروى بالسمن واللبن والسكر.

● **مَنْ لا يَحْتَشِدُ لِضَيْفِهِ إِلاَّ بَعْدَ حُضورِهِ**

قال شاعر:

خافَ الضياع على شيءٍ يعجلهُ ... من المآكل إن أصحابه ثقلُوا
فما يقلّ على العجْلان برمته ... حتّى يرَى أنهم في الدارِ قد حصَلوا[1]

وحكي عن بعض البخلاء أنه رؤي في داره جمل قد نبر وجعل سميطاً، وهو يجول في داره، قال فسألته عنه، **فقال**: إنا دعونا قوماً فخفنا أن يتأخروا فجعلنا الجمل على هذا لكي إن حضروا سهل إصلاحه وإن تأخروا لم يلحقنا ضرر بذبحه.

● **مَنْ قلّ في دعوَتِهِ الطَّعَامُ**

أكل رجل مع بعض الهاشميين فكان على مائدته أرغفة متبدّدة، فلما فرغ من رغيفه، **قال**: يا غلام فرسي، **فقال الهاشمي**: وما تصنع به قال أركبه إلى ذلك الرغيف. **وقال وهب بن شاذان**:

ماتَ في عرْس سليما ... نَ من الجُوع جماعَه
مات أقوامٌ وقومٌ ... علِموا فيه القنَاعه
لم يكن ذلك عرساً ... إنما كان مجاعَه

وقال بعضهم: من ضاف فلاناً استغنى عن الكنيف وأمن التخمة.

قال محمد بن يوسف:

أبني سعيد إنكم من معْشرِ ... لا يعْرفونَ كرامةَ الأضيافِ
قرنوا الغداء إلى العَشاء وقرّبوا ... زاداً لعمر أبيك ليس بكافِ
بينا كذلك جاءَهم كبراؤُهم ... يلحون في التبذيرِ والإسرافِ

وأضاف رجل أعرابياً فلم يأته بشيء يأكله، حتى غشي عليه من الجوع، فأخذ يقرأ عليه القرآن، **فقال:**

لخبْزٌ يا أخي عليه لحْمٌ ... أحبّ إليّ من حسن القران
تظلّ تدَهْدِه القرآن حوْلي ... كأنّي من عفاريتِ الزّمانِ[2]

● **مَنْ لا تَمسُّ يدُ ضَيْفِهِ طَعامَه. قال شاعر:**

أما الرغيفُ لدى السخوا ... ن فكالحَمام لدى الحَرَمْ
ما أن يُحَسّ ولا يُمَـ ... سّ ولا يُذاقُ ولا يُشَمّ

---

(١) **العجلان**: المسرع ـ برمته: قِدره.

(٢) **تدهده**: تقلب بعضه على بعض.

وقال المصيصي:

يضعُ الطعامَ وليس إلا شمّه   علقتْ روائحُه بأنفِ الزائرِ
فعلى جليسِك غسْلُ عينيه إذا   رفعَ الخِوان معَ الهجاء السائرِ

وقال جحظة:

طوبى لمَن يشبَع من خبزِكم   فهو على مهجتِه آمِن

● مَن شَبع وضَيفُهُ جائعٌ

قال فضالة:

وحسْب الفتَى لؤماً إذا باتَ طاعِماً   بطيناً وأمسى ضيفُه غيْرَ طاعِمِ

وقال آخر:

وشبع الفتَى لؤمٌ إذا جاعَ صاحبُه

قال الأعشى في علقمة:

تبيتون في المشتى ملاءً بطونُكم   وجاراتُكم غرثى يبتْن خمائِصا[1]

فقال علقمة: فضحني والله، اللهم أخزه إن لم يكن صادقاً.

● مَن يُؤذي ولا يَقري

قال بعضهم:

إن يوقِدوا يوسعونا من دخانِهم   وليْس يدركُنا ما تُنضِج النارُ

وقال آخر:

لا يرتَجي الجارُ خيراً في بيوتِهم   ولا محالةَ من شتْم وإلغابِ[2]

● المُنفرِدُ عن أصْحابِهِ بالأكْل

قال بعضهم:

يروغُ ويأكلُ في جفْنَةٍ   وأكبادُ ضيفانه جائِعَه[3]

وقيل للجماز: من يحضر مائدة الهبيرا، فقال: أكرم خلق الله الكرام الكاتبون. واصطحب رجلان، فقال أحدهما للآخر: تعال حتى نأكل معاً، وقال: معي خبز ومعك خبز، فلولا أنك تريد الشر لأكلت وحدك. وقيل لآخر: ألا تأكل معنا؟ فقال: الجماعة مجاعة. قال الشاعر:

الآكلونَ خبيثَ الزّاد وحدَهم   والسائِلونَ بظَهر الغَيْبِ ما الخَبَرُ[4]

---

(١) غرثى: جائعات ـ الخمائص: الخاليات البطن الضامرات من الجوع.

(٢) إلغاب: تقبيح الكلام.   (٣) جائشة: طامعة.

(٤) الخبيث: عكسه الطيّب ـ الزاد: الطعام يتخذ للسفر، والمقصود: يجنون سوء ما زرعوا وحدهم.

ومر رجل بآخر يأكل فسلم عليه **فقال له**: هلمّ. فهمّ الرجل أن يقعد معه، **فقال الآكل**: رفقاً أما عرفت هذا ما هو؟ **فقال**: ما هو؟ **قال**: عليّ أن أقول هلمّ، وعليك أن تقول هنيئاً، حتى يكون كلاماً بكلام. فقام الرجل، **فقال**: قد أعفيتك من التسليم ومن تكليف الرد، **فقال**: قد أعفيت نفسي إذاً من هلمّ.

قال شاعر:

وجيرة لا ترَى في النّاس مثلَهم ... إذا يكون لهم عيدٌ وإفطارُ

أن يوقِدوا يوسِعونا من دخانِهم ... وليس يدركُنا ما تُنضِج النّارُ

- **المُستأثِرُ بِسَنى الطَّعامِ على الضَّيف**

قيل: كان مالك بن المنذر يقدم إليه ثريدة بلقاء ما يليه منها حواري، وما يلي الناس خشكار، **فقال شاعر**:

أميرٌ يأكلُ الفالوذ فرْداً ... ويطْعِم ضيفَه خبْزَ الشّعيرِ

وقال أبو بكر بن أبي سعيد لأبي الفضل بن العميد وقد استبد بأكل طعام دون ندمائه: أيها الأستاذ هذا من الصفايا، أراد به **قول الشاعر**:

لك المرباعُ منها والصّفايا[1]

وقال: وقد قُدّم طعام فمدّ أبو الفضل سبط العميد يده فتناوله، **فقال**: أنت كما **قال**:

أبوك لنا غيثٌ نعيشُ بسيبِه ... وأنت جرادٌ لستَ تُبْقي ولا تَذَرُ[2]

- **مَنْ حَرَدِ لِتناوُلِ أكيلِهِ ما بَيْنَ يَدَه**

أكل أعرابي مع سليمان بن عبد الملك، فتناول الأعرابي من بين يديه شيئاً فأكله، ثم مدّ يده فتناول شيئاً آخر، **فقال سليمان**: كل ممّا يليك، **فقال**: أو ههنا حمى، **فقال**: خذها لا هنأ لك المرتع.

وأكل صعصعة مع معاوية فأخذ شيئاً من بين يديه، **فقال معاوية**: انتجعت، **فقال**: من أجدب انتجع ومن لم يعد الجواب انقطع. وأكل آخر مع معاوية فجعل يمزق جدياً على المائدة ويمعن في أكله، **فقال معاوية**: إنك تحرد عليه كأن أمه نطحتك، **فقال الرجل**: وإنك المشفق عليه كأن أمه أرضعتك.

- **ذَمُّ مَنْ لا يُظْفَرُ بِخُبْزِهِ**

قيل لرجل: كيف وجدت فلاناً؟ **قال**: كان بي الجوع فانتظرت الطعام فأبطأ

---

(١) **الصفايا**: ما يختاره القائد لنفسه من الغنيمة قبل القسمة.

(٢) **السيب**: المطر الجاري، وهنا بمعنى العطاء.

حتى درسته بمضغ اللبان مخافة النسيان. **قال ابن باذان:**

قـد عـلـمـنـا أنّ فـي دا رِك مـا يـكـفـي قـبـيـلَـه
ورأيـنـا عـرض بـسـتـا نِـك والـفـرش الـنـبـيـلَـه
غـيـرَ أن الـجِـنّ لا تـقـ ـدر فـي خـبـزك حـيـلَـه

وقال شاعر:

لـو دخـلـت مـنـزِلـه ذرةٌ لـم تـجـدِ الـذرةُ مـا تَـأكُـلُ

وقال آخر:

قـد فـرّ مـن مـنـزِلـه فـأرُه وعـاذَ بـالـجِـيـران مـسـتـرزِقـا[١]

هو مأخوذ من **قول امرأة لزوجها:** والله ما تقيم الفأرة في دارك إلا لحب الوطن.

وقال أبو نواس:

ومـا خـبـزه إلا كـعـنـقـاء مـغـربٍ تصوّر في بسطِ المُلوك وفي المثَلِ[٢]

وقال آخر:

وخـبـزُك غـيـرُ مـنـقـطِـعِ الـتّـرابِ

وقال بعضهم: خبزه في الهواء لا يوصل إليه إلا بسلم من زبد في يوم صائف.

● **الصّغيرُ الأواني**

ذمّ رجل آخر، **فقال:** غضائره[٣] مساق وألوانه أواق. **وقال آخر:** فلان دعواته ولائم وأقداحه محاجم وكؤوسه محابر ونوادره بوادر. **قال أبو نواس:**

رأيتُ قدورُ الناس سُوداً من الصلَى وقِدْرَ الرقاشيين زهراءَ كالبَدْرِ[٤]
يـبـيـنُـهـا لـلـمـعـتـفِـي بـفـنـائِـهـم ثلاثٌ كحظّ الشاء من نقطة الحِبْرِ
ولـو جـئـتَـهـا مـلأى عَـبـيـطـاً مُـجزلاً لأخرجتَ ما فيها على طَرَف الظّفرِ[٥]

وقال معن بن زائدة:

وقـدر كـكـف الـقـرْد لا مـسـتـعـيرُهـا يـعَـار ولا مَـنْ ذاقـهـا يـتـدسَّـمُ

● **الصّغيرُ الرُغفان**

قال الخوارزمي:

كـأنّ رغـفـانَـه إذا وضـعَـت عـشـورُ نـقـط كـتـبْـنِ فـي ورَق

---

(١) **عاذ بالجيران:** لجأ إليهم.

(٢) **عنقاء مُغرِب:** طائر خرافي مجول الجسم ولا وجود له، ويقال للإخبار عن هلاك الشيء وبطلانه.

(٣) **غضائره:** جمع غضارة، وهي القصعة الكبيرة - **وأواق:** قليلة الطعام.

(٤) **زهراء كالبدر:** متلألئة. (٥) **على طرف الظفر:** كناية عن القلّة والخسة.

وقال البسامي:

أتانا بخُبْزٍ له حامِضٍ ... شبيهِ الدراهم في حليتِهِ
يضرسُ آكلَه طعمُه ... وينشب في الحلق من خشنتِهِ[1]
فلمّا تنفسْتُ عند الخوانِ ... تطايرَ في الجوّ منْ خفتِهِ

● **مَنْ يَصْعُبُ عَليه كَسْرُ رُغفانِهِ**

قال اليزيدي: سيان كسر رغيفه أو كسر عظم من عظامه.

ونحوه:

كأنّما كلّ لقْمَةٍ أكلَتْ ... منزوعةٌ من يديْه مختلسَه

قال جحظة:

ولمّا كسَرْت لهُ جردَقاً ... ومن ذا يُطيقُ له كسر جردَقْ[2]
تغيّر لي عن جَميع الودادِ ... فصار جريراً وصِرتُ الفرزدَقْ[3]

● **الصّائِنُ طَعَامَه البَاذِلُ عِرْضَه وأهْلَه**

قال شاعر:

وباتَ رخِيصاً عندَه صونُ عرْضِه ... ورغفانُه في النّاس جدّ نوالِ[4]

وقال وهب:

قد كان يعجبُني لو أن غيرتَه ... على جرادقِهِ كانَتْ على حرَمِه

وقال عبدان:

رغيفُك في الأمنِ يا رستُمي ... يحلّ محَلّ حَمامِ الحَرَمِ
فلله درّك يا سيّدي ... حرامُ الرغيفِ حلالُ الحرم

وقيل لبخيل: إنك تكرم خبزك وتهين لإكرامه نفسك، **فقال:** كيف لا أفعل ذلك والخبز هو الذي أخرج حواء وآدم وإبليس والطاوس من الجنة بسببه؟

● **المُعَيِّرُ ضَيفَه بِكَثْرةِ أكْلِهِ والمانِعُ**

قال رجل لبعض الكبار: لم لا تدعوني لدعوتك؟ **فقال:** لأنك جيد المضغ شديد البلع، إذا أكلت لقمة هيأت أخرى، **فقال:** أتريدني إذا أكلت لقمة أن أصلّي ركعتين بين كل لقمتين.

وصنع أعرابي طعاماً ودعا إليه صديقاً فلما أراد أن يمدّ يده، **قال له:** مهلاً لا تصفعها

---

(١) **ينشب في الحلق:** يعلق به. (٢) **الجردق:** الرغيف الغليظ.

(٣) **جرير والفرزدق:** الشاعران الأمويان المعروفان بشعر النقائض.

(٤) **جد نوال:** عظيم العطاء.

ولا تشرمها ولا تقعرها، أي لا تأكل من أعلاها ولا تخرقها ولا تأكل من أسفلها.

وقال بعضهم لآخر: لم لا تدعوني؟ **فقال:** لأنك تعلق وتشدق وتحدق، أي أن تحمل واحدة في يدك وأخرى في شدقك وتنظر إلى أخرى بعينك.

● مَرَقٌ قَليلُ الدَّسَمِ واللَّحْمِ

تغذى الجماز عند هاشمي فمرّ الغلام بصحفة فقطر منها قطرة على ثوب الجماز، **فقال الهاشمي:** ائته بطست يغسلها، **فقال الجماز:** دعه فمرقتكم لا تغير الثياب، أي لا دسم لها. **قال جحظة:**

قـدّم سـكـبـاجـةً مـزوّرةً أحـمـضَ مـن وجـهـه إذا أكِـلَـتْ

وقال ابن سكرة:

أكـلْـتَ بـالأمـس جـزوريـة تـخـبـر عـن خـسّـة أربـابِـهـا
لـلـحـم فـيـهـا أثَـرٌ دارِسٌ كـأنّـمـا مـرّ عـلـى بـابِـهـا[1]

وكان رجل في دعوة، فأخذ عراقاً فلم يجد عليه لحماً فوضعه، وأخذ آخر، **فقال صاحب الدار:** ألعب بعسك. ووجد آخر قدراً كثيرة العظام، **فقال:** أطبخت الشطرنج أو أسنان الزنج. **وقال آخر:** أقِدْرٌ هذه أم قبر؟

● مَنْ يَصْعَبُ عَليه أَكْلُ طَعامِهِ

وقال عباد:

كـأنّـمـا الآكـلُ مـنْ خـبـزه يـقـلـع مـنـه شـحـمَـةَ الـعَـيْـنِ

وقال آخر:

يـرَى أنّـه مـن بـغـض أعـضـائِـه أكْـلـي

وقال أحمد بن أبي طاهر:

لوْ لـمْ تكُنْ حركاتُ المضْغِ تؤلِمُه لـكـانَ أكـثـرَ خـلـقِ الله إخْـوانـاً

وأكل أشعب عند زياد الحارثي مضيرة فأمعن فيها، **فقال:** ليس لأهل السجن من يصلّي بهم التراويح في رمضان فليحمل أشعب ليصلّي بهم، **فقال أشعب:** الطلاق لي لازم لا أذوق المضيرة، فاستحيا زياد وتركه.

بعث رجل إلى امرأته بلحم طفيف فطبخته لوناً فلما جاء قدمته إليه، **فقال:** كم طبخت؟ قالت: لوناً واحداً، **فقال:** أنت طالق، قد كانت لي امرأة قبلك إبعث إليها بجرادة فتطبخ منها سبعة ألوان غير القديد.

---

(١) أثر دارس: ممحو.

- **ذمُّ المُتأمِّلِ أكيلِهِ**

أكل أعرابي مع معاوية فرأى معاوية في لقمته شعرة، **فقال**: خذ الشعرة من لقمتك، **فقال**: وإنك لتراعيني مراعاة من يبصر معها الشعر، والله لا آكلتك بعدها. **وقال بعضهم**: فلان عينه دولاب لقمة أكيله. **وقال حاتم**:

ولَلْمَوْتُ خيرٌ من زيارة تاجِرٍ يلاحِظ أطرافَ الإكيلِ على عمدِ

- **الشَّاتِمُ غُلمانَه على الطَّعام**

قال أبو نواس:

رأيتُكَ عند حضورِ الطَّعام سَريعاً إلى العبْد والعبْدَه
وتحشد حتى يخافُ الأكيلُ شراكَ عليه من الجعْدَه[1]

وقال جحظة:

إن كنتَ تهوى أن أزو رَكَ أو حننتَ إلى الزِّيارَة
فدع الشتيمَةَ للغلا مِ إذا دنوْتَ من الغضارَه[2]

- **المُغلِقُ بابَه عِند الأكل**

قال بعض المبخلين لغلامه: هات الطعام وأغلق الباب، **فقال يا مولاي**: هذا خطأ أغلق الباب أولاً ثم أقدم الطعام، **فقال**: إذهب فأنت حرّ لعلمك بأسباب الحزم.

قال بعضهم:

قومٌ إذا أكلُوا أخفوا كلامَهم واستوثَقوا من رتاجِ البابِ والدّارِ[3]

وقال جحظة:

القاطعين مخافة الإ نفاقِ أسْبابَ الصّديق

وقال الرقاشي:

تراهم خشيةَ الأضيافِ خرساً يُقيمون الصّلاةَ بلا أذانِ[4]

- **المُعتذِرُ إلى أضيافِهِ لِبُخلِهِ**

قيل: المعذرة طرف من البخل، وقال زيد الأرانب لما سئل عن خزاعة، **قال**: جوع وأحاديث.

وقال جرير:

والتغلبيّ إذا تنحنَح للقِرى حَكّ إستَه ومثّل الأمثالا

وقال: رميت الأخطل ببيت لو نهشته الأفعى في إسته ما حكّه.

---

(١) **الجعدة**: البخيل.
(٢) **الغضارة**: القصعة الكبيرة.
(٣) **استوثقوا**: تأكدوا ـ **الرتاج**: الباب المغلق.
(٤) **بلا أذان**: بلا صوت.

- **المانِعُ كَلْبَهُ والدّافِنُ نارَهُ خِشْيةَ الطُرّاق**

قال الحطيئة:

دفعت إليه وهو يكعمُ كلبَه ... ألا كلّ كلبٍ لا أبا لك نابحُ

وقال زياد الأعجم:

وما ترك الكلبُ النباحَ مخافةً ... على زادِهم لكن على النفس يحذَرُ

وقال عقبة بن مرداس:

نيرانُهم محجوبةٌ ونساؤهم ... مبذولةٌ وصحيحُهم مكلُومُ(١)

وقال آخر:

كأن كلابَهم والليلُ داجٍ ... كهولٌ لا يحبّون السفَاهَا(٢)

وقال آخر:

قومٌ إذا النيرانُ شبّت للقِرى ... بالَتْ بناتُهم على النّيرانِ

وقال آخر:

قومٌ إذا استنبَح الأضيافُ كلبَهم ... قالُوا لأمهم بُولي على النّارِ

- **الآكِلُ في وَقْتٍ يأمَنُ فيه الزُوّار**

قال رجل: إنا لا نأكل إلا نصف الليل، فقيل لمه، **قال:** يبرد الماء وينقمع الذباب ونأمن فجأة الداخل وصرخة السائل.

- **النّظيفُ المَطْبخِ والطّبّاخ**

قال شاعر:

مطبخ داود من نظافته ... أشبَهُ شيءٍ بصرح بلقيسِ(٣)

ثيابُ طبّاخه إذا اتسخَتْ ... أنقَى بياضاً من القراطيسِ

وقال البسامي:

مطبخه قفرٌ وطبّاخه ... أفرَغُ من حجام ساباط(٤)

- **البَخيلُ بالماء**

قال أبو الشيص:

شرابُك في السّماء إذا عطِشنا ... وخبزُك عند منقطَع الترابِ

---

(١) مكلوم: مجروح. (٢) السفاه: الجهل والطيش.

(٣) صرح بلقيس: قصر بلقيس (الملكة المعروفة).

(٤) «أفرغ من حجام ساباط»: مثل للحجام الذي حجم كسرى مرة في سفره، فأغناه، فلم يعد للحجامة.

وما روحـتـنـا لـتـذبّ عـنّـا ... ولـكـن خفّـتَ مرزيـة الـذبـابِ[1]

وقال آخر:

الـمـاءُ فـي مـنـزلـه طـرفـةٌ ... يـشـربُـه الـضـيْـفُ بـمِـقْـدارِ[2]

● المُقتِّرُ على نَفْسِهِ بُخْلاً

قال بعض البخلاء: ترك الغداء للعشاء ربح العشرة عشرة.

قال ابن الرومي:

يـقـتّـر عـيْـسـى عـلـى نـفْـسـه ... ولـيْـس بـبـاقٍ ولا خـالِـدِ

ولـو يـسـتـطـيـعُ لـتـقـتـيـرِه ... تـنـفّـسَ مـنْ مـنـخـرٍ واحِـدِ

وقيل: أهل الكوفة إذا عتق عندهم التنور وتكسّر دققوه وجعلوه في الفتيت لما تشرب من الخبز. **وقيل:** إن بعض البخلاء حقن فلما حركه الطبع دعا بطست فقعد عليه، **وقال للغلام:** ضف هذا الدهن للسراج. **وقال رجل لغلامه:** اشتر من لحم وأطبخه سكباجاً لأعتقك، ففعل فأكل المرق وترك اللحم، فلما كان اليوم الثاني، **قال:** أطبخه مضيرة ففعل، فأكل المرق وترك اللحم، فلما كان اليوم الثالث، **قال:** أطبخه قلية ففعل، **فقال له العبد:** يا سيدي أعتق هذا اللحم واتركني رقيقاً، فلقد آذيتني من كثرة ما أعذبه بالنار.

وكان بعض الكبار توضع على مائدته كل يوم دجاجة فلا تؤكل بل ترفع، ثم تسخن في اليوم الثاني. وتقدم فتترك بحالها، **فقال بعض الحاضرين:** دجاجتنا هذه من آل فرعون تعرض على النار غدوّا وعشيّا.

● المُتَبجّحُ بِجَفائِهِ للضّيف

قال شاعر:

وأجبهُ ضيْفي حينَ يحتلّ ساحَتي ... بسيْفي ولا أرضى بما يفعلُ الكَلْبُ

وقال آخر:

وأنا لنجفو الضيْفَ من غيْرِ عشرةٍ ... مـخـافـةَ أن يـضـرى بـنـا فـيـعُـودا[3]

وقال آخر:

أعـددتُ لـلـضّـيـفـان كـلْـبـاً ضـارِيـاً ... عـنْـدي وفـضْـلَ هـراوةٍ مـن أرزنِ[4]

ومـعـاذِراً كـذبـاً ووجْـهـاً بـاسِـراً ... وتـشـكّـيـاً عـضّ الـزمـان الألْـزَنِ[5]

---

(١) لتذبّ هنا: لترفع عنا العطش.
(٢) الطرفة: الغريب المستحسن المعجب.
(٣) يضري: يغتر ويعود.
(٤) هراوة: عصا ـ وارزن: شجر صلب تتخذ منه العصي.
(٥) وجه باسر: وجه مقطّب ـ الزمان الألزن: الشديد.

في الشُّرْب والشَّراب

(١)

فما جاء في الشُّرْب

•

• سَبَبُ تحريمِ الخَمْر

أصل ذلك أن رجلاً من جلّة المهاجرين سكر فصلّى بالناس، وغلط في القراءة فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾(١) فشربوها بعد ذلك في غير وقت الصلاة، ثم شرب أنصاري فشجّ رأس صاحب له بِلَحْيَي جمل فنزل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾(٢)، فقالوا انتهينا يا ربنا وتركوا شربها في كل وقت. وقيل: إنما حرمت لأن حمزة رضي الله عنه كان في شرب فسكر فاجتب سنان مشارفين لأمير المؤمنين على أناخهما إلى جانب حجرته، فدخل عليه النبي ﷺ فلامه، فقام ثملاً محمرّ العينين، وقال: هل أنتم إلا عبيد وأبناء عبيدنا، فعرف النبي ﷺ فكرّ على عقبيه.

• مَا يَدِلُّ على تَحْرِيمِ الخَمْر

قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾(٣) وهذا أول ما نزل في تحريم الخمر، ثم قال: ﴿لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾(٤) ثم قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾(٥) وقال النبي ﷺ: حرمت الخمرة بعينها والسكر من كل شراب، وقيل للنبي ﷺ ألا نبيعها، فقال: ألا إن الله لعن الخمر وغارسها وشاربها وعاصرها ومعتصرها وساقيها وحاملها وبائعها وآكل ثمنها وقد أجمع المسلمون على تحريمها.

• تَحْرِيمُ النَّبيذ

قال النبي ﷺ: كل مسكر حرام، وقال: كل مسكر خمر، وقال: ما أسكر كثيره

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٤٢.
(٢) القرآن الكريم: المائدة/ ٩٤.
(٣) القرآن الكريم: البقرة/ ٢١٩.
(٤) القرآن الكريم: النساء/ ٤٢.
(٥) القرآن الكريم: المائدة/ ٩٣.

فقليله حرام. ورُوي أن إبليس لما لعن، قال: يا ربّ اجعل لي شراباً، فقال: شرابك كل مسكر. ورُوي أنه نزل تحريم الخمر، وهي من خمسة: العنب والتمر والبر والشعير والعسل، ونهى عن الفصيخ[1] وقال: ما خمّرته فهو خمر.

• تحليلُهُ

قال النبي ﷺ: حرمت الخمرة بعينها والمسكر من كل شراب. وسمعت بعض العلماء يحتج في ذلك بقوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾[2] فأخبر على سبيل الامتنان علينا باتخاذ السكر منه، وأخبار لا يصح فيها النسخ. ورفع إلى النبي ﷺ رجل شرب مسكراً، فأمر به فضرب، فقال:

ألا أبلغ رسولَ الله عنّي ... بأنّي ما سرَقْت ولا زنيْتُ
شربْتُ شريبَةً لَمْ تبْق عِرْضاً ... ولا أنا لذّةً منها قضَيْتُ

فقال ﷺ: لو علمت ما ضربته.

استحضر عيسى بن موسى ابن عياش وابن إدريس فسألهما عن النبيذ، فقال ابن عياش: حلال، وقال ابن إدريس: حرام، فقال ابن عياش: أدركنا أبناء الصحابة والتابعين بهذه المدة يشربونها في الولائم حلالاً كانت أو حراماً، وبكاؤنا على أصل الدين أشد من بكائنا على النبيذ.

سئل بعض القدماء عن نبيذ العسل، فقال: حرام، فقيل لم؟ قال: لأنكم لا تؤدون شكرها. وقال بعضهم: سقاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه نبيذاً شديداً، وقال: إنا نأكل لحوم هذه الإبل فنشرب عليها النبيذ الشديد ليقطعها في بطوننا. وأُتي النبي ﷺ بنبيذ فشمّه وقطب وجهه ثم ضربه بالماء، وقال: إن هذا الشراب سيغتلم ويشتد فما عليكم فافعلوا به هكذا.

وقال حفص بن غياث: كنت عند الأعمش وعنده نبيذ فاستأذن قوم من أصحاب الحديث فسترته بمنديل فكرهت أن أقول لئلا يراه الداخلون، فقلت: لئلا يقع فيه الذباب، فقال: هيهات هو أمنع جانباً من ذلك.

قال النخعي: كانت الرواية كل سكر حرام فزادوا فيه الميم، وليس ما قاله بصحيح.

• نَوادِرُ في تَحْلِيلِه

قال ابن أبي ليلى لأبي حنيفة: أيحل النبيذ وبيعه وشراؤه؟ قال: نعم، قال: أفيسرك أن أمك نباذة. فقال أبو حنيفة: أيحل الغناء وسماعه؟ قال: نعم، قال: أفيسرك أن أمك مغنية؟

ووضع رجل بالكوفة على باب المسجد نبيذاً بين يديه وجعل ينادي: من يشتري

---

(١) الفصيخ: الغبن في البيع.

(٢) القرآن الكريم: النحل/٦٧.

رطلاً بدرهم بتحليل أبي حنيفة، **فقال له أبو حنيفة**: يا رجل إنك فعلت قبيحاً، **فقال**: ألست حللته؟ **قال**: صدقت ومن الحلال انك تجامع امرأتك ولو استحضرتها الجامع وجامعتها لاستقبح ذلك.

ولقي أبو حنيفة سكران، **فقال له السكران**: يا أبا حنيفة يا ابن الزانية إني شربت النبيذ، **فقال**: ما أحسنت حيث أحللت النبيذ حتى شربه مثلك. **قال شاعر**:

رأيهُ في السّمَاعِ رأيٌ حِجَازي ... وفي الشّرْبِ رأيُ أهلِ العِراقِ

وقال بعضهم: أباح أهل الحرمين الغناء وحرموا النبيذ وأباح أهل العراق النبيذ وحرموا الغناء، فأوجدونا السبيل إلى الرخصة فيهما عند اختلافهما إلى أن يقع الاتفاق.

قال بعضهم:

مَنْ ذا يحرم ماءَ المزْن خالطَه ... في جوْف باطية ماءُ العنَاقيدِ[1]

إنّي لأبْغِضُ تحريمَ الرّوَاةِ لها ... فيها ويعجبني قوْلُ ابنِ مسْعودِ

يعني ما رواه من **قول النبي ﷺ**: تمرة طيبة وماء طهور.

وقال إبراهيم بن محمد بن إسماعيل: النبيذ من المستضعفين في الأرض يتركه من يتركه ويأتي ما هو أعظم منه.

● استباحةُ الخَمْر

مرّ عمرو بن معدي كرب بعينة بن حصن فأطعمه تمراً، **ثم قال**: أسقيك لبناً، أوَ ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية، **فقال**: أليس قد أمرنا بتحريمها، فقال عيينة: كلا إن الله تعالى **قال**: فهل أنتم منتهون، فقلنا: لا، فسكت وسكتنا، **فقال عمرو**: هاتها فأنت أفقه مني.

قال بعضهم: الخمر من الجنة، لأن الله تعالى يقول في صفة أهل الجنة إنهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، والخمر تذهب الحزن. قيل لأياس بن معاوية ما تقول في الكرم والتمر والماء هي حلال أو حرام؟ **فقال**: حلال، فقيل لم حرم الخمر وإنما يتخذ من ذلك؟ **فقال**: أرأيت لو صبّ عليك ماء وتراب وتبن أكان يوجعك؟ **قال**: لا، **قال**: فلو جمع ذلك كله وجعل لبنة وضرب به رأسك أليس يوجعك. **وقال ابن الرومي**:

أباحَ العراقيّ النّبيذَ وشربَه ... **وقالَ**: حرامان المدامَةُ والسُّكْرُ

وقالَ الحِجازي: الشرابان واحِدٌ ... فحَلّ لنا من بيْنِ قوليْهما الخَمْرُ

سآخذُ من قوليهما طرفيْهما ... وأشربُها لا فارق الوازرَ الوِزْرُ

● تعظيمُ السُّكرِ واختِلافُ الناسِ فيه

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: ما ذنب أعظم من السكر، وذلك أن

---

(١) **الباطية**: إناء كبير من زجاج يوضع فيه الشراب ـ **المزن**: السحاب.

العبد يذنب فيتصور له ذنبه، ويعلم أن الله ربه، وإذا سكر نسي ذنبه ولم يعرف ربه، وشرّ الذنوب ما فرق بين العبد وبين معرفة ربه. ورُوي أن إبليس قال: مهما أعجزني ابن آدم فلن يعجزني إذا سكر أن آخذ بزمامه فأقوده حيث أشاء، وأحمله على ما أريد.

قال شاعر:

وإن أمرأً يبتاع سكراً بصحّةٍ ... لفِي سكرَةٍ تغْنيهِ عن ذلِكَ السُّكرِ[1]

● حَدُّ السُّكر

قيل لبعضهم: ما حد السكر؟ قال هو أن تعزب عنه الهموم ويظهر سرّه المكتوم.
وقيل: حده أن يحسن عندك ما كان قبيحاً، وأخذ ذلك أبو نواس، فقال:

إسْقِنِي حتّى تـرَاني ... حسَناً عندي القَبيحُ

وله:

لا تلُمْني علَى التي فَتَنَتْني ... وأرتْني القَبيحَ غيْرَ القَبيحِ

● وَصْفُ سَكْران

انتهى المأمون إلى يحيى بن أكثم فرآه ثملاً نائماً في الرياحين، **فقال له**: قم، **فقال**: رجلي لا تطاوعني، **فقال**: خذ، **فقال**: كفيّ لا تواتيني، **فقال فيه**:

وصاحبٍ ونديم ذي محافَظَة ... سبْط البَنان بشرْبِ الرّاح مفتونِ[2]
ناديتُه ورواق الليل منسَدِلٌ ... تحتَ الظّلام دفينٌ في الرّياحينِ
فقلْتُ: قُمْ قالَ: رجْلي لا تطاوِعُني ... فقلْتُ: خُذْ، قال كفّي لا تواتيني
إنّي غفلت عن السّاقي فصيّرني ... كما تَراني سليبَ العقل والدّينِ

وقال ابن المعتز:

مشوا إلى الرّاحِ مشي الرخّ وانصرفُوا ... والرّاحُ تمْشي بهِم مشْيَ الفرازينِ[3]

وقال أبو الوفاء:

حتّى يروحَ السكْرُ فينا وقدْ ... قامَ مقامَ الشكْلِ والعَقْلِ

وقال آخر:

مزة تتركُ عقْلي ... ذاهِباً في التّرّهاتِ

(١) المقصود إن الذي يبادل الصحة بالسكر هو في سكرة تغنيه عن ذلك.
(٢) **سبط البنان**: الكريم.
(٣) **الرخ**: طائر خرافي ضخم ـ **الفرازين**: جمع فرزان وهو الملك في لعبة الشطرنج.

وقال ابن طباطبا:

جُعلت أسيراً في يدِ الراحِ موثَقاً ... فأقبَلْتُ أمْشي مِشيةَ المُتقاعِسِ[1]

تماكسَ رِحْلي في خطاً استزيدُها ... ولم أكُ في إتراعِها بالمماكِسِ[2]

وقيل لسكران: نبعث معك من يحفظك، فقال: لا أريد، فما مضى من عقلي في خفارة ما بقي:

لو يرَى النّاسُ في المُدامة رأيي ... لمْ يبيعوا ببدرةٍ عنقوداً

وقال أبو محجن:

إذا متّ فادفنّي إلى جنْب كرمَةٍ ... تروّي عظامي بعْد موتى عروقُها

ولا تدفُنَنّي بالفَلاة فإنّني ... أخافُ إذا ما مِتّ أن لا أذوقَهَا

وقال عبد العزيز بن مسلم العقيلي: رأيت قبره بأرمينية تحت شجرات كرم فذكرت قوله، فتعجبت من الاتفاق الواقع له.

وقال إسحاق الموصلي:

اشرَبْ هديت علانِيَه ... أمّ المروءة زانِيَه

اشرَبْ فديتُك وأسْقِني ... حتّى أنامَ مكانِيَه

ودع التسُتّر والريا ... ءَ فمَا هُما من شانِيَه

وقال أبو الهندي:

يا خليليّ إجعَلا لي كفَناً ... ورقَ الكرْم وقبْري المعْصَرَه

إنّني أرجُو غداً من خالِقِي ... بعْد شرْبِ الراحِ حسْنَ المغْفِرَة

وله:

أنا الشيْخُ الخليعُ فسبّوني ... لكم إسلامُكم وعليّ كفْري

● مَنْ شَرِبَ مع إقْرارِهِ بِتَحْريمِها

قيل لبعضهم: لم لا تترك النبيذ؟ قال: لا أدعه حتى يكون أسوأ عملي. قال أبو العيناء: جمعني ورسول ملك الروم مجلس المتوكل، وقد أحضر الشراب، فقال الرسول: مالكم حرم عليكم الخمر ولحم الخنزير فشربتم الخمر وتركتم لحم الخنزير، فقلت: إن لحم الخنزير لما حرم وجد خير منه الحملان والجدي فاستغني عنه، والخمر لم يوجد خير منها فكان يستغنى به عنها.

قال عبيد الله بن عبد الله بن سلام:

وقد يشرَبُ الإنسانُ ما لا يُحلّه ... وتحسُن أحياناً له الشبُهاتُ

---

(١) تقاعس: تأخر.

(٢) تماكس: تخالف وتشاكس ـ إتراعُها: مَلْؤها.

وقال أبو نواس:

فخذها إن أردتَ لذيذَ عيشٍ ... ولا تعدِل خليلي بالمُدام

فإن قالوا حرامٌ قُلْ حرامٌ ... ولكنّ اللذاذةَ في الحَرَامِ

وله:

لا تسقِني الدّهر ما كنْت لي سكَناً ... إلا التي نصّ بالتحريم جبريلُ

إن كانَ حرّمها الفُرْقانُ بعْد، فقد ... أحلّها قبْل توراةُ إنجيلُ

- **الحثُّ على الكِنايةِ عَنْ ذِكْرِها**

قال ابن باذان:

ألا فاسقِني صهباءَ من حلب الكرمِ ... ولا تسقِني خمراً بعِلْمِك أو عِلْمِي[1]

وقال أبو نواس:

أثنِ على الخَمْر بآلائِها ... وسمّها أحسَنَ أسمائِها[2]

- **الإستغناءُ بِها عن مُباشَرَةِ الأعمالِ ومُصاحَبَةِ السُّلْطان**

قال عبد الصمد:

يبيتُ ونفسُه من كلّ شيءٍ ... سِوى تدبيرِ لهْوٍ مستريحه

وقال يعقوب بن الربيع:

إذا كانَ عندي قوتُ يومٍ وليلةٍ ... من الرّاحِ ينْفي الهمّ عنّي إذا اتّسع

فلسْتَ تراني سائِلاً عنْ خليفةٍ ... ولا عَنْ وزيرٍ للخليفَةِ ما صنع

- **حُفظُ المُدام عنِ اللّئام**

قال بعضهم: وددت أن الكأس بألف والجِر في وجه الأسد حتى لا يشرب إلا كريم ولا ينكح إلا شجاع.

قال أبو نواس:

أُجِلّ عنِ اللئامِ الرّاحَ حتّى ... كأنّ الراحَ يُعْصَرُ من عِظامِي

وله:

ووقّر الكاسَ عن سَفيهٍ ... فإنّ حقّاً له الوَقارُ

وكان ابن الرومي في مجلس فيه ثقيل بغيض، فعرض الكاس عليه فامتنع ولام ابن الرومي، فقال له ابن الرومي:

يا لائمي في الرّاح غير مقصر ... لا زالَ رأيُك سيّئاً في الرّاحِ

(١) الصهباء: الخمرة.

(٢) آلائها: نعمها.

فأقلُّ ما في تركِ مثلِكَ شربَها ... توفيرُها وطهارةُ الأقداحِ

وقال ابن باذان:

صرفُ الكأسِ عنْ دُناةٍ لئامٍ ... همُّهُم للشقاءِ جمْعُ الكُنوزِ

● **الحثُّ على مُسابقةِ الزّمانِ بتناولِ المُدامِ وتُعاطي اللّذّات**

قال العتابي:

بادِرْ إلى اللذاتِ مهما أمكنَتْ ... بورودهنَّ بوادرُ الآفاتِ

كم من مؤخّرِ لذّةٍ قد أمكنَتْ ... لغدٍ وليسَ غدٌ له بمُواتِ

حتى إذا فاتَتْ وفاتَ طلابُها ... ذهبَتْ عليها نفسُه حسَراتِ

تأتي المكارِهُ حينَ تأتي جملةً ... وترى السرورَ يجيءُ في الفلَتَاتِ[1]

وقد أحسن المتنبي في هذا المعنى، حيث يقول:

ذرِ النفسَ تأخُذ وسْعَها قبلَ بينِها ... فمفترِقٌ جاران دارهُما عُمْرُ[2]

وقال آخر:

بادِرْ فإنَّ الزمانَ غرٌّ ... منْ قبلِ أن يفطِنَ الزّمانُ

وقال آخر:

وبادِر فإنّا للخُطوبِ فرائِسُ

وقال ديك الجن:

خذْ من زمانِك ما صفَا ... ودعِ الذي فيهِ الكَدَر

فالعمْرُ أقصَرُ مدّةً ... منْ أن يُمْحَقَ بالغِيَرِ[3]

وقال أبو الفرج الدمشقي:

وتغنَّمِ الغفَلاتِ من ... دهرٍ يجودُ على الكرامِ

وقال الخبزارزي:

وذرِ الهمومَ نسيئةً ... وتعجّلِ اللذاتِ نقْدا

وليزيد بن معاوية:

ومن عرَفَ الأيامَ معرِفَتي بِها ... يبادِرْ باللذاتِ قبْلَ العوائِقِ[4]

وقال آخر:

وخذْ من الدّنيا ولذّاتِها ... فإنّما نحْنُ بها عارِيَة[5]

---

(١) **الفلتات**: جمع فلتة وهي الأمر الذي يقع من غير تفكير أو إحكام.

(٢) **ذر**: دع ـ **الوسع**: الجدة والطاقة، ويريد بالجارين الروح والبدن، يجتمعان مدة العمر، فإذا فرغ افترقا.

(٣) **يمحق**: ينقص وتذهب بركته. (٤) **العوائق**: الشواغل.

(٥) **العارية**: جمع عوارٍ، ما يتداوله القوم بينهم.

وقال الصاحب: حضرت الوزير المهلبي يوماً وقد جاءه خادم عمر المطيع، وفي يده رقعة وفيها: غَنّي لنا بيتان وهما:

عرّج على الخمْر وحاناتِها ... وأسقِنا في وسط جنّاتِها
وعلّلِ النفس ولوْ ساعةً ... فإنّما الدّنيا بساعاتِها

فاجعلهما أربع أبيات، فقال لي: تفضل، فقلت:

والرّوحُ في الرّاح إذا اتبعك ... بهاكِها يا خشف أو هاتِها[1]
وقينَةٌ تسْبي بأصواتِها ... نأخُذُ من أطيبِ أوقاتِها

● **الحَثُّ على اعتبارِ الوَقْتِ في المَسرّات دونَ ماضِيه ومُؤتنفِهِ**

قال أبو العتاهية:

ليْس فيمَا مضَى ولا في الذي لم ... يأتِ من لذّة لمستَجلبيها
إنّما أنْتَ طول عمرِك ما عمر ... تَ في السّاعةِ التي أنتَ فِيها

وقال يزيد المهلبي:

أعجزُ الناس مضيعٌ يومَه ... وهو لا يعلَم ما يأتِي غدُه

وقال ابن الحجاج:

خذِ الوقتَ أخْذَ اللصِ واسرِقْه واختلِسْ ... فوائدَه بالطّيب أو بالتّطايب
ولا تتعلّلْ بالأماني فإنّها ... مَطايا أحاديثِ النّفوسِ الكواذِبِ[2]

● **الحَثُّ على مبادَرةِ الشّيبِ بِتناوُلِ المَسرّاتِ والخُمور**

قال عبد الله بن السمط:

بادِرْ شبابَك أن يغتاله الزّمَنُ ... واقضِ ما أنتَ قاضٍ والصّبا حسَنُ

وقال ابن الجهم:

فبادِر بأيام الشّباب فإنّها ... تفوتُ وتقْضي والغوايةُ تنجلي

وقال أبو عليّ:

أعطِ الشّبابَ نَصيبَه ... ما دمْت تُعْذَرُ بالشّبابِ

وقال المتنبّي:

أنعمْ ولذّ فللأمور أواخِرٌ ... أبَداً إذا كانَت لهُنّ أوائِلُ
ما دمْتَ من أرب الحسانِ فإنّما ... روقُ الشبابِ عليْك ظلّ زائلُ
للهو آونةٌ تَمرُّ كأنّها ... قُبَلٌ يزوّدها حبيبٌ راحِلُ

---

(١) الخشف: الذل.

(٢) المطايا: الدواب التي تركب.

ولهذا باب في الشيب والشيب

- **مَنْ شَرِبَ عَلى الكِبَر**

كان إسماعيل بن حمدون يصطبح ويغتبق خمسين سنة، ثم ترك النبيذ فعمي فعاود عادته في الشرب، فقيل له، فقال: لا يجتمع عمى وظمأ.

وقال أبو نواس:

قالوا كبِرتَ فقلْتُ ما قصَرَتْ يدي عنْ أن تخبَّ إلى فمِي بالكاسِ[1]

وقال اليعقوبي:

هل لكَ في عذْلِ ابن ستين درَك شيْخٌ إذا ما غمّه العَذْلُ فتَك
فهو خليعٌ في الضّلال منهمِك

- **استقباحُ الشُّرْبِ بالمشايخ**

قال بعضهم:

أبعد ستين قد ناهزتها حججاً أحكّم الراحَ في عقلي وجثماني
يا قبح معتجرٍ بالشيبِ من كِبرٍ راحتْ تميلُ به أعْطافُ سَكْرانِ[2]

وقال آخر:

أمِنْ بعْد ستين نَاهزْتُها أعَلّلُ قلْبي بإطْرابِه

- **تَرْكُ الشُّرْبِ قَبْلَ الكِبَر**

وقال بعضهم:

لا أجمعُ الحلمَ والصهباءُ قد سكنَت نفْسي إلى الماءِ من ماءِ العناقيدِ
لم تنهَني كبْرةٌ عنْها ولا فنَدٌ لكن صحَوْتُ وغصْني غيرُ مخْضودِ[3]

- **مُخالَفةُ اللُّوّام في تناوُلِ المُدام**

قال أحمد بن أبي طاهر:

اسقِنيها برغم من لامَ فيها من نصيحٍ وعاذِلٍ وحسودِ

وقال ابن المعتز:

خليليّ طُوفا بالمُدام وبادرا بقيّةَ عمْري والسّلامُ على مثْلي
ألا إنّما جسْمي لرُوحي مطيّةٌ ولا بدّ يوماً أن تعرّى من الرحلِ[4]

---

(١) تخب: تسرع. (٢) معتجر: من اعتجر: ملتف بالشيب.
(٣) الفَنَد: العجز ـ وغصني غير مخضود: أي غصني غير ضعيف.
(٤) الرحل: الجمل.

أيا عاذِلي هلا اشتغَلْتَ بسامِعٍ ... كمَا أنا مشغولٌ بكاسي عنِ العَذْلِ

وقال البسامي:

خلِّ عنّي لستَ من أرَبي ... أرَبي في الكاس والطَّرَبِ[1]

دونَكَ العذبَ الزّلالَ ولي ... سَعَةٌ في صُفْوَةِ العِنَبِ

وقال آدم بن عبد الله بن مروان:

قلْ لمَن يلْحاكَ فيهَا ... مِنْ فقيهٍ أو خَليلِ

أنتَ دعْها وارْجُ أخْرى ... من شرابِ سلسبيلِ

● الحثُّ على مُدافَعةِ الهُمومِ بالشّرابِ والتَّبَجُّحِ بِذلك

قال ابن المعتز:

خلِّ الزمانَ إذا تقاعَس أو جمح ... واشكُ الهمومَ إلى المُدامة والقَدَحِ

ودعِ الزمانَ فكَمْ لبيبٌ حاذِقٍ ... قد رام إصلاح الزّمان فما صَلُحْ

وقال ابن الرومي:

سأُعْرِضُ عمّا أعرَضَ الدّهْر دونَه ... وأشرَبُها صِرْفاً وإن لام لائِمُ[2]

● نوادِرُ السُّكارى

سقط سكران، فجاء كلب يلحس فاه، فجعل يقول:

أخوكُم ومولاكُم وصاحِبُ سِرّكم ... ومنْ قدْ نشَا فيكُم وعاشرَكم دهْراً

وسقط آخر في مستراح مملوء، فجعل يقول:

أأصْحابَنا ما للقُعودِ هنا مغنى

وقال العتابي: كان في دارنا سكران فقعد على مصلى وسلح فيه، فأخذت بيده إلى المستراح فنام فيه، فقالت جاريتي: يا عجباً، كل شيء منه مقلوب، خرأ حيث ينام الناس ونام حيث يخرأ الناس.

● الخَمّار

الخمّار يداوي بالخمرة، ولذلك قال أبو نواس:

وداوِني بالّتي كانَتْ هِي الدّاءُ

وذلك من قول الأعشى:

وكاسٍ شرِبْتُ على لذّةٍ ... وأخْرى تداوَيْتُ منها بِها

ومات الأعشى في بيت خمارة فارسية، فقيل لها: ما كان سبب موته؟ فقالت: منها

---

(١) أربي: الغاية والهدف.

(٢) الشراب الصرف: غير الممزوج.

بها يكشتش، أي قتله قوله في هذا البيت.

وكان المتنبي ينادم أبا الفوارس بن فهد فانصرف من عنده ليلة، وقد أثخن سكراً، فلما أصبح أتاه الرسول يدعوه، **فقال**:

وقــد مــتُّ أمــس بــهــا مــوتَــةً ولا يــشْــتَــهِــي الــمــوْتَ مــنْ ذاقَــه

وقال آخر:

كـصـريـع الـخـمْـر داوى مـا بِـه مــن خُـمَـارٍ بـعُـقـار فـانـتَـشَـى

● مَنْ ذَمَّها بِأَنَّها تزِيلُ العَقْل

حضر نصيب عند عبد الملك بن مروان فدعاه إلى الشراب، **فقال**: إني لم أصل إليك بنفسي ولا بحسن صورتي، وإنما قربت منك بعقلي، فإن رأى الأمير أن لا يحول بيني وبينه فعل. **وقيل لأعرابي**: لم لا تشرب؟ **فقال**: لا أشرب من يشرب عقلي. ورُوي أن ابن أبي شيبة مر بغلام يلعب بالتراب، **فقال**: لا تفعل يا أحمق، **فقال الغلام**: الأحمق من يشتري الحمق بماله فيدخله رأسه ويقيء في جيبه ويسلح في ذيله، ويصبح محمراً ويمسي مصفراً.

وقيل للعباس بن مرداس: لو شربت النبيذ لازددت جراءة، **فقال**: ما كنت لأصبح سيد قومي وأمسى سفيههم، وأدخل جوفي ما يحول بيني وبين عقلي. **وقيل لأعرابي** لم لا تشرب؟ **فقال**: لأنه يفني مالي ويغير عقلي.

وعلى هذا الحديث وإن لم يكن من صريح المعنى، **قال بشر المريسي**: دخلت على بعض أصدقائي، **فقلت**: مر جاريتك تسقني نبيذاً، **فقال**: أخاف أن تأتمر، **ثم قال**: إسقيه، فلما شربت، **قال**: تفكرت في أمرك فرأيت النبيذ يزيل العقل ولم أجد لك عقلاً أخاف أن يزيله، **قال شاعر**:

سـآلَـة لـلـفـتـى مـا لـيْـس فـي يـدِه ذهَــابَـةً بـعُـقــول الـقـومِ والـمَـالِ

وقال المحكم بن هشام لابنه، وكان مولعاً بالشراب: يا بني، دع الشراب فإنما هو قيء في شدقك وسلح على عقبك أو حدّ في ظهرك.

● مَنْ تَرَكَها تَفادِياً مِنْ ذَمِّ النَّاسِ

قال بعضهم: تركت كثيره لله تعالى إجلالاً وقليله للناس جمالاً وعوتب بعضهم على تركه، **فقال**: لو علمت أن الماء ينقص من مروءتي ما ذقته. **قال الوليد للحجاج**: هل لك في الشراب؟ **فقال**: لا يا أمير المؤمنين وليس بحرام ما أحللته، ولكني أمنع أهل عملي منه وأخاف أن أخالف قول العبد الصالح، وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه، فأعفاه. وسأل المنصور أبا بكر الهذلي عن النبيذ، **فقال**: تمادت فيه السفهاء حتى كرهته العلماء.

• ذمها بأنها تدعو إلى الفسق

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[١] مرت أعرابية بقوم يشربون نبيذاً فسقوها فلما شربت أقداحاً اعترتها أريحية، فقالت: أيشرب هذا نساؤكم، قالوا: نعم، قالت: إذاً زنين ورب الكعبة، فما يدري أحدكم من أبوه. **قال جحظة:**

لم يبلغِ الشيخُ إبليس إرادتَه ... حتى تكاثَفَ في عنقوده العِنَبُ

سئل عبد الله بن إدريس عن الشرب، **فقال:** إشرب ما لا يشربك.

• قَدَرُ الشُّرْبِ وَزَمَنُهُ

قال المأمون: إشرب النبيذ ما استبشعته، فإذا استطبته فدعه. سئل أبو محمد بن عبد الله عن شرب الربيع، **فقال:** ربيع أهل المروآت وميدان اللذات، وفي إدمانه ذهاب الفطنة وفي تركه فقد السرور. **قيل:** فما تقول في محادثة الرجال؟ **قال:** روضة لا يجف نورها وغدير لا ينضب ماؤه وجوهر لا يصلح إلا للملوك، **قال شاعر:**

شربَ النبيذَ على الطَّعام ثلاثةً ... فيها الشفاء وصحَّةُ الأبدانِ

وقيل: القدح الأول يكسر العطش والثاني يمرىء الطعام والثالث يفرح النفس، وما زاد على ذلك فضل. **وقال قتيبة لقاضي مرو:** بلغني أنك تشرب، **قال:** أجل، **قال:** فكم تشرب **قال:** ما بل الثفل[٢] وطيب النفس وأغنى عن الماء. قال فما أبقيت منه؟ **قال:** أكثره وأخبثه التكاءة على الشمال ومنادمة الرجال والاختلاف إلى المبال[٣] وقال بعض الظرفاء: للنبيذ حدّان، حدٌّ لا هم فيه وحدٌّ لا عقل فيه، فعليك بالأول واتق الثاني، **وقال ابن المقفع:**

سأشربُ ما شربْتُ على طَعامي ... ثلاثاً ثم أتركه صحيحا

فلست بقارف منه أثاماً ... ولست براكب منه قبيحا

• ذَمُّ إدمانِها

قال بعض الظرفاء: أربعة أشياء إن أفرط فيها الرجل أهلكته واستهوته، إدمان الخمر وحب النساء وشهوة الصيد والمماراة. **وفي الخبر:** لا يدخل الجنة مدمن خمر.

• الحثُّ على استيفاءِ شُرْبِها أَوْ تَرْكِها

قال ابن شبرمة لكاتبه: أتشرب؟ النبيذ؟ **قال:** القدحين والثلاثة، **فقال:** والله ما شربته شرب من يلتذ به ولا تركته ترك من يتحرج منه.

وقيل في جواب هذا: المثل: إشرب شرب فتوة أو أترك ترك مروءة. وقيل

---

(١) القرآن الكريم: المائدة/ ٩١.

(٢) الثفل: ما استقر في أسفل الشيء من كدرة، أو من الحَبّ.

(٣) المبال: الأماكن التي يبال فيها.

لبعضهم: كم تشرب، قال: مقدار ما أفسد به ديني، وقيل ذلك لآخر، فقال: مقدار ما أقوى به على ترك الصلاة.

● مَنْ أَظْهَرَ رَغْبَتَهُ فيها وَقِلَّةَ صَبْرِهِ عَنْها

رُوي أن الحسن بن زيد رضي الله عنه لما ولي المدينة، قال لابن هرمة: لست كمن باع دينه رجاء مدحك أو خوف ذمك، فقد رزقني الله بولادة نبيه ﷺ الممادح وجنّبني المقابح، وإن من حقّه عليّ أن لا أغضي على تقصير في حق ربه، وأنا أقسم لئن أتيت بك سكران لأضربنك حداً للخمرة وحداً للسكر، ولأزيدن لموضع حرمتك بي، فليكن تركك ذلك لله، تعن عليها ولا تدعها للناس فتوكل إليهم، فقال ابن هرمة:

نَهاني ابنُ الرسولِ عنِ المُدام ... وأدّبَني بآدابِ الكِرامِ
وقال لي اصطبِرْ عنها ودَعْها ... لخوفِ الله لا خوفِ الأَنامِ
وكيف تصبّري عنها وحبّي ... لها حبٌّ تمكّنَ في عِظامِي
أرى طيبَ الحلال عليّ خبْثاً ... وطيبُ النفْس في خبْثِ الحَرامِ

كان أبو الهندي مولعاً بالخمر، فقال له أبوه: إنها تورث السقم وتقل الطعم وتنحف الجسم، فقال: كلا إنها جوهرة قد امتزج فيها عرضان حمرة البهرمان وصفرة العقيان قد وصفها الله تعالى باللذة لشاربيها في القرآن، فرسّخ بذلك محبتها في الأبدان تجمع ما شت من شمل الإخوان.

وكان حارثة بن بدر مشتهراً بالشراب. وكان غلب على زياد فقيل لزياد: إنك تتهم لمصاحبته، فقال: كيف لي بأطراح من يسايرني مذ دخلت العراق، يصطك ركابه في ركابي ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه، ولا تأخر عني فلويت عنقي له، ولا أخذ الشمس عليّ في الشتاء، ولا الظل في الصيف؛ ولا مسألته عن علم إلا ظننت أنه لا يحسن غيره، فلما مات زياد جفاه إبنه عبيد الله، فقال له: أيها الأمير ما هذا الجفاء وقد عرفت مكاني من أبي المغيرة؟ فقال: إن أبا المغيرة لم يكن ليلحقه عيب وأنا حدث، ولا آمن أن تشم منك رائحة الخمرة إن جالستني، فأتهم فأتركها، وكن أول داخل وآخر خارج، فقال: أنا لا أتركها لمن يملك ضرّي ونفعي، أفأتركها لك. قال: فاختر إذا ما شئت من عملي فاختار رامهرمز، وقال: إن شَرابها موصوف فلما توجه إليها استقبله جماعة، فيهم إياس بن إياس فأنشده:

أحارِ بنَ بدر قد وليتَ وِلايةً

الأبيات وتقدمت.

● مَنْ رَغِبَ فيها غَيْرُ مُفكّرٍ في دِينٍ ولا مُروءَة

قيل للفرزدق: أي الأشربة أحب إليك؟ قال: أقربها من الثمانين يعني الخمر. وقال عبيد الله بن زياد للأحنف: أي الأشربة أطيب؟ فقال الخمر، قال: وما يدريك ولست من أصحابها؟ قال: رأيت من أحلت له لا يتعداها ومن حرمت عليه يتناولها، فلذلك عرفت طيبها.

دخل أبو العيناء على المتوكل **فقال**: هل لك في الشراب؟ **فقال**: ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلا من سفه نفسه.

وكان أبو نواس يقول: خمر الدنيا أجود من خمر الآخرة، والله قد وصفها بأنها لذة للشاربين، **فقيل**: كيف هي أجود، **قال**: لأن الله تعالى جعلها نموذجاً، والنموذج أبداً أجود. **وقيل له**: أتشرب الخمر؟ **قال**: نعم إذا اشترى بثمن خنزير قد سرق حتى يحرم ثلاث مرات.

قيل لثمامة: لا تشرب الخمر فإنه يزيل العقل، **فقال**: إنه إن زال اليوم لا يزول غداً.

باع بعض الاشراف ضيعة، **فقيل له**: إحضر العشية للإشهاد، **فقال** لو كنت ممّن يصان بالعشيات لما بعت الضيعة.

وقال رجل لآخر: وجهت إليك رسولاً عشية أمس فلم يجدك، **فقال**: هذا وقت لا أكاد أجد فيه نفسي. سئل بعضهم عن استطابة الشراب، **فقال**: وددت أني كنت بعوضة فأموت تحت قربة نبيذ، حتى يكون موتي في خلال نعيم. **قال شاعر**:

ورفضُ امرىءٍ لهْواً يواتيهِ طائِعاً ... لآخــر إن عــاصــاه رأيٌ مــوهــمُ
ومن صارَمَ اللذّاتِ أو خانَ بَعْضَها ... لــيــرغِــمَ دهــراً ســاءَه فــهــو أرْغَــمُ

وقد وصف ذلك في وصف المدام بإزالته الغموم.

● الشّارِبُ بَعدَ تَوْبتِهِ والمُمْتَنِعُ مِن التَّوْبَةِ عَنه

كتب بعضهم إلى صديق، قد تاب من شرب النبيذ:

إن كنت تبت من الصهباء تتركها ... نــسـكاً فـمـا تـبـت مـن بـر وإحـسـان
تبْ راشداً واسقِنا منْها وإن عذلُوا ... فـيـمـا فـعـلْـتَ فـقُـل مـا تـابَ إخْـوانـي

وقال كشاجم:

يقولون تِبْ والكاسُ في كفّ أغيد ... وصوْتُ المثَاني والمثالِثِ عَالي(١)
فقلْتُ لهُم لو كنْتُ أضمرْتُ توبَةً ... وعـايـنْـتُ هـذا فـي الـمـنَـام بَـدا لِـي

وحكى بعضهم، **قال**: كان لنا صديق يكثر التوبة من الشرب والعود إليه، ففارقنا يوماً على أنه قد تاب فجاءنا صبيحة غداة وقد انمحت من أحد عارضيه لحيته، **فقال**: رأيت إبليس في منامي وهو يستعرض أصحابه فأتى به إليه بعض أعوانه، وقال قد آذاني هذا المتخلف من كثرة ما يتوب، ثم يرجع. حلّفوه على أن لا يتوب فحلفت، ثم **قال**: ألحسوا لحيته من جانب يكون ذلك تذكرة معه، فأصبحت على تلك الحالة.

---

(١) **الأغيد**: المائل العنق والليّن الجوانب ـ **المثاني والمثالث**: الآيات القرآنية التي تتلى وتكرّر.

● **الشُّرْبُ سِرّ**

مرَّ الفرزدق على الحكم بن المنذر بن الجارود فاستسقى لبناً، **فأمر غلامه أن يجعل** في العقب خمراً ويحلب عليها لبناً ويسقيه، فلما كرع فيه جعل الخمر ينبع من تحت اللبن، فشرب، **فقال له**: بأبي أنت ممن يخفي الصدقات.

ودخل الغضبان الأسدي على قوم يشربون فاحتشموه ورفعوا نبيذهم فجعلوه تحت السرير، ورمقت السنور فأرة فطفرت فكسرت الآنية وفاح ريح الشراب، **فقال الغضبان**: إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون، **فقالوا له**: تالله إنك لفي ضلالك القديم ثم أخرجوا النبيذ فساعدهم عليه.

● **الشُّرْبُ جَهْراً**

لما وقع الخلاف بين الأمين والمأمون، كان المأمون يخطب بخراسان بمساوي الأمين، **ويقول في جملة مساويه**: وما ظنكم بخليفة يقتني شاعراً ينشد بحضرته جهاراً نهاراً في مجلسه هذا القول:

ألا فاسْقِني خمْراً وقلْ لِي هيَ الخَمْر ... ولا تسْقِني سِرّاً إذا أمكَنَ الجَهْرُ
فمَا الغُبْنُ إلا أنْ تَراني صاحِياً ... وما الغنْمُ إلا أنْ يتعتعني السّكْرُ

وقال المكتفي للصولي: أتعرف أهتك بيت قالته العرب، **قال قول أبي نواس**:

ألا فاسقِني خمْراً وقلْ لي هيَ الخَمْر

فقال: **بل قول الحسين بن الضحاك**:

أتبعْتُ سكْراً بسُكْرٍ ... فأتبعْتُ خمْراً بغُمَرِ

● **الضَّعيفُ الشُّرْب**

قيل لبعضهم: كيف شربك؟ **قال**: لو وطئت زبيباً لسكرت شهراً.

قال الخبزارزي:

اصرِفْ سفاتج هذا الشرْب عن رجلٍ ... لهُ بضيعة في الشرْب مزجاة[1]

وقال آخر:

ولو علم الأكارمُ ضعْف شرْبي ... لأعفَوْني عن النّجُبِ العِظَام

وقال خالد الكاتب:

لا أسقين ما ليْس لي طاقَةٌ ... بهِ فإنّي ضيّقُ الحَوْصَلَة

---

(١) **السفاتج**: جمع السفتجة، وهي الوثيقة التي بها تسترد مالك من رجلة كنت أعطيته مالاً ـ **البضيعة**: الماء ـ **مزجاة**: رديئة.

وقال الخباز البلدي يعاتب من كثر سقيه:

يسارِقُني في كل دورَيْن حبّة ... ألا إن قِيراطَ النبيذِ كثيرُ

● **مَنْ تَرَكَ الشُّرْبَ بُخلاً وَرِياءً**

قال شاعر:

ما حرم الخمْرُ ولكنّه ... يتركها بقيا على حاله
يشربُها في بيْت إخوانِه ... ويُظْهِرُ التوبَةَ منْ مالِه

وقال آخر:

وما أن حرموا المطبوخ نسْكاً ... ولكن دققوا فيهِ المعِيشَه[1]

وفاحت رائحة الشراب عند والٍ فأمسك قوم بأنوفهم، فقال الوالي: ما أطيب ريحها واني لأشتهيها لولا تحريمها، فنظر فإذا الذي أمسك على أنفه كل متهم. وحدثني أبو بكر الكرجي، قال: كان بالكرج قاض ظريف فدخل عليه نصراني يوماً يعبق منه طيب ورائحة خمر، وكان عنده جماعة من العدول فضم أحدهم على أنفه، وكان متهماً بالشراب، فلما خرج النصراني، قال: أخزى الله هذا الخبيث دخل وكأنه جيفة، فقال القاضي: ردوه فردوه، فقال لعدلين عنده تشمما هل تجدان رائحة كريهة، فقالا: لا، إنا لنجد منه رائحة كرائحة الجنة طيباً، فقال: اشهدا أني قد جرحت هذا البارد فما يعدو حاله كذباً أو حمقاً وجهلاً، وكلتا الحالتين تنافيان العدالة. وما أصدق القائل:

قد يشتمُ الخمرَ قومٌ يكلفونَ بها ... وقد يسبّ بنيه الوالدُ الحدْبُ[2]

وقال بعضهم:

تركُوا النّبيذَ وشمّروا أثوابَهم ... ومشوا رويداً لاختلاسِ الدّرْهَم

● **مَنْ تَرَكَ الشُّرْبَ خوْفاً من السُّلْطان**

قال أبو نواس لمّا نهاه الأمين عن الشرب:

أعاذلُ بعتُ الجهلَ حيث يباع ... وأبرزت رأساً ما عليْه قناعُ
نَهانِي أميرُ المؤمنين عنِ الصّبا ... وأمرُ أميرِ المؤمنينِ مُطاعُ
ولهوٌ لتأنيبِ الأمينِ تركتُهُ ... وفيه للاهي منظرٌ وسماعُ

● **من حَدَّ في شُرْبِها**

سمع أبو خرابة رجلاً يقول وهو مجلود: من رآني فلا يشرب النبيذ، فقال: في إستك

---

(١) دققوا المعيشة: قللوا المعيشة وصغروها.

(٢) يكلفون بها: يعشقونها ـ الوالد الحدب: الوالد العطوف.

وإست من حملك على هذه المشورة وإست من قبلها منك، ثم قال:

ستغصى وتُقْصى ثم تمنّى بشُرْبها وإدمانِها إن كنت حراً مهذّباً

ومرّ النخاسي بأبي السماك في شهر رمضان، فقال: هل لك في رؤس وشراب كالورس يطيب النفس ويهضم الطعام ويسهل للفدم الكلام؟ فنزل وتغدّيا فأخبر أمير المؤمنين بذلك، فأفلت أبو السماك، وأخذ النخاسي فأتي به فضربه ثمانين وزاده عشرين، فقال: يا أمير المؤمنين وما هذه العلاوة؟ فقال: لجراءتك على ربّك في شهر رمضان.

• مَنْ تَخَلّصَ مِن الحَدِّ في شُرْبِ الخَمْر

دخل عمر رضي الله عنه على قوم يشربون، فقال: ألم أنهكم عن الشرب فشربتم، فقال أحدهم: ألم ينهك الله عن التجسس فلم تجسست؟ فقال: صدقت، فتجافى عنهم.

وقال العبدلي للواثق: ما قمرتني[1] إلا لكوني سكران، فقال: قد وجب عليك الحد لأنك أقررت، فقال: هذا افتخار لا إقرار اعتراف.

• التّعريضُ بِمَنْ تَفرّسَ به بأنّه شارِبٌ

دخل أمية بن عبد الله على عبد الملك وبوجهه أثر، فقال: ما هذا؟ قال: قمت في بعض الليل فأصابني الحائط. فتمثل عبد الملك بقول الشاعر:

رأتني صريعَ الخمر يوماً فرُعْتها وللشاربيها المدمنِيها مَصارِعُ[2]

فقال أمية: لا آخذك الله يا أمير المؤمنين بسوء ظنك ولا يؤاخذك بسوء مصرعك.

وكان البراء بن قبيصة صاحب شراب، فدخل على الوليد بن عبد الملك وبوجهه أثر، فقال: ما هذا؟ قال: ركبت فرساً أشقر فكبا بي، فقال: لو ركبت الأشهب لم يعثر بك، فعرّض بأنه شرب الخمر ولو شرب اللبن لما سقط.

وأنشد ابن الرقاع عبد الملك قصيدة، وذكر فيها الخمر فأجاد وصفها، فقال عبد الملك: لقد ارتبت بك في إجادة وصفك الشراب، فقال: وأنا ارتبت بك يا أمير المؤمنين لمعرفتك بجودته.

• وَصْفُ خَصائِصِ جَميعِ الأَشْرِبة

قيل لبعض الحكماء صف لنا خصائص الأشربة، فقال: أما الماء فيعظم خطره عند الحاجة إليه بحسب تعذّره عند العدم، وأما اللبن فشبع الغرثان وريّ الظمآن وزاد العجلان، وأما الماذي فكالمروزي[3] في الدثار والنرسي[4] في الشعار، وأما الزبيبي

---

(١) قمرتني: غلبتني في القمار، وقَمَره مالَه: سلبه إيّاه..

(٢) رعتها: أخفتها. (٣) الماذي: العسل الأبيض ـ كالمروزي: نسبة إلى مرو.

(٤) النرسي: نسبة إلى النرس وهو ضرب من التمر.

فنبيل المنظر سخيف المخبر، وأما الخمر فمزاج الروح وصفية النفس.

وقيل لآخر: ما تقول في الماء؟ **فقال:** هو الحياة ويشركني فيه الحمار، فقيل فاللبن؟ **قال:** ما رأيته إلا ذكرت أمي واستحييت، قيل فالخمر؟ **قال:** تلك السارة البارة شراب أهل الجنة.

ودعا الوليد بن يزيد شراعة من الكوفة وهو من فتيانها، فلما قدم عليها، **قال:** إني والله لم أدعك لأسألك عن قرآن ولا أستفتيك في سنة، **فقال:** لو سألتني عنهما لأصبتني فيهما ثوراً، فلم دعوتني؟ **قال:** لأسألك عن الفتوة، **فقال:** أنا دهقانها الخبير وعالمها الطبيب فسل، **فقال:** ما تقول في نبيذ التمر **قال:** أشربه حتى تحر. قال فنبيذ الدن. **قال:** أشربه حتى تجن، **قال** فالدادي، **قال:** أحلى من الماذي، قال فنبيذ الزبيب، فستر وجهه **وقال:** العظمة لله، قال فالخمر، **قال:** لا أرى شربها، قال ولم، **قال:** لأني لا أؤدي شكرها.

قال أبو العيناء: النبيذ[1] ـ الخمر.

قال أبو نواس:

ولا تـأخُـذْ عـنِ الإخـوانِ لـهْـواً ... ولا عـيْـشـاً فـعـيْـشُـهُـمُ جـديـبُ
دعِ الألـبـانَ يـشـربُـهـا رجـالٌ ... رقـيـقُ الـعـيْـش بـيـنَـهـم غـريـبُ
بـأرضٍ نـبـتُـهـا عـشـبٌ وطَـلْـحٌ ... وأكـثـر صـيـدهـا ضـبـع وذيـبُ
إذا رابَ الـحـلـيـبُ فـبُـلْ عـلـيْـه ... ولا تُـحـرَجِ فـمـا فـي ذاك حُـوُبُ[2]
فـأطـيَـبُ مـنـه صـافـيَـةٌ شـمـولُ ... يـطـوفُ بـكـاسِـهـا سـاقٍ أديـبٌ
يـمـدّ لـكَ الـقِـنـانَ إذا حـسَـاهـا ... ويـفـسَـخ عـقـد تـكـتِـه الـدبـيـبُ[3]
فـذاكَ الـعـيْـشُ لا خِـيـمَ الـبـوَادي ... وذاكَ الـعـيْـش لا الـلـبَـنُ الـحـلـيـبُ

وقال آخر:

الأشربات سوى ما كان من عنب ... داء وأي لـبـيـب يـشـرب الـداء

● وَصْفُ الشَّرابِ بإزالةِ الغَمِّ

قيل لأعرابي أتحب الخمر؟ **فقال:** أي والله، فإنها تسرح في بدني بنورها وفي قلبي بسرورها. **وقيل:** لذة الدنيا في الغناء والطلاء والنساء والبناء، وجماع ذلك العافية والشباب والبقاء، **ونحوه لأبي نواس:**

إنّـمـا الـعـيْـش سـمَـاعٌ ... ومـدامٌ وغُـلامُ

---

(١) ورد في موضع الفراغ لفظة نمكسود ولعلّها تحريف ولم نجد لها تفسيراً فيما بين أيدينا من المراجع.

(٢) **الحوب:** الإثم.

(٣) **القنان:** كم القميص ـ **التكة:** رباط السروال ـ **الدبيب:** المشي البطيء.

فـــإذا فـــاتَـــك هـــذا فـعَـلـى الـعَـيْـشِ الـسَّـلامُ

سأل معاوية الأحنف عن أطيب الأشربة، **فقال**: الخمر، **قال**: وما يدريك ولست من أصحابها، **قال**: رأيت من أحلت له لا يبتغي غيرها ومن حرمت عليه يتناولها، فعرفت طيبها وفضيلتها. **وقيل**: النبيذ صابون الغمّ. **وقيل لبعضهم**: فلان ترك النبيذ، **فقال**: طلق الدنيا. وقيل لدهقان ما أصباك بالخمر؟ **فقال**: لأني رأيت لها أفعالاً لم أرها لغيرها، إذا رأيت الهم تمكن في قلبي فقرب الكاس من الباب خرج الهم. وأخذ ذلك أبو نواس فقال:

إذا ما أتَتْ دونَ اللـهَاة مِنَ الفَتَى دعَـا هـمّـه مـن صـدْرِه بـرَحـيـلِ

وقيل لشيخ: لم تشرب النبيذ؟ **فقال**: لأن فيه شيئاً يحمده أهل الجنة، قيل وما هو، **قال**: ما تقول أهل الجنة الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، والنبيذ هو ذاهب بالحزن.

وقال أبو نواس فيها: الراح صديقة الروح قيد اللذات ومفتاح المسرات، **وقال**:

ومـا اسـتـقـرت فـي فـؤادِ فـتـىً فـدرى مـا لـوعَـةُ الـحُـزْنِ

وله:

كـأسٌ إذا مـا الـشـيْـخُ والَـى بـهـا خـمْـسـاً تـردّى بـرداءِ الـغُـلامِ

وذمّ بعضهم الخمر، **فقال**: أولها دوار وآخرها خمار، فردّ عليه آخر **فقال**:

إن يـكُـنْ أولُ الـمُـدام دُواراً أو يـكُـنْ آخِـرُ الـمُـدام صُـدَاعـاً

فـلَـهـا بـيْـن ذا وذاك هـنـاتٌ وصفـهـا بـالـسرورِ لـن يـسْـتـطـاعَـا

وقال ابن المعتز:

يبولُ همّاً ويحسُو اللهْوَ والطّرَبا

وله في وصفه:

وأصـلَـح بـيْـنـي وبـيْـن الـزمـانِ وأبـدَلـنـي بـالـهُـمـوم الـطَّـرَب

- **وَصْفُها بأنّها تدرُعُ الكِبر وتورِثُ اليُسْر.**

قال لقيط بن زرارة:

شـربْـتُ الـخـمْـر حـتـى خِـلْـتُ أنـي أبـو قـابـوس أو عَـبْـدُ الـمـدان

أمـشـي فـي بـنـي عـدس بـن زيـد رخـيّ الـبـالِ مـنـطـلـقَ الـلـسـان

وقال المنخل:

وإذا سَـكِـرْتُ فـإنّـنـي ربُّ الـخَـوَرنَـقِ والـسَّـديـرِ

وإذا صَـحَـوْتُ فـإنّـنـي ربُّ الـشُـوَيْـهَـةِ والـبَـعـيـرِ

- **وَصْفُها بالصَّفاءِ والرِقّة**

قال الحسن بن الضحاك: كنت مع أبي نواس بمكة فسمع صبياً يقرأ: يكاد البرق

يخطف أبصارهم فلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا، فقال: هذا يجب أن يكون صفة الخمر، ثم أنشدني:

وسيّارةٍ ضلّت عن القصْدِ بعدما ... بدا دونَهم أفقٌ من الليلُ مظْلِمُ
فلاحَت منّا على النّار قهوَةٌ ... كأنّ سناها ضوءُ نار تضرَم[1]
إذا ما حسَوْناها أقامُوا مكانَهم ... وإن أظهرت حثّوا الركاب ويمّمُوا[2]

قال ابن الأعرابي: جميع ما قاله أبو نواس حسن، وأحسنه قوله:

لا يسكُنُ الليْلُ حيْث حلّت ... فليْلُ شرّابها نَهارُ

وقال آخر:

واهتدى سارَ الظّلامُ بهِ ... كاهتداءِ السفْر بالعَلَمِ

قيل: رق وصفا حتى كاد يخفى. وقيل: أصفى من الشراب وأخفى من السراب.

كمعنى دقّ في لفْظٍ بديع

وقال ابن المعتز:

كأن بكاسِها ناراً تلظّى ... فلولا المَاء كانَ لهَا حَريقُ

● **وَصْفُ رِقّة الإناءِ والخَمْرِ معاً**

قال البحتري:

يُخفي الزجَاجَة لونُها فكأنّها ... في الكفّ قائِمَةٌ بغير إناء

وقال الصاحب، وقيل هما لأبي نواس:

رقّ الزّجاجُ وراقتِ الخَمْرُ ... وتقاربَا فتشابَه الأمْرُ
فكأنّما خمْرٌ ولا قَدَحٌ ... وكأنّما قَدَحٌ ولا خَمْرُ

● **وَصْفُها بأنها تُخضّب الكفّ**

قال شاعر:

تحسَب الظبْيُ إذا طافَ بها ... قبْل أن يسقيكَها مختَضبا[3]

وقال الخباز البلدي:

وهيَ تكْسو كفّ شاربِها ... دستبانَاتٍ من الذّهَبِ

وقال ابن المعتز:

كأنّهم الهَبوا بينَهم ... حَريقاً وأيْديهم تستَعِرُ[4]

---

(١) سناها: ضياؤها ـ القهوة: من أسماء الخمر.

(٢) حثّوا الركاب: أعجلوا بالسير ـ يمّموا: قصدوا وتوجهوا.

(٣) مختضباً: ملطّخاً بها. (٤) الهبوا حريقاً: أشعلوا ناراً.

● وَصْفُ حُمْرتِها

قال أبو نواس:

أقولُ لما تحاكيا شبَهاً | أيّهما للتشابِه الذهبُ
هُما سواءٌ وفرّق بينَهما | أنهما جامِدٌ ومُنسَكِبُ

وأخذه ابن المعتز، فقال:

وخمارة من بناتِ المَجُوسِ | ترى الزقّ في بيْتها شائِلا[1]
وزنّا لها ذَهَباً جامداً | فكالَتْ لنا ذَهَبا سائِلا

● وَصْفُ الخَمْرِ وشارِبِها

قال الحسين بن الضحّاك، أنشدت أبا نواس:

كأنما نصب كاسه قمَرٌ | يكرَع في بعض أنجُمِ الفُلْكِ

فأنشدني:

إذا عبّ فيها شارِبُ القوْم خلتَه | يقبّل في داج من الليلِ كوْكَبا

فقلت: يا أبا علي، هذه مثل ما أنشدتكه، فقال: أتظن أن يروى لك بيت حسن، وقد أحسن القائل:

وكأنّهُ والكاسُ في يَدِه | قمرٌ يقبّل عارِضَ الشمْسِ

● وَصْفُها بالصّلابة

قال أبو تمّام:

إذا اليَدُ نالَتْها بِوتْر توقّرَت | على ضِغْنها ثم استقادت من الرجلِ[2]

وأخذه من عطاء:

أسروها وجهَ النهار من الـ | ـدنّ فأمسوا وهُمْ لها أُسَراءُ

ونحوه لديك الجن:

فَظلْنا بأيدينا نتَعْتِعُ روحَها | ونأخُذُ من أقدامِنا الرّاح ثارَها

وقال آخر:

قهوةٌ تتْركُ الحليمَ سفِيهاً

وقال أحمد بن طاهر:

ما تمّ منها ثلاثاً قطّ شاربُها | إلا رأى عقلَه منه على سفَر

---

(١) شائلاً: قل ماؤه.

(٢) الضغن: الحقد ـ استقاد منه: طلب منه، يقال استقاده فأقاده أي طلب منه قتل القاتل ففعل.

● وَصْفُ لذاذتِها

وصف الله تعالى خمر الجنة، فقال: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾[1] فنفى عنها جميع عيوبها بالكلمتين، كما وصف فاكهتها، فقال: لا مقطوعة ولا ممنوعة. قال ابن أبي فنن:

أطـيَـبُ فـي الـكـاسِ إذا ... جـاءتْـك مـن ريـحِ الـوَلـد

وله:

أطيبُ من قبلةِ الحبيب وقدْ ... جادَ بـهـا مسرعـاً عـلى حَـذَر

وقال أبو نواس كنت يوماً في الحمام، فقلت قصيدة وفيها:

فـتـمـشّـت فـي مـفـاصِـلِـهـم ... كـتـمـشّـي الـنّـار فـي الـفَـحْـم

ولم يك معي أحد فتراءى لي شيخ، فقال: قطع الله لسانك، فإنك لا تفلح، أتقول مثل ما يقول العوام، ألا قلت:

فـتـمـشّـت فـي مـفـاصِـلِـهـم ... كـتـمـشّـي الـبُـرْء فـي الـسّـقَـمِ

فقلت هكذا قلت، فقال أتكابر إبليس:

ألــذُّ مــن غــفــلــةِ الــرقــيــبِ ... شـكْـوى مـحـبٌّ إلـى حـبـيـبِ

وقال الحسين بن السرى:

وإذا احتَساها شارِبٌ فكأنما ... ماءُ المُنى في فيهِ يحلُب قاطِرَه

وقال ابن الرومي:

والله مــا أدري بــأيــةِ عــلّــةٍ ... يدعونَها في الرّاح باسْم الرّاحِ[2]
ألريحِها ولروحِها تحتَ الحَشَا ... أمْ لارتياحِ نديمِها الْمُرْتاحِ
إن حرمت فبحَقِها من حرّة ... ما كانَ مثل حريمِها بمُباحِ
أو حُلّلَتْ فبحَقِها من نشوة ... تنفي سَقام قلوبِنا بِصحاحِ[3]

● وَصْفُها بالعِتْقِ

قال أبو نواس:

اسـقـنـيـهـا سُـلافـةً ... سـبـقـت خـلْـقَ آدمـا

وقال آخر:

عـاصـرَهـا آدمُ أبـو الـبَـشـر

وقال شاعر:

عُـتّـقـت حـتّـى لـو اتـصـلَـت ... بـلـسـانٍ نـاطـقٍ وفَـمِ

---

(١) القرآن الكريم: الواقعة/١٩.
(٢) الراح: الارتياح، والراح: الخمرة.
(٣) السقام والصحاح: المرض والعافية.

لاحتبتَ في البيتِ مائلةً ثمّ قصّتْ قصّةَ الأمَمِ

وقال آخر:

قهوةٌ تذكُرُ نوحاً حينَ شادَ الفُلْكَ نوح

وقال آخر:

قهوة أبرزت بخاتم كِسْرى

وقال ابن حجاج:

قوما إسقِياني قهوةً روميّةً من عهدِ كسْرى دنُّها لم يُمْسَسِ

● **وَصْفُها بأنّها تورثِ السّخاءَ والشّجاعَةَ**

قال أبو نواس:

وخذها من مُشعشِعَةٍ كُمَيْتٍ تنزل درّةَ الرّجُلِ الشّحيحِ[1]

وأخذه من عمرو بن كلثوم:

ترى اللحِزَ الشحيحَ إذا أمرّت عليه لمالِه فيها مُهيناً[2]

وقال آخر:

إذا سُقِيَ الفتى منها ثلاثاً تسربَلَ ثوبَ مكرمَةٍ وجُودِ[3]

وقال آخر:

نشربُها فتتركُنا ملوكاً أسُوداً ما ينَهْنِهُنا اللقاءُ[4]

● **وَصْفُ النيءِ والمَطبوخ**

سئل أبو نواس عن نبيذ طُبخ، فقال:

وما طبَخوها غيرَ أن غلامَهم سعَى في نواحي كرمِها بشِهابِ

فقال بعضهم إحرقوه فأحرقهم الله. قال الأقيشر:

صفراءُ صافيَةُ الأقذاءِ حلّلها طبْخُ السراجِ ولم يُجْمَع لها حَطَبُ[5]

وقال أبو نواس:

طبَخَتْه الشّمْسُ لمّا بخُلَ العِلْجُ بنارِه[6]

قال المطوق: قال لنا جحظة يوماً قد عملت بيتاً زدت فيه على أبي نواس في وصفه، وأنشد:

فظَلّ يسقينا جنانيّةً ضنّتْ بها الشّمْسُ عنِ النّارِ[7]

---

(١) مشعشعة كميت: من أوصاف الخمر ـ الرجل الشحيح: الكثير البخل.

(٢) اللحز: اللئيم. وفي رواية اللحز أي البخيل.

(٣) تسربل: لبس. (٤) ما ينهنهنا: ما يمنعنا عنه.

(٥) الأقذاء: جمع قذى وهي الفضلات المتبقية في الشراب أو التراب المدقق.

(٦) العِلج: الرجل الضخم، والكافر. (٧) الجنانية: أي الخمرة المنسوبة إلى الجنان.

وقد أحسن، فإن الخمر التي في الجنة لم تطبخ بنار، ثم قوله ضنّت بها الشمس عن النار مع صحة معناه ظريف اللفظ. قال عمرو بن الأهتم:

مِنْ كُمَيْتٍ أجادَها طابِخاها ... لم تَمُتْ كلّ موتِها في القُدورِ

● **وَصفُها بأنها تُحمِّر الوَجْنَةَ**

قال الأعشى:

وسبيةٍ ممّا تعتّقُ بابلٌ ... كدمِ الذبيحِ سلبتُها جِريالها[1]

يُروى أن الأعشى سئل عن معناه، فقال: شربتُها حمراء وبلتها بيضاء. رُوي أن أبا نواس قال: إنما عنى به ما قلت:

كاسٌ إذا انحدَرت عن حلْقِ شاربِها ... رأيت حمْرَتها في العَيْن والخَدّ

وقال الناجم:

تنازعنا الخَدّ جريالَها ... وتهديه للعَيْن يومَ الخمار

وقال الناشىء:

نفضَتْ على الأجْسام ناصِعَ لوْنِها ... وسرَت بلذّتِها إلى الأرواحِ

● **وَصفُها عند المِزاج**

قال أبو نواس:

من قهوةٍ جاءَتك قبْل مزاجِها ... عطْلاً فألبسَها المِزاجُ وشَاحا[2]

وقال الزاهي:

كأنما الماءُ حين خالَطها ... أهدَى إليها غلائِلَ الشفَقِ[3]

وقال أبو نواس:

كأن صُغرى وكُبرى من فواقِعها ... حصباءُ دُرّ على أرضٍ منَ الذهَبِ

وقال ابن المعتز:

راحٌ كأن حبابَها ... درٌّ يجولُ مجوّفا

وقال آخر:

تنزو إذا مسّها قرعُ المزاجِ كمَا ... تنزو الجنادِبُ أوقاتَ الظُهيْراتِ[4]

وقال ابن طباطبا:

إذا ما الماءُ مازَجها تراءتْ ... كما زوّجت بالتّبرِ اللجينا[5]

---

(١) **الجريال**: لون الخمر. (٢) **عطلاً**: خالية، «عارية».

(٣) **الغلائل**: الدروع وما يوضع حول العنق وهنا كناية عن قلادة لون الشفق.

(٤) **تنزو**: تثب، وتفور - **قرع المزاج**: حينما تمزج بالماء.

(٥) **التبر**: الذهب، واللجين الفضة.

هُمَا ذوْبان لو جمُدا جميعاً إذاً صارًا معاً ورَقاً وعَيْناً[1]

وقال الصنوبري:

ناهيكَ من فضّة تجْري على ذَهَبِ ماءُ من النّور في ماءٍ من اللهَبِ

- **طِيبُ رائحتِها**

قال الأخطل:

وإذا تعاورَتِ الأكفُّ زجاجَها نفَحَت ونالَ رياحَها المزْكومُ[2]

وقال الرفاء:

فضّ النديم ختامَها فكأنّما فضّ الخِتامَ عن العبير فَفَاحا

- **نبيذٌ رديءٌ أو أسْوَد**

قال الصوفي، وفي يده قدح: وشاب هذا الليل إذا عسعس، وأومأ إلى قدح صاف **وقال**: وذاك الصبح إذا تنفس. **قال أبو تمّام:**

وكأن الأنامِلَ اعتصَرَتها بعد كدٍ من ماء وجهِ البَخيلِ[3]

وقال البحتري:

فجاءَ نبيذٌ لهُ حامضٌ يشُقّ على الكَبِد المقْفِرَة

إذا صبّ مسودّه في الزّجا جِ كانَ النديمُ به مِحْبَرَه[4]

وقال ابن المعتز:

كأن بأيْدي شاربِيها إذا اتّكوا محابر وزاقين قد ملئتْ حِبْراً

ودفع إلى رجل شراب غليظ، وقيل له: كيف تراه؟ فأنشد:

هوَ في الجُوع طعَامٌ وهوَ في الظمء شرَابُ

سقى بعضهم ضيفاً له نبيذاً رديئاً، **وقال**: هذا نبيذ من عانة، **فقال الضيف**: بل من العانة على أربع أصابع

- **استيهاب الشراب للأضياف**

كتب أبو تمّام إلى صديق له يستوهب منه مشروباً لصديق. يزعم أنه نزل به:

جعلْتُ فِداكَ عبدَ الله عندي بعقب الصدّ منه والبُعادِ

فأحسن يومِنا إن لم تجِدنا مصادف دعوةٍ منا جَمَادِ

---

(١) **ورق وعيناً**: الذهب والفضة المضروبان.

(٢) **تعاورتها الأكف**: تداولتها ـ **المزكوم**: المصاب بالزكام.

(٣) **ماء وجه البخيل**: كناية عن شدّة العصر (الاعتصار).

(٤) **النديم**: المصاحب في الشراب ـ **محبرة**: وعاء الحبر.

فكمْ نوءٍ من الصَهباء سارٍ ... وآخرُ منك بالمعروف غادٍ[1]
فهذا يستهِلّ على غليلي ... وهذا يستهِل على بِلادي

وكتب ابن الحجاج إلى صديق له:

يا سيّدي قد جاءَ زوّاري ... فظلتُ في نارٍ وفي عارِ
فامنُنْ بخَمرٍ أو فوجّه بمن ... يخرجُهم بالصَفع من داري

قال السري الرفاء مستدعياً شراباً:

الراحُ قدْ أعوزَتْنا في صبيحَتنا ... بيْعاً ولو وزن دينارٌ بدِينارِ[2]
فامنُنْ بما شِئتَ من راحٍ يكونُ لنا ... ناراً فإنا بلا راحٍ ولا نارِ

● **من استوْهَبَهُ وَرَامَ إكبارَ الظَّرْفِ أو تَرْكِ المِزاج**

قال الرفاء:

عنْدي ضيفٌ لم يزل مضيفاً ... فأهدِ لي خلوقَك المذوفا[3]
تحوي لهُ الشكْر له صُنوفا ... وكبرِ الظرفِ تكُنْ ظَريفَا

وقال آخر:

واعلمْ بأن ظروفَ الرّاحِ إن كبرَت ... عند الهديةِ أبدَت ظرفَ مُهْديهَا

وقال جحظة:

ومرّ الغلامُ بتركِه من مزْجه ... إن النوالَ يطيبُ غيرَ مكَدّرِ

وقال الزاهي:

أرى المشروبَ عِزّ وذاك شيء ... إذا حصّلته حصلت حمْدي
فمرهم يبْعثوه بغَيْر مزْجٍ ... فإنّ الماءَ ليْس يضيقُ عندي

● **مُعَاتِبَةُ مَنْ بَخُلَ بالنَّبيذ**

كتب الكتنجي إلى بعض إخوانه يستهديه نبيذاً، فتباطأ عليه، ثم عاد الرسول، فقال هو يستدعي ظرفاً يجعله فيه، فكتب إليه:

مطلتَنا بالنّبيذ دهراً ... ما بيْن مطْل وبين خُلْفِ
وبعْد دهرٍ طلبْت ظرفاً ... كأن قارورةً بألْفِ
فمَن يرَجيك بعْد هذا ... ولسْت ممّن يفي بظَرْفِ

فدعا الرجل سقاءين فملأ قربتيهما، وبعثهما إليه

---

(١) نوء: عطاء ـ الصهباء: من أسماء الخمر ـ الغادي: المبكّر.

(٢) الراح: الخمرة.

(٣) خلوقك المذوفا: الخلوق: الطيب من الزعفران، المدوف الممزوج.

(٢)
ومما جاء في النِّدام والنِّدَمَاء والسُّقاة

●

● وُجوبُ حَقِّ المُنادَمةِ وَذِكْرِ مَنْ عَظَّم نَديمَه

رُوي أن النبي ﷺ لم يُر ماداً رجليه بين يدي جليس له قط، ولا أخذ بيد أحد فانتزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها. **قال ابن عباس رضي الله عنهما**: لجليسي عليّ ثلاث، أرميه بنظري إذا أقبل وأوسع له إذا جلس وأصغي إليه إذا حدّث. **قال شاعر**:

أرى لـلـكـاسِ حـقّـاً لا أراه ... لـغـيْـر الـكـاسِ إلا لـلـنّـديـم[١]

وقال الجاحظ رويت هذا البيت دهراً لا أعرف له ثانياً، فسمعت يوماً حمامياً يوقد أتونه وينشد معه:

هـو الـقـطْـبُ الـذي دارتَ عـلـيْـه ... رحَـى الـلـذاتِ فـي الـزّمـنَ الـقَـديـمِ

وقال سعيد بن حميد:

الكاس حرمتها أولى من النسب[٢]

وقال حصابة: إن المنادمة الرضاع الثاني. وكان القعقاع إذا جالسه جليس فعرفه بالقصد إليه، جعل له نصيباً من ماله وأعانه على عدوه وشفع له في حاجته وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً له، **وفيه يقول**:

وكـنْـت جـلـيـسَ قـعـقـاع بـن شـور ... ولا يـشْـقَـى بـقَـعْـقَـاع جَـلـيـسُ

قال يحيى بن أكثم: ما رأيت أكرم من المأمون بتّ عنده ليلة فعطش فكره أن يصيح بالغلمان، وكنت متنبهاً فرأيته قد قام فمشى قليلاً إلى البرادة حتى شرب ورجع. ورأيته ليلة وأنا عنده وحدي وقد أخذه سعال يسدّ فاه بكمه كيلا انتبه.

● الإنخراطُ في سِلْكِ الشُرْبِ والصَّحْب

جلس المتوكل مع جماعة، وفيهم يحيى بن أكثم، فلما شرب الناس ثلاثة أرطال، أمر يحيى بالإنصراف، **فقال له**: ولم يا أمير المؤمنين؟ فقال لأنا قد خلطنا، **فقال**: أحوج ما يكون إلى قاض إذا خلطتم، فاستظرفه المتوكل وأمر أن تغلف لحيته بالغالية، ففعل، **فقال**: ضاعت الغالية وكان هذا يكفيني دهراً، فأمر بزورق من الغالية ودرج بخور، فجعلا في كمّه.

● طِيبُ المُدام بِطيبِ النِّدَام

قيل لأعرابي كم تشرب من النبيذ؟ **فقال**: مقدار النديم

---

(١) النديم: المصاحب في الشراب ـ وهو حق للنديم: أي تعظيم له.

(٢) **أولى من النسب**، وقيل أدلى من النسب أي يُتوسل بها عن النسب، والأرجح في رأينا أولى من النسب.

وقال أبو نواس:

الراحُ طيّبَةٌ وليس تمامُها ... ألا بطيبِ خلائقِ الجُلاسِ

وقال آخر:

إنما تُستعذَب الرا ... حُ بأخلاق النديمِ

وقال العطوي:

تصفو الزجاجَةُ بالنّديم إذا صفَا ... ويكدُّر الندمانَ صفوُ الرّاحِ

وقال آخر:

يقولونَ قبْل الدارِ جارٌ مُوافِقٌ ... وقبْل الطريقِ النّهج أنسٌ رفيقُ
فقلْتُ وندمانُ الفتَى قبْل كاسِه ... وما حثّ كاسَ اللهوِ مثْلُ صديقِ

وقال آخر في صديق استطاب مجالسته:

يا ليلةً لسْت أنسى طيبَها أبداً ... كأنّ كلَّ سرورٍ حاضِرٌ فيها
باتَت وبِتّ وباتَ الزّقُ ثالثَنا ... حتّى الصباح تسْقِينِي وأسقيها
كأن سودَ عناقيدٍ بلمّتِها ... أهدَت سلافتَها صِرفاً إلى فيها(١)

● إختيارُ عَدَدِ النُّدْمان

قال منصور الفقيه:

فليُدعَ منها خمسةٌ ... متخيّرين ولا يزدِ
فدوين هذا وحشةٌ ... وفويقَه سوقُ الأحَدِ

وقال آخر في المعنى:

إذا ما جاوزَ الندمانُ خمْساً ... بربّ البيتِ والسّاقي اللبيبِ
فأير في حِر أم فتًى دعانا ... وأير في حر أم فتًى مجيبِ

● طَرْحُ الحِشْمَةِ في المُنادَمَةِ ومُراعاتُها

جاء محمد بن حماد إلى ابن الجنيد، **فقال**: يقول لك أمير المؤمنين المعتصم تهيأ لمزاملتي، **قال**: كيف أتهيأ؟ **قال**: إذا زاملته فإياك أن تبزق أو تمخط أو تتثاءب أو تسعل أو تعطس، **فقال** ابن الجنيد: ارجع إليه وقل له: في حِرّ أم من يزاملك على هذا الشرط، فلما رجع إليه ضحك واستدعاه، **فقال**: آمرك بمزاملتي فتراسلني بذلك، **فقال**: إن هذا الأحمق شرط علي شروطاً يهرب منها الشيطان، فإن رضيت أن تفسو عليّ وأفسو عليك وإلا فلست بصاحبك.

وقيل لبعضهم: ما العيش؟ **فقال**: طرح الحشمة وترك الطب. **قال إسحاق**

---

(١) بلمتها: اللمّة: الشعر المجاوز لشحمة الأذن ـ سلافة الخمرة: خالصها وأفضلها.

الموصلي: كانت الخلفاء من بني أمية لا يظهرون للندماء والمغنين، وكان بينهم وبين ندمائهم ستارة، وكان بنو العباس يظهرون ثم احتجبوا عنهم، ولم يُر أبو جعفر قط يشرب إلا الماء، وكان المهديّ في أول أمره يحتجب متشبهاً بمن قبله ثم ظهر لهم، **وقال**: اللذة في مشاهدة السرور والدنو من الأحباب.

● **الوَصيةُ بِطيّ حَديثِ الشُّرْب**

قال المأمون رحمه الله: أطووا خبر أمس مع ذهاب أمس، فهو أدوم للسرور وأسلم للصدور. **وقال**: النبيذ بساط إذا رفع لم ينشر.

وقال علي بن صالح:

حكمُ العقار إذا قصدت لشربها ... في لذّةٍ من مَسْمعٍ أو قيان
أن لا تعودَ لذِكْرِ ما أبصرت من ... أحدوثةٍ من شاربٍ سكران

وقال آخر:

إذا ذكرُ النبيذُ فليس حقّاً ... إعادةُ ما يكونُ مع النبيذِ
إعادةُ ما يكونُ من السّكارى ... يكدّرُ صفوةَ العيشِ اللذيذِ

● **المَمْدوحُ بِتَرْكِ إعادَةِ الحَديثِ وَمُعاتَبَةِ النَّديم.**

قال شاعر:

ولستُ بلاحٍ لي نديماً بزلّةٍ ... ولا هفوةٍ كانَتْ ونحنُ على خَمْرِ(١)
عركت بجنبي قول خذني وصاحبي ... ونحنُ على صهباء طيبةِ النشر(٢)
وأيقنتُ أن السكْرَ طارَ بلبّه ... وأعرق في شتْمي وقالَ وما يَدْري(٣)

وقال ابن الجهم:

تنازَعوا لذّة الصهباء بينَهم ... وأوجَبوا الرّضيع الكاس ما يجبُ(٤)
لا يحفَظون على السكران زلّته ... ولا يريُبك من أخلاقِهم ريَبُ

● **استقالةُ مَنْ بَدَرَ مِنه في السُّكرِ بادِرَة**

قال شاعر:

إذا حكّمتَ كؤسَك في الندامَى ... فحقُّهمُ الإقالةُ للعِثارِ(٥)

---

(١) لاح: لائم - الزلة: الهفوة. (٢) الخلن: الصاحب.
(٣) أعرَق في شتمي: صار عريقاً في سبّي. (٤) رضيع الكاس: أخوه (في الرضاعة).
(٥) الإقالة للعثار: الصفح عن، والإنهاض من السقوط.

وقال آخر:

مـا عـلـى مـثـقـل مـن الـنـوم والـسـكـران فـيـمـا أتـى مـن الآثـام

وقال آخر:

ومن يقرع الكاسَ اللئيمةَ سنُه فـلا بـدّ يـومـاً أن يُـسـيءَ ويـجْـهَـلا

● المَمْدوحُ بِمسامَحَةِ رَفيقِهِ في الشُرْب

قال بعضهم:

هلمّ اسقِنِي كأساً ودَعْ عنك منْ أبى وروٌ عِـظَـامـاً قـصـرهـنّ إلـى بـلا

فـإنّ نـديـمـي غـيـر شـكّ مـكـرّم لديّ وعندي من هواه الذي أرْتَضى

ولسْت له في فضلةِ الكاس قائلاً لأصـرعَـه سـكْـراً تـحـس وقـدْ أبـى

ولـكـنْ أفـديـهِ وأكْـرمُ وجـهَـه واشرَبُ ما يسقي وأسقِيه ما اشتهَى

وقال أبو نواس:

ولـسْـتُ بـقـائِـلٍ لـنَـديـم صـدْق وقـد أخـذَ الـشـرابُ بـوجـنـتَـيْـهِ

تـنـاولْـهـا وإلاّ لـمْ أذقْـهـا فـيـأخـذُهـا وقـد ثـقـلَـت عـلـيْـه

ولـكـنّـي أداري الـشـربَ عـنْـه وأصـرفـهـا بـغَـمْـزَة حـاجِـبَـيْـهِ

فـإن مـدّ الـوسـادَ لـنَـوْم سـكـرٍ دفـعْـتُ وسـادَتـي أيـضـاً إلـيْـهِ

● مَنْ لا يُعتَدُّ بِمجالَسَتِهِ وَمَنْ يُعرَضُ بِمَذْهَبِهِ

قال بعض المحدثين:

خـرجْـنـا جـمـيـعـاً إلـى نـزهـة وفـيـنـا زيـاد أبـو صـعْـصَـعَـة

فـسـتّـة رهـطٍ بـه خـمْـسَـة وخـمْـسـة رهْـطٍ بـهِ أربـعَـة

وقال آخر:

عـنْـدي جـعـلْـت لـكَ الـفـدا سـهْـلٌ وسـهْـلٌ لـيْـس يُـجْـدي

إن لـمْ تـكُـنْ لـي ثـانِـيـاً فـكـأنّـنـي فـي الـبـيْـت وحْـدي

وأصله لأبي حية:

أصمّ إذا ناديْتَ جهْراً وإن تشِر فأعمَى وإن تفعَل جميلاً فجاحِدُ

وأقـسِـم بـراً أن لـولا خـيـالـه لـمـا كـنـت إلاّ مِـثْـلَ مـن هـو واحِـدُ

وقال صاحب وفي يده كاس:

تـطـيـبُ كـؤوسُـنـا لـولا قـذاهـا ويـحـتـمـلُ الـجـلـيـس عـلـى أذاهـا

فقال النابغة:

قـذاهـا أن صـاحـبَـهـا لـئـيـمٌ يـحـاسِـب نـفـسـه بـكـمِ اشـتـراهـا

● **طِيبُ مُجالَسةِ الإخوانِ ومُحادَثَتِهِم**

قال شبيب بن شبة: لم يبق من لذات الدنيا إلا أربعة مجالسة الإخوان ومناسمة الولدان وملامسة النسوان ومداولة الكاس مع الندمان. **قيل لبعضهم:** ما بقي من لذتك، **فقال:** محادثة الإخوان في الليالي القمر على الكثبان العفر.

وقيل لبعضهم: تمنَّ، **فقال:** وجه حبيب ومغن مصيب وساق أريب ونديم لبيب. وقيل لآخر: ما العيش؟ **فقال:** لون مشبع ومغن ممتع وكاس مترع ونديم مقنع. **وقيل:** مجالسة أهل الفضل ذكاء العقل.

● **إيثارُ مُحادَثَةِ الإخوانِ عَلى غِناءِ القِيان**

قال علي بن الجهم:

شَهِدتُها وفتيةٌ أخيارُ لهوُهم الإسمارُ والأشعارُ
ومِلَحٌ تقدَحُ منها النارُ بمثلِهم يُعاقَرُ العقارُ[(١)]

وقال ابن المعتزّ في مدح ذلك:

بين أقداحِهم كلامٌ قصيرٌ هو سِحرٌ وما سِواه كلامُ

● **إيثارُ التفرُّدِ بِالشّرابِ وذَمُّه**

قال أبو نواس في ذلك:

خلوتُ بالرّاح أناجِيها آخذُ منها وأُعاطِيها
شربْتها صِرْفاً على وجهِها وكنت حاسِيها وساقِيها

وقال العطوي:

أخطبْ لكاسِك ندماناً تسرّ بهِ أو لا فنادِمْ عليْه حكمةَ العِنَبِ[(٢)]

وقال آخر:

يئستُ من الألى أقبلْتُ أسعَى إليهم، إنني رجلٌ يؤوسُ

● **التناهد**

قال شاعر:

ما العيْش إلا للمناهدينا مؤنة قضَتْ على عشرِينا[(٣)]
ولو تفرّدنا بها خرينا

---

(١) **المِلَح**: الطرَف والكلام الظريف جمع ملحة ـ **يُعاقر العقار**: يداوم على شرب الخمر.

(٢) **حكمة العنب**: الخمر.

(٣) **المناهدين**: الذين يشتركون في شراء الطعام وأكله.

وقال بعضهم في متناهدين:

وقال حفصٌ لزيدٍ حين ناهدَه ... منك النبيذ ومني الدنُّ والكوزُ
واللحم منك ومني النار أُنضِجُه ... والماءُ مني ومنك الخبْزُ مخبوزُ

وتناهد قوم وفيهم مفلس، فقال أحدهم: عليَّ كذا، وقال الآخر: وأنا عليّ كذا، إلى أن قالوا للمفلس وأنت ما عليك، فقال: لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

قال الحسن بن سهل في جماعة من القواد يتناهدون:

كُنا نذمّ إلى التناهد بيننا ... حتى رأيت تناهدَ القوّادِ
لا خير في القوّاد إلا هكذا ... يتناهدون تناهُدَ الأوغادِ[1]
ترضى لنفسِك أن تصاحِبَ معْشراً ... يتناهدون على خسيس الزّادِ

● **التعفُّفُ عن التعرُّضِ لأخدان النُّدَماء**

كان بعض الفضلاء ينادم صديقاً له فعشقته امرأته، فتعرضت له فامتنع عليها، وقال:

ربَّ حسناء كالمهاةِ تهادَى ... قد دعتني لوصلِها فأبيْتُ[2]
لم يكن بي تحرّجٌ غير أني ... كنت ندمان زوجِها فاستحيْتُ

وقال آخر:

إنّي على ما فيّ من ... عهْد الشبيبةِ والغضَارَة
لأغضّ من طرْفي فيا ... منني النديمُ على السّتارَة

وكفى بعيب ذلك ما حكى الله تعالى: ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]

● **المُعيبُ بِتعرُّضِهِ لِحَرَم نَديمِهِ**

قال بعضهم لنديم رآه يرمق بعض حرمه:

كلْ هنيئاً وما شربْت مريئاً ... ثمّ قمْ صاغِراً وغيرَ كَريم
لا أحبّ النديم يرمُقُ بـا ... لعينِ إذا ما انتشى لعِرس النديمِ[4]

● **المُتبجِّحُ بالتّعرُّضِ لِلنُّدَماء**

قال المهدي لعمارة بن حمزة: من أرق الناس شعراً، قال: والبة بن الحباب، قال: صدقت. قال عمارة: وما يمنع أمير المؤمنين من منادمته وهو شاعر ظريف، قال: يمنعني منه قوله:

قلْتُ لساقِينا على خَلْوَةٍ ... اذنِ كذا رأسَك مِنْ راسِي

---

(١) الأوغاد: الأرذال والدنيئون.
(٢) كالمهاة: كالبقرة الوحشية.
(٣) القرآن الكريم: يوسف/ ٢٥.
(٤) عرس النديم: الزوج المصاحب على الشراب.

وأدن وضعَ صدرَك لي ساعَةً ... إني امرُؤ أنكَحُ جُلاسِي

أفتريد أن تكون جليسه.

ولبعض الخاسرين:

لا أبغضن منادِمي إن نكتُه ... إني لنيك منادمي معْتادُ

وكذاكَ لسْت ألومُه إن ناكني ... فلقد علمْت كما أكيد أكاد

● **العَرْبدة**

قال الأصمعي: العربدة حية تنفخ ولا تؤذي، ومنه قيل لمعربد بوجهه خموش: ما هذه الكلوم؟ **قال**: آثار الكلام. وكان رجل معربد له يسار، وكان إذا عربد على واحد أعطاه خمسمائة درهم، **فقال لإنسان**: هل لك أن تنادمني؟ **قال**: على أن تعربد عليّ عربدة نحو مائتين، فإني لا أقوى على عربدة خمسمائة. **وقال الحسين بن خليع**: نادمت يوماً إبراهيم بن المهدي فَسكِر وعَرْبد عليّ، فدعا بالنطع والسيف، فتكلم في أصحابه فتجافى عني، ثم تأخرت عنه فدعاني، فكتبت إليه:

أميرٌ غيرُ منسوبِ ... إلى شَيءٍ منَ الحيفِ[1]

سقَاني مثْلَ ما يشْـ ... ـرَبُ فعْل الحرّ بالضّيفِ

فلمّا دارتَ الكاسُ ... دعَا بالنطْع والسّيفِ

كذا من يَشْرَبُ الراحَ ... مع التنّين في الصّيفِ[2]

فدعاني وأرضاني.

ثم كان المأمون يضاحك إبراهيم بهذه الأبيات ويولع بها.

وسئل عبيد الله بن محمد عن طنبوري له، **فقال**: هو بليد حديد عربيد أن حث عثر وإن أمسك قصر، وان ابتدأ غلط، وإن اقترح عليه سخط، وإن دُعي مطل وإن ترك تطفل. **وقيل**: صاحب السكر يصير إمّا إلى قردية وهو الذي يضحك ويرقص ويحاكي، أو إلى كلبية وهو الذي يهارش، أو إلى خنزيرية وهو الذي يتقيأ ويخرأ ويتلوّث فيه، أو إلى إنسانية وهو الذي يحسن خلقه. **ولبعضهم يصف معربداً**:

إذا انتَشى خاصم في الدين وإنْ ... صادفَ إنساناً يُمَاريه[3]

ويدّعي الشرب ويهذي به ... والقدح الواحِدُ يكْفيهِ

يحبس كاسَ القوم في كفّه ... حتّى إذا قالوا له إيه[4]

أفضل ثلث الكاس في قعرِها ... ومجّ ثلثَ الكاسِ من فيهِ

---

(١) الحيف: الظلم.

(٢) التنين: الحية العظيمة.

(٣) يماريه: يجادله وينازعه.

(٤) قالوا له إيهِ: قالوا له أن يستزيد في الشراب.

وقال أبو نواس:

ومـعـربـدٍ أبـرزتـه   لـلـريـح إذ سـبّ الـنـدامـى
أغـلـقـت بـابِـي دونَـه   وتـركـتُـه يـرعـى الـخُـزامـى[1]

ويضاد ذلك ما حكى أنه أتى العريان بشارب، فقال من أنت؟ قال أنا القائل:

إذا صدمتْني الكاسُ أبدَت محاسِني   ولم يخْش ندماني على صدْمها جَهْلي

فقال العريان: أنعم الله بك عيناً، وقال لصاحبه: إحمله على دابتك وبلغه منزله.

• مَدْحُ الصَّفْعِ واحتجاجُ الصفعانِ لذلك

الصفْعُ غلّة ولكنه مذلّة ويذهب بالعلّة الغليظة من العينين، إذا أردت أن يكثر نفع دارك فاصبر على الصفع المتدارك. الصفع في هذا الزمان خير من غلّة بستان. الصفع على الريق أنفع من شرب السويق. وقيل لصفعان: ما المعنى في الصفع؟ قال: هو أول منزلة من التواضع وهو يحسن الخلق ويذهب بالصغار ويخفف من الخمار ويؤمن البدن من الاقشعرار، ومن فضائله أنه يونس المستوحش ويبسط المنقبض ويضحك الحزين وينشط الكسلان ويزيل النعاس ويقوي الراس. صفع رجل آخر فغضب المصفوع، فطأطأ رأسه، وقال له: حقك في يدك خذه ولا تغضب.

• مُعَارَضَةُ صَفعان لِمَنْ صَفَعَه

كان صفعان مع قوم فصفعه بعض لم يكن يؤبه به من بينهم، فقال الصفعان: يا كشحان هذا يفعله من كان له قصر وفي داره طاوس وعلى بابه نعامة، لا من في داره ديك وعلى بابه كلب وحجرته بالكراء.

وصفع رجل آخر فالتفت إليه، وقال: صفع بصفع أو صفع بنفع.

• المَهْجُو بأنه صَفعان

قال شاعر:

قـفَـاه عـلـى أكُـفّ الـشـرْب وقْـفٌ   وجـلـدَةُ وجـهـه مَـيْـدانُ ريـقِ[2]

وصفع أحمد بن إسماعيل الكاتب صاحباً له، فقال:

سـائـلْ طـلـولَ الـقـفَـا ومـصـفَـعَـهـا   كـيـف تـرى راحَـتـي ومـوقِـعَـهـا
كـم صـائِـن هـامـة مـمـنّـعـة   ذلّـلـهـا صـافِـعٌ وطـبّـعـهـا

ولابن حجاج في المتنبي:

يـا ديـمـةَ الـصّـفـا هـبّـي   عـلـى قـفـا الـمـتـنـبّـي

---

(١) الخزامى: نوع من الزهر طيب الرائحة.   (٢) الريق: اللعاب.

وأنـتِ يـا رِيـحَ بـطْـنـي		عـلـى عـذارَيْـه هُـبّـي[1]
ويـا قـفَـاه تـدانـي		واقـعـد قـريـبـاً بـجَـنْـبِـي
وإن صـفـعـتـك ألـفـاً		فـلا تـقـولَـنَّ حـسْـبِـي

وله في بعض الكتاب:

رأيـتُ شـيْـخـاً رقـيـعـاً		لـلـصـفْـع فـيـه بـقـيَـه
مـسـتـعـربـاً نـبـطـيّـا		ويـشـتَـهـي الـعـجـمـيّـه
فـقـلْـتُ ذقـنـك فـي إسـتـي		هـذا مـن الـعـربـيّـه
وريـشُـك بـبـاب كـونـي		هـذا مـن الـعـجـمـيّـه
أولا فـدعـنـج بـوطـنـي		هـذا مـن الـنـبـطـيـه
هـذي لـغـاتٌ ثـلاثٌ		صـحـيـحـة مـسْـتَـوِيَـه

وقال ابن الرومي:

وصـفـعـان يـجـودُ بـأخـدعَـيْـه		ويـصـفَـع نـفـسَـه فـي الـصـافِـعـيـنـا[2]
كـهـدْم الـمـشـركـيـنَ بـيـوتَ سـوءٍ		بـأيـدِيـهـم وأيـدي الـمـؤمِـنـيـنـا

ومما يدخل في باب الصفع، خاطر رجل على أن يصفع المطلب الهاشمي بباب الطاق فيشكره المطلب على ذلك، فوقف يوماً على طريقه وصفعه من خلفه في النقرة، **وقال**: العقرب العقرب وكان معه عقرب منزوع الحمة فلما رأى المطلب العقرب شكره، **وقال**: جزيت خيراً فلولا أنت لدغتني.

● وَصْفُ ثَقِيل

ما الحمام على الإصرار وحلول الدين مع الإقتار[3] وشدة السقم على الأسفار بأثقل من لقاء فلان. **وقال رجل لأبيه** يا أبتِ: حدثني مستملى أبي حنيفة أن أبا حنيفة **قال**: إني ثقيل، **فقال**: يا بنيّ أنت ثقيل بالإسناد. وصف آخر ثقيلاً، **فقال**: هو ثقيل جاهل بثقله والثقيل إذا علم أنه ثقيل فليس بثقيل. **قال شاعر**:

أثـقَـل مِـنْ طـلْـعَـة يـوْم سـبْـتٍ		عـلـى ابـن كـتـاب بـلـيـد هـبـت[4]

وفسر سعيد بن المسيب قول الله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[5]، إنه ثقيل لغير رشده. **وقال إنسان لأحمد بن أبي خالد**: لقد أعطيت ما لم يعطه رسول الله ﷺ، **فقال له**: لئن لم تخرج من ذلك لأقتلنك، **فقال**: إن الله تعالى قال لنبيه: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب

---

(١) **عذاريه**: العذار جانب الخدّ.	(٢) **الأخدعان**: عرقان في جانبي العنق.
(٣) **الإقتار**: الضّيق في النفقة.
(٤) **الهبت**: من هبته هبتاً ضربه والهبيت والمهبوت الجبان الذّاهب العقل.
(٥) **القرآن الكريم**: القلم/ ١٣.

لانفضوا من حولك﴾[1] وأنت فظ وما يبرحون حولك، فضحك منه.

رؤيتُه أثقَلُ مِن رضوى ... أثقَلُ من واشٍ على عاشِقِ[2]

قال أبو العتاهية لابنه: أنت ثقيل الظلم مظلم الهواء جامد النسيم. وقال شاعر:

كمِثْل غريم مقتضٍ أو كأنّه ... طلوعُ رقيبٍ أو نهوضُ حبيبِ

وقال أبو نواس:

لطلعَته وخزَةٌ في الحَشا ... كوَخزِ المشارطِ في المحتَجَم

وقال أحمد بن حمدون:

صلفٌ مائقٌ ضعيفٌ مقيتٌ ... أحمقٌ ساذَجٌ ضعيفُ الكتابه[3]

وقال آخر:

وبغيض لو أنه كانَ صوتاً ... كان إيقاعُه ثقيلَ الثقيلِ

وللصاحب:

ثقيلٌ قد تربّعَ في الطنَافِس ... ينافِسُ في لجاجَتِه الخنَافِس

● الحَثُّ على مُصابرَةِ الثَّقيل

سأل رجل صديقاً له أن يمشي معه إلى إنسان في حاجة، فقال: أحب أن تعفيني، فإنه ثقيل بغيض غث، فقال صاحبه: يا سيدي أحسبه الكنيف الذي تأتيه كل يوم مرتين.

● صُعوبةُ مُلاقاةِ الثُّقلاء

قال الأعمش: ما نظرت إلى ثقيل إلا اشتكت عيني، وقال: ربما سألني ثقيل عن مسألة فأنساها في الوقت، لما ينالني منه. وقال ابن عمر رضي الله عنه: اتقوا من تبغضه قلوبكم. وقال مالك لطبيبه: أنظر مجسي فجسه، وقال: مزاجك معتدل إلا أن فيه كدراً فهل وصل إليك اليوم بغيض؟ قال: نعم، قال: فهذا من ذاك. وقيل: مجالسة الثقيل حمى الروح، ومنه أخذ أبو هفان:

أورثَتني بجلوسٍ ... إلَيك حمّى مليلَه

وقيل لأنوشروان: ما بال الرجل يحمل الحمل الثقيل فلا يعييه ولا يحمل مجالسة الثقيل، فقال: لأن الحمل تشترك فيه الأعضاء والثقيل تنفرد به الروح.

● الأحوالُ المُفضيةُ لِلثِّقل

قال ابن سيرين: مكتوب في كتاب سوء الأدب إذا أتيت منزل قوم فلم ترض بما

---

(١) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٥٩.

(٢) أثقل من رضوى: أثقل من جبل رضوى ـ الواشي: النمام.

(٣) صلف: متكبّر ـ مائق: أحمق ـ المقيت: الممقوت.

يأكلون، وسألتهم ما لا يجدون، وكلفتهم ما لا يطيقون، وأسمعتهم ما يكرهون، فإن لم يخرجوك فهم لذلك مستأهلون.

وقيل: من مقتضيات الثقل إن يكون الإنسان يتنايس وهو يقدر أن يتكايس. ودخل ثقيل على ابن أبي البغل فأطال الجلوس، فلما خرج الناس **قال**: هل من حاجة؟ **قال**: لا، فانظره ساعة، ثم قال ما اسمك؟ **قال**: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله، **فقال لحاجبه**: خذ بيد أبي عبد الله محمد بن عبد الله واطرده إلى لعنة الله.

● **التَّعريضُ بِثَقيل**

قال ابن عائشة: ذكر الله تعالى الثقلاء، **فقال**: فإذا طعمتم فانتشروا. وشرب بغيض عند رجل، فلما أمسى لم يأته بسراج، **فقال**: أين السراج؟ **قال**: إن الله يقول وإذا أظلم عليهم قاموا.

قال ثعلب لرجل استثقله: خاتم طاوس، فلم يعلم الرجل ما عناه، **فقال له ثعلب**: إن طاوساً نقش على خاتمه أبرمت فقم، فإذا استثقل رجلاً دفعه إليه وقال اقرأه.

وعاد الشعبيّ ثقيلٌ فأطال الجلوس، ثم **قال**: ما أشد ما مرّ عليك في مرضك، **قال**: قعودك عندي. ودخل ثقيل إلى الصاحب فأطال الجلوس وتبرم به، فكتب رقعة ودفعها إليه فيها:

إن كنتَ تزعمُ أن الدارَ تملكُها ... حتّى نقومَ فنبْغي غيرَها دارا
أو كنتَ تعلمُ أن الدار أملِكُها ... فَقُمْ لكي تذهبَ الأحزانُ والعارا

ودخل علي ابن مكرم أخوان من أولاد دينار، فاستثقل أحدهما واستطاب الآخر، فانزعج الثقيل وبقي الآخر.

فقال له ما مثلك ومَثَلُ أخيك إلا ما قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾(١)

● **اغتيابُ الثُّقَلاءِ والوَقيعةُ فيهم**

قال معمر: لا غيبة للثقلاء والوقيعة فيهم من اللذات. وفي مجالسات أبي بكر بن دريد لم يبق من لذة الدنيا إلا أكل القديد وحك الجرب والوقيعة في الثقلاء.

وفي وصف بارد: هو جبل همدان وماء سيدان، **قال يوسف بن المغيرة**:

ومن يقتل الأبطالَ بأساً ونجدة ... فإن أبا يعقوب يقتُلُهم بَرْدا

وقال آخر:

إنما ظرفُ أبي العيناء في المجلسِ لحظَه ... فإذا طاولتَه استبردتَ معناه ولفظَه

---

(١) القرآن الكريم: الرعد/ ١٩.

● **وَصْفُ ساقٍ يَشْغَفُ الشَّرْبَ بِحُسنه ويُلْهيهم بغُنْجِهِ**

لأبي فراس وقد حضر مجلساً فثمل، فقيل له: سكرت، فأنشأ يقول:

سكرْتُ من لحْظه لا من مُدامَته ... ومالَ بالنَّوْمِ عن عيْني تمايلُه

وما السّلاف دهتْني بلْ سوالفُه ... وما الشّمولُ دهتْني بل شمائِلُه[1]

لوَى بعَقْلي أصداغٌ لُوينَ له ... وغالَ صبْري ما تحْوي غلائِلُه[2]

وقال آخر:

وساعٍ على صحْبي بصهباء ... كالغصْن المغتص بالماءِ

أغارُ من وقفته كلّما ... قال لحاسي الكاسِ مولائي

حتّى لقد صاروا وهم أخوتي ... من شدّة الغيرَة أعدائِي

● **وَصْفُ ساقٍ تُشْبِهُ وَجْنَتُه خَمْرَة**

قال ديك الجن:

فقام بخمر يخضب الكفَّ كاسُها ... وتحسَبه من وجنَتَيْه استعارَها[3]

أخذه ابن المعتزّ وزاد عليه، فقال:

تدورُ علينا الراحُ من كفّ شادنٍ ... له لَحْظُ عيْنٍ يشتَكي السقْم مدنِفُ[4]

كأن سلاف الخمرِ من ماءِ خدّه ... وعنقودَها من شعْره الجعْدِ يُقْطَفُ

وقال جحظة:

وخَمارةٍ من بنَات القُسوس ... تبيعُ المُدامَة في دارِها

وجاءَت تهادَى كقدّ القَضيبِ ... سقتْه الغوادي بأمطارِها[5]

وفي كفّها قهوَةٌ في الإناءِ ... وكالنّار لم تغلِ في نارِها

كوجنةِ منْ هيَ في كفّها ... ونكهتها وقتَ أسحارِها

فمن قارص وردَتَيْ خدّها ... ومن جاذب فضْل زنّارِها[6]

وقال الفرج الصالحي:

ثملٌ من خمْر ريقَته ... عطرٌ من وزد وجنَتِه

---

(١) **السلاف**: أفضل الخمر ـ **الشمول**: من أسماء الخمرة.

(٢) **الأصداغ**: جمع صدغ، ما بين العين والأذن من جانب الوجه ـ **وغال صبري**: سرقه وذهب به ـ **ما تحوي غلائله**: أو ما تغم ثيابه من مفاتنه.

(٣) **استعارها من وجنتيه**: أي مورّدة.

(٤) **الشادن**: ولد الغزال ـ **المدنف والدنف**: الذي لزمه المرض الشديد.

(٥) **الغوادي**: جمع الغادية، وهي السحابة التي تنشأ وتمطر غدوة.

(٦) **فضل زنارها**: الزائد من ثوبها.

قــامَ والأرداف تُــقْــعِــدُه والــدّجـا مــن لــوْنِ طــرّتِــه
فــسَـقـاني الــخَـمْـرَ مــن يَـده وحـلـلـنـا عـقْـدَ تـكـتِـه[1]

- **ساقٍ يَطيبُ مِنْ يدِهِ المُدام.**

قال شاعر:

ولـم يـكـنِ الـشـرابُ كـذا لـذيـذاً ولـكِـن طـابَ حـامِـلُـه فـطـابَـا

وقال ابن المعتز:

إشـرب عـقـاراً كـأنّـهـا قـبَـسٌ قـد سَـبَـكَ الـدهـرُ تبرَهـا فـصَـفـا
بـيـدي لـثـام الإبـريـق من دمِـهـا كـأنّـه راعِـف ومـا رَعَـفـا
بـكـفّ سـاقٍ حـلـوٍ شـمـائـلـه مـكْـر لـحْـظِ عـيـنِـه صـلَـفـا[2]

- **وَصْفُ الشّرابِ والسّاقي**

وقال السري الرفاء، وقد أحسن في وصف الساقي:

وكـأنّـمـا أبـدى لـنَـا بـمُـدامِـه وجـمـالِه صـاح الـعزيزَ ويـوسـفـا[3]

وقال أبو نضلة:

قـامَ الـغـلامُ يـديـرُهـا فـي كـأسِـه فـكـأنّ بـدرَ الـتمّ يـحـمِـل كـوْكَـبـا

وقال الخوارزمي:

يـدورُ بـهـا ظـبْـي تـدورُ عـيـونُـنـا على عينِه من شرط يحيى بنِ أكثمِ
يـنـزّهُـنـا مـن ثـغـره ومـدامِـه وخـدّيـه فـي شَـمْـسٍ وبـدْرٍ وأنْـجُـمِ

- **حَثُّ الساقي على السُّقي.**

قال شاعر:

أيّـهـا الـسّـاقـي أجِـدْ حـثّ الـقـدَحِ واسـقِـنـي ويـحـك مـفـتـاحَ الـفَـرَحِ

وقال أبو نواس:

أيّــهــا الــسّــاقــي عــلامــا تــحـبـسُ الـكـاسَ عـلامَـا
بــعْــد مــا لــذّت وطــابَــتْ ونَــفَـسْـتَ عـنّـا اهـتِـمَـامَـا
سُـمّـي الــخـمـرُ مُـدامـا فــأدِمْ هــذا الــمُــدامَــا
وصِــل الــكـاسَ بـكـاسِ تـدَعِ الـشـيْـخَ غـلامَـا[4]

---

(1) **تكته**: رباط سرواله.
(2) **صلفاً**: تكبراً.
(3) **يوسف**: النبي يوسف، والمقصود جماله.
(4) **تدع الشيخ غلاماً**: تعيد إليه نضارة الشباب.

● حَثُّ القَوْمِ على الشُرْب

كان رجل يشرب مع قوم، فإذا أخذ القدح أطال إمساكه، فقال ساقيهم: إشرب وهبه في كفك من يوم مولدك. وقال آخر لمن يحبس الكاس: أليس لو بقي في كفك أياماً وقد مزجته كان يتغير؟ قال: نعم، قال: فلا أرى ساعة تمضي إلا ولها قسط من التغير، فاشربه. وكتب بعضهم على كاس:

قالَتِ الكاسُ لساقِيها إلى ... كَمْ تحسَبوني
إنّ جسمي منْ زُجاجٍ ... فاحذرُوا ألا تكسِروني
واجعَلوا السّاقي خشفاً ... ومع الخشف ذروني[1]
وإذا أنتم ثقلتم ... فخذوني في سكوني

● الحثُّ على المَزْجِ والمَنْعِ مِنْه

قال أبو نواس:

فقوماً فامزُجا خمْراً بماءٍ ... فإن نتاجَ بينَهما السرورُ

وكان رجل يسقي آخر صرفاً، ويغنّي له:

يديرونني عن سالم وأديرُهم ... وجلدةُ بيْن العيْن والأنفِ سالمُ

فكان ينشد وجلدة ما بين العين والأنف سالم فيكسر البيت ويزيد فيه لفظة ما، فقال صاحبه: الأولى أن تجعل ما التي في بيتك في قدحك، وقال حسان في المنع من المزج:

إن التي ناولتْني فرددتُها ... قتلتَ قتلت فهاتِها لم تُقتلِ
كلتاهما حلبُ العصيرِ فعاطِني ... بزجاجةٍ أرخاهما للمِفْصَلِ

وقال أبو نواس:

أثنِ على الخمرِ بآلائِها ... وسمِّها أحسنَ أسمائِها
لا تَجعَلِ الماءَ لها قاهِراً ... ولا تُسَلِّطْها على مائِها[2]

وأنكر بعض الشرب على الساقي كثرة المزج، فقال: تريدون في مائكم نبيذاً.

● حثُّ الساقي على العَدْل بَيْنَ القَوْمِ

قال علي بن داود في كتاب الزهرة: ليتحرَّ الساقي العدل فإنه والي العقول وإلا ناله من خجلة الاستعفاء ما ينال الوالي من خجلة العزل.

---

(١) الخشف: ولد الغزالة أوّل ما يولد.

(٢) لا تجعل الماء لها قاهراً: لا تمزجها بالماء.

(٣)
ومما جاء في وصف المجالس وأمكنة الشرب.

•

• اختيارُ المَجْلِسِ الفسيحِ

قيل للأحنف: أي المجالس أحب إليك؟ **قال:** ما سافر فيه البصر واتدع فيه البدن. **وقيل:** المنازل الضيقةُ العمى الأصغر. **وسئل بعضهم عن الغنى، فقال:** سعة البيوت ودوام القوت. **وقيل لبعضهم:** ما السرور؟ **فقال:** دار قوراء وامرأة حسناء وفرس مربوطة بالفناء. **وقيل لبعضهم:** أي المجالس أطيب؟ **فقال:** لولا أن الشمس تحرق والمطر يغرق لما كان في الدنيا أحسن من شرب في الفضاء على وجه السماء.

وحدثني أبو سعيد بن مرداس أنه قعد مع جماعة فيهم ابن بابك تحت عريش كرم يشربون فأصابهم مطر، **فقال ابن بابك:**

وشـــى بـــريّـــا إلـــيّ طـــيـــفٌ ألـــمّ فـــحـــيّـــا
ونـبـهـتـنـي شَـمُـولٌ تـمـوتُ فـيّ وأحـيـا
يـا صـخـرَةَ الـرّغـد رشّـي دمْـعَ الـغـمـامِ عـلـيّـا
فـحـبّـذا الـروحُ وزدا ومـنـحـنـي الـنـورفـيّـا
هـذي سـمَـاءُ مـدامٍ لـمْ تـمْـش فـيـهـا الـحـمـيّـا
فـكُـلّ كـرمٍ سـمـاءُ وكـلّ نـجـمٍ ثـريّـا

• حَديثُ كلِّ مَجْلس

قال أرسطاطاليس للإسكندر: احفظ ما أقول لك، إذا كنت في مجلس الشرب فليكن مذاكرتك الغزل فإنهم يأنسون إلى ذلك، وإذا جلست إلى خاصّتك فاذكر الحكمة فإنهم لها أفهم، وإذا خلوت للنوم فاذكر العفّة فإنها تمنعك أن تضع النطفة في ما لا معنى له.

• مَدْحُ القُعودِ في طَرَفِ المَجْلِسِ والاعْتِذارُ لذلك

دخل بعض الصوفية على الجنيد وقعد في طرف المجلس، **وقال:** حسبي يا سيّدي من مجلسك مكاني من قلبك. **وقيل:** الأطراف مجالس الأشراف. ودخل رجل على بعض الكبار فصدّره، ثم دخل آخر **فقال له:** تنح قليلاً فرفعه إلى جنبه، ثم دخل آخر **فقال له مثل قوله.** فلم يزل الداخل الأول يتنحى حتى صار في طرف البساط، **فقال لصاحب المنزل:** قد تفرزنت أقوم فأرجع إلى موضعي، فضحك منه ورفعه إلى موضعه الأول.

• الجلوسُ على الطُرقِ وفي المَساجِد

مر رسول الله ﷺ على رهط، فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، **فقال:** إيّاكم

والجلوس بهذه فإنها سبيل من سبل النار، أو قال من سبل الشيطان، ثم التفت فقال: فإن أبيتم فأدوا حقّ الطريق، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: رد السلام وغض البصر وكف الأذى وهداية الضال وإغاثة الملهوف.

وقال الشعبي: من أراد أن يكثر علمه فليجتنب مجالس قومه. وقيل: المساجد مجالس الكرام.

- **ذَمُّ الجُلوسِ في الشَّمْسِ وَحَمْدُه**

رُوي عن أمير المؤمنين رضي الله عنه أنه رأى رجلاً جالساً في الشمس، فقال: قم عنها فإنها مبخرة مجفرة تنغل الريح وتظهر الداء الدفين وتذهب شهوة الشتاء.

وقال أبو تمّام:

وإن صريحَ الحزْم والرأي لامرئ إذا أدركْته الشمْسُ أن يتحوّلا

- **ضِيقُ المَجْلِس**

ما ضاق مجلس على محبين ولا اتسع لمتباغضين.

وقال الصاحب في معناه، وقد نقله من أبيات خراسانية:

كنّا وأسباب الهوى متّفِقَه نغْدو من الورد معاً في ورَقَه[1]
واليَوْمَ إذ أسبابُه مفترِقَه قد صارَتِ الدنيا علينا غَلِقَه

وكثر تمثل الناس بقول الشاعر:

لعمْرُكَ ما ضاقَتْ بلادٌ بأهلِها ولكنّ أخلاقَ الرّجالِ تَضيقُ

وقال ابن المعتزّ، وقد حضر قوماً ضاق بهم المجلس:

لا تحسبَنّ الدّهْرَ يجمع حبه في قشْرةٍ إلاّ كمَا نحْن هُنا

وقال آخر يعتذر من ضيق داره وقلّة زاده:

إن يضِقْ منزلي فإنّي كريم واسِع الخلْق واسعُ الآدابِ
لسْت آسى على الكثيرِ من الزا دِ إذا كانَ فيه قوتُ صِحابي

- **الحَثُّ على التوسُّعِ لِمَنْ حَضَرَ المَجْلِس**

قال النبي ﷺ: لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه، ولكن تفسّحوا وتوسّعوا. وقال الله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾[2] (الآية). حضر بعض الناس مجلس الحسن بن سهل، وكان المجلس ضيقاً، فقال: تحفزوا فإن في التحفز توسعه الجالس المستوفز. قيل: اثنان ظالمان رجل وسع له في مكان ضيق

---

(1) في ورقه: في بهجة.
(2) القرآن الكريم: المجادلة/ ١١

فقعد فيه متربعاً متنفخاً، وآخر أهديت له نصيحة فاتخذها ذنباً.

• تَفَقُّدُ الجَلْسة

قال عبد الملك: إني لأعرف عزّة الرجل في جلسته. **وقيل**: اختلاف صور جلوس الناس على اختلاف أحوالهم. **وقيل**: للمملوك جلسة وللراغب جلسة وللندام جلسة وللملاعب جلسة وللمطرب جلسة وللضيف جلسة.

• الانتقالُ مِنْ مَجْلِسٍ إلى مَجْلِس

قال الصولي: شرب عندي ابن أبي فنن يوماً، فقلت له قم بنا ننتقل إلى مجلس آخر، **فقال**: النقلة من الإسلام كفر ومن النسب لؤم ومن المجلس سخف. **وقيل لبعضهم**: انتقل، **فقال**: النقلة مثلة.

وكان المأمون كثير التنقل في مجالسه، **ويتمثل بقول أبي العتاهية**:

لا بدّ للنّفْسِ إن كانَتْ مدبِرَةً ... من التنقّل من حالٍ إلى حالِ

• حَمْدُ الرّاضي بالقُعودِ دونَ ما يَستحِقّ

قال الأحنف رحمه الله: ما جلست مجلساً خفت أن أقام منه لغيري. **وقال الشعبيّ**: لأن ادعى من بعيد أحب إليّ من أن أدفع من قريب.

• مَجلِسٌ أو وَقْتٌ مُستطابٌ

قال ابن أبي البغل:

جلسْنا مجلساً حسَناً نظيفاً ... خَلا من كلّ ذي صلَفٍ وبغْضِ(١)

وقال آخر:

ومجلسٌ غابَ عنه عاذِلُه ... تبدّل فيه الهمومُ بالطّرَب

وقال ابن المعتز:

كأنا من بشاشتِنا ظللْنا ... بِيَوْمٍ ليْسَ مِنْ هذا الزّمانِ

• إيثارُ الشُرْبِ واللّهوِ باللّيل

كان ابن المعتزّ لا يشرب إلا ليلاً، **ويقول**: الليل أمتع، لا يطرقك فيه خبر فاظع ولا سبب مانع، والنهار أبرص لا يتم فيه سرور. **أخذ ذلك كشاجم، فقال**:

اتخذ الليلَ جملْ ... ما حمَلَ الليلُ حمَلْ

آمنٌ فيه زائراً ... يشغلُني عنِ الشّغَلْ(٢)

---

(١) ذو صلف: ذو تكبر.

(٢) الشّغَل: ضد الفراغ.

وقال آخر:

ولم أرَ مثل الليلِ جنّة فاتِكِ ... إذا همُّ أمضى أو غنيمةَ ناسِك

وقال بشّار:

قد نامَ واشٍ وغابَ ذو حسَد ... فاشرَب هنيئاً خلا لكَ الجوّ

ويروى لمحمد بن بشير. **ويقال: كتب معاوية إلى إبنه يزيد بهذه الأبيات:**

شمّر نهاراً في طِلاب العُلا ... واصبِر على هجْر الحبيبِ القريبِ

حتّى إذا الليلُ أتى مُقبِلاً ... واكتحلَتْ بالغمْض عيْنُ الرّقيبِ

فقابلِ الليلَ بما تشتَهي ... فإنّما الليْلُ نهارُ الأريبِ

كم فاسقٍ تحسبُه ناسِكاً ... يستقبلُ الليل بأمرٍ عَجيبِ

ويروى أن يحيى بن خالد كتب إلى الفضل ابنه، وهو بخراسان، وقد بلغه اشتغاله باللهو:

أما بعد فقد بلغني عنك ما كنت جديراً بغيره، وقد يهفو الحكيم ويزل الحليم ثم يرجع إلى ما هو به أولى، حتى كأن أهل دهره لم يعرفوه إلا به، وقد كتبت إليك بأبيات إن أنت خالفتها هجرتك وعزلتك. وكتب إليه بالأبيات المتقدّمة، فلما قرأها آلى على نفسه أن لا يشرب النبيذ بخراسان.

• الحَثُّ على مُبادَرَةِ الصّبَاحِ في تَناوُلِ الرّاح

قال جحظة:

قد بدا إلي الصبحُ يا مو ... لاي يحدو بالظّلامِ

فانتبِه نقْضِ لُبَانا ... تِ اعتناقِ والتزامِ

قبْل أن تفضَحنا عو ... رة أنفاسِ النّيامِ

وقال أبو نواس:

بادِر صباحَك بالصّبوحِ ولا تكنْ ... كمسوّفينَ غدوا عليْك شِحاحَا[1]

وخَدينِ لذاتٍ مُعلِّلِ صاحبٍ ... يقْتاتُ منه فكاهَةً ومُزَاحا

نبهتهَ والليْل ملتبِسٌ بهِ ... وأزحت منه نعاسَه فانزَاحا

قال إبغني المصباحَ قلت له اتئِد ... حسْبي وحسْبك ضوؤها مِصْباحا

• إيثارُ الشُّرب بالنّهارِ والصّبوح

قال العطوي:

إنّ شربَ النبيذِ سيْر إلى اللهـ ... ـو وخيْر المسيرِ صدْرُ النّهارِ

---

(١) كمسوّفين: كمماطلين ـ حسبي وحسبك مصباحاً: يكفينا ضوء الخمرة نوراً.

وقال آخر:

ومن العجائبِ أن يكونَ نبيذُه كدم الذبيحِ وأمْرُه مُتظاهِرُ

فتراه ينتظِرُ العشِيّ بشُرْبِه واليومُ منهملُ السحائبِ ماطرُ

وقال كشاجم:

وأحَبّ أوقاتِ النعيم إليّ في وقت السَّحَر

● أوقاتُ الشُّرْبِ في الأسبوع

كان الوليد يشرب يوماً ويدع يوماً، وسليمان يشرب في كل ليلة، وهشام يسكر في كل جمعة، ويزيد بن الوليد يدمن الشرب فكان دهره بين سكر وخمار، وكان المنصور يشرب عشية الثلاثاوات، وكان المأمون يشرب الثلاثاء والمعتصم لا يشرب الخميس ولا الجمعة.

● قَصْدُ الحاناتِ

من عادتهم: التبجح بقصد الحانات وابتياع الخمر، ولذلك قال طرفة:

متَى تَبْغِني في حلْقَة القوْم تلقَني وإن تلتمِسْني في الحوانيتِ تَصْطَدِ[1]

وبكر أبو الهندي على خمار فاصطبح وسكر ونام، ودخل على الخمار فتيان فرأوه فسألوا عنه الخمار فأخبرهم بمكانه، فقالوا: ألحقنا به فسقاهم حتى ناموا، فلما استيقظ أبو الهندي رآهم فسأله عنهم فأخبره بهم، فقال: ألحقني بهم فأقاموا على ذلك عشرة أيام، فقال أبو الهندي يصف ذلك:

ندامي بعد عاشرة تلاقَوا تضمّهم بكوذبان راحُ[2]

رأوني في الشّروق على وسادٍ يفيضُ بمهجتي وردٌ وراحُ

فقالُوا أيّها الخمّار من ذا فقال أخ تخوّنه صلاحُ

فقالوا قُمْ فألحقنا وعجل به إنا لمصرعه نراحُ

وحانَ تنبّهي فسألْتُ عنهم فقالَ أتاخهم قدرٌ مُتاح

فقلْت له فسرّحني إليهم حثيثاً والسّراحُ هو النجاحُ

فما إنْ زال ذاك الدّأبُ منّا إلى عشر نُفيق ونُستباحُ

وله:

وصاحب حانوتِ عشوْتُ لنارِه وقد مالَتِ الجوْزاء نحوَ المَغارِبِ[3]

فقالَ ألا عجّل لنا النقْدَ إنّنا أناسٌ أخذْنا بالكرا والضّرائبِ[4]

---

(١) حلقة القوم: مجلس إشراف العشيرة ـ الحوانيت: الخمارات.

(٢) كوذبان: مثنى كوذب وهو موضع (معجم البلدان لياقوت: ٤/ ٥٥٥).

(٣) الجوزاء: أحد الأبراج في السماء. (٤) الكرا: الكراء، أجرة المستأجر.

نشرتُ له عشرين بيضاً كأنها		على كفّةِ الميزان زهرُ الكواكب
فصبّ لنا حمراءَ ينزوُ حبابُها		إذا شعشعت بالدنّ نزوَ الجَنادبِ[1]

وقال ابن المعتز، وهي أبيات مستحسنة ولذلك ذكرت جملتها:

وفتيانِ صدْق قد بعثت بسحْرَة		إلى بيْتِ خمّار فحطّوا به رحْلا
وقامَ إلى مخزونةٍ بابليةٍ		كسَت دنّها أيْدي عناكِبها غَزْلا[2]
مسندَة قامت ثلاثين حِجّةً		كواضعَةٍ رِجْلاً وقد رفَعَتْ رِجْلا
وأخرَج بالميزانِ منْها سبيكةً		كما فتل الصواغُ خلخَاله فتْلا
إذا قرعَتْ بالماءِ خلتَ بكاسِها		مدبّ دباً تغلو أكارعه رمْلا
فلما رأوْها في الزّجاجَة سبّحوا		وكبّر إجلالاً لها العِلْجُ أو صلّى
وظلّ يُناجي شحّ نفْس وجودَها		فَطَوْراً بها صعْباً وطورا بها سهْلا
فما زالَ حتّى زالَ بالمال حكمه		ولم ندّخر عنْها السماحَةَ والبَذْلا[3]
وجَاؤوا بها كالشمْس يأكُلُ نورَها		زجاجتها في كفّ شاربها أكْلا
عروسٌ جعلْنا مهرَها بعض دينِنا		فما رضِيَتْ حتى وهبْنا لها الكُلاّ

وله:

لا علمَ لي أين يثْوي الخضر من بلَدٍ		لكنّ إبليس في قطربل ثاوي[4]
بحيثُ لا لومَ في سكْرِ ولا طرَبِ		ولا يقصرُ في أفعالِه غاوِي

(٤)

ومما جاء في وصف آلات الشرب والمجالس

●

● الأَباريقُ المفدّمة والطِّوالُ الأَعْناق

وقال أبو الهندي:

مفدّمةٌ قزاً كأنّ رقابَها		رقابُ بناتِ الماءِ أفزعَها الرّعْدُ[5]

وقد زاد هذا على قول علقمة:

كأن إبريقَهم ظبيٌ على شرفٍ		مفدّمٌ لبس الكتّان مَلْثومُ

---

(١) ينزو حبابها: تثب فقاقيعها.

(٢) المخزونة البابلية: الخمرة المعتقة ـ الدن: وعاء الخمر.

(٣) البذل: العطاء السخي.		(٤) قطربل: اسم بلد موصوف خمرها.

(٥) بنات الماء: ما يألف الماء من أجناس الطير.

وقال آخر:

كأنّ أباريقَ الشمولِ عشيّة ... أوز بأعلى الطفّ عوجُ الحناجرِ

وقال ابن المعتزّ في إبريق في فمه قطرة:

كأن إبريقَنا والراحُ في فمِه ... طير تناول ياقوتاً بمنقارِ

- **قَرْقَرةُ الإبريقِ**

قال ابن المعتزّ:

وكأن إبريقَ المُدامةِ بيننا ... ظبيٌ على شرَف أنافَ مدلّها(١)
لما استحثّتْها السقاةُ حنا لها ... فبكى على قدح النديمِ وقهقَها

وقال الزاهي:

كأن إبريقَها فينا مُطَوّقَةٌ ... مدّتْ جناحاً وقد غنّت بتغريدِ

وقال أبو نواس:

كأن قهقَهَةَ الإبريقِ إذ سُكِبَت ... رجْعُ المزَاميرِ وتغريدُ فأفاءِ(٢)

وقال آخر:

والكونُ يضحَكُ كالغزال مسبّحاً ... عندَ الرّكوعِ بلفظَةِ الفأفاء

وقال ابن أبي البغل:

نادمْتُ إبريقَها فتمتَم لي ... في ليْلة طرمساء ظلْمَاء(٣)
حتّى إذا عادَ في فصاحَته ... صارَ لساني لسانَ فأفاءِ

وقال علي بن عصام الأصفهاني:

متى بكى الإبريقُ في كفّه ... أغربَت الأرطال في الضحك(٤)

- **إبريقٌ مبذولُ العُروة**

قال البسّامي في وصفه:

إبريق صفر كأنّه قبسٌ ... يشبُه لوني بفَرْطِ صُفرتِهِ
يمناه ممدودةٌ لمسألةٍ ... منه ويُسْراه فوقَ هامَتِهِ

ولبعض المحدثين، ويعرف بالمخزومي البصري، في صفة إبريق فضة وقد استطرد إليه من مدح:

لقد ظلَم الفضّة المقتناةَ ... يدلك فيها سريعٌ حثيثُ

---

(١) المدلّه: الذاهب العقل من عشق أو نحوه. (٢) الفأفاء: الذي يكثر من ترديد الفاء في كلامه.
(٣) ليلة طرمساء: ليلة مظلمة.
(٤) الأرطال: جمع رطل، وهو الغلام النحيف أو الرجل الكبير الضعيف.

فأقبلَ إبريقُها يشتكيه مستعدياً لك فيما تَعِيثُ
فإحدى يَديه على رأسه وأخرى ممدةٌ تستغيثُ

وقال آخر:

كأنه مسترفِدٌ مدّ يداً والصَق الأخرى بأعلى رأسِه

● **كؤوسٌ مُصَوَّرَة**

قال أبو نواس:

تدارُ علينا الراحُ في عسْجديّة حبَتْها بأنواعِ التصاويرِ فارسُ[1]
قرارتُها كِسْرى وفي جنَباتها مهاً تدرّيها بالقسيّ الفوارِسُ
فللخمرِ ما زرّت عليْه جيوبنا وللماءِ ما حازَتْ عليهِ القلانِسُ[2]

وقال السري الرفاء:

وموسومة كاساتُها بفوارِسٍ من الفرْس تطْفو في المُدام وتغرَقُ
أقبَل منه كلّ شاكٍ سلاحَه وفي يدِه سهْم إليَّ مفوّقُ

● **كَأسٌ وخَمْرٌ**

قال أبو تمّام:

نارٌ ونورٌ قيّدا بوعاء

وقال ابن سباط:

وكأس من الشمْس مخلوقة بدَتْ لك في قَدَحٍ مِنْ نهارِ
هواءٌ ولكنّه جامِدٌ وماءٌ ولكنه غَيْرُ جارِ

وقال ابن المعتزّ:

كأن الكاسَ في يدهِ عروسٌ لها من لُؤلؤٍ رطْبٍ وشاحُ

وقال الصنوبريّ:

عقارٌ إذا رديت بالزّجاج تردّى الزجاجُ رداءَ البَهاء
فيأتي الوعاءُ لها حامِلاً وتُحسبَ حاملةً للوِعاء

ونحوهما قول الصاحب:

رقّ الزجاجُ وراقتِ الخمْرُ

البيتين وقد تقدما.

---

(١) عسجدية: أوعية من ذهب.

(٢) القلانس: جمع قلنسوة، وهي نوع من ملابس الرأس، على هيئات متعددة.

وقال الأخطل:

أناخُوا فجزوا شاصياتٍ كأنّها رجالٌ من السّودان لم تتسربَل[1]

وقال بشار:

وكأن الزقَّ زنجيّ سرق

وقال أبو الهندي يصفه:

حبَشيّ قطعَتْ منه الركَب

وقال الأعشى:

حبَشيّ كُبّ عمداً فانبَطَح

والأول أحسن.

● **مغصرة**

قال ببغاء يصفها:

ومعصَرةٍ أنخستُ بهَا وقرنُ الشمس لم يَغِبِ
فخِلْتُ قرارَها بالرا ح بعْضَ معادنِ الذهبِ
وقد ذرفَتْ لفقد الكر مِ فيها أعيُنُ العِنَبِ

● **الرّاووق**

قال كشاجم:

كأنما الراووقُ وانتصابه خرطومُ فيلٍ قلِعَت أنيابُه

● **الدَّن**

قال ابن المعتز:

ودنان كمِثْل صفّ الرجالِ قد أقِيموا ليرقصُوا دستبَنْدا[2]

وقال آخر:

قهوةٌ بنْتُ دِنان عتقَتْ خمْسينَ عامَا
خلتُها في البيْت جنْداً صفُّوا حولي قياما

وقال السري في دِنان خاليات:

وشعثِ دنانٍ خالياتٍ كأنّها صدورُ رجال فارقتْها قلوبُها[3]

---

(١) شاصيات: جمع شاصية، وهي إناء كبير للخمر ـ لم تسربل: لم تلبس السربال.
(٢) دستبندا: ضرب من الرقص واللفظة فارسيّة. (٣) شعث دنان: دنان متفرقة.

● **كيزانُ الفُقاع**

قال الخوارزمي:

وضيقة الفم دحداحة ... عليها قميصُ ندى أخضَر[1]

وقال أبو طالب المأموني:

تثورُ إذا كشفوا رأسَها ... وإن قبّلوا فمَها تهدُرُ

وقال آخر:

وربّ فقاعة رأيت بها ... ثديَ كعابٍ مسوَّد الحلَمَه[2]

حللت زنارها فأظهر لي ... شهب بُزاةٍ تطيرُ من أكمَه[3]

(٥)

ومما جاء في الغناء والمغنّين والملاهي وآلاتها

●

● **الرُخصةُ في الغِنَاء**

قيل لأبي حنيفة وسفيان رحمهما الله: ما تقولان في الغناء؟ **فقالا:** ليس من الكبائر ولا من أسوأ الصغائر، **وقيل للعتابي، فقال:** حلال من الفائق حرام من غير الحاذق. وسئل بعضهم: **فقال:** هو من ارتياح الكرم وامتياح النعم، من **قال:** هو مباح وإلا قال ليس فيه جناح، قد يعفو الله عما فوقه ويأخذ بما دونه. **وقال ابن الراوندي** اختلفوا في جواز الغناء، وأنا أخالف الفريقين، فأقول: هو واجب.

مرّ عمر رضي الله عنه بدار قوم فسمع ضجة، **فقال:** ما هو؟ **فقيل:** عرس، **فقال:** وما يمنعهم أن يخرجوا غرابيلهم فإنها من أمارة العرس.

وحضر الشعبي وليمة، **فقال:** كأنكم في نائحة أين الدف؟ **وقال عبد الملك لعبد الله بن جعفر:** من أين استجزتم معشر أهل المدينة الغناء الذي استقبحناه؟ فقال له ابن جعفر: أنت تأتي ما هو أقبح من هذا وأنت في غفلة عنه، يأتيك أعرابي جلف مهلب العجان منتن الأبطين فيقذف عندك المحصنات ويشبّب بربّات الحجال، ويقول فيهن الزور، ثم يشبهك مرة بحجر ومرة بشجر ومرة بالأسد والسيل والبحر فتصغي إليه وتخلع عليه.

قال بعض الفقهاء بحضرة الرشيد لابن جامع الغناء: يفطر الصائم، **فقال:** ما تقول في بيت عمر بن أبي ربيعة إذا أنشد، **أمن آل نعم أنت غاد فمبكر، أيفطر الصائم؟ قال:** لا قال إنما هو أن أمد به صوتي وأحرك به رأسي.

---

(١) دحداحة: قصيرة كبيرة البطن. (٢) ثدي كعاب: نهد فتاة. (٣) أكمة: تلّة.

● **فَضْلُ الغِناء**

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: مدار الدنيا على أربع، البناء والنساء والطلاء والغناء. **وقيل:** اللذات أربع، أكل وشرب وسماع ونكاح، وكل يوصل إليه بتعب إلا الغناء. لا يكره الغناء إلا من عرضت له آفة في حاسته، كما لا يكره الطيب إلا من في شمه آفة. وحكى أهل الهند أن الزنديبل إذا أخذ امتنع من العلف فيغني له بالألحان الشجيّة حتى تطيب نفسه من سمع الغناء، فإن لم يرتح له كان عديم الحس أو سقيم النفس.

وكان حكماء الهند يسمعون المريض الغناء، ويزعمون أنه يخفف العلة ويقوي الطبيعة، وبالأصوات الطيبة ينوّم الطفل وتحدى الإبل وتجمع السمك في حظائرها وتصطاد الظباء والأسود من مرابضها.

وقيل: الغناء غذاء الأرواح كما أن الطعام غذاء الأشباح. وهو يصفي الفهم ويرقق الذهن ويلين العريكة ويثني الأعطاف ويشجع الجبان ويسخي البخيل.

● **ذَمُّ الغِناء**

قال يزيد بن الوليد لأهله: إياكم والغناء فإنه يسقط المروءة وينقص الحياء ويبدي العورة ويزيد في الشهوة، وإنه لينوب عن الخمر ويصنع بالعقل ما يصنعه السكر، فإن كان ولا بد فجنبوه النساء فإنه داع إلى الزنا.

سئل صالح بن عبد الجليل عن السماع، **فقال:** ما وجدت قلبك يصلح له فافعله. مر مسلمة بن عبد الملك يوماً بقصر أخيه سليمان، فسمع صوت مغن فغدا إلى سليمان، **وقال يا أمير المؤمنين:** مررت أمس بالقصر الذي فيه حرمك فسمعت فيه غناء، أما علمت أن الفرس يصهل فتشال الحجر، والحمار ينهق فتستودق له الأتان والثور يخور فتستخرم له البقر، والتيس ينب فيثغو له المعز، والكلب يعوي فتصرف له الكلبة والمغني يغني فترتاح له النساء، **فقال سليمان:** قد وعظت وأحسنت، والله عليّ راع وكفيل لا يدخل داري مغن ذكر ولا أنثى.

ونزل قوم بالكميت فأضافهم، فتغنى رجل منهم وكان حسن الصوت، **فقال:** حق على الرجل أن يحصن سمع امرأته كما يحصن فرجها.

● **كَيفيةُ جُودة الغِناء**

قيل لبعضهم ما أجود الغناء، **فقال:** ما أطربك وألهاك أو أحزنك وأشجاك. **وقال إسحاق:** قال لي المأمون يوماً: ما ألذ الغناء عندك؟ فقلت: ما وافق شهوة النفس، **فقال:** زد فيه، وطرب له السامع خطأ كان أو صواباً.

● **مشاهيرُ المُغنين وَواضِعي الغِناء**

ابن شريح ومعبد وإسحاق، **وقيل:** كل ما صنعه إسحاق من الغناء سبعة وثمانون

صوتاً، ومخارق وعلويه وزلزل وابن بانة وإبراهيم بن المهدي، كان من حذاق المغنين، ولذلك **قال فيه دعبل لما ولي الخلافة**:

إن كانَ إبراهيم مضطلعاً لها فلتصلحن من بعده لمخارقِ
ولتصلحن منْ بعدِ ذاك لزلزلٍ ولتصلحن من بعْده للمارِق[1]

ومنهم ابن محرز الغريض ومالك بن أبي السمح.

● كراهيةُ غِناءٍ بلا شُرْبٍ وشُرْبٍ بِلا غِناء

قيل: غناء بلا شراب كنحلة بلا عطية وهدية بلا نية ورعد بلا مطر وشجر بلا ثمر وحداء بلا بعير وروضة بلا غدير. **قال الرشيد**: النكس الذي يشرب على غير سماع. **وقال أبو نواس**:

وليس الشرب إلا بالملاهي وبالحركات من بم وزير[2]

قال صاحب الموسيقا: السماع كالروح والخمر كالجسد فباجتماعهما يتولد السرور. وقيل لأبي العطوف هل ترى في الغناء، **فقال**: أما قبل الأكل ومع غير الشراب فلا.

● الإقتراحُ على المُغنيّ

قيل لمغن: غن لنا كذا ثم بعده كذا، **فقال**: يا ابن الفاعلة لا تقترح صوتاً إلا بولي عهد. **قال الحسن بن علي العلوي**: قلت لمغن: غنني، **قال**: هذا أمر **قلت**: أسألك، **قال**: هذا حاجة، قلت إن رأيت، **قال**: هذا إبرام، **فقلت فلا تغن، قال**: هذا عربدة.

كان هرمس إذا قعد للشرب يقول للموسيقا أطلق النفس من رباطها. **من هنا أخذ كشاجم قوله**:

أطلق عقالَ الروح بالرّاح إنّ إليها جدّ مرتاحِ
قدْ كدّتِ الحكمَةُ رُوحي فروحُها بأوتارٍ وأقداحِ

وكان مروان يقول: أطعمتنا طيباً فأطعم أرواحنا حسناً. **قال أبو العتاهية لمغن**: صب في هذه الآذان ما تطعم به القلوب في الأبدان، فلو كان الكلام طعاماً كان كلامك أداماً.

قال رجل لمغنية: غنيني، **قالت**: ليس معي عود، **قال**: فاضربي على حرك قالت قطعت أوتاره بالمخيط وحياتك. **وقيل لآخر**: غن بغير عود، **فقال**: أنا فارس لا أقاتل راجلاً. **وقال آخر لمغن في دعوته**: أنعم علينا بما لا يتعب ضرساً ولا يسقم نفساً.

● استعادةُ الغناء

حَقُّ الصوت الحسن أن يعاد أربع مرات، الأول بديهة والثاني تفهم والثالث للشرب والرابع للشبع.

---

(١) المارق: الخارج عن الدين. (٢) البم: أغلظ أوتار العود ـ الزير: الدقيق من أوتار العود.

● **التَزَهْزُهُ للمُغني**

قيل: أول صلة المغني أن يقال له أحسنت. وحضر جحظة مجلس بعض الكبار مراراً، وكان إذا تغنى **يقول له**: أحسنت، ولم يكن يخوله شيئاً، **فقال فيه**:

إن تغنيت قال أحسنْتَ زدْني وبأحسنت لا يباعُ الدّقيقُ

● **استطِابةُ الغِناء والمُغنّي**

سمع رجل غناء طيباً، **فقيل** له كيف تسمعه؟ **فقال**: وددت أن جميع أعضائي مسامع أسمعه بها، فأخذ ذلك الشاعر، **فقال**:

غنّتْ فلَم تَبْقَ فيَّ جارحَةٌ إلا تمنّتْ بأنّها أذُنُ

وقال آخر:

إذا هي غنّت أبهتَ الناسَ حسنُها وأطرق إجلالاً لها كل حاذق[1]

وصف ابن شريح مغنياً، **فقال**: كأنما خلق من كل قلب فيغني لكل ما أحب. **وقيل لابن جامع**: إنك حسن الإيقاع، **فقال**: برئت من الإسلام إن كنت ضربت منذ ثلاثين سنة إلا بالإيقاع، فكيف أخرج منه في الغناء.

وقال الواثق: غناء علوية مثل نقر الطست يبقى في السمع بعد سكوته. **قال إبراهيم الموصلي**: عشقت جارية فهجرت اللذات من أجلها، فبينا أنا جالس إذ استؤذن عليّ لشيخ معه جارية، فأذنت له فدخل، فإذا هي صاحبتي، فجلس الشيخ **وقال**: أشرب، فدعوت بالنبيذ فشرب ثلاثة أقداح، **وقال لي**: غن يا أبا إسحاق فتعجبت من جراءته عليّ، وذلك أن الخليفة كان ينزهني عن ذلك، ثم غنيت، **فأخذ العود واندفع يغني**:

سرى يخبُط الظلماءَ والليلُ عاكِفٌ غزالٌ بأوقاتِ الزّيارَةِ عارِفُ[2]

فما راعَني إلا سلامٌ عليكم أأدخل قلْت أدخل لما أنت واقِفُ

فتزعزعت الحيطان وأغمي عليّ وعلى الحاضرين من الغلمان، فلما أفقت إذا بجارية جالسة والشيخ لم أره، فسألت البواب، **فقال**: لم أره، وسألت الجارية، **فقالت**: لا أدري، إلا أنه جاءني على لسانك فلم أجسر على مخالفته، فعلمت أنه أبو مرّة.

وسمع إبراهيم الموصلي غناء مخارق وعلوية، **فقال**: نعم الفسيلتان أنتما لإبليس في الأرض. **وقيل**: لم يكن في الإسلام أحسن صوتاً من مخارق، غنى يوماً في منتزه وقد سنحت ظباء فجاءت إعجاباً بغنائه، وتوسط دجلة يوماً وغنّى فلم يبق أحد إلاّ بكى، وكان أبوه جزّاراً فكان ينادي على اللحم في صغره فيفتن الناس بحسن صوته، وكان إذا تنفس يطرب من سمع تنفسه.

---

(١) **أبهت**: أدهش وحيّر ـ **أطرق إجلالاً**: انحنى احتراماً.

(٢) **سرى**: سار ليلاً ـ **الليل عاكف**: مقيم.

● **مَنْ يُستطابُ سَماعُ الغِناءِ مِنْه**

سُئل حكيم عن فرق ما بين غناء النساء والرجال، **فقال**: ما خلقت الأغاني إلا للغواني. **وقيل**: نعيم الدنيا أن تسمع الغناء من فم تشتهي تقبيله.

قال الجاحظ: كم بين أن تسمع الغناء من فم تشتهي أن تقبله وبين أن تسمعه من فم تشتهي أن تصرف بصرك عنه، وأيهما أملح أن يغنيك: فحل ملتف اللحية وشيخ منخلع الأسنان متغضن الوجه أو تغنيك جارية كطاقة نرجس أو آس، **وأنشد**:

من كفّ جارية كأن بنانَها ... من فضّة قد طرفَتْ عنّابا

وقيل: أطيب الغناء ما أشجاك وأبكاك وأطربك وألهاك. **قال يحيى بن خالد لابن جامع**: من أحسن الناس غناء، **فقال**: من أطرب الخاشع وأفهم السامع. **قال الموصلي**: إذا تغنيت بالمديح ففخم أو بالنسب فأخضع أو بالمراثي فأحزن أو بالهجاء فشدد.

● **غِناءٌ يُستطابُ له الشُّرابُ**

سمع رجل غناء حسناً، **فقال**: السكر على هذا شهادة. **وقال كشاجم**:

فلست آبى وإن سقَوْني ... على أغانيه نيلَ مِصْرِ

وقال الخبزارزي:

ولو أن البُحورَ خمْرٌ لديْنا ... وتغنّيت لارتشفْتُ البُحورا

● **غِناءٌ غيرُ مَفهومِ المَعْنى**

قال أبو تمّام في وصف جارية:

ومسمعةٍ يحارُ السمْع فيها ... طربْتُ لحُسْنِها بصدى غِناها
ولم أفهَم معانِيها ولكِنْ ... ورَت كبِدي ولم أجْهَل شجاها[1]
فكنتُ كأنني أعمى معنّى ... بحُبّ الغانيات وما رآها

● **اقتراحُ الفارسي**

قال بعض الأصفهانيين:

غننا يا غلامَنا وامِهْنا ... وتنكّبْ غناءكَ العربيّا[2]
إنّنا معْشرٌ من العَربِ الـ ... ـغرّ كرامٌ فغنّنا الفارسيّا
وأسقناها مدامةً نازعتها ... وبس دامين بكْرَة وعشيّا

● **مغنٍّ قَبيح الغِناء**

قال بعضهم: كأنه مكوك يتدحرج على درجة. وغنى مغن فقيل لبعض الندماء: كيف ترى؟ **فقال**:

---

(١) ورت كبدي: ألهبت كبدي. (٢) أمهن (ها): عمل في صنعته.

ويحسن الندمان في خَلْقِه دجاجة يخنقها ثعلبُ

واقترح على مغن فامتنع، **فقال بعض الحاضرين**: غن لهم صوتاً فإنهم يقترحون عليك حينئذ بالسكوت. قال:

كلّما قلْت اقترِحْ قا لَ اقتراحي أن تكُفّا

وقيل لهارون: فلان إذا غنى غمض عينيه، **فقال**: أظنه يفعل ذلك استحياء لقبح غنائه. وقيل لآخر، **فقال**: نائحة تندب في مأتم. وقيل لآخر، فقال:

نحمَد اللّهَ فإنا قد سمِعْنا ما كرِهْنا

وقيل لآخر، فقال:

فأحسن بحالِك أنْ لو خرِسْتَ وأحسَنُ بِنا لو رُزِقنا الصَّمَم

وقال ابن الرومي:

وكأنّ جرذان المحلّةِ كلّها في حلقِه يقرِضْن خبْزاً يابسا

وله:

وإن سكوتَها عندي لبشرى وإن غناءَها عندي لمقعَى

فقرّطها بعقرب شهرزور إذا غنت وطوّقها بأفعَى[(١)]

وقال جحظة:

وانصرفنا لما تغنّت عِطاشا والقناني كمَا دخلنا ملاءُ

وقيل غنّاني فلان فعنّاني.

وقال ابن الحجّاج:

وعوّادة منْ جَواري القِيانِ سرار البطونِ عليْها نحلُ

إذا ما تغنت بثانِي الثقيلِ طرَحْنا عليها خفيفَ الرملُ

وقال جحظة، وقد دعاه صديق له كان يعده بجارية حاذقة فائقة، فلما حضره أخرج جارية قبيحة، **فقال**:

قد دَعانا فأرانا خنفساةً خلْفَ عودِ

وتغنّت منْ قِيام كالمغني من قُعودِ

وقال الجماز لأبي العيناء: كيف ترى غنائي؟ **فقال**: كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[(٢)]

---

(١) **شهرزور**: كورة واسعة في الجبال بين أربل وهمذان أحدثها زور بن الضحّاك وشهر بالفارسيّة مدينة.

(٢) **القرآن الكريم**: لقمان/ ١٩.

- **مُغنٍ موصوفٌ بالشُؤمِ والقُبْحِ**

قال كشاجم:

ومـــغـــنٍ بـــارد الـــنـــغـــ ـمَـةِ مـخـتـسلُ الـيـدَيْـنِ
مـــا رآه أحَـــدٌ فـــي دارِ قـــومٍ مـــرّتـــيْـــنِ

وقال آخر:

إنّ سـمْـعـي فـي نـعـيـمِ وعـيُـونـي فـي جَـحـيـمِ

وقال أبو الفضل بن العميد:

إذا غـنّـى لـنـا أَمَـمـاً حشوْتُ مسامعي صَمَما
وإن أبـصـرتَ طـلـعـتَـه كـحّـلْـتُ نـواظِـري بـعـمـى

- **تأثير الغِناء والصوتِ وإنْ لم يُفْهم**

قال إسحاق الموصلي. أمر الصوت عجيب، منه ما يسر سروراً يرقص، ومنه ما يبكي ومنه ما يكمد ومنه ما يزيل العقل حتى يغشى على صاحبه، وليس يعتري ذلك من قبل المعاني لأنهم في كثير من الأحوال لا يفهمون. وقد بكى ما سرجويه من قراءة أبي رضي الله عنه، **فقيل له:** كيف تبكي لكتاب لا تصدق به؟ **فقال:** أبكاني الشجا وقد تسكن النفوس إليه وذلك موجود في أكثر البهائم والدواب، إذا غنى المكاري صرّت آذانها.

- **اختلافُ الأصْوات**

قال الموصلي: سألني المعتصم عن معرفة النغم، فقال بيّنها إليّ، **فقلت:** إن من الأشياء ما تحيط به المعرفة ولا تؤديه الصفة. وسألني عن شعرين متقاربين ففضلت أحدهما على الآخر، فقال من أين؟ فقلت: لو تفاوتا لأمكنني التبيين ولكن تقاربا، ففضل أحدهما على الآخر مما يشهد به الطبع ولا يعبّر عنه اللسان.

(٦)

ومما جاء في آلات الملاهي

- **العُودُ**

أتى عبد الملك بعود، فقال للوليد بن مسعدة ما هذا؟ **فقال:** خشبة تشقق ثم ترفق ثم يعلق عليها أوتار ثم تنطق فتضرب الكرام رؤوسها بالحيطان سروراً به، وامرأته طالق إن كان في المجلس أحد إلا وهو يعلم ما أعلمه، وأنت أولهم يا أمير المؤمنين، فضحك. **وقالت الفرس:** نغمات العود من صرير باب الجنة، ولهذا سموه بربط معناه باب النجاة. **قال كشاجم في أبيات له:**

خـلـخـالُـه فـي نـحْـره ولـسـانُـه فـي أذنِـه وجـبـيـنُـه مـن أسْـفَـلِ

مزْحٌ يكف على الأكفّ ولفظُه يعلو بتأليفِ الثقيلِ الأولِ
فكأنما شخْصُ القريضِ ممثّلٌ في العُودِ أو سكَنَتْه روحُ الموصَلّي

رأى أعرابي عوداً، فلما عاد إلى البادية نعته لأصحابه، **فقال**: رأيت شيئاً محدودب الظهر أرسخ البطن أكلف الجلد أجوف أسقف أحنف، جبينه في إسته وعيناه في صدره وإمعاؤه من خارج بطنه، بها يتكلم ومنها يترجم، معروك الآذان ممشوق المعلق.

كان أبو محصن الأعرابي عند أبي إسحاق وعنده من يضرب بالعود والطنبور، **فقال**: أيهما أحب إليك؟ **قال**: أبعدهما صوتاً وأكثرهما جلبة وأحسنهما حلية، وأشار إلى الطنبور بأن صوته كطنين ذباب بروضة.

● الزامر

قال إسحاق: الزمر رفو الغناء. **وقيل**: الزمر يستر من حسن الغناء، كما يستر من قبحه. **قال المتوكل لزنام الزامر**: تأهب للخروج معي، **فقال**: الناي في كمّي والريح في فمي فأعزم إذا شئت. **قال ابن المعتز يصف زامرة**:

كأنما تلثم طِفْلاً لها أتت به من ولد الزنجِ

وقال الناجم يذم زامرة:

نايُ قتولٍ قاتِلٌ بالنتَن منه الرهجِ
يشبِهُ عندي مخرجاً مركباً في المخْرجِ

وقال الصنوبري:

وكأنما المِزمارُ في أشداقِها غرمولُ عيْرٍ في حياءِ أتانِ[1]
وترَى أناملها على مزمارها كخنافس دبّت على ثُعبانِ

تخاصم رجلان عند ابن المدبر، وحلف أحدهما بالطلاق أن صاحبه أحمق ولا يبرح حتى يشهد القاضي بذلك، فذكر أن عنده زامرتين بلا مغنية، **فقال القاضي**: أشهد أنه أحمق.

● الرقّاص

قال المصعب الهندي:

عجبتُ من رجلين يتبعانِه يعلوهُما طوراً وتعلوانِه
كأن أفعَيَيْن يلْسَعانِه

وقيل لجارية رقاصة: أني يدك عمل؟ **قالت**: لا، إنما هو في رجلي.

---

(١) **الغرمول**: الذكر ـ **حياء الأتان**: رحم الحمارة.

● **وُجُوبُ الاستِماعِ**

وقال بعضهم:

إذا حضر الغناءُ فليس إلا ... سكوتٌ واستماعٌ للمغنّي

وقال أحمد بن علوية:

حكمُ الغناء تسمع وندامٌ ... ما للحديثِ مع الغِناء نظامُ

لو كانَ لي أمرٌ قضيْتُ قضيةً ... إن الحديثَ مع الغِناء حرامُ

● **غِناءٌ يُمزِّق لَهُ الثوبُ**

سُئل إبراهيم الصوفي المارستاني عن تمزيق الثوب في السماع، **فقال**: إن موسى عليه السلام قرأ على بني إسرائيل فمزق واحد منهم قميصه، **فقال الله تعالى لموسى**: قل له مزق قلبك لا ثوبك.

كان لبعض الظرفاء مغنيتان: محسنة إذا غنت خرق قميصه، ومسيئة إذا غنت قعد يخيطه. طرب بعض الكبار على غناء، فشقّ قميصه **وقال لنديمه**: بحياتي شق قميصك، **فقال**: إذاً أبقى عرياناً، **فقال**: أنا أخلفه غداً، **قال** فأشقه غداً، **قال أبو مالك الأعرج**:

إذا غنّت قديماً أو حديثاً ... فما للجيبِ من فيكِ واقِي

● **أنواعٌ مختلفةٌ من الغِناء**

اجتمع على شرابٍ في بعض الحانات أعمى ومفلوج وأقطع، **فقيل للأعمى غنّ فغنى**:

إنّي رأيتَ عشيّةَ النّقرِ ... حوراً نفيْنَ عزيمةَ الصّبْرِ

قيل: ويلك، كيف رأيت وأنت أعمى؟ وقيل للمفلوج غنّ، . **فقال**:

إذا اشتدَ شوقي وهاجَ الألَمَ ... عدوتُ على بابِكم في الظُّلَم

فقيل: مفلوج يعدو لا تكذب. **وقيل للأقطع**: هات غنّ، **فقال**:

شبكتُ كفيّ على رأسي وقلْتُ له ... يا راهبَ الدّيرِ هل مرّت بكَ الإبْلِ

فقالوا: أنت أكذبنا وأجودنا غناء.

غنى مغن صوتاً، **فقال له بعض الحاضرين**: أين الصيحة؟ **فقال**: أخذتها لثالثك. كان أبو العينين يعشق جارية يقال لها مكنونة، فغنى صوتاً **فقالت له**: ألقه عليّ، **قال**: بما اشتريته، **قالت**: بكم قال برأس مالي، ناكني فلان وعلمنيه، **فقالت**: إجعل الصرف على الإست صوتاً آخر وتقدّم.

ولام رجل آخر في مغنية، **فقال**: والله لو غنتك لما أدركنا ذكاتك. **وقال المأمون**: الطبل لهو غليظ. وهذا ما قال علوية القمي لابنه المخنث: قد تأذيت بصوت طبلك يا ابن الفاعلة، **فقال**: إن كنت تريد أن لا يكون لصناعتي صوت فسلّمني لمن يرفو الثوب، فالغناء لا يكون بلا صوت.

(٧)
وممّا جاء في آلات القمر

●

● أسماءُ القِداح

تسمى القداح الأزلام والأقلام، وهي عشرة. سبعة منها ذات خطوط قد نظم أساميها الصاحب **في قوله**:

إن القداح أمرُها عجيبُ — الفذّ والتوأمُ والرقيبُ
والحلس ثم النافِس المصيبُ — والمصفح المشهرُ العجيبُ
ثم المعلى خطها الرغيبُ — هاك فقد جاد بها الترتيبُ

والمصفح يسمى المسبل، والرقيب يقال له الضريب، والأغفال التي لا خطوط لها المنيح والفسيح والوغد. **قال ابن قتيبة**: والمنيح له موضعان، **أحدهما** لا خط له **والثاني** له خط. **قال**: وعلى ذلك **قول عمرو بن قمئة**:

بِأيديهم مقرونة ومغالِق — يعُود بأرزاقِ العِيال مَنِيحها

وقال عروة بن الورد في أسمائها:

أتَتْ بالمعلّى عند أولِ سورةٍ — وبالمَسْبل الثاني وبالحِلْس والتوَم
وجاءَتْ بفَذٍّ والضريب يليهما — وبالنافسِ المغلوبِ في الرأس والقدَم
فراحَ بها غنم وتغرّم ما جنَت — وقد يُغرم المرءُ الكريمُ إذا اجترَم
وأنت منيحٌ باليدَيْن متَى تعد — تعد صاغِرَ الآمال نال ولا عَزَم

وقال تميم بن مقبل في صفة القدح:

خروجٌ من العمى إذا صكّ صكّة — بَدا والعيونُ المستكنة تَلْمَحُ
مفدى مؤدى باليَدَيْن ملعَنٌ — خليعُ لجامِ فائزٌ مُتَمَنحُ

وقال طفيل:

واصفر مسهومُ الفؤادِ كأنّه — عداه الندى بالزعفران مطيّبُ

والياسر الصائب بها، والبرم الذي لا يدخل معهم، **وفي صفته**:

به علمان من عقب وضرس

ويسمى ذلك **مقرونة**. وأما مثنى الأيادي، **قيل**: هو ما تفضل عنه، **وقيل**: هو أن تعود بعد خروج الفوز على الخط الأول. **والربابة** ما يجمع فيه القداح، وأفاض بالقداح ضرب بها، **والرقيب** من يحفظهم.

● المَمْدوحُ بِضرْبِ القِداح

قال عنترة:

زيد يداه بالقدح إذا شنا ... هتّاك غايات النجومِ ملوم[1]

وقال آخر:

هينون لينون أيسارٌ ذوو يسُر ... سواس مكرمة أبناء أنباء[2]

وقال متمم بن نويرة في مرثية أخيه:

ولا بر ما تهدى النساءُ لعرسه ... إذا القشع من حسْن النساء تقعْقَا[3]

يقال: فلان برمِ قرون، إذا لم يدخل في الميسر، ثم يأكل تمرتين تمرتين. قال المرقش:

إذا أيسروا لم يورث اليسر بينَهم ... فواحِشَ يبقى ذكرُها بالمصائِفِ

● تَحْرِيمُ ضَرْبِ القِداح

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[4] الآية وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[5]. وقد أبيح القرعة وهي من جنس ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

وكذلك يونس عليه السلام حين الجنات بهم السفينة وبمن معهم ساهم القوم أيهم يلقى في البحر، فكان من المدحضين أي من المقمورين.

● وَضْعُ الشَّطرنج

قيل: وضعها فيلسوف لملك رام أن يرى الحرب وتدبيرها في خفض ودعة، فلما وضعه له أعجب الملك به، فقال له: إقترح ما شئت وسل كلما تمنيت، فقال: أولني لأوّل بيت من بيوته درهماً، ثم أضعف في الثاني فالثالث إلى أن تنتهي إلى آخر البيوت، فاستقل الملك ذلك، وقال: رأيتك حكيماً في وضعك ذلك واستحقرتك في مقترحك، فقال: إني يقنعني ما سألت إن وفيت لي، فقام رأس وزرائه وقال: أيها الملك إنه لا يفي ملكك ولا ملك بما سأل، فقال: كيف؟ فعملوا به حسباناً، فإذا هو عشرة آلاف ألف ألف ألف ألف ألف وأربعمائة ألف وستة وأربعون ألف ألف ألف ألف ألف وسبعمائة ألف ألف ألف وستة آلاف ألف وخمسمائة ألف وخمسون ألفاً وستمائة وستة عشر ألفاً، فقال الملك: لا أدري أيهما أعجب الشطرنج أم الأمنية.

---

(١) إذا شنا: إذا أبغض. (٢) أبناء أنباء: الذين تنبو سيوفهم.

(٣) القشع: الرجل الذي لا يثبت على أمر ـ تقعقع: أحدث صوتاً عند التحرك.

(٤) القرآن الكريم: المائدة/ ٩٣. (٥) القرآن الكريم: البقرة/ ٢١٦.

● الرُّخْصَةُ في الشَّطْرنج

مرّ أمير المؤمنين رضي الله عنه بقوم يلعبون بالشطرنج، **فقال**: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ولم يأمرهم أن يرفضوه. **وقيل**: إنما قال لهم ذلك لأنها كانت على صورة الأفراس والفيلة، وسأل الرشيد معن بن عيسى عنه، **فقال**: ما فقدناه من مجالس قريش التي كنا نهاب أن نمر بها.

وكان الشعبي يلعب مستدير الحذقة. وسئل عنه الحسن رضي الله عنه، **فقال**: لا بأس به ما لم يكن قماراً فإنه احتيال. وسئل أبو العباس بن شريح عنه، **فقال**: إذا سلمت أيديهما من الطغيان ولسانهما من العدوان وصلواتهما من النسيان، فهو مباح بين الإخوان غير محرم على الخلان.

● كَراهِيَةُ الشَّطْرنج وذَمُّه

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه فيه: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، فسماها تماثيل. ومر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بقوم يلعبون، **فقال**: قد وضعت الحرب أوزارها ثم خلطه. وروي عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه أنه كره اللعب. وكان المأمون يستهزىء بالشطرنج مع جودة لعبه به، **ويقول**: لا يفوق المرء فيه إلا باستفراغ الذهن كله له ولا يبلغ قدر ذلك وكان الفضل بن يحيى يجيد اللعب به، وكان **يذمه ويقول**: لا يقمر اللاعب به إلا بكد الجوارح ولا يبلغ قدره ذلك. **قال المتنبي**:

وغيـر فـؤادي لـلـغـواني رمـيـةً   وغـيـر بَـنَـانـي لـلـرخـاخِ ركـابُ(١)

وقال شاعر:

لـعـب الـشـطْـرَنـج شـومُ   فـاجـتـنـبْـهـا يـا مَـشـومُ
إنّـمـا عـدّت لـقـومٍ   شـأنُـهـم شـأنٌ عـظـيـمُ
مـلـك يُـجـبـى إلـيـهِ   أو وزيـرٌ أو نـديـمُ
هـبْـك فـيـهـا ألـعـب الـنـا   سِ فـمـاذا يـا حَـكـيـمُ

وكان أهل المدينة إذا خطب إليهم من يلعب الشطرنج لم يزوّجوه، ويزعمون أنه إحدى الضرتين. **وقيل**: إنما وضع للعجم الذين لا علم لهم فإذا اجتمعوا تلاحظوا تلاحظ البقر، فجعلوا ألعبهم به مشغلة.

● وَصْفُ الشَّطْرنج

قال شاعر:

أرض مـربّـعـة حـمـراءُ مـن أدم   ما بيْن خلّين موصوفَيْن بالكَرَمِ

---

(١) **الغواني**: المومسات ـ **الرخاخ**: جمع رخ وهو حجر الشطرنج.

تذكرا الحربَ فاختارا لها شبهاً — من غيرِ أن عفيا فيها بسَفْك دَمِ
أنظر إلى فطن جاشت بكرهما — في عسكرَيْن بلا طَبْلٍ ولا عَلَمِ
هذا يُغير على هذا فيغلبُه — وذا يغيرُ وعيْنُ الحزْمِ لم تنَمِ

وقال السري الرفاء:

وكتيبتَا زنج وروم أذكِيا — حرْباً يظلُّ بها الذكاءُ مناضِلا
في معرك قسم الزمانَ بقاعه — بين الكماةِ المعلمينَ منازِلا
لم يسفَحا فيه دمَاً وكأنما — رشح الدّماء أعاليا وأسافِلا
وكانَ ذا صاحَ يسيرُ مقوّماً — وكانَ ذا نشوانَ يخطر مائِلا
أعجِبْ بها حرْباً تثيرُ إذا التظت — فضْل الرجالِ ولا تثيرُ قساطِلا[1]

● الماهِرُ بالشَّطْرَنج والرَّديءُ اللَّعِب

ليس لإجادة اللعب بالشطرنج نهاية ولا غاية، ومن معجزاته أنه لا يكاد يتفق فيه دستان، ومن مجيديهم الصولي، ولبعضهم:

ولربّما مهرَ السخيفُ بها — وتراهُ يمضَغُ لفظَه حمقا

مرّ بعضهم بقوم يلعبون بالشطرنج وكان وسخاً، **فقال**: ما أوسخ شطرنجهم، فقال بعضهم: اللعب أوسخ.

الناشيء

● النوادِرُ في الشَّطْرنج

قيل: النوادر في الشطرنج عدة للاعب كالحداء للاغب. **وقال شاعر**:

نوادرُ الشطْرنج في وقْتها — أحرّ من ملتهبِ الجَمْرِ
كَمْ من ضعيفِ اللعب كانَت له — عَوْناً على مستحسَن القمْرِ

ورُوي أن أبا مسلم كان يلعب بالشطرنج، فوقع له شاه مات، **فتمثل بقول الشاعر**:

ذَرُوني ذروني ما كففتُ فإنّني — إذا ما تهيجوني تميدُ بكُم أرضي
وأنهض في ردّ الحديثِ إليكم — كتائب سوداً طال ما انتظرَت نهْضي

كان المأمون عند قدومه من خراسان اشتهى الشطرنج، فاستحضر كبار أهله زيرب وجابر الكوفي وعبد الغفار الأنصاري، وكانوا يتوقرون بين يديه، **فقال**: إن الشطرنج لا يطيب مع الهيبة قولوا ما تقولون إذا خلوتم.

● النَّرْد

قال بعض الحكماء: شبهت رقعة النرد بالأرض الممهدة لساكنها، ومنازل الرقعة

---

(١) **التظت**: حمي أوارها واستعرت ـ **قساطلاً**: الغبار الساطع في الحرب.

وهي أربعة وعشرون بساعات النهار والليل، وبيادقها وهي ثلاثون بعدد أيام الشهر، واختلاف ألوانها باختلاف بياض النهار وسواد الليل، ثم أقيمت المنازل على أربع مراتب كعدد الطبائع الأربع: الأرض والماء والهواء والنار، والفصول الأربع الشتاء والصيف والربيع والخريف، وجوانب الفص وهي ستة بالجهات الست فوق وأسفل ويمين ويسار وإمام وخلف، والفصان المحيطان بالجوانب الإثني عشر كشهور السنة، والشهور محيطة بالأيام إحاطة ما يخرج بالفصين وبالبيادق الثلاثين أو الأيام محيطة بالساعات إحاطة البيادق بالمنازل الأربعة، وعشرين ثم جعل نكت الفصين كلها إثنين وأربعين، ولست تجد شيئاً من عدد جوانب الفص إلا إذا ضممت إليه عدد مقابله وجدته سبعة، وهو عدد الأيام السبعة وشبه النكت السبعة، التي يكون بعضها فوق الأرض وبعضها تحتها في كل حال وتقلبها بأفعال العباد وما يخرج بالقضاء الجاري عليهم، وشبه فعل اللاعب في اتباعه لما يخرج بفعل العباد في اتباع القضاء، وشبه إخراج اللاعبين بالمعاد وفلج المقامر بما حصل للمجتهد من الثواب، وكذا ما يلحق المقصر بتقصيره من الحسرة.

وكان رؤبة في قوم يلعبون بالنرد، فأتى بالخوان، فقال:

يا إخوتي جاء الخوان فارفعوا ... حتاتة كعابُها تقعقَعُ

لم أدرِ ما أثلاثها وأربع

سأل الزبيري أبا بكر بن فريعة في مجلس المهلبي عن النرد، فقال: ما أدري غير أني أرى لبداً مخططاً وخشباً مخرطاً وعظماً منقطاً وأيدياً تضرب ميطاً، وكل يطلب بصاحبه شططا.

● فَضْلُ الشَّطْرنجِ على النَّرد

قال بعض المتكلمين: الشطرنج معتزلي والنرد مجبر، وذلك أن اللاعب بالشطرنج موكول إلى اختياره ومتروك مع إيثاره، واللاعب بالنرد مجبر على ما يخرج به الفصان وقيل لرجل: كيف معرفة فلان بالشطرنج؟ فقال: ما أحسن ما يلعب، قيل فكيف يلعب بالنرد؟ فقال: ما أحسن ما يخرج له الفصان، فلم ينسب الفعل في النرد إليه كما نسبه إليه في الشطرنج.

● المُلاعَبَةُ بِهما عَلى القَمَر

قال يزيد بن أبي خالد: دخلت على ابن أبي أوفى وهو يلاعب امرأته بالفصّين وقال إسحاق: قال لي محمد الأمين: كيف لعبك بالشطرنج؟ فقلت: فوق المنصفين ودون البالغين، ليس من اللعاب أحد يلقى لي فرزاناً لا أنتصف منه، فقال: لاعبني، فلاعبته بخلعة فقمرني، فقمت أخلع ثوبي، فقال: ما تصنع فقلت أنزعه لتلبس، فقال: ألبس خلعة

مملوءة قملاً، فقلت: دعني من ذا. تلبس أو تفادي، فقال بماذا؟ قلت: بثيابك. فقال: ما رأيت قامراً مقموراً، فنزع ثوبه وأولانيه.

وكان أبو أيوب يلاعب مدنياً بالشطرنج فتأخر عنه المدني يوماً، فاستدعاه فكتب إليه المدني:

لا تدعونّي لشطرنج فيَشْغَلني ... دعْني فإني عنِ الشطرنج مشغولُ

أنت امرؤٌ تدمن من الشطرنجَ من سِمَنٍ ... وإنني يا أبا أيوب مهزولُ

فبعث إليه بعشرة آلاف درهم.

* * *

تمّ بحَمْدِ الله وعونه الجزء الأوّل من كتاب:

مجالِسُ الأُدبَاء ومحاوراتُ الشّعراء والبلغَاء

للراغب الأصبهاني

ويليه إن شاء الله الجزء الثاني

وأوّله: الحدّ الثاني عشر في «الإخوانيات»

الناشيء

كتاب «محاضرات الأدباء»

●

فهرس الجزء الأول

الراغِبُ الأصفهاني وكتابة «محاضرات الأدباء» بقلم: الدكتور عمر الطباع ٥

فاتِحةُ الكتاب بقلم: الراغب الأصفهاني ١٣

الحدّ الأوّل

●

في العقل والعلْم والجهل وما يتعلّق بها ٢٥

الحدّ الثاني

●

في السيادة والولاية ١٩٨

الحدّ الثالث

●

في الإنصاف والظلم والحلم والعفو والعقاب والعداوة . . . الخ ٢٦٨

الحدّ الرابع

●

في النصرةِ والأخلاقِ والمزاح والحياء والأمانة والخيانة والرفعة والنذالة ٣٢٧

الحدّ الخامس

●

في الأبوّة والبنوّة ومدحهُما وذمّهُما ٣٩١

الحدّ السادس

●

في الشكر والمدح والحمد والذم والاغتياب والأدعية والتهنئة والهدية والمرض ٤٤٤

الحدّ السابع

●

في الهِمَم والجدّ والآمال ٥٢١

الحد الثامن

●

في الصناعات والمكاسب والتقلّب والغِنَى والفَقْر ٥٣٩

الحدّ التاسع

●

في الاستمطاء والعطاء ٦٢٠

الحد العاشر

●

في الأطعمة ٧٠٤

الحد الحادي عشر

في الشرب والشراب ٧٦٧

الناشيء

الناشيء

مُحاضَرات الأُدَباء
ومُحاوَرات الشُّعَراء والبُلَغاء

للإمام الأديب الراغب الأصفهاني
أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل

حققه وضبط نصوصه وعلّق حواشيه
الدكتور عمر الطباع

الجزء الثاني

الناشيء

مُحاضَراتُ الأُدَباءِ
ومُحاوَراتُ الشُّعَراءِ والبُلَغاءِ

مُحاضَراتُ الأُدَباءِ

وَمُحاوَراتُ الشُّعَراءِ وَالبُلَغاءِ

لِلإمامِ الأديبِ الرّاغِبِ الأصْفَهاني

أبي القاسِمِ الحُسَيْنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ المُفَضَّل

الناشيء

حَقَّقَهُ وَضَبَطَ نُصوصَهُ وَعَلَّقَ حَواشِيَهُ

الدكتور عمر الطبّاع

الجزء الثاني

جميع حقوق الطبع والصف والاخراج
محفوظة لـ :

شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت . لبنان

الناشيء

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٥٥٦٩٧٦ - ٥٥٦٩٧٨ - ص . ب ٣٨٧٤
فاكس ٦٠٣٠١٣ كود بيروت ٠٠٩٦١١ -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحدّ الثاني عشر

في الإخوانيّات

(١)
حدودُ الأخوّة

سُئِلَ بَعْضُهُمْ عن الأخوة فقال: هي الموافقةُ في التَشاكُل. وقال إبراهيم الموصلي: قلت لاسباط الشيباني: صِفْ لي الأخوّة وأوْجِزْ فقال: أغصان تغرس في القلوب فتثمر على قدر العقول.

قيل لبعض الحكماء: ما الأصدقاء؟ قال: نفس واحدة في أجساد متفرقة.

● الترغيبُ في اقتناءِ الإخوانِ

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: عليكم باقتناء الإخوان فهم عُدّة في الدين والدنيا. ألا ترى إلى قول الله عزّ وجل في حكاية عن أهل النار في النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[1]

قيل أغبط الناس من لا يزال رحله من صالح الإخوان موطأً، وقيل: المرء كثير بأخيه. وقيل لأبقراط[2]: ما أفضل ما يقتني الإنسان؟ فقال: الصديق المخلص، وقال عمرو بن إبراهيم:

إن الســـرور إذا بَـلَـغْـ ـتَ بـوصـفِـهِ كُـنْـهَ الـنِّـهـايَـه[3]
خِـلٌّ تُـؤانِـسُـه ودُو دُ والـرّجـوعُ إلـى الـكِـفـايَـه

قال شاعر:

أخـاكَ أخـاكَ إنَّ مـنْ لا أخـا لـه كساعٍ إلى الهيجا بِغَيْر سلاحِ[4]

---

(١) القرآن الكريم: الشعراء/ ١٠٠.

(٢) أبقراط: من أشهر أطباء الإغريق الأقدمين (٤٦٠. ق.م)، هو من مواليد جزيرة كوس. اعتمد في تشخيص الأمراض على اكتشاف أثر الهواء والغذاء في اضطرابات الأخلاط. ترجمت بعض مؤلفاته إلى العربيّة ومنها طبيعة الإنسان.

(٣) الكنه: الحقيقة وجوهر الشيء.

(٤) الهيجا: مخفّف الهيجاء، يدعو الشاعر إلى حفظ رابطة الإخاء وأن يصون الأخ لأنه عماده في الحياة وملاذه ومشبّه الذي لا أخاله بالذي يخوض المعركة دونما سلاح.

وقد أحسن الذي **قال**: إن الأخ الصالح خيرٌ لك من نفسك لأن النفس أمارةٌ بالسوء والأخ لا يأمرك إلا بالخير.

- **الحثُّ على الإكثار منهم**

قال محمود الوراق:

تكثّر من الإخوان ما استطعتَ إنهم ... عـمـادٌ إذا استـنـجَـدْتَـهُـم وظُـهُـورُ[1]
فـمـا بـكـثـيـرٍ ألـفُ خِـلٍّ وصـاحـبٍ ... وإنّ عـــدوّاً واحـــداً لَـــكَـــثـــيـــرُ

- **تفضيل الصديق على النسيب**

قيل لعبد الله ابن المقفع[2]: أصديقك أحب إليك أم نسيبك؟ **فقال**: إنما أحب النسيب إذا كان صديقاً. **وقال**: الأخ نسيب الجسم والصديق نسيب الروح. **قال أبو فراس**:

نـسـيـبُـك مَـنْ نـاسَـبْـتُ بـالـودِّ قـلـبَـهُ ... وجارُك من صافَيْتَهُ لا المُـصَـاقِبُ[3]

وقال آخر:

أخـو ثـقـةٍ يـسـيـرُ بـحُـسْـنِ حـالِ ... وإن لـــم تُـــدْنِـــهِ مـــنّـــي قَـــرَابَـــةْ
أحـبّ إلـيّ مـــن ألـــفَـــيْ قـــريـــبٍ ... تـبـيـتُ صـدُورُهُـمْ لـي مُـسْـتَـرَابَـهْ[4]

قال بعضهم: الصديق الموافق خير من الشقيق المنافق.

قال بشّار[5]:

يـخـونُـك ذو الـقُـرْبَـى مـراراً وربّـمـا ... وفى لك عِندَ الجَهْلِ مَنْ لاَ تُقَارِبُه[6]

وفي المثل: ربّ أخٍ لَك لم تلدْهُ أمُّك.

---

(١) يدعو الشاعر إلى الإكثار من اتخاذ الأخوان واكتسابهم وادّخارهم للاعتماد عليهم في النوائب.

(٢) **عبد الله بن المقفع**: هو أحد كبار الكتّاب في أوائل العصر العبّاسي. وهو فارسي الأصل نشأ في العصر الأموي وتتلمذ لعبد الحميد الكاتب، ثم برز في أيام المنصور ويقال بأنّه قتل بإيعاز منه، قتله والي البصرة. عني بترجمة العديد من الكتب نقلاً عن الفارسية ومن آثاره كتاب كليلة ودمنة والأدبان الصغير والكبير ورسالة الصحابة مات سنة (٧٥٩ م).

(٣) **النسيب**: القريب ـ **الودّ**: المحبّة ـ **صافيته**: أخلصت له الودّ ـ **المصاقب**: الموافق من صاقبه مصاقبة أي قاربه.

(٤) **مسترابة**: اسم مفعول من استراب أي وقع في الريبة، والريبة القلق واضطراب النفس والشكّ.

(٥) **بشّار**: بشار بن برد (٧١٤ ـ ٧٨٤م) شاعر هجاء من الكبار فارسيّ الأصل، عاش بالبصرة. أكثر من التشبيب بالنساء. هجا المهدي فسخط عليه. ورآه مرة سكران يؤذّن فرماه بالزندقة وضربه سبعين سوطاً حتّى مات. كان أعمى غليظ المنظر.

(٦) **من لا تقاربه**: من لا تناسبه، **يقول**: قد يخونك قريبك مراراً ويقابلك بالوفاء من هو بعيدٌ عنك.

الناشيء

● إجراءُ الصديقِ مجرى الشقيق

قال أبو تمّام[١]:

وإذا رأيتَ صديقَهُ وشقيقَهُ ... لم تَدْرِ أيُّهما ذوو الأرْحَامِ

وقال رجل من خثعم[٢]:

ذو الودِ منّي وذو القربى بمنزلةٍ ... وإخوتي أُسْوَةٌ عندي وإخواني[٣]

● مدحُ مصاحبةِ الأخيارِ وتجنبُ الأشرار

قيل: صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشرّ، كالريح إذا مرّت على النتن حملت نتناً وإذا مرّت على الطّيب حملت طيباً.

وقال النبي ﷺ: مَثَلُ الجليس الصالح كمثل الذي إن لا يجدك من عطره يعلقك من ريحه. ومثلُ الجليس السوء كمثل التّبن إنْ لم يحرقك بشرره يؤذِك بدخانه.

● الحثّ على مصاحبة من يُنتفَعُ به

قيل: لا تصاحب إلا رجلاً ترجو نواله أو تخاف يده أو تستفيد من علمه أو ترجو بركة دعائه. وقال أبو جعفر بن محمد: عليك بصحبة مَنْ إنْ صحبته زانَك، وإن خدمته صانك، وإن نزلت حاجة ما بك أعانك، وإن سألته أعطاك، وإن تركته بداك، إن رأى حسنة أظهرها أو سيئة سترها.

وقال بعض من سمع ذلك لابن عيينة: ما أراه إلا أمره أن لا يصحب أحداً، فقال: بلى إنه أدرك الناس وهذه الأخلاق فيهم، فأوصى بقدر ما عرف.

● كونُ الإنسان مصاحباً شَكْلَهُ[٤]

قال النبي ﷺ: المرء على دين خليله فلينظر امرؤ من يخالل. وقال إياس: قدمنا بلدكم فعرفنا خياركم من شراركم في يومين. قيل له: كيف؟ قال: كان معنا خيار وشرار فلحق خيارنا بخياركم، وشرارنا بشراركم، فألّف كل شَكْله. قال شاعر:

وكلُّ امرىءٍ يصْبو إلى مَنْ يُجَانِسُ

وقال آخر:

فإنّما الناسُ أشكالٌ وألاّفُ

---

(١) أبو تمّام: حبيب بن أوس الطائي (٧٨٨ ـ ٨٤٥) شاعر عبّاسي. نشأ في دمشق وتوفي في الموصل. مدّاح الخلفاء ولا سيّما المعتصم. أهم آثاره الحماسة التي ضمنّها درر الشعر العربي حتّى عصره.

(٢) خثعم: بنو خثعم من قبائلة العرب.

(٣) الأُسوة: القدوة، أو ما يتعزى به، والسّواء العدل وساوى فلان فلاناً ماثله.

(٤) مصاحباً شكله: الشكل أي المثل والمشابه أو النظير.

وقيل: اغلب المحبة ما كان عن تشاكل. بالمشاكلة دوام المواصلة. **قال شاعر**:

ولا يصحبُ الإنسانُ إلا نظيرَهُ ... وإن لم يكونا من قبيلٍ ولا بَلَدِ

ومما يؤكد ذلك:

وإنّ البزاةَ البيضَ لا تألفُ القطا[1]

وقال آخر:

لكلّ امرئٍ شكلٌ من الناس مثلُهُ ... وأكثرُهُمْ شكلاً أقلّهُمْ عَمَلا

وقيل: الشدّ بالقد أهونُ من مصاحبة الضدّ.

● **اعتبارُ المرءِ بإخوانه وأنّ من يصاحبُ صاحباً ينسبُ إليه**

قال شاعر:

وَمَنْ يُصَاحِبْ صاحباً ... يُنْسَبْ إلى مستصحبِهْ

وربما عرٌّ صحيـ ... ـحاً جربٌ بَجَرَبِهْ

وأخذ جماعة من اللصوص **فقال أحدهم**: أنا كنت مغنياً لهم **فقيل له**: غنّ، فغنّى:

عن المرء لا تسألْ وسَلْ عن قرينه ... فكل قرينٍ بالمُقَارِنِ يَقْتَدَى[2]

قيل له: صدقت وأمر بقتله. **قال شاعر**:

يقاسُ المرءُ بالمر ... ء إذا ما هو ما شاهُ

وللناس على النا ... س مقاييسٌ وأشباهُ

وقيل: انظر من تجانس، فقلّ حصاة طرحت مع حصاة إلا أشبهتها. **قال مسكويه**:

يقولونَ لي إن الرئيسَ محمداً ... يؤولُ إلى رأي كريم المناسِبِ[3]

فقلتُ دعوني قد عرفت اختيارَه ... بطلعةِ منصورٍ وخطّ ابن كاتِبِ

● **الحثُ على مصاحبةِ العُقَلاءِ**

قيل: جالس العقلاء أعداءً كانوا أم أصدقاء، فالعقل يقع على العقل.

وقيل: العاقل بخشونة العيش مع العقلاء أشبه منه بلين العيش مع الجهّال، **وقيل**: آخ الكريم واسترسل إليه وعليك أن تصحب العاقل وإن لم يكن كريماً لتنتفع بعقله، واهرب كل الهرب من اللئيم الأحمق.

وقيل: من صبر مع الأحمق فهو مثله، وقد مضى في فضل العقل باب مثل هذا.

---

(١) **القطا**: الحمام البريّ، جمع قطاة.   (٢) **القرين**: النظير والمثيل.

(٣) **آلى يؤول إلى**: رجع.

الناشيء

- **صنوفُ الإخوان**

قال لقمان: الإخوان ثلاثة: مخالب ومحاسب ومراغب، فالمخالب الذي ينال من معروفك ولا يكافئك، والمحاسب الذي ينيلك بقدر ما يصيب منك، والمراغب الذي يرغب في مواصلتك بغير طمع.

وقال المأمون: الإخوان ثلاثة: أخ كالغذاء لا يحتاج إليه كل وقت، وأخ كالدواء يحتاج إليه أحياناً، وأخ كالداء لا يحتاج إليه أبداً.

- **اختبارُ الصديقِ عند الغضبِ**

قيل: إذا أردت مصافاة رجل فأغضبه، فإن ملك نفسه فصاحبه، وإلا فلا تصاحبه. **قال الشاعر:**

لا تحمدنَّ امرأً يُرْضِيكَ ظاهرُه ... وَاْخبرْ مودَّتهُ في العتب والغَضَبِ[1]

وقيل: كان بين حاتم طيىء وبين أوس بن حارثة ألطف ما كان بين اثنين. **فقال النعمان لجلسائه:** لأفسدَن ما بينهما فدخل على أوس، **فقال:** إن حاتماً يزعم أنه أفضل منك، **فقال:** أبيت اللعن صدق ولو كنت أنا وأهلي وولدي لحاتم لوهبنا في يوم واحد. وخرج فدخل على حاتم، **فقال له:** مثل ذلك، **فقال:** صدق وأين أقع من أوس وله عشرة ذكور دونهم أفضل مني؟ **فقال النعمان:** ما رأيت أفضل منكما.

الناشيء

- **اعتبارُ من تريدُ مصادقتَهُ بصديقه قبلك**

قيل: إذا أردت أن تعرف صاحباً كيف يكون لك، فانظر كيف كان من قبلك، فإن أحمدته فاستخلصه لك وإن ذممته فتنكّبه.

- **الأعتبارُ بالعينِ والاعتمادُ على ما في القلب**

قيل: اعتبر ما في قلب أخيك بعينه، فالعين عنوان القلب. **وقيل:** شاهد الحب والبغض اللحظ، فاستنطق العيون تعلم المكنون. **قال شاعر:**

تقلُّبُ أحوالِ الفتى في أمورِه ... تبَيَّنُ عمّا تقتضيه ضمائرُهْ

وفي لحظ عينَيْه وفي حركاتِهِ ... دليلٌ على ما تحتويه سرائِرُهْ

قال إسحاق:

ستورُ الضمائرِ مَهْتُوكَةٌ ... إذا ما تلاحَظَتِ الأعيُنُ[2]

---

(١) يدعو الشاعر إلى عدم الركون إلى ظاهر الأشخاص مشدّداً على اختبارهم في أوقات اللوم والغضب.

(٢) مهتوكة: من هتك الستر خرقه ليكشف ما وراءه وهتك الله ستره فضحه ـ يقول إن العيون حين تتلاحظ قادرة على كشف ما يجول في الضمائر والبواطن.

وقال ابن بسام[1]:

ألا إنّ عينَ المرءِ عنوانُ قلبِهِ ... تُخبّرُ عن أسرارِهِ شاءَ أمْ أَبَى

وقال كشاجم:

ويأبى الذي في القلب ألا تبينا ... وكُلُّ إناءٍ بالذي فيه يَرْشَحُ[2]

● متابعةُ الصديقِ في رشدِهِ دون غيّهِ

استشهد ابن الفرات أيام وزارته علي بن عيسى بغير حقّ، فلم ينصره، فلمّا رجع كتب إليه لا تُلمني عل نكوصي في نصرتك بشهادة زور، فإنه لا بقاء لاتفاق على نفاق ولا وفاء لذي مين واختلاق، وأحرى بمن تعدّى الحق في مسرتك إذا رضي أن يتحرى الباطل في مساءتك إذا غضب، وقد تقدم هذا الخبر. قال شاعر:

ألم تعلمي أنّي إذا الإلفُ قادَني ... إلى الجَوْر لا أنقادُ والإلفُ جائِرُ

ودعا أعرابي فقال: اللهمّ أني أعوذ بك ممّن لا يلتمس خالص مودّتي إلا بالتأتي لمواقع شهوتي.

● متابعتُه في غيّه ورشدِهِ

قال عروة[3]:

وخِلٍّ كُنتُ عينَ الرشدِ منه ... إذا نظرتُ، ومستمعاً سَمِيعَا

أطافَ بغيّةٍ فنهيْتُ عنها ... وقلتُ له أرى أمراً فظيعا

أردتُ رشادَهُ جُهدي فلمّا ... أبى وعَصَى عَصَيْنَاهُ جَمِيعا

قال بشّار:

وما كنتُ إلا كالزّمان فإن صحا ... صَحَوْتُ وإن ماقَ الزمانُ أمُوقُ[4]

قال أحمد بن صالح:

أنا كالمرآة ألقى كُلّ وجهٍ بمثالِهِ

وقال رجل لصديقه: ما رأيك في كذا؟ فقال: أنا من غزيّة. يريد أني تابع لك إشارة إلى قول دريد:

وهل أنا إلا من غزيّةَ إن غَوَتْ ... غَوَيْتُ وإن تَرْشُدْ غزيةُ أرْشُدِ[5]

---

(١) ابن بسّام: على بن محمد (٨٤٤ ـ ٩١٥) أديب وشاعر بغدادي هجّاء خدم المعتضد ومن تصانيفه: «أخبار عمر بن أبي ربيعة».

(٢) كل إناء يرشح: وفي رواية ينضح أي يخرج ما فيه.

(٣) عروة بن الورد العبسي: توفي نحو ٥٩٦م من شعراء الجاهلية الصعاليك قُتل في إحدى غزواته.

(٤) ماق يموق: تظاهر بالموق أي الحمق.

(٥) غزية: قبيلة ـ غوت: ضلّت ـ وفي هذا البيت دلالة على العصبية القبلية.

● **الحثُّ على نصرةِ الصديق على جميعِ الأحوالِ**

قال النبي ﷺ: انصرْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً. **وقيل**: حافظْ على الصديق ولو على الحريق.

وقيل: أفضلُ الكرَم أن يكون الرجلُ عند النائبة أكْرَمَ وَفَاءً وأمْحَض صفاءً ولتكن معاونتك أخاك بمهجتك عند البلاء، أكْثر منها عند الرَخاء.

● **مماراةُ[(١)] الصّديق والحثُّ على تركِهَا**

قيل: مع الاختلاف طمعٌ في الائتلاف ورُب مخالفةٍ دعت إلى محالفةٍ ومعاسرةٍ[(٢)] تحمل على المعاشرة. وقيل بإحياء الملاطفة تُسْتَمَالُ القلوبُ العارفةُ. **وقيل**: إستدم مودّة أخيك بِتَرك الخِلاف عليه، ما لم تكن عليك منقصةٌ أو غضاضةٌ. **وقال** يموت بن مزروع: سمعت أبي يقول قرأت خمسين ألف بيت وما وقع لي مثل قوله:

وما أنا بالشيءِ الذي ليْس نافِعي ... ويَغْضَبُ مِنْهُ صاحبي بقؤول

● **الأمرُ بالإغضاءِ على عيْبِ الصديقِ**

قيل إن جعفراً الصادق كان **يقول**: لا تفتّش على عيب الصديق، فتبقى بلا صديق. وأحسن ما قيل في هذا المعنى **قول بشّار**:

إذا كُنْتَ في كلّ الأمور مُعاتِباً ... صديقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تعاتبُهْ

فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فإنّه ... مُقارِفُ ذَنْبٍ مرةً ومجانبُهْ[(٣)]

إذا أنْتَ لم تشربْ مِراراً على القَذى ... ظَمِئْتَ وأيُّ النّاسِ تصفو مشاربُهْ؟[(٤)]

وقال آخر:

ومن لا يُغْمِضْ عَيْنَهُ عن صديقِه ... وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عَاتِبُ

ومن يتتبع جاهداً كلَّ عثرةٍ ... يَجدها ولا يسلمْ له الدّهرَ صاحبُ

وقيل: لا يجد رفيقاً من لم يزدرد ريقاً. **وقيل**: من عاتب في كل وقت أخاه فجدير أن يملّه ويقلاه[(٥)] وعلى عكس ذلك **قال الشافعي** ـ رحمه الله ـ: ليس بأخيك من احتَجْتَ إلى مداراته.

---

(١) **المماراة**: مصدر مارى مراء ومماراة (فلاناً): جادله ونازعه ولاجّه.

(٢) **المعاسرة**: المخالفة والمضايقة.

(٣) **مقارف**: من قارف الذنب أي اقترفه وارتكبه وخلاف ذلك المجانبة أي الترك.

(٤) **يقول**: إنّ الناس لا تصفو مشاربهم دائماً وأنت محمول على مواصلتهم لأن المرء لا يسعه أن يعيش وحيداً وقد شبّه بشار هذا بالحاجة إلى الماء فأحدنا قد يشرب الماء أحياناً كدرا على ما فيه من القذى دفعاً للظمأ.

(٥) **يقلاه**: يكرهه ويبغضه.

● **محافظةُ منَ يُوَفِّي بِمَحاسنه على مقابحه**

قال لقمان: إذا أردْتَ مصاحبة رجلٍ فانظر، فإن كانت محاسنه أكثر فارتبِطْهُ، **وقال ابن المقفع**: إنّ في الناس طبائع أربعاً فارتبِطْ مَنْ رجحت محاسِنه.

وقيل لبزرجمهر: هل صديق لا عيب فيه؟ **فقال**: الذي لا عيب فيه يجب أن لا يموت. **قال شاعر**:

وحيثُ اختبرْتَ النّاسَ حقّ اختبارِهِمْ رَجَعْتَ إلى وصْلي وأنتَ ذمِيمُ

ونحوه:

وتُرْجِعُني إليكَ وإن نَأَتْ بي ديارٌ عنكَ، تَجْرَبةُ الرِّجَالَ

● **الإغضاءُ على إساءةِ الصديقِ المحسن**

قال ابن المقفع، وقد بلغه عن رجل شيء يكرهه: ينبغي للرجل أن يكذّب سوءَ الظن بصديقه ليكون ذا ودّ صحيح وقلب مستريح. **قال منصور التيمي**:

إذا ما الصّديقُ أسا مرّةً وقد كان من قبْلها مجْملا[١]

حفِظْتُ المقدَّمَ من فعلِهِ ولم يُفسِدِ الآخَرُ الأولا

وقيل: احتمل لأخيك ثلاثة: الغضب والدالة والهفوة. وقيل من صحّت مودته احتُمِلَتْ جفوتُهُ.

● **حَمْدُ المعاتبةِ بين الإخوان وذمُّها**

قيل: ترك المعاتبة دليلٌ على قلّة الأكتراث بالصديق. المعاتبةُ تزيلُ الموجدة. أفضل المحبة ما كان بعد المعتبة. **قال شاعر**:

ويبقى الودّ ما بقِي العِتَابُ العتابُ حدائقُ الأحبابِ

وقال ابن المعتز[٢]:

نعاتبُكم يا أمّ عمروٍ لحبّكُمْ ألاَ إنّما المقلي مَنْ لا يُعاتِبُ[٣]

ولآخر:

علامةُ كلّ اثنين بينَهما هوىً عتابُهُما في كلّ حقٍّ وباطِلِ

وقيل العتاب ضربان: عتاب يحيي المودّة، وهو ما كان في نفس الودّ

---

(١) **أسا يأسو (هنا)**: أي أساء وخلاف ذلك أجمل أي أحسن.

(٢) **ابن المعتز**: أبو العباس عبد الله ٨٦١ ـ ٩٠٨ أمير عبّاسي شاعر وأديب ولي الخلافة يوماً وبعض يوم. لقّب المرتضى بالله مات خنقاً، له **طبقات الشعراء وكتاب البديع**.

(٣) **المقلي**: المبغض.

وعتاب يميتها وهو ما كان في ذنب وموجدة[١]

التقى أعرابيان فتعاتبا وإلى جنبيهما شيخ، فقال: انعما عيشاً، إن العتاب يبعث التجني والتجني ذرء[٢] المخاصمة والمخاصمة أخت العداوة فانتهيا عمّا ثمرته العداوة. وقال العبّاس:

إن بعض العتاب يدعو إلى البغض ويؤذي به المحبّ الحبيبا

وقيل: التجنّي وافد القطيعة. قال شاعر:

ودعِ العتابَ فربّ أمر هاج أوّلُه العِتاب

وقال الآخر:

وبدءُ الصَّرمِ من مَلَلِ العِتَاب[٣]

وقيل: العتابُ بدء العقاب.

● **النهيُ عن تضييعِ حقوقِ الإخوان**

قيل: أقلّ الناس عقلاً من فرّط في اكتساب الإخوان. وأقلّ منه عقلاً من ظَفر بأخي صِدْقٍ فضيّعه. وقال عمر: إذا رزقك الله ودّا من رجل فتمسّك به.

وقيل: لا يقطع الرجل أخاه إلا لواحد من اثنين لا خير فيهما: لملاله أو لسوء اختياره للصداقة.

● **الحثُ على المصافاةِ وتركُ المداجاةِ[٤]**

قال سفيان لرجل: لا تكوننّ صديق عين وعدوّ غيب[٥] وسُئِلَ خالد بن صفوان عمّا يجب للإخوان، قال: تجنّب طريق النفاق ولا تقصر عن الاستحقاق قال إبراهيم بن عباس:

خلِّ النفاقَ لأهله وعليكَ فانتهجِ الطَّريقَا
واذهبْ بنفسِك أنْ تَرَى إلاّ عدواً أو صديقا

وفي مدحِ من يحفظ أخاه بظهر الغيب، قال بعضهم:

موكلُ النفسِ بظهرِ المغيبِ أقصى رفيقَيْه له كالقريب

قال المثقب العبدي:

فإمّا أن تكونَ أخي بصدقٍ فأعرف منك غثّي من سميني
وإلاّ فاجتنبْني واتخذْني عدوّاً أتّقيك وتتقيني

---

(١) الموجدة: الغضب.
(٢) ذرء المخاصمة: خلفها.
(٣) الصرم: القطيعة والجفاء.
(٤) المداجاة: المراءاة والممالطة والتملّق.
(٥) عدوّ الغيب: أي العدو الذي لا يواجهك في عداوته بل يطعن بك دون أن يواجهك.

وقال آخر:

ولا تَكُ ممّن إن نأى عنه صاحبٌ فغابَ عن العينين غابَ عنِ القلبِ

● الحثُّ على مداجاةِ العدوّ

قيل: إذا صافاك عدوّك رياءً فتلقّى مصافاته بأوكد مودة، فإنه إذا ألف ذلك اعتاده وخلصت مودّته. **وقال ابن السماك**: لِنْ لِمَنْ يجفو فقلّ من يصفو.

وقال ابن الحنفية: ليس بحكيمٍ من لم يعاشرْ مَنْ لم يجدْ عن معاشرتهُ بُدّاً حتى يجعل له فرجاً ومخرجاً. **قال التنوخي**:

ألقى العدوَّ بوجهٍ لا قُطُوبَ به يكاد يقطرُ من ماءِ البَشَاشَاتِ[1]

فأخزَمُ الناسِ من يلقى أعاديه في جسم حقدٍ وثوبٍ من مودّاتِ

● وصفُ أخوّةٍ صادقةٍ

مدح أعرابي صديقاً **فقال**: مجالسته غنيمة وصحبته سليمة ومؤاخاته كريمة، هو كالمسك إن بِعْتَهُ نفق وإن تركته عبق[2]

وعاتب رجل خليله **فقال**: لو علمت أن يومي أهنأ من يومك لاخترت أن أوثرك به.

قال شاعر:

وذي لطفٍ لو كان يعلمُ أنّه شفائي دَمٌ من جوفه لَسَقَانِي

وقال آخر:

قد تخللتَ مسلكَ الرّوحِ منّي وبذا سُمّي الخليلُ خليلا

وقيل: لم يُسمَعْ بأطيب وأعذب من **قول البحتري**[3]:

وجدتُ نفسَكَ من نفسي بمنزلةٍ هي المُصَافَاةُ بين الماءِ والرّاحِ[4]

وقال يصف خليلاً:

أخٌ وأبٌ لي ثم أمٌ شفيقةٌ تفرّقُ في الأحبابِ ما هو جامِعُهْ

سلَوْتُ به عن كلِّ مَنْ كان قَبْلَهُ وأذهَلَنِي عن كائنٍ هو تابِعُهْ

ولآخر:

ونحنُ كروحٍ بين جسْمَيْنِ قُسّمَا فجسْماهما جسْمان والروحُ واحدُ

---

(1) **القطوب**: العبوس. (2) **عبق**: فاح وانْتَشَرَت رائحته.

(3) **البحتري**: أبو عبادة (٨٢٠ ـ ٨٩٧) شاعر عربي طائي وُلد في منبج اختص بالمتوكل ووزيره الفتح بن خاقان. اشتهر بالوصف وله كتاب الحماسة على مثال حماسة أستاذه أبي تمام.

(4) **المصافاة**: التصافي ـ **الراح**: الخمر ـ **يقول**: إن نفسينا في صفاءٍ وانسجام كالماء والخمر.

● **متآخيان اختلف مذهباهُمَا**

قال الجاحظ[١]: لم يُرَ أعجب حالاً من الكميْت والطرمّاح، فإن الكمَيت كان عدنانياً شيعياً يتعصب لأهل الكوفة، والطرماح كان قحطانياً خارجياً يتعصب لأهل الشام، وكان بينهما من المخالطة ما لم يكن بين اثنين قط ولم تَجْرِ بينهما جفوةٌ ولا قطيعة ولا اعتراض. **وقيل لهما**: كيف اتفقتما مع الخلاف بينكما؟ **فقالا**: اتفقنا على بغض العامة. ووصفهما جعفر المصري **فقال**:

فنحن من وُدٍّ وحُبٍّ كما ... كان كميتٌ والطِّرمّاحُ

وكان عبد الله الأباضي وهشام بن الحكم شريكين في البزّ وبينهما من الخلاف ما لم يكن بين اثنين، كان الأباضي يزعم أن علياً لم يزل مستتّراً بالكفر حتى أظهره يوم التحكيم وهشام يثبت الإمامة لعلي رضي الله عنه. **قال هشام**: ما خالفني إلا مرة: اشترينا جارية **فقلت**: أجعلها لي، **فقال**: أنت عندي كافر وهذا فرج، ولا أحبُّ أن أبيحه لك. **قال العباس بن الأحنف وهو مما يتمثّل به ههنا**:

زاوج حيتانها الضِّبابَ بها ... فهذه كنّة وذا خَتَنُ[٢]

● **اصطحابُ نَذْلَين**

في المثل: وافق شنّ طبقة. وافقه فاعتنقه. **قال شاعر**:

كأنسِ الخنافيسِ بالعَقْرَبِ

ولأبي الحسن:

كلا كُما بالمجد مستهترٌ ... وبابتِناءِ المَجْدِ مفتونُ

وفرّقُ ما بينكما واحدٌ ... أنت رقيعٌ وهو مأفونُ[٣]

وأنتَ لوطيّ على ظَنّه ... وذاك بالإجماعِ مأبونُ[٤]

● **استبقاءُ الإخوانِ بالإفضاءِ[٥] عليهم**

قيل: إذا سرّك أن يثبت لك الصديق، فليكن لك عليه الفضل. **قال شاعر**:

إذا أنتَ لم تفضلْ على ذي مودّةٍ ... وكنتَ وإيّاه بمنزلةٍ سَوَا

---

(١) **الجاحظ**: أبو عثمان (٧٧٥ ـ ٨٦٨) من أئمة الأدب العبّاسي وُلد في البصرة. نُسبت إليه الجاحظيّة من فرق المعتزلة. صوّر أحوال عصره وحياة أهل زمانه تصويراً يمتزج فيه الجدّ بالدعابة من مؤلفاته: «الحيوان» و «البيان والتبيين» و «البخلاء».

(٢) **الختن**: الزوج.

(٣) **الرقيع**: الأحمق الذي أخلق عقله ـ **المأفون**: ناقص العقل.

(٤) **المأبون**: المعاب.

(٥) **الإفضاء**: مصدر أفضى عليه أي أعطاه وغمره بنواله.

فلاتَكُ ذا عتبِ عليه وإنّما يُعَاقِبُ بالذّنبِ المُشيب على الرِّضا

● **الحثُّ على مشاركةِ الصديقِ في سرّائِهِ دون ضرّائه**

قالت امرأة يحيى بن طلحة له: أما ترى أصحابك إذا أيسرت لزموك وإذا أعسرت تركوك؟ **فقال:** هذا من كرمهم يأتوننا في حال القوة منّا على الإحسان إليهم ويتركوننا في الضعف عنهم:

يعرَفُ الأبعدُ إنْ أثرى ولا يعرفُ الأقربُ إنْ يفتقِر

ولآخر:

أبو مالك قاصرٌ فَقْرَه على نفسِه ومُشِيعٌ غِنَاه

وقيل: فلان يتحسى المرّ ويسقي إخوانه العذب.

● **الحثُّ على مشاركةِ الصديقِ في ذاتِ اليدِ**

رأى بعض الحكماء رجلين لا يفترقان فسأل عنهما **فقيل:** هما صديقان. **قال:** ما بال أحدهما غني والآخر فقير؟ **وقيل:** لا خير في صحبة من لا يرى لك مِثْلَ ما يرى لنفسه.

وقال محمد بن علي: أيدخِلُ أحَدُكُمْ يده في كمّ أخيه فيأخذ حاجته؟ **قالوا:** لا **قال:** فلستم إذاً بإخوان.

● **الحثُّ على أن تشارِكَ في السرّاء مَنْ يشارِكُكَ في الضرّاء**

قال أكثم بن صيفي: حقّ أن تشارك في النعم من يشاركك في المكاره. **قال أبو تمّام:**

إن الكرام إذا ما أيسَروا ذكَرُوا من كانَ يألفُهمْ في المنزلِ الخَشنِ[(١)]

وقال جحظة البرمكي:

قلْ للوزير أدام اللّهُ دولتَهُ أذكرْ مُنَادمتي والخبزُ خُشكَارُ[(٢)]

إذا ليسَ بالباب برذونٌ لنوبتِكم ولا غلامٌ ولا بالباب طيّارُ[(٣)]

وقال آخر:

شركْناكَ في مرِّ الزّمان فكنْ لنا إذا الحلوُ منه درّ غير شَرِيكِ

● **ذمُّ مَنْ أعرَضَ عنك في حالِ يسارِهِ**

صَبَغَتْ أميّةُ في الدماء رِمَاحَنا وطَوَتْ أميّةُ دُونَنا دُنْيَاها

---

(١) إن الكرام لا ينسون في غناهم من كان يعرفهم في فقرهم.

(٢) **الخشكار:** من الخشكر وهو ما خشن من الطحين واللفظة فارسيّة.

(٣) **البرذون:** دابة الحمل الثقيلة، والتركيّ من الخيل ـ **الطيّار:** الفرس السريع.

وقال آخر:

رأيتُكَ لما نِلْتَ مالاً وعضبا ... زمانٌ نرى في حدّ أنيابه شَغْبا
جعلت لنا ذنباً لتمنعَ نائِلاً ... فأمسِكْ ولا تجعلْ غِناك لنا ذنْبا

قال محمود:

وكنتَ أخي أيامَ عُودُكَ يابِسٌ ... فلمّا اكتسى واخضرّ صِرتَ معَ الدّهرِ

ولآخر:

إبتاعَ وذي وهو ذو عُسْرَةٍ ... حتى إذا نالَ الغِنى باعَهُ

وكتب المعروف بالزغل إلى بعض السلاطين:

رآني بعينِ النّقصِ أن صَارَ ذا غِنَى ... وأغفلَ قبلَ اليومِ نَقصَ يَدَيْهِ
وما نالَ إلا حظَّه غيرَ أنّه ... توهّم أنّ الرزْقَ صارَ إليْهِ
فَكِلْهُ إلى مُرّ الليالي وصرفِها ... ستأتي على ما عِنْدهُ وعَلَيْهِ

وقال آخر:

صديقُكَ مَنْ يَرعاكَ عند شديدةٍ ... فكُلٌّ تراه في الرَّخاءِ مُراعِيا

وقال آخر:

فلا يغُرّنّكَ إخوانٌ تعدّهم ... أنتَ العدوّ لِمَنْ كلّفتَهُ حاجَه

- **ذمُّ مَنْ تكبّر على أصدقائه لغِناهُ وسُلْطانه**

قال صالح بن عبد القدوس[1]:

تاهَ على إخوانِهِ كلِّهِم ... فصار لا يطْرَفُ من كِبْرِهِ
أعادَهُ اللّهُ إلى حالِهِ ... فإنّهُ يَصْلُحُ في فَقْرِهِ

قال الخوارزمي[2]:

وصلتُكَ بالسّلطان حتّى إذا اعتلَى ... مكانُكَ واستمكنتَ لم تَملِكِ الحِقْدَا
كمُقتَدِحٍ ناراً بزندٍ لحاجةٍ ... فلما تلظّتْ نارُه أحرقَ الزّندَا

- **تغيّرُ الإخوانِ في حالِ العلاء**

قال زياد: إذا كان لك صديق فولي ولاية وبقي لك واحد من عشرة، فليس بصديق سوء.

---

(١) صالح بن عبد القدوس: (توفي نحو ٧٧٧) من شعراء بغداد صلبه المهدي لزندقته اشتهر بقصيدته الزينبية أكثر شعره في الحكمة.

(٢) الخوارزمي: أبو عبد الله (توفي ٩٩٧) باحث عالم من أهل خراسان أوّل من ألّف موسوعة بالعربيّة هي «مفاتيح العلوم».

وقال بعضهم: إذا كان لك أخ صافي الودّ فلا تتمنّى له منزلة، ففي ذلك تغيّر له عن الوداد.

قال شاعر:

وكـــلُّ إمـــارةٍ إلا قـــلـــيـــلاً مـغـيّـرة الـصـديـقَ عـن الـصـديـق

وقال آخر:

إذا مـــا أردتَ ودادَ امـــرىءٍ فـــلا تـــدعـــوَنَّ لـــه بـــارْتـــقـــاءِ

● نهيُ مَنْ بلغ صديقه منزلةَ مِنَ التدلُّلِ عليه

قال منصور:

إذا رأيـتَ امـرأً فـي حـال عـسْـرَتِـهِ صـافـي الـمـودّة مـا فـي ودّه وَغَـلُ[1]

فـلا تـمـنّ لـه حـالاً يُـسَّـرُ بـهـا فـإنّـه بـانـتـقـالِ الـدّهْـرِ يَـنْـتَـقِـلُ

قيل: لا تنظر إلى صديقك إذا بلغ منزلة بعينك الذي نظرت إليه بها قبل، وإذا جعلك أباً فاتخذه ربًّا. وقيل: ذو الحرمة مَلُوَمٌ على الإفراط في الدالة كما أن المحترم له ملومٌ على تناسي المودّة والحرمة.

وقال أبو عباد يوماً لأبي بكر المقري: إيّاك والدالّة في غير مكانها فنحن بالليل إخوان وبالنهار ذوو سلطان. فرط الادلال يدعو إلى الملال.

● مَدْحُ مَنْ لَمْ يتغيّر لمنزلةٍ نالها

فتى زادَه السلطانُ في الحمد رغبةً إذا غـيّـر الـسـلـطـانُ كُـلَّ خَـلِـيْـلِ

وقال الموسوي:

وغـيْـري إذا مـا طـار خـلّـفَ صـحـبـه دُويـن الـمـعـالـي واقـعِـيـن وحـلّـقـا

ولما بشّر هشام بالخلافة سجد من حوله شكراً لذلك، غير الأبرش الكلبي فقال له هشام: ما منعك أن تسجد معي؟ قال: إني معك ليلاً ونهاراً وغداً ترقى إلى السماء فتنكرني. قال: بل أصعد بك، فقال: أما الآن فإني أسجد عشرين سجدة.

● مَدْحُ مَنْ نزّه إخوانَهُ عن استخدامِهِمْ في سلطانِهِ

كان هشام يعتمّ فقام إليه الأبرش ليسوّي عمامته، فقال: مه[2] فإنّا لا نتخذ الإخوان خولاً[3]

وقام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بنفسه فأصلح سراجه، فقال واحد من جلسائه: ألا أمرتني، فكنت أكفيك. قال: ليس من المروءة أن يستخدم الرجل جليسه.

---

(١) العسرة: الضيق ـ الوغل: الدنيء، الضعيف. (٢) مه: اسم فعل بمعنى انكفف.

(٣) الخول: الخدم.

● **الحثُّ على خدمةِ الإخوانِ ومدح ذلك**

قال النبي ﷺ: سيد القوم خادمهُم. **وفي المثل**: إذا عزّ أخوك فَهُن.

قال ابن المعتمر:

إذا أنت رافقْتَ الرجال فكُنْ فتىً ... كـأنـك مـمـلـوكٌ لـكـل رَفـيـقِ
وكُنْ مثلَ طعمِ الماء غضّاً وبارداً ... على الكبد الحرّى لكلّ صَدِيْقِ

وقال آخر:

كــأنــهُ عَــبْــدٌ لإخــوانِــهِ ... ولـيـسَ فـيـه خُـلُـقُ الـعَـبْـدِ

ونحوه:

وعَـبْـدٌ لـلـصـحـابـة غَـيْـرُ عَـبْـدِ

● **النّهيُ عن ذلك**

قال بعضهم: إنّ لكل قوم كلباً فلا تكُنْ كَلْبَ إخوانك. **قال عبد الله بن معاوية**:

لا تُـهـيـنَـنَّ لـلـصـديـق مَـكْـرُمَـةً ... نـفـسـك، حـتـى تُـعَـدّ مِـن خَـوَلِـهْ
يـحـمـلُ أثـقـالَـهُ عـلـيْـك كـمـا ... يـحـمـل أثـقـالـهُ عـلـى جَـمَـلِـهْ

● **احتمالُ أذى الصديقِ ما لمْ يَكُنْ فيه هَوَانٌ**

قال صالح:

أرضى عنِ المرءِ يُصْفِيني مَوَدّته ... وليسَ شيءٌ من البغضاءِ يُرضِيْنِي[1][2]

وقال آخرَ:

ساُصْبِرُ عنْ رَفيقي إنْ جفاني ... عـلَـى كـلّ الأذى إلا الـهَـوانِ

قال جحظة:

تـذَلّـلْ لِـمَـنْ إنْ تـذلّـلْـتَ لـه ... يـرَى ذاكَ لِـلْـفَـضْـلِ لا لِـلْـبَـلَـه
وجـانـبْ صـداقـةَ مَـنْ لا يـزالُ ... عـلَـى الأصْـدقـاءِ يـرَى الْـفَـضْـلَ لَـه

● **كونُ الناسِ أصدقاءَ ذي المالِ**

قيل لبعض الفضلاء: كم لك من صديق؟ **قال**: لا أعلم لأن الدنيا مقبلة عليّ والأموال موجودة لديّ، وإنما أعرف ذلك لو ولّتِ الدنيا. ألَمْ تَسْمَعْ إلى **قولِ طريح**:

الـنّـاسُ أعـداءٌ لـكـل مُـدْقِـعٍ ... صفرِ اليدين وإخوةٌ للمُكْثِرِ[3]

---

(١) لا تدعُ لأحدهم بالمراتب العالية فتتغير مودّته وتخسره.

(٢) يقول: أرض بصفاء المحبة لا بالكراهية والبغضاء.

(٣) المدقع: الفقير المعوز ـ يقول إنّ الناس أعداء للفقير وأخوة للغني.

ولما نُكِبَ علي بن عيسى لم يَطِرْ بناحيتِهِ أحد، فلما رُدَّتْ إليه الوزارة رأى الناسَ حوله، فأنشد:

ما الناسُ إلا معَ الدنيا وصاحبِها ... فأينما انقلَبَتْ يوماً به انقلَبُوا

وقال عبد الملك لأصحابه: أيّكُمْ يصف لي عامّة الناس؟ فقال الوليد ابنه: إخوان طمع وأعداء نعم.

وقيل: إذا احتاج إليك عدوك أحبّ بقاءك، وإذا استغنى عنك وليُّكَ هان عليه موتُك. الإخوان عند الجفان كثير وعند الحقائق قليل.

● ذمُّ المودّة التي يجلبُها الطمعُ

كلُّ مودة عَقَدها الطمع حلّها اليأس. وقيل: إياك وَمَنْ مودّتُه لك لحاجة.

قال إبراهيم بن العباس:

وكُنْتَ أخي كالدّهر حتى إذا نبَا ... نبوْتَ فلّما عاد عُدْتَ مَعَ الدَّهْرِ[1]

فلا يومَ إقبالي عدَدْتُكَ طائلاً ... ولا يومَ إدباري عدَدْتُكَ من أمْري

● حَمْدُ الغيرةِ على الإخوان

سأل الرشيد رجلاً عن بني أمية فقال: كانوا يتغايرون على الإخوان كتغايرهم على القيان[2] وقيل: لتكن غيرتك على صديقك كغيرتك على صديقتك.

وقال شاعر:

وكُنْ عالماً أني أغار على أخي ... وخلّي كما أنّي أغارُ على عِرسي[3]

ووفِّرْ عليّ الحظ منك فإنّني ... خَصَصْتُكَ بالحَظ الموفرِ مِنْ نَفْسي

● ذمُّ مَنْ يصاحبُ من أصدقائك أعداءَك

في كتاب الهند: من علامة الصديق أن يكون لصديقه صدوقاً ولعدوه عدواً. قال شاعر:

تؤاخي عدوّي ثم تزعمُ أنّني ... صديقُك إنّ الرأي منك لَعَازِبُ

وقيل: ليس من المروءة أن تحبّ ما يبغضه حبيبك. وقيل: لا يحبُّك من يُحِبّ عدوَّك.

وقال أيوب بن جعفر للمأمون: أنا أودّكَ مودةً حرةً وأبغض أعداءَكَ بغضةً مرّةً، فقال: إنك تقول فتحسن وتحضر فتزين وتغيب فتؤمن.

---

(١) نبا نبوّاً: تجافى وتباعد.

(٢) القيان جمع قينة: المغنية ـ القينة الماشطة. (٣) العرس: الزوجة ـ عازب: بعيد.

قال السريّ:

وليس يكونُ المرءُ سلمَ صديقِه إذا لم يَكُنْ حربَ العدوّ المُخالفِ

● حَمْدُ مَنْ يصاحب منهم أعداءك

قال ابن المقفع: إذا رأيت صديقك مع عدوّك فلا يوحشنّك ذلك، فإنما هو أحد رجلين إذا كان من إخوان الثقة فانفع مواطنه قربه من عدوّك شرّ يلفّه وعورة يسترها وغائبة يطلع عليها، وإن كان غير ثقة فهو أولى[1] به فَهَبْهُ له.

● مدحُ رفضِ الحشمةِ بين الأصدقاء

قال علي رضي الله عنه: شرّ الإخوان من يحتشم منه ويتكلّف له. قال المرجيّ الصوفي: إذا صحّ الود سقطت شروط الأدب. وقال الحسن بن وهب: إعلم أن المودة لا تتم ما دامت الحشمة عليها مسلّطة.

وقال بعضهم: أسقط عن نفسي نصف همّ الدنيا بعشرة من لا أحتشمه، وقال الجنيد رضي الله عنه لا تصحب من تحتاج أن تكتمه ما يعرف الله منك.

● ذمّ فَرْطِ الانبساطِ

قيل: صن الاسترسال منك حتى تجد له مستحقاً، واجعل أنسك آخر ما تبذل من ودّك. وقال جعفر بن محمد: إيّاك وسقطة الاسترسال فإنها لا تستقال.

في كتاب كليلة ودمنة: بعضُ المقاربة حزمٌ وكلّ المقارنة عجز، كالخشبة المنصوبة في الشمس تُمَالُ فيزيد ظلُّها وتفرط في الإمالة فيرتد ظلُّها.

وقال أكثم: الانقباض[2] عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، أخذه الحارث. فقال:

إذا ما عممتَ النّاسَ بالأنس لم تزَل لصاحبِ سُوء مستفيداً أو كاسباً
فإن تُقْصِهم أرمَوْكَ عن ظهر بِغْضةٍ فكنْ خلطاً إنْ شِئْت أوْ كُنْ مُجَانِبَا[3]
ولا تنتبذْ عنهم ولا تَدنُ منهم ولكنّ أمراً بين ذاك مقاربَا[4]

وقال: إذا أقبل عليك مقبل بودّه فَسَرّكَ أن لا يُدْبِرَ عنك، فلا تكثر الإقبال عليه، فالإنسان من شأنه التباعد ممن قَرُبَ منه، والدنوّ مِمّن يتباعدُ منه.

● مُباسطةُ الكرام والانقباضُ عن اللئام

ومالي وجهٌ في اللئام ولا يَدٌ ولكنّ وجهي في الكرامَ عَرِيْضُ

---

(١) أولى به: أجدر به، أحق به. (٢) الانقباض عن الناس: اعتزالهم والانكماش عنهم.

(٣) إن تقصهم: أن تبعدهم.

(٤) تنتبذ عنهم: تبتعد عنهم ـ الكاشح: العدوّ المبغض ـ الصرم: القطيعة والهجر.

أهشُّ إذا لاقَيتُهُم وكأنني ... إذا أنا لاقيتُ اللئام مريضُ

وقال ابن كناسة:

فيَّ انقباضٌ وحشمةٌ فإذا ... أبصرتُ أهلَ الوقار والكرمِ
أرسلتُ نفسي على سجيّتها ... وقُلتُ ما قُلتُ غيرَ محتشِمِ

• النهيُ عن فرط[1] المودةِ والعداوةِ

قيل: من أحببت فلا تأمَنْهُ وَمَنْ أبغضتَ فلا تهجره. وقيل خالط الناس وزايلهمْ. **وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه:** لا يكن حبّك كلفاً ولا بغضك تلفا.

قال زياد بن زيد:

وإن امرأً قد جرّب الدهرَ لم يَخُنْ ... تقلّب عصريه لغَيْرُ لَبيبِ
فلا تيأسنَ الدهر من حبّ كاشحٍ ... ولا تأمننَ الدهر صَرْمَ حَبِيْبِ[2]

وقال آخر:

فهونك في حُبٍّ وبغضٍ فربّما ... بدا جانبٌ من صاحب بعد جانِبِ

• ذمُّ الاستكثارِ مِن الأصدقاءِ

قيل: لتكن الإخوان عندك كالنار قليلُها متاع وكثيرها بوار[3] **وقال الفضيل:** من سخافة عقلِ المَرْءِ كثرة معارفِهِ. **وقال حفص بن حميد:** من لم ينقص كل يوم صديقاً لا يُفلح[4] أبداً:

عــدوُّكَ مِـنْ صَدِيْقِكَ مُسْتَفَادٌ ... فلا تَسْتَكْثِرَنْ مِنَ الصِّحَابِ[5]
فإنَّ الداءَ أكثر ما تَرَاهُ ... يكونُ من الطَّعَام أو الشَّرَابِ

• إعوازُ صديق صادق

قال الفضيل لسفيان رحمهما الله: دلّني على صديق أرْكُنُ إليه إذا غبت وآمَنُ معه إذا حضرت، **فقال** تلك ضالةٌ لا توجد.

وقيل لرجل: مَنْ أبعد الناس سفراً؟ **فقال:** من كان سفره في طلب أخ صالح وسمع **المأمون أبا العتاهية ينشد:**

وإني لمحتاجٌ إلى ظلِّ صاحبٍ ... يروقُ ويصفو إنْ كَدَرْتُ عليهِ

فقال خذ منّي الخلافة وأعطني هذا الصاحب.

---

(١) **فرط:** كثرة.
(٢) **الكاشح:** العدوّ الباطن العداوة.
(٣) **بار بواراً:** هلك، كسد.
(٤) **يفلح:** أفلح، نجح.
(٥) **مستفاد منه:** مقتنى ـ يدعو ناصحاً إلى عدم الإكثار من الأصحاب.

وقيل لفيلسوف ما الصديق؟ فقال: اسم على غير معنى. قال أبو فراس[1]:

نَعَمْ دَعَتِ الدنيا إلى الغَدْرِ دعوةً ... أجابَ إليها عالمٌ وجَهُولُ
فَيَا حسرتي من لي بخلٍّ مُوافِقٍ ... أقول بِشَجْوِي مرّةً ويقُولُ

قال الصابىء[2]:

أيا ربُّ كلُّ الناس أولادُ علّةٍ ... أما تغلطُ الدنيا لنا بصديقِ
وجوهٌ بها من مُضْمَرِ الغلِّ شاهدٌ ... ذواتُ أديمٍ في النفاقِ صَفِيقِ[3]

- **التخويفُ مِنْ دَغَلِ الإخوان**

قال أعرابي: اللهمّ اكفِني بوائق[4] الثقات والاغترارِ بظاهر المودّات. وقال آخر: اللهم احفظْني من الصديق. فقيل: كيف؟ قال: لأني متحرّز من العدّو. قال علي بن عيسى:

إحْذَرْ عدوَّك مرّةً ... واحذَرْ صديقَك ألفَ مرّهْ
فلربّما انقلبَ الصديقُ ... فكانَ أعْلَمَ بالمضرّهْ

وقيل: احذر من تأمنه، فودائع الناس لا تضيع إلا عند الثقات. وقيل: قلّ من يؤذيك إلا مَنْ تعرفُه.

- **ذمُّ مَنْ يستعدُّ حين الصداقةِ للعداوة**

ذمّ العبّاس رجلاً فقال هو يترصّد في صداقته ما يتوثّب به في عداوته. قال شاعر:

احذرْ أخوّةَ كلِّ من ... شابَ المرارةَ بالحلاوهْ
يُحْصِي الذنوبَ عليك ... أيامَ الصداقةِ للعداوهْ

- **قلّة نَفْعِ مودةٍ مكرهةٍ**

فلا خيرَ في وُدّ امرىءٍ متكارهٍ ... عليك ولا في صاحبٍ لا تُوافِقُه

وقال آخر:

ألا إنّ خيرَ الودّ ودٌّ تطوّعتْ ... به النفسُ لا ودٌّ أتى وهو مُتْعَبُ

- **ذم من يُضْمرُ عداوةً ويظهر صداقةً**

قال بعضهم: تظن فلاناً يضحك لك وهو يضحك منك فإن لم تتخذه عدواً في

---

(١) أبو فراس الحمداني (٩٣٢ - ٩٦٨) وُلد في الموصل هو ابن عمّ سيف الدولة صاحب حلب الذي قلّده إمارة منبج. أسره البيزنطيون أربع سنوات. استولى على حمص بعد وفاة سيف الدولة فقُتِل: أشهر قصائده: «الروميّات».

(٢) الصابىء: إسحاق إبراهيم (٩٢٥ - ٩٩٤) كاتب حرّاني خدم بني بويه. اشتهر برسائله. له ديوان شعر.

(٣) الغلّ: الحقد والكراهية والغشّ. (٤) البوائق: جمع بائقة وهي الشرّ.

علانيتك فلا تتخذه صديقاً في سريرتك. **وقيل**: مَنْ عاشر الإخوان بالمكر كافأوه بالغدر.

قال يزيد الحكمي:

لسانُك لي أَرْيٌ وقلبُك عَلْقَمُ ... وشرُّكَ مَبْسُوطٌ وخيرُكَ مِلْتَوي[1]

وقال آخر:

زعمت صديقى طاب مرأىً ومسمعًا ... صَدَقْتَ ولكنّ المغيبَ معيبُ[2]

وقال آخر:

إذا أنتَ فتّشتَ القلوبَ وجدْتَها ... قلوبَ أعادٍ في جُسُومِ أصادقِ

● **تأسف من تكدّر ودّه بعد الصَفَاء**

أخٌ كنتُ آوي منه عند ادّكارِه ... إلى ظلّ آباء من العزّ شامخ

سَعَتْ نُوَبَ الأيام بيْني وبينه ... فأقلعْنَ منّا عن عدوٍّ وصارخِ[3]

وقال أعرابي: يا حسرتي فقد صفرت من فلان عياب[4] ودّي بعد امتلائها واكفهرت[5] وجوه كانت بمائها. فأدبر ما كان مقبلاً وأقبل ما كان مُدْبِراً.

● **ذمّ مَنْ يتجنّى على صَديقه طَلباً لصرمه**

إن الملولَ إذا أرادَ قَطيعةً ... ملَّ الوصالَ وقالَ كان وكانا[6]

وقال آخر

زماني كلُّهُ غَضَبٌ وعتْبٌ ... وأنت عليّ والأيام إلْبُ[7]

وقال ابن المقفع: ينبغي للعاقل أن يكذب سوء الظن بصديقه ليكون ذا ودّ صحيح وقلب مستريح. **وقال ابن سيرين**: إذا بلغك عن صديقك ما تكرهه فالتمس له عذراً، فإن لم تجد فقل: لعلّ له عذراً وأنت تلوم.

● **معاتبةُ مَن أساءَ الظنّ بصديقه**

قيل لرجل ما ظنك بأخيك؟ **قال**: ظني بنفسي. **قال المتنبي**:

إذا ساء فِعْلُ المرءِ ساءت ظنونُهُ ... وصَدَّقَ ما يعتادُه من توَهُّمِ

---

(١) **الأري**: الشهد والعسل ـ **العلقم**: الحنظل، وكل ما مرّ فهو علقم.

(٢) **المغيب**: الغيبة والنميمة.

(٣) **نوب**: جمع نائبة مصيبة.

(٤) **العياب**: العيوب، والعياب الصدور والقلوب تشبيهاً بعياب الثياب وعياب الودّ من باب المجاز.

(٥) **اكفهرّ اكفهراراً الليل**: اشتدّ ظلامه.

(٦) **القطيعة**: الصرم والجفاء ـ **لصرمه**: لهجره والانقطاع عن صحبته.

(٧) **الإلب**: القوم تجمعهم عداوة واحدة، وألب إلبا: جمع وألّب: أفسد، والّب من الأضداد ويفيد الجمع أيضاً.

وعـادى مـحـبّـيـه بِـقَـولِ عـداتـه فـاصبحَ في داجٍ مـن الـشـكّ مُـظْـلـمِ

وله:

ومـن يـكُ ذا فـمٍ مُـرٍّ مـريـضٍ يـجـدْ مُـرّاً بـه الـمـاءَ الـزُلالا[1]

قال الموسوي:

مـن سـاءَ ظنـّاً بـمـا يـهـواه فـارقَـه وحـرّضَـتْـهُ عـلـى إبـعـاده الـتـهَـمُ

● معاتبةُ مَنْ سلا عن صديقه

مـالي جُـفـيـتُ وكـنـتُ لا أُجـفـى ودلائـلُ الـهـجـران لا تَـخـفَـى

وأراكَ تـشـربُـنـي فـتـمـزجُـنـي ولـقـد عـهـدتُـكَ شـاربـي صِـرْفـا

من كفّ عنك أذاه فهو صديق صدق. خيرُ ما في اللئيم أن يكفَّ ضَرَرَهُ.

قال المتنبي[2]:

إنـا لـفـي زمـن تَـرْكُ الـقـبـيـحِ بـه مـن أكـثـر الـنـاس إحـسـانٌ وإجـمـالُ

وقال آخر:

لـي صـديـق لـديـه نـصـحٌ وودّ غـيـر أنّ الـدمـاغَ فـيـه مَـرَمّـه

فـإذا مـا سَـعَـى لـيـدفـعَ عـنـه في الـمـلـمّـات صَـارَ عَـوْنَ الـمُـلِـمّـه

لـيـتَـه كـفّ خَـيْـرَهُ وأذاه ورعـى لـي بِـذاك حـقّـاً وحُـرْمَـهْ

وقال آخر:

قـد جـنَـاهـا أخٌ عـلـيّ كـريـمٌ وعـلـى أهـلِـهـا بـراقـشُ تـجـنـي[3]

● ذمُّ مَنْ يُعَادي أصدقاءَهُ

قال السري الكندي:

رأيـتُـكَ تـبْـري لـلـصّـديـق نـوافِـذا عـدوُّك مـن أوصـابِـهـا الـدّهـرَ آمـنُ[4]

وقال آخر:

لـنـا أخٌ يـطـلـبُ غـيـرَ ثـارِه يـطْـوي الـعِـدا ويـنـتـحـي لـجـارِهِ

والـكـلـبُ لا يـنـبَـحُ مَـنْ فـي دارِهِ

---

(١) الماء الزلال: العذب، الصافي، والزلال: الكثير الزلق، وزلّ: سقط وزلق.

(٢) المتنبي: أبو الطيب (٩١٥ ـ ٩٦٥) من كبار شعراء العرب وُلد في محلّة كندة بالكوفة. وقتل في طريقه من فارس إلى بغداد. امتدح سيف الدولة ثم كافوراً ثم عضد الدولة. كان شجاعاً طموحاً متكبّراً. أفضل شعره في المدح والهجاء والفخر والحكمة.

(٣) براقش: جمع برقش، طائر صغير ملوّن الريش. ويقال جنَت على أهلها براقش وهو: مثل أصله أنّ قوماً كانوا هاربين من أعدائهم والوقتُ ليل فنبحت كلبتهم براقش فاهتدى إليهم الأعداء وأوقعوا بهم، فذهب القول مثلاً.

(٤) الأوصاب: الأوجاع والآلام، جمع وصب.

● **تفضيلُ صداقة مَنْ قدُم إخاؤُهُ**

قال معاوية لكاتب له: عليك بصاحبك الأقدم فإنّك تجده على مودّة واحدة وإن قَدُمَ العهد وبعدت الدار. وإيّاك وكلّ مستحدث فإنه يجْري مع كل ريح. وقيل لا تستبدلَنّ بأخٍ لك قديم، أخا مستفاداً ما استقام لك. **قال شاعر**:

كيْف يبْقى لك الجديدُ من النا س إذا كنْت تطرح الخلقانا[1]

قال أبو الشيص[2]:

نَقِّلْ فؤادَك حَيثُ شِئتَ مِنَ الهوى ما الحُبُّ إلاّ للحبيبِ الأوّلِ[3]

كَمْ مَنْزِلٍ في الأرضِ يألفُهُ الفَتَى وحنينُه أبداً لأوّل منزلِ

● **عكسُ ذلك**

قيل: عليك بمستظرف الإخوان تستفيد منهم مستطرف الإحسان، وتأمن منهم بوائق[4] الشقاق:

فللعيْن ملهىً في التّلاد ولم يقِد هوى النفس شيءٌ كاقتياد الظرائف

ولهذا الباب وما تقدّم نظير في حَدّ الغزل.

● **العتَبُ على المتلوّنِ وذمُّهُ**

قيل: مودّته متنقلة كتنقل الأفياء وأخوّته متلونة كلون الحرباء. **قال صالح**:

قلْ للذي لسْت أدري من تلوّنه أناصِحٌ أم على غشّ يُداجيني

تغتابني عنْد أقوامٍ وتمدَحُني في آخرين وكلٌّ منك يأتيني

وقال آخر:

أخٌ لي كأيّام الحياة إخاؤُه تلوّن ألواناً على خطُوبها

إذا عبْتُ منه عيْبةً فتركتُه دعتْني إليه خلّة لا أعيبُها

وكتب عبد الله بن معاوية: قد عاقني الشكّ في أمرك عن عزيمة الرأي فيك، فإنك ابتدأتني بلطف من غير خبرة، وأعقبتني بجفاء من غير ذنب، فأطمعني أوّلك في أخائك وأيأسني آخرك من وفائك. فسبحان من لو شاء كشف الغطاء، فأقمنا على ائتلاف أو افترقنا

---

(١) **الخلقان**: البالية.

(٢) **أبو الشيص محمد**: (توفي ٨١١) شاعر عباسي مطبوع من أهل الكوفة ابن عمّ الشاعر دعبل. عمي في آخر حياته. امتاز بوصف الخمرة والمديح.

(٣) **يقول**: مهما تتقلّب في حبّك فالحبّ الأمثل لا يكون إلا للحبيب الأوّل. ولئن ألف الفتى في حياته الوجدانية منازل شتّى فرجوعه دائماً للحبيب الأول وهذا الشعر منسوب إلى شعراء منهم أبو تمّام.

(٤) **البوائق**: المهالك، جمع بائقة.

على اختلاف.

وقيل لئن أُبْتَلَى بمائة جموح لجوج أحبّ إليّ من أن ابتلى بمتلوّنٍ.

قال إبراهيم بن العباس:

يا أخاً لم أرَ في الناس خِلاً ... مثلَه أسرَعَ هجراً ووصلا
كنتَ لي في صدرِ يومي صديقاً ... فعلَى عهدك أمسَيْتُ أمْ لا؟

وقال بعضهم لمغنية:

مرحباً ثم مرحباً ... بحبيبٍ تَغضَبا

فأجابته:

أنتَ كالريحِ لا تدو ... مُ جنوباً ولا صَبَا[1]

● عَتبُ مَنْ ترعاهُ وهو يجفوكَ

وأعجَبُ من جفَائك لي وصبْري ... على طولِ ارتفاعِك وانخفاضِي
سُروري أن تدومَ لكَ الليالي ... بما تهوى كأني عنك راضِي

● الحثُ على مصارمةِ مَنْ تبغضُهُ

قال رجل لآخر: لي أخ إذا كلّمته آذاني وأثمت، وإذا كرهته أراحني وسلمت فأنشده:

وفي البعْد مسلاةٌ وفي الصّرْم راحةٌ ... وفي النّاس أبدالٌ سواهُ كثِيرُ[2]

وقال آخر:

ودّ ما لا تشتهيه النفس تعجيلُ الفراق

● المسرّةُ بفراقِ مَنْ لا تحبُّهُ

قال منصور الفقيه:

ومستوجبٍ شكري بإعراضه عني ... أجلّ يدٍ عندي له بُعْدُهُ عنّي
تلافى بهجْري بعضَ ما كان جرّه ... عليّ بوصْلي قبل إعراضه عنّي[3]

واعتذر رجل إلى آخر بتأخره عنه فقال: ما رأيت إحساناً يعتذر منه سوى هذا. وقال إسحاق الموصلي: ذكرت للعبّاس العلوي رجلاً فقال: دعني أتذوّق طعم فراقه فهو والله لا تشجى له النفس ولا يُدْمى لفراقه الجفن. قال شاعر:

كلانا غنيٌ عن أخيه حياته ... ونحن إذا متنا أشدّ تغَانِيَا

---

(١) الصبا: ريح مهبّها جهة الشرق. (٢) الصرم: الهجر والقطيعة.
(٣) بوصلي: وصله ضدّ هجره ـ إعراضه: أعرض عنه: تجنبه وابتعد عنه.

● الحثُّ على مصارمةِ مَنْ رثّ حَبْلُ وُدِّهِ

في المثل: خلِّ سبيل من وهى سقاؤه. **وقيل**: لا تصحب من لا يرى لك في الودّ مثل ما ترى له. **وقيل**: شغل المرء بمشتغل عنه مسقطة من العيون، وإقباله على معرض عنه معرضة به لسوء الظنون. **وقيل**: جدعاً لمن أعطى الرغبة من أعطاه الزهادة وما أدري أيهما ألأم. **قال شاعر**:

مــــن لــــم يُــــرِدْكَ فــــلا تُــــرِدْهُ ... هَــبْــهُ كَــمَــنْ لَــمْ تــســتــفِــدْهُ

قال البحتري:

شَرِّقْ وغَرِّبْ تجِدْ من مُغرِضٍ عِوَضاً ... فالأرضُ من تربةٍ والنّاس من رجلِ

وقال آخر:

أرى الغبْنَ كلَّ الغبْنِ وصْلي صارِما ... وإن كانَ ذا فضلٍ ويُرَى جَافِيَا

وقال آخر:

ولرُبَّ مصحوبٍ ترفتُ بلونِه ... فلفَظْتُه قبْل التطعم عاجِلا

● المجاملةُ في إعراضِ مَنْ رام صَرْمَ حبالِكَ

يستحسنُ في ذلك قولُ الأقرع بن حابس:

أصدُّ صدودَ امرئٍ مجمِلٍ ... إذا حالَ ذو الودّ عن حالِهِ

ولستُ بمستعتبٍ صاحِبا ... إذا جعلَ الهجرَ من بالِهِ

ولكنّني قاطعٌ حَبْلَه ... وذلك فِعْلي بأمثالِهِ

وما أن أدلَّ بحقٍّ له ... عرفتُ له حقّ إدلالِهِ

وإنّي على كلِّ حالٍ لَهُ ... من إدبارِ ودٍّ وإقبالِهِ

لراضٍ لأحْسنَ ما بيننا ... بحفظِ الأخاء وإجلالِهِ

● فصلُ إيثارِ الوحدةِ والحثّ عليهِ

قال النبي ﷺ: أحبّ العباد إلى الله الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا شهدوا لم يقربوا، أولئك أمة الهدى ومصابيح الظُلَم.

وقال مالك بن دينار لراهب: عِظْني، **فقال**: إن استطعت أن تجعل بينك وبين الناس سوراً من حديد فافعل. **وقيل لسقراط**: ألا تشاهد الملوك؟ **فقال**: وجدت الإنفراد بالخلوة أجمع لدواعي السلوة. **وقيل لآخر**: ما تجد في الخلوة؟ **قال**: الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرّهم:

وقالوا لقاءُ الناسِ أنسٌ وراحةٌ ... ولو كنْتُ أرضي الناس ما عِشْتُ خاليًا

وقيل: العزلة توفر العِرْض وتستر الفاقة، وترفع ثقل المكافأة. **وقيل**: ما احتنك أحدٌ قطّ إلا أحبّ الخلوة.

وقيل توحّد ما أمكنك فمن وطئته الأعين وطئته الأرجل.

وقال حكيم: العاقل مستوحش من زمانه منفرد عن إخوانه. **وقيل**: استوحش من الناس كما تستوحش من السبع.

وقال الجنيد دخلت على السري فقلت أوصني **فقال**: لا تكن مصاحباً للأشرار ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار.

وقيل لذي النون رحمه الله: متى أقوى على عزلة الأخيار؟ **فقال**: إذا قويتَ على عزلة النفس. **قيل**: ومتى يصح الزهد؟ **قال**: إذا كنت زاهداً في نفسك هارباً من جميع ما يشغلك.

● من أنسَ في الخلْوة بالعبادة والقراءة

قال حاتم الأصم: إلزم بيتك فإذا أردت الصاحب فالله يكفيك، وإن أردت الرفيق فرفيقاك رقيباك، وأن أردت أنيساً فالقرآن يؤنسك، وذكر الموتِ يعظُك:

تـركـتُ الأنـسَ بـالأنـسِ   فـمـا فـي الأنـسِ مـنْ أنـسِ
وأقـبـلـتُ عـلـى الـقـرآ   نِ درسـاً أيـمـا درسِ
عـسَـى يـؤنـسُـنـي ذاكَ   إذا اسـتـوحـشْـتُ فـي رمـسِـي

● ذمُّ الخلوةِ والوحدة

قيل: أجهلُ الناس من استأنس بالوحدة واستكثر من الخلوة. **وقيل**: إيّاكم والعزلة فإن في ملاقاة الناس معتبراً نافعاً ومتعظاً واسعاً، فإن البيت رمس ما لزمته.

وحـدةُ الإنـسـان خـيـرٌ   مـن جَـلـيـسِ الـسـوءِ عـنـدَه
وجـلـيـسُ الـخـيـرِ خـيـرٌ   مـن جـلـوسِ الـمـرءِ وحـدَه

وفي الحديث: المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس.

● الشكوى من ذهاب الناس

دخل عبيد الله بن شبرمة على معاوية وقد أتت عليه مائتان وعشرون سنة، **فقال له**: يا عبيد ما شهدت من الزمان وما أدركت؟ **فقال**: أدركت الناس يقولون ذهب الناس ذهب الناس فلا مرتع ولا مفزع، وقيل ما بقي من الناس إلا كلب نابح أو حمار رامح أو أخ فاضح.

وكانت عائشة تنشد قول لبيد:

ذهبَ الـذيـن يُـعـاش فـي أكـنـافِـهـم   وبَـقـيـتُ فـي خـلـد كـجـلْـد الأجـربِ

فقال ابن عباس: لئن شكت في زمانها فقد شكت قوم عاد في زمانهم إذ قد وجدوا في خزائنهم سهماً مكتوباً عليه:

بلادٌ بها كنّا ونحنُ نحبّها ... إذ الناس ناسٌ والبلادُ بلادُ

قال أبو الدرداء: كان الناس ورقاً لا شوك فيه، فقد صاروا شوكاً لا ورق فيه إن نافرتَهم نفروك، وإن تركتَهم ما تركوك.

وقال عدي بن حاتم لمعاوية: معروفك الذي نعده اليوم منكراً معروف لم يأت. وعن أبي صالح في قول الله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾[1] أي بسراة الناس.

قال شاعر:

ذهبَ الرجالُ المقتدى بفعالِهم ... والمنكرونَ لكل أمرِ منكرِ

وبقيت في خلف يزينُ بعضُهم ... بعضاً ليدفعَ معورٌ عَنْ معورِ

قال بعضهم: كأنّ الله تعالى ما عنى بقوله ـ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾[2] في البخل والجهل ـ إلا أهل زماننا فإنهم ما تفاوتوا في البخل والجهل.

● **ذمّ الناس**

لما قدم محمد بن عبد الله بن طاهر مدينة السلام كتب إلى أخيه وهو بخراسان يشكو إليه قلّة الأنيس وتأذّيه بمضرة الجليس، فكتب إليه:

طِبْ عن الأمة نفساً ... وارْضَ بالوحدةِ أنسا

لستَ بالواجد خِلاً ... أو تردَ اليومَ أمسا

ما رأينا أحداً سا ... وى على الخبْرة فَلْسا

وقيل: خير الناس من لم تجرّبه. إخبر الناس تقليهم[3]

قال المتنبي:

وصرتُ أشكّ فيمَنْ أصطفِيه ... لِعِلْمي أنه بَعْضُ الأنامِ

وقال الآخر:

ليس في الدنيا وفاءٌ ... لا ولا في النّاسِ خيرُ

قد بلوتُ الناسَ فالنا ... سُ كسيرٌ وعويرُ

وقال الآخر:

بلونَاهم واحداً واحِداً ... فكلّهم ذلك الواحدُ

---

(1) القرآن الكريم: طه/ ٦٣.

(2) القرآن الكريم: الملك/ ٣.

(3) أي تبغضهم من قلى يقلي قِلىً (الرجلَ): أبغضه فهو قالٍ وذاك على الشرّ. وهذا شبيه بقول الفيلسوف هوبز: الإنسان ذئب للإنسان.

وقيل لسفيان: دلّنا على رجل نجلس إليه. **فقال** تلك ضالة لا توجد. **وقال بعضهم:** الناس كلاب فإذا وجدت سلوقياً فاحتفظ به.

وكتب بعضهم: أما بعد فإني أحمد الله إلى الناس وأذم الناس إلى الله. **وقال حكيم:** من لم يستطع مزايلة الناسُ بجسده فليزايلهم بقلبه.

قال المتنبيّ:

كلما أنبتَ الزمانُ قناةً ركّبَ الدهرُ في القناةِ سنانا[1]

● قلّةُ الاستغناءِ عن الناس والأمرُ بمداراتهم

قال رجل لابن عبّاس: ادع الله أن يغنيني عن الناس. **فقال:** إن حوائج الناس. تتصل بعضها ببعض كاتصال الأعضاء فمتى يستغني المرء عن بعض جوارحه. ولكن قلْ: إغنني عن شرار الناس.

وقيل: كان بعضهم يطوف ويقول: من يشتري مني بضائع بعشرة آلاف درهم؟ فدعاه بعض الملوك وبذل له المال، **فقال** له: اعلم أن الله لم يخلق خلقاً شراً من الناس وإن لم يكن لك بدّ من الناس فانظر كيف تحتاج أن تعامل ما لا بد منه، ولا غنى بك عنه. ثم **قال:** هل يساوي هذا الكلام عشرة آلاف درهم؟ **قال:** دونك المال ولم يأخذه.

● أصنافُ الناس

قال معاوية للأحنف: صفْ لي الناس وأوجز. **فقال:** رؤوس رفعَها الحظّ وكواهل عظمهم التدبير، وأعجاز شهّرهم المال، وأذناب أتحفهم الأدب ثم الناس بعدهم بهائم إن جاعوا ساموا وإن شبعوا ناموا.

وقال سلمان: الناسُ أربعة أصناف: آسادٌ وذئاب وثعالب وضأن. **فأما الآساد** فالملوك **وأما الذئاب** فالتجار، **وأما الثعالب** فالقراء المخادعون، **وأما الضأن** فالمؤمن ينهشه كل من يراه.

وقال أمير المؤمنين: الناس **ثلاثة:** عالم ومتعلم وما سواهما همج.

قال امرؤ القيس:

عصافيرٌ وذبابٌ ودودٌ وآخرُ من مجلجلةِ الذئابِ

وقال علان العتابي: رأيت كلثوماً يأكل خبزاً في الطريق، **فقلت له:** أما تستحي؟ تأكل بحضرة الناس، **فقال:** أرأيت لو كنت في دار فيها بقور أما كنت تأكل بحضرتهم **قلت:** فهؤلاء بقور؟ ثم **قال:** إن شئت أريتك دلالة ذلك ثم قام ووعظ وجمع قوماً. ثم **قال:** روي عن غير وجه أنّ من بلغ لسانه أرنبة أنفه أدخله الله الجنة فلم يبق أحد إلا أخرج لسانه ينظر هل يبلغ.

---

(١) **وفي رواية:** ركّب المرء ـ يذم طبائع الناس لأنها مطبوعة حسب رأيه.

وقال رجل للشاهر: أين سكة الحمير؟ فقال اسلك أي سكة شئت فكلها دروب الحمير. وقال بعض العرب طلبت الراحة فلم أجد أروح لنفسي من تركها ما لا يعنيها، وتوحشت في البادية فلم أر أوحش من قرين السوء.

(٢)

وممّا جاء في محبّة المعاشرين وبغضهم

●

● المحبوبُ إلى الناس

قيل: فلان مودود في الورى مخصوص بالهوى.

كأنّ قلوبَ الناس في حبّه قلبُ.

وقال التنوخي:

كـأنـك فـي كـلّ الـقـلـوبِ مـحـبّـبُ ... فـأنـتَ إلـى كـلّ الـقـلـوب حـبـيـبُ

وقال الرفاء:

ودّ الـــبـــريّـــة أن عـــمـــرَك دائِـــمٌ ... وكـذا الـربـيـعُ يُـحـبّ مـنـهُ دوامُـه

وقال آخر:

محبّب في جميعِ الناسِ إن ذكرَتْ ... أخـلاقُـه الـغُـرُّ حـتّـى فـي أعـادِيـه

وقال آخر:

محـبـبٌ فـي قـلـوب الـنـاس كـلـهـم ... فـكـلٌّ قـلـب إلـيـه مـائـل كـلـف

● اعتبارُ مودّة صاحبك بما عندك

في الأثر الأرواحُ جنودٌ مجندة فما تعارفَ منها ائتلف، وما تناكرَ منها اختلف. **وقال بعضهم لآخر**: إني أحبك. **فقال**: رائد ذلك عندي. **وقال**: رجل لعبد الله بن جعفر: إن فلاناً **يقول** إنه يحبني فبماذا أعلم صدقه؟ **قال**: امتحن قلبه بقلبك فإن كنت تودّه فإنه يودّك، وشاهد ذلك **قول بكر بن النطاح**:

وعلى القلوبِ من القلوبِ دلائلُ ... بـالـودّ قـبـل تـشـاهـدِ الأرواحِ

وقال آخر:

قـلْ لـلـتـي وصـفَـت مـودّتـهـا ... لـلـمـسـتـهـامِ بـذكـرهـا الـصـبّ

ما قلت إلا الحق أعرفه:

إنّ الـدلـيـلَ عـلـيـهِ مـن قـلـبـي ... قـلـبـي وقـلـبُـك بـدعَـة خـلِـقـا

يـتـجـاريـان بـصـادقِ الـحـب

وقال آخر:

لعمري لقد زعمُ الزاعمون ... بأن القلوبَ تُجاري القلوبَا
فلوْ كان حقًّا كما تغلمون ... لما كان يجْفو حبيبٌ حبيبَا

● المدّعي محبّة صديقه

قال المتنبّي:

أحبّك يا بدرَ الزمان وشمسَه ... وإن لامَني فيك السّها والفَراقدُ
وذاكَ لأن الفضلَ عندك باهرٌ ... وليس لأن العيشَ عنك باردُ
وإن قليلَ الحبّ بالعقل صالِحٌ ... وإنّ كثيرَ الحبّ بالجهْل فاسدُ

وقال إبراهيم بن العباس:

وأنتَ هوى النفسِ من بينِهم ... وأنتَ الحبيبُ وأنتَ المُطاعُ
وما بِكَ إن بعدوا وحشةٌ ... ولامعهُم إن بعدْت اجتماعُ

وقال آخر:

فيا ليتَ ما بيني وبينَك عامرٌ ... وبيني وبين العالمين خرابُ
وليتَك تحلو والحياةُ مريرةٌ ... وليتَك تَرضَى والأنامُ غضابُ

● النهيُ عن فرطِ الحبّ والبغْض

قال رجل لأرسطاليس: عِظْني، **قال:** لا يملأن قلبك محبة شيء ولا يستولينّ عليك بغضه، واجعلهما قصداً. فالقلب كاسمه يتقلّبَ، **وفي الأثر:** أحبِبْ حبيبك هوْناً ما، عسى أن يكون بغيضَك يوماً ما وابغِض بغيضَك هوْناً ما، عسى أن يكونَ حبيبَك يوماً ما.

● قلةُ المبالاة ببغضِ مَنْ لا يقصدُ ضرّك

قال عمر بن الخطاب[1] رضي الله عنه لطليحة الأسدي: قتلت عكاشة فقلبي لا يحبك أبداً. **قال:** فما عشرة جميلة، فإن الناس يتعاشرون على البغضاء. **وقال الوليد لرجل:** إني أبغضك. **فقال:** إنما تجزع النساء من فقد المحبة، ولكن عدلٌ وانصافٌ يا أمير المؤمنين.

وقال ابن أبي الحواري لأبي سليمان: إن فلاناً لا يقع من قلبي، **فقال:** ولا من قلبي، ولكنّا لعلنا أتينا من قبل أنه ليس فينا خير فلسنا نحب الصالحين.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل هم بطلاق امرأته: لِمَ تطلقها؟ **قال:** لا أحبها. **قال:** أو كُلُّ بيت يُبْنَى على المحبة، أين الرعاية والذمَم؟

---

(١) **عمر بن الخطاب:** ثاني الخلفاء الراشدين ـ أوّل من لُقّب بأمير المؤمنين. خلف أبا بكر الصديق. اشتهر بعدله. اغتاله أبو لؤلؤة الفارسيّ في المسجد، وكانت وفاته سنه ٢٣ هـ (٦٤٤م).

● أسبابُ المحبةِ والبغضِ ومضرتُهما ونفعُهما

رُوي في الخبر أن الله إذا أحب عبداً ألقى محبته في الملأ، فلا يمرّ به أحد إلا أحبه.

وقالت عائشة رضي الله عنها: جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها.

وقال يحيى بن خالد: إذا كرهتم الرجل من غير سوء أتاه إليكم فاْحذروه وإذا أحببتم الرجل من غير خيرٍ سبق منه إليكم فأرْجوه.

● كونُ المبغضِ معيباً

قيل لما أراد أنوشروان[1] أن يصير ابنه ولي عهده استشار وزراءه فكلٌ ذَكَرَ عيباً:

فقال بعضهم: إنه قصير وذلك لا يصلح للملك. **فقال أنوشروان** محتجاً له، إنه لا يكاد يرى ألا راكباً أو جالساً.

فقال آخر إنّه ابن رومية، **فقال:** الأبناء ينسبون إلى الآباء وإنما الأمّهات أوعية.

فقال الموبذ: إنّه مبغض إلى الناس، **فقال:** حينئذٍ هذا هو العيب. فقد قيل إن من كان فيه خير ولم يكن ذلك الخير محبّة الناس له فلا خير فيه، ومن كان فيه عيب ولم يكن ذلك العيب بغض الناس فيه، فلا عيب فيه.

وقال الأحنف يوماً: فقير صدوق خير من غنيّ كذوب. **وقال** بعض مجالسيه وضيع محبّب، خَيْرٌ من شريف مبغّض. **فقال الأحنف:** هذه مثل هذه.

● وصفُ بغيضٍ

قيل: فلانٌ لا تحبّه النّاس حتى تحبّ الأرض الدم، وذلك لأن الأرض لا تشرب الدم.

قال الشاعر اليتامي:

يا بغيضاً زادَ في البغْضِ على كلّ بغيضٍ ... أنتَ عندي قدحُ اللبابِ في كفّ المريضِ[2]

وقال آخر:

رُمِينَا بأقلى من جهنّم منظراً ... وأقبحَ آثاراً من الحَدَثانِ[3]
وأكره في الأبصار من طالعِ الردى ... وأنحسَ آثاراً من الدبرانِ[4]

وقال آخر:

ولو أن ذا فضلٍ لجا في حرامه ... لجاءَ نفيل في الحرامُ يُزَاحِمُهْ

وقد مرّ من ذلك كثير.

---

(١) **أنوشروان:** كسرى أنوشروان هو ابن قباذ أحد الملوك الساسانيين (٥٣١ ـ ٥٧٩م) احتل أنطاكية واستولى على اليمن (٥٧م) اشتهر بعدله وإصلاحاته.

(٢) **اللباب:** جمع لبّ وهو الجوهر، والخالص من كلّ شيء.

(٣) **أقلى:** أبغض ـ **الحدثان:** اللّيل والنهار.

(٤) **الدبران:** منزل للقمر يشتمل على خمسة كواكب في برج الثور، سمّي بهذا الاسم لأنه يتبع الثريّا.

● **التعريضُ بثقيلٍ أو بغيضٍ**

كان أبو هريرة إذا رأى ثقيلاً **قال**: اللهم اغفر له وأرِحْنا منه. **وقال** ثقيل لمريض ما تشتهي؟ **قال**: أشتهي أن لا أراك. وقيل أن ثقيلاً قال لأعمى إنّ الله لم يأخذ من عبد كريمتيه إلا عوضه عنهما شيئاً فما الذي عوضك؟ **قال**: أن لا أرى أمثالك وكان لابن سيرين خاتم منقوش عليه أُبرِمَت فقم، فإذا استثقل إنساناً دفعه إليه. **وقيل** من ثقل عليك بنفسه وغمك بسؤاله فوَلِّهِ أذناً صمّاء وعينا عمياء.

(٣)

وممّا جاءَ في الزيارةِ

●

● **وصفُ الزيارةِ بأنها تغرسُ المحبةَ**

في كتب الهند ثلاثة تزيد في الأنس: الزيارة والمؤاكلة والمحادثة.

● **ما قيل في استزارةِ المحبوبِ**

قال بشّار:

يا رحمةَ الله حِلّي في منازلنا وجاورينا فَدَتْكِ النَفْسُ من جارِ

وقال آخر:

واسقطْ علينا كسقوطِ النّدى لَيْلَةَ لا ناهٍ ولا آمرُ

وقال بشّار:

قد زُرتنا مرّةً في الدّهر واحدةً ثنّي ولا تجعليها بيضةَ الديكِ[1]

وقال بعضهم: إذا رأيت أن تحدّد لي ميعاداً لزيارتك أتقوّته إلى وقت زيارتك فعلت.

وكتب ابن المعتز إلى صديق له: طالت علتك أو تعاللك، وقد اشتد شوقنا إليك فعافاك الله من المرض في بدنك أو أخاتك، فإنك إن أتيت فبارٌ مشكور، وإن تأخرت عنّا فجافٍ غير معذور.

وقال إبراهيم الصولي: لا أعرف شعراً أحسن من قول العبّاس:

تَعالَي نجدّدْ دارسَ الوصْلِ بيننا كلانا على طُولِ البعادِ مَلُومُ

وكتب الصاحب إلى ابي إسماعيل بجرجان:

يا أبا بشرٍ تأخرتَ عنّا قد أسأنا لبُعْدِ عهدِك ظنّا

كمْ تمنيتُ لي صديقاً صَدوقا فإذا أنتَ ذلكَ المتمنّى

---

(١) **بيضة الديك**: كناية عن المستحيل الوجود أو الذي لا يكون إلا مرّة واحدة.

فبغصنِ الشبابِ لما تثنّى ... وبعهدِ الصبا وإن بانَ عنّا
كنْ جوابي لكيْ تردَّ شبابي ... لا تقلْ للرسولِ كانَ وكنّا

- **المسرّةُ بزيارةِ الصاحبِ**

قالوا تجشّم زائراً من بيتِه ... فأجبْتُهُمْ والنّجْمُ بينَ سُعودي[1]
لو كانَ ملّكني الكرامُ خدودَهم ... لفرَشْتُ أرضاً تحتَه بخدودِ

وقال ثعلب:

الفتحُ علقمةُ البكريّ خبّرنا ... أنّ الوزيرَ أبا مروان قد حَضَرا
فقلْتُ للنفسِ هذي مُنيَةٌ قدرتْ ... وقد يوافقُ بعضُ المنيةِ القَدَرا

وقال البحتري:

حبيبٌ سرَى في خفيةٍ وعلى ذعْر ... يجوبُ الدّجى حتّى التقيْنا على قدْرِ
فشكّكتُ فيه من سرورٍ وخِلْتُهُ ... خيالاً سرى في النّوم من طيفهِ يسْرِي

وله:

فرِحْتُ حتّى استخصّني فرَحِي ... فشبّتْ عيْنُ اليقينِ بالوَهْمِ
أمْسحُ عيْني مستثبتاً نظري ... أخالُني نائماً ولم أنَمِ

وقال:

وما زارني إلاّ ولَهتُ صبابةً ... إليه وإلا قلتُ أهلاً ومرحبا[2]

- **البشارةُ بورود الحبيبِ**

قال الخبزارزي:

ومُبَشّرِي بقدوم مَنْ أهواهُ ... لا زالَ وهو مبشّرٌ بمناه
عندي له بشْرى ولو ملّكتُهُ ... روحي وقلبي قلّ عن بُشْرَاهُ

- **زيارةُ منْ لا يزورُكَ**

كتب بعضهم إلى آخر: كلّ جفوة منك مغفورةٌ للثقة بك وسنأخذ بقول قيس بن الأسلت:

ويكرِمُها جاراتُها فيزُرْنَها ... وتغفلُ عن إتيانهنّ فتُعْذَرُ

وقال ابن الحجّاج:

وإنّي لزوّار لمَن لا يزورُني ... إذا لم يَكُن في وُدّهِ بِمُرِيبِ

---

(١) **سعود**: جمع سعد، وهو نقيض النحس، **سعود النجوم**: كواكب عشر يُقال لكلّ منها سعد.

(٢) **الصبابة**: شدّة الشوق والحنين إلى المحبوب.

وقال ابن ميّادة:

فإنْ هو لمْ يهمُمْ بِنا اليومَ قادماً ... قدِمْنا عليْه نحْنُ في دارِه غدًا[١]

● **الاعتذارُ إلى من قللت زيارتُهُ**

لئنْ عاقَ جسْمي عنْ لقائك مانعٌ ... فما عاقَ قلْبي عن لقائِك عائِقُ

فإنْ ظهرَتْ منّي دلائلُ جفْوةٍ ... فمَا أنا إلاّ مخْلصُ الودِّ صادِقُ

وقال أبو حكيمة:

فلا تنكِرْ فدتْكَ النفسُ أنّي ... أغبّك في اللقاءِ وفي المَزار

فإنّي حيْث كنتُ فليْس ودّي ... بممنوحٍ سِواكَ ولا مُعَار

وقال جحظة:

فإنْ يكُ عن لقائِك غابَ وجْهي ... فلم تَغِب المودةُ والإخاءُ

ولم يزَلِ الثناءُ عليْك يتْرى ... بظَهْرِ الغيبِ يتبعُه الثَّنَاءُ[٢]

وقال الخوارزمي:

وما بي فيك من زُهْدٍ ولكِن ... أُخفِّفُ عنْك أعباءَ المَلالِ[٣]

وقال:

إنْ كنْتَ في ترْكَ الزيارةَ تاركاً ... حظّي فإنّي في الدّعاء لجاهِدُ

ولربّما تركَ الزيارةَ مشفِقٌ ... وأنى على غلي الضمير الحاسدُ[٤]

اعتذر بعض الأدباء إلى أخ له في تأخره فأجابه:

إذا صحّ الضمير فكل هَجْرٍ ... وإعراضٍ يكون له انقضاءُ

وقال:

إن مخض الودّ لا يز ... رى به طولُ تناءِ[٥]

وانقطاعٌ منْ كتابٍ ... وتراخٍ من لقاءِ

إنما الوامق من يحمل أثقال الجفاء ... والذي تضجِره الجفوة مدخول الأخاءِ[٦]

وقال آخر:

أغيبُ عنك بودٍّ لا بغيره ... نأيُ المحَل ولا صَرْفٌ منَ الزّمنِ[٧]

---

(١) إذا لم يزرنا اليوم زرناه غداً. (٢) يترى: يأتي تباعاً.

(٣) الملال: الملل أو السأم.

(٤) المشفق: الخائف ـ المحض: الخالص من كلّ شيء ـ التنائي: التباعد أو التجافي.

(٥) زرى زرياً (فلاناً): احتقره. (٦) الوامق: المحبّ.

(٧) النأي: البعد، نأى بَعُدَ بُعاد ـ صرف الزمن: خطبه.

- **الشكوى مِمّن يقلّل الزيارةَ**

في المثل أنت كبارح الأروى قلّما يرى. **قال شاعر:**

وحـظـك لـقـيـةٌ فـي كـلّ عـامٍ ... مـوافـقـةٌ عـلـى ظـهـر الـطـريـقِ
سـلامـاً خـالـيـاً عـن كـلّ شـيءٍ ... يـعـودُ بـه الـصـديـقُ عـلـى الـصـديـقِ

قال أبو الجهم:

زائــر يُــهْــدي إلــيــنــا ... نَــفْــسَــه فــي كــلّ عــامِ

- **استقرابُ الطريقِ في زيارَة الحبيبِ**

وكنتُ إذا ما جئتُ سعْدى أزورها ... أرى الدارَ تُطْوى لي ويدْنو بَعِيْدُهَا

وقال ابن ميادة:

تـقـرّبُ لـي دارُ الـحـبـيـبِ وإن نـأى ... ومـا دارُ مـن أبـغـضْـتُـه بـقـريـبِ

وقال العبّاس:

يـقـربُ الـشّـوْقُ داراً وهـي نـازحـة ... من عالج الشوق لم يَسْتَبْعِدِ الدار(١)

وقال العبّاس:

ترى الرجْلَ قد تسعى إلى من تحبّه ... وما الرجْلُ إلا حَيْثُ يسعَى بها القلبُ

- **مَنْ حَثَهُ شوقُهُ نحو محبوبِهِ**

قال الموصلي:

يـحـثّ مـطـايـاه تـذكـرُكُـمْ ... ولـيْـس يـنـسـاكـم إنْ حـلّ أوْ سـارا(٢)

وقال آخر:

يـعـتـادُنِـي طـرَبـى إلـيْـك ويـعـتـلـي ... وجْـدي ويَـدْعُـوْنـي هـواكَ فـأتـبـعُ

وقال عمرو بن شاس:

إذا نـحـنُ أدلـجْـنـا وأنـتَ أمـامَـنـا ... كـفَـى لـمـطـايـانـا بـذكـراكَ حَـادِيَـا(٣)

وقال العباس:

لا يـهـتـدي قـلْـبـي إلـى غـيـرِكـم ... كـأنّـمـا سُـدّ عـلـيـه الـطـريـقُ

---

(١) نازحة: بعيدة ونائية.

(٢) مطايه: جمع مطية، الدابة التي تركب ويستوي فيه المذكّر والمؤنث.

(٣) أدلجنا: سرنا في اللّيل ـ الحادي: سائق الإبل.

● **متابعةُ المحبُوب**

قال أعرابي:

وإن تـدَعـي نـجْـداً أدعْـه وَمَـنْ بـه — وإن تسكُني نجْداً فيا حبّذاً نجدُ(١)

وقال المهلّبي:

إن كـنـتِ أزمـعـتِ الـرحـيـلَ — فـإنّ رأيـي فـي الـرحـيـلِ(٢)
أو كـنْـتِ قـاطـنـةً أقـمْـتُ — وإن مـنَـعـت دنوَ سـولـي
كـالـنـجـم يُـصـحَـبُ في الـمَسيرِ — ولا يـزورُ لـدى الـنُـزُولِ

● **معاتبةُ مَنْ ذكر شوقهُ**

يـا مـنْ شـكـا عَـبـثاً إلـيـنـا شـوقَـهُ — فعلَ الـمشوق ولـيس بـالمُـشْـتاقِ
لـو كـنْـتَ مـشْـتـاقـاً إلـيّ تـريـدُنِـي — مـا طِـبْـتَ نـفْـسـاً سـاعـةً بـفـراقِ
وحـفـظـتَـنـي حـفـظَ الـخـلـيـلِ خـلـيـلَـه — ووفَـيْـتَ لـي بـالـعـهْـد والـمـيـثـاقِ

● **تفضيلُ التزاورِ على التجاورِ**

قال عمر رضي الله عنه: زاوروا ولا تجاوروا وقال: إدمانُ اللقاءِ سببُ الجفاء. **وفي المثل:** من يتجمّع يتقعقعَ، أي تقعُ الخصومة بين المتجاورين.

● **الحثُّ على تقليلِ الزيارةِ وكراهةُ مداومتها**

قال النبي ﷺ: زرْغِبًا تزدَدْ حباً.

قال شاعر:

اغـبـبْ زيـارتَـك الـصـديـقَ — يـراكَ كـالـشـيء اسـتـجـدّه(٣)
إنّ الـصـديـقَ يـمـلّ مـنْ — أن لا يـزالُ يـراكَ عِـنْـدَه

وقيل: قلّة الزيارة أمانٌ من الملالة وكثرةُ التعاهُد سببُ التباعد.

قال أبو تمّام:

وطولُ مقام المرءِ في الحيّ مخلقٌ — لـديـبـاجَـتَـيْـه فـاغـتـربْ تـتـجـدّدِ(٤)
فـإنّـي رأيْـتَ الـشـمْـسَ زادت مـحـبّـةً — إلى الناس أنْ ليْست علَيهم بسرمَدِ(٥)

---

(١) و (٢) **يقول:** إن القلب لا يهوى سواكم، وأنه لا يسكن إلا حيث تسكن المحبوبة. يقيم في نجد إن أقامت ويرحل عن نجد إن رحلت، وإن همّت بالرحيل همّ به كذلك.

(٣) **أغبب زيارتك:** أي لا تكثر من الزيارة، والإغباب الإقلال.

(٤) **ديباجتيه:** الديباجة الوجه والثوب، **وديباجة الكتاب:** فاتحته ـ **يقول:** في الاغتراب تجدّد وعلى المرء أن لا يطيل في الحيّ لئلا يعتريه الخمول.

(٥) **ليست بسرمد:** أي ليست أبديّة فهي تشرق ثم تغيب، وفي هذا التحول تجدّد.

وقال آخر:

عليكَ باغبابِ الزيارة إنّها ... تكونُ إذا دامَت إلى الهجرِ مَسْلَكا
فإني رأيتُ الغيثَ يُسأمَ دائماً ... ويُسألُ بالأيدي إذا هو أمسكا

● **شكوى مَنْ خففَ الزيارةَ**

قال كشاجم:

بأبي وأمّي زائرٌ متقنِّعٌ ... لم يخْفِ ضوءَ الشمسِ تحتَ قناعِهِ
لم أستتمَّ عناقَه لقدومِهِ ... حتى ابتدأتُ عناقَهُ لِوَداعِهِ
فمضى وأبقى في فؤاديَ حَسْرَةً ... تركتُه موقوفاً على أوجاعِهِ

وقال آخر:

وزائرٌ زارَ وما زارا ... كأنَّهُ مقتبِسٌ نارَا
ألمّ بالباب أخا نجوة ... ما ضرَّه لو دخَلَ الدارَا
نفسي فداً لك من زائرٍ ... ما حلَّ حتّى قِيلَ قد سارَا

وقال ابن أبي البغل:

حبيبٌ إذا ما زارنا قلَّ لبثُه ... وإنْ هوَ عنّا غابَ طالَ جفاؤُه

وفي عذر تخفيف الزيارة **قال أبو العيناء**: سلام معظّم، وجلوس مخفّف وانصرافُ متأسف.

● **شكايةُ مَنْ تأخر عنك**

حاذرتَ إذْ واصلتَ إملالَنا ... فخَفْ إذا ما غِبْتَ أن تسلو

وقال إسحاق: كنت أزور العبّاس بن الحسن فتأخرت عنه مدة مديدة فقال لي أذقتنا نفسك فلما استعْذَبْنَاكَ لفظتنا.

وكان بعضهم يختلف إلى الأعشى فتأخّر عنه أياماً فلقيه، فأنشده:

ولجّ بك الهجرانُ حتّى كأنّما ... ترى الموْتَ في البيتِ الذي كنتَ تألَفُ

قال العبّاس بن الأحنف:

مَنْ ساءَلَ بدرَ الدجا ... ما بالُهُ تركَ الطُلُوعَا

وقال ابن الرومي[1]:

يعتلُّ بالشغلِ عنّا ما يُزاوِرُنا ... والشغْلُ للقلبِ ليس الشغلُ لِلْبَدَنِ[2]

---

(١) **ابن الرومي**: عليّ بن العبّاس (٨٣٦ ـ ٨٩٦) شاعر بغداديّ من أعظم الشعراء في الدولة العباسية. وُلد في بغداد من أبٍ رومي وأمّ فارسية. أثر تراثه اليوناني في شعره. كان ضيق الأخلاق متشائماً متطيراً، وقد أكثر من التغنّي بالطبيعة.

(٢) **يقول**: إن المحبوب يتذرّع بالانشغال حتى لا يزورنا، والانشغال في نظر الشاعر هو للقلب وليس للبدن.

● **شكوى مَنْ قلّ الإلتقاءُ مَعَهُ**

قال ابن سكّرة[١]:

إن أغِب لم تغِبْ وإن لم تغِبْ غبْتُ
كـأن افـتـراقَـنـا بـاتـفـاق

قال الصنوبري[٢]:

إذا حـضَـرْنـا غـبْـتَ أو لـم تـغِـب — نـحـضـرُ فـنـحْـن الـوردُ والـنـرجُسُ
لـم يُـجْـمَـعـا لـلـعـيْـن فـي روضـةٍ — قـطّ ولـم يـجـمَـعْـهُـمَـا مَـجْـلِسُ

قال منصور الفقيه:

هـجـرتُ الـمـسـجـدَ الـجـامـ — ـعَ والـهـجـرُ لـه ريـبَـه
فـأخـبـارُك تـأتـيـنـا — عـلـى الأعـلام مـنـصـوبَـه[٣]
فـإن زدتَ مـن الـغَـيْـ — ـبَـةِ زِدنـاك مـن الـغِـيـبَـه[٤]

● **زيارةُ من لا تحبّه**

قالت أعرابية:

فـلا تـحْـمـدوني فـي الـزّيـارة إنّـني — أزورُكـم إنْ لـم أجـدْ مـتـعَـلّـلا

وبعث عمرو بن مسعدة إلى أبي العتاهية فاستزاره فقال:

كـسّـلـنـي الـيـأسُ مـنْـك عـنْـك فـمَـا — أرفـعُ عـيْـنـي إلـيْـك مـنْ كَـسَـلـي
إنّـي إذا مـا الـصّـديـق أوحـشَـنـي — قـطـعْـتُ مـنـه حَـبـائـلَ الأمـلِ

وقال آخر:

يقُـولـون زرْنـا واقـض واجبَ حقّـنا — وقـد أسقطَـتْ حالي حقوقَهم عنّي
إذا أبـصـروا حـالـي ولَـم يـأسَـفوا لـهـا — ولـم يـأنفوا منْها أنِفتُ لهُم منّي[٥]

---

(١) **ابن سكّرة**: هو ابن سكرة الهاشمي. من شعراء العصر البويهي، عصر الدويلات والإمارات. كان بارعاً في فنون شتى أبرزها الغزل والمدح قال فيه صاحب اليتيمة: شاعر متسع الباع في أنواع الإبداع، فائق في قول المدح والظرف (يتيمة الدهر: ٣/ ٣).

(٢) **الصنوبري**: هو أحمد بن محمد بن الحسن الضبيّ عرف بالصنوبري لذكائه وحدّة مزاجه. والصنوبريّ من أهل أنطاكية نشأ وربي في حلب مدح الكثير من رجالات عصره وعلى رأسهم سيف الدولة الحمداني.

(٣) **تأتينا على الأعلام منصوبة**: كناية عن الذيوع وقوّة الانتشار فهي ليست نكرة ولا مهملة.

(٤) **الغيبة**: من الغياب والغِيبة الاغتياب، وهو أن يذكر المرء بما فيه من السوء، أو يعاب. والشاعر يعتبر غياب المحبوب موجباً لغيبته أو اغتيابه.

(٥) **أنف من حاله**: كرهه، ومن العار ترفّع عنه وتنزه.

وقال آخر:

إذا ما تقاطعنا ونحن ببلدَة — فما فضل قربِ الدار منا على البُعُدِ

● القيامُ للصديق الزائر

كان الأحنف مستنداً إلى سارية في المسجد وحده، فأقبل بعض إخوانه فتنحّى له عن مجلسه، فقال: يا أبا بحر ما عندك من أحد ولا مجلسك ضيقٌ فلِمَ تَنَحَيْتَ؟ قال: كرهت أن تظن أني لم أهشّ لزيارتك ومجيئك فشكرت ذلك بأقرب ما حضرني من الإكرام. وقال محمد بن يزيد. حضر بعض الناس مجلس كبير فنهض له فقال له في ذلك، فقال:

لئن قمْتُ ما في ذاك عندي غضاضةٌ — لديّ لأني للشريف مذلّلُ[١]

على أنه مني لغيرك هجنَةٌ — ولكنه مثلي لمثلِك يَجْمُلُ[٢]

وقال غيره:

فلما بَصُرْنا به ماثلاً — حللْنا الحبا وابتدرْنا القِيَاما[٣]

فلا تنكرنّ قيامي له — فإنّ الكريم يُجِلُّ الكِرَاما

● كراهَةُ القِيام

أقبل معاوية وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر جالسان، فقام ابن عامر ولم يقم ابن الزبير، فقال معاوية سمعت رسول الله ﷺ يقول من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ أمقعده من النار، وقال ﷺ: لا يقومنّ الرجل لغيره من مجلسه ثم يجلسه فيه. وقيل: الكراهة في أن يقعد الرجل ويقيم الناس بين يديه.

---

(١) الغضاضة: مصدر غض غضاً وغضاضة وغضاضاً طرفه أو صوته أي خفضه وكفّه، والغضَنّ كسره والغضاضة أيضاً الذلّة والمنقصة.

(٢) الهجنة: العيب والقبح.

(٣) ماثلاً: شاخصاً للعيان ـ حلّ الحبا: كناية عن النهوض.

الحدّ الثالث عشر

في الغزل وما يتعلّق به

•

(١)
ما جاءَ في أوصافِ الهوى وأحوالِ العُشّاقِ

•

• ماهيةُ العشقِ

سُئِلَ بعض الفلاسفة عن العشق فقال: جنون إلهي، لا محمود ولا مذموم. وسئل عنه آخر فقال: حركة النفس الفارغة. قال شاعر:

هـل الـحـبّ الأزفـرةٌ بـعـد زفـرةٍ ... وحَرٌ عـلى الأحـشـاء لـيْس لـه بَـرْدُ
وفـيضُ دمـوعِ الـعـيـن يـامـيّ كـلّـمـا ... بدا علمٌ من أرضِـكـم لـم يـكـن يـبـدُوْ

وقال بعض الصوفية: الهوى محنة امتحن الله بها خلقه يستدل به على طاعة خالقهم ورازقهم. وقيل لبعضهم: ما العشق؟ فقال: ارتياح في الخلقة وفرح يجول في الروح وسرور ينساب في أجزاء القوى.

وقال العيني: سألت أعرابياً عن الهوى فقال: هو أظهر من أن يخفى، وأخفى من أن يرى، كامنٌ كمون النار في الحجر، إنْ قدحته أورى وإن تركته توارى. وسئل يحيى بن معاذ عن حقيقته فقال: الذي لا يزيده البِرّ ولا ينقصه الجفاء.

• أحوالُ فروعِ الهوى وأنواعُهُ

قال العلماء: الهوى أنواع أوّلُه العلاقة وهو الشيء يحدثُه النظر والسمع فيخطر بالبال، ثم ينمو فيقوى فيصير محبّة، والحبّ اسم مشترك يجمع ضروباً من ميل النفس كحب الولد والمال، ثم الهوى ثم المودة ثم الصبابة ثم العشق ثم الوله والهيام والتتيم وهو أرفع درجات الحب لأنه التعبّد.[(١)]

---

(١) يشير في هذا السياق إلى مراتب الحبّ عند العرب، وقد حرص فقهاء العربيّة على اعتبار الهوى متباين الوجوه ومتعدّد الحالات قوّة وشدّة. وجاء في كتاب فقه اللغة للثعالبي قوله: أول مراتب الحبّ الهوى ـ

قال شاعر:

ثـلاثـةُ أحـبـاب فـحـبُ عـلاقـةٍ وحـبٌ تـمـلاقٍ وحُـبٌ هـو الـقَـتْـلُ[١]

وسئل بعض الصوفية عن الحب والهوى فقال: الهوى يحلّ في القلب والمحبة يحلّ فيها القلب. وقيل: العشق اسم لما يفضل من المحبة، كما أن السخاء اسم لما جاوز الجود، والبخل اسم لما قصر عن الاقتصاد، والهوج اسم لما فَضُلَ عن الشجاعة.

وقال بعض الفلاسفة: الحب والعشق والهوى من جنس، لكن العشق اشتهار وتضرع، والوجد هو الحب الساكن الذي إذا رأى صاحبه شغف به وإذا غاب لهج بذكره، والهوى ما تتبعه النفس[٢] غياً كان أم رشداً حسناً كان أو قبيحاً ولذلك ذمّه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٣]

● الأسبابُ المولّدةُ للعشقِ

زعم بعض المفلسفين أن الله تعالى خلق الأرواح كلّها كهيئة كرة ثم قطعها أنصافاً فجعل في كل جسد نصفاً[٤] فكل جسد لقي الجسد الذي فيه نصفه حصل بينهما عشق وتفاوت حالهما في القوّة والضعف على حسب رقة الطبائع.

وزعم بعضهم أن الصداقة على ثلاثة أنواع: إمّا لاتفاق الأرواح فيكون لاتفاق الشمس والقمر في المولّدين في برج واحد، فلا يجد أحدهما بدّاً من حب صاحبه، وإمّا لمنفعة تحصل فتولد ذلك، ولهذا قال النبي ﷺ: جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها وإما لإلفة تجتمع مواد الحرص إليها، ولهذا قال المتنبيّ:

ومـا الـعـشـق إلا غـرّةٌ وطـمـاعـةٌ يـعـرّض قـلـبٌ نـفـسَـهُ فَـتُـصَـابُ

وقال الصمد المري:

وما العشقُ إلا النارُ تُوقَدُ في الحشا وتُذكَى إن انضَمَتْ عليه الحوائجُ[٥]

= ثم العلاقة ثم الكلف ثم العشق ثم الشغف فاللوعة واللاعج، ثم الشغف ثم الجوى فالتيم ثم التبل وهو الحبّ المسقم وأقصى الدرجات التدليه والهيوم وبهما ذهاب العقل من الهوى والسير على غير هدى، ويلاحظ أن الغالب الأصبهاني قد لامس بعض هذه المراتب.

(١) الحبّ الذي هو القتل هو الذي يهلك صاحبه وفي هذا قول رجل من بني عذرة عن قومه إذا أحب أحدنا هلك، إشارة إلى شدّة التعلّق والشغف والتدلّه.

(٢) غيّاً: ضلالاً، وخلاف الغيّ الهواية والرشاد. (٣) القرآن الكريم: ص/ ٢٦.

(٤) قوله: «جعل في كل جسد نصفاً» يدلّ على التأثر بالنظرة الأفلاطونية في الحبّ، فقد ذهب أفلاطون إلى أنّ الإنسان كان يعيش في عالم علويّ ثم وقع في الخطيئة فأغضب الآلهة التي طردته من عالم المثال، وهبطت به إلى عالم المادة وشطرته إلى شطرين أو نصفين، وأن السعادة لا تتم إلا إذا تلاقى الشطران وهذه الناحية عند أفلاطون تمثل ضرباً من ضروب الحبّ، وجانباً من فلسفته في هذا الباب.

(٥) تذكى النار: تتأجج.

● **شدّة معاناةِ العشق**

قال أعرابي: ما أشدَّ جولة الرأي عند الهوى وفطام النفس عند الصبا، ولقد تصدّعت كبدي للمحبين فلوم العاذلين قرطةٌ في آذانهم ونارٌ مؤجّجة في أبدانهم، لهم دموع على المغاني كغروب[1] السواقي.

وقيل: كلّ شهوة تخطر فمداواتها سهلة ما خلا العشق.

● **ما يولّده العشقُ من الأخلاقِ الحميدةِ**

شكا معلم سعيد بن مسلمة ولدَه إليه، **فقال**: إنه مشتغل بالعشق **فقال**: دعه فإنه يلطف وينظف ويظرف. وكان ذو الرياستين[2] يبعث أحداث أهله إلى شيخ يعلّمهم الحكمة، **فقال** لهم يوماً: هل فيكم عاشق؟ قالوا: لا. **قال**: اعشقوا وإياكم والحرامَ فالعشق يفصح الفتى ويذكي ويسخي البخيل ويبعث على التنظيف وتحسين الملبس، فلما انصرفوا قال لهم ذو الرياستين: ما استفدتم اليوم؟ قالوا: كذا وكذا. **قال**: نعم. وإنّما أخذه ممّا رُوي أن بهرام جور كان له ابن أهّله للملك بعده، وكان ساقط الهمة رديء النفس سيء الخلق فغمّه ذلك، ووكل به من يعلّمُه، فلم يكن يتعلّم. **فقال معلمه**: كنا نرجوه على حال فحدث منه ما أيأسنا وهو أنه عشق بنت المرزبان[3] **فقال**: الآن رجوت فَلاَحَهُ.

ثم دعا أبا الجارية **فقال**: إنّي مستسرٌ إليك سراً، فلا يعدونك[4] اعلم أنّ ابني عشق ابنتك وأريد أن أزوّجها منه فمُرْهَا بأن تطمعه من غير أن يراها فإذا استحكم طمعه فيها أعلمته أنها راغبة عنه لقلّة أدبه.

ثم قال للمعلم: خوّفه بي وشجّعه على مراسلة المرأة ففعلت المرأة ما أُمِرَتْ به. فقال الغلام في نفسه: أنا أجتهد في تحصيل ما أصل إليها به فأخذ في التأدب وتعلم الشجاعة ثم قال أبوه للمؤدب شجّعه على أن يرفع أمرها، ويسألني أن أزوجها منه، ففعل فزوّجها من ابنه. وقال لا تزدرينّ بها في مراسلتها إليك فإني أمرتُها بذلك وإنّ من صار سبباً لعقلك فهو أعظم الناس بركة عليك.

قال العرجي[5]:

تجشّم المرءِ هولاً في الهوى كَرَمُ

---

(١) **الغروب**: الدموع وهو أصلاً عرق في العين يسقي لا ينقطع.

(٢) **ذو الرياستين**: هو ابن العبّاس الفضل بن سهل لأنه تقلّد الوزارة والسيف زمن المأمون.

(٣) **المرزبان**: أي الرئيس عند الفرس. (٤) **يعدونك**: أي يتجاوزك إلى سواك.

(٥) **العرجي**: من شعراء الغزل الماذي في العصر الأموي، وهو منسوب إلى قرية تدعى العَرْج قرب الطائف واسمه عبد الله بن عمر، من أهل مكة. وقد جمع بين الحبّ والفروسية (**انظر أخباره في الأغاني ١/ ٣٨٣ طبعة دار الكتب**).

وقال آخر:

لا عار في الحبّ إن الحبّ مكرمةٌ ... لكنّه ربما أزرى بذي الخَطَر[1]

وقيل: لو لم يكن في العشق إلا أنه يشجع الجبان ويصفّي الأذهان ويبعث حزم العاجز لكفاه شرفا. قال شاعر:

الحبُّ شجّع قلبَ كلّ فَروقَةٍ ... والحبُّ حمّل عاجِزاً فأطاقا[2]

● ذمّ مَنْ لا يعشقُ وكدرُ حياته

قال أعرابي: من لا يعشق فهو رديء التركيب جافي الطبع كزّ[3] المعاطف. كان ابن أبي مليكة يؤذّن فسمع غناء فطرب وقال:

إذا أنتَ لم تعشق ولم تَدْرِ ما الهوى ... فكُنْ حَجَراً من يابِس الصَخْرِ جَلْمَدَا

وقال:

من عاشَ في الدنيا بغير حبيبِ ... فحياتُه فيها حياةُ غريبِ

ما تنظرُ العينان أحسنَ منظرٍ ... من طالب إلفاً ومن مطلوبِ

ما كان في حُور الجنان لآدم ... لو لم تكن حواءُ من مرغوبِ

قدْ كان في الفردوس يشكو وحشةً ... فيها ولم يَأْنَسْ بغير حبيبِ

● ذكرُ مَنْ عشقَ مِنَ الكبار

قد علم ما كان من داود عليه السلام وعشقه امرأة أوريا والتحاكم إليه وقوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً﴾[4] الآية حتى فطن للقصة فاستغفر ربّه (الآية). وخبر يوسف وامرأة العزيز وقوله تعالى: ﴿قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّا﴾[5] وخبر النبي ﷺ مع زينب امرأة زيد قال العبّاس بن الأحنف:

أستغفر الله إلاّ من محبّتِكُمْ ... فإنها حسَناتي يومَ ألقاهُ

فإن زعمْتَ بأن الحبَّ معصيةٌ ... فالحبُّ أحسنُ ما يُعْصَى بهِ اللّهُ

● مَنْ قَهَرَهُ الهوى عن عزّه

كان للرشيد ثلاث جوار اشتد شغفه بهنّ فقال:

ملكَ الثلاثُ الآنساتِ عِناني ... وحلَلْنَ من قلبي بكلّ مكانِ

مالي تطاوعُني البريّةُ كلُّها ... وأطيعهنّ وهنّ في عِصْياني

---

(١) أزرى به: استخفّ به واحتقره. (٢) الفروقة: الشديد الفزع للمذكر والمؤنث.

(٣) الكزّ: اليابس والمنقبض، والوجه الكزّ القبيح، يقال: كزّ اليدين أي بخيل.

(٤) القرآن الكريم: ص/ ٢٣. (٥) القرآن الكريم: يوسف/ ٣٠.

مـا ذاك إلا أنّ سـلـطـانَ الـهـوى ... وبـه قـويـن أعـزُّ مـن سُـلـطـانـي

قال عروة[1]:

وكـم مـن كـريـم قـد أضـرّ بـه الـهـوى ... فـعـوَّدَهُ مـا لـمْ يـكُـنْ يـتـعـوَّدُ

قال كثير:

ضـعـائـفُ يـقـتـلْـن الـرجـالَ بـلا دمٍ ... فـيـا عـجـبـاً لـلـقـاتِـلات الـضـعـائِـفِ

وقال الخبزارزي:

ولـــربَّ عـــبـــدٍ فـــي الـــهَـــوى ... يـــســـتـــعـــبـــد الـــحـــرَّ الـــمُـــطَـــاعـــا

قيل لرجل: إنّ ابنك قد عشق، **فقال**: عذّب قلبه وأبكى عينه وأطال سَقَمَهُ **قال بعض الفلاسفة**: لم أر حقاً أشبه بباطل من العشق، هزله جدّ وجدّه هزل، أوله لعِب وآخره عطب[2]:

إن الـهـوانَ هـو الـهَـوى جُـزم اسـمُـه ... فـإذا لـقـيـتَ هـوىً لـقـيـت هَـوانـا

وقال آخر:

ومـا كـيّـسٌ فـي الـنّـاس يُـحْـمَـدُ رأيـه ... فـيـوجَـد إلا وهـو فـي الـحـبِّ أحْـمَـقُ[3]

● حَمْدُ تحمُّل المذلّةِ في الهَوَى

قال شاعر:

أن الـتـذلّـل فـي حـكْـم الـهـوَى شَـرَفُ

وقال آخر:

لا تـأنـفَـنَّ مـن الـخُـضـوع لـذي الـهـوى ... واخـضـعْ لإلـفـك كـائـنـاً مَـنْ كـانـا

وقيل: التذلّل للحبيب من شيم الأريب[4]

ونقشت ظريفة على خاتمها:

قـــصـــيـــرة مـــن طـــويـــلـــه ... نـــفـــسُ الـــمـــحـــبّ ذلـــيـــلَـــه

قال الأصمعي: غضب الفضل بن يحيى على جارية فبعثت إلي تسألني أن أسترضيه فسألته **فقال**: الذنب ذنبها **فقلت** وكيف موقعها من قلبك أيها الأمير. **قال** أحسن موقع وإنما أريد بهذا الهجر تهذيبها. قلت: فاستعمل فيها وصية العبّاس بن الأحنف قال: وما هي؟

---

(١) **عروة**: أي عروة بن الورد العبسي، من شعراء الجاهلية الصعاليك مات في إحدى المعارك سنة (٥٩٦م) (انظر ترجمته في مقدّمتنا لديوان عروة ـ منشورات دار الأرقم).

(٢) **العطب**: الهلاك والأذى. (٣) **الكيس**: الظريف الفطن.

(٤) **الأريب**: العاقل ذو البصيرة.

قلت:

تَحمَّلْ عظيمَ الذنب ممّن تُحِبُّهُ ... وإن كنتَ مظلوماً فقلْ أنا ظالمُ
فإنكَ إنْ لَمْ تغفرِ الذَّنبَ في الهوى ... تفارقْ مَنْ تهوى وأنفُكَ رَاغِمُ[1]

● وصفُ الهوى بأنه جنونٌ

وصف أعرابي الهوى **فقال:** هو طرف من الجنون، إن لم يكن عصارة السحر وعليه:

أَدَاءٌ عَرَانِي من جنابك أم سحرُ[2]؟

وقال غيلان بن عقبة:

هو السحرُ إلاّ أنّ للسحر رقيةً ... وإنّي لا ألقى من الحب راقِيَا

وقال ابن الرومي:

أهوى الهوى كلّ ذي لبٍّ فلستَ ترى ... إلا صحيحاً له أفعالُ مَجْنُوْنِ

● مَنْ شغفَ بقبيحٍ ليس فيه موضعٌ للعشقِ

تَيَقَّنْ من رآكَ تحبّ قَيْنا ... بأنّ الحبَّ ضَرْبٌ من جُنُونِ[3]

● مغالبةُ الهوى

قيل: مُغالبُ الهوَى كمغالبِ الدنيا. **قال شاعر:**

قد كنت أعلو الحبّ حيناً فلم يزل ... بي النقْضُ والإبرامُ حتّى علانيا

وقال آخر:

فوالله ما أدري أيغلبُني الهَوى ... إذا جدّ جِدُّ البيْنِ أم أنا غالبُهْ[4]
فإنْ أستطعْ أغلبْ فإن يغلبِ الهوى ... فمثل الذي لاقيت يغلبُ صاحبُهْ

● استعظامُ المحبوبِ وجلالتُه في عين المُحبِّ

يستحسن في ذلك قولُ بعضهم:

أهابُكَ إجلالاً وما بِكَ قدرةٌ ... عليّ ولكنْ ملءُ عيْنٍ حبيبُها

وقال آخر:

تمنيتُه حتّى إذا ما رأيتُه ... بُهِتُّ فلمْ أُعْمِلْ لِساناً ولا طَرْفَا
وأطرَقْتُ إجلالاً له ومهابةً ... وحاولتُ أن يُخفى الذي بي فلم يَخْفَا

---

(١) **أنفك راغم:** أي وأنت مرغم ومغلوب على أمرك.
(٢) **عراني:** أصابني وانتابني.
(٣) **القين:** العبد، **والقين** الحدّاد.
(٤) **البين:** الفراق.

فلو أنني ملكتُ من ثغره الذي ... تمكّنَ فيهِ الدرُّ قبّلته ألفا[1]

- **وصفُ حبّ تمكّن في الحشا**

قال كثيّر[2]:

أباحت حمىً لم ترْعَهُ الناسُ قبلَها ... وحلّت تِلاعاً لم تكن قبل حلّتِ[3]

قال العباس بن الأحنف:

لا تحسبنّي مَاذِقاً في الهوَى ... إنّي على حبّك مَطبوعُ[4]

قال عبيد الله بن طاهر:

شققْتُ القلْبَ ثم ذَرَرْتُ فيه ... هواكَ فَلِيمَ فالتأمَ الفطورُ[5]

تغلْغلَ حيْث لمْ يبلغ شرابٌ ... ولا حزْنٌ ولم يبلُغ سرورُ

قيل لأبي العتاهية: أي شعرك أعجب إليك؟ **قال قولي:**

قالَ لي أحمَد ولم يدرِ ما بي ... أتحبّ الغداةَ عتْبةَ حقّا[6]

فتنفّسْتُ ثم قلتُ: نعم حبّـ ... ـاً جرى في العُروق عِرْقاً فعِرْقاً

قال رجل لمحبوبه: حبك متولّ على فؤادي وذكرك سميري، **فقال له محبوبه:** أما أنا فلا أحب أن يقع طرفي على سواك.

قال عمر بن أبي ربيعة[7]:

فمَنْ كان لا يعْدو هواهُ لسانَه ... فقَدْ سار في قلْبي هواكَ وخيّما

وليْس بتزويقِ اللسانِ وصوغِه ... ولكنّه قد خالَط اللّحْمَ وَالدّمَا

قال المهلّبي:

وصِرنا في محبّتِنا حَديثاً ... يُهجّنُ شرْحُه قيساً ولبْنى

---

(١) **الدرّ (هنا):** الأسنان الناصعة البيضاء، شبهها بالدرّ.

(٢) **كثيّر:** هو كثير بن عبد الرحمن من الشعراء العذريين، وصاحبته عزّة ولذا عرف بكثير عزّة، كما قيل جميل بثينة وقيس ليلى.

(٣) **التلاع:** جمع تلعة، وهي ما علا من الأرض، **وحلّت تلاعاً:** نزلت أو أقامت بها.

(٤) **الماذق في الهوى:** الذي لا يخلص في ودّه.

(٥) **ذررت في القلب هواك:** نثرت بذوره وغرستها.

(٦) **عتبة:** جارية كانت في بلاط الرشيد أحبّها أبو العتاهية وأنشد فيها أكثر شعره الغزلي.

(٧) **عمر بن أبي ربيعة:** من شعراء مخزوم ولد يوم مات عمر بن الخطّاب، فقيل لاحقاً: أي حق قد رفع وأي باطل قد وضع. وعمر بن أبي ربيعة زعيم الغزل الحضري الصريح بشهادة النقّاد في القديم والحديث.

● **من ذكرَ أن قلبه ناصرَ محبوبةُ عليه**

قال العباسُ بن الأحنف:

قـلـبـي إلـى مـا ضـرّنـي داعـي ... يـكـثِـرُ أسْـقـامـي وأوْجـاعـي

كـيـفَ احـتـراسـي مـن عـدوّي إذا ... كـانَ عـدوّي بـيْـنَ أضْـلاعـي

أخذ ذلك من قول النبي ﷺ أعدي عدويك نفيسة بين جنبيك. **قال شاعر:**

يـوازرُه قـلْـبـي عـلـيّ ولـيْـس لـي ... يـدانِ عـلـى قـلْـبـي عـلـيْـه تـوازِرُه

وقال آخر:

أقامتْ على قلْبي رقيباً وناظري ... فليْسَ يؤدّي عنْ سِواها إلى قلْبي

● **قتيلُ الهوى شهيدٌ**

روي في الخبر: مَنْ عشق فعفّ فمات، مات شهيداً.

وقال الخبزارزي:

وحبّك ما استحْسنْتَ خيرُ مجرّبٍ ... عليْكَ إذا لم تنتهِكْ فيه مُحَرّما

وقال الفتح بن خاقان:

زَفْـرَةٌ فـي الـهَـوى أحـطُّ لـذنْـبٍ ... مـن غـزاةٍ وحـجّـةٍ مـبْـرورَه

وقال المهلّب:

أشتَهي الآن أن أصلّي على نعشِ محبٍّ قد مات في الحبّ وجدا

قيل: ذنوب العشّاق ذنوب اضطرار لا اختيار، وما كان كذلك لم يستحق عقوبة.

● **كوْن قتيلِ الهوى هدراً**

قال عبد الله بن جندب: خرجت فرأيت فساقاً فيهن امرأة كأنها منحوتة من فضة فتمثلت بقول قيس بن ذريح[1]:

خـذوا بـدمـي إن مُـتّ كـلّ خـريـدة ... مريضة جفْنِ العينِ والطرفُ فاترُ[2]

فقالت المرأة: يا ابن جندب إن قتيلنا لا يُودى[3] وأَسيرنا لا يُفْدى. **وقال ابن عبّاس:** قتيل الهوى هدر ولا عقل ولا قودُ. وقال أبو حية النميري:

رَمَـيْـنَ فـأقْـصَـدْنَ الـقـلـوبَ مـا نـرى ... دمـاً مـائـرا إلا جـرى فـي الـحـيـازم

---

(١) **قيس بن ذريح:** من شعراء بني عذرة وصاحبته لبنى (انظر سيرته وشعره في كتابنا أناشيد الحبّ والجمال في الشعر العربي ـ دار الأرقم).

(٢) **الخريدة:** اللؤلؤة غير المثقوبة والخريدة (هنا): المرأة البكر لم تمسّ قط، والخريد المرأة الحيِيّة.

(٣) **لا يودى:** لا تقبل ديته لمنزلته وزعامته وهذا يوجب الثأر لدمه.

ولـكـن لـعـمـر الله مـاطـلٍ مـسـلـمـاً كـغـرّ الـثـنـايا واضـحـات الـمـلاغـم[1]
وإن دمـاً لـو تـعـلـمِـيـنَ جـنـيـتـه عـلـى الـحـيّ جـاني مـثـلـه غـيرُ سـالـمِ

قال مسلم بن الوليد:

أديرا عليّ الكأسَ لا تشربا قبلي ولا تطلُبا من عند قاتِلتي ذَحْلي[2]

- **مَنْ أمر أن يقتصَّ من محبوبِهِ**

قال شاعر:

خـلـيـلـيّ إن حـانَـتْ وفَـاتـي فـاطْـلُـبَـا دمِـي مـن سـلَـيْـمـى واطـلُـبـا بـجـمـيـلِ

وقال الحسين بن الضحّاك:

غـزالٌ مـا اجـتـلاهُ الـطَـرْفُ إلاّ تَـحَـيَّـرَ فـي مـلاحَـة وجـنـتَـيْـهِ
خذوا بدمي محاسنه وخصّوا مـقـبّـلـه وبـرد ثِـنـيّـتَـيْـهِ[3]

- **الاشفاقُ مِنْ أن يلحق المحبوبَ إثمٌ في قتله**

وقال أحمد بن يوسف:

وفي الموْت لي من لوْعةِ الحُبّ راحةٌ ولـكـنّـنـي أخْـشـى نـدامـتَـهـا بـغـدي

- **استطابةُ الأذى في مُعاناة الهَوى**

قال المجنون:

يـقـولـون لـيـلـى عـذبَـتْـكَ بـحـبّـهـا ألا حـبّـذا ذاك الـحـبـيـبُ الـمُـعَـذِّبُ

وقال آخر:

تشكّى المحبوبُ الصبابةَ ليْتني تحمّلْتُ ما ألقاهُ من بينهمْ وحْدي
فكانَتْ لنفسي لذةُ الحبّ كلّها فلم يَلْقَهَا قبلي مُحِبٌّ ولا بعْدي

وقال آخر:

دع الحبُّ يصلى بالأذى من حبيبه فـكـلُّ أذىً مـمّـنْ تُـحِـب سُـرورُ
ترابُ قطيعِ الشاملي عين ذئبها إذا مـا تـلا آثـارهـنّ ذرورُ

قال المتنبيّ:

سهادٌ أتانا منك في العينِ عندَنا رقـادٌ وقـلام رعى سربكم وِردُ[4]

---

(١) غرّ: بيض ـ الثنايا: أسنان مقدّم الفم ـ الملاغم: جمع ملغم وهو الفم والأنف وما حولهما.
(٢) الذحل: الثأر.
(٣) خذوا بدمي: أي أثأرو لي ـ المقبّل: الثغر.
(٤) السهاد: الأرق وعدم القدرة على النوم ـ الرقاد: النوم وهو ضد السهاد ـ القلام (بكسر القاف): سهم القمار ـ السرب: القطيع من الظباء، وهنا الجماعة.

وقال:

ضنى في الهَوى كالسمّ في الشهد كامناً ... لذذتُ به جهلاً وفي لذّتي حَتفُ

وقال:

والعِشقُ كالمعشوقِ يعذُبُ قربُه ... للمبتلي وينال من حَوْبائِه[1]

لو قلت للدنِفِ الحَزين فَدَيْتُه ... ممّا به لأغرتَه بفدائِه

● **التبرُّم بالهَوى**

قال محمّد بن عبد الله بن طاهر:

ليْت الهوَى لمْ يكُنْ بيني وبينكم ... وليتَ معرفتي إيّاك لم تَكُنِ

وقال البحتري:

رحلُوا فأيّةُ عَبْرةٍ لم تُسْكَبِ ... أسفاً وأيّ عزيمَةٍ لم تُغلَبِ

لو كنتَ شاهدَنا وما صنعَ الهوى ... بقلوبنا لحسَدْتَ مَنْ لمْ يُحبِبِ

● **التلذُّذ بالهَوى عند المواصلةِ والتبرُّم به لدى المعارضةِ**

قال الخوارزمي:

وهذا الهَوى عيشُ المحبّ إذا صفَا ... ولكنْ إذ لم يصفُ كانَ له حَتفَا

وقال وهب الهمداني:

ولي بين هجرانِ الحبيب ووصلِه ... مصيران موتٌ تارة ونُشُورُ[2]

● **التعبُّد للمحبوبِ وتذليلُ النفسِ فيه**

قد أجمع الأدباء على تفضيل قول أبي الشيص:

وقفَ الهوى بي حيثُ أنتَ فليْس لي ... متأخَّرٌ عنه ولا مُتَقدَّمُ

أجد المَلاَمَةَ في هواكَ لذيذةً ... حباً لذكرك فليلُمْني اللومُ

أشبَهتَ أعدائي فصرْتُ أحبّهم ... إذْ كان حظّي منك حظّي مِنْهُمُ

وأهنتَني فأهنْتُ نفسي صاغراً ... ما من يهون عليك ممّن يُكْرَمُ

ويستعذب **قول المتنبي** حتى ما من أديب إلا وهو يرويه ولا مغن إلا وهو يغنّيه:

يا من يعزّ علينا أن نُفارقَهُمْ ... وُجدانُنا كلَّ شيء بعدكم عدَمُ

---

(١) **الحوباء**: النفس، واللفظة من الحوبة ومعناها الحاجة، والنفس موضع الحاجات، والحوباء الآثمة وهي مؤنث الأحوب.

(٢) **النشور**: العودة إلى الحياة بعد الموت، وأراد بالنشور هنا تجدّد الحياة بعد فراق الأحبّة الذي اعتبره بمثابة الموت.

إن كـان سـرُكُـمُ مـا قـال حـاسـدُنـا فـمَـا لـجُـرْحٍ إذا أرضـاكُـمُ أَلَـمُ

● **المتبرّمُ بمحبوبِهِ عمَّن عَداه والمتبرمُ عند فقدِهِ بِسِواه**

قال إبراهيم بن العباس:

وأنـتَ هـوى الـنـفْـس مـن بـيـنِـهـم وأنـتَ الـحـبـيـب وأنـتَ الـمُـطَـاعُ
ومــالـــي إن بـــعـــدُوا وحـــشـــة ولا مَـعـهـم إن بـعـدْتُ اجـتـمـاعُ

قال أبو فراس:

فـيـا لـيْـت مـا بـيـنـي وبـيـنـك عـامـرٌ وبـيـنِـي وبـيـن الـعـالـمـيـن خَـرَابُ
ولـيـتَـك تـحـلـو والـحـيـاةُ مـريـرةٌ ولـيـتَـك تـرضـى والأنـام غِـضـابُ

وقال آخر:

وكـنْـتُ إذا داري بـطـيـبـك أسـعـفَـتْ رَضِيتُ على الدنيا فما أستزيدُها[1]

قال الماهر:

الـنّـاس أنـتَ فـأيْـنَ عـنْـك مَـعـرجِـي والأنـسُ فـيـك فـأيـنَ عـنْـك أيـمّـمُ

وقال آخر:

فـكـلُّ حـيـاةٍ مـع سـواكَ مـنـيّـةٌ وكلُّ ضُحىً في أرض غيرِكَ غَيْهَبُ[2]

قالت أعرابية:

فـمـا أحـسـنَ الـدنـيـا وعـنْـدي خـالـد وأقـبـحَـهـا لـمـا تـجـهّـز غـازيَـا

وقال رجلٌ لامرأة: قد أخذت بمجامع قلبي[3] فلستُ استحسنُ سواك. **فقالت:** إن لي أختاً هي أحسن منّي وها هي خلفي، فالتفت الرجل **فقالت:** يا كذّاب تدّعي هواناً وفيك فضلٌ لِسِوانَا.

● **الاستغناءُ بالحبيبِ عن كلِّ خير وطيب**

قال بعضهم:

ولـو جـاوزتـنـا لـعـام آخـرَ لـم نُـبَـل على جذبِنا أن لا يَصُوبَ ربيعُ[4]

وقال كشاجم:

مـا أرتـجـي بـالـريـاض فـيـك غـنـى عـنـهُـنّ لـي مـنـظـر وحُـسْـنُ غِـنَـا

---

(١) **فما أستزيدها:** أي لا أطلب المزيد. (٢) **المعرج:** العدول ـ **أيمم:** أقصد وأتوجه.

(٣) **الغيهب:** الظلام الشديد، والليل الشديد السواد.

(٤) **لم نبل:** أي لم نأبه أو نكترث ـ **الجدب:** القحل ـ **يصوّب:** من صوّب الماء صبه والمقصود تصريب مطر الربيع الباعث على الخصب.

أُدِيـرُ طَـرْفِـي فـلا أرى حـسـنـاً ... إلا أرى فـيـك ذلـك الـحـسـنـا

- **إجابةُ الهوى إذا دَعا**

قال بعض بني أسد:

إذا أمَرَتْكَ النَفسُ أن تتْبعَ الهَوى ... فـقُـل: سامِعٌ لـلأمر مـنـك سمِيْعُ

وهذا خلاف قول الآخر:

إذا أنتَ لم تَعْصِ الهوى قادَكَ الهوى ... إلى بـغـض مـا فـيـه عـلـيْـك مَـقَـالُ

ولهذا باب في أول الكتاب، **ولتوبة:**

ولـو أنّ لـيـلـى الأخـيـلـيـة سـلّـمـت ... عـلـيّ ودوني جـنـدلٌ وصـفـائحُ[1]

لـسـلَـمْـتُ تـسـليـمَ الـبـشَـاشـة أو زقـا ... إلـيها صدى من جانب القبر صائحُ

فيقال: لما مات توبة ومضى على ذلك زمان وتزوجت ليلى مرّت مع زوجها يوماً بقبر توبة **فقال:** ألا تسلمين عليه لننظر هل صدق في قوله ولو أن ليلى (البيتين). فسلمت عليه فندَت هامة[2] من ناحية قبره وصرخت، فنفر جملها وسقطت فاندقّ عنقُها فماتَت فدفنَت بجانبه.

- **جَهلُ المحبِ بمقابحِ محبوبِهِ**

قال النبي ﷺ: حبّك الشيء يُعْمِي ويُصِمّ، أي يعمي عن الرشد ويصمّ عن سماع المواعظ على ذلك **قال معاوية: لولا يزيد لأبصرت رشدي. قال شاعر:**

يـا عـتـب مـا أنـا عـن فـعـالِـك بـي ... أعْـمـى ولـكِـنّ الـهـوى أعْـمـى

وقال آخر:

وعينُ الرضا عن كل عيبٍ كليلَةٌ ... كمَا أنّ عيْن السخْط تبْدي المَساوِيا[3]

قال المتنبيّ:

ويَقْبُحُ مِنْ سِواكَ الفِعْلُ عندي ... وتـفـعـلُـهُ فَـيَـحْـسُـنُ مـنـك ذاكـا

قال علي بن عبد الله بن جعفر:

ولائــــمٍ لام فــــيـــــه ... يــبْــغــي بــذلــك شَــيْــنِــي[4]

---

(١) **ليلى الأخيلية:** شاعرة عربية من بني عقيل (انظر جانباً من سيرتها في تقديمنا لديوانها ـ منشورات دار الأرقم).

(٢) **الهامة (هنا):** طائر كالبوم يألف القبور والأماكن الخربة ويقال له الصدى، يقال: فلان صار هامة أي مات، والهامة طائر خرافيّ اعتقد الأقدمون أنه يخرج من رأس الميت قائلاً: اسقوني، أي من دم القتيل الذي مات دون أن يؤخذ بثأره.

(٣) **عين كليلة:** أي لا تبصر ـ **يقول:** إن رضى النفس عن شخص أو شيء يجعل العين تعمى عن رؤية العيوب، بخلاف عين الساخط والغاضب فهي لا ترى إلا المساوىء.

(٤) **الشين:** العيب، العار.

فــقــلــت إذ لامَ فــيــه هــلاَّ نــظَــرتَ بــعــيْــنــي[١]

وقال الأصمعي: سألني الرشيد عن حقيقة العشق **فقلت**: أن يكون البصل منها أطيبَ من المسك من غيرها.

● عُذْرُ مَنْ أحبَّ قبيحاً

قيل لرجل: لِمَ اخترتَ من جواريك أقبحَهُنّ؟ **فقال**: لأن الهوى ليس نخَاساً[٢] فيختار أثمنهنّ. وقال رجل للجماز: ابتلاك الله بحب فلانة وإنّها لامرأة قبيحة. **فقال** يا أحمق لو ابتلاني اللّهُ بحبها لكانت كالحور العين عندي، ولكن ابتلاك بأن تكون في بيتك وأنت تبغضها ولا يمكنك التخلّص منها. **وقيل** لرجل: اخترت فلانة مع قبحها **فقال**: لو صحّ لذي الهوى اختيار لاختار أن لا يعشق وقيل: العين إذا أبصرت الهوى عَمِيَتْ عن الاختيار.

● مَنْ جعل محبوبَهُ كمعبودِهِ

مذهب الحلوليين[٣] معروف فيما يدّعونه ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ **قال شاعر**:

لــمــا رآه الــنــصــارى لا شــبــيــهَ لــه وشــاهــدوه بــأَسْــمَــاعٍ وأبــصــارِ
خرُّوا سـجـوداً وقـالـوا حـلّ ثـانـيـةً في صورة الأنس ذاك الواحِدُ البارِي

وقال آخر:

أفدي بنفسي من بدرٍ على غُصُنٍ تـكـاد تـأكـلُـه عـيـنـاي بـالـنَـظَـرِ
إذا تـفـكّـرتُ فـيـه عـنـد رؤيـتـه صدّقت قَوْلَ الحلوليين في الصُوَرِ

● هوى ثَبُتَ في الصغرِ وبقيَ على حالتِهِ في الكِبَرِ

كل هوى ثبت في الصغر فهو كالنقْش في الحجَر، لا تغيّره الأحوال ولا تبدّله الأعوام. **قال ابن الطثرية**:

أتـانـي هـواهـا قبْلَ أن أعرِفَ الـهـوى فـصـادفَ قـلـبـاً خـالِـيـاً فـتَـمَـكّـنـا

وقال:

وعـلـقـت لـيـلـى وهـي ذاتُ ذوائـب تـردّ عـلـيـنـا بـالـعـشـيّ الـمـرامـيـا[٤]

---

(١) يدعو الشاعر من أبغض حبيباً له أن يراه بعينه أي عين محبّه لأن عين المحبّ لا ترى المساوىء.

(٢) **نخاساً**: النخّاس: بائع العبيد.

(٣) **مذهب الحلوليين**: هو مذهب بعض المتصوفين الذين يعتقدون بأن الذات الإنسانية يمكن أن تحلّ في الذات الإلهية عندما تتّحد بها، والسبيل إلى ذلك العبادة والزهد والارتفاع فوق شهوات المادّة.

(٤) **الذوائب**: الضفائر جمع ذؤابة ـ **المرامي**: الأغراض، جمع مرمى.

فشبّ بنو ليلى وشبّ بنو ابنها وأعلاقُ ليلى في الفؤادِ كما هيا[١]

● مَنْ ذكر أنّ هواه لا يزولُ إلا بموتٍ

قال شاعر:

ستبقى لها في مضمرَ القلبِ والحَشا سريرةُ ودٍّ يوم تَبْلَى السَّرَائِرُ

وقال آخر:

يهيمُ فؤادي ما حييتُ بذكرها ولو أنّني قد متُّ جَاوَبَهَا الصَّدَى[٢]

● المفاضلةُ بين قديم الهَوى وحديثِهِ

قال الأصمعي: رَأيت في طريق الحج جاريتين كفلقتَي القمر، فلما كانت السنة الثانية رأيت إحداهما فسألتها عن أختها فقالت تزوج بها ابنُ عم لها، فقلت: لو أدركتها لتزوجتها فقالت ما يمنعك من شقيقتها في حسبها ونسبها وشريكتها في حسنها فقلت: قول كثير:

إذ واصلتنا خلّة كي تزيلَها عرضنا وقلنا الحاجبيّةُ أوّلُ

فقالت بيننا كثير أليس هو القائل:

هل وصْلُ عزّةَ إلا وصلُ غانية في وصْل غانيةٍ عن وصْلها خلفُ[٣]

وحدّث يحيى بن أكثم المأمون أن كثيّراً اجتمع مع عزّة فتنكرت له متنقّبة وقالت: من أنت؟ قال كثير فقالت: وهل تركت عزّة فيك نصيباً لغيرها؟ فقال: لو أن عزة كانت أمة لي لجعلتها لك، فكشفت البرقع وقالت: أهذا أيضاً كذب الوشاة؟ فاستحيا، فقال: المأمون لقد استحييت له وأنا على سريري.

وقال جعفر بن سليمان: قَصَدْتُ المهدي يوماً فقال: دخلْتُ إلى جارية يُقال لها حسناء ودخلتُ أخرى يُقالُ لها ملكة، وأردت القيلولة فقلت: عند أيكما أقيل؟ فقالت حسناء: إن الله تعالى يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[٤] فقالت ملكة لا تعجَل فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾[٥] فقلت لو أن شريكاً حضرهما لم يقدر أن يقضي بينهما. قال بشار:

سَبَقَتْ بالحبِ سَلْمى غيرَهَا وأحقّ الناس عندي من سَبَقْ

قال أبو تمّام:

نَقلْ فُؤادك حيثُ شِئتَ من الهَوى ما الحبُّ إلاّ للحبيب الأوّلِ

كَمْ منزلٍ في الأرض يألفُهُ الفتى وحنينُهُ أبداً لأوّلِ منزلِ

---

(١) الأعلاق: جمع علِق وهو الشيء النفيس. (٢) الصدى (هنا): الصوت من وراء القبر.

(٣) يقول: كثير رنه بأبي وصال أية غانية أو حسنها لأن قلبه لا يهيم إلا بحب صاحبه عزة.

(٤) القرآن الكريم: التغابن/ ١٠. (٥) القرآن الكريم: الضحى/ ٤.

ونقضه ديك الجن فقال:

نَقِّل فؤادك حيث شئت فلن تَرَى ... كهوى جديد أو كوصل مقبلِ

- **مَنْ جَعلَ لكلّ من قديم الهوى وحديثِهِ نصيباً**

قال شاعر:

أنا مبتلىً ببليتَيْن من الهوى ... شوْقي إلى الثاني وذكْرِ الأوّلِ

قُسِمَ الفؤادُ لحُرْمَةٍ ولِلذةٍ ... في الحبّ من ماضٍ ومن مستقْبَلِ

قال كثيّر:

وللعينِ ملهىً في البِلاد ولم يقد ... هوى النفْس شَيْءٌ كاقتيادِ الطّرائفِ

قال أبو تمّام:

وقالَتْ أنيسي البدْرُ قُلْتُ تجلّدا ... إذا الشمْسُ لم تغرِبْ فلا طَلَعَ البَدْرُ

- **مَنْ ذكر كثرةَ مَن يَهْوَاهُمْ**

قال ابن أبي طاهر:

عدمتُ فؤادِي من فؤادٍ فمَا أشقى ... وأكثر من يهوى وأعْظَم ما يَلْقَى

فلو كانَ يَهْوى واحداً لعذرتُه ... ولكنّه من جهْله يعْشَقُ الخَلْقَا

ثمَانون لي في كلّ يوْم أحبّهم ... وما في فؤادِي واحدٌ منْهم يَبْقَى

وقال آخر:

قالوا بغانيَةٍ واصلتْ غانيةً ... فقلْت: حزمٌ ورودُ الماءِ بالماءِ[1]

- **مساعفةُ المحبوبِ إذا ساعف والإعراضُ عنه إذا أعْرَضَ**

هذه طريقة يختارها قوم فيطيب عيشهم وإن كان لا يرضاها من يتكلم في العشق من حكام أربابه. قال شاعر:

تمتّعْ بها ما ساعفَتْكَ ولا يكن ... عليْك شجىً في الصّدرِ حين تبِينُ

- **تأسّف من يحبّهِ مَنْ لا يحبُه**

قال شاعر:

إن كانَ ذا قدَرٌ أنعطيكَ نافلةً ... منّا وتحرِمُنا ما أنْصَفَ القَدَرُ

وقال أبو الطحان:

أفي الحَقّ أنّي مُغْرَمٌ بكَ هائمٌ ... وأنّكَ لا خِلٌّ هَوَاك ولا خَمْرُ

---

(١) الغانية: المرأة الحسناء التي أغناها حسنها عن الزينة، أو المرأة التي أغناها زوجها عن غيره من الرجال.

وقال أشجع:

وَمَوْتُ الفتَى خَيْرٌ له من حياتِه ... إذا كانَ ذا حالَيْن يصْبو ولا يُصْبى

ويُستظرف للمتنبي:

أنتَ الحبيبُ ولكنّي أعوذُ به ... مِنْ أن أكونَ محِبّاً غَيْرَ مَحْبُوبِ

قال بعضهم: وجدت بمكة شاباً مصفراً ناحلاً فسألته عن حاله **فقال:** بُلِيْتُ بوصيفة فذهب رأس مالي في ثمنها ونفقتها وليست تحبني، **فقلت** استمتع بها وعدها بعض نعم الدنيا والآخرة هل تحبك العافية هل تحبك الصحة هل يحبك المال هل تحبك الجنة؟ **فقال:** لا **فقلت:** أليس تحب كل ذلك وتتمتع به مع أنه لا يحبك، فهبها بعض نعيم دنياك وآخرتك فقام كالمسرور وأوجع إليها وساهلها في سوء خلقها حتى رجع الله تعالى بقلبها إليه وطاب عيشه معها.

● **تأسفُ مَنْ يزدادُ صفاءً بجفاء محبوبِهِ**

قال إبراهيم بن العباس:

بنفسي من إساءتُهُ اعتمادُ ... وَمَنْ إحسانُهُ من غير عَمْدِ
ومن أصفيْتُه في الودّ جُهْدي ... فعارضَ في الجَفاء بمثل جُهْدِي

وقال أبو العتاهية[1]:

ولي فؤادٌ إذا طالَ العذابُ به ... هامَ اشتياقاً إلى لُقيا مُعَذِّبِهِ
يفديك بالنفس صبّ لو يكونُ له ... أعزّ من نفسه شيءٌ فَدَاكَ بهِ[2]

● **من ذكر مساواة محْبوبه في المحبّة**

إنّ التي زعمَتْ فؤادك ملَّها ... خلقَت هواكَ كما خلقْتَ هوىً لَهَا

قال إبراهيم بن المهدي:

وتُخبِرني عن قلبِها فكأنّها ... إذا صدقت عنه تُحَدّثُ عن قلْبي

قال أبو عنبسة:

كلانا سَواء في الهَوى غير أنّها ... تجلّدُ أحياناً وما بي تَجَلُّدُ

قال الرفاء:

شكوْتَ الذي تشكو إليّ كأنّما ... تجِنُّ ضُلوعي ما تجِنُّ ضلوعُها

---

(١) **أبو العتاهية:** إسماعيل بن القاسم (٧٤٨ ـ ٨٢٥) شاعر مُكْثِر نشأ في الكوفة كُنِيَ بأبي العتاهية لميله إلى المجون. أغلب شعره في الزهد والشكر للدنيا. (انظر مقدّمة ديوانه ـ منشورات دار الأرقم).

(٢) صبّ: العاشق وذو الولع الشديد.

قال بعض الصوفية[1]:

روحُــه رُوحــي ورُوحــي روحُــهُ ... إنْ يـشـا شِـئْـتُ وإن شِـئْـتُ يَـشَـأ

● **تعارفُ القلوبِ موداتُ الأحبابِ**

قال ﷺ الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف. وما تناكر منها اختلف. قال بكر بن النطاح:

وعلى القلوب من القلوب دلائلٌ ... بـالـودّ قـبـل تَـشَـاهُـدِ الأشْـبَـاحِ

قال العبّاس بن الأحنف:

قـلْ لـلّـتـي وصَـفَـتْ مـودّتـهـا ... لـلـمُـسْـتَـهـام بـذكـرهـا الـصّـبِ

مـا قـلْـتُ إلا الـحَـقّ أعْـرفـه ... إنّ الـدلـيـل عـلـيْـه مـن قـلْـبـي

قـلْـبي وقـلـبُـك بـدعَـةٌ خُـلِـقـا ... يـتـجـاريـانِ بـصـادقِ الـحـبّ

ثم نقضَ هذا بقوله:

فـلَـو كـنّ حـقّـاً كـمَـا يـزعـمُـون ... لـمـا كـان يـجـفـو حَـبِـيْـبٌ حَـبِـيْـبَـا

● **محبةُ مَنْ لا يعرفُ الهوى**

قال العبّاس بن الأحنف:

وجـاهـلـةٍ بـالـحـبّ لـمْ تـبلُ طعـمَـه ... وقـدْ تـركَـتْـني أعْـلَـمَ الـنّـاس بـالـحَـب

وقال ابن المعتز:

قد كـانَ غـراً بـقـتْـلي لـيْـس مـحـسِـنَـه ... فالآن يـبـدعُ فـي قـتـلـي عـلـى الـبِـدعِ[2]

● **محبة كل من مات بالمحبوب**

أحـبّ بـنـي الـقـوام طـرّاً لـحُـبّـهـا ... ومن أجْلِهـا أحبَبْت أخوالَـهـا كلْبا[3]

قال قيس بن ذريح:

وداعٍ دعَـا إذْ نـحـنُ بـالـخـيف مِـنْ مِـني ... فـهـيّـج أشـجـانَ الـفـؤادِ ومـا يَـدْري[4]

دعـا بـاسـمِ لـيْـلى غـيـرَهـا فـكـأنّـمـا ... أهـاج بـلـيـلى طـائـراً كـان فـي صـدري

---

(١) **الصوفية**: مذهب يقهر الجسد ليطهّر الروح.

(٢) **الغرّ**: الشاب الذي لا خبرة له ـ **يبدع**: يبرع ويفتن في أساليبه.

(٣) **طرّاً**: جميعاً ـ **أخوالها كلباً**: أي من بني كليب.

(٤) **الخيف**: سفح الجبل والخيف من منى موضع في منى وهي من مناسك الحج قرب مكة ـ **هيّج**: حرّك ـ **الأشجان**: الأحزان، جمع شجن.

وقال المتنبي:

لولا ظباءُ عديّ ما شقيت بهم ... ولا بربربهم لولا جآذِرُهُ[1]

● مَنْ هَانَتْ نفسُهُ عليه لاستخفافِ محبوبِهِ بها

قال أبو الشيص:

أشبهت أعدائي فصِرْتُ أُحبّهُمْ

وقال البيتين آخر:

إن الذين بخيْرٍ كنت تذكرُهُم ... قد أهلكوك وعنهم كنْتُ أنهاكا

لا تطلبَنَّ حياةً عند غيرِهِم ... فليْس يُحييك إلا منْ توفاكا

● المدعي عشقاً مِنْ غَيْرِ عَيان

وقال بشار:

يا قومُ أذني لبعْض الحي عاشقةٌ ... والأذن تَعْشَقُ قبلَ العَيْنِ أحْيَانا

قالوا بمنْ لا ترى تهذي، فقلتُ لهُم: ... الأذنُ كالعَيْن تؤتي القلبَ ما كانا[2]

قال ابن الرومي:

هويتك ناشئاً قبْل التّلاقي ... هوى حدثاً تكهّلَ باكتهالي[3]

وكُلُّ مودةٍ قبل اختبارٍ ... فتِلْك هوى طبائعِ لا انتحالِ[4]

● تأذي المحبوب بحبّهِ

قيل: المرأة إذا أحبتك آذتك وإذا أبغضتك خانتك. وقال رجل ليوسف الصديق: إني أحبّك، فقال: لا حاجة لي بمن يحبني فقد أحبني أبي فطُرِحْتُ لأجله في الجبّ وأحبتني امرأة العزيز فَحُبِسْتُ لأجلها في السجن بضعَ سنين.

● مَنْ فقدَتْهُ العينُ ولم يفقدْهُ القَلْبُ

قال بعض المحدثين:

واللّهِ ما شطّت نوى ظاعِنٍ ... إلاّ عنِ العَيْنِ إلى القَلْبِ[5]

وقال آخر:

بِنْتُم عن العينِ القريحةِ فيكُم ... وسكنْتُم منّي الفؤادَ الوالِهَ

---

(١) الربرب: القطيع من الظباء، والمراد هنا النساء الشبيهة بالظباء لحسنهن ـ الجآذر: جمع جؤذر وهو ولد الظبي أو البقرة الوحشية.

(٢) هذي: هذى هذياناً: أي تكلم بغير المعقول بسبب مرضه.

(٣) تكهّل النبات: تم طوله ـ تكهّل الرجل: بلغ سن الكهولة، ما بعد الشباب.

(٤) الانتحال: ادعاء المرء شيئاً. (٥) شطت: نأت، ابتعدت.

قال ابن قتير:

إنْ كُنتَ لَسْتَ معي فالذِكْرُ منْك سوى ... قلبي القريح وإن غُيّبْتَ عن بصري

العيْنُ تبصِرُ مَنْ تهوى وتحرِمُه ... وإنّما القَلْبُ لا يخلُو من الفِكرِ

وقال آخر:

يُجِدّ النأيُ ذكْرَك في فؤادِي ... إذا ذهلَتْ على النّأي القُلوبُ[1]

وقال البحتري:

إن جرى بيننا وبينَك هجْرٌ ... وتناءَت منّا ومنكَ الديَارُ

فالغليلُ الذي عهدْتَ مُقيمٌ ... والدّموعُ التي عهدْتَ غِزَارُ[2]

● تذكُّر المحبوب في جميعِ الأحوالِ

وقال شاعر:

تُذكّرنيكَ الخيْر والشرّ والذي ... أخافُ وأرجُو والذي أتوَقّعُ

قال عمر بن أبي ربيعة:

إذا طَلَعَتْ شمسُ النهار ذكرتُها ... وأحدَثُ ذكْراها إذا الشمْسُ تَغرُبُ

قالت الخنساء[3]:

يذكّرُني طلوعُ الشمسِ صخْراً ... وأذكرُهُ لكلّ غُروبِ شَمْسِ

● من لم يوجعهُ بَعْدُ محبوبه لتصوره

إن التباعُدَ لا يضرُّ إذا تقاربَتِ القلوبُ

قال ابن المعتز:

ما أُبالي بِظُنونٍ ... وعيونٍ أتّقِيهَا

لي من ذِكراك مرآ ... ةُ أرَى وجْهكَ فيها

(٢)

تذكّرُ المحْبوبِ في اليقْظةِ والنومِ

●

لعليّ بن الجَهم، قوله:

آخرُ شيءٍ أنت في كل هَجْعَةٍ ... وأوّلُ شيءٍ أنت عند هُبوبي[4]

---

(١) النأي: البعد. (٢) الغليل: العطش الشديد.

(٣) الخنساء: توفيت نحو ٦٤٥ أعظم شواعر العرب قُتِلَ أخواها معاوية وصخر فرثتهما ثم رثت أولادها الأربعة الذين قتلوا في وقعة القادسيّة.

(٤) الهجعة: المرّة من هجع، أي رقد ونام - الهبوب: الاستيقاظ والنهوض من النوم.

قال ابن ميّادة:

فما مسّ جنبي الأرضَ إلا ذكرتُها ... وإلا وجَدتُ ريحها في ثِيَابِيا

● **تذكّر المحبوبِ في الخفضِ والشدّةِ**

وقال بعضُهم:

أسجناً وقَيداً واشتياقاً وعبرةً ... ونأي حبيبٍ إنّ ذا لعظيمُ

وأن أمرأ دامت مواثيقُ عهدِهِ ... على مثلِ ما قاسيْته لكريمُ

قال بعض الصوفية:

ولقد ذكرتُك والذي أنا عبدُهُ ... والسيفُ عند ذؤابتي مَسْلُوْلُ

● **تذكره بضرب من المشابهةِ من طيبٍ**

كتب بعضُ البلغاء:

يذكرناكَ ريحُ الشمول وريحُ الشمال[1]

قال بشار:

إذا لاح الصوارُ ذكرْت سعْدى ... وأذكرُها إذا نُفِخَ الصوارُ[2]

قال الخبزارزي:

نصباً لعينِك لا ترى حسْناً ... إلا ذكرتَ به لَهَا شَبَها

قال البحتري:

كأسٌ تذكرني الحبيبَ بلونِها ... وبشمّها وبطعْمِها وحُبابِهَا[3]

قال بعض المحدثين:

إذا ما ظمِئْتُ إلى ريقِهِ ... جعلْتُ المُدامةَ منه بَدِيْلا

وأيْنَ المَدامةُ من ريقِهِ ... ولكن أعلّلُ قلباً عليلا

● **تعسر نسيان المحبوب**

قال المهدي يوماً لأصحابه: أي بيت أغزل؟ فقال بعضهم قول كثيّر:

أريد لأنسى ذكرَها فكأنّما ... تمثّل لي ليلى بكلّ سبيلِ

فقال ماله يريد أن ينسى. **فقيل:** قول امرىء القيس في اعشار قلب مقتل فقال هذا جاف، **فقال** ابن بزيع عندي غرضك:

إذا قلت إنّي مشتفٌ بلقائِها ... وحم التلاقي بينَنا زادني وجدا

---

(١) **ريح الشمول:** ريح الخمر الباردة، **والشمال:** الريح التي تهب من ناحية الشمال وهي ريح باردة.

(٢) **الصوار:** قطيع البقر.

(٣) **الحباب:** الفقاعات التي تعلو كأس الخمر أو الماء.

فقال: أصبت.

- **الاستحياءُ من المحبوب بظهر الغيب لتصوّرِهِ**

قال جميل[1]:

وأنـي لأَسْـتَـخْـيِـيْـكِ حـتـى كـأنّـمـا ... علـيّ بـظـهـر الـغَـيْـبِ منكِ رَقِـيْـبُ

قال أشجع:

ويـمـنـعُـنـي مـن لـذّةِ الـعـيْـش أنّـنـي ... أخـافُ إذا قـارفْـتُ لـهـواً تَـرَانِـيَـا

- **ذكرُهُ في الصلاةِ**

قال المجنون:

أصـلّـي فـمـا أدْري إذا مـا ذكـرتُـهـا ... اثنتين صَلّيْتُ الضّحَى أم ثمانيا

قال الخبزارزي:

ألـفـت هـواكَ حـتّـى صـرْتُ أهْـذي ... بذِكْرك في الرّكوعِ وفي السّجودِ[2]

- **التلذُّذُ بذِكرِهِ**

اشربْ على ذِكْرهِم إنْ حِيْلَ بينَهم ... عساكَ منهم على ذكرٍ إذا شَرِبُوا

قال محمد بن أمية:

أقولُ لهم كرّوا الحديثَ الذي مضَى ... وذكـراكَ مـن بـيْـنِ الأنـام أُريـدُ

أنـاشِـدُه ألا أعـادَ حـديـثَـه ... كـأنّي بطـيْءُ الفَـهْـمِ حينَ يُعِيدُ

قيل لأبي المجنون: لو خرجت إلى مكة لتكون بعيداً عن ليلى، فعساه يتسلّى ففعل. فسمع يوماً إنساناً يقول يا ليلى فغشي عليه فلما أفاق قيل له مالك؟ فقال:

وداعٍ دعا بالخيْف إذ نحْن من منًى

وقال:

وإنّـي تـعْـرونـي لـذِكْـرَاكِ هـزةٌ ... لها بيْن جِلْدي والعِظامِ دبيبُ[3]

- **مَنْ خَطّ صورةَ محبوبِهِ وشكا إليها**

قال أبو نواس[4]:

إذا مـا الـشّـوقُ أقـلـقَـنـي إلـيْـه ... ولـم أطـمَـع بِـوَصْـل مِـنْ لَـدَيْـهِ

---

(١) **جميل بن مهر**: جميل بثينة توفي نحو (٧٠١) شاعر أموي من بني عذرة تغنى بمعشوقته بثينة فعرف بها توفي في مصر.

(٢) **ألفت**: اعتدت، أنس به وأحبه. (٣) **تعروني**) تنتابني وتصيبني.

(٤) **أبو نواس**: الحسن بن هانيء (٧٥٧ ـ ٨١٤) من كبار شعراء العصر العبّاسي، لقّب بشاعر الخمرة. قربه الرشيد وجعله الأمين شاعره. أسرف في اللهو ثم تاب في آخر أيامه. له ديوان.

خططتُ مثالَه في بطنِ كفّي ... وقلتُ لمُقلتي فِيْضِي عليهِ

قال بشار:

خطَطتُ مِثَالَها وجلسْتُ أشكُو ... إليها ما لَقِيتُ على انتحابِ

كأنّي عندها أشكو همومي ... إلَيْها والشَكاةُ على التّرابِ

- **الاستقاءُ لماضي الزمن**

سقى الله أياماً لنا ولياليا ... مَضَيْنَ فلا يُرجى لهنّ طُلُوعُ

إذ العيْشُ صافٍ والأحبّةُ جيرَة ... جميعٌ وإذ كلّ الزمانِ ربيعُ

وإذ أنا أما للعواذلِ في الهوى ... فعاصٍ وأما للهوى فَمُطِيْعُ

قال الصاحب في هذا الشعر: إن شئت كان أعرابياً في شملته وإن شئت فعراقي في حلّته. وقال البحتري:

والعَيْشُ غَضٌّ والحياةُ لذيذَةٌ ... والحادِثاتُ عن الزّمانِ بِمَعْزِلِ

وقال آخر:

سُقياً لأيام تولتْ بها ... أحسن ما كانت صروفُ الزَمَنْ

ولَتْ فما الدنيا بأقطارِها ... لليومِ والساعَةِ منها ثَمَنْ

- **تمنّي عودُ الأيامِ السالفةِ**

قال بعضهم:

ولو أنني أعطيْتُ من دهري أنني ... وما كلّ ما يُعْطى المُنى بمسدّدِ

لقُلْتُ لأيام مَضَيْنَ ألا أرجعي ... وقلْتُ لأيام أتيْنَ ألا أبعِدي

وقال آخر:

خليليّ ما بالعيْشِ عتبٌ لو أننا ... وجدْنا لأيامِ الحِمى من يُعِيدُهَا

وقال جحظة:

ألا ليْتَ عيْشاً أولاً كرّ راجعاً ... وإلا فعيْشٌ آخرُ مثلُ أوّلِ

- **التلهفُ على أحوالِ سالفةِ**

قال منصور النميري:

ومجالِسٌ لكَ بالحِمى ... وبها الخليطُ نزولُ[1]

أيامُهنّ قصيرةٌ ... وسرورهُنّ طويلُ

المالكيّةُ والشرا ... ب وَقَينةٌ وشَمُولُ[2]

---

(١) الخليط: الصاحب والعشير والإلف. (٢) القينة: المغنية ـ الشمول: الخمر أو الباردة منها.

وقال آخر:

لولا ثلاثٌ هنّ عيشُ الدهر ... المالُ والخُبْزُ وأمُّ عمرِو

● مَنْ هيّجَه الحَمَامُ بتغريدِهِ

أنشد ابن أبي طاهر وقال هو أحسن ما قيل في بكاء الحمام:

وقلبِي أبكَى كُلَّ من كان ذا هَوى ... هتوفُ البواكي والديارُ البَلاقِعُ[1]
ومرَّ على الأطلال من كلّ جانبٍ ... نوائحُ ما تخضّل منها المَدامِعُ
مزبرجةُ الأعناقِ غرّ بطونها ... مخطّمَةٌ بالدرّ خضرٌ روائعُ[2]
ترى طرراً بين الخوافي كأنّما ... حواشي برودٍ أحكمتْها الوشَائِعُ[3]
ومن قطَعِ الياقوتِ صِيغَتْ عيونُها ... خواضبُ بالحنّاء منْها الأصابِعُ

قال حميد بن ثَوْر:

وما هاجَ هذا الشوقَ إلا حمامَةٌ ... دعَت ساق حرّ ترحَةً وترنّما
بكَتْ شجْوَ ثكلى قد أُصيبَ حميمُها ... مخافةَ بيْنٍ يتركُ الحبْلَ أجْذمَا[4]
فلم أرَ مثلي شاقهُ صوتُ مثلِها ... ولا عربياً شاقهُ صوْت أعْجَمَا

وقال آخر:

يا ويحَ قمريةٍ غنت لنا هَزَجاً ... ممّا تغنّي بنظْم جدّ متزنِ
قد كنتِ واقعةً دهراً على فنَنٍ ... فصِرْتِ في جوفِ منحوتٍ من القننِ
فخبّرينا وما ألقاكِ مخبرةً ... أتسجعين للهوِ منك أم شَجَنِ
وفي الفؤاد همومٌ لستُ مَظْهرَها ... خوفَ الوُشاةِ وإشفاقاً من الزمنِ

● التذكر بنارٍ مُوقدَةٍ

نظر أعرابي إلى نار بأرض محبوبه فقال:

أنارٌ بدَتْ يا عبدُ في ساكِن الغضا ... مع الليْل أم برقٌ تلألأ ناضِبُ[5]

---

(١) البلاقع: بلقع المكان: أي أقفر.

(٢) مزبرجة: مزيّنة، محسنة من زبرج الشيء حسّنه ـ مخطّمه: جعل الخطام على أنفه، والخطام ما يوضع في أنف البعير ليقاد به.

(٣) حواشي: أطراف ـ البرود: الثياب المخطّطة الموشاة جمع برد ـ الوشائع: جمع الوشيعة وهي خشبة يلف عليها لحمة الثوب لينسج.

(٤) الأجذم: المقطوع.

(٥) الغضا: جمع غضاة وهي شجرة الأثل، وأهل الغضا: سكان نجد.

فاحِبِبْ بتلكَ النّارِ والموقدِ الذي ... له عندَ جرْعاء النميرةِ حَاطِبُ[1]

وقال:

يا موقدَ النارِ أوقدْها فإنَّ بها ... سناً يَهِيجُ فؤادَ العاشِقِ السَّدِمِ

● **التذكرُ بالبرقِ**

قال أبو سعيد بن فوقة:

أقولُ وقد شِمْتُ البروقَ فلمْ أجِدْ ... كبرْقٍ بدا من أصبهانَ فأومَضَا[2]

سقى الرائحَ الغادي بلاداً رفضتُها ... ولم تكُ إلا أن نبتْ بي لتُرفَضَا

وهل هيَ إلا موطِنٌ لي مُحَبَّبٌ ... إليَّ أعادته الخطوبُ مبغَّضَا

وقال:

إذا أوْمَضَ البرقُ من أرضِها ... تمثَّل لي أنَّها تَبْتَسِمْ

وأذكرُها في المحلِّ الجَدِيبِ ... فيخصِبُ من دمعِيَ المنسجِمْ

● **التذكرُ والشوقُ بهبوبِ الريحِ**

قال شاعر:

ألا يا صَبا نجدٍ متى هجْتَ من نَجْدِ ... لقد زادني مَسْرَاكَ وجداً على وَجْدِ[3]

وقال عبد الله بن أمية:

هبّتْ شمالاً فقيل من بلَدٍ ... أنْت بها طابَ ذلك البلَدُ

فقبّلَ الريحَ منْ صَبابتِه ... ما قبّل الريحَ قَبْلَهُ أحَدُ

وقال:

إذا هبَّ علويّ الرياحِ وجدتُني ... كأنّي لعلويّ الرّياحِ كَثِيبُ

● **تذكر المحبوبِ بالاختلاجِ العارضِ**

العرب تزعم أن من خدرت رجلهُ فذكر محبوبَه ذهب خِدْرها. **قال عمر بن أبي ربيعة:**

إذا خدِرَتْ رجلي أبوحُ بذِكْرِهِ

وقال:

إذا مُذِلَتْ رجْلي دعوتُكِ أشتَفي ... بذكراكِ من مذلٍ بها فَيَهُونُ[4]

ويقولون من اختلجت عينه أبصر محبوبه، **قال إبراهيم الصولي:**

اختلجَتْ عيني فأبصرتُه ... كأن عيني تعلمُ الغيبا

---

(١) **النميرة**: شملة أو بردة من صوف فيها خطوط بيض وسود.

(٢) **أصبهان أو أصفهان**: مدينة في وسط إيران بين طهران وشيراز مشهورة بالحرير والسجّاد والأغنام.

(٣) **الصَّبا**: ريح شرقية يقابلها الدَّبُور. (٤) **مذلت الرجل**: خدرت ـ **والمذل** الخدر والفتر

قال ابن المعتز:

مرحباً باختلاجِ أجفانِ عينٍ ... بشّرتْ نفسَها برؤيةِ خيرِ

قال العباس:

ظلّت تبشّرني عيْنِي إذا اختلجَت ... بأنْ أراكَ وما زالَت على خَطَرِ

فقلتُ للعينِ أمَا كنتِ صادقةً ... إني ببشراك لي من أسعَدِ البَشَرِ

فما جزاؤكِ عندي لستُ أعرفه ... بلى جزاؤكِ أن تخلين بالنظرِ

وأحجبُ المقلةَ الأخرى وأمنعُها ... وجهَ الحبيبِ كما لم تأتِ بالخَبَرِ

(٣)

وممّا جاء في التوديعِ والفراقِ

●

وقال لبعضهم:

تمتّعْ من حبيبٍ بالوداعِ ... فما بعدَ الفراقِ منِ اجتماعِ

فلم أرَ في الذي لاقيتُ شيئاً ... أمرَّ من الفراقِ بلا وداعِ

قال بشّار:

إن الوداعَ من الأحبابِ نافلةٌ ... للظاعنين إذا ما يمّموا بلَدا

ولستُ أدري إذا شطّ المزارُ بهم ... هلْ تجمَعُ الدارُ أم لا نلتقي أبداً

قال الموسوي:

وأفجعُ الناس مَنْ سارت حبائبُه ... ولا عناقٌ ولا ضمٌّ ولا قُبَلُ

● **التوديع بالإشارة**

قال الأصمعي سمع أعرابياً يخاطب آخر **يقول**: شيعنا الحي وفيهم أدوية السقام فاشرنا بالحدق إلى السلام وجمدت الألسن عن الكلام. خرج رجل في سفر وكانت له ابنة عم يحبّها فقال:

ولما تبدّت للرحيل جمالُنا ... وجدّ بنا سَيْرٌ وفاضت مدامِعُ

أشارتْ بأطراف البَنان وسلّمتْ ... وأومتْ بعينَيْها متى أنتَ راجعُ

فقلتُ لها والقلبُ فيه حَرارةٌ ... فديتكِ ما علمي بما اللهُ صانِعُ

● **استطابة التوديع طمعاً في لقاءِ الحبيبِ**

قال شاعر:

وسهّلَ التوديعُ يومَ النوى ... ما كانَ قد وَعّرَهُ الهَجْرُ[1]

---

(١) **التوديع**: الوداع ـ **عزّ المكان**: جعله وعراً أي صعباً من الوعورة ووعورة الطريق ما يعترضها من صعوبة.

وقال:

ليس عندي خطبُ النوى بعظيمٍ ... فيه روحٌ وفيه كَشفُ غُمُومِ
إنّ فيه اعتناقةً لوداعٍ ... وانتظارَ اعتناقةٍ لقُدُوْمِ

وقال:

ولو فهم النّاسُ التّلاقي وحُسنَهُ ... لحُبّبَ من أجلِ التّلاقي التفرّقُ
فيا حسنَنا والدّمعُ بالدمعِ واشجٌ ... نمازَجُه والخدُّ بالخدِّ مُلصَقُ[1]
فلم ترَ إلا مخبِراً عن صبابةٍ ... بشكوى وإلا عَبرةً تترقرقُ
ومنْ قبلِ قبْلَ التلاقي وبعْدَه ... نكادُ بها من شدّة اللثمِ نَشرَقُ[2]

● **عذر تارك توديع محبوبِهِ**

كتب بعضهم: ما أعرضت عن تشييعك إلا استفظاعاً لتوديعك وما كرهت توديعك إلا كراهة تجديد العهد بفراقك. **قال البحتري:**

لا تعذلني في مسيـ ... ـركَ يوم سِرْت ولم ألاقِكْ
أنّي عرفتُ مواقفاً ... للبيْنِ تسفعُ غربَ ماقِكْ[3]
وعلمت أن لقاءنا ... سببُ اشتياقي واشتياقِكْ

قال الصنوبري:

بأبي من هربتُ من توديعِه ... وبعثتُ الدموعَ في تشييعِه

● **البكاءُ عند التوديع**

لما أراد عبد الملك الخروج إلى مصعب بن الزبير تعلقت به امرأته عاتكة فبكت وأبكت جواريها، **فقال عبد الملك:** قاتل الله ابن أبي جمعة حيث قال.

إذا ما أرادَ الغزْوَ لم يَثْنِ عَزمَهُ ... حصانٌ عليها نَظْمُ درٍّ يزينُها[4]
نهتْه فلمّا لم ترَ النهيَ عاقَه ... بكَتْ فبكى ممّا دهاها قطينُها[5]

وقال:

وممّا دهانِي أنّها يومَ أعرَضَتْ ... تولّت وماءُ العين في الجفن حائرُ[6]

---

(١) **واشج:** ممتزج. (٢) **نشرق:** نغصّ ـ **اللثم:** التقبيل.
(٣) **الغرب:** الدمع ـ **ماقك:** مخفّف: مآقيك.
(٤) **لم يثن عزمه:** لم يمنعه ـ **الحصان:** المرأة العفيفة.
(٥) **عاقه:** منعه ـ **القطين:** أهل الدار والخدم والأتباع.
(٦) **أعرضت:** صدّت وجفت ـ **ماء العين:** الدمع.

فلمّا أعادَتْ من بعيدٍ بنظرةٍ ... إليّ التفاتا أسلمتْه المحَاجِرُ

وقال آخر:

سقى الله رَكْباً ودّعوا يوم ودّعوا ... وعيْرُهم شوقي وحاديهم وَجْدي[(١)]

غداة مضَتْ واستوثقتْني عبْرةٌ ... أسائِلُ في سعدٍ عن القمر السعدي

- **إظهارُ التوجعِ لوداعِ الحبيبِ**

قال شاعر:

وداعُكِ مثلُ وداع الربيعِ ... وفقدُكِ مِثلُ انفِقاد الدِّيَم[(٢)]

عليكَ السلامُ فكم من وفا ... نفارقُه منكِ أو مَنْ كَرَم

قال أبو تمّام:

النّاسُ غيركَ ما تغيّر خيرتي ... لفِراقِهم هل أنجدُوا أم أغَارُوا[(٣)]

- **صعوبةُ لقاءِ الإبلِ للفراقِ**

لو تعلمُ العِيسُ ما في يوم بَيْنِهِم ... أبَتْ على السائقِ الحادي فلم تَسِرِ

كأنّ أيدي مَطَاياهُم إذا وخذتَ ... يَقعنَ في حرّ وجهي أو على بصرِي

قال المتنبيّ:

كأنّ العيسَ كانَتْ فوق جفْني ... مناخاتٍ فلما ثِرْن سَالا[(٤)]

وقد ذم بعضهم الإبل لما كانت سبباً للفراق فقال:

وما غرابُ البيْنِ إلا ناقةٌ أو جملُ

ونقضه جران العود فقال:

بأخفافِها يدْنو الفتَى من حبيبِه ... وتنقِذُه إن أذهلَتْه الشّدائدُ[(٥)]

- **ارتحالُ القلبِ بارتحال المحبّ**

قيل: إنْ بانَ أخوكَ بان شطرك. قطيعة الوصال قطع الأوصال. **قال الصنوبري**:

ذكروا أنّ الفراقَ غداً ... وفراقُ النفْس بعد غدِ

قال أبو تمّام:

قالُوا الرحيل فما شككْتُ بأنّه ... نفْسي عن الدنيا تريدُ رحيلا

---

(١) **العير**: الحمار الأهلي جمع أعيار ـ **الحادي**: سائق الإبل.

(٢) **الدّيم**: السحب الممطرة جمع ديمة.

(٣) **أنجدوا**: قصدوا أرض نجد ـ **أغاروا**: قصدوا الغور وأرض نجد عالية وأرض الغور منخفضة.

(٤) **مناخات**: باركة.

(٥) **الشدائد**: المواقف العصيبة ونوائب الدهر.

قال التنوخي:

كأنما كان عُمْري في اقترانك بي ... عاريةً فاستردتْه يَدُ البُعْدِ[١]

وكتب بعضهم يوم توديعك ودّعْتُ قلبي فهو يتصرف بتصرفك وينصرف بمنصرفك.

قال ابن الحجاج[٢]:

رحلْتُ وما علِمْتُ بأنّ قلبي ... على بعضِ الزوامل في الرحالِ[٣]

وقال آخر

لئن بعدَتْ عنك أجسادُنا ... لقد سافرت مَعَك الأنفُسُ

قال السلامي:

ما تنشدون وقلبي في رحالِكم ... هو الصواعُ وبعض العير سُرّاقُ[٤]

قال أبو تمام:

تكاد تنتقلُ الأرواحُ لو تركت ... من الجسوم إليها حين تنتقلُ

● **مَن ارتحل فخلّف قلبَهُ عِندَ حبّه. قال الخبزارزي:**

أنا غائبٌ والقلبُ عندَك حاضرٌ ... سافَرْتُ عنكَ وما الفؤادُ مسافِرُ

وقال آخر:

وإن يرتحِلْ جسْمي مع الركبِ مُكرَهاً ... يُقِمْ عندَه قلبي وأَمضِي بلا قَلْبِ

قال المتنبي:

فجُدْ لي بقلبٍ إنْ رَحلْتُ فإنّني ... أُخلِفُ قلبِي عند من فَضْلُهُ عِندي[٥]

ولو فارقتْ جسمي إليكَ حياتُهُ ... لقلتُ أصابَتْ غيرَ مذمومةِ العَهْدِ

● **شدّةُ الفرقةِ**

قيل لبعض الصوفية: لِمَ تصفرّ الشمس عند الغروب؟ **فقال:** خوفاً من الفراق وبه ألم. **قال الأستاذ الرئيس:**

لا تركنَنَّ إلى الودا ... ع وإن سكنتَ إلى العناقِ

---

(١) **العارية:** ما تملك منفعته بغير ضرر ـ **استردّت:** استرجعت.

(٢) **ابن الحجّاج:** شاعران هما: عبد الله بن الحجاج الثعلبي، من صعاليك شعراء العرب. اشتهر بشجاعته وتأييده عبد الله بن الزبير. مات سنة (٧١٩م)، والآخر من شعراء بغداد الذين اشتهروا بالغزل والمجون، ومات سنة (١٠٠١م).

(٣) **الزوامل:** جمع الزاملة وهي الدّابة من الإبل وغيرها يحمل عليها.

(٤) **الصواع:** الصّاع، إناء يشرب فيه.

(٥) **أخلف قلبي:** أتركه ـ يعبّر عن وفائه للمحبوب ويقول بأنني إذا ارتحلت تركت قلبي عند من أحبّ.

فـالـشـمْـسُ عـنـد غـروبِـهـا تـصـفـرُ مـن خـوفِ الـفِـراقِ

وقيل: ما أشد صدع الفراق بين الرفاق. وقيل بكف الفرقة تقدح نار الحرقة، كبدي بيد الشوق مخطوفة وعيني بقذى الفراق مطروفة. أنتنُ من ريح الفراق وأزكى من نسيم التلاق:

وما الدّهـرُ إلا هَـكـذا فـاصْـطِـبرْ لَـهُ رزيّـة مـالٍ أو فـراقُ خـلـيـلِ[1]

● الحَذَرُ من الفراق

قال أشجع:

ومـحـاذِرٌ لـلـبَـيْـنِ قـد وقـعَ الـذي يُـخْـشـى حـذارُه[2]

وقال آخر:

كـفـى حـزنـاً أنّ زوارَنـا لـوقْـتِ الـرّواحِ أرادُوا الـغُـروبـا
فـلـو كـنـتُ بـالـشـمْـسِ ذا طـاقـةٍ لـطـالَ عـلـى الـنّـاس حـتّـى تـغـيّـبـا

وقال:

وأُشْـفِـقُ مـن وشْـكِ الـفِـراقِ وإنّـنـي أظـنّ كـمـحـمـولٍ عـلـيـه مَـرَاكِـبُـهْ

● شِدَّة سَمَاع الفرقةِ

وقال أبو نواس:

طرحْـتُـم مـن الـتّـرحـال أمـراً فـغـمّـنـا فـلوْ قـدْ فـعلـتُـم صـبّـحَ الـموتُ بَـغْـضَـنـا

● كونُ الفرقةِ كالمنيةِ

قيل: لكل جليلة دقيقة ودقيقة الموت الفراق. **قال النميريّ**:

أن الـمـنـيّـةَ والـفـراقَ لـواحـدٌ أو تـوءمـان تَـرَاضـعـا بـلـبَـانِ[3]
فـي فـرقـة الأحـبـابِ شـغـلٌ شـاغـلٌ والـشـكْـلُ حـقـاً فـرقـةُ الإخـوانِ[4]

وقال أبو تمّام:

لـو حـارَ مـرتـادُ الـمـنـيّـةِ لـم يـجـدْ إلا الـفـراقَ عـلـى الـنّـفـوس دَلـيـلا

وقال المتنبيّ:

لـولا مـفـارقـةُ الأحْـبـاب مـا وَجَـدَتْ لـهـا الـمَـنـايـا إلـى أرواحِـنـا سُـبُـلاَ

---

(١) **الرزئة**: المصيبة العظيمة.

(٢) **البين**: الفراق **وقوله**: محاذر اسم فاعل من حاذر أي تحرّز.

(٣) **اللبان**: الصدر.

(٤) **يقول**: إن أكثر ما يشغل المرء مفارقة الأحبّة فهي ضرب من الثكل، والثكل فقد الابن فالرجل ثاكل والأم ثكلى.

● **بُغضُ الوقتِ الذي يعرضُ في الفراقِ**

وقال أبو تمام:

أن يـوم الـفـراق يـومٌ عـبـوسُ ... أيّ سيـلٍ تسيـلُ فيه النفوسُ
لـم أزلْ أبـغـضُ الـخـميـسَ ولـم أدْ ... رِ لماذا حتّى دهاني الخَمِيْسُ[1]

● **استقباحُ الحياةِ بعد ارتحالِ الحبيبِ**

وقال التنوخي:

إذا بـانَ مـحـبـوبٌ وعـاشَ محبُّه ... فذاكَ كذوبٌ في الهَوى غيرُ صَادِقِ

وقال:

أو ليس مِنْ إحْدى العجَائِب أنّني ... فـارقـتُـه وحَـيِـيْـتُ بـعْـدَ فِـراقِـهِ

● **اعتراضُ الفراقِ**

قال ابن الرومي:

أُخْـرِجْـتُ مـن جـنّـتـي مـفـاجَـأةً ... آمَـنُ مـا كـنـتُ فـي حـدائـقِـهَـا
بـيـنـا اسـتـمـاعـي هـديـلَ هـادلِـهـا ... إذ راعَ قـلـبـي نَـعِـيْـقُ نـاعـقِـهـا[2]

وأنشد المأمون قول العبّاس بن الأحنف:

هـمْ كـتـمُـونـي سـرَّهـم ثـمّ أزْمَـعـوا ... وقـالُـوا اتـعـدنـا لـلـرّواحِ فـبـكّـروا

فقال سخروا بابي أفضل أعزّه الله.

وقال إبراهيم بن العباس:

وزالتْ زوالَ الشَّمْسِ عن مستقرّها ... فمَنْ مُخبِري في أيّ أرضٍ غُرُوْبُهَا

● **مفارقةُ المحبوبِ قبلَ التمتّعِ به**

قال الخبزارزي:

استودِعُ اللّهَ أحباباً فُجِعْتُ بهِم ... بانُوا فما زوّدوني غيْرَ تعذِيْبِي[3]
بـانـوا ولـم يـقـض زيـدٌ مـنـهـم وَطَـرا ... وما انقضَتْ حاجةٌ في نفسِ يَعْقُوبِ[4]

وقال ابن الأحنف:

سـألُـونـا عـن حـالِـنـا كـيْـفَ أنـتُـم ... فـقـرنّـا وداعَـهـم بـالـسّـؤالِ
مـا أنـاخُـوا حـتّـى ارتـحَـلْـنـا فـمـا نـفـ ... ـرّقُ بـيـن الـنّـزول والارْتِـحَـالِ

---

(١) **دهاني**: انتابني، أصابني ـ **الخميس**: يوم الخميس **والخميس أيضاً**: الجيش الكبير المؤلف من خمس كتائب.

(٢) **راع قلبي**: أفزعه.

(٣) **زوّده**: أعطاه زاداً، **والزاد أصلاً** طعام السفر

(٤) **الوطر**: الحاجة.

وقال محمد بن أمية:

يـا فِـراقـا أتـى بُـعَـيْـدَ تـلاقِ ... واتّـفـاقـا جـرَى بـغـيْـر اتّـفـاقِ
حـيـنَ حـطّـتْ ركـابُـنـا لـتـلاقِ ... زمّـت الـعـيسُ مـنـهـم لـفـراقِ[1]
إنّ نـفـسـي بـالـشـام إذْ أنـت فـيـهـا ... ليْسَ نفسي نفسي التي بالعراقِ
أشْـتـهـي أن يـرَى فـؤادي فـيـدري ... كيفَ وجْدي بهم وكيفَ احتِراقي

● كونُ مَنْ تباعَد عن محبوبِهِ في غربةٍ

فلا تـحسَبي أنّ الـغريبَ الذي نـأى ... ولـكـنَّ مَـنْ تـنـأيْـنَ عـنـه غـريـبُ

وقال الخبزارزي:

أني لفي غُرْبَة مذْ غِبْتِ يا سَكَنِي ... وإن ظَلَلْتُ أرَى في الأهلِ والوطنِ[2]

قال المتنبيّ:

إذا تـرحّـلْـتَ عـن قـوم وقـد قـدَرُوا ... أن لا تـفـارِقَـهُـم فـالـرّاحـلـون هُـمُ

● التلفت إلى المحبوب بعدَ الارتحال عنه

قال شاعر:

مـا سِرْتُ مِـيلاً ولا جاوزتُ مرحلةً ... إلا وذكـرُكَ يـلْـوي دائـمـاً عُـنـقِـي

وقال المتنبيّ:

أفْـدي الـمـودّعـةَ الـتـي أتْـبـعْـتُـهـا ... نـظـراً فـرادى بـيـن زفـرات ثُـنـا[3]

قال ابن المعتزّ:

لـسـتُ أنْـسـى الـتـفـاتَـهُ حـيـنَ ولّـى ... والـتِـفـاتـي وقـدْ نـظَـرْتُ إلـيْـه
وكـلانـا مـن الـتـأسّـف والـوجْــ ... ــد عـلـى إلْـفـه يَـعـضّ يَـدَيْـه

● تسلُّط أيام البينِ على وصْلِ الأحبابِ

قال شاعر:

أرَقّ الـعـيْـنَ أن قـرّةَ عـيْـنـي ... دخـلـتْ بـيـنَـه الـلـيـالـي وبـيْـنـي

قال جحظة:

جـرَتْ نُـوَبُ الأيّـام بـيْـنـي وبـيـنَـه ... فـلـمْ يبْقَ إلا مـا أعِـيـدَ مـن الـذكْـرِ

وقال أبو تمّام:

عـبَـثَ الـفـراقُ بـعـيْـنِـهِ وبـقـلـبِـه ... عـبـثـاً يـروحُ الـجِـدّ فـيـه ويـغـتـدي

---

(١) زلّق: شدّت وربطت ـ العيس: الإبل.
(٢) السّكن: كلّ ما يستأنس به.
(٣) ثنا: من ثناء أي اثنين.

● **وصفُ الدهرِ والنّوَى**

قال محمد بن وهب:

إذا مـا سـمَـوْتُ إلـى وصْـلِـهِ ... تـعـرّضَ لـي دونـه عـائِـقُ
وحـاربَـنـي فـيـهِ ريـبُ الـزمـانِ ... كـأنّ الـزمـانَ لـه عـاشِـقُ

قال شاعر:

ملامُ النّوى في بُعْدها غايةُ الظلْمِ ... كأنّ بها مثلَ الذي بي من اللّوْمِ
فلو لم تعز لم تزوعني لقاءكم ... ولو لم تردْكم لم تكن فيكم خَصْمي[1]

وقال المتنبيّ:

أبى خلُقُ الدنيا حبيباً تديمُه ... فما طلَبي منها حبيباً تَرُدُّ

● **التحيّر لتفرّق الأحبابِ فرقتين**

قال أبو العتاهية:

أيـا كـبِـداً عـادتْ عـشـيّـةَ غـرّب ... من الشوقِ إثْرَ الظاعنين تصدعُ
عـشـيّـة مـا فـيـمـن أقـام يـغـرّبُ ... مقامٌ ولا فيما مضَى متشرّعُ
تـفـرّق أهـلانـا مـقـيـمـاً وظـاعـنـاً ... فـلـلّـهِ درّي أيّ قـومـي أتـبَـعُ
ينازعُني شوْقي أمامي وحاجَتي ... ورائي فما أدري بها كيفَ أصنَعُ

● **الرغبةُ في حِفظِ المودةِ عند الغيبةِ**

خرج عبد الملك بن صالح مشيّعاً لجعفر بن يحيى فاستعرض حاجاته **فقال**: قصارى كل مشيّع الرجوعُ، ولكني أريد من الأمير أن يكون كما **قال ابن الدمينة**[2]:

فكُوني على الواشِين لدّاءَ شغبةً ... كما أنا للواشي ألدّ شغوبُ[3]

فقال جعفر: أقول كما **قال جميل**: معاتبة القلب لاشتياقه إذا نأى وتلوّنه على الحبيب إذا دنا. **قال بعضهم**:

وخبّرتَني يا قلبُ أنّك ذو هوى ... بليْلى فَذُقْ ما كنْتَ قَبْلُ تقولُ
ومَنّيتَني حتّى إذا ما تقطّعَتْ ... قُوَى منْ قوى أغولْتَ كُلَّ عويلِ؟

وقال الخوارزمي:

ولـمـا سِـرْتُ عـنـك رأيـتُ نـفـسـي ... وبـيـن الـرجْـلِ والـقـلْـبِ اختصامُ

---

(١) **زوى الشيء زويًا**: نحّاه ومنعه، وزوى عنه حقّه منعه إيّاه.

(٢) **ابن الدمينة**: هو عبد الله ابن الدمينة شاعر بدوي أمويّ من بني عامر اشتهر بغزله وفخره، مات سنة (٧٤٧م).

(٣) **لدّاء**: مؤنث الألد، أي شديدة العداوة. **الشغوب**: الذي يهيّج مكامن الشرّ.

فذاكَ يقولُ منكَ السيرُ عنه ... وتلك تقولُ منكَ الاعتزامُ[1]

- **التحذيرُ من مفارقةِ الحبيب**

أترحلُ طَوْعَ النفس عمّن تحبُّه ... وتبكي كما يبكي المُفارِقُ عن قَهرِ
أقِمْ لا تَسِرْ والحزنُ عنك بمعزلٍ ... ودمعُك باقٍ في مآقيكَ لا يَجرِي

- **النَّدَمُ على مفارقتِهِ**

قال المهلّبي:

من ذا ألومُ أنا جنيتُ فراقَ من أبكي عليهِ

وقال قيس بن ذريح[2]:

ندمْتُ على ما فاتَ منّي فقدتَني ... كما نَدِمَ المغبونُ حينَ يبيعُ
فقدتك من قلبٍ شعَاعٍ فإنّني ... نهيتُكَ عن هذا وأنتَ جَمِيعُ[3]

قال المجنون:

فإنْ ترجعِ الأيامُ بيني وبينَها ... بذي الأثلِ صيفاً مثلَ صيفي ومربَعي[4]
أشدَّ بأعناقِ النوى بعدَ هذه ... مرائرَ إنْ جاذبتَها لم تقطَّعِ[5]

- **مَنْ ارتحَلَ عنه فأسرعَ العودَ شوقاً إليه**

قيل لجميل: أما سمعت قولَ ابن عمك زهير بن حباب:

إذا ما شِئْتَ أن تسلو خليلاً ... فأكثِرْ دُونَهُ عَدَدَ الليالي
فما سلى حبيباً مثلُ نأيٍ ... ولا أبلى جديداً كابتِذالِ[6]

قيل: فلو نأيت عنها لَسَلَوْتَ فخرج عنها ليلةً ثم رجع وهو يقول:

أشوقاً ولمّا تمضِ لي غيرُ ليلةٍ ... رُوَيْدَ الهوى حتى تَغِبَّ لياليا[7]
لحا اللّهُ أقواماً ما يقولون إنّنا ... وجدْنا طوالَ النّأي للحبّ شافِيا

خرج المهدي يريد منزل حسنة، فلما بلغ دارها وترفعت أستارها اشتاق إلى

---

(١) **الاعتزام**: مصدر اعتزم الأمر وعلى الأمر، أي أراد فعله.
(٢) **قيس بن ذريح**: من شعراء المدينة اشتهر بحبّ لبنى بنت الحباب. برع في فن التشبيب وأجاد في وصف لوعة الفراق. مات سنة (٦٨٧م).
(٣) **من قلب شعاع**: أي من قلب بدّده الخوف.
(٤) **ذو الأثل**: موضع ـ **المربع**: موضع الإقامة في الربيع.
(٥) **المرائر**: جمع مريرة وهي عزة النفس.
(٦) **سلى الحبيب**: نسيه ـ **النأي**: البعد ـ **أبلى الجديد**: جعله بالياً، أفناه.
(٧) **رويد**: مصدر أرود مصغراً، أي مهلاً ـ **تغب الليالي**: تتمهّل.

الخيزران فكَرَّ راجعاً وقال: وسوتاه من حسنة فإني والله أصابني كما أصاب مَن يقول:

بيـنـما نـحْـن بـالـبلاكـث فـالـقـا ع شراعـا والـعـيـس تـهـوي هـويّـا[1]
خطرت خطرةٌ على القلب من ذكراك وهـنـاً فـمـا اسـتـطـعـتُ مُـضـيّـا
قـلـتُ لـبـيْـكَ إذْ دعـانـي يـدُ الـشـو ق ولِـلْـحـادِيَـيْـنِ كُـرّا الـمـطـيّـا[2]

- **الشوقُ بَعيد الارتحالِ**

كان لأعرابي مملوك فاشتراه عراقيّ فلما ارتحل به بكى وأنشد:

أشَوْقـاً ولـمّـا تـمْـضِ لـي غـيرُ لـيلـةٍ فـكـيْـفَ إذا سار الـمـطـيُّ بـنـا عَـشْـرَا
أخوكُـم ومولاكـم وصـاحـبُ سركُـمْ ومـن قـد نـشَـا فـيـكُـم وعـاشَـرَكُـمْ دَهْـرَا

فقال له المشتري الحق بأهلك.

وقال المتنبي:

أرى أسَـفـاً ومـا سِـرْنـا قـلـيـلاً فـكـيْـف إذا غـدا الـسـيْـر ابـتِـراكـا[3]
فـهـذا الـشـوقُ قـبْـلَ الـبـيْـنِ سـيـفٌ وهـا أنـا مـا ضـربـتُ وقـدْ أحـاكـا[4]

قال أشجع:

فـهـا أنـتَ تـبْـكـي وهُـمْ جـيـرَةٌ فـكـيْـف تـكـونُ إذا ودّعـوا

قال أبو فراس:

حـمـلـتُ هـواكَ لا جَـلَـداً ولـكـن صَـبَـرْتُ على اختيـارِك واضْـطِـراري

- **المفارقةُ كرْهاً**

قال الماني:

لا تُـنْـكِـرَنَّ رحِـيـلـي عـنْـك فـي عَـجَـلٍ فـإنّـنـي لـرَحـيـلٍ غـيـرُ مـخـتـارِ
وربّـمـا فـارقَ الإنـسـانُ مـهـجـتَـهُ يـومَ الـوَغـا غـيـرَ قـالٍ خِـيـفَـةَ الـعَـارِ

- **كراهةُ فراقِ مَن صحبتهُ كُرْهاً**

قال شاعر:

أقَـمْـنـا كـارهـيـن لـهَـا فـلـمّـا ألِـفْـنـاهـا خـرَجـنـا مـكـرهـيـنـا
ومـا شَـعـفَ الـبـلادُ بـنَـا ولـكِـن أمرُ الـعـيْـشِ فِـرْقَـةُ مَـنْ هَـوَيْـنَـا[5]
خـرجْـتُ أقِـرّ مـا قـد كـنـت عـيـنـا وخـلّـفْـتُ الـفـؤادَ بـهـا رهـيـنـا

---

(١) **بلاكث:** موضعان واحد بين المرّ وشبكة الروم فوق خيبر، وآخر أو بلاكث الثانية بين غزة ومدين، وكلاهما على طريق مصر.

(٢) **لبيك:** أي البابا بك وإقامة على طاعتك ـ **الحاديان:** مثنى الحادي وهو سائق الإبل.

(٣) **غدا السير ابتراكا:** أي غدا ذا سرعة. (٤) **أحاك:** أثر.

(٥) **شعف البلاد بنا:** ارتفع حبها إلى أعلى مراتبه ـ **أمرّ العيش:** أكثره مرارة.

وقال:

وَكَمْ مِنْ زائرٍ بالكُرْهِ منّي ... كرهْتُ فراقَه بعد المَزَارِ

● مَنْ عَمَّ الغمُّ بفراقِهِ

قال نفيلة الأشجعي:

فلمّا أن دنا منّا ارتحالٌ ... وقرّب ناجياتُ السيرِ كومُ[1]

تحاسَر واضحات اللون غرّ ... على ديباج أوجهِها النّعيمُ

فقائلة ومثْنِية علينا ... تدورُ ومالُنا فيها حَميمُ

وقال المتنبيّ:

رحلتُ فكَمْ باك بأجفان شادنٍ ... عَلَيَّ وكم رانٍ بأجفانِ ضيْغَم

وما ربّة القُرْطِ المليحِ مَكانُه ... بأجزعَ من ربّ الحُسام المصمِّمِ[2]

● مَنْ لم يبالِ بالفراق لكثرةِ ما دهاه

قال المتنبيّ:

وفارقْتُ حتّى ما أبالي من النّوى ... وإنْ بانَ جيرانٌ عَلَيَّ كِرَامُ

فقد جعلتْ نفْسي على النّأي تنْطوي ... وعيْني على فقدِ الصديقِ تَنَامُ

وقال:

رَوّعْتُ بالبيْن حتّى ما أُرَاعُ له ... وبالمَصَائِبِ في أهْلي وجِيراني

وقال:

وما أنا بالمُسْتَنكِرِ الْبَيْنَ إنّني ... بذي لطفِ الجِيران قِدْماً مُفَجَّعُ

● الشاكي كثرة ما يعرض له من فرقة الأحباب

قال شاعر

كأنّا خلقنا للنّوى فكأنّنا ... حرامٌ علَى الأيّام أنْ نجْتمعَا

وقال علي بن عبد العزيز:

كأنّ البيْنَ مختومٌ علَيْنا ... فليْس سِوى التّلاقِي والوَداعِ

---

(١) الناجيات: النوق السريعة ـ الكوم: القطعة من الإبل.

(٢) ربّة القرط: صاحبته، والقرط حلية تزين بها الأذان ـ الحسام: السيف. يقول: لم تكن المرأة بأكثر جزعاً على فراقي من الرجل.

(٤)
ومِمّا جاءَ في الهجرانِ

●

● الهجْرانُ سبَب التسلّي

الـهَـجْـر مـفـتـاح الـسـلـوّ وطـولُ الـعَـهْـدِ يَـقْـدَحُ فـي الـقُـلُـوبِ

قال بشار:

ولا يلبَثُ الهجْرانُ أن يقطَع النّوى ... إذا لَمْ تطالِعْ آلفاً أو يُطالِعُ

وقال العبّاس:

راجِعْ أحبّتَكَ الذينَ هَجرْتَهُمْ ... إن المُتيَمَ قلّما يتجنّبُ

إنّ الصدودَ إذا تمَكّنَ منكما ... دبّ السلوُّ له وعَزَّ المَطْلَبُ[(١)]

● تعظيمُ الهجرانِ

قال ابن الجهم:

بما بينَنا من حرمةٍ هل رأيتُما ... أرَقّ من الشكْوى وأقسَى من الهَجْرِ

وقال آخر:

ومَوْتُ الفتى خَيْرٌ له من حياتِهِ ... إذا كان ذا حالَيْن يصْبو ولا يُصْبي[(٢)]

إلا أن هـجـران الـحـبـيـب هـو الأثـمُ

● إظهارُ الندمِ على هِجْرانِ الحَبيبِ

قال شاعِر:

هَجَرْتُكَ أياماً على الغَمْرِ إنّني ... على هجْر أيام بذي الغَمْر نادمُ[(٣)]

وإنّي وذاكَ الهَجْرُ لو تعلمينَهُ ... كعازِبَةٍ عنْ طِفْلها وهي رائِمُ[(٤)]

● الحاسدُ لِمَنْ يواصِلُه محبوبُهُ

قال أبو صخر الهذَلي:

لَقَدْ تركتني أحسُدُ الوَحْشَ أنْ أرَى ... أليفَيْنِ منها لا يَروعُهُما الدّهْرُ

وقال آخر:

فيا ليْتَ أنّ اللّهَ إذا لَمْ ألاقِها ... قضَى بيْن كلّ اثنيْنِ أنْ لا تلاقِيا

---

(١) الصدود: الإعراض والميل عن الشيء. (٢) يصبو ولا يصبي: يشتاق ولا يشوّق.

(٣) الغَمْر: جمع غمور وهو الليل الشديد الظلمة، والغِمر (بكسر العين): العطش أو الحقد ـ ذو الغمر: موضع.

(٤) العازبة: البعيدة ـ رائم: ورائمة تعطف على رضيعها.

وقال ابن العميد:

لا يهنأ العاشقين أني ... منفردٌ بالغرام وَخدِي

- **من لا يلتذُّ بالوصلِ خيفةَ الهَجْر**

قال العباس:

إذا رضيت لم يهنني ذلك الرّضا ... لعِلمي يوماً أن سيتبعه عَتْبُ

وقيل: لا تغترّ بصفاء الألفة فإنها منكشفة عن كدر الفرقة. وقيل إذا ساعدك الدهر بوصل محبوب، فاعلم أنه قد غرّ وضرّ. وقال سعيد الكاتب:

ما كنتُ أيامَ كنتِ راضيةً ... عني بذاك الرضا بمغتبطِ

علماً بأن الرّضا سيتبعه ... منكِ التجنّي وكثرةُ السُخَطِ[1]

- **نفيُ الانتفاعِ بقربِ الدارِ مع الهجرانِ**

قال إبراهيم:

دنت بأناس عن تناءٍ زيارةٌ ... وشطَّ بليلى عن دنوّ مزارُها

وإنْ مقيمان بمنقطِع اللوى ... لا قربَ من ليلى وهاتيك دارها[2]

وقال آخر:

رأيت دنوّ الدار ليْسَ بنافع ... إذا كانَ ما بيْنَ القلوب بَعيدُ

قال العبّاس:

كفى حزناً أن التباعدَ بيْننا ... وقد جمعتْنا والأحبّةُ دارُ

قال عبد الوهاب:

البعْدُ منهم على رجائِهم ... أنفعُ من هجرِهم إذا حضَروا

- **الإعراضُ عن الحبيبِ خشيَةَ الرقيبِ**

قال الشاعر:

وما هجرَتْكِ النفس أنك عندها ... قليلٌ وإن قد قلّ منك نصيبُها

ولكنّهم يا أملحَ الناسِ أولعوا ... بقولٍ إذا ما زُرتُ، هذا حبيبُها

وقال:

ولما رأيتُ الكاشحين تَتبّعوا ... هواناً وأبدوا دونَنا نَظَراً شَزْرا[3]

جعلتُ وما بي من جَفاءٍ ولا قِلى ... أزورُكم يوماً وأهجرُكُمْ شهراً[4]

---

(١) **التجني**: الاعتداء.

(٢) **اللوى**: موضع.

(٣) **نظر نظراً شزراً**: نظر بمؤخر عينه غضباً.

(٤) **القِلى**: البغض.

وقال الأحوص:

يا بيتَ عاتكةَ التي أتغزّلُ حذرَ العِدى وبه الفؤادُ مُوَكّلُ

وقال:

أمرّ مُجانِباً عن بيتِ ليلى ولم ألمم بِهِ وبِهِ القليلُ

وقال آخر:

أزور بيوتاً لاصقاتٍ ببيتِها ونفسي في الدّارِ التي لا أزورُهَا

- **الهجرانُ لرضا الحبيبِ**

وقال مُسْلِم:

إن كان هجرانُنا يطيبُ لكُمْ فليس للوَصْل عندنا ثَمَنُ

قال المتنبّي:

إن كان سَرّكُمْ ما قالَ حاسِدُنا فما لجُرحٍ إذا أرضاكُمْ ألَمُ[1]

وقال آخر

سررتُ بهَجْرِك لمّا علِمْتُ بأنّ لقلبِك فيه سرورا

وأنّي أرى كلّ ما ساءَني إذا كانَ يُرضيكَ سهْلاً يسيرا

- **استِطابة قليلِ الهجْرِ بين المتحابين**

قال الخثعمي:

ولم أرَ مثلَ الصدّ أحسنَ منظراً إذا كانَ ممّن لا يخافُ على الوَصْلِ

وقال المتنبّي:

وأحلى الهوى ما شَكّ في الوصْل ربُّه وفي الهَجْر فهو الدّهرَ يرجو ويتّقي[2]

وقال:

إذا لمْ يكن في الحُبّ سَخْطٌ ولا رِضَا فأينَ حَلاواتُ الرسَائلِ والكُتُبِ

- **هجرانُ الحبيبِ صيانةٌ للنفسِ**

قال أحمد بن يوسف:

تركْتُكَ والهجْران لا عَنْ ملالةٍ ورددتُ يأساً من إخائكَ في صَدْري

وألزمْتُ نفسي من فراقِك خِطّةً حَمَلْتُ لها نفسي على مَرْكبٍ وعْرِ[3]

---

(١) هذا البيت من قصيدة للمتنبي في غياب سيف الدولة، وقوله: حاسدنا إشارة إلى أبي فراس الحمداني ابن عم سيف الدولة الذي كان يتهجم على المتنبي وينتقده في كلّ مناسبة.

(٢) يقول أجمل الحبّ وأمتعه هو المفروشة دربه بالصعاب.

(٣) المركب الوعر: الصعب.

وإنّي وإن رَقّتْ عليكِ ضمائِري ... فما قدر حبّي أن أُذِلّ لها قدْري

قال الخبزارزي:

إذا لَمْ يكُن في الوصْل روحٌ وراحَةٌ ... هجرت وكانَ الهجْرُ أشفَى وأسْلَما

وقال آخر:

ومنْ لمْ يطِق صبْراً على النأي يستعنْ ... بهَجرٍ وبغضُ الشر يُدْفَعُ بالشّرِ

كما لا يُرَى أوْفَى من الوصْل في الهَوى ... كذا لا يُرَى في القدر أسْلَى من الهَجْرِ

● **المعتقدُ رضا حَبيبِهِ في الباطِن وإن سخطِ في الظّاهِرِ**

قال مسلم بن الوليد:

وراضي القلب غضبانُ اللسان ... له خلقَان ما يتشابَهان

يسرُّ مودّتي ويُطِيلُ هجْري ... ويمزُجُ لي المودّة بالهَوَانِ[1]

وقال:

ودُه ودّ صَحيحٌ ... وهو عنّي ذو انقباضِ

فعلَى الظاهر غضبا ... نُ وفي الباطِنِ راضي

● **تضجرُ مَن يواصلُهُ بغيضٌ ويصارُمه حبيبٌ**

أعاشر في ذي الدّار منْ لا أودّه ... وفي الرّمْل مهجورٌ إلى حبيبِ

قال الحطيئة[2]:

يبْغِضُ منّا من نحِبّ لقاءَه ... ويجمَع منّا بيْن أهلِ الضّغائِنِ[3]

قال المتنبي:

أفجعُ بالعِلْقِ الضّنين وإنّني ... بمَن لا أبالي هلكَه لَمُمَتّعُ

وله:

ما تغلط الأيامَ فيّ بأنْ أرى ... بغيضاً تناءَى أو حبيباً يقرُبُ

وقال:

تباعَدُ ممّن واصلت فكأنّها ... لآخرَ ممّن لا تودّ صديقُ

---

(١) **الهوان**: الذلّ.

(٢) **الحطيئة**: مات نحو ٦٧٨ شاعر مخضرم من بني عبس امتاز بالهجاء وكان هجاؤه مقذعاً ومتهكماً (انظر ديوانه ــ منشورات دار الأرقم).

(٣) **الضغائن**: جمع ضغينته، إلى حقد.

وقال الزبير:

جبلوا على إكرام مبغضهم ... وعلى التهاون بالذي يهوى

● **تأسفٌ من هجرِ محبوبه**

قال شاعر:

لو كنتِ عاتبةً لسكّنَ عبرتي ... أملي رضاكِ وزرتُ غيرَ مُجانِبِ

لكنْ مللتِ فلمْ تكنْ لي حيلةٌ ... صدُّ الملولِ خلافُ صدِّ العاتِبِ

قال البحتري:

وكنت أرى أنّ الصدودَ الذي مضى ... دلالٌ فمَا أن كانَ إلا تجنّبا

فوا أسفي حتى مَ اسألُ مانِعاً ... وآمنُ خوّاناً وأعتِبُ مُذْنِبا

● **عدمُ الثقةِ بالمحبوبِ**

قال المجنون:

فأصبحتُ من ليلى الغداةَ كقابضٍ ... على الماء خانتْه فُروجُ الأصابِعِ

وله:

فأصبحتُ من ليلى الغداةَ كناظرٍ ... مع الصبحِ في أعقابِ نَجمٍ مُغربِ

● **شكوى الحبيبِ لهجرانه بعد ذهابه:**

أبكي الذين أذاقوني مَودّتَهم ... حتى إذا أيقظوني للهوى رقَدُوا

قال ابن الجهم:

أزْحنَ رسيسَ القلبِ عن مُستَقرّه ... وألهَبْن ما بيْن الجوانحِ والصدْرِ[1]

ألا قبلَ أن يبدو المشيبُ بدأنني ... بيأسٍ مُبينٍ أو جَنحْنَ إلى الغدْرِ

وقال جرير[2] لبعض من صحبه: من أشعر العرب؟ قال: كثير في قوله:

وأدنيتِني حتى إذا ما مَلَكْتِنِي ... بقولٍ يحلّ العصْمَ سَهْلَ الأباطِحِ[3]

تناءيتِ عنّي حينَ لا لي حيلةٌ ... وغادرتِ ما غادرتِ بيْنَ الجَوانِحِ[4]

قال بل قول هشام:

أشرعت لي مَوْرداً أعيَتْ مصادِرُهُ ... فلَسْتُ أدري أأمضي فيهِ أم أقِفُ

---

(١) رسيس: ثبات وصمود.

(٢) جرير: شاعر أموي وُلد في اليمامة. كنيته أبو حزرة امتاز بالهجاء ولا سيما هجو خصميه الأخطل والفرزدق وقد كوّن معهما المثلث الأموي.

(٣) الأباطح: جمع بطحاء، مسيلٌ واسع فيه رمل ودقائق الحصى.

(٤) تناءيت: تعمّدت الابتعاد.

● **شكوى بُخلِ المَحبوبِ**

قال شاعر:

لقد بخلَتْ حتى لَوَانّي سألتُها ... قذى العيْن من سافي التّراب لضَنّت
كأني أنادي صخرةً حين أعْرَضَتْ ... من الصمّ لو تمْشي بها العُصْم زَلّتَ(١)
وإنّي وتهيامي بعزّةَ بعْدَما ... تخلّيْتُ ممّا بينَنا وتخلّتِ
لكالمبتغي ظِلّ الغَمامَة كلّما ... تبوّأ منها للمقِيل اضمحلّتِ

وقال البحتري:

ألفَ الصدودَ فلو يمرُّ خيالُه ... بالصبّ في سِنَةِ الكرى ما سلّما

● **التلوّنُ بما يسلي المحبَ**

تمثل شريح لامرأته بقول مالك بن أسماء:

خُذي العفوَ منّي تستديمي مودّتي ... ولا تنطُقِي في سورةٍ حين أغْضَبُ(٢)
فأني رأيتُ الحُبّ في الصّدرِ والأذى ... إذا اجتمَعا لم يلبَثِ الحبُّ يَذْهَبُ

وقال:

يراك ويهوى من يقلّ خلافُه ... وليس بمحبوبٍ حَبِيبٌ يخالِفُ

● **التواءُ المحبوبِ على محبّهِ ومخالفتُه لهُ في أحوالِهِ**

قال شاعر:

شكوْتُ فقالَتْ كلّ هذا تبرّما ... بحبّي أراحَ اللّهُ قلْبَكَ من حُبّي
فلمّا كتمتُ الحُبَّ قالَت لشدّ ما ... صبرْتَ وما هذا بفعل شجيّ القلبِ
وأدنو فتُقْصِيني فأبعِدُ طالباً ... رضاها فتعتدّ التباعُدَ من ذَنْبي
فشكواي يؤذيها وصبْري يؤودُها ... وتجزَع من بعْدي وتنفُرُ من قُرْبي(٣)

وقال:

إن التي عذّبَتْني في محبّتها ... كلّ العَذاب فمَا أبقَتْ وما تَركَتْ
عاتبتُها فبكَت فاستعبَرَت جَزَعا ... عيْني فلما رأتني باكيَاً ضَحِكَتْ
فعدتُ أضحَكُ مسروراً بضِحْكتِها ... منّي فلمّا رَأَتْنِي قد ضحِكْت بكَت
تهْوى خِلافي كمَا حثّتْ براكِبِها ... يوماً قلوصٌ فلمّا حثّها بَرَكَتْ(٤)

---

(١) زلّت: وقعت.

(٢) السورة: الحدّة والغضب ـ تستديمي المودّة: تجعليها دائمة ومستمرة.

(٣) يؤودها: يعطفها ويحنيها يقال: آده أثقله، وآد العود عطفه وحناه ـ تجزع: تخاف.

(٤) القلوص: الناقة السريعة.

● **المتأسفُ لِقلَى حبيبِهِ له**

قال النميري:

رأيتُ صدوداً وانقباضَ مودةٍ ... ونكراءَ من هُجْرانهم حَدَثَت بَعْدي[1]
أما لو يُطيعُ القلبُ أو يصْفَحِ الهَوَى ... لنا عنك جازَيْناك بالهَجْرِ والصّدِ

وقال آخر:

وما سُعْدَى وإن كَرُمَتْ علينا ... وكان لِذِكْرِ سُعْدَى يُسْتَطَارُ[2]
بأقرب في المودّة من سُهَيْلٍ ... وفي وجْهَيْه للنّجم ازورارُ
يفرّ من النجوم لغيرِ شيءٍ ... لعمر أبيك طالَ به الفرارُ

● **وصف الحبيب بالتلون**

قال بعضهم لأن أبتَلى بألف لجوج جموح أحبُ إليّ من أن أبتلى بمتلوّن. **قال دعبل:**

أني وجدتُكِ في الهوى ذوّاقةً ... لا تصْبرين على طَعامٍ واحدِ

وقال آخر:

يا عتبُ لم أهجرْكم لملالَةٍ ... عرَضَتْ ولا لمَقالِ واشٍ حاسدِ
لكنني جرّبْتُكُم فوجَدْتُكم ... لا تصْبِرون على طعامٍ واحدِ

(٥)

وممّا جاء في البكاء والدُّمُوع

●

وصف قطرات الدموع:

كاللُؤلؤ المسحور أغْفِلَ في ... سِلْكَ النّظامِ فخانَه النّظْمُ

قال الأعشى:

كما فرّق السّلْكُ من نظْمه ... لآلىءَ منحَدراتٍ صِغَارَا

وقال:

وكأنّ الدمعَ درٌ جامدٌ ... والدّمَ الجَاري عقيقٌ قد جَمَدْ[3]

وقال:

فدمعَتي ذَوبُ ياقوتٍ على ذَهَبٍ ... وَدَمْعُهُ ذَوْبُ درٍّ فَوقَ يَاقُوتِ

---

(١) **الصدود:** الإعراض ـ **الانقباض:** الاعتزال والجفاء.

(٢) **يستطار:** يتفرّق. (٣) **العقيق:** الخرز الأحمر.

دخل أبو نواس على جارية الناطفي وكان قد ضربها مولاها فقال:

إنّ عنانا أسبلَتْ دمْعَها ... كالدرّ إذ ينسَلّ من خَيْطِهِ
فليتَ من يضرِبُها ظالماً ... تيْبَسُ يُمْناهُ على سوطِهِ

قال خالد الكاتب:

ما زِلْتُ أنكرُ ما ألْقى وأجْحَدُهُ ... فاستشهد العاذلون الدمعَ والنَفَسا

أنشد أبو السائب القاضي قول جرير:

أنّ الذين غدَوا بلبّك غادرُوا ... وشلاً بعينِك لا يزالُ معينا[1]
غيّضْنَ من عَبَرَاتِهنّ وقلْنَ لي ... ماذا لقيتَ من الهوى ولقِينا

فحلف أن لا يرد على أحد سلامه يومه إلا بالبيتين ونحوه.

ولبعضهم:

ولمّا تلاقينا جرَتْ من عيوننا ... دموعٌ كَفَفْنا غرْبَها بالأصابعِ[2]

رأى الرشيدي كتابة في جدار قصر دجلة:

ومالي لا أبكي بعَيْنٍ حزينةٍ ... وقد قُربَتْ للظاعنين حُمُولُ

وتحته مكتوب: ايه ايه ايه. فجعل يسأل أصحابه عن المكتوب تحته فلم يعرفوه فقال الربيع إنما أراد حكاية البكاء.

وقال آخر:

فلو أن خدّاً كان من فيْض عبرةٍ ... يرى معشباً لاخضرّ خدّي وأعشبا

قالت فاطمة بنت الأحجم:

كأنّ عيني لمّا أن ذكرتُهم ... غُصنٌ يراح من الطّرْفاء مَمْطُورُ[3]

وقال آخر:

نبيت كأنّ العينَ أفنانُ سدرةٍ ... عليها سقيطٌ من ندى الطلّ ينطفُ[4]

● **جعلُ البكاءِ كسحابٍ وقطرٍ**

قال كثير:

كأنّ إنسانَها في لجّةٍ غَرِق

وقال ابن الحاجب:

كأنّ السحابَ الغُرّ حشو جفونِهِ ... إذا انهمَلَتْ من عينِه عَبَرَاتُها

---

(١) **الوشل**: القليل من الماء، ومن وشل الماء سال وقطر، والوشول الضعف.

(٢) **كفّ الدمع**: منع انحداره ـ **الغرب**: النشاط والحدّة.

(٣) **الطرفاء**: ضرب من الشجر.

(٤) **الأفنان**: الأغصان جمع فنن ـ **السدرة**: واحدة السدر ـ **السقيط**: ما يسقط ـ **الندى**: الطلّ ـ **ينطف**: يقطر.

وقال الدمشقي:

علّمتُ إنسان عَيْني أن يعومَ فقد ... حارَت سبَاحَتُهُ في ماءِ دمْعتِهِ

- **تشبيهُ الدمعِ بماءٍ يتصبَّبُ**

قال شاعر:

فعَيْناك غَرباً جدولٍ في مفاضِه ... كمرِّ خليجٍ في صفيحٍ مُنْصَبِ

وقال علقمة:

لِلْمَاء والنّار في قلبي وفي كبدي ... من قِسْمَةِ الشَّوْق ساعورٌ وناعورُ[1]

- **وصفُ الدمعِ بأنه يُستغنى به عن الماء لكثرتِهِ**

لا أبتَغي سقيا السحابِ لها ... في مقلَتي خلفٌ عن السُقْيا

وقال ابن المعتمر:

مررتُ على الفُرَات وليس تجري ... سفائِنُهُ لنُقْصَانِ الفُرَات

فلمّا أن ذكرتُكَ فاضَ دمعي ... فأجراهنَّ جَرْيَ العاصفاتِ

قال ابن طباطبا:

فمَا مدّ واديكم ولان أديمُهُ ... ولكِنَّني أمددتُهُ بدُموعِي

- **الدموعُ المؤثرةُ في الخدود**

قال إبراهيم بن المهدي:

فلو أن خدّاً كان من فَيْضِ عَبْرَةٍ ... يرى معشِباً لاخضرّ خدي وأعْشَبَا

قال ابن حاجب:

وقد راحَ خدّي من دماء مدامعي ... كأنّ عليه هدبُ ثوبٍ مُعَصْفَرِ[2]

- **دموعٌ مؤثرةٌ في العينِ**

قال بعضهم:

استبقِ دَمْعَك لا يُودِي البُكاءُ بهِ ... واكفف مدامعَ من عينيك تَسْتَبِقُ

ليس الشؤونُ على هذا بِباقِيَةٍ ... ولا الجُفون على هذا ولا الحَدَقُ

قال المتنبي:

كأن جُفوني على مقلَتي ... ثيابٌ شُقِقْنَ على ثاكِلِ[3]

---

(١) الساعور: النار ـ الناعور: الجرح يفور منه الدم.

(٢) مُعَصفر: مصبوغ بالعصفر وهو أصفر اللون.

(٣) الثاكل: من فقد ابنه.

- **دَمْعُه ممزوجٌ بالدمِ**

قال شاعر:

مَزَجْتُ دموعَ العَيْنِ منّي يومَ بانُوا بالدّماءِ وكأنّما مَزَجْتُ بِخَدّي مُقْلَتِي خَمْراً بِمَاءِ

- **استحسانُ الدمعِ على خدِّ المحبوبِ**

قال المتنبّي:

جَرَتْ عَبَرَاتٌ في الخُدود بأثْمِدِ فعادَ به الوردُ الجنيّ شَقَائِقَا[1]

وقال آخر:

فكأنّها والدّمْعُ يقْطرُ فوقَها ذَهَبٌ بِسِمْطَي لؤلوءٍ قد رصِّعا[2]

- **استجلابُ البكاءِ بذكر المحبوبِ**

قال العبّاس بن الأحنف[3]:

وإذا عصَاني الدّمْع في إحدى ملمّاتِ الخُطُوبِ

أجريتُهُ بتذَكّري ما كانَ من هجْرِ الحبيبِ

قال أبو حيّة النمري:

آمُلُ أن أراه لَعَلّ جفْني يعاوِدُهُ برؤيتِه كَراهُ

ويمنعُ ناظِري نَظَرِي إليْه فَعَال مُوارِب لي مِنْ هَواهُ

- **الاستعانةُ في البكاءِ بالغيرِ**

نزفَ البكاءُ دموعَ عينكَ فاستعِرْ عيناً لغيرك دَمْعُهَا مِدْرَارُ

من ذا معيرُكَ عينَهُ تبكي بها أرأيتَ عيناً للبكاء تُعَارُ

ومثله:

فهَل منْ مُعيرٍ طرفِ عيْنٍ جليّةٍ فإنسانُ عينِ العامريّ كليمُ[4]

أخذه من ملح الهذلي:

ولتلتَمِسْ عيناً سِوى العينِ إذ ذهبَت بجَاري دَمعِكَ المترقْرقِ

وقال آخر:

ولي كبِدٌ مقروحَةٌ من يبيعني بها كبِداً ليسَت بذات قروحِ

أباها على النّاس لا يشيرونَها ومن يَشْتري ذا علّةٍ بصَحيحِ

---

(١) **العبرات**: الدموع ـ **الإثمد**: الكحل. (٢) **السمط**: العقد.

(٣) **العبّاس بن الأحنف**: شاعر غزل بغدادي كنيته أبو الفضل وله أخبار مع الرشيد كانت وفاته سنة (٨٠٨م).

(٤) **إنسان العين**: بؤبؤ ـ **كليم**: جريح.

وقال آخر:

خليليّ ألاّ تبكيا لي أستعن ... خليلاً إذا أنزفتُ دمعاً بكى ليا

● **الشكايةُ من انقطاعِ الدمِ**

قال كثيِّر:

أقولُ لدمعِ العينِ أمعِن لأنّه ... بما لا يُرى من غائبِ الدّمع يَشهَدُ

قال عليّ بنُ جميلة:

ولم أرَ مثلَ العينِ ضنّت بمائِها ... عليّ ولا مِثلي على الدّمع يُحسدُ

قال آخر:

نزفَتْ دَمعِي وأزمَعتُ الرحيلَ غداً ... إذا رحلَتْ ودمعُ العينِ مكفُوفُ

ومما يقرب من هذا الباب في الاعتذار للدمع قول الوزير **أحمد بن إبراهيم**:

لا تحسبينَ دمُوعي البيضَ غيرَ دمِي ... وإنّما نفسِي الحامِي يصعِّدُهُ

● **اعتذارُ منْ أظهرَ البكاء**

قال بعضهم:

أتتني تؤنّبني بالبُكاءِ ... فأهلاً بها وبتأنيبِهَا

وقالَتْ وفي قولِها حِشمةٌ ... أتبكي بعينٍ تَراني بِهَا

فقلتَ إذا استحسَنتْ غيرَكُمْ ... أمرتُ الدموعَ بتأديبِهَا

وقال آخر:

ردّ الجموحِ الصّعبِ أيسَرُ محملاً ... مِنْ رَدِّ دمعٍ قد أرادَ مَسِيلا

وقال كشاجم:

أظنّ دمعِيَ مثلِي به كلِفا ... مستأسَراً في يَدَيْ محبّتهِ[1]

● **سترُ البُكاء**

قال بشّار لأبي العتاهية: أنا والله أستحسن قولك في اعتذارك للدمع:

كم من صَديقٍ لي أسا ... رِقُه البكاءَ من الحياءِ

فإذا تفطّنَ لامَني ... فأقولُ ما بِي من بُكاء

لكنْ ذهبتُ لارتدى ... فطرفتُ عيني بالرّداء

فقال أبو العتاهية ما لُذتُ إلا بمعناك حيث تقول:

وقالُوا: قد بكيتَ فقلتُ: كلا ... وهل يبكي من الطّرَبِ الجليدُ

ولكنْ قد أصيبُ سواد عيني ... بعودِ قذى له طرفٌ حديدُ

---

(١) كلفاً: تعلقاً وحباً شديداً.

فـقـالُـوا مـا لـدمْـعِـهِـمـا سـواء أكـلـتَـي مـقـلـتَـيْـك أصـابَ عـودُ

وقال:

ولـمـا أبـت عـيْـنـاي أن تـكـتُـمـا الـبُـكـى وأن تحبِسا فيْضَ الدّموعِ السّواكبِ[1]

تـشـاءبْـتُ كـيْ لا يـنـكـرَ الـدمـعُ مُـنـكِـرٌ ولـكـن قـلـيـلاً مـا بـقـاءُ الـتـثـاؤبِ[2]

- **إفصاحُ الدمعِ بالسرّ**

قال البحتري:

وحـقُّ الـذي فـي الـقـلْـبِ مـنـك فـإنّـه عظيمٌ لقد حَصَّنْتَ سرّكَ في سرّي

ولـكـنـمـا أفـشـاهُ دمـعـي وربـمـا أتى المرءَ ما يخشاهُ من حَيْثُ لا يدْري

قال المخزومي:

فـإنْ يـكُ سـرٌّ قـلـبـك أعْـجَـمـيـاً فـإنّ الـدمـعَ نَـمّـامٌ فَـصِـيْـحُ

وقد استحْسِنَ للمتنبي قوله:

ونـتّـهـم الـواشـيـن والـدّمـعُ مِـنْـهُـمُ

وقوله:

وصـاحـبُ الـدّمْـعِ لا تَـخْـفَـى سَـرَائـرُهُ

وقوله:

ومـن سِـرُّه فـي جـفْـنـه كَـيـف يـكْـتُـمُ؟

قال أبو عيسى بن الرشيد:

كـتـمْـت هـواهُ حـتّـى فـاضَ دمْـعِـي فـصَـيَّـرهُ حـديـثـاً مـسْـتـفَـاضَـا

وقال آخر:

ولـولا الـدّمـوعُ كـتَـمْـتُ الـهَـوى ولـولا الـهَـوى لـم تـكُـنْ لـي دُمـوعُ

قال أبو الفرج الدّمشقي:

أنـي لأَخـفـي اشـتِـيـاقـي وهـو مشـتـهِـرٌ من أينَ يَخْفى ودمْعي صاحِبُ الخَبَرِ

- **سيلانُ الدّموعِ من الوَجْدِ**

قال بعضهم:

مـاءُ الـمـدامِـعِ نـارُ الـشّـوقِ تـحـدرُهُ فـهَـل سـمِـعْـتُـم بـمـاءٍ فـاضَ مـن نـارِ

قال ابن الرومي:

لا تـعـجَـبـا أنّ دمـعـاً فـاضَ عـن حُـرَقٍ مـاءٌ أفـاضَـتْـه نـارٌ مِـنْ مَـراجِـلِـهِ

---

(١) الدموع السواكب: الجارية بغزارة.

(٢) المراجل: جمع مرجل وهو القدر أو الوعاء الكبير الذي يُغلى به الماء.

• **الاستحسانُ للدمعِ من دفع الجَزَعِ**

مِنْ أبدع ما فيه قول بشار:

وجَدْتُ دموعَ العيْنِ تجْري غروبُها ... أخَفُّ على المحْزونِ والصَّبْرُ أجْمَلُ(1)

قال الرقاشي:

نِعْمَ معونُ الكَمِدِ البكاءُ

وبكى أعرابي فقيل له: في ذلك فقال: أما علمتم أن الدموع خفراء القلوب. **قال الحسين بن وهب:**

إبكِ فمَا أكثر نَفْعَ البُكا ... والحبُّ إشفاقٌ وتعليلُ

فهو إذا أنتَ تأمَّلتَهُ ... حزنٌ على الخدَّين مَحْلُولُ

قال ابن عباس كنت إذا خرجت أمتنع من البكاء حتى سمعت قول ذي الرمة:

لعلَّ انحدارَ الدمعِ يُعقِب راحةً ... من الوجد أو يشفي نجيّ البلابلِ(2)

فصِرْت أشتفي من الوَجْد به. **قال الموسوي:**

الدمع عونٌ لمن ضاقَتْ بهِ الحِيَلُ

وقال آخر:

وغصَّةُ وجْد أظهرتُها فرفَّهت ... حرارةَ حرٍّ في الجَوانح والصَّدْرِ

• **قصورُ الأدمعِ في دفع الجَزَعِ**

قال ديك الجن(3):

في قلبه نارُ شوقٍ ليْس يُخمِدُها ... بحرٌ أحاط به للدمع مسْجورُ(4)

وقال:

فوق خدّي لجَّةٌ من دموعٍ ... يغرَقُ الوَجْدُ بينَها والسّلامُ(5)

كان بين الواثق وبين بعض جواريه عِتاب فبكى وضحكت **فقال: قاتل الله العباس بن الأحنف** حيث قال:

عَدْلٌ من الله أبكاني وأضحككُم ... الحمْدُ لله عدْلٌ كلّما صنعَا

• **إزديادُ الوجْدِ بالبكاءِ**

قال أبو تمّام يردّ على من زعم أنّ البكاء يخفّفُ الوَجْد:

أجدر بجمرةِ لوعةٍ إطفاؤُها ... بالدّمعِ أن تزدادَ طولَ وَقُودِ

---

(1) **الغروب**: جمع غرب وهو مسيل الدّمع. (2) **البلابل**: الخواطر.

(3) **ديك الجن**: هو عبد السلام بن رغبان (777 ـ 849) شاعر عبّاسي من أهل حمص. من الشعراء المجيدين، له عدّة مرات في الحسين كانت له جارية محبوبة اتهمها بحبّ غلامه فقتلهما، ثم ندم.

(4) **مسجور**: مملوء وقوداً. (5) **لجّة**: شبيه بالبحر.

قال المتنبي:

وكلّما فاضَ دمْعي غاضَ مُصْطَبَرِي ... كأن ما فاضَ مِنْ جفْنيَ مِنْ جلْدَي

وله:

وإذا حَصَلْتَ من السّلاحِ على البكا ... فحشَاكَ رُعْتَ بهِ وخدَّكَ تقْرَعُ

قال محمد بن أبي زرعة:

فبدَتْ تشبّ بدَمْعِها نارُ الهَوى ... مَنْ ذا رأى ناراً تشُبُّ بماءِ

● **نفعُ البكاءِ وحَمْدُهُ**

قدم رجل من الخوارج إلى عبد الملك ليقتله فدخل على عبد الملك ابن له صغير وهو يبكي لضرب معلمه، **فقال** الخارجي: دعوه يبكي فهو أفتح لحزمه وأنفع لبصره **فقال له عبد الملك**: ما شغلك ما أنت فيه عن هذا؟ **فقال** ينبغي للمسلم أن يشغله عن الخير شيء فعفا عنه.

قيل لصفوان كثرة الكباء تورث العمى فقال: **ذاك لهما سهادة. قال ابن نباتة**:

تستعذبُ العينُ دمْعي في مودّتِها ... كأنما تمْتريه العيْنُ مِنْ فِيْهَا[1]

● **كثرةُ البكاءِ واحمرارُ الدّمعِ بالدمِ**

سمع أبو السائف قول جرير:

أن الذين غدَوا بلبّك غادرُوا ... وشَلا بعينِك لا يزال مَعِيْنَا[2]

غيّضْنَ من عبرَاتهنّ وقلْنَ لي ... ماذا لقيتَ من الهَوى ولَقِيْنَا

فقال: أتدرون ما التبغيض؟ **قالوا**: لا، فأشار بأصبعه إلى جفنه كأنه يأخذ الدمع لينضحه.

● **الاستدلالُ بالدمعِ على فَرَطِ الهَوَى**

قال محمد بن وهب:

يدلّ على أنني عاشِقٌ ... من الدمْعِ مُسْتَشْهِدٌ ناطِقٌ

قال ديك الجن:

زَعَمْتُم بأني قد سلَوْتُ وصالَكم ... فلم ذرفتْ عيْني ولِمْ شَابَ مَفْرِقي؟

وقال:

سِمَةُ الصّبَابَةِ زَفْرَةٌ أو عَبْرَةٌ ... متكفّلٌ بهما حشَا وشؤونُ[3]

---

(١) **تمتريه**: تستدرّه.

(٢) **غادروا**: تركوا ـ **الوشل**: البقية من الدلع ـ **المعين**: الذي تراه العين لأنه ظاهر.

(٣) **الصبابة**: الولع الشديد ـ **العبرة**: الدمعة.

قال أبو تمام:

أَلَيْس دمْعي وفرطُ شوْقي ... وطولُ سقمي شُهودَ حُبِّي

وفي كتاب التملي في أخبار العشاق قال رجل لامرأة: أنا والله أحبك، فقالت: ما حجتك؟ قال تدفعين لي قفير[1] دقيق فأعجنه بدمع عيني. قالت: فالخبز لمن؟ قال: في حرام عشق لا يساوي أرغفة، فضحكت منه وواصلته.

● ما قيل فِيمَنْ يَتَبَاكَى

قال المتنبي:

إذا اشتبهت دموعٌ في خدودٍ ... تبيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّن تباكى[2]

قال ديكُ الجن:

وقائلةٍ وقد بصرت بدمعٍ ... على الخدّين مُنْحَدِرٍ سَكُوبِ

أتكذبُ في البكاء وأنت خلوٌ ... قديماً ما جسرت على الذنوبِ[3]

قميصُك والدموع تجولُ فيه ... وقلبُك ليْس بالقلب الكئيبِ

شبيهُ قميص يوسف حين جاؤوا ... على لباته بدمٍ كذوبِ

(٦)

ومما جاء في الشوقِ والحنينِ والنُحُولِ

●

● احتراقُ القلبِ وحصولُ نارٍ فيه

قال أبو الطمحان:

هل الوجد إلا أن قلبي لو دنا ... من الجمر قيد الرمح لاحترق الجمرُ

قال العباس:

يا قابسَ النار قد أعييت قوادحُهُ ... إقبسْ إذا شِئْتَ من قلبي بِمِقْبَاسِ[4]

قال الخبزارزي:

بقلبي جَمْرٌ من هوَاه فإنْ أكُنْ ... شكوتُ فهذا الوجْدُ من ذلك الجَمْرُ

وقال:

وحقّ الهوى إني أحسّ منَ الهوى ... على كبدِي جمْراً وفي أعْظمي رضا

---

(١) قصير دقيق: خبز غير مأدوم.

(٢) تباكى: تظاهر بالبكاء (صيغة تفاعل).

(٣) الخلو: السالي الذي يخلو قلبه من لواعج الهوى.

(٤) قبس النار: أوقدها.

قال المتنبي:

جَرَّبْت من حرّ الهوى ما تنطفي ... نارُ الغضا وتكلّ عمّا تُحرِقُ[1]

- **شدّة النفس**

قال خالد الكاتب:

نَفَس تدّعي مسالكه ... وأنينٌ لَسْتُ أملِكُهُ

قال ذو الرمّة:

تعتادني زفراتٌ حين أذكُرُها ... تكادُ تنقدّ منهنّ الحيازيمُ[2]

قال المتوكل:

إذا زفراتُ الحب صَعِدْنَ في الحَشا ... وردْنَ ولم يوجَدْ لهنّ طريقُ

- **الاستدلالُ بالنفسِ على الحالِ**

وقال مسلم:

وإذا بعثتُ إلى الهوَى بَعَثَ الْهَوى ... نَفساً يكونُ على الضميرِ دليلا

قال يعقوب: قد كتمت الهَوى فنمّ علي التنفس.

- **خفقانُ القَلْبِ**

قال بعضهم: رأيت في بني عذرة شيخاً يتهادَى **فقُلْت:** هل بقي من بحُبّك بقية؟ **فقال:**

كأن قطاةً علقَت بجَناحِها ... على كبِدي من شدّةِ الخَفَقانِ

وأنشد لتوبة وقيل للمجنون:

كأن القلبَ ليلةَ قيل يُغدى ... بلَيْلى العامريّة أو يُرَاحُ

قطاةٌ غرّها شرَك فباتَت ... تجاذِبُه وقد عَلِق الجَنَاحُ

قال بشار:

كأن فؤادَه كُرةٌ تَنَزّى ... حذار البيْن لو نَفَع الحَذارُ[3]

وقال آخر:

كأنّ فؤادي في يدِ عبثَت به ... محاذرةَ أن يقضبَ الحبلَ قاضبُه[4]

قال ديك الجن:

كأن قلْبي إذا تذكّرها ... فريسةٌ بين ساعدَيْ أَسَدِ

---

(١) **تكل:** تفتر وتعجز. (٢) **الحيازيم:** جمع حيزوم وهو وسط الصدر.

(٣) **تنزى:** تتوالى متتابعة ـ **الحذار:** اسم فعل بمعنى احذر.

(٤) **القاضب:** القاطع.

● **ضِيقُ القلبِ**

قال أبو الشيص:

كـأنّ بـلادَ الله فـي ضـيـقِ خـاتـمٍ ... عـلـيّ فـمـا تـزْداد طُـولاً ولا عَـرْضَـا

قال العباس:

كـأن جـمـيـعَ الـنّـاس عـنـد صـدودكـم ... تـصـوّر فـي عـيْـنـي سـودَ الـعـقـاربِ

● **أخذُ الكبدِ باليدِ من خشيةِ التقطُعِ**

قال بعضهم:

واذكـر أيـامَ الـحِـمـى ثـم أنـثـنـي ... عـلـى كِـبدي مـن خـشـيـةِ أنْ تـقـطّـعَـا

قال عبد الصمد بن المعذل:

مـكـتـئـبٌ ذو كـبـدٍ حـرّى ... تـبْـكـي عـلـيـه مُـقْـلَـةٌ عَـبْـرَى[1]

يـرفـعُ يـمْـنـاه إلـى ربّـه ... يـدْعـو وفـوْق الـكـبِـد الـيُـسْـرى

● **تصدُّع الكبِد**

قال الأعشى:

وبـانَـتْ وفـي الـصّـدْرِ صـدعٌ لـهـا ... كـصـدعِ الـزجـاجـةِ لا يَـلْـتَـئِـمُ

قال الخضري:

وأنـك لـو نَـظَـرت فَـدَتْـكَ نَـفْـسـي ... إلـى كـبِـدي وجـدْتَ بـهـا صُـدُوعـاً

● **افتقادُ القلبِ**

قال الخبزارزي:

فـلـو كـان لـي قـلْـبـان عِـشْـتُ بـواحـدٍ ... وأفـرَدْتُ قـلـبـاً فـي هـواك يُـعـذّبُ

ولـي ألـفـاوجـه قـد عـرفـتُ مـكـانَـه ... ولـكـنْ بـلا قـلـبٍ إلـى أيـنَ أذْهَـبُ؟

قال خالد الكاتب:

كـان لـي قـلْـبٌ أعـيـشُ بـهِ ... فـاصْـطَـلَـى بـالـحـب فـاحـتـرَقـا[2]

● **البهوتُ لفرطِ الوجدِ**

قال بعضهم:

يومَ ارتـحَـلْـتُ بـرحْـلـي قـبْـل بـرذعـتِـي ... والـعـقـلُ مـثْـلـه والـقـلْـبُ مـشـغـولُ[3]

---

(١) المقلة: العين ـ العبرى: العين الحزينة الدامعة ـ لا يلتئم الصدع: لا يلتحم، والصدع الشق في شيء صلب.

(٢) اصطلي: احترق. (٣) البرذعة: الكساء الذي يلقى على ظهر الدابة.

ثم انصرَفتُ إلى نضوي لأبعثَه	إثر الحدوجِ الغوادي وهو معقولُ[١]

قال الماني:

تحسبه مستمِعاً مُنصِتاً	وقلبُه في أمّة أخرى

قال ذو الرمة:

عشيّةَ مالي حيلَةٌ غير أنني	بِلَقطِ الحَصى والخَطِّ في الأرض مُولَعُ

● **كثرةُ سُقمِ العاشِقِ**

قال كشاجم:

دمُوعي فيك أنواء غزارٌ	وقلبي ما يقرّ له قرارُ
وكلّ فتى عليه ثوبُ سقيمٍ	فذاك الثوبُ مني مُستَعارُ

● **المستدِلُّ بالجماداتِ والبهائمِ على الوجدِ**

قال كثير:

سلِي البانةَ الغنّاء بالأجرعِ الذي	به البانُ هل حيّيتِ أطلال دارِك[٢]؟
وهل قمْت في أفيائِهن عشيةً	قيام أخي البأساء واختَرْت ذلك؟

قال جميل:

يقولون ما أبلاكَ والمالُ غامرٌ	عليك وضاحي الجلد منكَ كنينُ[٣]
فقلتُ لهم لا تعذِلوني وانظروا	إلى النازعِ المقصور كيف يكونُ

ونقل ذلك أبو تمّام فقال:

إنْ شِئتَ أن لا ترى صبرَ المصطبرِ	فانظُر إلى أيّ حال أصبَح الطَلَلُ

● **المتحمّلُ من الوجدِ ما تعجزُ عنه الجِبالُ**

قال الحارثي:

لاقيتُ من حبّها ما لو على جبَل	يُلقى لطارَتْ شِقافاً منه أفلاقُ[٤]

قال عمرو بن براق:

ولو أن ما بي بالحَصى فلَق الحَصَى	وبالرّيح لم يُسمَع لهنّ هُبوبُ

---

(١) الحدوج: شدّ الأحمال على البعير ـ الغوادي: التي تخرج باكراً.
(٢) البانة: واحدة البان وهو شجر معتدل القوام، يشبّه به القدّ لطوله.
(٣) غامر عليك: أي موفور كثير ويغمرك ـ كنين: المستور.
(٤) الشقاف: كِسَر الخزف ـ أفلاق: جمع فلقة، القطعة.

● **شَجْوُ العاشِقِ**

يقال للعاشق هو أسخن عيناً ممن بات بين قبرين، واسوأ حالة ممن طوى يومين وليلتين، ذكر أعرابي عاشقاً **فقال**:

يثْني طرفَ عيْن قد قرّحَت مآقيها ... ويحنو على كبدٍ قد أعْيَتْ مُدَاويها(١)

● **شكوى أحدِ المتحابين مقاساةُ شدّة من صاحبه**

كان بعض القَسِ يمر فسمع كلاماً خفياً من زقاق فإذا جارية تشكو إلى صديق لها ما لقيت فيه **فقالت**: أوعدوني وضربوني ومزّقوا ثيابي وفعلوا وصنعوا وهو ساكت لا يتكلم فقال القسيس خذوه فأخذ وخلى عن المرأة ثم **قال** للرجل: إنها تقص عليك ما لاقت فيك فَلِمَ كنت ساكتاً؟ **فقال**: أصلحك الله لم ألق فيها شكوى ولم أكذب فأمر به فضرب خمسين درة وقال: ارجع فاشك إليها ما لاقيته فيها. **قال المجنون**:

أعـدُّ الـلـيـالـي لـيـلـةً بـعـدَ لـيـلـةٍ ... وقد عِـشـتُ دهـراً لا أعـدّ الـلـيـالـي

● **الخَجَلُ مِمَّنْ حصلَ منه اليأسُ**

قال بعضهم:

وأنـــي لا يــغــول الــنـــأي وُدي ... ولـو كـنـا بِـمُـنـقَـطَـع الـتُـرَابِ

قال المتنبي:

أحـنّ إلـى أهْـلـي وأهـوى لـقـاءَهـم ... وأين من المشتاق عنقاءَ مغربِ(٢)

● **إظهارُ التشوقِ في القربِ والبعد**

كتب عبد الله بن عباس إلى أحمد بن **يوسف**: جعلت فداك لا أدري كيف أصنع أغيب فاشتاق ثم نلتقي فلا أشتفي يجدد لي اللقاء الذي يدفع به الشقاء حرقة مثل لوعة الفرقة. سأل المهدي عن أنسب بيت **فقيل له**:

ومـا ذَرَفَـتْ عيْـنـاك إلا لِتَضـربِيْ بـي ... بِسَهْمَيْك في أعشارِ قلبٍ مُقَتَّلِ(٣)

فقال هذا أعرابي قح، **فقيل**:

أريـدُ لأنـسـى ذكـرَهـا فـكـأنّـمـا ... تـمـثـل لـي لـيـلـى بـكـلّ سـبـيـلِ

فقال: ما هذا بشيء ولم يريد أن ينسى ذكرها؟ فقيل قول الأحوص:

إذا قُـلْـتُ أنـي مـشـتـفٍ بـلـقـائِـهـا ... فـحـم الـتَـلاقـي بـيـنَـنـا زادَني وَجْـدَا

---

(١) **قرّحت**: جرحت ـ **المآقي**: مجاري الدمع من العين.

(٢) **عنقاء مغرب**: طائر مجهول لم يوجد كناية عن بطلان الشيء.

(٣) **بسهميك**: أي بسهمي عينيك.

فقال: أحسنت. قال المتنبي:

وبين الرّضا والسخطِ والقرْب والنّوى ... مجالٌ لدمعِ العاشقِ المترَقرقِ

وهذا اختصار قول الآخر:

وما في الدّهر أشقى من مُحبّ ... ولو وجد الهوى حُلو المَذاقِ

تراهُ باكياً في كلّ حينٍ ... مخافةَ فرقةٍ أو لاشتياقِ

فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراقِ

فتسخن عينُهُ عند التّنائي ... وتسْخُنُ عَيْنُهُ عند التلاقي

وقال بعض الكتاب: تَفَكُّري في مرارة البين يمنعني التمتع بحلاوة الوصل، وتكرهُ عيني أن تقرّ بقربك مخافة أن تسخن ببعدك، فلي عند الاجتماع كبد ترجف، وعند التلاقي مقلة تكفّ.

● إظهارُ الشوقِ في حالِ الوَصْلِ

قال شاعر

قالوا ظفرتَ بمَن تهوى فقلْتُ لهم ... الآن أشرف ما كانَتْ صَبَابَاتي(١)

لا عذْرَ للصبّ أن تهدى جوارحه ... فقد تطْعَمُ فوهُ بالمُواتاةِ

● متطبّب داؤه الهوى

أنشد لعروة بن حزام:

جعلتُ لعرّافِ اليمامَةِ حكْمَهُ ... وعرّافَ نجد إنْ هُما شفيَاني(٢)

فما تركَا لي رقيةً يعرفانِها ... ولا سقيةً إلا وقد سقَيَاني

فقالا شفاكَ اللّهُ واللّهِ مالَنا ... بما ضمنَتْ منك الضّلوعُ يَدانِ

قال ديك الجن:

جَسّ الطبيبُ يدِي جهلاً فقلْتُ له: ... إنّ المحبَّةَ في قلْبي فخلّ يدِي

وقال آخر:

وقالُوا بهِ من أعيُنِ الجِنّ نظْرةٌ ... ولو صدَقوا قالُوا به نظْرةُ الأنسِ

وقال آخر:

قال الطبيبُ لأهلي حينَ أبصرَني ... هذا فتاكُم وحقّ الله مَسْحُوزٌ

فقلتُ ويحَك قد قاربْتَ في صفتي ... وجهَ الصواب فهلاّ قلْتَ مهْجورُ

---

(١) الصبابات: جمع صبابة وهي لوعة الحب وشدّة الحنين والشوق إلى المحبوب.

(٢) العرّاف: المنجم ـ اليمامة ونجد: من أقاليم جزيرة العرب.

فـقـال مـالـي بـعـلـم الـغـيْـب مـعـرفـة فـقـلـت: إن دلـيـل الـحـبّ مـشـهـورُ
فَـيْـضُ الـدّمـوعِ وأنـفـاسٌ مـصـعّـدةٌ وضربـة فـي الـحشا والقلب مأسورُ

- **افتقادُ الصّبرِ في الهوى**

قال الصنوبري:

ومـا صـبْـري أمـامـةُ عـنْـك إلا كـصـبْـر الـحـوتِ عـن مـاءِ الـفُـراتِ

قال أحمد بن أبي فنن:

لـئِـنْ ظَـلّ مِـنْ وَجـدِهِ مـثْـريـاً لـقـدْ ظـلّ مـن صـبْـره مُـفْـلِـسَـا

وقال:

لـمْ أقـبـلِ الـصّـحْـةَ بـالـشّـكْـرِ عَـبَـثْـتُ بـالـحـبّ ولـم أدْرِ
حـتّـى إذا بـاشـرتُ أهـوالـه وصِـرْتُ مـغـلـوبـاً عـلـى أمْـري
عـذْتُ بـصـبـرٍ فـوجـدْت الـهَـوى قـد غـلـبَ الـحـبّ عـلـى صـبْـري

- **متصبّر كرهاً**

قال أبو العتاهية:

صـبَـرْتُ ولا والله مـالـي جـلادةٌ على الصبْر لكنّي صَبَرْتُ على الرغْمِ

- **استقباحُ الصبرِ في الهَوى**

قال أبو تمّام:

الـصـبْـرُ أجْـمَـلُ غـيـرَ أن تـلـذّذا بـالـحُـبّ أحْـرى أن يـكـون جـمـيـلا
أتـظـنّـني أجـدُ الـسـبـيـل إلى الـعـزا وجـد الـحِـمـام إذا إلـيّ سـبـيـلا

قال عمر بن أبي ربيعة:

وإنّ كـثـيـرَ الـحـزن مـا لـم أرِدْ بـه حـيـاضَ الـمـنـايـا بـعـده لـقَـلِـيـلُ

وقال آخر:

الـصّـبْـر إلاّ فـي هـواكَ جـمـيـلُ

- **معاتبةُ مَنْ لم يُضْنِهِ الهوى**

رُوي أن رجلاً مرّ ببشار وهو مستلق على قفاه بدهليزه كأنه فيل، **فقال**: يا أبا معاذ إنك تقول أن في بردي جسماً باليا، لو توكأت عليه لانهدم وأنك لو أرسل الله الريح التي أهلكت عاداً عليك ما زعزعتك ونحوه وإن لم يكن من بابه أن أعرابياً مرّ برجل **فقال**: من هذا؟ **فقيل**: عابد فرأى رقبة غليظة وكدنة متناهية **فقال**: إنّ له رقبة ما أرى العبادة وقصتها ونحوه رأت أعرابية رجلاً بضّ البدن **فقالت**: أرى وجهاً لم يؤثر فيه وضوء الصلاة.

● **النَّاحِلُ الجِسْمِ في الهَوَى**

قال بعضهم:

سلبت عظامي لحمَها فتركتَها ... مجرّدةً تضحي إليك وتخصرُ
وأخليتَها من مخّها فكأنّها ... قواريرُ في أجوافِها الريحُ تصفرُ(١)

قال المتنبّي:

فبلحظِها نكرَتْ قناتي راحتي ... ضُعفاً وأنكرَ خاتماي الخِنصِرا(٢)

وقال آخر

خذِي بيَدي ثم انهضي بي تبيّني ... بي الضرّ إلاّ أنّني أتستّرُ

● **مَنْ تَنَاهى في الهُزالِ حتى صار كخلالٍ أو هلالٍ**

قال المتنبّي:

بجِسمي مَنْ برتْه فلَوْ أصارَت ... وشاحي ثقبَ لؤلؤة لجَالا(٣)
ولولا أنني في غيرِ نَومٍ ... لكنت أظنني مني خيالا

وقال:

دونَ التعانِق ناحلَين كشَكلَتي ... نصْبٍ أطالَهما ودق الكاتبِ

ونحوه لابن المعتز:

كأنّما جسْمي إلى جسمِها ... غصنان ذا غضٌّ وذا ذابلُ

قال آخر:

فلو أنّ ما أبقيت مني معلّق ... بعُودِ ثمام ما تأوّدَ عُودُها

قال الخبزارزي:

وذبتُ حتّى صرتُ لو زُجّ بي ... في مقلَةِ النائم لم يتنبّهْ
قد كانَ لي قبل الهوى خاتَمٌ ... والآن لو شِئت تمنطقْتُ بِه

● **مَنْ تسقطهُ الريحُ لنحافتِهِ**

قال ماني:

ها أنا ذا يُسقِطُني للبلى ... عن فرشي أنفاسُ عُوّادي(٤)

---

(١) **القوارير**: جمع قارورة وهي الكأس الزجاجيّة - **الأجواف**: جوف الشيء: باطنه.
(٢) **قوله بلحظها**: أي بلحظي إياها يصعق هزاله بسبب الفراق وكيف أنكرت قناته يده لصعقها كما أنكر خاتمه خنصره.
(٣) **برته**: أذابته.
(٤) **العوّاد**: زوّار المريض، جمع عائد.

قال المجنون:

ألا إنّما غادرتِ يا أمّ مالكٍ … صدى أينما تَذهب به الريح يذهبِ

قال ديك الجن:

ألست تري الضنى لم يبقِ مني … سوى شَبَحٍ يطيرُ بكلّ ريحِ

من لم يَبْقَ إلا حركاته وكلامه قال العباس:

لولا الكلامُ لمّا اهتدَتْ … عينُ الجليسِ إلى مَكاني

وقال آخر:

أنظرْ إلى جسْمٍ أضرّ به الهوى … لولا تقلُّبُ طرفِه دَفَنُوهُ

● من لا يُسْتَبان لنحافته

قال بعضهم:

شبَحٌ قلّ فمَا يشغلُ قطْراه مَكانَا

قال أبو نواس:

تركت جسْمي قليلاً … من القليل أقَلا

يكادُ لا يتجَزا … أقلُّ في اللفظِ مِنْ لا[1]

قال أبو الفضل بن العميد:

لو أنّ ما أبقيْت من جسَدي قذىً … في العَيْنِ لَمْ يمْنَعْ منَ الإغفاء[2]

قال ديك الجن:

ولو أن أحداثَ الزّمان أردْنَني … بخيْرٍ وشرٍّ ما عرفْنَ مَكَاني

● الشاكِي ذهابَ علّتِه لذَهابِ جسمِه

قال المتنبّي:

وشَكيّتي فَقْدُ السّقامِ لأنه … قدْ كانَ لمّا كانَ لي أعضاءُ

وله:

وخيالُ جِسْمٍ لم يخلِ لهُ الهوى … لحْماً فينحله السّقامُ ولا دَما

● استطابة المرضِ والسهرِ لكونِهما من الحبيب

قال ديك الجن:

لا أوحشنْك ما استحملْتُ من سَقمي … فإنّ منزلَه بي أحسنُ الناسِ

قال الأخيطل:

إنّ مَنْ أسهَرتَ ليلتَه … لقريرُ العيْنِ بالسَّهَرِ

---

(١) يتجزا: مخفّف يتجزّأ. (٢) الإغفاء: النوم.

قال الرستمي:

وأنّي لأهوى الشيبَ من أجل أنّه وإن نفرتْ عيني له من فعاله

(٧)
وممّا جاءَ في السهرِ وطولِ الأزمنةِ

●

● **وجوبُ السهر لِمَنْ كان عاشقاً**

يُسْتَحْسَنُ في هذا المعنى قول أبي سعيد بن فوقة:

نسيتُ الهُجودُ لذكرَاكُم وما للمشوق وذكر الهجودِ[١]

ومن الكبائر عاشق يُغفي

قال منصور النميري:

الحزن منفاةٌ لضيفِ الرقادِ

● **المتقلِّبُ على فراشِهِ**

قال أشجع:

إذا الليلُ ألبسني ثوبَه تقلّبتُ فيه فتى موجَعُ

قال ديك الجن:

ألستَ ترى الضنا لم يُبْقِ منّي سوى شبَحٍ يطيرُ بكلِّ ريحِ

قال أبو العتاهية:

أبيتُ كأنّي في الفِراش على مُقَلِي[٢]

● **من لا ينطبقُ جفنُهُ مِنَ السهر**

قال المتنبي:

بعيدة ما بيْن الجفونِ كأنّما عقدْتُم أعالي كُلِّ هدبٍ بحاجِبِ

أخذ ذلك من بشّار حيث يقول:

جَفَتْ عَيْنِي عن التغميضِ حتّى كأن جفونَها عنها قِصَارُ[٣]

كأنّ جفونَها حرَمَتْ بشوْكٍ فليس لنومةٍ فيها قَرارُ

---

(١) الهجود: النوم بالليل. (٢) المقل: العيون، جمع مقلة.

(٣) جفت عيني عن التغميض: أي امتنعت من النوم وبقيت ساهدة.

ونحوه لجميل:

كأن المحبَّ قصيرُ الجفونِ ... لطول النهارِ ولم تقصُرِ

ويستحسن للمتنبي:

كأن الجفونَ على مقلتي ... ثيابٌ شُقِقْنَ على ثاكِلِ[1]

● **مَنْ فارقَهُ النومُ حتى نسيهُ**

قال العباس بن الأحنف:

قفا خبراني أيها الرجُلان ... عن النوم إن الهَجْر عنه نهَاني
وكيف يكونُ النومُ أمْ كيْفَ طعمُه ... صفا النوم لي إن كنتما تصفانِ
وأني لمشتاقٌ إلى النوم فاعلَما ... ولا عهْد لي بالنوم منذُ زمانِ

وقال آخر:

حدّثوني عنِ النهار حديثاً ... أوضَحوه فقَد نسِيتُ النهارا

● **من ذكر أن ليله كأنما وصل بليلٍ لطولهِ**

قال بشار:

وطال علَيَّ الليل حتى كأنّه ... بليْلين موصولٌ فلا يتزحزحُ

وقال سربلة بن كاهل:

وإذا قلتُ ظلامٌ قد مضى ... عطف الأولُ منه فرجِعْ

قال أبو كثير:

وأني إذا ما الصبحُ آنسْت ضوءَه ... يعاوِدُني قطع علَيَّ ثَقِيلُ

وقال آخر:

في الليل طول تناهى العرْض والطّول ... كأنّما ليلُهُ بالليل موصولُ
لا فارق الصّبْح كفّي إن ظَفِرْتُ به ... وإن بدت غرّةٌ منه وتحجيلُ[2]
لساهر طال في صولٍ تململهُ ... كأنه حيّة بالسّوط مقتولُ

● **مراقبةُ النجومِ من السهرِ**

قيل لام الهيثم بنت الأسود ما حالك؟ فقالت:

تجافَى مضجعي وثبا سهاري ... وليلي ما يقرّ من السُهَادِ[3]
أراقبُ في السماء بنات نعش ... ولو أسطيع كنت لهنّ حادي[4]

---

(١) يقول: كأن جفوني شقّت لفقدهم كما تشق الثاكل ثوبها من الحزن، فجفونه لا تلتقي النوم.

(٢) تحجيل: خجلت المرأة مبانيها. (٣) ما يقرّ: لا يطمئن ـ السهاد: الأرق.

(٤) بنات نعش: سبعة كواكب جهة القطب وهناك بنات نعش الكبرى والصغرى.

قال ابن دريد:

لقد ألفَتْ دهمُ النّجوم رِعَايتي ... فإن غبْتُ عنْها فهي عني تُسائِلُ
يقابل بالتسليم منهنَّ طالعٌ ... ويومىء بالتوديع منهنَّ آفلُ

● **المستشهدُ بالنجومِ لسرّه**

قال الناشيء:

سلِ الليلَ عنّي كيف أرعى نجومَهُ ... فإنّ الليالي يطّلِعْنَ على سرّي

وقال:

سل الليل عنّي ما لقيتُ وما لقي ... يخبركُم أني بحبّكم أشقَى

● **تحيُّر النجوم وامتناعُها من الغيبِ**

قال النابغة[1]:

وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكبِ

قال امرؤ القيس[2]:

فيا لكَ من ليلٍ كأنّ نجومَه ... بكلّ مَغَارِ الفتل شُدَّتْ بيَذبلِ[3]

قال المتنبّي:

ما بال هذي النجوم حائرةً ... كأنها العمي ما لها قائدُ

وقال:

أكابدُ هذا الليل حتّى كأنّه ... على نجْمه أن لا يغورَ يمينُ

وقال قدامة أنشدني عبد الله بن المعتز:

عسَى شمسُه مسخت كوكباً ... فقد طلعتْ في عدادِ النجومِ

فقلت: غيرت في وجه امرىء القيس إذ يقول وليل البيت **فقال:** لا ولا في وجه ابن طباطبا إذ يقول:

كأنّ نجومَ اللّيلِ سارَت نهارَها ... وعادت عِشاءً وهي أنضاءُ أسفارِ[4]

---

(١) **النابغة:** (توفي نحو ٦٠٤) من فحول شعراء الجاهلية وكان حكم الشعراء في سوق عكاظ واتصل بملوك المناذرة والغساسنة. أسخط النعمان أبا قابوس لاتهامه بالمتجرّدة فلجأ إلى ملوك غسّان. أشهر شعره «الغسانيات» و «الاعتذاريات».

(٢) **امرؤ القيس:** (٥٠٠ ـ ٥٤٠) هو امرؤ القيس بن حجر. وُلد في نجد وأمه فاطمة بنت ربيعة. نشأ في الترف واللهو في بلاط أبيه أمير كندة طرده أبوه فعاش الشطر الثاني من حياته مشرداً مع بعض أصحابه. وقام ليثأر لأبيه القتيل. ورجع من بيزنطية خائباً وأصيب بمرض ومات في الأناضول ودفن عند جبل يقال له عسيب (٥٤٠م). اعتبر شعره مثالاً للجاهلية في لونيه البدوي والحضري. والمعلقة الأولى بين المعلّقات.

(٣) يصف امرؤ القيس ليلاً طويلاً ويبدو له أنه لطوله كأنه نجومه شدّت بحبال وربطت إلى جبل يذبل.

(٤) **أنضاء:** جمع نضو وهو الثوب البالي، وأنضاء أسفار أي هزيلة من كثرة السفر.

فخيَمنْ حتى يستريح ركابُها فلا فلك جارٍ ولا كوكب سارِ

- **تباطؤ الصبح**

قال جحظة البرمكي:

وليلي في كواكبه حران فليس لطوله منه انقضاءُ
عدمت محاسن الإصباح فيه كأن الليلَ جودٌ أو رفاء(١)

- **مقاساةُ الهم بالليلِ والاستراحة بالنهار**

قال ابن الدمينة:

أقضِي نهاري بالحديث وبالمُنى ويجمَعني والهمّ بالليل جامعُ

قال الموصلي:

إن في الصبْح راحةً لمحِبّ ومع الليل ناشئاتُ الهمومِ

وأصله للنابغة:

وصدرٍ أراحَ الليل عازبَ همّه تضاعفَ فيه الحزنُ من كلّ جانبِ(٢)

- **قلةُ المبالاةِ بطولهِ لدوامِ الهمّ**

قال امرؤ القيس:

ألا أيّها الليلُ الطويلُ ألا أنجلي بصبح وما الإصباحُ مِنك بأمثَلِ

قال الصولي:

وطولْتُ ليلي لو دريْتُ بطُوله ولكنه يمْضي لما بي ولا أدْري
تشابه ليلي واستمرّ بي الهوى فمَن لي بنَفْسٍ تستريحُ إلى الغدْرِ

- **الجهلُ بحالِهِ في ليلِهِ**

قال خالد الكاتب:

لستُ أدري أطالَ ليلي أم لا كيف يدري بذاكَ منْ يتقلّى
لو تفرغت لاستطالة ليلي ولرعي النجومِ كنت مُخلّى

- **من ذكر طول ليلهِ وقصر ليل محبوبِهِ**

قال العبّاس:

نام من أهدى ليَ الأرَقا مستريحاً سامني قَلَقا

---

(١) الرفاء: الاتفاق، يقال بالرفاء والبنين وهو دعاء بالالتئام والوفاق للمتأهل.

(٢) الهم العازب: البعيد.

لو يبيت الناسُ كلُّهُمْ بسهادي بَيَّضوا الحدَقَا
أنا لم أُرْزَقْ مودّتكم إنما للعَبْدِ ما رُزِقا

وقال:

كلّ مَنْ نام لَعمري يحسبُ النّاس نِيَاما

وقال:

شكوْنا إلى أحبابِنا طولَ ليْلِنا فقالوا لَنا ما أقصَرَ الليْلَ عنْدَنا

● مَنْ ذَكَر أن الهمومَ طولت ليلَهُ

قال بشّار:

كأنّ الدجى طالَ وما طالَ الدّجى ولكِنْ أطالَ اللّيلَ همٌّ مبرّحُ

وقال:

أقولُ في الليل وفي طولِه قولَ امرئٍ باللّيل طبٌّ بصيرُ
يطوّل الليلَ مراعاتُه فكلّ أمر لا يراعَى قصيرُ

قال ابن بسّام:

لا أظلِمُ الليْلَ ولا أدّعي أن نجومَ اللّيْل ليسَتْ تغورُ
ليلي كما شاءت فإن لم تَزُرْ طالَ وإن زارَتْ فليلي قصيرُ

قال المتنبّي:

ليالِيّ بعد الظاعنين شكول طِوالٌ وليلُ العاشقينَ طَويلُ
يبين لي البدرُ الذي لا أريده ويخفينَ بدراً ما إليه سَبيلُ

● استقصارُ وقتِ الفرحِ واستطالةُ ضدِّهِ

قال العبّاس:

ألا إن أيامَ البَلاء على الفتَى طوالٌ وأيّام السّرورِ قِصَارُ

قال بشار:

وللدّهر أيامٌ قِصارٌ إذا سرَت بخير ويومُ الحزْن منه طويلُ

● استطالةُ النهارِ

قال شاعر:

يا طول يومي بالكثيبِ فلم تكَد شمْسُ الظَهيرة تتّقى بحِجابِ

قال أبو تمام:

بيومٍ كطول الدّهرِ في عرض مثلِه ووجْدي من هذا وذيّاك أطولُ

وقال:

يكونُ كالشهر عندي في تطاوله ... اليوم لم أرَه فيه ولم يَرَني

قال الأصمعي لأصحابه: أتعرفون شاعراً استطال يوم اللقاء؟ قالوا: لا قال هو ثوبة حيث يقول:

لكلِّ لقاءٍ تلتقيه بشاشةٌ ... وإن كانَ حولاً كُلُّ يومِ أزورُهَا[1]

فسكتوا فقال: يريد يوماً يقوم مقام حَوْلٍ في السرور:

- **المستقصر ليله لكونِهِ في السرورِ**

قال الكادوسي:

نهار كشبرِ الذر أو هو دونَه ... وليلٌ كإبهامِ القَطاة قصيرُ[2]

قال ابن طباطبا:

يا لَذَّتي بعِناقِ مَنْ ... روّى فمي رشفاً ولثما[3]

في ليلة ضمّتْ على ... جناحِها الغربيب ضمّا

فلوِ استطعتُ جعلت بيـ ... ـنَ ظلامِها والصبْحِ ردْما[4]

قال علي بن عاصم:

سقيا لأيام لنا وليالِ ... قصَر الحبائِبُ طولَها بوصالِ

ما كان طولُ سرورِها لما انقضَتْ ... إلاّ اكتحالَ متيّمِ بخيالِ

قال إبراهيم بن العباس:

وليلة إحدى الليالي الزهر ... قابلت فيها بدرَها ببدْرِ[5]

حتّى تولّت وهي بكرُ الدهرِ

وقال:

ليلَةٌ كادَ يلتَقي طرَفاها ... قِصَراً وهْيَ ليلةُ الميلادِ

- **مدحُ السهَرِ باللّيل وتركِ النوم**

قد أثنى الله تعالى على قوم فقال: كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وقال لنبيه ﷺ ومن الليل فتهجد به نافلة لك، قال كشاجم:

وليلك شَطْرُ عمرِك فاغتنمْهُ ... ولا تَذْهَبْ بشطر العُمْر نَوْماً

---

(١) الحول: العام.
(٢) القطاة: طائر بحجم الحمام.
(٣) اللثم: التقبيل.
(٤) الردم: السدّ.
(٥) بدر (الأولى): بدر السماء ـ بدر (الثانية): وجه المحبوب.

وقال:

تــركْــتُ الــنــوم لــلــنــوّا م إشــفــاقــاً عــلــى عــمْــري

قال ابن نباتة:

فتى يتجافَى قلّةَ النومِ جفنُهُ كأنّ لذيذَ النوم في جفْنه قذى
أطَرفُكَ ساهٍ أم فؤادكُ عاشقٌ يغارُ على عينيْك من سِنة الكَرَى[1]
ومن سَهِرَتْ في المكرُماتِ جفونُهُ رعى طرفُه في جوفها أنجمُ العلى

ولبعض القدماء:

يبيت مسهراً يرعى الهُوَيْنا إذا ما النومُ عانقَهُ الدُثُورُ[2]

ابن المعتز:

أنا مَنْ تعلمون أسهَرُ للمجْد إذا غطّ في الفِراش لئيمُ

وفي تركه أي النوم، قال شاعر:

ولذ كطعم الصبر خدي طرحتُه عشيةَ خمس القومِ والعينُ عاشقَهْ

وقيل سورة النوم والجوع والعطش ساعة فإذا صبرت تجاوزتك. وضدّه قلة النعاس تذهب بالعقل والنوم يزيد فيه.

- **الممدوحُ بقلّةِ النومِ**

قال شاعر في ابنه:

أعرف منه قلّةَ النعاسِ وخفّةً في رأسِه من راسي

وفي الذئب:

ينامُ بإحدى مقلتيْه ويتّقي بأخرى المَنايا فهو يقْظانُ هَاجِعُ

- **المُستَولَى عليه النومُ**

قيل أنومُ من فهد:

ومعرّس نَبّهتُهُ من نومِهِ فكأنما نبّهتُ فهد البِيد

أبو نواس:

كأنّ أرؤسَهم والنومُ واضعُها على المناكبِ لم تعمد بأعناقِ

وقيل: أصل النوم كثرة الشرب وكثرة الشرب من كثرة الأكل.

---

(١) الكرى: النوم.
(٢) الدّثور: مصدر دثره غطّاه بالدثار وهو الثوب الذي يستدفأ به، والدّثور الكسلان.

● مَن دَلَّتْ هيئتُهُ على سهرِهِ

قال إبراهيم بن العباس:

عيناك قد حكما مبيـ ـتك كيفَ كنتَ وكيفَ كانا
ولربَّ عينٍ قد أرتْـ ـك ضميرَ صاحبِها عَيانا

وقال:

جفونُك مقبلةٌ بائخة تخبّرُ عن ليلةٍ صالحه
ونومُك بعد صلاةِ الغداة دليلٌ على سهرِ البارحه

(٨)

ومِمَّا جاء في الوشايةِ والعَذْلِ

●

● النهيُ عن الإصغاءِ إلى الواشي

قال بعضهم:

من جعل النمّام عيناً هلكا من بلغَ السوء كباغيه لكا

وقال الحارث المخزومي:

إن الوشاةَ قليلٌ إن أطعتَهم لا يرقُبُون بنا إلاّ ولا ذِمَمَا[(١)]

وهو كقولهم من شتمك؟ فقال: الذي بلّغك.

● بَغضُ المتصلين بالحبيب

قال الحارثي:

فيا بعلَ ليلى كمْ وكم بأذاتها عدمتُك من بعل تطيل أذاتي
بنفسي حبيبٌ حال بابك دونه تقطع نفسي أثره حَسَرَاتِي

قال عبد الصمد:

لي حبيبٌ أضرّ بي ما أقاسي من فتُوني به وبغضِ أخيهِ
لي موتان من هوى ذا ومن بغضي لهذا فليس لي من شبيهِ

● قلةُ المبالاةِ بالناسِ في تعاطي الشهواتِ

قال بشار:

من راقبَ الناس لم يظفرْ بحاجتهِ وفاز بالطّيبات الفاتكُ اللّهِجُ[(٢)]

---

(١) الإل: العهد والأصل الجيد، والإل العداوة.
(٢) اللهج: المثابر.

ولمّا قال سلم الخاسر:

مــن راقــبَ الــنــاس مــات غــمّــاً ... وفــاز بــالــلــذة الــجــســورُ[1]

قال بشار: ذهب والله بيتي فهو أخف منه وأعذب لا أكلت اليوم ولا شربت، ولما ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان الخلافة أراد أن يتشبه بعمر بن عبد العزيز فشق على حبابة فأرسلت إلى الأحوص وقالت أنشده:

ألا لا تــلــمْــه الــيــومَ أن يــتــبــلّــدا

فلما بلغ:

هــل الــعــيْــش إلا مــا تَــلَــذُ وتــشــتــهــي ... وإن لامَ فــيــه ذو الــشّــنــار وفــنّــدا[2]

قام يزيد وهو يقول: هل العيش (البيت) حتى دخل على حبابة.

- **من تشكك رقيبه في غير محبوبه**

قال العباس بن الأحنف:

قــد سـحـب الـنـاسُ أذيـالَ الـظّـنـون بـنـا ... وفــرّق الــكــلُّ فــيــنــا قــولَــهــم فــرقَــا

فــكــاذبٌ قــد رمَــى بــالــظــنّ غــيــرَكُــمُ ... وصــادقٌ لــيْــس يــدْري أنّــه صَــدَقــا

وقال آخر:

قــومٌ رَمــوا غــيــرَ مــن أهــوى بــظــنّــهــم ... وآخــرون أصــابُــوه ومــا شــعــرُوا

- **المسّرةُ بغيبة الرقيب والتمكّنُ منَ الحبيب**

غــاب الأمــيــرُ أدامَ الله نــعــمــتَــهُ ... وغــاب هــمٌّ كــفَــانــي الله هــيــبَــتَــهُ

غـابـا وقـد غـادرا لـصّ الـهـوى فـرحـاً ... بـنـيـلِ مـا كـان يـشـكُـو مـنـه خَـيـبَـتَـهُ

لــمّــا تــمــكّــنــت مــن بــزّ لأســرقــه ... هـربـت خَـوْفـاً ومـا حـركـت عـيـبَـتَـهُ[3]

- **النّدمُ على الإصغاءِ إلى العذّالِ**

تــكــنــفــنــي الــوشــاةِ فــأزعــجــوهــا ... فــيــالــلّــه لــلــواشــي الــمُــطَــاعِ

فــأصــبــحْــتُ الــغَــدَاة ألــومُ نــفــسـي ... عــلــى شــيء ولــيْــس بِــمــســتــطــاعِ

كــمــغــبــونٍ يــعــضّ عــلــى يــديــه ... تــبــيّــن غــبْــنَــه بــعْــدَ الــبــيــاعِ[4]

قال تاج الكتاب:

وإنّــي غــداةَ ســكُــونــي إلــى ... مــقــالِ الــرقــيــب وهَــجْــر الــسـكَــنِ

كــمَــنْ شــرب الــسّــمّ جــهْــلاً بــه ... ولــم يــدْرِ مــا فــعــلُــه فــي الــبَــدَنِ

---

(١) **الجسور**: ذو الجراءة.

(٢) **الشنار**: العار ـ **فند**: الفند: الكذب.

(٣) **البزّ**: الثياب، أو السلاح.

(٤) **عضّ على يديه**: ندم. **الغبن**: الخسارة في البيع.

● **مَنْ كذب الواشي فيما ادّعى عليه من الهوى وصدقه**

قال ثوبة[1]:

رمَاني وليلى الأخيليّة قومُها ... بأشياء لم تُخْلَقْ ولم أدرِ ماهيا

وقال:

وماذا عَسى الواشون أن يتحدّثوا ... سوى أن يقولوا إنني لك عاشقُ[2]

نعمْ صدقَ الواشون أنتِ كريمةٌ ... علينا وإن لم تصفُ منك الخلائقُ

● **الدعاءُ على العاذِلِ**

قال مورق العقيلي:

فمَن لامَني في أن أهيمَ بذكرِها ... فكلفَ من وجْدي بها ما أكلفُ

قال كثير:

وسعَى إليّ بعيب عزّةَ نِسْوةٌ ... جعلَ الإله خدودَهنَّ نِعَالَها

قال ابن طباطبا:

هو الحبيبُ الذي نفسي الفِداءُ له ... ونفسُ كلّ نصيحٍ لامَني فيهِ

● **خليٌّ يلومُ شجّيا**

قال النميري:

أصبَحتَ تلحاني ولا تدري ... كيف اعترَاني الهمُّ في صدْري

لو كنتَ في صدْري وباشَرْتَ ما ... يلقَى لسارعتَ إلى عُذْري

وقال آخر:

ووالله لو أصبحتَ من ملّة الهوى ... لأقصرتَ عن عذلي وأسرَعتَ في عُذْري

ولكن بلائي منكَ أنك ناصحٌ ... وأنك لا تدري بأنك لا تدري

● **مخالفةُ العذالِ**

قال أحمد بن سليمان بن وهب: قال لي أبي: يا بني قد عزمت على معاتبة عمك الحسن بن وهب في هواه فلانة فقد اشتهر بها وافتضح فأعنّي عليه. فوافيناه فكان من جملة ما قال له أبي: الهوى ألذ وأمتع، والرأي أصوب وأنفع فقال عمّي متمثلاً:

إذا عذلَتْني العاذلاتُ على الهوى ... أبتْ كبدٌ عمّا يقلْنَ صريعُ[3]

---

(١) **ثوبة:** هو ثوبة بن الحميّر الشاعر الذي كان يعشق ليلى الأخيلية.

(٢) **الواشون:** النمّامون جمع الواشي. (٣) **العذل:** اللوم.

وكيف أطيعُ العاذلاتِ وحبُّها ... يؤرّقني والعاذلاتُ هجوعُ[1]

فالتفت إلى أبي يريد المساعدة فقلت:

وإني ليَلحاني على طولِ حبّها ... رجالٌ ترى منهم قلوبٌ صَحائحُ

فقال أبي: قم فأنت مثله أو شرّ منه، قال أحمد بن أبي فنن:

أعاذل إنّ لومَك لي عناءٌ ... فحسبُك قد سمعتُ وقد عصيتُ

قال المتنبي:

إلامَ طماعيةُ العاذل ... ولا رأي في الحبّ للعاقلِ
يرادُ من القلبِ نسيانُكم ... وتأبى الطّباعُ على النّاقلِ
وهبتُ سلوى لِمَنْ لامني ... وبتّ في الشوقِ في شاغلِ

أنشد عبد الله بن طاهر قول من يقول:

أطعتِ الآمريك بصَرْمِ حَبْلي ... مُريهِمْ في أحبّتهم بذاك
فإنْ همُ طاوعوكِ فطاوعِيهم ... وإن عاصوك فاعصي لمَن عصاك

فقال طعنة في كبده هلا قال كما قلت:

قولي لناهيك عن ودّي وعن صلَتي ... يهجر أحبّته والتُّربُ في فِيْهِ
فإن عصاك فردّيْهِ بمعصِيَةٍ ... وإن أطاعَك فأعصيه وأقصيهِ

وقال:

ورُبَّ لومٍ أتاني من أخي سفهٍ ... على ارتماضِي فلم أرفعْ له أُذُنِي[2]

- **مَنْ ذَكَر سرورَ عاذلِهِ بصرم محبوبه**

قال محمد بن أبي عيينة:

لقد شمتَ الواشون أنْ حِيلَ بينَنا ... وسرّوا ألا للشامِتين بنا العُقْبي

وقال التمّار:

صدّ مَنْ أهواه عنّي ... فاشتفى العاذل منّي

- **استطابةُ المَلامةِ**

قال أبو نواس:

إذا غاديتَني بصَبُوح عَذْلٍ ... فَشُوبْهِ بتسميةِ الحبيبِ
فإني لا أعدّ اللومَ فيه ... عليّ إذا فعلتِ، من الذنوبِ

---

(١) هجوع: نيام.

(٢) الارتماض: الاحتراق من الحزن.

وقال:

كفى الأحاديث عن ليلى إذا ذكرت … أن الأحاديثَ عن ليلى تُلهيني

قال بشّار:

لا أحمل اللومَ فيها والغرام بها … لا كلّفَ الله نفساً فوق ما تَسَعُ

● ازديادُ الوجدِ بالعَذْلِ

قيل: النهي عن الشيء داع إلى تعاطيه كآدم وحواء حين نهيا عن الشجرة **وقال** ﷺ: لو نهى الناس عن فت البعر فتوّه، **وقالوا**: ما نهينا عنه إلا وفيه شيء، **قال أبو دلف**:

هل رأيْنا وسمِعْنا من نهى … رجلاً عن سوء فعل فانتهَى

بل إذا عوتب في سيئةٍ … لم يدَعْها أو تعاطى أختَها

قال أبو نواس:

دعْ عنكَ لوْمي فإنَّ اللومَ إغراءُ

قال ابن الحجاج:

دع اللومَ إن اللومَ يُغرِي وربّما … أراد صلاحاً من يلومُ فأفسدا

وأصله لقيس:

وما زادها الواشون إلاّ كرامةً … عليّ ووداً في القلوب مُوَفَّرا

وقيل: من عذل عاشقاً كمن زمر في إست ميت ليطرب.

● السكوت عن مجاوبة العاتب

قال بعضهم:

أعذر أخاك فإنّه رجل … صُمَّتْ مسامعُهُ على العَذْلِ

قال جحظة:

ذراني من ملامكما ذراني … فقد أسرفتما إذْ لمتُماني

فلستُ بضامنٍ لكما جواباً … ولست بسامعٍ ممّن لحاني

● التبرمُ بالوشاةِ

قال مجنون ليلى:

ولو أن واشٍ باليمامة داره … وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليَا[1]

وماذا عليهم أحسنَ اللّهُ حالَهُمْ … من الحظّ في تصريمِ ليلى حَبالِيَا

---

(١) مجنون ليلى: توفّي نحو ٦٩هـ (٦٨٨) شاعر غزل من أهل نجد هو قيس بن الملوّح العامريّ عشق ليلى العامريّة فأبوا أن يزوجوه بها، فهام على وجهه وراح يتغنّى بحبّه العذري واشتهر باسم مجنون ليلى.

قال الخبزارزي:

مـوكـل طـرفُـه بـطَـرْفـي ... كـأنّـه كـاتِـبُ الـذنـوبِ

وقال:

أمنا أناساً كنت قد تأمنينهم ... فزادُوا علينا في الحَديث وأوْهَموا
وقالُوا لنا ما لم نقُل ثم كثّروا ... علينا وباحُوا بالذي كنتُ أكتُمُ

قال الصاحب:

خلّ يَـضُـدّ وعـاذل مـتـنـصـحٌ ... ومناصِحٌ يؤذي ونمّام يُسي[1]

قال أحمد بن أبي سلمة:

يـعـذلُـنـي فـيـه جـمـيـعُ الـورى ... كـأنـي جـئـتُ بـأمـرٍ عـجـيـبِ[2]

● **التبرُم بكثرةِ اللومِ**

قال ابن المعتز:

أظنّ نفسي لو تعشقتُها ... بُلِيتُ فيها بمَلام الرقيبِ

وقال:

واعـنـانـي بـمـحـضَـر ومـغـيـب ... وحـبِـيـبٍ نـأى بـعـيـدٍ قـريـبِ
لـم تـرِد مـاءُ وجـهـه الـعـيـنُ إلا ... شـرقَـت قـبـل ريّـهـا بـرقـيـبِ[3]

وقال:

إن لامَـنـي مـن لا رآه فـقـد ... جارَ على الغائب في الحكْم
وإن لـحـانـي مـن رآه فـقـد ... أضـلّـه الله عـلـى عـلـمِ

● **المرتدعُ عاذله بحُسْنِ محبوبِهِ**

قال الله تعالى قالت امرأة العزيز وقال نسوة في المدينة (الآيتين) إلى قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[4] قال محمد بن بكار:

عـذلانـي عـلـى هـواه فـلـمّـا ... أبـصـرا حـسـن وجـهـه عَـذَرانِـي

وقال:

فلما رآها العاذلات عذرنَني ... وصدقنَني فيما شكَوْتُ من الوَجْدِ

---

(١) الخلّ: الصاحب ـ العاذل: اللائم ـ النمّام: الواشي.
(٢) يقول: إن الورى أي الناس جميعاً يلومونني في حبّه كأنني فعلت ما هو عجب.
(٣) الريّ: الارتواء.
(٤) القرآن الكريم: يوسف/ ٣١.

● **معاتبة من يلوم ولا يعرف العذر**

قال الأفوه:

إن الـمـلامَـة لا تـزالُ بـلا ... عـذر أمـام تـفـهّـم الـعـذرِ

(٩)

وممّا جاء في إبداءِ الهوى وإخفائه

● **المتبجج بإخفائه محبوبه عن الناسِ**

قال شاعر:

فما أنسَ ما الأشياء لا أنسَ موقفي ... وموقفها وهْنا بقارعَة النخلِ
فلما توافقْنا عرفتُ الذي بها ... كمُثل الذي بي حذوك النعْل بالنّعلِ
فقالَت وأرختْ بجانبِ السترِ إنما ... معي فتحدث غير ذي رقْبة أهلي
وقلتُ لها ما بي لهُم من ترقبٍ ... ولكنّ سرّي ليْس يحمله مثلي

وقال العباس:

لأخرجنّ من الدنيا وحبُّكُمْ ... بينَ الجوانحِ لم يشعرْ به أحدُ(١)

قال الخبزارزي:

إذا سَألوني عنك موّهتُ قصّتي ... ولجْلجْتُ لجلاجَ الضّفادع في البحرِ(٢)

● **الكاتمُ هواهُ عن ظواهرِ نَفْسِهِ**

قال سواد بن عبد الله:

خشيتُ لِسَاني أن يكونَ خؤُونا ... فأودَعْته قلبي وكانَ أميناً
وقلْتُ ليخفى بين سمْعي وناظري ... أيا حركاتي كنّ فيّ سكونا
فما إن رأتْ عيني لعيني نظرةً ... ولا سمعت أذني لفيّ حنينا

قال بعض المحبّين:

عندي سرائرُ للحبيب طوَيْتُها ... منّي الضمير بأنها في طَيِّهِ

وقال آخر:

فلو أنّ شيئاً كاتمَ الحبَّ قلبُه ... لمتّ ولم يعْلَمْ بحبّكما قلبي

أخذه من جميل:

ولو أنّ امرأً أخفى الهوى عن ضميرِه ... لمتّ ولم يعلمْ بذاكَ ضميري

---

(١) **الجوانح**: الضلوع.

(٢) **لجلجت**: ترددت في الكلام ـ **اللجلاج**: ثقيل اللسان المتردد في الكلام.

وقال أبو نوح:

قلبي رقيبٌ على طرْفي منَ الحذرِ ... فليس يتركُه يلتذُّ بالنظرِ
بعضي يكاتم بعْضي ما يحَاذِرُه ... فلو سألْتُ إذاً لمْ أدرِ ما خَبري

- **التسترُ بإظهارِ الهَوى في غير المحبوبِ**

قال شاعر:

اسمّيك لبنى في نسيبي تارةً ... وآونةً سعْدى وآونةً ليْلى[1]
حذاراً من الوَاشين أن يفطِنوا بنا ... وإلا فَمَنْ لبنى فدتك ومن ليْلى

وقال أحمد بن أبي فتن:

لساني لليْلى والفؤادُ لغيرِها ... وفي لحظ عيْني مكذبٌ للسانِيا

وقال ابن المعتز:

ألقيْتُ غيْرَك في ظُنونِهم ... فسترتُ وجهَ الحبّ بالحُبّ

- **سترُ الهوى بالوقيعةِ في المحبوبِ**

قال الخبزارزي:

قلْ للّذي ينكر سبّي لهُ ... واللّهِ ما خنْتُك في الغيبِ
وإنّما أحببْتُ سَتْرَ الهَوى ... فعبْتُ ما ليْس بذي عَيبِ
وسَلْه لي عنْ مثْل قد مضَى ... لم رقع البزازُ في الثوبِ؟

- **إظهارُ الهوى قصْدٌ إلى إخفائِهِ**

قال أبو حفص الشطرنجي:

ولقدْ أمَازِحُهِ بإظْهارِ الهَوى ... عمْداً ليكْتُمَ سِرّه إعلانُه
ولربّما كتمَ الهوى إظهارُه ... ولربّما فضَح الهوى كِتْمانُه

- **كتمانُ الهوى عن المحبوبِ**

قال الزبير بن بكار[2]:

استُرْ هواكِ مِنَ الذي تهْوى ... لا تفْضِيَنّ إليه بالشّكْوَى[3]
فلقلّما تبْدي هواكَ له ... إلا تلوى وامتلا زهْوا[4]

---

(١) و (٢) يقول: إنه يسمّي محبوبته بأسماء شتّى من قبيل التمويه وخوفاً من الوشاة والعاذلين.

(٣) لا تغفضين بالشكوى إليه: لا تصرّح له بها.

(٤) الزهو: الإعجاب بالنفس.

- **إسقاطُ الجوى بإظهارِ الشكوى**

قال أبو العتاهية:

إن المحبَّ إذا ترادَف همُّهُ ... يلقى المحبَّ فيستريحُ إليهِ

وقال:

وأبثثت عمراً بعض ما في جَوانحي ... وجرّعتُهُ من مُرِّ ما أتجرّعُ[1]

- **الاستراحةُ بإظهار الهوى**

ولا بُدَّ من شكوى إلى ذي حَفيظَةٍ ... إذا جعلت أسرارَ نفسٍ تطلّعُ

وقال بعضهم: ما رأيت أظرف وأغزل وأمجن من صاحبة يوسف عليه السلام حيث **قالت:** أنا راودته عن نفسه، ثم قالت ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب، **قال محمد بن أبي عيينة:**

تجنّبْ مؤناتِ التدمّث والعَقْلِ ... بعينِك فانظرْ ما تلَذّ وتستَحْلي[2]

قال المتنبي:

والذ شكوى عاشقٍ ما أعلنا

قال الصاحب:

صرّختُ في حبّي عن مشكلهِ ... ولم أحتيج فيه إلى عذلِهِ

وبحت للعالَم باسمِ الهوى ... فليقعُدِ المغتابُ في منزلِهِ

- **إظهارُ الهوى وامتناعهُ مِنْ أنْ يَخْفى**

قال شاعر:

من كانَ يزعمُ أن سيكتُم حبّهُ ... حتّى يشككَ فيه فهو كَذُوبُ

وإذا بدا سرّ اللبيبِ فإنّه ... لم يبدُ إلا والفتى مَغلوبُ

الحبّ أغلبُ للفؤادِ بقَهرِهِ ... من أن يُرى للسرّ فيه نَصيبُ

قال محمد بن طاهر:

يا كاتِمي خيفَةَ الواشي محبتَهُ ... إنّي وحقّكَ أقراهُ من النظَرِ[3]

قال سلم الخاسر:

ولي عند رؤيتِه روعةٌ ... تحقّقُ ما ظنّه المتهِمُ

قال إسحاق الموصلي:

إنّ المحبَّ يرى التوقّرَ سترةً ... فإذا تحيّر في الهَوى لم يُبْصِرِ

---

(١) **أبثثته بعض ما في جوانحي:** كاشفنه بالذي في نفسي، والجوانح الحنايا والضلوع.

(٢) **تجنّب:** تحاشَ ـ **التدمث:** من دمث له الحديث إذا مهّده أو ذكره ـ **تستحلي:** تشتهي ما هو حلو.

(٣) **أقراه:** مخفّف أقرأه.

- **ظهورُ الهوى بالدمعِ**

قال أبو عيسى بن الرشيد:

لِسَانِي كَتومٌ لأسرارِكُم ... ودمعي نمومٌ لسرّي مُذِيعُ
ولولا الدموعُ كتمتُ الهوى ... ولولا الهوَى لم تكنْ لي دموعُ

قال أبو حكيمة:

كأن مجالَ الطرفِ من كلّ ناظرٍ ... على حركاتِ العاشقين رَقيبُ

- **ظهوره بتحوّلِ الجِسْمِ**

قال المتنبي:

أمر الفؤادُ لسانَهُ وجفونَه ... فكتمْنَهُ وكفى بجسمِك مُخْبِراً

وقال الصنوبري:

اكفُّ لسانَ الدمع أن أشكوَ الهوى ... كأنّ لسانَ السّقْمِ لا يُحْسِنُ الشكْوى

- **مبانة العاشقِ معشوقه في هَواه**

قال شاعر:

فتعلمي أن قد كلفْتُ بكُم ... ثم افْعَلِي ما شِئْتِ عنْ علمِ

قال العباس:

لا تحسَبيني ماذِقاً في الهَوى ... إنّي على حبّيكِ مطْبوعُ[1]

قال البحتري:

أعيدي فيّ نظرةَ مستثيبٍ ... توخّى الهَجْرَ أو كَرِهَ الأثاما[2]
تَرَي كبِداً محرّقةً وعيناً ... مؤرّقةً وقلْباً مُسْتَهَاما[3]

وقال رجل لامرأة رآها مرهاء[4]: هلا اكتحلت؟ فقالت: خشيت أن أشغل جزءاً من أجزاء عيني عن النظر إليك.

- **الحثُّ على إظهارِ الجوى للمحبوبِ**

قيل: لا شيء أصيد لامرأة ولا أذهب لعفتها من أن يحيط علمها بأن رجلاً يحبّها فإذا رأت أنه أدمع عينه ولو كان أنسك ما يكون لذهب عقلها، **وقال بشّار:**

عرضن للذي تحبّ بحبّ ... ثم دعه يروضه إبليسُ

وقيل المرأة تكتم الحب أربعين سنة ولا تكتم البغض والكراهة يوماً واحداً.

---

(١) **الماذق:** من ماذق فلاناً في الود: لم يخلص له الود.

(٢) **توخي الشيء:** قصده ـ **الأثام:** الإثم. (٣) **العين مؤرقة:** الساهدة ـ **القلب المستهام:** المتيّم.

(٤) **مرهاء:** بيضاء.

(١٠)

وممّا جاء في مراسلة الحبيب ومكاتبته

● الإرسالُ إلى المحبوبِ

قال كثير: لقيني جميل **فقال:** من أين أقبلت؟ **فقلت:** من عند بثينة **فقال:** لا بد أن ترجع عودك إلى بدئك فتأخذ لي موعداً من بثينة. **فقلت:** عهدي بأبيها الساعة. **فقال:** لا بدّ فقلت وأين عهدتهم؟ قال بالدَوْم يرحضون ثيابهم فرجعت **فقال أبوها:** ما ردّك يا ابن أخي قلت أبيات خطرت لي أردت أن أنشدها ثم أنشدته:

فقلتُ لها يا عزّ أرسل صاحبي ... على نأي دارٍ والموكل مرسِلُ
بأنْ تجعَلي بيْني وبينَك موْعداً ... وأن تأمريني بالذي شئت أفعلُ
فآخر عهدٍ منك يومَ لقيتني ... بأسفل وادي الدَوْمِ والثوْبُ يُغسَلُ[1]

قال: فضربت بثينة جانب خبائها بعمود وقالت أخسأ، فقال أبوها ما هو؟ قالت: كلب يأتينا من وراء الرابية. فعدت إليه وقلت قد وعدتني أن تجيء من وراء الرابية.

قال شاعر:

يا صاحبي فَدَتْ نفسي نفوسَكما ... وحيثما كنتما لقيتما رشَدا
إن تحملا حاجةً لي خفّ محمَلُها ... تستوجبا نعمةً عندي بها ويَدا
إن تُقرِئا منزلَ الأحبابِ ويحكما ... مني السلامَ وأن لا تخبِرا أحَدا

قال آخر:

وقد أرسلَتْ في السرّ أنْ قدْ فضَحْتَني ... ونوّهت باسمي في النّسيب ولم تكنِ[2]

● مَنْ عادَ رسولُهُ بمكروهٍ

قال ديك الجن:

أبطأ الرسولُ فظلْتُ أنتظرُ ... لا النومُ يأخذني ولا السَهَرُ
ردّ الجوابِ بكلّ معْضلةٍ ... إن شمّروا للهجر واتّزروا
أزجر فؤادَك أن يهيمَ بهم ... إن العصا لكَ قد أرى قشروا[3]

---

(١) **وادي الدوم:** موضع ورد ذكره في كثير من الشواهد الشعرية أو الدوم لغة الظلّ الدائم (معجم البلدان لياقوت: ٢/٥٥٣).

(٢) **النسيب:** شعر الغزل والتشبيب بمحاسن المحبوب.

(٣) **أزجر:** أردع وأمنع ـ **قشروا لك العصا:** مثل يضرب عند المكاشفة.

● **إرسالُ الريحِ إليه**

قال البحتري:

ألا يا نسيمَ الريح بَلِّغْ رسالتي ... سلَيْمي وعرِّضْ بي كأنك مازحُ[1]
فإن سألت عنّي سليمي فقُلْ لها ... به غُبَّرٌ من دائه وهو صالحُ[2]

وقال:

لي إلى الريح حاجةٌ إن قضتْها ... كنتُ للريحِ ما بَقيتُ غُلامَا
حجبُوها عن الرّياح لأني ... قلتُ للريح بلّغيها السّلامَا

وقال:

فلو أنّ ريحاً أبلغَت وحيَ مرسلٍ ... خفيّ لناجيتُ الجنوبَ على الجنبِ
وقلتُ لها أدّي إليهم تحيّتي ... ولا تخلطيها طال سعدُك بالتربِ
فإني إذا هبّت شمالاً سألتُها ... هل ازدادَ صداحُ النميرةِ من قربِ

● **مَنْ حَسَد رسولَهُ لتمتعِه بالنظرِ إلى محبوبِهِ**

عشق المأمون جارية لبعض المتكلمين المتّصلين به وكان يراسلها ببعض من أفشى إليه سره فقال يوماً وقد بعث إليها:

ألا ليتَني كنتُ الرسولَ وكأنّني ... فكانَ هو المقصَى وكنت أنا المُدْنَى[3]
بعثتُكَ مشتاقاً ففزتَ بنظرةٍ ... وأغفَلْتَني حتى أسأتُ بكَ الظنّا
وسرّحتَ طرفاً في محاسنِ وجهها ... ومتّعتَ باستمتاعِ نغمتِها الأذْنا
أرى أثراً منها بعَينك لم يكُن ... لقد سرقَتْ عيناكَ من عينها حسْنا

قال محمد بن أمية:

أن تشقَ عيني بها فقَد سعِدَتْ ... عينُ رسولي وفزْتُ بالخَبَرِ
خذْ مقلَتي يا رسولُ عاريةً ... فانظرْ بها واحتكِمْ على بصَري

● **تأسفُ مَنْ خلفه رسولُهُ على محبوبِهِ**

قال شاعر:

بعثت رسولاً فأضحى خليلاً ... على الرغمِ مني فصبْرا جميلا
وكنتُ الخليلَ وكان الرسولَ ... فصار الخليلَ وصرتُ الرسولا
كذا من يوجّه في حاجة ... إلى من يحبّ رسولاً نبيلاً

---

(١) **التعريض**: الذمّ غير الصريح أو المباشر. (٢) **غبر**: بقايا.
(٣) **المقصى**: المبعد من أقصاه ـ **المدنى**: المقرّب من أدناه.

قال المتنبي:

مـا لـنـا كُـلُّـنـا جـوىً يـا رسـولُ　　أنـا أهـوى وقـلـبُـك الـمـتـبـولُ
كـلـمـا عـادَ مـن بـعـثـتُ إلـيْـهـا　　غـارَ مـنّـي وخـان فـيـمـا يـقـولُ

● **التعرّضُ لرسولِ محبوبِهِ**

بعثت عنان جارية الناطفي وصيفة لها إلى أبي نواس تدعوه فاحتال فقضى منها وطرا[1] وكتب إليها:

نـكـنـا رسـولَ عـنـان　　والـرأيُ مـا قـد فـعـلْـنـا
فـكـان خـبـزاً بـمـلـحٍ　　قـبـلَ الـشـواء أكـلْـنـا

وبعثت أخرى جاريتها فعادت وبوجهها أثر ريبة فسألتها فزعمت أنه خمشها فعاتبته فقال:

زعـمَ الـرسـول بـأنّـني خـمـشـتُـه　　كـذبَ الـرسـولُ وفـالـقِ الإصـبـاحِ
شغلي بحبّك عن سواكِ وليْس لي　　قـلـبـان مـشـتـغِـلٌ وآخـرُ صـاحِ

قال النوفلي:

وقـد زعـمـت يـمـنّ بـأنّـي أردتُـهـا　　على نفسِها تبّاً لذلك من فِعْلِ[2]
سلوا عن قميصي مثلَ شاهدِ يوسفٍ　　فإنّ قميصي لمْ يكُنْ قُدّ مِن قُبُلِ[3]

● **الراغبُ إلى حبيبِهِ أن يكاتبَهُ**

قال شاعر:

يـا زيـنَ مـن ولَـدَتْ حـوّاءُ مـن رجـل　　لـولاكَ لـم تـحـسُـنِ الـدنـيـا ولـم تَـطِـبِ
أمـا الـلـقـاءُ فـشـيءٌ لـسْـتُ آمـلُـه　　فـمـا يـضـرّك لَـوْ نَـاجَـيْـتُ بـالـكـتُـبِ

وقال:

فإن لـم تـكـونـوا مـثـلـنـا في اشـتـيـاقِـنـا　　فـكـونُـوا أنـاسـاً تـحـسِـنـون الـتـحـمّـلا
ومـاذا عـلـيـكـم لـو سـمـحـتُـم بـأحـرفٍ　　فـأوجـبـتُـم فـيـهـا عـلـيْـنَـا الـتـفـضّـلا

---

(١) **قضى وطراً:** أي قضى حاجته.

(٢) **تبّ تبّاً:** هلك، وتبّاً له بالنصب على المصدر بإضمار فعل أي جعله الله خاسراً أو هالكاً أو ضعيفاً.

(٣) **يوسف:** هو يوسف بن يعقوب، وفي البيت إشارة إلى قصة يوسف مع امرأة العزيز ـ **قدّ القميص من قبل:** أي قطع من الأمام وخلافه قدّ من دبر أي من الخلق ـ (انظر القرآن الكريم: سورة يوسف الآيات: ٢٥ ـ ٢٨) من قُبْل (أو قُبُل): أي من الأمام وخلافه من دُبُر.

قال ابن طباطبا:

أنـــا راضـــي يـــا مـــنـَـــى ... نـفـسـي بـنـيـلِ مـنـك نَـزْرِ[1]

فـكِـتـــابٌ بـــل بـــسـطـرٍ ... بـلْ بـحـرفٍ دون سَـطـرِ

● المسرّةُ بورودِ الكتابِ

قال شاعر:

أتـانـي كـتـابٌ فـيـه ذكـرُ زيـارةٍ ... وقـد كـانَ قَلْبي قبلَ ذلك يَخْفُقُ

فـقـبّـلْـتُـه مـسـتـبْـشِـراً بـورودِهِ ... وأهـديـتُـه لـلـقـلْـبِ لا يـتـفـرّقُ

قال المهلّبي:

طـلـع الـفـجرُ مـن كـتـابِك عـنـدي ... فـمـتـى بـالـلّـقـاء يـبـدو الـصّـبـاحُ

ذاك إن تـمّ لـي فـقـد عـذبَ الـعـيـ ... ـشُ ونـيْـلُ الـمـنـى وريـشُ الـجَـنـاحْ

قال محمد بن طاهر:

عــلامـــةُ مـــن بـــودّك أن تـــراه ... يـطـيـلُ إلـيْـك إن غـبْـتَ الْـكِـتَـابـا

إذا قـــصّـــر الـــكـــتـــابُ فـــأيْ ودّ ... تـرجّـى مـن حـبـيـبِـك حـيـن غـابـا

(١١)

ومِمّا جاءَ في مزاورةِ الحبيبِ وملاقاتِه والنظرِ إليه

المتنبّي:

كـم زورةٍ لـكَ فـي الأعـراب خـافـيـةٍ ... أدْعـى وقـد رقَـدوا مـن زورةِ الـذّيـبِ

أزورهُـم وسـوادُ الـلّـيـل يـشـفَـع لـي ... وأنثني وبياضُ الصبحُ يُغري بي[2]

وله:

وكـم لـظـلامِ الـلّـيْـل عـنـدي مـن يـدٍ ... تـخـبـرُ أنّ الـمـانَـويَـةَ تـكـذِبُ[3]

وقال ابن المعتز:

وجاءَني في قميصِ اللّيْل مستَتِراً ... يستعجِلُ الخطْوَ من خوْف ومن حَذَرِ

ولاحَ ضـوءُ هـلالٍ كـادَ يـفـضـحُـنـا ... مثلَ القُلامة قد قُدّت عنِ الظّفرِ[4]

---

(١) النزر: الشيء القليل.

(٢) يشفع لي: يقدم لي العون ـ أنثني: أعود راجعاً ـ يغري بي: يحضّ عليّ.

(٣) المانوية: مذهب ماني الفارسي القائل بمبدأين هما مبدأ النور والظلام، والشاعر هنا يظهر ما لليل من يد عليه لأنه يستر زيارته للمحبوب.

(٤) القلامة: ما سقط من طرف الظفر ـ قدّت: قطعت.

فقمتُ أفرشُ خدّي في الطريقِ له ... ذلاً وأسحَبُ أذيالي على الأثرِ
وكان ما كانَ مما لستُ أذكره ... فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخَبرِ

قال جحظة:

زارني خائفاً وقد جثَم اللّيـ ... ـلُ ونامَ السحراسُ الرصَدُ[١]
جرّه سكره وساوره الخوْ ... فُ فوافى سكرانَ يرتعِدُ

قال سعيد النصراني:

وعد البدرُ بالزيارة ليلاً ... فإذا ما وفى قضيْتُ نذُوري[٢]
قلتُ يا سيدي ولم تؤثر الليـ ... ـلَ على بهجةِ النّهار المنيرِ
قال لا أستطيع تغيير رسْمي ... هكذا الرسمُ في طلوعِ البدورِ

- **مَنْ صار الطيبُ والحُلَى واشياً عند زورتِهِ**

قال البحتري:

وزارتْ على عجَل فاكتَسى ... لزورتِها أبرقُ الحَزْن طيبا[٣]
فكانَ العبيرُ بها واشِيا ... وجَرْس الحُلِيّ عليْها رقيبَا

قال بشار:

أملي لا تأت في قمرٍ ... لحديثٍ واتق الذّرعا[٤]
وتوقّ الطيب ليلتنا ... إنه واشٍ إذا سَطَعَا[٥]

قال العباس:

قامت تثنى وهي مَرْعُوبَةٌ ... تود أنّ الشملَ مجموعُ
بكى وشاحَاها فلم يسكُتا ... وإنما أبكاهما الجوعُ
فانتبه الهادون من أهلِها ... وصارَ للموعِدِ مزجوعُ
لا تستلقِ أبداً بعدها ... إلا ونمّامك منزوعُ
ما بال خلخالِك ذا خرسة ... لسان خلخالِك مقطوعُ

- **امتناع المحبوبِ**

قال شاعر:

قلت زورينا فقالَتْ عجَبا ... أتراني يا فتى قاضي مُنى

---

(١) **جثم الليل:** انتصف وجثم أيضاً الطائر أو الحيوان: تلبّد بالأرض فهو جاثم، والمقصود هنا بجثوم اللّيل امتداد ظلمته ـ **الحراس الرصد:** أي الرقباء الذين يترصدون الحركات والسكنات.

(٢) **النذور:** جمع نذر وهو ما يوجبه المرء على نفسه تبرّعاً من مال ونحوه إذا هو فاز بوطر أو حاجة.

(٣) **أبرق الحزن:** اسم موضع. (٤) **اتق:** احذر ـ **الذرع:** السّار ليلاً أو نهاراً.

(٥) **توقّ:** احذر ـ **الطيب:** رائحة العطر ـ **يقول:** إن العطر إذا فاح فهو كالواشي الذي يفضح لقاءات الأحبّة.

إذ يـصـلـي وعـلـيـه دينـهـم		أنـتَ تـهـوانِـي، وآتـيـكَ أنـا

قال أبو دهم:

لـمـا رأيـتُ مـعـذبـي		ألـفـيـتُـه كـالـمـحـتـشـمْ

فـطـلـبـتُ مـنـه زورةً		تـشـفـي الـسّـقـيـمَ مـن الـسّـقَـمْ

فـأبـى عـلـيّ وقـالَ لـي		فـي بـيـتـه يـؤتـى الـحـكـمْ

● **من سأل رفيقه أن يزور به صديقه**

قال شاعر:

خـلـيـلـيّ عُـوجـاً بـاركَ الله فـيـكُـمـا		وإن لـمْ تكـنْ هـند لأرضِكـمـا قَصْدَا

وقـولا لـهَـا لـيْـس الـضـلالُ أجـازَنـا		ولـكـنّـنـا جـزْنـا لـنـلـقـاكُـمُ عَـمْـدَا

وقال نصيّب:

بزينب ألْمِمْ قبل أن يظعَنَ الركْبُ		وقل أن تملّينا فما ملك القلبُ

وقال:

خليلَيّ مِنْ عوفٍ عفا الله عنكما		ألـمّـا بـهـا إن كـان مُـرْخَـى ظـلامُـهَـا

فـإنّ مَـقِـيْـلـي عـنـد ظـمـيـاء سـاعـةً		لـنـا خـلـف مـن نـومـةٍ سـنـامُـهـا[1]

● **النهي عن كثرة النظر وذمّه**

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [2] **وقال النبي ﷺ:** لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست الآخرة **وقال:** زناء العين النظر. **وقال عيسى عليه السلام:** لا يزني فرجك ما غَضَضْتَ طرفك. **وقيل:** من كثرت لحظاته دامت حسراته. فضولُ المناظرة من فضول الخواطر. **قيل:** نظر رجل إلى امرأة فقالت لِمَ تنظر إلى ما يقيم أيرك وينفع غيرك؟ **وقال أبو الفيض:** خرجت حاجاً فمررت بحي فرأيت جارية كأنها فلقة قمر فغطت وجهها، **فقلت** يرحمك الله أنا سفر وفينا أجر، فمتعينا برؤية وجهك فقالت:

وكـنْـتَ مـتـى أرسلت طـرفَـكَ رائـداً		لـقـلـبِـك يـومـاً أتْـعَـبَـتْـكَ الـمـنـاظـرُ

رأيـتَ الـذي لا كـلّـه أنـتَ قـادرٌ		عـلـيـه ولا عـنْ بـعـضـه أنـتَ صـابـرُ

ومرت أعرابية بجماعة من بني نمير فأداموا لها النظر **فقالت:** يا بني نمير ما فعلتم بقول الله: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ولا بقول الشاعر

فـغـضّ الـطّـرْف إنّـكَ مـن نُـمَـيـر		فـلا سـعـداً بـلـغـت ولا كِـلابـاً[3]

---

(١) **المقيل:** النوم وقت القيلولة.

(٢) **القرآن الكريم:** النور/ ٣٠.

(٣) **فضّ طرفه:** خفضه وكفّه وكسره.

فأطرقوا حياء وقال العبّاس بن الأحنف:

ومستفتح باب البلاءِ بنظرةٍ … تزوّد منها شغله آخرَ الدهرِ

قال أبو تمام:

إن لله في العباد منايا … سلطتْها على القلوبِ العيونُ

● النهيُ عن تمكينِ المرأة من النظر إلى الرجل

قال بعضهم: لإن يرى ألف رجل امرأتي أسهل عندي من أن ترى امرأتي رجلاً، قال ذو الرمة:

لا تأمننّ على النساء ولو أخاً … ما في الرجال على النساء أمينُ

إن الأمين وإن تحفظ جهده … لا بدّ أن بنظرة سيخونُ

● الرخصةُ في النظر

قال الحسن: النظر إلى الوجه الحسن عبادة معناه إن الرائي يقول: سبحان خالقه ومنه قيل النظر إلى عليّ عبادة ورؤي شريح بقارعة الطريق فقيل له ما وقوفك؟ قال: عسى أن أنظر إلى وجهِ حسنٍ أتقوى به على العبادة. وقال ابن الدمينة:

يقولُون لا تنظُرْ وتلْك بليّةٌ … ألا كل ذي عينَيْن لا بُدَّ ناظرُ

وليسَ اكتحالُ العيْن بالعينِ ريبةٌ … إذا عفّ فيما بينَهُنّ الضمائرُ

وقال مصعب بن الزبير وكان جميلاً لصوفي رآه يحد النظر إليه: لِمَ تحدّ النظر إليّ؟ فقال: لا تنكر نظري فإنك من زينة الله في بلاده. أمَا سَمِعتَ قول أبي دلف.

ما لِمَنْ تمّت محاسنُه … أن يعادي طرْفَ مَنْ رَمَقا(١)

لك أن تبْدي لنا حسْناً … ولنا أن نعمِلَ الحَدَقَا(٢)

قال آخر:

أبرزوا وجهه الجميـ … ـلَ ولامُوا من افتتَنْ

لو أرادوا عفافة … نقبُوا وجهه الحَسَنْ

قال التمار:

لا تمنعنِّي إن نظر … تِ فلا أقلّ من التنظَرْ

دعْ مقلَتي تنظُر إليـ … ـكَ فقد أَضرَّ بِها السَّهَرْ

● النظرُ الشديدُ

نظر أشعب إلى ابنه وهو يحادث امرأة فقال: يا بني نظرك هذا يحبل وغنّى

---

(١) رمق: نظر.

(٢) تبدي: تظهر وتكشف ـ الحدق: سواد العين، وقوله: نعمل الحدق كناية عن النظر ـ يقول لمحبوبه اكشف لنا عن محاسنك حتى نمتع العين بتأملها.

مخارق في مجلس الواثق بقول عمر بن أبي ربيعة:

نظرت إليها بالمحصب من منًى ... ولي نظر لولا التحرّج عارمُ(١)

فقال ما تحفظون في هذا؟ فقال ابن أبي دؤاد أحفظ فيه شيئاً ظريفاً وهو:

ولي نظرٌ لو كانَ يُحْبِلُ ناظرٌ ... بنظره أنثى فقد حبلت عنّي(٢)

فإن ولدت ما بيْن تسعَةِ أشهر ... إلى نظري شيئاً فذاك إذاً منّي

فقال أشد منه للأخطل:

فلا تقربْ بيوتَ بني كليبٍ ... ولا تقرَب لهم أبداً رحالاَ

ترَى فيها لوامِعَ مبرقاتٍ ... يكذَنَ ينكُنَ بالحدَق الرِجالا

قيل لعاشق تمكن من لقاء محبوبه: هل اشتفيت؟ فقال:

وفي نظري الصّادي إلى الماءِ حسرة ... إذا كانَ ممنُوعاً سبيلُ المواردِ

وقال آخر:

يرنُو وينظُر حسرةً ... نَظَرَ الحِمارِ إلى القضيمِ

● **مَنْ تمنّى النظرَ إلى محبوبهِ والاستشفاءِ بلقائِهِ**

قال الخبزارزي:

مستفتساحُ كلّ لذاذةٍ ... نَظَرُ المحبِ إلى الحبيبِ

طوبَى لعَيْنٍ بصرَتْ ... وجهَ الحبيب بلا رَقيبِ

قال ابن قنبر:

رمدت في الحبّ عينني ... فاكحلُوها بالحَبيبِ

قال العباس:

إذا ما التقَيْنا كانَ أكثرَ حظّنا ... وغايةَ ما نرضى به النَظَرُ الشَزْرُ

● **إزديادُ الوجدِ بالنظرِ**

قال وهب الهمداني:

زوّدت العيْنَ من لواحظها ... زاداً فكانَ الحِمامُ في النظرِ

قال الأحوص:

إذا قلتُ إني مُشتَفٍ بلقائها ... فحمّ التّلاقي بينَنا زادَني وَجْدَا

---

(١) المحصب: موضع رمي الجمرات في منى، ومنى من مناسك الحجّ قرب مكّة ـ النظر العارم: الشرس والمؤذي.

(٢) النظر الشزر: النظر بمؤخر العين كراهية أو غضباً أو ازدراء.

قال إبراهيم الموصلي:

ولو أني نظرتُ بكلّ عينٍ ... لما استقصت محاسِنَهُ العيونُ[1]

● تورك الذنب على العين والقلب.

قيل:

قال الصولي:

فمَنْ كانَ يؤتى من عدوّ وصاحبٍ ... فإني من عيني أتيتُ ومنْ قلْبي

هما اعتوراني نظرَةٌ ثم فكرةٌ ... فما أبقَيَا لي من رُقادٍ ومن لُبِّ[2]

وقال:

إذا لمت عينيّ اللتين أضرّتا ... بجسْمي يوماً قالتا لي لم القلبا

فإن لُمْتُ قلْبي قالَ عيناك قادتا ... إليْك البلايا ثم تجعل لي الذنبا

قال أبو القاسم المصري:

ألومُ قلبي وناظِري فهُما ... تعاوَنا والنوى على قلبي

● تورك الذنبِ على العين دونَ القلْبِ

قال أبو تمام:

لأعذِّبن جفونَ عيْني إنّما ... بجفونِ عيْني جُلُّ ما أتعذَّبُ

قال ابن المعتز:

عيني أشاطَتْ بدمي في الهَوى ... فأبكوا قتيلاً بعضُهُ قاتِلُهْ

قال المعطوي:

فلا عَجَبٌ ولا أمرٌ بديعٌ ... جناياتُ العيونِ على القُلوبِ

● توركهُ على القلبِ دونَ العين

كفى بكون القلب مذنباً وداعياً إلى فعل الشر أنّ النفس لأمّارةٌ بالسوء وقول النبي ﷺ أعدى عدوك نفيسة بين جنبيك، قال شاعر:

ألا إنّما العيْنان للقلبِ رائِدُ

قال الموسوي:

النفس أعدى عدوّ أنت حاذِرُهُ ... والقلبُ أعظَمُ ما يُبْلى به الرجلُ[3]

● قلّةُ شبعِ العينِ من النظرِ

قيل: لا تشبع عينٌ من نظر، ولا أذنٌ من خَبَر ولا أرضٌ من مَطَر ولا أنثى من ذَكَر.

---

(١) استقصت العين محاسنه: أحاطت بها، والاستقصاء تتبع المعطيات حتى نهايتها للإحاطة الكاملة.

(٢) اعتوره: تداوله ـ الرقاد: النوم ـ اللبّ: العقل.

(٣) يقول: عليك أن تحذر رغائب النفس محذراً من عواطفها معتبراً أحاسيس القلب مصدر بلاء وتعب.

قال أبو العباس:

لــيــتَــنــي إذ أراه كــلّــي عــيــونٌ ... فــبعــيــنَــيْــنِ لــسْــتُ أشــبــعُ مــنــه

● **اختلاسُ النظرِ خشيةَ الرقباءِ**

قال أبو الشيص:

ونــظــرةُ عــيــنٍ تــعــلــلــتُــهــا ... حــذاراً كــمَــا نــظــرَ الأحــولُ

تــقــســمــتُــهــا بــيــن وجــهِ الــحــبــيــب ... وطــرفِ الــرقِــيــب مَــتَــى يــغــفــلُ

ونحوه:

إذا مــا الــتــقــيْــنــا والــوشــاةُ بــمــجــلــسٍ ... فليْس لنا رُسْلٌ سوى الطرْفِ للطَرْفِ[1]

فــإنْ غــفَــل الــواشــون فــزْتُ بــنــظــرةٍ ... وإن نظرُوا نخوي نظرْتُ إلى السقفِ

وقال:

حــمــدت إلــهــي إذْ بــلانــي بــحــبّــهــا ... علــى حــول أغنَى عن الــنــظــر الــشــزرِ

نــظــرتُ إلــيــهــا والــرقــيــبُ يــظــنّــنــي ... نــظــرْتُ إلــيــه فــاســترحْــتُ مــن الــعُــذْرِ

● **التخاطبُ بالنظر**

قال معقل بن عيسى:

إذا نحنُ خِفْنا الكاشِحينَ ولم نُطِقْ ... كــلامــاً تــكــلّــمْــنــا بــأعــيــنِــنــا شــزرا[2]

قال علي بن هشام:

فــســلــمــت إيــمــاءً وودّعَــتْ خــفــيــةً ... فكانَ جوابي كسرَ عينٍ وحاجبِ[3]

قال ابن أبي طاهر:

وفــي غــمْــز الــحــواجــبِ مــســتــراحٌ ... لــحــاجــات الــمُــحْــب إلــى الــحــبــيــبِ

وقال:

ومــجــلــسُ لــذّةٍ لــم نــقــوَ فــيــه ... عــلــى شــكْــوى ولا عــدّ الــذنــوبِ

فــلــمّــا لــم نــطِــق فــيــه كــلامــاً ... تــكــلــمــتِ الــعــيــونُ عــلــى الــقــلــوبِ

وقالت الهند: لِلمحظِ ترجمان القلب واللسان ترجمان البدن.

---

(١) **الطرف**: العين ـ يقول: ليس للمحبين من رسل بحضور الوشاة سوى العيون.

(٢) **الكاشحون**: جمع كاشح وهو العدد والمبغض.

(٣) **الإيماء**: الإشارة ـ يصف حذره من الوشاة وكيف كان السلام إيماءة والوداع خلسة وكيف جعل خفض عينه وحاجبه جواباً.

● **كونُ نظرِ المحبوبِ إلى مُحِبِّهِ قاتلاً**

قال ابن الرومي:

نظرت فأقْصَدتِ الفؤادَ بسهْمِها ... ثم انثنَتْ عنه فكاد يهيَمُ

ويلاه إن نظرَتْ وإنْ هي أعرَضَت ... وقعُ السهام ونزعُهُن أليمُ

● **تحيُّر العاشقِ بالنظرِ إلى معشوقِهِ**

قال أحمد بن أبي ظاهر:

عتابا كأيامِ الحياة أعدُّه ... لألقى به بَدْرَ السّماءِ إذا حَضَرْ

فإن أخذت عيني محاسِنَ وجهه ... دهشتُ لما ألقى فيملكُني الحَصَرْ(١)

● **السهلُ اللقاءِ الصعبُ المنالِ:**

قال شاعر:

فقلْتُ لأصحابي هيَ الشمسُ ضوؤُها ... قريبٌ ولكنْ في تناولها بُعْدُ

قال أبو نواس:

مبذولَةٌ للعُيون وجنتُه ... ممنوعَةٌ من أنامِل الجَاني(٢)

وليْس لي فيهِ ما خلا نظرٌ ... يُشرِكُني فيه كلُّ إنسَانِ

قال العباس:

هي الشمسُ منزلُها في السّماء ... فعَزِّ الفؤادَ عزاءً جَميلاً

فلنْ تستطيعَ إليها الصعودَ ... ولنْ تستطيعَ إليْك النزولاَ

● **مَنْ سَهُلَ بالكلامِ وَصعب بالمنالِ**

قال إبراهيم بن المهدي:

وقد يلينُ ببعضِ القولِ يبذلُه ... والوَصْل في وزر صعبٌ مَرَاقِيهِ(٣)

فالخيزران منيع منك مكسُره ... وقد يُرَى ليّناً في كفّ لاوِيهِ(٤)

---

(١) **الحصر**: العيّ والعجز عن النطق أو اعتقال اللسان من الكلام - **يقول**: إنه ينير بمحاسن وجه الحبيب فيعتريه العيّ والحصر.

(٢) **الوجنة**: صفحة الخدّ - **الأنامل**: أطراف الأصابع - **يقول** إن محاسن وجهه مبذولة للناظرين ولكنها محظورة على أنامل الآثمين.

(٣) **يبذله**: يجود به - **الوزر**: الإثم.

(٤) **لاويه**: الذي يلويه أي يثنيه.

- **المؤثِرُ للمواقعةِ**

قال شاعر:

لم يصفُ حبُّ لمعشوقَيْن لم يذُقا ... حبّاً يحلّ على من ذاقَه الغُسْلُ[1]

قال الخبزارزي:

إذا ما قنِعْنا بالتّواصُلِ في الهَوى ... فلا أنتَ معشُوقٌ ولا أنا عاشقُ

فلا وصلَ إلا أن يكونَ تباذلٌ ... ولا بذلَ إلا أن يكونَ تعَانُقُ

إذا لمْ يتمّ الوصْلُ والبذْلُ في الهوى ... فأمّ الهوى من بعْدِ هذين طالِقُ

قال أبو تمّام:

وقالوا نكاحُ الحبّ يفسدُ شكلَه ... وكم نكَحوا حبّاً وليس بفاسدِ

وقال أبو القيس: مرّ بي إدريس بي أبي حفصة فوقف عليّ وأنشدني:

ولما التقيْنا قالَت الحكْمَ فاحتكِم ... سوى خصلةٍ هيهات منك مرامُهَا

فقلْتُ معاذَ الله من تلك خصلة ... نموتُ ويبقى بعد ذاك أثامُها[2]

وكان عندنا شيخ من فرغانة **فقال** ما تفسير هذا؟ ففسرته له **فقال**: أما نحن فمتى عشقنا واحداً نكناه في إستِه ليس هذا عشقاً أو لا يقوم عليه.

- **استحسانُ التقاءِ المتحابين**

قال مسلم العنبري:

لا شيءَ أحسنُ في الدنيا وساكِنها ... من وامقٍ قد خلا فرداً بمَوْموقِ[3]

قال العباس:

لم يخلق الرحمن أحسنَ منظَراً ... من عاشقَيْنِ على فِرَاشٍ واحدِ

- **المعانقةُ**

قال إبراهيم الصولي:

ساعدنا الدهر فبتنا معاً ... نحمِلُ ما نجني على السُكرِ

فكنْتُ كالماءِ له قارعاً ... وكان في الرقّة كالخَمْرِ[4]

قال الأخطل:

وإني وإياها إذا ما لقِيتُها ... لكالماءِ من صوبِ الغمامَة والخَمْرِ

---

(١) **الغسل**: التطهّر بالماء وإزالة الجنابة.

(٢) **الأثام**: الإثم.

(٣) **الوامق**: المحبّ ـ **الموموق**: المحبوب.

(٤) **قرع الخمر بالماء**: مزجها به.

قال الجاحظ:

كم بين قولِ امرىء القيس ... تقولُ وقد مالَ الغبيطِ بنا معاً[1]

وبين قول علي بن الجهم:

سقى الله ليلاً ضمنا بعد هجعةٍ ... وأدنى فؤاداً من فؤادٍ معذّبِ
فبتنا جميعاً لو تُراقُ زجاجةٌ ... من الراحِ فيما بيننا لم تسرّبِ

وقال:

فبتنا على رغم الحَسودِ كأننا ... خليطانِ من ماءِ الغَمَامَةِ والخَمْرِ

قال البحتري:

وربت ليلة قد بت أُسقى ... بعينيها وكفيها المدامَا
قطعنا الوصل لثماً واعتناقاً ... وأفنيناه ضمّاً والتِزامَا

قال ابن المعتز:

كأنني عانقتُ ريحانةً ... تنفسَتْ في ليلها الباردِ
فلو تُرانا في قميصِ الدجا ... حسبْتَنا من جَسَدٍ واحدِ[2]

قال ابن طباطبا:

وضَيَّقْتُ فيه من عناق معانِقي ... فظنّ وشاتِي أنني نائمٌ وَحْدي

● مَنْ ذَكَر تمكّنهُ مِن مَحْبُوبه

قال جحظة:

حبيبٌ جاد لي ... بالرِّيق والظلماء معتكِفَهْ
وسامَحَني بما أهوا ... هُ بعد التيهِ والأَنفَهْ
ستشكُرُ فعلَه نفسٌ ... بعَجزِ الشكْرِ معترِفَهْ

قال المأمون:

يا ليلةً فزنا بها حلوةٌ ... جامعةٌ في ظلّها الشملُ
شرابُنا وكاساتُنا ... شفاهُنا والقُبَلُ النقلُ[3]

---

(١) الغبيط: الرحل يشدّ على الهودج.
(٢) قميص الدجى: ظلمة اللّيل، وهو يكنى بذلك عن اللقاء والتواصل بين المتحابين وظلمة اللّيل كالقميص الذي يسترهما عن العيون.
(٣) النقل: ما يؤكل على الشراب من فستق أو فاكهة ونحوهما.

● **تمني تقبيلِ الحبيب والاقتصارُ منه عليه**

قال شاعر:

واللهِ لو نِلْتُكَ إذ نلتقي ... عيناً لقبّلتُكَ ألفَيْنِ

قال الصنوبري:

نويتُ تقبيلَ نارِ وجنَتهِ ... فخفتُ أدنو منه فأحترقُ

قال محمد بن أبي أمية:

فما نلتُ منها مُحَرَّماً غيرَ أنّني ... أقبِّلُ بسّاماً من الثغرِ أفلَجا[1]

وألثِمُ فاها تارةً بعدَ تارةٍ ... وأتركُ حاجاتِ النفوسِ مُحرَّجا

● **تقبيلُ الحبّ إعتراضاً**

قال ابن المعتز:

وكم عناقٍ لنا وكم قُبَلٍ ... مختلساتٍ حذارَ مرتقِبِ

نقرَ العصافيرِ وهي خائفةٌ ... من النواطيرِ يانعَ الرُّطَبِ[2]

قال أبو نواس:

وعاشقَيْنِ التفَّ خدّاهما ... عند التثامِ الحجَرِ الأسودِ

فاشتفيا من غيرِ أن يأثما ... كأنّما كانا على موعِدِ

لولا دفاعُ الناسِ إيّاهما ... لما استفاقا آخرَ المسندِ

نفعلُ في المسجدِ ما لم يكنْ ... يفعلُهُ الأبرارُ في المسجدِ

قال ابن أبي ربيعة:

فمررتُ مختفياً أمرُّ ببيتها ... حتّى ولجتُ على خفاءِ المولجِ

قالتْ وعيشِ أخي وحرمةِ والدي ... لأنبهنّ الحيَّ إنْ لم تخرجِ

فخرجتُ خيفةَ قولِها فتبسّمتْ ... فعلمتُ أنّ يمينَها لم تُحْرِجِ

فلثمتُ فاها آخذاً بقرونِها ... شربَ النزيفِ لبردِ ماءِ الحَشْرَجِ[3]

● **استطابةُ تقبيله اختلاساً واختفاءً**

قال كشاجم:

ما لذّةٌ أبلغُ في طِيبِها ... من لذّةٍ في إثرِها عَضّةْ

---

(١) **الثغر الأفلج**: أي المتباعد الأسنان وانفراج الأسنان من محاسن الثغر.

(٢) **الرّطب**: ما نضج من البلح قبل أن يصير تمراً.

(٣) **آخذاً بقرونها**: أي وهو يشدّها إليه ـ **الحشرج**: الكوز الرقيق يبرّد فيه الماء.

خلّصتها بالكرهِ من شادنٍ ... يعشقُ منه بغضةً بَغضه

قال ابن سكرة:

سألته في صحوه قبلةً ... فردّني والموتُ في ردّه

حتّى إذا السّكْرُ ثنَى جيدَه ... قبّلتُه ألفاً بلا حَمْدِهِ(1)

وقال الحسن بن وهب قبلتها فوجدت بين شفتيها ريحاً لو نام فيها المخمور لصحا.

قال المتنبي:

شاميّة طالَ ما خلَوْتُ بها ... تبصِرُ في ناظِري مُحَيّاها

فليتَها لا تزالُ آويةً ... وليتَه لا يزالُ مأواها

قال الصاحب:

قال إذا قبّلني خدّه ... إنّما القُبْلةُ عنوانُ الصلّة

قال الصابيء:

أقبلت ثم قبّلتْ ظهر كفّي ... قبلة تنقَعُ الغليلَ وتَشفي(2)

فتلظّى فمي عليها ووَدّت ... شفتي أنّها هنالِك كَفي

فعضضتُ اليَدَ التي قَبّلَتْها ... بفمِ حاسِدٍ يريد التشفّي(3)

قال الصاحب:

أو ما لتقبيلِ يدي ... فقُلتُ لا بَلْ شفتي

قال الموسوي:

ومقبّل كفّي وددتُ بأنّه ... أوما إلى شفَتيّ بالتّقبيلِ

● موضعُ التقبيلِ

قيل: قبلة المؤمن المصافحة وقبلة الرجل زوجته الفم وقبلة الوالد الولد الرأس وقبلة الأم الابن الخد. قال أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه: قبلة الولد رحمة وقبلة المرأة شهوة وقبلة الوالدين عبادة وقبلة الأخ الأخ رقة وزاد فيه الحسن وقبلة الإمام العادل طاعة.

● مَنْ سألَ محبوبَهُ الوَصْلَ

وقال الواواء الدمشقي:

أيا مَنْ هوَ الفوْزُ لي بالمُنى ... ومن هو بالودّ منّي حقيقُ(4)

---

(1) الجيد: العنق ـ ثنى السكر جيده: أي استبدّ به السكر واستولى عليه النعاس فمال عنقه.

(2) تنقع الغليل: تروي الظمأ وحرارة الوجد.

(3) التشفّي: الانتقام وشفاء الغليل. (4) حقيق: جدير.

تـغـنـم بـنـا غـفـلاتُ الـزمـانِ فـوجْـهُ الـحـوادِثِ وجْـهُ صَـفـيـقُ[1]

وقال:

تـعـالَ بـنـا نـغْـصِ الـوُشـاةَ ونـشْـتـفـي مـن الـوَصْـل قـبْـل الـمـوْت ثـم نـتـوبُ

كتب إبراهيم الموصلي إلى قينة:

دعي الوصْل لا أسمَع بيومِك إنّما سألْتَ شيْئاً ليْس يغري لكم ظهرا

فأجابته لكن يملأ لنا بطناً، قال شاعر:

يـا قـضـيـبـاً مـخْـصَـرُه وكـثـيـبـاً مُـؤزرُه[2]

لـيْـتَ شِـعْـري مـتـى تـجـو دُ بـمـا لا نُـفَـسّـرُه

- **سؤاله عودة النائلِ**

قال المتنبي:

أمنعِمَـةٌ بـالـعَـودَةِ الـظَّـبـيـةُ الـتـي بغيْر وليّ كان نائلُها الوسمِيّ[3]

قال بشار:

يـا رحـمـةَ الله حـلّـي فـي مـنـازِلـنـا حسْبي برائحةِ الفردوسِ مِنْ فيكِ[4]

قـد زرتِـنـا مـرّة فـي الـدهـر واحِـدةً ثنّي ولا تجعَليها بيْضَة الديكِ[5]

- **المستكثِر قليلَ الوصلِ من حبيبته**

قال بعضهم:

بـحـرمـةِ مـا قـدْ كـانَ بَـيْـنـي وبـيـنَـكـم مـن الـوَصْـل إلا عُـذتُـم بـجـمـيـلِ

وإنـي لـيُـرْضِـيـنـي قـلـيـل نـوالِـكُـمْ وإن كُـنْـتُ لا أرضـى لـكُـم بـقَـلـيـلِ

قال آخر:

قـفـي ودِّعـيـنـا يـا مـلـيـحُ بـنـظـرةٍ فـقـدْ حـانَ مـنّـا يـا مـلـيـحُ رحـيـلُ

ألـيـسَ قـلـيـلاً نـظـرةٌ إن نـظـرتُـهـا إلـيْـك وكـلا لـيْـس مـنـك قـلـيـلُ

قال ابن المعتز:

قـل لـمَـن حـيّـا فـأحْـيـا مـيّـتـاً حُـيّـيْـتَ حـيّـاً

مـا الـذي ضـرّك لـو أبـقـيـ ـتَ لـي فـي الـكـاس شـيّـا

---

(١) **الحوادث**: نوائب الدهر ـ **الوجه الصفيق**: الوقح.

(٢) **القضيب**: الغصن ـ **الكثيب**: التلّ ـ يصف نحول خصره وامتلاء أردافه.

(٣) **الوسمي**: أوّل مطر الربيع.

(٤) **حلّي**: الأمر من حلّ في المكان: نزل فيه ـ **يقول**: إن في ثغرها رائحة من الجنة وهو مكتف بها.

(٥) **بيضة الديك**: كناية عن استحالة الشيء أو عدم تكرار حدوثه.

هـل تـرانـي كـنـت إلا مـثـلَ مـنْ قـبْـل فـيّـا

- **الرضا بأن حبيبَه يخطرُهُ في قلبِهِ**

قال ابن الدمينة:

لـئِـن سـاءَنـي أن نـلـتَـنـي بـمـسـاءةٍ لـقَـدْ سـرّنـي أنّـي خَـطَـرْتُ بـبـالِـكِ

وقال:

رضيتُ بسَغي الوهم بيني وبيْنه وإنْ لمْ يكُنْ في الوَصْل منه نصيبُ

- **الرضا بأن ينظر أرضَ حبيبِهِ**

يـقـرّ بـعـيـنـي أن أرَى مـن مـكـانِـهـا ذرا عـقـدات الأبـرقِ الـمـتـقـاوِدِ[١]
وأن أردَ الـمـاءَ الـذي شـربَـتْ بـه سليْمي وقد ملّ السرى كلّ واحدِ[٢]
وألْـصِـقَ أحْـشـائـي بـبَـرد تـرابـه وإن كـانَ مـخـلـوطـاً بـسمّ الأسـاوِدِ

- **الرّضا بكونِهِ مع الحبيب في الدُّنْيا**

قال أبو نواس أرضى الناس قيس بن ذريح في قوله:

ألـيـس الـلّـيـلُ يـجـمَـعُـنـي ولـيـلـى ألا يـكْـفـي بـذلـك مـن تَـدانِ
تـرى وضـحَ الـنـهـار كـمَـا أراه ويـعـلـوهـا الـظـلام كـمـا عَـلانِـيْ

وقال:

ويـقـرّ عـيـنـي وهـي نـازِحَـةٌ مـا لا يـقـرّ بـعـيْـن ذي الـحـلـمِ
أنّـي أرى وأظـنّـهـا سـتـرى وضـحَ الـنـهـار وعـالـي الـنـجـمِ

- **رجاء لقاء المحبوب**

قال الحارثي:

أرانـا بـه الله مـا لـم تـزَل تـبَـشّـرُنـا حـسـنـاتُ الـظُّـنُـوْنِ

وقال:

مـا أقـدر الله أن يـدنـي عـلـى شـحـط مَنْ داره الحزنُ ممّن دارُه صول[٣]
الله يـطـوي بـسـاطَ الأرض بـيـنـهـمـا حتى يرى الربع منه وهو مَأهولُ

- **من حبيبه مناه**

قال شاعر:

ولـمـا نـزَلْـنـا مـنـزلاً طـلّـه الـنّـدى أنيقاً وبستاناً من النّوْر حالِيا[٤]

---

(١) **الإبريق**: اسم موضع. (٢) **السرى**: السير ليلاً. (٣) **الشحط**: البعد.
(٤) **النّدى**: الطلّ، أي ما تتركه رطوبة اللّيل من قطرات على أوراق النبات ـ **النور**: الزهر.

أجدّ لنا طيبُ المكان وحسنُه ... منىً فتمنّينا فكنتِ الأمانيا

● **تمنّي مجاورتِه**

قال شاعر:

تمنيْتُ في عرض الأماني وربّما ... تمنى الفتى أمنيةً ثم نالَها
ألا ليْت سعدى جاورَتْني حياتُها ... فتعلَم ما حالِي وأعلَم حالَها

قال الفرزدق:

ألا ليتَنا نِمْنَا ثمانين حِجَّةً ... تنامُ معي عزيانةً وأنامُها
ضجيعَيْن مستورين والأرضُ تحتَنا ... يكونُ طعامي شمّها والتزامُها

قال جميل:

أقولُ والركْبُ قد مالَتْ عمائِمُهُمْ ... وقد سقَى القَوْم كأس النعسَة السهرُ
يا ليْت أني بأثوابي وراحِلتي ... عبدٌ لقومِك هذا الشهْر مؤتَجَرُ

● **مَنْ أحبّ أن يجتمَع مع حبيبِهِ وإنْ كانَ في شَقاء**

قال كثيّر:

ألا ليتنا يا عزُّ من غيْر ريبةٍ ... بعِيران نرْعى في الخَلاء ونعزبُ(١)
كلانا به عَرٌ فمن يَرنا يَقُل ... على حسْنها جرباء تعْدي وأجْربُ(٢)
إذا ما وردْنا منهلاً صاحَ أهلُهُ ... علينا فلا ننفكّ نرْمي ونضربُ
نكونُ بعيرَي ذي غِنى فيُضيعنا ... فلا هو يَرْعانا ولا نحن نُطْلبُ

فلما سمعت عزّة ذلك قالت لقد تمنى لي وله الشقاء الطويل.

قال ديك الجن

ألا ليتَنا كنّا جميعَيْن في الهَوى ... تضُمّ علينا جنّةٌ أو جهَنّمُ

قال ابن حجّاج:

قلْت ستّي كلّميني ... قبْل أن أحصلَ مُثْلَهْ(٣)
اضرِبي من طِين باب است ... تِك خرطومي بكُتْلَهْ
قد طَلَبْنا منكَ ما لا ... تَكره الحُرةُ بَذْلَه
ليتَني أمسيْت في عقْ ... صَةِ شعْر إستك قمْلَهْ

---

(١) لغزب: تذهب بعيداً ـ تمنى كثير أن يكون وصاحبته عزة بعيرين برعيان في الخلاء ويذهبان بعيداً.
(٢) العرّ: الجَرَب، والعرّ الأجرب، والعرّ أيضاً الشرّ والعيب.
(٣) المثلة: الآفه والعقوبة.

● **الرضا من حبيبه بالأماني والمواعيدِ الكاذبة**

قال كثيّر:

وإني لأرضى منك يا عِزّ بالذي ... لو أبصَرَه الوَاشِي لقرّت بلابلُهْ[1]
بلا وبأنْ لا أستطيعُ وبالمُنى ... وبالوعْد والتسويفِ قد ملّ آملُهْ[2]
وبالنظرة العجلى وبالحَوْل ينقضِي ... أواخرُه لا تنقَضِي وأوائِلُهْ

قال جميل:

فصلى بحبْلِك يا بثينَ حبائِلي ... وعِدي مواعدَ مُنجزٍ أو ماطِلِ[3]

قال الموسوي:

وما ضرّهم إذْ لمْ يجُودوا بمقنعٍ ... من النّيْل لو منّوا قَليلاً وسوّفوا[4]

قال كشاجم:

ضنّت بموعِدها فقلْت لها ... يا هذه فعِدي بأنْ تَعِدي

● **انتظار وعد الكاذب**

قال جحظة:

يا كاذباً في وعده بلسانه ... منْ لي بمصّ لسانِك الكذّابِ
ما زلْتُ منتظِراً لوعْدِكَ مفرداً ... بالبَيْتِ مرتَقِباً لقَرْعِ البابِ

● **قطع الأوقات بالأماني**

قال ابن المعتز:

يا مانِعَ العيْن طيبَ رقْدَتها ... ومانحَ الجِسْم كثرةَ العِلَلِ
علّمَني حبُّك المقامَ على الضّيْـ ... ـم وقطعَ الأيّام بالأمَلِ

وقال:

منى أنْ تكُن حقاً تكنْ أحسنَ المُنى ... وإلا فقَد عشْنا بها زَمنا رَغْدا
أمانيّ مِنْ سعدى حسانٌ كأنّما ... سقَتْك بها سُعدى على ظَمأ بَرْدا

---

(١) **البلابل**: البلبال شدّة الهم ووشواش الصدر هذا البيت والتاليان منسوبة أيضاً إلى جميل بن معمر وأولها:

وإن الأرض من بثينة بالذي

(٢) **التسويف**: المطل في إنجاز الوعد.

(٣) **صِلي**: الأمر من وصل، ووصل الحبائل نقيض قطعها والحبائل روابط الحبّ.

(٤) يقول الشاعر حبذاً لو أن الأحبّة يجودون بالقليل، بل هو يرضى بمجرد التمنّي ولا يعيره التسويف، وفي هذا ما يدل على قناعة المحبّ من العذريين أو الذين يذهبون في الحبّ مذهبهم.

(١٢)
وممَّا جَاء في الطَّيفِ

●

● **مَنْ يسمحُ بخيالِه ويضنُّ بوصالِهِ**

قال البحتري:

أهـلا بـزَائـرَة الـمُـلِـمّ لَـوَ أنّـه — عرفَ الـذي يـعـتـادُ من إلْـمامِـه[١]
جذلان يـسـمَحُ في الكرَى بعناقِه — ويضنّ في غيرِ الكَرى بسلامِه[٢]

وقال:

بنَفْسي من تنأى ويدنو ادّكارها — ويبذُلُ عنها طيفُها ويمانِعُ[٣]

وقال:

وإذا مـا أبـى الـحـبـيـبُ مـواتـا — تي تبلّغتُ بالخَيال المُسَلِّم

قال أحمد بن أبي طاهر:

فبِتّ بها ضيْفاً مُقِيماً برحله — وباتَتْ بنا طيْفاً تقيمُ ولا تَدْري
وزارت وما زارَت وجادَتْ ولم تَجُدْ — وواصَل عنها الطيْفُ وهي على الهَجْرِ

قال ابن المعتز:

شفَـانـي الـخَـيـالُ بـلا حـمْـده — وأبـدَلـنـي الـوصْـلَ مِـنْ صَـدِّهِ
وكَـمْ نـوْمَـةٍ لـي قَـوَّادةٍ — أتـتْ بـالـحـبـيـبِ عـلى بُـعْـدِهِ

وقال كشاجم:

قَـدْ جـادَ طَـيْـفُـك لـي بـوعـدِك — وأجـارَنـي مـنْ طُـول صـدّك
ودنـا إلـيّ مـعـانِـقـاً — ومـصـافِـحـاً خـدّي بـخـدّك
فـظـفـرْتُ مـنْـك بـمـا هـوَيْـ — ـت بـحـمـدِ طـيـفِـك لا بـحَـمْـدِك

● **من منعَ خيالَه بتسليط السّهادِ على محبِّهِ**

قال شاعر:

فـكـانَ يـزورُنـا مـنْـه خـيـالٌ — فـلـمّـا أنْ جـفـا مَـنَـعَ الـخَـيـالا

قال علي بن يحيى المنجم:

بـأبـي أنـت لـمْ جـفـانـي خـيـالٌ — لـكَ قـد كـنْـتُ أسْـتـريـحُ إلـيْـهِ

---

(١) **الملمّ**: الذي يزور أحبّته لماماً. (٢) **جذلان**: فرح ـ **يضنّ**: يبخل ـ **الكرى**: النوم.
(٣) **الإدكار**: التذكر ـ **يبذل**: يجود ـ **طيفها**: أي خيال المحبوبة.

أرشِدني إلى خيالِك كيما ... أتقاضاه موعداً لي عليهِ[١]

وقال:

إنّ فقدَ النومِ أعدمني ... رؤيةَ الأحباب في الحُلُمِ

قال أبو نواس:

كيفَ السبيلُ إلى طيْفٍ يزاورهُ ... والنومُ في جملةِ الأحبابِ هاجرُهُ

● بغضُ طيف ذي هجران

قال أبو دلف:

لا تحمدنَّ على نوالٍ في الكَرَى ... من ليْس في غيْرِ الكَرَى بِمَنولِ

قال المتنبي:

إنّي لأبغض طيفَ مَنْ أحببتُهُ ... إن كانَ يهجرُنا زَمانَ وِصالِهِ

قال المهلّبي:

إنّما الطّيْفُ المُلِمُّ ... فَرَحٌ يتلوهُ هَمُّ

قلّما يُحْمَد أمرٌ ... ليْس فيهِ ما يُذَمُّ

قالت عابدة المهلبية:

خطبْتُ خيالَه فإذا خيالٌ ... مطولٌ مثلُ صاحبِهِ بخيلُ[٢]

فإن توقّعي طيْفاً جواداً ... وصاحبُه بخيلٌ مستحيلُ

● مَنْ ذَكَر الخَيَال بات الفكر إزاره

قال أبو تمام:

نَمْ فما زارَكَ الخيالُ ولكنْـ ... ـنَك بالفكر زُرْتَ طَيْفَ الخيالِ

قال المتنبي:

لا الحلمُ جاءَ بهِ ولا بمِثالِه ... لولا ادّكار وداعِه وزيالِهِ[٣]

إن المُعيد لنَا المنامُ خيالَهُ ... كانتْ عبارتُهُ خيالَ خيالِهِ

بِتْنا يناولُنا المُدامَ بكفّهِ ... مَنْ ليْس يخطرُ أن نَراهُ ببالِهِ

فدنوتُمُ ودنوُّكُم مِنْ عندهِ ... وسمحتُمُ وسماحُكُمْ مِنْ مالِهِ

● مَنْ أسهرَهُ خيَالُ حبيبِهِ

قال علي بن يحيى:

زارَني طيفُ الخَيَال فمَا ... زادَ أن أغرَى بِيَ الأَرَقا

---

(١) تقاضاه: من قاضاه إلى الحاكم رافعه، وتقاضاه: الدين طالبه به.

(٢) الخيال المطول: أي المماطل الذي يسوّف في إنجاز الوعد. (٣) الزيال: الفراق.

قال الفرزدق:

شَبَتْ لعيْنك سلْمى عند مَقْفَاها ... فبتّ منزعجاً من بُعْدِ مَرْآها[1]

وقلتُ أهلاً وسهلاً ما هداكِ لنا ... إن كُنْتِ تمثالَها أو كُنْتِ إيّاها

قال ابن الرومي:

طردَ الكَرَى عنّي وراحَ بحَاجَتي ... وقضَى عليّ بأجرَةِ الحمَّام

● من تمنّى المَنَام لأجلِ لقاءِ الخيالِ

قال قيس بن ذريح:

وإنّي لأهْوى النوْمَ من غيْرِ نفْسهِ ... لعَلّ لقاءً في المَنام يكُونُ

تخبرني الأحلام إنّي أراكمُ ... فيا ليْتَ أحلامَ المَنامِ يَقِينُ

● من ذمّ الصبح لمفارقةِ الخيالِ

قال البحتري:

وليلةَ هوّمْنا على العِيسِ أرسلَتْ ... بطيفِ خيالٍ يشبهُ الحقَ باطلُهْ

فلولا بياضُ الصّبحِ طالَ تشبُّثي ... بعطْفَيْ غزالٍ بتّ وهْناً أغازلُهْ[2]

وكمْ من يدٍ لللّيْلِ عندي حميدةٍ ... وللصُّبْحِ من خطْبٍ تُذَمُّ غوائلُهْ[3]

● المخافةُ من تهديد الطيف

قال شاعر:

رجا راحةً في النّوْمِ حتّى إذا غفَا ... أتى طَيْفُ من يهوى يهدّدُ بالهَجْرِ

فقامَ يُنادي والدموعُ بوادرٌ ... أيا طيفَ منْ أهوى قتَلْتَ ولا تدْري

(١٣)

●

وممّا جاء في السلوّ

● من ذكَر تسلّيه عن مخبوبه بما لا يَسْلى بِهِ

قال كثير

ولما أبى إلا جماحاً فؤادهُ ... ولمْ يسلُ عنْ ليْلى بمالٍ ولا أهلِ

---

(١) مقفاها: مرأى قفاها والقفا مؤخر العنق.

(٢) التشبث: مصدر تشبث بكذا أي تعلّق به ـ وهناً: بعد منتصف اللّيل.

(٣) الغوائل: الدّواهي والمهالك، جمع غائلة.

تـسـلّى بـأخـرى غـيـرِهـا فـإذا الّـتـي تسلّى بـهـا تُـغـري بـلـيْـلـي ولا تُـسْـلـي

قال البحتري:

وقـالـوا تـجـنـبـهـا تـفـسـق فـاجـتـنـبـتـهـا زمـانـاً فـمـا أسْـلـى فـؤادي الـتَـجـنُـبُ
وقـالُـوا تـقـرّبْ يـخـلـقُ الـحـبّ أو تـجـد عـلالـة قـلـبٍ فـاخـتـلانـي الـتـقـرّبُ

- **مَنْ بغى له بعد ما تسلى علالة من الهَوَى**

قال معاوية:

صَـرَمْـتُ سـفَـاهَـتـي وأرخـتُ حِـلْـمـي وفـي عـلْـمـي تـحـمُـلـي اعـتـراضُ[1]
عـلـى أنّـي أجـيـبُ إذا دعـتـنـي إلـى حـاجـاتِـهـا الـحـدقُ الـمِـرَاضُ

قال البحتري:

إنـي إذا جـانـبـتُ بـغـضَ بـطـالَـتـي وتـوهَـمَ الـوَاشـون أنّـي مـقـصِـرُ
لـيـشـوقُـنـي سـحـرُ الـعُـيـونِ الـمـجـتـلـى ويـروقُـنـي وزدُ الـخُـدود الأحـمـرُ

- **من قَرُبَ سلوّه من عشقِهِ**

قال محمد بن بشير:

سـريـع الـعُـلـوق إذا مـا هـوَى سـريـعُ الـنـزوع إذا مـا عـلِـقْ
فـبـيـنـا يـرَى عـاشـقـاً إذ سـلا وبـيـنـا يـرى قـالِـيـاً إذ عـشـق[2]
رأيـتُ الـوصـالَ وهـجـرانَـهُ يـكـونـان مـنـه مـعـاً فـي نَـسَـقْ

وقيل لأعرابية كم تعشقين؟ فقالت:

ثـلاثـيـن ألـفـاً كُـلّ يـوم أحـبّـهـم ومـا فـي فـؤَادي واحـدٌ مِـنْـهُـمْ يَـبْـقـى

- **امتناعُ النفسِ من الرجوعِ إلى مَنْ أبغضَتْهُ**

قال العباس:

ردُّ الـجـبـال الـرواسـي عـنْ أمـاكِـنـهـا أخـفّ مـن ردّ نـفـسٍ حـيْـنَ تـنـصـرفُ

وقال:

إذا انـصـرفَـتْ نـفْـسـي عـن الـشّـيءِ لـم تـكـد إلـيْـه بـوجـه آخـر الـدهـر تُـقْـبِـلُ

وقال آخر:

إنّ قـلـبـي أعـزُّ مـن أنْ تَـراه فـي مـحـلّ الـهـوى لـقـلـبـكِ عـبْـداً

---

(١) سرّح (الشيء): أرسله وأطلقه مأخوذ من سرّح المواشي أي أرسلها ترعى ـ السفاهة: الجهل ورذءة الخلق.
(٢) سلا يسلو العاشق: نسي عشقه وتغلّب عليه ـ قالياً: مبغضاً أو كارهاً.

● الراغبُ عن محبوبِهِ

قال أبو عيينة:

لقد جعلَتْ تعرضُ لي سعادُ ... تعرّضَ مَنْ يُريدُ ولا يُرادُ
فقلتُ لها: كسدتِ فلا تعني ... بنا فلكلّ نافقةٍ كسادُ[1]
فما لك إنْ أقمتِ عليّ رزقٌ ... ولا لك إنْ ظعنتِ عليّ زادُ

وكتب أبو نواس لما خرج من بغداد:

ألا قل لأخلاّتي ... ومن همتُ بهم وَجْدا[2]
شربنا ماء بغداد ... فأنسانا كُمُ جدّا
خذُوا منّا فإنا قد ... وجدنا منكمُ بُدّا
ولا ترعَوا لنا عهداً ... فما نرعى لكمْ عهدا

قال كثير:

فإن سألَ الواشون فِيمَ هجرتَها ... فَقُل: نفسُ حرّ سُلِيَتْ فَتَسلَّتْ[3]

● التسلّي عَمّنْ رغِبَ في غيرِكَ

قال الخبزارزي:

إذهبْ وهبتُك للذين اخترتَهُمْ ... هبةَ الكريم فإنّه لا يرجعُ

وقال:

ولمّا بدا لي منك ميلٌ مع العِدا ... سوايَ ولم يحدث سواكَ بديلُ
صددت كما صدّ الرزي تطاولت ... به مدةُ الأيامِ وهو قتيلُ[4]

قال ابن المعتز:

القلبُ لا يجمع إثنينِ ... والغمدُ لا يجمع سيفينِ
تاهَ فَأَفْضَيْتُ إلى غيره ... خار إلهي للفريقين

قال ابن الرومي:

يا ذَا الذي منك التنـ ... ـكُّر والتغييرُ والنُّبوّ[5]
إنْ كانَ أدركَك الملا ... لُ فقدْ تداركني السّلُوّ

---

(١) كَسَد يكسد الشيء: لم ينفق لقلة الرغّاب فيه ـ النافقة: خلاف الكاسدة.

(٢) الوجد: شدّة الولع بالمحبوب، الكلف بالمحبوب.

(٣) سليت: نُسِيت. (٤) الرزي: المنكوب.

(٥) التنكّر: التغيّر، وتنكر لفلان صار غريباً عنده ـ النبوّ: الجفاء.

وقال:

كـــلانـــا واجـــدٌ فـــي الـســـنـــا ... س مـــمّـــن مـــلـــه خَــلَـــفَـــا

قال أبو الشيص:

إذا لـم تـكـن طرقُ الـهوى لي ذليلَةً ... تنكّبْتُها وانحزتُ للجانب السّهلِ

ومالي أرضى منه بالجورِ في الهَوى ... ولـي مثـلُه ألفٌ وليْسَ له مِثْلِي

● **المتبجّحُ بالغدرِ مع أحبابِهِ**

قال بعضهم:

يـا ربّ مـثـلـك فـي الـنّـسـاء عـزيـزةٌ ... بـيـضـاءُ قـد مـتـعـتـهـا بـطَـلاقِ

لـم تـدرِ مـا تـحـت الـضـلـوعِ وغـرُّهـا ... مـنّـي تـحـمّـل شـيـمَـتـي وخـلاقِـي

● **مَنْ ذكَرَ قلّةَ توفره على الهوى**

يقال رجل عزهاة إذا لم يكن غزلاً وقيل في ضده زير نساء، قال البستي:

ولـلـخـودِ مـنّـي سـاعـة ثـم بـيـنـنـا ... فـلاةٌ إلـى غـيـر الـوفـاءِ تُـجَـابُ(١)

وغـيـرُ فـؤادي لـلـغـوانـي رمـيـةٌ ... وغـيـرُ بـنـانـي لـلـزجَـاج رِكَـابُ(٢)

● **استدعاءُ القلب إلى التسلي**

قال المتنبّي:

وأعـلـمُ أن الـبـيْـنَ يُـشـكـيـكَ بـعـده ... فـلـسْـتَ فُـؤادي إنْ رأيْـتُـكَ شـاكِـيـا(٣)

قال بشّار:

وقـد رابَـنـي قـلـبي يـكـلّـفـنـي الـصّـبـا ... وما كلُّ حينٍ يتبعُ القلبُ صاحبَهْ

وقال آخر:

كـلّ الـلّـذاذاتِ والـتّـصَـابـي ... قـبـل الـثـلاثـيـنَ تُـسْـتَـطَـابُ(٤)

---

(١) **الخُود**: جمع الخَوْد وهي المرأة الشابّة ـ **جاب الفلاة**: قطعها.

(٢) **الغواني والغانيات**: جمع غانية، والمرأة الغانية بحسنها وجمالها عن الزينة ـ **البنان**: الإصبع أو طرفه ـ **الزّجاج والأزجّة**: جمع زجّ، الحديدة في أسفل الرمح، ويقابل الزّج السنان، **والزّجاج أيضاً** الرماح من باب المجاز المرسل وهذان البيتان ينسبان أيضاً إلى أبي الطيّب.

(٣) **البَيْن**: الفراق ـ **يقول** إن قلبه سيشكو من فراق محبوبه لكن الشاعر يجعل إرادته وكبرياءه فوق قلبه ولهذا يلحّ على قلبه أن يكف عن الشكوى وإلا أنكره وتبرّأ منه.

(٤) **التصابي**: الميل إلى اللهو واللعب ـ **تستطاب**: تستلذ ـ **يقول**: يستطيب المرء في شبابه قبل الثلاثين من عمره كل لذائذ الدنيا وملاهيها.

وقال آخر:

كفى سفهاً بالشيب أن يأتي الصّبا وأن يأتي الأمرُ الذي هو عائِبُهُ

(١٤)

وممّا جاءَ في فنونٍ مختلفةٍ من الغزل

•

قال شاعر:

إذا اجتمع الجوع المبرّحُ والهوى على الرجل المسْكين كاد يَمُوْتُ

قال ابن ميادة:

فيا أهلَ ليلى أكثرَ اللّهُ فيكم من أمثالها حتّى تجودوا لَنا بِها

وقال جميل:

أتوني وقالُوا يا جميلُ تبدّلت بثينةُ إبدالاً لا فقلتُ لعلّها
وعلّ حبالاً كنتُ أحكمت عقْدَها أتيحَ لها واشٍ رقيقٌ فحلّهَا

وقال البحتري:

رأيتك إنْ منّيتَ منّيتَ موعِداً جَهاماً وإن أبْرَقْتَ أبْرَقْتَ خلّبا[1]

وقال شاعر:

طلبنا دواءَ الحبّ يوماً فلم نجد من الحبّ إلا من يُريْدُ مُدَاوِيا

وقال عبد الله بن طاهر:

وكلّ مُحبٍ جفا مَن يُحِبّ جَفتهُ السّلامةُ والعافيه

وله:

أيام لم تلجِ النّوى بينَ العَصا ولِحَائِها

وقال الخيزارزي:

ظبيٌ تفلّتَ من حَبْلِي فأوقَعَنِي في حبْله إنّ في عينيْه لي شَرَكاً[2]

---

(١) الجهام: السحاب لا ماء فيه والموعد الجهام الموعد الكاذب الذي لا يُنجز ـ البرق الخلّب: الذي لا يرافقه المطر.

(٢) يشبه المحبوب بالظبي ويقول بأن هذا الظبي أفلت من حبال حبّه وأوقع هو في حبال عينيه فعيناه شرك له والشرك حبائل الصيد.

● **استفتاءُ فقيهٍ في الهوى**

قال أعرابيّ:

إلا استفتيا المكّي ذا الفقه ما الذي ... يحلّ من التقبيلِ في رَمضان

فقال لي المكّيّ أمّا لزوجةٍ ... فسبْعٌ وأما خِلَّةٍ فثمانِ

وقال أبو العالية:

سل المفتي المكيّ هلْ في تزاورٍ ... وضمّة مشتاقِ الفؤاد جُناحُ[1]

فقالَ معاذ الله أن يذهِبَ التقى ... تلاصُقُ أحشاءٍ بهِنّ جِراحُ

● **مَنْ سلكوا في تصرفاتهم مسلكَ مذاهبِهِم في صناعاتِهِمْ**

قُلْتُ لا أستطيع هجرك قالت ... صرْتَ بعدي تقول بالإجبارِ[2]

ما تخيلت منْ مقالةِ بشر ... بن غياث ومذهبِ النّجارِ

قال السعيد بن حميد:

قد قلت بالعذل ولكنّني ... عَدَلْتُ في الحبّ عن العذْلِ

فقلْتُ بالإجبار مستغفِراً ... للّه منْ قولي ومن فِعْلِي

قال جعفر الخياط:

فتقْتُ بالهجران دَرزَ لهْوي ... إذا وخزَتْني إبرةُ الصّدِ

قال بعض الزّراعين:

زَرَعْتُ هواه في كرابٍ من الهوى ... وأسقيْتُه ماء الدّوام على العَهْدِ

وسرقنْتُه بالوَصل لم آل جاهداً ... ليحرزه السرقين من آفةِ الصّدِ[3]

فلمّا تعالى النبْت واخضرّ يانعاً ... جرَى يرقان البينِ في سنبل الود[4]

وقال حلاّج:

حلجْتُ قطْن فؤادي بالهَوى فغَدا ... في الصدّ تندفُه الأحزان بالنّدِ

وقال حجّام:

حلقت بموسى الغدر ناصيةَ العَهْد ... وأجريت مشطَ الهَجْر في لحيَةِ الوَجْدِ

---

(١) **الجناح**: الإثم.

(٢) **الإجبار**: أي الجبرية وهي مذهب القائلين بأن الإنسان لا يملك إرادته فهو مجبَر وليس مخيّراً وقد اصطنع الشاعر في هذا البيت الجبرية في باب الغزل والنسيب.

(٣) **السرقين**: الزبل واللفظة فارسية.

(٤) **يانعاً**: حال من ينع وأينع النّبت إذا نضج ـ **اليرقان**: داء يصيب الإنسان، **وقوله يرقان البين**: من باب الاستعارة والمجاز ـ **البين**: الفراق ـ **الودّ**: المحبّة وسنبل الودّ من باب المجاز ـ **يقول**: ما إن اخضر النبت ونضج حتى مني سنبل الودّ بيرقان البين.

وقصّتْ بمقراض القلي طرّة الهوى فجبهةُ رأسِ الوصلِ مكشوفةُ الجلدِ

وقال الحسن بن أبي قماش وكان بقالاً:

أصبَح قلبي بربخا للهوى تسلح فيه فَقْحَةُ الهَجْر[1]

وهذا فصل توجد فيه أشعار كثيرة ولكن لا معنى في إفناء الوقت فيما ليس فيه كبير معنى.

- **ومما قيل في كثرةِ العِتَابِ**

وكلُّ عتاب كان صعْباً وضيقت مسالكُه ألجا إلى الكذب السهْلِ

وقد تُصْقلُ الأسيافُ وهي صديئةٌ وما كلّ يومٍ يُبذلُ السيفُ بالصَقْلِ

وقال:

لولا كراهيةُ العتابِ وأنني أخشَى القطيعةَ إن ذكرت، عتابَا

لذكرتُ من عثَراتِكم وذنوبِكم ما لو يَمُرُّ على الفطيمِ لشابَا

---

(١) **البربخ**: مجرى من الخزف للماء وما شاكله، وبربخ الهوى استعارة ـ **الفقحة**: حلقة الدبر لانفتاحها عند الحاجة، وفقحة الهجر استعارة أيضاً.

الحدُّ الرابع عشر

في الشجاعة وما يتعلق بها

•

(١)
ما جاءَ في الشَّجاعة وأحوالِها، حقيقةُ الشجاعة

•

• حقيقةُ الشجاعة

قيل: الشجاعة صبرُ ساعة، وكتب زياد إلى ابن عباس: صف لي الشجاعة والجبن والجود والبخل **فقال**: الشجاع من يقاتل من لا يعرفه والجبان يفر من عرسه والجواد يعطي من لا يلومه حقه والبخيل يمنع من نفسه، **قال شاعر**:

يـفـرّ جـبـانُ الـقـومِ عـن أم نـفـسِـه   ويحمي شجاعُ القوم مَنْ لا يناسبُهْ

وسئل فيلسوف عن الشجاعة **فقال**: جبلة[1] نفس أبية **وقيل**: الرجال ثلاثة: فارس وشجاع وبطل. فالفارس الذي يشد إذاً شدوا والشجاع الداعي إلى البراز، والمجيب داعية والبطل الحامي لظهورهم إذا انهزموا.

• الأسبابُ المشجعة

قال الجاحظ: الأسباب المشجعة قد تكون عن الغضب والشراب والهوج والغيرة والحمية. وقد تكون من قوة النفخ[2] وحب الأحدوثة وربما كان طبعاً كطبع الرحيم والسخي والبخيل والجزوع والصبور وربما كان للدين، ولكن لا يبلغ الرجل للدين ما لم يشيعه بعض ما تقدم لأن الدين مجتلب مكتسب ولا يكاد يبلغ الطبيعة.

وقيل: لا يصدق القتال إلا ثلاثة: متديّن وغيران وممتعض من ذلّ.

• الوصيةُ بالإقدام وتركُ الفشَلِ

قيل: قد جمع الله تعالى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3]، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ

---

(١) **الجبلة**: الطبع، سجية النفس.

(٢) **النفخ (هنا)**: التكبر وتطاول المرء وتطلعه إلى ما ليس له.

(٣) **القرآن الكريم**: الأنفال/ ٤٦.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[١] في جميع ما يحتاج إليه في الحرب، استُشيرَ أكثم بن صيفي في حرب أرادوها فقال: أقلوا الخلاف لامرائكم واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل، والمرء يعجز لا محالة. وادّرعوا الليل فإنّه أخفى الويل.

وكان عظماء الترك يقولون: ينبغي للقائد في الحرب أن يكون فيه أخلاق من البهائم: شجاعة الديك وقلب وقلب الأسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراحة وحراسة الكركي وحذر الغراب وغارة الذئب **وقال قميصة بن مسعود** يوم ذي قار[٢] يحذّر بكر بن وائل: الجزع لا يغني من القَدَرِ، والصبرُ من أبواب الظفر، والمنيةُ ولا الدنية[٣] واستقبالُ الموت خيرٌ من استدباره والطعنُ في الثغر أكرم منه في الدبر وهالك معذور خير من ناج فرور.

وقال أبو مسلم لبعض قواده: إذا عرض لك أمر نازعك فيه منازعان أحدهما يَبْعَثُ على الإقدام والآخر على الإحجام فأقْدِمْ فإنه أدرك للثار وأنفى للعار.

● الحثُّ على استعمالِ الخدعةِ والحيلةِ والتحرّزِ في الحرب

قال النبي ﷺ الحرب خدعة وقيل إذا لم تغلب فأخلبْ **وقال** بعضهم: كن بحيلتك أوثق منك بشدّتك، وبحذرك أفرح منك بنجدتك، فإن الحرب حربٌ للمتهوّر وغنيمة للمتحذّر.

وقيل: المكر أبلغ من النجدة، ومما كتب معاوية إلى مروان لما بلغه قتل عثمان رضي الله تعالى عنه: إذا قرأتَ كتابي فكن كالفهد لا يصطاد إلاّ بغليلة ولا يناور إلا عن حيلة وكالثعلب لا يغلب إلا روغانا. وأخف نفسك عنهم إخفاء القنفذ رأسه عن لمس الأكف وامتهنْ نفسك إمتهان من ييأس القوم من نصره وأبحث على أخبارهم بحث الدجاجة عن حب الدخن[٤] عند نفاسها وقيل حازم في الحرب خيرٌ من ألف فارس. لأن الفارس يقتل عشرة وعشرين، والحازم قد يقتل جيشاً بحزمه وتدبيره.

● حث من دُعِي إلى المبارزة عَلى الإجابة

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه لبعض بنيه: لا تدْعُونَّ أحداً إلى البراز ولا يدعونَّك أحد إلاّ أجبته، فالداعي باغ والباغي مصروع.

وقال طرفة:

إذا القومِ قالوا من فتىً خِلْتُ أنني دُعِيتُ فلم أكسلْ ولم أتبلّد[٥]

---

(١) القرآن الكريم: الأنفال/ ٤٧.

(٢) يوم ذي قار: من أيام العرب تغلبت فيه جموع من العرب بقيادة بني شيبان على الفرس.

(٣) الدنية أو الدنيئة (بالهمز): النقيصة.

(٤) الدُّخن: نبات حبّه صغير يقدّم طعاماً للدجاج والطّيور.

(٥) يعبّر طرفة بن العبد عن حسّه الجماعي وحميته فهو إذا دعي إلى مكرمة أو مأثرة أقدم ولم يتردد نافياً عن نفسه العزلة وما قد يعتري روح الفردية من بلادة أو كسل وفي رواية: عُنيت في موضع دعيت.

وقال:

إن كانَ في الألف منّا واحد فدعوا	من فاز خالهم إيّاه يعْنُونا

قال دعبل:

من معشر إن تدعهم لملمّة	وصلوا الحياةَ إلى العلا بحديدِ[1]

- **المنازل وقت المنازلة**

قال المهلهل:

لم يُطيقوا أن ينزلوا فنزلْنا	وأخو الحزب من يطيقُ النزولا

وقال:

يطعنهُم ما ارتَموا حتّى إذا اعتنقوا	ضاربَ حتّى إذا ما ضاربوا اعتنقا

وقال:

جعلْتُ يدي وشاحاً له	وبعض الفوارسِ لا يعتنقْ

- **الحثُّ على الثبات والنهي عن الإحجام والفكرُ في العواقبِ**

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾[2] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾[3] وقيل: السلامة في الإقدام والحمام في الأحكام، قال قطري:

لا يركنَنْ أحدٌ إلى الأحكام	متخوفاً يومَ الوغى لحمامِ

قال الكلبي:

إذا المرءُ لم يغشَ الكريهةَ أوشكت	حبالُ الهُوينا بالفتى أن تقطعا[4]

وقال أبو بكر لخالد بن الوليد رضي الله عنهما: لما أخرجه لقتال أهل الردّة: أحرص على الموت تُوْهَبْ لك الحياة. وقيل: من تفكر في العواقب لم يشجع، ولما أحست امرأة ربيعة بن مكدم بهربه قالت:

مساءة تترك الفتى نساءَه	حتى يبلَّ من دم أنسائه

- **الحثُّ على التفكرِ قبل التقدم**

قيل: الإتيان بالتندم لا يغني بعدم التقدم. وقيل: من قاتل بغير نجدة وخاصم

---

(١) الملمة: النائبة، جمع ملمات ـ قوله وصلوا. بحديد كناية عن الكفاح والسعي إلى الأمجاد بالذود عن الحرمات.

(٢) القرآن الكريم: الأنفال/ ١٥.	(٣) القرآن الكريم: الصف/ ٤.

(٤) الكريهة: الحرب ـ الهوينا: الرفق والتؤدة.

بغير حجة وصارع بغير قوة فقد أعظم الخطر وأكبر الغرر:

إذا ما أردت الأمر فاذرعه كلَّهُ ... وقِسْه قياسَ الثوب قبْل التقدُّم
لعلّك تنجو سالماً من ندامةٍ ... فلا خيرَ في أمر أتى بالتندّمِ

- **المتبجّحُ بثباته**

قيل: لأمير المؤمنين رضي الله عنه أنت محرب مطلوب فلو اتخذت طرفاً. **فقال**: لا أفرّ عمن كرّ ولا أكرّ على من فرّ، فالبغلة تكفيني.

وقيل لعباد بن الحصين: إن جالت الخيل فأين نطلبك؟ **قال**: حيث تركتموني. وقيل لبعض بني المهلب بن نلتم؟ ما نلتم قال بصبر ساعة، **وقال هدبة**:

أخو الحرب من لا يجتويها إذا اجتوت ... ولا يظهر الشكْوى وإن كان مُوْجَعَا[١]

وقال:

قومٌ إذا نزلوا الوغى لم يسألوا ... حَذَرَ المنيّة عن طريق الهاربِ

وقال آخر:

ولا يرتقي من خشية الموت سُلّما

قال أبو فراس:

صبورٌ ولو لم تبقَ منّي بقيةٌ ... قؤولٌ ولو أن السيوفَ جَوَابُ[٢]
وقورٌ وأحداث الليالي تنوشُني ... وللموت حولي جيئةٌ وذهابُ

- **المبادرُ إلى الحرب غيرَ مبالٍ بها**

وصف أعرابي قوماً **فقال** ما سألوا قط كم القوم، وإنما يسألون أين هم؟ سأل رجل يزيد بن المهلب **فقال**: صف لي نفسك، **فقال**: ما بارزت أحداً إلا ظننت أن روحه في يدي.

ولما بلغ قتيبة حدّ الصين قيل له قد أوغلت في بلاد الترك والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر، فقال بثقتي بنصر الله توغّلت وإذا انقضت المدة لم تنفع العدة فقال الرجل أسلك حيث شئت فهذا عزم لا يفلّه إلا الله، **قال السلامي**:

أتى القدرُ المتاحُ فلا اصطبارٌ ... يردّ شباةً عنك ولا فِرَارُ
وليس تقدّمي خرقاً ولكن ... لغير الحرب يدّخَرُ الوقَارُ

---

(١) **اجتوى الشيء**: كرهه، والعبد كره المقام به، وجوي يجوَى (المرء): أصابته حرقة وحالة من الوجد الشديد بسبب حزن أو عشق.

(٢) يفتخر أبو فراس بصبره في الشدائد وجراءته وثباته في المواقف غير آبه بالمخاطر.

وقال:

إذا فاجأته الخيل لم ينتظر بها ... لحاقَ الرجال واجتماعَ المقاتب

وقيل لعبد الملك: من أشجع العرب في شعره؟ **فقال:** عباس بن مرداس حيث يقول:

أشدّ على الكتيبة لا أُبالي ... أحتفي كانَ فيها أم سواها

وقيس بن الحطيم حيث يقول:

وإنّي في الحرب العوان موكلٌ ... بإقدام نفس لا أريد بقاءها[1]

والمزيّني حيث يقول:

دعوت بني قحافة فاستجابُوا ... فقلت ردوا فقد طابَ الوُرُودُ

قالت أم الهيثم التميمية:

تمْشي إلى أسلِ الرماح وقد ترى ... سببَ المنيّةِ مشيةَ المختالِ

وأخذه بعض المحدثين فقال:

شبهت مشيتَها بمشية ظافر ... يختال بين أسنّةٍ وسيوفِ

كلفٌ تناهتْ نفسُه عن نفسِه ... لما انثنى بسنانهِ المرعُوفِ[2]

وقال البحتري:

تَسَرّعَ حتّى قالَ منْ شهِد الوَغى ... لقاءُ أعَادٍ أم لقاءُ حبائبِ[3]

● المتوصلُ إلى الشدةِ بالرخاءِ

قيل: نيل المعالي هول العوالي، ودرك الأحوال في ركوب الأهوال. بالصبر على لبس الحديد تتنعم في الثوب الجديد، في الصبر على النوائب إدراكُ الرغائب ربَّ قعدة تمنعُ قعداتٍ وأكلة تمنع أكلات، **قال الطائي:**

ولم تعطني الأيامُ يوماً مسهّداً ... ألذّ به إلا بنوم مُشَرّدِ

وقال يزيد بن المهلب يوماً لجلسائه: أراكم تعنفوني في الإقدام **فقالوا:** أي والله أنك لترمي نفسك. فقال إليك عنّي فوالله لم آتِ الموت من حبّه ولكني آتيه من بغضه ثم تمثّل:

تأخرتُ أستبقي الحياةَ فلم أجدْ ... لِنَفسِي حياةً قبْلَ أن أتقدّما[4]

---

(١) **الحرب العوان:** أشد الحروب، والتي قوتل فيها مرّة بعد أخرى.

(٢) **السنان:** الرمح أو رأس الرمح ـ **المرعوف:** الذي يسيل دماً والسنان المرعوف مجاز وأصله خروج الدم من الأنف. من رعف رعفاً ورعافاً أي خرج الدم من أنفه.

(٣) **لقاء أعاد:** لقاء الأعادي، أي الأعداء.

(٤) **يقول:** لا حياة لامرىء بغير السعي والتقدّم نحو المطامع.

● **المخوفُ مِنْهُ**

قيل: كانت قريش إذا رأت أمير المؤمنين في كتيبة تواصت خوفاً منه. ونظر إليه رجل وقد شقّ العسكر **فقال**: قد علمت أن ملك الموت في الجانب الذي فيه عليّ.

● **تأثير الجيش**

بعث أمير في طلب قوم رجلاً، فما لبث أن جاءه برجل أطول ما يكون **فقال**: كيف تمكنت منه؟ فقال: وقع في قلبي أن آخذه ووقع في قلبه أنه مأخوذ فنصرني عليه خوفه وجراءتي. وقيل لأمير المؤمنين بم غلبت الأقران؟ **قال**: بتمكّن هيبتي في قلوبهم.

● **المؤتمر له الوغى والردى**

قال كلثوم

قِداحُ المَنايا في يدَيْهِ يُجيلُها

قال الفرزدق:

أظَلَّهُ منكَ حتفٌ ظَلَّ يَرْقُبُهُ حتّى يُؤامِرَ فيهِ رأيكَ القَدَرُ

وقال دعبل:

هم المتخيّرون على المَنايا نفوسُ ذوي الرياسةِ باقتراحِ

قال سلم الخاسر:

كأن المنايا جارياتٌ بأمرِهِ

وقال المتنبّي:

ويستعظمونَ الموتَ والموتُ خادمُه

● **الموفي على جماعة والغالبُ لَهُمْ**

قيل: للإسكندر إن في عسكر دارا[1] ألف مقاتل **فقال**: إن القصاب[2] الحاذق وإن كان واحداً لا يهوله كثرةُ الغَنَمْ.

فواجِدُهم كالألفِ بأساً ونجدةً وألفُهم للعُجْمِ والعربِ قاهِرُ

وقيل لجنية بنت رياح: أعشرة هذرة[3] أحب إليك أم ثلاثة كعشرة **فقالت**: ثلاثة كعشرة فولدت بني جعفر **قال الموسوي**:

قلُّوا على كثرةِ العدوّ لهم كمْ عددٍ لا يعَدّ في العَدَدِ

---

(١) دار (هنا): داريوس كودومان ملك فارس (٣٣٦ ق.م) حاربه الإسكندر وهزمه واستولى على مملكته.

(٢) **القصّاب**: الجزّار.

(٣) **الهذرة**: جمع هَذِر وهو الهاذي الذي يخلط في منطقه.

هو من قول أبي تمام:

قلّوا ولكنّهم طابُوا فأنجدَهُم   جيشٌ من الصبر لا يُحْصَى لهُم عَدَدُ

قال الحسن: ما ظننت أن رجلاً يفضل ألفاً حتى رأيت عباد بن الحصين، فإنه حاصر مدينة بكابل فثلمها ثلمة وكان يقاتل عليها ألف فقاتلهم وحده ليله حتى أصبحوا ومنعهم من حفظها وسدها.

وبعث بنو حنيفة بالفند حين طلب بنو ثعلبة نصرة وقالوا قد بعثنا إليكم ألف فارس وكان يقال له عديد الألف فلما ورد قالوا له أين الألف؟ قال: أنا فلما كان الغد وبرز وأحمل على ألف فارس مردف فانتظمهم.

● **المشبه بالأسد**

هو أشد صولة[١] من أسد وأبلغ منعةً من الحصن الحصين:

كالليث لا يُثْنِيهِ عنْ إقدامهِ   خوفُ الأذى وقعاقِعُ الأعداءِ[٢]

وقال ابن الأعرابي أحسن بيت في الحرب قول الشاعر:

كأنَّ الجوَّ محفوفٌ بِنَارٍ   وتحتَ النارِ آسادٌ تزورُ

وقال زهير:

ليث بعثر يصطادُ الرجالَ إذا   ما الليثُ كذبَ عن أقرانه صِدْقاً

وصف أعرابي آخر **فقال**: هو أشد إقداماً من أسد وتوثبا من فهد، واختطافاً من حدأة ومن عقاب ملاح.

● **جَلدٌ ابتلي بمثله**

في المثل:

إن كنت ريحاً فقد لاقيْتَ إعصاراً

وقيل:

إن الحديد بالحديد يفلحُ[٣]

● **المتشمرُ في الشدائد**

قال علقمة:

فلا يغرَّنكَ منّي الثوب أسحبه   إني امرؤ فيّ عند الجدّ تشميرُ[٤]

---

(١) **الصولة**: القهر والسطوة.

(٢) **قعاقع الأعداء**: القعاقع جمع قعقعة وهي تتابع أصوات الرعد في الشدّة وقوله قعاقع الأعداء من باب الاستعارة.

(٣) هذا المثل شبيه بقول القائل: لكل شيء آفة من جنسه... حتى الحديد يسطو عليه المبرد.

(٤) **التشمير عند الجدّ**: التهيّؤ للنهوض لمواجهة الشدائد.

وقال:

طيّـات طـاوي الـكَـشْـح لا يُـرخـي لـمُـظـلـمَـة إزارَه[١]

● المتحملُ للشدائدِ الصابرُ لها

وصف رجل آخر فقال: كان ركوباً للأهوال غير ألوف للظلال. قال أعرابي لوالٍ: اجعلني زماماً من أزمتك التي تجرّبها العدو فإني ممن يتخذ الليل جملاً في أثر العدو وأتدرع ظلامه لا نكول ولا أكول. وقيل فلان شديد الحجزة أي الصبر على الشدة، قال الأقرع:

ونـكـبـةٍ لـو رمَـى الـرامـي بـهـا حـجَـرا أصـمّ مـن حـجـرِ الـصـوّان لانـصَـدَعَـا[٢]
مـرت عـلـيّ فـلـم أطـرحْ لـهـا سـلـبـي ولا اسـتـكـنـتُ لَـهـا وهْـنـاً ولا جَـزَعَـا

وقال الموسوي:

وكَـمْ عـجـمـونـي فـانـسـلـلـتُ مـهـذّبـا وأثّـر عـودي فـي نُـيـوبِ الأعـاجِـمِ[٣]

● الموصوفُ بالقوةِ

أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلٌ يستحمله فقال له: خذ لك بعيراً فأخذ بذنب بعير من إبل الصدقة فجذبه فاقتلعه فتعجب من قوّته، وقال: هل رأيت أقوى منك؟ قال: نعم خرجت بامرأة من أهلي أريد بها زوجها فنزلنا منزلاً أهله خلوف، فأقبل رجل ومعه ذود[٤]، فضرب إلى الحوض فساورها[٥] فنادتني فما انتهيت إليها حتى خالطها فجئت لأدفعه عنها، فأخذ برأسي بين جنبه وعضده فما استطعت حراكاً حتى قضى حاجته ثم استلقى. فقالت المرأة: أي فحل هذا لو كان لنا منه سخلة[٦] فأمهلته حتى امتلأ نوماً فقمت إليه بالسيف فضربت ساقه فأبنتها فانتبه فتناول رجله فرماني بها فأشواني وأصاب رأس بعيري فقتله. فقال عمر: ما فعلت المرأة؟ فقلت: هذا حديث الرجل. فكرر السؤال عليه فلم يزده على هذا فظن أنه قتلها.

وكان الوليد شديد القوة وكان يؤتى بسلسلة من حديد وفيها حبل فيشده في رجله ويؤتى بالدابة فيثب عليها وثبة واحدة ولا يمسها بيده فيقطع السلسلة. فقال لأصحابه يوماً: هل تعلمون من هو أصرع مني؟ قالوا: نعم رجل بخراسان. فأحضره وقال: أريد أن تصارعني وإن حابَيْتني قتلتك فصارعه فحمله ووضعه فوق دسته، وقال أنت ههنا أحسن دع رعيتك يتصارعون بين يديك ولا تدخل معهم فيما لك عنه مندوحة.

---

(١) الطيّات: جمع طية وهي الثنية ـ الكشح: من الجسم ما بين السرّة ووسط الظهر.

(٢) النكبة: المصيبة الشديدة ـ الحجر الأصمّ: الصلب ـ انصدع: انشق.

(٣) عجموني: أي اختبروا مقدار صلابتي، من عجم العود إذا عضّه بأسنانه ليرى مقدار صلابته.

(٤) الذود: الإبل من ثلاثة إلى عشرة.

(٥) ساورها: واثبها. (٦) السخلة: ولد الشاة.

قال شاعر:

وما ولدتْ أمّي من القومِ عاجِزاً ... ولا كانَ ريشي من ذنابى ولا لَغِبِ(١)

- **الممدوحُ بقوة نفسِه دون جسمِهِ**

قيل: الكرام اصبر نفوساً واللئام أصبر أبداناً. **ومنه أخذ أبو تمام قوله**:

والصّبْرُ بالأرواحِ يُعْرفُ فضلُه ... صبْرُ الملوكِ وليْس بالأجسامِ

وقال:

وإني لأقوى على المَعَالي ... وما أنا بالقويّ على الصّراعِ

وقال:

لا قوّتي قوّةَ الرّاعي قلائصَه ... يأوي فيأوي إليْه الكلْبُ والربعُ(٢)

وقال معاوية رضي الله عنه: ما كان في الشبان شيء إلا وكان في منه مستمتع إلا أني لم أكن نكحة ولا صرعة.

- **من لا يتألمُ من شدّةٍ**

قال:

لا يألم الشرّ حتى يألم الحجر

- **المتبرم للحرب**

قال شاعر:

يا بؤس للحربِ التي ... وضعت أراهِطَ فاستَراحُوا

وقال:

ما ذاق همّاً كالشّجاع ولا خلا ... بمسرّةٍ كالعاجز المُتَواني

وقال سيف الدولة:

كأنما لغزو مفروض على سرى ... من يملك الأرضَ أوْساطاً وأطْرافا

- **فرسانُ العرب**

قال أبو عبيد: فرسان العرب المجمع عليهم: **دريد بن الصمة وعنترة العبسي وعمرو بن معدي كرب.**

وقد عد من أكابرهم عامر بن الطفيل وعتيبة وعنبسة بن الحارث وزيد الفوارس والحراث بن ظالم وعباس بن مرداس وعروة بن الورد.

---

(١) **الذنابى**: ذنب الطائر ـ **اللغب**: الفاسد والقبيح من الكلام.

(٢) **القلائص**: جمع قلوص وهي الأنثى الشابّة، والقلائص من الإبل.

ومن فتاك[1] **الجاهلية**: الحارث بن ظالم والبراض بن قيس وتأبط شراً وحنظلة بن فاتك الأسدي.

ومن رجالاتهم أوفى بن مطر المازني وسليك بن السلكة والمنتشر بن وهب الباهلي. وكل واحد منهم كان أشد عَدْواً من الظبي وربما جاع أحدهم فيعدو إلى الظبي فيأخذ بقرنه ولا يحملون زاداً. وكان أحدهم يأخذ بيض النعام في الربيع فيجعل فيه ماء ويدفنه في الفلاة حيث يغزو، حتى يكون له في الصيف إذا سلك ذلك الطريق. ومنهم الشنفرى.

● **المتفادَى من التعرض له**

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: فلان مضغني فلما ضرسته لفظني

طـوالُ قـنـى تـطـاعِـنُـهـا قِـصَـارٌ وقـطـرُكَ فـي وغـىً ونـدىً بـحـارُ

وقال:

إنّ الـرمـاحَ وإن طـالَـت ذوائـبُـهـا من العدى تتواصَى عنه بالقِصَر[2]

● **من لا يخضعُ في شدةٍ**

قيل لأعرابي اشتد به المرض: لو ثبت. **قال**: لست أعطي على الذلّ إن عافاني الله تبت، وإلا أموت هكذا:

لا يخرجُ القسرُ منّي غيرَ معصيةٍ ولا أليِنُ لِمَنْ لا يبتَغي لِيْنِي[3]

وقال شذّاخ:

أبـيْـنـا فـلا نُـعـطـي مـلـيـكـاً ظُـلامـةً ولا سوقةً إلا الـوشـيـجَ الـمـقـوّمـا[4]

وسأل عمر بن عبد العزيز ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير **فقال**: ما رأيت نفساً أثبت من نفسه، مر حجر من المنجنيق وهو قائم يصلّي بين جنبه وصدره فما خشع له بصره ولا قطع قراءته ولا ركع دون الركوع. وعن أمه أنّها دخلت عليه في بيته وهو قائم يصلّي فسقطت حية فتطوّقت بابنه هاشم فتصايح أهل البيت بها حتى قتلوها وعبد الله قائم يصلّي فما التفت ولا عجّل. فلما فرغ قال: ما بالكم؟

● **المتأنّي**

قال خارجة:

قـوم إذا شـومِـسـوا لـجّ الـشـمـاسُ بـهـم ذات الـعـنـاد وإنْ يـاسَـرْتَـهُـم يـسـرُوا[5]

---

(١) **الفتاك**: جمع فاتك وهو الجريء الشجّاع.

(٢) **الذوائب**: جمع ذؤابة وهي الشعر المضفور، والذؤابة شعر مقدّم الرأس، وذؤابة الجبل قمّته يقال: لأفتلنّ في ذؤابتك أي لأذلنّك.

(٣) **القسر**: القهر. (٤) **الوشيج**: الرماح.

(٥) **شومسوا**: من شامسه أي عاداه وعانده ـ والشماس: الامتناع والإباء والشماس مصدر شمس شموساً وشماساً.

● **المؤثِر الموتَ في العز على الحياة في الذلّ**

هـيـمٌ إلـى الـمَـوْت إذا خُـيِّـرُوا ... مـا بـيْـن تـبـعـاتٍ وتـقْـتـالِ[1]

ولما وقعت الهزيمة على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أهاب بالناس ليرجعوا فلم يلووا فانتضى سيفه وقاتل قتال مُستَقتل، فقيل له: لا تهلك نفسك ولك الأمان. فتمثل بأبيات قالها الحسين رضي الله عنه يوم قتل وهي:

أذلُّ الـحَـيـاةِ وذُلُّ الـمـمـاتِ ... وكـلاً أراه طـعـامـاً وَبِـيْـلا[2]

فـإن كـان لا بـدّ إحـداهـمـا ... فسيري إلى الموت سيْراً جميلاً

وقال أبو تمام:

يرى الـعـلـقَـمَ الـمأدوم بـالـعـزّ أرية ... يـمـانـيـةً، والأريَ بـالـذلّ عَـلْـقَـمَـا[3]

وقال المتنبي:

فـأطـلـبُ الـعِـزّ فـي لـظـىً وذرِ الـذ ... لّ ولـو كـانَ فـي جِـنَـان الـخُـلـودِ[4]

وقال الموسوي:

فعافَ المنايا وامتطى الموتَ شامِخاً ... بـمـارنِ أنـفٍ لا يـذلّ لِـخَـاصِـمِ[5]

وقال منصور بن باذان:

فـعِـشْ مـا تـعـيـشُ عـزيـزَ الـبـقَـاه ... فـعـزّكَ خـيْـرٌ وإن قـيـلَ بَـلْ

فـطـولُ الـحَـيـاةِ عـلـى ذلّـةٍ ... لـعـمرُك عـنـدي حياةُ الـسـفَـلْ

وكـلّ مـسـاعٍ لـه هـمّـةٌ ... مـن الـنّـاس إلا قـصـيـرُ الأجَـلْ

● **النهيُ عن مخافة القتلِ والحثّ على تصوّر الموتِ والتمدّحُ بذلك**

قيل لعلي رضي الله عنه: أتقاتل أهل الشأم بالغداة وتظهر في العشيّ في ثوب ورداء؟ فقال: أبالموتِ أخوّفُ؟ والله ما أبالي أسقطت على الموت أم سقط الموت عليّ. وقد أحسن المتنبي في قوله:

إذا غـامـرْتَ فـي أمـرٍ مـرومِ ... فـلا تـقْـنَـعْ بـمـا دونَ الـنُـجُـومِ

فـطـعـمُ الـمـوت فـي أمـرٍ حـقـيـرٍ ... كـطَـعْـمِ الـمـوْتِ فـي أمرٍ عـظـيـمِ

---

(١) هيم إلى الموت: أي عطاش.

(٢) الطعام الوبيل: الذي يخاف وباله أي سوء عاقبته.

(٣) العلقم: الحنظل وهو نبات شديد المرارة - الأرية: الشهد - يقول إن الحنظل الممزوج بالعز كالعسل اليماني إلا أن العسل الممزوج بالذل أشد مرارة من العلقم.

(٤) ذر: دع.

(٥) مارن الأنف: طرفه، يقال: رمح مارن أي صلب لدن.

وفي قوله:

تـرى الـجـبـنـاء أنّ الـعـجـز عَـقْـلٌ ... وتـلْـك خـديـعـةُ الـطـبْـعِ الـلـئـيـمِ

وقوله:

فـلـو أن الـحـيـاةَ تـبْـقـى لـحـيّ ... لـعـدَدْنـا أضـلّـنـا الـشُـجْـعَـانـا
وإذا لـم يَـكُـنْ مِـنَ الـمـوْتِ بُـدٌّ ... فـمِـنَ الـعَـجْـزِ أن تـمـوتَ جَـبَـانـا

قال أبو فراس:

تهونُ علينا في المعَالي نفوسُنا ... ومن خطَبَ العلياء لَم يَغْلُه المَهْرُ[١]

● قومٌ تسلّطَ عليهم القتلُ فلم يُفْنِهِمْ

قال المهلّب: ليس شيء أنمى من سيف. فوجد الناس تصديق ذلك فما نال السيف أنمَى عدداً وأكرم ولداً منهم قال الله تعالى ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب. وقال الحجاج لامرأة مِنَ الخوارج: والله لأحصدنَّكم حصداً **فقالت:** أنت تحصد والله يزرع. فأنظر أين قدرة المخلوق مع قدرة الخالق. ولم يظهر من عدد القتلى ما ظهر في آل أبي طالب وآل المهلب وفيهم من الكثرة ما ترى. **قال شاعر:**

إذا فَـرَجَ الـقـتْـلُ عـن غَـيْـظِـهِـمْ ... أبـى ذلـك الـغـيْـظُ إلا الـتـقـافـا[٢]

وقيل: أربعة يسرع الخلف إليها الحرق والقتل والتزويج والحج.

● من لم يُبَالِ بأن يُقْتَل

قال عبد الله بن مسعود: عثرت بأبي جهل في الجرحى وقد قطعت يده ورجله، **فقلت:** يا عدو الله وعدو رسوله. **فقال:** سيفك كهام[٣] فهاك سيفي فحزَ رأسي[٤] من عريشي فإنه أهون عند من يراه.

وأُسِرَتْ أمُّ علقمة الخارجيّة وأُتيَ بها إلى الحجّاج **فقيل لها:** وافقيه في المذاهب فقد يظهر الشرك بالمكر **فقالت:** قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين. **فقال لها:** قد خبطت الناس بسيفك يا عدوة الله خبط العشواء فقالت لقد خفت الله خوفاً صيّرك في عيني أصغر من ذباب وكانت مُنكسة **فقال:** إرفعي رأسك وانظري إليّ فقالت أكره أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه. **فقال:** يا أهل الشأم ما تقولون في دم هذه؟ **قالوا:** حلال. **فقالت:** لقد كان جلساء أخيك فرعون أرحم من جلسائك حيث استشارهم في أمر موسى فقالوا أرجئه وأخاه، فقتلها.

---

(١) **المهر:** الصداق وهو ما يجعل للمرأة من مال لتنتفع به.
(٢) **الالتقاف:** مصدر لقف والتقف الشيء: تناوله بسرعة والطعامَ ابتلعه بسرعة وفهم.
(٣) **السيف الكهام:** غير القاطع. (٤) **حز رأسه:** قطعه.

وكان حكيم بن حنبل قطعت رجله يوم الجمل فأخذها وزحف بها على قاطعها فقتله، وقال:

يـــا نَـــفْـــسُ لا تُـــراعـــي إنْ قـــطِـــعَـــتْ كـــراعِـــي[١]
إنّ مـــعـــي ذراعـــي

وقال أعرابي لابنه وقد قدم للقتل: يا بني أصفف قدميك وأصرز أذنيك ودع ذكر الله تعالى في هذا الموضع فإنه فشل.

● **الجواد بنفسِه في الحرب المستعدُ للموتِ**

قال بعض بني نهشل:

أنّـا لـنُـرْخِـصُ يـومَ الـرّوعِ أنفـسَـنـا ولـو نُـسامُ بـهـا فـي الأمْـنِ أغـلَـيـنـا[٢]

وقالت الخنساء:

تُـهـيـنُ الـنـفـوسَ وهـونُ الـنـفـوسِ يـومَ الـكـريـهَـةِ أوفـى لـهَـا[٣]

ونحوه للموسوي:

ولا تـبـذلَـنّ الـنـفْـسُ حـتّـى أصـونَـها وغـيْـري فـي قـيْـدٍ مـن الـذلّ يَـرْسُـفُ[٤]

وقال آخر:

رخـيـصٌ عـنـدَه الـمُـهَـجُ الـغـوالـي كـأنَّ الـمـوتَ فـي فـكـيْـه شَـهْـدُ[٥]

وقال أبو تمام:

يـسـتـعـذبـونَ مـنـايـاهـم كـأنّـهـم لا يـخـرجـونَ مـن الـدنْـيـا إذا قُـتِـلُـوا[٦]

وقال عبد الله بن أبي عيينة:

وإنـي لِـمَـنْ قـومٍ كـأنّ نـفـوسَـهـم بها أنفٌ أن تسكُنَ اللحمَ والعظْما[٧]

● **تصبّرُ النفسِ في الحربِ**

قال شريح العبسي:

أقـولُ لـنـفـسٍ لا يُـجَـادُ بـمِـثْـلـهـا أقـلّـي نـزاعـاً إنّـنـي غَـيْـرُ مُـدْبـرِ

---

(١) **لا تراعي**: لا تخافي ـ **الكراع**: من الإنسان ما بين ما دون الركبة من مقدّم الساق.

(٢) **يوم الروع**: يوم الهول في الحرب.

(٣) **يوم الكريهة**: يوم الحرب والقتال.

(٤) يفتخر الموسوس بصون نفسه إباءً وشموخاً ويسخر من الضعيف القابع في قيد الذلّ.

(٥) و (٦) و (٧) تشترك هذه الأبيات في امتداح التضحية بالأرواح والمهج أنفة وإباءً مع الاستهانة بالموت حفاظاً على العزّة والشرف.

وقال الفرزدق وقد لقيه أسد:

لما سمعتُ له هماهمَ أجهشَتْ ... نفْسي إليّ تقول أينَ فِرَاري؟

فربطتُ نفرتَها وقلتُ لها: إصبري ... وشددتُ في ضنك المقامِ إزاري(١)

وقال أبو تمام:

وحنّ للموت حتّى ظنّ مبصره ... بأنه حنّ مُشْتَاقاً إلى وَطَنِ

لو لمْ يمُتْ تَحتَ أسياف العدا كرما ... لماتَ إذ لم يمُت من شدّة الحُزنِ

وقال البحتري:

تسرع حتّى ظنّ من شهدَ الوغَى ... لقاء أعادٍ أم لقاء حبائبِ

● **المستأنفُ من موته حتف أنفِهِ**

قال بكر بن عبد العزيز:

إنّ موْتَ الفِراش ذُلٌ وعارُ ... وهو تحتَ السيوفِ فَضْلٌ شَرِيفُ

وقال عبد الملك الحارثي وأجاد:

وما ماتَ منّا سيد حَتْفَ أنفِهِ ... ولا طَلّ منّا حيثُ كان قتيلُ(٢)

تسيلُ على حدّ السيوفِ نفوسُنا ... وليس علَى غيْرِ السيوف تسيلُ

وقال أبو فراس:

متَى ما يدنُ من أجَلِ كتابي ... أمُتْ بينَ الأسنَّةِ والأعنّه(٣)

وقال الموسوي:

ويستحسنون الموْتَ والموتُ راحةٌ ... وأتْعَبُ مَيْتٍ مَنْ يموتُ بداءِ

● **مخاوضُ الحرب مقتولٌ لا محالة**

قال تأبّط شراً:

ومن يُغْرَ بالأعْداء لا بدّ أنّه ... سيلقَى بِهم من مصرَعِ الموْتِ مضرعا(٤)

وقال آخر:

ومن يكثر التطوافَ في جند خالدِ ... لدَى الروم مضبوباً عليْه دروعُها

---

(١) **ضنك المقام**: ضيق المقام.

(٢) **مات حتفاً أنفه**: أي مات على فراشه وليس في الحرب وساحة القتال.

(٣) **الأسنة**: الرماح ـ **الأعنة**: جمع عنان وهو سير اللجام، والموت بين الأعنة كناية عن الموت في المعركة فوق صهوة الجواد.

(٤) **يغز بالأعداء**: يخدع بهم.

فلا بدّ يوماً أن تحدث عِرسه   إذا حدثت يوماً حديثاً يروعُها[1]

قال ابن الرومي:

ومن لا يزل ستين يوماً فريسةً   يرى قمنا أن لا يرى منه سالما

وقال آخر:

إن الشجاعَة مقرونٌ بها العَطَبُ

● **قصدُ العدا مجاهرةً**

أشار على الإسكندر أصحابُه أن يبيت الفرس، **فقال**: ليس من الإنصاف أن أجعل غلبتي سرقة.

قال المتنبّي:

إذا انتقمُوا أعلنُوا أمرَهم   وإن أنعمُوا أنعمُوا باكتِتامِ[2]

وقال السريّ:

ويجعل بشرَه نذر الأعادي   فيبعثُها يميناً أو شمالاً

ولم ينذرهم مقة ولكن   ترفّع أن ينالَهم اغتيَالا[3]

● **الفتكُ**

وما أنفكّ ما شاورت فيه ولا الذي   تخبرُ من لاقيْت أنك فاعلُهْ

قال الحارث بن ظالم:

علوتُ بذي الحيّات مفرقَ رأسِه   وهل يركَب المكروهَ إلا الأكارمُ

فتكْتُ به لمّا فتكْتُ بخالد   وكان سِلاحي يختويه الجماجمُ

● **المتعوّدُ ملازمةَ الحربِ والأمكنةِ**

قال أبو تمّام:

لحياضها متورّدٌ ولخبْطها   متعوّد وبدرّها ملبونُ[4]

قال ربيعةُ بن مقروم:

وثغر مخوف أقمْنا به   يَخَافُ به غيرُنا أن يُقِيمَا[5]

---

(١) **العرس**: الزوجة.

(٢) **أنعموا باكتتام**: أي سرّاً، كناية عن عدم التبجح بالعطاء والبذل.

(٣) **المقة**: الحبّ مصدر ومق يمق مقة فلاناً أحبّه.

(٤) **حياضها**: يريد حياض الحرب، والحوض أصلاً مجتمع الماء، استعارة للحرب وحوض الحرب مجتمع الدم ـ **الخبط**: الضراب ـ **الدرّ**: اللبن ودرّ الحرب استعارة.

(٥) **الثغر**: الموضع الذي يخشى دخول العدو منه.

● **الضاحكُ في الحربِ والعابسُ فيها**

توصف الحرب تارة ببشاشة الوجه وطلاقته نحو **قول النميري**:

يَفْتَرُّ عندَ لقاءِ الحرب مبتسِماً إذا تغيّر وجهُ الفارسِ البطلِ

وقول صاحب البصرة:

كأنّ دنانيراً على قسماتهم إذا الموتُ للأبطال كان نخّاسا(١)

وقال الموسوي:

إذا عصفَرَ الخوفُ ماءَ الوجوه تراهَا من الخوْف حمر الوسامِ(٢)

وتوصف تارة بالعبوس، **قال أبو تمّام**:

قد قلصت شفتاه من حفيظَته فخُيِّلَ من شدّة التعبيس مُبْتَسِمَا(٣)

● **المقاتلُ عن حريمِهِ**

ليم الاسكندر في مباشرته الحرب بنفسه **فقال**: ى ليس من الإنصاف أنيقتل قومي عني وأترك المقاتلة عنهم وعن أهلي ونفسي، **قال عنترة**:

ومرقصة رَدَدْتُ الخيْلَ عنْها وقد همّت بإلقاء الزمامِ

وقيل للحسن: ما تقول فيمن سبي امرأة ولها زوج؟ وكان عنده الفرزدق، **فقال**: هل قلت في هذا شيئاً؟ **قال نعم**:

وذات حليل أنكحتْها رمَاحُنَا جهَاراً بأيْدينا ولمّا تطلّق(٤)

فقال الحسن: أصبت كنت أرى أنك أشعر مني فإذا أنت أفقه، **قال شاعر**:

يا رب من يبغض أذوادَنا رُحنَ على بغْضائه واغتدَيْنَ

لو نَبتَتَ المرعى على أنفِهِ لرحْنَ منه أصلاً قد رَعَيْنَ

قال سلم الخاسر:

يرمي الفجاج به أغرّ محجَلاً جعلَ السيوفَ مناكِحاً وَطلاقَا(٥)

أخذه من مسلم:

إذا ما نكحْنا الحربَ بالبيضِ والقنا جَعَلْنَا المنايا والرماحَ طلاقَا

---

(١) **القسمات**: أمارات الوجه ـ **النخّاس**: بائع العبيد، شبّه به الموت بجامع البيع.

(٢) **عصفر الخوف الوجه**: جعله أصفر اللون.

(٣) **قلصت أو تقلصت**: انكمشت ـ **الحفيظة**: الذّود أو الذّب عن المحارم ـ **خُيّل**: ظُنّ ـ **التعبيس**: تقطيب الوجه.

(٤) **الحليل**: الزوج.

(٥) **الفجاج**: جمع فجّ وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين.

قال زياد الأعجم:

صفّان مختلفان، حينَ تلاقيا | آبا بوَجْه مطلّق أو ناكحِ

● **سدُّ الثغورِ**

قال دعبل:

هو الجاعلُ البيضَ القواطعَ والقنا | كعاماً لأفواه الثغورِ الفواغِرِ(١)

● **قصدُ الغاراتِ بالإبلِ والإفراس**

كان العرب إذا قصدوا غارة ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فإذا انتهوا إلى المعركة ركبوا الخيل، **قال شاعر:**

أولَى فأولى بامرىءِ القيس بعدما | خصفْن بآثار المطيّ الحوافر

وذكر أعرابي قوماً تبعوا ناساً أغاروا عليهم **فقال:** احتثوا كل جمالية عيرانة.

فما زالوا يخصفون أخفاف المطيّ بحوافر الخيل حتى أدركوهم بعد ثلاثة فجعلوا المران أرشية الموت فاستقوا به أرواحهم، **قال الشريف الموسوي:**

إذا مشقَ الحتف فوق البطا | حِ وقعَ فيهِنّ بالحافِر

● **المعاودُ للغاراتِ الجاني للحروبِ**

قال الحارث بن أبي شمر:

ما إن تجفّ لبودُها من غارةٍ | حتّى تعاودَ للحروب غوائِرا

وقيل: فلان يلقح الحرب الكشاف ويمتري من درّها السمّ الرعاف.

قال بشّار:

إذا الحرْبُ قامَتْ بهِم شمّروا | وكانُوا أسنّةَ خُرصانها(٢)

● **المستنكفُ من السلب**

قال أعشى همدان:

وأرى مغانمَ لو أشاء حَوَيْتُها | فيصدّني عنها حياً وتعَفُّفُ(٣)

وقتل أمير المؤمنين رجلاً فأراد قنبر أن يأخذ سلبه **فقال:** يا غلام لا تعر فرائسي، **قال عنترة:**

أغشى الوغى وأعفُّ عند المَغْنَم

---

(١) **البيض القواطع:** السيوف ـ **القنا:** الرماح ـ **الكعام:** من كعم البعير شدّ فمه لئلا يأكل أو يعض ـ **الثغور الفواغر:** الأفواه المفتوحة.

(٢) **الخرصان:** الرماج جمع خِرْص والخُرص بالضم الحلقة من ذهب أو فضة.

(٣) **حياً:** أي حياء ـ **التعفف:** الترفّع والإباء.

وقال آخر:

يغشى العَوالي ولا يلْوي على سَلَبِ[1]

قال أبو تمام:

إن الأسودَ أسودُ الغابِ همّتُها ... يَوْمَ الكريهَةِ في المسلوبِ لا السَلبِ[2]

- **العاجزُ أعاديه عن إصلاحِ ما أفسده وعكسهُ**

قال علي بن جبلة:

يأسو الذي يجرحُ أعداؤه ... وما لهُم من جرحه آسِ

قال الكميت:

لا يهدم الناسُ ما تبْني أكفُّهمُ ... من الفِعَال ولا يبنون ما هدَموا

قال المتنبي:

لا يجبرُ الناسُ عظماً أنتَ كاسرُهُ ... ولا يهِيضون عظماً أنت جابرُهُ[3]

قال أشجع:

ولا يرفعُ الناسُ من حطّه ... ولا يضعُ الناسُ من يرفعُ[4]

- **وصفُ الشبانِ والكهولِ في الحرب**

قال رجل لرجل: لأغزونّك بمرد على جرد، فقال: لألقينّك بكهول على فحول

- **تفضيلُ الشبانِ في الحربِ**

قال طاهرُ بن الحسين:

هيبٌ إذا لمْ يكُن جرب بمكتهلٍ ... مجرب قوله يكْفي منَ العَمَلِ[5]
واغشى اللقاء إذا كانَ اللقاءُ به ... سفكَ الدما بحديثِ السنّ مقتبلِ
فإنّ ذا السِنّ يلْقَى حتْفَه أبداً ... ممثّلاً بيْنَ عينيْه من الوَجَلِ[6]
وذو الشباب له شأوٌ يماطلُه ... فلا يزالُ بعيدَ الهَمّ والأمَلِ[7]

- **الخيولُ السريعةُ في الحربِ**

قال بعضهم:

جنّ الرجالِ على ظُهور سَعالي[8]

---

(١) **العوالي**: الرماح ـ **السلب**: الغنائم في الحرب. (٢) **يوم الكريهة**: الحرب.
(٣) **يهيضون**: يكسرون. (٤) **حطّه**: خلاف رفعه أي دفعه إلى أسفل.
(٥) **المكتهل**: الذي صار كهلاً، **والكهل** ما كانت سِنّه ما بين الثلاثين والخمسين ـ **المجرّب**: ذو التجربة الخبير
(٦) **الوجل**: الخوف الشديد. (٧) **الشأو**: الأمد، الغاية.
(٨) **السعالي**: جمع سعلاة، وهي أنثى الغول، وهو حيوان لا وجود له.

قال كثير:

صقورٌ على أثباجِ جرْد قوابس ... وأسدٌ إذا ما كانَ يومَ نزولِها[1]

وقال المتنبي:

إيّاهم جثوا العجاجَة والقَنا ... سنابكُها تخشو بُطُونَ الحَمالقِ[2]

- **تعويدُ الفرس في حبسه في المَعْرَكَةِ**

قال النابغة:

ونحنُ أناسٌ لا نعودُ خيْلنا ... إذا ما التقَيْنا أن تحيدَ وتنفرا

وتُنْكَرُ يومَ الرَّوْعِ ألوانُ خيلنا ... من الطعْن حتّى تحسبَ الجونَ مشقرًا

فلا نحْن معروفٌ لنا أن نردّها ... صِحاحاً ولا مستنكرٌ أن تعقرا

وقال أبو تمّام:

تقاسَمْنا بها الجرْدَ المذاكي ... سجالَ الكرّ والدأب العتيدِ

إذا خَرَجَتْ من الغمَراتِ قُلْنا ... خرجَت حبائساً إنْ لمْ تعُودي[3]

- **كثرةُ الجيش**

كجنْحِ الليل أردفَ بالغيوم ... آخر بجمهور يحارُ الطّرفُ فيهِ

يظل معضلاً فيه الفضاء

قال صاحب البصرة:

بجَمْعٍ مثل سدلِ الليل منظومٍ منَ الربد[4]

وقال المتنبي:

بجيش لهامٍ يشغلُ الأرضَ جمعُه ... عن الطير حتّى ما يَجِدْنَ مَنَازِلا

وقال السريّ:

ومثلومةِ الأقطارِ حشو فجاجُها ... عناقُ المذاكي والوشيج المقوّم

قال المتنبي:

قشير وبلعُجلان فيها خفيَة ... كراءَيْن في ألفاظ ألثغَ ناطقِ[5]

---

(١) **الأثباج**: جمع ثبج وهو أعلى الموج، وأثباج الجرد صهوات الخيل.

(٢) **العجاجة**: الغبار، ولا سيّما غبار المعركة.

(٣) **الغمرات**: الشدائد، جمع غمرة.

(٤) **سدل اللّيل**: ستار اللّيل المظلم ـ الربدة: الغبرة، والربد: النبت.

(٥) **الألثغ**: الثقيل اللسان بالكلام والذي ينطق بالسيف كالثاء أو بالراء كالغين أو الياء.

وقيل: زحف ككرّ العارض[1] المنهلّ وكدفاع الأتيّ[2] المرسل فهو يتطالع من غور[3] وأنجاد ويظهر من اقتراب وابتعاد

وكالسيل أو كالليلِ أو عددِ الحَصَى   سالَتْ بطاحُهم بالجُرْد اللهاميمِ[4]

- **كثرةُ الجيشِ والأسلحةِ**

بـذي لـجـب أزبّ مـن الـعَـوالـي

قال النجاشي:

وعـراصـة بـرّاقـةٌ ضـوؤهـا دمٌ   يـكـشـفُ عـن بـرْقٍ لـهـا الأفْـقَـانِ

وقال قيس بن الحطيم:

إنـك تـلْـقـى حـنـظـلاً فـوْقَ بـيْـضِـنـا   تـدحـرجَ عـن ذي سـاحَـةِ الـمـتـقـارِبِ

وقال المتنبي:

يـمـنَـعُـهـا أن يـصـيـبَـهـا مَـطَـرٌ   شـدّةُ مـا قَـدْ تَـضـايَـقَ الأَسَـلُ[5]

(٢)

وممّا جاءَ في التهديدِ

●

- **من هدّدهُ السلطانُ فاستعانَ بالله**

لقي الحجّاج محمد بن الحنفية **فقال له**: نفسك فلأريقنّ دمك، **فقال محمّد**: إن الله في كل يوم كذا كذا ألف نظرة يقضي في كل نظرة كذا كذا ألف أمر فعسى أن يشغلك بأمره.

- **من هدده سلطانٌ فاعتذر وأظهرَ المخافةَ**

كتب ذو الرياستين إلى طاهر بن الحسين: يا نصف إنسان، والله لئن أمرت لأنفذنّ، ولئن أنفذت لأبرمنّ، ولئن أبرمت لأبلغنّ. فأجابه طاهر: أنا أعزّك الله كالأمة السوداء إن حمل علينا تدمدمت وإن رفّه عنها أشرت، وإن عوقبت فباستحقاق، وإن عُفِيَ عنها فبإحسان.

- **تَهْدِيدُ سلطانٍ شديد الوطأةِ**

خطب الحجاج فقال: أيها الناس من أعياه داؤه ومن استعجل أجله، فعلّي أن أعجله

---

(١) **العارض**: السحاب المعترض في الأفق أو الجبل.

(٢) **الأتيّ**: السيل القوي.

(٣) **الغور**: الأرض المنخفضة والأنجاد جمع نجد وهو المرتفع من الأرض.

(٤) **الجرد**: الخيل ـ **اللهاميم**: جمع لهميم وهو الجواد السابق، واللهميم الجيش العظيم.

(٥) **الأسل**: الرماح.

إن الحزم والجد ألبساني سوء ظني وجعلا سيفي سوطي، فنجاده في عنقي وقائمه في يدي.

وقطع بنو عمرو بن حنظلة الطريق فكتب إليهم: أمّا بعد فإنكم استنكحتم السمن فنسلتم الفتن، وإني أقسم بالله لئن عاودتم الظلم وسعيتم في الإثم لأبعثنّ إليكم خيلاً تدع نساءكم أيامى وأولادكم يتامى. فأيما رفقة وردت ماء قوم لكم فأهل الماء ضامنون لها إن تجاوزتهم إلى ماء غيرهم تقدمة مني إليكم وإنذاراً لكم فالانتقام يعقب العفو والإنذار لا بقية معه والسلام.

وأحضر عبد الملك بن صالح للرشيد من حبسه فلما مثل بين يديه أنشد الرشيد:

أريد حياتَه ويريد قتلي … عذيرك من خليلك من مرادِ

والله لكأني أنظر إلى شبوبها وقد همع، وإلى عارضها وقد لمع، وكأني بالوعيد وقد أورى ناراً فأقلع عن براجم[1] بلا معاصم، ورؤوس بلا غلاصم[2] مهلاً بني هاشم فبي سهل الوعر وصِفا الكدر وألقت إليكم الأمور آنفاً أزمتها، فحذار من حلول داهية خبوط باليد، لبوطٍ بالرجل. فقال عبد الملك: اتقِ الله فيما ولاك، وراقبه فيما استرعاك ولا تجعل الكفر موضع الشكر، والعقاب موضع الثواب ولا تقطع رحمك بعد صلتها وقد جمعت القلوب على محبتك، وأذللت همم الرجال لطاعتك، وكنت كما قال:

ومقام ضيقٍ فرجتُه … بلسانٍ وبيانٍ وَجَدل[3]
ولو يقومُ الفيلُ أو فياله … زلّ عنْ مثل مقامي وزَحل

- **حثّ من تعرض لك أن يجر بك**

قال جرير يخاطب عياش بن المزرقاني:

أعياشُ قد ذاقَ المنون مرارَتي … وأوقدت ناري فَاذنُ ويْلك فاصْطَلِ[4]

قال ابن أبي عيينة:

سيعلمُ إسماعيلُ أنّ عداوتي … لها ريقُ أفعى لا يُصابُ دواؤُها

قال سنان بن أبي حارثة:

قلْ للمقوم وابن هندٍ بعدَهُ … إن كنتَ رائِمَ عزّنا فاستقدمِ[5]
تلقَى الذي لاقَى العدوّ وتصطبِح … كأساً صبابتها كسُمّ العلقمِ[6]

---

(١) **البراجم**: مفاصل الأصابع جمع برجمة، **والبراجم** قوم من تميم.
(٢) **الغلاصم**: اللحم بين الرأس والعنق.
(٣) **البيان**: البلاغة وقوة الإفصاح. (٤) **اصطلى**: استدفأ.
(٥) **رأم يرأم فهو رائم**: أصلح، **والجرحَ**: عالجه حتى برأ.
(٦) **الصُبابة**: بقية الماء ونحوه في الإناء ـ **العلقم**: الحنظل، والمرارة الشديدة.

- **من أوعدَ وقدّم الأنذار**

كتب إبراهيم بن العباس الصولي إلى أهل حمص: أما بعد فإنّ أمير المؤمنين يرى من حق الله تعالى استعمال ثلاث تقوم بعضهن على بعض: الأولى تقديم تنبيه وتوقيف ثم ما يستظهر به من تحذير وتخويف، ثم التي لا ينفع لحَسْم الداء غيرها:

أناةٌ فإن لم تغنِ عقب بعدَها وعيدٌ فإنْ لم يجدِ أغنت عزائمُه

وقال آخر:

لئِن عدت واللّهِ الذي أنا عبْده منحتُك مصقولَ الغرارَيْن أبرَقَا(١)
فإن دواء الجهل أن تضربَ الطُّلى وأن يغمسَ العريضُ حتّى يغرَقَا(٢)

قال الموسوي:

فهذا دواءُ سطْوتي من ورائه وعنوانُ ناري أن يبينَ دُخاني

- **من أوعدَ صاحبَه على أن يحملَهُ على حالةٍ صعبةٍ**

قال سنان بن أبي حارثة:

وإنّي لشرُّ النّاسِ إن لمْ أَبُثّهُم على آلةٍ حدباءَ ناتئةِ الظهْرِ(٣)

قال ابن أبي عيينة:

دعني وأبا خالدِ فلأقطَعَنْ عُرَى نِياطِه(٤)

قال عبد المدان:

ولستُ لحرّةٍ إنْ لمْ تروْني أُمِرّ لكم قوى أمْرٍ جَسِيمِ

وقال آخر:

ذرُوني ذرُوني ما كففْتُ فإنّني متَى ما تهيجوني تميدُ بكُمْ أرْضي(٥)
وأنهضُ في سرْد الحديدِ عليْكم كتائبَ سوداً طالَما انتظرَتْ نَهْضِي

- **من يناوبه منْ لا يُبالي به**

أبرق رجل لآخر وأرعد فلما زاد أنْشَدَ:

قدْ هَبّتِ الريحُ طولَ الدّهرِ واختلفَتْ علَى الجِبالِ فما نالَتْ رواسيها(٦)

---

(١) **الغرارلن والغرارين**: الغرار حدّ السيف.
(٢) **الطّلى (بضم الطاء)**: الأعناق جمع طلاة وطُلية.
(٣) **ناتئة**: بارزة.
(٤) **النياط**: عرق غليظ متصل بالقلب، والنياط الفؤاد ومعلّق كلّ شيء.
(٥) **تميد الأرض**: تزلزل. (٦) **الرواسي**: الجبال الراسخة.

وقال الفرزدق:

مـا ضـرّ تـغـلـبَ وائِـلٍ أهَـجَـوْتَـهـا　　　أمْ بـلْـتُ حـيـثُ تـنـاطَـح الـبـحـران

وقال:

وكـانَ كـكَـلـبٍ حـيـنَ يـنـبَـح كـوكَـبـا

وقال ابن المعتز:

وكـنـتَ كـرامـي كـوكـبٍ بـبُـصـاقِـه　　　فـردَ عـلـيـهِ وبـلّـه ومـواطِـرَه[1]

● **تهدّد من لا يبالي بتهدّده**

قال مقاتل بن مسمع لعباد بن الحصين: لولا شيء لأخذت رأسك. **فقال:** أجل ذلك الشيء سيفي. وقال:

تـواعِـدُنـي لـتَـقْـتُـلَـنـي نُـمَـيْـرٌ　　　مـتـى قَـتَـلَـتْ نـمَـيْـرُ مَـنْ هـجَـاهـا[2]

قال ابن أبي عيينة:

فـدعِ الـوعِـيـدَ فـمـا وعـيـدُك ضـائِـري　　　أطـنـيـنُ أجـنِـحَـةِ الـذبـابِ يُـضِـيْـرُ[3]

قال جرير:

زعـمَ الـفـرزدق أن سـيـقـتـلَ مـربـعـاً　　　أبْـشِـرْ بِـطُـولِ سلامَـةٍ يـا مَـرْبـعُ[4]

وقال آخر:

تـعـرّضُ لـي ذبـيـانُ مَـنْ لَـوْ لـقـمـتـه　　　بـيـومِ بـرازٍ لـم يـسُـدَّ لـهَـاتـي

لـو ان هـبـوبَ الـريـحِ يـجـعـلُـكـم قـذىً　　　لأعـيـنِـنـا مـا كُـنْـتُـمُ بـقـذاةِ

واجتمع قوم على قدري بنعالهم **فقال:** والله لأملأنها عليكم خيلاً. فقال له أبوه: رجالك أنا وخيلك حمارك فبِمَ تصول؟

وكتب بعض الكتاب: أتهذر بي ومالك من المقدار ما كوطأة ذرّة على صلد صخرة؟ ومن فصل لابن أبي البغل وما الذباب وما مرقبه ومتى ساءت الجماء ناطحت القرناء والفراش لعبت بالنار والسانح قابلت الدبور والمهيج تعرض لريب المنون، والأعناق مالت إلى السيوف، والآجال اغترت بالحتوف ومتى ساء أبو الفضل تعرض لابن أبي البغل.

---

(١) **البصاق:** الريق الذي يطرح من الفم ـ **الوبل:** المطر الشديد.

(٢) **تواعد:** تهدّد ـ **نمير:** قبيلة ـ يسخر من توعد بني نمير لأنهم ضعفاء لا يقوون على الانتقام أو ردّ الأذى.

(٣) **يضير:** يؤذي أو يسبب ضرراً.

(٤) يهزأ جرير بالفرزدق وينعته بالجبن وأنه غير قادر على النيل من عدو، وأنه إذا هدّد بقتل أحدٍ كان هذا تبشير، بطول سلامته لعجزه عن قتله.

● **من يتهدّدُ بظهر الغيبِ ولا يُغني غناء**

وقال عنترة:

ومـوعِـدينَ بظهْـر الـغـيـبِ من شـمـس ... إذا الـتـقـيْـنـا نَـبَـتْ عـنّـي مـكَـاويـهـا[1]

وقال آخر:

كـالـصّـدى يُـسْـمَـعُ مـنـه صـوتُـه ... فـإذا طـلـبـتَـه لـم يَـسْـتَـبِـنِ

وقال بعض الندماء:

مــالــك أصــرة إلا وعــيــدٌ ... وهـمـهـمَـةٌ كـمَـا رعـد الـخَـريـفُ

وقال عنترة:

ولـقَـد خشـيـتُ بـأنْ أمـوتَ ولـم تـدُرْ ... للحَرْب دائِرةٌ على ابنَي ضُمْضُمِ[2]

الـشـاتِـمَيْ عِـرْضـي ولـمْ أشـتـمْـهُـمـا ... والـنـاذِرَيْـن إذا لـقـيـتُـهـمـا دَمِـي

وَحُكِيِ عن أبي عمرو بن العلاء **قال**: انصرفت من الجامع في الهاجرة فلقيني عيّار قد جرد سكيناً فوضعها اتجاه قلبي **وقال**: كيف تروي بَيْتَيْ عنترة فأنشدتهما كما تقدم **فقال**: والله لولا أخشى أن أفجع فيك أهل الأرض لقتلتك ما كان عنترة يستجدي هذا الاستجداء إنما **قال الطائيّ**:

الـشّـاتـمي عـرضـي بـمـا هـو فـيـهـمـا ... والـنـاذِرَيْـن إذا لـقـيـتُـهـمـا دمـي[3]

وقال أبو زيد:

تـبـادَرونـي كـأنّـي فـي أكُـفّـهِـم ... حـتّـى إذا مـا رأونـي خـالِـيـاً فـزِعـوا

وقال القرمطيّ:

تـتَـمـانَـى إذا لـم تـرَنـي ... فـإذا جـئـتُ قـطـعْـتَ الـقَـنْـطَـرَه

يـا بـنـي عـبّـاس مـنْ يـنـصـرُكـم ... أصَـبِـيٌ أم خَـصِـيٌ أم مَـرَهْ

● **قلّةُ غناءِ الوعيد**

قيل: الصدق ينبىء عنك لا الوعيد، **قال شاعر**:

مـهْـلاً وعـيـدي مـهْـلاً لا أبـا لـكُـم ... إنّ الـوعـيـدَ سـلاحُ الـعـاجزِ الـحـمـقِ

قال النجاشي:

أبـلِـغ شُـجـاعـاً أبـا خـولان مـألَـكَـةً ... أنّ الـكـتـائِـبَ لا يُـهْـزَمْـنَ بـالـكُـتُـبِ[4]

---

(١) **نبت عنّي**: ذهبت بعيداً.

(٢) **ابنا ضمضم**: هما اللذان قتل عنترة أباهما فتهدّداه بالقتل.

(٣) **نذر دمه**: توعّده بالقتل.

(٤) **المألكة**: الرسالة.

وقيل: من علامات العاقل ترك التهدد قبل إمكان الفرص وعند إمكانها الوثوب مع الثقة بالظفر.

(٣)
ومِمَّا جاءَ في فضلِ الأسلحةِ والمتسلحةِ

•

قال النبي ﷺ: إعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. **وقيل**: السيف حرز إذا جرّد وهيبة إذا أغمد. **وقيل**: الشرف مع السيف.

وقال جعفر بن محمد السيف مفتاح الجنة والنار، ووصفه بعضهم **فقال**: رئيس لهوه قطف الرؤوس ضحوكٌ عبوس وهزله خطف النفوس، **قال أبو تمّام**:

وليسَ يُجلي الكرب رأيٌ مسددٌ إذا لَمْ تؤانِسْه بسَيفٍ مُهنّدِ(١)

قال المتنبّي:

ومنْ طلبَ الفَتحَ الجَليل فإنّما مفاتيحُهُ البِيْضُ الخِفافُ الصَوارِمُ(٢)

وقال:

والمشرفيّةُ - لا زالَت مشرفَةً - دواءُ كلّ كريمٍ داؤه الوجَعُ(٣)

• تفضيلُ السيفِ على القلمِ

قال المتنبّي:

حتّى رجعتُ وأسيافي قوائلٌ لي المجْدُ للسيفِ ليس المجْدُ لِلْقَلَمِ(٤)
أكتُبْ بنا أبداً بعْدَ الكِتابِ بهِ فإنّما نحْن للأسيافِ كالخَدَمِ

قال أبو تمّام:

السيفُ أصدَقُ أنباءً من الكُتُبِ في حدِّه الحدُّ بين الجِدِّ واللّعِبِ(٥)

وفي ضده قيل للكاتب: إلى مَ تدل بهذه القصبة **فقال**: هو قصب ولكنه يقطع العصب إن القلم يرد قضاء السيف ويفسخ حكم الحيف ويؤمن مسالك الحوف.

---

(١) **الكرب**: الحزن والغمّ الشديد.
(٢) **البيض الخفاف**: السيوف - **الصوارم**: السيوف القاطعة.
(٣) **المشرفية**: السيوف.
(٤) **يقول**: إن المجد للسيف وليس للقلم، جاعلاً القوة في هذا السياق فوق الأدب والمعرفة.
(٥) هذا البيت من قصيدة لأبي تمّام في مدح المعتصم العبّاسي الذي هاجم الروم في عمورية وافتتحها غير آبه بقول المنجمين الذين نصحوه بالإحجام عن غزوها، والشاعر يقول بأن الكلمة للسيف وليست كتب المنجمين، فالسيف هو الذي يرسم الحدّ الفاصل بين الجد واللعب.

● **مَنْ في سيفِه ورمحِه الموتُ**

قال صاحب البصرة:

حُسامٌ غداةَ الرَّوْعِ ماضٍ كأنَّهُ ... مِنَ المَوْتِ في قَبْضِ النُّفوسِ رسولُ[(١)]

وقال ابن حاجب:

لو قيلَ للمَوْتِ انتسِبْ لم ينتسِبْ ... يومَ الوغى إلاّ إلى صَمْصَامِه[(٢)]

قيل في وصف رجل: سيفه تؤمن ثنايا الموت إليه ويعوّل في قبض الأرواح عليه:

سيوفُهُمْ يومَ الوَغى ... يَلْعَبْنَ بالأرْواحِ

وقال ربيعة بن مقرم:

وإني لَمِنْ قَوْمٍ تكونُ رماحُهم ... لأعدائهم في الحرب سمّاً مقشبا

وقال ابن المعتز:

لَنَا صارمٌ فيه المَنَايا كوامِنٌ ... فمَا يُنْتَضى إلاّ لِسَفْكِ دماءِ[(٣)]

● **السيوفُ الماضيةُ**

قيل: كيف وجدت سيفه؟ **فقال:** هو على الأرواح كالأجل المتاح.

قال إسحاق بن خلف:

ألْقَى بجانبِ أخْضر ... أمْضَى مِنَ الأجَلِ المُتاحِ

وكأنّما ذرَ الهَبا ... ءُ عليْه أنفاسَ الرِّياحِ

وقال يعقوب الأخطل:

بكلّ حُسامٍ كالعقيقَةِ صارمٍ ... إذا قدَّ لمْ يعلَقْ بصفحَتِه دَمُ

قال المتنبي:

قواضٍ مواضٍ نسجُ داود عندها ... إذا وقعَتْ فيهِ كنَسْجِ الخزرنقِ[(٤)]

قال البحتري:

يغشى الوَغى والترسُ ليسَ بجنّة ... من حدِّه والدرْعُ ليس بمعقِلِ

مصغٍ إلى حكْمِ الردى فإذا مضَى ... لم يلتَفِتْ وإذا قضَى لم يعدلِ

وإذا أصابَ فكلّ شيءٍ مقتَلٌ ... وإذا أصيبَ فما لهُ من مَقْتَلِ

---

(١) و (٢) **الحسام والصمصام:** من أسماء السيوف.

(٣) **الصارم:** السيف القاطع ـ **كوامن:** كامنة مختبئة ـ **ينتضى:** يستلّ ويشهر.

(٤) **الخزرنق:** ضرب من الثياب (فارسي) وفي رواية الخذرنق (بالذال وهو العنكبوت وروي بالدال الخدرنق).

● السيوفُ المصقولةُ

قال بعضهم:

وإذا ما سللته بهر الشمس شعاعاً فلم تكد تستبين
وكأن الفرند والرونق البا دي على صفحتيه ماءٌ معينُ[1]

● غيرُ المصقولةِ

كأنّ في متنه ملحاً وقد نُثرا

وقال آخر:

كأنّ على مواقعه غُبارا

● السيوفُ اللامعةُ المهتزةُ

قال قيس:

بسيفٍ كأنّ الماءَ في جنبَاته محاديرُ غيمٍ أو قرونُ جنادبِ[2]

وقال المتنبي:

فكأنّ برقاً في متون غمامة هنديّةٍ في كفه مسلولا[3]

وقال ابن هرمة:

شهابٌ زهته الريحُ في كفّ قابسٍ

وقال سلم الخاسر:

وكأن السيوفَ والنقعُ عالٍ شُهبُ نارٍ في ساطعٍ ودُخانِ[4]

وقال ابن المعتز:

في كفه عضبٌ إذا هزّه حسبته من خوفه يرتعدُ[5]

● السيوفُ المتفللةُ من الضربِ

قال النابغة:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سيوفَهم بهنّ فُلول من قِراع الكَتائبِ[6]

قال دعبل:

إذا النّاس جلوا باللجيْن سيوفَهم ردَدْتُ السيوفَ بالدّماء حَواليا[7]

---

(١) الفرند: جوهر السيف.
(٢) الجنادب: الجراد.
(٣) مسلولاً: مجرّداً ومشهوراً.
(٤) النقع: الغبار.
(٥) العضب: السيف القاطع.
(٦) الفلول: جمع فلّ وهو الثلم في حدّ السيف.
(٧) اللجين: الفضّة.

وبضدّه هجاء عمارة بن عقل:

ولا عـيـبَ فـيـهِ غـيْـرَ أن جـيـادَه مـسـلـمـةٌ لـيـسـتْ بـهـنّ كُـلُـومُ[1]
وأسـيـافُـهُ لـم تـدرِ مـا طـعـمُ ضـربـةٍ فـهـنّ صـحـاحٌ مـا بـهِـنّ ثُـلُـومُ

● **السيوفُ المتضرّجةُ بالدمِ**

قال علي بن عاصم:

سـمـرٌ وبـيـضٌ إن عـرّيـنَ تَـسَـرْبَـلَـتْ بـدلَ الـجُـفـون جـمـاجـمُ الأبـطـالِ
أوردتـهـنَّ تـواضـعـاً لُـجَـجَ الـرّدى فـصـدرْنَ فـي قـمـصٍ مـن الجِـريـال[2]

● **السيوفُ المتضرجةُ بدم المحارب المترشحة مسكاً من يد المحارب**

وقال بشّار:

ويـبـضٌ بـهـا مِـسْـكٌ لـلـمـسـنِ أكـفّـهـم عـلـى أنّـهـا ريـحُ الـدّمـاءِ تـضـوّعُ[3]

وقال ابن المعتز:

مـقـابـضُـهـا مـسْـك وسـائِـرُهـا دَمُ

وقال آخر:

بـسـيـفِـه مـسْـكٌ وتـامـورُ[4]

وقال الرفاء:

يـكـسـوهُ مـن دمِـهِ ثـوبـاً ويـسـلُـبُـه ثـيـابَـه فـهـو كـاسِـيـه وسَـالِـبُـهُ

● **مشاهيرُ السيوفِ**

قال عبد الملك بن عمير: أهدت بلقيس إلى سليمان عليه السّلام سبعة أسياف: ذا الفقار وذا النون، وضرس الحمار، والكشوح، والصمصامة، ومخذماً، ورسوباً. فأمّا ذو الفقار فصار لرسول الله ﷺ وكان لمنبه بن حجّاج، فقتل يوم بدر فاصطفاه النبي ﷺ. والصمصامة وذو النون لعمرو بن معدي كرب، ومخذم ورسوب، للحارث بن جبلة الغساني ولم يذكر الكشوح.

● **طولُ الرماحِ**

قال طرفة:

كـأنّ رمـاحَـهـم أشـطـانُ بـئـرٍ بـعـيـدٍ بـيْـنَ حـالـيْـهـا صـرُوْرُ[5]

---

(١) **الكلوم:** الجروح جمع كلم.
(٢) **الجريال:** الخمر أو لون الخمر.
(٣) **تضوّع وتضوع:** تعبق وتفوح.
(٤) **يكسوه:** الضمير للسيف.
(٥) **الأشطان:** حبال البئر، جمع شطن.

وقال امرؤ القيس:

ومُطَّرِدٍ كرشاءِ الحَزَوَّرِ من خُلُبِ النخلةِ الأجردِ[1]

وقال عدي:

رشاء دم على أنابيبه دم

● صلابةُ الرماح وللدونَتُهَا

قال ابن أحمر:

فهزّ رُدَيْنِيّاً كأنّ كعوبَه نوى القسبِ نقى التمر عندَ العواجِمِ[2]

وقال المزرّد:

ومطرد لدْنِ الكعوبِ كأنّما تغشّاه منباعٌ من الزيتِ سائلُ

وقالت عابدة المهلبية، ويروى للخوارزمي:

كأن السمرَ والزاناتِ فيهِ نخيلٌ قد نحلْنَ من الفسيلِ[3]

● الرمحُ المتأطرُ

ويستجاد للمتنبي قوله:

ولربما أطَرَ القناةَ بفارسٍ وثنى فقوّمها بآخَرَ مِنْهُمُ[4]

أخذه من قول ابن الرومي:

همامٌ إذا اعوجّت صدورُ قناتِه غدَت بين أحناءِ الضلوع تقوّمُ

وقال يزيد بن أبان:

يَكْرَهُ الرمحَ مقدماً فتراه راعِفَ الأنفِ واهيَ الأنبوبِ[5]

● الرمحُ المتكسر

قال عمرو بن معدي كرب:

ومنزلة فيها العوالي كأنها هشيمُ شِجارٍ كسرتها الحَواطِبُ[6]

وقال الرفاء:

ينثرُ بالطّعنِ أنابيبَ القنا كمَا وهَى سلكُ الفريدِ المنتَظَم

وقال المتنبي:

ورمحٍ تركْتَ مبَاداً مُبِيداً

---

(١) الرشاء: ولد الظبي ـ الحزوّر: الغلام القويّ ـ الخلب: لبّ النخلة.

(٢) الرديني: الرمح ـ القسب: الطويل الشديد من كلّ شيء.

(٣) السمر: الرماح الصلبة ـ الفسيل: جمع فسيلة وهي النخلة تقطع من الأم لتغرس.

(٤) أطر: ثنى وعطف. (٥) راعف: من رعف (أنفه): نزف دماً.

(٦) الهشيم: العشب اليابس.

هو من قول الطائي:

وربَّ يـومٍ كـأيـام تـركْـت بـه ... متنَ القناةِ ومتنَ القِرْن مُنْتَصفا

- **الرمحُ المتكّسرُ في المطعونِ**

وقال الموسوي:

وتقعقعَتْ بينَ الكلَى قصد القَنا ... فكأنَّ كلَّ حشار بابة ميسِرُ[(١)]

وقال ابن نباتة:

يجرّ العوالي والسهامُ بجِسْمه ... كمحتطبٍ للحِمْل ليْس يُطيقُ

- **الرماحُ اللامعةُ الأسنة**

قال امرؤ القيس:

دفعْتُ ردَينيّا كأنّ سنانَه ... سنا لهبٍ لمْ يستعِرْ بدُخَانِ

وقال النميري:

تحكي أسنّتُهُ النجومَ أو الذبالا

وقيل أيضاً:

كأنّ هِلالاً فوقَ قناتِه

وقد أحسن المتنبي ما شاء في قوله:

تهْدي نواظرها والحربُ قائمةٌ ... من الأسنّة نارٌ والقنَا شَمَعُ[(٢)]

- **الكتابة بالطعنِ والضربِ**

قال بعضُ الكتّاب: جبينُه طرس بالصفّاح منمّق مجندر[(٣)]، وبالرماح معجم محبّر.

وقال آخر:

خطّ ينمّقمه الحسام على جبينه

وقال أبو تمّام:

كتبت أوجُهَهم مشقاً ونمنمةً ... طعْناً وضرْباً ففاتَ الهامَ والصّلفَا[(٤)]

فإن ألظوا بإنكار فقد تركَتْ ... وجوههم بالذي أوليتَهم صُحُفا[(٥)]

---

(١) البابة: الغاية، والصنف والخصلة، وبابت الكتاب سطوره.

(٢) الشَمَع: الشَمْع، وشمَع شموعاً الشيء تفرّق.

(٣) مجندر: من جندر الكتاب: إذا أمر القلم على ما درس منه، والمراد معنى النقش.

(٤) المشق: الإسراعفي الطعن.

(٥) ألظّ: ألحّ، وبالمكان أقام وبالشيء لازمه ولم يفارقه.

وقال المتنبي:

وكنت إذا كاتبته قبل هذه ... كتبت إليه في قذالِ الدمُستقِ[1]

وقال غيره:

الكاتِبون إلى الأعداءِ في قلـ ... ـل الأعداءِ كتُباً نرى الأمي والفهمَا

أمسى الرّدى أصلَها والدهرُ مملِيها ... والسيفُ كاتبَها والكاغدُ القِمَمَا[2]

وقالت عابدة المهلبية ويروى للخوارزمي:

كتبْت على وجوهِهم سُطوراً ... غرائبَ حبّرَهنّ دمٌ هَتُولُ[3]

يترجمُها الأعادِي للأعادي ... ويقرَأها على الحيّ القتيلُ

وما لك غيرُ جمْجمَةٍ رسولٌ ... وما لك غيرُ صاحِبها رسيلُ[4]

● **تناول الرؤوسِ بالرماحِ**

قال البحتري:

قوم إذا شهدوا الكريهَةَ صيَّروا ... ضمّ الرماحِ جماجمَ الفُرْسانِ

وقد أخذه من مسلم:

يكسُو السيوفَ رؤوسَ الناسكينَ به ... ويجعَلُ الهامَ تيجانَ القنَا الذُبلِ

وقال جرير:

كأنّ رؤوسَ القومِ فوق رماحِنا ... غداةَ الوغَى تيجانُ كِسرى وقيصَرِ

● **طَعْنُ الأحداقِ والفؤادِ**

قال أبو تمام:

سِنانٌ بحبّات القلوب مُمَتّعُ

وأجاد المتنبي:

كأنّ الهامَ في الهَيْجا عيونٌ ... وقد طُبِعَتْ سيوفُكَ من رُقادِ[5]

وقد صغْتَ الأسنّةَ من هُمومٍ ... فما يخطُرْنَ إلا في فُؤادِ

وقال ابن معدي:

الضاربين بكلّ أبيضَ مرهفٍ ... والطّاعنين مجامِعَ الأضغانِ[6]

---

(١) الدمستق: قائد الروم.

(٢) الكاغد: القرطاس (واللفظة فارسية).

(٣) الدم الهتول: المتتابع.

(٤) الرسيل: المرسَل.

(٥) الهام: الرؤوس ـ الهيجا: مخفّف الهيجاء، الحرب ـ الرقاد: النوم.

(٦) الأبيض المرهف: السيف الحادّ ـ مجامع الأضغان: القلوب، والأضغان: الأحقاد جمع ضغن.

وقال آخر:

قومٌ ترى أرماحَهم تحتَ الوَغى ... مشغوفةً بمَواطِنِ الكِتْمانِ

وقال الشريف أبو الحسين علي بن الحسين الحسني:

فأصبحَ أغمادَ السيوفِ عيونُهم ... وأكبادُهم حلَى الرماحِ الذّوابلِ

● **ضربٌ وطعنٌ تبين منهما الرأسُ ويجلب عنهما الممات**

وقال عنترة:

فشككتُ بالرّمحِ الطّويل ثيابَه ... ليْسَ الكريمُ على القَنا بِمُحَرّمِ(١)

وقال آخر:

وضربتُه ضربًا أضا ... عَ لهُ المقادِمَ والعُرَى

وقال راشد بن شهاب:

علوتُ بذي الحيّات مفرِقَ رأسِه ... وإنّ حُسامي تحتويه الجَماجمُ

بدأتُ بهذي ثمّ أثني بمثلِها ... وثالثةٍ تبيضّ منها المقادِمُ

وقال ابن المعتز:

وكأنّ أيدينا تنفّر عنهم ... طيْراً على الأوكارِ كنّ وُقوعا

وقال الرفّاء:

إذا ركعَ القنَا الخَطيّ صلّوا ... صلاةً جُلُّ واجِبِها السّجودُ(٢)

وقال البحتري:

وصاعقةٍ من نصْله ينكَفي بها ... على أرؤسِ الأقرانِ خمسُ سحائبِ

وله:

نثرتَ على الخَليجِ الهامَ حتّى ... كأنّ حصَى الخليج طُلىً وهامُ(٣)

أخذه الموسوي وزاد فقال:

خطبْنا بالظُّبا مهجَ الأعادِي ... فزفّتْ والرؤوسُ لها نِثَارُ(٤)

وقال الحارثي:

إذا ما عصيْنا بأسيافنا ... جعلنا الجَماجِمَ أغمادَها

---

(١) يفتخر عنترة بطعن عدوّه ويقول إن الفارس الكريم ليس في نجوة من القتل.

(٢) **القنا الخطيّ**: الرماح المنسوبة إلى بلده الخطيّ بالبحرين.

(٣) **الطلى**: الأعناق ـ **الهام**: الرؤوس.

(٤) **الظُّبا**: جمع ظبة وهي حدّ السيف ـ **الهام**: الرؤوس ـ **النثار**: التناثر، الأجزاء المتناثرة.

وقالت عابدة المهلبية ويروى للخوارزمي:

فصادرَهُم على الأرواحِ خرق إذا ابتاعُوا الحياةَ فلا يُقِيلُ

- **شدّةُ الطعنِ والضربِ وسِعَتُهُما**

قال شاعر:

هم الدعو هم حماةُ الرّماحِ ولدّوهم بالظّبا البيضِ لدّا[1]

وقال بعضهم:

وطعنٍ كأفواهِ المزادِ المُخرّقِ[2]

وقال أبو كثير الهذلي:

عجلت يداك لخيرِهم بمرشّةٍ كالعطّ وسْطَ مَزادة المستخلِفِ[3]

قال امرؤ القيس:

كجيب الدِفنِس الورها ء ريعَتْ وهي تستَغْلي[4]

وقال آخر:

وطعن كأذيالِ القِباء المُفرجِ

وقال ضرار في وصف ضربة:

دَفوعٌ لأطرافِ الرماحِ كأنّها إذا سيّروها فرخُ خرقاء دِغبِل[5]

وقال المتنبي:

كأنّما تتلقّاهُم لتسلكَهم فالطعْنُ يفتَح في الأجوافِ ما يسَعُ

وسمع بعضهم قول الشاعر:

لها نَفَذٌ لولا الشعاعُ أضاءها...

فقال: هذا دَرْبٌ لا طعْن.

ويروى لخلف الأحمر:

وأطعنُ السخساحةَ المسلسلَه على عِشَاش دهش وعجْله[6]

وأضربُ الحذباء ذاتَ الرغْلَه تردّ في نخرِ النيبِ قتلَه[7]

---

(١) لدّوهم: خاصموهم خصومة شديدة.

(٢) المزاد: جمع مزادة وهي ما يوضع فيه الزاد.

(٣) العط: مصدر عط الثوب شقّه.

(٤) الدفنس: الأحمق الدنيء، والدفنس البخيل والثقيلة من النساء ـ الورهاء: الحمقاء.

(٥) الدعبل: بيض الضفدع، والدعبلة: الناقة القويّة.

(٦) العشاش: جمع عشّ، وهو وكر الطائر.

(٧) الرعلة: القطعة المتقدّمة من الخيل، والرعال: العيال ـ النيب: النوق المسنة، جمعه ناب.

● **الحاذقُ بالطعانِ والضربِ**

قال عبد يغوث:

لِـيَبْـقَ بِـتَـصْـرِيـفِ الـقَـنَـاة بَـانِـيَـا

وقال المتنبي:

يـضـع السّـنـانَ بحيثُ شاءَ مجاولاً حـتّـى مـن الآذان فـي أَخْـراتِـهـا

وقال الموسوي:

وأسـمـرُ يَـهْـتَـزُّ فـي راحَـتِـي كَـمَـا هـزّت الـقـلـمَ الأصـبـعُ

● **سقي الرماحَ والصفاح دمَ الأعداءِ**

قال شاعر:

وعـامـلُ الـرمـحِ أرويـه مـن الـعَـلَـقِ[1]

وقال آخر:

نـهـلَـت قـنـاتـي مـنْ مـطَـاه وعـلّـت

قال يحيى بن علي المنجم:

يروي السيوفَ دماً إذا شكتِ الصدَى يـومَ الـوَغـى بـأسـاً وصـدقَ ضـرابِ[2]
فـتـمـجُ إن خـفـضَـت عـلـى أعـقـابِـنـا وتـمـجّ إن رفـعَـت عـلـى الأعـقـابِ[3]

قال دعبل:

فـأصـبـحَـتْ تـسـتـحـيـي الـقَـنَـا أن تـردَّهـا وقد وردَت حوضَ المنَايا صَوادِيا[4]

قال السري:

إذا الـحـسـامُ غـدا سـكـرانَ مـنـتـشـيـاً مـنَ الـدّمـاء سـقَـوه أنـفُـسـاً فـضـحـا

● **الجاعلُ قواضبه بدل المعاتبةِ**

قال عمرو بن إبراهيم:

لـيْـسَ بـيـنِـي وبـيْـن قـيـسٍ عـتـابٌ غـيْـرَ طـعْـن الـكُـلَـى وضـربِ الـرّقـابِ

وقال آخر:

دلـفـت لـهُ بـأبـيـضَ مـشـرفـيٍّ كَـمَـا يـدْنـو الـمـصـافِـحُ لـلـسـلامِ[5]

وقال بعض البغليين:

نـزلـوا مـنـزلَ الـضـيـافَـةِ مـنّـا فـقِـرى الـقـوم غِـلْـمـةُ الأعـرابِ[6]

---

(١) **العلق**: الدم. (٢) **الصدى**: العطش الشديد.
(٣) **تمج**: تقذف تبصق، تطرح. (٤) **الصوادي**: العطاش.
(٥) **دلف**: قارب الخطو في مشيه، ودلف الجيش تقدم ـ **الأبيض المشرفي**: السيف.
(٦) **القرى**: طعام الضيف ـ **الغلمة**: الانقياد للشهوة.

● **وصلُ السيوفِ بالخطا**

يروى أن فتى من الأزد دفع إلى المهلّب بن أبي صفرة سيْفاً له **وقال**: كيف ترى سيفي يا عم؟ **فقال المهلب**: سيفك جيد إلا أنه قصير. **فقال**: أصله بخطوة، **فقال**: يا ابن عم المشي إلى الصين على أنياب الأفاعي أسهل من تلك الخطوة. ولم يقل المهلّب هذا جبناً وإنما أراد توجيه الصورة.

قال شاعر:

نَصِلُ السيوفَ إذا قصّرنَ بخَطْوِنا ... قَدَماً ونلحقُها إذا لم تلحَقِ

وقال آخر:

إذا قصرتْ أسيافُنا كان وصلُها ... خُطانا إلى أعدائِنا فنضارِبُ

● **وصفُ شجاعٍ ذي رماحٍ**

سئل أعرابي عن قوم **فقال**: أسود الغاب يحمل غابها.

قال البحتري:

إذا بدَوا في حَرَجَاتِ القَنَا ... ترى أسودَ الأرضِ في غابِها(١)

قال الرّفّاء:

أسدٌ لها من بيضِها أو سُمرِها ... جَداوِلُ مطّرداتٌ بآجَم(٢)

● **من جعلَ معاقلَه الأسلحة والخيول**

قال شاعر:

إن السيوفَ معاقلُ الأشراف

وقال أبو الغمر:

إذا لاذَ منه بالحُصونِ عدُوّه ... فليس له إلاّ السيوفُ حصونُ

وقال آخر:

إن الخيولَ معاقِلُ الأشْرافِ

وقال آخر:

وليس لنا إلا الأسنّة معْقِل

● **من لاذَ بالقواضِب واستعانَ بها**

أبي قَوْمُنا أن يُنصِفون فأنصفَتْ ... قواضِبُ في أيمانِنا تقطرُ الدّما

وقال آخر:

ترَى السيْفَ أدنى من أُقَارِبُهُ رَحِمِي(٣)

---

(١) حرجات: جمع حرجة وهي جماعة الغنم أو الإبل.

(٢) **الأجم**: مأوى الأسد، جمع آجام، والأجم الشجر الكثير الملتف.

(٣) **الرحم**: القرابة.

وقال الشنفري:

وإنّي كفاني فَقْدُ مَنْ ليْسَ جازيا ... بحُسْنى ولا في قربه متَعَلَّلُ

ثلاثةُ أصحابٍ: فقلبٌ مشيع ... وابيض إصليت وصفراء عَيْطَلُ

وقال الموسوي:

أَلِفَ الحسامَ فلَوْ دعاهُ لغارَةٍ ... عجلانَ لبّاه بغَيْرِ نِجادِ[(١)]

وقال:

ربّ ليلٍ جعلتُه طيلساني ... مؤنِسي صارِمي وقَلْبِي مِجَنّي[(٢)]

وقال طاهر بن الحسين:

سيْفي رَفيقي ومَسْعدي فَرَسي ... والكاسُ أنسي وقينَتي خِدْني[(٣)]

- **من استطابَ تناولَ الأسلحةِ**

قال البحتري:

ملوكٌ يعدّون الرمْحَ خواصِرا ... إذا زعزَعوها والدروعَ مخاصِراً[(٤)]

وقال المتنبي:

متعَوِّداً لبْسَ الدروعِ يَخالُها ... في البَرْدِ خِزّا والهواجِرِ لاذا[(٥)]

وقال أبو الغمر:

واعتادَ حمْل القنا لا الراحُ راحتُه ... وضاجَعَ البيضَ لا البيضَ الرَعابيبا[(٦)]

- **الأبقعُ الوجه من صدأ الحديدِ**

وقال الفرزدق:

يمْشونَ في حلَقِ الحَديد كما مشت ... جُرْبُ الجمال بها الكُحَيْلُ المُشْعَلُ[(٧)]

- **طيبُ صدرِ المغفر**

وطيبُهم صدأُ المِغْفَرِ[(٨)]

---

(١) **النجاد**: حمائل السيف.

(٢) **الطيلسان**: كساء أخضر يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ وهو من لباس العجم ـ **الصارم**: السيف ـ **المجن**: الترس.

(٣) **القينة**: الجارية المغنية ـ **الخدن**: الحبيب أو الصاحب.

(٤) **المخاصر**: جمع مخصرة وهي ما يتوكأ عليه كالعصا، والمخصرة كالسوط يشير به الملك إذا خاطب.

(٥) **اللاذ**: ثوب حرير أحمر.

(٦) **الرعابيب**: جمع رعبوبة وهي الممتلئة ـ **يقول**: اعتاد حمل الرماح ومضاجعة البيض أي السيوف لا البيض من النساء الرعابيب.

(٧) **الكحيل**: القطران ـ**وحلق الحديد**: الدروع ـ **الحديد المشعل**: الذي يحرق به الجلد.

(٨) **المغفر**: زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة.

وقال سلم بن قحفان:

فطيبُ الصدا المسود أطيبُ عندنا ... من المِسْك ذافَتْه كفُّ ذوائفِ[1]

- **النابي سيفُهُ عن الضريبة**

قال ورقاء بن زهير وقد ضرب فنبا سيفه:

رأيتُ زهَيْراً تحتَ كلكلِ خالدٍ ... فأقبلْتُ أسعى كالعَجول أُبادِرُ[2]

فُشلَّتْ يمِيني يومَ أضربُ خالداً ... ويحصّنه مني الحديدُ المظاهرُ

وكان الفرزدق قد دُفِعَ له سيف بحضرة سليمان بن عبد الملك ليقتل به رومياً فضربه فلم يعمل فيه، فقال جرير:

بسَيْفِ أبي رغوان سيفِ مجَاشع ... ضربتَ ولم تَضْرِبْ بسيفِ ابنِ ظالمِ

فهل ضربةُ الروميّ جاعلةٌ لكُم ... أباً كَكُلَيْب أو أخاً مثلَ دارمِ

فأجابه:

فسيفُ بني عبْسٍ وقد ضربُوا به ... نبا بيدَي ورقاء عن رأسِ خالدِ[3]

كذاك سيوفُ الهند تنبُو ظباتُها ... وتقطعُ أحياناً مناطَ القَلائِدِ[4]

- **عُذْرُ مَنْ يكثِرُ لبسَ الدرعِ في الحربِ**

رؤي الجراح بن عبد الله وقد لبس درعين في بعض الحروب فأكثر ناظره النظر إليه فقال له: والله يا هذا ما أقي بدني وإنما أقي صبري. فأخبر بذلك سعيد بن عمرو وكان من فرسان الشام **فقال**: صدق لأن لامة[5] الإنسان حظيرة نفسه. عوتب يزيد بن يزيد في إحكامه الدرع، **فقال**: إن الله تعالى مع قضائه الأمور المحتّمة أمر بالحذر، وذكر ما في صنعة اللبوس، وكان ﷺ وَالَى يوم أحد بين درعين.

أنشد كثير عبد الملك:

علي ابنِ أبي العاصي دلاصٌ حصينةٌ ... أجادَ المسدي سردَها فأزالها

فقال له: هلاّ قلت كما قال الأعشى:

وإذا تكونُ كتيبةٌ ملمُومَةٌ ... خرساءُ تغشى من يذودُ نصالَها[6]

---

(١) **ذافت**: خلطت. (٢) **الكلكل**: الصدر.

(٣) **نبا السيف**: كلّ وارتدّ ولم يقطع.

(٤) **المناط**: موضع التعليق ـ **القلائد**: جمع قلادة الحليلة التي تجعل في العنق.

(٥) **اللامة**: مخفف لأمة وهي الدرع.

(٦) **الكتيبة الملمومة**: الفرقة من الجند ـ **يذود**: يدفع ـ **نصالها**: سيوفها وفي رواية نهالها أي رماحها.

كُنْتَ المقدّمَ غيرَ لابسِ جُنّةٍ ... بالسّيفِ تضرِبُ مُعْلِماً أبطالَها[1]

فقال: كثير ذاك وصفه بالجهل والتهور وأنا وصفتك بالحزم. **قال البحتري**:

تراهُ في الأمنِ في درعٍ مضاعفةٍ ... لا يأمَنُ الدهرَ أن يُدْعَى على عَجَلِ

● قلّةُ غناءِ الدرعِ عندَ حضورِ الأجَلِ

سئل ابن الحسين: في أي الجنن تحب أن تلقى عدوك؟ **قال** في أجل مستأخر **وقيل لبعضهم**: أي الجنن أوقى؟ **قال**: العافية. **وقيل لآخر**: لو احترست **فقال**: كفى بالأجل حارساً.

● وصفُ الدروعِ

قال شاعر:

كسَيْلِ الأتيّ على الحَديدِ

وقال آخر:

ومفاضَةٍ كالنهْي ينسجه الصّبا[2]

وقال آخر:

كأنّ قتيرَها حَدَقُ الجَرَادِ[3]

وقال المتنبي:

يخطّ فيها العَوالي ليسَ يُنْفِذُها ... كأن كُلَّ سنانٍ فوقَها قلمُ

وقال مزرّد:

ومنسوجةٍ فَضْفاضَةٍ تبعيةٍ ... وآها القتير تجتويها المعابلُ[4]

ويستحسن لابن المعتز:

كأنها ماءٌ عليه جرَى ... حتّى إذا غابَ فيهِ جَمَدْ

قال كلثوم:

كأن سنا الماذي فوق متونِهم ... مواقدُ نارٍ لم تُشَبْ بِدُخانِ[5]

● المستغني بجلادتِهِ عن التدرّعِ والتقنّعِ

قال أبو تمّام:

إذا رأوا للمَنَايا عارِضاً لبسُوا ... من اليقين دروعاً ما لَها زَرَدُ

وقال مسلمة:

على درعٍ تلينُ المرهَفَاتُ لهُ ... من الشجاعة لا مِنْ نسجِ داودِ

---

(١) **الجُنّة**: السترة ـ **معلماً الأبطال**: تاركاً فيهم علامة الطعن أو الجرح.

(٢) **المفاضة**: الدرع ـ **النهي**: الغدير ـ **الصبا**: ريح تهب من جهة الشرق.

(٣) **القتير**: مسامير الدرع ـ **تجتوي**: تكره. (٤) **المعابل**: جمع معبلة وهي النصل العريض الطويل.

(٥) **لم تشب**: لم تخلط.

إنّ الذي صور الأشياء صوّرني ... ناراً من البأسِ في بحرٍ من الجُودِ

● **وصفُ المغتفِر والمغفر**

قال بشر:

كأن سنا قوانِسِهم ضِرَامُ ... مرته الريحُ في أعلَى يَفاعِ[1]

وقال أبو تمّام:

كأنّ نعام الدوّ باضَ عليهم

وله:

مثلُ النجومِ تضيءُ إلا أنّهم ... قد قُلْنِسوا من بِيضِهم بنُجومِ[2]

وقال أبو قيس:

قد حصّتِ البيْضَةُ رأسي فمَا ... أُطْعَمُ نَوْماً غيْرَ تهْجاعِ[3]

● **القسيّ**

دخل أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه على النبي ﷺ متقلّداً قوساً عربية **فقال**: هكذا جاءني جبريل عليه السلام اللّهم من استطعمك بها فأطعمه ومن استنصرك بها فانصره ومن استرزقك بها فارزقْهُ. **وقال النبي ﷺ** ما مدّ الناس أيديَهم إلى شيء من السلاح إلا وللقوس فضل عليه. وقيل في وصفه:

طروح مروح تعجل الظبي أن يروح

قال أعرابي في وصف قوس رمي عنها ذئباً:

وفي شمالي سمحة من النّشَم ... يفُجُّ في الكَفّ إذا الرامي اهْتَزَمْ[4]

وتهزِم الفارِسَ في أخرى النّعَم

وقال آخر:

صفراءُ تبع خطمُوها بوتَرْ ... لام ممر مثلُ حُلقومِ النُّغَر[5]

حذب ظباها أسهم مثل الشرَر

وقال آخر:

ومقابلا ضلْع الظّباء كأنّها ... جمْرٌ بمهلكةٍ تشبُّ لمُصْطَلي

نحفا بذلَتْ لها خَوافي ناهضٍ ... حشر القوائمِ كاللفاع الأكْحَل

وإذا تُسَلّ تخشْخَشَت أرياشُها ... خشّ الجنوبِ بيابسٍ من أسحلِ[6]

---

(١) **القوانس**: جمع قونس، أعلى بيضة الحديد ـ **اليفاع**: التلّ المشرف، والمرتفع من الأرض.

(٢) **قلنسوا**: لبسوا القلنسوة وهي من ملابس الرأس. (٣) **التهجاع**: الهجوع أي النوم والرقاد.

(٤) **السمحة**: أي قوس سمحة والسمحة هنا بمعنى اللّينة والسهلة ـ **النّشم**: شجر تتخذ منه القسيّ.

(٥) **النّغر**: فراخ العصافير. (٦) **تسلّ**: تجرّد وتشهر.

النحف النصال العراض والأكحل الذي يضرب لونه إلى الغبرة

● **المجيدُ من الرماةِ**

قيل: خرج بهرام إلى الصيد ومعه جارية فعرض له ظبي فسألته الجارية أن يجمع ظلف الظبي وأذنه بنشابة واحدة فرمى أصل أذن الظبي ببندقة فأهوى الظبي بيده إلى أذنه ليحتك فرماه بنشابة فوصل ظلفه بإذنه، وهذا إن كان صحيحاً فعجيب.

قال امرؤ القيس:

فـهـوَ لا تَـنْـمـي رمِـيَّـتُـه ... مـالـه لا عُـدَّ مِـنْ نـفَـرِه[1]

وقال إسماعيل بن علي:

إذا تـمـطّـى قـائـمـاً ثـمّ انـثـنـى ... ومـدّهـا أحـسَـنَ مـدٌ وانـثـنـى

أرسَـل مـنـهـا نـافـذاً مـسـنـاً ... سيّـان مـنـه مـا نـأى ومـا دنـا[2]

يـسـوقُ أسـبـابَ الـنـحـوسِ والـفـنـا

وقد أوغل المتنبي في قوله:

إذا نُـكِـبَـتْ كِـنَـانَـتُـه اسـتـبـنّـا ... بـأنْـصُـلـهـا لأنْـصُـلـهـا نُـدُوبَـا[3]

يـصـيـبُ بـبـعْـضِـهـا أفـواقَ بـعـضٍ ... فـلـولا الـكـسْـرُ لاتـصـلَـت قـضـيـبـا

● **الرديءُ الرمي**

نَظَر فيلسوف إلى رام سهامه تذهب يميناً وشمالاً فقعد في موضع الهدف **وقال**: لم أر موضعاً أسلم من هذا. ورمى المتوكل عصفوراً فأخطأه فقال له ابن حمدون: أحسنت فقال تهزأ بي؟ **فقال**: أحسنت إلى العصفور. **قال كشاجم**:

مـسْـتَـهْـتِـرٌ بـالـرّمْـي واهِ عـضـدُه ... أحـسـنُ شـيء حـيـنَ يـرمـي طـردُه

كـأنّـه فـؤادُه أو كـبـدُه

● **المجن**

قال شاعر:

يُريكَ شعاعَ الشمْس في جنّةِ الدُّجى

قال أبو فراس:

أواقـد لا آلـوك إلا مـهـنّـداً ... وجـلـد أبـي عـجـل وثـيـقَ الـقـبـائـلِ

● **وصف جماعة الأسلحة**

سأل عمر بن الخطاب عمرو بن معدي كرب **فقال**: ما تقول في الرمح؟ قال أخوك

---

(١) **لا تنمي رميته**: أي لا تنحاز عن مكانها لأنها رمية صائبة.

(٢) **النافذ**: الرمح. (٣) **الندوب**: آثار الجروح، جمع ندب.

وربما خانك. **قال**: فالنبل؟ قال: منايا تخطىء وتصيب. **قال**: فالدرع قال مشغلة للفارس متعبة للراجل، وإنّها لحصن حصين. قال فالترس؟ **قال**: مجن وعليه تدور الدوائر. **قال**: فالسيف؟ قال: عنده ثكلتك أمك. **قال عمر**: بل أنت.

- **الاستنكافُ من المحاربة بالحجر والرخصة فيه**

قال أبو النجم:

إنّـي وجـدّك لا يـكـونُ سـلاحُـنـا   حـجـرَ الأكامِ ولا عـصـا الطـرْفـاء[1]

أوصى بعض الأعراب ابنه وقد أرسله إلى محاربة بعض أقرانه **فقال**: يا بني كن بذّاً لأصحابك على ما فاتك وإياك والسيف فإنّ ظله الموت، وألقِ الرمح فإنه رسول المنية ولا تقرب السهام فإنها رسل لا تؤامر مرسلها **قال**: فيم أقال؟ قال: بما **قال الشاعر**:

جـلامـيـدُ أمـلاءُ الأكـفَ كـأنّـهـا   رؤوسُ رجالٍ حُـلقـتْ في الـمـواسِـمِ

قال الحنفي:

فَـوادِخ بـذا الـصـخـرِ الأصـم رؤوسَـهـم   إذا الـقـلـع الـهـنـديّ عـنـهـا تـثـلّـمَـا[2]

- **أصواتُ الأسلحةِ**

يقال للطعن الشفشفة وللضرب هيعقة وللقسي أزملة وغمغمة.

قال الحارث بن حلّزة:

وحـسـبْـتُ وقـعَ سـيـوفـنـا بـرؤوسِـهـم   وَقْعَ السّحابِ على الطّرافِ المشرجِ[3]

وقال هلال:

تـصـيـحُ الـرّدَيْـنـيّـات فِـيـنـا وفـيـهِـم   صياحَ بناتِ الماءِ أصبحنَ جوَّعا[4]

وقال آخر:

تـنـقّ عـوالـيـهـم نـقـيـقَ الـضّـفـادِعِ

- **إيجابُ المحاربة على المتسلّح وتبكيتُه لتقصيره فيها**

قال ابن مرداس:

فـعـلامَ إن لـم أشـفِ نـفـسـاً حـرّة   يا صـاحِـبي أحـيـدُ حـمْـلَ سـلاحِـي

وقال جرير:

تصفُ السيوفَ وغيرُكم يَغصَى بها   يا ابنَ القيونِ وذاكَ فعْلُ الصيْقَلِ[5]

---

(١) **الطرفاء**: ضرب من الشجر.   (٢) **الهندي**: السيف المنسوب إلى الهند.

(٣) **الطراف**: البيتمن أدم ـ السرج: المضاء بالسراج،والمسرج أيضاً: الفرس مشدود عليه السرج أو الرّحل.

(٤) **الرديبنيات**: الرماح المنسوبة إلى امرأة تدعى ردينة.

(٥) **القيون**: جمع القين، الحدّاد.

قال ابن الرومي:

رأيتُكم تبدونَ في الحَرب عدّة ... ولا يمنَع الأسلابَ منكم مقاتلُ[1]
فأنتُم كمثلِ النخلِ يسرع شوكُه ... ولا يمنعُ الجَرام ما هو حامِلُ[2]

قال المتنبي:

إذا كنت ترضى أن تعيشَ بذِلّةٍ ... فلا تستعدنّ الحُسامَ اليمَانيا[3]
ولا تستَطيلَنّ الرماحَ لغارةٍ ... ولا تستجيدَنّ العتاقَ المَذَاكِيا

● **الاستظلالُ بالأسلحةِ**

قال امرؤ القيس:

ففئنا إلى بيتٍ بعلياء، مردَح ... سماوية منها الحمى معصبُ[4]
فأوتاده ماذيّة وعمادهُ ... ردينيّة فيها أسنّةُ قَعْضَبِ[5]

وقال أعرابي من بني أسد:

وفتيان ثنيْتُ لهُم رِدائي ... على أسيافِنا وعلى القِسيّ

وقال:

وما اتّخذُوا إلا الرماحَ سُرادقاً ... وما استتَروا إلا بضوءِ اللهَاذِمِ[6]

● **ذمُّ العزل في الحربِ**

في المثل: عند النطاح يغلب الكبش الأجم

فمن يكُ معزالَ اليدين فإنّه ... إذا كشرتْ عن نابِها الحَرْبُ حاملُ[7]

وقال ابن الحطيم:

نبّهتُ زيداً ولم أفزع إلى وكِل ... رثّ السلاحِ ولا في الحرب مكثور[8]

● **من صاحبَةُ الطيورُ والسباعُ**

أول من وصف ذلك النابغة الذبياني فقال:

إذا ما غزَوا بالجيْش حلّقَ فوقَهم ... عصائبُ طيرٍ تهتَدي بعصائبِ[9]

---

(١) **الأسلاب**: الغنائم التي تسلب في المعركة.
(٢) **الجرام**: التمر اليابس. (٣) **لا تستعدنّ الحسام**: لا تتخذه عدّه.
(٤) **العلياء**: المرتفع من الأرض ـ **المردَح**: من ردَح البيت: إذا كاثف عليه الطين ـ المعصب المشدود.
(٥) **ردينيّة**: نسبة إلى ردينة وهي امرأة كانت تصنع الرماح وزوجها قعضب وهو من بني قشير، لذا قال: أسنّة قعضب.
(٦) **اللهاذم**: جمع لهذم وهو القاطع والحادّ من السيوف.
(٧) **كشرت عن نابها الحرب**: أي احتدمت. (٨) **الوكِل**: الجبان العاجز.
(٩) **العصائب**: جماعات الطير.

وقال أبو تمّام:

وقد ظُلّلَتْ عُقْبانُ أعلامه ضحىً ... بعُقْبانِ طيْرٍ في الدّماءِ نواهِلِ[1]

أقامَتْ مع الراياتِ حتّى كأنّها ... من الجيْشِ إلا أنّها لمْ تُقاتِلِ

وقال بشّار:

إذا ما غزا بشّرتْ طيْرُه ... بفَتْحٍ ويشْرَنا بالنّعَمِ[2]

وقال المتنبّي:

وَأنْبَتَّ فيهم ربيعَ السّباعِ ... فأثْنَتْ بإحْسانك الشامِلِ

وقال عمرو بن مامة:

إذا ألحمَت قيسٌ لحربٍ تباشَرَت ... ضباعُ الفَيَافي والنسورُ الكواسِرُ[3]

وقالت جنوب أخت عمرو:

تمْشي النسورُ إليْها وهي لاهيَةٌ ... مَشْيَ العَذارى عليهنّ الجلابيبُ

- **المتزيّن بالجِراحات**

قال يعقوب بن يوسف:

وخيْلٍ تعجزُ الأرسال عنْها ... مزيّنَةٍ بأنْواعِ الجِراحِ

وقال سلم الخاسر:

ولا خيرَ في الغازي إذا آب سالِما ... إلى الحيّ لم يُجْرَح ولمْ يتحدّدِ[4]

- **المتضرّج بالدم**

قال البحتري:

سُلبُوا وأشرقَتِ الدماءُ عليْهم ... مُحْمَرّةً فكأنّهم لم يُسْلَبُوا

وقال آخر:

تَضَرّجَ منْهم كلُّ خَدّ مُعَفّرٍ ... وعُفّرَ منْهم كلُّ خدّ مُضَرّجِ[5]

- **المتلطّخ بالدم المتسربل بالغُبارِ**

قال السريّ:

مفقودَةٌ شيَةُ الجَواد عليْهِم ... وحُجُول أربعة لخوضِ دمائِه[6]

---

(١) العقبان: جمع عقاب وهو طائر من الكواسر ـ يقول: إن رايات الممدوح عند الضحى كانت مظلّله بعقبان الجوّ المحلّقة فوق الجيش ترتقب أن تقتات بدماء وأشلاء القتلى.

(٢) النعم: الغنائم.

(٣) الفيافي: جمع فيفاء وهي المفازة التي لا ماء فيها.

(٤) آب: عاد.

(٥) الخدّ المعفر: الممرغ بالتراب.

(٦) الشية: مصدر وشى الثوب شية حسّنه بالألوان ونقشه.

وقال المتنبي:

وعجاجة ترك الحديد سوادها زنجاً تبسم أو قذالاً شائبا[1]

● **الغبار**

قال الحجّاج: اتّقوا الغبار فإنه سريع الدخول بطيء الخروج، **وقال**:

غفارُ كما فارَت دواخنُ غرقد

وقال أوس:

فانقَضّ كالدرّي يتبَعُه نقْعٌ يثورُ تخالُه طُنبا[2]

يخفى وآونة يلوحُ كمَا رفع المنيرُ بكفّه لَهَبَا

● **الحروبُ المشهورةُ**

الحروب ثلاثة لم يكن للعرب أعظم منهن: **حرب بعاث بين الأوس والخزرج** وكانت متصلة إلى أن بعث الله تعالى النبي ﷺ فلما أسلموا اصطلحوا. **وحرب بني وائل بكر وتغلب** في مقتل كليب اتصلت أربعين سنة، **وحرب ابني بغيض عبس وذبيان** في مجرى داحس والغبراء بقيت أربعين سنة لم تحمل فيها الحمالات فبعث الله تعالى النبي ﷺ وبقي من دمائهم شيء على الحارث بن عوف فاهتدى للإسلام.

وأيام العرب ثلاثة في الجاهلية لم يكن أعظم منهن: **يوم جبلة ويوم كلاب الأخير ويوم ذي قار**.

وقال سفيان بن عيينة: السيوف أربعة: **سيف** لمشركي العرب وهو قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾[3]، **وسيف** لأهل الردّة على يد أبي بكر رضي الله عنه **«وهو تقاتلونهم أو يسلمون»** **وسيف** لأهل الكتاب على يد عمر رضي الله عنه قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. **وسيف** لأهل القبلة والصلاة على يد عليّ رضي الله عنه وهو **«وإن طائفتين من المؤمنين اقتتلوا»** ولولاه ما عرفنا قتال أهل القبلة.

● **العصا**

تسمى المنسأة[4]: قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾[5] وعصا موسى حالها ظاهرة. وقيل ألقى فلان عصاه إذا نزل، **وشق العصا** إذا خرج عن الطاعة؛ **وعبيد العصا** أي ينقادون بالعصا وسمى الصغير الرأس رأس العصا

---

(١) **العجاجة**: الغبار ـ **القذال**: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس.

(٢) **الدري**: أي الكوكب الدريّ ـ **النقع**: الغبار ـ **الطنب**: الحبل الطويل يشدّ به سرادق البيت.

(٣) **القرآن الكريم**: التوبة/ ٣٧.

(٤) **المنسأة**: العصا العظيمة التي تكون مع الراعي.

(٥) **القرآن الكريم**: سبأ/ ١٤.

وهو صلب العصا أي قوي. وقولهم: أنك خير من تفاريق العصا، فالعصا تقطع ساجورا ثم يجعل الساجور أوتاداً، والأوتاد شظاظاً، والشظاظ مهار البخاتي، أو تشق العصا فتجعل قوساً للبندق، وتجعل القوس سهاماً والسهام حظاء والحظاء مغازل، والمغازل قداحاً

● **الكرةُ والصولجانُ**

وقال أبو قريش بن أسوط، وكان من بطارقة أرمينية يصف كرة:

يـــحـــبّ دنـــوُّهـــا إذا مـــا ... دنـــت مـــنـــه بـــكـــدّ أي كـــدّ
قَـلاهـا ثـم أتْـبَـعـهـا بـضَـرْب ... وأعـقَـبَ قـربَـهـا مـنـه بـبُـعْـدِ

وقال بشار:

كـأنّ فـؤادَه كـرةٌ تـنـزى ... حـذارَ الـبـيْـنِ لـو نَـفَـع الـحـذارُ

وقال السيّد الحيمري:

وكـأنّـهـا كـرةٌ بـكـفّ حـزورٍ ... عبل الذراع دحا بها في ملعَبِ(١)

● **البوق:**

قال البيغا:

ومـسـمـعٍ لـيـس بـذي لـسـانِ ... مـحـكـم فـي صـمَـم الآذان
سـرّ يـؤديـه إلـى إعـلان

(٤)

وممّا جاء في طلب الثأرِ والدية والرخصة في الاقتصاص

●

قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾(٢) ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾(٣) ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾(٤) وقال ﷺ لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده. وسوّى بين الصريح والهجين وكانت العرب تهدر دم السيد وهو الملصق الدعي وإذا قتل الرجل ملكاً أو رجلاً من أهل بيت القاتل لم يرضوا حتى يقتلوا رهط القاتل ويحرقوهم بالنار وإذا كان القاتل هو الملك أو أحد من أهل بيته أهدروا الدم فقالوا لا عقل ولا قود. **قال الجاحظ**: كانت الدية والصدقة مما عند الرجل إن تمرا فتمر وإن شاء فشاء وكانوا يعيرون من ديته التمر قال:

ألا أبـلِـغ بـنـي وهـب رسُـولا ... بـأنّ الـتـمـرَ حُـلْـوٌ فـي الـشـتـاءِ

---

(١) الحزوّر: الغلام القويّ ـ دحاها: بسطها. (٢) القرآن الكريم: البقرة/ ١٩٤.
(٣) القرآن الكريم: المائدة/ ٤٨. (٤) القرآن الكريم: الإسراء/ ٣٣.

فعيّرني هذا بشيئين بأخذ الدية وبأن ديتهم التمر وكانت دية العربي المعمّ المُخْوِل من التمر مائة وسق ومن الإبل مائة بعير ودية الهجين على النصف ودية المولى على الربع. والملك ومن هو من بيته ألف وسق. والإسلام سوّى بين الكلّ لقول النبي ﷺ المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم.

● **التعييرُ بترك الثأرِ والحثُّ على أخذِه**

قيل لأعرابي: أيسرك أنك من أهل الجنة وأنك لا تدرك ثاراً قط؟ **قال**: بل يسرني إن أدرك الثار وأنفى العار وأدخل مع فرعون النار.

قدم هدبة بن الخشرم العذريّ ليقتاد بابن عمه فأخذ ابن المثؤر به السيف فضوعفت له الدية حتى بلغت مائة ألف، فأبت أم الغلام أن يقبل الدية **وقالت**: أعطى الله عهداً لئن لم تقتله لأتزوجنه فيكون قد قتل أباك وناك أمك. **قال عبد الرحمن بن شافع**:

فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فكونوا نساءً للخلوق وللكحلِ[1]
ويبيعوا الردينيّاتِ بالحلي واقعُدوا ... على الذلّ وابتاعُوا المغازِلَ بالنبلِ

ونحوه، قول عمرة بنت وقدان:

فإن أنتم لم تطلبُوا بأخِيكم ... فذرُوا السلاحَ ووحشوا بالأبرق[2]
وخذُوا المكاحِلَ والمجاسِدَ والبَسُوا ... نقبَ النساء فبئسَ رهطُ المرهقِ

● **التعيير بأخذ الدية وعدمه**

قال شاعر:

وإن الذي أصبحتم تحلبُونه ... دمٌ غيرَ أن اللونَ ليس بأحمرَا
إذا سكبُوا في القعبِ من ذي أنائهم ... رأوا لونه في القعب وزداً وأشقَرا

قال آخر وكان أخذ من ابن عمه دية أبيه:

إذا صبّ ما في القعب فاعلَم بأنه ... دمُ الشيخ فأشربْ من دم الشيخ أوْ دَعَا[3]

قال آخر:

خذوا العقل إن أعطاكم العقل قومكم ... وكونوا كمن سيم الهوان فلم يَنَل

كان لعتبة الأعرابية غلام شديد العرامة[4]، كثير التلفت إلى البأس فواثب فتى من الإعراب فقطع الفتى أنفه فأخذت أمه ديته فحسن حالها ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذت ديتها ثم آخر فقطع شفته فأخذت ديته فلما رأت ما صار إليها من قبل ابنها أنشدت:

أقسم بالمروة حقاً والصفا ... أنك خيرٌ من تفاريق العَصَا

---

(١) **الخلوق**: من ضروب الطّيب.

(٢) **يقول**: إذا لم تطلبوا الثأر اتركوا سلاحكم وتزيّوا بأزياء النساء، معيّراً إيّاهم لعدم ذودهم عن عزّتهم.

(٣) **القعب**: القدح الكبير الضخم. (٤) **العرامة**: الإعجاب بالنفس.

وروي أن أعرابيين أصابهما قحط فانحدرا إلى العراق جائعَين فوطئت رجلَ أحدهما فرس لفارس فأدمتها وكان يسمى حيدان فتعلقا به وأخذا الدية وكانا جائعين فقصدا السوق وابتاعا طعاماً فأكلا فقال الآخر:

فلا غرْسَ ما دامَ في النّاس سوقُهم ... وما بقيَتْ في رجلِ حيدَان إصبعُ

- **تحريمُ الملاهي على المحارِب وطالبِ الثأرِ**

روي أن بعض عمّال عبد الملك بعث إليه بجارية اشتراها بعشرة آلاف دينار فلما استحضرها وأنس بها دخل إليه رسول الحجّاج بأن عبد الرحمن بن الأشعث خلعه، فأجاب عن كتابه وجعل يقلّب كفيه **وقال لها**: إن ما دونك منية المتمني **فقالت**: وما يمنعك؟ **قال بيت الأخطل**:

قومٌ إذا حاربُوا شدّوا مآزرَهم ... دونَ النساء ولو باتَتْ بإظهارِ

فمكث ثلاث سنين وخمسة أشهر لا يقرب امرأة حتى أتاه خبر قتل ابن الأشعث فكانت أول امرأة تمتّع بها. وكانت العجم إذا حزبهم أمر أمروا إن ترفع الموائد ويقتصرون على الخبز والملح والبقل حتى يفرغوا. **وقال معاوية**: ما ذقت أيام صفّين لحماً ولا حلواء بل اقتصرت على الخبز حتى فرغت، وأتت امرأة المهلب بمجمرة، **فقالت له**: ضع هذه تحتك فكان ذلك تعريضاً لما أبطأ عن مناهضة الأزد فقال: است المرأة أحق بالمجمرة.

قال قيس بن الحطيم:

حرامٌ علينا الخمرُ إن لمْ نضارِب

وقال الجراح الغطفاني:

لله درّكَ ما ظننت بثائرٍ ... حران ليْس على التراثِ براقِدِ

أحددته ثم اضطجعْتُ ولم ينم ... أسفاً عليْك وكيفَ نومُ الحاقِدِ

- **من حلّ له الطيبات لإدراكِهِ الثأرَ**

قال شاعر:

اليومَ حلّ لي الشرابُ وما ... كان الشرابُ يحلّ لي قبلُ

قال جابر:

وحل لي التدهين والخمرُ بعدما ... شفيْت غليلي من ثويد المرائِدِ

- **المبجّح بإدراك ثأره**

قال المهلهل في إدراك ثأر كليب:

فلو نبش المقابرَ عنْ كليبٍ ... فتخبر بالذنائبِ أيَ زيرِ[1]

---

(١) **الذنائب**: موضع ويوم الذنائب من أيام تغلب وبكر في حرب البسوس بعد مقتل كليب ـ **الزير**: الذي =

بأنّي قد تركتُ بواردات ... بحيراً في دم مثلِ العَبيرِ
هتكتُ به بيوتَ بني عبيدٍ ... وبعضُ القولِ أشفى للصدورِ

قالت صفية بنت الجذع:

وقد قتلْنا شفاءَ النفس لو قنعَت ... وما قتلنا به إلا امرأ دونه

قال زبان وكانت قد هجاه بعض أعاديه فقتله وقطع لسانه ودسّه في إسته:

وإن قتيلاً بالهباءةِ في إستهِ ... صحيفَتُه إن عادَ للظلم ظالمُ
متَى تقرؤُها تَهْدِكُم من ضَلالكُم ... وتعرف إذا ما فضّ عنها الخَواتِمُ

- **من نزع ثوبَ العَار وانطلق لسانُهُ**

قال أخو ساف بن عباد البشكري:

ألم يأتِها أنّي صحَوْت وأنني ... شفَاني من دائي المُخَامر شافِ
فأصبحْتُ ظبْياً مطلقاً من أديمِه ... صحيحَ الأديم بعْد داء أسافِ
وكنتُ مغطّى في قناعي خيفَةً ... كشفتُ قِناعي وأعتطَفْتُ عِطافي

قال غالب:

وقد كنتُ محرورَ اللسانِ ومفحما ... فأصبحْتُ أدري اليومَ كيفَ أقولُ

- **من لا يفوتُهُ الثأرُ**

قال عبد الله بن العتابي:

وقد ضمنتْ أسيافُهم ورماحُهم ... لمن جاوروا أن لا يضيعَ لهم وِتْرُ(١)

قال البحتري:

تذم الفتاةُ الرود شيمةَ بعْلها ... إذا باتَ دون الثأرِ وهو ضجيعُها(٢)
حميةُ شعب جاهلي وغيرةُ ... كليبية أعيا الرجالَ خضوعُها

وقال المتنبي:

إذا طلبَ النيل لم يشأهُ ... وإنْ كان دَيْناً على ما طلِ

- **من يفيت الثأرَ ولا يفوتُهُ**

قال الحرمي:

وإذا طلبْتُ الوترَ لم تسبق به ... وتفوتُ مطلوباً به فتبرح

= يكثر من زيارة النساء، وهو لقب المهلهل أخي كليب، لقبه به كليب قبل مقتله لأنه كان يتمادى في لهوه ودبيبه إلى مضاجع النساء.

(١) الوتر الثأر. (٢) الفتاة الرود: الطوّافة في بيوت جاراتها.

وقال آخر:

تـحـف أغـرّ لا قـود عـلـيـه ... ولا ديَـةٌ تُـسـاق ولا اعـتـذارُ

● **من قتلَ بعض ذويه اقتصاصا**

قال قيس بن زياد:

شفيتُ النفسَ من قيس بن بدر ... وسيفي من حذيفةَ قدْ شفَاني

فإنْ أكُ قد بردْتُ بهم غليلي ... فلمْ أقطعْ بهِم إلاّ بنَاني[1]

ونحوه للحارث بن وعلة:

قومي همْ قتلُوا أميمَ أخي ... فلئن رميتُ يصيبُني سهمي

فلئِن عفوتُ لأعفونْ جللاً ... ولئن سطوْتُ لأوهنَنّ عظمي

قال البحتري:

تقتل من وتر أعز نفوسها ... عليها بأيدٍ ما تكاد تُطيعها

إذا احترَبت يوماً ففاضَتْ دماؤُها ... تذكرتِ القُربى ففاضَتْ دموعُها

وقال أعرابي:

أقولُ للنفس تعزاءً وتسليةً ... إحدى يديّ أصابتْني ولم تُرِدِ

كلاهُما خلفٌ عنْ فقدِ صاحبِه ... هذا أخي حينَ أدعوه وذا ولَدي

(٥)

وممَّا جاء في التحذير من الحرب وطلب الصلحِ

●

● **التحذيرُ من تهييج الحربِ والحثُّ على الصلح**

قال الله تعالى ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾[2] ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾[3] كان سويد بن متحرق خطب خطبة طويلة لصلح أمة، فقال له رجل: أنت مذ اليوم ترعى في غير مرعاك أفلا أدلك على المقال. **فقال** نعم. **فقال**: أما بعد فإن الصلح بقاء الآجال وحفظ الأموال والسلام. فلما سمع القوم ذلك تعانقوا وتواهبوا الديات. وقيل: الحرب صعبة مرة والصلح أمن ومسرّة. **كتب سلم بن قتيبة إلى سعيد المهلبي لما تحاربا بالبصرة:**

خذُوا حظَّكم من سِلْمنا إنّ حربنا ... إذا زينتْهُ الحَرْبُ نارٌ تُسْعَرُ

---

(١) برّد غليله: أطفأ جذوة حقده.

(٢) القرآن الكريم: الحجرات/ ٩. (٣) القرآن الكريم: الأنفال/ ٦٢.

فإنّي وإيّاكم على ما يسوؤكم لمثلان أو أنتم إلى الصلح أفقرُ

وقال عبد الله بن الحسين: إياك والمعادات فإنك لن تعدم مكر حكيم أو مفاجأة لئيم. **وقال زيد بن حارثة:** لا تستثيروا السباع من مرابضها فتندموا، وداروا الناس في جميع الأحوال تسلموا.

وقيل الفتنة نائمة فمن أيقظها فهو طعامها، **قال زهير:**

وما الحَربُ إلاّ ما عَلِمْتُم وذُقْتُمُ وما هو عنها بالحَديثِ المُرَجم

متى تبعَثُوها تبعَثُوها ذميمَةً وتضرم أن أضرمْتُموها فتضرم[1]

ومن يعصِ أطرافَ الزّجاجِ فإنّه يطيعُ العَوالي رُكِّبَتْ كلّ لَهْذَمِ[2]

قال كثير:

رميْتُ بأطرافِ الزّجاج فلم يُفِقْ من الجهْل حتّى كلّمَتْه نِصالُها

● **التحذيرُ من صغيرٍ يُفضِي إلى كبيرٍ**

من أقوالهم: ربّ خطوة يسيرة عادت همّة كبيرة. **قال شاعر:**

ذرَوا الأمرَ الصّغِير وزمّلوه فتلقيحُ الجَليل منَ الدقيقِ[3]

وكتب نصر بن سيّار إلى مروان بن محمد في أمر أبي مسلم صاحب الدولة أبيات أبي مهيم

أرى خلَلَ الرمادِ وَميضَ جمرٍ ويوشِكُ أن يكونَ له ضرامُ[4]

فإنّ النارَ بالزندَين تورى وإن الحَربَ أوّلُها كلامُ

أقولُ من التعجّب ليتَ شِعْري أأيقاظ أميَّةُ أم نِيامُ

فإن يكُ قومُنا أمنوا رقودا فقُل هبّوا فقد آن القيامُ

ورأى أبو مسلم بن بحر في منشأ دولة الديلم هذه الأبيات مكتوبة على ظهر كتاب فكتب تحتها:

أرى ناراً تشبّ بكلّ وادٍ لهَا في كلّ منزلةٍ شُعاعُ

وقد رقدَتْ بنو العبّاس عنْها فأضحَت وهي آمِنةٌ تُراعُ

كما رقدَت أميّةُ ثم هبّت لتدفَعَ حينَ ليْس بها دِفاعُ

وقال آخر:

إن الأمورَ دقيقُها مما يهيجُ به العظيمُ

---

(١) **ذميمة:** مكروهة ـ **تضرم الحرب:** تستعر نارها.

(٢) **العوالي:** الرماح ـ **اللهذم:** القاطع والحادّ من السيوف.

(٣) **زملوه:** أخفوه. (٤) **الوميض:** اللمعان.

وقال آخر:

وقد يملأُ القَطْرُ الإناءَ فيفعَمُ[1]

وقال آخر:

وأولُ الغيثِ قطْرٌ ثم ينسَكِبُ

وقال آخر:

كَمْ بذي الأثلِ دوحَةٌ من قَضيبِ

من الحبة تنبت الشجرة العميمة ومن الجمرة تكون النار العظيمة. التمرة إلى التمرة تمر، والذود إلى الذود إبل. **قال صالح**:

قد يحقرُ المرءُ ما يهوى فيركبُه حتّى يكونَ إلى توريطِه سببا

وحرب **البسوس** كانت في ضرب ناب وحرب **غطفان** بسبب دابة.

- **وصفُ الحربِ بالشدة**

قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه لعمرو بن معدي كرب: أخبرني عن الحرب. فقال هي مرّة المذاق إذا شمّرت عن الساق، من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها تلف. كما **قال**:

الحرب أول ما تكون فتية تسعى ببزتها لكل جهول

حتّى إذا اشتعلتْ وشبّ ضرامُها عادتْ عجُوزاً غيرَ ذات حليلِ

شمطاءُ جزّت رأسَها وتنكّرت مكروهةً للشمِّ والتقبيلِ

وقيل: موطنان تذهب فيهما العقول المباشرة والمسابقة. ووصفَ رجل الحرب **فقال**: أولها شكوى وآخرها بلوى وأوسطها نجوى. **قال الفرزدق**:

وجامعة أعناقها بعد ما التوت جوامعُها ما كان سيقَ لها مُهَرُ

إذا ما ابنُها لاقى أخاها تعاوروا عيُوناً من الأعداءِ أبصارُها خُزْرُ

وقال أبو تمّام:

ومشهدٌ بين حكم الذلّ منقطعٌ حبالُه بحبالِ الموتِ تتّصلُ

ضنكٌ إذا خرستْ أبطالُه نطقَت فيه الصّوارمُ والخطيئة الذُبْلُ[2]

وقال المتنبّي:

ومبتسمات هيجاواتِ عصرٍ عن الأسياف ليْسَ عنِ الثغُورِ

وقال السريّ:

تضايق حتّى لو جرى الماء فوقَهم حماه ازدحامُ البيضِ أن يتسرّبا

---

(١) **القطر**: المطر ـ **يفعم**: يفيض. (٢) **الصوارم**: السيوف ـ **الخطيئة الذبل**: الرماح.

● إصابةُ الحرب جانيَها وغيرَ جانيها

العرب تقول: الحرب غشوم لأنها قد تنال غير جانيها، **قال شاعر:**

لم أكنْ من جناتها علم اللّهُ   وإنّي لحرّها اليومَ صالِ

وقال آخر:

وليس يصلَى بحرّ الحربِ جانِيها

وقال آخر

وأصبحَ منْ لمْ يجنِ فيها كذي الذنْبِ

قال أبو حيّة:

أصابُوا رجالاً آمنين وربّما   أصابَ بريئاً من يكنْ غيرَ ذا ذنْبِ

قال ابن الرومي:

رأيتُ جناةَ الحرْبِ غيرَ كفاتها   إذا اختلفَتْ فيها الرماحُ الشواجرُ(١)

كذاكَ زنادُ الحربِ عنها بنجوَةٍ   ولكنّما يصْلى صَلاها المشاعرُ

● التفادِي من محاربةِ الأنذالِ

قصد الإسكندر موضعاً فحاربته النساء فكفّ عنهن **فقيل له في ذلك، فقال:** هذا جيش إذا غلبناه فما لنا به من فخر وإن غلبنا فتلك فضيحة الدهر. **قال شاعر:**

قبيلٌ لئامٌ إنْ ظفِرْنا عليهم   وأن يغلبونا يوجدوا شرّ غالبِ

● الممتنعُ من الصُلْحِ

قال عبد الرحمن بن سليمان:

فلا صلحَ حتّى تخبط الخيلُ في القَنا   وتوقدَ نارُ الحرْبِ في الحطَبِ الجَزْلِ(٢)

وقال آخر

فلا صلحَ ما دامَت هِضابُ أبان(٣)

قال حرملة بن المنذر:

طلبوا صلحَنا ولاتَ أوانُ   فأجبْنا أنْ ليسَ حينَ بقاءِ

فلحا الله طالب الصلح منّا   ما أطافَ الميسُ بالدهماءِ

وقال عمرو بن الأهيم:

ليس بيني وبين قيسٍ عتابٌ   غير طعنِ الكُلَى وضربِ الرّقابِ

وقال الزبرقان:

فلن أصالحَهم ما دمْتُ ذا فرس   واشتَدّ قبْضاً على الأسْيافِ إبهامي

---

(١) **الرماح الشواجر:** المتشابكة.   (٢) **الحطب الجزل:** الغليظ.

(٣) **أبان:** جبل بين فيد والنبهانيّة وهو أبيض، **وأبان أيضاً:** جبل أسود، فهما أبانان (**معجم البلدان: مادة أبان**).

● **تبكيتُ مَن عُرِضَ عليه صُلْحٌ فلم يقبله واستَوْخَمَ عاقبتَهُ**

قال ابن قيس:

ومولىً دعاهُ الغيّ والغيّ كاسمه ... وللجبْن أسبابٌ تصدّ عن الحزْمِ[1]

أتاني يشبّ الحربَ بيْني وبينَه ... فقلْت له لا بلْ هلمّ إلى السّلْمِ

ولما أبى أرسلت فضلة ثوبه ... إليه فلمْ يرجِع بحزمٍ ولا عزمِ

فكانَ صريعَ الجهْلِ أوّل مرة ... فيا لكَ من مختارِ جهْلٍ على علمِ

● **ضارع يطلب الصلح**

قال المتنبّي:

من أطاقَ التِماسَ شيء طلاباً ... واغتصاباً لم يلتمسْه سُؤالا

(٦)

وممّا جاءَ في الهَزيمة والخَوْف وأنّ الفرارَ لا يَقِيْ من المَوْتِ

●

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾[2] **وقال أمير المؤمنين يوم الجمل**: إن الموت طالب حثيث لا يعجزه المقيم ولا يفوته الهارب، وإن لم تقتلوا تموتوا وإن أشرف الموت القتل. **والعرب تقول**: أجرأ من خاصي خصّاف وكان جباراً فشهد حرباً فوقف حجزه فجاء سهم فغرز في الأرض وجعل يهتز فبحث فرآه قد أصاب يربوعاً[3]، فقال:

لا المرءُ في شيء ولا اليَربوعُ[3]

ولا أقتل إلا بأجلي. ثم حمل فخرق الصف، فأنكى[4] في القوم. **قال شاعر:**

إن الفرار لا يزيد في الأجل

● **تفضيلُ القتلِ على الهَرَبِ**

قال سقراط لرجل هرب من الحرب: الهربُ من الحرب فضيحة. **فقال الرجل**: شر من الفضيحة الموت. **فقال سقراط**: الحياة إذا كانت صالحة فسلم فإذا كانت رديئة فالموت أفضل منها. ولما قتل الإسكندر ملك الهند **قال لحكمائه**: لِمَ منعتم الملك من الطاعة؟ **قالوا**: ليموت كريماً ولا يعيش تحت الذلّ.

---

(١) **الغي**: الضلال.

(٢) **القرآن الكريم**: الأحزاب/ ١٦.

(٣) **اليربوع**: الفأر.

(٤) **أنكى فيهم**: قهرهم بالقتل والجرح.

● **الممتنعُ من الفرار**

قالت امرأة من عبد القيس:

أبوا أن يفرّوا والقضاءُ في نحورِهم ... ولم يرتَقوا من خشيةِ الموتِ سلّما

ولو أنهم فرّوا لكانُوا أعزّةً ... ولكن رأوا صبْراً على الموْت أحزَما

● **تعييرٌ من أثارَ الحرب فهرب**

قال عمارة بن عقيل:

ما في السويّةِ أن تجرّ عليْهم ... وتكونَ في الهيْجاء أولَ صادرِ

وقال هدبة بن الخشرم:

وليس أخو الحرْب الغليظةِ بالذي ... إذا زيّنته الحرْبُ للسلمِ أخضَعا

قال الحصيفي:

جنيتُم علينا الحربَ ثم ضجعتُمُ ... إلى السلْم لمّا أصبَح الأمرُ مُبْهَمَا

● **المعيّرُ بانهزامِهِ**

قال الحجاج في كلامه: ولّيتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها النوازعِ إلى أعطانها ألا يلوي الشيخ على بنيه ولا يسأل المرء عن أخيه، **قال شاعر:**

شرّده الخوْف فأزْرَى به ... كذاكَ منْ يكره جردَ العُلا

قال خراش بن الحارث:

ما أنتَ إلا كعيرٍ خافَ ميسمَه ... قد يضرطُ العيرُ والمكواةُ في النّارِ

وقال آخر:

فولّيتَ عنه يرتمي بكَ سابحٌ ... وقد قابلتْ أذنيْه منْهُ الأخادعُ[1]

وقال المنصور لبعض الخوارج: عرّفني مَنْ أشدُّ أصحابي إقداماً. **فقال:** لا أعرفهم بوجوههم فإني لم أر إلا أقفاءهم.

وقال ابن الرومي:

لا يعرف القرن وجهَه ويرى ... قَفاه من فرسَخٍ فيعرفُه

وقال آخر:

ولّى كمَا ولّى الظليمُ من الذُّعْر

قال المتنبّي:

أشدّ سلاحِهم فيهِ الفِرارُ

---

(١) الأخادع: الأخدع (وهما أخدعان): عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا.

وقال آخر:

قد عاذَ بالإقبحَيْنِ الذل والفشَلا

قال أبو تمام:

موكل بيفاعِ الأرضِ يشرفهُ ... من خفةِ الروْعِ لا مِنْ خفَّةِ الطَّرَبِ

قال البحتري:

تخطأ عرض الأرض راكبِ وجهِه ... ليمنعَ عنه البعْدَ ما يبذلُ القربُ

- **من وَصَف قوماً هزمَهُمْ**

قال قيس بن عطية:

وتكرّ أُولاهم على أُخراهم ... كرَّ المخلى عن حياضِ المصْدر

وقال منحناهم الهزيمة ونفضنا عليهم العزيمة. قال بكر بن النطاح:

ولقيتُهم لقي الأعا ... جم كالجَراد المرتدف

فقطعتُ أصلَهم وقطْـ ... ـعُ الأصْلِ أقطعُ للطّرفِ

قال الموسوي:

إذا ما لقيتُ الجيشَ أفنيتُ جلّه ... ردى ورددتُ الفاصِلين نواعِيا

ويقال تركت لهم شقّ الشمال إذا هزمتهم. وقيل ذلك لأجل أن المنهزم يأخذ طريق الشمال. قال شاعر:

إذ حاربُوا لم ينظُروا عنْ شِمالهم ... ولم يُمْسكوا فوقَ القُلوبِ الخوافِق

- **تركُ أتباع المنهزم**

أوصى الإسكندر صاحب جيش له فقال: حبب إلى أعدائك الهرب قال: كيف أصنع؟ قال: إذا ثبتوا جد في قتالهم وإذا انهزموا لا تتبعهم.

وقيل لأمير المؤمنين: أنت رجل محرب[1] وتركب بغلة فلو اتخذت الخيل. فقال أنا لا أفرّ ممن كرّ ولا أكرّ على من فرّ. وعاتب المهلب الحجّاج في تركه أتباع الخوارج لما انهزموا فكتب إليه: أما علمت أن الكلب إذا أحجر[2] عقر[3]

- **المتأسفُ على مَنْ نجا ولم يؤسَرْ**

قال عوف بن عطية:

ولولا علالةُ أفراسِنا ... لزادَكم القوم خِزْياً وعَارا

قال امرؤ القيس:

وأفلتهن علباء جريضا ... ولو أدركَته صفرُ الوطابِ

---

(١) محرب: صاحب حرب. (٢) أحجر منع. (٣) عقر: جرح.

قال أبو تمّام:

لـولا الـظـلامُ وعـلّـةٌ عـلِـقُـوا بـهـا ... بـاتَـت رقـابُـهـم بـغَـيـرِ قـلالِ
فـلـيشـكـرُوا جـنْـحَ الـظـلامِ ودرودا ... فـهـم لـدرود والـظـلام مـوالِ[1]

قال عنترة الكلبي:

فـلـولا الله والـمـهـرُ الـمُـفَـدَّى ... لابـت وأنـتَ غِـربـال الإهـابِ

● الفارُ في وقت الفرار والثابت في وقت الثبات

قال يوماً معاوية رضي الله عنه: لقد علم الناس أن الخيل لا تجري بمثلي فكيف؟

قال النجاشي:

ونـجّـى ابنَ حـرْب سـابحٌ ذو عـلالـة ... أجـشّ هـزيـمٌ والـرمـاحُ دوانِـي

فقال عمر: وأعياني أشجاع أنت أم جبان؟ فقال: شجاع إذا ما أمكنتني فرصة وإن لم تكن لي فرصة فجبان. وقيل: الهرب في وقته خير من الصبر في غير وقته وقيل: من هرب من معركة فعرف مصيره إلى مستقره فهو شجاع.

● تفضيلُ الإحجام حيث يكون أوفقَ على الإقدام

قال المهلّب: الإقدام على الهلكة تضييع كما أن الإحجام عن الفرصة عجز. وقال المتوكل لأبي العيناء: إني لأفرق من لسانك. فقال: يا أمير المؤمنين الكريم ذو فرق وإحجام واللئيم ذو وقاحة وإقدام. قال مالك الأنصاري:

أقـاتـلُ حـتّـى لا أرى لـي مـقـاتـلاً ... وأنـجـو إذا غـمّ الـجـبـان مـن الـكـربِ

● من هربَ لمّا علم قلّة غنائه

قال هبيرة القرشي:

لـعـمركَ مـا ولـيـت ظـهـرا مـحـمـداً ... وأصـحـابـه جبْـنـا ولا خـشـيـةَ الـقـتْـلِ
ولـكـنّـنـي قـلّـبْـتُ أمـري فـلـمْ أجِـد ... لـسـيفـي غـنـاء إن ضـربْـتُ ولا نَـبْـلـي
وقـفـتُ فـلـمـا لـم أجـدْ لـي مـقـدمـاً ... صـدرْتُ كـضـرغـامٍ هـزبـرٍ إلى الـشِّـبـلِ
ثـنـى عـطـفَـه عـن قـرنـه حيْـث لـم يـجِـد ... مـا غـالـهَ عـنـد الـتـصـرّفِ والـخـتـلِ

وقال آخر:

أعـاذلُ مـا ولّـيـتُ حـتّـى تـبـددتْ ... رجـالٌ وحـتّـى لـم أجـدْ لـي مـقـدَمـا
وحـتّـى رأيـتُ الـوريـدَ يـدمـى لـبـانـه ... وقـد هُـزمَ الأبـطـالُ وانـتـثـل الـدّمـا[2]

---

(١) الدرود: حيوانات من التدييات.

(٢) انتثل: استخرج.

- **اعتذارُ هاربٍ زعم أن هربَه نبوة أو قدر**

قال شاعر:

أيـذهـبُ يـومٌ واحـدٌ إن أسـأتـه　　بـصـالـح أيـامـي وحـسـنِ بـلائِـيَـا
ولـم تـبـدُ مـنـي نـوبـةٌ قـبْـل هـذهِ　　فِـراري وتـركـي صـاحـبـي ورائِـيَـا

قال عبد الله بن غلفاء:

وليسَ الفرارُ اليومَ عاراً على الفتى　　إذا عـرفـتْ مـنـه الـشـجـاعـةُ بـالأمـسِ

وسمع بعض الفرس قول الشاعر:

ألـم تـرَ أن الـوردَ عـرّد صـدره　　وحادَ عن الدعوى وضوءِ البوارقِ[1]

فقال: عذره أشدّ من ذنبه فمن قصّر عن إمساك مركوبه كيف يرجى منه أن يهزم جماعة عدوّه، **قال نعيم التميمي:**

فـإنْ يـكُ عـاراً يـومَ فـلـج أتـيـتُـه　　فـرادى فـذاكَ الـجـيْـشُ قـد فـرّ أجـمـعُ

قال ثعلبة الباهلي:

فـلا تـعـذِلانـي فـي الـفِـرار فـإنّـنـي　　فـراري لـمّـا قـد فـرّ قـبْـلـي عـامـرُ
فـإنْ لـم أعـوّد نـفـسـي الـكرّ بـعـدَهـا　　فـلا وألـت نـفـسـي عـلـيْـهـا أحـاذرُ[2]

وقال الوليد لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: مالك جفوت عثمان رضي الله عنه؟ **فقال:** أبلغه أني لم أفر يوم أحد ولا تخلفت يوم بدر. فأخبرته بذلك. **فقال:** أمّا فراري يوم أحد فقال يعيرني به وقد عفا الله عني حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾[3] ولقد عفا الله عنهم. وأما تخلفي يوم بدر فإني كنت أمرّض بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت. أخبره عني بذلك.

- **المُتَفادي من حضور الحرب**

قيل لبعضهم لِمَ لا تغزو؟ فقال: إني أكره الموت على فراشي فكيف أسعى إليه برجلي. ورأى المعتصم في بعض منتزهاته أسداً فنظر إلى رجل أعجبه زيه وقوامه وسلاحه **فقال له:** أفيك خير؟ فعلم الرجل مراده فقال: لا. **فقال:** لا قبّح الله سواك وضحك.

واجتاز كسرى في بعض حروبه برجل قد استظل بشجرة وألقى سلاحه وربط دابّته. **فقال له:** يا نذل نحن من الحرب وأنت بهذه الحالة، **فقال:** أيها الملك إنما بلغت هذا السن بالتوقي، **فقال:** زه وأعطاه مالاً.

---

(١) **عرّد:** ارتفع.
(٢) **وألت:** يقال وأى من كذا: طلب النجاة منه، **وإلى المكان:** بادر، **وإلى الله** رجع.
(٣) **القرآن الكريم:** آل عمران/ ١٥٥.

● **وصفُ المحتجّ لانهزامِهِ بخوفِهِ من القتلْ**

قيل لرجل: إنك انهزمت. فقال غَضَبُ الأمير عليّ وأنا حيّ خير من أن يرضى وأنا ميت. **قال زفر بن الحارث**:

ألا لا تلوماني على الجُبْن إنّني ... أخافُ على فخارتي أن تحطَمَا
ولو أنني أبتاعُ في السوقِ مثلَها ... إذا شئتُ ما باليْتُ أن أتقدّما

وقال آخر:

يقولُ لي الأمرُ بغيْر نضح ... تقدم حينَ جدّ بنا المراسُ
ومالي إنْ أطعتُك من حياةٍ ... ومالي بعْد هذا الرأسِ راسُ

وهرب الوليد من الطاعون **فقيل له**: قل: لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلاً. **فقال**: ذلك القليل أطلب. وقيل لرجل يوم صفّين، قد انهزم ما خبر الناس؟ فقال: من صبر أخزاه الله ومن انهزم نجّاه الله. **قال محمد بن موسى** القاضاني وله أشعار كثيرة في الدلالة على جوده:

أنا المحصون من كتب المَغازي ... إذا قرئت سرى فيها قراني
أرى في النوم سيْفاً أو سناناً ... فأسلَحُ في الفِراشِ على المَغانِي

قال أبو الغمر:

باتَتْ تشجّعُني عِرْسي وقد علمَت ... أن الشجاعَةَ مقرونٌ بها العَطَبُ
للحربِ قومٌ أضلّ الله سعيَهم ... إذا دعتْهم إلى مكروهها وثَبُوا
ولستُ منهم ولا أهوى فعالهم ... لا الجدُّ يعجِبُني منهم ولا اللعبِ

قالت بنت الطرماح:

فتنةٌ يسعى لهَا جهّالُها ... أكلُبُ النار فَدَعْها تقتَتِل

● **المؤثرُ الدّعَةِ على الحربِ**

قال أبو العتاهية: دخلت أنا وأبان على عنان وهي في خيش، **فقلت**: إن العيش خيش، **فقالت**: لا قتال وجيش.

قال زيد الخيل

تذكر حضْنَه لما رآني ... أقلّب آلةً مِثْل الهِلالِ

قال الهذلي:

عقوا بسهْمٍ فلمْ يشعرْ به أحدٌ ... ثم استفاؤوا وقالوا حبّذا الوضحُ(١)

---

(١) **الوضح**: الضوء وبياض الصبح، **والوضح أيضاً** الشيب والبرص.

● **الهاربُ من قومه**

قيل: الشجاع يقاتل من لا يعرفه، والجبان يفرّ من عرسه، والجواد يعطي من لا يسأله، والبخيل يمنع من نفسه.

قال شاعر:

يـفـرّ جـبـانُ الـقـوم عـنْ أمّ نـفـسـه ويحمي شجاعُ القومِ منْ لا يناسِبُه

قال حسّان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

إن كـنـتِ كـاذبـةَ الـذي حـدثـتِـني فنجوت منجى الحارث بنِ هشامِ
تـركَ الأحـبّـة أن يـقـاتـلَ دونَـهـم ونـجـا بـرأس طـمـرة ولِـجـامِ

قال أبو تمّام:

أجدى قرابيسه صرفُ الردى ونجَا بحيثُ أنجى مطاياه منَ الهرَبِ

وله:

ونجا ابن خانية البعولةِ لو نجَا بمهفهف الكشْحَين والآطالِ
تـركَ الأحـبّـة سالِـيـا لا نـاسِـيـاً عذرُ النسيْ خلافُ عذرِ السالِي(١)

● **منْ نجَا وقدِ استولَى عليه الخوفُ**

قال شاعر

فـإن يـنْـجُ مـنـهـا الـبـاهـليّ فـإنّـه قطيعُ نِياطِ القلْب دامي المقاتِلِ

وقال أبو تمّام:

مـن مـشـرق دمـه فـي وجـهـه بـطـلٌ أو ذاهـلُ دمِـه فـي الـرعـب قـد نـزَفـا
فـذاكَ قـد سـبـقَـتْ مـنْـه الـقـنـا جرعـاً وذاكَ قـد سـبـقَـتْ منـه الـقَـنـا نُطـفـا

وقال غيره:

ومـا نـجـا مـن شـفـارِ الـبيـض منفـلـت نـجـا ومـنـهـنّ فـي أحـشـائـه فـزعُ

وقيل لمنهزم: كيف فلان؟ **قال**: قتل. **قيل**: ففلان؟ قال قتل. **قيل**: هل لك في سويق تشربه؟ **فقال**: السويق قتل.

وقيل لرجل تعرض له الأسد فأفلت منه كيف حالك؟ **قال**: سلمت غير أن الأسد خرىء في سراويلي. **قالت عابدة المهلبية**:

فـإن ثـبـتُـوا فـعـمـرُهـم قـصـيـرٌ وإن هـربُـوا فـويـلُـهـم طـويـلُ

---

(١) **النسي**: الكثير النسيان.

- **المتبجّح بإثارة الحرب والانهزام**

قال شاعر:

وكتيبةٍ لبستُها بكتيبةٍ ... حتّى إذا التبسَتْ نفضتُ لها يدِي
فتركتُهم نفض الرماح ظهورهم ... من بينِ منجدلٍ وآخرَ مسْندِ

فقال أبو القاسم الدميري: هذا كقول الله سبحانه وتعالى ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ﴾[1] الآية

- **المتبجّح بأنه عدا لما رأى العِدى**

قال تميم بن أسد الخزاعي:

لما رأيتُ بني نفاسةَ أقبلُوا ... يغشَوْنَ كلّ وتيرةٍ وحِجابِ
ونشيتُ ريحَ الموتِ من تِلْقائِهم ... وخشِيتُ وقْعَ مُهَنّدٍ قِرْضابِ[2]
رفعتُ رِجلاً لا أخاف عِثارَها ... ونبذْتُ بالمَتْنِ العَراء ثِيابي

- **تسلية المنهزم**

لما انهزم أمية بن عبد الله لم يدر الناس كيف يهنئونه أو يعزّونه فدخل عبد الله بن الأهتم **فقال:** الحمد لله الذي نظر لنا عليك، ولم ينظر لك علينا فقد تقدمت للشهادة بجهدك ولكن علم الله حاجة الإسلام إليك فأبقاك له.

قال المتنبّي يعتذر عن سيف الدولة في هزيمة وقعت له:

قلْ للدمستقِ إنّ المسلمين لكُم ... خانُوا الأميرَ فجازاهم بما صنعُوا
لا تحسبُوا مَنْ أسرتُم كان ذا رمق ... فليسَ تأكلُ إلا الميْتَ الضبعُ
وإنّما عرضَ اللّهُ الجنودَ لكُم ... لكيْ يكونُوا بلا فشَلٍ إذا رجعُوا
فكلّ غزوٍ إليك بعدَ ذا فلهُ ... وكلّ غازٍ لسيفِ الدولة التبَعُ

- **المظهر الشجاعة خارج الحرب والجبن فيها**

قيل: فلان يتثعلب في الهيجاء ويتنمّر في الرخاء. **قال شاعر:**

يفرّ بحيْثُ تختلِفُ العَوالي ... وإنْ يأمَن فذو كِبْر وتيهِ

وقال دعبل:

أسُودٌ إذا ما كانَ يومَ كريهَةٍ ... ولكنهم يومَ اللقاءِ ثعالِبُ

---

(١) القرآن الكريم: الحشر/١٦.

(٢) المهند القرضاب: السيف القطّاع، والقرضاب: اللّص.

وله:

غَـيْـرٌ رأى أسـدَ الـعـريـن فـراعَـه حـتّـى إذا ولّـى تـولّـى يـنـهـقُ

- **الخائفُ من أعدائه الجسورُ على أوليائِهِ**

قيل لبعضهم: ما النذالة؟ **قال**: الجراءة على الصديق، والنكول عن العدو ولهذا باب في غير هذا الموضع.

- **الجُبْنُ**

في المثل: هو أجبن من صفرد[١] ومن صافر. **قيل**: هو طائر يتعلق برجليه في شجرة خشية أن ينام فيؤخذ، وأحذر من عقعق[٢] وأشرد من ظليم[٣]

قال عبد قيس بن خفاف:

وهـم تـركـوكَ أسـلـحَ مـن حُـبـاري رأتْ صـقـراً وأشـردَ مـن ظـلـيـمِ

وأجبن من المتروف ضرطاً، هو رجل كان إذا نبهته امرأته للصبوح يقول لو نبّهتني لغارة، فجاءته يوماً تنبهه **وقالت**: الخيل فجعل يقول الخيل ويضرط حتى مات. **قال الله تعالى**: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾[٤] فهذا مبالغة في وصف الفزع.

وسأل عبد الملك محمد بن عميرة عن بعض الأمراء فقال تركته مشفقاً على حياته محتاجاً إلى طولها. **قال آخر**:

قـطـيـعُ نـيـاطِ الـقـلـبِ دامـي الـمَـقـاتـلِ

قال أبو تمّام:

حيران يحسبُ سجفَ النقع من دهشٍ طوْداً يحاذِر أن ينقضَّ أو جُرفا[٥]

- **مَنْ ذَكَر خَور نفسِهِ**

أتى الحجاج برجل من أصحاب ابن الأشعث **فقال له**: أسألك أن تقتلني وتخلّصني. فقال له الحجاج: لِمَ؟ **فقال**: إني أرى كل ليلة في المنام أنك تقتلني وقتلة واحدة خير فضحك وخلّى سبيله. **قال شاعر**:

لـقـد خفـت حتّـى لـو تـمـرّ حـمـامـةٌ لـقـلـتُ عـدوّ أو طـلـيـعـةُ مـعـشـرِ

قال آخر:

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى وصـوّت إنـسـانٌ فـكِـدْتُ أطـيـرُ

---

(١) **صفرد**: طائر يضرب به المثل في الجبن. (٢) **عقعق**: طائر كالغراب.
(٣) **ظليم**: ذكر النعام. (٤) **القرآن الكريم**: المنافقون/ ٤.
(٥) **النقع**: الغبار ـ **الطود**: الجبل ـ **الجرف**: الجانب الذي أكله الماء من حاشية النهر.

ولما قال عرابة بن سلامة:

وددتُ مخافةَ الحجّاج أني ... من الحيتان في لجٍّ أعومُ

قيل له: أقويت فقال الإقواء بين عقلي ونفسي أكبر من ذلك

● من ضاقَتْ عليه الدنيا من المَخَافَةِ

قال لبيد:

كأنّ بلادَ الله وهي عريضَةٌ ... على الخائف المطلوبِ كفةُ حابلِ

قال دعبل:

كأنّ نفسَه من طولِ خَبرتِها ... منها على نفسه يومَ الوغى رصدُ

● المغلوبُ

كتب مروان إلى بعض الخوارج إني وإياك لك الزجاجة والحجر إن وقع عليها رضّها وإن وقعت عليه قضّها. قال: واستضعف ابن شبرمة رجلاً، فقال: أنت حجة خصمك وسلاح عدوك وفريسة قِرنك.

● المتكلّح من المخافة

الخائف إذا أفرط به خوفه تقلّصت شفته. قال الأعشى:

وإذا العوالي أخرجَتْ أقْصى ألمِ ... كلحَ الفتَى جزَعاً ولم يتبسّمِ

● شيوعُ المخافةِ في الناسِ

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾[1] (الآية)، وقال حسّان:

تشيبُ الناهدُ العذراءُ منها ... ويسقُط من مخافتِها الجنينُ

(٧)

وممّا جاء في التلصّص وما يجري مجراه

●

● السرقةُ

قيل: فلان أسرق من ذبابة ومن عقعق ومن شظاظ[2] وهو رجل موصوف بالسرقة. وقيل: فلان لو خلا بالكعبة لسرقها. وقيل: لص شص[3] على الإتباع.

---

(١) القرآن الكريم: سورة الحج/ ٢.

(٢) شظاظ: خشبة عقفاء تدخل في عروتي الجوالق، وشظاظ في السياق لصّ كان معروفاً.

(٣) الشصّ: اللص الذي لا يترك شيئاً إلا أتى عليه.

ومن الموصوف بالسرقة **شيبان بن شهاب** كان يجمع القراد[1] في دبة فيأتي بها عطن الابل إذا استقرت فيه فيفتحها ثم يرسلها فتتبدد الإبل فيسرقها، ومنه **قال الشاعر**:

وأوصى جحدر قدماً بنيه ... بإرسالِ القراد على البَعيرِ

● أصنافُ اللصوصِ

قال عثمان الخياط: السارق في الحضر والسفر **خمسة**: المحتال، وصاحب ليل وصاحب طريق، والنبّاش والخنّاق. فالمحتال إسم لمن لا يعمل إلا بحيلة ولا يقتل فهو لا يعرف بالصبر والنجدة، واللصوص يبهرجونهم ولا يستصحبونهم.

وأما **صاحب الليل** فالنقّاب والمتسلّق والمكابر وأشباه ذلك. والنبّاش معروف وأما الخنّاق فما منهم واحد إلا وهو صاحب بعج ورضخ. والرضخ إنما يكون في الأسفار ويصحب الرجل المنفرد من الرفقة ومعه حجران أملسان ململمان قدر ملء الكف فإن قدر عليه ساجداً أو نائماً وإلا فقائماً فيعمد إلى صماخه ولا يخطىء وأكثرُهم لا يرضى إلا بالقتل مخافة المطالبة.

وتعيّن[2] ناس منهم شيخاً معه مال وكان لا ينزل إلا بين القوم، فلما أعياهم أمره وكادوا يبلغون المنزل وخافوا الفوت وجدوا تشاغلاً من القوم فألقى أحدهم الوتر في عنقه وغطاه بثوبه وأذن في أذنه فأخذ المخنوق يخور فاجتمع القوم، **فقالوا**: ما لكم والرجل خلّوا عنه. **فقالوا**: سلوا ربكم العافية وتباعدوا عنه فإنه إذا أفاق ورآكم استحيا فلّما رأوه قد برد **قالوا**: دعوه قد نام وفي النوم راحته ولما تفرق القوم أخذوا المال وتركوه.

ومن الخنّاقين من يحمل الرجل إلى داره بحيلته فإذا ألقى الوتر في عنقه ضرب أصحابه الطبل والصنج وتصايحوا كما يفعل النساء في البيوت ليخفى صوته.

● عونةُ[3] اللصوص

العين والمؤتي والشاغل والطراز. فالعين الذي يلزم الصيارف يتأمل كل مال محمول يأتي السفن فيتعرف موضع الحرز، ويأتي دار قوم يتطلب أنه يتوضأ فيتعرّف خزائنهم، والموضع الذي يقصدون منه.

والمؤتي الذي يتولي البيع والابتياع لهم ويجعل عند ذلك كأنه أمير قرية أو زعيم محلّة.

والشاغل هو الذي يشغل القوم عن اللص. **والطراز** إذا ظفروا به يجيء اللص فيضربه ما لا يضربه السلطان. ويقول هذا والله صاحبي هو الذي ذهب بمالي ويضربه ويحتال بذلك حتى يتشاغل عنه القوم فإذا تشاغلوا عنه أفلته وتأسّف مع القوم.

---

(١) **القراد**: دويبة. (٢) **تعينوه**: رأوه يقيناً. (٣) **العونة**: الأعوانة.

● **المتبجحُ بالتصعلكِ والمتشوّق إليه**

قال عروة بن الورد:

أقيموا بني لُبْنى صدورَ مطيّكم ... فإنّ منايا القومِ شرّ من الهَزْلِ
لعلّ انطلاقي في البلادِ وبغيتي ... وشدّي حيازيم المطيّة بالرحْلِ[1]
سيدفعُني يوماً إلى رب هجمةٍ ... يدافِع عنها بالعقوقِ وبالبُخْلِ

وقال آخر:

وإني لأستحي من الله أن أرى ... أطوفُ بحبل ليس فيه بعيرُ
وأسأل ذيّاكَ البخيل بعيرَه ... وبعران ربّي في البلاد كثيرُ

وقال بعض اللصوص:

وكم بيتٍ دخلْتُ بغيْر إذنٍ ... وكم مالٍ أكلْت بغيرِ حلّ

وقال آخر:

وعيّابة للجودِ لم تدرِ أنّني ... بإنهاب مالِ الباخلين موكَلُ
غدوتُ على ما احتازه فحَويتُه ... وغادرتُه ذا حيرة يتململُ

وقيل لأعرابي أتسرق بالنهار فقال:

معاذَ الله من سرق بليْلٍ ... ولكنّي أجاهِرُ بالنّهارِ

وقال بعض الخراب، والخارب سارق الإبل خاصة:

أيذهبُ بارحُ الجوزاءِ عنّي ... ولمْ أذعر هوامل بالستارِ

وإنما قال ذلك لأن البارح يعفي الأثر فيأمن أن يقتصّ أثره فيؤخذ، **ولبعض لصوص التمر:**

ألا يا جارَنا بأباض إنّا ... وجدْنا الريحَ خيراً منك جارا
يخبرنا إذا هبّت علينا ... وتملأ وجهَ ناظرِكم غُبارا

● **تحسينُ التلصّصِ والتبجُّحُ به**

قال عثمان الخياط: لم تزل الأمم يسبي بعضهم بعضاً ويسمون ذلك غزواً وما يأخذونه غنيمة وذلك من أطيب الكسب وأنتم في أخذ مال الغدر والفجرة أغدر فسمّوا أنفسكم غزاة كما سمّى الخوارج أنفسهم سراة **وأنشد:**

سأبغي الفتَى إما جليس خليفةٍ ... يقوم سواء أو مخيفَ سبيل

---

(١) **الحيازيم:** جمع حيزوم وهو ما يشدّ به وسط المطيّة.

وأسرق مالَ اللّهِ من كلّ فاجرٍ   وذي بطنَةٍ للطيّبات أكولِ

وقالوا: اللص أحسن حالاً من الحاكم المرتشي، والقاضي الذي يأكل أموال اليتامى.

● التجسير على التلصص

قال عثمان الخياط: جسّروا[1] صبيانكم على المحارجات[2] وعلّموهم الثقافة وأحضروهم ضرب الأمراء أصحاب الجرائم لئلا يجزعوا إذا ابتلوا بذلك وخذوهم برواية الأشعار من الفرسان وحدّثوهم بمناقب الفتيان وحال أهل السجون، وإياكم والنبيذ فإنها تورث الكظة[3] وتحدث الثقل وتدعو إلى البول والنوم ولا سيما بالليل ولا بد لصاحب هذه الصناعة من جراءة وحركة وفطنة وطمع، وينبغي أن يخالط أهل الصلاح ولا يتزيّا بغير زيّه.

● إستعمالُ الظَّرْفِ في التلصّص

حُكِيَ عن عثمان الخياط أنه إنما سمّي خياطاً لأنه نقب على أحذق الناس وأبعدهم في صناعة التلصّص، وأخذ ما في بيته وخرج وسدّ النقب كأنه خاطه. فسمّي بذلك. وحكي أنه قال: ما سرقت جاراً وإن كان عدواً، ولا كريماً، ولا كافأت غادرا بغدره.

وقال لأصحابه إضمنوا إليّ ثلاثاً أضمن لكم السلامة. لا تسرقوا الجيران، واتقوا الحرم ولا تكونوا أكثر من شريك مناصف، وإن كنتم أولى بما في أيديهم لكذبهم وغشّهم وتركهم إخراج الزكاة وجحودهم الودائع.

وخرج سليمان وكان من أجلد هذه العصابة ليلة بأصحابه إلى دار بعض الصيارفة فاختفوا فلما أرادوا الإنصراف، **قال بعض أصحابه**: دعنا نقم على مفارق الطرق لنأخذ من بعض المارّة نفقة يومنا. فقال: على أن لا تبطشوا بهم فقالوا: وهل يفعل ذلك إلا الجبان. فبينما هم كذلك إذ مرّ شاب ذو هيئة فلما قرب سلّم عليهم فردّ عليهم بعضهم السلام فقام إليه بعضهم فقال رئيسهم دعه فإنه سلّم ليسلم، وأجابه بعضكم فصار له ذمّة بذلك. قالوا: فنخلي سبيله. **قال**: أخاف عليه غيركم ليذهب مع ثلاثة يوصلونه إلى منزله ففعلوا. فلما بلغ دفع لهم مالاً وقال لأحوطنكم بمالي وجاهي لما عاملتموني به. فلما عادوا بالدراهم، **قال رئيسهم**: هذا أقبح من الأول تأخذون مالاً على قضاء الذمام والوفاء بالعهد لا أبرح أو تردّوا إليه المال، **فقالوا**: قد افتضحنا بالصبح فقال لئن نفتضح بالصبح خير من تضييع الذمام، **وقال** ما خنت ولا كذبت منذ تفتّيت[4]

---

(١) جسّروهم: جرّئوهم. (٢) المحارجات: المضايقات.

(٣) الكظّة: ما يعتري الإنسان عند الامتلاء من الطعام.

(٤) تفتيت: أي صرت من أصحاب الفتوّة أي الشباب، والفتوّة صفة تطلق على الأحداث من اللصوص وشجعانهم.

● **المتبجحُ منهم بالصبرِ على الضربِ**

قال أبو معن الزنجي: وكان النظّام يقول لو ادعى النبوّة وأن معجزته الصبر على الضرب بالسياط لأدخل عليهم به شبهة عظيمة.

وقال عثمان الخياط: ضربته يوماً بشمراخ[1] رطب فالتوى إلتواء الحية وكاد يواثبني. فقلت: أهذا صبرك؟ فقال: إنك لم تتعمد أحسبت أن صبري على السياط طبيعة إنما هو الكظم والصبر على قدر النظارة ألا ترى أنه **قيل**: أصبر الناس من ضرب في السجن خمسين سوطاً لأنه إذا لم يكن من يمدحه تألم وإذا كان بين الناس بحيث يرونه فهو العزم والمروءة والقيام بالفتوّة.

وقال بعضهم ضربت بالمدينة ثلاثين حداً على ثلاثين سكراً فما **قلت**: حس، وإن أحدكم ليتألمّ من دون حد.

قيل لبعضهم: من أصبر من رأيت؟ **قال**: عرفت صبر الهند على النيران وصبر الأعراب على مدّ الأعناق لسيوف السلطان وصبر السند على قطع الآذان وجدع الأنوف ولم أرَ أصبر من الفتيان تحت الضرب والثاني ربما يزهق في ألف درهم وعنده عشرة آلاف فيضرب سوطاً أو سوطين فيخرج عن أهله وعشيرته.

● **فعلُ الطرّارين**[2]

أتى بعضهم بزازاً[3] في غدوة وهو فارس مع غلام فقال: إئتني بجراب بلخيّ وجراب مرويّ وعجل وخذ الثمن فأخرج ذلك وساومه وأطمع التاجر. **وقال**: ائتني بآخر فلما دخل الحانوت **قال**: ما أضيع متاعكم وأنتم تسخرون بالناس لو أن إنساناً أخذ متاعك هذا وقفل الباب هكذا ما كنت تفعل. فحرك التاجر الباب يظن أنه يلعب فإذا هو قد مرّ إلى الساعة.

ودخل آخر على قوم **فقال أحدهم**: ما في الدنيا أعجب من فلان ترمي بخاتمك في الهواء فإن شئت أتاك به وإن شئت بغيره. فقال أنا أريكم ما هو أعجب من هذا. هاتوا خواتيمكم فأخذها كلّها فجعلها في أصابعه وجعل يمشي القهقرى ويصفر، وينظر إلى عين الشمس حتى غاب عن أعينهم فطلبوه فلم يجدوه. فقالوا: هذا والله أعجب.

وصلّى بعضهم مع قوم فلما سجدوا تناول نعلاً كأنه يريد أن يقتل عقرباً فضرب بها ثم الآخر بيساره كأنّه يريد أن يتناولها فيرمي بها ويعود إلى الصلاة فمرّ بالنعل.

واكترت امرأة داراً ثم أظهرت أنها تريد تجصيصها لأنها تريد أن تزوج فيها ابنها، فأكترت أجراء وأخذت من الجيران آلات وجمعت متاع الاجراء والآلات في بيت ثم ذهبت.

---

(١) **الشمراخ**: الغصن الدقيق الرخص ينبت في أعلى الغصن الغليظ، **والشمراخ أيضاً** العِذق عليه بسرّ أو عنب.
(٢) **الطرّاز (هنا)**: النشّال. (٣) **البزاز**: بائع السلاح.

وقال بعضهم: دخلت مسجداً مع صاحب لي فنام صاحبي ووضع عنده عمامته فإذا أنا برجل قد دخل فأخذ العمامة وجعل يضحك في وجهي وهو واضع سبّابته على فمه كأنه **يقول**: أسكت وجعل يتراجع القهقرى وأرى أنه يلاعبنا فمرّ فانتبه صاحبي. **فقلت**: كان كذا، فطلبناه فلم نجده.

● **المفتخِرُ بصعود المراقبِ**

قال ربيعة بن مقروم:

ومـزبـأة أوفـيـتُ جـنـح أصـيـلـه ... عليها كما أومى القطامي مرقبا[1]

ربـيـبـة جـيـش أو ربـيـبـةِ مـقـنـبِ ... إذا لـم يـقُدْ وغدٌ من القوم مقنبا[2]

قال أبو نواس:

ربّ فـــتـــيـــانٍ ربـــأتُـــهـــم ... مـسـقـط الـعـيّوق من سـحَـرِه[3]

فـــاتّـــقـــوا بـــي مـــا يـــريـــبُـــهـــم ... إنّ تـــقـــوى الـــشـــرّ مـــن حـــذرِه

● **نوادِرُ لِمَنْ سُرِقَ له شيءٌ**

سرق لرجل درهم **فقيل له**: إنه في ميزانك، **فقال**: قد سرق مع الميزان. وسرق لآخر خرج، فقيل له لو قرأت عليه آية الكرسي لم يسرق، **فقال**: إنه كان فيه مصحف تام وسرق لبعضهم بغل **فقال أحد أصحابه**: الذنب لك في إهماله. **وقال بعضهم**: الذنب للسايس، **فقال هو**: يا قوم واللص ماله ذنب.

وسئل بعضهم إلى أين؟ **فقال**: إلى الكناسة لأشتري حماراً. فقال له رجل: قل إن شاء الله، **فقال**: وما وجه الاستثناء الدراهمُ في كمّي والحمير في الكناسة فلما ذهب سرقت منه الدراهم، فعاد **فقيل له**: ما الذي فعلت؟ **قال**: سرقت الدراهم إن شاء الله.

وطرق لص عجوزاً فلما دخل خباءها وأحسّت به قالت رافعة صوتها: يا نفس لو تزوجت زوجاً فأولدك ثلاث بنين فسميت أحدهم عمراً والآخر بكراً والآخر صقراً، يا نفس ما أصنع بهم؟ وأخشى أن يموتوا فأندبهم فأقول واعمراه وابكراه واصقراه ورفعت صوتها وكان لها جيران يسمّون بهذه الأسماء فجاؤها، **فقالت**: دونكم اللص.

وسرق بعضهم حماراً وذهب ليبيعه فسرق منه، فقيل بكم بعته؟ فقال: برأس المال. ودفع بعضهم ـ وكان قفّافاً ـ دراهم إلى بعض الصيارف فقفّ منه الصيرفي شيئاً، فقال:

عـجـبـتُ عـجـيـبـة مـن ذئـبِ سـوءٍ ... أصـابَ فـريـسـة مـن لـيـث غـابِ

وإن أخـدع فـقـد يـخـدع ويـؤخـذ ... عـنـاق الـطـير من جوّ الـسـحـابِ

---

(١) **المزبأة**: مكان شرب الماء. (٢) **القعنب**: الجماعة من الخيل للقتال.

(٣) **العيوق**: كوكب أحمر مضيء بحيال الثريّا (لسان العرب، مادة عوق).

فقف بكفه سبعين منها من البيض المنقشة الصلابِ

● حدُّ السرقة

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾[1] **وقال النبي ﷺ**: يقطع السارق في ربع دينار. وروي لا قطع إلاّ في عشرة وقال أيضاً لا قطع في ثمر ولا كَثَر[2] وروى جابر عن النبي ﷺ: ليس على المختلس والمنتهب والخائن.

وأتى صفوان حضرة النبي ﷺ برجل قد سرق رداءه فأمر بقطعه قال صفوان أتقطعه في ردائي؟ **قال**: نعم. **قال**: قد تصدقت به عليه. **قال**: هلا قبل أن تأتيني به.

وأتى معاوية رضي الله عنه بسارق فأمر بقطعه فجاءته أمه وسألته أن يعفو عنه فقالت: هو واحدي وكاسبي فقال إنّه حدّ من حدود الله تعالى لا نقدر على إبطاله. **فقالت**: اجعله بعض ذنوبك التي تستغفر الله منها فأمر بتخليته

● ردّ ذاعر بحيلة

أقبل واصل في رفقة فأحسوا بخوارج، **فقال لأصحابه**: دعوهم لي. فخرج إليهم **فقالوا له**: ما أنتم؟ **قال**: مشركون مستجيرون بكم يا قوم. **قالوا**: قد أجرناكم. **فقالوا**: علّمونا فعلّموهم الأحكام. **فقال**: إن الله تعالى **يقول**: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾[3] فأبلغونا مأمناً. **فقالوا**: هذا لكم فساروا معهم حتى أبلغوهم. وكان الخوارج حين دخلوا الكوفة فانتهوا إلى أبي حنيفة رضي الله عنه فانتضوا سيوفهم، **فقالوا**: يا عدوّ الله ما أحد منا إلاّ وقتلك عنده أحب إليه من عبادة سبعين سنة قد جئناك بمسألتين إنْ أجَبْتَ عنهما وإلا أرقنا دمك. **فقال**: أنصفوني اغمدوا السيوف فإن بريقها يهولني، فأبوا. **فقال**: تكلموا. **فقالوا**: جنازتان على باب المسجد إحداهما جنازة شارب خمر شربها فمات فيها غرقاً، والأخرى جنازه زانية حبلت وشربت دواء فقتلت جنينها وماتت. **فقال**: أمن النصارى كانا أم من اليهود؟ **قالوا**: لا **قال**: فمن أي الملل كانا؟ قالوا: ممّن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. **قال**: فما يشهدان به أمن الكفر أم من الإيمان؟ **قالوا**: من الإيمان. **قال**: أقول كما قال نوح عليه السلام في قوم كانوا أعظم جرماً منهم، وما علمي بما كانوا يعملون إن حسابهم إلا على ربّي. أو ما قال إبراهيم: فمن تبعني فإنه منّي ومن عصاني فإنك غفور رحيم أو ما ـ قال عيسى: إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم.

وأقول ما قال نبينا ﷺ ولا أعلم الغيب ولا أقول أني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم أني إذا لمن الظالمين. فألقى القوم

---

(١) **القرآن الكريم**: المائدة/ ٤١. (٢) **الكَثَر**: طلع النخل. (٣) **القرآن الكريم**: التوبة/ ٦.

أسلحتهم وقالوا: تبرّأنا مما كنا عليه.

ولقي خارجي شيطان الطاق فقال له: ما تقول في علي وعثمان؟ فقال: أنا من علي ومن عثمان بريء يعني أن علياً بريء من عثمان، وكان شيعياً.

• مَنْ تخلّص بسخفٍ أو رقاعةٍ

خرج داود المصاب وكان معه دراهم فتبعه قوم فصاحوا به: ألق ما معك يا مجنون فقال نعم فجلس وخريء وقال ما معي وحياتكم غير هذا. وأخذ لصوص قوماً في طريق فقالوا أنتم بعلتم الدنانير فاجلسوا فجلسوا وأخرؤا فأعجز أحدهم الخراء فرأى سرقينا[1] يابساً فجلس عليه فقالوا له أنت تخرأ سرقينا فقال الغريب مسكين أيش يمكنه أن يخرأ الأمثل هذا فضحكوا وخلوا سبيله.

ومما يدخل في الفصل قول جرير بن عبد الحميد: سُرقت من شيخ أوزة فشكا ذلك إلى سليمان بن داود عليهما السلام فخطب الناس فقال ما بال أحدكم يسرق أوزة جاره وريشها على رأسه فمد رجل يده إلى رأسه كأنه يمسحه فدعاه وقال له: أدّ أوزة صاحبك.

(٨)
وممّا جاءَ في الحبس والقيد والضربِ وغيرها

•

• السجنُ وضيقُهُ والتشديدُ فيه

كتب بعضهم على باب السجن هذه قبور الاحياء وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء. وكتب تحته ما يدخل أحدهم السجن إلا إذا قيل لهم فيم حبستم لقالوا مظلومين. وأمر بحبس ابن أبي علقمة في دعوى، فقال: دعني آتي البيت لحاجة فلم يترك. فتمثّل بقول الله تعالى فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون. فدخل السجن فقال: ما سلككم في سقر؟ قالوا: لم نك من المصلين. فالتفت فرأى المهلب فقال من فعل هذا بآلهتنا؟

ودخل أعرابي إلى السجن فوجد على بابه تنزّ وتلين فقال:

ولما دخلتُ السجنَ كبّرَ أهلُه ... وقالوا أبو ليلى الغداةَ حزينُ
وفي الباب مكتوبٌ على صفحَاته ... بأنك تنزو وثمّ سوف تلينُ

وقال شاعر:

وبتّ بأخَصّنِها منزلاً ... ثقيلاً على عنقِ السالكِ
ولستُ بضيفٍ ولا في كراءٍ ... ولا مستعيرٍ ولا مالكِ

---

(١) سرقين: زبل (كلمة فارسية).

وقال في السجن:

خرجْنا من الدنْيا ونحنُ من أهلِها ... ولسْنا من الأحياءِ فيها ولا المَوْتى
إذا طلع السجّانُ وقتاً لحاجة ... عجبْنا وقلْنا جاءَ هذا من الدنيا

وسمع السجّان محبوساً يقول: اللهم إحفظني. **فقال:** قل اللهمّ ضيّعني فإن حفظه لك أن يبقيك فيه.

● **من شدّد عليه من المحبسين**

خرج الحجاج يوماً إلى الجامع فسمع ضجة عظيمة **فقال:** ما هذا؟ **قالوا:** أهل السجن يضجّون من الحر **فقال:** قولوا لهم إخسئوا فيها ولا تكلّموا. وأحصي من قتلهم الحجاج سوى من قتل في بعوثه وعساكره فوجد مائة وعشرين ألفاً وجد في حبسه مائة ألف وأربعة عشر ألف رجل وعشرون ألف امرأة، منهنّ عشرة آلاف امرأة مخدرة.

وكان حبس الرجال والنساء في مكان واحد ولم يكن في حبسه سقفٌ ولا ظلّ وربما كان الرجل يستتر بيده من الشمس فيرميه الحرس بالحجر وكان أكثرهم مقرنين في السلاسل. وكانوا يسقون الزعاف ويطعمون الشعير المخلوط بالرماد.

ولبّى رجل في الحبس في زمن المأمون فرفع إليه خبره، فوقّع أظن هذا قصد خلاف نيته وأظهر ضد عزيمته وقد أخطأت إسته الحفرة، وإذا حرم الحج بسوء تدبيره فلن يقدم فتوى صادقة من فريضة محكمة وهو محضر، وعليه الهدى فليؤخذ بتعجيله ولا يرخص له في تأخيره.

قال يعقوب بن داود: حبسني المهدي في مكان لا أعرف فيه الليل من النهار في بئر واسعة وفيها بئر أخرى أتغوط فيها وأعطى في كل يوم ماء وخبزاً حتى عفا شعري وصار أطول من شعر البهائم حتى مضت إحدى عشرة سنة فأتاني آت في منامي فقال جنى على يوسف رب فأخرجه من قعر جبّ فحمدت الله فأتى على ذلك سنة ثم أتاني ذلك الآتي، فقال:

عسَى فرَجٌ يأتي بهِ الله إنّه ... لهُ كلّ يوْمٍ في خليقَتهِ أمْرُ

ثم مكثت حولاً آخر فأتاني ذلك الآتي فأنشدني:

عسَى الكرْبُ الذي أمسيْتُ فيهِ ... يكونُ وراءه فرَجٌ قريبُ
فيأمَنَ خائفٌ ويُفَكُّ عانٍ ... ويأتي أهله النّائي الغريبُ

فلما أصبحت دلي لي مرس فشددت به وسطي فخرجت ما أبصر أحداً فقلت: السلام على أمير المؤمنين قيل ومن أمير المؤمنين؟ **قلت:** المهدي. قالوا: رحم الله المهدي. **قلت:** الهادي قالوا: رحم الله الهادي. **قلت:** فمن؟ قالوا الرشيد قلت السلام على أمير المؤمنين الرشيد فقال وعليك السلام وأمر لي بخمسمائة ألف وردّ علي ضياعي. فعولجت حتى عاد ضوء عيني فاستأذنته في الحج فأذن لي فمضى إلى الحج ومكث حتى توفي.

- **تصبُّر المحبوس وانتظارُه الفَرَجَ**

لما حبس يحيى وقيّد **قال**:

وإنّي مِنَ القومِ الذين يزيدُهم ... علوّاً وفخراً شدةُ الحَدَثانِ

فقيل: في هذا الوقت تقول هذا؟ **فقال**: **من مات قبل** أجله حتى أكونه؟

وكتب رجل من السجن إلى الرشيد: ما مرّ يوم من نعيمك إلا ومرّ يوم من بؤسي والأمر قريب والسلام. وأن خلاخيل الرجال قيودها.

قال العوام بن حوشب صبّحنا إبراهيم التيمي إلى سجن الحجاج فقلنا. ما حاجتك؟ فقال: حاجتي أن تذكروني إلى الربّ الذي فوق الربّ الذي أمر يوسف أن يذكر عنده.

ولما حبس المأمون إبراهيم بن المهدي في يد أحمد بن أبي خالد، أخذ في الصلاة والعبادة فدخل عليه أحمد فقال: أمجنون تريد أن يقول المأمون هو يتصنع للناس فيقتلك؟ فقال: فما الرأي؟ **قال**: أن تشرب وتطرب وتحضر القيان. فأخذ في ذلك ثم دخل أحمد على المأمون **فقال** له: ما خبر النادر؟ قال أصون سمع أمير المؤمنين أن أخبره بما هو فيه فقال ما هو؟ قال: مكب على الشرب والجواري وتعاطي الجسارة. فقال: والله لقد شوقتني إليه فكان ذلك سبباً لرضاه عنه. **وقال علي بن الجهم**:

قالُوا حُبِسْتَ فقلْتُ ليْسَ بضائري ... حبْسي وأيُّ مهنّد لا يُغْمَدُ[1]
أو ما رأيْتَ الليثَ يألَفُ غيلَه ... كبرا وأوباشُ السباعِ تردّدُ[2]
والبدرُ يدركهُ السَّرارُ فينجلي ... أيامه وكأنّه متجدّدُ
ولكلِّ حالٍ معقبٌ ولربّما ... أجلى لك المكروهُ عمّا يُحْمَدُ
والحبْسُ ما لم تغشَه لدنيئةٍ ... شنعاءَ نعْمَ المنزلُ المتودّدُ
بيْتٌ يجددُ للكريم كرامةً ... ويُزارُ فيه ولا يزورُ ويحمدُ

قال أبو فراس:

ولله عندي في الإسارِ وغيرِه ... مواهبُ لم يخصَصْ بها أحدٌ قبْلي
فقلْ لبني عمّي وأبلِغْ بني أبي ... بأنّي في نعماء يشكرُها مثْلِي
وما شاء ربّي غيرَ نشرِ محاسني ... وأنْ يعرفوا ما قدْ عرفتُ من الفضْلِ

وقال أعرابي حبس:

ولا تحسَبا حبْسَ اليمامة دائما ... كما لم يدم عيشٌ بحزْن أبانِ

---

(١) **يغمد**: يُدخل في غمده، والغِمد بيت السيف. (٢) **غيله**: غابته، أو عرينه.

● **الضبّ**

يوصف بالكيس[١] لأنه لا يبني بيته إلا على رابية خشية السيل.

قال الشاعر:

سقَى الله أرْضاً يعلَمُ الضبّ أنها ... بعيدٌ من الآفاقِ طيبةُ البَقْلِ
بنى بيتَه منها على رأسِ كديةٍ ... وكلّ امرىء في حرفةَ العيْش ذو عَقْلِ[٢]

وقيل: أنه يعد العقرب للحارش حتّى إذا أدخل يده لسعته. وهو مسالم ويضع من البيض سبعين، ويأكل كل حسلة. **وقيل**: أعقّ من الضب. ويضرب الحيّة بذنبه فيقتلها وله تركان أي أثران، **قال:**

جِسْلٌ له تركان كانَ فَضيلة ... على كلّ حافٍ في البلاد وناعلِ

وقيل: إنما هو واحد ولكن له طرفان كلسان الحية. وهو طويل الذماء[٣] صابر على الماء. يتبلغ بالنسيم طويل العمر.

قال:

لو أنني عمرت سنّ الحِسْل

وقيل في المثل: أخدع من ضبّ، وهو خبّ ضب. وقيل بالنمر يخدع الضب وأما لحمه فقد روي أنه عليه الصلاة والسلام امتنع من أكله، **وقال**: إنه ليس بطعامي وأكله خالد بن الوليد فلم ينكر عليه. **وقال**: فيه فقيه لرجل كان يأكله إعلم أنك أكلت شيخاً من مشيخة بني إسرائيل يعني أنه مسخ **قال:**

وسكنُ الضبابِ طعامُ الغريب ... ولا تشتهيه نفوسُ العَجَم

فقال من عارضه:

فأنت لو ذقتَ الكشى بالأكباد ... لما تركت الضبّ يغدو بِالوَاد[٤]

● **القِرْدُ**

يُضحك ويُطرب ويحكي ويتناول بيده الطعام ويضعه في فمه. وله أصابع وأظفار وإذا سقط في الماء يغرق كالإنسان قبل أن يتعلم السباحة ويتزاوج ويتغاير تغايرهم، **فقال:**

قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أو عَجوزٌ تلطمُ[٥]

---

(١) **الكيس**: الظريف الفطن، الحسن الفهم.

(٢) **الكدْية (هنا)**: الأرض الصلبة الغليظة. (٣) **الذماء**: بقيّة الروح.

(٤) **الكشى**: جمع كشية شحمة بطن الضبّ أو أصل ذنبه.

(٥) شطر بيت من قصيدة للمتنبيّ في هجاء كافور الإخشيدي.

وقال الصابي في المطهر لما قيد وحبس:

لساني في نشرِ المدائحِ مُطْلَقٌ وساقي في قبْرِ المحابِسِ مُوثَقُ
وحلمُك يأبى الجمعَ ما بين ذا وذا فحتّى متى بيْن الفريقَيْنِ أفرقُ

وأتى المنصور برجل جان فأمر بقتله فقال: إن الله أعظم سلطاناً منك وعاقب بالخلود لا بالفناء، فأمر بحبسه.

كتب أبو ثوابة إلى قوقارة يقول: ما رأيك أبقاك الله في المصير إلى الحبس موفق إن شاء الله فكتب قوقارة تحته لا رأي لي في ذلك.

● تهنئةُ مطلقٍ من الحبسِ

قال البحتري:

وما هذهِ الأيامُ إلا مراحِل فمِنْ منزلٍ رحْب إلى منزلٍ ضَنْكِ
وقدْ هذّبتَك النائباتُ وإنّما صفا الذهبُ الأبريزُ قبلَك بالسَبْكِ
أما لك في الصّديق يوسف إسوةٌ لمثلِك محبوسٌ على الظلْم والإفكِ
أقامَ جميلَ الصبْر في السجن برهةً فآل به الصبْرُ الجميلُ إلى المُلْكِ

● المصلوب

مرت امرأة بجعفر بن يحيى وقد صُلِب. فقالت: لئن صرتَ اليومَ راية لقد كنت بالأمس غاية. وقيل لأعرابي إنّ الخليفة صلب فلاناً فقال: من طلق الدنيا فالآخرة صاحبته ومن فارق الخز فالجذع راحلته. قال أبو تمام:

بكّروا وأسروا في متونِ ضوامِرِ قيّدتْ لهم من مربط النجارِ
سودُ الثيابِ كأنّما نَسَجتْ لهُم أيدي السمومِ مدارِعاً من قارِ[1]
لا يبرَحونَ ومن رآهم خالَهم أبداً على سفرٍ منَ الأسْفارِ

وقال ابن سلكة:

كأنّه شِلْوُ شاةٍ والهواءُ له تنّورُ شاويةٍ والجِذْع سفّودُ

وقال آخر:

يظلّ في منزلٍ أنافَ به مستضحكاً لا يُطيق ضمّ فمِه
تنتابُه الطيْرُ والنسورُ وما يبخلُ عنها بلحمِه ودمِه
عوفي من ضمّة الضريحِ ومن ثقْل الثرى والثواء في رجمِه

---

(١) السموم: الريح الحارة، وقوله: قار أي برد شديد.

وقال أعرابي وقد صلب صاحب له:

من مبلغ الحسناء أن خليلَها … بأرضِ الأعادي فوق إحدى الرواحِلِ
على ناقةٍ لم يضرب الفحلُ أمّها … مشذبة أطرافُها بالمناجِلِ

وقال الأخيطل:

كأنّه عاشِقٌ قد مدّ بسطتَه … يومَ الفراق إلى توديعِ مرتحلِ
أو قائمٌ من نعاسٍ فيه لوثتُه … مداوم لتمطّيه من الكسَلِ

قال أبو تمام:

سامٍ كأن العزّ يجذبُ ضبعَه … وسموّه من ذلّة وسفالِ

قال مسلم:

جعلته حيثُ ترتابُ الظنونُ به … وتحسدُ الطيرُ فيه أضبُعَ البيدِ
تعدو السباعُ فترميه بأعينِها … يستنشقُ الجو أنفاساً بتصْعيدِ

قالت جارية محمود الورّاق وقد أكثرت في وصف ذلك في بابك:

على مركب خشن ظهرُه … طويلِ الوقوفِ بطيءِ المسيرِ
تظلّ الذئابُ وعرج الضبابِ … بعقوتهِ حسَداً للطيورِ
فأسفلُه مأتمٌ للسباعِ … وذروتُه عرْسٌ للنسورِ

● **المضروبُ بالسياط**

قال الفرزدق:

لعمري لقد صبّتْ على ظهرِ خالدٍ … شآبيبُ ما استهللْنَ من سبل القطْرِ

وقال آخر:

كأنّما جلدُه والسوطُ يأخذُه … قطنٌ تطايرَ عن قضبانِ ندّافِ

قال الببغا في لصّ جعل على رأسه برنس فطوق به:

وبدّل من تاجِ العمامةِ برنساً … يبالغُ في تقويمِه وهو مائلُ
أمالَ به طولاً سِوى الجسمِ وهو من … زيادته في طولِه متضائلُ

الحدّ الخامس عشر

في التزويج والأزواج والطلاقِ والعفةِ والتديّث

•

(١)
ممّا جاء في النكاح والطلاق وأحوال الأزواج وسياستهن

•

• حثّ الرجل على التزوّج

قال الله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾(١) وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلاقاً مذواقاً، فقيل له في ذلك فقال: إن الله تعالى علق بهما الغنى فقال وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إنْ يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله. وقال: وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته فأنا أتزوج للغنى وأطلق للغنى.

وقال النبي ﷺ لرجل: ألك زوج؟ **قال:** لا، **قال:** وأنت صحيح سليم؟ **قال:** نعم. **قال:** إنك إذا من إخوان الشياطين إن شراركم عزّابكم وإن أراذل موتاكم عزّابكم. إن المتزوجين هم المبرأون من الخنا والذي نفسي بيده ما للشيطان سلاح في الصالحين من الرجال والنساء أبلغ من ترك النكاح.

قال شاعر وأجاد:

إذا لـم يـكـنْ فـي مـنـزلِ الـمـرءِ حـرّةٌ تـدبـره ضـاعـتْ مـصـالِـحُ دارِهِ

وفي رواية

رأى ضـيـعـة فـيـمـا تـولـى الـولائـدُ

• الحثُّ على التزوج أيام الشبابِ

مر ملك من ملوك العجم بشيخ يعمل في أرض **فقال له:** أيها الشيخ هلا أدلجت فيكون من ذلك ما يكفيك؟ **فقال:** أدلجت ولكن القضاء لم يدلج فقال: أكتم كلامنا هذا حتى تراني ثم انصرف الملك فأحضر وزيره **وقال:** ما معنى كلام الشيخ؟، قيل له كذا فأجاب بذا وقد أنظرتك حولاً فجعل الوزير يسأل الناس ولا يجيبه أحد حتى وقع بالشيخ فسأله فقال له: إن الملك استكتمني الأمر حتى أراه فبذل له عشرة آلاف درهم فقال: إنه

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٣.

قال لي لِمَ لا تزوجت أيام الشباب؟ **فقلت له**: قد تزوّجت ولكن لم يأتني أولاد. فجاء الوزير فأخبر الملك **فقال له**: عليّ بالشيخ فدعاه فلما حضر قال له: ألم أقل لك أكتمْ أمَرنا حتى تراني، **قال**: قد رأيتك عشرة آلاف مرة، فعلم أنّ الوزير دفع إليه عشرة آلاف درهم وأنه رأى اسمه مكتوباً على كل درهم منها وصورته، **فقال**: زه ودفع إليه أربعة آلاف درهم أخرى **وقال**:

إنّ بــنـــي صــبـيــة صـيـفـيّـون   أفـلـحَ مـنْ كـان لـهُ ربـيـعـيّـون

● الألفةُ بين الزوجين

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾(١) وقال رجل للنبي ﷺ: يتزوّج الرجل المرأة الغريبة فتقع بينهما الإلفة، فتلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾(٢) وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾(٣) فبدأ بهنّ لقربهنّ من القلوب.

● الرغبةُ عن التزوّج

استشار رجل الشعبي في التزوج **فقال**: إن صبرت عن الباه فاتق الله، ولا تتزوج. فإن لم تصبر، فاتقِ الله وتزوج. **وقيل**: لمالك بن دينار لو تزوجت، **فقال**: إني طلقت الدنيا ثلاثاً فلا رجعة لي فيها. **وقيل**: ما فكر فيلسوف إلا ورأى العزبة أجمع لهمه وأجود لخاطره.

وسئل حكيم عن التزويج **فقال**: بقل شهر وشوك دهر. **وقال آخر**: مكابدة العزبة أيسر من الاحتيال لمصالح العيال. **وقال أعرابي** وقد عرضت عليه دلالة امرأة:

أقولُ لـهَـا لـمّـا أتـتـني تـدلّـنـي   عـلـى امـرأة مـوصـوفـةٍ بـجـمـالِ
أصبْتِ لهَا واللّهِ زوجاً كما اشتهَتْ   إن اغـتـفـرَتْ مـنـه ثـلاثَ خـصـالِ
فـمـنـهـنّ شـخـص لا يُـنادي ولـيـدَة   ورقّـةُ إسـلامٍ وقـلّـةُ مـالِ
فإنْ رضيَتْ هذي الخصالَ فشأنُها   وإن تـكُـنِ الأخـرَى فـلـسْـتُ أبـالـي

وقال رجل لآخر: كنا في أملاك فلان **فقال**: لا تقل في أملاكه ولكن في أهلاكه ثم **أنشد**:

يـقـولـون تـزويـج وأعـلـمُ أنّـه   هـو الـرق إلا أنّ مـنْ شـاء يـكـذبُ

● التزوجُ بأكثرَ من واحدةٍ

---

(١) القرآن الكريم: الفرقان/ ٥٤.
(٢) القرآن الكريم: الروم/ ٢١.
(٣) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٤.

قال المغيرة بن شعبة: صاحب المرأة الواحدة إن مرضت مرض وإن حاضت[1] حاض. وصاحب الثنتين بين جمرتين أيتهما أدركته أحرقته. وصاحب الثلاث في رستاق يبيت كل ليلة في قرية. وصاحب الأربع عروس في كل ليلة. وروي أنه **قال**: أحصنت مائة امرأة وقيل: إن الحسن بن علي رضي الله عنهما تزوّج خمساً وتسعين امرأة.

وقال أعرابي لآخر: لا تتزوج بأربعة فكل تأخذك بحمتها وأنت كال ولا بثلاث فإنهنّ كالأثافي تصير بينهن كالقدر، فيكوينك. ولا باثنتين فإنهما يكونان كجمرتين. ولا واحدة فإنك تمرض إذا مرضت، وتحيض إذا حاضت. وتلد إذا ولدت. **فقال له**: قد نهيت عن كل ما أمر الله به فما الذي أصنع؟ **قال**: كوزان وطمران وعبادة الرحمن. وخرجت جارية من دار الرشيد معها مروحة مكتوب عليها الحِر إلى أيرين أحوج من الأير إلى حرين.

- **الحثّ على اختيار ذوات الأحساب والأنساب والترغيب عن لئام ذوات المال**

قال النبي ﷺ: احتفظوا لنطفكم فإن العرق نزّاع. **وقال**: إياكم وخضراء الدّمن ـ أي المرأة الحسنة في المنبت السوء ـ **وقال**: أكثم لا يفلتنكم جمال النساء عن صراحة النسب فإن المناكح الكريمة مدرجة الشرف. **وقال عثمان بن أبي العاص لأولاده**: المناكح مغترس فلينظر المرء حيث يضع غرسه فإن عرق السوء يعدي ولو كان يعد حين، **قال شاعر**:

لا تنكحنّ لئيمةً لمعيشةٍ تبقى اللئيمةُ والمعِيشَةُ تذهبُ

- **إختيارُ ذواتِ الدين والعفةُ**

قال النبي ﷺ: تنكح المرأة لدينها ولمالها وحسبها وحسنها، فعليك بذات الدين تربت يداك. **وقال**: خير النساء التي إذا أعطيت شكرت وإذا حرمت صبرت. تسرك إذا نظرت وتطيعك إذا أمرت.

وقال محمد بن علي: اللهم أرزقني امرأة تسرّني إذا نظرت، وتطيعني إذا أمرت، وتحفظني إذا غبت. **وقال خالد بن صفوان**. **إنما الدنيا متاع وليس من متاعها أفضل من زوجة صالحة**.

وقال علي رضي الله عنه خير النساء العفيفة في فرجها المغتلمة لزوجها. **وقيل لعائشة رضي الله عنها**: أي النساء أفضل؟ **فقالت**: التي لا تعرف عيب المقال ولا تهتدي لمكر الرجال فارغة القلب إلا من الزينة لبعلها والإبقاء في الصيانة على أهلها. **وقيل**: إياك والحمقاء فنكاحها قذر وولدها ضائع.

- **إختيارُ الحسانِ والنهيُ عن القُبّاحِ**

قال النبي ﷺ: إنما النساء لعب فمن اتخذ لعبة فليستحسنها. **وقال**: أعظم النساء بركة أحسنهن وجوهاً وأرخصهنّ. مهوراً وجاءت امرأة إلى الحسن **وقالت**: يا أبا الحسن أتفتي

---

(١) **حاضت**: خرج منها دم.

الرجال أن يتزوجنّ على النساء، **قال**: نعم، **فقالت**: أعلى مثلي؟ وكشفت قناعها عن وجه كالقمر، **فقال الحسن** لما ولّت: ما على رجل مثل هذه في زاوية بيته ما أقبل عليه من الدنيا وما أدبر. **وقيل** لرجل أي النساء أشهى؟ **قال**: التي تخرج من عندها كارهاً وترجع إليها والهاً. **وقال**: إياك وكل ذكرة مذكرة شوهاء فوهاء تبطل الحق بالبكاء لا تأكل من قلّة ولا تعذر من علّة.

● **التحذيرُ من الحسان**

شاور رجل حكيماً في التزوج **فقال له**: إياك والجمال.

فلَنْ تصادِف مرعى ممرَعاً أبداً ... إلا وجدت به آثارَ مأكولِ

وقال: الجمال للرجال مطمع **وأنشد**:

لا تطلبِ الحسْنَ إن الحسْنَ آفتهُ ... أن لا يزالَ طوالَ الدّهرِ مطلُوبا

وما تصادفُ يوماً لؤلؤاً حسناً ... بينَ اللآلىءِ إلا كانَ مثقُوبا

وقيل لحكيم تزوج بقبيحة: هلا تزوجت بحسناء؟ فقال: اخترت من الشر أقلّه.

● **الإستدلالُ عليها بذويها**

قال علي بن عبيد الله: إذا أردت أن تتزوج بامرأة فانظر إلى أبيها وأخيها فإنها رابطة بطنب أحدهما، **وأنشد للعجير**:

إذا كنتَ تبغي للجَهالة أيّما ... من النّاس فانظر من أبُوها وخالُها

فإنهُما من شكلِها وهيَ منهما ... كما جذبَت يوماً بنعل مثالُها

● **اختيارُهنّ في الطول والقصرِ**

قال الربيع بن زياد: من أراد النجابة فعليه بالطوال ومن أراد اللذة في القصار فإنهن لذيذات النكاح. **وقال الحجّاج**: من تزوج قصيرة فلم يجدها على الموافقة فعلى مهرها. ويستحسن فيه ما قال ابن عجلان:

ومخملة باللحمِ منْ دونِ ثوبها ... تطولُ القصارَ والطوالُ تطولُها

● **الرغبةُ عن العجائزِ**

قيل لرجل تزوج: كيف المرأة التي تزوجتها؟ **قال**: نصف. **قال**: شرّ نصفيها حصل في يدك ثم أنشد:

لا تنكحنّ عجُوزاً إن أتوْك بها ... واخلَعْ ثيابَك منْها ممعناً هرَبا

فإنْ أتوْك وقالُوا إنّها نصَفُ ... فإن أحسنَ نصفَيْها الذي ذهَبا

وقال حكيم: إن خير نصفي الرجل آخرهما يذهب جهله ويثوب حلمه ويجتمع رأيه، وشر نصفي المرأة آخرهما يسوء خلقها ويحدّ لسانها ويعقم رحمها. وقال: لا تأكل

ولا تركب ولا تنك إلا فتيا. وقيل: مضاجعة العجوز يخلف منها موت الفجأة.

قال شاعر:

ولا تنكحنّ الدّهرَ ما دمتَ أيّما ... مجربَة قد مُلَّ منها ومَلّتِ

وقال لبعض من فضّل العجائز: إن اختيار الكبيرة على الصغيرة لعدم اللبّ واسترخاء الزب ورين على القلب والتماس سهولة العلاج للعجز عن الإيلاج **فقال:** كلا العجوز أقنع باليسير وأصبر على تقلب الدهور وأقل مشاغبة ومجاذبة، تؤثرالتذلل وتجتنب التدلل، تصبر على الإقلال وتؤمن من ولادتها الزيادة في العيال إن اتسع بعلها صانت ماله وإن ضاق سترت حاله. نعم قعدة الغيور ومطيّة ذي الأير العثور. لا تسبق إليها الظنون ولا تثبت معها القرون، ألوف عروف غير غروف ولا عيوف.

● إختيارُ الأبكارِ والثيباتِ

قال النبي ﷺ: عليكم بالأبكار فإنهنّ أطيب أفواهاً وأنتق[1] أرحاماً. **قال علي رضي الله عنه:** إن المرأة لا تُنْسِني أبا عذرتها.

وقال حكيم لمن استشاره: أما البكر فلك لا عليك وأما الثيب فلك وعليك وأما ذات الولد فعليك لا لك.

وقيل: إيّاك والحنّانة والمنانة والأنّانة والحدّاقة وذات الدايات فالحنّانة التي تحن إلى ولدها من غيرك والمنّانة التي تمنّ بمالها على زوجها والأنّانة التي تئن من غير وجع والحدّاقة التي تحدّق إلى كل شيء فتقول ليته لي وذات الدايات التي عندها عجوز تقول هي دايتي. وقيل إياك والرقوب الغصوب القطوب العلياء الرقياء الحنّانة والمنّانة. وقيل: إن لم تتزوج بكراً فتزوج مطلقة ولا تتزوج مميتة فإن المطلّقة تقول لها لوكان فيك خير لما طلقك زوجك والمميتة تقول لك: رحم الله فلان قد كان لي خيراً منك بكذا **وقال علي بن الجهم أنشدت امرأة:**

قالوا عشِقْتُ صغيرةَ فأجبتُهم ... أشهَى المطيّ إليّ ما لم يُرْكَبِ
كَمْ بيْن حبّةِ لؤلؤ مثقوبةٍ ... نظمَتْ وحبّةِ لؤلؤ لم تثقَبِ

فأجابتني:

إن المطيّةَ لا يلَذُّ ركوبُها ... حتى تذلّل بالزمام وتركبا
والدّرُ ليس بنافعٍ أربابَه ... حتى يُجْمَعَ في النّظام ويُثقَبا

وكانت عند الأحنف امرأة فطلقها وتزوجها ابن عم لها **فكتب إلى الأحنف:**

إن كنتَ أزمعتَ أمراً فأمضينّ له ... إن الغزالَ الذي ضيّعْتَ مشغولُ

فكتب إليه الأحنف يقول:

---

(١) **أنتق:** كثيرة الأولاد أو الإيلاد أو الإنجاب.

إن كانَ مشتغلاً فالله يصلحُه ... فقد لهوْنا بأمرٍ منه موصولِ
ولَنْ تصادفَ مرعىً مونقاً أبداً ... إلا وجدْتَ به آثارَ مأكولِ

وقيل للأحنف: فلان تزوج بالمرأة التي كانت تحتك فقال: أما أنا فقد كفيته الصيحة وسهلت عليه العورة.

● **إختيارُ أجناسِ النساءِ**

قال عبد الملك: من أراد النجابة فعليه بقيّنات فارس، ومن أراد النباهة فقينات بربر ومن أراد الخدمة فبنات الروم. **قال المتنبي في تفضيل البدويات:**

أينَ المعيزُ من الآرامِ ناظره ... أو غيْر ناظرِه في الحُسْنِ والطّيبِ

قال سعيد الرستمي:

فدت غازلات الشعر أبكارَ فارس ... وإن وكلت بي هجرها وبعادَها
إذا نُصّتِ التيجانُ فوقَ رؤوسِها ... وأرسلْنَ من تلْكَ الرؤوسِ جعادَها
من اللائي لم تزجر ببيداء هجمة ... ولم تتلفع بالعَشِيِ بجادَها[1]
ولم أتبع سمْر العرابِ وأدمَها ... ولم أتشوف جملَها وسعادَها

● **مدحُ الولودِ وذمُّ العقيم**

قال النبي ﷺ: سوداء ولود خير من حسناء عقيم. **وقيل:** مثل الحسناء العاقر كشجرة يكثر زهرها ويقل ثمرها.

وذم أعرابي امرأة فقال: ما بطنها بوالد ولا ثديها بناهد ولا فوها ببارد ولا شعرها بوارد.

وقيل لأعرابي: أي النساء أكرم؟ فقال: التي في بطنها غلام وفي حجرها غلام ولها مع الغلمان غلام.

● **من خطب امرأة فخدعها على الجماع**

خطب معلم امرأة وابنها في مكتبه فامتنعت عليه فضرب الابن وقال له: لِمَ لا قلت: لأمك أير المعلم كبير؟ فعاد الصبي إليها شاكياً فوقع في قلبها وبعثت إليه أحضر شهوداً وتزوج بي على بركة الله.

وقال رجل لامرأة خطبها: والله لأملأن بيتك خيراً وحرك أيراً فتزوجته كما ظنت فلم تجده كذلك، **فقالت:**

قد رأيْناكَ فمَا أعجبْتَنا ... وبلوْناك فلم نَرضَ المخبَر

---

(١) البجاد: الكساء المخطط.

وقال رجل لامرأة: هل لك في ابن عم كاسٍ من الحسب عار من النسب يتصلصل معك في دارك ويقلبك يمينك لشمالك، يواصل ثلاثة في واحد، يدخل الحمام طرفي النهار؟ **فقالت:** لا يسمعنّ هذا الخبر منك أحد. وخطب رجل امرأة **فقالت:** لي شروط من المهر ألف دينار ومن النفقة كل يوم كذا ومن الثياب كذا فقال: نعم، ولكن لي عيوب إن احتملتها. فقالت: وما هي قال أناشره بالجماع أستكثر منه وأبطىء الفراغ وأسرع الإفاقة فقالت المرأة يا جارية إحضري أهل المحلة تشهد على بركة الله، فالرجل سارح لا يعرف الخير من الشر.

- **من توسل إلى خطبة امرأة بما لا ينفق.**

قال أبو العيناء خطبت امرأة فلمّا رأتني استقبحتني فكتبت إليها:

ونـبـئـتـهـا لـمـا رأتـنـي تـنـكّـرَت   وقـالَـتْ دمـيـمٌ لا رواءٌ ولا جِـسْـمُ
فإن تنفُري من قبْحِ وجْهي فإنّني   أديـبٌ أريـبٌ لا عَـيّ ولا فَـدمُ

فقالت: يا ماص بظر أمه لديوان الرسائل أريدك. وقال نحوي: يا خريدة قد كنت أحسبك عروباً فقالت: يا ابن الخبيثة أتجشّمني بالهمز والغريب. ونظرت امرأة زوجها وهو يجيد الطعن في الحرب **فقالت:** رب أفن تحت اللواء، **فقالوا لها:** أليس يجيد الطعن؟ فقالت: أمّا الطعن الذي ينفعني فلا.

- **الحثّ على تزويج الأيّم**(١)

قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾(٢) **وقال حكيم:** عليك بتزويج حرمتك إذا جاء كفوؤها فليس بعد منعها من الإكفاء إلاّ تعريضها للأدنياء ومن حظّك تنفيق أمك. **وقال الأحنف:** لأفعى يحترس في جوانب بيتي أحب إليّ من أيم أودعتها كفأها. ورؤي في سوق بغداد قمطر فيه صبي وعند رأسه كيس فيه مائة دينار مكتوب هذا الشقي ابن الشقية بن القدح والرطلية رحم الله من اشترى له جارية بهذه الدنانير فهذا جزاء من عضل أيّمة.

- **إظهارُ المرأة الرغبةَ في النِكَاحِ**

كان لهمّام بن مرة بنات لا يزوجهن من شدّة الغيرة فاجتمعن يوماً وتشاكين فقالت الصغرى: أنا لكن **فقالت لأبيها:**

أهـمـام بـن مـرّة حـنّ قـلـبـي   إلـى مـا تـحْـتَ أثـوابِ الـرّجـالِ

فقال: تريدين سراويلاً؟ **فقالت:**

أهـمـام بـن مرة حـن قـلـبـي   إلـى حـمـراءَ مـشـرقـةِ الـقـذالِ

---

(١) **الأيم:** من فقدت زوجها.

(٢) **القرآن الكريم:** النور/ ٣٢.

فقال تريدين ناقة؟ **فقالت**:

أهمّام بن مرة حنّ قلبي ... إلى أيرٍ أسدّ به مبالي

فقال: قاتلكن الله وزوّجهن.

- **عجوز راغبة في النكاح**

مرضت عجوز فأتاها ابنها بطبيب فرآها الطبيب متزينة بأثواب مصبوغة فعرف ما بها. **فقال الطبيب**: ما أحوجها إلى زوج. **فقال الابن**: ما أحوج العجائز للأزواج. **فقالت**: ويحك الطبيب أعلم منك على كل حال.

ورغبت عجوز إلى أولادها أن يزوّجوها وكان لها سبع بنين، **فقالوا**: لا إلا أن تصبري على البرد متعريّةً لكل واحد منا ليلة ففعلت. فلما كانت السابعة ماتت فسميت أيام العجوز. **وقالت امرأة لبنيها**:

أيا بني إنّني لناكِحَه ... وإن أبيتُم إنني لجامِحَه

هانَ عليكُم ما لقيتُ البارحه ... من الحكاكِ والعروقِ الطامحه

وقال حكيم لامرأة تعرضت له:

وضاحكة إليّ من النقاب ... تلاحظُني بطرْفٍ مُسْتَرابِ

فما زالَتْ تجشّمُني طويلاً ... وتأخذُ في أحاديثِ التّصابِي

فقُلْتُ لها حللت بشرّ واد ... كريهِ المجتني قَحْطِ الجَنَابِ

متى تشفى العجوزُ إذا استناكَتْ ... بأيرٍ لا يقومُ على الشَّبابِ

- **إحتيالُ المرأةِ في التزوّج مِن رجُل**

كان لرجل ابنة ولها ابن عم مشغوف بها، وهو يرجو أن يتزوج بها. فجاءه رجل فأرغبه في الصداق **فقالت الجارية لأمها**. ما أحسب أبي يربي ابن أخيه صغيراً ويقطعه كبيراً. **فقالت**: كان ذلك قدراً مقدوراً. **فقالت الجارية**: أنا حبلى من ابن عمّي **فقالت أمها**: ما تقولين؟ ويحك، **فقالت**: أتكذب الحرة على نفسها. فأخبرت أباها فزوجها من ابن عمها فلما وقع العقد قالت الجارية: برئت من الإسلام إن رأى وجهي إلى سنة ليعلم أني متقولة فيما ادعيت.

- **اختيارُها الكهول من الرجال وذوي الشعور**

قالت امرأة: لا يعجبني الشاب يمعج[1] معج المهر طلقاً أو طلقين ثم يربض بناحية الميدان. ولكن أين أنت من شيخ يضع قب إسته بالأرض ثم سحباً وجراً.

---

(١) **معج**: أسرع في السير.

ولما تزوج عثمان رضي الله عنه بنت الفرافصة **قال**: لا تكرهين ما ترين من الشيب فإن وراءه ما تحبّين. **فقالت**: إني من نسوة خير أزواجهن الكهول. **فقال**: إني قد جاوزت حد الكهول إلى الشيخوخة فقالت: أفنيت عمرك في خير ما يفني فيه العمر. **وقيل لامرأة**: أما تكرهين شيب زوجك؟ فقالت إنه نشأ فينا وإنما تكره المرأة الرجل الشائب إذا كان غريباً ورأته بديهة.

● **إختيارُهنّ الشبانَ والمُرْد**

قالت جارية لأخرى: التحفت على غلام معفوج[1] فقالت: بذلك العفج كبر أيره وكثر خيره. ولكن من شؤمك أنك عشقت من يغطيك بلحيته ويغرزك بشعرته.

قال أبو تمّام:

أحلَى الرجالِ من النّساء مواقِعاً ... من كانَ أشبهَهم بهنّ خدودا

وقال الأعشى:

وأرى الغواني لا يواصِلْن امرأً ... فقدَ الشبابَ وقد يَصِلْنَ الأمرَدا

وقال أعرابي:

يروق الغواني مجدبُ الخدّ خالِعُ

● **ميلُها إلى ذي المال**

قال امرؤ القيس:

أراهن لا يُحِبْنَ مَنْ قلّ مالُه

قيل لابن سيابة: قد كرهت امرأتك شيبك فمالت عنك **فقال**: إنما مالت إلى الأنذال لقلة المال، والله لو كنت في سن نوح وشيبة إبليس وخلقة منكر ونكير ومعي مال لكنت أحب إليها من مقتّر في جمال يوسف وخلق داود وسن عيسى وجود حاتم وحلم أحنف بن قيس.

● **اختيارُ الأخيارِ**

قال ﷺ: من زوّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها. **وقال الحسن لرجل استشاره في تزويج بنته**: زوّجها من تقيّ فإنه إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها. **وقيل لعبد الله بن جعفر**: أتنكح ابنتك الحجّاج؟ **فقال**: أنكحتموه دينكم والدين أجلُّ من بضع المرأة.

● **الكفاءة**

قال النبي ﷺ: تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء. **وقال عمر رضي الله عنه**: لأمنعن

---

(١) **العفج**: ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة.

فروج ذوي الأحساب إلا من الأكفاء. **وقال أبو يوسف**: الكفء على الحقيقة المساوي في النسب والمال والدين.

وقال بعضهم: الناس أكفاء إلا حائكاً أو حجّاماً.

وقال المنصور: أعداؤنا أكفاؤنا يعني بني أمية. **وقيل لماجن**: فلان المؤذن تزوج بابنة فلان المقري **فقال**: إنهما سيلدان مصحفاً

● مَنْ خَطَبَ امرأةً فلم يتزوجْهَا

خطب زياد إلى سعيد بن العاص ابنته فكتب إليه سعيد ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[1] ولما انتهى المغيرة إلى دار هند بنت النعمان بن المنذر **قال**: قد جئتك خاطباً. **قالت**: والله ما جئتني لمالي وجمالي وإنما أردت أن يقال في محافل العرب نكح بنت النعمان. وإلا فأيّ خير في أعور وعمياء؟ **فقال لها**: كيف كان أمركم؟ **فقالت** أصبحنا وما في العرب إلا من يرهبنا وأمسينا وما فيهم إلا من نرهبه.

وكانت في دار ابن عبّاس يتيمة فخطبها رجل **فقال له**: لا أرضاها لك، **قال**: قد رضيت بها، **فقال**: الآن لا أرضاك لها.

وامتنعت امرأة من رجل خطبها فقيل لها في ذلك، **فقالت**: لأنهم يقلّون الصداق ويعجلون الطلاق.

وكتب عبادة بن الصامت إلى معاوية لما خطب إليه:

فلو أنّ نفسي طاوعَتْني لأصبحتْ ... لها حفد مما تعدّ كثيرُ
ولكنها نفس عليّ كريمَةٌ ... عَيُوفٌ لإصهارِ الرجال قَذُورُ

قال دعبل:

فلا تنكَح كريمَك نهشلياً ... فتخلطَ صفْوَ مائِك بالغُثاء[2]

وخطب قرشي ابنة الكميت فجعل يتبجح عليه فرده الكميت **وقال له**: أقلل فإنا إنْ زوّجناك لم نبلغ السماء وإن رددناك لم نبلغ الماء.

● تأسف من خَطَب امرأةً فلم يتفق تزوجُهُ بها

خطب رجل امرأة فوعد بها ثم تزوج بها غيره **فقال**:

لئِنْ كانَ أدلَى خاطِباً فتعذرت ... عليه وفاتَتْ رائداً فتخطّتِ
فما تركته رغبةً عن جمَاله ... ولكنها كانَتْ لآخرَ خَطّتِ

---

(١) القرآن الكريم: العلق/٦.

(٢) نهشلياً: من نهشل الرجل أي كبر، ونهشل فلاناً عضه والنهشل الذنب.

وفي المعنى ليهودي:

سلا ربةَ الخِدْر ما شأنُها … ومن أيّ ما فاتَنا تَعْجَبُ
فلسْنا بأول منْ فاتَه … على رغمِهِ بعْضُ ما يطلُبُ
وكائن ترَى النّاس من خاطبٍ … تزوّج غيْرَ الذي يخْطبُ
وزوّجها غيرُه دونَه … وكانتْ له قبلَه تُخْطَبُ

وقال المغيرة: ما خدعني أحد ما خدعني غلامٌ من بني الحارث فإني ذكرت له امرأة أريد أن أتزوج بها، **فقال** لا تفعل: فإني رأيت رجلاً يقبّلها ثم ذهب فتزوج. بها فقلت له في ذلك **فقال:** رأيت أباها يقبلها.

● **تمنى طلاقَ امرأةٍ مرغوبٍ فيها**

قال شاعر:

فما أكثرَ الأخبارَ أن قد تزوّجت … فهل يأتيني بالطّلاق بَشيرُ

وشكا رجل إلى قراص الأزدي تزويج امرأة كان يريد أن يتزوجها **فقال:**

تربّص بها ريبَ المنون لعلّها … تطلّقُ يوماً أو يمُوتُ حليلُها

● **توجع مَنْ صَاهَرَ غيرَ كفئهِ**

دخلت هاشمية على معاوية **فقال لها:** من زوجك؟ فذكرت مجهولاً **فقال:** أمثلك ينكح من لا يعرف؟ فأنشدت:

إن القيوم تنكح الأيامى … النسوة الأرامل اليتامى
المرء لا يبقى له سلامى

قال مهلهل:

أنكحها فقدُها الأَراقم في … جنب وكانَ الخباء من أدَم
لو باءَ بانين جاءَ يخطبُها … ضرج ما أنف خاطب بدَم

ولما ظفر قتيبة بابنة يزدجرد وتزوج بها قال لندمائه: أترون ابنها يكون هجيناً فقالت: هي نعم من قبل الأب

وقالت هند بنت النعمان في زوجها ابن زنباع:

وهل هند إلا مهرةٌ عربيّةٌ … سليلةُ أفراسٍ تحللها بَغْلُ
فإن نتجت مهراً كريماً فبالحرى … وإنْ يكُ إفراق فجاء به الفحلُ[1]

وقال:

بكى النسبُ الصافي بعينٍ سخينةٍ … من النسبِ الموصوم أن يجمعا معاً

---

(١) **الإفراق:** مصدر أفرق (غنمه): أي أضلّها وأضاعها.

وجاء رجل إلى سعيد بن المسيب **فقال**: رأيت حدأة على شرف مسجد الرسول ﷺ **فقال**: إن صدقت رؤياك فسيتزوج الحجّاج من أهل البيت، فتزوج بأم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر.

- **المتزوجةُ من ذي زي قبيحٍ**

قال شاعر:

الـزوجُ زوْجـان ذو مـالٍ يُـعـاش بـه ... وذو شَبابٍ شديد المتنِ كالمرَس
فـلا شـبـابـا ولا مـالا ظـفـرْت بـه ... لكنّ ما شئت من لؤمٍ ومنْ دنَسِ

قال علي بن المنجم:

لـم يـرْض إلا بـالـكـريـمـةَ مركَـبـا ... ولـربّـمـا امـتـنـعَـت عـلـيْـه أتـانُ

ولما مات عمر بن عبد العزيز تزوج بامرأته فاطمة بنت عبد الملك سليمان بن داوف بن مروان وكان أعور فاجراً **فقال الناس**: هذا النذل الأعور يعنون **قول جميل**:

ـنـذل لـعـمـرك مـن يـزيـد أعـور

وقال آخر فيمن طلقها سري وتزوجها دنيء:

وكنت كذى النّبل الذي راشَ نبْله ... بريش الخَوافي ثم بذْلها لغبا[1]

- **ذمّ متشرف بتزويج كريمةٍ**

رأوا رفـعـةَ الآبـاء أعـيـا مـرامُـهـا ... عـلـيـهـم فرامُوا رفعةً بالحَلائلِ
إذا ما أعالي الأمر لم تعطِك المُنى ... فلا بأسَ باستنجاحِها بالأسافلِ

(٢)
وممّا جاء في قلّة الصداق وكثرته

•

قال النبي ﷺ: أعظم النساء بركة أحسنهنّ وجوهاً وأرخصهنّ مهوراً. **وقيل**: لا تغالوا بمهور النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولى بكثرتها.

قال رسول الله ﷺ: وما أصدق امرأة من نسائه ولا من بناته أكثر من إثنتي عشرة أوقية وذلك أربعمائة وثمانون درهماً.

وقال عمر رضي الله عنه: لا يبلغني أن أحداً تجاوز بصداقه صداق النبي ﷺ إلا استرجعت منها. **فقامت امرأة فقالت**: ما جعل الله ذلك إليك يا ابن الخطاب، فإنه يقول وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً فقال عمر ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت، ناضلت أمامكم فنضلته.

---

(١) اللغب: الريش الفاسد.

- **وصيةُ الختَن بها وإكرامهُ لها**

قال عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان: أرسلني أبي إليّ عمّي عتبة لأخطب إليه ابنته **فأقعدني** جنبه **وقال:** مرحباً بابنٍ لم ألده أقرب قريب خطب إلي أحب حبيب لا أستطيع له ردّاً ولا أجد من تشفيعه بدّاً، قد زوجتكها وأنت أعزّ عليّ منها وهي ألوط بقلبي، فأكرمها يعذب على لساني ذكرك، ولا تهنْها فيصغر عندي قدرك. وقد قربتك من قربك فلا تباعد قلبي من قلبك.

وكتب **الصابىء** عن عزّ الدولة إليّ أبي تغلب وقد نقل ابنته إليه: قد وجهت الوديعة وإنما نقلت من وطن إلى سكن ومن مغرس إلى مغرس ومن مأوى عزّ وانعطاف إلى مأوى برّ وإلطاف، ومن منبت درّت لها نعماؤه إلى منشأ تعود عليها سماؤه. وهي بضعة منّي انفصلت إليك، وثمرة من جنى قلبي حصلت لديك. ولا ضياع على من تضمه أمانتك ويشتمل عليه حفظك ورعايتك. وكان الحسن إذا دخل ختنه **يقول:** مرحباً بمن كفى المؤنة وستر العورة ثم يتنحى له عن مكانه:

- **حثّ الرجل على كفاية المرأة**

قال الله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾[1] وخطب رجل إلى قوم **فقال أحدهم:** إن عرفت حقّ المرأة زوّجناك. **فقال:** حقّها أن لا ينسى ذكرها ولا يهتك سترها ولا يحوجها إلى أهلها. فقالت المرأة: زوّجوه.

- **وصيةُ الأبوين البنت بِحُسْنِ معاشَرة الزَوْجِ**

زوجت امرأة بنتها **فقالت:** يا بنية لو تركت الوصيّة لأحد لحسن أدب أو لكرم حسب لتركتها لك، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل. يا بنيّة إنك قد خلّفت العش الذي منه درجت والموضع الذي منه خرجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، كوني له أمة يكن لك عبداً، واحفظي عني خصالاً عشراً تكن لك دركاً وذكراً. **أما الأولى والثانية** فحسن الصحابة بالقناعة وجميل المعاشرة بالسمع والطاعة ففي حسن المصاحبة راحة القلب وفي جميل المعاشرة رضا الرب **والثالثة والرابعة** التفقد لموضع عينه والتعاهد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشمّ أنفه منك خبيث ريح. واعلمي أن الكحل أحسن الحسن المودود، وأن الماء أطيب الطيب الموجود، **والخامسة والسادسة** فالحفظ لماله والرعاية لحشمه وعياله، واعلمي أن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على الحشم حسن التدبير. **والسابعة والثامنة** التعاهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فحرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة. والتاسعة والعاشرة لا تفشين له سراً، ولا تعصين له أمراً. فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٢٩.

وقال أبو الأسود لابنته: إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق. وأمسكي عليك الفضلين: فضل النكاح وفضل الكلام، وكوني كما قيل:

خذي العفْو مني تستديمي مودَّتي ... ولا تنطقي في سوْرتي حينَ أغضَبُ

● **وصيّةُ الأبوين بقبحِ معاشرة الزوجِ**

زوجت امرأة بنتها فقالت: يا بنية إقلعي زج[1] رمح زوجك أولاً، فإن أقرّ فاقلعي سنانه. فإن أقر، فاكسري العظام بسيفه، فإن أقر فاقطعي اللحم وضعيه على ترسه، فإن أقر فضعي الأكاف على ظهره فإنه حمار. قال شاعر:

عـلـيْـك يـا سـيِّـدةَ الـبـنـاتِ ... مـعـصـيـةَ الـزوجِ إلـى الـمَـمَـاتِ

وقـال وداوامِـي غـيـرتِـه وشـتـمِـه ... وقـاتِـلـي فـي كـلّ يـوم أمّـه

وبـاعـدي مـا بـيـنـهـا وبـيـنَـه ... وعـيـنَـهـا فـاسـخـنـي وعـيـنَـه

● **التهنئةُ بالزفاف والدعاءُ للزوجين**

قال خالد بن صفوان لرجل من باهلة: باليمن والبركة وشدة الحركة والظفر عند المعركة.

● **إستعلامُ حال الزوج في افتضاضِ امرأته**

قيل لسليمان: كيف وجدت امرأتك؟ قال ولِمَ أرخين الستر إذاً؟

قال شاعر:

أبا حسنٍ قلْ لي وأنت المصدقُ ... هلْ أنجابُ ذاك العارضُ المتفالِقُ

وهل غاب ذاكَ الحوت في قعر لجّةٍ ... رأيتُك منها تستعنّ وتغرقُ

فقدْ قيلَ إن البابَ دونك مغلق ... وإنّ عليْك الرحب منه مضيقُ

وكتب الصاحب إلى أبي العلاء الحسين بن محمد بن سهلوية لما تزوج بابنة أبي الحسن بن إسحاق:

قـلـبـي عـلـى الـجـمْـرة يـا أبـا الـعـلا ... فـهَـل فـتـحْـتَ الـمـوضـعَ الـمـقْـفـلا

وهـل فـضـضـتَ الـكـيـسَ عـن خـتْـمـه ... وهـل كَـحَـلْـتَ الـنّـاظـر الأحـولا

إن كـانَ قـد قـلْـتَ نـعَـم صـادِقـاً ... فـابـعـث نِـثـاراً يـمْـلأ الـمـنـزِلا

وأن تُـجِـبْـنـي مـن حـيـاءٍ بـلا ... أنـفِـذْ إلـيْـكَ الـقُـطْـن والـمِـغْـزَلا

● **الرخصةُ في تزويجِ الأمّ**

رويَ أن النبي ﷺ خطب إلى سلمة بن هشام أمة ضباعة بنت عامر وزوج علي بن

---

(١) الزُّج: الحديدة في أسفل الرمح.

الحسين أمه سلافة الكابليّة مولى له ليحيى سنة في الإسلام. وممن زوّج أمه عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد.

● **المستنكفُ من تزويج أمِهِ**

تزوج مروان أم خالد بن يزيد فلاحاه يوماً، **فقال له**: يا ابن الرطبة. **فقال**: مخبر. مختبر ثم دخل على أمه **فقال**: أنت جلبت عليّ هذا، وأنشدها هجاء فيه:

أمـــا رأيـــت خـــالـــداً يـــهـــمـــه ... إن سـلـب الـمـلـك ونـيـكَـت أمّـه

فقالت: دعه لي. فلما علمت أن مروان قد امتلأ نوماً عمدت إلى مخدة فوضعتها على أنفه فمات.

وكان رجل قاعد على باب داره وعنده صديق له ورجل يدخل الدار ويخرج **فقال له**: من هذا؟ **فقال**: زوج أخت خالتي:

● **المعيبُ بتزويجِ أمّهِ**

قيل لأعرابي: إن فلاناً زوج أمه وأخذ مهرها فأيسر به. **فقال**: أعوذ بالله من بعض الرزق **وقال الجاحظ** معنى قول القائل يا ماص بظر أمه يعني يا آكلاً مهر أمه من غير أبيه **قال شاعر**:

ربّ حـــلالٍ أكـــلُـــه ... أقـبـحُ مـن نـجـس الـدبْـر

مـــنْ ظـــنّ مـــهـــرَ أمـــه ... جـبْـراً لـه فـلا جـبْـر

وعاتب الصاحب رجلاً قد زوّج أمه **فقال له**: ما في الحلال بأس، **فقال**: كذا أحب أن تكون لغة كل من أحب أن تناك أمه، ثم **قال فيه**:

زوجـــت أمـــك يـــا أخـــي ... إلـى الـرجـال عـلـى طـبَـق

وقال:

عـــذلْـــت بـــتـــزويـــجـــه أمـــهِ ... فـقـالَ فـعـلـت حـلالاً يـجـوز

فـقـلـت حـلالاً كـمـا قـد زعـمْـتَ ... ولـكـن سـمـحـت بـصـذْع الـعـجـوز

قال ابن طباطبا:

قـــل لـــلـــمـــزوج أمّـــه ... يـا أكـبـرَ الـنـاسِ هـمَّـه

أجـــلّ مـــجـــدِ تـــحـــامِـــي ... عـلـيـه تـسـكـيـنُ عـلَـمَـه

كـــفـــيـــت أمّـــك أمـــراً ... مـن الأمـورِ الـمـهـمّـه

● **جوازُ المتعةِ**

عَيّرَ عبد الله بن الزبير عبد الله بن عباس بتحليله المتعة **فقال له**: سل أمك كيف سطعت المجامر بينها وبين أبيك. **فسألها فقالت**: ما ولدتك إلا في المتعة. وسئل عن المتعة **فقال**:

الذئب يكنى أبا حيدة أي ذلك حسن الإسم قبيح الفعل. **وقال يحيى بن أكثم** لشيخ بالبصرة: بمن اقتديت في جواز المتعة؟ **قال:** بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، **قال:** كيف وعمر كان أشد الناس فيها؟ **قال:** لأن الخبر الصحيح أنه صعد إلى المنبر **فقال:** إن الله ورسوله قد أحلا لكما متعتين وإني محرمهما عليكم، وأعاقب عليهما. فقبلنا شهادته ولم نقبل تحريمه.

وقال رجل لآخر زوّجني أمك متعة **فقال:** يا أحمق إذا زوجتكها فما معنى المتعة إنما المتعة أن تزوج نفسها.

وقالت امرأة:

أقول للشيخ إذا طالت عزوبته ... يا شيخ هل لك في فتيا ابن عباس

● معاداةُ الزوجة للإصهارِ

نحر أعرابي جزوراً **فقال لامرأته:** أطعمي أميّ فقالت: أيّها أطعمها؟ **قال:** الورك **فقالت:** التي ظهرت بلحمة وبطنت بشحمة لا لعمري **قال:** الفخذ. قالت: الكثيرة اللحم الطيبة المخّ، لا لعمري **قال:** الكتف قالت: الحاملة اللحم من كل مكان. **قال:** فما تطعمينها؟ قالت: اللحى التي ظهرت بالجلد وبطنت بالعظم. **قال:** تزوّدي إلى أهلك فأنت طالق.

● موافقة زوجين قبيح وحسن؟

نظرت امرأة عمران بن خطان في المرآة وكانت جميلة وزوجها قبيح، **فقالت له:** أنا وأنت في الجنة **قال:** ولِمَ؟ قالت: لأنك رزقتني فشكرت وأنا ابتليت بك فصبرت والصابر والشاكر في الجنّة.

وقال رجل لامرأته: ما خلق أحب إليّ منك. فقالت: ولا أبغض إليّ منك. **فقال:** الحمد لله الذي أولاني ما أحب وابتلاك بما تكرهين.

● موافقة قبيحين

خطب أَسَدي قبيحُ الوجه امرأةً قبيحة **فقيل لها:** إنه قبيح وقد تعمّم لك. **فقالت:** إن كان قد تعمم لنا فإنّا قد تبرقعنا له. استقبح رجل امرأة **فقال:** ويل لمن هذه ضجيعته فلّما رأى زوجها وكان في القبح مثلها قال:

وافق شنّ طبقَه ... وافقَه واعتنقَه

وأنشد:

نزلت سلمى بسلمى ... منزلاً ذا عدواء

● وَصْفُ الفوارِكِ

تزوج رجل امرأة فاجتمع معها في بيت ففركته فرمت ببصرها للكوة فرأت الصبح **فقالت:**

وأنقذني بياضُ الصبح منه ... لقد أنقذتُ من شرّ طويل

وقال الجماز لامرأته في يوم غيم: ما يطيب في هذا اليوم؟ قالت: الطلاق قال شاعر:

لقد أصبحتْ عِرسُ الفرزدق ناشِزاً ولو رضيت ريحَ إسته لاستقرّت

وفي ضد ذلك قال رسول الله ﷺ: خير نسائكم التي إذا خلعت ثوبها خلعت معه الحياء وإذا لبسته لبست معه الحياء يعني مع زوجها

● **الحثُّ على حفظهنّ من الخمرِ والكتابةِ**

قيل: لا تسمعهنّ الغناء فإنه داعية الزنا. وذاقت أعرابية الخمر **فقالت**: نساؤكم يشربن هذا؟ **قالوا**: نعم قالت زَنَيْنَ إذاً ورب الكعبة. ورأى فيلسوف جارية تتعلم الكتابة **فقالت**: ليت شعري لمن يصقل هذا السيف؟ **وقال**: لا تسق السهم سماً لترميك به يوماً ما. **وقال عمر**: جنبوهنّ الكتابة ولا تسكنوهن الغرف. **وقيل**: علموهنّ سورة النور وجنبوهنّ سورة يوسف. **وقال رجل**: إيّاك أن تترك حرمتك تصغي إلى قول أبي ربيعة:

أمن آل نعم أنتَ غادٍ فمبكرُ غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجّرُ

فإنه يحل السراويلات ويطرب الغانيات.

● **الحثّ على شقائهنّ بالمغزل والمهنةِ**

قيل: ألزموا النساء المهرة. **قال شاعر**:

ونعم لهو المرأة المغزَلُ

وقيل لهند بنت المهلب زوجة الحجاج: تغزلين وزوجك أمير؟ **فقالت**: سمعت أبي يقول قال رسول الله ﷺ: أطولكن طاقة أعظمكن أجراً والمغزل يطرد الشيطان ويذهب بحديث النفس.

● **الحثّ على سترهنّ ومنعهنّ من الخروج**

ودخل ابن أم مكتوم على النبي ﷺ وعنده بعض نسائه فأقامها **فقالت**: إنه أعمى **فقال**: أعمى أنتن. **وقال سلمان**: النساء عيّ وعورة فداووا العي بالسكوت والعورة بالبيوت.

وقال سعيد بن سلمان: لأن يرى حرمي مائة رجل مكشوفات خير من أن ترى حرمتي رجلاً غير منكشف.

وقيل للحطيئة: ما تركت على بناتك؟ قال العري فلا يرحن، والجوع فلا يمرحن. وقيل لآخر: **فقال**: الحافظين العرى والجوع.

● **ميلُ الزوجِ إلى زوجتِه أو إلى أبويه**

روى نافع أن ابن عمر جاء إلى النبي ﷺ **فقال**: إنّ أبي أمرني أن أطلق امرأتي.

فقال: طلقها يا عبد الله. وروي أن رجلاً أتى أبا الدرداء **فقال**: أمي أمرتني أن أطلق امرأتي. **فقال**: سأحدثك بشيء سمعته من رسول الله ﷺ: الوالدة وسط باب الجنة فاحفظ ذلك الباب إن شئت أو ضيّعه. **قال**: بل أحفظه فطلقها. تزوج ابن الفرزدق فمال إلى امرأته وتحامل على أبيه **فقال فيه**:

ولـمّـا رآنـي قـد كـبـرْتُ وأنّـه ... أخو الجنّ واستغنى عن المسْح شاربُه
أصاخ لـعـريـان الـنـجـى فـإنّـه ... لا زورّ عن بغض المقالةِ جانبُه

وكان صخر طعن فمكث زماناً عليلاً فسمع امرأته تقول لأخرى وقد سألتها عنه: كيف أصبح؟ فقالت لا حي فيرجى ولا ميت فينسى. ورأى تحرّق أمّه عليه **فقال**:

أرَى أمّ صـخـر مـا تـمـلّ عِـيـادتـي ... وملّت سُلَيْمَى مضجَعي ومكَانِي
ومـا كـنْـتُ أخْشى أن أكونَ جنازةً ... علـيْـك ومـن يـغـتـرّ بـالـحـدَثَـانِ
أهـمّ بـأمْـرِ الـحـزْمِ لـو اسـتـطـيـعُـه ... وقـد حـيـل بـيـنَ الـعَـيْـرِ والـنّـزْوانِ
فـأي امـرىءٍ سـاوَى بـأمّ حـلِـيـلَـةً ... فـلا عـاشَ إلا فـي أذىً وهـوانِ
لعمْري لقد نبهت من كانَ نائماً ... وأيـقـظَـت مـن كـانَـت لـه أذْنـانِ
ولـلْـمَـوْتُ خـيْـرٌ مـن حـيـاةٍ كـأنّـهـا ... مـغـرسُ يـعـسـوبِ بـرأسِ سِـنـانِ

ثم برأ من علّته فطلقها. **قال محرر بن النعمان**:

إذا سـويْـتُ صـاحـبـتـي بـأمّـي ... فـقـام عـلـيّ قـبْـل الـصـبْـح نـاعِـي
فـأمُّ الـمـرء بـاكـيـةٌ عـلـيْـه ... وخِـلّـتـه تَـصَـدّى بـالـقِـنـاعِ

● **المؤتمرُ لامرأتِه والممتنعُ مِن ذلك**

كان الأحنف مطيعاً لجاريته زبراء فقيل له في ذلك **فقال**: كيف لا أطيع من لي إليه في كل يوم حاجة. **قال شاعر**:

أقـامَـت زوجـهـا مـرّة ... وقـامَـت مـوضِـعَ الـرجُـل

قال أبو تمّام:

مـرأتـه نـفّـذَتْ أمـرَهـا ... حـتّـى ظـنـنّـا أنّـهُ امـرأتُـهـا

قال الشنفرى:

إذا مـا جـئْـت مـا أنْـهـاك عـنْـه ... ولـم أنـكِـر عـلـيْـك فـطـلّـقِـيـني
فـأنْـتِ الـبـغْـلُ يـومـئـذٍ فـقُـومي ... بـسـوطِـك لا أبـا لـك فـاضـربـيـني

● **فتنتهن**

قال ﷺ: ما تركت بعد فتنة أضرّ على الرجال من النساء. **وقال**: أوثق سلاح إبليس النساء. **وقال**: النساء حبائل الشيطان. ونظر بقراط إلى رجل يكلم امرأة **فقال له**: تنحَّ عن

هذا الفخ لا تقع فيه. **وقال لقمان**: كُنْ من خيار النساء على حذر، فأنت من شرارهنّ على يقين. **وقال رجل**: ما دخل داري شرّ قط. **فقال له حكيم**: ومن أين دخلت امرأتك؟

● **وصفهنّ بِغلبةِ الرجالِ**

قال النبي ﷺ: ما من ناقصة العقل والدين أغلب للرجال ذوي الأمر من النساء. **وقال معاوية في وصفهن**: يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام. **قال شاعر**:

أليس عجيباً ضعفُها واقتدارُها ... ويجمعن ضعفاً واقتداراً على الفتى

قال الرشيد:

مالي تطاوِعُني البريّةُ كلّها ... وأطيعهنّ وهنّ في عِصْيانِي
ما ذاكَ إلا أن سُلطانَ الهوى ... وبهِ غلَبْنَ أعزُّ من سُلطاني

قال الموسوي:

معاداةُ الرجالِ علَى الليالي ... أُطِيقُ ولا مُعاداةُ النّساءِ

● **التحذيرُ من الاعتماد عليهن وذمهنّ**

قال أمير المؤمنين: لا تطيعوا النساء على حال ولا تأمنوهنّ على مال، ولا تذروهنّ يدّبرن العيال، فإنهن إن تركن وما يردن أو زدن المهالك وأزلن الممالك، لا دين لهنّ عند لذاتهنّ، ولا ورع لهنّ عند شهواتهنّ، ينسين الخير ويحفظن الشر، يتهافتن في البهتان ويتمادين في الطغيان، ويتصدين للشيطان. **وقيل**: من أطاع عرسه لم ينفع نفسه. وعارضت امرأةٌ عمر في أمر يديره **فقال**: ما لكن وأمور الرجال أنما أنتن لعبة إن كانت لنا بكنّ حاجة دعوناكن - **قال المتنبيّ**:

فلاةٌ إلى غيرِ اللقاء تُجَابُ ... وللخُودِ منّي حاجَةٌ ثم بينَنا

● **الحثّ على مخالفتهنّ**

قال النبي ﷺ: شاوروهن وخالفوهنّ. **وقيل**: إيّاك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن[1] وعزمهن إلى وهن. وقيل أكثروا لهنّ من لا فإن نعم تغريهنّ بالمسألة.

قال أجدع الهمداني:

بأنّي لها في كل ما أمرتْ ضِدُّ ... تعيّرُني بالغَزْو عِرْسي وما دَرَت

● **ذمهنّ بالجهل والاعوجاج**

قيل: إذا وصفت المرأة بالعقل فهي غير بعيدة من الجهل. **وقيل**: لا تدع المرأة تضرب صبياً فإنه أعقل منها. **وفي الحديث**: خلقت المرأة من ضلع معوج فلّما أرادت

---

(١) **أفن**: ضعف رأي.

تقويمه انصدع. **وقال ﷺ**: النساء شر كلهنّ وشر ما فيهن قلّة الاستغناء عنهنّ. **وقيل**: تعوّذ من شرار النساء، وكن من خيارهن على حذر. ورأى **سقراط** امرأة تحمل ناراً **فقال**: نار تحمل ناراً، والحامل شرّ من المحمول. **وقيل له**: أي السباع شر؟ **قال**: المرأة. وروي عن النبي ﷺ: النساء حبائل الشيطان. وقيل: شرّ أخلاق الرجال الجبن والبخل وهما خير أخلاق النساء. **وقيل**: المرأة إذا أبغضتك آذتك وإذا أحبتك خانتك فحبّها أذى وبغضها داء.
قال شاعر:

إن النساءَ وإن حسِبْن صوالِحا ... فيما يحلّ من الأمورِ ويُحَرَّمُ
لحمٌ تطيفُ به كلابٌ جوّع ... إن لم يذذن فإنه مُتَقَسَّمُ

- **النهيُ عن حَمْدِ النساءِ**

قال لقمان: شيئان لا يحمدان إلا عند عاقبتهما: الطعام والمرأة، فالطعام لا يحمد حتى يستمرأ والمرأة لا تحمد حتى تموت. **وفي المثل**: لا تحمد أمة عام شرائها ولا حرة عام بنائها.

- **وصفهن بكونهنّ ناقصاتٍ**

قال النبي ﷺ: إنهنّ ناقصات دين وعقل. **فقيل**: وما نقصان دينهن وعقلهنّ؟ **قال**: إن إحداهن تقعد نصف شهر لا تصلّي، وأما نقصان عقولهن فشهادة المرأتين تقوم مقام شهادة الرجل الواحد.

وقال وهب بن منبه: قد عاقب الله النساء بعشر خصال: بشدة النفاس والحيض وجعل ميراث إثنتين ميراث رجل وشهادتهما بشهادة رجل واحد، وجعلها ناقصة الدين والعقل لا تصلي أيام حيضها ولا يسلم عليها وليس عليها جمعة ولا جماعة ولا يكون منهن نبيّ، ولا يسافرن إلا بوليّ.

- **وصف الموافية للزوج الحسنةِ الخلقِ**

قال النبي ﷺ: خيرُ النساء الهينة العفيفة المسلمة، تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها. **وقال معاوية رضي الله عنه لصعصعة**: أيّ النساء أشهى؟ **قال**: المواتية لما تهوى والمجانبة لما لا ترضى. وتزوّج رجل سيء الخلق امرأة **فقال**: أما أني سيء الخلق، فإن كان عندك شيء من الصبر على المكروه وإلا فلست أغرّك من نفسي فقالت: أسوأ خلقاً منك من أحوجك إلى سوء الخلق. فتزوّجها، فما جرى بينهما وحشة للموت.

وقال شريح: تزوجت امرأة صغيرة فلما بنيت بها قالت: عرفني خلقك لأعمل على مداراتك، فعرفتها فبقيت معها سنة لا أزداد فيها إلا شغفاً فدخلت يوماً فرأيت عندها عجوزاً **فقلت**: من هذه؟ **قالت أمي**: فسلمت عليها فدعت لي **وقالت**: كيف رضاك عن صاحبتك؟ فشكرتها. **فقالت**: أسوأ ما تكون المرأة خلقاً إذا حظيت عند الزوج وإذا ولدت فإن رابك

منها شيء، فعليك بالسوط فقلت: أشهد أنها بتلك فقد كفيتني الرياضة.

● وصف المخالفةِ السيئةِ الخلقِ

قال الأصمعي: رأيت رجلاً يطوف بالبيت يحمل شيئاً كبيراً، **يقول له:** أعييتني صغيراً وكبيراً. **فقلت له:** أحسن إليه فطالما أحسن إليك. **فقال:** من تراه لي؟ فقلت: هو أبوك أو جدّك. **فقال:** بل هو ابني. **فقلت:** ما صيّره إلى ما أراه، **قال:** سوء خلق امرأته.

وقال رجل لأبيه تزوجت امرأة سيئة الخلق **فقال:** عجّل طلاقها فإنها تهرمك قبل الهرم، وتذهب عنك بجماع الكرم. وروي أن حكيماً زوج ثلاث بنين، فلما كان رأس الحول سأل الأول عن امرأته **فقال:** هي امرأة من خير النساء إلا أنها خرقاء لا تعمل شيئاً **فقال:** أنزلها في بني فلان فإن نساءهم صناع لتتعلّم. وسأل الثاني **فقال:** إنها لا تدفع يد لامس **فقال:** أنزلها في بني فلان فإن نساءهم عفيفات. وسأل الثالث **فقال:** سيئة الخلق، **فقال:** طلقها فهذا شيء لا حيلة له.

● شُكْر أحدِ الزوجين الآخرَ

قيل لامرأة: كيف زوجك؟ قالت: إذا دخل فهد وإذا خرج أسد. وقيل للأخرى: **فقالت:** جمل ظعينة وليث عرينة، **وقيل للأخرى. فقالت:** هو سكوت خارجاً ضحوك والجاً. وسئل رجل عن امرأة فقال: أفنان أثلة[1]، وجنى نحلة، ومس رملة[2]، وكأني قادم في كل ساعة من غيبة.

وطلق رجل امرأة فلما أرادت الإرتحال **قال لها:** إسمعي وليسمع من حضر إنّي والله اعتمدتك رغبة، وعاشرتك محبة، ولم يوجد مكاني منك زلّة، ولم يدخلني منك ملّة، ولكن القضاء كان غالباً. فقالت المرأة جزيت من صحوب خيراً، فما استربت خيرك، ولا شكوت خيرك ولا تمنيت غيرك وليس لقضاء الله مدفع، ولا من حكمه ممنع ثم تفرقا.

● ذمّ أحد الزوجين الآخر

شكت امرأة زوجها **فقالت:** هو قليل الغيرة سريع الطيرة، كثير العتاب، شديد الحساب إسترخى ذكره وأقبل زفره وبخره وطمحت عيناه، واضطربت رجلاه، يأكل همساً ويمشي خلساً، ويصبح رجساً، إن جاع جزع، وإن شبع خشع. **وقالت امرأة:** زوجي قصير الشبر، ضيق الصدر، لئيم النجر، عظيم الكبر، كثير الفخر، **وقالت امرأة لرجل:** إنك لضيق الفناء صغير الإناء قبيح الثناء **فقال:** وأنت واهية العقد قليلة الرفد، مجانبة للرشد.

وقال امرؤ القيس لامرأته وقد فركته: ما تكرهين مني؟ **قالت:** إنك سريع الإراقة،

---

(١) **الأثلة:** الأصل.
(٢) **رملة:** قطعة من أرض يعلوها الرمل.

بطيء الإفاقة، ثقيل الصدر، خفيف العجز **فقال**: وأنت حديدة الركبة، واسعة الثقبة، سريعة الوثبة قبيحة النقبة.

● شؤم أحدِ الزوجين على الآخرِ

تزوج امرأة رجل قد مات عنها خمسة أزواج فمرض السادس **فقالت**: إلى من تكلني **قال**: إلى السابع الشقيّ. وتزوج أعرابي أربعة نسوة متن عنده، ثم تزوج امرأة مات عنها خمسة أزواج **فقال**:

بـوازلُ أعـوام أذاعَـت بـخـمـسَـةٍ ... وتـعـتـدّنـي إن لـمْ يـقِ الله شـائـيـا
ومن قبلـهـا أهـلكَتْ بالشّؤمِ أربَعـا ... وواحـدَة أعْـتَـدّهـا فـي حِـسَـابِـيَـا
كـلانـا مـظـل مـشـرفٌ لـغـنَـيـمـةٍ ... ويقضي إلهُ الخلْقِ ما كـانَ قـاضِـيـا

وقيل: رأت عائشة بنت الفرات ثلاثة ألوية كسرت على صدرها، فسألت أمّها ابن سيرين. **فقال**: يتزوجها ثلاثة من الأشراف يقتلون عنها، فتزوجها يزيد بن المهلّب، ثم عمرو بن يزيد الأسدي فقتلا، وتزوجها الحسن بن عثمان الزهري فجرى بينهما يوماً كلام فقالت: والله لتقتلن وأخبرته فطلقها. وتزوجها العباس بن عبد العزيز فقتل.

ورُوِيَ أن أم حبيب بنت قيس العدوية **قالت**: لا أنكح إلا العدويين المحمدين، فنكحَت محمد بن عمرو بن العاص ففارقها، ثم محمد بن خليفة فقتل، ثم محمد بن أبي بكر فقتل، ثم محمد بن جعفر بن أبي طالب فمات، ثم محمد بن إياس فتوفيت معه. وكان ابن عمر **يقول**: من أراد الشهادة الحاضرة فليتزوج بها.

● إمتناع أحد الزوجين من التزويج بعد موتِ صاحِبه

يقال: ما وفت امرأة لزوجها إلا قضاعيتان: نائلة بنت الفرافصة أرملة عثمان فإنها قلعت ثنيتها بعد عثمان مخافة أن يخطبها رجل، وامرأة هدبة العذري فإنها لما رأت زوجها يقاد للقتل، **أنشدها**

فلا تـنـكَـحِـي إن فـرّقَ الـدّهْـرُ بـيْـنَـنـا ... أغـمّ الـقَـفـا والـوجـهِ لـيـسَ بـأنـزَعـا

فعمدت إلى سكين فقطعت أنفها **وقالت**: كن آمناً من ذلك. **فقال**: الآن طاب ورود الموت. وتزوّج رجل بابنة عمّ له يقال لها رباب وتعاهدا على أن لا يتزوج أحدهما بعد موت الآخر فمات الرجل، وأكرهت المرأة على التزويج فلما كان ليلة الزفاف رأت في منامها أن ابن عمها آخذٌ بعضداتي الباب، فأنشد:

حييتُ سكـانَ هـذا البيتِ كـلّـهـم ... إلا الـربـابَ فـإنّـي لا أحـيّـيـهـا
أمسَتْ عروساً وأمسَى منزلي خربا ... ولـم تـراعِ حُـقـوقـاً كـنْـت أرْعـيـهَـا

فانتبهت مذعورة، وحلفت أن لا تجمع رأسها ورأس الرجل وسادة. وكان شيرويه لما قتل أباه سكرى أراد أن يتزوج بشيرين امرأة أبيه، فقالت له: على ثلاث شرائط: أن

تحضر الحكماء فأخطئهم في معاونتهم إياك على قتل أبيك حتى لا يجرؤا على مثله فيك، وأن تستحضر لي نساء الكبار لأشتفي بالبكاء عليه، وأن تأذن لي في حضور المكان الذي مات فيه مرة فقال كلّ ذلك لك. فلما خطأتهم، وبكت عليه، وحضرت المكان الذي مات فيه أخرجت فصاً مسموماً فمصّته فماتت مكانها، وكانت قد عمدت إلى سمّ فوضعته في بعض الخزائن وكتبت عليه: إن من تناول منه وزن دانق أعانه على الجماع فلما ظفر به تناول منه فمات في مكانه.

● المتزوجُ منهما بعد موتِ الآخرِ

ماتت امرأة لرجل وكان عاهدها أن لا يتزوج بعدها فخطب امرأة في جنازتها فعوتب في ذلك فقال:

خطبت كمَا لو كنتُ قد مُتُّ قبلها ... لكانَت بلا شكٍ لأوّل خاطِبِ
إذا غابَ بَعْلٌ جاءَ بعلٌ مكانَه ... ولا بدّ من آتٍ وآخرَ ذاهبِ

ومات زوج امرأة فراسلها في ذلك اليوم رجل يخطبها فقالت: هلا سبقت فإني قد قاولت غيرك. فقال: إذا مات الثاني فلا تفوّتيني.

● ذمُّ التطليقِ وشدّتُهُ

قال ﷺ: ما من حلال أبغض إلى الله من الطلاق، وقال ﷺ: ما خلق الله شيئاً أحب إليه من العتاق، وما خلق الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق. ورُوِيَ عنه أيضاً: لا تطلقوا النساء إلا من ريبة، فإن الله لا يحب الذوّاقين والذوّاقات. وقال عمر لرجل طلق امرأته: لِمَ طلقتها؟ قال: لا أحبها. فقال: أكلّ البيوت بنيت على الحب. أين الرعاية والذمم؟ وقال الشاعر:

وما لذعت أنثى منَ الدّهر لذعةً ... أشدّ عليها من طَلاق تزود

● مَدْحُ التطليقِ

كان الحسن رضي الله عنه مطلاقاً وقال: إن الله علق بهما الغنى وتقدّم وقال عامر بن الظرف: أجمل القبيح الطلاق. وأملى أبو العجل خطبة للنكاح فقال: الحمد لله الذي جعل في الطلاق اجتلاب الأرزاق، فقال: وأن يتفرقا يغن الله كلاً منه سعته. أوصيكم عباد الله بالسلوة والملالة والتجنّي والجهالة واحفظوا قول الشاعر:

إذهبي قد قضيتُ منك قضائي ... وإذا شئتِ أن تَسبيني فبيني

تعاهدوا نساءكم بالسبّ وعادوهنّ بالضرب، وكونوا كما قال الله تعالى: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾[1] ثم إن فلاناً في خمول نسبه ونقص أدبه خطب إليكم فازهدوا فيه فرّق الله ذات بينهما وقرّبهما من حينهما.

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٣٣.

● **الحثُّ على تطليقِ غيرِ الموافقةِ**

قال مرثد لرجل شكا إليه سوء خلق امرأته: بخّرها بمثلثة. **قال شاعر:**

ودواء لا تشتَهيهُ النفْس تعجيل الفراقِ

أنشد دعبل يزيد بن مرثد قوله:

عـكـلـيّـة جَـهْـمٌ مُـحَـيّـاهـا

فقال: طلقها **قال:** ليس لي مال فدفع إليه مالاً **فقال:** طلقتها ألف مرة.

● **المتبرّم بالمرأة المتمني طلاقَها**

قال أبو سراعة:

أيّ طـيـرٍ جـرَى بـقـربِـك حـتّـى ... يـمّـر الـلّـهُ لـلـرمـاةِ جـنـاحَـه

وقال:

أحـرزتْ كـفّـاي مـنـهـا ... حـرزةً غـيـرَ سـريّـه

سـنّـهـا سـنُّ عـجـوزٍ ... وهـيَ فـي الـعـقـل صـبـيّـه

حـبّـذا الـتـطـلـيـقُ لـولا ... خـلّـةٌ فـيـهِ رديّـه

وقال:

لقد كنتُ محتاجاً إلى موتِ زوْجتي ... ولـكـنّ عـلـقَ الـسـوء بـاقٍ مـعـمـرُ

فيا ليتَ أنّ اللحْدَ قد صارَ بيتَها ... وعـذّبـهـا فـيـه نـكـيـرٌ ومـنـكَـرُ

ومرضت امرأة لبعض الاعراب فسمعها تقول: أموت **فقال:**

إذا متّ فـالـجـرعـاءُ مـنـك قـريـبَـةٌ ... وفـي بـيـتِـنـا لـلـغـانـيـات مـعـادُ

وقال جران العود يخاطب امرأة:

يـقـولـونُ فـي الـبـيـت لـي نـعـجـةٌ ... وفـي الـبـيـت لـو يـعـلـمـون الـنـمـرُ

أحـبّـي لـيَ الـخـيـر أو أبـغـضـي ... كـلانـا لـصـاحِـبـه يَـنـتَـظِـرُ

● **من طلّق امرأته فسُرّ بذلك**

قال شاعر:

رحـلـتْ أمـيـةُ بـالـطّـلاق ... وعُـتـقـتُ مـن رقّ الـوثـاقِ[1]

بـانـتْ فـلـمْ يـألَـمْ لـهـا ... قـلـبـي ولـمْ تـبـكِ الـمـآقِ

لـو لـمْ أرحْ بـفـراقِـهـا ... لأرحـتُ نـفـسـي بـالأبـاقِ

وخُـصـيـتُ لا أريـد حـلـيـلَـةً حـتّـى الـتـلاق

---

(١) رقّ: عبوديّة.

وكان قتادة بن معروف تزوج امرأة ففركها من ليلة فطلّقها ولما أصبح قال:

تـجـهّـزي لـلـطّـلاقِ واضـطـبـري ... هـذا دواءُ الـجـوامِـحِ الـشُّـمُـسِ
لـلـيـلَـةُ الـبـيْـنِ إذْ هـمَـمْـتُ بـه ... أطـيَـبُ عـنـدي مـن لـيـلـةِ الـعُـرُسِ

وتزوج رجل امرأة فلما دخل بها وجدها قبيحة سيئة الخلق، فقال:

إمـضـي إلـى سـقـر فـإنّـك بـائِـنٌ ... ومـطـلّـقٌ وخـلـيـة وحـرامُ[1]
والـقـولُ قـولُ أبـي حـنـيـفـة عـنـدنـا ... إذ لـيْـس فـيـهـا رجـعَـةٌ ولـمـامُ

وكان رجل طلق زوجته ثلاثاً وترافعا إلى القاضي فأخذ القاضي ينظر هل لقوله وجه فقال له: لا تتعب هي طالقه عشرين ألف مرة. فقال القاضي: قد خففت الأمر علينا.

● **مَنْ أمر بمصابرة امرأتِهِ**

قالت أم التحف وكان ابنها تزوج امرأة على غير رضاهما وحمل نفسه ما لا طاقة له به ثم همّ بتطليقها تبرماً بها:

لعمْري لقَد أخلفْتَ ظنّاً وسؤتَني ... فخزت بعصياني الندامةَ فاصْبِرِ
ولا تكُ مِطْلاقاً ملولاً وسامِحِ الـ ... ـقرينَةَ وافعَل فعلَ حرّ مُشْهرِ
فقد حزتَ بالورهاء أخبثَ خشية ... فدعْ عنك ما قد قلت يا سعد واَصْبِرِ
تربّص بها الأيامُ على صروفِها ... سترمي بها في جَاحم متسَعّرِ[2]

● **مَنْ طلّق امرأته فندم**

جاء أعرابي إلى ابن أبي ذؤيب في مسألة طلاق زوجته فافتاه بطلاقها، فقال:

أتيتُ ابنَ ذئب أبتغي الفقْه عنده ... فطلق حبّي ليْتَ بتّتْ أناملُه
أطلقُ في فتوى ابن ذِئب حَليلتي ... وعنْدَ ابن ذئبٍ أهلُه وحلائِلُه

وقال راوية الفرزدق: قال لي الفرزدق: امض بي إلى حلقة الحسن فإني أريد أطلق نوار **فقلت له**: أخشى أن تتبعها نفسك. **فقال**: امض ولا تخف فمضيت معه فقال: السلام عليكم إعلم إني قد طلقت نوار ثلاثاً. فقال: الحسن قد علمت فلما رجع، قال: إني لأجد في نفسي شيئاً من نوار ثم أنشأ يقول:

نـدمـت نـدامـة الـكـسَـعيّ لـمّـا ... غـدت مـنـي مـطـلـقـةً نُـوارُ[3]

---

(١) **سقر**: جهنم.
(٢) **تربص**: **التربّص**: الترقب والانتظار.
(٣) **الكسعي**: رجل أصلح قوسه ثم رمى بها عيراً فسمع صوت ارتطام السهم فظنّ أن قوسه لم تصب مرماها فكسرها ثم عند الصباح تبيّن خطأه ورأى الحمر قد صرعتها السهام فندم فقطع إبهامه، وقد شبّه الفرزدق ندامته بعد تطليق نوار بندامة الكسعي - **جاحم**: جمر شديد الاشتعال.

وكانت جَنّتي فخَرَجْتُ منها ... كآدم حينَ أخرجه الضرارُ[1]

ولو أني ملكْتُ يدي ونفسي ... لكانَ عليّ للقدر الخيارُ

● **قرب تطليق امرأةٍ من تزوجها**

زوج بعضهم ابنته عمرو بن عثمان فلما مضت إليه طلقها على المنصّة فجاء أبوها إلى عبد الله بن الزبير فقال: إن عمرو بن عثمان طلّق ابنتي في المنصة وأخشى أن يظنّ الناس أن ذلك لعاهة، وأنت عمّه فعاتبه. فقال: أو خير من ذلك ائتنوني بالمصعب فزوجها منه وأقسم ليدخلنّ بها من ليلته فما رؤيت امرأة نصت على رجلين في ليله سواها. وتزوج الوليد في خلافته نيفاً وسبعين امرأة فلما دخل بالآخرة وأراد أن يقوم أخذت بثوبه وقالت: ما ترى؟ أقم لك كفيلاً أن لا تأمر بتسريحي. فضحك واستملحها وأمسكها أربعة أشهر ثم طلقها بعد ذلك.

● **مراجعةُ المرأةِ بعد طلاقِهَا**

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾[2] وسبب ذلك أن أحدهم كان إذا أراد أذية امرأة طلّقها فإذا قاربت انقضاء العدة راجعها، ثم طلّقها، ثم راجعها، طلباً لأذيّتها. وقيل: إن الحسن بن علي طلّق امرأتين قرشية وجعفية فأرسل إلى كل واحدة عشرين ألفاً، وقال للرسول: إحفظ ما تقول كل واحدة. فقالت القرشية: جزاه الله خيراً وقالت الجعفية. متاع قليل من حبيب مفارق، فراجع الجعفية، وتزوج عبد الله بن أبي بكر عاتكة بنت زيد بن عمرو وقد ألفها حتى أشتغل بها عن كل شيء فقال له أبوه: طلقها، فطلقها. وقال:

فلم أر مثلي طلّقَ اليومَ مثلَهَا ... ولا مثلَها في غير شيء يطلّقُ

فقال أبوه راجعها يا بني فإنّي أراك محبّاً لها.

● **تفويضُ الطلاقِ إليها**

روي عن عائشة رضي الله عنها لما أنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ﴾[3] (الآية) دخل النبي ﷺ وقال: إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي بشيء حتى تستشيري أبويك. قالت: وخشي النبي ﷺ حداثة سني فقلت: يا رسول الله وما ذاك؟ قال: إني أمرت أن أخيركن ثم تلا الآية علينا فقلت. فيمَ استشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة. فسر ﷺ بذلك نساءه فتواترن عليه. كانت امرأة عند الحسن بن الحسين بن علي فضجرت عليه يوماً فقال: أمرك في يدك.

---

(١) الضرار (هنا): عصيان ما أمره الله به.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣٢.
(٣) القرآن الكريم: الأحزاب/ ٢٨.

فقالت: أما والله لقد كان في يدك عشرين سنة فحفظته وما ضيّعته أفأضيعه في ساعة واحدة صار في يدي، قد رددت عليك حقك، فأعجبه قولها.

● طلاقُ السنة

قال الله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[1] وقيل: طلاق السنة أن يطلقها وهي طاهر ثم يدعها حتى تنقضي عدتها أو يراجعها إذا شاء. وروي أن ابن عمر طلّق امرأته وهي حائض، فأتى عمر النبي ﷺ فقال: مُرْهُ فليراجعها، حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء طلقها قبل أن يراجعها، وإن شاء أمسكها، فإنها العدّة التي أمر الله بها.

● الطلاقُ الثلاثُ

قال ابن عباس: كان الطلاق في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث. واحدة، فقال عمر: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم، وروى عكرمة عن ابن عبّاس قال: طلق ركانة امرأته ثلاثاً في مجلس واحد، فحزن عليها حزناً شديداً فسأله النبي ﷺ كيف طلقتها؟ فقال: طلقتها ثلاثاً فقال: في مجلس واحد؟ فقال: نعم. قال: فإنما تلك واحدة فإن شئت فراجعها. وقال ابن عباس: إنما الطلاق عند كل طهر فتلك السنة التي عليها الناس والتي أمر الله بها.

● أحوالُ الطلاق

قال رسول الله ﷺ: ثلاث ليس فيهن لعب من تكلم بشيء منهن لاعباً فقد وجب عليه الطلاق والعتاق والنكاح. وأما طلاق المكره فغير واقع لقوله ﷺ: رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقال ﷺ: لا طلاق في إغلاق. وقال: لا طلاق لامرىء في ما لا يملك، ولا عتاق فيما لا يملك، وروي: من طلق ما لا يملك فلا طلاق له.

● منعُ الزوجِ منها بَعْدَ الثلاثِ

إذا طلق الرجل المرأة ثلاثاً، فلا يحلّ له أن يراجعها حتى تنكح زوجاً غيره قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ﴾[2] (الآية) وروي أن رفاعة القرظي طلق امرأته فبت طلاقها، فتزوجها بعد رفاعة عبد الرحمن بن الزبير، فجاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني كنت عند رفاعة فطلّقني وإنه ليس معه إلا مثل هدبة الثوب فتبسّم النبي ﷺ وقال: لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا، حتى تذوقي عسيلته، ويذوق عسيلتك. وأبو بكر جالس عند النبي ﷺ وخالد بن سعيد بن العاص جالس على باب الحجرة لم يؤذن له، فطفق خالد يتأذى ويقول: ألا تزجر هذه عمّا تجاهر به الرسول ﷺ. وروي أنها جاءت بعد فأخبرته أن قد مسّها فقال: اللهم إن كان ما بها إلا أن تحلها الرفاعة فلا تتم لها نكاحه مرة أخرى فلم يتفق

---

(١) القرآن الكريم: الطلاق/ ١.

(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣٠.

تزوجه بها. وسئل ﷺ عن المحلل فقال: لا إلاّ نكاح رغبة ولا مستهزىء بكتاب الله لعن الله المحلّل والمحلّل له، وفي حديث آخر المستحل والمستحل له.

● مراجعةُ المرأةِ

روى عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة فرجعت إلى أهلها فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾(١) وقيل له: راجعها فإنها صوّامة قوّامة وأنها إحدى نسائك وأزواجك في الجنة.

● ذمُّ المريدةِ لطلاقِ زوجِها والمختلعةُ

قال النبي ﷺ: أيّما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس، حرم الله عليها رائحة الجنة وروي أن حبيبة كانت تحت ثابت بن قيس فكرهته، فجاءت إلى النبي ﷺ فقالت: لا أنا ولا ثابت، ولولا مخافة الله لبصقت في وجهه. فقال: أتردين عليه الحديقة التي أصدقك؟ قالت: نعم. فجمع بينهما فردت عليه الحديقة وفرّق بينهما. فكان أول خلع وقع في الإسلام.

● العدّةُ

كانت المرأة إذا مات زوجها تعمد إلى أخشن ثيابها فتلبسه وتقعد في البيت سنة، فإذا كان رأس الحول خرجت ورمت ببعرة على حمار وقالت: قد حللت الآن. ثم أنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾(٢) (الآية) وروى أن امرأة توفي عنها زوجها فشكت إلى رسول الله ﷺ أنها اشتكت عينها فهل لها أن تكتحل؟ فقال: كانت إحداكنّ تمكث في بيتها في شر أحلاسها حولاً، فإذاً مر كلب رمته ببعرة ثم خرجت أفلا أربعة أشهر وأما عدة المطلقة فثلاثة قروء. وعند الشافعي رضي الله عنه القرء الطهر، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه الحيض. وأهل اللغة يعدون هذه اللفظة من الأضداد وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾(٣) في المطلقة والمتوفى عنها جميعاً.

● الظهارُ والإيلاءُ

كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت عليّ كظهر أمي حُرّمَتْ عليه. وكان أول من ظاهر في الإسلام أوس ابن الصامت وكانت ابنة عم له تحته يقال لها خولة فظاهر منها فسقط في يده، وقال: ما أراك إلا قد حرمت عليّ فانطلقي إلى النبيّ ﷺ فسليه فأتته ﷺ فقال: يا خولة ما أمرنا في أمرك بشيء فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾(٤)، فقال لها ادعى زوجك فدعته فقال: هل تجد رقبة تعتقها؟ فقال: لا أملك رقبة غير هذه، وضرب بيده على عنقه فقال له: تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين، فقال إذالم آكل في اليوم ثلاث

---

(١) القرآن الكريم: الطلاق/ ١.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣٤.
(٣) القرآن الكريم: الطلاق/ ٤.
(٤) القرآن الكريم: المجادلة/ ١.

مرات غشي عليّ، فقال: أطعم ستين مسكيناً فقال والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا وحشا مالنا طعام. فدفع إليه خمسة عشر صاعاً فقال ما بين لابنيها أحوج إليه مني فقال: كله أنت وعيالك. والإيلاء هو أن يحلف أن لا يجامع امرأته أربعة أشهر وما كان دون ذلك فليس بإيلاء ومتى حلف كذلك فقد قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾[1] الآية.

(٣)
وممّا جاء في العِفَّةِ

●

قال ﷺ: من حفظ ما بين لحييه ورجليه دخل الجنة. **وقال**: من وقي شر لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد وقى شرة الشباب.

وسئل عن أكثر ما يدخل الرجل النار فقال: الأجوفان الفم والفرج. وقيل لبطليموس: ما أحسن أن يصير الإنسان عما يشتهي؟ فقال: أحسن منه أن لا يشتهي إلا ما ينبغي، وقيل في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[2] قيل: هو الرجل يخلو بالمعصية فيتركها خوفاً من الله رجاء ثوابه وخوف عقابه.

وقال ابن عباس: الشيطان من الرجال والنساء في ثلاثة منازل في النظر والقلب والفرج. **وقال ﷺ**: العينان تزنيان والرجلان تزنيان ويحقق كل ذلك الفرج. وكان طاوس تمثلت إليه امرأة تراوده فواعدها يوماً إلى رحبة المسجد فلّما حضرت إليه قال: إنخضعي. قالت: ههنا قال: نعم إن الذي يرانا ههنا يرانا في الخلا فاقشعرت المرأة وانزجرت وتابت.

● **مَنْ تعفّف عند مشارفةِ بلوغِ الشهوةِ**

قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾[3]، لولا أن رأى برهان ربه. واجتمع بعض الأعراب بامرأة فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ذكر معاده، فاستعصم وقام عنها، **وقال**: إن من باع جنّة عرضها السموات والأرض بمقدار فتر بين رجليك لقليل البصر بالمساحة.

وكان سليمان بن يسار مفتي المدينة من أحسن الناس وجهاً فدخلت إليه امرأة فسامته نفسه **وقالت**: إن لم تطاوع لأخبرنّ الناس أنك فعلت ولأفضحنك. **قال**: نعم وتركها في البيت وخرج وفرّ ثم رأى في منامه يوسف عليه السلام **فقال له**: يا يوسف أنت الذي هممت **فقال له**: وأنت الذي لم تهم.

وقال رجل لسقراط: إني تفرست فيك أنك تميل إلى الزنا فقال له صدقت فراستك إني أشتهيه ولكني لا أفعله. **وقلت لبعض المتصوفة إنك لوطي فقال**: ما تقول في لص لا

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٢٦.
(٢) القرآن الكريم: النازعات/ ٤٠.
(٣) القرآن الكريم: يوسف/ ٢٤.

يسرق هل يلزمه القطع؟ ومرّ القس بسلامة المدنية وهي تغني فأعجبته وطرب وقال: والله إني أحبك. فقالت: نفسي بين يديك فما يمنعك؟ فقال: يمنعني قول الله تعالى الإخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، وأخاف أن تكون خلتنا اليوم عداوة يوم القيامة.

- **امرأةٌ تعرّض لها رجلٌ فَدَعَتْهُ إلى العَفَافِ**

قال أعرابي: خرجت في ليلة بهيمة فإذا أنا بجارية كأنها علم فراودتها **فقالت**: أمالك زاجر من عقل إن لم يكن لك ناه من دين؟ فقلت: أنه لا يرانا إلا الكواكب **فقالت**: وأين مكوكبها؟ ونزل أسدي بطائيّة في يوم صائف فاتته بقرى[1] ففتنته بعينيها من وراء البرقع فراودها[2]، **فقالت**: أما يردعك الكرم والإسلام؟ كلْ وأقِل وإن أردت غير ذلك فارتحل.

ورُوِيَ أن أبرويز راود امرأة على الفجور، **فقالت**: أيها الملك إن المرأة طبعت على ثلاثة أجزاء من الإنسانية فإذا افتضت ذهب جزء، وإذا حبلَت ذهب جزء وإذا ولدت ذهب جزء، وقد أبيت عن ذلك. فأنا أعيذ الملك أن يخرجني من حد الإنسانية.

وقيل: انقطع بعض أولاد الملوك عن أصحابه ودخل إلى منزل امرأة فراودها، **فقالت**: حتى نتغذى. فوضعت له خواناً عليه عشرون سكرُجة[3] كلها كامخ فذاقها فرآها لوناً واحداً، وطعماً واحداً ففطن إلى أنها تشير إلى أن النساء لون واحد وأن الذي معها مع زوجته، فانكفّ عنها.

- **الممدوحُ بذلك**

قال شاعر:

خَلَوْتُ بها لَيْلاً ولم أقضِ حاجةً ... ولستُ على ذاكَ العَفافِ بنادمِ

قال المتنبي:

عفيفٌ تروقُ الشمسُ صورةُ وجهه ... فلو نزلت يوماً لحادَ إلى الظِلّ

وقال:

كم حبيبٍ لا عذرٍ في اللوم فيهِ ... لكَ فيه من التقى لوّامُ

وسمعت امرأة رجلاً ينشد:

وكم ليلَةٍ قد بتّها غيرَ آثِمِ ... بمهضومة الكشحَيْن ريّانة القَلْبِ

قالت له: خزاك الله ألا تأثمت.

- **من تعفّف عن امرأة حراماً فأوصله الله إليها حلالاً**

كان لأمير المؤمنين عليه السلام جارية وعلى بابها مؤذن إذا اجتازت به يقول لها: أنا

---

(١) **القِرى**: ما يقدّم للضيف. (٢) **راودها**: خادعها وطلب منها المنكر.

(٣) **السكرُجة**: الصحفة التي يوضع فيها الأكل (واللفظة فارسيّة).

أحبّك فحكت الجارية لأمير المؤمنين فقال لها: قولي له وأنا أحبك، فماذا؟ فقالت له، فقال: نصبر إلى يوم يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب. فأخبرت أمير المؤمنين بذلك فدعاه وقال: خذ هذه الجارية فهي لك.

- **صعوبةُ الأمر على من اجتمع فيه العفّةُ والغزلُ**

نظر محمد بن عبد الله بن الحسين إلى امرأة جميلة فأعجبته، فقال:

أهوَى هوى الدينِ واللذّات تعجِبُني ... فكيف لي بهَوى اللذات والدّينِ

فقالت يا هذا دَع أحدهما تنل الآخر. قال المتنبيّ:

إذا كنْتَ تخْشى العارَ في كلّ خلوةٍ ... فلم تتصبّاك الحسانُ الخَرائدُ(١)

متى يشتفي من لاعجِ الشوقِ في الحشَى ... محبٌّ له في قربِهِ متباعدُ

- **المتعفّف عن الجارة**

مرّ سفيان بن عيينة بدار فسمع قينة تغني:

ما ضرّ قوماً كنْتُ جارَهم ... أنْ لا يكونَ لبيتِهم سترُ

ناري ونارُ الجار واحِدَةٌ ... وإليه قبلي ينزِلُ القِدْرُ

فدقّ الباب وقال مثل هذا علموا فتيتكم.

قال حاتم الطائي:

وما تشتكيني جارَتي غيرَ أنّني ... إذا غابَ عنها زوجُها لا أزورُها

سيبلُغُها خَيْري فيرجع بعلُها ... إليها، ولم تُرْسَل عليها ستورُها

وقال:

ربّ بيضاءَ فرعُها يتثنّى ... قد دعتْني لوصْلها فأبيْتُ(٢)

لم يكنْ بي تحرّج غيرَ أنّي ... كنتُ خِدْنا لزوجِها فاستحَيْتُ(٣)

قال أبو تمّام:

بيضاءُ كان لها من غيرِها حرمٌ ... ولم يكن يستحلّ الصيْدُ في الحرمِ

- **التغازلُ بالنظرِ والقولِ دون الفعلِ**

قيل لأعرابي: ما الزنا عندكم؟ فقال: الشمّة والضمّة والقبلة. فقيل: لكن أهل القرى يعدون ذلك المباضعة فقال: ليس ذلك زنا إنما هو طلب ولد. وقالت جارية لرجل:

إن كانت الغلمةُ هاجَتْ بكُم ... فعالجِ الغلمَةَ بالصّومِ

---

(١) الخرائد: جمع خريدة وهي المرأة البكر لم تمسّ، والحيِيّة، ولؤلؤة خريدة: لم تثقب.

(٢) فرعها يتثنى: الفرع القامة، وتثنى فرعها أي تمايل زهواً.

(٣) الخِدن: الصاحب.

ليسَ بكَ الحبُّ ولكنّما تدورُ من هذا على الكوم[1]

وقيل: إن عمر بن أبي ربيعة لما اشتدّ به المرض بكى أخوه فرفع طرفه وقال: لعلك تشفق مما قلته في شعري؟ قال: نعم. قال: عتق ما أملك أن وطئت امرأة حراماً قط. فقال: الحمد لله هوّنت عليّ.

وقال أبو زيد: كان الرجل إذا عشق جارية فراسلها سنة رضي بأن تمضغ علكاً فتبعثه إليه، والآن لا يرضى ألا أن يشيل رجليها كأنه قد أشهد على نكاحها أبا هريرة وحزبه.

وقال أعرابي: خلوت الليلة بفلانة فكان القمر يرينيها فلّما غاب خلفته. قيل: فما جرى؟ قال: الإشارة بغير بأس والتقرب بلا مساس.

قال ابن طباطبا:

فطربتُ طربةَ فاسقٍ متهتّكٍ وعقدتُ حبوةَ ناسِكٍ متحرّجِ
واللّهُ يعلمُ كيفَ كانتْ عفّتي ما بينَ خلخالٍ هناك ودُملجِ

قال العباس بن الأحنف:

أتأذنونَ لصَبٍّ في زيارتكم فعندَكم شهواتُ السمْعِ والبصَرِ
لا يضمرُ السوءَ إن طالَ الجلوسَ به عفُّ الضمير ولكنْ فاسِقُ النّظرِ

وقال أبو عيينة:

إن تروْني فاسقَ العينيْن فالفرجُ عفيفٌ ليْسَ إلا النظرُ الفاسقُ والشعرُ الظريفُ

وقال الحصين بن سهم:

وما في اكتحالِ العين بالعيْن ريبَةٌ إذا عفَّ فيما بينَهنّ السّرائِرُ

● **امرأة شارفت شهوةً فارتدعَتْ لِكَرَم أوْ دِيَانَةٍ**

حُكي أن امرأة عشقت فتى فدعاها يوماً فأجابته فغنّى مغنّ عندهما:

من الخفراتِ لم تفضَح أخاها ولم ترفَع لوالدِها ستارا[2]

فلما سمعت ذلك أبت إلا الخروج ثم بعثت للرجل بألف دينار وقالت: هذا مهري، فإن أردتني فأخطبني من أبي.

واشترى عبد الملك جارية فلما خلا بها، قالت: يا أمير المؤمنين ما منزلة أرفع منزلة من منزلة هذه. ولكن القيامة لها خطر. إنّ ابنك فلاناً كان قد اشتراني وخلا بي ليلة فلا يحلّ لك مسّي. فاستحسن قولها وولاّها أمر داره.

● **عفيفةٌ ألقت بريبةٍ عن نَفسِهَا**

لما أكثر الأحوص التشبيب بأم جعفر الخطميّة جاءته يوماً متنقبّة وهو في نادي قومه،

---

(١) الكوم: الموضع المشرف كالتلّ. (٢) الخفرات: الحيات جمع خفرة.

فقالت: إدفع لي ثمن الأغنام التي ابتعتها منّي **فقال**: والله ما ابتعت منك شيئاً. **فقالت** **لقومه**: قولوا له لا يجحد الحق. **فقالوا**: إن كان حق فلا تجحدنّه. **فقال** والله ما عرفتها قط فتكشفت عن وجهها **وقالت**: لعلك لا تستثبتني، **فقولوا له** يستثبتني **فقالوا له**: **فقال**: والله ما عرفتها قطّ ولا رأيتها ولا شاهدتها، **فقالت**: مالك تشبب بي وتفضحني؟ فخجل وانزجر ولم يعد وكذّبته عشيرته.

● **امرأة لطيفةُ القولِ بعيدةُ التناولِ**

قال شاعر:

يحسبنَ من لين الحديثِ زوانيا ... ويصدّهنّ عن الخنا الإسلامُ

ومرّ عبد الله بن جعفر بامرأة مزيّنة مطيّبة جالسة على باب دارها وفي يدها سبحة، **فقال**: ما التسبيح بمشابه لحالك؟ **فأنشدت**:

ولله عندي جانبٌ لا أضيعُه ... وللهو منّي جانبٌ ونصيبُ

ولستُ أبالي من رماني بريبة ... إذا كنتُ عندَ الله غيرَ مريبِ

وقال علي بن الجهم:

وقلنَ لنا نحنُ الأهلّة إنّما ... نضيءُ لِمَن يسري بليلٍ ولا نُقري

فلا بذلَ إلا ما تزوّدَ ناظرٌ ... ولا وصلَ إلا بالخيال الذي يسْري

وزاد أبو سعيد الرستمي فقال:

وحسناء لم تأخذْ منَ الشمسِ شيمةً ... سوى قربِ مسْراها وبعدِ منالِها

وقال المتنبي:

كأنّها الشمسُ تعي كفُّ قابِضها ... لبعدِها ويراها الطرْفُ مقتربًا

● **مدحُ المرأةِ العفيفةِ**

قال الشنفرى[1]:

لقدْ أعجبَتْني لا سقوطٌ قناعُها ... إذا ما مشَت ولا بذاتِ تلفّتِ

كأنَ لها في الأرض نسياً تقصّه ... على أمّها أو إن تكلّمْك تنكتِ

وقال جميل:

خودٌ من الخفِرات البيضِ لم يرَها ... بسدّة البيت لا بعْلٌ ولا جارُ

---

(١) **الشنفرى**: (أوائل القرن السادس) هو ثابت بن أوس الأزديّ من شعراء الجاهلية الصعاليك. له «لامية العرب» ومطلعها:

أقيموا بني أمي صدور مطيّكم ... فإنّي إلى قوم سواكم لأميلُ

وقال حسّان:

حـصَـان رزانٌ مـا تـزن بـريـبَـة

وقال الموسوي:

دونَ الـقـبـابِ عـفـافٌ مـع خـلائـقِـهـا   والصوتُ تحفيظ ما لا تحفَظ الخِيَمُ

وكانت قرشية رأى شعرها رجل فحلقته وقالت: لا أريد شعراً اكتحل به نظر غير ذي محرم.

● من تجنّب العفةَ فاستوخم عقبى[1] أمرِهِ

من ذلك خبر يسار الكواكب، وهو عبد تعرض لابنة سيده فقالت له: يا يسار شرب من هذا السمار وقلْ في ظل الأشجار وإيّاك وبنات الأحرار. فلما أبى دعته إلى نفسها، وكانت قد أعدت موسى فجبت به مذاكيره، فصار مثلاً.

وكان أبرويز اختبر رجلاً فرآه زانياً خائناً فوسمه بسمة الزناة ونفاه من المدائن فأخذ موسى وجب نفسه وقال: من أطاع عضواً صغيراً فسدت سائر أعضائه فمات من ساعته

(٤)
وممّا جاء في الغِيْرة والتديث[2]

●

● مدحُ الغيرةِ

قال النبي ﷺ: لا خير فيمن لا يغار. وقيل: كلّ حب بلا غيرة فهو حب كذاب. وقيل: لا كرم في من لا يغار. وقال قيس بن زهير لما تزوّج في غير قومه لامرأته: أنا غيور فخور أنف ولكني لا آنف حتى أضار، ولا أخفر حتى أفاخر، ولا أغار حتى أرى. وإنما عني رؤية الإمارة لا رؤية المواقعة ودخول الليل في المكحلة.

● الحثُ على حفظ النساء

إنّ الـكـريـمـةَ ربّـمـا أزرَى بـهـا   لينُ الحجاب وضعفُ من لا يحزِمُ
وكـذاكَ حـوضُـك إن أضـعـتَ فـإنـه   يـوطـأ ويـشـرَب مـاؤه ويـهْـدَمُ

● مَدْحُ تركِ الإفراطِ في الغيرةِ

قيل: كثرة الغيرة إضجار وقلتها اغترار. وقال معاوية رضي الله عنه من السؤدد الضلع واندحاق البطن وترك الإفراط في الغيرة، قال مسكين الدارمي:

ألا أيّـهـا الـغـايـرُ الـمـسـتـشـيـطُ   عـلـى مَـنْ تـغـارُ إذا لـم تـغـز
فـمـا خـيـر عـرسٍ إذ خـفـتَـهـا   ومـا خـيـر بـيـتٍ إذا لـم يُـزز

---

(١) عقبى: نهاية.   (٢) التذيث: الليونة.

يـغـارُ عـلـى الـنّـاسِ أن يـنـظـروا وهـل يـفـتـنُ الـصـالـحـاتِ الـنـظَـرْ
فـإنّـي سـأخـلـي لـهَـا بـيـتَـهـا فـتـحـفـظُ لـي نـفـسَـهـا أو تـذَرْ

قال الخالدي: ما أراه إلا وكان يقول بالإباحة وإلا فلِمَ يجوّز ما يأنف منه الأحرار.

وقيل: إتهام الرجل المرأة في غير موضع التهمة يدعوها إلى ارتكابها.

● تركُ الغيرةِ على القيانِ والتمدحُ بذلك

أتى معاوية رضي الله عنه بالفيل فصعد سطحاً ليرى الفيل فلما أشرف رأى في خزانة رجلاً مع جارية له، فقال لها: يا فلانة هذا أخوك الذي كنت تذكرينه؟ **قالت**: نعم **فقال**: أصعد أيها الرجل فصعد، **فقال**: أعجزتك الأماكن كلها إلاّ داري أتراك عائداً؟ قال: لا فقال معاوية وعلى من يخرج هذا الحديث لعنة الله.

قال شاعر:

لا تـغـارَنّ عـلـى جـاريـةٍ إنـمـا الـغـيـرةُ مـن سـوءِ الـخُـلـقِ
إقـضِ أوطـارَك مـنـهـا ثـم قـلْ إنـمـا أنـتِ لـمـزّارِ الـطـرقِ

وقيل لبعض عشاق قينة: ألا تغار عليها؟ فقال: إمنع الناس عن ورود الفرات، **وأنشد**:

وإذا مـا أردتَ أن تـمـنـع الـنـا سَ ورودَ الـفـراتِ كـنـتَ بـغـيـضـا

وقال آخر:

أأمـنـعُ مِـنَ وَادي زبـالـة شـربـةً وقـد نـهـلَـتْ مـنـه الـكـلابُ وعـلّـتِ

وكتب باج إلى غلام يعشقه وكان قد تهدّده بمواصلة غيره، **فقال**:

لا تـمْـنـعَـنّ حِـمـى إزارِك سـيـدي خـلْـقـا مـن الـبـيـضـان والـسّـودانِ
فـلـيـبـلـغـنـك مـن جـمـيـلِ تـغـافـلِـي مـا لـمْ تـبـلـغ قـطّ مـن كـشـحـانِ
مـالـي أروّع بـالـقُـروع كـأنّـنـي فـي الـنّـاس أولُ عـاشـقِ قـرنـان

قال الخبزارزي:

قـالـوا تـحـبّ فـلا تـغـارُ فـقـلْ لـهُـم لا يـمـنَـع الـمَـاعـون عـنـدِي مَـنْ عَـقَـل
إن مـسّـه دنَـسُ الإجـارةِ مـرّة فـالـمـاءُ يـغـسِـل عـذْرَ ذاكَ إذا اغـتـسـل

● منع المرأة من الاكتحالِ برؤية الرجلِ

قال عمر: ولأن يرى امرأتي ألف رجل أحب إليّ من أن ترى امرأتي رجلاً واحداً، وحج الأشجعي بامرأته فنظر إلى الناس يوم التروية فهاله كثرتهم **فقال**: إن رجلاً يدخل امرأته وسط هؤلاء لمجنون وضرب وجه راحلته وعاد ولم يحج، **وقال**:

ولـيـس بـحـرٍّ مـن يـوسّـطَ زوجَـةً لـهُ بـيْـن أهـلِ الـمـوسـمِ الـمـتـقـصـدِ

وفيهم رجالٌ كالبدورِ وجوهُهم فمن بين ذي ظرفٍ كثيرٍ وأمردِ

● **وفي غيرةِ النساء**

رُوي في الخبر: أيما امرأة غارت فصبرت دخلت الجنة. **وقيل**: غيرة النساء أشد من غيرة الرجال. **وقيل**: هذا خطأ فليس ما ينال المرأة إذا رأت امرأةً على فراش زوجها، من جنس ما ينال الرجل إذا رأى رجلاً على فراش امرأته.

تزوّج رجل من همدان بنت عمه وكان محباً لها فلم يلبث أن ضرب عليه البعث إلى أذربيجان فأصاب بها خيراً واستفاد جارية تسمّى حبابة وفرساً يقال له الورد. فلما قفل القوم امتنع من القفول وقال أخشى أن امرأتي تمنع عليّ جاريتي، وإني لمشغوف بها، **ثم قال**:

ألاَ لا أُبالي اليومَ ما صنعَت هندُ إذا بقيَت عندي حبّابةُ والوردُ
شديدُ مناطِ المنكبَيْن إذا جرَى وبيضاءُ مثلُ الرّيم زيّنَها العِقْدُ

فسمعت بذلك المرأة فكتبت إليه:

ألا فاقرِه منّي السلامَ قلُ له غنينا بفتيانٍ غطارفَةٍ مُرْدِ[1]
إذا شاءَ منهم ناشىءٌ مدّ كفَّه إلى كفلٍ ريّان أو كاعبٍ نهدِ
فأرسل لنا منكَ السراحَ فإنّه مُنانا ولا ندعو لك الله بالردِّ
إذا رجعَ الجندُ الذي أنتَ فيهم فزادَك ربُّ الناس بعداً إلى بعدِ

فلّما وصل إليه الكتاب باع الجارية وبادر إليها فرآها معتكفة في مصلاها **فقال**: ما فعلت؟ **فقالت**: معاذ الله أن أركب محرّماً ولكني أردت أذيقك طعم الغيرة كما أذقتني.

وكان رجل بالكوفة متزوجاً بابنة عمه وله ضيعة بالبصرة يخرج إليها في كل سنة، فتزوج امرأة بالبصرة فسقط خبرها إلى ابنة عمه فكتبت يوماً كتاباً عن أم البصرية تعزّيه في ابنتها وتستعجله لقسمة ميراثها ودفعته إلى رجل غريب وأمرته أن يوصله إليه خفية فلما قرأه تجهّز، **وقال**: إنّ أمر ضيعتي بالبصرة قد تشعّث، ولا بد من أن ألم بها. **فقالت المرأة**: كم تقول البصرة؟ أحسبك ذا امرأة بالبصرة تشتاق إليها أحلف لي بطلاق كل زوجة لك بالبصرة. **فقال الرجل في نفسه**: وما يضرني ذلك وقد ماتت امرأتي بها؟ فحلف لها **فقالت**: استقر الأمر فلا بأس بالضيعة وأخبرته بالخبر.

● **جوازُ نهي الرجل عن التزويج بغير زوجته وخطرُ ذلك عليهِ**

رُوي أن النبي ﷺ صعد المنبر يوماً **فقال**: إن بني هشام بني المغيرة استأذنوني أن ينكحوا فتاتهم علياً ألا فلا آذن ثم لا آذن ثلاثاً إلا أن يحب عليّ أن يطلق ابنتي وينكح فتاتهم. إن فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها، **وقال** ﷺ: جدع الحلال أنف الغيرة.

---

(١) **غطارفة**: جمع غطريف أو غطروف وهو الشّاب الظريف، والغطريف السيّد السّخي.

● **الميلُ إلى كل ممنوع والرغبةُ عن كل مبذولٍ**

قال ابن الطثرية:

أعـافُ الـذي لا هـولَ دونَ لـقـائِـه ... وأهوى منَ الشّرْبِ الحريز الممنّعا

قال أبو تمّام:

إنـي امـرؤٌ أسـمُ الـصـبـابـة وسـمَـهَـا ... وتـغـزّلـي أبـداً بـغـيْـرِ الـمِـغْـزَلِ
غـالـى الـهـوى مـمّـا يـرقِـصُ هـامَـتـي ... ورويّـتـي الـشـغـف الـتـي لـم تُـنْـهَـلِ

● **الرغبة عمّن يشركُك فيه غيرُك**

قال شاعر:

تـبـغـتُـك لـمّـا كـنـت عـنـدي مـمـنّـعـاً ... وأمسَكْـتُ لـمّـا صِـرت نـهـبـاً مـقـسّـمـا
ولا يـلـبَـثُ الـحَـوْضُ الـجَـديـدُ بـنـاؤه ... إذا كـثُـرَ الـوُرّادُ أن يـتـهـدّمـا

قال دعبل:

قَـصَـر الـغـوايـةَ عـن هـوَى قـمـرٍ ... وجـدَ الـسـبـيـلَ إلـيـه مـشـتـرِكَـا

وقال:

كـيـفَ أُصْـفـي الـودّ مـمّـن ... لا آمـن الـشـركـةَ فـيـهِ

وقال:

فـإنْ تـحـمـلـي ردفـيْـن لا آل فـيـهـمـا ... فـسـيـري رويـداً لـسـتُ مـمّـن يـرادِفُ

● **من غار على محبوبه مِن غَيرِه**

قال شاعر:

أغـارُ عـلـيـكِ مـن الـنـاظِـريـن ... فـلـو أسـتـطـيع طـمَـسْـتُ الـعُـيـونـا

قال ابن المعتز:

أغـارُ عـلـيْـكَ مـن قُـبَـلـي ... وإن أعـطـيـتـنـي أمَـلـي
وأُشـفِـقُ إن رأى خـدّيْـ ... ـكَ نـصـبَ مـواقـعِ الـمـقَـلِ

وقال جميل بن معمر: ما رأيت مصعب بن الزبير يمشي بالبلاط إلا لحقتني الغيرة على بثينة وهي بالجناب. وكان مالك ابن طوق شديد الغيرة تزوج بامرأة فلم يأذن لأخيها عليها إلا بعد سنة، **قال عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف:**

أغارُ على قميصك حين تلبسُه وأتهمه

قال شاعر:

أغـارُ عـلـى نـفـس لـهـا وتـغـارُ لـي ... عـلـى نـفـسِـهـا إن الـهـوى لـعـجـيـبُ
عـلـى أنـنـا لـم نـذنْ يـومـاً لـريـبـةٍ ... ولا مـثـلُـنـا فـيـمـن يـريـب مـريـبُ

وقال الخبزارزي:

إنّي لأحسُدُ ناظِري عليكا ... حتّى أغضّ إذا نظرْتُ إليكا

- **الصائنُ محبوبَه عن ذكرهِ عند الرِّجال**

وقال الحكيم بن نسير:

ولستُ بواصِفٍ أبداً خَليلاً ... أعَرِّضه لأهواءِ الرِّجالِ

وما بالي أشوّق عيْنَ غيْري ... إليهِ ودونَهُ سجفُ الحِجالِ

كأنّي أشتهي الشركاءَ فيهِ ... وآمنُ فيه تغييرَ الليالي

- **من رضي بميل محبوبه إلى غيره**

قال علي بن عبد الله بن جعفر:

ولمّا بدا لي أنّها لا تحبّني ... وأنّ هواها ليْس عنّي بمُنْجَلي

تمنيتُ أن تهوى هوايَ لعلّها ... تذوقُ صباباتِ الهَوى فترقّ لي

فعبر بهذا حتّى أنه كان يسمى المتديّث في شعره. قال: وكنت محبوساً في بعض الأحايين فجاء رجل إلى باب السجن، فقال أين المتديث في شعره؟ فقلت: لئن كان مني ذلك القول فإني أقول:

ربّما سرّني صدودُك عنّي ... وإذا ما خلوتُ كنتَ التمنّي

وأنشد بحضرة عبد الملك بن مروان قول نصيّب:

أهيمُ بدعدٍ ما حييتُ فإن أمُتْ ... فيا حرباً ممن يهيمُ بها بعْدي[1]

فقال بعض من حضر لقد أساء القول بل كان ينبغي أن يقول:

أوكلُ بدعْد من يهيمُ بها بعْدي

فقال هذا أشرّ من الأول، بل يقال:

فلا صلحَتْ دعد لذي خلّة بعْدي

- **حكم لقاء الرجل بحرمته منكراً**

قال عبد الله كنا في مسجد رسول الله ﷺ إذ دخل رجل فقال: أرأيتم إن وجد الرجل مع امرأته رجلاً فتكلم به جلد ظهره، وإن قتل قتل وإن سكت سكت على غيظه. فقال: اللهم افتح فجعل يدعو فأنزل الله تعالى آية اللعان ـ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾[2] (الآية) فجاء هو وامرأته إلى النبي ﷺ فتلاعنا، فلما التفت قال: أنظروا فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الإليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمر إلا وقد

---

(١) يا حربا أو واحربا: كلمة يندب بها الميت، وتستخدم للتأسّف.

(٢) القرآن الكريم: النّور/٦.

صدق عليها، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا أحسب عويمر إلاّ وقد كذب.

وقال النبي ﷺ لرجل سأله عمن رأى رجلاً مع امرأته: كفى بالسيف شيئاً، أراد شاهداً فسكت تفادياً من أن تسبق الغيرة إلى الغيرة فيرتكبوا من ذلك محظوراً.

● الرّضى بالتديّثِ

رُوي أن رجلاً قال للنبي ﷺ إنّ امرأتي لا تَرُد يد لامس. **قال:** طلّقها. قال إني أحبها **قال:** فأمسكها إذاً. **وقال الجاحظ:** إن جماعة من الرافضة يقولون بالوقاية إذا اعتلت امرأة أحدهم، استعار امرأة غيره بشريطة أن لا يتعرض للفرج بل لما دونه. ولما ملك قباذ خرج مزدك فدعا الفرس إلى الزندقة **فقال:** تبادلوا النساء والأموال فأجابوه.

ودخل يوماً مزدك فرأى أم أنوشروان فسأل قباذ أن يدفعها إليه فقبل قباذ وجلّه أن يتجافى عنها ففعل. فلما مات قباذ وتولى أنوشروان دخل مزدك فأمر أن يقتل. وقال: ما ذهبت ريح جورك من أنفي بعد فقتله وقتل مائة ألف من الزنادقة في غداة واحدة.

وقال رجل لآخر: امرأتك قد كثر نائكوها فقال لو ناكها أهل مني ما ازدادت إلا حظوة عندي. **وقالت امرأة لزوجها:** يا ديوث يا مفلس، **فقال:** واحدة من الله وواحدة منك فما ذنبي أنا.

● في التزوّجِ برقيقةِ الحافرِ أو مُتَذَوِّقَةٍ

قال أبو الشمقمق لمن أراد التزوج: تزوج بقحبة فقال: ما هذا؟ فقال: إسمع. القحبة تكون أملح وأحرى بأن تكون عالمة بما يحبه الرجال وتأخذ نفسها بالتنظيف، ومتى قلت لها يا زانية لم تأثم، ثم إنها تجتهد أن لا تأتيك بولد ثم أنها تعرف أنك تعرفها فلا تتكبر.

وفي أخبار أبرويز أنه انقطع يوماً عن عسكره فدخل قرية، وكان بها له ابنة، يقال لها شيرين في نهاية الجمال، فتزوج بها ثم لحقه عسكره فتكلم فيه فصنع طعاماً فأكلوا. ثم أحضر لهم شراباً ثخيناً يطوف به غلمان سود فعافوه، فطاف بصاف مع حسان فشربوا، وعلموا أنه يشير أن شيرين إنما اصطفاها بعد الطهارة.

المغير بفساد الحرمة.

قال ابن طباطبا في أبي علي الرستمي:

أغـلـقَ الـرسـتـمـيّ بـابَ حـديـدٍ ... حـلـقَـةُ الـبـابِ من قَـبـيـحِ الـلـقـاءِ

إنّ دارَ الـرجـالِ وجـهُـك يـكـفـيـ ... ـهـا فـعـلّـقـهُ بـابَ دارِ الـنّـسـاءِ

وكان بعض القضاة اتهم ابنته برجل فأخذه وضربه وحضر مجلس الوزير ابن الزيات، فقال:

فيا أهلَ ليلى كيفَ يُجمعُ شملُها ... وشمْلي وفيما بينَنا شبّتِ الحربُ

لها مثْلُ ذنبي اليومَ إن كنتُ مُذنباً ... ولا ذنبَ لي إن كانَ ليسَ لها ذَنْبُ

فنكس القاضي رأسه وعلم أنه المعني.

قال بعضهم:

يـا إخـوَتـي إنّ الـقـيـامـة دانـيَـه ... زانٍ يـحَـدّ ولا تُـحَـدّ الـزانـيَـه
إن كـانَ هـذا فـي الـحُـكـومـةِ جـائـزاً ... مـسـتـعْـمَـلاً زنـتِ الـنـسـاء عـلانِـيَـه

قال الخوارزمي:

زفّـتْ إلـيْـك صـديـقَـةٌ ... لـفَـتـى فـصِـرتَ لـهُ شَـريـكـا
فـعـلـيْـكَ كـلُّ مـؤنَـةٍ ... وعـلـى شـريـكِـكَ أن يـنِـيـكـا

قال أبو علي البصيري وهو من الغايات في هذا الباب:

أمستْ كشاحنة الدنيا بأجمعِها ... بيادقاً وغدوتَ الرخَّ والشاهـا[1]

وقال آخر:

دهَـتْـك بـعِـلَّـةِ الـحَـمّـام خُـودٌ ... ومـالَـتْ فـي الـطّـريـقِ إلـى سَـعـيـدِ
أرى أخـبـارَ بـيـتِـك عـنْـك تُـطْـوى ... فـكـيْـفَ ولَـيـتَ ديـوانَ الـبـريـدِ

قال عمر بن سعدان:

سألَتْ زوجَـهـا الـخـروجَ إلى الحـ ... ـقّ ويـا رُبَّ بـاطـلٍ فـي الـحُـقـوقِ
وأقـامَـت بـمـأتَـمِ الـلـهـوِ لا مـأ ... تـمِ شـقّ الـشـنـوفِ والـتـمْـزيـقِ

وقال ابن عبّاد:

أيـا بـدرُ تـزوجـت الـعـفـيـفَـه ... سخيفٌ قد تجمّعَ مع سخيفَه
فـتـاةٌ لـو يـنـادي نـائِـكـوهـا ... لكانَت، جيشُها جيشُ الخليفه
إذا مـا غـابَ يـومـاً عـن ذراهـا ... يبيتُ لها بنُ عمّ في القَطيفَه

● **المعروفةُ أن أولادها من غيرِ زَوْجِهَا**

أبو عمر السراج في أبي العيناء:

جـادَ أبـو الـعَـيْـنـاء فـيـمَـا اشْـتـهـى ... مـن لـذّةِ الـعـيْـش بـلا مـرزِيَـه
يـنـيـكُ مـن يـخـتـارُ مـن أهـلِـه ... ويحصَلُ الأعمى على التريبه[2]

وتزوج رجل بامرأة فأتت بولد من ستة أشهر فقال ما هذا؟ فقالت بنيتَ جدارك على أسّ غيرك. **وقال بعضهم**: رأيت رجلاً ومعه ابن لا يشبهه **فقلت له**: إن ابنك هذا لا يشبهك، **فقال**: وهل تدع جيراننا أولادنا تشبهنا.

---

(١) بيادق: جمع بيدق طائر من الجوارح بحجم الباشق، والبيدق (بالدال) من أحجار الشطرنج ـ الرخ: طائر وهمي ـ الشاه: الحاذ البصر.

(٢) التريبة: العظمة من الصدر جمع ترائب.

قال كشاجم:

ولـدَتْ لـيـلـةَ الـزفـا ... فِ إلـى بـعـلـهـا ذَكَـر
قـلـتُ مـن أيـن ذا الـغـلا ... مُ ومـا مـسَّـهـا بَـشَـر
قـال لـي بـعـلُـهـا ألَـمْ ... يـأتِ فـي مـسـنَـدِ الـخـبَـر
ولـدُ الـمـرء لـلـفـرا ... شِ ولـلـعَـاهـر الـحَـجَـر
قـلـتُ هـنَـيْـتُـه عـلـى ... رغـمِ مَـنْ خـالَـفَ الأثـر

قال عبدان:

والـمـنـتـمـون إلـيـه مـن أولادِه ... الـلّـه يـعـلَـم أنـهُـم أولاَدِي

وقال مثقال:

لـكَ أنـثـى تـزيـفُ فـي كـلّ عـشٍ ... وتـربّـي الـفـراخَ فـي أعـشـاشِـك

وقال أبو تمّام وقد قلب المعنى:

لـو كـان حـصْـنـاً بـابُـه وجـدارُه ... قـلـت بـنـوهـا عـنـدَه وبـنـاتُـهـا
إن الـبـلادَ إذا الـسـيـولُ تـعـاورَت ... سـاحـاتـهـا عـمّ الـفـضـاءَ نـبـاتُـهـا(١)

● من رأى حُرْمَتَه على مكروهٍ فلم يُنْكِرْهُ

دخل رجل على امرأته فرأى عندها رجلاً كانت تعرف به. **فقال له الزوج**: أقلل الاجتماع معها فإن الناس يذكرونك بها. **فقال له**: لا يجوز لهم ذلك حتى يروا الميل في المكحلة.

وكان رجل يأتي امرأة **فقالت له** يوماً وهو يواقعها: إن الناس يتهمونني بك، **فقال لها**: ما عليك أن تؤجري ويأثموا. ودخل رجل على امرأته فرآها تحت رجل فلما فرغ منها العشيق أخذ الزوج ينيكها **ويقول له**: أنظر إلى عشيقتك تحتي.

● مَنْ حمل على امرأتِه وصديقتِهِ

قال الرقاشي في دعبل:

لـدعـبـل حـرمـةً يـمـت بـهـا ... ولـسْـتُ حـتّـى الـمـمـاتِ أنـسـاهـا
أدخـلَـنـا داره فـأكـرمَـنـا ... ودسّ لـي امـرأتَـه فـنِـكْـنـاهـا

قال فلما سمع دعبل قال لو قال، المتخلف: فعفناها كان أبلغ في الهجاء وأعفّ **وقوله**: فعفناها أقرب من قول الراعي:

فـلـمـا قـضـيْـنـا مـن ربـاب لـبـانـةً ... أرادتْ إلـيـنـا حـاجـةً لا نـريـدُهـا

---

(١) تعاورت: تداولت.

قال دعبل في الرقاشي:

إن الـرّقـاشـي مـن تـكـرّمـه ... بـلـغـه مـنـه مـنـتـهـى هِـمَـمِـه
يـبـلُـغُ مـن بِـرّه ورأفـتـه ... حـمـلانُ إخـوانِـه عـلـى حَـرَمِـهِ

قال ابن الرومي:

يَـدْخِـلُ فـي زوجَـتِـه ... أيـرَ سِـواه بـيَـدِه

قال ابن الحجّاج:

لـيَ حـرّيـف أفـديـه فـي كـلِّ حـالِ ... فـهـو واللهِ مِـن سـراة الـرِّجـال[١]
بـتّ مـع عِـرسـه وكـانَ هـو الـثَـا ... لِـثَ فـي لـيـلَـة تـسـودُ الـلـيـالـي
فـتـكـرهـت قـربَـهـا أي بـأنـي ... رجـلٌ لا أريـد غـيـرَ الـحَـلالِ
ورأى حـشـمَـتِـي فـقـال حَـبـيـبـي ... لـيْـسَ هـذا طـريـقُ نـيـكِ عـيـالـي
تـشـتَـهـي أن تـكـونَ فـي صـورة الـعبـ ... ـدِ وإلا فـي صُـورة الأنـذالِ
فـابـق إنـي رأيـت مـثـلَـك لا يـحـ ... ـرز فـي صـخـفـه طـيـورَ الـرجـالِ

● **مَنْ تعرّض لصاحبه فجاوبه بما فيه قذف حرمه**

قال الفرزدق لكثيّر وأراد أن يعبث به: أكانت أمّك بالبصرة وأنا بها؟ **قال**: لا ولكنّ أبي كان فيها مع أمك، وكان يكثر الثناء عليها ويقول رحمها الله تعالى، **فقال الفرزدق**: هذه عاقبة من تكلّم فيما لا يعنيه.

وقال الفرزدق لزياد الأعجم أتكلمت يا أقلف[٢]؟ **فقال**: ما أسرع ما أخبرتك أمك رحمها الله تعالى.

وقال ابن سمية للربيع بن قعنب:

لـقـد رأيـتُـك عـريـانـاً ومـؤتـزراً ... فـمـا عـلـمْـتُ أأنـثـى أنـتَ أمْ ذكَـرُ

فقال: لكن سمية قد علمت.

وقال إنسان لجرير: أنت تقذف المحصّنات، **قال**: لكن أمّك لا يصيبها من ذلك شيء.

وقال عمر بن عبيدة: متى عهدك بالزنا؟ **فقال**: مذ ماتت عرسك رحمها الله. **وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب رضي الله عنهما**: إن فيكم لشبقاً يا بني هاشم، **فقال** هو منّا في الرجال ومنكم في النساء. **وقال** مدني لمخنّث: مرّ بي ولاعبني كيف كنت يا أخي البارحة؟ فقال ما لقي إست أختك البارحة حتى تركت السوق وتمنيت الموت. ومرّ رجل بأكّار **فقال**: لو أن هذه المزرعة تنبت أيوراً أين كنت تقعد؟ قال كنت أعمد إلى حزمة فأجعلها في حِر[٣] أمك وأقعد مكانها.

---

(١) **الحريف**: معامله في حرفته. (٢) **أقلف**: لم يُختن. (٣) **الحرّ**: الفرج.

- **التعييرُ بالأكلِ مِن كَسْبِ امرأتِهِ**

قال شاعر:

جَـواريك أطْـعَـمْـنـكَ الـسـكّـرا ... وأنـزلْـنَـك الـمـنـزلَ الأكْـبَـرا

ولـولا جـواريـك مـا أطْـعـمـو ... كَ عـلـى قـبْـحِ وجْـهِـك إلا خـرا

وكان رجل له امرأة تتكسب وتطعمه فطلقها وتزوج عفيفَة فلم يجد ما كان يجده فذكر لها ذلك، فجاء يوماً فوجد طعاماً وشراباً فقال من أين هذا؟ **فقالت:** زارنا فلان فأكل وشرب وجامع وحمل إلينا طعاماً وشراباً وحلواء وهذا نصيبك. **فقال:** إذا تعاطيت مثل هذا فإياك وإخباري وتفاصيل ما يجري فإني غيور.

- **من ذكر حظوتَه عند حرْمة صاحبه**

قال منصور بن باذان:

لـئـن كـنـتُ عـنـدَك لا قـدْرَ لـي ... فـعـنـدَ عـيـالِـك فـي الـمـخْـنَـقَـه

وإن كـنْـتُ عـنْـدَك ذا تـهْـمَـةٍ ... فـإنّـي بـعـرسِـكَ عـيـنُ الـثـقَـة

- **مَنْ قَذَف امرأته برجلٍ فرأى حقيقة ذلك**

وقع بين مزبد وبين رجل خصومة **فقال** الرجل: أتخاصمني وقد نكت امرأتك كذا كذا مرة. فرجع إلى إمرأته **فقال:** أتعرفين فلاناً؟ **فقالت:** أبو فلان **فقال:** ناكك والله. **وقال أبو عمرو بن العلاء** أقبلت من مكة ومعي جمّال **فجعل يقول:**

يـا لـيْـتَ شـعْـري هـل بـغَـتْ عـلـيْـهِ

فسمع رجلاً يقول:

نـعَـم بـغَـت ونـاكَـهـا حـجـيـهِ

فرجع إلى إمرأته وقال لها أتعرفين فلاناً؟ **فقالت:** ما زال لنا متعهداً وفي حاجاتنا سريعاً فأحس بالشرّ فنظر فإذا الرجل في مقال: إذهبي فأنت طالق.

- **وصفُ المرأةِ الفاسدة**

تقول هي رقيقة الجافر وهي واسعة الحبل، **قال شاعر:**

ألـمّـا عـلـى دارٍ لـواسـعـةِ الـحـبْـل ... ألـوفٌ تـسـوّي صـالـحَ الـقـوم بـالـرذلِ

ولـو شـهـدَت حـجّـاجَ مـكّـةَ كـلّـهـم ... لأمسَوْا وكلُّ القوم منها على وضلِ

وقال:

ومـا هـي إلا نـظْـرةٌ وتـبـسّـمٌ ... فـتبذلُ رِجْلاها وتسْقطُ للجنْبِ

وقال:

فـلا تـكْـثـري قـوْلاً مـنـحـتُـك وذنـا ... فـقـولُـك هـذا لـلـفـؤادِ مـريـبُ

تـعـدّيـنَ مـا أولـيـتـنِـي مـنـك نـائـلاً ... وللقابس العجلان منكِ نَصيبُ[1]

وقال:

تـصـاحـبُ فـي الـيـومِ الـقـصـيـرِ ثـلاثـةً ... فـإن زادَ شـيـئـاً أكـمـلـتْـهـا بـرابـعِ

وكـنـتُ أسـمّـيـهـا الـنّـوارَ فـأصـبـحَـت ... لـديّ وقـد كـنّـيْـتـهـا أمّ جـامـعِ

● نوعٌ من ذلك

تشاجر رجلان من حمص في امرأتيهما أيتهما أحسن فرآهما القاضي فأقبل على أحدهما فقال نيك امرأتك في إستها أحب إلي من نيك امرأة هذا في حرّها فأقبل المحكوم له على رفيقه **وقال**: ألم أقل لك **وقال جرير للأحوص أنت القائل**:

يـقـرّ بـعَـيْـنـي مـا يـقـرّ بـعـيـنِـهـا

قال: نعم. **قال**: إنه يقرّ بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر أفيقرّ بعينك ذلك؟ **فأفحمه**.

قيل: لا يمنع مرعى عرسه من أباح حمى نفسه. وقيل لأعرابيّ هل بامرأتك حبل؟ **فقال**: لا أدري والله ما لها ذنب فتشول به وإني لا آتيها إلا ضيعة تمّ الحد ولله الحمد.

---

(١) **القابس**: من قبس أي أخذ.

الحدّ السادسَ عَشَر

في المجونِ والسُخْفِ

•

(١)

فمما جاء في اللواطةِ والإجارةِ والابنةِ والتخنثِ والدلكِ والدبيب والقيادةِ والزنا

•

• النهيُ عن اللواطَةِ

قال الله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾(١) ولعن النبي ﷺ الفاعل والمفعول به وقد أجرى كثير من الفقهاء فاعل ذلك محرى الزاني، وأمر أمير المؤمنين رضي الله عنه فيمن رؤي كذلك أن يرمى من سطح.

قال شاعر:

قـدْ أمـرَ الـلّـهُ فـلا تـعـصِـهِ   أنْ لا يـزارُ الـبـيـتُ مـن خـلْـفِـهِ

• المعير بها

كان أبو نواس مولعاً بأبي عبيدة النحوي فكتب يوماً على إسطوانة كان يستند إليها.

صلّى الإلـهُ على لـوطٍ وشيعـتِـه   أبـا عُـبَـيْـدةَ قُـلْ بـالله آمـيـنـا
لأنـتَ عندي بلا شَكٍّ زعيمُـهم   منذُ احتلمْتَ وقد جاوزت ستّينا

فلما رآه أبو عبيدة **قال لأحد أصحابه:** ويلك إصعد فوقي وحكه. فتطأطأ له فلما ثقل فوقه **قال:** أوجز **قال:** قد حككها إلا لوطاً. **فقال:** ويحك تركت المقصود وكتب لتوّه رقعه دفعها إلى علي بن عيسى:

وزعـمْـتَ أنّـك لا تـلـوطُ فـقُـلْ لَـنـا   هـذا الـمـهَـفْـهَـفُ واقِـفٌ مـا يـصْـنـعُ
شـهِـدَت عـلَـيْـك بـهِ شـواهـدُ ريـبـةٍ   وعـلَـى الـمُـريـب شـواهِـدُ لا تُـدْفَـعُ

فوقّع فيها:

إنّ الـفـؤادَ بـمَـن تـراه مـشـغَـفٌ   والـقـلْـبُ ذو حَـرَجٍ فـمـاذا أصْـنـعُ

ورأى يحيى بن أكثم في دار المأمون جماعة من صباح الغلمّان، **فقال:** لولا أنتم

---

(١) القرآن الكريم: الشعراء/ ١٦٥، ١٦٦.

لكنا مؤمنين. فرفع ذلك إلى المأمون فعاتبه، **فقال**: إنّ درسي كان انتهى إلى ههنا.

● الراغبُ عن النساء المائلُ إلى المُرْدِ

قيل لأبي نواس زوّجك لله الحور العين، **فقال**: لست بصاحب نساء بل الولدان المخلّدين، **قال شاعر**:

أنا الماجنُ اللوطيّ دِيني واحِدٌ　　　وإنّي في كسْبِ المعاصِي لرَاغِبُ
أدينُ بدينِ الشيخِ يحْيى بنِ أكثمٍ　　　وإنّي لِمَن يهْوى الزّنى لمُجانِبُ

وقال الأصمعي: رأيت شيخاً يطافُ به وينادي عليه: هذا جزاء من يلوط، والشيخ يقول: بخ بخ لا زنا ولا سرقة إلا لواطاً محضاً.

قال أبو نواس:

ولي قلَمٌ يكبو إذا ما حملتُه　　　على بطْنِ قرطاسٍ وفي الظهْرِ يعنقُ[1]

واجتمع الجرشي وسياه اللوطيان **فقيل** لأحدهما: ما بلغ من لواطك؟ **فقال**: أنيك كل ذكر. وقيل لآخر **فقال**: أدلك على كل ذكر **وقيل** لشيخ تعاطى اللواط: ألا تستحي؟ فقال أستحي وأشتهي.

قال شاعر:

إنّما الدنْيا طعامٌ　　　ومدامٌ وغُلامُ
فإذا فاتَك هذا　　　فعلى الدّنْيا السّلامُ

● تفضيلُ المردِ على النسوانِ

قيل لأبي مسلم صاحب الدولة: ما ألذ العيش؟ **قال**: طعام أهبر ومدام أصفر وغلام أحور. **وقيل له**: لِمَ قدمت الغلام على الجارية؟ **فقال**: لأنه في الطريق رفيق وفي الإخوان نديم وفي الخلوة أهل. **وقيل لعافية القاضي** لِمَ اخترت الغلام على الجارية؟ **فقال** لأنه لا يحيض ولا يبيض. **قال شاعر في معناه**:

ومأمونٌ بحَمْدِ اللّهِ منْه　　　الطمْثُ والحبَلُ

وقال بعضهم: الغلام استطاعة المعتزلة[2] لأنه يصلح للضدين يفعل ويفعل به والمرأة استطاعة المجبرة[3] لا تصلح إلا لأحد الضدين.

● الرغبةُ عن الغِلمانِ إلى النسوانِ

قيل لأعرابيّ: ما تقول في نيك الغلمان؟ **فقال**: أعزب قبحك الله إني والله لأعافُ الخراء أن أمر به فكيف ألج عليه في وكره. وسئل أبو عبيد الله المنتوف ما بال النائك في

---

(١) **يكبو**: يزلّ ويسقط ـ **يعنق**: يسرع، من العَنَق وهو السير السّريع.

(٢) **قوله**: استطاعة المعتزلة من باب الاستعارة للدلالة على مقصده.

(٣) **قوله**: المجبرة، أي الفرقة القائلة بالجبرية، وهي مناقضة للمعتزلة، واللفظة من باب الاستعارة أيضاً.

الإست أسرع فراغاً من النائك في الحِر فقال: إنك لو ألقمت خراء كنت أسرع قيئاً منك إذا شربت بولاً

قال محمد بن جعفر العلوي:

وكـمْ نـادَمْـتُ مِـنْ ذكَـرٍ وأنـثـى ... فـفـضَّـلْـتُ الإنـاثَ عـلَـى الـذّكـور

إلا أن الإنـــاثَ ألَـــذّ قـــربـــاً ... والـوَطُ بـالـقُـلـوبِ وبـالـصّـدورِ[1]

- **غلامٌ تشير إليه الرجال والنساء لِحُسْنِهِ**

قال أعرابي: فلان تنافس فيه عيون الرجال وتفتن به ربّات الحجال.

قال الخوارزمي:

مـــؤنّـــثُ الـــدلّ إلا أنّـــه ذكَـــرٌ ... لـمـسـلـمٍ وابـنِ هـانـي فـيـه شـرْطـان

وقال أبو نواس:

لـــهـــا مُـــحِـــبّـــان لـــوطـــيّ وزنـــاءٌ

ويصحّ أن يحمل على هذا قولُ الآخرِ:

تـنـافـسُ فـي عـيـونِ الـرجـالِ ... وتـعـثُـر بـي فـي الحُـجـول الـغَـواني[2]

- **تفضيلُ ذوي الخصي في التعاطي معهم على الخصيان**

قيل لأبي نواس: لِمَ تدفع إلى الغلام أكثر مما تدفع إلى الخصي؟ **فقال:** لأن مع الغلام بيدقين يدفع بهما الشاه في وسط الرقعة. **وقيل لآخر:** لِمَ ترغب في الخصيان؟ **فقال** لأني لا أركب الزورق بلا دقلٍ[3] وطلب رجل من بعض القوّادين أمرد فجاءه بجارية، **فقال:** لا أريدها. **قال:** أفتريد أحسن منها؟ **قال:** إنما أريد من تحته ذكر وخصيتان. **قال:** فَدُسْ في حرّها جزرة وعلّق عليها بصلتين، واحسب أنها ذكر وائتها في دبرها إن لم يكن لك غرض آخر.

- **المُتَعاطِي مع كلّ أحدٍ**

قال ابن الحجّاج:

الـنّـيْـكُ بـالـتّـمـيـيـزِ لا وجْـه لـهُ ... فـلا تـكُـنْ تـيـسـاً شـديـدَ الـبَـلَـه

إيّـاكَ تـسْـتَـقْـذِر شَـيـئـاً تَـرَه ... ونِـكْ ولـو كـلْـبـاً عـلـى مـزْبَـلَـه

قال الخوارزمي:

إذا فـاتَـه تـحـصـيـلُ ظـبـي مـقـنّـعٍ ... فـهـمّـتُـهُ تـحـصـيـلُ ظـبْـيٍ معـمّـمِ

---

(١) **ألوط:** ألصق.

(٢) **الحجول الغواني:** أي النساء من الحرائر والجواري.

(٣) **دقل:** خشبة طويلة في وسط السفينة.

يـصـيـدُ كـلا الـظـبْـيَـيْـن هـذا وهـذه حـنـيـفٌ ولـكـن فـعـلُـه فـعـل مُـجْـرمِ

قال ابن بسّام:

وأهـوى الـمـرْدَ والـشّـبّـان طـرّا ولا آبـى مـواصَـلَـةَ الـكِـعـابِ

وسأل بعض المتفاكهين رجلاً: إلى أي الجنسين تميل؟ **فقال:** إلى كليهما. **فقال:** أنت إذاً الغراب تأكل الخراء وتلتقط الحب.

● من رُؤِيَ من اللاطة متعاطياً فاحتجّ بآية

وجد مؤذن على ظهر صبي نصراني بالمسجد فقيل: ما تصنع؟ **فقال:** أليس الله يقول. ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ﴾[1] فأي موطيء أغيظ للكفار من هذا؟

وقيل لرجل حصل مع صبي على منارة: ما تصنع؟ **قال:** أبدل تكّته بتكّتي. ورؤي معلم ينيك صبياً قائماً **فقيل له:** لِمَ لَمْ تنمه؟ **فقال:** وقع عليه الفعل فانتصب. ورؤي آخر على ظهر غلام فقيل له ما تصنع؟ قال أردت أن أريه باب الفاعل والمفعول **فقالوا:** وماهذا الذي بينكما؟ **قال:** حرف جاء لمعنى.

وذكر رجل رجلاً فقال هو أبداً مضاف أو مضاف إليه. ورؤي شيخ ينيك أمرد قبيحاً **فقيل له فقال:** أنا اليوم شيخ أنيك مهما تيسّر. ورؤي شيخ في مسجد وتحته صبي فهجم عليهما فعدا الصبي فنظر الشيخ إلى متاعه منتصباً **فقال:** وتركوك قائماً.

● من فعل به من المردان وسئل فاحتجّ أنه كان هو الفاعل

أدخل الجماز غلاماً ففعل به فلما خرج الغلام **قال:** أدخلني الجماز لأفعل به. **فقيل:** ذلك للجماز، **فقال:** قد حرم اللواط إلاّ بولي وشاهدين.

وحُكِيَ عن بعضهم أنه أدخل صبياً فدفع إليه دريهمات وقال له انبطح. **فقال الغلام:** بلغني أن الغلمان يفعلون بك **فقال:** أما الفعل فلي وأما الدعوى فلهم، فانبطح وقل ما بدا لك.

● المتكسبُ بالإجارةِ والمحتجّ لها

فرّ غلام من حمص إلى بغداد فرأى كثرة الإجارة بها فاستردته أمّه لعمارة طاحونة له بحمص، **فكتب إليها:** يا أماه إن إستاً بالعراق خير من طاحونة بحمص.

قال ابن سكرة فيمن اكتسب مالاً بالإجارة فقطع عليه الطريق:

وضـــامِـــنُ الأقـــوات والأرزاقِ لا أفـــلَـــحـــت دراهِـــمُ الـــبـــزاقِ

---

(١) **القرآن الكريم:** التوبة/ ١٢٠.

وقال رجل لغلامه: يا مؤاجر، **فقال**: أنت صيرتني هكذا. ونحوه قال بعضهم لامرأته: يا واسعة، **فقالت**: أنت وسعتني بدهاوتك التي تحتك. **وقيل** لغلام: ما صناعتك؟ قال أنهدف للزناة، **قيل**: فما صبرك؟ قال أصبر من أرض على وتد. وقيل لمؤاجر في شهر رمضان: هذا شهر كساد؟ **فقال**: بقي اليهود والنصارى ومثلهما أحيل على مؤاجر بدراهم في شهر رمضان **فقال** للمحتال: إصبر إلى زمن الافتتاح يعني الإفطار. **قال الصاحب**:

صاحبُنا أحذقُ في الإجارةِ … من جعفرِ اليزديّ في التّجارة

وقال آخر:

له براحٌ في سراويلهِ … يزرعُ فيه قصَبَ السكّر[1]

● **المرخصُ السعر قبلَ طلوع اللحية**

كان أمرد رخّص سعره حين بقل[2] عذاره **فقيل**: له في ذلك، **فقال**: وتجارة تخشون كسادها.

قال شاعر:

تغيّرُ حسْنُ صورتِه البهيّة … وكانَ خروجُ لحيَتِه بليّة

وقال ابن طباطبا لأمرد قد شارف الالتحاء:

فبادِر بإحسان ينوبُ فقد نرى … بدائعَ شعَرٍ في عذارَيْكَ تطلعُ

وقال آخر:

قد انقضَتْ سوقُه فأرخَصها … وآخِرَ السّوقِ ترخصُ السّلعُ

● **طلب المردِ والنساءِ الدراهم**

أنشد بشار امرأة:

هل تعلَمِين وراءَ الحبّ منزلَةً … تدني إليك فإنّ الحبّ أقصاني

فأجابته:

نعَم علِمْتُ وخيرُ القولِ أصدقُه … بذْلُ الدّراهم يدني كلّ إنسانِ

من زادَنا النقْدَ زِدْنا في مَودّتهِ … ما يطلبُ الناسُ إلاّ كلّ رُجْحَانِ

وقال رجل لصبي كان يصحبه فتركه وصحب غيره: يا غدّار كيف تركتني وصحبت غيري؟ **فقال**: الدنيا قبّان والناس مع الرجحان.

وكتب غلام على تكته:

فقلْتُ يا قومُ على تكّتي … لكنّما مفتاحُها الدرْهَمُ

---

(١) براح: متسع من الأرض. (٢) بقل: ظهر.

المؤمنين فقائم على سوقه. وأما متاع أم جعفر فمسترخ. **وقال بعضهم**: احتمجت من الخديعتين يعني الأخدعين.

٥ ـ **كان عبد الله بن عوانة يقول**: الحمد لله واصطأفر الله، والله فأكبر، **وقال** المشي إلى بيت الله أعني به الطلاق الثلاث، ثلاثين حجّة. أحرار لوجه الله وسبيلي حبيس في دواب الله فقلت موفقاً إن شاء الله تعالى.

٦ ـ **قال رجل للرئيس بن العميد** إذا رأيت وجهك رأيت الباءة يريد البهاء **فقال** إذا وجهي سقنقور[1] أنشد عبد الله بن فضلويه:

قـيـامـة يـوم لا دواء لـه ... إلا الـطـلاء وإلا الـطـيـب والـطـرب

فقيل له: ويلك إنما هو يوم الحجامة[2] **فقال**: أعذروني فإني لا أعرف النحو ولبعض أهل خراسان:

أنـا شـذره أنـا هـذبـه ... أنـا زيـن الـخـطـبـون

ولـنـا بـاب اش هـشـت ... كـربـه بـسـيـبـرمـون

ولـنـا رهـوذة ... كـل يـوم دهـمـون

يـحـمـلـوه كـل يـوم ... ذي سـوى مـا يـطـبـخـون

وقال:

ولـنـا بـرج حـمـام كـان جـدي قـد بـنـى

فـيـه بـيـض وحـمـام ... ودجـاج ورنـا

أحـسـنـت والله أمـي ... حـيـن جـاءت بـأنـا

وقال رجل: لأعين الطبيب إني لأجد في بطني وجعاً لا أدري ما هو؟ **قال**: فخذ أيش هو، واجعل فيه ما اسمه ودقّه بقول أنت.

(١٨)

لعب الاعراب

●

● **البقيري** وهو جمع تراب يقطع نصفين ويقال خذ أيهما شئت.

● **وعظيم وضاح** عظم يرمي به أحد الفريقين فمن وجد من الفريقين ركب

---

(١) **السقنقور**: ضرب من الزحافات في البلاد الحارة، يقال له التمساح البريّ واللفظة يونانية.

(٢) **الحجامة**: المداواة بالمحجم وهو شيء كالكأس يفرغ من الهواء ويوضع على الجلد فيحدث تهيّجاً ويجذب الدمّ بقوة.

(٢)

ذمّ من التحى وكسدَ سوقُه واستُقبِحَ وجهُهُ

●

كان يقال: سبح الله أرضه من غير رضاه إذا التحى. **ويقال:** كساه أبو الحالك كساء أسود من نسج أم سويد.

قال ابن المعتز:

أنّى تَتيهُ وقد علا ... كَ الشعرُ في الخدّ القَحْلِ
وخرجْتَ من حدّ الظبا ... ءِ وصرْتَ في حدّ الإبلِ

وقال آخر:

الموتُ أهونُ من سوا ... دِ العارِضَيْن لمَن عرَف

وقال:

هلالي كانَ حينَ يُرى يُفدى ... فصارَ الآنَ حينَ يُرى يزني

وقال:

قد هربَ التقبيلُ من خدّ منْ ... يجري على عارضِه المِشْطُ

وقال آخر:

قفا نبك في رسْم الخدودِ الذّواهبِ ... منازلَ مُحِّتْ باللحى والشّواربِ

وقال أحمد بن أبي فنن يخاطب صاحباً له التحى:

الآنَ إذا لعبَ البلا بك زرتَنا ... هيهات ما يقرأ عليك سَلامُ

وقال علي بن حمزة الأصفهاني:

أيا عارضاً غطّاه مخلاةُ بغلةٍ ... حكَى شعرَها ليفا على جوزةَ الهندِ
كعثنونِ بكرٍ أنسلَ البقلُ زِقّه ... وشعرة أنثى من عَرينةٍ أو فَهْدِ[1]

● **المُتَعاطي مع ذوي اللِحَاء**

قيل لبعض الغلمان: ما حالك؟ **قال:** لا تسأل. مولاي ينيكني منذ ستين سنة بالحجة. **قال:** كيف ذلك؟ قال إنه ينيكني كل يوم فإذا قلت له أما تستحي قد كبرت وشبت؟ **يقول لي:** يا بارد كبرت من البارحة إلى اليوم. **قال جحظة:**

يقولُ لي يوماً وقدْ جئته ... تلوطُ بي بعْد الثلاثينا

---

(١) عثنون: لحية.

فـقـلْــتُ إن دمْــتَ كــذا طـيّــبـا   نـكْـنـاك مــن بـعْـدِ الـثـمـانِـيـنـا

قال أبو نواس:

فدونَـك مـغـشـراً عـظَـمَـت لـحـاهـمُ   وأشـرعَ فـيـهـم سـمْـرُ الـعَـوالـي

ولا تـعـدلْ بـهـم مـا دمْـت حـيّـاً   فإنّ الـعـيْـشَ في الـصّـهْـب الـسّـبالِ

- **من ازدادَتْ صبوتُه بالتحاءِ محبوبِهِ**

قال إبراهيم بن العبّاس:

وكـنْـتُ أرجّـي أنـه حـيـنَ يـلـتَـحـي   يـفـرّجُ أحْـزانـي ويـعـقِـبُـنـي صـبْـرا

فـلّـمـا الـتَـحـى واسـودّ عـارِضُ خـدّه   تـزايـدَتِ الـبـلـوى لـواحـدةٍ عـشْـرا

قال أبو تمّام:

قـالَ الـوشـاةُ بـدَت فـي الـخـدّ لـحـيـتُـه   فـقـلْـتُ لا تـكـثـروا مـا ذاك عـائـبُـهُ

الـحـسْـنُ مـنْـه عـلـى مـا كـنتُ أعـهـدُهُ   والـشّـعـرُ حـرزٌ لـه مـمّـن يـطـالـبُـهُ

فـصـارَ مـنْ كـان يُـلـحـى فـي مـحـبّـتـهِ   أن سـيـل عـنّـي وعـنْـه قـالَ صـاحِـبُـهُ

- **ذمُّ المائلِ إلى المُلْتَحِي**

قال شاعر:

مـن يـعـشـق الـمـردَ لـهُ حـجّـةٌ   وعـذْره فـي الـنّـاس مـبـسـوطُ

ولـسْـتُ أدري مـا يـقـولُ الـورَى   فـي حـبّ ذي الـلـحـيـةِ تـخـلـيـطُ

وقال أبو نعامة:

وإذا الـفـتـى حـامـى عـلـى ذي لـحـيـةٍ   وخـلا بـه فـوراءه تـخـلـيـطُ

وقال ابن أبي البغل:

تـعـشّـقُـكَ الـرجـالَ يـدلّ عـنـدي   عـلـى أن الـرحـى قـلـبَـت تِـفَـالا

وإلا فـالـصـغـارُ ألـذّ طـعْـمـاً   وأحـلَـى إنْ أردْت بـهِـم فَـعـالا

وقال أبو نوفل:

فـوالـلّـهِ مـا أدْري إذا مـا خـلـوتُـمـا   وأرخِـيَـتِ الأسْـتـارُ أيّـكـمـا يـعْـلـو

- **المتمكنُ من غلامٍ مطلوبٍ والتعريضُ به**

قال جحظة:

سـألْـتُـه حـوَيْـجـةً تـمـرّضـا   وكـانَ مـا كـانَ فـكـابَـدْنـا الـقَـضـا

احتال عبد الصمد على غلام حتى أدخله الدار وترفّق له حتى قضى منه وطره، **فقال:**

قـد عـلَـوْنـا عـلَـى الـكـفَـل   واسْـتـرَحْـنـا مـن الـخَـجَـلِ

لـــمْ يـــزَلْ فـــي تـــمـــنّـــعٍ ... وإبـــــاءٍ ولَـــــــمْ أزلِ
فـــبـــلـــغْـــتُ الـــذي بـــلـــغـــ ... ـــتُ بـــه غـــايـــةَ الأمـــلِ

وقال ابن الرومي:

يـا طـيـبَ الـثّـغْـرِ والـمـجَـاجَـه ... اقـضِ لـنـا حـاجَـةً بـحَـاجَـه
خـذْ مـن دنـانـيـرنـا وبـعْـنـا ... نـيـكـا ودعْـنـا مـن الـلـجـاجَـه
فـإنـمـا حـاجَـتـي إلـيـكـم ... حـاجـةُ ديـكٍ إلـى دَجـاجَـه

● **الميلُ إلى سُوْدِ الغلمانِ في التعاطي**

رؤي سياه ينيك غلاماً أسود فقيل في ذلك، فقال: الأسود طيب النكهة لين الأفخاذ ملتهب الجوف رخيص الجذر سريع الإجابة لأنك تدعوه لتنيكه فيظن أنك دعوته لينيكك، وقيل لبعضهم: لِم تختار السودان؟ فقال لأنهنّ أسخن. قيل: نعم للعين.

● **استعارتُك غلامَ صاحبِك**

كتب البحتري إلى صديق له كان تعرّض لغلامه فعاتبه:

نِـلْ غُـلامـي إن اتـخـذْتُ غـلامـاً ... واعـفُ إن الـمـعـروف كـانَ قُـروضـاً
وإذا مـــا أردتَ أن تـــمـــنَـــع الـــنـــا ... سَ ورود الـفُـراتِ كـنْـتَ بـغِـيـضـا

وبعث أبو سعد الشاعر غلامه إلى ابن مندوية فاحتبسه وكتب إليه:

أمْـسـى رسـولُـك رهْـنـاً لا فـكـاكَ لـه ... والرهْنُ في الحكْم محلوبٌ ومركوبُ
فـالـدرّ مـنـه حـرامٌ مـا نـطـيـفُ بـه ... والظّهرُ منْهُ على الأحوال مرغوبُ

ونحوه:

أفيضوا على عزابكم بنِسائكم ... فما في كتابِ الله أن يحرم الفضْلُ

● **تحاكمُ لوطيٍ ومؤاجرِ**

قال جرابُ الدولة: وافق غلام رجلاً أن أدخله بدرهمين وإن فاخذ بدرهم فدفع له درهماً وأدخله فيه فتحاكما إلى القاضي فقال الغلام: أيها القاضي أكريت هذا حماراً على أنه إن ذهب به إلى باب المدينة فعليه درهم، وإن أدخله المدينة فدرهمان. فدخل المدينة ولم يوفني الدرهمين. فقال الرجل: إني أتيت بالحمار إلى باب المدينة ولكنه دخل بغير إذني. فقال القاضي: زن الدرهمين فخير الأمور أوسطها.

ويقارب ذلك أن الجماز دخل مع غلام فلما قارب الفراغ فتح الغلام بين رجليه خوفاً على ثوبه فقال الجماز إنه كان شعراً حسناً ولكن قوافيه مطلقة.

● **الغلامُ الصبيح المنظر القبيحُ المخبرِ**

مر أبو نواس بغلام خفيف العجز حسن الوجه، فقال:

دنْـــيـــاه مـــا شـــئْـــتَ ولـــكـــنّـــه ... مـــنـــافـــقٌ لـــيـــسَـــت لـــه آخِـــرَه

ونحوه لسعيد بن حميد:

ظَبْـيـك هـذا حَـسَـنٌ وجْـهُـه ... ومـا سِوى ذاك فـمـنْـه يُـعـابْ
فـافـهَـمْ كـلامـي يـا أبـا عـامـر ... لا يشْبِهُ العنوانُ ما في الكِتابْ

● **المفاخذةُ**

قد تأول بعض المفسرين قول الله تعالى: إلا اللمم، على المفاخذة. أنشد محمد بن المنكدر قول وضّاح:

فـلـمّـا أبَـت مـا زلْـتُ أضـرَع جـاهِـداً ... وأخـبـرُهـا مـا رخّـص الله فـي الـلـمَـم

فقال: إنّ وضاحاً فقيه مفت في نفسه وأعطى رجل مؤاجراً درهمين فقال لا تدخله وضعه بين الفخذين، فقال: إن أيري بين الفخذين منذ خمسين سنة فما معنى إعطاء الدرهمين.

وقال بعض شيوخ بغداد إني حملت بالبصرة غلاماً إلى دهليزي فأردت أن أدخله فيه، فقال لا تفعل فإنّي مسحت على خفّي وأخاف أن ينتقض وضوئي. فعلمت بهذا أن الإتيان بين الفخذين لا يوجب الغسل عليهم.

ولأبي نواس:

كـأنّ فـخـذَيْـه إذا ضـمّـتـا ... والأيـرُ فـيـه عـقْـدُ عـشـريـنـا

وقال:

وغـلامٌ تـشـره الـنّـ ... ـفسُ إلـى حـلّ إزارِه
بـسـطـتـه سـورةُ الـكـأ ... سِ لـنـا بـعـدَ إزورارِه
فـأطَـفْـنـا بـنـواحـ ... ـيـهِ ولـمْ نـعْـرِض لـدارِه

● **المأبونُ المتلوّطُ**

دخل يحيى بن أكثم على المأمون فرأى عنده صبيح الوجه، **فقال له المأمون**: استنطقه وامتحنه. فقال له القاضي: ما الخبر؟ **فقال له**: الخبر خبران خبر في الأرض أنك لوطي وخبر في السماء أنك مأبون(١) فقال له المأمون وأيهما أصح؟ قال خبر السماء. فخجل يحيى وانقطع.

قال شاعر:

لـي صـاحـبٌ زعـمَ الـخـبـيـرُ بـأنّـه ... شـبِـقُ الـمـؤخّـر سـاكِـنُ الـقُـدّام
يـبـدي مـن الـحـمْـلان أكـلَ رؤوسِـهـا ... وهـواه فـي أكـلِ الـكـراعِ الـنّـامـي

قال الصاحب:

ولـوطـيّ كـمَـا زعـمُـوا ... ولـكـن هـهـنـا سـبَـبُ

---

(١) **المأبون**: المتّهم، الذي يزنّ بالعيب القبيح، من الأُبنة وهي العيب في الكلام والأبنة أصلاً العيبُ في الخشب والعود، والأبنة العقدة.

وقال:

يـظـهـر الانـعـاظَ والـعـسا دة مـنـه أن يـطـاطِـي[1]
والـذي يـشـهَـدُ يـذري مـن يـلِـي وجـهَ الـبِـسـاط

وقال:

جـمـعَ الـمـال صـغـيراً بـإسـتـه ثـمّ أعـطـاه عـلـيْـهـا فـي الـكِـبَـر

● **الاحتجاجُ للحلاقِ**

دخل مطيع على صديق له فرأى تحته غلاماً وفوقه آخر فقال ما هذا؟ **قال**: هذه اللذة المضاعفة. **وقال**: بعض المخنثين: زعم الأطباء أن **الطبائع أربع**: : الصفراء والسوداء والبلغم والدم وإنما هي عندي الأكل والشرب وأن تنيك وأن تناك.

وسئل بعضهم عن قول القائل إذا عزّ أخوك فهن. **فقال**: المعنى إذا لم ينم لك فنم له، **قال اليعقوبي**:

ولـقـد أكـونُ إذا الـشـبـابُ بـمـائـه طـوعَ الـصـبـا وشـفـاءُ كـلّ سـقـامِ
أيـامَ أمـشـي لـلـهَـوى عـرضـيـة وأُنـاكُ مـن خـلْـفٍ ومـن قـدّامِ
وأعـيـرُ مـن يـدْنـو إلـيّ صـبـابـةً وأبـيـتُ بـيـن غـلامَـةٍ وغـلامِ
فـأنـيـكُـهـا وأنـيـكُـه ويـنـيـكُـنـي لا تـرعَـوي لـمـلامَـةِ الـلـوّامِ

وقيل لماجن: ما تقول في خنثى له ما للنساء وما للرجال؟ **فقال**: يزوج من حلقى ينيكها وتنيكه.

● **المتبجّحُ بالابنة والمحتجُ لها**

عوتب ابن مكرم على حبّ غلام كان يعرف به فأهوى بيده إلى خلفه وقال:

أقـلّـوا عـلـيـهِـم لا أبـا لأبـيـكِـم من اللومِ أو سدّوا المكان الذي سدّوا

وقيل لرجل: تنبطح مع شرفك، ولا تأنف؟ **فقال**: ذو قوائم لوموا. **وقيل لبعضهم**: أيسرك أن تكون شاة في الجنة، **فقال**: بشريطة أن أحمل كل يوم إلى التيّاس.

وعوتب مأبون فقال لولا علّة الغرض؟ وسبب الغذاء لما باليت أن لا ينزل عني. **قال ابن المعتز في مأبون اشترى غلاماً**:

كـانَ يـسـتـدخِـلُ الأيـورَ حـرامـاً فـاسـتـقَـفَ الـفـتَـى بـأيـرِ حـلالِ

وانتهى رجل إلى دهليزه فرأى رجلاً قد امتطى مأبونا، **فقال له**: أتناك في دهليزي وجعل يكررها فقال له إلى كم تكرر ذلك، تعال إلى دهليزي ونك فيه عشرين مرة. وقيل:

---

(١) **الإنعاظ**: الشبق ـ **يطاطي**: **مخفّف يطاطىء**، أي يَنْحَني.

المأبون إن ابنك به ابنة فقال: المفتاح لا يخرج من بني شيبة.

• المائلُ إلى ما فيه مشابهةُ المَتَاع

قيل لمأبون: لِمَ لزمت هذا الغلام؟ **قال:** إن في أيره خمسة أسماء من العروض الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل. **قيل لمخنث:** أي الأسماء أحب إليك؟ **قال:** الزبير، لاجتماع زب وأير فيه. **وقيل:** أي الأنبياء أحب إليك؟ **قال:** لوط قيل فأي الفقه أحب إليك؟ **قال:** باب النكاح. قيل: فأي النحو.

قال: باب الفاعل والمفعول.

قال شاعر:

لا يـعـرفُ الـرفـضَ وأشـيـاعَـه ودبـرُه يـدعـو إلـى الـقَـائـم

• من رأى مفعولاً فاحتج بآبلةٍ

قال أبو العيناء للمعتصم: دخلت على أبي العلاء وغلامه على ظهره فسأله **فقال:** إنه يزعم أنه احتلم فأردت أن أمتحنه. **فقال المعتصم:** : قاتلك الله فما أقرأ بعدها سورة الممتحنة إلا ذكرته.

وذكر بعضهم أنه صعد قصر أحمد بن سياه فرأى شيخاً قد علاه رجل فأرسل عليهما لبنة فأصابت ظهر الرجل فقام وذهب وقام الشيخ يشد تكته، **ويقول:** أليس من الصواب أني كنت من تحت فلم تصبني اللبنة.

• المستدعي الفحل إلى نفسِهِ تَعْرِيضاً

كان سكران يبكي **ويقول:** لو عرفت قتلة عثمان. **فقال له مخنث:** ما كنت تفعل بهم؟ **قال:** كنت أنيكهم. **فقال المخنث:** أنا قتلته فامتطاه وجعل يقول يا ثارات عثمان، والمخنث **يقول** من تحته إن كنت وليّ الدم وهذه عقوبتك فإني أقتل كل يوم عثماناً.

وغضب رجل على مخنث، **فقال:** لأحملن عليك عشرة فشفعوا إليه حتى سكن فتنفس المخنّث **وقال:** لو قضى أمر كان، ومر الطائف فرأى مخنثين فأراد أن **يقول** خذوهما، **فقال** نيكوهما. ثم قال: أضربوهما. فقال له أحدهما سبقت الرحمة العذاب فلا ترجع.

• قَبْضُ المَتَاعِ باليدِ

دخل عرابَة المخنّث على رجل فرأى أيراً عظيماً فقبض عليه فقال له الرجل ماذا؟ فقال:

إذا مـا رايـة رفِـعَـت لـمَـجْـد

وقال آخر:

الأيـرُ لا يـخْـرجُ مـن قـبْـضـتِـهِ إلا إذا مـا صـار فـي فـقَـحْـتِـه

وقيل لبعض القضاة: ما تقول في القبض؟ قال أصحابنا: فيه على مذهبين والقبض أحب إليّ.

● **المبتلي بالابنة من الأكابرِ**

قيل أول من ظهرت به الابنة العزيز صاحب يوسف. وكان أبو جهل مأبوناً وكان إذا حزّ به الداء ألقم دبره حجراً، ويقول: واللات والعزى لأعلاك ذكر.

وكان بجالينوس ابنة فناكه غلام خلف حائط فطارت دجاجة ففزع الغلام وعَدَا، فقال جالينوس: دعني والدجاج فلأفينه، فما زال يصفه للمرضى حتى قطع أصله وصار طعاماً للمرضى إلى يوم التناد.

● **قبيح مبتلى بالابنَةِ**

قيل لمأبون: أنت مع قبحك من يرغب فيك؟ قال: الحمار إذا جاع أكل المكنسة. وقال عند الخنازير تنفق العذرة. وقال مأبون قبيح لرجل كبير الأير نكني واحداً وأعدده زكاة أيرك. وقيل نيك البغاء الكبير زكاة الأير.

● **صبيحٌ يمتطيه قَبيحٌ**

رأى مخنث رجلاً أسود ينيك غلاماً رومياً فقال: كان أيره في إسته كراع عنز في صحفة أرز قال بعض شعراء أصبهان: فيمن اتهم بغلام أسود:

وكأنه وكأنّ بشري فوقَه ... قطر تفزّعه غرابٌ أبقَعُ

● **المعير بالابنَةِ**

قال أبو العيناء في ابن مكرم: هو إذا غزا فمطية جنده وإذا قفل فظعينة عبده. قال شاعر:

عجبتُ من أمر فَظيعٍ قد حدَث ... أبو تميم وهو شيْخٌ لا حدث

قد حبس الأصلع في بيت الحدث

وقال:

أريتُه الأصلع من كمّي ... فحطّ عن كلّ حسابٍ له

كلّ خراجٍ ثابتٍ باسمي ... فبتّ ممنوعاً على رغمه

وبات منكوحاً على رغمي

وقال:

أراه فتى خاخان ما تحتَ ثوبِه ... فأعجبَه مقدارهُ فتمدّدا

إذا وضعَ الراعي على الأرضِ صدرَه ... فيوشِك للمعزى بأن تتبدّدا

ومر راكب فقال: أين دور آل الربيع؟ فقال له مخنث: مرْ مستقيماً فإذا رأيت بغلك قد أدلى فثم دورهم.

قال شاعر:

وبعثت غرمولي ليخدمَ بابَه ... وجعلتُه لدواتِه مخراكا

ثم اعتذرتُ وقلت لولا شِيبتي لخدمتُ في دار النّساء أولاكا

● **المعروفُ بالابنة تعريضاً**

قال ابن المكرم لأبي العيناء: أما ترى غلامي هذا كم أعطيه وماله شيء؟ **قال**: نعم كسب الكناسين لا بركة فيه. **وقيل**: فلان يخبأ العصا كناية عن الابنة، وفلان ينام بلا نيام ولا يحمي ظهره.

وكان حفص النحوي معروفاً بالابنة **فقال**: يوماً وعنده حمّاد عجرد: بلغني أن لهم أرماحاً منكوسة. **قال حماد**: أصح الحديث ما أخذ عن أهله. وعرض غلام على رجل فجعل يبالغ في تقليله والغلام يخجل فقال له النخّاس لا تخف إنك أنت الأعلى. **وقال سليمان لرجل**: بلغني أنك مأبون فقال مكذوب عليّ وعليك.

قال أبو تمّام:

إنّ في الكتّابِ شيخاً يشتهي في الجَوفِ داخِل
يا سليمانَ بنَ وهب في حرام المتغافِل

وقال:

أنا أعرفُ للقاضي الـ ـذي بقفصي بسامرّا
غلامَاً اسمُه حسنٌ يجرّ قناته جرّا

وأنشد أبو نعامة عمراً الحارثي:

يبخل الناسُ بني معقل وما بهم بخلٌ ولا لؤمُ
لكنّهم قومٌ إذا ما انتشَوا قالُوا لغلمانِهم قومُوا

فقال هذا يتصرف على معان ولكن أقواها أنه رماهم بالابنة.

● **مأبون**

عنين. **قال شاعر**:

أستُ أبي الحَارثيّ لوطيّةٌ وأيرُه في حفر عَنِين

وانقطع رجل عن امرأة طول ليلته **فقالت المرأة**: ما أحوجني إلى رجل ينيكني خمساً وينيكك عشراً فيكون للرجل مثل حظ الأنثيين. **فقال الرجل**: هو من الله بريء إن انقطع إلا شهوة لما تقولين.

● **التجافي عن المفعول به**

أُتِيَ بمأبون فعل به إلى بعض الولاة. **فقال**: ما أصنع أوكل به رجالاً يحفظون إسته إذا والله أكون في عناء. ورفع بعضهم إلى بعض الولاة فقال: ما ولاّني أمير المؤمنين حفظ الاستاه.

● **إفتخارُ المخنّثين بصناعتِهِمْ واعتذارُهُمْ**

قال مخنّث: نحن خير قوم إن حدثنا ضحكتم وإن غنينا طربتم وإن نمنا ركبتم. تلاقى

مخنث ولوطي فقال: أنا خير منك لأني فوق فأنا قريب إلى السماء. **فقال**: أنا أشد تواضعاً منك بلصوقي إلى الأرض.

● **ذمُّ ذي التخنيثِ**

كان مخنث يدخل إلى حجرة النبي ﷺ **فقال**: إن ملك النبي ﷺ الطائف آخذ ابنة نفيلة تقبل بأربع وتدبر بثمان، **فقال له النبي ﷺ**: أو تعرف ذلك فطرده.

قال شاعر:

إذا كانَ الفتى حسَناً جميلاً ... وكان مخنثاً فسُدَ الجَمالُ

وقال:

تحلوا بآداب النساء وصفّفوا ... شعورَهم واستسمنُوا وتخدّروا

قال الصاحب:

قلْ لأبي الفتح أيا قحبة ... تزني فلا تطلُب قوادَه

شبهت بي نفسَك من ذا الذي ... قاسَ ابنَ عبّاد بعبّادَه

(٣)

النهيُ عن الدلك والرخصَةُ فيه

●

قال النبي ﷺ: سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ويدخلهم النار مع الداخلين: الناكح يده، والفاعل والمفعول به، والناكح حليلة جاره، والمدمن الخمر والضارب والديه.

وقد رخّص بعض العلماء لمن اضطر إلى ذلك في سفر فلمس متاعه حتى سال منه ما كان يؤذيه، **فقال**: لا بأس به.

وحُكِيَ عن أحد صاحبي أبي حنيفة أبي يوسف أو محمد لا بأس أن يأخذ المضطر حريرة فيمسحه بها حتى ينزل.

قال شاعر:

إذا حللتَ بأرضٍ لا أنيسَ بها ... فاجلدْ عميرَة لا عارٌ ولا حرجُ

وقال:

إذا امتحنت بعدمٍ وابتليتُ به ... فاجلُد عميرَة حتى تنقَضِي المِحَنُ

● **نوادرُ في الدَلْكِ**

نظرت امرأة أشعب إليه وهو يجلد عميرة فعاتبته **فقال**: كانت عميرة خيراً منك فما

أصنع؟ ودعاها إلى الطعام **فقالت**: أنا لا آكل مع ضرّتي. ودخلت امرأة مرتد عليه يوماً وهو يصب الماء عل رأسه **فقالت**: ما هذا؟ **فقال**: جلدت عميرة. ودخل عليها يوماً فوجدها تغتسل فسألها فقالت جلدتني عميرة. وكان رجل هجمه الحر فاستند إلى جدار دار فانعظ فجلد عميرة فأشرفت جارية فرأته فكتبت إليه رقعة:

يعزّ على البيض الأوانسِ كالدمَا وقوفُك بيْن البابِ والدارِ تصلجُ
تقلّبُ أيراً ليْس للعيْر مثلُه وهنّ إليْه من نسائِك أحوجُ

وقيل لرجل يدلك: ما تصنع؟ قال أرفق المعيشة. **وقال بعضهم**: رأيت أعمى يجلد ويقول فديتك يا سكينة فأخذت خشبة ولوثتها بعذرة ومسحت بها شاربه **فقال**: فسوت يا سكينة.

● **المباذلةُ**

قال الجماز لم يبق من العدل إلا المباذلة.

قال راشد:

إذا ضاقَتِ الأيْدي وأعوزَ نقْدُها رأينا ابتياعَ النيكِ بالنيْك أجملا

قال الجمازُ:

فنك المردَ فمَا مِن لذّةٍ حصَلَت ما لمْ تنكهُم وتنَك

● **المتوسطُ بين متباذلين**

قال الخبزارزي:

أتنشطُ للوصْل يا سيّدي فإنّ الحبيب لهُ قد نشَط
أحبّ اجتماعَكما في الهوى عسَى الله يصنَعُ لي في الوسَط

وله يخاطب صبيين:

وتعلَما أن الحذيا حقٌّ من أضحَى وزيراً في البذال وحاكَما

● **الدبيبُ**

قيل لمحمد بن زياد: أنفقت على جارية فلان خمسة آلاف دينار وكان يمكنك أن تحصلها شراء بألف دينار، **فقال**: يا أحمق وأين شهوة الدبيب ولذة المسارقة والانتظار الخفي وأين برد الحلال وفتوره من حرارة الحرام؟ ألم تسمع إلى **قول أبي نواس**:

ألذّ النيْكِ ما كانَ اختِلاساً بمَنعِ الحِبّ أو منعِ الرقيبِ

وأضاف الفضل بن عتبة رجلاً فدبّ على جارية فلما تمسح لدغته عقرب فصاح، **فقال الفضل**:

وداري إذا نامَ سكّانُها أقامَ الحدودَ بها العقربُ

إذا غـفـلَ الـنّـاسُ عـن ديـنِـهـم فـإنّ عـقـاربـهـم تـغـضـبُ

ودب إنسان على إنسان فانتبه وفي إسته أيره فقال: ما هذا؟ فقال: والله الذي لا إله إلا هو ما علمت ولكن من هنا تمّم النعمة واجعلها عندي يداً. ودبّ رجل إلى الجمّاز يظنه أمرد فانتبه فناوله بزاقاً وقال: مرّ في سفرك فستحتاج إلى هذا إذا انقضى بك السفر يعني أنك ستنبطح.

● **نيكُ البَهَائِم**

في الخبرَ أنه لعن من يتعاطى مع بهيمة وقال ابن عباس: اقتلوا مواقع البهيمة مع البهيمة. قال عباد: فقلت لعكرمة: فما بال البهيمة؟ قال: لئلا يقال هذه البهيمة التي واقعهما فلان ناك رجل كلبة فعقدت عليه وجعلت تعدو والرجل يتبعها، فقال له رجل: عضّ[1] جنبيْها وأضربها ففعل فأفرجت له. فقال له: لله درّك أيّ نياك كلاب أنت.

ورؤي شيخ ينيك أتانا في يوم الجمعة وهي تضرط وهو يصلّي فقيل له، فقال: ألا أشكر الله على أير يضرط الأتان. وسئل ابن الأعرابي عن قول الشاعر:

إذا مـــا ولـــدوا شـــاةً تـــنـــادَوا أجـــديٌ تـــحـــت شـــاتِـــكَ أمْ غـــلامُ

قال: إنه يعيرهم بنيك البهائم. أخذ فتيان بني كلب الفرزدق فأتوه بأتان فقالوا أنكحها كما كنت تعير ابن الخطفي فقال إنْ كان ولا بد فائتوني بالصخرة التي كان يقوم عليها فضحكوا وخلّوا عنه.

● **النهيُ عن القيادة والرخصةُ فيها**

رُوي عن النبي ﷺ: يتاب عن الزاني ولا يتاب عن القوّاد. وروي في الخبر أنه أخذ رجل كان يجمع بين الرجال والنساء فقال: ما لكم ولمن يجمع بين الصديقين فيرخي عليهما ستره وفي بيته استراحة الأحرار وذوي الأقدار. والعرب كانت تسمّي القوادة أم الحكيم لأنها تأتي الصعب فتسهله والقريب فتبعده.

● **الحاذِقُ في القِيَادَةِ**

سمع رجل قول عمر بن أبي ربيعة في قوادة:

فـبـعـثـنـا طِـبّـةً عـالـمَـةً تـخـلـط الـجـدّ مـراراً بـالـلـعِـبِ
تـرفـعُ الـصـوتَ إذا لانَـت لـهـا وتـداري عـنـد ثـوران الـغـضَـبِ

فقال: لو ادعت النبوّة بهذا الخلق تسلّم لها. وسمع ذلك ابن أبي عتيق فقال ما أحوج الناس إلى خليفة مثلها. قال شاعر:

فـي فـمِـهـا مـن رقـي إبـلـيـس مـفـتـاحُ

---

(١) عضة عضها: كذب، وعضه الرجل شتمه صريحاً، وأعضه أيضاً جاء بالإفك والبهتان.

وقال:

لا يغرنك في مجلسه طول السكوت
وتسابيح أديرت في يديه بخفوت
أن يشا ألف ضبا حسن تأليف بحوت
ويقود الجمل الصعب بخيط العنكبوت

وقال:

إذا هويت يا أخي عتاده من الغواني صعبة المقاده
فابعث لها عجوزة قواده كالحسن البصري أو قتاده
تلوح في جبهتها سجاده

وقيل: هي أقود من ظلمة وكانت امرأة قوادة أوصت إذا هي ماتت أن تحرق وتجعل في صرة فيذر منها على ختان الصبي فيلتحم وعلى أخراء الصبيات فإنهن يلهجن بالزب ما عشن. وقيل أقود من ليل بهيم ومنه:

الشمس نمامة والليل قواد

وقيل لرجل: ما بقي عندك للنساء؟ قال: القيادة عليهن. وقيل لآخر: ما بقي عندك من آلة الزنا قال البصاق.

● **نوادرُ في القيادةِ**

سمع أبو الهذيل رجلاً ينشد:

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السوادِ المُقبلِ

فقال: أوشك أن تكون هذه دار قواد أو خمار.

وأخذوا مخنثاً جمع بين شريف وشريفة فخلوهما وحملوا القواد إلى السلطان فسئل فقال: هؤلاء وجدوا طائرين في قفص فخلوا الطائر وحبسوا القفص.

● **المعيَّر بالقيادةِ**

قيل لرجل: يا قواد فقال: قدمت على أمك ليس هذا عذراً لك. قال أبو نواس:

كل عن حمله السلاح إلى الحرب فأوصى المقيم أن لا يقيما

وقيل لأبي عون قد بنى المتوكل بناءين سماهما الشاه والعروس، فقال: فرغ من حمل ذكران الناس على الإناث، حتى صار ينايك بين الأبنية.

● **حظرُ الزِنا واستباحتُه**

أما الزنا فمجمع على تحريمه وجاء أبو كثير الهذلي إلى الرسول ﷺ فسأله أن يحل

له الزنا فقال: أتحب أن يأتي إليك في جرمك مثل ذلك؟ قال: لا ثمّ قال فادع الله لي أن يذهب منّي الشبق فدعا له. فقال حسّان:

سألت هذيلُ رسولَ الله فاحشةً ... ضلّت هذيلٌ بما قالَت ولم تصبِ
سألوا فيهم ما كان مخزيهم ... حتّى الممات وكانوا غرّة العربِ

(٤)
وممّا جاء في السوأتين والجماعِ

●

● **جَوْزُ ذكرِ السوأتين والجماعُ واستحباب الكناية عنهما**

قال ﷺ: من تعزّى بعزاء الجاهلية فأعضوه[١] بهن أمّه ولا تكنوا. ورأى ابن عباس رجلاً يتظلف[٢] عن ذكر السوأتين فقال إن تصدق الطير ننك لميسا. ودخل في الصلاة يريه أنّ ذكر ذلك مما لا يحرج.

وقال محمد بن سيرين في قوله تعالى وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً أي إذا ذكروا الفُرُوج كنَوا عنها. وكثرا استعمالهم الكنايات في ذكره نحوهن، وذكر، وسوأة.

ويقول البغداديون في الكناية: أبو أيوب، وسمّت العرب فرج المرأة أبا ادراس وذلك من الدرس وهو الحيض.

● **قُوَةُ الأير على العملِ**

سمعت أعرابية رجلاً ينشد:

وأنعظُ أحياناً فينفذ جلده ... فأعذلهُ جهدي وما ينفع العَذْلُ[٣]
فأدخِلهُ في جوْف جاري وجارتي ... مكابرةً منّي وإن رغمَ الفحْلُ

فقالت: بئس والله جار المغيبة أنت فقال: والتي معها زوجها وأبوها وأخوها وأنشد بشار:

عجّل الركوبَ إذا اعتراه نافضٌ ... وإذا أفاقَ فليس بالركابِ
فتراه بعْد ثلاث عشرة قائماً ... مثلَ المؤذن شكّ يوم سحابِ

وقيل: أنكح من خوات وهو صاحب ذات النخيين، وأنكح من ابن العزّ وهو الذي أنعظ فجاء بعير فاحتكّ بأيره يظنه جذلاً[٤] وقيل: أير كعصا البقار، ومنه يحمل أيراً مثل أير البغل.

---

(١) **عضه عضها:** كذب، وعضه الرجلَ شتمه صريحاً وأعضه أيضاً جاء بالإفك والبهتان.

(٢) **يتظلف عن كذا:** يترفّع ويتبعد. (٣) **أنعظ (الرجل):** اشتهى الجماع.

(٤) **جذلاً:** الجذل عود ينصب للإبل الجربى لتحتكّ به، وبالتصغير جُذيل، وفي المثل أنا جذيلها المحكّك، أي هو صاحب رأي يستعان به.

وقال:

يحمل أيراً مثل جُردانِ الجمَل　　لو دسّ في متن صفاةٍ لدَخَل[١]

وقيل إن جعفر بن يحيى الصيرفي خرج من الدنيا وما نكح امرأة بكل أيره وقيل أعظم الأيور أير الفيل وأصغرها أير الظبي. وكان لابن عمر أربع نموة وثلاثون جارية وربما طاف عليهنّ في ليلة.

● **النعظ**

قيل: أنعظ من بلبلة الإبريق. قال حسنويه:

أنعَظ حتى كأن فقحته　　مجموعةٌ في زيار بيطارِ[٢]

كأنه والأكفّ تلمَسُه　　عنقُ ظليم بغير منقارِ[٣]

وقال سهل بن هارون: ثلاثة يعودون إلى حال المجانين **السكران والغضبان والغيران** فقال بعض أصحابه وما تقول في **المنعظ فضحك وقال**: وما شر الثلاثة أم عمرو.

● **تمنّي عظم المَتَاع**

قال أبو سعيد راوية بشّار رأيت بشّاراً يوماً وهو يضحك **فسألته فقال**: تفكرت في شيء ليس على وجه الأرض رجل إلا يودّ أن أيره أكبر مما عليه ولا امرأة ألا تود أن حرّها أضيق مما هو عليه ولو أُعطِيَ كل واحد طلبته لبطل التناكح فمنع سؤليهما لطف من الله تعالى.

وحكى المعروف بابنة الجن المخنّث ليس في الأرض رجل إلا وهو يتمنّى لامرأته أير الحمار قيل: **وكيف ذلك؟ قال**: لأنه يتمنّى أن يصير أيره كأير الحمار ينكح به امرأته.

وقال مديني: اللهم أرزقني أيراً سداه عصب ولحمته قصب ولا يصيبه تعب ولا نصب، وينيك من رجب إلى رجب.

وكان بعض الكبار **يقول**: اللهم قوّ أيري فإنه به قوام أهلي. وتفاخر قوم بكبر الأيور، **فقال أعرابي**: لو كان كبر الأير فخراً لكان البغل من قريش.

وقيل لبعضهم: أتحب أن يكون لك أير كبير؟ **قال**: لا، لأن منفعته تكون لغيري وثقله عليّ.

● **إستعظامُ قَدْرِ الأير**

رأى مخنّث قادماً من بعيد فظنّه أمرد فلما دنا منه **قال**: يا ناقص هذا صلف من له أربعة أيور وأنت فارغ السراويل ورأى مخنث رجلاً يتبختر **فقال له**: **أعلويّ أنت أم قرشي؟**

---

(١) **الجُردان (بالضم)**: القضيب من ذوات الحافر، وقيل هو الذكر والجمع جرادين ـ **الصفاة**: الصخرة.

(٢) **زيار البيطار**: عبارة عن خشبتين يضغط بهما البيطار جحفلة أو شفتي الفرس ليتمكن من بيطرته.

(٣) **الظليم**: ذكر النعام.

قال: أنا فوق ذلك إني أير فقال: تبختر ثم تبختر. وسمع مخنث رجلاً يذم ابنه ويقول: ومع ذلك له أير في طول المنارة فقال ابنك كله فضيلة وأنت لا تشعر. ونظر آخر إلى قبيح كبير الأير فقال: ياشين ما علق عليك هذا الرين. ونظر آخر إلى كبير الأير كثير الشعر فأخذ يبكي ويقول: أنظروا إلى الخليفة في القطيفة.

قال شاعر في أير:

تـهْ عـلـى الـنّـاس جـمـيـعـاً   وتـقـدّمـهـم بـأيـرِك
نـال مـوسـى بـعـصَـاه   فـوقَ مـا نِـلْـتَ بـأيـرِك

● مفاخرةُ الرجلِ والمرأةِ بسوأتيهما

قال المتوكل يوماً لعبادة وزكوية: تسابقاً فأيكما سبق فله كذا فسبقت زكوية فقال المتوكل لعبادة: سخنت عينك تسبقك امرأة فقال: هي تعدو ببدَادَين[1] وأنا أعدو بخرجين وعلاوة. وقالت جارية لمخنث ما أعظم بليّتي بك! قال: بليتك بحرك أعظم سود وجهه وشق وسطه وقطع لسانه وحضر إلى جانبه كنيف.

رأت صبية صبياً كشف لها عن أيره فقالت: من طوقه؟ قال: أبي. قالت: فمن خرقه؟ قال: أبي. قالت: فمن عرقه؟ قال: أبي فكشفت عن حِرها وقالت: لعن الله أبي ما زاد على أن شقه وتركه.

● المستفتي في سوأته عالماً سخفاً

سئل الأحنف: ما بال إستاه الرجال عليها شعر وإستاه النساء لا شعر عليها؟ قال: لأن إستاه الرجال حمى وإستاه النساء مرعى وسئل مخنث مابال هن[2] المرأة ينبت أسرع من الرجل؟ فقال لقربه من السماء ويسقى من فوقه. قيل لقطرب: أيهما أسرع على المباضعة الأير أم الحِرّ؟ فقال:

فـوالـلّـهِ مـا أدري وإنّـي لـصـادقٌ   الأيـرُ أدنـى لـلـفُـجـور أم الـحِـرُ
فـقـد جـاءَ هـذا مـرخـيـاً مـن عـنـانـهِ   وأقـبـل هـذا فـاتـحـاً فـاه يـهـدُرُ

● اختيارُ المرأةِ أيراً دون أير

قالت ابنة الكميت لأمها: أي الأيور أحب إليك؟ قالت: أير فرس في حرارة قيس في لين فنك[3] في استدارة فلك في حقو[4] رجل صمك وقالت جارية: ما شيء أحب إليّ من

---

(١) البداد: البراز والأقران.

(٢) هنُ المرأة: فرجها وفي المثنى هنان وقيل هنانان والأصل هَنو بحذف الواو.

(٣) الفَنَك (هنا): حيوان صغير طوله بحدود أربعين سنتمتراً وفروته من أجود الفراء.

(٤) الحقو: الحضر ـ الصمك: القوي الشديد والغليظ الجافي.

رجل ينيكني بأيره في حري وخصيته تدق على باب إستي فتهيج شهوتي.

● وصفُ المتاعِ على سبيل اللغزِ

سأل خلف الأصمعي عن قول الشاعر:

ولقد غدوتُ بمشرق يا فوخه ... عسرُ المكرّة ماؤه يتدفّقُ

مرحٌ يسيلُ من النشاط لعابُه ... ويكادُ جلدُ أهابِه يتمزّقُ

فقال: يصف فرساً، **فقال**: أرانيك الله على مثله. ووقف أعرابي ينشد بكراً على جماعة **فقال**: من عرف بكراً أحمر في عنقه علاط[1] وفي أنفه خزام[2] يتلوه بكرتان سمراوتان وإن أقرب عهد العاهد به الليلة؟ **فقالت جارية**: ما عنيت بذلك إلا ما ضمّه سراويلك.

وقال مخنث لأعرابي: هل لك في شيء أسفله زرع وأعلاه ضرع وليس بباذنجان ولا قرع. **فقال**: على هذا لعنة الله.

● وصفُ الحِرِ بالضّيقِ والحرارةِ

سئلت بنت الحسن أي الأحراح أطيب؟ **فقال**: الذي إذا دخلت فيه غصّ وإذا أخرجت منه مصّ. ووصف رجل امرأة. **فقال**: أحرّ من الحمام وأمصّ من الحجّام.

قالت امرأة:

إن حِري أضيقُ من تسعين ... يمصّ مصّ الحاجم المكين

وقال ابن الرومي يصف سوداء:

لها حِرٌ تستعيرُ وقدتَه ... من قلبِ صبٍّ وصدرِ مختنِقِ

يزدادُ ضيقاً على المِراس كما ... تزدادُ ضيقاً أنشوطَة الوهَقِ[3]

أخذه من قول النابغة:

وإذا لمَسْتَ لمستَ أجثمَ جاثِماً ... متحيّزاً بمكانِه ملءَ اليَدِ[4]

وإذا طعنْتَ طعنْتَ في مستهدفٍ ... رابي المجسّة بالعبيرِ مُقَرمَدِ[5]

وإذا نزعْتَ نزعْتَ عن مستحصفٍ ... نزعَ الحَزوّرِ بالرشاءِ المحصَدِ[6]

---

(١) العلاط: حبل يجعل في عنق البعير. (٢) الخزام: حلقة يشدّ بها الزمام.

(٣) الوهق: الحبل.

(٤) الأجثم: المرتفع والغليظ ـ المتحيز: المرتفع بالقياس إلى ما حوله.

(٥) المستهدف: البارز والناتىء ـ بالعبير مقرمد: أي مطلي بالزعفران.

(٦) المستحصف: الضيق ـ الحزوّر: ذو القوّة ـ الرشاء: الحبل والمحصَد: أي الحبل المفتول.

● الواسعةُ الباردةُ

وصف أعرابي امرأة **فقال**: مفازة مكّة في سعتها ثقب عفصة وبلح همدان عند بردها حرّ مكة وسئل عمر بن عثمان عن جارية اشتراها **فقال**: فيها خصلتان من الجنة البرد والسعة. **وللصاحب**: وفلانة وصفت بأنها في الضيق كوز فقاعه فكشفتها في الخلوة عن ذيل دراعه الناجم، يشبه عندي بربخا[1]، مركباً في مخرج.

وقال رجل لجارية: ما أوسع حرك! **فقالت**: فديت من كان يملأه، **ثم قالت**:

وقـالَ لـمّـا خـلَـوْنـا أنـتِ واسـعَـةٌ   وذاكَ مـن خـجَـل مـنّـي تـغـشّـاه

فـقـلْـتُ لـمّـا أعـاد الـقـول ثـانـيـةً   أنـتَ الـفـداء لـمَـنْ قـد كـانَ يـمْـلاه

وقال ما جن لجارية لأنيكنك بأير مثل صومعة حصين. **قالت**: إذاً والله أمكنك من حر مثل صحراء نجد ثم. **قالت**: تفتخر بحرِها:

تـدلّ بـطـولِ الأيـرِ مـنْـك وعـرضِـه   ولي كعثب أخفيكَ في شطْر بعضِهِ[2]

ولـو أن عـوجـاً فـوقَ فـيـلٍ فـأقـبـلا   إلـيْـه لـمـرّ الـفـيـل فـيـه بـركْـضِـهِ

وقال أبو زيد الكتاف: بقيت زماناً لا أجد امرأة تستوعب ما عندي فظفرت بواحدة فجعلت أدخله شيئاً فشيئاً حتى أوعبته ثم قلت: أخرجه، **فقالت**: سقطت بعوضة على نخلة فلما إن أرادت الطيران **قالت**: استمسكي لأطِيرَ، **فقالت النخلة**: ما شعرت بوقوعك فكيف أشعر بطيرانك.

ذهـبَـتْ والـلّـهِ نـفـسـي   فـيـكَ يـا أحـمَـق فـكـرا

إنـمّـا طـولُـك فـتْـرٌ   كـيـفَ تـسـتـوعِـبُ شـبـرا

وقالت امرأة لرجل جامعها وأبطأ الفراغ: أفرغ فقد ضاق قلبي **فقال**: لو ضاق حِرُك لكنت أفرغت منذ زمان. ورأى رجل رجلاً يبول بأير حمار **فقال له**: كيف تحمل هذا الأير؟ **فقال أكبير هو قال**: نعم **قال إن امرأتي تستصغره**.

● احتلامُ المرأةِ بغيبةِ الرجلِ

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يطوف بالمدينة فمر بامرأة من نساء نجد **تقول**:

تـطـاولَ هـذا الـلّـيـلُ تـسـرى كـواكـبُـه   وأرّقَـنِـي أن لا خـلـيـلَ أُلاعـبُـه

فـوَالله لـوْلا الـلّـهُ والـعـارُ بـعْـده   لـحـرّكَ مـن هـذا الـسـريـر جـوانـبُـه

ثم تنفست **وقالت**: هان على ابن الخطاب وحشتي في بيتي وغيبة زوجي عنّي فلما

---

(١) **بربخ**: مجرى من الخزف للماء.

(٢) **الكعثب (هنا)**: الفرج، والكعثب الرّكب الضخم، **وامرأة كعثب**: ضخمة الرّكب.

أصبح بعث إليها نفقة وكتب إلى عامله بردّ زوجها، وسأل ابنته حفصة ما قدر ما تصبر المرأة قالت: أربعة أشهر.

● المتعرضُ للنكاحِ تعريضاً وتصريحاً

كانت رقاش بنت عمرو بن الصلت عند كعب بن مالك فقال لها يوماً: إخلعي درعك. فقالت: خلع الدرع بيد الزوج. فقال لها: تجرّدي فقالت: التجرد لغير النكاح مثله. وقال رجل لجاريته: نأكل ثم ننيك فقالت: بل ننيك ثم نأكل، فاستملح ذلك منها.

وكتبت امرأة إلى صديقها:

عـجّـلْ فـقـد أمـكَـن الـزمـانُ ... وبـادرِ الـوصْـلَ يـا جـبـانُ
بـادِرْ فـإنّ الـزمـانَ غـرٌ ... مـن قـبـل أن يـفـطِـنَ الـزّمـانُ

ونتفت امرأة وكتبت إلى صديقها:

فديتُك سهّلتُ السبيلَ الذي أشتكى ... جوادُك فيه للحَفا من خشونتِهْ
فإنْ كنت تهوى أن تزورَ جنابنَا ... فلا تبطِ عنّا فالهِلال ابنُ ليلتِهْ

وقالت جارية ابن سيرين له يوماً: كنْ وقدّم النون. فقال: الساعة وبعث هشام إلى عبدة بنت عبد الله بن معاوية وكانت غضبى فلم تجبه فجاءت جارية له فكشفت جانب ستره وقالت: أما من استغنى فأنت له تصدّى وما عليك أن لا يزكّى. وأمّا من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهّى، فاستحسن ذلك ودعاها.

وكان رجل يعشق جارية فاجتمع بها ليلة فجعل يعاتبها فقالت: يا جاهل دع العتاب للكتاب واجعل قميصي مخنقتي. وقال رجل لجارية ما إسمك قالت أناك قال من خلف أم من قدام حلال أم حرام قالت كيف شئت كما شئت. وقال أبو العيناء: اشتريت جارية فقعدت يوماً بجنبي فجعلت أقبلها وأترشّفها الاّ أزيد على ذلك. فقالت: أتحفظ لأبي نواس:

حـدّثـنـا الأشـيـاخُ فـيـمـا روَوا ... أبـو زيـاد شـيـخُـنـا عـنْ شـريْـك
لا يـشـتَـفـي الـعـاشِـقُ مـمّـا بـه ... بـالـضـمّ والـتـقـبـيـلِ حـتّـى يَـنـيـك

وكان للرشيد مائتا جارية تبلغ النوبةُ إلى كلّ جارية في مائتي ليلة فصعد ليلة فإذا جارية تغنّي:

ألا يـا دارُ كـم تـحـويـنَ ... مـن كـس ومـن غـلـمَـه
ألَيـرّ واحـدٌ يـشْـفـي ... تـراه مـائـتَـي حـرمَـه
مـتَـى يُـصْـلـحُ طـبّـان ... ضـعـيـفٌ مـائـتَـي ثَـلْـمَـه

فاستدعاها واستعاد أبياتها وقال: نزيد في زيارتك. فقالت: لا أريد أكانت كما قال أبو حكيمة:

أتـت بـجـرابـهـا تـكـتـالُ فـيـه ... فـقـامَـت وهـي فـارغـةُ الـجـرابِ

فقال: لا بل لا نرد الجراب فارغاً وقام فواقعها وقال لها: يا لخنا[1] جعلتني طيانا ضعيفاً **فقالت**: لو لم أجعلك هكذا لم آكل هذا الرغيف على هذا الجوع الصادق.

واستعرض رجل جارية **فقال لها**: أتحسنين أن تضربي بالعود؟ **فقالت**: بل أحب أن يضربني العود. وقالت امرأة لزوجها اشتر لي خفّاً. **فقال**: بل أنيكك فرداً **فقالت**: هذا الخف يكفي هذه السنة.

● اختيارُ المرأةِ الرجَل القويّ على النِكَاح

استعرض غلام وضيء جارية نفاشة، فعلمت الجارية أنه يدلّ بحسنه. **فقالت له**: إن كنت يوسف الحسن وليس معك أير ذو عروق صلبة وهامة رحبة يدخل غضبان ويخرج سكران لم أعدك إلا شيطاناً مريداً أو قرداً عنيداً.

وقيل لبصرية: أيّ الرجال تشتهين **فقالت**: لا أدري غير أني أعلم أن الأوّل داء والثاني دواء والثالث شفاء ومن ربّع فنفسي له الفداء.

● شكرُ المرأةِ لِمَنْ بالَغَ في مباضعتِهَا

قالت امرأة: ناكني فلان نيكاً كأنه يطلب في حِري كنزاً من كنوز الجاهلية. كانت امرأة تبكي على قبر فقيل لها ما كان لك؟ **قالت**: زوجي وكان والله يجمع بين الجناح والساق ويهزهز الصارم للأعناق وقد كذبتك امرأة تبكي لغير ما أخبرتك. **وقيل**: تزوّج رجل بامرأة فجعل يقبّلها ويشمّها ويلاعبها، **فقالت**:

لـيـسَ بـهـذا أمَـرَتْـنـي أمّـي ... والـلّـهِ لا تـمـسـكَـنـي بـضـمّـي
ولا بـتـقـبـيـلٍ ولا بـشـمّ ... إلا بـزعـزاعٍ يُـسَـلّـي هـمّـي[2]
لـمـثـلِ هـذا ولـدَتْـنـي أمّـي

● اختيارُ المرأة نوعاً من الجماعِ دُوْنَ نوع

اجتمع بنات حي المدينة عندها **فقالت للكبرى**: كيف تحبّين أن يأخذك زوجك؟ **فقالت**: أن يقدم من سفر فيدخل الحمام ثم يأتيه زوّاره المسلّمون عليه، فإذا فرغ أغلق الباب وأرخي الستر فحينئذ أتى ما أرومه.

فقالت لها: إسكتي فما صنعت شيئاً؟ **فقالت الوسطى**: أن يقدم من سفر فيأتيه زوّاره فإذا جاء الليل تطيّبت له وتهيأت، ثم أخذني على ذلك **فقالت**: ما صنعت شيئاً.

فقالت الصغرى: أن يقدم من سفر وكان قد دخل الحمام وانطلى ثم قدم وقد شول فيدخل عليّ ويغلق الباب ويرخي الستر فيدخل أيره في حري ولسانه في فمي وأصبعه في

---

(١) **لخنا**: مخفف لخناء يريد أنها تتكلم بقبيح.

(٢) **الزعزاع**: الريح الشديدة التي تزعزع الأشياء، والزعزاع هنا من باب المجاز والاستعارة.

إستي فينيكني في ثلاثة مواضع. **فقالت**: أسكتي فأمّك الساعة تبوّل.

● الراغبُ عن متعرّضة للنكاح

قال أبو حكيمة:

وضاحكةٍ إليّ من النقابِ ... تلاحظُني بطَرْفٍ مسترابِ
كشفتُ قناعَها فإذا عجوزٌ ... مسوّدةُ المفارقِ بالخضابِ
فما زالتْ تجمّشني طويلاً ... وتأخذُ في أحاديثِ التّصابي
تُحاولُ أن تقيمَ أبا ريادٍ ... ودونَ قيامهِ شيبُ الغرابِ
فقلتُ لها حللتِ بشرّ وادٍ ... كريهِ المجتنى قحطِ الجنابِ
متى تشفي العجوزُ إذا استناكت ... بأيرٍ لا يقومُ على الشبابِ

وله:

دعاني إلى ما يستحلّ ابنُ أكثم ... وقد يستحِلُ المرءُ غيرَ حلالِ
ولو قامَ لم أسعفْه فيما أراده ... أحقّ بأيري منه أمْ عِيالي

قال ابن حجّاج:

غطت النظراء لمّا ... قد رأت مفتاحَ ذَيْري
ورجَت مني خيراً ... قلتُ لا ترجينَ خيْري
إبعدي عني وهذا ... فافعليه معَ غيْري
أنت في دعوة أذني ... لستِ في دعوة أيْري

● إرضاءُ المرأةِ بالخلوةِ معَهَا

وقع بين رجل وامرأته خصومة فغضبت فكابدها حتى رضيت **وقالت**: خزاك الله فقد جئتني بشفيع لا أستطيع ردّه.

ومرّ الحجّاج متنكراً فرأته امرأة **فقالت**: الأمير وربّ الكعبة. **قال**: فمن أعلمك أني الأمير؟ **قالت**: شمائلك. **قال**: هل عندك من قرى؟ **قالت**: نعم الخبز الشعير والماء النمير فأكل وشرب. **ثم قال**: **هل لك أن تصحبيني فتصلحي بيني وبين امرأتي**. **قالت**: هل عندك من جماع **قال**: نعم. قالت: **فهو يصلح بينكما إذاً**.

● حمد إفحاش الجماع ونحوه

قال ابن سيرين: ألذ الجماع أفحشه. **وقال الأحنف**: إن أردتم الحظوة عند النساء فافحشوا النكاح وأحسنوا الخلق. **وقال رجل للشيبي**: **ما تقول في امرأة تقول لزوجها**: إذ وطئتها قتلتني أوجعتني. **فقال**: **يقتلها بذلك وديتها في عنقي**. وقدّم رجل امرأته إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه وقال إنها مجنونة إذا جامعتها غشي عليها. **فقال**: أحسن إليها فما

أنت لها بأهل. **وقيل**: موطنان يذهب فيهما العقل: المباشرة والمسابقة.

● الأسبابُ المقوّيةُ للجماع من ملاعبةِ المحبوبِ

قال الحسن: أكثروا من مداعبة النساء ولا تكونوا كالبهيمة التي يطرقها الفحل بغتة. والمداعبة للشهوة كالرعد والبرق للمطر. القبلة بريد النيك. **قال شاعر**:

إنـمـا الـقـبـلَـةُ عـنـوان الـصّـلـة

وطلب رجل من امرأته **فقالت**: الإبساس قبل الإيناس.

● كراهتُها الاعتزالَ

كره الفقهاء الإعتزال عن المرأة إلا برضاها. **وقال رجل لزانية**: ما تقولين في الاعتزال؟ قالت بلغني أنه مكروه. **قال**: أولم يبلغك أن الزنا حرام. وكانت ليوسف بن عمر جارية تصحبه في السفر والحضر وكانت يوماً قائمة على رأسه فورد عليه كتاب فتغيّر وجهه فقالت الجارية: أكتاب عزل قال كيف علمت ذلك؟ **قالت**: لأن وجهك قد تغير من غير حذر ولا سهر ولكن استجزت عَزْلَكَ عني كل يوم وهذا طعمه عندك مرّة واحدة

● ميلُها إلى الإعتزال

قال بعضهم: دخل قوم من الإعراب البصرة لجذب أصابهم فرأيت جارية تتكفّف[1] فخدعتها وأدخلتها دهليزي فلما وطئتها قالت نح عنّي نزلتك لئلا تلحقني جنيناً. **وقال بعضهم**: اشتريت جارية فوطئتها فجعلت تروم التنحّي فأكرهتها، **فقالت**: أردت أن لا يأتيك أربع أكارع تضيع مالك. فأما وقد أبيت فشأنك وما تريد.

● العذيوطُ

وَهُوَ الذي إذا جامع وبلغ الفراغ وجرت النطفة في إحليله استرخت فقحته فسلح وكذلك المرأة. وأما الربوخ فالمرأة يغشى عليها عند الجماع قبل الفراغ.

وقال دعبل كان جعيفران لا تقيم عليه امرأة فتزوّج امرأة فأقامت عليه فسألته **فقال**: إنها مثلي وقد قلت فيها:

لـمـا ضـربْـتُ بـغُـرْمـولـي مـضـارطَـهـا بالَتْ فقلتُ اسْلحِي إن شئْتِ أو بُولي
إنّي سـاخْرى إذا أنـعـظْتُ مـن شـبَـق فـإن خـريـتُ فـقـد أعـطـيـتِنِي سُـولـي
سلحٌ أتى بيْن عذْبوطَيْن شككّنِي منْـهـا أتـى أو أتـى من تـحت غُـرمـولـي
وسـالـحَـتْـني فـلـم أشـعـرُ بـمـا فـعَـلَـت حـتّـى وجـدت حـراهـا فـي سَـراوِيـلـي

وقال بعض النخّاسين كانت عندنا جارية عذيوطة كلما بعناها ردّت. فبعناها مرة

---

(١) **تتكفّف**: تمدّ يدها لتستعطي.

فأبطأت فلقيتها فسألتها قالت: مولاي مثلي فإذا لقي سنبر قنبر أدخل الغلط.

● **الرخصةُ في إتيانِ المرأة في دبرِهَا**

استدل مالك في ذلك بقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾. **وقالت عائشة رضي الله عنها**: إذا حاضت المرأة حرم الجُحران فدل على أنهما كانا حلالاً قبل الحيض. **وقال** بعض أهل اللغة الجحران بالضم الفرج.

● **تحريمُ إتيانها في دبرها**

نهى النبي ﷺ عن إتيانهن في محاشهن وسئل في أي الجزرتين **فقال**: أما من دبرها في قبلها فنعم وأما في دبرها فلا، إن الله لا يستحي من الحقّ، لا تأتوا النساء في أدبارهنّ.

● **النوادرُ في إتيانها في ذلك الموضِع**

قال مزيد لامرأته: دعيني آتيك في إستك **فقالت**: لا أجعل إستي ضرّة لحري مع قرب ما بينهما. وسئل أبو حفص عن إتيان المرأة في دبرها، **فقال**: إن الله يقول نساؤكم حرث لكم، والإست لها مزرعة من حلت له القرية حلت له المزرعة. **قال همّام القاضي**:

ومذعورة جاءَت على غيْر موعدٍ ... تقنّصْتُها والنّجْمُ قد كادَ يطلعُ
فقلْتُ لهَا لمّا استمَرّ حديثُها ... ونفْسي إلى أشياء منْها تطلّعُ
أبِيني لنَا هل تؤمنين بمالك ... فإنّي بحبّ المالكيّةِ مولَعُ
فقالَتْ نعَم إنّي أدينُ بدينِه ... ومذهبُه عدل لديّ ومقنِعُ
فبتْنا إلى الإصباحِ ندْعو لمالك ... ونؤثر فتْياه احتِساباً وتتبَعُ

وحاضت امرأة أعرابي فتعرض لإستها. **وقال**: قد يؤخذ الجار بذنب الجار.

قال ابن الحجّاج:

حاضَتْ وقدْ كانَتْ لها مدّة ... طويلَة عند استها طائِلَهْ
وثبت في الحالِ على سرمها ... وديةُ النيْكِ على العاقِلَهْ

رفعت امرأة قصة إلى القاضي تدّعي أن زوجها يأتيها في دبرها، **فسأله فقال**. نعم أنيكها في دبرها وهو مذهبي ومذهب مالك، فخجل القاضي.

ورفع رجل إلى ابن سيمجور قصة وكان يتولّى النظر بنفسه بين الرعية وكان في القصة: ابنتي تحت فلان التركي وهو يسومها النيك في دبرها وكان الزوج غلاماً له فقال له: ما هذا؟ **فقال**: إني حملت من تركستان إلى الطران فناكوني في إستي ثم إلى بخارى إلى هراة وفي كل مكان كانوا ينيكونني في إستي ثم حملت إليك فكنت تنيكني في إستي فما علمت أن ذلك محظور فخجل ابن سيمجور.

● شكايةُ المرأة كثرةَ جماع زوجها

تزوّج مزيد مولاة لأبي المثنى الخزاعي فجاءت إلى أبي المثنى فشكت إليه كثرة جماعه فلقيه أبو المثنى فعاتبه **فقال له مزيد**: كن بيني وبينها كف عنّي ضرسها أكف أيري. أتراني أعلف ولا أركب. ورفعت امرأة زوجها إلى القاضي تشكو كثرة جماعه فقارّه القاضي على عشرة كل ليلة، **فقال**: أيها القاضي سلها تسلفني متى شئت فأجابه إلى ذلك فعادت المرأة بعد ثلاث فقالت أيها القاضي لا صبر لي عليه فقد استلف في ثلاث لخمس.

● شكايةُ المرأة عنة زوجها

رفعت امرأة زوجها إلى القاضي وقالت: بعلي هذا ليس يضاجعني، **فقال الرجل**: صدقت ولكنّي مؤاخذ عنها. فقال القاضي: الحكم فيه أن تؤخر سنة. **فقال**: الحكم أحق أن يتبع. فلما خرجت إذا هي بمخنث. **فقال لها**: أما تستحيين أن تقولي للقاضي ليس ينيكني. **فقالت**: إن شيئاً نقلك من طبع الرجال إلى طبع النساء حتى عفّرت لحيتك في التراب. حقيق أن لا يستحي منه.

وقدمت امرأة زوجها إلى القاضي وقالت: إن زوجي ليس يضاجعني. **فقال الزوج** إني عنين. فقالت المرأة: هو يكذب **فقال القاضي** ناولني أيرك حتى أمتحنك فتناول أيره يمرسه وكان القاضي قبيحاً فلم يقم أيره **فقالت للقاضي**: لو رآك مالك الموت منعظاً لاسترخى. إدفعه إلى غلامك هذا وكان للقاضي غلام صبيح فدفعه إليه فانتشر سريعاً. **فقالت**: أعطِ القوس باريَها. **فقال القاضي**: مرياً كشحان ونك امرأتك ولا تطمع في غلمان القضاة.

وقال المهدي لجارية له: أنت أودق[1] من أتان عاقر. **قالت**: إذا رزم الفحل ودقت الحجر تعرّض بأنه مقصر في الباه فخجل. وعشق رجل امرأة فزارته فلما صارت عنده ضعف عنها فأخذ يمر به طولاً وعرضاً على حِرها وقال لها ألك زوج؟ **فقالت**: يا ابن اللخناء لو كان لي زوج لم أدعك تتخذ حِري طنبوراً تضرب عليه بمضراب منكسر.

● المتعذرُ من عجزِه عن المطاعنةِ

دخل ابن شبابة إلى امرأة وخرج سريعاً فقال له صاحبه فأومأ بيده إلى أيره وقال:

شمْسُ العداوةَ حتّى يستقادَ لهم ... وأعظَمُ النّاسِ أحلامَاً إذا قدرُوا

وقال:

أيْري علَيٌّ مع الزما ... نِ فمَن أذُم ومن ألُومُ

---

(١) **أودق**: أي أكثر ودقاً من ودَق يدق أي اتّسع.

وقال هارون لعنان جارية الناطفي وقد قبّلها ولم ينتشر عليه:

أقولُ وقد حاولْتُ تقبيلَ خدِّها — وبي رِعْدَةٌ من حبّها لَيْس تسْكُنُ
فديتُكِ إني أشجعُ النّاس كلّهم — لدى الحرْب إلا أنني عنكِ أجبُنُ

واستهدفت امرأة لرجل شيخ فأبطأ عليه الانتشار فعاتبته فقال: أنت تفتحين بيتاً وأنا أنشر ميتاً. وقعد أعرابي بين فخذي امرأة فلم ينتشر فقالت له قم يا خائب فقال الخائب من فتح جرابه ولم يكتل. ومن هذا أخذ الشاعر قوله:

أتت بجرابِها تكتَال فيه — فقامَت وهي فارِغَةُ الجِرَابِ

● تعييرُ العاجز عن الافتضاضِ

كتب أبو العيناء إلى ابن مكرم: العجب لكم أنكم تناكون ولا تنيكون كيف غررتم الحرائر واستهديتم المهائر وَعَلامَ قدمتم المهور وأنتم تحتاجون إلى الذكور؟ ولم أظهرتم حب النساء وبكم عرق النساء؟

وكيف ادعيتم يوم الروع الطعان وأنتم تخرون للأذقان؟ فأنتم كما قال الشاعر:

فلسْنا على الأقدام تدْمي كلومُنا — ولكنْ على أعقابِنا تقطُر الدّما

نساؤكم عند جيرانكم ورجالكم تحت غلمانكم فيا بؤساً للعروس وإزارها لم يحلل، وشعورها لم تبال.

قال أبو علي البصير:

ردّ ابنةَ القوم أو فاطْلُبْ لها ذكَراً — يكفِيكَ من شأنها بعضَ الذي عُسِرا
فقدْ تأبّوك حتّى لا أناةَ بهِم — وجمجَموا الأمرَ حتّى شاع واشتَهَرا[1]
قالَت يقدّم قبْل الأَيْر أصبَعه — متَى تعاطَى بكفّيه حِرٌ أعقرا

وعجز رجل عن امرأته ليلة العرس، فقالت:

تبيتُ المنَايا حائراتٍ عن الهُدى — إذا ما المَطايا لم تجدْ منْ يقيمُها

● اغتباطُ مَنْ تقوى على الجماع

كان سعيد بن المسيب يقول: اللهم قو أيري ففيه قوام أهلي وقوّ سني ففيه قوام بدني. وقال: أبو مهدية لأبي عمرو: لا يزال المرء بخير ما اشتد أيره وضرسه.

وقال رجل لابن شعيب: إني إذا دخلت في الصلاة انتشر عليّ. فقال: طوبى لك فإني أتمنى انتشاره في الفراش.

● الشاكي ضعفه عن الجماع

قيل لأبي مهدية: ما عندك من الجماع؟ قال ما يهيج شهوتها وينقص عفتها ويستعدي

---

(١) جمجم الكلام: لم يبيّنه.

بغضتها. **وقيل لآخر فقال**: إن منعت غضبت وإن تركت عجزت وقال يمتد ولا يشتدّ وإذا كرهته يرتد. **وقيل لمدني**: كيف حالك؟ **فقال** أيري إذا فقد قام وإذا وجد نام المفجع.

لـي أيـرٌ أراحَـنـي الـلّـهُ مـنـه ... صـارَ هـمّـي بـهِ عـريـضـاً طَـويـلاً
نـام إذ جـاءه الـحـبـيـبُ كِـيـاداً ... ولـعَـهْـدي بـهِ يـنِـيـكُ الـرّسُـولا

● المستحسنُ لعجزِهِ

سئل شيخ عن حاله **فقال**: ذهب مني الأطيبان السنّ والأير وبقي الأرطبان الضراط والسعال. **وقيل لأبي عبد الله المنتوف**: ما بقي عندك من آلة الباه؟ **قال البزاق**: وقال ابن أبي البغل لقاضي أصبهان: هل في البيت صلاة؟ **قال**: لا **قال**: أنا في البيت أصلي منذ سنين وأشار إلى متاعه. وقال أبو حكيمة من مرثية لأير ممّا لم يسبق إليه:

أيحسُدني إبليسُ داءين أصبَحا ... بـرأسـي وجـسْـمـي دُمّـلاً وزكـامَـا
فـلـيـتَـهـمـا كـانـا بـه وأزيـدُه ... زمـانَـةَ أيـرٍ لا يُـطـيـق قـيـامَـا
إذا انـتـبـهـتْ لـلـنّـيك أزبابُ معشَر ... تـوسّـدَ إحْـدى خـصـيـتـيْـه ونـامَـا

ومن قوله وهو أحسن ما قيل في ذلك:

يـنـامُ عـلـى كـفّ الـفـتـاة وتـارَةٍ ... لـه حـرَكـاتٌ مـا يـحِـسّ بـهـا الـكَـفُّ
كـمَـا يـرفَـعُ الـفـرخُ ابـنَ يـومـيـن رأسَـه ... إلـى والـدَيْـه ثـمّ يـدرِكُـه الـضـعْـفُ

وله:

فـلّـمَـا تـهْـوى الـغَـوانـي ... حـلـمَ أيـسـرٍ ووقـارَه

وله:

كـأنّـه قـوسٌ نـدّافٌ بِـلا وتَـر

وله:

سـيـر يـلـفّ عـلـى دوّامـة الـرّيـقِ

وله:

رشـاءُ عـلـى رأسِ الـركـيّـة مـلـتَـفُّ

وفي وصفه: قيل قناة معقفة وعروة على الإبريق مركّبة.

● ذمّ كثرة الجماع

قال جالينوس[1]: صاحب الجماع يقتبس من نار الحياة فليكثر منه أو يقلل. **وقال رجل لأرسطاطاليس**: أي وقت أجامع؟ **قال**: إذا شئت أن تضعف. **قال معاوية**: ما رأيت منهوماً بالجماع إلا تبيّنت ذلك في مشيته. **وقيل**: الضرير أنكح من البصير والخصيتان أصح

(١) جالينوس: (نحو ١٣١ ـ ٢٠١) طبيب يونانيّ اشتهر باكتشافاته في التشريح. أخذ عنه الأطباء العرب.

بصراً من الفحول. **وقال طبيب لرجل**: **قد ذهب الجماع ببصرك**. **فقال**: **قد وهبت بصري لذكري**.

● نوادرُ امرأةٍ غازلها رجلٌ فأخجلَتْهُ

قال رجل لامرأة: أريد أن أذوقك فأنظر أنتِ أطيب أم امرأتي؟ **فقالت**: سل زوجي فإنه ذاقني. وذاقها ونظر رجل إلى امرأة، **فقالت له**: يا سيدي تريد النيك؟ **قال**: نعم قالت اقعد حتى يجيء مولاي لعله ينيكك. **وقال رجل لامرأة**: أيري في إستك **فقالت**: هلاّ جعلته في يدي أضعه حيث شئت. **قال**: قد جعلته في يدك. **قالت**: قد وضعته في حِر أمك.

وراود النظّام جارية وتبعها، **فقالت**: إن لي صاحباً ينيكني ولي زوج لا يتركني عن عشرة ولي صديق أنا أعشقه، ولي حبة لا تفتر عن النساء فإن وجدت في حري فضلة فافعل.

وانعظ رجل فعرض أيره على بغيّ **فقالت**: يا رقيع إعرض هذا على من لم ير أيراً قط. وأما أنا فعندي من الأيور أكثر من التكبير يوم الأضحى.

وكان لرجل دبّة فقال لامرأة خذي هذه الدبة واسمحي لي بواحد **فقالت**: أخشى أن أرزق منك ولداً فيكون ابن قحبة بزيت.

ومن النوادر أن امرأة مرت بأبي العيناء فقالت أين درب الحلاوة؟ فقال: بين سراويلك.

● من حامشَ امرأةً باستدعاء نفع منها

كتب رجل إلى صديقته: إبعثي لي بعلك بين دينارين **فكتبت إليه**: **قد سارعت إلى أمرك فتفضّل برد الطبق والمكبة**. استعملت قول النبي ﷺ إستدروا الهدايا بردّ الظروف. **وقال رجل لامرأته**: أعطيني خاتمك الذهب أذكرك به، **فقالت**: هذا ذهب وأخاف أن تذهب، ولكن خذ عوداً فلعلك تعود.

● نوادرهنّ في كبر العجيزة[1] وصِغَرِهَا

قال الجاحظ: مررت بامرأة قائمة كبيرة العجيزة **فقلت** لبعض من معي: ما أعظم عجيزتها إذا لم تكن عليها عظمة[2]، فكشفت عن عجيزتها **وقالت**: أنظر إلى الحق ولا تكن من الممترين. ولبست امرأة ثيابها واتخذت عظمة لتري عجزها فرآها رجل فأعجبته فراودها فلما خلا بها وجدها كالعود فسألها، **فقالت**: ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربّي نسفاً.

---

(١) **العجيزة**: المؤخرة.

(٢) **العظمة**: شيء كالوسادة تعظم به المرأة عجيزتها.

● الكيرُ بيخ

جاءت امرأة إلى ربيعة الرأي فقالت: ما تقول في الكيربيخ[1]؟ **فقال:** اعزبي قبّحك الله. **فقالت:** بل أنت قبحك الله جئت أستشهد بك وأسترشدك فتردني بضلالتي **فقال:** عافاك الله كل شيء استنزلت به شهوة غير بعلك فحرام.

ومرت امرأة بمختث ومعها كير بيخ فقالت تأخذ درهمين والنية عليك؟ **قال:** نعم فأخذ درهمين ودخل خربة وقام على أربع وشدت المرأة ذلك على حقوها وجعلت تدخل فيه وتخرج فتطلع رجل من ورائهما وصاح واعجباه من امرأة تنيك رجلاً **فقال المخنث:** الرجال ينيكون النساء منذ خلقت الدنيا وأي عجب إن ناكت امرأة رجلاً يوماً.

● أنواعٌ مختلفةٌ في وصفِ الجمَاعِ

لدغت عقرب جارية في فرجها فقالت أمها واويلاه في أي وقت وأي موضع. وكان عراقي يهوى امرأة فجاء على حمار مع غلام وجاءت المرأة على أتان مع جاريتها فخلا بها والغلام بالجارية والحمار بالأتان، **فقال:** هذا يوم غابت عذاله.

سأل جعفر بن سليمان عن قول جرير:

لو كنتُ أعلَمُ أنّ آخرَ عهدِكم يومَ الرحيلِ فَعَلْتُ ما لَمْ أفعَلِ

فقال فتى من الاعراب في آخر المجلس: أنا أعرف ما كان يفعل كان ينيكها فضحكوا **وقال:** أصبت. **وقيل:** من حسن تربية الرجل لولده أن ينيك دايته. وكان لرجل غلام أسود سندي فسافر وخلّف الغلام في أهله فأحبل امرأته فلما جاء الرجل خرج للقائه وجعل أحد الغلامين على عاتقه والآخر خلفه **فقال له:** ما هذا يا مبارك؟ **قال:** ابني. **قال:** أتزوجت؟ **قال:** لا ولكن ولدته من الست **فقال:** هذا عجب فقال السندي: وهذا الذي خلفي فوق العجب.

وقال إسحاق: أتت امرأة حبي المدنية تسألها المهراس وزوجها يواقعها فقالت إطلبي المهراس من ابني فمهراسنا مشغول في الهاون. وحُكِيَ أن ابن نوبخت كان له جارية وغلام فكان إذا خرج أخرج أحدهما معه خشية أن يجتمعا فلما أعياه الأمر زوج أحدهما بالآخر فكان يتعاطى معهما، **فقيل له في ذلك فقال:** لئن أكشحتهما أحب إليّ من أن يكشحاني.

---

(١) **الكيربيخ:** لفظة أعجمية وهي أداة تشبه ذكر الرجل.

(٥)
وَمِمَّا جاءَ في السَّحْقِ والمُسَاحقاتِ

●

● تفضيلُ السَّحْقِ على الجِمَاعِ

قالت امرأة لساحقة: ما في الدنيا أطيب من الموز قالت صدقت ولكنه ينفخ الجنبين تعني الحبل.

وقال الأصمعي: كنت في دار الرشيد فخرج على غفلة **فقال**: أين الأصمعي؟ فمثلت بين يديه. **فقال**: من الذي يقول ولا تستعملي المردى وما أوّله فقلت هذا شعر لبعض السحاقات بالبصرة وأوّله:

صَفِي الهزَّ على السَّهَنْ ... ولا تستعملي المردي[1]
فذا أحلى وذا أشهى ... من القائمِ كالوتَدِ

فضحك وأمر لي بألف دينار.

● تفضيلُ الجماعِ على السَّحْقِ

قيل لامرأة: ما تقولين في السحق؟ **قالت**: إنه التيمّم لا يجوز إلا عند عدم الماء. ونظر رجل إلى جارية على سطح تساحق[2] فرمى نفسه فوقها فقالت جاء الحق وزهق الباطل.

قال شاعر:

ألا يا ذواتَ السحْقِ في الغربِ والشرْقِ ... أفقْنَ فإن النَّيْك أحلى من السحْقِ
أفقْن فإن الخبْز بالآدم يشتهى ... وليْس يسوغُ الخبزُ بالخبز في الحلقِ
أراكنّ ترقعْنَ الخروقَ بمِثْلِها ... وأيّ لبيبٍ يرقَعِ الخرقَ بالخرقِ
وهل يُصلح المنْخار إلا بعُوده ... إذا احتاجَ فيه ذاتَ يوم إلى الدّقِ

وقال:

أما والله لو ناجَاك أيْري ... قبيلَ الصبْح في ظلْماء بيْتِ
إذاً لعلمْتُ أن السحْق زورٌ ... وأن العيْش في ركضِ الكُمَيْتِ

وذكر السحق لامرأة **فقالت**: أير أبخر خير من حر مبخر.

● نوادرُ في السحقِ

قيل لأبي فرعون: امرأتك تساحق فقال إنها والله تحسن. قيل ولِمَ؟ قال لأنه أنقح لشعرتها وأنقى لصحن فرجها وأحرى إذا ورد عليها الأير أن تعرف فضله. ودخل رجل على

---

(١) المردي: هي في الأصل خشبة تدفع بها السفينة، والمردي هنا من باب المجاز أو الاستعارة.
(٢) تساحق: تمارس السحق.

جاريته وهي تساحق وحرها رطب فقال ما هذا قالت ذكرك حرى قبيل ما دخلت فبكى.

● **المعروفاتُ بالسَحْقِ**

أول من سنت السحق ابنة الحسن هويت امرأة النعمان بن المنذر، وكانت قد وفدت عليها فأنزلتها عندها، وشغفت بها. فلم تزل تزين لها ذلك وقالت في إجتماعنا أمن من الفضحية وإدراك للشهوة. فاجتمعتا وبلغ من شغف كل واحدة بالأخرى أنه لما ماتت ابنة الحسن اعتكفت هند امرأة النعمان على قبرها واتخذت الدير المعروف بهند في طريق الكوفة وفيها يقول الفرزدق:

وفـيـتَ بـعَـهْـدٍ كـانَ مـنـكَ تـكـرُمـاً　　　كَمَا لابنةِ الحسَنِ اليماني وفتْ هِنْدُ

● **سنن السحاقات**

عادتهنّ أن لا يتناولن ما فيه مشابهة من هزّ الرجال فلا يأكلن القثاء والجزر والباذنجان لأجل ذنبه، ولا الفالوذج لأنه يتخذ للوالدات منهن، ولا يشربن في الكاس لطوله، ولا يشربن من القناني لعنقها ولا من الأباريق، ولا يتناولن المراوح لذنبها، ولا يقعدن في مجلس فيه ناي ولا طنبور لعنقه، ولا يأكلن العصب ولا المبعر المحشي. والكبار منهن لا يصلّين لأجل الركوع ولا يتخذن الديوك ولا الحمام لسفاده ولا يكتحلن لدخول الميل.

(٦)

وممّا جاء في الضِرَاط والفَسْوِ

●

● **الحثُ على إرسالِه**

زعمت الهند أن حبس الضراط داء دويّ وأن إرساله منج وأنه العلاج الأكبر. وكانوا في يوم اجتماعاتهم ومحافلهم لا يحبسون ضرطة ولا يسرّون فسوة ولا يرون ذلك عيباً ولا ضحكة.

قال شاعر

الـريـحُ فـي الـجـوْف لـيْس عِـنْـدي　　　لـــهُ دواءٌ ســوى الــضــراطِ

● **وصفهُ بالشؤم**

رُوي عن بعض الكبار أن الضراط شؤم وكل قوم وقع بينهم الضراط تفرّقوا، **قال شاعر**:

لـيْـس الـتـظـارُف بـالـتَـضـا　　　رُط يـا سـعِـيـد مـن الـفـتـوَةِ

وإذا تـــضـــارَط مـــعْـــشَـــرٌ　　　هـدَمُـوا بـضَـرْطِـهـم الـمـروَة

وقيل لضرّاط: الضراط شؤم. **قال**: هو جدير أن أخرجه من بطني. **وقيل لآخر** إنه يوقع التفرق فقال لو كان حقاً لما آثر أهل السجن شيئاً عليه. **وقيل لماجن**: الضراط إثم فقال إن كان الضراط إثماً فالخراء كفر.

● **الحاذقُ بالضراطِ المتكسِّبُ بهِ**

جاء رجل إلى المعتصم **فقال**: ما بلغ من ضراطك؟ قال اضرط ضرطة فافتق نفق السراويل فقال إن فعلت فلك مائة دينار وإن عجزت فمائة سوط ففعل وأخذ المال. وكان رجل يصفق الباب بضرطة وكان سعيد بن حميد يضرط على إيقاع العيدان.

مَن يُضَارِطُني يضارِطُ موسِراً ... يخرجَ الضرطة كالرّعْد القَصفِ

وقيل: فلان أضرط من عنز ومن عير ومن غول.

● **حَبْسُ الضِرَاط وقرقرةُ البَطْنِ**

ضرب يزيد بن المهلب نميرياً فقال: والله لأضربنه حتى يضرط. فقيل له **فقال**: والله لا يرى ذلك أبداً وأنه كما قال الأعشى:

كتومُ الرُّغاء إذا هَجَّرَتْ ... وكانت بقيةَ قوم كُتُمْ[1]

وعكسه، **قال رجل لمخنّث**: لأضربنك حتى تخرأ فمن أوّل سوطٍ لطخ البساط **وقال**: ألست تطلب الخراء خذه وخلّصني. **وقال رجل لطبيب**: في بطني معمعمة وقرقرة، فقال أما المعمعة فلا أعرفها، وأما القرقرة فضراط لم ينضج.

قال ابن مناذر:

بطنُك يا عبدي قد قرقرا ... إن صدقَ الوغدُ مطَرْنا خرا

● **عُذْرُ مَنْ خَرَجَ منه رِيحٌ من الكبار وقلّةُ مبالاتِه**

قال النبي ﷺ: العين وكاء[2] الاست فإذا نامت العين استطلق الوكاء وكان أبو عبيد يحدث بهذا الحديث ويروى أن عمر رضي الله تعالى عنه كان يخطب فقال أيها الناس إن ميزت بين أن أخاف الله وأخافكم فرأيت خوف الله أولى الأواني قد خرجت مني ضرطة وها أنا أتوضأ وأعود وضرط الحجاج على المنبر فقال ألا أن كل جوف ضروط واستدعى بالماء فتوضأ وكان بالأهواز عامل به صمم فاجتمع إليه أهل عمله وهو يضرط فكتب إليه كاتبه إنك تضرط ولا تشعر فوقع له إننا استكفيناك أمر كتابتك ولم نجعلك محصياً علينا فتغافل كما تغافل القوم والسلام. غنت مغنية فضرطت فأنشدت:

ضرطْتُ فما أبدعْتُ في النّاس بِدْعَةً ... ولَمْ آتِ أمْراً منكَراً فأتوبُ
إذا كانتِ الإستاه تضرطُ كلّها ... فليس عليّ في الضرْط رقيبُ

---

(١) **كتوم الرغاء**: أي لا ترغو حين تمتطى، وهذا من باب الكناية عن الأدب، وفي رواية: الذود في موضع القوم، والذود من الإبل بين الثلاثة إلى العشرة.

(٢) **الوكاء**: رباط القربة.

قال الكميت:

أيا عجباً للناس يستشرفونني ... كأنْ لم يرَوا قبْلي ضَروطاً ولا بعْدي

وضرط أبو الأسود عند معاوية **فقال:** أكتمها عليّ يا أمير المؤمنين. **قال:** لك ذلك. فلما اجتمع عنده ناس **قال أعلمتم:** أن أبا الأسود ضرط آنفاً فقال أبو الأسود إن من لم يؤتمن على ضرطة لحريٌ أن لا يؤتمن على أمر الأمة.

● نَوادِرُ مَنْ خَرَجَتْ منه ضَرْطَةٌ في مَحْفَلٍ

صلّى الدلال المخنّث في جماعة فضرط في الصلاة فرفع رأسه **وقال:** سبح لك أعلاي وأسفلي فضحك كل من في المسجد.

وقال العتّابي كنت أمر في طريق فتقدمتني امرأة فاستعجلتها فضرطت، **فقلت:** سبحان الله. **فقالت:** سبحت في غلّ وقيدين يا بغيض يا بارد لماذا تسبّح قطعت عليك الطريق شتمت لك عرضاً امض لا مصحوباً ولا محفوظاً فما زالت تقول حتى خجلت كأني ضرطت.

وقال أبو نواس مرّت امرأة في طريق فضرطت، **فقلت:** أتبيعين هذا الحمام الراعبي؟ قالت: لا، ولكن إذا فرّخ أطعمناك من فراخه. وحضر التنوخي نادياً فقام وحبق حبقة فضحك القوم فأنشأ:

إذا نامتَ العينان من متيقّظ ... تراخَت بلا شك مشاريخُ فقْحَتِهِ

فمَن كان ذا عقْل تناسى ضراطَه ... ومن كان ذا جهْل ففي وسط لحْيَتِهِ

وكان رجل يقدر بناة **فقال:** يبني ههنا كذا، ويبني ههنا كذا ثم وقف في مكان فضرط، **فقال:** مهما شككت فلا أشك أن هذا موضع كنيف، ثم صور صورته.

وورد بعض أهل أصبهان على خليفة يشكو إليه آفة السنة وانقطاع الغلة فضرط في أثناء الكلام. **فقال:** وهذا أيضاً من آفات السنة فوالله يا أمير المؤمنين ما تعوّدته إلا في موضعه.

وكان أعرابي يكلّم رئيساً فضرط فالتفت إليها فقال: خلف نطق خلفاً، ألم أقل لك إذا رأيت إنساناً يتكلم فاسكتي؟

وضرط شيخ في مجلس **فقال:** وإن من شيء إلا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم. ولما وقع مسيلمة على سجاح ضرط فقال ما هذا؟ **قالت:** هذا من ثقل الوحي.

● مَنْ عَذَر ضارطاً وسَكَنَ منه

كلّمت امرأةُ هشامَ بن عبد الملك في حاجة فضرطت فسكتت وخجلت، **فقال:** تكلّمي ولا تستحي فما سمعت هذا من أحد أكثر مما سمعته مني. وكان لمطيع بن إياس جليس فضرط فغاب أياماً خجلاً فكتب إليه:

أمن قلوصٍ تمدّت أظهَرت مقْلية ... وغبْتَ عنّا زماناً لستَ تغْشانا

خفّضْ عليْك فمَا في النّاس ذوابلٌ ... إلا وأينُـقـه يـشـرُدْن أحـيـانًـا

وحضر بعض الفقهاء مجلس الصاحب فضرط فاشتد خجله **فقال الصاحب**:

قلْ لابنِ دو شاب لا تخرج على خجل ... من ضرطة أشبهَت ناياً على عُودِ
فإنّها الريحُ لا تستطيعُ تحبَسُها ... إذ أنت لسْت سليمانَ بن داودِ

وله:

أبا الحَسَن الخضَيري اغتفرْنا ... ضراطَك ما على إستك من جَناحِ
فلا تذهَبْ على خجلٍ وعاوِدْ ... فبعضُ القَولِ يذهَب في الرياحِ

وكان أزاد مرّ عند الحجاج يشكو إليه فساد غلّته فبدرت منه ريح، فخجل وأراد الحجّاج أن يبسطه **فقال**: قد وضعت عنك الخراج فهل من حاجة أخرى؟ **قال**: نعم والتفت فرأى أعرابياً يقدمه الحجاج للقتل **فقال**: تهبني هذا الأعرابي **قال**: قد وهبته لك خذه فخرج الأعرابي وجعل يقبّل إسته ويقول بأبي إستك التي تحطّ الخراج وتخلص الأسرى من القتل.

وضرط حمدون بن إسماعيل بين يدي المتوكل فاستحيا **وقال**: ضرطت. **فقال المتوكل**: ما سمعت.

• أعذارُ ضاحِكٍ من ضارِطٍ

كان ابن الرومي في مجلس فضرط بعض الحاضرين فضحك فغضب الضارط وشتمه **فأنشد**:

بليتَ بفلْتةٍ فضحكتُ فلْتَه ... فلا تغضَب كلا الأمريْن بغتَهْ
ولي فضْلٌ عليك لأنّ فعْلي ... بغيْر أذىً عليك فَلِم كرهتَهُ
أتسمعُني الأذى وتسيمنيه ... وتجشّمني رضًا ما قد فعَلْتَه
وتغضَبُ إنْ ضحِكْتَ بغَيْرِ عَمْدٍ ... ولَمْ تسمَع أذايَ ولا سمِعْتَه

• المعيّر بضرطةٍ بَدَرَتْ منه

تعير عبد القيس بذلك. وذلك أن رجلاً من أيار خرجت منه ريح فعير بذلك فقام بسوق عكاظ **وقال**: من يشتري عار الفسو ببردي حبرة فقام عبقسي **فقال**: أنا، **فقال له**: قومه جئتنا بعار الدهر. وحضر جنيد بن عبد الله عند مسلمة فزحف إلى المائدة فضرط، **فقال**: كل جوف أضرط، **فقال مسلمة**: أنك عودته في الخلا ففضحك في الملا. وروي ذلك عن أمير المؤمنين رضي الله عنه.

وتزوج قطني امرأة فضرط عندها يوماً وهو يشرب فتمثل **بقول الشاعر**:

إنْ كنتُ ساقيةً يوماً على ظمَأ ... صفو المدامَة فاسْقيها بني قطنِ

فقالت وهذه إسقيها بني قطن، فخجل وطلّقها. ودخل أعرابي على المساور الضبّي وهو في عمله بالريّ فسأله وألحّ عليه فسعل المساور فضرط، فجذب سفطه وقال لكاتبه

غلطنا في الحساب فقال الأعرابي:

أتيت المساورَ في حاجة ... فما زالَ يسعُلِ حتّى ضرَط
وحكّ قفَاه بكرسوعِه ... ومسح عثنونَه وامتخِط
وقال غلطنا حسابَ الخراج ... فقلْت من الضرطِ جاء الغلط
وأمسكتُ عنْ حاجتي رهْبَةً ... لأخرى تقطَعُ شرْج السفَط[1]

وقال:

وما في الضرط للإستاه ذنْبٌ ... إذا كانَتْ توسّعُ بالأيورِ

وقال آخر:

دخلت وهبا في حشّاه قد كمَن ... وهب وهو صاحبُ البَريد

وكان في مجلس الوزير عبيد الله بن خاقان، فضرط فأكثر الشعراء القول فيها وكان راكب يسير وبين يديه جمل عليه كمثري **فقال** رجل إستقبله إن الكمثرى تهيج الريح ومدّ يده ليأخذ واحدة فضرط فقال ما رأيت شجرة أثمرت قبل أن تغرس غيرها.

ودفع الفتح بن العميد إلى ابن حجّاج قول الشاعر:

ولما التقينا لجلجت في حديثِها ... ومن آية الحبّ الحديثُ الملجْلَجُ

فقال:

ولما التقيْنا لجلجَتْ في ضراطِها ... ومن آية السرم الضّراط الملجْلَجُ
ألا أيّها الأستاذُ دعوة شاعرٍ ... طريقته في السخف لا تتبهرَجُ

● **التعريضُ بِمَنْ خرجت منه ضرطةٌ فقدّر أنها لم تسمع**

اضطجع رجل في مجلس فيه مزيد فضرط فضحكوا، وثنّى، **فقال مزيد:** نبّهوه قبل أن يأتي بطامة فنبه، **فقال:** كنت في أطيب نومة رأيت كأني صدت ديكين ألعب بهما، **فقال مزيد:** صدقت قد زقيا وسمعنا.

ودخل بعض الكتاب حماماً بأصبهان وقدر أن ليس فيها أحد، فضرط ضرطة صيّاحة، وقال ما أطيب الضراط في الحمّام، وكان ثمّ المعروف بابن الهذرة فسعل بعد ضراطه بساعة **فقال:** إذا خرجت فالقني قبل كل أحد فدخل عليه، فكتب له رقعة بخمسة أقفزة حنطة. **وقال:** خذها من الوكيل ودع إفشاء ما سمعت. فقال فديتك ليس ذلك ضراط خمسة أقفزة حنطة زدني **فقال:** أخزاك الله فقد صار ذلك نادرة.

● **لغزٌ فيها:**

ومولدةٍ لم تدْرِ ما الطمْثُ أمّها ... وليْس لها زوجٌ ولا تتحرّكُ

---

(١) **السفط:** وعاء كالقفة.

يقهقهُ منها القومُ من غيرِ رؤيةٍ ... ووالدُها من عارِها ليس يضحكُ

وقال ابن الرومي:

ما هنةً عمّت بني آدم ... يُعيِّر الناسُ بها الناسا

يعتمد العامِدُ إتيانَها ... فلا يرى الناس لها باسا

حتى إذا جاء بها فلتةً ... نكّس من سوءَتها الرّاسا

● الضِراطُ على الغيرِ على سبيل التهكّمِ

قال الصاحب:

قلْ لابن حمزةَ يمسَح ... بكفِّه عارضَيه

فقد قرأت بجدر ... والمرسلاتُ عليه

وقال:

وضرطةٍ مرعدةٍ مبرِقه ... يحمِلُها سُرْمٌ إلى عنفَقه[1]

مسحتها الشيخَ أبا جعفر ... وبعدَها من سلحتي ملعَقه

وقال:

ولحيةٍ طويلةٍ عريضَه ... الضرطُ في أمثالِها فريضَه

● الفساءُ

دخل أعرابي الحمام بالبصرة وكان يفسو فأنكر القيم عليه فقال: الحلقة لي والريح لله يرسلها: فدع عنك إن للإست نمّة وللأنف شمّة. وليس كل ما تلقاه حبيباً ولا كل ما تشمّه طيباً.

وقيل: هو أفسى من الظربان وذلك أنه يفرق بين الإبل بفسوه ويأتي حجر الضبّ فيفسو عليه فيأكله ويقولون هو أفسى من الخنفساء.

ولبعضهم:

ولي صاحِبٌ أفسى البريّة كلِّها ... يشكّكني فوهُ إذا ما تنفّسا

تحولَتِ الأنفاسُ منه إلى إستهِ ... فما أحدٌ يدري تنفّس أمْ فَسَا

وقال:

لله درّ عصابةٍ نادمتهم ... من كلّ خرق في بيوتِ بلالِ

باتُوا موترة على قسيّهم ... يرمونَني رشقاً بغير نبالَ

يرمون نبلاً من رياح بِطونِهم ... هطلَت مقاتلةً لغَير قتالِ

---

(١) السّرم: طرف المعي والدبر ـ العنفَقَه: شعيرات بين الشفة السفلى والذّقن.

سئل أبو حفص الورّاق في بعض مداعباته ما بال الفسو لا يبقى والطيب يعلق ويبقى؟ **فقال**: إن للباطل جولة ثم يضمحلّ، وللّحق دولة لا ينخفض ولا يذل. **وقال** بعض القصاص: أشكروا الله. **فقيل**: شكر الله على ماذا؟ **فقال** تفسون فتذهب عنكم رائحته وتبخّرون فتعلق بكم فائحته. أليس هذه نعمة من الله صافية؟

● **التخرّي على سبيل التلاعب**

تقايأ رجل على أبي الصلت قال: ويحك ما هذا؟ قال: جاشت نفسي **فقام وخرأ عليه فقال ما هذا قال جاشت إستي. عبد الصمد بن بابك.**

ولــحــيــة لــلــمــخــتــلــي خــبّــأتُــهــا فــي أشــفــلــي
حــتّــى إذا مــا اخــتَــضَــبَــت قــلــت لــهــا تــسنــطّــلــي

وقال الشاعر:

لــو تــمــنــيــت أن أبــلــغ حــالاً لــتــمــنــيْــتُ سلــحَــةً فــي سِــبــالــك

وروي في مداعبات لأبي الفضل بن العميد وكان عنده بعض من يخلع العذار في مداعبته فتناول طاقة شعر من لحيته، **وقال**: خذها يا فلان ودسّها في إستك حتى إذا قلت لحيتك في إستي كنت صادقاً. ويقرب منه لزبتور بن أبي حماد.

كــتــبــت عــلــى حــر أم أبــي نــواس أبــا جــاد وهــوّاز وحــطّــي
وصــيّــرت الــخــتــامَ عــلــيــه أيْــري فــإن هــم غــيّــروه عــرفــت خــطّــيّ

الحدّ السابع عشر

في خَلْقِ الإنسان

•

(١)
الخلقةُ المستحسنة عند العرب

•

قيل لأعرابي: ما الجمال؟ **قال**: ضخم الهامة وطول القامة ورحب الشدق وبعد الصوت. وممّا دل على حمد عظم الرأس ما قال جالينوس: إن الصغير الرأس لا عقل له. وسئل آخر **فقال**: غور العينين وإشراق الحاجبين ورحب الشدقين.

وقال:

وصـلـعُ الـرؤوسِ عـظـامُ الـبـطـون　　　رحـابُ الـشـداق طـوالُ الـقَـصَـر[١]

وقالت امرأة خالد: له إنك لجميل. **فقال**: كيف تقولين ذلك وما فيّ عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه. إن عموده الطول ورداؤه البياض وبرنسه سواد الشعر وأنا قصير أسود أشمط، ولكن قولي إنك مليح.

• الخلقةُ الدالةُ على النجابة أو غيرها

دخل أعرابي على محمد بن سليمان **فقال**: أكان لك ولد؟ **قال**: نعم المخش **قال**: وما المخش؟ **قال**: خرطمانيا أشدق إذا تكلم سال لعابه، ينظر بمثل فلسين كأن صدره كِركِرة[٢] بعير وكأنّ ترقوته خالفة، فقأ الله عيني إن رأيت قبله أو بعده مثله **وقال رجل لسنان بن سلمة**: ما أنت بأرسخ[٣] فتكون فارساً، ولا بعظيم الرأس فتكون سيداً.

قال شاعر:

تـقـلـب رأسـاً لـم يـكُـنْ رأسَ سـيّـدٍ　　　وكـفًـا كـكـفّ الـضّـبّ أو هـي أحـقَـرُ

وقال الزبرقان: أبغض صبياننا الأقيعس[٤] الذكر الذي كأنما يطلع في حجر، وإذا

---

(١) **القصَر**: جمع قَصَرة وهي أصل العنق إذا غلظت.

(٢) **الكركرة**: صدر كل ذي خفّ من البهائم.　　(٣) **الأرسخ**: الثابت المتمكّن.

(٤) **الأقيس**: ضد الأحدب، وهو الخارج الصدر والداخل البطن.

سأله القوم: أين أبوك؟ هرّ في وجوههم. وأحب صبياننا الطويل الغزلة أي جلدة الذكر السبط الغرّة العريض الورك، الأبله الغفول الذي يطيع عمّه ويعصي أمه. إن سأله القوم أين أبوك؟ قال: معكم.

● **الموصوفُ بحسنِ الوجهِ وإشراقِهِ**

فلان كأنه شهاب في ظلمة الليل ساطع وكوكب في أفق السماء لامع، **قال ابن عبدل الأسدي:**

وكـأنـمـا نـظـرُوا إلـى قـمَـرٍ   أو حـيـثُ عـلّـقَ قـوْسَـه زُحَـلُ

وقال ابن العنقاء:

كـأن الـثـريّـا عـلّـقَـتْ فـوْقَ نـحْـره   وفي أنفِه الشعرى وفي وجْهه القَمَرُ

وقال أوس بن حجر:

يُجرّد في السِّرْبالِ أبيضَ صارماً   مبيناً لعيْنِ النّاظرِ المتوسّمِ[1]

وقال آخر:

تـراهُ كـالـبَـدر جـلّـى لـيـلـةَ الظُّـلـمِ

وقال ابن الرومي:

كأنه الشمسُ إذ وافى المُنيفَ بها   على البريّة لا نارٌ على علَمِ

● **الموصوفُ بالقبح**

يقال: أقبح من القبيحة في عين ضرّتها، **كما يقال:** أحسن من الحسناء في عين أمها، وأقبح من زوال النعمى وفوت المنى وطلعة الردى وأسمج من واو عمرو.

قال شاعر:

ووجـهُـك مـن وجـهٍ يـومِ الـفـرا   قِ فـي مـقـلَـتَـيْ عـاشـقٍ، أقـبـحُ

لما سمع بشّار قول حمّاد عجرد فيه:

شـبـيـهُ الـوجْـه بـالـقـرْدِ   إذا مـا عَـمِـيَ الـقِـرْدُ

بكى وقال: ألَمْ يكفِهِ تشبيهي بالقرد حتى جعله أعمى. هو يراني فيصفني ولست أراه فأصفه، **وقال المتنبي:**

وإذا أشارَ محدّثاً فكأنّه   قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أو عَجُوزٌ تلطِمُ

وقيل: أقبح من العزالى[2] ومن زوال النعمة، ومن الحدثان ومن سنة بلا نيل. ووقع

---

(١) **قوله:** تجرّد في السربال أبيض صارماً، عبارة عن مثل معناه أنّه متجرّد للأمور **وقوله:** أبيض أي نقي العرض من الدنس.

(٢) **العزالى:** جمع عزلاء، وهي الإست، السافلة.

بين الأعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض أصحابه أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل عليها **وقال**: إن أبا محمد شيخنا وفقيهنا فلا يزهدنّك فيه عمش عينيه وحموشة[1] ساقيه وضعف ركبتيه، وقزل[2] رجليه ونتن إبطيه وبخر[3] شدقيه. **فقال الأعمش**: قم عنا قبّحك الله فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه وتبصره.

قال ابن الرومي:

يـفـزَعُ الـصـبـيَـةُ الـصّـغـارُ بـهِ   إذا بـكَـى بـعـضُـهـم فـلـمْ يـنَـم

يقال: هو قراءة في قراح، وخراة في مستراح، وجيء بعيّار إلى بعض الكبار فقال لغلامه: الطم حر وجهه **فقال**: يا سيدي ليس لوجهه حر لأنه كان قبيحاً.

قال آخر:

وجــهٌ قــبــيــحٌ حــامِــض   لــو عــضّــه الــكــلــب ضَــرَس

● المعرّضُ بقبيحِ غيرِهِ

رأى خالد بن صفوان الفرزدق **فقال**: يا أبا فراس ما أنت بالذي لما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن؟ **فقال له**: ولا أنت بالذي قالت الفتاة لأبيها يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين.

أخذ رجل من لحية آخر شيئاً فلم يدع له فغضب **فقال**: لا تغضب فما منعني أن أقول صرف الله عنك السوء إلا خوفاً أن يصرف عنك وجهك فإن السوء كلّه فيه.

وقيل لرجل كيف رأيت فلاناً؟ **فقال**: لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً. **وقال رجل للفرزدق**: ما أقبح وجهك كأنما خلق من أحراح[4] فقال أنظر هل ترى حِر أمك فيها.

ونظر رجل قبيح وجهه في المرآة **فقال**: الحمد لله الذي أحسن خلقي، **فقال مخنث**: أم من يبهت ربه زانية.

وقال ابن مكرم لأبي العيناء يا قرد **فقال**: وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه.

● القبيحُ المتغازلُ

قال إسماعيل القراطيسي:

جـاريـةٌ أعـجـبَـهـا حـسْـنُـهـا   ومـثـلُـهـا فـي الـنّـاس لـم يـخْـلـقِ
قـلْـتُ لـهـا إنّـي مـحـبٌّ لـهـا   فـأقـبـلَـتْ تـضْـحَـكُ مـن مـنْـطِـقـي

---

(١) **الحموشة في الساق**: دقّة الساق.
(٢) **القزل**: أقبح العرج.
(٣) **البخر**: رائحة الفم الكريهة.
(٤) **الإحراح**: جمع حِر وهو الفرج.

فـالـتـفـتَـتْ نـحـو فـتـاةٍ لـهـا ... كـأنّـهـا الـربـربُ فـي الـقُـرْطـقِ
قـالـتْ لـهَـا قُـولـي لـهـذا الـفـتَـى ... أنـظُـرْ إلـى وجـهِـكَ ثـم اعـشـقِ

وقال ابن الرومي:

أقـبـحْ بـوجـهِ أبـي حـفـص وعـفّـتـه ... هـذان أمـران لا والله مـا اجـتـمَـعـا

وقال:

تـيْـس تـنـفـقَ بـالـدّلال لـيـشـتَـهـى ... فـازدادَ مَـقْـتـاً بـالـدّلال ومـا نَـفَـقْ
فـكـأنّـه مـن يُـبْـسـه وسـوادِه ... مـحـراكُ تـنّـور تـلـوّى فـاحـتَـرَقْ

وقيل: للحظوة أين تذهبين؟ **قالت:** أفارق القباح.

● المستقبحُ وجهَ نفسِهِ

نظر أبو شراعة في المرآة وكان قبيحاً **فقال:** الحمدُ لله الذي لا يحمد على المكروه سواه، ونظر بعضهم في المرآة وكان جدر فبدل خلقه، **فقال:** الحمد لله الذي خلقني فأحسن خلقي، ثم بدا له فشوّهني فأخذه سعيد بن نوفة **فقال:**

قـد كـانَ ربّـي سـوى خـلـقـه فـطـغَـى ... فـأحـسـنَ الله فـي تـشـويـهِ خـلـقـتِـه

قال الحطيئة:

أرى لـي وجْـهـاً قـبّـح الله خـلـقَـه ... فـقـبّـحَ مَـن وجـه وقـبّـح حـامِـلُـه

● المعتذرُ بقبحِهِ

قيل لحكيم: ما أقبح صورتك، **فقال:** ليس حسنك إليك فتحمد عليه ولا قبحي إليّ فأعاتب عليه، إنما ذلك صنع الباري تعالى من ذمه كفر.

● ذمُّ المجدورِ(١)

قال شاعر:

ووجـهـه بـخـرُ الـذبّـان مـنـقـوشُ

ويقال كأنّما ينظر من كرش. **قال أبو جعفر:** كنت أدور مع الصاحب فنظر إلى باب قلعت مساميره فقال:

وجـهُ أبـي جـعـفـر تـصـاويـرُه ... كـالـبَـاب إذ قـلـعَـت مـسـامـيـرُه

قال ابن طباطبا:

لـنـا صـديـقٌ نـفـسُـهُ ... فـي مـقـتـه مـنـهَـمِـكَـه(٢)
ذو جُـدَري وصـفُـه ... يـحـكـيـه جـلـدُ الـسـمَـكَـه

وهي أبيات كثيرة ذات أوصاف.

---

(١) **المجدور:** الذي أصيب بالجدري فتشوّه وجهه. (٢) **المقت:** الكراهية.

● **الموصوفُ بِحُسْنِ الأنفِ**

وصف رجل قوماً بالشمم فقال ترد أنوفهم الماء قبل شفاههم، **قال شاعر:**

شـمّ الأنـوفِ مـن الـطّـراز الأولِ

● **الأنفُ القبيحُ**

خطب رجل قبيحُ الأنف امرأةً **فقال:** عندي احتمالٌ للمكروه ووفاء عظيم. **فقالت:** ما أشك في احتمالك للمكروه لأنك تحمل هذا الأنف أربعين سنة. كأن أنفه كنيف مملوء شسوعاً[١]

قال بعض المحدثين:

سودُ الوجوه لئيمة أحسابُهم ... ضخمُ الأنوفِ من الطّراز الآخَرِ

هذا معارض لقوله:

بيضُ الوجوه كريمَة أحسابُهم ... شمُّ الأنوف من الطّرازِ الأوّلِ

● **الممدوحُ بطول القامة**

قال شاعر:

كأن زرور القبطريّة علقت ... علائقُها منه بجزعٍ مقوّمِ[٢]

قال أبو نواس:

أشمّ طويلُ الساعدَين كأنما ... يُناط نجاداً سيفُه بلواءِ[٣]

وقال آخر:

يمدّ ركابَيْهِ من الطّول ماتِح[٤]

قال عمرو الباهلي:

يطولُ على الرمْح المدينيّ قامةً ... ويقصُر عنه باعُ كلّ نجادِ

وفد على معاوية رضي الله عنه وفد الروم وفيهم رجل لم يرَ أتمّ خلقاً منه وكتب ملك الروم مما فضل به الروم على العرب هذه الجسوم، فأحضر له قيس بن عبادة فرمى إليه سراويله فكانت إلى خلف الرومي فليم على نزع سراويله فقال:

أردت لكيْمَا أعلمُ القوم أنّها ... سراويلُ قيسٍ والوفودُ شهودُ

---

(١) **الشسوع:** جمع شسع وهو زمام للنّعل.

(٢) **زرور:** جمع زرّ ـ **القبطرية:** ضرب من الثياب ـ **علائقها:** وفي رواية بنادكها.

(٣) **النجاد:** حمائل السيف.

(٤) **الركاب:** ما يعلق في السرج ليجعل الراكب فيه رجليه ـ **الماتح:** الطويل.

وأنْ لا يـقـول غـابَ قـيسٌ فـهـذه   سـراويـلُ عـادٍ قـد نـمَـتْـه ثـمـودُ

● **المذمومُ بالطول**

هو ظلّ الرمح وظلّ النعامة وظلّ الشيطان للمنكر الضخم، وأطول من السكاك أي الهوى.

قال ابن الرومي:

مـن رأيـتُـم بـعـد طـالـو   ت لـه عِـلْـمٌ وجِـسْـمُ

وقد مدح الله تعالى طالوت بقوله: وزاده بسطة في العلم والجسم.

● **نوادرُ في القِصَر**

وقف رجل طويل على بائع رمّان **فقال له:** رمّانك صغير، **فقال له:** اقعد وانظر، فلو نظرت من ههنا إلى بطيخة لم ترها إلا عفصة[1] كان قصّار يعمل كل يوم على نهر ويرى كركيّاً يأخذ الدود فيأكله. فرأى الكركيّ صقراً قد انحط على حمامة فأخذها بمخالبه، فقال الكركيّ: أنا أعظم جسماً منه فمالي رضيت بأكل القاذورات فرأى حماماً فانقض عليه فوقع في الماء ونشب في الوحل فأخذه القصار فكان **يقول:** لمن يسأله عنه هذا كركي **تصقّر**[2] **فتصفّر**.

● **المذمومُ بالقِصرِ**

أقصر من إبهام القطاة ومن فتر الضبّ ومن إبهامه ومن إبهام الحباري. **قال شاعر:**

رأيتُ خَليلي من تقارب شخصه   يعضّ القرادَ بإستِه وهو قائمُ[3]

قال الناجم:

ألا يـا بـيـدقَ الـشـطـر   نـج فـي الـقـيـمَـة والـقـامَـه
لـقـد صـغـرَ مـنـك الـ   ـكـلّ غـيـر الـدبْـر والـهـامَـه

وقال:

أقـصـرُ مـن يـأجـوجٍ فـي قـدّه   وقـرنُـه أطـولُ مـن عـوجِ[4]

قال عباس المصيصي:

يـقـطَـعُ دوّاجـاً لـه سـابـغـاً   وربـقـة مـن ورقِ الـتـوتِ[5]

---

(١) **العفصة:** شجرة من نوع البلوّط.   (٢) **تصقّر:** أراد أن يصيد كالصقر.

(٣) **القُراد:** دويبة كالقمل تتعلق بالبعير.

(٤) **يأجوج ومأجوج:** شعب استنجد بالإسكندر، فبنى الإسكندر السدّ الذي يعرف اليوم باسم سور الصين الكبير.

(٥) **الدوّاج:** ضرب من الثياب، وقيل الكلمة غير عربية ـ **الربقة:** نسج من الصوف، **والربقة الحبل أو الحلقة لشد الغنم الصغار.**

وقال:

كـأنّـه الـبـرغـوثُ لـم يـخـطْـه ... فـي صـغـر الـجـثـمـان والـقـرْصِ

ويوصف القصير بالمكر والخبث قيل: إن كسرى جلس للمظالم فتقدم إليه رجل قصير فأخذ يصبي أنا مظلوم وهو لا يلتفت إليه فقال: الموبذان أنصفة فقال: إن القصير لا يظلمه أحد. فقال الرجل: إن الذي ظلمني هو أقصر منّي فضحك وأشكاه.

وقيل: إن سقراط قال لا تجوز شهادة الأحدب والقصير وإن تزكيا لخبثهما فقيل: ولِمَ خبثا؟ فقال: لقرب دماغيهما من فؤاديهما كان يوسف بن عمر عامل هشام على العراق قصيراً وكان إذا خاط الخياط له ثوباً فقال له: تحتاج إلى خرقة لأن تفصيل الأمير طويل يعطيه ما يريد وإذا قال يكفيك أو يفضل يضربه ويشتمه.

● **المعتذرُ للقصر**

قال المهلّب لرجل: ما أصغرك وأقلك. فقال: إن كثر عقلي فما تضرني قلّتي. وإن طال زهدي. فما يعيبني قصري. ولما استحضر النعمان ضمرة بن ضمرة قال: إن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه فقال: كل الرجال ليسوا بجزر إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه إن نطلق نطق ببيان وإن قاتل قاتل بجَنان[1]:

ومـا عـظـمُ الـرجـالِ لـهـم بـفَـخْـر ... ولـكـن فـخـرُهـم كـرمٌ وخـيـرُ

● **الممدوحُ بالخفةِ والمعتذر للنحافةِ**

قال العجيل السلولي:

فـتـىً قـد قـدَّ الـسـيـفَ لا مـتـضـائـلٌ ... ولا رهـل لـبّـاتـه ومـبـاذلـه[2]

قال الأشجعي:

وإني على ما تزدري من نحافتي ... تزيد موازيني على الرجل الضَخْمِ

قال آخر:

بـدن نـاحِـلٌ وعـزمٌ جـسـيـمُ

قال حاتم:

تـرانـي كـأشـلاءِ الـلـجـامِ ولا تـرَى ... أخـا الـحـرب إلا سـاهـمَ الـوجـهِ أغْـبـرا

قال ابن نباتة:

إن كـان يـؤتـي فـؤادٌ مـن نـحـافَـتـهِ ... فـإنّ قـلـبـي لا يـؤتـى مـن الـخَـوَرِ[3]

---

(١) الجنان: القلب.

(٢) قدّ السيف: قطعه ـ اللبّات: جمع لبّة وهي موضع القلادة من الصدر ـ المباذل: جمع مبذلة وهي الثوب.

(٣) الخور: الضعف.

قال آخر:

لا تجزعَنّ من الهُزال فطالما ... ذُبِحَ السمين وعُوفيَ المهزولُ

وقيل لأعرابي: ما أنحفك؟ فقال سوء الغذاء وجدب المرعى وتناجي الهموم في صدري.

● ذمُّ السمنِ

قيل السمنة عقلة. ونظر عمر رضي الله عنه إلى رجل بادن[1] فقال: ما هذا؟ قال بركة الله فقال: بل شخطه ثم قال إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة ونتن في الممات. ورأى حكيم رجلاً سميناً فقال ما أكثر عنايتك برفع سور جسمك وقال الشافعي ما رأيت سميناً ذكياً إلا محمد بن الحسن قال ابن الرومي:

ليسَ بالراجح من رجحانه لحمٌ وشَحْمُ
من رأيتُم بغد طالوت له جسْمٌ وعلْمُ

وقال:

أميرٌ كلُّه شحْمٌ ولحْمٌ ... وليس وراءه علْمٌ وفهْمُ

وقال بعضهم محال أن يكون روح خفيف في جسم كثيف.

قال كشاجم:

كأنما قدامه بطنُه ... راوية قدْ نقصَت دلْوا[2]

● السَبَبُ المسمِنُ

قيل لسمين: أي شيء سمنك؟ فقال أكلي الحار وشربي القار واتكائي على اليسار، وأكلي من مال كل ذي يسار. ولآخر لاتكائي على شمالي والأكل من غير مالي. وسئل آخر فقال: قلّة الفكرة وطول الدعة والنوم على الكظة[3] وقيل لمحبوس فقال القَيد والرتعة، ومن يكن جار الأمير يسمن.

● أعسر أيسر

حضر أبو العيناء علوية المغنى وكان يضرب بالعسر فقال: أسأل الله الذي جعل السرور بيسارك أن يعطيك كتابك بيمينك.

● ذم القلح[4]

قال ﷺ ما لكم تدخلون عليّ قلحاً استاكوا[5] وقال نظفوا أفواهكم فإنها ممر القرآن.

---

(١) البادن: السمين الضخم.

(٢) الراوية: الناقة التي تحمل الماء.

(٣) الكظة: الامتلاء.

(٤) القلح: صفرة تعلو الأسنان.

(٥) الاستواك: تنظيف الأسنان بالمسواك.

قال جرير:

كأن مقالعَ أضراسهم إذا ضحِكوا جيفُ الخنفُسِ

قال عبد الصمد:

إذا افترّ أبرز قلحَ الأصول كما كشر العير للنهقة

قال عبدان:

ومن رأى من شيخهم أبدانَه ومُعْشَرَه

تجيشُ منه نفسُه حتى يقيءَ العذرَه

● ذمُّ البخرِ

شكا أبخر ضرسه ففتح فاه للطبيب فشمّ منه رائحة كريهة فقال له: مر كناساً يكنسه فهذا كنيف. وقيل اشترى رجل أبرخ جارية فسأله صالح الخيّاط عن خبرها فقال: ما زالت تمص البارحة لساني. فقال: إن صدقت فإنها بنت وردان[1]

وكان عبد الملك يسمى أبا الذباب لأن الذباب كان يسقط إذا قرب من فيه وسارّ سعيدَ بن حميد رجل به بخر فقال: مثلك لا يسار، وإنما يكاتب. قال ابن المعتز:

وإن امرأ يقوى على لثم ثغرِه على الضغط والتعذيبِ في قبره يقوى

وقال:

كلّمَتْني فقُلْت خيراً وخيراً جعل الله بين فكّيك دبْرا

وقال:

إنما نحنُ في كنيفٍ إذا ما جمعَ الريقَ والخرا في مَكان

وقالت امرأة:

فما جيفةُ الخنزيرِ عند ابنِ مقرب قتادة إلا ريحُ مسك وغالِيَه[2]

● عِلّةُ طيب الفمِ والبخرِ[3]

قيل من كثر ريقه وسال لعابه لا يعرض له الخلوف ولذلك كانت الكلاب أطيب أفواهاً ويعرض بانطباق الفم الخلوف وأطيب الناس أفواهاً الزنج. والأسد والصقر موصوفان بالبخر.

● طيب الرائحة

قال شاعر:

الطيبون ثياباً كلما فرقوا

وقيل:

أطيبُ ريحاً من المسْك ومن نفحَةِ النسيم

---

(١) بنت وردان: الصرصار. (٢) الغالية: ضرب من الطيب.

(٣) البخر: رائحة الفم الكريهة.

● **نَتَنُ الإبطِ والجَسَدِ**

قال شاعر:

وإبطُك قابضُ الأرواحِ يرمي ... بسَهمِ الموتِ من تحتِ الثيابِ

قال الخبزارزي:

وكأن ريحَ صنانِه من نتْنه ... في أنفِ باكيةٍ سعوط يُنْشَقُ[1]

وقيل لمخنث: لِمَ كان الإبط أنتن الأعضاء؟ **قال:** لأنه كان فقحة فتورت[2]:

ريحُه ريحُ كلابٍ ... هارشت في يومِ طَلّ

وكأن الريقَ منه ... طعمُ صحناة بخلّ

وقال الخياط الشامري:

يا رخمَتي لبخوره من نتْنهِ ... كمْ في الكنيفِ يضيعُ ريحُ العنبر

وقيل أنتن من ريح الجورب.

● **الشاكي ضعفَ بصرِهِ**

قال شاعر:

أشكو إلى اللهِ أهوالاً أكابدُها ... إذا سرَى القومُ لم أبصِر طريقَهم

● **تسلّي من كُفَّ بصره**

قيل لرجل قد ذهب بصره قد سلب حسن وجهك **قال:** لكنّي منعت النظر إلى ما يلهي وعوضت الفكرة فيما يجدي. فحكى ذلك لبعض البلغاء **فقال:** العفاء على التعزي إلا بمثل هذا الكلام.

وقال الجنيد حضرت أبا علي الأشناني وكان ضريراً فقرأ قارىء يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور **فقال:** سقط عنّي نصف العمل.

قال أبو يعقوب الجريمي:

فإن تكُ عيني خبا نورُها ... فكَمْ مثلُها نورُ عينٍ خَبَا

ولَمْ يعمَ قلبي ولكنّما ... أرى نورَ عيني إليه سَرَى

قال محصن بن كنان:

يقُولون ماء طيبٍ خانَ عينَه ... وما ماءُ عينٍ خانَ عيناً بطيبِ

ولكنّه أزمان أنظر طيباً ... بعيني قطامي على ظهر مرقبِ[3]

---

(١) **السعوط:** الدواء يصب في الأنف، أو دقيق التبغ، والريح الطيبة والسعوط تسميه العامّة العطوس.

(٢) **صحناة:** أي الصحفاءة وهي السمك الصغير المملوح.

(٣) **القطامي:** الصقر.

كأن ابنَ حجل مذ فضلَ جناحه   على بإنسانيهما المتغيّبِ

- **نوادرُ العميانِ في عماهم**

كان أعمى يقول أرحموا ذا الزمانتين. **فقيل**: ما هما؟ قال العمى وقبح الصوت أما سمعتم:

فبي عيبان إن عدّا   فخيرٌ منهما الموْتُ
فقيرٌ ما لَهُ قدْرُ   وأعْمَى مالَه صوْتُ

وقال المتوكل يوماً لجلسائه: لولا ذهاب بصر أبي العيناء لجعلته نديمي. **فقال أبو العيناء لما بلغه ذلك**: إن كان يريدني لقراءة نقش الخواتم وقراءة الأهلة لم أصلح. فضحك واتخذه نديماً.

وقال معاوية لابن عبّاس رضي الله عنهما: إنكم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم فقال: وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائركم. وقيل لبشار: ما أذهب الله عينَيْ امرىءٍ إلا عوضه عنهما فما الذي عوضك؟ **قال**: أن لا أرى مثلك. وسأل رجل بشاراً عن دار فهداه إليها فلم يكن يهتدي **فقال**:

أعمَى يقودُ بصيراً لا أبا لكُم   قد ضلّ من كانَتِ العُمْيان تهْديهِ

وتزوّج أعمى امرأة **فقالت**: لو رأيت بياضي وحسني لعجبت، **فقال**: إسكتي فلو كنتِ ما تقولين لما تركك البصراءُ لي. **وقيل**: الأعمى مكابرٌ والأعور ظلومٌ والأحول تيّاه.
وقيل: في أعمى يدّعي العوَرَ:

أعمى يدلس نفسَه في العُور

وقال أعمى لآخر: فلان أقل حيلة من البصير فعندهم البصراء قليلو الحيلة.

- **العَوَرُ**

أصاب أعور أرمد **فقال**: يا رب ليس محله. وكتب الصاحب في أعور يريد أن يثبت اسمه في العميان هذا الفتى قد جبر عور عينه بعمى قلبه فألحقه بالعميان والسلام وقيل لأعور: ما أشد العمى؟ قال: عندي. نصف الخبر. وقيل لأعور: أعمى الله عينك قال: قد أجيبت نصف دعوتك.

وأصاب حجر عين أعور الصحيحة فوضع يده عليها وقال أمسينا وأمسى الملك لله. وتجارى قومٌ في مجلس فقال أحدهم من كان أعور فهو نصف رجل و من لا يحسن السباحة فهو نصف رجل، ومن لا يتزوج فهو نصف رجل، وكان معهم رجل اجتمعت فيه هذه كلها فقال: إني أحتاج إلى نصف رجل حتى أكون لا شيء. **وقال أعور في نفسه وصاحب له أعور**:

ألم ترَني وعمْراً حينَ نغْدو   إلى الحاجاتِ ليْس لنا نظيرُ

أسـابـرُه عـلـى يـمـنـى يـدَيْـه وفـيـمـا بـيـنَـنـا رجـلٌ ضـريـرُ

ومثله:

هـيَ عـوراءُ بـالـيـمـيـنِ وهـذا أعـورُ بـالـشـمـال وافـق شـنّـا
بـيـن شـخـصَـيْـهـمـا ضـريـر إذا مـا قـعـدَتْ عـن شـمـالِـه تـتـغـنّـى

• وما قِيلَ في الحَوَلِ

خرج هشام فتلقاه أعور **فقال**: إني تشاءمت بعورك، **فقال له الرجل**: شؤم الأعور على نفسه وشؤم الأحول على النّاس. وكان هشام أحول فخجل وعرض على أمير أثواب خزّ، وفي المجلس أعور وأحول، **فقال الأعور للأحول**: بهذا الثوب عيب **فقال**: يا صفعان إن بصرك بعين واحدة أجدّ من بصري بعينين، **فقال الأعور**: دُرَيْهِم جيد خير من درهمين مزيّفين.

وفي وصف أحول:

ونـجـمَـيْـن فـي بـرجَـيْـن هـادٍ وحـائـرُ مـتـى طـلَـعَـا حـلَّ الـكـسـوفُ بـواحِـدِ
لـهـذا عـلـى الـتـقـديـرِ قـوةُ زهـرة وفـي ذا عـلـى الـتـشـبـيـه ظـرف عـطـاردِ
إذا أفـلَ الـهـادي ووافَـاه بـرجُـه تـراءى لـنـا الـمـكـسـوفُ فـي زيّ قـاصـدِ
مـن الأنـجـمِ الـلاتـي جـرَت فـي بـروجِـهـا ولـم تـدرِ مـا مـعْـنـى نُـجـومِ الـفـراقـدِ

• الصَمَمُ

قال المأمون لليزيدي: لم نرك مذ أيام، فقال حصل في سمعي ثقل فأنا أتعبك الآن إفهاماً واستفهاماً فقال الآن طبت أن تكون معنا ما شئنا أسمعناكه وما احتشمنا فيه أسررناه عنك فأنت غائب شاهد وانصرف أطروش[1] من الحلبة فلقيه رجل فقال هذا الرجل يسألني الآن من أين؟ فإذا قلت له من الحلبة فيقول من سبق فأقول الخليفة بالأدهم. فلمّا دنا الرجل سلّم على الأصم **فقال**: من الحلبة **فقال**: نكت أمك **قال**: بالأدهم. وصلى أطروش بجنبه أبخر فلما سلّما، قال له الأبخر، أسها الإمام؟ قال: لا بل فسا ألم تشم؟

• عظمُ الأذنِ وصغرُها

قيل: طول الاذن دليل على طول العمر. وقدّم رجل للقتل وكان طويل الأذن فقيل له: أليس زعموا أن طول الاذن دليل طول العمر؟ **فقال**: لو تركوني لطال، ولكن حالوا بيني وبينه وأحضر رجل طويل الاذن للقتل فجعل يلمس أذنيه ويقول: واضياع أمله وانقطاع رجاه.

---

(١) **الأطروش**: الأصم.

● **الحَدبُ**

قال الجاحظ: من اعتراه الحدب طال أيره واشتد شقّه وكثر خبثه وظرفه. وأتى بعض الولاة بأحدب جنى جناية **فقال**: لأضربنك ضرباً يقيم ظهرك فقال إنك إذاً لعظيم البركة.

وقال شاعر:

تـعـدو الـجـيـادُ بـخـالـد فـكـأنـمـا تـعـدو بـقُـربـه[1]
تـيـس أنـب مـن الـتـيـوس كـأنّ لـحـيـتَـه مـذبّـه

● **العَرَجُ**

قال بشر:

إذا غدوا وعصى الطلحُ أرجلَهم كما ينصبُ وسْط البيعَة الصلبُ

وقال:

قد كنتُ أمشي على رجلَين معتَدِلاً فصرت أمشي على رجلٍ من الشّجَرِ

وقال:

وما بي من عيْبِ الفتَى غيرَ أنني جعلْت العَصا رِجْلاً أقيمُ بها رِجْلي

وقال الغساني:

إذا ما تعدّت بي وسارَت مخفّفة لها أرجُلٌ يسْعى بها رجلانِ
وما كنتُ من فرسانِها غيْرَ أنّها وفتْ لي لما خانَتِ القدَمانِ

● **الاعتذارُ من سواد اللون ومدحُه**

وقال عبد بني الحسحاس:

إن كنت عبداً فنفسي حرّة كرماً أو أسودَ اللونِ إني أبيَضُ الخُلُقِ

وقال:

وما ضرّ أثوابي سَوادي وتحتَه لباسٌ من العَلْياء بيضٌ نبائقه[2]

وقال المتنبي:

فدىً لأبي المِسْك الكرام فإنّها سوابقُ خيْلٍ يهتَدين بأدَهمِ

وقيل لنصيّب أيها العبد الأسود **فقال**: أما العبودية فإنّي ولدت حراً، وأما السواد فأنا كما قال:

فإن يكُ حائِلاً لوني فإنّي لعقلٍ غير ذي سَقط وعاءُ

---

(١) أنبَ التيس: هاج.

(٢) النباتق: العقد في العنقود.

● **هِجَاءُ السودان**

قال كشاجم:

يـا مشـبِـهـاً فـي لـونـه فـعـلَـه　　لـم تـعْـدُ مـا أوجبَـتِ الـقِـسْـمَـه

ظـلـمُـك مـن خـلـقِـك مسـتـخـرَجٌ　　والـظُّـلْـم مـشـتَـقٌّ؟ مـنَ الـظُّـلْـمَـه

وهو مأخوذ من قول حكيم. **وقيل له:** ما تقول في الأسود قال خيره كلونه وسأل المتوكل رجلاً لِمَ ملت إلى السودان؟ **فقال:** لأنهن أسخن. فقال عبادة: ـ وكان حاضراً ـ نعم للعين.

وقال جرير في أسود عليه ثوب أبيض:

كـأنّـه لـمَّـا بـدا لـلـنّـاس　　أيـرُ حـمـارٍ لُـفَّ فـي قِـرْطـاس

● **نوادرُ في السودان**

رأى مخنث زنجياً يفجر برومية **فقال:** يولج الليل في النهار. ورأى زنجياً يبكي فقال كأنه مطبخ يكف. ورأى سوداء متخمرة بأصفر، **فقال:** كأنها فحمة في رأسها نار.

● **البَرَصُ**

كان جذيمة أبرص فكني عنه بالأبرش. ودخل عامر بن مالك وكان عمّ لبيد وكان شيخاً، على النعمان فعبث به الربيع بن زياد، وأضحك منه الحاضرين، فخجل الشيخ وانصرف وشكاه إلى لبيد فقال: دعه لي. فدخل على النعمان وهو يؤاكل الربيع **فقال:**

مـهـلاً أبـيـتَ الـلـعـنَ لا تـأكـل مـعـه

فقال النعمان: لمه؟ فقال:

إن إسـتَـه مـن بـرص مـلـمَّـعَـه　　وأنـه يُـدْخِـلُ فـيـهـا إصْـبَـعَـهْ

يـدخـلـه حـتّـى يـواري إشـجـعَـه　　كـأنّـه يـطـلـبُ شـيْـئـاً ضـيّـعَـهْ[1]

فأمسك النعمان ولم يأذن له بعد ذلك فأرسل إليه **يقول:** إنه كاذب فأرسل من يفتشني. **فقال النعمان:**

قـد قـيـلَ مـا قـيـلَ إن حـقّـاً وإن كـذِبـا　　فـمـا اعـتـذارُك مـن قـولٍ إذا قِـيـلا

وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: إن كنت كاذباً فرماك الله ببيضاء لا تواريها العمامة فصار به برص وجلس عمرو بن هذاب للشعراء فأنشده طريف بن سوادة أرجوزة فيه حتى انتهى إلى قوله:

أبـرصُ فـيّـاضُ الـيـدَيْـن أكـلـفُ　　والـبـرص أنـدى بـالـلُّـهـا وأعـرَفُ

---

(١) **الإشجع:** واحد الأشاجع، وهي أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف، أو هي عروق ظاهر الكف.

وكان عمرو أبرص فثار به بعض حاضريه: اسكت قطع الله لسانك فقال عمرو مه إن البرص من مفاخر العرب أما سمعت ابن حينا يقول:

لا تحسبنَ بَياضاً فيهِ منقَصَةً ... إن اللهاميمَ في أقرابِها بُلْقُ[1]

وقال جرير:

كأن بني طهية رهط سلمى ... حجارةُ خارىءٍ يرمي كِلابا

لها برصٌ بأسفلِ اسكتَيْها ... كعَنْفَقَةِ الفرزدق حين شابا

ويقال لما أنشد صدر البيت وضع الفرزدق يده على عنفقته علماً بما يؤول إليه صدر البيت.

● القملُ

كان أعرابي يفلّي كساءه فيأخذ البراغيث ثم يدع القمل فقيل له. فقال: أبدأ بالفرسان وأكر على الرجّالة. ورأى فيلسوف قملة تدبّ في رأس أقرع، فقال هذا لصّ في خربة.

وقال أبو نواس:

للهِ دَرّكَ مِنْ أخي ... قنص أظافرُه كلابُه

رؤي أعرابي يأكل ويخرأ ويتفلّى فقيل له في ذلك، **فقال:** أخرج داء وأدخل دواء وأقتل عدواً.

وقال الصاحب:

أما ترى وجهَ أبي زيدِ ... أقبحَ من حبْس ومن قَيْدِ

وحوشُه ترتَعُ في جيبِه ... وظفرُه يركَبُ للصَّيْدِ

وقال:

للقمْلِ حولَ أبي العلاء مصارعُ ... ما بيْن مقتولٍ وبين عقيرِ

وكأنهنّ لدى دروعِ قميصِه ... فذو توأم سمسمِ مقشورِ

قال كشاجم:

لو بذّل اللّهُ قملةً غنَما ... ما طمِع الجارُ منه في صُوفِه

● أنواعٌ مختلفةٌ متعلقةٌ بهذا الفصلِ

دخل أكثم البطحاء ورأى بني عبد مناف **فقال:** كأنهم أبرجة الفضة وكأن عمائمهم فوق الرجال يلحفون بالخيرات الأرض، وقال يا بني تميم إذا أراد الله أن ينشىء دولة ثبت لها مثل هؤلاء هذا غرس الله لا غرس الرجال.

---

(١) **اللهاميم**: جمع لهوم وهو الجواد من الناس أو الخيل ـ **البلق**: البيض، جمع الأبلق.

وقيل: من قصرت قامته وصغرت هامته وطالت لحيته كان حقيقاً على المسلمين أن يقروه على قلّة عقله. **وقال:**

يلحِنُ في المَشْي حين يفقُدني   وإن رآني مشى بإعرابِ

(٢)

وممّا جاء في محاسنِ المحبوبِ وميلِ النفوسِ إليه

●

رأت رابعة الحسنَ يقبل غلاماً صغيراً مليحاً **فقالت:** أما شغلك حب الله عن حبّ غيره؟ **فقال:** من حبّ الله حبّ من حسن خلقه:

● **الكاملُ الحسنِ**

قال شاعر:

ليسَ فيها ما يُقال لهُ   كمُلَت لو أنّ ذا كمُلا

قال آخر:

خلقْن أحسنَ ممّا قال مَنْ يَصِفُ

قال الحكم بن أبي فنن:

لو قسم اللهُ جزءاً من محاسِنه   في النّاس طرّاً تمّ الحسنُ في النّاسِ

● **الموصوفُ بإزالةِ الظلامِ**

وأنّه قائم مقامَ أقمارِ

قال آخر:

رأيتُ عليه مسحةَ الشمس والبدْرِ

وقال آخر:

رأيتُ بهِ من سِنةِ البدر مَطْلعاً

وقال آخر:

كأنّما البدْرُ من إزراره طلعَا

قال بكر بن النطاح يصف نسوة:

تورّغن فيما بينهنّ سنَا البَدْرِ

قال البحتري:

أضرّتْ بضوءِ البَدْرِ والبدرُ طالعُ   وقامَتْ مقامَ البدْر لمّا تغيّبا

وقال ابن الرومي:

يا شبيهَ البدْرِ في الحُسْنِ وفي بعْدِ المَنالِ

ورأى بعضهم مليحاً يمشي في الشمس فقال: اتّق ضرّتك لا تكسفك.

- **مَنْ هُوَ كالشمس الطالعةِ والجانحةِ**

قال قيس بن الحطيم:

فرأيتُ مثْلَ الشمس عند طلوعِها ... في الحُسن أو كدنُوها لغروبِ

وقال البحتري يصف مرتحله:

دنَتْ عند الوداع لِوَشْكِ بَيْنٍ ... دنوَّ الشمس تجنَحُ للأَصيلِ

- **الموفي على النيّرين**

قال عليّ بن الجهم:

يا بدرُ كيف صنعْتَ بالبدرِ ... وفضَحته من حيثُ لا يدْري
الدهرُ أنتَ بأسرِه قمَرٌ ... ولذاك ليلتُه من الشهْرِ

قال عليّ بن الأصفهاني:

وقد خجلتْ شمسُ الضحى منك غُدوةً ... فكادَت كما جاءَتْ إلى الشرقِ ترجِعُ

قال كثيّر:

لو أن عزة خَاصمَت شمْسَ الضّحى ... في الحُسْنِ عنْدِ موفق لقضَى لها

فكمل المعنى بقوله عند موفق:

- **من يَزْدَادُ حسناً بتزايدِ النظرِ إليه**

قال شاعر:

لها النظرةُ الأولى عليْهم وبسطةٌ ... وإن كرّتِ الأبصارُ كان لها العُقْبى

قال أبو نواس:

يزيدكَ وجهُهُ حسْناً ... إذا ما زِدْتَه نظَرا

- **مَنْ يَهْوَاه لحسنهِ مَنْ يَراه**

قال عليّ بن جبلة:

أغرُّ تَوالدُ الشهواتُ منه ... فمَا تعْدوه أهواءُ القُلوبِ
وما أكتحلتْ بهِ عيْنٌ فتبقى ... مسلمَةُ الضميرِ من الذنوبِ

وقال آخر:

كأن قلوبَ الناس في قلبهِ قلْبُ

قال الصاحب:

وسألتُه منْ أنتَ يا ... شغلَ القلوبِ فقالَ أفه

● **من هو قَيْدُ النواظرِ لجماله**

قيل هو قيد النواظر. قال أبو فراس:

فـإذا بـدا اقـتـادَت مـحـاسـنُـه ... قـسـراً إلـيـه أعـنّـةَ الـحَـدَقِ

قال ابن المعتز:

مـنـظـرُه قـيـدُ عـيـونِ الـورى ... فـلـيْـس خـلْـقٌ يـتـعـدّاهُ

قال أبو نواس:

لـلـحـسْـن فـي وجـنـاتـه بِـدَعٌ ... مـا أن يـمـلّ الـدرسَ قـاريـهـا

● **من هو في الحسن كالنار أو كالثلج**

قال أعرابي: رأيت جارية كأنها نار موقدة، **وقال:**

كجمرِ غضى هبّت له الريحُ ذاكيا(١)

قال ديك الجن:

إن بـيْـتـاً أنـتَ سـاكـنُـه ... غـيـرُ مـحـتـاج إلـى الـسُّـرُجِ

● **مَنْ أعطى من الحسنِ مُشْتَهَاهُ**

قال أبو نواس:

خـلّـيـتَ والـحـسْـنَ تـأخـذُهُ ... تـنـتـقـي مـنـه وتـنـتـخِـبُ

فـاكـتـسَـت مـنـه طـرائـفُـه ... واسـتـزادَت فـضْـلَ مـا تـهَـبُ

وقال المتنبي:

حـبـيـبٌ كـأن الـحُـسْـن كـان يـحـبّـه ... فـآثـرَه أو جـارَ فـي الـحـسْـن قـاسِـمُـه

وقال محمد بن وهب:

قـد خـلـعَ الـحـسـنُ عـلـى وجْـهـه ... سـربـالَ مـخـمـودٍ ومـخـمـودِ

● **حُسْنُ السافرةِ**

قال بعضهم:

وجـوهٌ زهـاهـا الـحُـسْـن أن تَـتَـنـقّـبـا

وقال الشماخ:

أطـارَت مـن الـحُـسْـن الرداءَ الـمـحـبّـرا

قال يزيد بن التثرية:

فـألقَتْ قِناعاً دونَـه الـشـمْـسُ واتّقَتْ ... بـأحـسنِ مـوصـولَـيْـن كـفٍّ ومـعـصَـمِ

---

(١) الغضا: نوع من الشجر جمره يدوم طويلاً.

قال بعضهم:

لها حاجبان الحسنُ والقبح منهُما ... كأنّهما نونان من كفّ عاشقِ

● **العينُ المكسرةُ**

يستحسن في صفتها قول بشار:

حوراءُ إن نظرَت إليـ ... ـك سقَتْك بالعينَيْن خَمْرًا[١]

وكأنّ تحت لسانِها ... هاروتُ ينفُثُ فيهِ سِحْرًا[٢]

وسمع ذو الرمّة إنساناً ينشد قوله:

وعَيْنَان قالَ اللّهُ كونا فكانَتا ... فعُولان بالألبابِ ما تفْعَلُ الخَمْرُ

فقال ذو الرّمة فعولان كأنه تورّع أن يقول فعولين فيكون ذلك بأمر الله تعالى.

● **العينُ الفاترةُ**

وسنانُ أقصدَه النعاسُ فرنَّقَتْ ... في عينِه سِنَةٌ وليْسَ بِنَائِم

قال البحتري:

وكأنّ في جسْمي الذي ... في ناظرَيْك من السّقَم

وله:

ما بعيْني هذا الغزالَ الغريرُ ... من فُتونٍ مستجلَبٍ من فُتورِ

قال أبو عبيدة يعجبني من شعر أبي نواس قوله:

بعيدةُ كرِّ الطرفِ تحسَب أنّها ... قريبةُ عهدٍ بالإفاقةِ مِنْ سُقْمِ

● **العينُ الجارحةُ**

قال أشجع:

وتنالُ منك بحدّ مقلَتِها ... ما لا يَنال بحدّه النّصْلُ

وقال أبو تمّام:

إن للّه في العِباد منَايا ... سلطتْها على القُلوب العيونُ

وقال المتنبّي:

من طاعِني ثُغَرِ الرّجال جَآذِرٌ ... ومنَ الرّماحِ دمالِجٌ وخلاخلُ[٣]

---

(١) الحوراء: العين الشديدة البياض والسواد.

(٢) هاروت: ومثله ماروت ملكان وقعا في الخطيئة، وينسب السحر إلى هاروت.

(٣) الثغر: جمع ثغرة وهي نقرة النحر ـ الجآذر: الجؤذر ولد البقرة الوحشية، والجآذر (هنا): النساء ـ الدمالج: الدملج حلي يلبس في العضد ـ الخلاخل: حلى تزين بها الساق.

ولذا إسمُ أغطيةِ العيونِ جفونُها		من أنها عَمَلُ السيوفِ عواملُ

وقال جعفر المصري:

نظرت إليها نظرةً فكأنما		نظرَتْ بتلك العيْنِ سكينُ شاطِر

- **العينُ الساحرةُ**

قال كشاجم

بالله يا متغرّداً في حسنِه		ومقلباً هاروتَ بين محاجِرِه

وقال الصاحب:

ولو أن هاروتاً رأى فترَ عينِه		تعلّم كيفَ السحْرُ من حدّ جفْنِه

- **العين الكحلاءُ**

وقال صالح بن عبد القدوس:

كحلَ الجَمالُ جفونَ أعينِها		فغنِينَ عنْ كحْلٍ بلا كُحْلِ

وقال:

كأنهما مكحُولتان بأثمِدِ		وما بِهِما غيرُ الملاحَة من كُحْلِ

وقال المتنبي:

لَيس التكَحُّلُ في العَيْنَيْنِ كالكَحَلِ

- **العينُ الحولاءُ**

قال الصاحب من بديع ما قيل في الحول:

نظرتُ إليها والرقيبُ يخالُني		نظرْتُ إليْهِ فاسترَحْتُ من العَذْلِ

- **العينُ الضيقةُ**

قال الخوارزمي:

بأبِي مَن عينُه أبداً		في عداتٍ وهْيَ لا تَعِدُ

وقال:

يقاربُ ما بيْن الجُفونِ كأنما		يلاحِظُ من شقّ على حَزْفِ درهمِ

- **حسنُ الأنفِ**

وقال طريح بن إسماعيل:

وليِنُ المنخَرَيْن معتدلُ الـ		ـمارنِ لا سابلٌ ولا جَعْدُ

- **حسنُ الثغر**

قيل: الثغر الحسن يحلّي الوجه القبيح **قال البحتري:**

كأنما يفتَرّ عن لؤلؤٍ		منضّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاح

وله:

لــكَ مــن ثِـغـره ومِـن خَـدّه مـا شِـئْـتَ مِـن أقـحـوان أو جُـلّـنـار[1]

ومن جيّده لبعض القدماء:

إذا ما اجـتـلـى الـرانِـي إلَـيْها بطـرْفِـه غـروبَ ثـنـايـاهـا أضـاءَ وأظـلَـمـا

- **الأسنان**

قال المتنبّي:

ويـبـسِـمْـنَ عـنْ درٍّ تـقـلّـدْنَ مـثْـلَـه كـأنَّ الـتـراقـي وُشّـحـت بـالـمـبَـاسـمِ

وقال طرفة:

بـــردٌ أبـــيــضُ مــضــقــولُ الأشَــر

وقال البحتري:

لـهـا مبْسَمٌ كـالـبَـلْـرِ يـضْـحَـكُ عـنْ درِّ

وقال الزاهر:

نــونــاتُ درّ عــلَــى دالاتِ مُـزجـان

وقال ذو الرمة:

جرى الأسحِلُ الأحوى بطَفل مطرّفِ على الـغـرّ مـنْ أنـيـابِـهـا فـهـي نُـصّـعُ

- **طِيبُ الفم**

قال كشاجم:

تــبَــسّــمَ عَــنْ واضِــح بَــرودِ تــضــيــقُ عــن طــيــبِــه الــكــؤوسُ

قال المتنبّي:

وأشـنـبُ مـعـسـولُ بـرْد الـثّـنـايـا لـذيـذُ الـمـقـبّـل والـمـبـتَـسـم

ويقال: فمها أعذب من برد الشراب وجسمها أعجب من برد الشباب.

- **مَنْ ذَكَرَ طيبَ فم زعم أنه لم يَذُقْهُ**

أول من قاله النّابغة فقال:

زعـمَ الـهُـمـامُ ولَـمْ أذُقْـه، أنّـه يُـشْـفَى بريّا ريقِها العَطشُ الصّدي

قال بشّار:

يـا أطـيـبَ الـنّـاس ريقاً غـيرَ مـخـتـبَرِ إلا شـهـادَةُ أطـرافِ الـمَـسـاويـكِ

- **طيبُ الفمِ وحسنُ المبتسمِ معاً**

قال ابن الرومي:

وقـبّـلْـتُ أفـواهـاً عِـذابـاً كـأنّـهـا يـنَـابـيعُ خـمـر حـصـبَـت لـؤلـؤَ الـبَـحْـرِ

---

(١) **الأقحوان**: زهر أبيض مفلّج الأوراق تشبّه به الأسنان ـ **الجلّنار**: زهر الرمان، شبّه به حمرة الخدّ.

وقال:

ومـبـتـسـمٌ عـذبُ الأشـر ... ألـفَ مـن خـمـر ودُرّ[1]

وقال:

أحاذِرُ في الظُّلُمات أن يستشفني ... عيونُ الغَيارى في وَميض المضاحِكِ[2]

وقال:

تبسّمنَ فاستضحكنَ طامِسَةَ الدّجى ... عنِ الأفقِ في الظلْماء أوجهها طحْلُ[3]

وقال:

كأنَّ ابتسامَ البرق بيني وبينَها ... إذا لاحَ في بعْض البيوتِ ابتسامُها

وقال آخر:

تبسّم إيماضِ الغَمامِ المُكَلّلِ[4]

ولمسلم وهو نادر:

تبسّم عنْ مثْلِ الأقاحي تبسّمت ... له مزنَةٌ صيفيّة فتبسّما[5]

وقال:

كأنَّ دراً إذا هي ابتسَمت ... من ثغرِها في الحَديث ينتَثِرُ[6]

● **الحَسَنُ الحديثِ والكلامِ**

قال أبو حيّة:

إذا هنّ ساقطْنَ الحَديثَ كأنّه ... سقاطُ حصَى المرْجانِ من سلْكِ ناظِمِ[7]

رمَيْن فأقْصدْن القلوبَ ولم تجِدِ ... دماً مائراً إلاّ جرَى في الحيازِمِ[8]

قال البحتري:

ولما التقينا والنقا مواعِدٌ لنا ... تعجب رائي الدرّ حسْناً ولاقِطُه

فمِن لؤلؤٍ تجْلوه عند ابتسامِها ... ومن لؤلؤٍ عند الحديثِ تساقِطُه

قال آخر:

كأن حديثَها سُكْرُ الشبابِ

---

(١) **الأشر**: التحزيز في الأسنان.

(٢) **استشف (ه)**: نظر ما وراءه - **المضاحك**: الأسنان الضواحك.

(٣) **الطُحْل**: جمع الأطحل من الطُحلة وهي لون كلون الرماد.

(٤) **الغمام المكلّل**: السحاب المتراكم بشكل إكليل.

(٥) **المزنة**: السحابة الممطرة.

(٦) **يقول** كأنها وهي تبتسم متحدّثة تنثر من ثغرها لؤلؤاً.

(٧) **المرجان**: صغار اللؤلؤ.

(٨) **أقصدت القلوب**: رمتها بسهام عيونهن وأصبن فيها مقتلاً.

وقال:

هي الدرّ منظُوماً إذا ما تكلّمَت وكالدرّ مجموعاً إذا لمْ تكلّمِ

وقال:

إن طالَ لمْ يملِلْ وإن هِي أوجزَتْ ودّ المحدِّثُ أنّها لمْ تُوجِزِ

وقال:

كأنّما عسَلٌ رجعان منطقها إن كانَ رجعُ كلامٍ يشْبِهُ العَسَلا[1]

● الفِرعُ الواردُ والكثيفُ

قيل لأعرابي: أي النساء أحسن؟ فقال الغرّاء الفرعاء أي الحسنة المفترّة عن الثغر الوافرة الشعر، فمها بارد وشعرها وارد.

قال بعضهم في وصف ما حلقه عمر رضي الله تعالى عنه ـ من الشعر ـ وقيل هو أحسن ما قيل في الشعر:

لقَد حلَقوا منْها غُدافا كأنّها عناقيدُ كرْمٍ أينَعَتْ فأسْكَرَت[2]

وقال:

عناقيدُ غربيبٍ تدلَّيْن عن كرْمِ[3]

وقال المخبّل السعدي:

وتضلّ مدراها المواشط في جعْدٍ أغَمّ كأنّه كَرْمُ[4]

قال ابن المعتز:

دعَت خلاخيلُها ذوائبَها فجئْن منْ رأسِها إلى قدَمِ[5]

● وصفُ الشعَرِ والوَجْهِ معاً

قال بكر بن النطاح:

بيضاءُ تسحَبُ من قيامٍ فرعَها وتغيبُ فيه وهو ليْلٌ أسْحَمُ[6]
وكأنّها فيه نهارٌ ساطعٌ وكأنّه ليْل عليْها مظْلِمُ

---

(١) **رجعان منطقها**: ترداده ومعاودته.

(٢) **الغداف**: الشعر الطويل الأسود والغداب والغراب الكبير الطويل الجناحين.

(٣) **الغربيب**: الأسود الحالك.

(٤) **المدرى**: المشط ـ **الجعد الأغم**: الشعر الأسود، وقد شبهه بعناقيد العنب.

(٥) **الذوائب**: ضفائر الشعر والخلاخيل ما يزين الساق من حليّ، وقوله دعت خلاخيلُها ذوائبها كناية عن طول شعرها.

(٦) **الفرع**: الشعر، شُبّه باللّيل الحالك السواد.

وقال آخر:

نشرَتْ غدائِرَ فرْعِها لتظلّني ... حذرَ الوُشاةِ من الغيور المطرِق
فكأنّني وكأنّه وكأنّها ... صبْحان باتا تحت ليْلٍ مُطْبِقِ

قال منصور النمري:

ودنَت عناقيدُ الكرو ... مِ على الأهلّةِ والبُدورِ(١)

● السّوالفُ

قال امرؤ القيس:

وجيدٍ كجيدِ الرّيم ليْسَ بفاحِشٍ ... إذا هِيَ نصَّتْهُ ولا بمُعَطّلِ

وقال بكر بن النطاح:

ترى القرطَ منها في قناةٍ كأنّها ... بمهلكةٍ لولا العُرى والمعاقِلْ

وقيل: هي بعيدة مهوى القرط.

وقال ابن الرومي:

أساءني إعراضُهُ ... عنّي ولكن سرّني
سالفتاه عوضٌ ... منْ كلّ شيء حسَنِ(٢)

وقال الصنوبري:

للغُصْنِ أعطافُها وقامَتُها ... وللرّشا جِيدُها وعيْناها(٣)

● الصدْغ

قال أبو نواس:

كأنّ مخَطّ الصُّدْغِ في حُرّ وجْهِها ... بقيّةُ أنقاسٍ بإصبعِ لائِقِ(٤)

وقال ابن المعتز:

ألم ترني بليتُ بذي دَلالٍ ... خليّ ما يرقّ وما يُبالي
غلالةُ خدّه وردٌ جنيّ ... ونون الصدْغِ معجمَةٌ بِخالِ(٥)

وقال ديك الجن:

كأنّ قافاً أديرَت فوْق وجنتِه ... واختَطّ كاتبُها مِنْ بعْدِها ألِفا

---

(١) يقول إن ذوائب شعرها الأسود غطت وجوها كل منها يشبه الهلال والبدر.

(٢) السالفتان: الشعر في جانبي الوجه.

(٣) الرشا: ولد الظبية.

(٤) مخطّ الصدغ: منبته ـ الأنقاس: النقس المداد ـ اللائق: الذي يصلح المداد أو الحبر.

(٥) غلالة الخدّ: أي بشرة وجهه شبهها بالغلالة وهي شعار يلبس تحت الثياب.

وقال الصنوبري:

عــقــربُ الــصــدغِ لــمَــاذا ... ســالــمــتــه وهــو وحــدَه[1]

تــلــدغُ الــنــاسَ جــمَــيــعــاً ... ثــمّ لا تــلــدَغُ خــدّه

● **العِذَار والطرُّة**

قال أبو الفضل بن العميد:

من عَـذيـري مِـن عـذاري قـمَـر ... عـرّض القـلـبَ لأسبابِ التَّـلَـفْ

عـلـم الـشـعـرِ الـذي عـاجَـلـه ... أنـه جـارٍ عـلـيْـه فَـوَقَـفْ

وقال بعضهم:

رأيـتُ وقـد لاحَ الـعِـذارُ بـخـدّه ... على وجْهِه نمْلاً يدبّ على عَاجِ

وقال:

لـه شـعـرٌ مـن زغـبِـه فـي بـيـاضِـه ... كمِثْل قطار النّمْلِ دبّ على ثَلْجِ

وقال السلامي:

مـددتُ طـرّتـه كـيْـسمـا ألاعـبُـه ... فأقبلَت واستدارَت كالخواتِيمِ

● **الشاربُ**

قال السلامي:

له من عيونُ الوحْش عينٌ مريضَةٌ ... ومن خضرة الريْحان خضرةُ شاربِ

كـأن غـلامَـاً مـاهِـراً خـطّـه لـهُ ... فجاءَ كنِصْفِ الصّادِ منْ خطّ كاتِبِ

● **حسنُ الكفِ والأناملِ**

قال النابغة:

بـمـخـضّـب رخْـصٍ كـأنّ بـنـانَـه ... عَنَمٌ يكادُ من اللطافَة يعْقَدُ[2]

وقال ابن المعتز:

أثـمـرَت أغـصـانُ راحَـتـه ... لـجـنـاةِ الـحُـسْـن عـنّـابـا[3]

قال آخر:

أطـرافُـه تـعْـقَـدُ مـنْ لـيـنـهِ

---

(١) عقرب الصدغ: شعر جانب الوجه المعقوف كالعقرب.

(٢) البنان: الأصابع، جمع بنانة ـ الرخص: الناعم الطري أو اللطيف ـ العنم: شجر ليّن الأغصان ووروده أحمر كالبنان الطويل.

(٣) الراحة: باطن الكف ـ العناب: ثمر أحمر اللون بحجم حبّ الزيتون.

وقال آخر:

عضتِ العُنابَ بالبَرَد[1]

وقال المتنبي:

ويمسحُ الطَّلَّ فوقَ الورْد بالعَنَمِ

● البنانُ المخضّبةُ

قال بعضهم:

أنابيبُ درٍّ قمِّعت بعَقيقِ[2]

وقال الناشي:

كأن تطاريفَ الخِضابِ بكَفِّها ... فصوصُ عقيقٍ فوقَ قضبِ زبرجَدِ

وقال ابن الرومي:

وكفٌّ كأنَّ الشمسَ أبدَتْ بنانَها ... إلى الليلِ مخضوباً فقمعُها الليلُ[3]

ونقال دعبل يهجو:

كأنما كفُّها إذا اختضَبَت ... مخلبُ بازٍ قد ضُرِّجتْ بدَمِ

● طولُ القامةِ

قال تميم:

يهززن للمَشي أعطافاً منَعّمَةً ... هزَّ الجنوبِ ضحىً أغصانَ يبرِينا[4]

أو كاهتزازِ ردينيٍّ تداولَه ... أيدي التجار فزادُوا متنَه لِينا[5]

وقال آخر:

ويخجَلُ الغصْنُ من تثَنّيهِ[6]

وقال أبو نواس:

طويلةُ خوطِ المتنِ عند قيامِها ... ولي بالطويلات المتونِ وُلوعُ

وأنشد بشار قول المجنون:

إلا إنّما ليلي عصَا خيزرانةٍ ... إذا غمزَتْها الكَفُّ فهْيَ تلِينُ

فقال: والله لو جعلها عصا مخ أو ثريد لكان قد هجن فكيف بذكر العصا هلا قال كما قلت:

وحوراء المدامِع من معَدٍّ ... كأنَّ حديثَها قطعُ الجُمانِ[7]

إذا قامَتْ لحاجتِها تثَنَّتْ ... كأنَّ عظامَها من خَيْزرانِ

---

(١) العناب: الأصابع الشبيهة بثمر العناب ـ البرَد: الأسنان البيضاء.

(٢) العقيق: الخرز الأحمر. (٣) مخضوباً: مصبوغاً أو ملوناً بالحناء.

(٤) الأعطاف: جمع عطف وهو جانب الجسم ـ يبرين: موضع ـ الجنوب: ريح تهب من جهة الجنوب.

(٥) الرديني: الرمح المنسوب إلى ردينة وهي امرأة كانت تصنع الرماح.

(٦) تثنيه: تمايله بزهو. (٧) الجمان: اللؤلؤ، واحدته جمانة.

وقال آخر:

كــأنّــه فــي اعــتــدالــه أَلِــفٌ ... لـيْـس لـهُ فـي الـكِـتـابِ تـخـريـفُ

وقال آخر:

شـبـهـتُـهـا حـيـنَ قـامَـت ... ســاريــةً مــن ســواري

أنــامــلُ أخــرجــتــهــا ... شــبَّــهــتــهــا بــالــمــدارِي

الربعة:

عبد الله بن عجلان:

ومـخـمـلـة بـالـلـحـم من دونِ ثـوبـهـا ... تـطـولُ الـقـصـارُ والـطـوالُ تـطـولُـهـا

قال بعضهم: أعلاها قضيب وأسفلها كثيب لم تذهب طولاً في إفراط ولا قصراً في انحطاط[(١)]

● طولُ القامةِ مع عظم العجيزةِ

قيل لبعضهم: كَيف رأيت فلانة؟ قال: غصنا حاملاً لكثيب.

قال عديّ بن الرقاع:

تـسـاهـم ثـوبَـاهـا فـفـي الـدرعِ غـادَةٌ ... وفي الـمُـرْط لِـفّـاً وإن ردفـهـا عـبْـلُ[(٢)]

قال الخبزارزي:

تـراكَ سَـرَقْـتَ قـدّك مـنْ قـضـيـبٍ ... أم اسـتـوهـبْـت ردفَـك مـنْ كـثـيـبِ

وقال: فنصفا قناة ونصفا نقا.

● عظمُ العجيزة

وصف بعضهم نسوة فقال: هن والله غيرُ قبيحات الطول، إذا مشين انتعلن الذيول، وإذا ركبْن أثقلن الحمول، تجاهد بالمشي أكفالها.

قال أبو النجم:

تـأزّزنَ تـحـت الأزر: رمـالُ عـالِـج[(٣)]

قال ابن أبي زرعة:

إذا مــا نــهــضَ الــخــضــر ... بــه أقــعــده الــردفُ[(٤)]

وقالت امرأة لأخرى: أنحتك وسادة فقالت: وسادة وسّدَنيها الله.

---

(١) شبّه قامتها بالغصن وكفلها أو عجيزتها بكثيب من الرمل.

(٢) اللّف: البستان المجتمع الشجر أو الملتف النبات، واللف الروض أيضاً ـ الردف العبل: الممتلىء.

(٣) عالج: موضع رمليّ مشهور.

(٤) يشير إلى امتلاء الردف وثقله وهذا الوصف من مظاهر الحسن عند العرب القدامى.

● **دقّةُ الخَصْرِ**

مخصّر الخصْرِ هضيمُ الحشَى صغيرُ ثناء الوشاحين[١]

وقال آخر:

هضيمُ الكشح حاملةُ الوِشَاح

قال امرؤ القيس:

وكشح لطيفٍ كالجَديلِ مُخَصّر[٢]

قال ابن الرومي:

ظبيٌ كأنّ بخَصْره من ضمْره ظمأً وجوعاً

قال السريّ الرّفاء:

ضعفت معاقِدُ خصره وعهودِه فكأن عقْد الخصْر عهدُ وفائِه

قال المتنبّي:

وخصر تثبّتُ الأبصارُ فيه كأن عليْه من حدَقٍ نِطاقَا

قال الرّفاء:

أحاطَتْ عيونُ الناظرين بخَصْره فهُنّ لهُ دونَ النطاق نِطاقُ

● **عِظَمُ المخلخل ودقّةُ الخَصَرِ**

قال أعرابي: أقبلن وخصورهن تختنق وحجولهن تقلق فكنا بين أسير ومطلق قال عبّاس:

بكَى وشاحَاها فلَم يسكتا وإنّما أبكاهُما الجوعُ
ما بالُ خلخالِك ذا خرسَة لسانُ خلخالِك مقطوعُ

وفيه:

خلخالُها مشبَعٌ وشاحُها مجوعُ

وقال عبيد الله بن طاهر:

وشاحُها يحسُد خلخالَها كجائعٍ يحسُد شبْعانا

وعكس ذلك دعبل فقال:

خلخالُها يشحَب في ساقِها وقرطُها في الجيدِ ما ينطِقُ

وقال ابن أبي زرعة:

فاستكتمَتْ خلخالَها ومشَتْ تحتَ الظّلام به فما نطَقا

---

(١) **هضيم الحشى**: ضامر البطن، نحيل الخصر. (٢) **الكشح**: الخصر، شبهه لضموره بالحبل المجدول.

حتّى إذا ريحُ الصَّبا نسمَتْ ... ملأ العبيرُ بسرِّنا الطرُقا

- **عِظَمُ الكَفَلِ مع دِقّةِ الخَصْرِ**

قال ابن الطثرية:

عقيليّةٌ أما ملاة إزارِها ... فدعصٌ وأما خصْرها فنبيلُ[1]

وقال المتنبّي:

كأنّما قدُّها إذا انفتلَتْ ... سكرانُ منْ خمرِ طرفِها ثَمِلُ[2]

يجذبُها تحتَ خصْرها عجزٌ ... كأنّه من فراقِها وَجِلُ[3]

وقال علي بن عاصم:

بيضٌ سرقْنَ من الصَّريم عيونَها ... ومن الصَّريم مآكمَ الأكفالِ[4]

- **مدحُ عِظَمِ الثدي وتناهُدِهِ**

قيل: لا تحسُن المرأة حتى يعظمَ ثدياها. **وقيل:** خير الثدي ما يدفىء الضجيع ويروي الرضيع. **وقيل للنظّام:** أي مقادير الثدي أحمد؟ **فقال:** وجدت الناس مختلفين في الشهوات، ولكن سمعت الله تعالى يقول في وصف الحور وكواعب أترابا ولم يقل فوالِك ولا نواهِد.

وقال مسلم:

فأقسمْتُ أنسى الداعياتِ إلى الصِّبا ... وقد فاجأتْها العَيْنُ والسِّترُ واقعُ

فغطّت بأيديها ثمارَ نحورِها ... كأيدي الأسارى أثقلتْها الجوامعُ

قال محمد بن الحسن الأزدي:

وقابلَتْني بفتورِ الجُفونِ ... ومستوقِرَيْن على مِنْبرِ

بحُقَّيْنِ من لبِّ كافورةٍ ... برأسيهما نقطتا عَنْبرِ

وقال ديك الجن:

وذاتِ رمّانتيْن في طبَقٍ ... من فضّة فصّصا بفصّيْنِ

- **تناهدُ الثدي مع عِظَمِ العجيزةِ**

قال عروة بن الورد:

أبَتِ الروادفُ والثّديُ لقمصِها ... مسَّ البطونِ وأن تَمسَّ ظُهورا

وإذا الرياحُ معَ العَشيِّ تناوَحَتْ ... نبّهنَ حاسدَةً وهِجْنَ غيورا

وصف أعرابي امرأة فقال: بيضاء جعدة لا يمس الثوب إلا مشاشة منكبيها وحلمة

---

(١) **الدعص:** كثيب الرمل المتجمّع.

(٢) **الثمل:** سكران.

(٣) **الوجل:** الخائف، **الوجل:** الخوف.

(٤) **الصريم:** القطيع من اللّيل.

ثدييها أو رصاف ركبتيها وراتعة أليتيها.

● **طيبُ الرائحةِ**

وصف رجل امرأة فقال: ملءُ كف ومشمّ أنف كنورٍ يتبسّم في الأسحار، ونور يتبسم في الأشجار ولما أنشد كثيّر عبد الملك بن مروان قوله:

وما روضةٌ بالحَزْن طيّبةُ الثّرى ... يمُجّ النّدى جَثْجاثُها وعرارَها
بأطيبَ من أردانِ عزّة موهناً ... إذا أوقدت بالعنبر اللدْنِ نارَها

قيل له: امرؤ القيس أشعر منك حيث يقول:

ألم تريَاني كلّما جئت طارقاً ... وجَدْتُ بها طِيباً وإن لم تَطَيَّبِ

وقال صالح اللخمي:

قسمَ الأترجُ قسمَيْنِ ... بنصفَيْنِ سَواء
فلي اللونُ صفاءً ... ولكَ الريحُ ذُكاء

وللبعيث:

إذا هي زارَت بعْدَ شحْطٍ من النوى ... وشَى نشْرُها لا مسكُها وعبيرُها

وقال العبّاس:

فكيْفَ أصنعُ بالواشِين لا سلِموا ... والعنبَرُ الوردُ يأتِيهم بأخْبارِي

وقال النونجي:

إذا كتَمَتْ زيارتَها ... أذاعَ الطّيبُ ما كتَمَتْ
فأنطَقَ ألسُنَ الوا ... شين لا كانَت ولا نَطَقَتْ

● **مَنْ يطيبُ به ما يمسّهُ**

قال عبد بني الحساس:

وبِتْنا وسادانا إلى عِلْجانة ... وحِقف تهاداها الرياحُ تهادِيا
فمَا زالَ بُرْدي طيّباً من ثيابِها ... إلى الحوْلِ حتى يهيّجَ البرد باليا

● **مَنْ تطيبُ به الأمكنةُ**

قال عبد الله بن محمد بن نمير:

تَضوّعَ مسكاً بطنُ نعْمان إذ مشت ... به زينَبُ في نِسْوَةٍ عَطِراتِ

وأنشد ثعلب:

واستودَعتْ نشرَها الديارَ فمَا ... تزدادُ طِيباً إلا على القِدَمِ

وقال أبو عيينة

تـطـيـبُ دنـيـانـا إذا مـا تـنـفّـسـتْ   كأن فَتيتَ المِسْك في دورنا نـهْبـا

- **التثني في المشي**

قال أبو النجم:

إذا مـشـتْ سـالَـت ولـمْ تـدَخـرَجِ   كـمـا جرَى الجدولُ بيْنَ الأفْـلُـجِ[1]

وقال امرؤ القيس:

وإذ هـي تَـمْـشي كـمَـشْي الـنّـزيـفِ   يـصـرّعُـهُ بـالـكـثِـيـب الـبَـهُـرْ[2]

قال الشمّاخ:

تـخـامـصُ عنْ برْد الـوشـاح إذا مشـى   تخامصَ حافي الخَيْلِ الأمعز النوحى[3]

لو قاله في المرأة كان أبلغ.

قال ابن مقبل:

يـهـززْن لـلـمَـشْـي أعْـطـافـاً مـنـعّـمَـةً   هـزّ الـريـاح ضـحـىً عـيـدانَ يـبْـريْـنـا
يـمْـشـينَ هـيـل الـنّـقـا مـالَـتْ جـوانـبُـه   يـنْـهـال حـيْـنـاً ويـنـهـال الـثّـرَى حيْنـا[4]

ويستحسن للسّعدي قوله:

مـريـضـاتٌ أو بـاتَ الـتـهـادِي كـأنّـمـا   تـخـافُ عـلـى أحْـشـائـهـا أن تـقـطّـعـا
تـسـيبُ أنسيابَ الأيـمِ أحصَره الندى   فـرفْـع مـن أعـطـافـه مـا تـرفَّـعـا[5]

وقال البحتري:

لـمـا مـشَـيْـنَ بـذِي الأراكِ تـشـابَـهَـت   أعـطـافُ قـضْـبـانٍ بـهِ وقُـدودُ[6]

وقال آخر:

يـطـأن ولـو أعـنـقـن فـي جـدد وحـلا[7]

فهذا زاد بقوله أعنقن في جدد وحلا.

قال الموسوي:

وكـــأنّـــهُـــنّ إذا أردْن خَـــطـــا   يـــقْـــلَـــعْـــن أرجـلَـهـنّ مـــن وحَـلِ

---

(١) **الأفلج**: جمع فلج وهو الأرض التي شقّت للزرع.
(٢) **النزيف**: المخمور الذي يتهادى في مشيه ـ **البهر**: انقطاع النفس من الكلال.
(٣) **تخامص**: تجافى ـ **الأمعز**: المكان الصلب الكثير الحجارة والحصى.
(٤) **النقا**: القطعة المحدودبة من الرمل، **وهيل النقا**: ما انهال منه.
(٥) **الأيم**: ذكر الأفعى، جمع أيوم.
(٦) **ذو الأراك**: موضع، **والأراك** شجر يستاك بأغصانه.
(٧) **أعنقن**: من أعنقت الدابة إذا سارت سيراً واسعاً ممتداً وسريعاً ـ **الجدد**: ما استرق من الرمل.

● **وفي الربيبةِ النعمةِ**

قال عمر بن أبي ربيعة:

وأعجَبها من عيْشها ظلّ غرفَةٍ ... وملتَفّ ريّانُ الحدائقِ الْخَضرُ
ووال كفاها كلّ شيء يهمّها ... فليْس لشيء آخر اللّيل تَسْهَرُ

وقال نصيب:

قَليلَةُ لَحْمِ الناظرين يزينُها ... شبابٌ ومخفوضٌ من العَيْش باردُ

وقال المرقش:

نواعمُ لا يرين لبؤسِ عيْشٍ ... أوانسُ لا تُراعُ ولا تُذادُ(١)

● **تفضيلُ السوداءِ**

قال العبّاس:

إن سعدى والله يكلأ سعدى ... ملكَتْ بالسّواد رقّ سوادِي
أشبهَتْ مقلَتِي وحبّةَ قلْبي ... وبها فهي نَاظِري وفُؤادِي(٢)

قال ابن الرومي في سوداء:

كأنّها والمُزَاحُ يُضحِكُها ... ليْلٌ تعَرّى دُجاه عنْ فَلَقِ(٣)

وذُكِرَت قصيدةُ ابن الرومي في وصف السوداء وأبو الحسن الموسوي حاضر فأسرف بعضهم في مدحِها **فقال أبو الحسن بديهاً:**

أحبّك يا لونَ السّواد لأنني ... رأيتُكما في العَيْن والقَلْب تَوْأَما
سكنت سوادَ العينِ إذ كنت شبهه ... فلم أدر من عز من القلب منْكما

(٣)
أوصافٌ مجموعة من الجمالِ

●

قيل لأعرابي: أي امرأة أحسن؟ **فقال:** التي لطفت كفّاها، وخذلت ساقاها، والتفت فخذاها، وعرضت وركاها، ونهد ثدياها، وعظمت إليتاها، وسال خدّاها. **ويقال:** كان وجهه البدر ليلة سعده وتمامه، قد ركب في غصن بان وقضيب ريحان أهيف القد، أدعج العين مقرون الحاجبين، أسيل الخدّين مسبل الذراعين، أرقّ من الهواء والماء وأحسن من

---

(١) **لا تراع:** لا يثار روعها أي فزعها ـ **لا تذاد:** أي مطمئنة وآمنة.

(٢) **حبة القلب:** مهجته، شغف القلب.

(٣) **تعرى عن:** تكشف، **والفلق:** الصبح.

الدمى وأضوأ من النهار إذا استنار وأبهى من سرابيل[1] الأنوار. لا يجري بوصفه الوهم، ولا يبلغ نعته الفهم. كأنّ أنفه قصبة درّ وحدّ حسام وكأنّ فمه حلقة خاتم، وكأنّ جيدَه جيد ظبي قد أتلع[2] لرؤية قانص[3]، سبطُ الأنامل، لينُ القصب دقيق الخصر حلو الشمائل، كأنما خلق من كل قلب. فكل طرف له فيه حظ ولكل قلب إليه ميل.

وقيل في وصف جارية: وجهها كضوء البدر، وخدّها كجني الورد ولسانها ساحر، وطرفها فاتر. ضمّها بهيج اللوعة، ونطقها ينقع الغلة[4] تنهض بقدّ كالقضيب، وتُدبر بكفَل كالكثيب ثديها يرنو إلى ذقنها، ولا يطرف عكنها[5] شعرها، لاحِقٌ بذيلها في مثل سواد ليلها، ثغرها كاللؤلؤ النظيم، يجلو دجا الليل البهيم، ريحها[6] كالراح المعتّق ختامه كالمسك المفتق، يستجمع صنوف النعيم مضاجعها، ولا يأسى على ما فاته مالكُها، صحيحة الحدَقة، مريضَة الجفون كأنّ ساعدها طلعة، ومعصمها جمار، وأصابعها مداري فضة. وكأنّ نحرها من ساج وبشرتها من زجاج وسرتها من عاج ولينها من خز، ودثارتها من قز.

وقال أعرابي في وصف امرأة: عذبٌ ثناياها[7] وسهلٌ خدّاها ونهدّ ثدياها ولطُف كفّاها ونعُم ساعداها، وعرضت وركاها والتفّت خداها، وخدلت ساقها، فتلك هي النفس ومناها.

قال المرقش الأكبر:

النشْرَ مِسْكٌ والوُجوه دَنا ... نيرُ وأطْرافُ الأكفّ عَنَم

وقال علي بن عاصم:

السيف مضحَكُهُ والقوسُ حاجبُه ... والنبْلُ عيناه والأشفار أرماحُ[8]

وقال المتنبي:

سهادٌ لأجفانٍ وشمسٌ لناظِرِ ... وسُقْمٌ لأبدانٍ ومِسْك لِناشِقِ

● ما يجب أن تكون عليه الحسانُ من حُسْنِ الجَوَارِح

يجب أن يكون في المرأة، **أربعة أشياء سود**: شعر الرأس والحاجبان وأشفار العين والحدقة، **وأربعة بيض**: اللون وبياض العين والأسنان والساق، **وأربعة حمر** اللسان

---

(١) **سرابيل**: جمع سربال، القميص وكلّ ما يلبس، وسربال الأنوار استعارة.

(٢) **أتلع**: طال. (٣) **القانص**: الصائد.

(٤) **الغلّة**: الظمأ الشديد والحرقة. (٥) **العكن**: البطن.

(٦) **ريحها كالراح**: أي رائحتها كالخمرة المعتقة. (٧) **الثنايا**: أسنان مقدم الفم.

(٨) **المضحك**: الثغر والثنايا ـ شبّه ثغره وافتراره بالسيف بجامع الرونق والتلألؤ، وحاجب عينه بالقوس لانحنائه، كما شبّه العينين والنواظر بالنبل وأهداب العين بالرماح مؤكداً ما فيها من السحر القاتل وكان وقع النظرات القاتلة كوقع النّبال أو الرماح.

والشفتان والوجنتان واللثة، **وأربعة مدوّرة**: الرأس والعنق والساعد والعرقوب[1] **وأربعة طوال**: الظهر والأصابع والذراعان والساقان. **وأربعة واسعة**: الجبهة والعين والصدر والوركان، **وأربعة دقيقة**: الحاجبان والأنف والشفتان والأصابع، **وأربعة غليظة**: العجز والفخذان والعضلتان والركبتان، **وأربعة صغيرة**: الأذنان والثديان واليدان والرجلان، **وأربعة طيبة**: الريح والعرق والفم والأنف والفرج، **وأربعة عفيفة**: الطرف والبطن واللسان واليد.

(٤)
وممّا جاءَ في مَقَابح خلق النسوَةِ

●

● **قُبْحُ الوجهِ**

قال دعبل:

ووجه كوَجْهِ الغول فيهِ سَمَاجَةٌ   مفوّهَةٌ شوْهاءُ ذاتُ مَشَافِرِ[2]

وقال:

تُحاكي نعِيماً زالَ في قبْح وجْهِهَا

وقال:

في صورَةِ الكلْبِ إلاّ أنّها بَشَرٌ

وقال:

لهَا عينان من أقطٌ وتَمْرِ   وسائِرُ خلقِها بعد الثّريدِ[3]

● **النّمشُ**

قال ابن الرومي:

كأنّ الثآليلَ في وجْهِها   إذا سفَرت بدَدَ الكِشْمِشِ[4]

وقال:

رشّت بخِيلانها فَجِلْدَتُها   منقوشةٌ مثلُ جِلْدَةِ النّمرِ[5]

وقال:

ووجهٍ كبَيْضِ القَطا الأبرَشِ

● **الفَمُ**

---

(١) **العرقوب**: العصب الغليظ فوق العقب.

(٢) **السماجة**: القبح ـ **المشافر**: جمع مشفر وهو للبعير كالشفة للإنسان.

(٣) **الأقط**: الجبن.

(٤) **الكشمش**: ثمر لذيذ بشكل عناقيد صغيرة بيضاء وحمراء تشبه عناقيد العنب، والبدد ما تفرّق من حبّات ذلك الثمر.

(٥) **الخيلان**: جمع خال وهو الشامة وهي عبارة عن بثرة سوداء مثل شاقه الخد.

قال بعضهم:

رقطاءُ كيداءُ يبْدي الكيْدَ مَضْحَكُها ... تنوءُ بالعَرْض والعَيْنانُ بالطّولِ[1]

لها فمٌ ملتقى شِدْقَيْه نقرَتُها ... كأن مِشفَرَها قدْ طُرّ مِن فِيل

وقال:

كانت ثنَاياها وما ذقْتُ طَعْمَها ... لبا نَعْجَةٍ سوّطَتُهُ بدَقيقِ[2]

وقال:

كأنما نكهَتُها كامِخٌ ... أو حزمةٌ من حزم الثومِ

وقال:

وتفتَرّ عن ثلجٍ عدمت حديثَها ... وعن جَبليْ طيّ وعن هَرَمَي مِصْرِ

● اليدُ والرجلُ

كأنّ ذِراعاً على كفّها ... إذا حسَرت ذنَبُ المِلْعَقَة

وقال:

خنصراها كديبَق القصّارِ[3]

وقال:

وساقٌ مخلخلةٌ حمشةٌ ... كسَاقِ الجَرادةِ أو أحمَشُ[4]

وقال:

تمْشي على قوائمٍ عجافِ ... كأنما جُمِعَنْ من خِلافِ[5]

وقال:

وتخفُرُ الأرْضَ إذا ما مَشَتْ ... كأنما تخفُرُ رِجْلاها

● القامةُ القصيرةُ

قيل لرجل كيف رأيت فلانة؟ فقال:

دوّامَةٌ صَغيرَه ... في زرقَةِ المُغيرَه

وقال ابن الرومي:

دحداحَةُ الخِلْقَةِ حَذباؤُها ... قامَتُها قامَةُ فقّاعَه[6]

لو أنها ملكي ولي ضيْعَةٌ ... جَعَلْتُها للطّيْر فزّاعَه[7]

---

(١) الرقطاء: المتلوّنة ـ الكيداء: الخبيثة الماكرة.

(٢) لبأ الشاة: أول لبنها ـ سوّطته: خلطته.

(٣) القصّار: مبيض الثياب ومحوّرها، والحرفة القِصارة.

(٤) الساق الحمشة: الدقيقة.

(٥) عجاف: مهزولة.

(٦) دحداحة: قصيرة ـ فقّاعة: الشديدة الخبث.

وقال:

حـدبـاءُ وقـصـاءُ صيـغَـت عـجَـبـا ... وفـي تـرائِـبـهـا عـنْ صدرِهـا زودُ[1]

- **الوطباءُ[2] الثدي**

قال ابن مقلس الحنفي:

وثـدي يـجُـول عـلَـى نـخـرِهـا ... كـقـربَـةِ ذي الـثـلّـةِ الـمـعـطـشِ

وقال دعبل:

وثَـــذيـــان ثَـــدْيٌ كـــبَـــلّـــوطَـــةٍ ... وآخَـرُ كـالـقُـربَـةِ الـمُـذهَـقَـة[3]

- **المهزولةُ**

قال بعض القدماء:

لـقَـد لـمـسـت مـعـراهـا فـمَـا وقـعَـتُ ... ممّـا لـمـسَـت يـدِي إلا عـلَـى وتَـد[4]

وقال:

وذاتُ جـسْـمِ مـشـبـهِ الـسـاجـورِ ... وجـؤجـؤ كـجـؤجـؤ الـطـنـبـورِ

وقال:

وصـدر فـسـيـحِ كـثـيـرِ الـعِـظَـام ... تـقَـعْـقَـعُ من يُـبْـسـه الـمِـخْـنَـقَـه[5]

- **شَعْرُ البدن**

وقال شاعر:

خـضْـبـاء لا نـبـتٌ فـي قَـفـاهـا ... ولـم تـزَل فـي إسْـتِـهـا ضَـفـيـرَه

وقال دعبل:

بـظـراءُ سـوْداءُ لـهَـا شـعـرة ... كـأنّـهـا نـمْـلٌ عـلـى مـسْـحِ[6]

- **أوصافُ مجموعةٍ من المقابحِ**

قال ابن الرومي:

صـغـرَت عـيـنُـهـا ووسّـع فـوهـا ... ومـشـق اسـتُـهـا وثـقـب الـمُـبـال

وقال الأسود بن يعفر:

لـهَـا وركـا عـنـزٍ وسـاقـا نـعَـامـة ... وأسْـنـانُ خـنـزيـرٍ ومـكـشَـرُ أرنَـبِ

(١) الفزاعة: ما ينصب في المزرعة تخويفاً للوحش.
(٢) الوقصاء: القصيرة العنق خلقة.
(٣) الوطباء: العظيمة الثدي.
(٤) المذهقة: المملوءة.
(٥) معراها: ما يرى من جسمها غير مستور بالثياب.
(٦) تقعقع: تحرك مع صوت.
(٧) المِسْح: الكساء من شعر جمع أمساح.

وقال ناصر العلوي:

يا قردَةً أبْصرَت في مأتم ... تندُبُ شجْواً بتخاليطِ
تبْكي فتُلقي البعْرَ من عينِهاً ... وتلطُم الشوكَ ببَلوطِ

(٥)
وممّا جاء في وصفِ اللحيةِ والشَّيب والخِضَاب وذكْر المعمّرين

•

- **مدحُ اللحيةِ وذمُّ المرادةِ**

قال النبي ﷺ: الشعر الحسن من كسوة الله فأكرموه وكان من يمين عائشة رضي الله عنها: لا والذي زيّن الرجال باللحاء.

وقال الموسوي:

رأتْ شعراتٍ في عذاري تبسَّمَت ... كما أفترَ طفلُ الروضِ عن خلعِ الوسْمي(١)
فقلْتُ لهَا ما الشعرُ سالَ بعَارضي ... ولكنّه نبْتُ السيادةَ والحلم
يزيدُ بهِ وجْهي ضياءً وبهجةً ... وما تُنقِصُ الظَلْماءُ من بهْجَةِ النّجْمِ

قيل: لا تصافين من لا شعر على عارضيه وإن كانت الدنيا خرباً إلا منه.

- **ذمُّ اللحيةِ**

قيل: فلان سبخ الله أرضه من غير رضاه، **وقيل**: كساه أبو الحالك من نسيج أم سويد.

قال ابن طباطبا:

المَوْتُ أهونُ من سوا ... دِ العارضَيْن لمَن عرَف

قال أبو العنتر:

أنّى تتيهُ وقدْ عَلا ... كَ الشّعرُ في الحدِّ المَحِلِ(٢)
وخرجتَ من حدِّ الظّبا ... ء وصرْتَ في حدِّ الإبلِ

- **وَصْفُ لحيَةٍ طويلةٍ لم يصرحْ لها بمدحٍ ولا هجوٍ**

قال شاعر:

يا لحيَةً سرَحْتها ... فقعَدْتُ منها في جوالِق

وقال ابن نوقة:

يا لحيَةً أربعَةً في أربعَةِ ... تُنسَجُ منها كلّ يوم مدرعَه

---

(١) الوسمي: أول مطر الربيع.

(٢) المحل: المجدب.

قد ذهبَتْ في الطول منها والسَّعَة   وتخشي من حافتَيْها بردَعه

● **مدحُ اللحيةِ والاعتذارُ لها**

دخل رجل على قتيبة بن مسلم وكان عظيم اللحية وقتيبة كان خفيف اللحية **فقال**: لقد كبرت لحيتك **فقال**: والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً. **فقال قتيبة**: قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبتك كثرة الخبيث وقد أمر النبي ﷺ بتوفير اللحية **فقال**: أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى.

● **ذمُ طولِ اللحيةِ ومدحُ خفتها**

قال الجاحظ: ما طالت لحية رجل إلا تكوسج[1] عقله.

قال شاعر:

ألم تَرَ أنَّ اللّهَ أعطاك لحيَةً   كأنك منها بين تيسَيْن قاعِدُ

وقال مديني لرجل قد ملأت لحيته وجهه: خندق على وجهك قبل أن يجري الماء في العود فيصير وجهك كله رأساً. **وقيل**: ما زادت لحية عن قبضة إلا نقص بمقدار زيادتها من العقل.

قال شاعر:

إذا لحيَةٌ خفَّتْ وفا عقلُ ربّها   وإنْ ضَخُمَت لم يحظَ إلا بها الصَّدْرِ

وقال ابن الرومي:

إذا عرضَتْ للفتى لحيَةٌ   وطالَتْ وصارَت إلى سرّتِه
فنقصانُ عقلِ الفتى عندنا   بمقدار ما زيدَ في لِحيَتِه

وعرض الرشيد خيل مصر فمر به أفراس كثيرة وسمها الجنيدي، فسأل عنه فقيل: هو صاحب هذه الافراس. فاستحضره فإذا هو لحياني[2] أحمق. **فقال الرشيد**: ما أحسن هذه الأفراس **فقال**: هي للخليفة يقبلها. **وقيل**: اللحية الطويلة عش البراغيث ومزبلة التراب والغبار.

● **عُذْرَ من نتَفَ مِنَ السُخَفَاء**

قيل لمخنث لِمَ تنتف لحيتك وهي من هبة الله؟ **فقال**: إن الله تعالى أمرني بذلك **فقال**: وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ولم أجد أحسن منها فرددتها. وقيل لآخر: لِمَ تنتف لحيتك وقد زين الله بها وجهك؟ فقال أتحب أن يزين بها فقحتك؟ **قال**: لا **قال**: ما لا تحب أن يطلع في إستك كيف أستصلحه لوجهي؟

---

(١) **تكوسج**: صار كالكوسج والكوسج الذي لحيته على ذقنه لا على العارضين.

(٢) **اللحياني**: الطويل اللحية.

وكان لرجل ابن مخنث وكان يمنعه من نتف لحيته فنام أبوه يوماً فحلقها وهو نائم فانتبه أبوه فقال: أين ذقنك؟ فقال: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾[1]

وقيل لأبي عبد الله المنتوف: لِمَ تنتف لحيتك؟ فقال: وأنت لِمَ لا تنتفها؟

● **وَصْفُ الناتِفِ**

كان بلال لا يجيز شهادة من ينتف اللحية أو يأكل الطين. **قال ابن طباطبا في بعض من كان ينتفها:**

يـا مـن يـزيـلُ خـلـةَ الرحمن عمّا خُلقَتْ
هـل لـكَ عـذرٌ عـنـده إذا الوُحوشُ حُشِرَتْ
فـي لـحـيـةٍ إنْ سـئـلَـتْ بـأيِّ ذنـبٍ نُـتِـفَـتْ[2]

وفي حاذق بالنتف:

أنـامـلُـه فـي عـارضَـيْـه كـأنـمـا تسبَح بالمِنقاش في خفةِ النتفِ[3]

وقال:

إن كان بالمِنقاش يحصُدُ نبتَها فـيَـدُ الـلـيـالـي مِنْ وراهُ تـزرَعُ

● **قصُّ الشعرات البيضِ**

قال أبو حنيفة رضي الله عنه للحجّام: التقط هذه الشعرات البيض، **فقال الحجام** لا تلتقطها فأنها تكثر، **فقال:** فإذاً التقط السود فلعلها تكثر.

كان حجام يلتقط البيض من لحية رجل فلما كثر قال ما ترى في الحصاد فقد ذهب وقت الالتقاط، **قال ابن طباطبا:**

تـأوبـنـي هـمّ لـبـيـضـاء نـابِـتـه لها بغضَةٌ في مضمَرِ القَلْب ثابِتَه
ومـن عـجـبٍ أنـي إذا رمـت قـصّـهـا قَصَصْتُ سِواها وهي تَضحَك شامِتَه

وقال أبو دلف:

اشـتـعـل الـشـيـبُ فـأخـفـيـتُـه وكـلّ مـقـراضـي فـأعـفـيـتُـه
وكـلّـمـا عـالَـجـت قِـصـالـه وقـلـت فـي نـفـسـي أخـفَـيْـتُـه[4]
طـلـعَـنـي مـن طـرّتـي طـالِـعٌ كـأنـنـي بـالأمـس ربّـيْـتُـه[5]
أرومُ مـا لـيْـسَـت لـهُ حِـيـلـةٌ أعـيـانـي الـشـيْـبُ فـخـلّـيْـتُـه

---

(١) **الصريم**: الليل أو القطعة منه ـ **القرآن الكريم**: القلم/١٩، ٢٠.

(٢) جارى في هذا البيت الآية الكريمة: ﴿**وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت**﴾ [التكوير: ٨].

(٣) **المنقاش**: آلة ينقش بها. (٤) **قصاله**: قطعه.

(٥) **الطرّة**: الناصية، الجبهة وطرّة الجارية أن يقطع للجارية كالعلم في مقدّم ناصيتها.

وقال:

يا شعرةً طلعت في الرأس طالعة | كأنما طلعَت في ناظر البصَرِ
لئن قصمتك بالمقراضِ عن بصَري | فما قصصتُك عن همّي وعن فِكَري
فما تلبّثَتْ إن قهقهَتْ ضاحكةً | تحتَ الخضاب كفعلِ الشامتِ الأشِرِ

● **ظهورُ الشيب واختلاطُ البياضِ بالسواد**

قال الفرزدق:

والشيْبُ ينهَضُ في السّواد كأنّه | ليلٌ يصيحُ بجانبَيْه نَهَارُ

قال مروان:

كالصبْح أحدثَ للظلام أفُولا

وقال:

ليلٌ تلفّع مدبراً بنهار

وقال البحتري:

مشيبٌ كبَثّ السرّ عِيّ بحمْلهِ | مُحَدثُه أوْصاف صدرِ مذيعِهِ

وقال دعبل:

لا تعجَبي يا هِنْدُ من رجُلٍ | ضحِكَ المشيبُ برأسِه فبَكى

وقال تميم بن مقبل:

يا حرّ أمسى سوادُ الرأسِ خالطَه | شيْبُ القذالِ اختلاطَ الصّفْوِ بالكَدَرِ

وقال:

زمانٌ على غُراب غُداف | فطيّرَه القدر السّابِقُ(١)
وصارَ على وكْره عقعَقٌ | من البُلْق ذو شيَةٍ باعِقُ(٢)

وقال ابن الرومي:

شعراتٌ في الرأس بيضٌ ودُعجٌ | حلّ رأسي خيلان رومٍ وزنْجِ(٣)
طارَ على هامَتي غرابُ شبابٍ | وعَلاه كأنّه شاه مرجِ
حلّ في صحْن هامَتي منه لونا | ن كما حلّ رقعةَ شطرنْجِ

● **مبدأ ظهور الشيب**

قال بعض الحكماء ظهور الشيب في الناصية كرم، وفي القفا لؤم، وفي الهامة وفاء، وفي الفودين شرف، وفي الصدغين شح وفي الشارب فحش.

---

(١) **الغداف**: الشعر الأسود الطويل، والغراب الغداف الأسود الضخم الكبير الجناحين.

(٢) **الوكر**: عش الطائر ـ **العقعق**: طائر كالغراب ـ **باعق**: من بعق إذا نزل أو اندفع بشدة.

(٣) **روم وزنج**: كناية عن بياض الشيب وسواد الشعر.

● **نزلُ المشيبِ في وقتِهِ**

قيل لرجل: أين ذهب شبابك؟ **قال:** ذهب به خصال طال أمده وكثر ولده وقلّ عدده وذهب جلده:

أفنى الشبابَ الذي حاولتُ جدّته ... مرّ الجديدَيْن من آنٍ ومنطَلِق[1]

لم يُبْقيا لي من طُول اختلافِهما ... شيئاً أخافُ عليه لذعة الحدَق[2]

وقال البحتري:

إن كانَ قد عبثَ المشيبُ بلمّتي ... فلقدْ أخذتُ من الشّبابِ نَصيبي

وقال:

ومن يطلع شرفَ الأربعين ... يحيى من الشَّيْب زُوراً غريباً

قال ابن الرومي:

أدرى غراب الشيْب فوقَ مفارِقي ... ركْسَ السنين الراكضاتِ أمَامي

وقال:

وافتني الليالي أم عمرو ... وحلّي في التنايفِ وارتِحالي

وتربيتي الصغيرَ إلى مداه ... وتأميلي هِلالاً عنْ هِلال

وقال:

ومن يكُ رهْناً لليالي ومرِّها ... تدعْه كليلِ القلبِ والسمْع والبصَر

● **مَنْ شاب قبل أوانِهِ**

قال أبو نواس:

وإذا عددت سنّي كم هيَ لمْ أجِد ... للشيْب عذراً في النّزولِ برأس

وقال كشاجم:

إذا فكّرتُ في شيْبي وسنّي ... عتبْتُ عليْه فيما نالَ منّي

كأنّ الشيْبَ غارَ على الغواني ... فعرضهُنّ للأعِراضِ عنّي

وقال:

لو كانَ يمكنُني سفرتُ عن الصبا ... فالشيْبُ من قبل الأوانِ يَلثُمُ

ولقَد رأيْتُ الحادثاتِ فلا أرى ... شيْباً يميتُ ولا سواداً يعْصِمُ

وقال:

وهل أنا إلا ابنُ الثلاثين لم تشِب ... لداتي ولكنّ الخُطوبَ تُضيمُ

وقال:

---

(١) **الجديران:** الليل والنهار.

(٢) **الحدق:** نظرات العيون.

قد رأيناه بالعَشِيّ غُلاماً ... فغَدَونا نعدّه في الكُهولِ

وقال الموسوي:

عجّلتَ يا شيبُ على مَفرقي ... وأيّ عذرٍ لكَ أن تعجَلا

وكيفَ قدمتَ على عارضٍ ... ما استغرق الشعر ولا استكمَلا

يا زائراً ما جاءَ حتّى مضَى ... وعارضاً ما غام حتّى انجَلى

وما رأى الراؤون من قبلها ... زرعاً ذوى من قبلِ أن يُبقِلا[1]

وقال:

وعارضَني في عارضِي منه أنجُمٌ ... ظلمْنَ شَبابي وهي في القلْب أسهُم

قال ابن المعتز:

يا هند ما شاخَ الفتَى ... وإنّما شاخَ الشَعَر

● مَنْ شابَ من الوقائعِ والشدائدِ

قال الحسن بن رجاء:

إنْ يشِبْ رأسي فمن كرمٍ ... لا يشيبُ المرءُ من كِبَره

وخطوبٌ قد تحِلّ بهِ ... ومشيبُ الحرّ في صِغَرِه

وقال ابن المعتز:

قالَت كبرتَ وشبْتَ قلْتُ لها ... هذا غبارُ وقائعِ الدّهْرِ[2]

وله:

إن شيبَ الرأسِ نوارُ الهُموم[3]

قال الموسوي:

وما شبْتُ من طولِ السنين وإنّما ... غبارُ حروبِ الدّهر غطّى سوادِيا

● مَنْ شاب من استعمال الطيبِ وهجر الحبيبِ

قال بعض الأقدمين:

جَلا الأذفر الأحوى من الطيبِ فرقَه ... وطيبُ الدهانُ رأسَه فهو أنزَعُ[4]

وقال:

إنما شيّبَني الطيّـ ... ـب وأنفاسُ الغَواني

---

(١) ذوى الزرع: ذبل ـ أبقل الزرع: ظهر وطلع. (٢) وقائع الدهر: حدثانه ونوائبه.

(٣) النوار: الزهر، ونوار الهموم: من باب الاستعارة شبه الشيب بالنوار لابيضاضه.

(٤) الأذفر: الشديد الرائحة ـ الأنزع: الذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته.

واهـتـمـامـي بـنـزيـلِ أو بـضـيـفٍ أو بـعـانِ
قـصـرت عـن جـانـبِ الـحـقِ لـه مِـنـي الـيـدانِ

قال كشاجم:

لا تـنـكـريـنَ الـشـيـب أنـتِ جـلـبـتِـه بـجـنـايـةٍ وقـطـيـعـةٍ وعـتـابِ
لـو لـم تـروّعـي بـالـغـرورِ وبـالـنّـوى طـوراً لـطـال تـمـتّـعـي بـشـبـابِـي

- **الشبابُ مقتضٍ لارتكاب التصابي**

قال النبي ﷺ إن الله يبغض ابن الستين في طرّة ابن العشرين. **وقال أبو عمرو السلمي** وقد رأى قوماً يعذلون شاباً. لا تعذلوه فقد رأيتني وأنا شائب أعضّ على الملام عضّ الجموح على اللجام حتى أخذ العيب بعنان شبابي وإن لم يكن الشيب شعبة من الجنون فإنه عصارته.

قال أبو نواس:

إن الـشـبـاب مـطـيّـةُ الـجـهْـلِ ومـزيـنُ الـضّـحِـكَـات والـهَـزْلِ

ومنه للنابغة:

فـإن مـطـيّـةَ الـجـهْـلِ الـشـبـابُ

وقيل: اليد الفارغة والنفس المستريحة والشباب المقتبل[1] تكتسب الآثام وتستحل الحرام، **ومنه:**

إن الـشـبـاب والـفـراغ والـجِـدَه مـفـسـدةٌ لـلـمـرءِ أي مُـفـسَـدَه

قال الجريمي:

الـلـهـو يـحْـسـن بـالـفـتـى مـا لـم يـكُـن شـيْـبٌ يُـشـيـنَـه[2]

وقال شبيب بن شبة:

رعَى الله دهراً أخرس العذلُ عذرَه بشرخِ شباب لم يَشُبْ صَفوَه كدَرُ

وقال:

كـلّ الـلـذاذات والـتّـصَـابـي قـبـل الـثـلاثـيـن تُـسْـتَـطـابُ

- **المتذمّم لتعاطي ما تعاطاه في أيّام الصِبَا**

قال الواسطي: حان حصادي ولم يصلح فسادي.

قال البحتري:

وأضللتُ حلْمي والتفتُّ إلى الصِّبا سفَاها وقد جزْتُ الشّبابَ مراحِلا

---

(١) **مقتبل الشيب:** الذي لم يظهر فيه أثر الكبر. (٢) **يشينه:** يعيبه.

وقال ابن المعتز:

أنت في الأربعين مثلك في العشرين قل لي متى يكونُ الفَلاحُ؟

قال المتنبي:

وفي الجِسْم نفسٌ لا تشيبُ بشيْبه ولو أنّ ما في الوجْه منهُ خَرابُ
يغير منّي الدهرُ ما شاءَ غيرها وأبلغ أقصى العُمْر وهي كعابُ

قال أبو سعيد الرستمي:

قبيحٌ بذي الشيْب أن يطربا وما للمَشيب وما للصّبا
أمِن بعد خمسينَ ضاعَت سدىً وأودى بها اللهوُ أيْدي سَبا[1]
تشيمُ بروق الدمى دائِماً وقد شامَت العارضَ الأشيَبا
وأقبح بذي عارض أشيب إذا قابلَ العارضَ الأشنَبا[2]
وأهلك والليلُ بادر به فقد كادتِ الشمسُ أن تغربا

قال علي بن عبد العزيز:

التّصابي بلا شبابٍ مُحالُ

● مَنْ أقلعَ لظهورِ شيبِهِ

نظر إياس بن معاوية في المرآة فرأى شيبة في لحيته فقال: لا أراني سمير الحاجات بني تميم فلزم بيته ولم يدخل بعد ذلك على السلطان، وقال مسلمة بن عبد الملك: ما وعظني شعر ما وعظني ما قال عمرو بن حطان:

صبا ما صبًا حتّى علا الشيبُ رأسَه فلما عَلاه قالَ للباطل أبعدِ

وقال أعرابي: فلان وضع رداء مجونه لما بدا الفجر من ليالي قرونه. وقيل لرجل: ألا تشرب؟ فقال: في شيب الرأس مطردة عن الكاس. وكان الرجل إذا بلغ أربعين طوى فرشه وجدّ في عمله.

وقيل: ثلاثة كل منها يقتضي تجنب الصبا: ظهور الشيب والتحصن بالتزوّج والحج إلى بيت الله الحرام.

وقالت امرأة لرجل: كان يخادنها ما فعل غزلك؟ فقال: أماته شيب العارضين.

قال أبو الفرج الببغاء:

لا عذرَ بعْد عذارٍ شابَ أكثرُه فالشيْبُ أوعظُ أعذار وأنذار

---

(١) أودى بها: أهلكها وأيدي سبا كناية عن الهلاك والتفرّق مأخوذ من المثل تفرّقوا أيدي سبا والأصل سبأ وهو أبو عامّة قبائل اليمن التي تفرّقت بسبب السيل العرم.

(٢) الأشنب: من الشنبة وهي حسن الأسنان وبياضها والفم أو العارض الأشنب الطيب الرائحة.

وقال كثير: أتيت جميلاً استنصحه هل أظهر الشعر، فأنشدته:

وكان الصبا خدنَ الشباب فأصبَحا ... وقد تركَاني في مغانيهما وحْدي

فقال: حسبك أنت أشعر الناس.

قال أحمد بن أبي طاهر:

ركبت الصَبا حتّى إذا ما ونَى الصّبا ... نـزلـتُ مـن الـتـقْـوى بـأكـرم مـنـزِلِ[1]

وديـنُ الـفـتَـى بـيـن الـتـنـسّـك والـنُـهى ... ودُنـيـا الـفـتَـى بـيْـن الـصَـبـا والـتـغـزّلِ

● فِيمَنْ زعم أنه ترك التصابي لغير ملالةٍ

قال إسحاق الموصلي:

سلامٌ على سيْر القلاصِ مع الركْبِ ... ووصلِ الغَواني والمدامَةِ والشرْبِ

سـلامَ امـرىءٍ لـم تَـبْـقَ مـنْـه بـقـيـةٌ ... سوى نظرِ العينَيْن أو شهوةِ القَلْبِ

قال البحتري:

إنّي وإن جـانـبـتُ بـعـضَ بـطـالَـتي ... وتـوهّـم الـواشُـون إنـي مـقْـصـرُ

ليشوقُني سحْرُ العيونُ المجتلَى ... ويروقُني وردُ الخدود الأحمرُ[2]

وقال:

قـد رأيْـتُ الـشـيْـبَ إلا أنّـنـي ... لم يرُعني الشيْب عنْ وجهِ حسَن

قال بشّار:

إن الـمـشـيـبَ ومـا تـرى بـمـفـارقي ... صرفَ الغَواية فانصرَفتُ كَريما

وصـحـوْتُ إلا مِـنْ لـقـاءِ مُـحَـدّثٍ ... حسنِ الحديثِ يزيدُني تعْليما

● تاركُ الصبا قبلَ هجوم شيبِهِ

مـا كـنْـتُ أولَ آخـذٍ بـعـزيـمَـة ... هـجـر الـغَـوانـي والـمـفـارقُ سـودُ

وقال:

لا أجمَعُ الحلْمَ والصهْباءَ، قد سكنَت ... نفْسي إلى الماءِ عن ماءِ العَناقيدِ[3]

لـم يـنـهَـنـي كـبَـرٌ عـنْـه ولا فَـنَـدٌ ... لكنْ صحوْتُ وغُصْني غيرُ مخصودِ[4]

● الحثُّ على مبادرةِ المشيب بتعاطي صلاحٍ أو تَصابٍ

قال هارون بن علي:

أعـطِ الـشـبـاب نـصـيـبَـه ... مـا دمْـتَ تُـعْـذرُ فـي الـشّـبـابِ

---

(١) ونى الصبا: فتر وخمدت جذوته.

(٢) السحر المجتلى: المعروض والمجلو كما تجتلى العروس.

(٣) ماء العناقيد: الخمر. (٤) الفند: العجز.

وقال ابن أبي السمط:

وبـادِر بـأيـامِ الـشـبـابِ فـإنّـهـا	تفوتُ وتمْضي والغوايَةُ تنْجَلي

وأنشد أبو العتاهية قوله:

إن الـشـبـابَ حـجّـةُ الـتّـصـابـي	روائـحُ الـجـنّـة فـي الـشّـبـابِ

قال: كيف ترونه؟ فقالوا: حسن فقال: إن له جناحين يطير بهما في الجنة.

● **مَنْ تعاطى التصابي في مبدأ ظهور شيبه**

قال ديك الجن:

وقـالُـوا قـد تـوشّـح عـارِضـاه	فـقُـلْـت الآنَ أوضـعَ فـي الأثـام[1]

وقال ابن طباطبا:

أقولُ وقد أوقظتُ من سنَةِ الهوى	بعذْل يحاكي لذْعُه لذعَةَ الهَجْرِ

دعوني وليلُ اللهوِ في ليل لمّتي	ولا توقظوني بالمَلام إلى الفجْر

● **مَنِ استهانَ بالشيب فتعاطى بعلَة التّصَابي**

قيل لخاسر: ما أكبر ما صنع بك الشيب؟ فقال: ما صنعت به أكبر والله ما هبته ولا رعيته ولا امتنعت له عن تعاطي محرم وارتكاب مأثم، ونظمه من قال:

لعمْري لئِنْ حلّ المشيبُ بِلمّتي	لقد كانَ ما أحللتُ بالشيْبَ أعْظَما

سلِ الشيبِ عنّي هل عرفتُ وقارَهُ	وهل عفْتُ حُوباً أو تجنّبْتُ مأثماً[2]

وقال أبو نواس:

يقولون في الشيْبِ الوقارُ بأهْلِه	وشـيْـبـي بـحـمْـدِ الله غـيْـرُ وقَـارِ

وقال ابن المعتز:

لـمّـا تـولّـى الـشـبـابُ عـنّـي	صفعْتُ وجْهي على المَشيبِ

وقال بعض العلويين:

إن يـكـتـهـلْ مـنْـهُ الـقـذالُ فـحـبّـه	فـي الـغـانِـيـات وحـبّـهـنّ غُـلامُ

● **همْ متعاطي التصابي ومشتاقٌ إليه**

حمل شاب غلاماً إلى خربة فلما خلا به اطلع عليهما شيخ، فقال: فعل الله بكم فمن مثل فعلكم يغلو السعر وينزل البلاء. فعدا الشاب خوفاً، فخلا الشيخ بالغلام فاطلع الشاب، فقال: يا عمّ الحمد لله قد رخص السعر وارتفع البلاء.

---

(١) العارضان: مثنى العارض وهو صفحة الخدّ.	(٢) الحوب: الإثم أو الخطيئة.

ودخل شيخ مسجداً فراود صبياً فعلم الإمام فعاتبه وعنّفه فلما أطال له قال له: كم ذا تعنفني كأنْ لم ير سفلة غيري. ورأى سفيان في مجلسه شيخاً هِمّا يتخرّق صفوف النساء ويبكي فظنّ أن بكاه لما سلف من ذنوبه فاستقبلهنّ، ثم قال:

علـيـكـنّ الـسـلام فـلـيـس عـنـدي ... لـكـن فـدعـنـنـي غـيـرُ الـسّـلامِ
وكـنّ إذا نـظَـرْن إلـيّ أمـشـي ... نـقـبْـن عـلـيّ مـن خـلَـلِ الـخِـيـامِ

وقيل: إن إبليس إذا رأى شيخاً ذا طرة قال فديت من لا يفلح.

• الحثُّ على تعظيم المشايخ ومخالطتِهِمْ

روي أن رجلاً أتى النبي ﷺ **فقال**: أصابتني خصاصة **فقال**: لعلّك مشيت أمام شيخ. وقام وكيع لسفيان فأنكره وقال: ألست حدثتني عن النبي ﷺ **أنه قال**: من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن؟

وقال ﷺ: ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق: إمام مقسط وذو شيبة في الإسلام وذو علم، **وقال أزدشير** لابنه وقّر المشايخ، فهم مواطن الوقار ومعادن الآثار ورواة الأخبار وحفظة الأسرار. إن رأوك في قبيحٍ منعوك، أو جميل أيّدوك وإياك وأغمار الشباب فهم أهل الصبوة إلى الشهوات.

وأوصى يزيد بن المهلب إبنه فقال ليكن جلساؤك ذوي الأسنان فالشباب شعبة من الجنون ومرّ الحسن بفتيان فقال: شوبوا مجلسكم بشيخ. **وقيل**: من عرف حقّ من فوقه، عرف حقَّه من دونه.

• تفضيلُ الشيب في الرأي على الشبابِ

في المثل: جري المذكيات غلاء جرى المذاكي حسرت عنه الحمر. **وقيل**: الشيخ في رأيه كالجذل المحكك، لا يهدّه خطب ولا يزعزعه صرف، والشاب كالغصن الناعم الذي يستحيل بأيسر ريح وأيسر آفة.

وقيل: الشيخ كالبازل المستقل بما يحمل والشاب كابن اللبون لا ينهض بما يحتمل.

وقال:

وابـنُ الـلـبـونِ إذا مـا لـزّ فـي قـرنٍ ... لم يستَطِع صولةَ البُزْل القناعِيسِ[1]

• تفضيلُ الشبان فيه

قال ﷺ: وسّعوا للشبان في المجالس وأفهموهم الحديث. وكان عمر رضي الله عنه، إذا نزل به معضل دعا الفتيان واستشارهم وقال هم أجدّ قلوباً. **وقيل**: الشيخ كالزند

---

(١) البزل: الإبل ـ القناعيس: الضخمة العظيمة.

الذي قد انثلم[1]، ورأي الشبّان كالزند الصحيح الذي يورى بأيسر اقتداح.

● **مَدْحُ الشيبِ بالوقارِ والعفةِ**

تأمل حكيم شيبةً فقال: مرحباً بزهرة الحنكة وثمرة الهدى ومقدّمة العفة ولباس التقوى. وروي أن إبراهيم عليه السلام لما بدا الشيب بعارضيه **قال**: يا ربّ ما هذا؟ **قال**: وقار. **قال**: يا ربّ زدني وقاراً.

وعيّر حكيم بالشيب **فقال**: الشيب نور يورثه تعاقب الليالي والأيام، وحلم يفيده مرّ الشهور والأعوام، ووقار تلبسه مدة العمر ومضي الدهر.

قال دعبل:

أهلاً وسهلاً بالمَشيب فإنّه ... سمةُ العفيفِ وحليَةُ المتحرّجِ
ضيفٌ ألمّ بمفرقي فقريتُه ... رفضَ الغوايةِ واقتصادَ المنهَجِ

وقال أبو تمّام:

ولا يروعُك إيماضُ القتيرِ به ... فإنّ ذاكَ ابتسامُ الرأيِ والأدَب[2]

● **مناقضةُ مَنْ مَدَحَ الشَيْبَ بالوَقَارِ**

قال أبو تمّام:

حلمتني زعمتُم وأراني ... قبلَ هذا التحليم كنتُ حَليما
دقّة في الحَياة تدْعى جلالاً ... مثلَ ما سمّي اللديغُ سليما

قال المتنبّي:

ليتَ الحوادِثَ باعتني الذي أخذَت ... منّي بحِلْمي الذي أعطَتْ وتجريبي[3]
فمَا الحداثةُ من حِلْمٍ بمانِعَةٍ ... قد يوجد الحِلمُ في الشبانِ والشّيبِ

قال عبدان:

إن شيئاً نعى إلى حياتي ... لبغيضٌ وإن أفادَ الرشاد

قال الموسوي:

غالطُوني عن المشيبِ وقالُوا ... لا تُرَع إنّه جلاءُ الحُسامِ
قلْتُ بل مرّ بي على الرأسِ منه ... صارمُ الجِدّ في يدِ الأيامِ

---

(١) انثلم: انكسر. (٢) القتير: أول ما يظهر الشيب.

(٣) يقول: أتمنى لو أن الحوادث تسترد ما أعطتني من الحلم والتجاريب لترد علي السباب.

(٦)

في حُسْن الشباب وطيبه وقُبْحِ الشَّيب وعيبِهِ

●

قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[1] إلى الهرم، وللأخطل:

لا تــحــمَــدنَّ شــعــراً تــغــشــا ... ه الــبــيــاضُ فــلــيْــس يُــحْــمَــدْ

قــد كــنْــتُ أبــيــضَ فــي الــقــلــو ... بِ زمــانَ كــنــت تــراه أسْــوَدْ

قال أبو تمّام:

غــرّة بُــهْــمَــةٌ ألا إنّــمــا كــنْـ ... ـتُ أغرّاً أيامَ كــنْــت بَــهِــيــما[2]

وقال:

إن قــبْــحَ الــبــيــاضِ فــي شــعــر الــرأ ... سِ كقُبْح البياضِ في الأحْداقِ[3]

وقال المتنبي:

متى لحظَت بياضَ الشيْبِ عيْني ... فقَد وجدتـه مـنـهـا فـي السّوادِ

وقال أبو تمّام:

لـو رأى الـلّـهُ أنّ في الشـيْب فـضلاً ... جاورَتْه الأبرارُ في الخُلْدِ شيْبا

وقال البحتري:

وددت بـيـاضَ الـسـيفِ يومَ لقيتُها ... كـأنّ بـيـاضَ الـشـيْـبِ كـانَ بـمـفـرِقـي

وقال المتنبي:

ضـيْـفٌ ألـمّ بـرأسـي غـيـرَ مـحـتـشِـم ... والـسـيْـفُ أحـسَـنُ فـعْـلاً مـنـه بـاللـمَـمِ

وقال الموسوي:

مـا كـانَ أضـوا ذلـك الـلـيـل فـي ... سـواد عـطـفـيـه ولـمْ يـقـمـر

● التسميةُ بما يدل على الكبر ذمٌّ

لو قيل لعجوز منحنية يا عجوز ويا جدة لغضبت واستوحشت ولو قيل يا جارية لقالت

---

(١) القرآن الكريم: الحجر/٢٦.

(٢) غرّة بهمة: أي شديدة السواد ـ قوله: كنت أغرّ أيام كنت بهيماً: أي يوم كان شعره أسود ولم تكن لي غرّة أي شيب.

(٣) الأحداق: العيون.

لبيك وسعديك، وعلى ذلك يا شيخ ويا فتى. **قال يزيد بن عتاب:**

يا حرقةَ القلب بيا شيخ ويا برد الفؤادِ حينَ يدعى يا فتى

وقال:

وإذا دعَوتك عمّهن فإنّه نسبٌ يزيدُك عندَهنّ خَبالا[١]

وقد ظرف البحتري في قوله:

يتظرّفن للذليلِ المسمّى من تصابٍ دون العزيزِ المكنّى

وقال أبو حازم:

إذا ما دعوتُ الشيخَ شيخاً هجوتُه وحسبُك مدحاً للفتَى قولُ يا فتَى

● إزورارُ النساءِ عن الشيبِ

قال بعض المشايخ: رأيت امرأة راقتني فقلت هل لك فيّ؟ فقالت: إن بي عيباً شيب رأسي فثنيت عناني. فصاحت أثبت وكشفت عن شعر كالحمم وقالت: إني أكره من الشيب ما كرهته. **قال المتنبي:**

أرى شيْبَ الرجالِ من الغَواني بموقِعِ شيبهِنّ من الرّجالِ

وقال ابن الرومي:

أعِز طرفَكَ المِرآة وانظُر فإنْ نبا بعينِك منه الشيْب فالبيضِ أعذَر[٢]

إذا شنأت عينَ الفتى شيبَ نفسِه فعينُ سواه بالشناءةِ أجدَرُ

وقال ابن المعتز:

لقدْ أبغضتُ نفْسي في مشيبي فكيْف يحبّني البيضُ الكعابُ

قال الحكم الحضرمي:

قد كانَ يعجَبُ بعضُهنّ نزاعَتي حتّى سمعْنَ تنحنُحي وسُعالي

وقال الصاحب: قد سبق ابن المعتز كل من قال في رغبة النساء عن المشيب بقوله:

فظللتُ أطلبُ وصلَها بتذلّلٍ والشيبُ يغمزُها بأنْ لا تفعَلي

وقال:

الشيبُ أعظَمُ ذنْباً عند غايتِه من ابن ملجم عند الفاطِمينا

---

(١) **الخبال:** الفساد والعناء.

(٢) **نبا بعينك منه الشيب:** أي لم يطمئن إليه وجفاه ـ **البيض:** كناية عن النساء، **يقول:** إذا نبا ناظرك عن الشيب فالحسان أكثر عذراً في ذلك.

● **رغبةُ الشيبِ عن النساءِ**

قال بعض الشيوخ: كنت أخاف أني إذا شبت تزهد فيّ النساء فلما شبت كنت أزهد منهنّ فيّ. **قال شاعر**:

رَمَتْني وسترُ الله بيني وبينَها ... ونحن بأكنافِ الحَطيم ذميمُ[1]

فلو أنني لما رمتْني رميتُها ... ولكنّ عهدي بالنضال قَديمُ

● **معرفةُ فضلِ الشباب عند فَقْدِهِ**

قال بعضهم: شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما: الصحة والشباب. **قال ابن الرومي**:

لا تلحُ من يبْكي شبيبتَه ... إلا إذا لم يبكِها بدَمِ[2]

لسْنا نرَاها حقَّ رؤيتِها ... إلا زمانَ الشيْبِ والهرَمَ

كالشمْسِ لا تبْدو فضيلتُها ... حتى تغشّى الأرضُ بالظلَمِ

ولربّ شيء لا يبيّنُه ... وجدانُه إلا معَ العَدمِ

وقال ابن الأعرابي: لا أعرف في مدح الشباب وذمّ الشيب أحسن من قول محمد بن حازم:

لا تكذبنّ فما الدنيا بأجمَعها ... منَ الشبابِ بيومٍ واحدٍ بدَل

قال محمود الوراق:

سقياً لأيام تولّت بهِ ... أحسنَ ما كانَتْ صروفُ الزمَنْ

ولى فما الدنيا بأقطارِها ... لليوم والساعةِ منه ثمَن

● **غمُّ مَنْ ذَهَب شبابُه قبل تمتعِهِ به**

قال منصور النمري:

ما كنتُ أوفي شبَابي كنه عزّتهِ ... حتى مضَى فإذا الدنْيا له تبَعُ

وسمع ذلك الرشيد فقال وما خير دنيا لا يخطر فيها برداء الشباب قال عمر بن أبي ربيعة:

إن الشبابَ الذي كنّا نزن به ... مضَى ولم نقْض من لذّاته أملا

---

(١) **أكناف**: جمع الكنف وهو الناحية ـ **الحطيم**: جدار حجر الكعبة.

(٢) **لا تلح**: أي لا تلم.

(٧)
البكاءُ على فَقْدِ الشباب والتأسفُ له

●

نظر رجل إلى شيبة في رأسه فجمع نساءه وقال: أندبنني فد مات بعضي.

قال الخزيمي:

إذا ما ماتَ بعضُك فابْكِ بعضا ... فبعضُ الشيءِ من بعضٍ قريبُ

وقال محمود الورّاق:

ألَيس عجيباً بأنّ الفتى ... يُصابُ ببعض الذي في يدَيْه

فمن بين باكٍ لهِ موجَعٍ ... وبين معنى معز إليه

ويسلبُه الدهرُ شرخَ الشبابِ ... وليس يعزّيه خلقٌ عليه[1]

وقال:

شيئان لو بكَت الدماءُ عليهما ... عيناك حتى يؤذِنا بذهابِ

لم يبلغا المعشار مَن حقّيهما ... فقْدُ الشبابِ وفرْقَةُ الأحْبابِ

● **ذمّ الشباب بقلّة الوفاء واللبث والتسلّي عنه**

قال شاعر:

ما في يدي من الصِّبا ... إلا الندامةُ والأسَفْ

كانَ الشبابُ كزائرٍ ... ملّ الزيارَة وانصرَفْ

قال بعضهم:

لم أقُلْ للشبابِ في دعَةِ ... اللّهُ وفي حفظِه غداةَ تولّى

زائرٌ زارَني أقامَ قليلاً ... سوّدَ الصحفَ بالذنوبِ وولّى

قال منصور الفقيه:

ما كانَ أقصرَ أيامِ الشبابِ وما ... أبقى حلاوةَ ذكراه التي يَدع

وقال المتنبّي:

مشيبُ الذي يبْكي الشبابَ مشيبُه ... فكيْفَ توقّيه وبانِيه هادِمُه

● **تمني عوده والدعاءُ لَهُ**

---

(١) شرخ الشباب: مقتبله وريعانه.

قال أبو العتاهية:

ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً ... فأخبرَه بما فعَلَ المَشيبُ

وقال النمري:

والله لو أُعطى المُنى ... لوددتُ أيّام الصِّبا

ومعاتباتٍ كنّ لي ... ومداعباتٍ للدُّمى

قال حميد:

فلا يبعُد اللّهُ الشبابَ وقولَنا ... إذا ما صبَوْنا صبوةً سنتوبُ[1]

ليالي سمْعُ الغانياتِ وطرفُها ... إليّ وإذ ريحي لهنّ جنوبُ

وقال ديك الجن:

لله درّي في الشبيـ ... ـبة من أخي لهوٍ أريبِ[2]

أيامَ يحملُني الشبا ... بُ على التهاونِ بالذُّنوبِ

● **تولّي العيشِ بتولي الشبابِ**

قال كثير:

وكانَ الصبا خدنَ الشباب فأصبحا ... وقد تركَاني في مغانيهما وحدي[3]

وقال:

ولّى الشباب وولّى العيشُ والعُمُرُ ... وأقبلَ المُدبِران الشيْبُ والكِبَرُ

وقال رسبة بن الأبيض:

بانَ الشبابُ بكلّ ما ... تهوى النفوسُ وتَطيبُ

طُفيءَ السراجُ وكلّتِ الأضـ ... ـراسُ وانكَسَر القَضيبُ[4]

قال عليّ بن جبلة:

ولما انقضى عصرُ الشباب وعهدُه ... ذوى ورقُ الدنيا وأغصانُها الهدْلُ[5]

● **كراهةُ ذهابِ الشيب وكراهةُ نزولِهِ**

قال مسلم:

الشيبُ كره وكره أن يفارقَني ... فأعجبْ لشيء على البغْضاءِ مودودِ

يمْضي الشبابُ ويأتي بعدَه خلَفٌ ... والشيبُ يذهبُ مفقوداً بمفقودِ

---

(١) صبونا: أي ملنا إلى الصبوة وهي جهالة الصبا.

(٢) الأريب: البصير بالأمور.

(٣) الخدن: الصاحب.

(٤) طفيء السراج: أي خمدت جذوة الشباب وولّى.

(٥) الأغصان الهدل: الظليلة الوارقة.

قال البحتري:

تـعـيـبُ الـغـانـيـاتُ عـلـيّ شـيْـبـي ... ومـنْ لـي أن أمـتّـعَ بـالـمَـعـيـبِ

وأنشد ابن دريد في وصفه:

ولي صاحبٌ ما كنتُ أهْوى لقاءَه ... فلما التقيْنا كانَ أكرمَ صاحبِ

عزيزٌ علينا أن يفارقَ بعدما ... تمنّيْتُ دهراً أن يكونَ مُجانِبي

● **الشيب داء متمنى**

قيل لأبي العيناء: كيف أنت؟ قال في الداء الذي يتمنّاه الناس يعني الهرم. **وقيل** لأعرابي وقد ضعف من الكبر لقد أذنب إليك الدهر، **فقال:** كثّر الله من ذنوبه عندي.

● **طول العمر يُفضِي إلى الهَرَمِ والمصائبِ**

قيل: من أخطأ سهم المنية قيّده الهرم. ومن وطّن نفسه على طول العمر فليوطنها على كثرة المصائب. **وقال ابن الحارث** في وصيته لبنيه: من متّع بكبر بلي بعبر، ومن تأخّر يوماً ملّه قومه.

وقال زهير:

رأيتُ المنَايا خبْط عشواءَ من تصِبْ ... تمِتْه ومَنْ تخْطِىء يعمّر فيهْرَمِ

وقيل: كفى بالسلامة داء، وقال:

فكيف ترى طولَ السلامة يفْعَل

● **مَنْ أضعفَهُ كبرُهُ وهَرَمُهُ**

سأل الحجاج شيخاً **فقال:** كيف طعمك؟ **قال:** إذا أكلت ثقلت، وإذا تركت ضعفت. **قال:** كيف نكاحك؟ **قال:** إذا بذل لي عجزت، وإذا منعت شرهت. **قال:** كيف نومك؟ **قال:** أنام في المجمع وأسهر في المضجع. **قال:** فكيف قيامُك وقعودُك؟ **قال:** إذا قعدت تباعدت عنّي الأرض، وإذا قمت لزمتني. **قال:** كيف مشيك؟ **قال:** تعقلني الشعرة وتعثرني البعرة.

وقيل لشيخ ما صنع بك الدهر؟ **قال:** فقدت المطعم وكان المنعم، وأجمت النساء وكن الشفاء. فنومي سنات، وسمعي خفات، وعقلي تارات.

وقيل لآخر: فقال: أدرج من العشاش، وأخرأ في الفراش، وأنبو عن القماش، وأنفر من لاش.

وقيل لآخر: فقال: ضعضع قناتي، وأوهى شواتي، وجرّ أعلى عداتي. وسئل ابن القرية عن وصف الكبر **فقال:** إقبالِ البخر وإدبار الزفر، وانقباض الذكر. **وقيل:** الشيخوخة غمامة تمرض الأمراض.

قال أبو الطمحان:

حنتني حانيات الدهر حتّى كأني خاتلٌ أدنو لصيدِ
قربتُ الخطوَ يحسَبُ من رآني ولستُ مقيداً أني بقيدِ

وهذا من قول شيخ مرّ به غلام فقال: يا عمّاه قد قصر قيدك، فقال: تركت الذي قيّدني يقتل قيدك.

وقال ديك الجن:

نهنهتِ الخمسون من شدّتي وضيقتْ خطوي بعْدَ اتساع[1]
وأتحفتني خوَراً ظاهراً وكنْتُ قبْلَ الشّيْب عينَ الشّجاعْ[2]
تعترفُ النفسُ ببعْضِ القوى فأمسِكُ النفسَ ببعْضِ الخِداعِ
أذكر إنسانَ التي فوقَها والموتُ قد يودي بمَن في الرّضاعِ

وكان أبو محلم لما كبر ينشد:

إذا ما امرؤٌ أحصى ثمانينَ حجّةً وعاشَ، تشكّى كلُّ عضوٍ ومِفْصَلِ

وقد أحسن القائل:

قالوا أنينُك طولَ اللّيلِ يسهرُنا فما الذي تشتكي قلْتُ الثّمانينا

● **المشيبُ مؤذنٌ بالموتِ**

قيل: المشيب تمهيد الحِمام وتاريخه وعنوانه ورائده ونذيره. **وقيل**: الشيبُ مقوّض الخيام ومقيض الحمام. **وقيل**: هو أول مواعيد الفناء **وقيل**: هو واعظ نصيح ومنذر فصيح.

وقيل: هو لمحة من لمحات المنون ونوبة من نوب الدهر الخؤون. **وقيل**: في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[3] والنذير الشيب.

وقيل: إذا ضحك الشيب في القذال[4] بكت الحياة للزوال.

ونظر حكيم إلى شيبه فقال أرى شيبة قد أينع ثمرها وحان قطافها.

وأظرف ما قيل في ذلك قول منصور:

من شابَ قد ماتَ وهو حيّ يمْشي على الأرضِ وهو هالِكُ
لو كانَ عمرُ الفتى حِساباً لكانَ في شيْبه فذالكْ

وقال:

الشيبُ والموتُ مقرونان في قرنِ

ونظر فضيل إلى رجل قد وخطه الشيب **فقال**: اتقِ الله فإنّ الموت قد غرز أعلامه في

---

(1) **نهنهه**: جعله يكفّ، زجره.
(2) **الخور**: الضعف.
(3) **القرآن الكريم**: فاطر/ ٣٧.
(4) **القذال**: ما بين الأذنين في مؤخر الرأس.

لحيتك. ولأبي الفضل بن العميد من فصل قد طرزت الأيام عارضيك بتاريخ، يفصح عما كتمته وينشر للناس من أمرك ما طويته، وكأنك تقول هو مقدمة الهرم والمؤذن بالخرف والعائد إليّ ولا أريد تطيراً من ذكره

● **من مات أقرانه فقد آن أوانه**

قال أبو عيينة:

واستحصدَ القرنُ الذي أنا منهم ... وكفى بذاكَ علامة لحصادي

وقال معاوية لجلسائه: ما تعدون الغريب فيكم؟ فقالوا: الذي لا أحد له فقال بل الغريب الذي مات نظراؤه الذين كان يأنس بهم قال أبو محمد التيمي:

إذا ذهب القرن الذي أنتَ منهم ... وخلفت في قرن فأنت غريبُ

قال ابن المعتز:

لأيّ غاياتِ رجائي بعدما ... رأيتُ أترابي وقد صاروا تُرابا[1]

وقال أبو سعيد الرستمي:

جاوزت سنّي الأشدّ ومارسْـ ... ـتُ بنفسي من الخُطوب الأشدّا

وتفانى الأقران دوني جميعاً ... وتبقّيْتُ في الكِنانة فردا

وقال العلوي الكوفي:

أجالس معشر الأشكل فيهم ... وإشكالي قد اعتنقوا التجودا

● **المدة التي يخاف عندها الموت**

قيل في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾[2] أنه الأربعون قال شاعر:

إذا المرءُ وافى الأربعين ولمْ يكُن ... له دونَ ما يأتي حياءٌ ولا سِتْرُ

فدعه ولا تنفِس عليه الذي مضى ... وإن مدَّ أسباب الحياة له العُمر

وقال رجل لعبد الملك: كم لك من السنين؟ **فقال:** أنا في معترك المنايا ابن ثلاث وستين. وكتب الحجّاج إلى قتيبة بن مسلم إني نظرت في سنّي فإذا أنا قد بلغت خمسين سنة وأنت تحومني في السن. وإن امرأ قد سار خمسين حجّة إلى منهل لَقمِيْنٌ أن يرده فأخذ ذلك أبو محمد التميمي فقال:

فإن أمرأ قد سار خَمسينَ حجّة ... إلى منهل من ورده لقريبُ

فإن كانتِ الستون سنّك لم يكن ... لدائِك إلا أن تموتَ طبيبُ

---

(١) الأتراب: جمع ترب وهو من ولد معك.

(٢) وردت سابقاً

قال ابن المعتز:

إحدى وخمسون لو مرّت على حجرٍ لكانَ من حكْمِها أن يفلّقَ الحَجَرُ

- **جماعةُ سني العمر**

تقول العرب: الغلام إذا بلغ عشراً قد رمى، وفي عشرين قد **لوى** أي لوى يد غيره، وفي ثلاثين قد **غوى**، وأربعين قد **استوى**، وفي خمسين قد **حرى** أي صار حرياً بأن يظهر فضله.

وقيل ابن عشر **طفل** وابن عشرين **فحل**، وابن ثلاثين **كهل** وابن أربعين **معتدل**، وابن خمسين **مترحل**.

وحكي عن بزرجمهر أنه قال: في عقد العشرة دليل على أن الصبي إذا بلغ عشر سنين فقد انعقد فإذا صار إلى **عشرين** فقد توسط الخير والشر توسط الإبهام للسبابة والوسطى، فإذا صار إلى **الثلاثين** فقد كمل واستوى وإذا بلغ **الأربعين** فقد بلغ الأشد وشدّ الأزر وإذا بلغ **الخمسين** فقد انكسر وقعد، وإذا بلغ **الستين** فقد انضم، فإذا بلغ **السبعين** فقد عاد في أخلاق الصبيان، وأشبه ابن الثلاثين الكامل الشهوة وابن العشرة الصبي فإذا بلغ **الثمانين** فقد تقوّس عقد ما فإذا بلغ التسعين فقد صار في ضيق عيش كضيق عقدها، وإذا بلغ المائة انتقل عن الدنيا انتقال عقدها إلى اليد الأخرى. **وقيل لرجل**: كم أنت؟ قال: ابن قبضة يعني ثلاثاً وتسعين.

- **في المتبرّم بحياته لضعفِهِ**

قال زهير:

سئمتُ تكاليفَ الحيَاة ومن يعِش ثمانينَ حَوْلاً لا أبا لكَ يسأمِ

وقال زهير بن حباب:

الموتُ خيرٌ للفتَى فليهلكَنْ وبه بَقِيَّة

من أن يرَى الشيخ البجا ل وقد تهادى بالعَشِيَّة[1]

وقال عبيد:

والمرءُ ما عاشَ في تكذّبِ طولُ الحياةِ له تعذّبُ

وقيل: أهون هالك شيخ يقاد به البعير وكان من عادتهم إذا تبرّموا بشيخ ربما أنهم تركوه إذا ارتحلوا ليموت أو يأكله الذئب أو يحملوه على بعير نفور يسقطه فيموت فيستريحوا منه **وقيل**: أهون هالك عجوز في سنة جدب.

---

(١) **البجال**: المكرّم والمعظم.

(٨)
المعمّرون

●

عاش **نوح** ألف سنة وأربعمائة وخمسين سنة، بُعِثَ بعد مائتي سنة ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، بقي بعد الطوفان مائتي سنة وخمسين سنة فلما أتى ملك الموت قال له كيف رأيت الدنيا؟ **قال**: كدار لها بابان دخلت من هذا وخرجت من هذا.

وعاش **لقمان** خمسمائة وستين سنة عمر سبعة أنسر كل نسر ثمانون سنة ومنه قيل طال الأمد على لبد.

وعاش **المستوغر** بن زبيد ثلاثمائة وثلاثين سنة ولما بلغ ثلاثمائة قال:

ولقد سئِمْتُ من الحياةِ وطولِها ... وعمرتُ من بعْدِ السنين مئينا
مائة جزتها بعْدها مائتان لِي ... ازددتُ من عددِ الشهور سِنينا[1]
هل ما بقي إلا كمَا قد فاتَنا ... يومٌ يمرّ وليلةٌ تحدونا

وعاش **معدي كرب الحميري** مائتين وخمسين سنة. وعاش **عامر بن الظرب** ثلاثمائة سنة وكذلك أكثم بن صيفي، وكانا من حكماء العرب. وأدرك أكثم الإسلام واختلف في إسلامه. وعاش قسّ بن ساعدة الأيادي ستمائة سنة، وكان من عقلاء العرب وحكمائهم، وهو أول من أقرّ منهم بالبعث وأول من قال في الخطبة: أما بعد. وعاش **دريد بن الصمة** دهراً طويلاً حتى سقط حاجباه على عينيه ولم يسلم وشهد حنيناً.

وعاش **عبيد الجرهمي** مائة سنة وعشرين سنة وكان معاوية رضي الله عنه حجّ من الشام فقال هل تعرفون أحداً بقي له علم بأيام العرب فنسأله، فقالوا: عبيد وهو على طريقك فدعاه **فقال**: ممن أنت؟ فانتسب إلى قبيلة، **فقال**: وهل بقي منهم أحد؟ **قال**: نعم أنا قال وكم لك من السنين؟ فقال مائتان وعشرون سنة. **فقال**: من أين تعلم؟ **فقال**: أما قال الله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصّلناه تفصيلاً. **فقال**: أخبرني عمّا رأيت فقال تمت عليّ سنيهات بلاء وسنيهات رخاء ويوم في أثر يوم وليلة. في أثر ليلة. ومنهم **لبيد بن ربيعة** وخبره مشهور **ومعاذ بن مسلم** عاش مائة وخمسين سنة. صحب بني مروان وفيه يقول الشاعر:

قل لمعاذٍ إذا مررتَ به ... قد ضجّ من طولِ عمرك الأبدُ

---

(١) جزتها: اجتزتها وتجاوزتها.

قـد أصـبـحَـتْ دار آدم خـربَـت وأنـت فـيـهـا كـأنـك الـوَتَـدُ[١]
تـسـأل غـربـانَـهـا إذا نـعـبَـت كـيْـف يـكـونُ الـصداع والـرَّمَـدُ

● فصل من ذلك

قيل: فلان أعمر من القراد وذلك أنه يعيش سبعمائة سنة، وأعمر من الضبّ. **قال الأصمعي** إن الحِسل[٢] يبلغ مائة سنة ثم يسقط.

قال:

فـقـلـتُ لـو عـمـرتُ عـمـرَ الـحِـسَـل أو عـمـرَ نـوح زمـنَ الـفـحـطَـلِ[٣]
والـصـخْـر مـبـتَـلٌ كـطـيـنِ الـوحَـل صـرتُ رهـيـنَ هـرمٍ أو قـتْـلِ

وقيل: أعمر من حيّة لأنها لا تموت حتف أنفها فيما. **يقال**: واعمر من نسر وللفرس زيود هشتا دكور تيرست رهمنه مزوامارِي نه مريد خركش يوزينه مرد معناه يعيش العير ثمانين سنة وثلاثمائة والحية لا تموت إلا قتلاً.

(٩)
الترغيبُ في الاختضابِ والرغبة فيه

●

قال عمر رضي الله عنه: اختضبوا بالسواد فإنه أسكن للزوجة وأهيب للعدو وقيل لرجل إلامَ أخضب؟ **فقال**: ما قام أيرك. **قال شاعر**:

الـشـيـبُ ضـيـفُـك فـاقـرِه بـخِـضَـابِ

وقال: إن الخضاب هو الشاب الثاني.

وقال:

إن الـــخـــضـــابَ لـــحـــيـــلَـــة فـــي ردّ أيّـــام الـــشـــبـــابِ

قال رستم بن محمود:

ولـمـا رأيـتُ الـشـيـبَ قـد شـانَ أهـلَـه تـقـنّـعْـتُ وابـتـعْـتُ الـشـبـابُ بـدرْهَـمِ[٤]

قال ابن المعتز وقد ناقض بذلك محموداً الوراق حيث قال:

يـــا خـــاضـــبَ الـــشـــيـــبِ الـــذي فـــي كـــلّ ثـــالـــثـــةٍ يـــعـــودُ

---

(١) دار آدم: الدنيا. (٢) الحسل: ولد الضبّ.
(٣) الفحظل: لم نقع على هذه اللفظة في لسان العرب الفحطل (بالطاء)، وهو اسم وقال بأنه ورد في هذا البيت:
تـبـاعـدنـي فـحـطـل، إذ سـألـتـه أنـيـن، فـزاد الله مـا بـيـنـنـا بـعـدا
ثم ذكر بأن الاسم في الصحاح وهو فطحل وزمن الفطحل هو زمن نوح الليثي والراجح أن هذا هو المقصود.
(٤) شان أهله: عابهم، وبات يعيّرهم، والشّين: العيب.

إن الـــنـــصـــولَ إذا بـــدا فـــكـــأنّـــه شـــيْـــبٌ جـــديـــدُ[1]

فقال:

وقـالـوا الـنـصـولُ مَـشِـيـبٌ جـديـدٌ فـقـلْـتُ الـخِـضـابُ شـبـابٌ جـديـدُ

إســاءة هــذا بــإحــســانِ ذا فــإن عــاد هــذا فــهــذا يــعــودُ

- **الإعتذارُ لذلك**

قال علي بن عيسى لإبراهيم بن إسماعيل يوماً: الخضاب باطنه داء وظاهره غرور ثم لقيه وقد اختضب، **فقال:** أين كلامك؟ قال فكرت فإذاً أمور الدنيا كلها مرمة وهذا من مرمتها. **قال ابن الرومي:**

فإن تسألـيـنـي مـا الـخـضـابُ فإنّـنـي لـبِـسْـت عـلـى فـقْـدِ الـشـبـابِ حِـدادي

- **مَنِ اختُضِبَ لمجيء الشيب في غير وقتِهِ**

قال محمود الوراق:

إذا مـا الـشـيـبُ جـار عـلـى الـشـبـابِ فـعـالِـجْـه وغـالِـطْ فـي الـحِـسَـابِ

فـقُـل لأمـر لا مـرحـبـاً مـن نـزيـلٍ وعـذِّبْـه بـأنـواعِ الـعَـذابِ

بـنـتـفٍ أو بـقـصٍّ كـلّ يـوم وأحـيـانـاً بـمـكـروهِ الـخِـضـابِ

وإن هـوَ لـم يـجـسرِ وأتـى لـوقـتٍ فـقُـل فـي رحْـب دارٍ واقـتـرابِ

- **الترغيبُ عن الخضاب والرغبة فيه**

قيل لأفلاطون: لِمَ اختضب فلان؟ **فقال:** كره أن يؤخذ بحنكة المشايخ.

قال ابن الرومي:

يـا أيّـهـا الـرجـلُ الـمـسوّدُ وجـهَـه كـيـمـا يُـعَـدّ بـه مـن الـشّـبـانِ

أقـصِـر فـلـو سـوّدتَ كـلّ حـمـامـة بـيـضـاءَ مـا عـدّتْ مـن الـغِـربـانِ

وقيل لأعرابي: لِمَ لا تختضب لتصبوا إليك النساء؟ فقال أما نساؤنا فما يردن بنا بدلاً، وأما غيرهن فلا نريد صبوتهن[2]

قال كشاجم:

يـا خـاضِـبَ الـشـيْـبِ والأيـامُ تـظـهـرُه هـذا شـبـابٌ لـعـمْـر الـلّـهِ مـصـبـوغُ

وقيل لأعرابية: فلان يختضب. **فقالت:** لا ينالُ الشبابُ بالخِضاب كما لا يُنال الغِنى بالمُنى ولما وفد عبد المطلب على سيف بن ذي يزن ورأى لحيته بيضاء بعث إليه بجارية ومعها خطر ليخضب لحيته فأنشأ عبد المطلب:

وقـائـلـةٍ تـخـضَّـبْ فـالـغَـوانـي نـوافـرٌ عـن مـصـادقَـة الـقَـتـيـرِ

---

(١) **نصول الشيب:** خروجه من الخضاب.

(٢) **الصبوة:** الميل إلى اللهو وأهواء الصِّبا.

فقلتُ لها المشيبُ نذيرُ عمْري ولستُ مسوّداً وجهَ النذيرِ

وقال:

إذا ذهبَ الشبابُ فليس إلا غبارُ الشيبِ أو ذلُّ الخِضابِ

- **مَدْحُ الصَلَعِ**

قال الخليل: كان الشريف إذا لم يصلَع نتفوا شعره تشبّهاً بذلك.

وأنشد العتبي:

قد حصّ رأسي فتيت المسْك أخلطُه بالعنبر الورد حتّى ما به شعَر[1]

فقال لشتان ما بينه وبين أبي قيس بن الأسلت في قوله:

قد حصتِ البيضةُ رأسي فمَا أطعَمُ نوماً غيرَ تهجاعِ

- **ذَمُّ الصلع**

دخل الأبرش الكلبي على هشام بن عبد الملك وحجّام يحجمه فمسّ رأسه **فقال:** يا أبرش ما صَلعٌ لئيمٌ قط فكشف رأس الحجام فإذا هو أصلع، **فقال:** أمِن كرم صلع هذا؟ **وقالت** امرأة لزوجها وكان أصلع لست أغبط إلا شعرَك حيث فارقك فاستراح منك.

قال شاعر:

خفافان مثل القُذّتينِ وهامةٌ يزل الذبابَ النقف عنها فيصرعُ[2]

وقال:

إذا أبصرتَهم صُلْعاً وثطا فقُبّح ذاك من صلعٍ ومن هامِ

- **التأسفُ لذلك**

قال بعضهم:

جزعتُ للشيبِ لما حلّ أوّلهُ فجاءني حادثٌ أنسانيَ الجَزَعَا

هبّ المشيبُ يَداوي الخطَر شائعه فكيفَ لي بدواءٍ يُذهِبُ الصَلَعا

قال أبو النجم:

قد تركَ الدهرُ صِفاتي صَفْصَفا فصارَ رأسي جبهةً إلى القَفا

كأنما تلقّى به ضغفي عفا

- **الإعتذارُ عنه**

قال بشر:

رأتني كأفحوصِ القَطاة ذؤابتي وما مسّها من منعم يسْتشيبُها[3]

---

(١) حصّ الرأس: حلق شعره. (٢) القذّة: القطعة من الريش. (٣) الذؤابة: ضفيرة الشعر.

قال ابن الرومي:

يعيّرني لبسَ العمامَة سادراً ويزعمُ لبسيها بعيبِ مكتَّم
فقولا له هبْني كما أنا صلعةً ألستُ حصينَ الخلْف ماضي المقدَمِ
وأنّى تُعيبُ الصلعَ والأيرُ منهم وأنتَ بحبّ الأيرِ عينُ المتيّمِ

- **نَوادِرُ للصَّلَعِ**

قيل لأصْلَع: إن الصلعة من نتن الدماغ. **فقال:** لو كان ذلك كذا لم يكن على حرامك طاقة شعر. وجلس أصلع بين يدي حجّام فحلق نصف رأسه وتماسكا في الأجرة، **فقال الأصلع:** حَلق نصف رأسي فله نصف الأجرة فقال الحجّام حلقت له إيطين أربع أذرع كأنهما تنوران يشوى فيهما السالخ لنتنهما فحكم له بالأجرة تماماً وقال أصلع لرجل رأى عليه جرباً كثيراً أراك لابساً جوشناً[1] بلا بيضة.

(١٠)
ومِمَّا جاء في الأسماء والكنى والألقابِ

●

- **الحثُ على تسمية الأبناء بأحسنِ الأسماءِ**

قال النبي ﷺ: إياكم وهذه الأسماء القبيحة، فما من مولود يولد إلا ويحضره ملك وشيطان، فيقول الملك سمّوه بكذا اسماً حسناً، ويقول الشيطان سمّوه بكذا اسماً قبيحاً.

وقال: كنية الرجل أحد شواهد عقله واسمه أحد شواهد عقل أبيه. **وقيل:** أشيعوا الكنى فإنها منبّهة. **وقال ﷺ:** من آتاه الله وجهاً حسناً واسماً حسناً وجعله في غير موضع شائن فهو من صفوة خلقه.

- **الميلُ إلى الأسماء الحسنةِ والتفاؤلُ بها**

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أحبّكم إلينا أحسنُكم أسماء، فإذا رأيناكم فأجملكم منظراً. فإذا اختبرناكم فأحسنكم مخبراً.

وخرج الرشيد يوماً فرأى سعيد بن سلم **فقال:** من قال سعيد أسعدك الله؟ **قال:** ابن من قال ابن سلم سلمك الله **قال:** أبو من؟ **قال:** أبو عمر، وعمرك الله فقال بارك الله عليك وأكرمه.

- **المُسمَّى باسم حسن معناه موجودٌ فيهِ**

قال:

وقلّما أبصرَتْ عيناك من رجُلٍ ألا ومعْناه في اسم منْه أو لقَب

---

(١) **الجوشن:** الدرع.

قال ابن الرومي:

أنت أبو الفضل وأنت ابنه ... فالفضل لا يعدُوك في كلّ حال

وسأل رجل صبياً صبيحاً ما اسمك؟ **فقال:** وصف وجهي، **فقال:** ما أراك تسمّى إلا حسناً **فقال:** كذلك. **وفي ذلك لأبي نواس:**

إن اسم حسْنى لوجهها صفه ... وما أرى ذا لغيرها اجتمَعا

فهي إذا سمّيت فقد وُصِفَت ... قد يجمَع الاسمُ معنيَيْن معا

ونظر المأمون إلى غلام **فقال له:** ما اسمك؟ **قال:** لا أدري؟ **فقال:** لم أرَ مثل هذا. **وأنشد:**

تسمّيتَ لا أدري لأنك لا تدري ... بما فعلَ الحبّ المبرّحُ في صدْري

● **المُسمّى باسم حسن معناه معدومٌ فيه**

ولي رجل يقال له البحر أبو الغمر بعض كور خراسان فمدحه شاعر فأعطاه درهمين **فقال:**

تركتُ لبَحْر درهميْن ولم يكنْ ... ليدفَع عنّي فاقَتي درهما بحْرِ

وقلت لبحْر خذهُما واصرِفهما ... سريعَيْن في نقصِ المروءة والفَخْرِ

وقالت عمرة بنت النعمان بن بشير:

سميت روحاً وأنتَ الغم قد زعَمُوا ... لا روّح الله عن روح بن زنْباعِ

ومرّ صاعد ببشّار **فقال:** من هذا؟ **قيل:** صاعد. **فقال:** الصاعد اسما السافل فعلا. ودفع أبو الفياض بن بحر رقعة إلى أبي الفضل بن العميد فكتب عليها بحر بن محمد بن بحر فكتب تحتها محمد مسكين غرق بين بحرين. **قال ابن الرومي:**

سميت أحمد مظلوماً ولسْت به ... كلا ولكِن منَ الأسماء مقلوب

عرضت على كشاجم جارية حسناء **فقال:** ما اسمك؟ **قالت:** مظلومة **فقال:**

مملوكَةٌ تملكُ أربابَها ... ما شانَها ذاكَ ولا عابَها

قد سمّيْت بالضدّ مظلومةً ... وهي التي تظلمُ أصحابَها

● **من عُيّرَ بقبيحِ اسمِهِ**

قال بعضهم في رجل اسمه فضل:

هو فضلٌ وفضلة الشيء لغوٌ ... ثم أردفَت قلّة التصغير

وأراد عمر رضي الله عنه أن يولّي رجلاً فسأله عن اسمه **فقال:** ظالم بن سراق. **فقال:** أنت تظلم وأبوك يسرق لا خير فيك ولم يولّه.

وقال معاوية رضي الله عنه لجارية بن قدامة: من هوانك على أهلك سموك جارية

فقالت: أنت كنت أهون على أهلك إذ سمّوك معاوية، وهي الأنثى من الكلاب.

وروقف رجل على ثلاثة نفر فسألهم عن أسمائهم، **فقالوا**: حافظ ومنيع ومحرز.
فقال: ما أظنكم من أسمائكم إلا كما **قال أبو فراس**:

إذا نُسِبوا لم يعرفوا غيرَ ثعلبِ ... إلا أن أشرار السباع الثعالبُ

وقال العتابي لإبراهيم الموصلي عند المأمون وكان أغرى بينهما: ممّن وما أسمك؟ **فقال**: من الناس واسمي كل بصل. **فقال**: أما النسبة فمعروفة وأما الاسم فمنكر. **فقال**: وما كلثوم من الأسماء، البصل على كل حال أطيب. **وقيل** لرجل: ما اسمك؟ **قال**: شعيب، **فقال**: لا خير في اسم في أوله شه وفي آخر عيب. وهذا مثل **قول الصاحب في قابوس** نصف اسمه ضعف وآخره بوس، ونحوهما ما **قال** موسى بن عبد الملك في **عيسى**: أنّى يكون بليغاً ونصف اسمه عي وما تأخر عنه ثلثا حروف مسيء.

وقيل في نفطويه:

أحرقه اللّهُ بنصف اسمه ... وصيّر الباقي نواحاً عليه

ونحوه:

أبو رياش بغي والبغي مصرعُه ... فشدّوا العين ترموه بآبدَتِه

عبدٌ ذليل هجا للحين سيّده ... تصحيف كنيته في صذع والدتِه

أي أيور ناس.

وقال ابن أبي البغل: ولد لي سبط فما اسميه؟ **فقيل له**: لا تخرج من الاصطبل وسمه ما شئت.

ومن نوادر الصاحب أنه وقّع في قصة ابن حيلة: **لا تترك استعمال أبيك وقال**:

ابنُ عذاب إذا تغنّى ... فإنني منه في عَذابِ

وقال ابن سوادة لعبدان: أبوك كان ثنوياً ولذلك سماك عبدان، أي عبد النور وعبد الظلمة.

وقال الصاحب للبغلي: ما اسم أبيك؟ قال: موسى. قال: وابنك؟ قال موسى قال: وهذه اللحية بين موسيين على خطر. **وفيه**:

حلقَتْ لحيةَ موسى باسْمِه ... وبهارون إذا ما قُلِبا(١)

● **من استحمقَ في اسمِهِ**

قال ابن أبي عتيق لرجل: ما اسمك؟ **قال**: وثّاب، : قال وكلبك؟ **قال**: عمرو. فقال:

فلو كانَ من التوْفيق ... قدْ أغطى أسْبابا

---

(١) يقصد أنه بقلب هارون يكون الاسم نوره وهي مادّة لإزالة الشعر.

لسمّى نفسه عمراً وسمي الكلب وثابا

وقال رجل لآخر: ما اسمك؟ قال: وردان قال وفرسك، قال: عمران. وذهب رجل إلى باب، فقيل عبد من الأرض جميعاً قبضته والسموات مطويات بيمينه، فقال: إن نصف المصحف بالباب وسئل رجل عن كنيته، فقال: أبو الحسن وأبو الغمر. فقيل: ألم تكف واحدة؟ فقال: لا إن ضاعت واحدة بقيت الأخرى.

● **المتأوّل قبيح اسمه على تأويلٍ حسنٍ**

كان بنو أنف الناقة يستنكفون من هذا الاسم حتى قال فيهم الشاعر:

قومٌ هُم الأنفُ والأذنابُ غيرُهم ومَنْ يسوّي بأنفِ الناقةِ الذنَبا

فصاروا يتبجّحون به.

واستقبح قوم اسم العجلان فقال بعضهم: وما سمّي العجلان إلا لقولِهِ:

خذ الوطب واحلُبْ أيها العبْد واعجلِ(١)

● **المعتذرُ لشناعةِ اسمه أو كنيتِهِ**

قيل لأعرابي اسمه نعامة: أي شيء هذا الاسم؟ قال: الاسم علامة ولو كان كرامة لتشارك الناس كلهم في اسم واحد. وقال برصوما لأبيه: ألم تجد اسماً أحسن من هذا؟ فقال: لو علمت أنك تجالس الخلفاء باسمك لسميتك يزيد بن مزيد.

وطلب الحسن بن سهل مؤدّباً لولده فأتى بمعاوية بن القاسم وكان ضئيلاً فقال: ما اسمك قال: كنيتي أبو القاسم ولضرورة تكنيت فاستظرفه.

وقيل لحرم المخنث لِمَ تسميتَ بذلك؟ فقال: حتى أندب فيقال واحرماه. وأتى ضرار المتكلم بمجوسي ليكلمه فقال: أبو من أنت؟ فقال: نحن أجل من أن ننسب إلى أبنائنا إنما ننسب إلى آبائنا. فورد على ضرار ما لم يكن في حسابه فأطرق ساعة ثم قال: أبناؤنا أفعالنا وآباؤنا أفعال غيرنا. وسئل بعض الأعراب لِمَ سموا أبناءهم بالأسماء القبيحة وعبيدهم بالحسنة فقال: لأن أبناءهم لأعدائهم وعبيدهم لأنفسهم.

● **مدحُ الكنيةِ واللقبِ وذمّهما**

قيل: الكنية للإبانة واللقب للتبجيل فلا يكون لله تعالى كنية لأنه بان بصفاته. واللقب على أوجه: لقب على سبيل الهزؤ، وذلك منهى عنه وربّما يخصّ الرجل على التعيين، وربّما يعمّ الجنس كقولهم للأحدب: أبو الغصن، وللقصير أبو الرماح والثاني على سبيل التخفيف يستغنى به عن الاسم والنسب وهو كثير كأبي فلان والثالث للتعظيم كلقب الخلفاء والأمراء، والرابع لفعل يختص به كهاشم لهشمه الثريد، وعدوان لعدوه على أخيه وقتله إياه، ودارم لدرمانه تحت المال.

---

(١) الوطب: سقاء اللبن، الرجل الغليظ.

● **المتفائلُ باسمِه حَسَناً كان أو قبيحاً**

خرج عمر رضي الله عنه فلقي رجلاً من جهينة **فقال**: ما اسمك؟ **قال**: شهاب **قال**: أبو مَنْ؟ **قال**: أبو جمرة. **فقال**: ممن أنت؟ **قال**: من بني حرقة، ثم من بني ضرام. **قال** أين مسكنك؟ **قال**: ذات لظى. **قال**: أدرك أهلك وما أراك تدركهم إلا وقد احترقوا. فأتاهم وقد أحاطت بهم النار.

ولما حاصر قتيبة سمرقند أرسل إليه دهقانها[1]: لو حاصرتها الدهر الأطول لم تظفر بها فإنا نجد في كتبنا أنه لا يفتحها إلا بالآن فقال قتيبة الله أكبر أنا صاحبها لأن قتيبة تفسيره بالفارسية بالآن، فلما يئس من مكابرتها هيأ صناديق وجعل لها أبواباً تغلق من داخل وجعل فيها رجالاً مستلئمين، **وقال**: أنا راحل عنكم ومعي أموال أريد أن أجعلها عندكم. فأمر دهقانها ففتح الباب وأدخلت الصناديق فخرجوا وقتلوا من فيها وفتحوها.

● **المتسمّي باسم لا يليقُ به**

قال بكر بن النطاح:

وأعجبُ منك اليومَ تسليمُ أمرِه ... عليك على طنز وأنك قابلُه

وقال عبدان:

هل رأيتُم أو سمعتُم ... بكياء أصفهان

وقال الصاحب:

الغضاري قال ادعى كياء ... لستُ أرضي بالشيخِ والأستاذِ

هل رأيتُم يا سادَتي أو سمِعْتم ... بكياء منْ أهلِ نصر أباذِ

● **الحثُّ على تعرف أسماء الأصدقاء**:

وقد تلتَقي الأسماءُ في النّاس والكنَى ... كثيراً ولكن لا تلاقي الخلائِق

وقال:

وكم من سميّ ليْس مثل سميه ... وإن كانَ يدْعى باسمه فيجيبُ

وقال:

لشتانَ ما بيْن اليزيدَيْن في النّدى ... يزيد سليم والأغرّ بن حاتمِ

وفي فصل لأبي الفضل بن العميد إلى محمد بن يحيى: وما أحسبنا نشترك إلا في الاسم وشتان بين محمد، ومحمد فلو كنا السماكَين لكنت **الرامح** وكنت **الأعزل** أو النسرين لكنت **الطائر** وأنا **الواقع**، أو السعدين لكنت **سعد السعود** وكنت **سعد الذابح**.

---

(١) **دهقان**: (كلمة فارسية) معناها سيّد الإقليم.

● **الحثُّ على تسمية الغيرِ بأحسنِ الأسماءِ**

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾[1]، **وقال ابن الخزاعي:**

ولستُ بذي نيربٍ في الكرا ... مِ ومنّاع خيرٍ وسبّابَها
ولكن أطاوعُ ساداتِها ... ولا أتعلّم ألقابَها

وقيل ثلاثة تثبت لك الود عند أخيك: أن تبدأه بالسلام، وتوسّع له في الملجس وتناديه بأحب الأسماء إليه.

وقال الطائي:

لا يُضمِرُ الغدْرَ للصديقِ ولا ... يخطو اسم ذي ودّه إلى لقبه

وقال:

أكنيه حينَ أناديه لأكرمَه ... ولا ألقبه والسوءَةُ اللقَبُ

وجرى بين أبي بكر بن فريعة القاضي وبين بعض القواد كلام في مجلس أبي الحسين بن بويه وكان أبو بكر يقول مرّة: يا إبراهيم، ومرة يا أبا إسحاق، فغضب القائد من ذلك وقال: لِمَ لا تقول كياء؟ فقال إنما نكياءك إذا أنصفتنا، فإذا ظلمتنا سحقناك وبرهمناك.

● **الاعتذارُ لِمَنْ سمّي بغير اسمهِ المشهورِ بِهِ**

صاح أعرابي بعبد الله بن جعفر فقال: يا أبا الفضل. فقال: ليس هذا كنيتي، فقال: إن لم يكن كنيتك فإنه وصفك.

وكان يحيى بن أكثم يناظر رجلاً في إبطال القياس وكان الرجل يكنيه بأبي زكريا. فقال له: يحيى إنها ليست بكنيتي فقال إن كل يحيى يكنى بأبي زكريا. فقال: يحيى العجب أنك تكنيني بالقياس، وتناظرني في إبطاله. ودخل رجل على أمير يدعى إسحاق فقال له: يا أبا يعقوب، فقال: أخطأت أنا أبو الحسين، فقال إنما أخطأ الأمير لأنّ كل إسحاق يكنى أبا يعقوب.

● **المشاهيرُ بأسماء لا يُعْرف بها غَيرُهُمْ**

إذا قيل أمير المؤمنين مطلقاً فهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابن عبّاس عبد الله، وابن عمر عبد الله. وكان لهما أولاد غيرهما. والحسن بالحسن البصري، والنابغة نابغة بني ذبيان. والأعشى أعشى بني قيس.

● **من سمّي من الكبار بأسماء وكنى**

النبي ﷺ سمي محمداً ومحموداً وأحمد ولهذا باب طويل:

---

(١) القرآن الكريم: الحجرات/ ١١.

• نوادر مختلفة في ذكر الأسماء

قيل لحائك أبو مَنْ؟ فقال أبو محمد عليه السلام وقال علي رضي الله عنه: ما اجتمع قوم في مشورة فلم يدخلوا من اسمه محمد إلا لم يبارك لهم فيها.

وقال ابن أبي ليلى: أحب الأسماء إلى الله تعالى ما فيه الإقرار بالعبودية له تعالى.

ودقّ باب الجاحظ رجل فقال من؟ قال: أنا. قال: لا يُعْرَفُ مَنْ اسمه أنا. ودق آخر فقيل مَنْ؟ قال: أنا. قال: ما أفلح ذو أنا.

ودخل مجوسي على والٍ فقال: ما اسمك؟ قال: يزدان بآذان. قال: اسمان وجزية واحدة لا يكون ذلك وألزمه جزيتين.

وقال رجل للفرزدق: من أنت؟ قال: فرزدق. قال: لا نعرف فرزدقاً إلا عجيناً فتيتا تأكله نساؤنا. فقال: الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم.

وقال أعرابي لرجل: ما اسمك؟ قال: عبد الله قال: ابن من؟ قال: ابن عبيد الله. قال: أبو من؟ قال: أبو عبد الله الرحمن. فقال الأعرابي أشهد أنك تلوذ بالله لياذ لئيم جبان.

وجاءت عجوز إلى لحّام بالمدينة فدفعت له درهماً وقالت ادفع لحماً طيباً، واذكر اسمك لأدعو لك فدفع إليها أخبث لحم، وقال اسمي من يمد، فجعلت المرأة تأكل وتقول: لعن الله من يمد تلعن نفسها ولا تدري.

وكان بالبصرة شيخ يقال له أبو حفص اللوطي فدخل يعود جاراً له فوجده كالمغمى عليه فقال له: أتعرفني؟ قال نعم أنت أبو حفص اللوطي فقال تجاوزت حد المعرفة لا رفع الله صرعتك.

• مَنْ غضب على غيره لموافقةِ اسمه مَنْ لا يُحِبُّهُ

من الشيعة قوم يبغضون ويقاتلون من كني بأبي بكر أو سمّي بعمر. وكانت قرية يقال لها يزداد وأهلها في الشيعة، مرّ بهم رجل فسألوه عن اسمه فقال: عمران فضربوه ضرب التلف، وقالوا في اسمه عمر وحرفان من اسم عثمان ألا يستحق القتل؟

• المسمّى بفعل منه جداً أو هزلاً

سُمّي إبراهيم حنيفاً لأنه حنف عن عبادة الأوثان، ومريم البتول لتبتلها أي انقطاعها إلى الله تعالى، وخطب وال باليمامة فقال: إن الله تعالى لا يقرّ على المعاصي فقد أهلك أمة في ناقة لا تساوي مائتي درهم فسمي مقوم الناقة.

وقال الخليل: كان قوم يلقبون كلّ من مر بهم فأتاهم رجل، فقال: إني أريد أن أتصل بكم بشرط أن تلقبوني أدعوني رأساً برأس فلقبوه رأساً برأس. والشعراء منهم كثير كالمرقش لقوله:

رقَّـش فـي ظَـهْـر الأديـم قـلَـم

وجران العود لقوله:

خذا حذراً يا جارتي فإنني رأيت جران العُود قد كانَ يصلُح

والممزّق لقوله ولما أمزق.

● ألقابُ الخلفاءِ والولاةِ

أول من لقب من الخلفاء عبد الملك بن مروان لقب الموفق لأمر الله، ثم الوليد المنتقم لأمر الله.

وأول من قال يا أمير المؤمنين أول من قصد أبا بكر وهذا باب واسع. وقيل سمي طاهر ذا اليمينين لأن المأمون كتب إليه: إن أمير المؤمنين قد جعل يمينك يمينه ويسارك يساره فسمي ذا اليمينين.

وكان أصحاب السلطان في زمن التتابعة سبعة أقسام: التبابعة والمباهلة وهم الذين ليس فوقهم، والمقاول وقيل الأقيال والأقوال الواحد قيل وهم ستون رجلاً من أهل بيت الملك يرشحون له ثم المثامنة ثمانون رجلاً إذا مات التبع وضعوا رجلاً من الأقيال تبعاً، ووضعوا رجلاً من الثمانين في الأقيال مكانه، ثم الصنائع وهم ثقات الملك يعدهم لنفسه ثم الوضائع وهم أصحاب المناظر والمسالح، والمقيمون في الثغور ثم العباد وهم خدم السلطان الذين يلزمون بابه ويختلفون في رسائله ثم الأخيار.

● أسماءُ ملوكِ كلِّ صقعٍ وفرسانُها

قد تقدم أسماء ملوكَ الأصقاع في السيادة فأما الفرسان فيقال المرازبة في فارس البطارقة في الروم البكاكرة في السند والهند والمقاول في اليمن والكبش في ترار وتبع في العرب

● من سماه أبوه باسم نفسه من الكبار

عبد الله بن عبد الله بن أبي بكر الصديق، الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، مسلم بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، عبد الله بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، عبد الله بن عبد الله بن عمر سعيد بن سعيد بن العاص عتاب بن عتاب بن أسيد.

● شبُه ألغازٍ بأسماء

قال المنصور لأبي بكر بن عياش يا أبا بكر أخبرني عن عين فقأت عيناً. يريد رجلاً أول اسمه عين قتل رجلاً أول اسمه عين وأراد أن يعلم هل تحدث الناس بما كان منه إلى عبد الله بن علي. فقال: نعم يا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قتله عبد الرحمن بن ملجم، وعبد الله بن الزبير قتله عبد الملك بن مروان وعبد الملك قتله ابن عمه عمرو بن سعيد، وسقط البيت على عبد الله في عهد أمير المؤمنين عبد الله المنصور، فقال: ويلك وذلك مني. وكان عبد الله بن علي خرج على المنصور فوجه إليه أبا مسلم فهزمه ثم صار إلى المنصور بأمان فقيل إنّه بنى له بيتاً جعل في أساسه الملح

وأجرى الماء تحته فوقع فمات ولذلك قال ما قال.

وقال مروان نجد في كتبنا أن عين ابن عين ابن عين يقتل ميم، ابن ميم ابن ميم وأظن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز قاتلي، فأنا مروان بن محمد بن مروان قال:

يـا أبـا إسـحـاق اقـلِـبْ ... نـظْـم إسـحـاقَ وصَـحّـفْ
واتـرُكِ الـحَـيـاء عـلـى حـا ... لِ فـمَـا لـلـحـالِ مـصْـرِفْ

● **المسمّى باسم أمّه وخالِهِ**

فمما عيّر به قول دعبل يهجو:

سـألـتُـه عـنْ أبـيـهِ ... فـقـالَ ديـنـار خَـالـي
فـقـلْـت ديـنـار مـنْ هـو ... فـقـال والـي الـجِـبـالِ

قال أبو محمد اليزيدي:

أنا ابنُ أختِ الحسَن الحاجِبِ ... قلتُ وأدغمْت أبا خاملاً

ونحو ذلك ما حكى أن أبا العيناء سأل ابن أخت أبي الوزير حاجة فلم يقضها له فقال: إنما ألوم نفسي في تأميلك وأنت مضاف إلى مضاف.

ولأبي سعيد الرستمي:

كفَى حزْناً فاسمَع علي بن رستم ... لسبطِك أنْ يدعى بسيط جنيدِ
وليسَ بحمدِ الله فيه مزلّة ... ولكِن دعوا سعْداً بلفظ سعيدِ

● **المنسوب إلى مَن يجالسُهُ حتى صار كالعَلَم لَهُ**

قال خالد الواسطي الطحان: ما كنت طحاناً ولكن كنت أجلس إلى طحّان فسميت به. وكذلك خالد الحذاء تزوّج امرأة من الحذائين فنسب إليهم، وواصل الغزال إنما كان يجلس إلى غزال، وإسماعيل المكي كان يتّجر إلى مكّة، وهو من أهل البصرة وسمّي البتّي لبت[1] كان يعمله

● **أنواعٌ مختلفةٌ**

دق إنسان على بشّار فقال: من أنت؟ قال: أنا، فقال: انصرف يا أنا، قال أبو على النطاح كان المهدي يحب ابنه إبراهيم فقالت له شكلة أتراه يلي الخلافة؟ فقال: لا، ولا يليها من اسمه إبراهيم. إن إبراهيم الخليل أول من ألقى في النار وإبراهيم ابن النبي ﷺ لم يعش وبويع إبراهيم بن الوليد فلم يتم له الأمر، وأحكم إبراهيم الإمام أمر الملك فقتل وتمّ لغيره. وطلب الخلافة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن فما تمّت له على جلالته وكثرة جيشه، وقد بايع المتوكل لابنه إبراهيم المؤيّد فلم يتم له وقتل.

(١) البتّ: الثوب الغليظ جمع بتوت.

الحدّ الثامن عشر

في الملابس والطّيب

•

(١)
الرّخصةُ في إجادةِ المَلْبس وعُذرُ فاعلِه ديناً ودنيا

•

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[١] وقال تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[٢] **وقال ﷺ**: إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس.

وبعث ملك الروم إلى النبي ﷺ جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان واشترى ﷺ جبة بثمانين ناقة. وكان الحسن يلبس ثوباً بأربعمائة درهم وفرقدالسنجي كان يلبس المسوح، فلقيه الحسن **فقال**: يا أبا سعيد ما ألين ثوبك، **فقال الحسن**: يا فريقد ليس لين ثيابي يباعدني من الله ولا خشونتها تقرّبك منه، إن الله جميل يحب الجمال.

وكان سعيد بن المسيّب يلبس الحلّة بألف درهم ويدخل المسجد ويقول: أجالس ربّي. ودخل الوليد بن يزيد على هشام وعليه عمامة وشي، **فقال**: بكم أخذتها؟ **قال**: بألف درهم. **قال**: عمامة بألف درهم؟ **قال**: إني أخذتها لأشرفِ أعضائي، وأنت أخذت جارية بألف دينار لأخسّ أعضائك.

وقال ابن عباس: كلُ ما شئت والبسْ ما شئت ما أخطأك اثنتان: إسراف ومخيلة. **وقيل**: مروءتان ظاهرتان: الرياش والفصاحة. **وقيل**: المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة وأنشد:

إذا النَّفرُ السودُ اليمَانون حاولوا ... له نسجَ بُردَيْه أدقُّوا وأوسَعوا

• الحثُّ على تَغطيةِ سوءِ الحالِ بإجادةِ الثّياب

قال بعض الحكماء: كن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً أقل ما تكون في الباطن مآلا فالكريم من كرمت عند الخصاصة[٣] خلّته، واللئيم من لؤمت عند الحاجة طعمته. وكان بعض القرشيين إذا اتسع لبس أرثّ ثيابه وإذا افتقر لبس أحسنها ويقول: إذا اتسعت تزيّنت بالهبة، وإذا افتقرت تزينت بالهيئة.

---

(١) **القرآن الكريم**: الضحى/١. (٢) **القرآن الكريم**: الأعراف/٣٠. (٣) **الخصاصة**: العوز والضيق.

● **النهيُ عن الملابسِ المَشْهورةِ وما لا يَليقُ بلابِسه ومدحُ الاقتصادِ**

قال النبي ﷺ: من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب ذلّ يوم القيامة. **وقال عمر رضي الله عنه**: إياكم أن تلبسوا ألبسة مشهورة أو محقورة. **وقال خالد**: إلبسوا من الثياب ما تستحسنه الملوك والسوقة، فإن تغيرت بأحدكم حال لم يعلم به أحد. **وقيل**: إلبس ما لا يزدريك به السفهاء ولا يعيبك به العلماء.

قال العلوي:

ليس لبسُ الطيالس ... من لباسِ الفوارسِ[1]

لا ولا حومة الوغا ... كصدورِ المجالِسِ

● **نَهْيُ من يداخِلُ السَّلاطينَ عن الثِّيابِ الفاخِرة**

قال دهقان[2] **لابنه**: إياك إذا نلت منزلة من السلطان أن تلبس ما يديم نظره إليك، واعلم أن الوشي لا يلبسه إلا أحمق أو ملك، وعليك بالبياض اللين فكل أبيض عندهم ثوب. وحكي أن الشيخ الأمين عبّاد بن العباس كان له جبّات كثيرة كلها عنّابي على لون واحد، يخدم بها ركن الدولة الحسن بن بويه، **فقال يوماً لحاشيته**: أنظروا إلى نظافته يلبس جبّة كذا كذا سنة لا يغيّرها ولا يبليها.

وقيل: أراد عمرو بن مسعدة يوماً الركوب إلى السلطان في ثياب وشي، **فقال له نوح بن إبراهيم**: لا تفعل، **فقال**: لم لا أفعل وغلتي كل شهر كذا؟ فقال إبراهيم غلّتك مسموعة وجبتك ملحوظة.

● **مَنْ لَبِس المَعَاوزِ من الصالحين**

قيل: كان أويس يلتقط الخرق من المزابل فيخيطها ويلبسها. وعمر رضي الله عنه رؤي عليه قميص فيه اثنتا عشرة رقعة وهو يخطب. **وقال أبو أويس الخولاني**: قلب نقي في ثوب دنس أحب من قلب دنس في ثوب نقي. وكان لعمر رضي الله عنه قميص قيمته أربعة دراهم، **فقال**: إني أخشى أن أسأل عن لينه يوم القيامة، فبكى سالم غلامه **وقال له**: رأيتك قبل الخلافة لبست ثوباً بأربعين ديناراً فاستحسنته. **فقال**: يا سالم إني كنت لم أنل شيئاً إلا طلبت ما فوقه فلما نلت الخلافة علمت أن ليس فوقها إلا الجنّة فدعني أطلبها.

وقال رجاء بن حيوة قوّمت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة بإثني عشر درهماً قميصه وخفّه وعمامته وسراويله وقلنسوته.

● **حمد لبس المعاوز**

قيل: ألبس من الثياب ما يخدمك ولا يستخدمك وقال عمرو بن العاص: لا أملّ

---

(١) **الطيلس**: جمع طيالس، كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلمه.

(٢) **دهقان**: (فارسية). جمع دهاقنة، رئيس الإقليم.

ثوبي ما ستر عورتي ولا دابتي ما حملت رحلي. وكان خزيم الناعم لم يكن يلبس في الصيف إلا خلقاً[1] ولا في الشتاء إلا جديداً.

● عُذْرُ مَنْ لَوُمَ لبسُهُ وكَرُمَتْ نَفْسُهُ

دخل النجار العذري على معاوية فازدراه. **فقال**: يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك إنما يكلمك من فيها فملأ سمعه حكمة ثم نهض ولم يسأله شيئاً فقال ما رأيت أحقر أولاً ولا أكبر آخراً منه وعاتب يحيى بن خالد العتبي في خلق ثيابه، **فقال**: أخزى الله من ترفعه هيئتاه ثيابه وجماله ولم يرفعه أكبراه همته ونفسه إنما الهيئة للأبناء والنساء وقال حبيب بن أبي ثابت. لأن أعزّ في خميصة أحب إليّ من أن أُذَلّ في مطرف. وقيل: لا يسود الرجل حتى لا يبالي في أي ثوبيه ظهر. **قال أبو هفّان**:

تعجّبتْ درُّ من شيْبي فَقلتُ لها: ... لا تَعجَبي فطلوعُ الشمس في السَّدَفِ[2]
وزادها عجَباً أن رحتُ في سَمِلٍ ... وما درتْ درّ أن الدرّ في الصَّدفِ[3]

وقال:

أعاذلُ أن يكونَ بردايَ رثّاً ... فلا يعدِمك بينَهما كَريمُ

وقال النمر بن تولب:

فإن يكُ أثوابي تمزّقن عن بِلى ... فإني كمثلِ السيف في خَلَق الغِمْد[4]

ونظرت جارية لابن هبيرة وهو أمير العراق وعليه قميص مرقوع فضحكت، **فأنشد**:

هزئتْ أمامةُ أن رأتني مملِقاً ... ثَكلَتك أمُّك أي ذاك يروعُ
قد يدركَ الشرفَ الفتى ورداؤه ... خلِقٌ وجَيبُ قَميصِهِ مرقوعُ

وقيل: لا يسود الرجل حتى لا يدري أي ثوبيه لبس.

وقال البحتري:

وليس العُلى درّاعةً ورِداءَها ... ولا جُبّةً موشيةً وقميصَها

وفي صبيح الوجه عليه خلق:

لا تَعجَبوا من بِلى غلالتِه ... قد زرّ أزرارَهُ على القَمَرِ

● مَنْ عُوتِبَ في خَلَقِ ثِيابِهِ فاعتذَرَ بالفَقْرِ

قال بعض الكبار لأبي الأسود عليه جبة خز خلقة طال صحبتها له: أما تمل لبسها؟ **فقال**: رُبَّ مملول لا يستطاع فراقه فأمر له بمال ودخل محمد بن كعب على سليمان **فقال**:

---

(١) **الخلق من الثياب**: البالي. (٢) **السدف**: ظلمة الليل.
(٣) **السمل**: الثوب البالي.
(٤) **خَلَق الغمد**: الغمد: غلاف السيف، والغمد الخلق البالي.

ما هذه الثياب الرثّة؟ **فقال**: أكره أن أقول الزهد فأطرى نفسي أو الفقر فأشكو ربي.

وقال الإسكندر لرجل رث تكلم بفصاحة: ليكن حسن ثيابك كحسن كلامك، **فقال**: أما الكلام فأنا قادر عليه وأما الثياب فأنت تقدر عليها. فخلع عليه.

● العَرْيانُ

قيل: فلان أعرى من المغزل، وقيل لأعرابي: ما تلبس؟ **قال**: الليل إذا عسعس[(١)] والصبح إذا تنفس. قال أبو هفان:

عـريـانُ أغـرى مـن قُـمـوص النَّـرْدِ   كـالسَّـيْـفِ مـاضٍ مـالَـه مـن غِـمْـدِ

وأنشد رجل يحيى بن خالد:

إنّـي امـرؤٌ فـي أعـالـي بـيـتِ مَـكـرُمـةٍ   إذا تـمـزّقَ ثـوْبـي أرْتـدي حَـسَـبـي

فقال يحيى: ما أقل غناه هذا الرداء في الكانونين. **وقال الأصمعي**: قلت لأعرابي في يوم بارد ألا تصلي، **فقال**: البرد شديد ومالي كسوة، **وأنشد**:

فـإن يـكـسـنـي ربّـي قـمـيـصـاً وجـبّـة   أصـلِّ واعـبـدْه إلـى آخـرِ الـدهْـرِ
وإنْ لا يـكـن إلا بـقـايـا عـبـاءةٍ   مـخـرّقـة مـالـي عـلـى الـبرد مـن صَـبْـرِ

● من يصونُ ثوبَه ويُهينُ نفسَهُ

قال ابن أبي الصمت:

أرى حـلالاً تُـصـان عـلـى رِجـالٍ   وأعْـراضـاً تُـزالُ ولا تُـصـانُ

وقال:

فَـتـرى خـسـيـسَ الـقـوم يَـتْـرك عِـرْضَـهُ   دِنِـسـاً وَيَـمْـسـحُ نَـعْـلَـه وشِـراكَـهـا

● عُذرُ مَنْ يتشوّه لبسُهُ

كان ابن أبي داود، مضطرب الطيلسان لا يحسن لبسه، **فقال له أبو العلاء المعري**: لئن كنت لا تحسن أن تلبس الطيلسان إنك لتحسن أن تلبس نعمك جماعة الإخوان. **وقال آخر** وقيل له لا تحسن أن تلبس الثياب، **فقال**: لكني أحسن أن ألبسها.

وعوتب آخر **فقال**: من عظمت مؤنته في نفسه قلّ تفقده لأمر غيره، **وقيل**: من كان شغله بنفسه فقد مكر به. وقيل ما استوت عمامة على رأس كريم قط.

● إعطاءُ الخِلَعَ

قيل: من راح منك في الثياب تغدو منه في الثناء.

قال البحتري:

وَراحَ فـــي ثـــنـــائـــي   ورحـــتُ فـــي ثِـــيـــابِـــه

---

(١) إذ اعسعس: إذا أظلم.

وقيل: أحق الناس بحلتك أصدقهم في خلتك وقيل: ثوبك على أخيك بالياً أحسن منه عليك جديداً وقال المهلب لأولاده: ثيابكم على غيركم أحسن منها عليكم.

● **مَن تُزَيِّنُ به الثِّيابُ ولا يَتَزيَّنُ بِها**

كتب بعضهم: فلان تتزين به المطارف وتتشرف به المكارم.

قال بشّار:

زيْنُ الملابسِ حينَ يَلْبَسُها ... وإذا تسلّبَ زانه سَلْبُه

وقال:

إنّ المليحةَ من تُزيِّن حُلْيَها ... لا من غَدَتْ بحُلِيِّها تتزينُ

قال جميل:

إذا ابتزلت لم يُزْرِهَا تَرْكُ زِينةٍ ... وفيها إذا ازدانَتْ لدى نيقةٍ حسبُ(١)

قال المتنبي:

لبسْن الوشيَ لا متجمِّلاتٍ ... ولكنْ كي يَصُنَّ بِهِ الجَمالا

قال كشاجم:

قد تأمّلْتُ في الغلالةِ منه ... جسدَ النُّورِ في قميصِ الهواءِ

● **ذَمُّ مَنْ حَسُنَ لِباسُهُ ولؤمَ فِعالُهُ وخَلْقُهُ**

ذمّ أعرابي رجلاً **فقال:** هو عبل البدن حسن الثياب عظيم الرواق صغير الأخلاق. الدهر يرفعه ونفسه تضعه. ونظر أرسطاطاليس إلى رجل حسن اللباس سيء الكلام **فقال له:** يا رجل تكلم على قدر لباسك أو ألبس على قدر كلامك. **وقيل** ثوب نظيف وجسم سخيف. **قال شاعر:**

إذا لبسُوا دكْنَ الخزوزِ وخضرَها ... وراحُوا فقد راحتْ عليك المشاجِبُ(٢)

قال الفرزدق:

بكى الخِزّ من عوفٍ وأنكر جلدَه ... وعجّتْ عجيجاً من جذامِ المَطارف(٣)

وقال البسامي:

كأنّه لمّا بدا مُقْبِلاً ... في حلل يَقْصِرُ عن لبسِها
جاريةٌ رعناءُ قد قدّرَت ... ثيابَ مولاها على نفسِها

---

(١) **النيقة:** الزينة والمعجب من الثياب.

(٢) **الخزوز:** جمع خَزّ، وهو الحرير ـ **والمشاجب:** جمع مشجب، وهو الخشبة تُعلّق عليها الثياب.

(٣) **المطارف:** جمع مِطرف، وهو رداء من حرير ـ **الجُذام:** داء يسبب تساقط اللحم والأعضاء.

قال الخوارزمي:

أبــو ســعْــدٍ لــه ثــوبٌ نــفــيــسٌ ... ولــكــنْ تــحــتَ ذاك الــثــوبِ عَــزَبُــه[١]

فــإنْ جــاوزت كِــســوتــه إلــيْــهِ ... فــلــيْــس وَراء عــبــادانِ قُــرْبُــه[٢]

وقال:

ومــا الــثــقــفــيُّ إنْ جــادت كِــســاهُ ... وراعَــك شــخــصُــه إلاّ خــيــالُ[٣]

وقال آخر:

استجيدوا الثيابَ إنَّ حمارَ السُّوءِ ... تُــخْــفــى عــيُــوبُــه بــالــجِــلالِ[٤]

وقال المتنبي:

ولا يــروق مُــضــيــمــاً حُــسْــنُ بِــزّتِــهِ ... وهــل يــروقُ دفــيــنــاً جــودةُ الــكَــفَــنِ[٥]

● ذمُّ ملابِس التصوُّفِ

قال ابن السماك الصوفي: إن كان لباسكم وفقاً لسرائركم فقد أحببتم أن يطّلع الناس عليها، وإن كان مخالفاً لها فقد نافقتم وهلكتم. **وقال الحسن** فيما أظن أن قوماً جعلوا تواضعهم في ثيابهم وكبرهم في صدورهم حتى لصاحبَ المدرّعة بمدرعته أشد فرحاً من صاحب المطرف بمطرفه.

● حَمْدُ لبْسِ الصُّوفِ وذمُّهُ

روي عن النبي ﷺ: من لبس الصوف وأكل خبز الشعير وركب الأتان فليس فيه شيء من الكبر. **وقيل:** من أحب أن يجد حلاوة الإيمان فليلبس الصوف. **وقيل:** لراهب لم تلبسون السواد؟ **قال:** لأنه أشبه بلباس المصيبة.

وقال ابن سيرين: كان عيسى عليه السلام يلبس الصوف ونبيّنا يلبس الكتان وهو أحب إلينا أن نقتدي به.

● لِبْسُ الحَريرِ والكتّانِ

قال النبي ﷺ: إنما يلبس الحرير من لا خلاق له وروي أنه ﷺ خرج وفي إحدى يديه حرير وفي الأخرى ذهب **فقال:** هذان على ذكور أمّتي حرامان حلالان على أناثهم. **وقال بعض الأمراء لحاجبه:** أدخل إليّ رجلاً عاقلاً فأدخل رجلاً **فقال:** من أين عرفت عقله؟ **قال:** رأيته لبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء والعتيق في الحرّ والجديد في

---

(١) **عزبه العَزَب:** من لا أهل له.

(٢) **القربة:** القرب من الرحم، والقُرْب ما يتقرّب به إلى الله.

(٣) **راعك شخصه:** أعجبك.

(٤) **الجلال:** ما تُلْبَسه الدابة لتصان به.

(٥) **المُضيم:** الذليل.

البرد. **وقال أمير المؤمنين**: لا يلبس الكتّان إلا غنيّ أو عني[1]

● ذَمُّ سَحْبِ الثَّوْبِ ومَدحُهُ

روي في الحديث: فضل الإزار في النار. **وقال عمر بن عبد العزيز لمؤدّبه**: كيف كانت طاعتي إليك؟ **قال**: أحسن طاعة. **قال**: فأطعني كما أطعتك خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ومن ثيابك حتى تبدو قدماك.

وخلع الرشيد على يزيد بن مزيد وكان يجالسه رجل من اليمن، **فقال الميانى**: أجرر فما عرق جبينك في نسجه **فقال**: عليكم نسجه وعلينا سحبه. ونظر سعيد بن سالم إلى أحمد إبنه وعليه ثوب طويل يجرّه فعاتبه، **فقال**: يا أبتي إني قصير وعادتي إذا لبست ثوباً مرة ومرتين أن أهبه وأكره أن أهبه لمن لا يصلح له فاحتملت قبح ذلك لما فيه من مصلحتهم.

● الثوبُ الخَلِقُ

للحمدوني في ذلك أشعار كثيرة وله اختصاص يوصف ذلك، منها قوله في طيلسان كثر رفوه[2]:

يا ابنَ حرب أطلْتَ فقْري برفوي طيلسَاناً قد كنتُ عنه غنيّا
فهو في الرفوِ آلُ فرعون في العر ضِ على النّار بكرَةً وعَشِيّا

وقال:

طَالَ تردادُهُ إلى الرَّفو حتّى لو بعثْناه وحدَه لتهَدّى[3]

وقوله:

عمرَتْه الرِّقاعُ فهو كمصرٍ سَكَنَتْهُ نِزاعُ كلِّ قبيلَه[4]

ولآخر في جبة:

دبّ فيها البِلى فَدقّتْ ورقّتْ فهي تقرا إذا السماء انشقّتْ[5]

قال البسّامي:

أرقعُ كمّيها وأرفو ذيولَها فلا رفوُها يُجدي ولا رَقعُها يُغني
إذا قمْتُ فيها أو قعَدْتُ تَنَفّسَتْ تنفُّسَ صبّ ما يَقِرُّ من الحُزْنِ[6]

● التعمُّم

قال ﷺ: اعتمّوا تزدادوا حلماً. **وقال عمر رضي الله عنه**: العمائم تيجان العرب.

---

(١) **العني**: المهتم. (٢) **الرفو**: إصلاح الثوب.
(٣) **لتهدّى**: أي لاهتدى واسترشد بمفرده. (٤) **نزاع**: خصومة.
(٥) إشارة إلى الآية القرآنية: ﴿وإذا السماء انشقت...﴾ [الانشقاق: ١].
(٦) **الصبّ**: العاشق، المولّه.

وقولهم سيّد معمّم معصب فيه تأويلان أحدهما هو المتعصب بجرائر قومه والآخر بمعنى الشرف، **ومنه قول دريد**:

عـاري الأشـاجـعِ مـعـصـوبٌ بـلـمّـتـه　　أمرُ الـزعـامـةِ فـي عِـرْنـيـنـه شَـمَـمُ[1]

وقال أبو أمامة: إذا طولت الكمة وكورت العمة ووسعت الأكمة فقد هلكت الأمة وكان السيد يتعمّم بعمامة صفراء ومنه الزبرقان لصفرة عمامته.

وذكرت العمامة لأبي الأسود **فقال**: هي جنّة في الحرب ومُكنة في الحر ومِدفأة في القرّ، ووقار في الندى، وزيادة في القامة وتعظيم للهامة. وبعث ﷺ أسامة بن زيد في بعض سراياه فعمّمه بيده، وسدل طرف عمامته.

قال شاعر:

إذا لَـبِـسـوا عـمـائـمَـهـم طَـوُوْهـا　　عَـلـى كَـرمٍ وإن سَـفَـروا أنـارُوا

● مَدْحُ التقنُّعِ وذمُّهُ

كان فرسان العرب يتقنعون إلا أبو تميم بن طريف لم يتقنّع قط، ولم يبال أن يعرف. **وقيل**: التقنّع بالليل ريبة وبالنهار مذلة. وكان التقنّع من شيم الأشراف يقصدون بذلك مباينة العامّة، **ويقولون**: عدم القناع يفضي إلى ملال وابتذال. فمن وطئته الأعين وطئته الأرجل.

● التاجُ

كانت ملوك العجم وكثير من ملوك العرب يتتوجون **ويقولون للملك**: المتوّج. **وقالت الخزرج للنبي ﷺ** في عبد الله بن أبي بن سلول: لقد جئتنا حين نظمنا الخرز لتتويجه وكان السيف من قريش يتعصب في النادي ويفتخر.

وبنو أمية جلسوا على الأسرة ولم يتوّجوا. وكان الوليد الخليع بنى قبّة ليضعها فوق الكعبة، لتكون مجلساً له ونزهة، وانتظر بذلك مع وضع التاج على رأسه كيف احتمال الناس له.

● الألَوانُ

سئل بعض الأعراب عن ألوان الثياب **فقال**: الصفرة أشكل والحمرة أجمل والخضرة أنبل والسواد أهول والبياض أفضل.

وقال ابن عباس: لو كان البياض صبغاً لتنوفس فيه. **قال شاعر**:

وتـعـرّضـت لـك فـي الـبـيـاضِ كـأنّـهُ　　درٌّ تـنـظـمُـهُ بِـغـيـر فُـصـولِ

قال العباس في سوداء، لبست قميصاً مورداً:

فـحـمَـةٌ ألـبِـسَـت رداءً مـن الـجـمـ　　ـر ونـاراً تـسـتـنّ فـي حِـراقِ

---

(١) العرنين: الأنف. والسيد الشريف.

وكان الأوزاعي يكره لبس السواد ويقول يلبس في المأتم وبمثله يعاقب المحرِم، ولم أره على محرم ولا جليت فيه عروس ولا كفن فيه ميت. **قال أفلاطون**: الصبغ الشقائقي والروائح الزعفرانية تسكن الغضب، والصبغ الياقوتي والروائح الوردية والنرجسية تحرك السرور، فإذا قرنت اللون الأحمر باللون الأصفر حركت القوّة العشقية، وإذا قرنت الأصفر بالأسود تحركت الشوقية، وإذا مزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية، وإذا مزجت التفاحيّة بالخمرية تحركت الطبائع كلّها.

● الحثُّ على صيانة الثّوبِ

قيل: لكل شيء راحة وراحة الثوب طيبه وراحة البيت كنسه. **وقيل**: إن الثوب **يقول**: صنّي[1] بالليل أصنك بالنهار.

● ذمُّ مَنْ وَسَخ ثوبُهُ

قال بعضهم:

وَسِخُ الثّوب والعمامة والبِر ... ذون والوَجْهِ والقَفا والغُلام

وقال بعضهم:

دنسُ القميصِ غليظُه ... من غير لحمَته سداه

وشعارُه من شعره ... فكأنّه في مَسْكِ شاه[2]

ودخل دسته على بعض المياسير بخراسان يستميحه، وكان وسخ الثياب، **فقال**: لو غسلت قميصك، **فقال**:

أشرت بغسل كمّتنا علينا ... وقد أرعيتها أذناً سميعه

سأغسلُ كمّتي ويَدي مِنكم ... وأنْشر عنكم لوْمَ الطبيعه

وذكر لأبي أيوب المتقشفة **فقال**: ما علمت أن القذر من الدين. ورأى أبو الفتح بن زنكلة صوفياً قذراً، **فقال**: ما علمت أن طريق الجنة على الكنيف[3]

● النَّعلُ

قال عمر رضي الله عنه: اتزروا وارتدوا وانتعلوا وتمدّدوا أي إفعلوا فعل معد.

وقيل: استجيدوا النعال فإنها خلاخيل الرجال. وألغز بعضهم فيه:

وَمَخزومةُ الأذنين ما تَشتكِيهما ... وَمَطْعونةٌ في الصَّدْرِ ما فَجَرَتْ دماً

ودخل ابن سكرة الحمام فسرقَتْ نعله، **فقال**:

وَلَستُ بداخلِ حَمّامَ موسى ... وإن كان المُنى طِيباً ويُشرا

---

(١) صنّي: من الصيانة، أي احفظني. (٢) المَسْك: الجلد. (٣) الكنيف: المرحاض.

تكاثَفَتِ اللصوصُ عليَّ حتّى دخلتُ محمّداً وخرجت بِشْرا

أي كنت صاحب النعل فلما خرجت صرت بشراً الحافي. **وقال هشام بن محمد:** مثل الذي يقعد ولا يخلع نعليه مثل الدابّة فلا يحلّ حملها.

قال شاعر:

يُمْسي ويغْدو راجلاً في خَلِقٍ من الحِذا
خفّك يمشي جانِباً وأنتَ منه في حِذا[1]

وفي المثل: كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع

● أنواعٌ من الثيابِ

قيل: ثلاثة من لباس البخلاء الخزّ والقومسية والأدم، **وقيل:** الدواويج من لباس القبط، والدراريع لباس الروم، والأقبية لباس الفرس، والفوط لباس الهند، والأزر لباس العرب.

وقيل: كان لأبرويز عمامة طولها خمسون ذراعاً إذا اتسخت طرحت في النار فتأكل وسخها، وكان له ثوب قرمز يتلوّن كل ساعة بلون، وسراويل جوهر وتكّة أنابيب زبرجد في اللين كالغصن.

● الخَاتَمُ

كان خاتمه ﷺ حلقة فضّة وعليه فصّ عقيق وكان يتختّم به في يمينه وسبب اتخاذه أنه كتب إلى ملك الروم، **فقيل** له: إنه لا يقبل كتاباً إلا مختوماً، فاتّخذه حينئذ. **وعنه** ﷺ: لا يلبس الخاتم إلا أمير أو ذو مال. وأوّل من تختّم في يساره معاوية رضي الله عنه، **وقيل:**

قالوا تَختّمُ في اليمينِ وإنّما مارستُ ذاك تشبُّهاً بالصّادِقِ
وتقرُّباً منّي لآل محمد وتباعُداً مني لكلِّ مُنافِقِ
الماسحين فروجهم بخواتمَ اسم النبي بهنّ واسم الخالقِ

● إتخاذُ الحُلي

نهى النبي ﷺ عن اتخاذ أواني الذهب والفضة **وقال:** من شرب في إناء من فضة فكأنما تجرجر في جوفه نار جهنم. واتخذ الهادي لجاماً من فضّة **فقال له المهدي:** أما تعلم الناس أنّ لك فضة ارجع إلى حالك.

● مَحبةُ الطِّيبِ والحَثُّ عَلى تَناوُلِهِ

قال ﷺ: حبب إليّ من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة. **وقال** ﷺ: حقّ على كل مسلم الطّيب والغسل والسواك يوم الجمعة، وأن يلبس من أحسن ثياب أهله، وأن يمس الطيب إن وجد وإن لم يجد فالماء له طيب.

---

(١) وأنت في حذاء: وأنت بحذائه.

وقال الشعبي: الرائحة الطيبة تزيد في العقل. **وقيل**: من طاب ريحه زاد عقله ومن نظف ثوبه قلّ همه.

● نَهْيُ مَنْ عُرِضَ عَلَيه طِيبٌ فَرَدَّهُ والحَثُّ على عَرْضِهِ

قال النبي ﷺ: إذا أتى أحدكم بطيب فليمس منه وإذا أتى بحلواء فليمس منها. **وروى أبو هريرة**: لا تردّوا الطيب فإنه طيب الريح خفيف المحمل.

● ما يُسْتَحَبُّ للرِّجال والنِّساء مِنَ الطِّيبِ

كان ابن عمر يستجمر بالألُوّة[١] غير مطراة وبكافورة معه. **وقال ﷺ**: طيب الرجال ريح لا لون له وطيب النساء لون لا ريح له، يعني طيب النساء إذا خرجن. **وروي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما**: تحفة الصائم أن يدهن لحيته ويجمّر ثيابه، وتحفة الصائمة أن تذرر وتمشط رأسها وتجمر ثيابها[٢]

● أنواعُ الطِّيبِ

أوّل من سمى الغالية[٣] معاوية، وذلك أن عبد الله بن جعفر اتخذها وأهداها له فسأله عن كلفتها فأخبره، فقال: هي غالية. **وقال مالك بن أسماء** لأخته وقد شم منها ريحاً طيبة علميني هذا الطيّب، **فقالت**: ما أخذته إلا من شعرك:

أطيبُ الطِّيب طيبُ أم أبان ... فأر مسك بعنبر مسحوقِ[٤]

فأدخل على الحجاج، فقال: ما الذي أسهرني فسمي الساهر به. **وقال بعض النصارى**: دخنة مريم تبلغ رائحتها عنان السماء، **فقال مخنث**: فالندّ[٥] إذاً يبلغ تحت العرش.

● الإستقصاءُ في التبخُّرِ

قيل: من الظرف والكرم الإستقصاء في التبخُّر، ووضعت مجمرة تحت رجل فاستعجله الواضع، **وقال ألا تضجر منها، فقال**: إني أقعد على المستراح ساعات فلا أضجر، أفأضجر من ثلث ساعة أتبخّر فيها.

● المُسْتَغْني عَنِ الطِّيبِ بِطِيبِ رائِحتِهِ

قال شاعر:

الطيّبون ثياباً كلّما عرقوا

وقال آخر:

يا باسطاً كفه نحوي يُطيّبني ... كفاكَ أَطْيبُ في نفسي من الطِّيبِ

---

(١) **الألُوّة**: عودٌ يُتبخر به.

(٢) **يجمّر ثيابه**: يبخّرها بالطّيب.

(٣) **الغالية**: الطّيب، الرائحة العطرة.

(٤) **فأر مسك**: وعاء المسك.

(٥) **الندّ**: البخور.

وقال:

وما ضرّ مَنْ أمسيتُ جارةَ بيته ... وفي رَحلِهِ أن لا يمسَّ مِنَ الطِّيبِ

- **البخورُ الطيِّبُ**

قال الخوارزمي:

بخورٌ مثلُ أنفاسِ الحبيبِ ... وطيبٌ قد أخلَّ بكلّ طيبِ
يظلّ الذيلُ يستره ولكنْ ... تنمُّ عليه أنفاسُ الجنوبِ(١)
إذا ما شمّ أنفٌ حنّ قلبٌ ... كأنّ الأنفَ جاسوسُ القلوب

- **وصفُ من رُؤي متطيّباً**

كان النبي ﷺ يُعرف خروجه برائحة المسك، وكان يعجبه المسك.

قال الشاعر:

ويضوعُ مسكاً ريحُ طيبِ ثيابِه ... وكذاك ريحُ الماجدِ الوهّابِ

وقال:

كأن تجاراً تحمل المِسكَ عَرّسوا ... به ثُمّ فضّوا ثم كل خَتّام(٢)

قال أبو ذهيل:

في كفه خيزرانٌ ريحُه عَبِقٌ ... من كفّ أروعَ في عِرْنينه شَمَمُ(٣)

وكان الزهري يشم منه رائحة المسك حتى من علاقة سوطه. **قال طرفة:**

ثم راحوا يعبق المسك بهم ... يلحقون الأرض هداب الأزر(٤)

قال أبو نواس:

وكأنّ القومَ بهتى ... بينهم مسكٌ ذبيحُ(٥)

قال شاعر:

بأبي مِنْ بعضِه مِنْ ... طِيبِهِ يَعشقُ بَعْضا

حُمل بخور إلى مجنون فَحُرق ثوبه فحلف لا يتبخر إلا عرياناً.

---

(١) **أنفاس الجنوب**: إشارة إلى ريح الجنوب.

(٢) **عرّسوا**: عرّس المسافرون: نزلوا للاستراحة. (٣) **العرنين**: الأنف.

(٤) **هُدّاب الأزر**: خيوط الثوب التي تبقى في طرفيه لا يكمل نسجها.

(٥) **بهتى**: مدهوشون.

(٢)

ومِمَّا جاء في آلاتِ الدارِ

●

قال الله تعالى في ذمّ قوم: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾[1] والمحلات عند العرب الدلو والمقدحة والفأس والقربة والقدر، وذاك أن من كان معه ذلك حلّ حيث أراد:

لا يعدلن إتاويون تضرُّ بهم نكباءُ صرٍّ بأصحابِ المحلات[2]

وقيل: أشبه امرأ بعض بزه وكل سلعة لا تشبه صاحبها سرقة. وقيل: إستبن حزم الرجل بمتاع بيته. وأراد رجل أن يمدح رجلاً عن خالد بن عبد الله، فقال: دخلت عليه فوجدته أثرى الناس داراً وآلة وأثاثاً وفرشاً، فقال خالد هذه حالة من لم تدع فيه شهوته للكرم والمعروف موضعاً.

ودعا بعض الناس حكيماً إلى داره وهي في غاية الفرش والرجل في غاية الجهل، فبزق الحكيم في وجهه فغضب الرجل، **فقال الحكيم**: طلبت موضعاً في دارك أبزق فيه فلم أجد موضعاً أقبح من نفسك فجعلتها موضعاً لبزاقي، إذ كان من شرطه أن يقذف في أخس ما كان. **قال شاعر في وسادة منقوشة**:

ومكسورة حمراً كأن متونَها نسورٌ لدى جَنْبِ الخوان جُموحُ

وقال:

ومكسورة باثنين وهي صحيحةٌ حبيبٌ إلى كلّ النفوس التزامُها

وقيل: في الفراش الطبري فضيلتان برد صفحته ومجانسة لونه لون السماء فالنفس تسكن إليه من الجهتين.

● **الفُرشُ المُصوَّرةُ**

كان ﷺ إذا رأى صورة في ثوب قصّه ونهى عن التصاوير. وبعث كسرى إلى أبي سفيان بوسادة مصورة فجعلها على رأسه فاستحمقه، **وقال** قد بعثتها إليك لتقعد عليها، **قال**: قد علمت ولكن رأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم أعضائي، **قال الببغاء في فأرة مصورة**:

أنظر إلى صورة لو أنها عَلِمتْ بمن تُشبه لم تَظْهرْ لبانيها

---

(١) **القرآن الكريم**: الماعون/ ٧.

(٢) **أتاويون**: جمع الإتاوي وهو الغريب ـ **النكباء**: ريح تخرق عن مهاب ريحين هما الصبا ورياح الشمال ـ **والريح الصر**: الشديدة.

تری الملوك وقوفاً حوْلَ مالكِها وعدةُ الدولةِ المأمولُ يعليها

وقال الرّفاء:

صَنعَتْ فوقَها التماثيل أيدٍ عاجزاتٌ عن صِنْعَةِ الخَلاَّقِ
ألبَسَتْها محاسنَ الخَلْقِ لما عجزتْ عن محاسِنِ الأَخْلاقِ
حيوانٌ بلا حياةٍ فمِنْهُ حائدٌ من منيةٍ وملاقِ(١)

وقال المتنبّي:

وأحسنُ من ماء الشبيبةِ كلِّهِ حَيا بارقٍ في فازةٍ أنا شائمُهْ(٢)
عليها رياضٌ لم تحُكها سحابةٌ وأغصانُ دوحٍ لَمْ تغنِّ حمائمُهْ(٣)
ترى حيوانَ البر منسرحاً بها يحارب ضدٌ ضدَّه ويسالمُه
إذا ضربَتْهُ الرّيحُ ماجَ كأنّه تجولُ مذاكيه وتَدأى ضراغمُه(٤)
وفي صورةِ الرومي ذي التاجِ ذلةٌ لأبيضَ لا تيجانَ إلاّ عمائمُه(٥)

وقال البيغاء في تمثال سبع في رمح:

وضيغم في ذابل يلوحُ مساورٌ تسيلُ مِنه الروحُ(٦)
جسْمٌ ولكنْ ليس فيه روحْ

- **في صورة أفعى:**

ومارقٍ معتدلِ الكُعوبِ يقلّ أفعى مدّةَ التركيبِ
تدب في الجو بلا دبيب

- **اللّبدُ**

قال أبو طالب المأموني:

وواضعةٍ خدَّها بالصَّعيدِ لأربابها فلَها حُرْمَةْ(٧)
منسجةٍ من جُلود النعاج بغير سداءٍ ولا لُحْمَه

---

(١) **الحائد**: من حاد حيداً عن الطريق أي عدل عنه ومال ـ **المنية**: الموت ـ **ملاق**: أي يلاقي المنيّة إذ لم يجد حيداً عنها.

(٢) **الحيا**: المطر ـ **البارق**: السحاب ذو البرق ـ **الفازة**: المظلّة بعمودين ـ **والشائم**: الناظر إلى البرق راجياً المطر.

(٣) **الدوح**: الشجر العظيم جمع دوحة.

(٤) **المذاكي**: الخيل المسنة ـ **تدأى الصيد**: تختله ـ **الضراغم**: الأسود.

(٥) **الرومي ذو التاج**: ملك الروم ـ يقول بأن تيجان العرب إنما هي العمائم.

(٦) **الذابل**: من الرماح: الدقيق. (٧) **الصعيد**: التراب.

تــزف عــلــى الــزِفّ زِفّ الــرِّئــال وتـربُـو عـلـى الـخزِّ فـي نِـعْـمَـه[1]

- **خركاة**

قال أبو محمد الباوردي في خركاة عليها ثياب بيض وقد كُشف بعضها:

رأيتُك والبستانُ يحكي حسنُه سماءً وفيها حولَ حُسْنِك مَضْرَبُ
وقد كُشِفتْ للجوِّ منه جوانبٌ فنورُك في آفاقِه يتَشَعَّبُ
كأنك شمسٌ من وراء غمامةٍ يمَزِّقها عنه الشعاع المطنَّبُ[2]

- **الكرسيّ**

قال أبو طالب المأموني:

ومعتقدٍ يعْجِبُ الناظرينا ويعجزُ عن وصفِه الواصفونا
كأنّ دعائمَه إذ حُنينا صوالجةٌ في يد اللاعبينا[3]

وقال:

ومُستوقفٍ بجلوسِ الخُضور على أربع بالعُرى مُوثَقَه
يمدُّ على فرعِه مَفْرشاً ويُظهرُ في خَصْره مِنْطَقَه
فَمَنْ شاءَ صيَّره مقْعَداً ومَنْ شاء صيَّره مرفِقَه
إذ ظل ينشُرُ ما قد طَواه أرى الحاضرين بما أوسقَه[4]
صليبي حديدٍ إزاءين في عمودٍ وتعلوهُما مِشْرَقَه

- **الشمعة**

قال أبو طالب المأموني:

وطاعنةٍ جلبابِ كلّ دجنةٍ بماضي سِنانٍ في ذؤابة ذابلِ[5]
تجودُ على أهل الندى بنفسها وما فوق بذل النفس جودٌ لباذلِ
ويقرى عيون الناظرين ضياؤها وقد قيدت ألحاظُهم بالأصائل[6]

وقال السري:

أغصانُ تِبْرٍ عُرِّيَتْ من الورقِ آثارُها بين مصابيحِ الأفقِ

---

(١) **الرئال**: جمع رئل، وهو ولد النعام - **تزف**: زف الطائر: بسط جناحيه - **زفّ الرئال**: ريش ولد النعام.
(٢) **المطنّب**: المعلّق بالحبال.
(٣) **صوالجة**: جمع صولجان، وهي العصا المعقوفة الرأس.
(٤) **ما أوسقه**: ما حُمّله. (٥) **ذؤابة ذابل**: علاقة رمح دقيق.
(٦) **الأصائل**: جمع أصيل، وهو العشية.

يُغني الندامَى ضوؤها عن الفلَقِ شفاؤُها إنْ مَرِضتْ ضَربُ العُنُقِ[1]

- **المَنارة**

وقال أبو طالب المأموني:

وقائمةٍ بين الجلوس على سوى ثلاثٍ فما تخطو بهنّ مكانًا

على رأسِها نجل لها لم تجنِه حشاها ولا علّته قط لُبانا[2]

يسدِّدُ في أعلاه كلَّ عشيّةٍ لِشَقِّ جَلابيبِ الظّلامِ سِنانا[3]

قال ابن طباطبا في منارة وسخة:

ومنارةٍ في زيِّ صاحبِها وسَخًا تراها رثّةً قذِرَه

سوداءُ منتنةٌ فتحسبُها ملطوخةً بالكُسْبِ والعُذرَه[4]

وله:

يسيلُ على صَدْره المنارة بزرها كَمِثْلِ لُعابٍ حينَ سال به أنْفُ

وقال الصنوبري في سراج مظلم:

لَنا سراجٌ نورُه ظلمةٌ كأنّما يوقَدُ من قلبي

الحبُّ أضناني فما بالُهُ نضوٌ ولا يَشكو جَوى الحُبِّ[5]

- **الكُوزُ**

عاب عمرو بن عبيد قلّة الخزف **فقال**: ليست بصغيرة فيسقى بها ولا بكبيرة فيستقي منها، وهي ضيّقة الفم ويمنع ذلك من النظر إلى القذى فيها، وثخينة فلا يصل إليها الهواء، وثقيلة على اليد فاصلة عن الروي.

قال الخوارزمي في كوز فقاع:

وضيّقةِ الفمِ دحداحَةٌ عليها قميصُ ندى أخضرُ[6]

تثورُ إذا كشفوا رأسها وإن قبّلوا فمها تهدرُ

- **الزُّجاج**

قال الله تعالى في شأنه: صرح ممرّد من قوارير وضربه مثلاً لنوره **فقال**: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ

---

(١) **الفلق**: الصبح. (٢) **اللُّبان**: الرضاع، **واللَّبان**: الصدر.

(٣) **جلابيب**: جمع جلباب، وهو الثوب الواسع ـ **السنان**: نصل الرمح.

(٤) **الكُسب**: عصارة الدهن ـ **العُذرة**: الغائط.

(٥) **نِضو**: ضعيف ومهزول ـ **جوى**: شدة الوجد والعشق.

(٦) **دحداحة**: قصيرة.

﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾[1] وسئل النظّام عن عيبه، **فقال**: يسرع إليه الكسر ويقصر عنه الجبر، فقال:

مثل الزجاجة صدْعُهَا لا يُشْعَبُ

وقيل: الزجاج لا يألف الزهومات[2] ولا يقبل القاذورات قابل للألوان المحمرة والأشكال المرموقة. **وقيل**: الزجاج أنقى في التراب من الذهب.

قال كشاجم:

وجسم هواء وإنْ لمْ يكُنْ ... يُرى للهواءِ بكفٍّ شَبَح
يردُّ على الشخْصِ تمثالَه ... وإن تتخِذْه مرآةً صَلُح

● **المِذخنةُ**

قال بعضهم:

فقُوّارةٌ من أديم الصُّخورِ ... تُخيِّم في فَلَكِ الخَيْزُرانِ[3]
تغذي قِطاعاً كعُرف الحَبيب ... وتَرْقى وَليْس لَها مِسْرجانِ[4]
وتَنْبَعُ عن مثل حَبِّ القلوبِ ... من الجمْرِ ليس لها من دُخانِ

وقال الصنوبري:

مجمرةٌ طافَ بها الغِلْمانُ ... كأنها فيما حكَى العيانُ
فوّارةٌ وماؤُها الدُّخانُ ... في بِرْكَةٍ حصباؤُها نيرانُ[5]

● **المِشطُ**

قال كشاجم:

مِشطٌ من العودِ لم نعبْه ولا ... مالتْ بِه خِفةٌ ولا ثِقَلُ
يَخبو اللُّحى طِيبُها وزينَتُها ... فَهْو على المَغنيين مُشْتَمِلُ[6]

وقال آخر يذم مشطاً منتشر الأسنان:

مِشط إذا سرّحتَ يوماً به ... قطّعَ لحيَيكَ بأسنانِه

● **المِنقاشُ**[7]

قال أبو طالب المأموني:

لديَّ ذو نابَيْن أعضَلَيْنِ ... ينتزعان شَعَرَ الخدَّيْنِ

---

(1) **القرآن الكريم**: النور/ ٣٥.
(2) **الزهومات**: جمع الزُهمة، الرائحة النتنة.
(3) **فوّاره**: أي تفور، وروي أيضاً **فوّارة**: وهي ما قوّر وقطع من جوانب الشيء، من ثوب وغيره.
(4) **ترقى**: ترتفع.
(5) **الحصباء**: الحجارة.
(6) **يحبو اللّحى**: يُعطيها.
(7) **المنقاش**: المنتف.

حتّى ترى الوَجْنةَ كاللُّجَيْنِ ... كخصومَةٍ قد طويَتْ طاقَيْنِ[1]

● المِرآة

قال امرؤ القيس:

وعينٌ كمرآةِ الصّناع تُديرُها ... لِمَحْجرِها تحت النَّصيفِ المُنقّبِ[2]

وقال الببغا:

كلّ فضلٍ لكلّ نوعٍ وجنسٍ ... دونَ فضلِ المرآةِ من غير لَبسِ
لطفتْ رقّةً وفاقتْ صفاءً ... فَهْي كالماءِ في عَيانٍ ولَمْسِ
واستدارَتْ بباهِرِ النّور حتّى ... ظنّها الناظرون قطعةَ شَمْسِ
وهي أصفى أخٍ يكشف لي ... عنّي وأدنى خلٍّ يوفّرُ أُنسي
وإذا ما نأى نَديمي عنّي ... ظلّ طَرْفي بها ينادِمُ نَفْسي

وفي ذمّها، قال بعض الشعراء:

مرآته سيان في لونها ... ولبنةٌ من بعضِ حِيطانِه

● المِرْوَحةُ

وذاتِ وَصْفٍ خُصّ بالثناءِ ... من صِفَةِ الأرْواحِ والأنداءِ
كأنّما صِيغَت منَ الهواء ... تطرفُنا في الصَّيْفِ والشِتاء

● المِذَبَّة

قال كشاجم:

مذبّةٌ تُهدى إلى سيّدٍ ... ما زالَ عن كل وَليٍّ يَذُبّ[3]
ناصيةُ الأدهمِ من عَذْوِها ... لم تكُ من عَرف ولا من ذَنَبْ[4]
وذاكَ فألٌ إنْ تأمّلتُه ... لما يُرجى من نواصي الرُّتَبْ

● الزَّنبيلُ

قال أبو طالب المأموني:

وذي أذنينِ لا تعيان قولاً ... وجوفٍ للحوائجِ ذي احتمالِ
يكلّفُ شغلَ أهلِ البيتِ طرًّا ... ويَحْمِلُ فيه من قوت العِيالِ

---

(١) اللجين: الفضة.

(٢) الصَّناع: المرأة الحاذقة، ومرآتها مجلوّة دائماً - محجرها: ما دار بعينها - النصيف: الخمار الذي يُغطّى به الرأس.

(٣) يذبّ: يدفع عنه ويمنع.

(٤) الناصية: مقدم الرأس - الأدهم: الحصان الأسود.

مُطيعٌ في الحوائجِ غيرُ عاصٍ ... ولا شاكٍ إليكَ منَ الكَلالِ[1]
تسرّ عليه في الأسواقِ سرّاً ... فلا يبديهِ إلا في الرِّحالِ

● **التفْسرة**

وهي قارورة الطبيب التي تعرض عليه. قال المأموني:

ركيّةٌ تشفُّ ذاتُ طولِ ... منَ الزجاجِ الفائقِ المغسولِ[2]
تُظهرُ ما في الجسمِ من فضولِ ... مُفْصِحَةٌ للطِّبِّ لا بقيلِ
عن كلِّ داءٍ غامضٍ دخيلِ ... مرآةُ ما في جسدِ العليلِ
تبديهِ للعَيْنِ على التفصيلِ ... مؤيِّداً بواضحِ الدليلِ

● **الأرجوحةُ**

قال المأموني:

سفينةٌ لا على ماءٍ مُلَجْلِجَةٌ ... تجري بِراكبِها في لجّةِ الرّيحِ[3]
إذا انتهتْ بيَ إلى أقصى نِهايتِها ... عادت كجريٍ أتى سالَ مسفوحِ

● **طَرّادةٌ**

طائرةٌ تسْري بلا بَراحِ ... حولَ العقابِ في سنا الصّباحِ[4]
ناطِقَةٌ بألسنِ الرّياحِ

● **أنواع**

قال بعضهم يصف البطّ:

وبطٍّ لا يزالُ السما ... ءُ يسقاهُ ويَسقيهِ

وقال شاعر:

ثلاثةٌ ثمنيةٌ تدورُ ... الطشتُ والكاساتُ والبخورُ

رؤي على مقراض مكتوباً هذه الكلمة:

دبرْ مِراراً ما هَمَمْتَ بقطْعِه ... فإذا استبانَ لكَ المِقَصُّ فَقصّه

---

(١) **الكلال**: التعب.

(٢) **الركية**: البئر ذات الماء.

(٣) **ملجلجة**: من لجلج: تردّد، وأدار الشيء.

(٤) **البراح**: الظهور والبيان، ، ويقال: **بلا براح**: أي بلا ريب ـ **العقاب**: حجر ناتىء في جوف البئر أو الحجر الذي يقوم عليه الساقي.

الحدُّ التاسعَ عشر

في ذمّ الدنيا ونُوبَها

•

(١)
أَسْماءُ الدُّنيا

•

يُسمّى الدهرُ أبا العجب والدنيا أم دفر وأم شميل. **قال شاعر**:

ما الدَّهرُ في فعله إلا أبو العجب

وقيل: الدهرُ اسم لزمانٍ متصل، والزمان اسم لدهر منفصل، **وقال بندار الصوفي**: الدنيا ما دنا من القلب وشغل عن الحق.

• قِلّةُ لبثُ الإنسانِ في الدنيا

قال النبي ﷺ: فيم أنا من الدنيا ومالي ولها وإنما مثلي ومثلها كراكب سار في يوم صائف، فرفعت له شجرة فقال تحتها ساعة من نهار ثم راح وتركها.

قال الموسوي:

وكأنّ طولَ العُمْرِ دوحةُ راكبٍ ... قَضى اللّغوبَ وَجَدّ في الإِسْراءِ[١]

وقال المسيح: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمّروها. **وقال أمير المؤمنين**: الدنيا دار ممر لا دار مقر، والناس فيها رجلان: رجل باع نفسه فأوبقها ورجل ابتاع نفسه فأعتقها.

وقال أبو يعقوب:

لعَمْرُك ما الدُّنيا بدار إقامةٍ ... ولكنها دارُ انتقالٍ لمَنْ عَقَلْ

وقيل لنوح عليه السلام: كيف وجدت الدنيا؟ قال: كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.

وكتب أبو زيد الطائي إلى صديق له: اجعل الدنيا كيوم صمته عن شهوتك، واجعل فطرك الموت.

• قِلّةَ مَتاعِ الدُّنيا

(١) اللّغوب: الإعياء والفساد.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[2] وقال المنصور لما حضرته الوفاة: بعنا الآخرة بنومة. وقال شاعر:

إنما الدنيا كسرؤيا ساعةٍ ... من رآها فرحته وانقضت

وقال آخر:

أراها وإن كانت تُحَبُّ فإنها ... سحابةُ صيفٍ عن قليلٍ تُقشَّعُ

وقال أعرابي: ما كانت الدنيا على بني فلان إلا طيفاً لما انتبهوا ولى عنهم.

وقال العلوي الكوفي:

مررتُ بدورِ بني مصعبٍ ... بدور السرورِ ودورِ الفرخ
فشبَّهتُ سرعةَ أيامِهم ... بسرعةِ قوسٍ يُسمَّى قُزَخ
تلوَّن معترضاً في السَّماءِ ... فلمَّا تمكَّنَ منها نَزَخ

● **الماضي مِنَ الحياةِ والحاضرُ والمستقبلُ**

قال حكيم: أَمْسُكَ ماضٍ ويومُك ممثّل وغدك مُبهم. **وقال الحسن**: أمسُ أجل واليومُ عمل وغداً أمل.

وقال أبو العتاهية:

أرى الأمسَ قد فاتني ردُّه ... ولستُ على ثِقةٍ من غدِ

وقال أبو حازم: بيني وبين الملوك يوم واحد أما أمس فلا يجدون لذّته ولا أجد شدته، وأما غد فإني وإياهم منه على خطر، وما هو إلا اليوم فما عسى أن يكون.

● **التحذيرُ من تَضْييعِ الأيام**

قال عبد الله بن المبارك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[3] أي اعمل في الدنيا لآخرتك. وقيل: من لعب في عمره ضيّع أيام حرثه وإذا ضيع أيام حرثه ندم عند حصاده.

وقال الحسن: ما وعظني شيء مثلُ ما وعظني كلام الحجّاج في خطبته: إن امرأ ذهبت عنه ساعة من عمره في غير ما خُلق له لحقيق أن تطول حسرته يوم القيامة. **وقال حكيم**: الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما وقال رجل لداوود الطائي: ما ترى أن أتعلم الرمي؟ فقال: حسن ولكن إنما هي أيامك فافنها فيما شئت.

● **مرورُ الأوقاتِ هادمٌ للحياة**

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٧٦.
(٢) القرآن الكريم: يوسف/ ٥٤.
(٣) القرآن الكريم: القصص/ ٧٧.

قال حكيم: من كان الليل والنهار مطيّته سارا به وإن لم يسر.

وقيل:

رأيتُ أخا الدنيا وإن كان خافِضاً ... أخا سفرٍ يسعى به وهو لا يدْري[(١)]

وقيل: أنفاس المرء خطاه إلى أجله، وأمله خادِعه عن عمله. لكلّ زمن فوْت وفي كل طرفة موت. **وقال**:

ما ارتد طرف امرىء بلحظته ... إلا وشيء يموت من جسده

وقال أعرابي: كيف تفرح بعمر تقطعه بالساعات معرضاً للآفات. **قال أبو العتاهية**:

تظلّ تفرحُ بالأيام تقطعُها ... وكلّ يومٍ مضى يدْني من الأجَل

وقيل لأعرابي: أنظر إلى الهلال، **فقال**: ما أصنع به محل دين ومقرب حين. **قال عبدة**:

إذا ما سلخْتُ الشهرَ أهللتُ مثلَه ... كفى قاتِلاً سلخي الشهورَ وإهلالي[(٢)]

وقال:

إلا أنّ الفتى رهنٌ ... بذي لونينِ خَذاع[(٣)]

ومنه قول ابن قميئة:

رمتني صروفُ الدهر من حيث لا تُرى ... فكيفَ بمن يرْمي وليسَ برامِ

فلو أنني لما رمتْني رميتُها ... ولكنّها ترمي بغيرِ سِهامِ

وقال:

فوْق الدهرُ إلينا نبلَهُ ... عللاً يقصدُنا بعْد نَهلِ[(٤)]

فهو رامينا ولا نبْصُره ... مثلُ رامٍ رامَ صيداً فختَلْ[(٥)]

● البقاءُ في الدُّنيا سببُ الفناءِ

قال بعضهم: انصرفت من مجلس حمّاد الراوية فقال أبي ما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن النبي ﷺ أنه قال: لو لم يكسب ابن آدم إلا الصحة والسلامة لكفى بهما داء. **فقال أبي**: قاتل الله حميداً حيث قال:

أرى بصري قد رابني بعد صحّة ... وحسبكَ داءً أن تصحَّ وتسلَما[(٦)]

وقال:

---

(١) **خافض**: الخافض من العيش: الواسع.

(٢) **سلخ الشهر**: قضاه وصار في نهايته.

(٣) **خذاع**: قطاع.

(٤) **عللاً**: الشرب تباعاً ـ **نهل**: أول الشرب.

(٥) **رام صيداً فختل**: مثلٌ للصياد يتخفى ويستر لطريدته.

(٦) **رابني**: أوقعني في الشك.

ودعوت ربّي بالسلامةِ جاهِداً ليُصِحَّني فإذا السلامةُ داءُ

وقال:

لو لمْ يوكِّل بالفتى إلا السلامةُ والنِّعَمْ
فتداولاه لا وشكا أن يُسلماه إلى الهَرَمْ

قال معدي كرب:

أراني كلّما أبليتُ يوماً أتاني بعدَه يومٌ جديدُ
يعودُ شبابُه في كلّ فجرٍ ويأبى لي شبابي ما يعودُ

وقال الصّلتان:

إذا ليلة هرمت يومها أتى بعدَ ذلك يومٌ فتي

● فرحُ الدُّنيا مَشوبٌ بالتَّرح ومعقبٌ بالهُموم

قيل: في كل جرعة شرطة ومع كل أكلةَ غصة. ونظر أنوشروان إلى ملكه فأعجبه، فقال: هذا ملك لولا أنه هالِكٌ ونعيم لولا أنه عديمٌ، وغناءٌ، لولا أنه عناء وسرور لولا أنه شرور، ويوم لو كان يوثق له بغد، قال المغيرة بن جيناء:

وكذاكَ الدهرُ مأتمه أقربُ الأشياءِ من عرسِه

وقال:

لا يغرّنك عيشٌ ساكنٌ قد تولّى بالمنياتِ السَّحر

وقال:

إنّ الليالي لمْ تحسِن إلى أحدٍ إلاّ أساءت إليه بعْد إحسانِ

وقال بعضهم: ما من إنسان قيل له: طوباك إلا وقد هيأ له الدهر يوم سوء، قال المتنبي:

ومن كان في السّراء في حالٍ معجبٍ فمحصولُه منها على حالِ نادمِ

وقال ابن لنكك:

كلُّ من حازَ سروراً أو نعيماً هو فيهِ
فالمنايا والرزايا عن قريبٍ تقتضيهِ

وقال:

لم يشفع الدهرُ الخؤونُ لمهجةٍ في العمرِ إلا عادَ وهو خصيمُها[1]

● الدُّنيا همومٌ وغُمُوم

---

(١) مهجة: روح ونفس ـ خصيمها: عدوها ومنازعها.

قال رجل لأمير المؤمنين: صف لي الدنيا، **قال:** ما أصفُ في دار أولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عذاب، من أمن فيها سقم ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن.

وقال بعض الصالحين: الدنيا دار غرستْ فيها الأحزان وذمّها الرحمن، وسلط عليها الشيطان يصل به الإنسان.

وسئل آخر عنها **فقال:** من نالها مات عنها ومن لم ينلها مات حسرة عليها.

وقال سفيان: الدنيا دار التواء لا الثواء من عرفها لم يفرح فيها برخاء، ولم يحزن بشقاء. وسمع حكيم رجلاً يقول لآخر: لا أراك الله مكروهاً، **فقال:** دعوت عليه بالموت. من عاش لا بدّ له من مكروه. **وقال شاعر:**

فــي كــل دار تــرحــةٌ وبــلــيــةٌ ... وهــمــومُ دارِك إن شكــرْتَ أقــلُّــهــا[1]

وقيل للنظام وفي يده قدح دواء: ما حالك؟ فقال:

أصــبــحــتُ فــي دار بــلــيّــات ... أدفَــــع آفــــاتٍ بــــآفــــاتِ

وقال أبو علي كاتب بكر:

أفٌ مــن الــدنــيــا وأســبــابِــهــا ... فــإنّــهــا لــلــحُــزنِ مــخْــلــوقَــه

هــمــومُــهــا مــا تــنْــقــضــي ســاعــةً ... عــن مــلِــك فــيــهــا ولا سُــوقَــه[2]

وقال:

أمــرَّ الــزمــانُ لــنــا طــعــمَــه ... فــمــا إن تــرى ســاعــةً عــذْبَــه

وقال:

مــضــى قــبــلَــنــا قــومٌ رجــوا أن يــقــوّمــوا ... بــلا تــعْــب عــيْــشــاً فــلــم يــتــقــوَّمــا

وقال المنصور:

كــنْ مــوســراً إن شــئــت أو مــعْــســراً ... لا بــدّ فــي الــدنــيــا مــن الــغــمّ

وكــلّــمــا زادَك مــن نــعــمــةٍ ... زاد الــذي زادك فــي الــهــمّ

● قِلّةُ السرورِ وكثرةُ الغُموم

روي عن الأمام الشافعي رضي الله عنه، قوله:

مِحن الــزمــانِ كــثــيــرةٌ لا تــنــقــضِــي ... وســرورُهــا يــأتــيــكَ كــالأعــيــادِ[3]

وقال:

---

(١) ترحة: مصيبة.

(٢) السوقه: الرعيّة من النّاس واللفظة للواحد والجمع والمذكّر والمؤنث.

(٣) محن الزمان: مصائبه وفجائعه.

تأتي المكارهُ حين تأتي جملةً ... وترى السرورَ يجيءُ في الفَلَتاتِ

وقال ابن نباتة:

وما خيرُ عيشٍ نصفُه سنةُ الكرى ... ونصفٌ به نعتَلُّ أو نتوجَّعُ[1]

مع الوقت يَمْضي بؤسُه ونعيمُه ... كأنْ لم يكُنْ والوقت عمرك أجْمَعُ

● **سُرعةُ المكارِهِ وتباطؤُ المحاب**

وقال شاعر:

ألم ترَ أنّ سيرَ الخيرِ ريثٌ ... وإن الشرَّ راكبُه يَطيرُ[2]

وكان لسفيان جار مخنّث فمرض فعاده سفيان بأصحابه، **فقال:** كيف تجدك؟ فقال: إن العلل والآفات تجيء في الدنيا باقاتٍ والعافية تجيء طاقات، **فقال سفيان:** ما خرجنا إلا بفائدة.

وقال الحارثي:

تقضَّاك دهرٌ ما سَلَفا ... وكدَّرَ عيشَك بعْدَ الصَّفا

فلا تَنْكرَنَّ فإنّ الزمانَ ... رهينٌ بتشتيتِ ما ألّفا

وقال أبو الوليد:

وليسَ الدهرُ مؤتَمَناً ... على تفريقِ ما جَمَعا

وقال:

ألا إنّما الدنيا مطيّةُ بُلْغةٍ ... علا راكبوها فوقَ أعوجَ أحدَبا[3]

شموسٌ متى أعطتْك طوعاً زمامَها ... فكنْ للأذى من عَسْفِها مترقِّبا[4]

● **التحذيرُ من النُّقصانِ عند التَّمام**

قيل: من بلغ غاية ما يحبّ فليتوقع غاية ما يكره. **وقال الأصمعي:** وجدت لبعض العرب بيتين كأنهما أخِذا من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾[5] وهما **قول سعيد بن وهب:**

أحسنْتَ ظَنّك بالأيام إذ حَسُنَتْ ... ولم تخفْ غِبَّ ما يأتي به القدرُ

وسالمَتْك الليالي فاغترَرْت بها ... وعند صفوِ الليالي يحدُث الكدرُ

---

(١) **سنن الكرى:** النوم. (٢) **ريث:** بطيء.

(٣) **بُلغة:** ما يُتبلّغ به العيش، ولا يفضل.

(٤) **الشموس:** الصعبة المراس، والشديدة العداوة ـ **العسف:** الجور.

(٥) **القرآن الكريم:** الأنعام/ ٤٤.

ومن دعاء بعضهم: صرف الله عنك آفات التّمام.

وكتب الإسكندر إلى أرسطاطاليس: أكتب إليّ موعظةً تردعُ وتُقْنع، **فكتب إليه:** إذا استوت بك السلامة فجدّد ذكرَ العطب وإذا اطمأنّ بك الأمن فاستشعر الخوف، وإذا بلغت نهاية أملك فاذكر الموت. **وقال شاعر:**

إذا تــمّ أمــرٌ بــدا نَــقْــصُــه ... تــوقَّــعْ زوالاً إذا قــيــل تَــمّ

● عَرَضُ الدنيا عاريةٌ

قال ابن مسعود: عرض الدنيا عارية ومن فيها ضيف، والعارية مؤداة والضيف مرتحل.

والـمـال فـي الأقـوام مـسـتـودَعٌ ... عـاريـةٌ والـشـرطُ فـيـهـا الأداءْ[1]

وقال:

ومـا الـمـالُ والأهـلـون إلاّ ودائـعٌ ... ولا بـدّ يـومـاً أن تُـرَدَّ الـودائِـعُ

وقال:

أبـداً تـسـتـردُّ مـا تَـهَـبُ الـدُّنـيـ ... ـا فـيـا لـيْـتَ جـودَهـا كـان بـخُـلا

فـكـفَـى كـون فـرحـةٍ تـورث الـهـ ... ـمّ وخِـلّ يـغـادرُ الـوجـدَ خِـلا

وقال:

لـم يـظـلـمِ الـدّهـرُ ولـكـنّـه ... أقـرضَـنـي الإحـسـانَ ثـم اقـتـضـى

● الدُّنيا مُتقلِّبةٌ

من أمثالهم: الدنيا طرفة عين لا تثبت على حالة. دخل أعرابي عمّر مئة وعشرين سنة على معاوية **فقال له:** صف لي الدنيا. **فقال:** سنيات بلاء وسنيات رخاء يولد مولود ويهلك هالك، ولولا المولود باد الخلق ولولا الهالك ضاقت الأرض.

وقال شاعر:

هـل الـدهـرُ إلا ضـيـقـةٌ وانـكـشـافُـهـا ... وشـيـكـاً وإلا تـرخـةٌ وانـفـراجُـهـا

وقال:

وحـادثـاتٌ أعـاجـيـبٌ خـسـاً وذكـا ... مـا الـدهرُ في فعلِه إلا أبو الـعَـجَـب[2]

وقال:

الـدهـرُ مـن شـأنـهِ أن لا يـدومَ لـه ... مـا يـحـتـويـه الـفـتَـى مـنـه ومـا يـمِـق[3]

---

(١) العارية: ما يتداوله القوم بينهم، وما تعطيه لغيرك على أن يعيده إليك.

(٢) خساً: عياء وضعفاً ـ ذكا: سمنة وبدانة.　　(٣) يمق: من ومق: أحب.

وقال:

وما حالةٌ إلاَّ ستطرف حالُها　　إلى حالةٍ أخرى وسوفَ تزولُ

وقال آخر:

ومن عادةِ الأيام أنّ صروفَها　　إذا ساءَ منها جانبٌ سَرَّ جانبُ

وقال:

إنما الدنيا هباتٌ　　وعوارٍ مستردّه[1]

شدّةٌ بعد رخاءٍ　　ورخاءٌ بعد شِدّه

● الدُّنيا لا يدومُ فيها فَرَحٌ ولا تَرَحٌ

قال شاعر:

وما اكتأبَتْ نفسٌ فدامَ اكتئابُها　　ولا ابتهجَت نفس فدَام ابتهاجُها

وقال آخر:

هل الدهر إلا ساعَةٌ ثم تنقَضي　　بما كانَ فيها من بلاءٍ ومن خِفْضِ

فهونك لا تحفَل إساءة عارضٍ　　ولا فرحةً تأتي فكلتاهما تَمْضي[2]

ويُروى عن أبي الفتح بن العميد لما قبض عليه، قال: الفلك أحد والدوار أجد من أن يُبقي أحداً على أحد.

● إعتبارُ الباقي بالماضي

قال الحجّاج: والله إن الذي بقي من عمري لأشبه بما مضى من التمرة بالتمرة ومن الماء بالماء.

الدهرُ آخرُه شَبَهٌ بأوّلِه　　يومٌ بيومٍ وأيامٌ بأيامِ

وقال حارثة بن بدر:

وما الدهر إلا مثلُ أمس الذي مضى　　ومثلُ الغدِ الجائي وكلٌّ سيذهبُ

وقال أعرابي: جعلنا الله ممّن يعتبر ممن يعبر الدنيا أي يعتبر بمن يقطعها.

● وصف الدنيا بأنّها غرّارة

قال أمير المؤمنين: الدنيا تغرّ وتضرّ وتمرّ. وقيل الدنيا غرور حائل وزخرف زائل وظلّ آفل ومسند مائل. وقال يحيى: الدنيا جارية زانية وتتهم بمن يقرب منها:

يغرُّ الفتى مرُّ الليالي سليمةً　　وهنَّ به عما قليل عواثرُ[3]

---

(١) عوار: جمع عارية، ما يتداوله القوم بينهم.

(٢) هونك: أي هوّن عليك.　　(٣) عواثر: جمع عاثر، وهي مصيدة الصياد.

وقال آخر:

وما زالتِ الأيامُ تستدرجُ الفتى ... وتملي له من حيثُ يَدْري ولا يَدْري

وقال آخر:

لقد غرّت الدنيا رجالاً فأصبحُوا ... بمنزلةٍ ما بعدَها مُتحَوَّل

وقال آخر:

يعلّلنا هذا الزمانُ من الوغدِ ... ويَخْدعُ عمّا في يديه من النّقدِ

وقال آخر:

فذي الدارُ أخدعُ من مومسٍ ... وأخوَنُ من كفّة الحابلِ(١)

وهذا مثل ما قيل: الدنيا قحبة، يوماً عند عطار ويوماً عند بيطار.

● **النهيُ عن الإغترارِ بأوقاتِهَا**

قيل: لا تغتر بصفاء الأوقات، فتحتها غوامض الآفات، وقيل: لا يغرّنك الإملاء فالإملاء من الإستدراج، والله تعالى يقول: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾(٢)

وقيل: مثل الدنيا مثل الحية ليّنٌ مسّها وفي جوفها السم الناقع، يهوي إليها الصبي الجاهل ويحذرها الحازم العاقل.

وقال شاعر:

إنّ دنياكَ حيّةٌ تنفثُ السُّـ ... ـمّ وإن كانت المجسّةُ لانَت(٣)

وقال أبو عمرو بن العلاء: كنت أدورُ في ضيعتي في شدّة الحر فسمعت هاتفاً يقول:

وإن امرأً أدنياه أكبرُ همّهِ ... لمُستمسكٌ منها بِحَبْلِ غُرورِ

فنقشت ذلك على خاتمي.

وقال الشاعر:

يا واثقاً بزمانِه ... أخطر تصرفُه ببالك

ووجد بخط نصر بن أحمد:

ولا تخدعنك صروفُ الزمانِ ... فإن الزمانَ كثيرُ الخِدعِ(٤)

---

(١) الحابل: الساحر

(٢) القرآن الكريم: الأعراف/ ١٨٢، ١٨٣.

(٣) المجسة: ملمس الحية أو موضع الجَس.

(٤) الصروف: الأحداث والتقلّبات.

● **تصوُّر الدنيا يزيدُ الغُمُوْمَ**

قال الشاعر:

ومن عرفَ الأيامَ لم يرَ خِفْضَها نعيماً ولم يعدُدْ تصرّفَها بلْوى[١]

● **الدُّنيا واعظةٌ**

قال أمير المؤمنين: أيها الذام الدنيا بِمَ غرتك؟ بمصارع آبائك تحت الثرى، أم بمضاجع أمهاتك في البلى. كم مرّضت بيديك وغسلت بكفيك فلم يغن عنك. **وقيل:** ما ضمنت الدنيا لأحد المتاع بها، بل نادت فصرخت إنها ميراث الدول وصبابة الأزمنة وأوعية الفجائع ومفرقة الآلات.

وقال عبد الله بن عيينة:

إن الليالي والأيام لو بحثَتْ عن عيبِ أنفسِها لم تَكْتمِ الخَبرا

وقال أبو تمّام:

عمري لقد نصحَ الزمانُ وأنه لَمِن العجائبِ ناصحٌ لا يَشْفِقُ

وقال أبو العتاهية:

نحنُ في دارٍ تخبرنا ببلاءٍ ناطقٍ لسِن

قال المسيح عليه السلام: الدنيا مزرعة إبليس وأهلها له حرّاث. **وقيل:** كل قتيل يُقتص له يوم القيامة إلا قتيل الدنيا يُقتص منه.

● **مَدْحُ الدنيا بأنّها يُتوصّلُ بِها إلى الآخِرةِ**

ذمّ رجلٌ الدنيا بحضرة أمير المؤمنين **فقال:** أسكت فإن الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار غناء لمن تزوّد منها ودار عافية لمن فهم عنها، مسجد أبينا آدم ومهبط وحيه، متجرُ أوليائه فاكتسبوا منها الرحمة وادّخروا منها الجنة.

وقيل: الدنيا دار تجارة والويل لمن تزوّد منها الخسارة.

● **الدُّنيا مَحْبوبةٌ وإنْ كانت مَعيوبةً**

قال الشعبي: ما أعلم لنا وللدنيا كقول كثيّر:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومةٌ لدينا ولا مقليّةٌ إن تقلّتِ[٢]

وقال المأمون: لو نطقت الدنيا لم تصف نفسها بأجود مما **قال أبو نواس:**

إذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشّفَتْ له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقِ

---

(١) **الخفض:** سعة العيش ـ **تصرّفها:** تقلّبها عليه.

(٢) **مقلية:** أي مبغضة ومكروهة ـ **قلى:** أي أبغض ومقت وكره.

وقال:

يذمون دنيا لا يُرجّون دَرَّها ... ولم أرَ كالدنيا يُذمُّ ويُحلبُ

وقال سابق البربري:

النفسُ تكلَفُ بالدنيا وقد عَلِمتْ ... أن السلامةَ منها تركُ ما فيها

وقال أبو العتاهية:

كلّنا يكثِر المذمّة للد ... نيا وكلُّ بحُبِّها مفتونُ

وقال الموسوي:

دنيا تضرُّ ولا تسِرّ وذا الورى ... كلّ يجاذبُها وكلُّ عائبُ

● الدّنيا ضارّةٌ لأهلِهَا

قيل: الدنيا تضرّ محبيها ما كرمت على أحد نفسُه إلا هانت عليه الدنيا. **وقيل**: أوحى الله إلى الدنيا إن أخدمي من جفاك واستخدمي من يهواك.

وقال عمر بن عبد العزيز: الدنيا لا تضرّ إلا من أمنِها ولا تنفَع إلا من حذرها.

وقال عمر رضي الله عنه: ما كانت الدنيا هم امرىء إلا لزم قلبه خصال أربع، فقر لا يدرك غناه وهم لا ينقضي مداه وشغل لا ينفد أولاه وأمل لا يدرك منتهاه.

أرَى الدنيا لمَنْ هي في يديهِ ... عذاباً كلّما كَثُرتْ لديْهِ

تهينَ المكرِمين لها بِصغْرٍ ... وتُكرِمُ كلَّ من هانت عليْه

وقال المتنبّي:

وكلّ يعشق الدنيا قديماً ... ولكن لا سبيلَ إلى الوِصَالِ

وقال ابن نباتة:

تُمَلُّ مآربُ الأيام منّا ... ونعشقُها لقد عَظُم البلاءُ[١]

وقال أبو العيناء:

مذمومةٌ بالهمّ مخطوبةٌ ... سُمّ زعافٌ دَرّ أخلافِها[٢]

ولم تزلْ تقتُلُ ألافَها ... أفٌ لمَن تقتُلُ ألافَها

● تبكيتُ النّفسِ في الميْلِ إلى الدُّنيا مع المَعْرفةِ بها

قال شاعر:

ومن عجب الدنيا ركوني وصبوَتي ... إليْها على سنّي كأني وليدُها

أجاري الليالي ليلةً بعد ليلةٍ ... مُشيحاً كأني تربُها وطريدُها[٣]

---

(١) المآرب: الحاجات، جمع مأرب. (٢) الإخلاف للوعد: عدم الإيفاء به.

(٣) تربها: مماثلها في السن ـ طريدها: مطرودها.

وتنقصني في كلّ يومٍ وليلةٍ ... ونفسي على نقصانها تستزيدُها

وقال:

وإن امرأً يبتاعُ دنيا بدينِهِ ... لمنقلِبٌ منها بِصفقةِ خاسرِ

وقال الموسوي:

نرجو البقاء كأنّنا لم نختبر ... عاداتِ هذا العالَمِ المشهودِ

● **الدنيا غيرُ مستغنًى عنها**

قال العتبيّ: كنت قاعداً في دهليزي عقب علّة فدخل مجنون يدعى بالغيث **فقلت**: أنا منه بين لطمة وشتمة فنظر إليّ ساعة، ثم أنشأ يقول:

نظرتَ إلى الدنيا بعينٍ مريضةٍ ... بفكرةِ مغرورٍ وتأميلِ جاهلِ

فقلتَ هي الدارُ التي ليسَ مثلُها ... ونافستَ فيها في عناءٍ وباطلِ

وقال:

كفلت بنا الدّنيا ولا ... طفلٌ يعيشُ بغير ظِئرِ(١)

وذكر لأمير المؤمنين قوم يحبون الدنيا **فقال**: هم أبناؤها أفيُلام الرجل على حب والديه؟

● **بنو الدّنيا غرضٌ لأنواع البَلاء**

قيل للحسن: كيف أصبحت؟ **فقال**: كيف يصبح من هو غرض لثلاثة أسهم، سهم رزيّة وسهم بليّة وسهم منيّة.

وقال ابن المعتز:

أرى كلّ نفسٍ للمنايا دريّةً ... وللعيس يمسي كدحُها ودؤبُها(٢)

تناضِلُها الآفاتُ من كلّ جانبٍ ... فتخطئها يوْماً ويوماً تصيبُها

وقال الربيع لأبي العتاهية كيف أصبحت؟ فقال:

أصبحتُ والله في مضيقِ ... فهلْ سبيلٌ إلى طريقِ

أفّ لدنيا تلاعبتْ بي ... تلاعبَ الموجِ بالغريقِ

وقيل: من أخطأه سهم المنيّة لم يخطئه سهم الرزيّة.

● **إنكارُ ذمّ الدّهرِ**

قال ﷺ: إذا قال الرجل لعن الله الدنيا قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربّه. **وقال**: لا

---

(١) **الظئر**: الانثى المرضعة لولد غيرها، أو العاطفة على ولد غيرها.

(٢) **درّيّة**: تقال للفرس الكثير الجري.

تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر أي الفاعل هو الله لا الدهر. **قال الشيخ أبو القاسم الراغب:** ألمّ بهذا المعنى الخوارزمي، **فقال:**

وكم نُكنى وكم نهجو الليالي ... وليس بِخَصْمِنا إلا القضاءُ

وقال الناجم:

نعيبُ زمانَنا والعيبُ فينا ... ولو نطَق الزمانُ بنا هجَانا

وقال رجل للأصمعي: فسد الزمان، **فقال:**

إن الجديدَيْنِ في طولِ اختلافِهما ... لا يفسدان ولكن يفسُدُ النَّاسُ(١)

وقال أبو عبد الرحمن الأصم لأبي العتاهية: أي خلق الله أصغر عنده؟ **قال:** الدنيا لا تساوي عنده جناحَ بعوضة، **قال:** أصغرُ منها مُحبّها.

لم يفسدِ الدهر لكنّ أهلَه فسدوا

وقال المتنبّي:

ألا لا أري الأحداث حمداً ولا ذمّا ... فما بطشُها جهلاً ولا كفّها حِلْما

● الدَّهرُ يَتَراذَلُ

قال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: معروفَ زمانِنا منكرٌ زمانٍ قد فات ومنكَرُه معروفُ زمانٍ لم يأت. وسمع زياد امرأة **تقول:** اللهم أعزل عنا زياداً، **فقال لها:** زيدي في دعائك وأبدي لنا خيراً منه فإن الأخير أبداً شر.

وقال بعض العلماء: آخرُ الناس شرارُهم الذين تقوم عليهم القيامة.

● حَمْدُ ماضي الزّمانِ وذمُّ حاضرِهِ

كانت عائشة رضي الله عنها تنشد قول لبيد:

ذهبَ الذينُ يعاش في أكنافِهم ... وبقيت في خلْفٍ كجلْدِ الأجربِ(٢)

وتقول: رحم الله لبيداً كيف لو عاش إلى زماننا. وكان ابن الزبير ينشده ويقول: رحم الله عائشة كيف لو عاشت إلى زماننا. **وقال بعضهم:** كان الناس ورقاً بلا شوك، فصاروا شوكاً بلا ورق.

وقال شاعر:

لم أبكِ من زمنٍ شكوتُ صروفَه ... إلا بَكَيْتُ عليه حينَ يَزولُ

وقال:

تنسى أيادي الزمان فينا وما ... نذْكُر من دهرِنا سوى نُوَبِه(٣)

---

(١) **الجديدان:** الليل والنهار.

(٢) **جلد الأجرب:** كناية عن صعوبة العيش.

(٣) **نوب:** جمع نائبة، وهي المصائب.

● المسرةُ مِن حَيثُ تُخشَى المَضَرَّةُ

قال الله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾[1] وقيل: خف المضار من خلل المسار، وأرج النفع من موضع المنع. فأكثر ما يأتي الآمن من محل الفزع. **وقال حكيم**: أعناق الأمور تتشابه، فرب محبوب في مكروه ومكروه في محبوب ومغبوط بنعمة هي داؤه ومرحوم من داء فيه شفاؤه.

وقيل: رُبَّ سلامة تكون للتلفِ سبباً ومكروهٍ يكون للنجاة مفتاحاً.

وقد يأسفُ المرءُ من فوْت ما ... لعَلّ السلامةَ من فوتِه[2]

وقال حكيم: لله مصالحُ في مكاره عباده. **وقيل**: العاقل لا يجزعُ لأول نكبة ولا يفرح بأول نعمة فربما أقلع المحبوب عما يضرّ وأسفر المكروه عما يسرّ.

كمْ مرةٍ حفّت بكَ المكارهُ ... خارَ لكَ الله وأنتَ كارهُ[3]

وقال أبو عمرو بن العلاء خرجت هارباً من الحجّاج فسمعت أعرابياً ينشد:

ربّما تجزع النفوسُ من الأ ... مرِ لها فرجَةٌ كحَلّ العِقالِ

سبب البلاء سبب إتيان الرخاء. **وقال ﷺ**: اشتدي أزمة تنفرجي. **وقيل**: إذا اشتدّ الأمر هان.

● مَن أشرَفَ على الهَلاكِ فَفرّج اللّهُ تعالى عنه

أتى يزيد بخارجي فأراد قتله، فقال:

عسى فرَجَ يأتي به الله إنه ... لهُ كلَّ يوم في خليقتِه أمر

فقال: والله لأضربَنّ عنقَك أقتلوه. فدخل الهيثم بن الأسود فقال أمسكوه قليلاً، فدنا منه **فقال**: يا أمير المؤمنين هبْ مجرمَ قوم لوافدهم، **فقال**: هو لك، فخرج الخارجي وهو يقول: تأبّى على الله فأبى إلا أن يكذبه وغالبه فأبى إلا أن يغلبه.

وأحضر رجل ليقتل في أيام نازوك فدعا بطعام فأخذ يأكل ويضحك، فقيل: تضحك وأنت مقتول؟ **فقال**: من الساعة إلى الساعة فرج فسمعَت صيحةٌ **فقيل**: مات نازوك، فخلوا الرجل.

وشدّ بعض العمال رجلاً إلى أسطوانة يريد ضربه، **فقال**: حلّني من هذه إلى هذه فحله فما حله إلا وقد عزل وشدّ إلى الاسطوانة بعينِها.

---

(١) **القرآن الكريم**: النساء/ ١٨. (٢) **الفوت**: الانقضاء وذهاب الأوان.

(٣) **حفّت**: أحاطت به ـ **خار الله**: فضل واصطفى.

• **مُستَضعَفٌ أعانَهُ اللّهُ فقوّاهُ**

قال الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1] وقال ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾[2]

(٢)
حثُّ الممتحَنِ على مُصابرَة الزمن إلى انقضاء زمن المحن

•

قال النبي ﷺ: للمحن أوقات ولها غايات، واجتهاد العبد في محنته قبل إزالة الله لها زيادة فيها. قال تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[3] وقيل: الممتحن كالمختنق كلما ازداد اضطراباً إزداد اختناقاً. وقيل: إذا أراد الله خلاص غريق عبر البحر على سارية. وقيل: حامل الدهر إلى أن يحمل وأقبل منه إلى أن يقبل.

• **مَنْ زالَ غمُّه فنسي صُنعَ الله تعالى**

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[4]، وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[5] الآية، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[6] الآية، شكا يوسف عليه السلام طول الحبس فأوحى الله تعالى إليه أنت حبست نفسك حيث قلت السجن أحب إليّ. وقيل: من سبح في النهر الذي فيه التمساح عرض نفسه للهلكة. وقيل: ما صاحب البلاء الذي طال بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى.

• **مَنْ ذكَر إحسانَ الزمانِ إليه بَعْدَ إساءَتِهِ**

قال شاعر:

أيها الدهر حبذا أنت دهراً ... قِفْ حميداً ولا تزول حميدا
كل يومٍ تزدادُ حُسناً فما تبـ ... ـعَث يوماً إلا حسبناه عيدا

وقال آخر:

رقَّ الزمانُ لفاقتي ... ورثى لطول تحرُّقي

---

(١) القرآن الكريم: القصص/٦.
(٢) القرآن الكريم: النمل/٦٢.
(٣) القرآن الكريم: يوسف/٦٧.
(٤) القرآن الكريم: يونس/١٢.
(٥) القرآن الكريم: يونس/٢٢.
(٦) القرآن الكريم: الأنعام/٦٣.

فـأنـالَـنـي مـا أرتـجـي ... وأجـارَ مـمّـا أتّـقـي
فـلأغـفـرنّ لـه الـكـبـيـرَ ... مـن الـذنـوبِ الـسَّـبـقِ
حـتّـى جـنـايـتِـه بـمـا ... فـعـلَ الـمشـيـبُ بـمَـفْـرِقـي

وقال آخر:

ربّـمـا أحـسـن الـزمـا ... نُ وإن كـانَ قـد أسَـا

وقال وهو الصدق:

وآخـرُ إحـسـانِ الـلـيـالـي إسـاءةٌ ... على أنّها قد تُتْبِعُ العسْرَ باليُسْرِ

● أصحابُ الرّجاءِ والخوفُ

قال شاعر:

فـي كـلّ شـيءٍ أرتـجـي مـخـافـةٌ ... فـي كـلّ شـيءٍ أشـتـهـيـهِ آفـه

● فضلُ العافيةِ وسلامةُ الدين

قال النبي ﷺ: من أصبح آمناً في سربه معافًى في بدنه عنده قوتُ يومه فكأنما حيزَتْ له الدنيا. وقيل: أراني غنيّاً ما كنتُ سويّاً. وقيل: منْ أوتي العافية فظنّ أن أحَداً أوتي أكثرَ منه فقد قلّل كثيراً وكثّر قليلاً.

وقيل: صلاح الآخرةِ بخلةٍ واحدة وهي التقوى وصلاحُ الدنيا بثلاث: العافية والغنى والعمر.

وقيل: العافية الملك الخفيّ الهنيء. وقيل: الدنيا بحذافيرها الأمْنُ والعافية.

لا تـأسَ مـن دنـيـا عـلـى فـائِـتٍ ... وعـنـدكَ الإسـلامُ والـعـافِـيَـه
إن فـاتَ شـيءٌ كـنـتَ تـسـعَـى لـه ... فـفـيـهِـمـا مِـنْ خـلـف كـافِـيَـه

● معرفةُ فَضلِ السلامةِ عِندَ فوْتِها

قيل: لا يعرف طعم النعمة إلا من نالته يد العلّة والبلاء:

فـبـضـدهـا تـتـمـيّـز الأشـيـاء

وقيل: شيئان لا يعرف فضلهما إلا من فقدهما الغنى والعافية. وقال أبو تمّام:

ولـيـس يعرفُ طيبَ الوصْل صاحبُهُ ... حـتـى يُـصـابَ بـنـأيٍ أو بـهُـجـرانِ

وقلب المتنبّي هذا المعنى فقال:

ولولا أيادي الوصل في الجمْع بينَنا ... غـفـلْـنـا فـلَـمْ نـشـعُـر لـهُ بـذُنـوبِ[1]

وقال حكيم: كمْ من نعمَةٍ عُرِفَتْ ببليّة نزلَت ونعمةٍ جُهِلَت بسلامَة لبثَت.

---

(١) الأيادي: النِعم؛ أي لولا إحسان الوصل لم تُعرف إساءته في التفريق.

في الديانات والعبادات

•

(١)
الدّلالةُ على وحدانية اللّهِ تعالى

•

● **من قول الأوائل**

قال أفلاطون لتلميذه أرسطو: ما الدليل على وحدانية الله تعالى؟ **فقال**: ليس شيء من خلقه بأدلّ عليه من شيء.

وقال لبيد:

فوا عجباً كيف يُعصى الإلهُ ... أم كيف يجحده الجاحِدُ
وفي كلّ شيءٍ له آيةٌ ... تدلُّ على أنّه واحِدُ
ولله في كلّ تحريكةٍ ... وتسكينةٍ أبداً شاهِدُ

وسئل سقراط عن دلالة الصانع، فقال: دلّ الجسم على صانعه فجمع بهذه اللفظة دلالة حدوث العالم، فإن صانعه حكيم. ونظر أعرابي إلى الناس في يوم الجمعة **فقال**: صورة واحدة وخلق مختلف، ما هذا إلا صنع رب العالمين.

● **نفيُ الكيفيةِ عن اللّهِ سُبحانَهُ وتَعالى**

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(١)] وسئل جعفر بن محمد عن كيفية الله تعالى، **فقال**: نور لا ظلمة فيه وعلم لا جهل فيه، وحياة لا موت فيها. وسأل رجل أمير المؤمنين: أين الله تعالى؟ **فقال**: هذا سؤال عن المكان، وكان الله ولا مكان **وقال عثمان لأعرابي**: أين ربك؟ **قال**: بالمرصاد.

وقال العتبي: من جعل الله في مكان فقد حدّه وَمَنْ حدّه فقد عدّه ومن عدّه فقد ثنّاه، تعالى الله عن ذلك.

● **حقيقةُ الإيمان**

سئل الجنيد عن الإيمان **فقال**: ما أوجب الأمان. وأتى رجل إلى الحسن **فقال له**:

---

(١) **القرآن الكريم**: البقرة/ ١٣٧.

أمؤمن أنت؟ **فقال له**: إن كنت تريد قول الله تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾[1] فنعم به نتناكح وبه نتناسل وبه حقنا دماءنا، وإن كنت تريد قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾[2]، فما أدري أنا منهم أم لا؟

وسئل الفضيل عن الورع فقال: اجتناب المحارم. **وقيل لأبي هريرة**: صف لنا التقوى، **فقال**: إذا دخلت أرضاً فيها شرك كيف تصنع؟ **فقال**: أتوقى وأتحرز، **فقال**: فاتقِ من الدنيا هكذا، فهذه التقوى. أخذه ابن المعتز، **فقال**:

كُنْ مِثْلَ مَاشٍ فَوقَ أَرْ ضِ الشَّوكِ يَحْذَرُ مَا يَرى

لا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إنَّ الجِبَالَ مِنَ الحَصَى

وقيل: ليس الإيمان بالتحلّي ولا التمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال، وأتى النبي ﷺ بجارية **فقبل له**: هل تجزي هذه عن العتق؟ **فقال** ﷺ: أين ربُك؟ فرفعت يدها إلى السماء فقال لها: من أنا؟ قالت: رسول الله، **قال**: أعتقها فإنها مؤمنة.

● حقيقةُ التقْوَى

قيل: هي الامتناع من المحرّمات. **وقيل**: تغيّب المولى في قلوب أوليائه يحثّهم على الخير ويمنعهم من الشر. **وقال الحارث**: هي انتهاء الجوارح عما نهى الله تعالى عنه إلى ما أمر به. قال الله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ﴾[3] **وقال عمر بن عبد العزيز**: ليست التقوى قيام الليل ولا صيام النهار والتخليط فيما بين ذلك، ولكنّ التقوى ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق خيراً بعد ذلك فهو خير.

وسئل رسول الله ﷺ: مَنْ آلك؟ **فقال**: كلّ تقي ألا أن أولياء الله هم المتّقون.

● حقيقةُ المحَبةِ وعلاماتُها وأحوالُها

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: حقيقة المحبّة لا يزيدها البرّ ولا ينقصها الجفاء **وقال** ﷺ: إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه. **وقال إن الله تعالى يقول**: ما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ من أداء ما افترضت عليه وإنّ عبدي لا يزال يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته.

وقال جعفر إذا أحبّك الله سترك وإذا أحببته شهرك.

وقال: إذا أحبك أنامك وإذا أحببته أقامك، فهذا هو الفرق بين المريد والمراد.

---

(١) القرآن الكريم: آل عمران/ ٨٤. (٢) القرآن الكريم: الأنفال/ ٢. (٣) القرآن الكريم: الدخان/ ٥١.

وقال بعضهم: سمعت امرأة تطوف بالبيت **وتقول**: بحبك لي إلا ما غفرت لي. **فقلت لها**: أما يكفيك أن تقولي بحبي لك؟ **قالت**: أما سمعت قوله تعالى يحبهم ويحبونه، فقدم محبته لهم.

وسأل فقير الشبلي عن قول الله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1] فزعق **وقال**:

إذا أنتَ لم تعطِفْكَ إلا شفَاعَةٌ　　فلا خيْرَ في ودّ يكونُ بشافعِ

● حالُ التصوّفِ والمتصوّفةِ والمريدِ والمراد

قيل لأبي عبد الله الحضرمي وكان يعرف بالصامت لأنه صمت عشرين سنة وقد سئل عن المتصوّفة، **فقال**: رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه **فقيل**: كيف صفتهم؟ **قال**: لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء. **قيل**: فأين محلهم؟

فقال: في مقعد صدق عند مليك مقتدر. **قيل**: زدنا. **قال**: إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً

وسئل بعضهم عن حدّ الصوفي **فقال**: الأكول الكسول الكثير الفضول، فحكى ذلك للإمام الشافعي، **فقال**: الأكول للحلال، الكسول عن المعاصي، الكثير الفضول بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. **وقيل**: الصوفي من لبس الصوف على الصفا وذاق طعم الهوى والجفا وترك الدنيا والعفا. **وسئل** أبو سهل الصعلوكي عن التصوّف **فقال**: الإعراض عن الاعتراض. **وللجنيد**: التصوّف ترك التصرف. **وقال**: أبو عبد الله بن خفيف: هو لائح لاح فاصطلم واستباح، **وقال المحاسبي**: الرضا بسكون القلب تحت جريان الحكم.

وأقبل أبو العباس وشريح على الجنيد رحمه الله تعالى فقال: يا أبا العباس في كتاب الله تعالى آية تدل على مذهبكم. فبرك جنيد على رجليه، **وقال**: بلى قال الله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ الآية وقال أبو العباس بن عطاء في كتاب الله تعالى آية هي صفتهم يعرف معناها من تلاها وهي ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾[2] الآية. وسئل أبو عبيد الله عن المراد والمريد فقال المريد الذي سأل ربه فقال اشرح لي صدري ويسرّ لي أمري، والمراد الذي قيل له ألم نشرح لك صدرك إلى آخرها. وقيل ما حقيقة الفقر؟ قال أن لا ترى مع الله في الدارين غيره.

● حقيقةُ الذكر

هي أن يكون القلب فارغاً إلا منه. قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾[3] أي بذكر موسى من غير قصد منها إلى ذكره.

---

(١) **القرآن الكريم**: آل عمران/ ٣١.　(٢) **القرآن الكريم**: التوبة/ ٢٥.

- **مدح الله تعالى باللسان**

قال الله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾[1] و ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[2] **وقيل**: أوجب الله الذكر في الصلاة في كثير من المواضع. **وقيل**: ما سمع ﷺ أحداً ذكر الله إلا جاذبه الحمد. **وقال معاذ**: لا يتحسر أهل الجنة على شيء كتحسرهم على وقت مرّ عليهم ولم يذكروا الله تعالى فيه.

- **ذمُّ ذكرِ الله تعالى باللّسانِ وتذكرُهُ عن النسيانِ**

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[4] **قيل**: السكران المذموم ههنا مَن تعرّى أجزاء صلاته عن الحضور.

- **التحذير من الكلام فيما يؤثم**

سمع حكيم رجلاً يفحش **فقال**: يا هذا إنك تملي على حافظيك كتاباً إلى ربك. **وقال**: عمر رضي الله عنه: من علم أن الكلام عمل أمسك. **وقال الجنيد**: الرحمة تنزل على العارف في ثلاثة مواضع: **عند الأكل**، فإنه لا يأكل إلا عن جوع **وعند الكلام**، فإنه لا يتكلم إلا عن ضرورة. **وعند السماع** فإنه لا يسمع إلا من الله. ورأى إبراهيم بن أدهم رجلاً يحدث بما لا يعنيه فوقف عليه، **وقال**: أكلاماً ترجو منه الثواب، **قال**: لا، **قال**: أفتأمن عليه العقاب، **قال**: لا، **قال**: فعليك بذكر الله ما تصنع بكلام لا ترجو منه ثواباً ولا تخاف عقاباً.

- **ذمُّ مَنْ خلا قلبُه مِن حَلاوةِ الوحدانيةِ**

قيل: أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء أما يستحي من يدّعي حبي وقلبه مملوء من غيري هذا علامة الخدام. **قيل**: وكان في بني إسرائيل حبر **فقال في دعائه**: يا ربّ كم أعصيك وأنت لا تعاقبني فأوحى الله تعالى إلى نبيّ ذلك الزمان: قُلْ لعبدي كم أعاقبك ولا تدري، أسلبك حلاوة مناجاتي. **وسئل الشبلي عن قول النبي**: إذا رأيتم أهل البلاء فسلوا ربكم العافية من هم؟ **قال**: هم أهل الغفلة عن الله. **وقيل**: من لم يرتدع بأمر الله وذكر الموت ثم تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع.

- **قلّة المبالاة بما يفوت من عَرَضِ الدنيا**

قال الله تعالى: و ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾[5] الآية. **وقيل**: حق المؤمن أن لا يتحاشى ما به نجاة نفسه ألا ترى إلى السحرة لما آمنوا وهددهم فرعون، **قالوا**: اقض ما أنت قاض.

---

(١) القرآن الكريم: الزمر/ ٢٩. (٣) القرآن الكريم: الأحزاب/ ٣٣. (٥) القرآن الكريم: النساء/ ٤٣.
(٢) القرآن الكريم: الأحزاب/ ٣٥. (٤) القرآن الكريم: الماعون/ ٤. (٦) القرآن الكريم: التوبة/ ٢٤.

- **الحثُّ على اعتبارِ الله دونَ غيرِهِ**

قيل للشعبي: أوصني **فقال**: قل الله، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون. **وقال أبو جعفر الجوهري**: سمعت زنجياً يقول: هذا قلبي فتّشوه فإن وجدتم فيه غير واحد فانبشوه، **وسئل عن قوله تعالى**: وإبراهيم الذي وفّى **قال**: الذي رضي بإسقاط الوسائط فإنه لما جعل في المنجنيق، **قال**: حسبي الله ونعم الوكيل، فلما صار في الجوّ أتاه جبريل عليه السلام فقال: ألك حاجة؟ **قال**: أمّا إليك فلا.

وكتب الجنيد إلى علي بن سهل: سل محمد بن يوسف ما الغالب عليك؟ **فقال**: والله غالب على أمره. **وقيل للشبلي**: أنظر في الفقه لتفتي، **فقال**: خاطر يحرك سرّي أحب إليّ من سبعين قضية قضاها شريح.

- **الأنسُ باللّهِ في الخَلْوةِ**

قال عمرو بن عثمان: من كان في خلوته عينا الله على نفسه كفاه الله هم أمره في علانيته. **وقال بنان الحمال**: دخلت بادية فاستوحشت فهتف بي هاتف نقضت العهد أليس حبيبك معك. **وقيل**: من أنس بغير الله في الخلوة فهو أبداً في وحشة.

- **تعظيمُ الله تَعالى**

سمع الشبلي رجلاً يكثر عند ذكر الله من قوله تعالى عزّ وجل، **فقال**: أحب أن تجلّه عن هذا فإنه أجل من أن يجل. **وقيل للجنيد**: تقول الله ولا تقول لا إله إلا الله، فقال أخاف أن يدركني الحقّ في قولي لا وهو شأن الجحود. **وقال عبد الله بن سهل**: إن الله يطلع على القلوب فأيّ قلب رأى فيه غيره سلّط عليه العدو.

- **مراعاةُ الله في الشّدةِ والرَّخاءِ**

دخل حميد الطويل على سليمان بن علي والي البصرة **فقال له**: عِظْني، **فقال حميد**: لئن كنت حين عصيت ربك ظننت أنه يراك فقد اجترأت على الله ولئن كنت ظننت أنه لا يراك فقد كفرت. **وقال عمرو بن عثمان**: قال عيسى: يا رب من أشرف الناس قال من إذا خلا علم أني ثانيه فأجلّ قدري عن أن يشهدني معاصيه. **وقال رجل للحسين بن علي**: من أشرف الناس؟ قال: من اتعظ قبل أن يوعظ واستيقظ قبل أن يوقظ، **فقال**: أشهد أن هذا هو السعيد. وسارّ سليمانُ عمر بن عبد العزيز، **فقال**: هل يرانا من أحد **فقال**: نعم عين لا تحتاج إلى تحديق وترميق. ومرّ عمر رضي الله عنه بمملوك يرعى غنماً **فقال**: أتبيعني منها شاة؟ قال ليست لي، **قال**: فأين العلل؟ قال فأين الله؟ فاشتراه عمر وأعتقه، **فقال المملوك**: اللهم قد رزقتني العتق الأصغر فارزقني العتق الأكبر، أعوذ بك من قلب غائب عنك.

وقال السري السقطي: بتصحيح الضمائر تغتفر الكبائر. **وقال النبي ﷺ**: تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، أي تعرف إليه في الرخاء بالشكر وذكر الآلاء يعرفك في الشدة بالعصمة.

● **الحثُّ على مُراعاةِ ما فيه رِضا الله دونَ المخلوقين**

قال النبي ﷺ: من طلب رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن طلب رضا الناس بسخط الله وكله إلى الناس. **وقيل**: من خاف الله تعال أجلّ ومن خاف الناس ذلّ، **وقال سهل بن عبد الله**: أعجز الناس من خشي ما لا يضره ولا ينفعه والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[1] **وقيل**: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء. **قال الشبلي**: ولذلك دليل، خاف يعقوب على يوسف الذئب فمحن بما محن ولو خاف الله تعالى لمنع كيد الأخوة. **وقال محمد بن السماك**: إن قدرت أن لا تكون لغير الله عبداً ما وجدت للعبودية بدأ فافعل، **وقيل**: ما أوطأ راحة الواثق بالله وآنس المطيع لله.

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: عليك بما يبقى لك عند الله فإنه لا يبقى لك ما عند الناس، فبلغ ذلك الزهري **فقال**: لقد وعظه بالتوراة والإنجيل والفرقان. **وقال أمير المؤمنين**: من حاول دفع أمر بمعصية كان ذلك أبعد لما رجا وأقرب لمجيء ما اتقى. **وقال بندار بن الحسين الصوفي**: من أقبل على الدنيا أحرقته بنارها وصار رماداً لا ينتفع به، ومن أقبل على الآخرة أحرقته بنورها وصار سبيكة ذهب ينتفع بها، ومن أقبل على الله تعالى أحرقه التوحيد وصار جوهرة لا قيمة لها.

● **الحثُّ على إصلاحِ الضّمير**

قال سفيان بن عيينة: لو لم ينزل الله تعالى علينا إلا قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[2] لكان قد أعذر. **وقال ذو النون**: إذا فسدت النية وقعت البلية. **وقال أبو سعيد الجزار**: دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً عليه خرقتان فقلت في نفسي هذا وأمثاله كلّ على الناس فناداني: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[3]، فاستغفرت الله تعالى في نفسي، فناداني: و ﴿هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[4]، وغاب عني. وسئل ذو النون عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾[5] **فقال**: القرية قلب المؤمن والملك المعرفة فإذا سكنت المعرفة القلب طردت ما فيه غير ذكر الله. **وقال أبو علي السنوي**: بلغني يا رسول الله إنك قلت شيبتني هود فما الذي شيبك منها، **قال**: قوله تعالى ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[6]

● **العفوَ عن حديثِ النّفسِ**

قال النبي ﷺ: عفى عن أمتي الخطأ والنسيان. **وقال**: إن العبد إذا هم بمعصية لم تكتب عليه وسئل سفيان عن الهم هل يؤخذ به العبد، **قال**: نعم، إذا كان عزماً قال الله تعالى وهموا بما لم ينالوا.

---

(١) القرآن الكريم: المائدة/ ٣. (٣) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣٥. (٥) القرآن الكريم: النمل/ ٣٤.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣٥. (٤) القرآن الكريم: التوبة/ ١٠٤. (٦) القرآن الكريم: يونس/ ١٠٤.

- **الحثُ على تَقوى الله وطِيبُ عيشِ فاعِلها**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾[1] الآية. **وقال النبي ﷺ**: من سرّه أن يكون أكرم الناس فليتق الله، ومن سرّه أن يكون أقواهم فليتوكل على الله، ومن سرّه أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه. **وقال**: من أراد عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، وغنى بلا مال فليخرج من ذل معصية الله تعالى إلى عز طاعته. **وقال جعفر بن محمد**: اتقِ الله بعض التقوى وإن قل، واجعل بينك وبين الله ستراً وإن رقّ.

وقال بزرجمهر: من قوي فليقو على طاعة الله ومن ضعف فليضعف عن معصية الله. **وقال ابن المقفع**: ليحرص البلغاء أن يزيدوا على هذه الكلمة حرفاً. **وقال عبد الملك لبنيه في مرضه**: أوصيكم بتقوى الله فإنها أزين حلة وأحصن كهف، **فقال مسلمة**: وأقرب إلى الصواب وأنفع في المآب، فقال عبد الملك: هاتان لا الأوليان.

- **الحثُ على الإشتِغالِ باللهِ عَنِ النَّفسِ**

قيل لداوود الطائي: لو سرحت لحيتك، **قال**: إن الرجل إذا اشتغل بنفسه نسي الله وإذا اشتغل بالله نسي نفسه. وقيل لقي داود محمد بن واسع فقال: يا أخي مالي لا أراك؟ **قال**: لأني انقطعت إليه، **فقال**: الشأن في أن يقبلك فغشي عليه. **وقال الهيثم الهاشمي**: ذكر في مجلس أبي عبد الله بن خفيف أن جنيداً **قال**: لا تصحب من تحتاج أن تكتمه ما يعرف الله منك، **فقال**: أبو عبد الله أراد جنيد أن يشغل الخلق عن الخلق بالله. **وقال الجنيد**: من ذكر الله نسي نفسه ومن ذكر نفسه ذكر الخلق ومن ذكر الخلق فقد هلك. **وقال الشبلي**:

يا منيةَ المتمنّي شغلتَني بكَ عنّي
عجبتُ منك ومنّي

ونحو ذلك قيل لأبي يزيد البسطامي أين أبو يزيد؟ **فقال**: أنا في طلب أبي يزيد منذ عشرين سنة. **وقال رجل لأبي الربيع**: أوصني، **فقال**: إن الله لا يشغله عنك شيء فإن استطعت أن لا يشغلك عنه شيء فافعل.

- **الحثُ على الاهتمامِ بأمرِ الآخرةِ دُونَ الدُّنيا**

قال ابن عباس: ما انتفعت بشيء بعده ﷺ كانتفاعي بما كتب إلى أمير المؤمنين: أما بعد فإن المرء يسرّه درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وأسفك على ما فاتك منها، وليكن همّك فيما بعد الموت والسلام.

وقيل: من كان بالآخرة اشتغاله حسنت في الدنيا حاله. **وقال زيد بن علي بن**

---

(١) القرآن الكريم: يوسف/ ٩٠.

الحسين رضي الله تعالى عنهم: أطلب ما يعنيك ودع ما لا يعنيك. ففي تركه درك ما يعنيك فإنما تقدم على ما قدمت ولا تقدم على ما أخرت، فآثر ما تلقاه غداً على ما لا تلقاه أبداً. **وقيل**: الدنيا والآخرة في قلب المؤمن ككفتي الميزان إذا رجحت هذه خفت هذه. **وقال يحيى بن معاذ**: الناس ثلاثة، رجل يشغله معاده عن معاشه وتلك درجة العابدين ورجل يشغله معاشه عن معاده وتلك درجة الهالكين ومشتغل بهما وهي درجة المخاطرين. **وقيل** لعبد الله بن إبراهيم من أسخى الناس، **فقال**: من بذل دنياه في صلاح دينه. **وقال ﷺ**: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني. **وقال رجل**: من جعل همه في الله هماً واحداً جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً وجعل الغنى في قلبه وأتته الدنيا راغمة ومن شتت عليه همه شتت الله عليه ضيعته وجعل الفقر بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له ثم لا يبالي في أي واد هلك.

● الحثُ على مُراعاةِ الدين والدّنيا ومَدْحُ فاعلِ ذلِك

قال النبي ﷺ: ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا من ترك آخرته لدنياه، ولكن من أخذ منهما جميعاً. وكان محمد بن علي يقول: اللهم أعني على الدنيا بالغنى وعلى الآخرة بالتقوى. **وقال بعض العلماء**: لست آمركم بترك الدنيا فترك الدنيا فضيلة وترك الذنب فريضة وأنت إلى إقامة الفرائض أحوج منك إلى اكتساب الفضائل. وقيل لعمر بن عبد العزيز: لِمَ لا تنام، **قال**: إن نمت بالليل أضعت نفسي وإن نمت بالنهار أضعت الرعية. **وقالت امرأة**:

وللهِ منّي جانبٌ لا أضيعُه ... ولِلّهوِ منّي والخلاعةِ جانِبُ

وقال ابن أبي حفصة لعمارة أنشدت المأمون قولي:

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلاً ... بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

فلم يهتم لذلك، فقال عمارة: ما زدت على أن صيرته عجوزاً معتكفة في محرابها، فمن لأمور المسلمين **هلاّ قلت كجرير**:

فلا هو في الدنيا مضيِّع نصيبَه ... ولا عَرَضُ الدنيا عن الدينِ شاغلُه

● احتمالُ المضرةِ في العاجلِ رجاءَ المسرّةِ في الآجِلِ

قال ﷺ: لن تنالوا ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون ولا تبلغون ما تهوون إلا بترك ما تشتهون. **وقال عليه الصلاة والسلام**: حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، احتمل مضرّة يومك لمسرّة غدك، العاقل يحتمل الضر في دار الفناء إيقاناً بالنفع في دار البقاء. ولما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنأ بطعام ولا شراب، **فقالت له أمه**: أرفق بنفسك، **فقال**: الرفق أطلب لها.

● **الحَثُّ على حِفْظِ النّفْسِ من النّار**

نظر أبو هريرة إلى رجل وضيء **فقال**: إني أرى لك قدمين لطيفتين فابتغ لهما موقفاً صالحاً يوم القيامة. **وقال رجل لحكيم** أوصني، **فقال**: إن استطعت أن لا تسيء إلى من تحب فافعل، **فقال**: وهل يسيء المرء إلى من يحب، **قال**: نعم. نفسك إن عصيت الله. **وقيل**: المغبون من رأى الدنيا بحذافيرها لبدنه ثمناً. **وقيل**: كل قتيل يودي إلا قتيل نفسه.

● **النّهيُ عن التّهافُتِ في العِبادَةِ**

قال ﷺ: إن الدين متين فأوغلوا فيه برفق، فإن المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. **وقال ابن مسعود رضي الله عنه**: استبق نفسك ولا تكرهها فإنّك إن أكرهت القلب على شيء عمي. وقال ﷺ: إن الله بعثني بالحنيفية السمحة ولم يبعثني بالرهبانية، فمن رغب عن سنتي فليس منّي. **وقال المرعشي**: من شغله الفرض عن الفضل فهو معذور، ومن شغله الفضل عن الفرض فمغرور.

● **التّوْبة**

قيل: التوبة النصوح ترك ما تنكره السنة في الظاهر والباطن. **وقال أمير المؤمنين**: التوبة على **أربعة دعائم**، استغفار باللسان ونية بالقلب وترك بالجوارح وإضمار أن لا يعود وسئل السوسني عنها، فقال: الرجوع عن كل ما ذمه العلم إلى ما مدحه. **وقيل**: هي الإعتراف والندم والإقلاع. **وقال عليه الصلاة والسلام**: من تاب قبل موته بفواق ناقة حرم الله وجهه على النار.

● **الحثُّ على المُبادَرةِ إليها**

قيل في قوله تعالى: بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئة، هو من مات على المعصية من غير توبة، **وقال مجاهد**: التوقف حسن إلا في التوبة. **وقيل لرجل**: أوص فقال: أحذركم سوف. قال شاعر:

والمرء مرتهن بسوف وليتني ... وهلاكه في سوفه والليتِ

وقال ﷺ: إياكم ولو، فإن لو من أقوال المنافقين. **وقيل**: من وجد في قلبه التخويف فلا يطلبن لنفسه التسويف. وقيل في قوله تعالى: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾[1] أي يقول غداً أتوب وقال أبو حازم: نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب ولا نتوب حتى نموت. قال شاعر

أسوّفُ توبَتي خمسينَ عاماً ... وظنّي أن مِثْلي لا يَتوبُ

وقال:

متى يفلحُ من قد عا ... شَ خمسين وما أفلح

---

(١) القرآن الكريم: القيامة/ ٥.

وقال عمر بن عبيد الله لرجل: عظني، **فقال**: قد قطعت عامة سفرك فإن استطعت أن لا تضلّ في آخره فافعل. **وقال المؤلف وأنا أقول**: قد ضللت عامة سفري فإن لم يهدني الله فويل لي. ختم الله لي بخير ولمن كتب، وقرأ. **وقال مصعب بن الزبير**: إدفع سطوة الله بسرعة النزوع وحسن الرجوع ويوشك أن المنايا تسبق الوصايا.

● الحثُّ على الاستغفارِ واختلاط سيّءِ الأفعال بالحَسَنِ

قال ﷺ: ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم خمسين مرة. **وقال بعضهم**: حق على المؤمن أن يقتدي بأبويه في قولهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[1] الآية، وبما **قال نوح عليه السلام**: وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين. وقوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾[2] الآية. **وقال أمير المؤمنين**: العجب لمن يقنط ومعه النجاة الإستغفار. **وقيل**: لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الإستغفار. **وقال عمر رضي الله عنه**: لم أر أشد طلباً وأسرع دركاً من حسنة حديثة لذنب قديم. **وقيل** لرجل ألا تأتي إلى الحسن لتسمع منه؟ **فقال**: أنا مشغول بذنب أستغفر منه وبنعمة أشكر عليها فمتى أتفرغ لإتيانه. وسئل بعض المجان كيف أنت في دينك؟ **قال**: أخرقه بالمعاصي وأرقعه بالإستغفار. **وقال بزرجمهر**: أيها السلاطين لا بدّ لكم من المعاصي الكبار فافعلوا بإزائها طاعات عظيمة، أيها الأوساط يمكنكم الطاعات العظيمة كالمصالح التي لا يقدر عليها إلا السلطان فلا تركبوا المعاصي الكبيرة.

● النَّهيُ عن الإستغفارِ ما لَمْ يصاحبهُ الفِعْلُ

سمع مطرف رجلاً **يقول**: أستغفر الله وأتوب إليه فأخذ بذراعيه **وقال**: لعلك لا تفعل ومن وعد فقد أوجب. **وقال أبو عبد الرحمن** سمعني راهب أقول أستغفر الله فقال يا فتى سرعة اللسان بالإستغفار توبة الكذابين ويدل على ما قاله ﷺ: المستغفر باللسان المصر على الذنب كالمستهزىء بربه. **وقيل**: الإستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين، **وقال الربيع بن خيثم**: لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنباً جديداً إذا لم يفعل، ولكن **ليقل**: اللهم تب عليّ واغفر لي، فقيل لِمَ. فقال: انتهِ عما ينهاك عنه فإنّه يغفرلك.

● تحذير من دَنا أجَلُه وساء عَمَلُه

اجتمع فيلسوف الروم وحكيم الهند وبزرجمهر عند كسرى فتذاكروا في شر الأشياء. **فقال الرومي**: الهم يقترن به العدم **وقال الهندي**: سقم البدن ودوام الحزن. **وقال بزرجمهر**: دنو أجل وسوء عمل، فحكم له. ودعا بعض الصالحين، **فقال**: اللهم اجعل خير عملي ما ولي أجلي **وقال آخر** أعوذ بالله من وقوع المنية ولما أبلغ الأمنية، **وقال ابن أبي البغل**:

أستغفرُ الله من عمرٍ أضعتُ به ... حظّي من الذكرِ في قالٍ وفي قيلِ

---

(١) القرآن الكريم: الأعراف/ ٢٣.
(٢) القرآن الكريم: الأعراف/ ١٩٠.

أستغفرُ اللهَ ربَّ العرشِ من عمرٍ ... أضعتهُ في خساراتٍ وتضليلِ

- **الحثُّ على تجنُّب فعلٍ مذموم**

قال حكيم: الأيام صحائف آجالكم فأودعوها أجمل أفعالكم. **وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما** عجبت لمن يحتمي عن الطعام لمضرته ولا يحتمي عن الذنب لمعرته[1] **فأخذ ذلك محمود الوراق حيث يقول:**

عمرُكَ قد أفنيتَهُ تحتَمي ... فيهِ من الباردِ والحارِ

وكانَ أولى بكَ أن تحتَمي ... من المعاصِي خشيةَ النّارِ

وقال بعضهم: حضرت مجلس الشبلي فقام إليه رجل من أصحابه، **فقال له:** أوصني، **فقال له:** لقد أوصاك الشاعر بقوله:

قالوا توقَّ ديارَ الحيِّ إنَّ لهُم ... عيناً عليكَ إذا ما نِمتَ لم تَنَمِ

وقال يحيى بن معاذ: اجتناب السيئات أشد من اكتساب الحسنات.

- **النَّهيُ عن تضييعِ الوقتِ**

قال النبي ﷺ: إغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك. **وقال سفيان:** تذكر الماضي ورجاء الباقي ذهباً ببركة ساعاتك. **وقال عمر بن ذر:** الأيام إذا فكرت فيها ثلاثة، يوم مضى لا ترجوه ويوم أنت فيه ينبغي أن تغنمه ويوم في يدك أمله، فلا تغتر بالأمل فتخل بالعمل فإنما اليوم وأمس كأخوين نزل بك أحدهما فأسأت نزله وقراه فرحل عنك وهو ذام لك، ثم نزل بك أخوه **فقال:** إن أسأت إليّ كما أسأت إلى أخي فما أخلقك أن تعدم شهادتنا.

وسمع الحسن رجلاً **يقول:** اللهم اجعلنا منك على حذر، **فقال:** إنه فعل ذلك، أليس قد ستر عنك أجلك فلست من حياة ساعة على يقين.

- **عَتْبُ مَنْ يَتوبُ ثم يَعود**

قال شاعر:

كمْ قلتَ لستَ بعائدٍ في توبَة ... ونذرتَ فيها ثم صِرْتَ تعودُ

قال مالك بن دينار: دخلت على جار لي وهو مريض فقلت له عاهد الله أن تتوب فلعله أن يشفيك **فقال:** هيهات قد عاهدته فسمعت هاتفاً من جانب البيت قد عاهدناك مراراً فوجدناك كذوباً.

---

(١) معرته: معرّة الذنب.

● **حثّ الراجعِ عن التوبةِ إلى العودة**

جاء حبيب بن الحارث إلى النبي ﷺ **فقال**: إني مقارف للذنوب **فقال**: تب **فقال**: إني أتوب ثم أعود فقال: كلما أذنبت ذنباً فتب فعفو الله أكبر من ذنوبك. **وقال ﷺ**: إن الرجل ليذنب الذنب فيدخل به الجنة. **فقيل**: كيف يا رسول الله؟ **قال**: يكون نصب عينه خائفاً منه حتى يدخل الجنة.

● **قِلّةُ مَنْ لا ذَنْبَ له من المُكلَّفين**

قال الله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[1] وذكر يونس عليه السلام **فقال**: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾[2] الآية، وقصّ قصة داوود عليه السلام وقد عوتب محمد عليه الصلاة والسلام بعبس وتولى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا و لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾[3] الآية، **وقال**: في جميع الناس، ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة.

● **جوازُ إظهارِ الكفر تقيّةً**

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾[4] وكان عمار أظهر الرضا بفعل الكفار مع إنطواء قلبه على الإخلاص. **وقال ﷺ**: إن عادوا فعد وأتى مسيلمة برجلين فقال **لأحدهما**: تعلم أني رسول الله. **قال**: بل محمد رسول الله فقتله. **وقال للآخر فقال**: أنت ومحمد رسول الله فخلّى سبيله فبلغ ذلك رسول الله ﷺ **فقال**: أما الأوّل فمضى على عزمه ويقينه، وأما الآخر فأخذ برخصة الله فلا تبعة عليه، وكالمضاد له.

مَن راقبَ الناسَ في مذاهبِه — أصمّه ربُّه وأغماهُ

● **رجاء رحمة الله وغفرانه ومدح ذلك**

قال النبي ﷺ: ما أحبّ أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[5] **وقال**: إن الله تعالى **يقول**: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء. **وقال ابن عباس لابن عمر رضي الله عنهما**: أي آية أرجي؟ **فقال**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[6] الآية، **فقال**: إن هذه لمرجوة وأرجى منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[7] وقيل: أعظم من الذنب اليأس من الرحمة وأشد منه المماطلة بالتوبة. **وقال أعرابي لابن عباس** من يحاسب الخلق يوم القيامة؟ **قال**: يحاسبهم الله تعالى **قال**: نحونا ورب الكعبة فقال: كيف؟ قال إن الكريم إذا قدر غفر. ورؤي الشبلي

---

(١) **القرآن الكريم**: طه/ ١١٥.
(٢) **القرآن الكريم**: الأنبياء/ ٨٧.
(٣) **القرآن الكريم**: الأنفال/ ٦٨.
(٤) **القرآن الكريم**: النحل/ ١٠٦.
(٥) **القرآن الكريم**: الزمر/ ٥٣.
(٦) **القرآن الكريم**: النساء/ ٤٨.
(٧) **القرآن الكريم**: الرعد/ ٦.

في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فأنشد:

حاسبونا فدقّقوا ثم منّوا فأعتقوا

وسمع أعرابي ابن عباس يقرأ قول الله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾(1) قال: والله ما أنقذنا منها وهو يريد أن يلقينا فيها، فقال ابن عباس: خذوه من غير فقيه. ولقي يحيى عيسى عليهما السلام فعبس هذا وتبسم هذا، فقال: هذا لهذا مالك عابس كأنك قانط، وقال: هذا لهذا مالك ضاحك كأنك آمن، فأوحى الله تعالى إليهما: أن أحبكما إليّ أحسنكما ظناً بي. وقيل لرجل: كم تكون تاركاً للتوبة؟ فقال: رأيت الله تعالى وصف قوماً فقال: وآخرون اعترفوا بذنوبهم إليّ عسى الله أن يتوب عليهم، وعسى من الله واجب. فقيل له: قد قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾(2) الآية وقال عمر بن عبد العزيز لعمر بن علقمة: أخاف عليك النار، فقال: لكني لا أخافها قال لِمَ، قال لأن الله تعالى يقول: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾(3)، وأنا صدقت وأقبلت.

وقال أبو نواس:

يا كثيرَ الذنب عفـ ـوُ الله من ذنبِك أكبر

وقال بعضهم: يا رب حجّتي حاجتي ووسيلتي فاقتي.

● الحثُّ على الجَمعِ بينَ الرَّجاءِ والخَوف

قال الله تعالى في صفة المؤمنين: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾(4) وقال أمير المؤمنين: خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيت بحسنات أهل الأرض لم تقبل منك، وأرجه رجاء ترى أنك لو أتيت بسيئات أهل الأرض غفرها لك. وقيل: أرج إذا خفت وخف إذا رجوت؛ وكن كالمرأة الحامل ليس رجاؤها أن تلد ولداً ذكراً بأكثر من خوفها أن تلد أنثى. وقال بعض الصالحين: لو أنزل الله كتاباً إني معذب رجلاً واحداً لخفت أن أكون، أو أنه راحم رجلاً واحداً رجوت أن أكونه ولو أنزل الله أنه معذبي ما ازددت إلا اجتهاداً لئلا أعود على نفسي بلائمة. وقال رجل لابنه: خف الله خوفاً لا يمنعك من الرجا، وأرجه رجاء لا يمنعك من الخوف، فالمؤمن له قلبان يرجوه أحدهما ويخافه الآخر، وقال:

أنا بينَ الرجاءِ والخوفِ منه واقفٌ بينَ وَعْدِهِ والوَعيدِ

وقال أبو نواس:

لا تحظَرِ العفوَ أن كنت أمرءاً حرجاً فإن حظرَكَهُ بالدِّين إزراءُ

---

(1) القرآن الكريم: آل عمران/١٠٣.
(2) القرآن الكريم: الزلزلة/٧.
(3) القرآن الكريم: الليل/١٦.
(4) القرآن الكريم: الإسراء/٥٧.

- **ذمّ مِنْ يرجو الغُفرَان مِنْ غيرِ تركِ ذَنْبِ**

قال سعيد بن جبير: من الاغترار بالله المقام على الذنب ورجاء الغفران. **وقال** سليمان بن علي لعمرو بن عبيد: أخبرني عن هذا المال، **فقال**: إن أخذ من حله فوضع في حقه سلمت **فقال**: أنا أحسن ظناً بالله، **قال**: ما كان أحد أحسن ظناً بالله من رسول الله ﷺ فما أخذ درهماً إلا من حلّه ولا وضعه إلا في حقه.

وقيل في قوله تعالى بل يريد كل امرىء منه أن يؤتى صحفاً منشرة. **قال**: يراه من الله من غير عمل يقدمه. ولقي زاهد أخاً له **فقال**: أتاك اليقين أنك وارد جهنم، **قال**: نعم، **قال**: فهل أتاك اليقين بالصدر؟ **قال**: لا، **قال**: فما الانتظار والتناعس. **وقال الثوري**: قطع أطماع العباد آيتان: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾[1] وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[2] الآية، **وقال محمود الوراق**:

يا ناظراً يرنو بعينَي راقدِ ومُشاهداً للأمرِ غيرِ مشاهدِ
تصلُ الذنوبَ إلى الذنوبِ وترتجي درك الجنانِ بها وفوزَ العابدِ
ونسيتَ أن الله أخرج آدماً منها إلى الدنيا بذنب واحدِ

- **تكذيبُ مَنْ ادّعى حُسنَ ظنّه بربّهِ وفِعْلُهُ مُنافٍ لذلكَ**

قال الحسن: إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة. **يقول**: إني أحسن الظن بربي وكذب لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل ثم تلا ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3] **وقال جعفر**: رأيت ميسرة العابد وقد بدت أضلاعه من الاجتهاد **فقلت له**: إن رحمة الله قريب قال نعم من المحسنين.

- **ذمّ متمنٍّ غيرِ عاملٍ**

قيل: إذا أبغض الله عبداً أعطاه ثلاثاً يحبب إليه الصالحين ويمنعه القبول منهم ويحبب إليه الأعمال ويمنعه الإخلاص فيها ويجري الحكمة على لسانه ويمنعه الصدق بها. **وكتب أبو عمير إلى صديق له**: أما بعد فإنك تتمنى على الله بسوء فعلك إنما تضرب في حديد بارد.

- **التّحذير من الاغترارِ باللّهِ تعالى في تأْخيرِ العُقوبةِ**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾[4] **وقال ابن السماك**: إن الله أمهلهم حتى كأنما أهملهم ولقد ستر حتى كأنه غفر، وخطب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

---

(١) **القرآن الكريم**: الزمر/ ٤٤.
(٢) **القرآن الكريم**: البقرة/ ٢٥٥.
(٣) **القرآن الكريم**: فصلت/ ٢٣.
(٤) **القرآن الكريم**: آل عمران/ ١٧٨.

فقال: لا يغرنكم الإملاء فإن الإملاء من الإستدراج، والله تعالى يقول: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[1] وكتب أيضاً إلى عامل له لا تغتر بتأخير العقوبة من الله فإنما يعجل خائف الفوت.

- **عَتبُ طالبِ الرّخَصِ**

قال الأصمعي: من التمس الرخص من الإخوان عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة تاه وازداد سقماً واحتمل وزراً. **وقيل**: إذا رأيت الزاهد يتروح إلى طلب الرخص فاعلم أنه قد بدا له في الزهد.

- **تفضيلُ المُذنبِ الخائفِ على الورع المُعجبِ**

الورع الوقوف مع الشرع. **وقال بعضهم**: الورع ترك ما حاك في صدرك. **وقال بعض الصالحين**: ضحك العبد وهو مشفق من ذنبه خير من بكائه وهو مدل بربه.

وقال أبو سليمان الداراني: ما عمل داوود عملاً خيراً من خطيئته ما زال خائفاً منها حتى لحق بربه، **وقال مطرف**: لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً خير من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً. **وقال القاسم بن محمد الصوفي**: إذا كان الرجل لجوجاً معجباً برأيه ممارياً فقد استكمل الخسارة.

وقال رجل ليحيى بن معاذ: متى أتهم قلبي؟ قال إذا فارقه الخوف. **وقال الخلدي**: سألت الجنيد عن الظرف، **فقال**: أن تعمل لله ولا ترى أنك عملت.

وقالت عاجلة في قوله تعالى: ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[2] يخاف أن لا يقبل منهم. **وقال الحسين الحلاج**: من نظر إلى العمل حجب عمن عمل له ومن نظر إلى من عمل له حجب عن رؤية العمل.

- **التّوَقّي من الصّغائِر**

قال علي كرم الله تعالى وجهه: إياكم ومحقرات الذنوب فإن الصغير منها يدعو إلى الكبير. **وقيل**: من العود إلى العود ثقلت ظهور الحطابين ومن الهفوة إلى الهفوة كثرت ذنوب الخطائين. **وقال بعض الأسديين**:

ألا من لنفسٍ بالذنوب رهينةٍ قليلٌ على مسّ العذابِ اصطبارُها
كفى سقماً بالمرء يا أم عاصم ركوب المعاصي عامداً واحتقارها

وسقط من يد بعض الصالحين دينار فوجده في الحال، فلم يأخذه، **وقال** لعله غير ديناري. وكان عمر أتي بالعشاء فأطفأ السراج، **وقال**: لا آكل على سراج العامة.

---

(١) القرآن الكريم: الأعراف/١٨٢، ١٨٣.

(٢) القرآن الكريم: المؤمنون/٦٠.

- **المُتبيِّنُ فيهِ مَخافةُ الله تَعالى**

قيل: ما رؤي النبي ﷺ ضاحكاً بعد نزول قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾[1] **وقال رجل ليونس بن عبيد**: صف لي الحسن. **قال**: إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حبيبه، وإذا جلس فكأنما أمر بضرب عنقه وإذا ذكرت النار فكأنما خلقت له.

ووصف ابن عباس أبا بكر رضي الله عنهم **فقال**: كان كالطائر الحذر له في كل وجه جسد، وكان يعمل لكل يوم بما فيه وكان محمد بن المنكدر لا يرى إلا كئيباً، فقيل له في ذلك، **فقال**: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[2] **وقال الفضيل** من علامة الشقاء جمود العين وقساوة القلب وطول الأمل. **وكان يقول**: حقيق على من كان الموت موعده والقيامة مورده والوقوف والحساب مشهده أن يطول حزنه وبكاؤه. قال مالك بن دينار في التوراة إن الرجل إذا استكمل النفاق ملك عينيه.

- **المُستكبِرُ ذَنبَ نَفسِه والمُتندِّمُ لفِعلِه**

قال بعض الصالحين: كم لي من ذنب لو عرف به الصديق لمقتني ولو عرف به العدوّ لهتكني وقال مطرف: ما نزل بلاء فاستعظمته إلا ذكرت ذنوبي فأستصغره. قيل لحكيم كيف أصبحت؟ **قال**: آكل رزق ربي مطيعاً عدوه. وقيل لحسان بن سنان كيف أصبحت؟ **قال**: أصبحت قريباً أجلي بعيداً أملي سيئاً عملي. **وقال أبو العتاهية**:

يظنُّ الناسُ بي خيراً وإني ... لشرُّ الناسِ إنْ لم تعفُ عني

وقال أبو محمد الخازن:

بنعمةِ الله وفي دارهِ ... عصيتُهُ جهلاً وسوءَ اختيارِ
إن لم يغشني عفوُهُ عاجلاً ... فإنني والله في النار جارِ

- **المُمتنِعُ من تناول المشتهيات والمباحات**

عاد مالك بن دينار جاراً له **فقال له**: أتشتهي شيئاً **فقال**: نفسي تنازعني منذ أربعين سنة رغيفاً أبيض ولبناً في زجاج فأتاه بهما فجعل ينظر إليهما **ويقول**: دافعت شهوتي عمري حتى لم يبق إلا مثل ظمأ الحمار، ومات بشهوته.

- **الحثُّ على عِبادةِ الله تعالى لا طلباً لثوابِهِ ولا مَخافَةً مِنْ عِقابِه**

قال النباجي: لو لم يكن لله ثواب يرجى ولا عقاب يخشى لكان أهلاً أن لا يعصى ويذكر فلا ينسى بلا رغبة في ثواب ولا رهبة من عقاب لكن لحبه وهو أعلى الدرجات، أما

---

(١) **القرآن الكريم**: النجم/٦٠.

(٢) **القرآن الكريم**: الزمر/٤٧.

تسمع قول موسى عليه السلام: وعجلت إليك ربّ لترضى. وإن من عمل لحبه أشرف ممن عمل لخوفه.

وقال حكيم: إني لأستحي من ربي أن أعبده رجاء الجنة فأكون كالأجير أو خوف النار فأكون كعبد السوء إن خاف عمل وإن لم يخف لم يعمل، لكن يستخرج مني حب ربّي ما لا يستخرجه غيره.

قال أبو يزيد البسطامي: الظالم الذي يعبده على العادة والمقتصد للرغبة والرهبة والسابق للمحبة. **وقال الشبلي**: من عبده رجاء الجنة فهو عبدها أو خوف النار فهو عبدها، لأن من خاف شيئاً أو رجاه فهو معبوده. **وقال بعضهم**: من عبده الله بعوض فهو لئيم. وقال علي بن الموفق: اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفاً من نارك فاحرقني أو طمعاً في جنتك فاحرمنيها، وإن كنت تعلم أني أعبدك حباً لك وشوقاً إلى لقائك فأبحنه.

وقال بعض الصوفية: حقيقة المحبة أن لا يزيدها البر ولا ينقصها الجفاء. وقيل لرابعة مالك لا تسألين الله الجنة في دعائك فقالت: الجار ثم الدار.

وقال سهل بن عبد الله وتلا ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾[1] لو علموا عمن شغلوا ما اشتغلوا به. **وقيل**: في قوله ﷺ أكثر أهل الجنة البله قال: لأنهم في شغل فاكهون شغلهم النعيم عن المنعم ومن رضي بالجنة عن الله فهو أبله. **وقال البوشنجي**: الدنيا سجن المؤمن والجنة سجن العارف.

● فضيلةُ من كان في كَلاءةِ الله تعالى وحُفظِه

قال ممشاد الدينوري: من كان مع الله فقد هلك وإنما نجا من كان الله معه. **وقال رجل للشبلي**: متى يقرب العبد من ربه، فزعق ثم أنشد:

مَـنْ لَـمْ يـكُـنْ لـلـوصـالِ أهـلاً فـكـلُّ إحـسـانِـه ذنـوبُ

وقيل: أجلّ ما ينزل من السماء التوفيق وأجلّ ما يصعد من الأرض الإخلاص.

● في ذمّ عالم غيرِ عاملٍ

قال أبو الدرداء: إن أخْوَفَ ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي قد علمت فما عملت فيما علمت. **وقيل**: ويل للذي لا يعلم مرة وويل للذي يعلم سبع مرات. **وقال محمد بن واسع**: إنّ قوماً يشرفون على قوم يوم القيامة فيقولون قد نجونا بما أخذنا منك، فما لكم في العذاب فيقولون كنا نعلم ولا نعمل.

● قِلّةُ اليقينِ في الناسِ

قال الشعبي: لم يقسم الله بين الناس أقل من اليقين، **وقال بعض أصحابنا**: من الدلالة

---

(١) القرآن الكريم: يس/٥٥.

على قلة اليقين إنك تخيّر يوماً عن خير الدنيا بالسّيئة طمعاً في الربح طفيف ربح مع ما فيه من الخطر وتأبى أن تقرض الله درهماً بثمانمائة مع زعمك وقولك إنّ مستقرضه مليّ وفيّ.

● ترغيبُ اللّهِ تعالى عبادَهُ في جنّتِهِ

قال الحسن: إن الله دعا كل قوم إلى الجنة، **فقال للعرب** يشوّقهم ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً لما كان أحب لأشياء إليهم ذلك، **وقال للفرس** يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيه حرير لما كان أحب الأشياء إليهم ذلك. **وقيل**: إنما ذكر الله تعالى درجة الخائفين ولم يذكر درجة المحبين، لأن القلوب لا تحتمل ذلك، كما أمسك عن ثواب النبيين وأظهر ثواب المتقين، **فقال في النبيين** ﴿واذكر عبدنا داوود. .﴾[1] الآية وأظهر ثواب المتقين فقال وإن للمتقين لحسن مآب. ومثال ذلك إن الشيء إذا عظم ثوابه لم يذكر مفصلاً كصوم رمضان والزكاة. **وقال**: فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين. **وقال**: ولدينا مزيد. **وقال النبي** ﷺ: فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وذكر الثواب في إماطة الأذى عن الطريق وعيادة المرضى ونحو ذلك.

● فضيلةُ العِبادَة مع العِلْم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[2] وقال النبي ﷺ: فقيه واحد أشد على إبليس من ألف عابد. وقال الحسن: أدركت قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون من عمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه.

● ذمّ الوَرَع مَعَ الجَهْلِ

روي عن أمير المؤمنين أنه **قال**: قصم ظهري رجلان، جاهل متنسك وعالم متهتك. وروي عن الحسن: قصم ظهري عالم لا زهد معه وزاهد لا علم معه، هذا يدعو إلى جهله بزهده وهذا ينفر عن علمه بحرصه. **وقال النبي** ﷺ: يكون في آخر الزمان قراء فسقة وعباد جهلة، وركعة من عالم أفضل من سبعين ركعةً من عابد لا علم معه وكان لأبي سعيد الخراز ابن فمات فرآه في المنام، **فقال**: يا ولدي أوصني، **فقال**: يا أبت لا تعامل الله على الحمق، فقيل لإبراهيم، **فقال**: نعم لأنه لم يلبس القميص ثلاثين سنة. **وقيل لأنوشروان**: أي الناس أولاهم بالسعادة؟ **فقال**: أقلهم ذنوباً، **قيل**: ومن أقلهم ذنوباً؟ **قال**: أكملهم عقلاً.

● ذمُّ متحامقٍ رقيعٍ في وَرَعِهِ

حلق صوفيّ لحيته **وقال**: إنها نبتت على المعصية. ولطّخ رقيع شاربه بالعذرة فقيل له في ذلك، **فقال**: أردت التواضع لله. وأذّن مؤذن **فقال**: أشهد أن أبا القاسم رسول الله، **وقال النبي**: عندنا أعظم من أن نسميه ولا نكنيه. ورأى ابن أبي ليلى رجلاً قد أخذ رمانة

---

(١) القرآن الكريم: ص/١٧.

(٢) القرآن الكريم: فاطر/٢٨.

من حمال وأعطاها مريضاً، **وقال**: إن سيئة بسيئة وحسنة بعشرة فقد ربحت تسعة.

وكان رجل يحج عن حمزة بن عبد المطلب ويقول: قتل قبل فرض الحج. وآخر يضحي عن أبي بكر وعمر **ويقول**: أخطآ السنة في الأضحية. وكان أبو شعيب العلائي لا يصلي ولا يصوم ويقول من أنا حتى أصلي وأصوم، إنما يفعل ذلك الكبراء الذين أريد منهم التواضع.

وفضل اللخمي قبر إحدى عينيه، **وقال**: النظر بهما إسراف. **وقال بعضهم**: صحبني رجل في طريق يدعي أنه بلغ في التصوف منزلة الرضا، فجاءني يوماً فقال إن فلاناً دب عليّ البارحة فما قلت شيئاً حتى فرغ وكرهت أن أخرج من منزلة الرضا فقلت هذا رضا مأبون أحمق.

وقال بعضهم: مررت برجل في يده سبحة أطول من باع وهو يقف في كل حبة مقدار عشر آيات فقلت له: ما تقول؟ **قال**: أقول أيري في حر أم المعتزلة سبع مرات، وأيري في إست القدرية عشر مرات، **فقلت**: لِمَ زدت هؤلاء، **قال**: لأنهم خرجوا على أمير المؤمنين الحجاج بن مروان.

● ذمُّ مبالغ في نُسكِهِ إلى حدِّ الرّقاعة

سأل الشعبي رجلاً بِمَ أفطر **قال**: أفطرت بزيتونة أو نصف زيتونة أو ربع زيتونة أو ما شاء الله من زيتونة ومر آخر بحمال معه شوك فشكت رجله، **فقال للحمال**: اجعلني في حل من هذه الشوكة فلا يمكنني إخراجها.

● الحثُّ على التّنظيف

قال الله تعالى: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[1] **وقال ﷺ**: إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس. **وقال ﷺ**: إن الله جميل يحب الجمال. **وقال عيسى عليه السلام**: البسوا لباس الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية.

● النّهيُ عن التماوتُ وفَرْطُ التّخشّع

رُوي أن عمر رضي الله عنه رأى رجلاً متماوتاً في إظهار النسك فعلاه بالدرة **وقال**: لا تمت علينا ديننا. ومرّ رجل بعائشة رضي الله عنها متماوتاً **فقالت**: ماله؟ **قالوا**: متخشع. **قالت**: هو أخشع من عمر، وكان إذا مشى أسرع وإذا قال أسمع وإذا ضرب أوجع.

● مَنْ تورّعَ في الفُسْق

اجتمع جماعة على امرأة **فقال أحدهم**: خذي هذه الخمسة دراهم **وقولي**: قد فعل **فقالت**: أعوذ بالله أن أكذب جماعة بخمسة دراهم.

---

(١) القرآن الكريم: الأعراف/ ٣١.

فسق بعضهم بغلام وكان عليه خف فقال: له إنزع خفك، فقال أخاف أن ينتقض وضوئي. **وقال بعضهم**: أدخلت قحبة على جماعة فشارطوها كل فرد بدرهم وواحد يصلي ويقول سبحان الله ويشير إني أريد فردين بدرهم.

● ذمُّ الرِيَاءِ

قال النبي ﷺ: إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء الظاهر والشهوة الخفية. **وقال أمير المؤمنين**: لا تفعل شيئاً رياء ولا تتركه حياء. **وقيل**: أعظم الرياء حب المحمدة.

وقيل: إذا عمل الرجل العمل وكتمه وأحب إعلام الناس أنه كتمه فذلك أقبح الرياء. وكان الشبلي إذا رأى من يدعي التصوّف يقول: ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب.

وقال أبو نواس:

وإذا نـزعـتَ عـن الـغـوايـة فَـلْـيَـكُـن ... لله ذاكَ الـمـنـزعُ لا لـلـنـاسِ(١)

وقال لقمان لابنه: اتق الله ولا تُرِي الناس أنك تخشاه ليكرموك وكان الناس يراؤون بما يفعلون. فصاروا يراؤون بما لا يفعلون وقيل ما الدخان بادل على النار من ظاهر أمر الرجل على باطنه قال شاعر:

إن الـتـخـلّـق يـأبـى دونـه الـخـلـقُ

وقيل:

لـه سـمـت أبـي ذر ... عـلـى قـلـب أبـي جـهـل(٢)

● ذمُّ متنسّكٍ طمعاً في عَرَضِ الدنيا

قال ﷺ: أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها. **وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما**: إن الناس عبيد المال والدين نعو على ألسنتهم يحوطونه ما درت به معايشهم فإذا فحص للإبتلاء قل الديانون. **ويقال**: إن بلال بن أبي بردة وفد على عمر بن عبد العزيز فجعل بديم الصلاة، فقال عمر: ذلك للتصنع، **فقال له العلاء**: أنا آتيك بخبره فجاءه وهو يصلي، **فقال له**: مالي عندك إن بعثت أمير المؤمنين على توليك العراق، **قال**: عمالتي سنة وكان مبلغه عشرين ألف درهم، **فقال**: أكتب به خطك فكتب إليه، فجاء العلاء إلى عمر فأخبره، **فقال**: أراد أن يغرنا بالله.

ودخل على المنصور رجل بين عينيه كركبة البعير يريد القضاء، **فقال**: إن كنت أبررت الله بهذا فما ينبغي لنا أن نشغلك عنه، وإن كنت أردت خداعنا فما ينبغي أن ننخدع لك.
قال شاعر:

لا تـصـحـبَـنّ صـحـابـةً ... حـلـقُـوا الـشـوارِبَ لـلـطـمَـعِ

---

(١) نزعت عن: كففت ـ الغواية: الضلالة.   (٢) السمت: الهيئة.

يـبـكـي وجـلُ بُـكـائـه		مـا لـلـفـريـسـة لا تـقـع

ورأى المنصور رجلاً واقفاً ببابه وبين عينيه سجادة، **فقال له**: بين عينيك درهم مثل هذا وتقف ببابي **فقال**: إنه ضرب على غير سكة. **وقال بعضهم في أصحاب السجادات**: أما ثقلت رؤوسهم أو خشنت الأرض. قال شاعر:

تـصوَّفَ فـازدهـى بـالـصّـوفِ جَـهْـلاً		وبـعـضُ الـنـاسِ يـلـبـسـه مـجـانَـهِ[1]

ولـم يـرد الإلَـه بـه ولـكـن		أراد بـه الـطـريـق إلـى الـخـيـانـه

وقال:

عـمّـروا مـواضـعَ الـتـصـنُّـعِ مـنـهـم		فـكـأنّ الـصّـلاحَ مـنـهـم خـرابُ

وقال:

تـسـبـيـحـهُ ريـحٌ فـلا تـسـكـنـوا		مـن شـفـةِ الـشـيـخ إلـى الـريـح

وقال عبدان في أبي القاسم بن بحر وقد عاد من الحج:

تـعـنـيـتَ أبـا الـقـاسـم فـ		ـي الـسـعـي إلـى الـحـجّ

بـمـا سـوّغـت مـن سُـحْـتٍ		زمـانَ الـسَّـجْـوِرِ والـهَـزْجِ[2]

ومـا يـصـلُـحُ مـا تـنـ		ـفِـق لـلـثـجّ ولـلـعـجّ[3]

ودخـل الـمـرء مـن سـحـتٍ		كـذا يَـخـرُجُ فـي الـخَـرْجِ

● مَنْ يُخَادِعُ اللّهَ في زكاتِهِ وصَدَقَتِهِ

قال الجاحظ: كان ببغداد لوطي موسر فإذا كان وقت الزكاة يدعو الغلام **ويقول له**: ألك أم أو أخت تستحق الزكاة فيدفعه له؟ **ويقول**: خذ هذا من زكاة مالي وأنعم لي بواحد. وبعض أصحابنا يبيع زكاته من الفقير ويسترجعها منه بدرهم أو درهمين يخادعون الله وهو خادعهم.

● ذَمُّ مَنْ حَسُنَ مقالهُ وقَبُحَ فِعَالُهُ

قال النبي ﷺ: سيكون بعدي أقوام يعطون الحكمة على المنابر وقلوبهم أنتن من الجيفة. **وقال سليمان بن عبد الملك** لبلال بن أبي بردة: صف لي الحجّاج **فقال**: كان يتزين بزينة المومسة فإذا صعد المنبر تكلم بكلام القسيسين وينزل فيعمل بعمل الفراعنة، **وقال شاعر**:

إذا نَـصبوا لـلـقـول قـالـوا فـأحْـسـنـوا		ولـكـنّ حُـسْـنَ الـقـولِ خـالـفَـهُ الـفـعْـلُ

---

(١) **المجانة**: المزاح والهزل.		(٢) **السحت**: الحرام.

(٣) **الثج**: سيلان دم الأضحية ـ **العج**: الصياح وارتفاع الأصوات.

وذمُّوا لنا الدنيا وَهُمْ يُرْضِعونَها أفاويقَ حتّى ما يدرُّ لها رَسْلُ[١]

وقال:

قلوبُهم أمرُّ من دَفَلٍ ولفظهم أحلى من العسَلِ[٢]

● **المتبجّحُ بتقواهُ رَقَاعةً**

صلى رجل بحضرة الشعبي فأطال، **فقال الشعبي**: ما أحسن صلاته فلما سلم الرجل، **قال**: وأنا مع هذا صائم. **وقال ذو اليمينين لأبي بكر المروزي**: مذ كم صرت إلى العراق؟ **قال**: مذ عشرين سنة وأنا أصوم مذ ثلاثين سنة.

● **تَنسُّك كلِّ صِنفٍ من الناس**

قال الجاحظ: لكل صنف من الناس نسك، فنسك الخصيّ غزو الروم، ونسك الخراساني الحج، ونسك المغنّي كثرة التسبيح والصلاة على النبي ﷺ وشرب النبيذ، ونسك الرافضيّ ترك النبيذ وزيارة المشهد، ونسك السواديّ ترك شرب المطبوخ، ونسك المتكلم رمي الناس بالجبر والتعطيل والزندقة، ونسك المخنث أن يصير دلاّل النسوة. **وقيل**: إذا نسك الشريف تواضع أو الوضيع تكبر.

● **رقَاعَةُ الجُهَّالِ في زَمَنِ العُلماء بالبدعة**

رفع إلى المأمون سبعمائة قصة في بشر المريسي تشهد بكفره فجمعهم يوماً **وقال لهم**: ما الذي ظهر من كفره؟ **قالوا**: قوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك، **فقال المأمون**: قد شهد الله بهذا. فقال شيخ منهم هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: وحاج موسى إبراهيم، **فقال له**: على من قرأت القرآن؟ قال على أبي وكان يقرأه بسبعة ألسن.

وسئل رجل كان يشهد على رجل بالكفر عند جعفر بن سليمان، **فقال**: إنه خارجي معتزلي ناصبي حروريّ جبريّ رافضيّ يشتم علي بن الخطاب وعمر بن أبي قحافة وعثمان بن أبي طالب وأبا بكر بن عفان ويشتم الحجّاج الذي هدم الكوفة على أبي سفيان، **فقال جعفر**: ما أدراك على أي شيء أحسدك، أعَلى علمك بالأنساب أم بالأديان أم بالمقالات.

وقال الصاحب: رأيت يوماً جماعة مجتمعين على رجل يضربونه ويقولون يجب أن يقتل فسألتهم ما فعل، **فقال كلٌ**: لا أدري. كان المنصور أمر أبا دلامة أن يلازم صلاة الجماعة ويترك البطالة، **فقال**:

ألم تعلَمي أنّ الخليفةَ لزّني بمسجدِهِ والقصرِ مالي وللقَصْرِ[٣]

---

(١) **أفاويق**: ـ **الرسل**: اللبن.

(٢) **الدفَل**: الزفت أو القطران.

(٣) **لزني بالمسجد**: ألزمني إياه.

يُكلِّفني من بعد ما شبتُ توبةً ... يحطُّ بها عنّي العظائمَ من وزري[1]
وما ضرّه والله يصلحُ أمرَهُ ... لو أن ذنوبَ العالمين على ظَهْري

وقال:

وجفاني الأميرُ كَيْ أتَقرّا ... فتقرأتُ مُكرَهاً لجفائِهِ[2]
والذي أنطوي عليه المعاصي ... عَلِمَ اللّهُ نيّتي من سمائه

● **التّجاسرُ على الذَّنب إتكالاً على التوبة**

حُكِيَ أن الأعشى لما مدح النبي ﷺ **بقوله:**

ألم تغتمِض عيناك ليلةَ أرمدا

قصده بها فلقيه بعض الكفار **فقال:** ما تصنع عنده وقد حرم عليك الزنا وشرب الخمر؟ فقال أما الزنا فقد ضعفت عنه لكبري ولكن عندي دنّان فسأشربهما ثم أقصده قبل استيفاء شربهما. **وقال جميل:**

تعالي نبعْ في العام يا بثنَ ديننا ... بدنيا فإنّا قابِلاً سنتوبُ

وقال:

تعالي نبعْ دينا بدنيا نُصيبُها ... ونستغفرُ الرحمنَ فاللّهُ غافِرُ

وقال:

سقى الله أيامَ الوِصال وقولَنا ... إذا ما صبَوْنا صبوةً سنتوبُ[3]

وقال:

نسرقُ هذا اليومَ من دهرِنا ... فرُبّما يُعفى عنِ اللصِّ

● **ذمُّ خليعٍ مُتمثّلٍ بما اعتقدَ فيه الصّلاحَ**

مرّ أبو حازم في بعض الليالي فسمع **قائلاً ينشد:**

أساْتُ وقد أنبْتُ فلا أعودُ[4]

فقال: اللهم إن الرحمة بيدك وعبدك هذا قد اعترف بذنبه، وقرع عليه الباب وقال: سَلْ ما تريد فإنه كريم يعطيك، **فقال:**

فعدْ للوصل قد سمُجَ الصدُودُ[5]

فقال أبو حازم: أنت من جند إبليس يا فاسق أتمزج الخبيث بالطيّب، أستغفر الله من دعائي. **ومرّ سفيان برجل ينشد:**

أتوبُ إلى الذي أمسَى وأضحَى ... وقلبي يرتَجيه ويتّقيهِ

---

(١) **الوزر:** الاثم والخطيئة.
(٢) **أتقرا:** أتنسك.
(٣) **صبونا صبوة:** ملنا إلى اللهو.
(٤) **أنبتُ:** تبت.
(٥) **سَمُجَ:** قَبُح.

تشاغلَ كلُّ مخلوقٍ بشيءٍ وقلبي من محبّته وفيهِ

فدنا منه وأخذ يبكي معه، ثم قال:

عسى قلبُ الممكَّن من فؤادي يدقُّ لذُلِّ طاعةِ عاشقِيهِ

فقال سفيان: اللهم لا تضلّنا بعد إذ هديتنا. ومرّ ناسك بدار فيها أبو نواس ينشد:

إن في توبَتي لَفُسْحاً لجُرمي فاعفُ عني فأنت للعفو أهلُ

فرفع يده وقال: اللهم تبْ عليه، فقال:

لا تؤاخذْ بما يقولُ على السـ ـرِّ فتىً ماله لدى الصَّحْوِ عَقْلُ

فقال: اللهم أرشدنا.

- **خليعٌ تأوَّلَ كلامَ صالحٍ على اعتقادِهِ**

سُرقَ لرجل دراهم فقيل له: تكون في ميزانك غداً، فقال: مع الميزان سرقت. وسرِقَ لآخر خرجٌ فقيل: لو قرأت عليه آية الكرسي لما سُرق، فقال: كان فيه مصحف. وسرق أعرابي نافجة مسك فقيل له: من غل شيئاً يأتي به يوم القيامة، فقال إذاً والله آتي بها خفيفة المحمل طيبة الريح.

- **عَكْسُ ذلك**

رُوِيَ أن رجلاً سأل بلالاً وقد أقبل من الحلبة من سبق، فقال: المقربون فقال السائل: سألتك عن الخيل فقال: أنا أجبتك بالخير. قيل لعمرو بن عبيد ما البلاغة؟ فقال ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار. وقيل لأبي الدرداء وكان مريضاً: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي فقيل له: ما تشتهي؟ قال: الجنة، فقيل أندعو لك طبيباً قال: الطبيب أمرضني.

وجاز الشبلي بمن يقول السعتر البري فتواجد، فقيل له ما يقول؟ قال يقول الساعة ترى بري. وأمّ أبو العلا عمراً يوماً فلما قال استووا غشي عليه. وقال: قد وقع بقلبي هل استوى معي طرفة عين.

- **أنواعٌ مختلفة**

قيل ليحيى بن معاذ: ما بال أبناء الدنيا يحبون الزاهدين وهم يفرون منهم، قال: ذلك كالدباغ يستروح إلى العطار والعطار يفر من ريحه. وقال ابن أبي الورد: إبليس يقول من ظن أنه نجا مني فبجهله وقع في حبائلي. ومرّ داوود الطائي برطب فقال لبائعه انسئني بدرهم لغدٍ فأبى فتبعه رجل وعرض عليه المال، فوجده يقول: يا نفس تريدين الجنة وأنت لا تساوين درهماً، وأبى قبول المال، وقال: إنما أردت أن أعرف نفسي قدرها.

وقال راهب: إزهدْ في الدنيا ودع أهلها. وكن مثل النحلة إن أكلت أكلت طيباً وإن

أطعمت أطعمت طيباً وإن وقعت على عودة لم تنكسر. **وقالت امرأة العزيز**: الحمد لله الذي جعل العبيد بطاعته ملوكاً والملوك بمعصيته عبيداً.

وقيل: المحسن في معاده كالغائب يرد إلى أهله مسروراً والمسيء كالآبق يرد مأسوراً.

وقيل في قوله ﷺ: نية المرء خير من عمله، أي خير يعد من عمله وليس مِنْ للتفصيل. **وقال ابن عباس**: كنا نحدث عن رسول الله ﷺ قبل أن يركب الناس الصعب والذلول فلما ركبوهما أقللنا.

وقال الزهري: حدثني فلان وفلان قبل تلاطخ الأحاديث. **وقال الحسن**: يا ابن آدم تحب الصالحين وتفر من أعمالهم وتبغض الفجار وأنت منهم. وعن بعضهم أنه **قال**: ما معي من الصلاح غير حبي لأهله. **وقال ﷺ**: المرء مع من أحب.

(٢)

وممّا جاءَ في المذاهب المختلفة

•

• اختلافُ أقوالِ غيرِ أهلِ الكتابِ في العَالَم

قال أهل الدهر جميعاً: العالم كله قديم الطينة والصنعة وأهل هذه المقالة مختلفون، فمنهم من **قال** إنه أربعة أشياء حر وبرد ويبس وبلة ومعها روح سائح في جميعها يديرها ويصورها ولا أول له ولا آخر، **وقال آخر**: الأشياء صنعت نفسها وصنعت بعضها بعضاً. **وقالت السمنية**: لم تزل الأشياء منتقلة كانتقال البيضة من الدجاجة والدجاجة من البيضة. **وقال بلعام بن باعوراء**: العالم قديم وله مدبر خلافه في جميع معانيه. **وقال بعض الملحدة** العالم جوهرة قديمة وهي في ذاتها واحدة لا اختلاف فيها ولكنها تختلف على قد الالتقاء والمماسة وعلى الحركات فتصير رطوبة وحر أو برد أو يبساً. **وقال أرسطو**: الهيولى أصل طينة العالم قديمة ومعناها أصل الشيء كالفضة أصل الدراهم. **وقال الصابئون**: النور قديم لم يزل وهو خالق الظلمة.

وقالوا: الشيطان كلمة الله لا خلقه **وزعموا** أن الظلمة تقب على النور امتزاجاً فما كان من خير فمن الله وعمله ومن شر فمن الشيطان. **وقول المجوس** مثله لكنهم تفردوا أنهم زعموا إن النور يخلق كل حسن والظلمة تخلف كل قبيح. **وقالت الجرمية**: أصل العالم النور فمسخ بعضه بعضاً فاستحالت ظلمة. **وقالت الثنوية** بالنور والظلمة. **وأن للنور خمسة أجناس**، الضياء والنسيم والماء والنار والروح. **والظلمة خمسة أشياء** الدخان والحريق والظلمة والسموم والضباب، فخالط الدخان النسيم وخالط الحريق النار وخالط النور الظلمة وخالط الريح السموم وخالط الضباب الماء، فما كان محموداً منها فمن النور أو مذموماً فمن الظلمة. وزعموا أن هذه

الأجناس من الظلمة لما خالطت أجناس النور عمد النور فبنى فيها عشر سموات وثمان أرضين وعمد إلى أكابر الشياطين فشدهم في السموات وكبس العفاريت تحت الأرض ووكل ملكاً بإدارة السموات ليشد ما فيها فيمنعها من الصعود إلى النور، ووكل ملكاً بحمل السماوات وآخر بحمل الأرضين ووكل الجو بأسفل الأرض إلى أعلى السموات.

وقالت المجوس: الأشياء شيئان قديمان سميعان بصيران، وزعموا أن الله كان وحده ولا شيء معه فلما طالت وحدته فكر فتولد من فكرته أهرمن وهو إبليس، فلما مثل بين يديه أراد قتله فامتنع عليه وسالمه إلى غايته، وزعموا أن العالم جوهر والظلمة والنور فيه غريب مجتاز، وزعموا أن للثلاثين يوماً كل يوم ملائكة إلا أهرمن فإن الله تعالى قالوا وكل ما يقرب من أهرمن من الأيام فهو أقرب منه في المنزلة. **وعظموا النار** لكونها من جنس النور وزعموا أن العذاب في الجحيم البرد لأنه لما جاء زردشت إلى بلخ وادعى بها النبوة كان البرد فيها يعظم. **وزعموا** أن كل مؤذ من خلق أهرمن وكل نافع من خلق الله. **وقالوا الفأرة** من خلق الله والهرة من خلق الشيطان. **وزعموا** أن سنورا لو بال في البحر يقتل عشر آلاف سمكة والسمك أحق أن يكون من خلق الشيطان لأنه يأكل بعضه بعضاً ويأكل من غرق من الناس، وشرّع لهم نيك الأمهات والتوضؤ ببول البقر لما رآهم في غاية الغباوة.

وقالت السوفسطائية الأشياء على الحسبان نظنها ظناً ولا نعرف لها حقيقة استدلالاً بأنا نرى الأشياء في المنام كما نراها في اليقظة، فلا ندري العالم قديم أم محدث. وأما البراهمة فاختلفوا فمنهم من قال بقدم العالم، **فقال**: المدبرات هي النجوم، ومن قال محدثة. غير أنهم نفوا النبوات.

وأما عبدة الأصنام من العرب فقد أثبتوا الصانع قديماً والأشياء محدثة وزعموا أن ذلك يقربهم إلى الله، **وقالوا**: إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر. **والفلاسفة** يثبتون أشياء كثيرة ثم يسمون واحداً منها ملك الأملاك ويجعلونه رأساً على ما يعبدون.

● اختلافُ أَهْلِ الكُتُبْ غيرِ الإسلام

فمنهم **اليهود** فعامتهم جعلوه لحماً ودماً كمقالة مقاتل بن سليمان. **وقال** أبيض الرأس واللحية، **والسامرية** لا يشبه شيئاً **والأصبهانية** عزير ابن الله، وعامة اليهود تقول ذلك لا على معنى يعقل. **وقالوا** ذلك من أجل أن **بختنصر** لما هدم بيت المقدس وقتل قراء التوراة كان عزير صغيراً فلم يقتله، ثم مات عزير ببابل ورجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس، ولم يكن معهم أحد ليجدد لهم التوراة، فلما بعث الله عزيراً أتاهم، **وقال**: أنا عزير فكذبوه، **وقالوا**: إن كنت إياه فأمل علينا التوراة ففعل، **فقال بعضهم** أبي حدثني أن التوراة جعلت في خابية ودفنت في أصل كرم لنا فانطلقوا فاستخرجوها ونظروا فإذا هو لم يغادر منها شيئاً، **فقالوا**: ما قدر على هذا إلا وهو ابن الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

● **النصارى**

النسطورية واليعقوبية والملكانية واللاهوتية والصقالبة. فالنسطورية منسوبون إلى نسطور الاسكندراني[1]، **يقول**: عيسى كلمة الله وروحه حلت في بطن مريم بطبيعة لاهوتية. **ويقولون** أنه ليس بجسم، وفي عيسى روحان قديم ومحدث. **والملكانية** وصاحبهم **توقياس** قالوا ليس في عيسى نفس مخلوقة والله إسم لثلاثة معان أب وابن وجوهر ثالث وهو روح القدس. **واليعقوبية** إلى يعقوب يقولون عيسى كلمة الله وكلمة الله لا لحم ولا دم، ثم نزل في بطن مريم عليها السلام فاتخذ من لحمها هيكلاً فصارت الكلمة لحماً ودماً فذلك هو الابن اللاهوتي، وكان في مكان ثم صار في مكان وهم ينالون مذهبهم للفظة زعموها في الإنجيل. **والصابئون** هم قوم من النصارى الصقالبة يقرون بالخالق ويسمونه نعم، وكان له ولد فغرقت الدنيا ولم يبق إلا الله كأنهم يعنون نوحاً.

● **المُتَبجِّحُ بالتّعطيل**

قال أبو نواس:

وأيسر ما أبثك أنّ قلبي ... بتصديق القيامةِ غيرُ صافِ

وقال ديك الجن:

أأترك لذةَ الصهباءِ عَمْداً ... لما وعدوه من لبَنٍ وخمْرِ[2]

حياةٌ ثم موتٌ ثم بعثٌ ... حديثُ خرافةٍ يا أم عمرو

وغضب الفضل بن الربيع على أبي نواس، **وقال أنت القائل**:

يا أحمدَ المرتجى في كل نائبةٍ ... قمْ سيدي نعصِ جبارَ السماوات

فقال: نعم، فسأل جماعة الفقهاء عنه فكل قال بحل دمه، **فقال أبو نواس** إن كنتم قلتم ذلك من عقولكم فقبحاً لها وتخميناً، فما أبعدكم من العقل هل للسماء من جبر أو كان بها كسر فاحتيج إلى أن تجبر. **قال بعض الثنوية**:

عجبٌ لِكِسرى وإيوانِه ... وغسلِ الوجوه ببوْلِ البقرْ

وقيصرُ لمّا ثوى عاكِفاً ... لِما عملتْه أكفُّ البشرْ

وعجبُ اليهود بِربٍّ يُسَرُّ ... بسفك الدماء وشمِّ القذَرْ

وعند النصارى طريقُ النجاة ... بشرب الخمور وترك الزّفرْ

وقوم يرومون بيت الحرام ... لرمي الجمار وحَلْق الشعَرْ

---

(١) **نسطور** (نحو ٣٨٠ ـ ٤٥١) وُلد في قيصرية ـ سورية. بطريرك القسطنطينية ٤٢٨. أتباعه هم النساطرة. قال بأقنومين في المسيح.

(٢) **الصهباء**: الخمرة ـ **اللبن والخمر**: إشارة إلى الآيات المتعلقة بوصف النعيم في القرآن.

يـعـيـبـون إذا أبـصـروا سـاجـداً　　لـشـمـس الـنـهـار وضـوءِ الـقـمَـر

- **ذمُّ المتبجِّحِ بالمَيْلِ إلى الزَّنْدقةِ والتَّمجُّس**

قال شاعر:

لـيـس بـزنـديـق ولـكـنـمـا　　أرادَ أن يـوسَـمَ بـالـظَّـفَـر

وقال:

تـزنـدَق مـعـلِـنـاً لـيـقـولَ قـومٌ　　إذا ذَكـروه زِنـديـقٌ ظـريـفُ

فـقـد بـقـي الـتَّـزنـدقُ فـيـهِ وسـمـاً　　ومـا قـيـل الـظَّـريـفُ ولا الـلـطـيـفُ

وقال:

إذا ذَكـرٌ أشـرك فـي مَـجْـلِـسٍ　　أضـاءت وجـوهُ بـنـي بَـرْمَـك[١]

فـإن تُـلـيَـت عـنـدَهـم آيـةٌ　　أتـوا بـالأحـاديـث عـن مـزدَك[٢]

وقال:

يـصـيـحُ لـكـسـرى حـيـن يـسـمـعُ ذكـرَهُ　　بـصـمّـاءَ عـن ذكـرِ الـنـبـيِّ صـدوفِ

ويُـعـجـبـه أخـبـار كـسـرى ورهـطِـهِ　　وَمَـا هُـو فـي أعْـلاجِـهِـم بـشـريـف[٣]

وقال علي بن الحسين الكاتب في الكندي:

مـا أرغـبَ الـكـنـديَّ فـي الـزَّنْـدقـه　　تـعـسـاً لـيـعـقـوب فـمـا أحـمـقـه

لـو عـلّـق الـكِـنْـديّ فـي حـلـقـه　　قـلـفـة نـاء أبـداً مـخـنـقـه

مـا كـان إلا مـؤمـنـاً مـسـلـمـاً　　لا غـفـر الله لـمـن زنـدقـه

- **نوادرُ لِمَن أَسْلَمَ عن كُفرٍ**

قيل لمجوسي أسلم، وكان يتعاطى كل ما يتعاطاه في التمجس: ما أحسن ما عملت أسقطت عن نفسك الجزية؟ وأسلم نصراني **فقالت أمه**: سخنت عيناك، محمد لم يعرفك والمسيح تبرأ منك. ولمّا أسلم صاعد قصده أبو العيناء مرتين فوجده يصلّي، **فقال**: لكل جديد لذة. وأسلم رجل فقيل له صلِّ اليوم فقال لا أبتدىء اليوم بالصلاة والقمر في المحاق.

- **نوادِرُ مَنْ مَالَ إلى الكُفرِ**

سئل زنديق عن الأضحى **فقال**: وباء كل سنة يقع في الأغنام والبقر. وختن رجل إبنه

---

(١) **بنو برمك**: البرامكة.

(٢) **مزدك**: إشارة إلى المذهب المزدكي.

(٣) **الأعلاج**: جمع علج، صفة تطلق على الرجل الكافر.

فقال: أوه قتلتني، **فقال**: إنما قتلك أبوك إبراهيم. ولما أسر عيينة بن حصن دخل المدينة **فقال له رجل**: يا منافق فقال يا بارد متى كنت مسلماً حتى أكون منافقاً.

(٣)

نوادرُ في مناظرَةِ النَّصارَى والمَجوسِ واليَهودِ

•

قال بعض المتكلمين لبعض النصارى: لِمَ قلتم إن لله تعالى ولداً؟ **فقال**: لأن كل من لم يكن له ولد يكون عقيماً وهو وصف نقص. **قال**: فهل للابن ابن؟ **قال**: لا، **قال**: فإذاً يكون عقيماً.

وجلس المأمون وبحضرته المتكلمون والجاثليق **فأقبل الموبذ فقال**: يا أمير المؤمنين أتحب أن أضحكك من الموبذ، فأقبل على الموبذ **وقال**: هذا يزعم أن باب الجنة في حرامه، فكما أكثر من جماعه كان أقرب إلى باب الجنة. **فقال الموبذ**: ما كنا نفعل ذلك حتى أُخبرنا أن إلٓهكم خرج من ذلك، فأخجله، وضحك المأمون حتى فحص برجله. **وقيل**: أول ما ظهر من كيس إياس بن معاوية أنه كان في المكتب فسمع عند المعلم نصارى يعيبون الإسلام، **فقال**: من العجب أنكم تقولون إنكم في الجنة تأكلون وتشربون ولا تتغوطون. فقال إياس: أفما علمتم أن الدنيا مرآة الآخرة **قالوا**: نعم. **قال**: أفكل ما يؤكل في الدنيا يخرج غائطاً. **قالوا**: لا، **قال**: فأين يذهب؟ قالوا غذاء **قال**: فما يبعد أن يكون كل ما يؤكل في الجنة يكون غذاء، **فقال المعلم**: قاتلك الله منكراً.

وقال يهودي لمسلم: أنتم قريبو العهد بنبيكم وافتتنتم. **فقال**: أنتم ما جفت أقدامكم من البحر حتى قلتم اجعل لنا إلٓهاً كما لهم آلهة. وناظر المأمون ثنوياً، **فقال**: أخبرني هل ندم مسيء على فعله قط؟ **قال**: نعم، **قال**: فالندم على الإساءة ما هو؟ **قال**: إحسان، لكني أقول إن الذي أحسن غير الذي أساء، **قال**: فهذا الذي ندم على فعله أو فعل غيره فأفحمه. وغرق مجوسي في البحر فجعل يقول يا نار فارس يا نار أذربيجان، **فقال** قل يا رب النار فإنك لو وقعت موقعها لكنت أسوأ حالاً منك.

وقال أبو الهذيل لمجوسي: ما تقول في النار؟ **قال**: بنية الله، **قال**: فالبقر، **قال**: ملائكة الله تعالى، **قال**: فالماء، **قال**: نور الله، **قال**: فالجوع والعطش، **قال**: هما فقرا بهمن وفاقته، **قال**: فمن يحمل الأرض، **قال**: بهمن الملك، **قال**: بئسما عملتم، أخذتم الملائكة ذبحتموها ثم غسلتموها بنور الله ثم شويتموها ببنت الله ثم دفعتموها إلى فقر الشيطان وفاقته ثم سلحتموها على الملك.

• المُتبجِّحُ بارتكابِ المَحظورِ المُحتجُّ له

قيل لأبي الطمحان: ما أدنى ذنوبك؟ **قال**: ليلة الدير نزلت على نصرانية فأكلت

عندها طنشيلاً بلحم خنزير وشربت من خمرها وزنيت بها وسرقت كساءها. **وقيل** لرجل من أين؟ **فقال** من دير ليلي، وزنت درهمين وأكلت رغيفين وشربت رطلين وعملت فردين ولم أبع نقداً بدين. ورؤي شيخ بعفج أتانا يوم الجمعة وكلما ضرطت صلّى على النبي ﷺ، **فقيل له**: تنيك أتاناً. **فقال**: عوّضني عنها أختك وأنا أترك الأتان، **فقيل له** في يوم الجمعة، **فقال**: تضمنها إلى يوم السبت. فقيل له: ولِمَ تصلي على النبي ﷺ **فقال** لأيرٍ يضرط الأتان.

● اختلافُ الناسِ في القَدَرِ

قالت عامة المعتزلة: إن الله يقدر على فعل الظلم ولكن لا يفعل والدلالة على القدرة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡ﴾[2] وإنما يتمدح بذلك من قدر على ضده. **وقال بعضهم**: لا يوصف بأنه قادر على الظلم. **وقال بعضهم**: لا يقدر على ذلك وقال جهم بن صفوان: إن الله تعالى يفعل ما نعتقده ظلماً لكنه عدل. **وقالت المعتزلة**: قدرتنا تصلح للضدين. **وقال جهم**: تصلح لأحدهما فالكافر لم تجعل له قدرة على الإيمان والمؤمن لم تجعل له قدرة على الكفر.

● مَنْ ذَهَبَ مَذْهَبَ أحدِ الفريقينِ مِن الشُّعراء

قال بعض العلماء: قد ذهب الأعشى مذهب المعتزلة في قوله:

استأثرَ اللّهُ بالوفاءِ وبالعدْ ... ل وولّى الملامةَ الرّجُلا

وقال صالح بن عبد القدوس:

ولا أقول إذا ما جئتُ فاحشةً ... إنّي على الذنب محمولٌ ومجبور

وقال:

لم تخلُ أفعالُنا اللاتي نُذلُّ بِها ... إحدى ثلاثِ خصالٍ في معانيها
إما تفرّدُ مولانا بصنعتِها ... فاللومُ يسقطُ عنّا حينَ نأتيها
فكانَ يُشركُنا فاللومُ يلحَقُهُ ... إن كانَ يلحقُنا من لائمٍ فيها
ولم يكن لإلهي في جنايتها ... صنعٌ فما الصنعُ إلا ذنبُ جانيها

وقال الصاحب:

اصفعِ المُجْبِرَ الذي ... بقضا السوء قد رضى
فإذا قال لِم فعَلْتَ ... فقلْ هكذا قضى

● الزاماتٌ في المُناظرةِ لِمَنْ ذَهَبَ مَذْهَبَ المعتزلة

قال أبو العتاهية لثمامة: ألا ترضى من خلق المعاصي رباً قال لا ولا عبداً. وحضر

---

(١) القرآن الكريم: النساء/ ٤٠.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٢٠.

يوماً عند الرشيد فحرك أبو العتاهية أصبعه، **وقال لثمامة**: من حرك هذا، **قال** ابن زانية، **فقال أبو العتاهية** أفتوني، **فقال ثمامة**: إن قلت إني حركتها فقد تركت المذهب وإن قلت حركها غيري فلم أشتمك وإنما شتمته.

• إلزامات مخالفِيهِمْ

صحب مجوسي معتزلياً **فقال**: ما بالك لا تسلم؟ **فقال**: حتى يشاء الله. **قال**: قد شاء الله ولكن الشيطان لا يدعك، **فقال**: أنا مع أقواهما.

• النَّهيُ عن الخَوْضِ في ذِكْرِ القَدَر

روى أبو هريرة **قال**: قال رسول الله ﷺ: آخر الكلام في القدر لشرار هذه الأمة. **وقال عمر بن عبد العزيز لرجل سأله عن القدر**: إن الله لا يطالب بما قضى وقدر وإنما يطالب بما نهى وأمر. **وقال الأصمعي**: سألت أعرابياً عن القدر **فقال**: ذاك علم اعتصمت فيه الظنون واختلف فيه المختلفون فالواجب علينا أن نرد ما أشكل علينا من حكمه إلى ما سبق من علمه.

وذُكر القدر عند أعرابي، **فقال**: الناظر في القدر كالناظر في ضوء الشمس يعرف ضوءها ولا يقف على حدودها. **وقيل**: اختصمت بنو إسرائيل في القدر خمسمائة سنة ثم صاروا إلى عالم فسألوه عنه، **فقال**: القدر حرمان للعاقل وظفر للجاهل ولم يعرف القدماء القدر

• حماقاتُ لعَوَام المُجْبرة

قال أبو المنذر وكان من أجلّة القرّاء المصريين: ما كان موسى إلاّ قدرياً حيث قال وما أنسانيه إلا الشيطان. **وقال**: هذا من عمل الشيطان. وقال: لا أملك إلا نفسي وأخي فلم يرض أن ادعى أن يملك نفسه حتى ادعى أنه يملك أخاه. ووجد عامي رجلاً يفجر بجاريته في دهليزه فأراد رفعه إلى السلطان **فقال**: اتّق الله فهذا قضاء الله عليّ فقال قد عفوت عنك لمعرفتك بالسنة.

ومر جعفر بن حرب برجل يقول ما سرق مالي بعد الله إلا فلان فاطلبوه، **فقيل له**: قد ظفرت بأحد اللصين فكر وراء الآخر. وانكسرت رجل رجل فقيل له أطلب مجبراً يجبرها، **فقال**: معاذ الله أيكسره الله وأجبره أنا، إنّي إذاً عاديته. وكان عبادة مجبراً فناظره الزيادي عند المتوكل، **فقال**: أترضى بقضاء الله، **قال**: نعم، **قال**: إن دخلت دارك ورأيت رجلاً مع إمرأتك أليس ذلك بقضاء الله قال ما عندي جواب. فإني إن قلت رضيت أكون ديوثاً وإن قلت لم أرض أكون قدرياً فسقط المتوكل ضحكاً.

• حكاياتٌ عن الأوائل

حكى بعض الأوائل أن عبد الله بن الحسن قال لابنه محمد: يا محمد إن لامك

لائم في العزل فما يكون من جوابك قال: أقول أتلومني على .ما أقدر على تركه أم على ما لا أقدر على تركه، فإن قال على ما لا تقدر على تركه قلت له: كيف أترك ما لا أقدر على تركه، وإن قال الأخرى، قلت له: صرت على قولي. قال: لله درك.

وقال موسى بن جعفر: ليس من العدل أن يشترك إثنان في فعل فيُعْذَرُ القوي ويلام الضعيف، يعني ما يقوله الأشعرية ما من حركة ولا سكون إلا والله خالقه والعبد مكتسبه. **وقال بعضهم:** لو كان الزنا مما قضى الله لكان الرضا به خيرة لإجماع الناس على قولهم الخيرة فيما قضى الله. **وقيل:** إن الحسن لما بلغه قول الحجاج بعد قتله لسعيد بن جبير الله قتله، **قال:** لعن الله قوماً باتوا وأقلامهم تجري بدماء المسلمين وأموالهم. يقولون إنما تجري بأقلام الله وكذبوا لأن أقلام الله تجري بالبر والتقوى وأقلامهم تجري بالإثم والعدوان فإن كذبوا زعموا أن الله قد أسر عندهم كتاباً نهاهم عنه في العلانية، لقد اغتشوا ربهم واتهموه وقالوا عنه قولاً عظيماً.

وقال محمد بن سيرين لرجل كيف جارك النصراني؟ قال كما شاء الله، **قال:** قل كما علم الله إن الله لا يشأ المعاصي. وأُتي عمر بسارق **فقال له** ما حملك؟ **قال:** قضاء الله، فقطع يده وقال هذه للسرقة، وجلده وقال هذه لكذبك على الله. وسئل ابن خفيف: هل منع إبليس من السجود أو امتنع، فقال منع في لسان حكمه وامتنع في لسان ملكه.

وقيل ليحيى بن معاذ: إنّ الله ضمن أرزاقنا اضمنها حلالاً أم حراماً، **فقال** إن الله وعدنا شيئين فإن وفينا له وفى لنا. أوجب الطاعة على أن يجعل لنا الجنة وأوجب الصبر على أن يطعمنا الحلال فإن صبرنا أكلنا الحلال وإن لم نصبر وقعنا في الحرام.

● الإيعادُ والإستطاعةُ

قال أبو عمرو بن العلاء لعمرو بن عبيد: أتيأس لناس من عفو ربهم، والعرب تتمدح بإنجاز مواعيدها وتناسي وعيدها، وعلى ذلك **قول الشاعر:**

وإنــي وإن أَوْعــدْتــه أو وَعــدْتُــهُ لـمخلفٌ إيعادي ومنجزٌ موْعِدي

وروي أن عمراً **قال:** إن الشاعر قد يذمّ بعض ما يمدح فأين أنت عن كتاب الله ما يبدل القول لدي وأن أبيت إلاّ الشعر، **فقل كما قال الأول:**

إنّ أبـا ثـابـت لـمـجـتـمـع الـرأ ي كـريـم الآبـاء والـبـيـتِ
لا يـثـبـتُ الـوعـدَ والـوعـيـدَ ولا يـثـبـت مـن ثـاره عـلـى فـوتِ

وقيل: ثلاثة ضمنهن الله على نفسه إن الله لا يضيع أجر المحسنين، إن الله لا يهدي كيد الخائنين، إن الله لا يصلح عمل المفسدين. ورأى محمد بن سويد بخارياً **فقال**

البخاري: أتقول لا استطاعة قبل الفعل وما من عامي إلا ويعلم خلاف قولك، **فقال**: بل يعلم خلاف قولك فانظر، فدعا بحمال **فقال**: إن هذا يزعم أنك لا تستطيع حمل هذا الكور. **فقال**: أم الذي يقول هذا ألف فاعلة.

● خَلْقُ القرآنِ

قال الذهبي: سألت جعفر بن محمد عن القرآن **فقال**: لا أقول خالق ولا مخلوق. واحتج بهذا أحمد بن حنبل رضي الله عنه على المعتصم فقال ابن أبي داوود: أين حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ: ما خلق الله خلقاً أعظم من آية الكرسيّ وكان الخليل يمنع أن يوصف الكلام بالمخلوق، فيقول: الكلام متى وصف بالخلق فالقصد به الكذب ولهذا يقال هذا كلام خلقه فلان أي تقوّله **وقال بعضهم**: أصفه بأنه محدث ولا أقول أنه مخلوق لقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[(١)] وسمع مخنث رجلاً يقرأ قراءة قبيحة فقال أظن هذا القرآن الذي يزعم ابن أبي داوود أنه مخلوق. قال أبو العالية:

لو كان رأيك منسوباً إلى رشد ... وكان عزمك عزماً فيه توفيق
لكان في الفقه شغل لو قنعت به ... عن أن تقول كلام الله مخلوق
ماذا عليك وأصل الدين يجمعكم ... ما كان في الفرع لولا الجهل والموق[(٢)]

وكان بعض القصاص بأصبهان يتشدد في خلق القرآن، فسئل عن معاوية هل كان مخلوقاً، **فقال**: نعوذ بالله من نهايات الجهالات.

● رؤيةُ اللّهِ تعالى وتقدّس

من نفى عنه الرؤية احتج بقوله تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾[(٣)] وذلك مذكور على طريق التمدح فلا يختص به وقت دون وقت ومخالفوه احتجوا بقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.[(٤)] وقالت عائشة رضي الله عنها: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفريّة على الله، ولكنه قد رأى جبريل مرتين في صورته وخلقه ساداً ما بين الأفق.

وقال ابن عباس لقد رأى من آيات ربه الكبرى أنه رأى جبريل على رفرف قد سد أفق السماء وروي أن أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه سمع رجلاً يقول والذي احتجب بسبع سماوات، **فقال**: إن الله لا يحجبه شيء عن شيء، فقال هل أكفر عن يميني قال لا لأنك حلفت بغير الله ومن حلف بغيره لا تلزمه.

---

(١) القرآن الكريم: الأنبياء/ ٢.
(٢) الموق: الجهل والحمق.
(٣) القرآن الكريم: الأعراف/ ١٤٣.
(٤) القرآن الكريم: القيامة/ ٢٢، ٢٣.

(٤)

وممّا جاء في الأنبياء والمتنبئين

●

● أدلةُ نبوّةِ النبي مِنَ القُرآن

إعجاز العرب عن الإتيان بمثل القرآن، حيث قال الله تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[1] فلم يقدروا مع فصاحتهم وبلاغتهم على الإتيان بمثله وإخباره عن غيوب تحققت نحو: ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾[2] فكان كما ذكر. وقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾[3]، يعني فتح مكة فكان. وقال: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ. .﴾[4] الآية، فكان كما قال وقال: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ. . .﴾[5] الآية فوعدوه إلى وادي باهلة، فقال: والذي نفسي بيده إن باهلوا أضرم الله عليهم الوادي فامتنعوا. وقال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[6]، كانوا: الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن عبد المطلب والعاص بن وائل والحارث بن الطلاطلة فنزل جبريل عليه السلام وقال: إذا طافوا بالبيت فاسأل فيهم ما أحببت حتى أفعل، فمر به الأسود فرمى في وجهه بورقة خضراء. وقال اللهم أعم بصره وأثكله ولده ففعل، ومر بالأسود بن عبد يغوث فأومأ إلى بطنه فشُق فمات، ومر به الوليد بن المغيرة فاندمل جرح ببطنه فمات، ومرّ به العاص فأشار إلى أخمص رجله فدخل به شوك فمات، ومر به الحارث فأومأ إليه فتفقأ قيحاً فمات.

● مُعجزاتُهُ المَشهورةُ من فِعْلاتِهِ وأخبارِهِ الدالّةِ على صُدْقِهِ

لما أصاب مضر الجهد ونهكهم الأزل سألوه أن يسأل الله تعالى الغيث لهم فسأل فأتاهم ما هدم بيوتهم، حتى قال ﷺ حوالينا ولا علينا. فأمطر الله تعالى ما حولهم وأمسك عنهم.

وكتب عليه الصلاة والسلام إلى كسرى وبدأ باسمه فمزق كتابه، فقال: اللهم مزق ملكه كل ممزق، فجذّ الله تعالى أصله، فكل ملك له بقية إلا ملكه. وكتب كسرى إلى فيروزالديلمي أن أحمل إليّ رأس هذا العبد الذي بدأ باسمه قبل اسمي ودعاني إلى غير ديني فأباه فيروز، فقال: إن ربي أمرني أن أحملك إليه، فقال ﷺ: إن ربي أخبرني أنه قتل ربك البارحة فالبث، فإن جاءك ما دلّ على صدقي، وإلا فأنت

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣.

(٢) القرآن الكريم: الروم/ ٢.

(٣) القرآن الكريم: النصر/ ١

(٤) القرآن الكريم: الفتح/ ١٦.

(٥) القرآن الكريم: آل عمران/ ٦١.

(٦) القرآن الكريم: الحجر/ ٩٥.

على رأس أمرك، فأتاه الخبر أن شيرويه قتل أباه في الليلة التي ذكرها ﷺ فأسلم فيروز وحسن إسلامه، وهو الذي قتل مسيلمة **وقال** في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه إلى الجنة فقطعت يده في يوم نهاوند.

وقال عمر رضي الله عنه: فلأنزعنّ ثنيتيْ سهيل بن عمرو فلا يقوم عليك خطيباً **قال:** فعسى يقوم مقاماً محموداً فكان منه ما بلغنا حين هاج أهل مكة عند موته ﷺ وضلت ناقته، **فقالت قريش:** إن هذا يخبرنا عن السماء ولا يدري أين ناقته فصعد المنبر وخطب، **فقال:** إني لا أعلم إلا ما علمني الله وقد أخبرني أنها في وادي كذا وتعلق زمامها بشجرة فوجدوها.

كذلك وأخبار الأمم بذلك كثيرة وكلمته الذراع المسمومة والذئب والبعير وأظلته غمامة وحنّ إليه عود المنبر وأطعم عشراً من ثريدة وسقى عالماً ووضأهم بميضأة في جسم صاع وأمرّ يده على ضرع شاة حائل حتى عادت كالحامل، وما أرى أبا جهل حين أهوى بالصخرة نحو رأسه فهوى له فحل ليلقم رأسه فرمى الصخرة وعاد إلى أصحابه ممتقع اللون، **فقال** كان كذا وكذا.

● ما دلّ على نبوّتِهِ من أخبَارِ الفُرْسِ

قيل: لما كانت الليلة التي وُلِدَ فيها رسول الله ﷺ إرتجس إيوان كسرى فسقطت منه اثنتا عشرة شرفة، وخمدت نار فارس ولم تكن خمدت قبل بألف عام، وغارت بحيرة ساوة، فجمع كسرى الأكابر وأخبرهم. **فقال الموبذان:** وأنا قد رأيت الليلة إبلاً صغاراً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادنا، **فقال** وما هو **قال:** حادث يكون من العرب.

فكتب إلى النعمان بن المنذر أن أبعث إليّ عالماً فبعث إليه بعبد المسيح بن عمرو بن نفيلة الغسّاني فلما أخبره، **قال:** عِلْم ذلك عند خال لي يسكن مشارق الشأم **فقال له:** إذهب وائتني بخبره فذهب وقال له، أصم لم يسمع غطريف اليمن. فلما رفع صوته رفع سطيح رأسه **وقال عبد المسيح** على جمل مشيح إلى سطيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك ساسان لارتجاج الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان، ثم **قال:** يا عبد المسيح إذا بعث صاحب الهراوة وكثرت التلاوة وفاض وادي سماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار فارس فليست الشام لسطيح شاماً يملك منهم ملوك على عدد الشرافات وكل ما هو آت آت فأثار عبد المسيح راحلته وهو ـ يقول:

شمّر فإنك ماضي الأمر شمير	لا يفزعنّك تفريقٌ وتغييرُ
الخيرَ والشر مقرونان في قرنٍ	والخير متبع والشرُّ محذورُ

● ما دلَّ على نبوّتِهِ ممّا أنزل اللهُ تعالى في الكُتبِ الأوّل

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾[١] واسمه مشفع ومعناه محمد.

● كثرةُ آياتِ الأنبياءِ وقلّتُها

قال العلماء رضي الله عنهم: إنما كثر أعلام موسى لأن عمله كان مع غباوة بني إسرائيل ونقصان أحلام القبط. **قال الجاحظ**: ومتى أردت ذلك فانظر إلى بقاياهم هل لهم حكمة أو مثل أو شعر. وانظر إلى أولادهم مع طول لبثهم معنا هل تغيرت بذلك أخلاقهم، ثم من غباوتهم ما حكى الله تعالى عنهم في قولهم: **﴿اجعل لنا إلَهاً كما لهم آلهة وأرنا الله جهرة واذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾**[٢] وآياتهم انقطعت بموتهم وعرفها من بعدهم وجعل من معجزات نبينا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأشرك الله تعالى فيه السلف وجعله باقياً على مرور الأزمان.

● من ادعى النُبوّة برقاعة غير حِذْقٍ

قيل للأحنف وكان ممن زف سجاح إلى مسيلمة: ما وجدته؟ **قال**: ما هو بنبي صادق ولا متنبيء حاذق، وفيها يقول:

أضحت نبيتنا أنثى يُطاف بها ... وأصبحت أنبياءِ الله ذكرانا

ولما تنبأت سجاح أتبعها ناس كثير من بني تغلب ومسيلمة باليمامة، وكان أصحاب سجاح يكذبون مسيلمة وأصحاب مسيلمة يكذبون سجاح، **فقالت سجاح**: نذهب إليه فإن كان نبياً أطعناه فذهبت بقومها فأغلق باب حصنه وشارطها على الدخول وحدها فلما خلت به **قالت**: ما أنزل عليك؟ قال إنه يحل لي أن أنكح المتزوجات وتصبو إليّ المرأة الفضيلة تجدها فيّ وتدع زوجها، **قالت**: فهل من آية غيرها؟ **قال**: لم أؤمر بآية فأقلع عنها حتى تقبل أو ترد. **قالت**: فقد ركنت إلى ذلك، قال فاسمعي:

ألا قومي إلى النيكِ ... فقد هُيء لكِ المَضْجَعْ
فإن شئتِ علقناك ... وإن شئتِ على أربع
وإن شئت ففي البيت ... وإن شئت ففي المخدع
وإن شئت بثلثيه ... وإن شئت به أجمع

ثم واقعها فخرجت إلى قومها **فقالت**: إني وجدت نبوّته صادقة وتزوجته **فقالوا لها**: إنا نكره رجوعنا بها بلا صداق، **قال**: قد حططت عنكم صلاة الفجر والعشار الأخيرة. **وقيل** لنبي ما دليلك؟ قال القرآن، أما قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾[٣]، واسمي الفتح قالوا، فينبغي أن يشركك في النبوّة من اسمه اسمك. قال كم

---

(١) القرآن الكريم: الأعراف/١٥٦. (٢) القرآن الكريم: المائدة/ ٢٤. (٣) القرآن الكريم: النصر/١.

في الناس من محمد والله تعالى يقول: وما محمد إلا رسول.

ومن خرافات مسيلمة أنه كتب إلى رسول الله من مسيلمة إلى محمد أمّا بعد، فإن الأرض بيننا وبين قريش نصفان ولكن قريشاً قوم يظلمون، فأجابه ﷺ من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

● **نوادرُ من تَنبأ فَقُتِل**

تنبأ رجل في زمن ابن هبيرة فصُلب فمرّ به خلف بن خليفة **فقال**: أما أنزل عليك قرآن؟ **قال**: نعم، إنّا أعطيناك الجماهر فصلّ لربك وجاهر إن عدوك هو الفاجر.

فقال ابن خليفة: إنا أعطيناك العمود فصلّ لربك على العود وأنا كفيلك أن لا تعود.

وادّعى رجل النبوة وادعى أنه نوح فصُلب فَمَرَّ به مجنون **فقال**: يا نوح لم تحصل من سفينتك إلا على دقل. وتنبأ آخر في زمن الرشيد فضربه بالسياط فأخذ يصيح، فقال له المأمون اصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فاستطار الرشيد إعجاباً بقوله وتنبأ رجل فأمر بضربه والطواف به، **فجعل يقول**:

أنـــا مـــالـــي والـــنـــبـــوّة ... لـــيـــس لـــي بـــالـــنـــاس قُـــوّه
تـــركـــوا بـــطـــنـــي وظـــهـــري ... فـــيـــهـــمـــا عـــشـــرون كـــوّه

● **متنبيءٌ طالبهُ سلطانٌ بمعجزتِهِ فتخلص**

تنبأ رجل في زمن المأمون **فقال** أنا إبراهيم الخليل فأحضره **وقال**: إن إبراهيم أُلقِيَ في النار فصارت عليه برداً وسلاماً، فهلمّ نلقيك في النار لنعرف معجزتك، **فقال**: هات غير هذا، **قال**: ائتني بمثل براهين موسى وعيسى عليهما السلام، قال جئتني بالطامة الكبرى. **قالوا**: مالك معجزة، **قال**: سألتهم وقلت إنكم توجهونني إلى قوم شياطين فأعطوني حجة وإلاّ لم أذهب، **فقال جبريل**: أخذت في الشؤم الساعة أذهب أولاً وأنظر ما يقولون فضحك المأمون، **وقال**: هذا هاجت به السوداء فخلّوا عنه.

وتنبأ آخر في زمن الواثق فأدخل عليه وهو على بركة، **فقال له**: اضرب بعصاك هذا الماء حتى ينفلق، **فقال** حتى تقول أنا ربكم الأعلى. **وقيل لآخر**: ما معجزتك؟ قال ائتوني بجارية أحبلها حتى يكلمكم جنينها **فقالوا** هذه الشاة إن أحبلتها فأنت نبي، فقال أنتم تريدون تيساً لا نبياً. **وقيل لآخر**: ما نبوتك؟ **فقال**: في حرام من يشك في نبوتي، **فقال**: عبادة أشهد بنبوّتك. **وتنبأ آخر** في زمن المعتصم **وقال**: أحيي الموتى ائتني بسيف أضرب به عنق ابن أبي داود ثم أحييه، فقال ابن أبي داود آمنت بك. وأتى المأمون بآخر **فقال له**: ما تقول؟ **قال**: قال لي ربي لا تكلم المأمون بشيء واذهب إلى الهند فضحك وأطلقه. وأتى المهدي بمتنبيء فقال له إلى مَنْ بعثت؟ **فقال**: أو تركتموني بعثت بالغداة فحبست بالعشي؟

(٥)

ومما جاءَ في مبدأ القرآن ونزولِه

●

قال النبي ﷺ: بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً فرفعت رأسي فإذا بالملك الذي جاءني على كرسي بين السماء والأرض، فجئتُ خديجة **فقلت**: زمّلوني زمّلوني فأنزل الله تعالى. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾(١) وعن جابر أن ذلك أول ما نزل.

وعن ابن عبّاس رضي الله تعالى اعنه أوّل ما نزل من الوحي: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾(٢) و ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾(٣) **وقال الزهري**: أوّل آية نزلت في القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾(٤)

وقال علقمة: كل ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ﴾. فإنه نزل بالمدينة. و ﴿ظَٰلِمُوٓا۟ ٱلنَّاسَ﴾ فإنه نزل بمكة.

وقيل: نزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل في عشرين سنة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ . ﴾(٥) (الآية).

وقال البراء: آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾(٦) **وقال ابن عبّاس**: آخر آية نزلت: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾(٧) **فمات** ﷺ **بعد نزولها بليال.** **وقيل**: آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا والوالدين.

● جَمعُ المصاحِفِ

كان رسول الله ﷺ **إذا نزلت سورة قال**: ضعوا هذه في الموضع الذي ذكر فيه كذا.

وروي أن عمر رضي الله عنه كان قد جمع القرآن في مصحف، كان عند حفصة وهو الذي أرسل مروان فيه وهو والي المدينة إلى عبد الله بن عمر يوم ماتت **حفصة فأمر بإحراقه مخافة الاختلاف.**

وقال أبو بكر إن عمر لما رأى القتل قد استحر بقراء القرآن **يوم اليمامة قال**: إني لأخشى أن يذهب قرآن كثير، واني أرى أن يجمع القرآن. **فقلت**: **كيف أفعل ما لم يفعله** رسول الله ﷺ؟ **فقال**: إنه لخير. فشرح الله صدري ففعلت.

---

(١) القرآن الكريم: المزمل/ ١.

(٢) القرآن الكريم: العلق/ ١.

(٣) القرآن الكريم: ن/ ١.

(٤) القرآن الكريم: الحج/ ٣٩.

(٥) القرآن الكريم: الإسراء/ ٦.

(٦) القرآن الكريم: النساء/ ١٧٥.

(٧) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٨١.

وقيل: أول من جمع القرآن بين لوحين أبو بكر رضي الله عنه. **وقال زيد بن ثابت**: دعاني أبو بكر **وقال**: **إنك** رجل شاب وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فاجمع القرآن واكتبه ففعلت.

قيل: أحرق عثمان رضي الله تعالى عنه مصحف ابن مسعود، وإن ابن مسعود كان يقول لو ملكت كما ملكوا لصنعت بمصحفهم كذلك، وأحرق مروان مصحف عمر رضي الله عنه. **وقيل**: **القرآن ثلاثمائة ألف حرف وواحد وعشرون حرفاً، وهو ستة آلاف وستمائة وتسعٌ وتسعون آية**.

● ما ادّعى أنّه من القرآنِ ممّا لَيس في المِصْحَفِ وما ادّعى أنه مِنْهُ ولَيْسَ فِيه

أثبت زيد بن ثابت سورتي **القنوت في** القرآن، **وأثبت ابن مسعود في مصحفه** لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب.

ورُوي: أن عمر رضي الله تعالى عنه **قال**: لولا أن يقال زاد عمر في كتاب الله تعالى لأثبت في المصحف، **فقد نزلت**: الشيخ والشيخة إذا زنيا فأرجموهما البتة نكالاً من الله والله شديد العذاب.

وقالت عائشة: لقد نزلت آية الرجم ورضاع الكبير وكانتا في رقعة تحت سريري وشغلنا بشكاة رسول الله ﷺ فدخلت داجن فأكلته. **وقال علقمة**: أتيت الشأم فجاء رجل فقعد إلى جنبي **فقيل لي**: هو أبو الدرداء، **فقال**: ممن أنت؟ **قلت**: من الكوفة، **قال**: أولم يكن فيكم صاحب السواك والنعلين والمطهرة يعني ابن مسعود، **قلت**: نعم **فقال**: أتحفظ كيف كان يقرأ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى؟ **قلت**: نعم هكذا أقرأنيه رسول الله ﷺ وفوه إلى فيّ فما زال هؤلاء بي حتى كادوا يردونني عنهما.

وأثبت ابن مسعود بسم الله في سورة البراءة. **وقالت عائشة**: كانت الأحزاب تقرأ في زمن رسول الله ﷺ مائة آية، فلما جمعه عثمان لم يجد إلا ما هو الآن. وكان فيه آية الرجم وأسقط ابن مسعود من مصحفه أم القرآن والمعوذتين.

● قراءةٌ تخالِفُ صورةُ حروفِها ما في المِصْحَفِ أو ترتيبها

قرىء بدل كالعهن كالصوف، **وبدّل** فهي كالحجارة فكانت كالحجارة. وذكر بعض العلماء أن ابن عباس كان يجوز أن يقرأ القرآن بمعناه، واستدل بما روي عنه أنه كان يعلم رجلاً طعام الأثيم فلم يكن يحسن الأثيم **فقال**: قل الفاجر. وليس ذلك بشيء فيما ذكره جلّ العلماء، لأن ابن عبّاس أراد أن يعرفه الأثيم فعرفه بمعناه لما أعياه، **وقُرىء بدل** والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما فاقطعوا أيمانهما.

وكان عمر يقرأ غير المغضوب وغير الضالّين، وعبد الله بن الزبير صراط من أنعمت عليهم. وقرأ بعضهم: وضربت عليهم المسكنة والذلّ، وأبو بكر رضي الله تعالى عنه وجاءت سكرة الحق بالموت.

● ما رُويَ فيهِ زيادةً

قرئ: اصبروا وصابروا ورابطوا بعضهم. وقرأ بعضهم: وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم. وقرأ بعضهم إن هذا أخي له تسعة وتسعون نعجة أنثى. وقرئ: السارقون والسارقات فاقطعوا أيديهما.

وقرأ ابن عباس: أن لا يطوف وليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج عبد الله: فلا إثم عليه لمن اتقى. وعن أبي ذرّ: فان فأوافيهن فإن الله غفور رحيم. وقوله: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر. وقرأ سعد: فإن كان له أخ أو أخت، من أبيه ومثل هذا كثير فلنقتصر على هذا القدر منه.

● ما في القُرآن مِنْ تَغييرِ الكِتابةِ

كان القوم الذين كتبوا المصحف لم يكونوا قد حذقوا الكتابة فلذلك وضعت أحرف على غير ما يجب أن تكون عليه. وقيل: لما كتبت المصاحف وعرضت على عثمان وجد فيها حروفاً من اللحن في الكتابة، فقال: لا تغيّروها فإن العرب ستغيرها أو ستعبر بها، ولو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم يوجد فيه هذه الحروف.

● ما سدَّ مِنه لَحْناً

عن ابن عروة عن أبيه قال: سألت عائشة عن لحن القرآن عن قوله: إن هذان لساحران، وعن قوله: والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة، وعن قوله: إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون، فقالت: يا ابن أختي هذا عمل الكتّاب اخطأوا في الكتابة.

● الرخْصةُ في اختِلافِ القراءاتِ

كان عمر رضي الله عنه يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأها، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها فأخذت بثوبه فذهبت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعته يقرأ القرآن على غير ما أقرأتني فقال: إقرأ. فقرأت فقال ﷺ: هكذا أنزلت، ثم قال لهشام: إقرأ فقال ﷺ: هكذا أنزلت. ثم قال: إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه.

وفي خبر أنه ﷺ قال: إن جبريل وميكائيل أتياني فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: إقرأ القرآن على حرف فقال ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف وكل حرف شافٍ كافٍ.

● تعظيمُ القرآنِ

رأى عمر رضي الله عنه مصحفاً بخطٍّ دقيق، **فقال**: ما هذا؟ **فقيل**: القرآن كله فضرب صاحبه، **وقال**: عظموا كتاب الله. وكان أمير المؤمنين يكره أن يكتب القرآن في الشيء الصغير.

وكان ابن عبّاس إذا رأى مصحفاً قد فضض أو ذُهِّب يقول: أتغرون به السارق وزينته في جوفه. **وقال أبو ذر**: إذا حلّيتم مصاحفكم وزخرفتم مساجدكم فالدمار عليكم.

وقال مالك والشافعي رضي الله عنهما: لا يمس القرآن إلا طاهر. قال الله تعالى: لا يمسه إلا المطهرون. وكان الشعبي لا يرى بأساً أن يأخذ بغلافه وهو على غير وضوء. **وقال** ﷺ: لا توسدوا القرآن واتلوه بالليل والنهار.

● فضلُ قراءةِ القرآنِ

قال النبي ﷺ: إن العبد إذا قرأ فحرف كتبه الملك كما أنزل وكان ابن مسعود **يقول**: من ختم القرآن فله دعوة مستجابة. وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[1] قال ابن عباس: يتبعونه حق اتباعه. **وقال تعالى في ذم قوم**: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾[2]، **قال الشعبي**: أما أنه كان بين أيديهم ولكن نبذوا العمل به. **وقال** ﷺ: قراءتك في المصحف تزيد على قراءتك ظاهراً كفضل المكتوبة على النافلة.

● تعظيمُ قرّاءِ القُرآنِ

قيل: عظموا من زيّنه الله بالقرآن، **وقال** ﷺ: إنّ من تعظيم الله إجلال **ثلاثة**: الإمام المقسط وذي الشيبة وحامل القرآن لا الغالي فيه ولا الجافي فيه. وكان عمر رضي الله عنه يجري على كل حافظ قرآن مائة دينار.

● فضلُ تعلُّمِ القرآنِ وتعليمِهِ

روي عن النبي ﷺ: إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبته. **وروي عنه**: خياركم من تعلم القرآن وعلمه. **وقال عقبة بن عامر**: خرج علينا رسول الله ﷺ وكنا في الصفة **فقال**: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق فيأخذ كل يوم ناقتين كوماوين زهراوين في غير إثم ولا قطيعة رحم؟ فقلنا: كلّنا يا رسول الله. **قال**: فلأن يغدو أحدكم كل يوم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين ومن ثلاث. **وقيل**: في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾[3] وبالإسلام والقرآن.

---

(١) **القرآن الكريم**: المائدة/ ٢٧.

(٢) **القرآن الكريم**: آل عمران/ ١٨٧. (٣) **القرآن الكريم**: يوسف/ ٥٨.

- **الرُّخصةُ في أخذِ الأجرةِ بتعليمِهِ**

مِمّا يدل على الرخصة في ذلك ما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ مروا بحيٍّ من أحياء العرب فلدغ رجل منهم، **فقالوا**: هل فيكم من راق فرقاه رجل بأم الكتاب فأعطي قطيعاً من الغنم؟ فقدموا على النبي ﷺ فأخبروه، **فقال**: من أخذ برقية باطل فقد أخذت برقية حق اضربوا معكم بسهم **وقال** ﷺ: تعلموا القرآن وسلوا الله به من قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه **ثلاثة نفر**: رجل يباهي به ورجل يستأكل به ورجل يقرأه لله. وأقرأ أبي رجلاً من اليمن سورة فأعطاه فرساً، **فقال**: إن كنت تريد أن تقلّد سيفاً من النار فخذها.

- **الجهرُ والمُخافَتَةُ**

مر ﷺ بأبي بكر وهو يخافت وبعمر يجهر فسألهما فقال أبو بكر: إني أسمع من أناجي فقال ﷺ: إرفع شيئاً. **وقال عمر**: أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان **فقال**: أخفض شيئاً كأنه ذهب إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾(١)

- **المدةُ التي يُسْتَحَبُّ فيها الخَتمُ**

سأل قيس بن صعصعة النبي ﷺ في كم أقرأ القرآن؟ **قال**: في كل خمس عشرة **قال**: إني أجد فيَّ أقوى من ذلك. **قال**: ففي كل جمعة. **وقال سعد بن المنذر الأنصاري للنبي** ﷺ أقرأ القرآن في كل ثلاث، **قال**: نعم إن استطعت. وكان سليمان يقرأ القرآن في كل ليلة ثلاث مرات، يقعد في كل مرة ويجامع امرأته ويغتسل، فلما مات قالت رحمك الله إن كنت لترضي ربك وأهلك. وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقرأ القرآن في ركعة.

- **تَحقيقُ القُرآنِ والتَّغنِّي به**

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أعربوا القرآن فإنه عربي. **وقال أبو بكر**: لأن أعرب آية من القرآن أحب إليّ من أن أحفظ آية. **وقال عمر**: تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه. **وقال** ﷺ: زينوا القرآن بأصواتكم ودخل ﷺ المسجد فسمع صوت رجل **فقال**: من هذا؟ قيل عبد الله بن قيس **فقال**: لقد أوتي هذا من مزامير آل داود.

وكان عمر إذا رأى أبا موسى **يقول**: ذكرنا ربّنا فيقرأ عنده وقول النبي ﷺ ليس منا من لم يتغن بالقرآن، فقد تأوّلوه على هذا وعلى الإستغناء. وكره بعض الفقهاء التحدّث بهذا الحديث كراهة أن يتأوّل على الألحان المكروهة، فقد روي عن النبي ﷺ: أن قوماً يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأفقههم وأعلمهم ليغنّيهم به غناء.

وقال الهيثم العلاف: قرأت عند المنصور **فقال**: ما لكم أهل البصرة أقرأ

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/ ١٢١.

البلاد، **فقلت**: إن أهل الحجاز قرأوا على النصب غناء العرب، وأهل الشأم قرأوا على قراءة الرهبان، وأهل الكوفة قرأوا على قراءة النبط، والبصرة على الخسرواني غناء فارس.

• النَّهْيُ عن المَرَاءِ فيه وَعَنْ تَفْسيرِهِ

قال ﷺ: لا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر. وسأل أبو بكر عن قوله تعالى ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾[1]، **فقال**: أي سماء تظلّني وأي أرض تقلني؟، إن قلت في كتاب الله بما لا أعلم.

• التّداوي بالقُرآنِ

قالت عائشة: كان النبي ﷺ إذا مرض يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث. وكان **الحسن** يكره أن يغسل القرآن ويسقى. وسئل إبراهيم عمّن حُمّ فعلق عليه تعويذ فيه ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا﴾ (الآية)، فكرهه. وسئل عطاء عن الرجل يعلق عليه شيئاً من القرآن **فقال**: ما سمعنا بكراهة ذلك إلا منكم معاشر أهل العراق.

• الحُذّاقُ بالقُرآنِ

المشهور منهم ثلاثة: عبد الله بن مسعود وأُبيّ وزيد. وقال ﷺ: من أحب أن يقرأ القرآن غضاً فليقرأه على **قراءة ابن أم عبد. وقال ابن مسعود**: كنّا مع رسول الله ﷺ وأنزلت والمرسلات عرفاً فأخذتها رطبة من فيه، وهو أول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وأقرأ **معاذ بن جبل** رضي الله تعالى عنه. وروي أنه ﷺ **قال**: أقرأكم أبي وقال له النبي ﷺ: أمرت أن أعرض عليك القرآن. فقال أبيّ: سماني لك ربك **قال**: فبفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون. **وقال له**: أي آية في كتاب الله أعظم؟ **فقال**: الله لا إله إلا هو الحي القيّوم. فضرب في صدره، **وقال**: ليهنك العلم أبا المنذر، وإنما أخذ الناس بقراءته لكونه كان آخر من يقرأ على رسول الله ﷺ. **وقال ابن عباس رضي الله عنهما**: إنّا نأخذ بالآخر من قول رسول الله ﷺ وفعله.

• بَيْعُ المَصَاحِفِ

بيعت المصاحف في زمن معاوية، وكره ابن عمر بيع المصاحف. **وقال ابن عباس**: اشتر المصاحف ولا تبعها. وسئل بعض الفقهاء عن ذلك، **فقال**: كان حبرا هذه الأمة لا يريان ببيعها بأساً: الحسن والشعبي

---

(١) **القرآن الكريم**: عبس/ ٣١.

(٦)
ومِمَّا جَاءَ في العباداتِ

●

● الطَّهَارَةُ والوُضُوءُ

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾[1] وسئل ﷺ عن البحر **فقال**: الحلُّ ميتته الطهور ماؤه. **وقال**: من لم يطهره البحر فلا طهارة له. **وقال** ﷺ: خلق الماء طهوراً لا ينجسه شيء إلا ما غيَّر طعمه ولونه.

● دِبَاغُ الجُلُودِ

قال ﷺ: أيّما إهاب دبغ فقد طهر، ومرّ بشاةٍ لميمونة وقد ماتت فألقيت، **فقال**: هلا أخذتم إهابها فدبغتموه فانتفعتم به. **وقال** ﷺ: لا بأس بجلد الميتة إذا دبغ ولا بصوفها إذا غسل بالماء، واعتبر المزني الغسل في الشعر. **وقال الشافعي**: نجس غسل أو لم يغسل.

● تحليلُ الأَواني وتحريمُها

قال ﷺ وقد خرج على أصحابه وفي إحدى يديه حرير وفي الأخرى ذهب، **فقال**: هذان حرامان على ذكور أمتي حلّ لأناثها. **وقال** ﷺ: من شرب في آنية من فضة فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم.

● السِّواكُ

قال ﷺ: مالكم تدخلون عليّ قلحاً استاكوا. **وقال**: لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة. **وقال**: نظفوا أفواهكم فإنها ممر القرآن. **وقيل**: السواك مغسلة للفم، مجلبة لشهوة الطعام، جلاء للأسنان مطلق للسان، **وعن ابن عباس**: فيه عشر خصال مرضاة للرب ومسخطة للشيطان ومقربة للملائكة ومشد للثة وذاهب بالحفر وجال للبصر ومطيب للفم ومقلٌ للبلغم وهو من السنة ومما يزيد في الحسنات.

● التغوُّطُ والإستنجاءُ

قال النبي ﷺ: لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها بغائط أو بول، ثم رؤي جالساً على لبنتين مستقبل بيت المقدس، **فقيل**: إن الإستدبار منسوخ. وقيل لم ينسخ وإنما النهي في الصحراء دون البيوت. **وقال** ﷺ: إتقوا الملاعن وهو التغوط على قارعة الطريق. **وقال**: من استجمر فليوتر ومن لا فلا حرج.

وقال سلمان رضي الله عنه: نهانا النبي ﷺ أن نجتزي بأقل من ثلاثة أحجار نستطيب

---

(١) القرآن الكريم: الأنفال/ ١١.

بهن ونهى عن الروث والرمّة، **وقال**: إنه زاد إخوانكم من الجنّ. **وقال**: إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، وإذا أتى الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه ولا يتمسّح بيمينه.

وأهدى أعرابي إلى عبد الملك شيئاً **فقال**: كيف أقبله منك وأنت لا تحسن أن تطوف أي تقضي حاجتك؟ **فقال**: إني لأطيل المشي حتى أتوارى كراهة أن أرى ولا أستقبل الريح وأجتنب القبلة وأستتر بالموجود وأقدم رجلاً وأؤخر أخرى وأفج إفجاج الثعلب وأتمسح بالحجر والمدر وأجتنب الروث والرمة، فقال عبد الملك: أنت نبيل أصيل فقيه، وقبل هديته وأجزل عطيته.

وكان ﷺ إذا دخل الخلاء يقول: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث. **ورُوي**: أعوذ بك من الرجس النجس الشيطان الرجيم، ولم يكن يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض.

● الوُضوءُ

اعتبر الشافعي رضي الله عنه النيّة في الوضوء لقوله ﷺ: الأعمال بالنيات، والتسمية مستحبة لقوله إذا تطهر أحدكم فليذكر اسم الله فإنه يطهر جسده وإن لم يذكر اسم الله لم يطهر إلا ما مرّ عليه الماء. **وقال ﷺ**: لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله وقال: بالغ في الإستنشاق إلا أن تكون صائماً. **وقال**: خللوا الشعر وأنقوا البشرة فإن تحت كل شعرة جنابة.

وتوضأ ﷺ مرة مرة **وقال**: هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به، ومن توضأ مرتين فهو أفضل ثم ثلاث مرات **وقال**: هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي. ورأى ﷺ قوماً تلوح عراقيبهم ما يصيبها الماء **فقال**: ويل للعراقيب من النار. وكان عبد الله بن رواحة وقع على جارية له ورأته امرأته فأنكر، فأمرته أن يقرأ القرآن، **فقال**:

شهدتُ بأنَّ وعدَ الله حقٌّ ... وأنَّ النارَ مَأوى الكافرينا

فقالت: صدق الله وكذب بصري ثم أخبر النبي عليه السلام فضحك ولم ينكره.

● كراهةُ صبِّ ماءِ الوُضُوءِ على الإنسان

كان الرضا عند المأمون فلما قرب وقت الصلاة رأى الخدم يأتونه بالطشت والماء **فقال الرضا**: لو توليت هذا من نفسك، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾(١) **فقال**: سمعاً وطاعة، وأمر الغلمان بانصرافهم وقد أجازوا ذلك. ووضع لرسول الله ﷺ وضوء **فقال**: من صنع هذا؟ فقيل ابن عبّاس **فقال**: اللهم فقهه في الدين.

● وُضوءُ العربِ والحَمقَى

كان أعرابي إذا توضأ قدم غسل وجهه على إسته، **ويقول**: لا أقدّم السوءة على

---

(١) القرآن الكريم: الفرقان/ ٤٨.

الوجه. **وقال أبو مهدية**: كنا نتوضأ وضوءة تكفينا الأسبوع والأسبوعين حتى جاءنا هذا الوالي يأمرنا أن نليق كل يوم استاهنا إلاقة الدواة فأفسد علينا ما كنا فيه، وانتفض أعرابي ثم أقبل فقيل له: ألا تمس ماء فتتنظف به، فقال هبوني غسلت ظاهرها فكيف أصنع بباطنها. **وقال أعرابي**: إني لأسبغ الوضوء وما تقع على الأرض مني قطرة. وكان بعض الناس يعاتب ابنه في تركه الوضوء والصلاة، فلما أكثر عليه، **قال**: يا أبت إما أن أتوضأ ولا أصلّي أو أصلّي ولا أتوضأ.

● نَقْضُ الوُضُوء

قال النبي ﷺ: إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً فأشكل عليه أخرج منه شيء أم لا، فلا يخرجنّ من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً. وقع الخلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في التقاء الختانين من غير إنزال، **فقال بعضهم**: لا يجب عليه الغسل لقوله ﷺ إنما الماء من الماء. **وقال بعضهم** يجب. فبعث عمر إلى عائشة رضي الله عنها فقالت: قال ﷺ إذا التقى الختانان وجب الغسل، **فقال عمر**: لئن بلغني عن أحد أنه فعل ذلك ولم يغتسل عاقبته.

● سؤرُ الكلبِ

قال ﷺ: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات أولاهن أو أخراهن بالتراب.

● التنزّه من البول وغسله

قال ابن عبّاس: مرّ رسول الله ﷺ بقبرين **فقال**: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كثير أما أحدهما فكان لا يتنزه من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقّها نصفين فغرز في كل قبر واحدة ثم قال لعلهما يخفف عنهما ما لم ييبسا.

● المَنِيّ

قالت عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ إذا أصاب ثوبه المني غسله وكأني أنظر إلى البقع في ثوبه من أثر الغسل. ورآه ﷺ في ثوب رجل فقال أمطه عنك بإذخرة[1]

● فَضْلُ مَنْ بَاتَ على الوُضوءِ

قال ﷺ: إذا أتيت مضجعك فتوضأ للصلاة ثم اضطجع على شقّك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت وجهي إليك وفوّضت أمري إليك والجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيّك الذي أرسلت فإن متّ في ليلتك متّ على الفطرة.

---

(١) **الإذخرة**: واحدة الإذخر، وهو نبات طيب الرائحة، والإذخر الحشيش الأخضر.

● **الحَيْضُ**

قالت عائشة: كنت إذا حضت يأمرني ﷺ أن أتزر ثم يباشرني وأيكم يملك أربه كما كان ﷺ يملك أربه.

● **التيمُّم**

قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[1] وقال ﷺ: التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين وقال ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً. وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب وقال: إني أجنبت فلم أصب الماء، فقال عمار بن ياسر لعمر رضي الله عنهما: أما تذكر أنا كنا في سفر فأجنبت أنا وأنت فأما أنت فلم تصل وأنا تمعكت في التراب فصليت، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال لي: إنما كان يكفيك هكذا. وضرب بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه.

(٧)

وَمِمَّا جاءَ في الصلاةِ

●

● **الحثُّ على عَمارةِ المساجدِ**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[2] وقال ﷺ: إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان، لأن الله تعالى **قال**: **إنما يعمر** مساجد الله من آمن بالله (الآية).

وقال أبو بكر رضي الله عنه: من بنى مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنّة. **وقال الحسن**: مهور الحور العين في الجنّة كنس المساجد وعمارتها. وروي أن مسجد النبي ﷺ في عهده كان مبنياً باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل، فلم يزده أبو بكر، وبناه عمر كما كان في عهده ﷺ، ثم غيّره عثمان وزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره من الحجارة المنقوشة والفضة، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه من ساج.

وقال ﷺ: جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع أصواتكم وخصوماتكم وإقامة حدودكم وسلّ سيوفكم وشراءكم وبيعكم. ولما حصب عمر المسجد **قال**: هو أغفر للنُّخامة[3]

● **فَضلُ القعودِ في المساجدِ**

قال أبو الدرداء: لابنه ليكن المسجد بيتك فإني سمعت رسول الله ﷺ **يقول**:

---

(١) **القرآن الكريم**: الكهف/ ١١١.

(٢) **القرآن الكريم**: النساء/ ٤٢.

(٣) **النخامة**: ما يدفعه الإنسان من صدره أو أنفه.

المساجد بيوت المتقين. **وقال** ﷺ: ترهب أمتي الجلوس في المساجد **وقيل**: المساجد مجالس الكرام.

وقال بعض الأنصار: من أتى المسجد وجد فيه ثماني خلال أخاً مستفاداً وعلماً مستظرفاً وآية محكمة ورحمة منتظرة وكلمة تردّ عن رديء وترك الذنوب حياء وحشمة. **وقال** ﷺ: الملائكة يصلّون على أحدكم ما دام في المسجد الذي صلى فيه. **يقولون**: اللهم أغفر له اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه أو يحدث فيه.

● أوقاتُ الصلواتِ

قال الله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾[1] **وقال** ﷺ: إذا زالت الشمس فصلّوا. وصلى جبريل بالنبي ﷺ لما صار ظل كل شيء مثله. وصلى في اليوم الثاني لما صار ظل كل شيء مثليه، **وقال**: يا محمد ما بين هذين وقت. **وقال** ﷺ: إذا اشتد الحر فأبردوا بالظهر فإن شدة الحر من فيح جهنم. ورُوي أنا كنا نصلي العصر ثم يرجع أحدنا إلى أقصى المدينة والشمس حية. **وقال**: لا تزال أمتي بخير ما لم يؤخروا المغرب إلى اشتباك النجوم فإذا غربت فقد وجبت الصلاة.

وقال: لولا أن أشق على أمتي لأخرت العشاء إلى نصف الليل. وعن أنس أن النبي ﷺ أخر العشاء الأخيرة إلى نصف الليل ثم صلّى بنا ثم **قال**: قد صلّى الناس وناموا أما أنكم أن تزالوا في صلاة منذ انتظرتموها.

● أوقاتُ الضرورةِ للصلاةِ

قال ﷺ: من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة، **وروي**: من أدرك ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح، ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر.

● الأوْقاتُ المَنْهِي فيها عن الصَّلاةِ

نهى النبي ﷺ عن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس، وعن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس.

وقال ﷺ: لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان. **وقال**: إذا بزغ حاجب الشمس فدعوا الصلاة وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغرب الشمس. وروت عائشة رضي الله عنها: ما ترك النبي ﷺ ركعتين بعد الصلاة في بيتي قط.

---

(١) القرآن الكريم: الإسراء/٧٨.

(٨)
بابُ الأذان

●

روي عن بلال أنه **قال**: أمرني النبي ﷺ أن أؤذن للفجر بالليل. وروي أنه غاب ليلة عن أصحابه ومعه أخو صدى فلما كان وقت السحر، **قال**: قمْ فأذن. فما زلنا ننتظر الصبح بعد ذلك حتى جاء بلال فأراد أن يقيم، **فقال** ﷺ: إن أخا صدى قد أذّن وإنما يقيم من أذن.

وروي أنه ﷺ أمر بلالاً بالترجيع. **وقال ابن عمر رضي الله عنهما**: كان الآذان على عهد رسول الله ﷺ مثنى مثنى والإقامة مرة مرة، غير أنه يقول قد قامت الصلاة مرتين.

وكان عثمان رضي الله عنه يقول إذا سمع الأذان: مرحباً بالقائلين عدلاً وبالصلاة مرحباً وأهلاً. ورُوي أن المسلمين لمّا قدموا المدينة كانوا يجتمعون فيتحينون الصلاة وليس ينادى بها **فقال بعضهم**: اتخذوا ناقوساً كناقوس النصارى. **وقال بعضهم** قرناً كقرن اليهود، فقال عمر رضي الله عنه: أولا تبغون رجلاً ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ فناد بالصلاة فأمره أن يشفع الأذان ويوتّر الإقامة.

● السُخفُ في الأذانِ

قيل: استؤجر رجل في قرية على أن يؤذن بعشرة دراهم، فاستزادهم، **قالوا**: ليس لنا ما نزيدك ولكن قد سامحناك في حيّ على الفلاح فلا معنى له مع قولك حي على الصلاة.

وقال بعضهم: مررت برجل يقول في أذانه أشهد أن لا إله إلا الله وهم يشهدون أن محمداً رسول الله **فقلت**: مالك لا تشهد شهادتهم؟ **فقال**: إنه يهودي مستأجر. **وقال بعضهم**: دخلت قرية فحان وقت الصلاة فدخلت مسجدها، فأذنت وأقمت وصليت بجماعة منها دخلوا المسجد، فلما سلمت ودعوت **قال أحدهم**: أمسلم أنت أم يهودي؟ **فقلت**: هل رأيت يهودياً صلّى بمسلمين؟ **قال**: إنما نقول لأن يهودكم خير من مسلمينا.

● الواجبُ من الصَلاةِ

قال أبو حنيفة رضي الله عنه: الوتر واجب ولم يوجبه غيره واستدلّ بما روي عن النبي ﷺ أنه **قال**: إنّ الله تعالى زادكم صلاة ألا إنها هي الوتر فأوتروا. **وروي** أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فسأله عن الصلاة الواجبة عليه فذكرها له، **فقال**: هل على غيرها فقال لا إلا أن تتطوع. وروي أن أعرابياً قال للنبي ﷺ بعد أن علمه الصلاة: هل عليّ غيرها؟ **قال**: لا، **قال**: والله لا أزيد فيها ولا أنقص، **فقال**: أفلح إن صدق. وروي الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله. ورُوي من ترك صلاة العصر فكأنما حبط عمله.

● الحثُ على صلاةِ الجَماعة

قال ﷺ: لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد. وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا

﴿يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾[1] أي بالسعي إليها والصلاة فيها.

• الصَّلاةُ في المطرِ

خطب ابن عباس في يوم جمعة، وكان ذا مطر، فأمر المؤذن أن يؤذن فلما **قال**: حي على الصلاة. **قال**: أمسك وأذن، الصلاة في الرحال[2]، فنظر القوم بعضهم إلى بعض **فقال**: قد أنكرتم ذلك قد فعله خير مني ومنكم فإنها عزمة، وإني كرهت أن أخرجكم. **وقال** ﷺ: إذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال.

• القراءةُ في الصلاةِ

قال الله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾[3]، **قيل**: عنى ذلك في الصلاة. **وقال** ﷺ: لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب. وروى أبو سعيد الخدري أنه ﷺ قال في كل ركعة قراءة فمن لم يقرأ في جميع الركعات فلا صلاة له. **وقال**: إذا أمن الإمام فأمنوا.

• رَفْعُ اليدينِ والذكرُ

روى جابر أن النبي ﷺ كان يرفع يديه إذا افتتح الصلاة وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع. **وقال**: إذا سجد أحدكم فليبدأ بركبتيه قبل يديه، ولا يبرك بروك الجمل. **وقال**: مكّن وجهك من الأرض حتى تجد حجم الأرض. **وقال**: أمرت أن أسجد على سبعة آراب

• التشّهدُ والتسليمُ

قال النبي ﷺ: إذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات إلى آخره. وروي أنه كان يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن. **وقال** ﷺ: تحريمها التكبير وتحليلها التسليم.

• سترُ العورةِ في الصَّلاةِ

قال الله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ﴾[4] قيل المراد بها في الصلاة لإجماع الناس أن أخذ الزينة لأجلِ المكان لا يجب. وسأل سلمة بن الأكوع النبي ﷺ **قال**: ربما أكون في الصيد وليس عليَ إلا ثوب واحد وأريد الصلاة **فقال**: زره لو بشوك. ولما سئل عن جواز الصلاة في الثوب الواحد، **قال**: أوكلكم يجد ثوبين، **وقال**: غطِّ فخذك فإنها عورة. **وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه**: لا تكشف فخذك ولا تنظر إلى فخذ حيّ ولا ميت. **وقال**: إذا زوج أحدكم عبده من أمته فلا ينظر إلى ما بين سرتها وركبتها فإن ذلك عورة من كل مسلم ونهى النبي ﷺ الرجل عن اشتمال الصماء وهو أن يجعل الثوب على أحد عاتقيه.

---

(١) القرآن الكريم: التوبة/ ١٩

(٢) الرحال: جمع رحل وهو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج، وما تستصحبه من الأثاث في السفر، والرحال الطنافس المصنوعة بالحيرة.

(٣) القرآن الكريم: المزمل/ ٢٠. (٤) القرآن الكريم: الأعراف/ ٣٠.

● **الكَلامُ في الصَلاةِ**

روى أبو هريرة أن النبي ﷺ تكلم بالمدينة فبنى، وروى زيد بن أرقم **قال**: كان الرجل منا يتكلم خلف رسول الله ﷺ فيدخل الداخل فيقول بكم سبقت، حتى أنزل الله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾[1]، فأمرنا بالسكوت. **وقال النبي ﷺ**: إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين إنما هي قراءة وتسبيح.

● **إعادةُ الصلاةِ لِمَنْ حَضَر الجَماعة.**

رُوِي أن النبي ﷺ صلى صلاة الفجر فلما فرغ رأى رجلين خلف الصف **فقال**: ما منعكما أن تصليا معنا؟ **قالا**: كنا قد صلينا في رحالنا فقال إذا جئتما فصليا وإن كنتما قد صليتما تكون الأولى فريضة والثانية سنة.

● **إعادةُ الصلاةِ**

قال النبي ﷺ: من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة إلا ذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[2]

● **سجودُ التلاوةِ والشُكْرُ**

قيل: سجدات القرآن أربع عشرة. **وقال مالك**: ليس في المفصل سجود. وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ كان يسجد في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾[3] واقرأ ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[4] وروى عقبة بن عامر رضي الله عنه **قال**: قال ﷺ: في الحج سجدتان فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما. وروى عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ سجد فأطال السجود **فقال**: بشرني جبريل أن من صلى عليك واحدة صليت عليه عشراً فسجدت هذه السجدة شكراً لله تعالى.

● **الشَكُ في الصَلاةِ**

قال ﷺ: من شك في صلاته فلم يدر أثلاثاً صلّى أم أربعاً فليصل أخرى، فإن كانت رابعة فقد تمت صلاته وإن خامسة كانت الركعة والسجدتان ترغيماً للشيطان. وروي عنه أنه صلى الظهر خمساً فلما أن سلم قيل له: أحدث في الصلاة حدث؟ قال وما ذاك؟ فقيل له في ذلك فثنى رجله وسجد سجدتي السهو.

● **المرورُ بين يَدَي المصلي والاعتراضُ بينه وبَيْنَ القبلَةِ**

روي أن أبا سعيد كان يصلي فمرّ رجل من آل أبي معيط بين يديه فمنعه، فأبى أن ينتهي، فمنعه فأبى فدفع في صدره. **قال** ومروان يومئذ على المدينة فشكا إليه، فقال مروان لأبي سعيد: فقال أبو سعيد قال رسول الله ﷺ: إذا مر بين يدي أحدكم شيء وهو يصلي

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/٢٣٨.
(٢) القرآن الكريم: طه/١٤.
(٣) القرآن الكريم: الانشقاق/١.
(٤) القرآن الكريم: العلق/١.

فليمنعه، فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان. وإني كنت نهيته فأبى أن ينتهي. وروي أن النبي ﷺ كان يصلّي وعائشة معترضة بينه وبين القبلة على الفراش الذي ينامان عليه.

وذكر بعد ذلك عند عائشة أنّ الصلاة يقطعها الكلب والحمار والمرأة، فأنكرت ذلك لما كانت تعلم من حالها. وكان ﷺ يحمل أمامة بنت زينب على عاتقة فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها.

- **التوجُهُ للقِبْلةِ**

قال البراء: قدم رسول الله ﷺ المدينة فصلى للقدس ستة عشر شهراً أو سبعة وكان ﷺ يحب أن يتوجه نحو القبلة فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ..﴾[1] (الآية) فمرّ رجل من الذين انحرفوا معه للقبلة بقوم من الأنصار يصلون للقدس، **فقال**: أشهد لقد تحولت القبلة للكعبة، فانحرفوا في صلاتهم نحو الكعبة فقالت اليهود ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ..﴾[2] الآية وكان ﷺ يصلي على راحلته حيث توجهت فإذا أراد الفريضة نزل فاستقبل.

- **رَميُ البزاقِ في الصَّلاةِ**

رأى النبي ﷺ نخامة[3] في الصلاة، فشقّ ذلك عليه حتى رؤي في وجهه، فقام فحكه، **وقال**: إنّ أحدكم إذا قام في صلاته فإنما يناجي ربّه وإن ربّه بينه وبين القبلة فلا يبصقن في قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه ثم رد بعضه إلى بعضه فقال أو يفعل هكذا.

- **الصلاةُ خَلْفَ كلِّ مُسْلِمٍ**

قال ﷺ: صلوا خلفَ كل برّ وفاجر. وكان ابن عمر رضي الله عنه يصلّي مع الحجاج فقيل له في ذلك، **فقال**: إذا دعونا إلى الصلاة أجبناهم وإذا دعونا إلى الشيطان تركناهم.

- **القصرُ في الصَّلاةِ**

قال الله تعالى: لا ﴿عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[4] وسئل رسول الله ﷺ ما بالنا نقصر وقد أمنا؟ **فقال**: صدقة تصدق الله بها عليكم. **وروي**: أنا سافرنا مع النبي ﷺ فمنا من أتم ومنا من قصر فلم يعب بعضنا بعضاً.

- **غسلُ الجُمْعَةِ وَفَضْلُهُ**

قال النبي ﷺ: من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنه، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما

---

(١) **القرآن الكريم**: البقرة/ ١٤٤.
(٢) **القرآن الكريم**: البقرة/ ١٤٢
(٣) **النخامة**: ما يدفعه الإنسان من صدره أو أنفه.
(٤) **القرآن الكريم**: التوبة/ ١٩.

قرب كبشاً، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة.

• وُجُوبُ الجُمُعَةِ

قال النبي ﷺ: إن الله فرض عليكم الجمعة في عامكم هذا في شهركم هذا في يومكم هذا إلا من تخلف عنها في حياتي أو بعد وفاتي، ألا لا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره. ألا لا صلاة له، ألا لا زكاة له، ألا لا حج له. **وقال**: الجمعة واجبة على كل مسلم إلا امرأة أو صبياً أو مملوكاً. **وقال**: من ترك ثلاث جمعات متواليات طبع الله على قلبه.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه من علم أن الليل يؤويه إلى أهله فليشهد الجمعة. **وقال**: إذا جاء أحدكم الجمعة والإمام يخطب فليصلّ ركعتين قبل أن يجلس.

• النهيُ عن تأخيرِ الصَلاَة عن وَقْتِهَا

قال ﷺ: الصلاة في أول الوقت رضوان الله وفي آخر الوقت عفو الله. **وقال وكيع**: من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها فما وقرها. **وقال رجل لابنه وهو مسافر** إياك وتأخير الصلاة عن وقتها فإنك تصليها لا محالة فصلها وهي تقبل. وقام بشر المريسي من مجلس المأمون للصلاة، **فقال له علي بن صالح**: أتقوم وأمير المؤمنين جالس؟ **فقال**: هذا وقت ليس لمخلوق فيه طاعة، **فقال المأمون**: صدق. وكان الحجّاج يخطب فأطال، فقام إليه رجل، **فقال**: إن الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك. **وقال ثعلب**: ما يكاد وقت الصلاة إلا تذكرت قول أبي تمّام:

وأحق الفتيان أن يقضي الد ... ين امرؤ كان للإله غريما

• الحثُّ على المحافظة على الصلوات

قال الله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾(1) قيل هي العصر، وقيل هي العشاء. **وقال ﷺ**: الصلاة عماد الدين. **وقال**: أقرب ما يكون العبد من ربه وقت صلاته ولذلك أمر بالدعاء في عقبها. **وقيل**: إذا كان يوم الجمعة بعث إبليس شياطينه إلى الناس بالركائب أي يذكرونهم الحاجات.

• بَرَكَةُ الصَلاَةِ وفَضلُ التهجُدِ

كان ﷺ إذا أصاب أهله خصاصة، أمرهم بالصلاة. ويقول: بهذا أمرني ربي. قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾(2) ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(3) وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾(4)

---

(1) القرآن الكريم: الإسراء/ ٧٨.
(2) القرآن الكريم: النساء/ ١٠٠.
(3) القرآن الكريم: طه/ ١٣٢.
(4) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٣٨.

وقال ﷺ: عليكم بقيام الليل فإنه توبة إلى الله وتكفير للسيئات ومنهاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسم.

وقال جعفر الخلدي: رأيت الحسن في المنام فقلت ما فعل الله بك؟ **فقال**: طاحت تلك العبارات وطارت تلك الإشارات وفنيت تلك العلوم ودرست الرسوم فما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في السحر.

وقال يوسف بن أسباط: إذا أخلص الرجل التعبد لله أربعين صباحاً أجرى الله على لسانه ينابيع الحكمة.

وقال ﷺ: أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم. وقيل للربيع: لِمَ لا تنام بالليل؟ **فقال**: أخاف البيات. وحُكِيَ عن بعض المتعبدين بمكة أنه افتتح الصلاة ورفع رجلاً إلى نصف الليل ثم وضعها ورفع الأخرى إلى الصباح، فقيل له **فقال**: لسعتني عقرب لما دخلت في الصلاة فرفعت الملسوعة، فلما كان نصف الليل لسعت عقرب الرجْلَ الأخرى فرفعتها ووضعت الأخرى، واستحييت أن أنصرف من بين يدي الله تَعالى للسعة عقرب.

وقال أبو ذر: صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور وصوموا في شدّة الحرّ لحرّ النشور.

● التكاسُلُ عن التَهَجُدِ

قال رجل للنبي ﷺ: لست أقوى على قيام الليل، **قال**: فلا تعصه بالنهار، أي عجزك بالليل لعصيانك بالنهار. **وقال رجل لسليمان**: لا أستطيع قيام الليل فقال لعلك تفجر بالنهار.

● عَتَبُ مَنْ يخفّف حتى يُخِلُّ بالأركانِ

قال ﷺ: أسوأ الناس سرقة من يسرق من صلاته. ونظر الشبلي إلى رجل يسرع في صلاته **فقال له**: إنك لتخون، وبعد الخيانة لا تقبل الأمانة. **وقال بعضهم**: إن الصلاة مكيال فمن وفى وفي له ومن طفف فـ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾(1) وصلى رجل صلاة خفيفة ثم **قال**: اللهم زوجني من الحور العين، فقال أعرابي: بئس الخاطب أنت أعظمت الخطبة وأسأت النقد. ونظر الجماز إلى من يخففها فقال صلاتك رجز فأتى في التشبيه بما هو من صنعته.

● عُذْرُ مَنْ صلّى صلاةً خفيفةً

صلى رجل صلاة خفيفة فقيل له ما هذه الصلاة؟ **قال**: صلاة ليس فيها رياء. وصلّى بعض العلماء فخفّف **وقال**: أغالب شيطاني. ورأى أبو حنيفة رجلاً يصلّي ولا يركع فقال ما

---

(1) **القرآن الكريم**: المطففين/ 1.

هذا؟ **فقال**: إني رجل عظيم البطن فإذا صليت وركعت ضرطت فأيما أحسن.

● عَتَبُ إمام يُطيلُهَا

قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: أفتان أنت يا معاذ. **وقال عثمان بن أبي العاص**: آخر ما عهد إلينا رسول الله ﷺ **قال**: إذا أممت قوماً فأخف بهم الصلاة. وقرأ إمامٌ سورة طويلة فعاتبه من كان خلفه، **فقال الإمام**: قد قرأ أبو بكر البقرة وآل عمران في صلاة الصبح، **فقال الرجل**: قد رأيت ما فعل أهل الردة من هذا وأشباهه. وأطال إمام الصلاة فلما فرغ عاتبه من كان خلفه **فقال**: وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين، **فقال الرجل**: أنا رسول الخاشعين إليك، إنك ثقيل وإنهم لا يقدرون على احتمال بردك.

● المعيَّرُ بتركِ الصَّلاةِ

قال أبو العيناء لابن مكرم: قم وصلِّ فقال قد جمعت بينهما، **فقال**: نعم بالترك. وكان بأصبهان رجل يقال له الكناني في أيام أحمد بن عبد العزيز، وكان يتعلم أحمد منه الإمامة فاتفق أن تطلعت عليه أم أحمد يوماً **وقالت**: يا فاعل جعلت ابني رافضياً، فقال الكناني: الرافضة تصلّي كل يوم إحدى وخمسين ركعة وابنك لا يصلي كل أحد وخمسين يوماً ركعة.

● المُكْرَهُ على الصَّلاةِ

أمر المنصور أبا دلامة أن يلازم الصلاة، **فقال**:

ألم تعلموا أن الخليفة لزّني بمسجده والقصر مالي وللقَصْرِ
أصلّيهما كَرْهاً على غير نيّةٍ فمالي في الأولى ولا العصر من أجرِ
ويحبسُني عن مجلس أستلذّه أُعَلِّلُ فيهِ بالغناء وبالخَمْرِ
وما ضرّه والله يصلِحُ أمرَه لو أن ذنوبَ العالمين على ظَهْرِيَ

وله:

وجفاني الأمير كي أتقرأ فتقرأت مُكْرَهاً لجفائهْ
والذي أنطوى عليه المعاصي علم الله نيتي من سمائِهْ

وكانت امرأة تكره ابنها على الطهارة والصلاة وهو يأبى، **فقال**: أرضي بإحداهما **فقالت**: رضيت بالطهارة. فلما تطهّر قالت له: صَلِّ فالطهارة بلا صلاة ليست بشيء فضرط **وقال**: نَقَضْتِ فنقضنا.

● طُرَفٌ مِنْ صَلاةَ الأعْرَابِ

أقام أعرابي **فقال**: على العمل الصالح قد قامت الفلاح. ثم قام يصلّي **فقال**: اللهم حسبي ونسبي وأردد ضالّتي واحفظ همْلي والسلام عليكم. ودخل أعرابي الحضر فقام يصلّي في الصف الأول فقرأ الإمام ألم نهلك الأولين؟ فتأخر إلى الآخر، فقال ثم نتبعهم

الآخرين. فخرج من المسجد يقول: يا ابن الفاعلة أهلكت الفريقين

وصلى أعرابي مع قوم فلما سجدوا عدا وقال: قد صعق القوم ورب الكعبة. وصلّت أعرابية مع الجماعة فقرأ الإمام: وأنكحوا الأيامى وأرتج عليه، فجعل يرددها، فخرجت الأعرابية إلى أخيها فقالت يا أخي ما زال الإمام يأمرهم بنكاحنا حتى خفت أن يثبوا عليّ

● المتبجِّحُ بتركِ الصَّلاةِ

رؤي أبو نواس وهو يصلي في الجماعة فقيل له: ما هذا؟ فقال أردت أن يرتفع إلى السماء خبر ظريف. وقال السفّاح لأبي دلامة: الصلاة، فقال حتّى تذهب حمياها قال وما حمياها؟ قال: الركعتان الأولتان لأنهما أطول.

وقال بعضهم: تعلمت من أحاديث النبي ﷺ ثلاث أحاديث ونصفاً الأول إذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال، الثاني ليس من البر الصيام في السفر، الثالث إذا حضرت الصلاة والعشاء فابدأوا بالعشاء. ونصف الحديث: حبب إليّ من دنياكم ثلاث النساء والطيب، وقد قال وجعلت قرة عيني في الصلاة.

● المُعتذِرُ لتركِهِ الصَّلاةَ

قال الأصمعي: رأيت أعرابياً في يوم بارد وقد عمد إلى أكمة فكنسها بشملته ثم توجه إلى القبلة، فقال:

إليكَ اعتذاري من صلاتي قاعداً ... على غيرِ طهر مؤمناً نحو قبلةِ
فمالي ببردِ الماء يا ربّ طاقةٌ ... ورجلاي لا تقوى على ثني رِكبتي
ولكنني أُحصيه والله جاهداً ... واقضيكهُ يا ربُّ في وجهِ صيفتي
فإن أنا لمْ أفعلْ فأنتَ مُسلّطٌ ... بما شئتَ من صَفْعي ومن نتفِ لحيتي

وقال ابن طباطبا:

وما طلت ربي بالصلاة ولم يزل ... يساهلني ربّي لحسن قضائي

● المحرّضُ على تَرْكِ الصَّلاةِ

قال بعض الخاسرين لرجل كان يأتي الصلاة من أربع فراسخ ويكري حماراً بأربعة دراهم: أنت تسير أربعة فراسخ وترجع أربعة وتضيع أربعة، وتغرم أربعة. ونظر بعض المعتزلة إلى رجل مغموم، فسأله فقال: فاتتني ركعة فقال إنما فاتك ما أدركته. وكان بعضهم يتباطأ عن الجمعة فرأى من يستعجل ويقول أخشى أن تفوتني الجمعة فقال: أنا أخشى أن أدركها.

● صَلاةُ الاستِسْقَاءِ

خرج رسول الله ﷺ فاستسقى فقلب رداءه وكان يخطب يوم الجمعة، فدخل رجل المسجد، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطع النسل فادع الله أن يغيثنا، قال فرفع ﷺ يديه وقال: اللّهم أغِثْنا اللّهم أغِثْنا.

قال أنس رضي الله عنه: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت أو دار. فطلعت سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المستقبلة **فقال:** يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله أن يمسكها عنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه **فقال:** اللّهم حوالينا ولا علينا، اللّهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الأشجار. **وقال:** فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس.

(٩)
الزكاة

●

● فَضلُ التَّصدُّقِ وَمَدْحُهُ

في الخبر: الصدقة تطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السوء. **وقال ﷺ:** ما تصدق أحد بصدقة إلا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل، ثم قرأ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[1]

وقال: استنزلوا الرزق بالصدقة. وكان أهل الصفة إذا أمسوا ينطلق الرجل بالرجل والرجلين وسعد بن عبادة ينطلق بثمانين.

● التَدَاوي بالصَدَقَةِ

قال النبي ﷺ: الصدقة دواء منجح. **وقال عليه الصلاة والسلام:** حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا البلاء بالدعاء. وعاد حاتم الأصم بعض الأغنياء، فلما خرج، بعث إليه بمال، **فقال:** أهذا كان فعله في الصحة؟ فقيل: لا، **فقال:** اللهم أدم حاله هذه فإنه صلاح الفقراء.

● الحثُ على الصدقةِ بالقليلِ

قال النبي ﷺ: اتقوا النار ولو بشق تمرة. **وقال عليه الصلاة والسلام:** لا يمنعكم من معروفٍ صغرُهُ. **وقال عليه السلام:** لا تردوا السائل ولو بظلف محرق أوصلة حبل. **وقال عليه السلام:** لا تحقروا اللقمة فإنها تعود يوم القيامة كالجبل العظيم. ثم تلا: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[2] **وقال عليه الصلاة والسلام:** مهور الحور العين فلق الخبز وقبصات التمر. **وقال ﷺ:** على كل مسلم صدقة. **قيل:** يا رسول الله أرأيت لو لم يجد. قال يعتمل بيده فينفع نفسه ويتصدق. قيل فإن لم يجد، **قال:** يعين ذا الحاجة الملهوف، قيل فإن لم يستطع، قال يأمر بالمعروف، **قيل:** فإن لم يستطع، **قال:** يمسك عن الشر فإن له صدقة.

---

(١) القرآن الكريم: طه/ ١٣٢.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٧٦.

وروي أن عائشة كانت تأكل العنب فتعرضت لها سائلة فأعطتها حبة، فقيل لها في ذلك، فقالت: إن فيها مثاقيل ذر تعني بذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾.

● الحثُّ على إخفاءِ الصَّدَقةِ

قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1] وقال: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾[2] وقيل: لا خير في المعروف إذا ذُكِرَ، ولا في الصدقة إذا نُشِرَتْ. وقال عليه السلام: ثلاث من كنوز الجنة، كتمان الصدقة والمرض والمصيبة. وقال جعفر بن أبي طالب: حسن الجوار عمارة الدار وصدقة السر مثراة للمال.

● الحثُّ على التصدُّقِ أيامَ الصِّحة

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أي الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: أن تتصدق صحيحاً تأمل العيش وتخاف الفقر، ولا تمهل حتى إذا كانت في الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا.

● الحثُّ على تَطْييبِ الصَّدَقَةِ

قال النبي ﷺ: لا يقبل الله صلاة بلا طهور ولا صدقة من غلول. وقال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[3] فلما نزلت هذه الآية قام أبو طلحة فقال: أحب الأموال إليّ بئر ماء والصدقة لله تعالى أرجو ذكرها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال عليه السلام: بخ بخ إن ذلك مال رابح أرى أن تضعه في الأقربين، وقال بعضهم:

بَنيتَ بما خنتَ الإمامَ سقايةً ... فلا شربوا إلا أمرَّ من الصَّبرِ
فما كنتَ إلا مثلَ بائعةٍ إستَها ... تعودُ على المرضى به طلبَ الأجرِ

● مَنْ يُحِبُّ أن يتصدّق من غير مالِهِ

قال النبي ﷺ: إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة فإن لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما اكتسب، وللخادم مثل ذلك، ولا ينقص بعضهم أجر بعض.

● ما يَدلُّ على وُجُوبِ الزكاةِ

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[5] وقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[6] وقال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[7] وقال تعالى:

---

(١) القرآن الكريم: العنكبوت/ ٤٥.
(٢) القرآن الكريم: التوبة/ ١٠٥.
(٣) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٧١.
(٤) القرآن الكريم: البينة/ ٥.
(٥) القرآن الكريم: الأعلى/ ١٤.
(٦) القرآن الكريم: التوبة/ ١٠٣.
(٧) القرآن الكريم: الذاريات/ ١٩

﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1] وقيل: الكنز هو كل ما لم تؤدَّ زكاته بدلالة قوله عليه الصلاة والسلام: ما أدى زكاته فليس بكنز ولما منع الزكاة مَنْ منع من العرب. قال عمر لأبي بكر كيف تقاتل؟ وقد قال النبي ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله، فقال أبو بكر رضي الله عنه من حقّه أداء الزكاة والله لو منعوني عناقاً لقاتلتهم على عنقها.

● من يحب أن تُدفع إليه الزكاة وَمَنْ لا يجوزُ دفعُها إليه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[2] وقال ﷺ: إبدأ بمن تعول. وقال ﷺ: لا تردوا السائل ولو على فرس. وقال عليه السلام: قال رجل لا تصدقنّ بصدقة فخرج بصدقته فوقعت في يد سارق، وتصدق في اليوم الثاني فوقعت في يد زانية، وتصدق في اليوم الثالث فوقعت في يد غني فقيل له في ذلك، فساءه ذلك فأتى في منامه فقيل: إن الله قبل صدقتك فالزانية استعفت بصدقتك وكذلك السارق والغني اعتبر بصدقتك.

وقال أبو هريرة: أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي ﷺ: كخ كخ ليطرحها، أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة. وقالت عائشة رضي الله عنها: أتى النبي ﷺ بلحم فقلنا هذا مما تصدق به على فلانة، فقال: هو لها صدقة وهو لنا هدية.

● فَرَضُ الإِبْلِ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ التي أمر الله بها فمن سئلها على وجهها فليعطها، ومن سئل فوقها فلا يعطه في أربع وعشرين من الإبل فما دونها الغنم، وفي كل خمس شاة فإذا بلغت خمساً وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها ابنة مخاض فإن لم تكن ابنة مخاض، فابن لبون ذكر.

وإذا بلغت ستاً وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لبون، وإذا بلغت ستاً وأربعين إلى ستين ففيها حقة طروقة الفحل، فإذا بلغت إحدى وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة، فإذا بلغت ستاً وسبعين إلى تسعين ففيها ابنا لبون، فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومائة ففيها حقّتان طروقتا الفحل.

فإذا زادت على عشرين ومائة، ففي كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة، ومن بلغت صدقته جذعة وعنده حقة، فإنها تقبل منه ويجعل معها شاتين إذا استيسر أو عشرين درهماً، فإذا بلغت صدقته الحقة وليست عنده حقة وعنده جذعة فإنها تقبل منه الجذعة ويعطيه المتصدق عشرين درهماً أو شاتين.

---

(١) القرآن الكريم: التوبة/ ٣٤.
(٢) القرآن الكريم: التوبة/ ٦١.

● **صَدَقَةُ البَقَرِ والغَنَمِ**

روي أن النبي ﷺ أمر معاذاً أن يأخذ من ثلاثين تبيعاً ومن أربعين مسنة. وروي أنه أتى بدون ذلك فلم يأخذه **وقال**: لم أسمع من رسول الله ﷺ فيه شيئاً حتى ألقاه فأسأله. فتوفي رسول الله ﷺ قبل أن يقدم معاذ.

وقال عليه السلام: ليس في الغنم صدقة حتى تبلغ أربعين، فإذا بلغتها ففيها شاة ولا شيء في زيادتها حتى تبلغ مائة وإحدى وعشرين، فإذا بلغتها ففيها شاتان وليس في زيادتها شيء حتى تبلغ مائتين وشاة، فإذا بلغتها ففيها أربع شياه ثم في كل مائة شاة.

وقال عمر رضي الله عنه: اعتد عليهم بالسخلة يروح بها الراعي ولا تأخذها ولا تأخذ الأكولة ولا الربي ولا الماخض ولا فحل الغنم وخذ الجذعة والثنية. وقال النبي ﷺ لمعاذ: إياك وكرائم أموالهم.

● **صَدَقَةُ الخلِيطينِ**

في الحديث لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة. وما كان في الخليطين فإنهما متراجعان بالسوية، معناه لا يفرق بين ثلاثة خلطاء في عشرين ومائة شاة فإنما عليهم شاة وإذا كانت لثلاثة كان فيها ثلاث شياه ولا يجمع بين متفرق رجل له مائة شاة ورجل له مائة شاة فإذا تركتا متفرقتين ففيهما شاتان وإذا جمعتا ففيهما ثلاث شياه. فخشية الساعي أن تقل الصدقة وخشية رب المال أن تكثر فأمر كلاً.

وفي حديثه عليه الصلاة والسلام: لا أخلاط ولا وراط. ومن أحبى فقد أربى وكل مسكر حرام.

● **وُجُوبُ الزَّكاةِ في مالِ اليتيمِ لا المُكاتبِ**

قال النبي ﷺ: اتجروا في مال اليتيم لا تأكله الصدقة. وروى جابر عن النبيّ ﷺ: لا زكاة في مال المكاتب وهو عبد ما لم يؤدِ كتابته بدلالة قوله ﷺ المكاتب عبد ما بقي عليه درهم.

● **تعجيلُ الزكاة**

رُوي أن العباس استأذن النبي ﷺ في تعجيل صدقته قبل أن تحل، فأذن له وشكوا خالداً والعبّاس وابن جميل **فقال**: أما العباس فإنا قد أسلفنا منه صدقة العام والعام المستقبل. وروي أنه عليه الصلاة والسلام استسلف بكراً من الصدقة.

● **ما لا تجِبُ فيه الزَّكاةُ**

قيل: لا تجب في عوامل الإبل صدقة بدلالة قول النبي ﷺ في سائمة الغنم زكاة، فدلالة خطابه دل أن لا زكاة في علوفتها. **وقال عليه السلام**: ليس في الكسعة ولا في الجبهة ولا في النحة صدقة. والأفراس عند الشافعي رضي الله عنه لا تحب فيها الزكاة،

وعند أبي حنيفة تلزم في إناثها ويستدل أن عمر رضي الله عنه جمع الصحابة واستشارهم حتى كتبوا إليه في الشأم أن أخرج المصدقين إليها فأوجب في كل فرس ديناراً. وروى أصحابه عن النبي ﷺ أنه قال: في كل فرس سالم دينار وليس في المرابطة شيء.

• زَكَاةُ الحُبوب والثِّمار

قال الله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[1] وروي أن رسول الله ﷺ أخذ الصدقة في الحنطة والشعير والذرة، وقال عليه السلام: فيما سقت السماء العشر. فلم يعتبر أبو حنيفة القدر وأوجب في القليل والكثير. والشافعي خصص هذا الخبر بقوله عليه السلام: ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة فلم يوجب فيما دونها، وأما الخضراوات فقد أوجب أبو حنيفة رحمة الله عليه في جميعها الزكاة، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾. ومنع من إيجابه الشافعي استدلالاً بقول النبي ﷺ: ليس في الخضراوات صدقة.

• خرصُ النَّخلِ والكَرْم

قال النبي ﷺ لليهود حين افتتح خيبر: ما أقركم إلا على أن التمر بيننا وبينكم؟ وكان يبعث عبد الله بن رواحة فيخرص عليهم ثم يقول: إن شئتم فلكم وإن شئتم فلي فكانوا يأخذونه. وقال عليه السلام في زكاة الكرم: تخرص كما تخرص النخل ثم يؤدي زكاته زبيباً كما يؤدي زكاة النخل تمراً وقال أبو حنيفة: لا يعتبر الخرص بدلالة ما روى جابر أنه نهى عن الخرص وعن المزابنة وهي بيع الثمار على رؤوس النخل بخرصه تمراً.

• زكاة الذّهبِ والفِضّةِ والعَرْضِ

قال النبي ﷺ: ليس فيما دون مائتي درهم شيء فإذا بلغت مائتي درهم ففيها خمسة دراهم وما زاد فبحسابه. وقال عليه السلام في الرقة ربع العشر، فأما الحلى فقد اختلف فيه. وروي أن النبي ﷺ قال لامرأتين معهما حلى: أديا زكاتهما، وأنه قال: في الحلى زكاة. وروي عنه أنه قال: زكاة الحلى إعارتها.

وقال حماس: مررت على عمر بن الخطاب وعلى عنقي أدمة أحملها فقال: ألا تؤدي زكاتك يا حماس؟ فقلت: يا أمير المؤمنين مالي غير هذه راهت في القرظ. فقال: ذاك مال فضع فوضعتها بين يديه فوجدها قد وجب فيها الزكاة فأخذها منها.

• زكاةُ الفِطرِ

روى ابن عمر أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على كل حر وعبد ذكراً وأنثى من المسلمين.

---

(١) القرآن الكريم: آل عمران/ ٩٢.

(١٠)
ومِمَّا جاءَ في الصَّوْمِ

•

• وجُوبُ الصَّوْم

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[١] الآية وقال: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٢] **وقال رجل للنبي ﷺ** أخبرني بما فرض الله من الصيام **قال**: شهر رمضان إلا أن تتطوع.

• فَضْلُ شَهْرِ رَمَضَانَ والصَّوْمِ

قال النبي ﷺ: من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر غُفر له ما تقدم من ذنبه. **وقال ﷺ**: إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين. **وقال عليه السلام**: يا معشر الشبان من استطاع منكم الباءة[٣] فليتزوج فإنه أغضّ للبصر وأعف للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء.

وقال ابن عباس: ما صام رسول الله ﷺ شهراً كاملاً قط غير رمضان وكان يصوم إذا صام حتى يقول القائل لا يفطر، ويفطر حتى يقول القائل لا يصوم.

وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: أخبروا النبي ﷺ إني أقول لأصومن النهار ولأقومن الليل ما غشت، **فقال عليه السلام**: إنك لا تستطيع ذلك، فصم وافطر ونم وقم وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر، **فقلت**: إني أطيق أكثر من ذلك **قال**: فصم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود وهو أعدل صيام فقلت إني أطيق أكثر من ذلك فقال عليه السلام: لا أفضل من ذلك.

• النِّيَّةُ في الصَّوْم

قال النبي ﷺ: لا صيام لمن لم يبيت النية من الليل وروي من لم ينو الصوم قبل الفجر فلا صوم له. **وروي** أنه بعث إلى أهل العوالي وقد تعالى النهار إن من أكل فليمسك ومن لم يأكل فليصم. وتجوز النية للمتطوع في النهار عند الشافعي واستدل بأن النبي ﷺ دخل على بعض أزواجه **فقال**: هل عندكم غداء فقالوا لا، **فقال**: إني إذاً صائم.

• صَوْمُ عاشوراء

روى ابن عمر أن النبي ﷺ أمر بصوم عاشوراء إلى أن فُرض رمضان، وروي أن

---

(١) القرآن الكريم: طه/ ١٣٢. (٢) القرآن الكريم: البينة/ ٥. (٣) الباءة: المنزل، والباءة المحيط.

معاوية دخل المدينة فخطب **فقال**: أين علماؤكم؟ سمعت النبي ﷺ **يقول**: ما كتب الله عليهم صيامه فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر.

● نَفْعُ الصَوْمِ وَثَوابُهُ

سئل أبو عبد الله بن الحسين رضي الله تعالى عنه عن الصوم لِمَ أوجبه الله تعالى؟ **فقال**: ليجد الغني الجوع فيعود بالفضل على الفقير وعن ابن مسعود رضي الله عنه: للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وحدث مجاهد: أيما رجل أكل عنده وهو صائم صلت عليه الملائكة ما دام ذلك الطعام يؤكل عنده. وعن رسول الله ﷺ: لا يصوم العبد يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه من النار خريفاً.

● رُؤْيَةُ هِلالِ رَمَضَانَ

قال ﷺ: صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم الهلال فعدوا ثلاثين. **وقال ابن عمر رضي الله عنهما**: تراءينا الهلال فرأيته فأخبرته ﷺ فصام وأمر الناس بالصيام. **وقال ابن عباس رضي الله عنهما**: تراءينا الهلال على عهد رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فشهد عنده أنه رأى الهلال، **فقال له رسول الله** ﷺ: أتشهد أن لا إله إلا الله وتمامه، فقال: نعم، **فقال**: يا بلال نادِ في الناس أن يصوموا غداً.

وفي خبر آخر: لأن أصوم يوما من شعبان أحب إليّ من أن أفطر يوماً من رمضان وروي أنه كان يقبل في هلال رمضان شهادة الواحد ولا يقبل في شهادة شوال إلا عدلين. وأتى رجل في زمن عمر رضي الله عنه فشهد أنه رأى الهلال **فقال**: بأي عينيك رأيت الهلال؟ قال بشرهما وهي الباقية لأن الأخرى ذهبت مع النبي ﷺ في بعض غزواته، فأجاز شهادته.

● كَراهَةُ رؤيتِهِ

نظر مخنث إلى قمر رمضان فقال أرانيك الله بالسل، فأخذه ابن المعتز فقال:

يا قمرا قد صارَ مثلَ الهلالِ ... من بعدِ ما صيّرني كالخِلالِ
الحمدُ لله الذي لم أمُتْ ... حتى أرانيك بداء السلالِ

وطلبوا يوماً هلال رمضان **فقال لهم أبو مهدية**: كفوا فما طلب أحد عيباً إلا وجده. وصعد قوم لطلب هلال رمضان فلم يروه فلما أرادوا الانصراف رآه صبي فأراه القوم **فقال له بعضهم**: بشر أمك بالجوع المضني. وقيل لرجل: أما تنظر إلى الهلال **فقال**: ما أصنع به؟ محل دين ومقرب حين ومؤذن بالجوع.

- **ما يُستَحبُ للصَائِم تَجنُبُه**

قال النبي ﷺ: الصيام جنة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم. **وقال ﷺ**: من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فلا حاجة لله أن يدع طعامه وشرابه.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقبّل وهو صائم ويباشر وهو صائم وكان أملككم لإربه.

- **ما يُفسِدُ الصَومَ والكافرةُ المتعلّقة بإفطارِه والرُخصَةَ فِيه**

قال النبي ﷺ: من ذرعه القيء لم يقض، ومن استقاء عامداً فليقض. وروي أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ **فقال**: هلكت وأهلكت فقال ما أهلكك؟ **قال**: واقعت امرأتي في نهار رمضان وأنا صائم، **فقال**: أعتق رقبة، **فقال**: لا أستطيع، **فقال**: صم شهرين متتابعين. **قال**: لا أستطيع، قال فأطعم ستين مسكيناً. **قال**: لا أستطيع. فأتى النبي ﷺ بعرق من تمر فيه ثلاثون صاعاً **فقال**: تصدّق به، **فقال**: ليس بين لابتيها أحوج إليه مني فقال ﷺ: كله أنت وعيالك. **وقال**: من أكل أو شرب في نهار رمضان ناسياً فلا قضاء عليه ولا كفارة، وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾[1]

وقال ﷺ في المرضع: إذا خافت على ولدها أفطرت ولزمها نصف صاع. وروى بعضهم إذا سافرنا مع النبي ﷺ في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يعير المفطر على الصائم ولا الصائم على المفطر.

- **ما يَفعَلُ عن نسيان في الصوم مما يُنافيه**

قال النبي ﷺ: من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه. ومن النوادر في ذلك ما روي أن أبا هريرة أتاه رجل **فقال**: دخلت داراً فأطعموني ولم أدر **فقال**: الله أطعمك وسقاك، **قال**: ثم دخلت داري فجامعت، فقال ليس هذا فعل من تعوّد الصيام. وسئل عكرمة عن القبلة للصائم فقال هي كالخبز إذا وضعته على فمك.

- **الوقتُ المُنهى عنِ الصومِ فيه**

نهى النبي ﷺ عن صوم يوم الفطر ويوم النحر وأيام التشريق. **وقال أيضاً**: ليس من البر الصيام في السفر. **وقال**: من صام في السفر فلا صام ولا أفطر. وهذا على مذهب الإمام أبي حنيفة، فأما الشافعي فمذهبه أنه مخير بين أن يصوم أو يفطر.

وروي أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال لرسول الله ﷺ: أصوم في السفر، **فقال**: إن شئت فصم وإن شئت فافطر. **وقال أنس رضي الله تعالى عنه**: سألت رسول الله ﷺ أصوم

---

(١) القرآن الكريم: البينة/٦١.

يوم الجمعة فلا أكلم أحداً، فقال: لا تصم يوم الجمعة إلا في أيام هو أحدها أو في شهر، ولأن تتكلم تأمر بمعروف وتنهى عن منكر خير من أن تسكت.

• النَهيُ عن المُوَاصَلَةِ

قال النبي ﷺ: لا تواصلوا، قالوا: إنك لتواصل. **قال**: إني لست كأحد منكم إني أطعم وأسقي.

• إباحةُ الأكلِ والجُماعِ في لَيالي الصوْم

كان أصحاب النبي ﷺ إذا كان أحدهم صائماً فنام قبل أن يفطر لم يأكل إلى مثلها. وإن قيس بن صرمة كان صائماً وكان يومه ذاك يعمل في أرضه، فلما حضر الإفطار أتى امرأته **فقال**: هل عندك طعام؟ **قالت**: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك. فغلبته عيناه فنام فجاءته امرأته فلمّا رأته قالت: قد نمت، وذكر للنبي ﷺ فنزل قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[1] إلى قوله: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟..﴾[2] الآية.

وقال عدي بن حاتم: لما نزلت هذه الآية عمدت إلى عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر إليهما، فلما تبين لي الأبيض من الأسود تركت الأكل، فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته **فقال**: إن كان وسادك لعريضاً إنما ذاك بياض النهار وسواد الليل. وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: من أصبح جنباً أفطر ذلك النهار. فسألتُ عائشة عن ذلك **فقالت**: ليس كما قال، أشهد أن الرسول ﷺ إن كان ليصبح جنباً من جماع غير احتلام، ثم يصوم ذلك اليوم، ثم سئلت أم سلمة فقالت كقول عائشة، فلما رجع أبو هريرة **قال**: لا علم لي إنما أخبرنيه مخبر. وبعض الأخبار أنه قال أخبرنيه الفضل بن العباس.

• ما يتَقَوّى به على الصَوْمِ

قيل لرجل: كيف تقدر على الصوم في هذا الحر؟ **فقال**: من عرف قدر ما يسأله هان عليه ما يبذله. **وقيل**: قوام الصوم بثلاث من أطاقهن فقد ضبط الصوم: من تسحر وقال وأكل قبل أن يشرب **وقيل**: لا يقوى على الصوم إلا من كبر لقمه وطاب أدمه.

• التَسحُرُ والإفطَارُ

في الخبر: من السنّةِ تعجيلُ الإفطار وتأخيرُ السحور. **وقال ﷺ**: لا تزال الناس بخير ما عجلوا الفطر. **وقال أيضاً**: تسحروا فإن في السحور بركة.

---

(١) القرآن الكريم: الأنعام/١٤١.

(٢) القرآن الكريم: البقرة/١٨٣.

● **الرّخصةُ في الإفطارِ عن التطوّع**

روي أن رسول الله ﷺ آخى بين سلمان وأبي الدرداء. فرأى سلمان امرأة أبي الدرداء صيدلة، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: إن أخاك أبا الدرداء يقوم بالليل ويصوم بالنهار وليس له في شيء من الدنيا حاجة، فجاء أبا الدرداء فرحب به وقرب إليه طعاماً فقال له سلمان: أطعمه قال: إني صائم قال: أقسمت عليك لتفطرن، فقال ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل معه.

ثم بات عنده فلما كان من الليل أراد أبو الدرداء أن يقوم فسمعه سلمان فقال إن لجسدك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، صم وافطر وصلِ وأتِ أهلك، وأعط كل ذي حق حقه. فلما كان وجه الصبح قال له: قم الآن إن شئت فقام وتوضأ ثم ركعا وخرجا إلى الصلاة، فدنا أبو الدرداء ليخبر رسول الله ﷺ بالذي أمره سلمان، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا الدرداء إن لجسدك عليك حقاً على ما قال سلمان.

● **المَسَرةُ بإتيانِ الصَوْمِ**

قال شاعر:

جاءَ الصيامُ فجاء الخيرُ أجمعُهُ ... ترتيلُ ذكرٍ وتحميدٌ وتسبيحُ

فالنفسُ تدأبُ في قولٍ وفي عملٍ ... صومُ النهارِ وبالليلِ التراويحُ

● **أدعيةُ الصَوْمِ**

كان ﷺ يقول في شهر رمضان: اللّهم سلمه لنا وتسلمه منا. وكان الربيع بن خيثم يقول: الحمد لله الذي أعانني فصمت ورزقني فأفطرت. **وقال النبي ﷺ** اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت.

● **التبرُمُ بالصومِ في غَيْرِ رَمَضان.**

قيل لأعرابي: ألا تصوم البيض؟ **قال:** دعني منها فبين يديها ثلاثون كأنها القباطي. وقيل لزيد: صوم يوم عرفة يعدل صوم سنة فصام إلى الظهر وقال يكفيني ستة أشهر فيها رمضان.

● **التبرُمُ بشهرِ رَمَضَان**

أسلم مجوسي فأطلَّ عليه شهر رمضان فعجز عن الصوم. **فقيل له:** كيف ترى الإسلام فقال:

وجدنا دينَكم سهلاً علينا ... شرائعُه سوى شهرِ الصيامِ

وقال ابن الرومي:

شهرُ الصيام وإن عظُمتْ حُرمتُهُ ... شهرٌ ثقيلٌ بطيءُ السيرِ والحَرَكَة

يا صدقَ من قال أيامُ مباركةٌ   إن كان يُكنى عن إسم الطولِ بالبَرَكة

وقال آخر:

الغوث من شهر الصيام   إذا صارَ لي مثلَ اللجام

ما إن أمتّع بالطعا   م وبالمدام وبالغلام

وقال بعض الكتاب:

ثقُلَ الصومُ علينا   أثقل الله عليه

زارني بالأمس خلٌ   كنت مشتاقاً إليه

فمضى لم أقض منه   حاجة كانَتْ لديه

- **المسَّرةُ بانقضاءِ شهرِ رَمَضَان**

قال أبو علي البصير:

أقولُ لصاحبي وقد بدَا لي   هلالُ الفطر من خلل الغمامِ

غداً نغدو إلى ما قد ظمئنا   إليه من المدامة والغلامِ

ونسكر سكرة شنعاءَ جهْرا   وننقر في قفا شهر الصيامِ

وقال أبو نواس:

مَنَّ شوالٌ علينا   وحقيقٌ بامتنانِ

جاءَ بالقصف وبالعز   فِ وتغريدِ القِيانِ(١)

أوفى الأشهـ   ـر لي أبعدُها من رمضان

وقال السريّ:

تصرّم شَهرُ الصوم شهر الزلازل   وشال به شوال شهر الفضائل

ولاح هلالُ الفجر نِضواً كأنه   سنان لواه الطعن في رأس عامل

ودارت علينا الراح بين أهلّة   تضيء وأغصان رطاب موائل(٢)

فرحنا وفي أجسامِنا سحرُ بابل   يدبّ وفي أيمانا خمر بابل

- **التجَاسُرُ على رُكوُبِ المَعاصي في رَمَضَان**

حكى بعض الناس أن ديك الجن رآه يوماً في شهر رمضان. **فقال له**: هل لك في

---

(١) **القصف**: الإعلان باللهو ـ **تغريد القيان**: غناء المغنيات

(٢) **الراح**: الخمر ـ **أغصان رطاب**: لينة وناعمة.

سكباجة وشواء حنيذ وخمر صافية وغلام غرير يلهينا، فقلت: أفي هذا الوقت؟ فقال: أي والله، فأزريت به وأعرضت عنه، فقال:

وحياة ظبي لم أصم عن ذكره ... إلا عضضت تندماً إبهامي

لا شافهن من الذنوب عظامها ... ينقد عنها جلد كلّ صيام

قال الخبزارزي:

أرى لي في شهر الصيام إذا أتى ... ليالي عيارٍ وأيام عابد[1]

أناسٌ بعلات الصيامِ تفرّجوا ... وكانت أمور باعتلال المساجد

صام أعرابي رمضان فلما اشتد به أفطر فقالت ابنته: ألا تصوم يا أبت؟ فقال:

أتأمرُني بالصومِ لا دُرَّ درُّها ... وفي القبر صومٌ يا أميمَ طويل

وقال:

طالَ ما عذبنا الصو ... مُ وقراء المصاحِف

• نَوَادِرُ تارِك صوم رَمَضَان

قدم أعرابي إلى الوالي، فقيل له: إنه أفطر رمضان، فقال الأعرابي: إن الله يعلم أني صائم ولكني وجدت حماوة فؤادي فأردت أن أفثأها بشربة. وأسلم مجوسي يقال له مرزبان فأظله رمضان حار، فعجز عن الصوم فتناول خبزاً واستتر في بيت يأكله، فرآه بعض أصحابه فقال له: من أنت؟ قال: أنا مرزبان آكل خبز نفسي من شؤمي في خفية. وقيل في مجلس عضد الدولة: إن الشيعة تعقد الصوم قبل وجوبه بيوم، وتخرج منه قبل رؤية الهلال بيوم. وأهل السنة يعقدونه برؤية الهلال ويفارقونه. فقال: إنا نتسانن عند الدخول فيه ونتشيع عند الخروج منه ليحصل لنا يومان يوم من أوله ويوم من آخره.

• الإعتكافُ

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾[2] وكان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر. وقال: التمسوها في العشر الأواخر يعني ليلة القدر. وكان إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر.

وقال عمر: يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن اعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال عليه السلام: أوفِ بنذرك.

---

(١) ليالي عيار: العيار وعيارُ الشيء ما جعل قياساً ونظاماً.

(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ١٨٧.

وَمِمَّا جَاءَ في الحجِّ والعُمْرَةِ

● وجوب الحج والعمرة

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[1] وقال ﷺ: الإستطاعة الزاد والراحلة. وقيل: لما أهبط آدم إلى الأرض أمره الله تعالى بحج البيت. وفي رواية أن الملائكة لقيت آدم بمكة عند باب زمزم فهنأنه على ذلك، وقالت له: يا آدم برّ حجك، فلقد حججناه قبلك بألفي عام. ثم أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بالآذان بالحج فقال: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾[2] الآية. فقال إبراهيم وأين يبلغ ندائي؟ فقال الله تعالى: عليك النداء وعلينا الإبلاغ فوقف إبراهيم على أبي قبيس أو بين البيت والمقام، فنادى فأجابه من في أصلاب الرجال وأرحام النساء. وقال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[3] وقال ﷺ: من وجد زاداً وراحلة وأمكنه الحج ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً. **وقال**: حجوا قبل أن لا تحجوا. **وقال**: حجة مبرورة لا ثواب لها إلا الجنة. **وقال**: علامة الحجة المبرورة أن يكون صاحبها بعدها خيراً منه قبلها. **وقال**: الحج والعمرة فريضتان.

● فضلُ الحج

قال النبي ﷺ: من مات في هذا الطريق جائياً أو ذاهباً لقيه الله تعالى يوم القيامة ولم يحاسبه وأدخله الجنة. **وقال**: ما من أحد جاء يؤم البيت العتيق فركب بعيره ألا لم يرفع البعير خفاً إلا كتبت له به حسنة ومحيت عنه سيئة. **وقال**: من حج هذا البيت أو اعتمر فلم يرفث ولم يفسق كان كمن ولدته أمه. **وقال**: من حجّ وعليه دين قضى الله دينه.

واستأذن رجل الجنيد في الحجّ **فقال**: جرّد قلبك من اللهو ونفسك من السهو ولسانك من اللغو.

● فَضِيلَةُ العُمْرَةِ

قال النبي ﷺ: العمرة إلى العمرة كفّارة ما بينهما. **وقال**: عمرة في رمضان تعدل حجة. **وقال ابن عبّاس**: كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض، ويجعلون المحرم صفر. ويقولون إذا وبر الوبر وعفا الأثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر.

---

(١) القرآن الكريم: آل عمران/ ٩٧. (٢) القرآن الكريم: الحج/ ٢٧. (٣) القرآن الكريم: البقرة/ ١٩٦.

فلما قدم النبي ﷺ صبيحة رابع مهل ذي الحجة، أمرهم أن يحلوا، فتعاظم ذلك عندهم فقالوا: يا رسول الله أي الحل؟ قال: الحل كله وقال أيضاً: لولا أني سقت الهدى لفعلت مثل الذي أمرتكم ولكن لا أتحلل من حرام حتى يبلغ الهدي[1] محله.

● **النِيابةُ في الحجِّ**

روي أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن فريضة الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع إن يستمسك على راحلته، فهل ترى أن أحج عنه؟ **فقال:** نعم، قالت: أفينفعه ذلك، **قال:** أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته أما كان ينفعه؟ قالت: نعم فقال ﷺ: ودين الله أحق أن يُقضى.

وروى ابن عباس: أن النبي ﷺ سمع رجلاً يلبي عن شبرمة **فقال:** ومن شبرمة؟ **قال:** أخ لي أو قريب لي، **قال:** وهل حججت عن نفسك؟ **قال:** لا **قال:** هذه عن نفسك ثم حج عن شبرمتك.

● **كَيفِيَّةُ حُجَّةِ النَّبي ﷺ**

اختلفت الصحابة في حجّ النبي ﷺ **فمنهم من قال أفرد، ومنهم من قال قرن، ومنهم من قال تمتّع.** والصحيح هو الأول عند الشافعي رضي الله تعالى عنه لما روى جابر أن النبي ﷺ مكث تسع سنين لم يحجج، ثم أذن في الناس بالحج، فخرج وأحرم ﷺ ينتظر القضاء، ولم ينو أحد بهما فلما دخلنا مكة وسعينا بين الصفا والمروة نزل عليه القضاء بأن من ساق الهدى فليقم على إحرامه، ومن لم يسق فليجعلها عمرة.

وروى أنس رضي الله عنه أنه قرن، فقال نافع: دخلت على ابن عمر فأخبرته بما قال **فقال:** رحم الله أنساً، إن أنساً كان يتولج على النساء متكشفات الرؤوس لصغره في ذلك الوقت وأنا كنت تحت ناقة رسول الله ﷺ يصيبني لغامها أسمعه يلبّي بالحج، وقال ﷺ: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة.

● **الإهلالُ بالحجِّ وتقبيلُ الحَجَرِ والوُقوفُ بِعَرَفَة**

جاء رجل إلى النبي ﷺ **فقال:** ما بر الحج **قال:** العج والثج، فالعج الإهلال والثج النحر، وقال ﷺ إن الله يحب الشعث الغبر والثجاج والعجاج. وكان عمرو بن معد يكرب **يقول:** الحمد لله لقد رأيتنا من قريب ونحن إذا حججنا نقول:

لبيكَ تعظيماً إليك عمرا نغدو بها مضمرات شزرا[2]

قد تركوا الأوثان خلواً صفرا

---

(١) **الهدي:** ما أهدي إلى الحرم من النّعَم.

(٢) **مضمرات:** من أضمر الفرس صيّره ضامراً ومدّة التضمير أربعون يوماً ـ **شزراً:** أي نظر إليه بجانب عينه مع إعراض.

ونحن نقول اليوم كما علمنا النبي ﷺ: لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. وأتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحجر فقبله **وقال**: إني أعلم أنك حجر أسود لا تضرّ ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك. وقال عروة بن مضرس رأيت النبي ﷺ وهو يجمع **فقلت**: يا رسول الله إني جئت من جبلي طيء، لم أدع جبلاً إلا وقفت عليه فهل لي من حج فقال ﷺ: من صلى هذه الصلاة معنا وقد وقف قبل ذلك بعرفة من ليل أو نهار فقد تم حجه وقضى تفثه[1]

● دخولُ البيتِ والخروجُ مِنْهُ

لا يجوز لأحد دخول الحرم إلا محرماً إلا الحطابين والرعاة، وحُرّم على المشركين دخول الحرم. **وقال البراء**: كانت الأنصار إذا حجوا فرجعوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها فجاء رجلا فدخل من بابه فقيل له في ذلك فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾[2]

● السّعيُ والطّوَافُ

قال عروة: قلت لعائشة رضي الله عنها أرأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾[3] (الآية) ما على أحد جناح أن لا يطوف بهما قالت: بئسما قلت، يا ابن أختي، لأنها لو كانت على ما أولتها عليه لكانت أن لا يطوف بهما ولكنما أنزلت هذه الآية إن هذا الحي من الأنصار كانوا قبل أن أسلموا يتحرجون أن يطوفوا بالصفا والمروة فلماأسلموا سألوا رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية، ولما قدم النبي ﷺ وأصحابه وقد وهنتهم حمى يثرب، **فقال المشركون**: قدم عليكم قوم قد وهنتهم الحمى فقعد لهم المشركون فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا ثلاثة فصار ذلك سنة.

● ما يَجِبُ للمحرّمِ تجنّبُهُ

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾[4] ورأى النبي ﷺ أعرابياً متضمخاً بالحلوق فقال ﷺ: إنزع الجبة واغسل الصفرة، وكان ﷺ يتطيب لإحرامه. وروي أن النبي ﷺ نهى النساء عن القفازين والنقاب ومس الورس والزعفران.

وقال ﷺ: لا ينكح المُحرِمِ ولا يُنكح. وحرم الله تعالى الصيد على المحرم في حال الإحرام، وأوجب فيه كفارة فقال تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[5]

---

(١) **قضى تفثه**: تفث تفثا علاه التفث وهو التلطخ بالدم والوسخ، وقضى تفثه أي أزاله وذلك أثناء أداء الحج.

(٢) **القرآن الكريم**: البقرة/ ١٨٩.

(٣) **القرآن الكريم**: البقرة/ ١٥٨.

(٤) **القرآن الكريم**: البقرة/ ١٩٦.

(٥) **القرآن الكريم**: المائدة/ ٩٥.

● الرَّمْي والحَلْق

روى ابن عباس **قال**: قدمنا رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة أغيلمة بني المطلب على جمرات العقبة، وجعل يلطح أفخاذنا ويقول: أبنيّ لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس.

وقال ابن عمر: وقف رسول الله ﷺ بمنى في حجة الوداع للناس يسألونه، فجاءه رجل **فقال**: يا رسول الله نحرت قبل أن أرمي، **فقال**: إرم ولا حرج. **قال**: فما سئل يومئذ عن شيء قدم أو أخر إلا قال إفعل ولا حرج.

● حَرَمُ مكةَ والمَدينةِ

قال رسول الله ﷺ: من قطع شجرة من الحرم صوّب الله رأسه في جهنم. **وقال يوم فتح مكة**: إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا ينفر صيده ولا يعضد شوكة ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلي خلاه ولا يحل فيه القتال لأحد من بعدي. ولم يحلل إلا ساعة من نهار.

وقال ﷺ: صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فيما سواه. **وقال عليه الصلاة والسلام**: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدكم هذا والمسجد الأقصى. وحرم ما بين لأبتي المدينة ونهى عن الصيد فيه.

وقال: من أخذ رجلاً يصيد فيه فله سلبه وسلب سعد بن أبي وقاص. من رآه يصيد في حرم المدينة فكلموه فيه، **فقال**: لا أرد عليكم طعمة أطعمنيها الله، ولكن إن شئتم أعطيتكم ثمن سلبه.

● زِيارةُ قَبرِهِ ﷺ

قال رسول الله ﷺ: من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة. **وقال**: من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ من البعد سمعته.

● إِباحَةُ المُبايَعَةِ وَكَراهتُها للحُجَّاج

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان ذو المجان وعكاظ متجر الناس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1] **وقالوا**: ما حج ولكن دج أي خرج للتجارة، وقيل فلان حاج أو داج.

وقال الفضيل رحمه الله: وضعت مكة للعبادة والتوبة والحج والعمرة والزهادة

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/ ١٩٨.

وأعمال الآخرة ولم توضع للتجارة، ولا يغرنك أقوام اتخذوا فيها حوانيت ويقولون نحن مجاورون وقد أعياهم الكسب في بلادهم فصاروا فيها تجاراً، كذبوا ما هم بمجاورين إنما المجاور من هو مقيم بها للعبادة وعمل الآخرة، فينفق من فضل الله ما آتاه لله ولا يكسب فيها ولا يشغل نفسه بالكسب فيها، ولأن ترجع إلى بلدك فتشتري به وتبيع وتحج في كل عشرين سنة أحب إليّ من أن تكون مقيماً بمكة تحج وتعتمر كل سنة وتبيع وتشتري فيها.

● **دخولُ الباديةِ بِلا راحلةٍ ولا زادٍ**

قال علي بن الموفق، وكان من كبار الصوفية متحققاً مجتهداً: حججت ستين سنة فكنت سنة في محملي، فرأيت رجالة، فأحببت أن أمشي معهم، فنزلت ومشيت وتقدمت الناس ثم عدلنا إلى الطريق فَنِمْتُ فرأيت في المنام جواري لم أر كحسنهنّ، معهن طسوت من ذهب وأباريق، فأقبلن على أولئك المشاة يغسلن أرجلهن حتى بقيت فأرادت واحدة أن تغسل رجلي، فقالت لها أخرى: ليس ذا منهم، هذا له محمل. **فقالت**: بلى أحبُّ أن يماشيهم فغسلت رجلي فذهب عنّي كل تعب.

وسئل الجلاء عن رجال يدخلون البادية بلا زاد **فقال**: هم رجال الحق. قيل: فإن هلك أحدهم **قال**: الدية على العاقلة.

وقال بنان الحمال: دخلت بادية تبوك فاستوحشت، فهتف بي هاتف نقضت العهد تستوحش. أليس الحبيب معك؟ وقيل لبعضهم: أتدخل البادية بلا زاد؟ **فقال**: إن معي زادي وهو التقوى، أليس الله **يقول**: وتزودوا فإن خير الزاد التقوى. وأما الفقهاء فقد كرهوا ذلك لقول الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.

● **يَوْمَ النَّحْرِ**

وقف رسول الله ﷺ بين الجمرتين بمنى في الحجة التي حج، وذلك يوم النحر، **فقال**: هذا يومُ الحج الأكبر. **وقال** ﷺ: أفضل الأيام عند الله تعالى يوم النحر.

● **الأضحيةُ**

روي أن النبي ﷺ ضحّى بكبشين أملحين أقرنين، يهلل ويكبر ويسمّي، **وقال**: البدنة عن سبعة. والبقرة عن سبعة. **وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه**: أمرنا النبي ﷺ أن نستشرف العين والأذن ولا نضحي بعوراء ولا مقابلة ولا مدابرة ولا شرقاء ولا خرقاء، فالمقابلة التي يقطع طرف أذنها والشرقاء التي تشق أذنها. والخرقاء التي تخرق أذنها ونهى النبي ﷺ عن المصفرة والمستأصلة والبخقاء والمشيعة، فالمصفرة التي تستأصل أذنها حتى يبدو صماخها، والمستأصلة المقدودة من أصلها والبخقاء التي تبخق عينها والمشيعة التي لا تزال تتبع الغنم عجفاً وضعفاً والكسراء الكسيرة.

● **مَن تَعاطى الخِسارةَ بِعلّةِ الحجّ**

قال أبو علي البصير:

أتـيـنـا بـعـدَكُـم مـكـ ... ـةَ حـجُـاجـاً وعُـمّـارَا
فـلـمـا شـارفَ الـحـيـر ... ةَ حـادي إبـل حَـارَا
فـقـلـتُ أحـطـظْ بـهـا الـرحـلا ... ولـم أحـفـلْ بـمـن سـارَا
وجـدّدنـا عُـهُـوداً ... أخـلـقَـتْ مـنـا وآثـارَا
فـصـادفْـنـا بـهـا ديْـراً ... وبـسـتـانـاً وخَـمّـارَا
وظـبْـيـاً عـاقـداً بـيـن الـنـ ... ـقـا والـخـصـر زُنّـارَا
إذا جـاذبـتَـه حـارا ... وإن حـاكـمْـتَـه جـارَا
كـشـفْـنـا لـك أخـبـاراً ... ودامـجـنـاك أخـبـارَا

وقال أبو نواس:

ألـم تـرنِـي ومـوسـى قـد حـجَـجْـنـا ... وكـانَ الـحـجُّ مـن خـيـرِ الـتـجـارَه
فـآب الـنـاسُ قـد بـرّوا وحـجّـوا ... وأبْـنـا مـوقـريـن مـن الـخـسـارَه

(١٢)

ومِمّا جاءَ في الأدْعِيَةِ

●

● **الحَثُّ على الإستغفارِ**

قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ وقال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾(١) ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢) **وقال** ﷺ: افصلوا بين حديثكم بالاستغفار، **وقال**: الإستغفار ممحاة للذنوب. **وقال**: لكل داء دواء ودواء الذنوب الإستغفار. **وقال مالك بن أنس**: كنا عند جعفر بن محمد فدخل سفيان الثوري **فقال له**: حدثني رحمك الله **فقال**: يا أبا عبد الله قد أكثرت من الحديث وكثرة الحديث تخبل. أعلمك ثلاثاً هن خير لك من مال كثير. يا سفيان إذا أنعم الله عليك نعمة فأكثر من الحمد لله فإن الله تعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(٣)، وإذا قلّت نفقتك فعليك بالإستغفار، فإنه يزيدك من المال والولد والنعمة. قال الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾(٤) وإذا اشتد بك كرب فعليك بلا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز

---

(١) القرآن الكريم: نوح/ ١٠.
(٢) القرآن الكريم: البقرة/ ١٩٩.
(٣) القرآن الكريم: إبراهيم/ ٧.
(٤) القرآن الكريم: نوح/ ١٠، ١١.

الجنة فجعل سفيان يقولها ويعدها في يده ثلاثاً وأي ثلاث، فقال جعفر: قد والله عقلها وفهمها.

● **الحثُ على حِفْظِ مَعنى الإستغفارِ ومُراعاتِه دُون التَّفوُه بِهِ**

قال أبو عبد الرحمن المقري: سمعني سوار الراهب وأنا أستغفر الله. فقال لي: يا فتى، سرعة اللسان بالإستغفار توبة الكذابين. **وقالت رابعة**: أستغفر الله من قلّة صدقي في قولي أستغفر الله وقيل من قدم الإستغفار على الندم كان مستدعياً.

● **الحَثُ على الأدعيةِ وإنها متضمِّنةٌ للإجابةِ**

قال النبي ﷺ: من أعطي أربعاً أعطى أربعاً. وهي في كتاب الله من أعطى الذكر ذكره الله لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[1] ومن أعطي الدعاء أعطى الإجابة لقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2] ومن أعطى الشكر أعطي الزيادة لقوله تعالى: و ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[3] ومن أعطى الإستغفار أُعطي المغفرة لقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[4] **وقال ﷺ**: حصنوا أموالكم بالزكاة وادفعوا البلاء بالدعاء.

● **الحثُ على فِعْلِ ما يقتضي إجابة الدعاءِ**

قال بعضهم: لا تستبطىء الإجابة من دعائك وقد سددت طريقه بالذنوب. وقيل لمالك بن دينار: ادع الله لفلان المحبوس. **فقال**: مثل محبوسكم مثل شاة غدت إلى عجين فقير فأكلته فاتخمت، فصاحبها **يقول**: اللّهم سلمها. وصاحب العجين **يقول**: اللّهم أهلكها، ولا ينفع دعاء صاحبها مع دعاء المظلوم، فقولوا لصاحبكم يرد إلى كل ذي حق حقه، فإنه لا يحتاج إلى دعائي حينئذ قال طاوس: يكفي من الدعاء مع الورع ما يكفي العجين من الملح.

وقيل: ثلاثة لا يستجاب لهم دعوة رجل كانت له امرأة يدعو عليها، فيقول: ألم أجعل أمرها بيدك، ورجل جالس في بيته يقول اللّهم ارزقني، فيقول: ألم آمرك بالطلب، ورجل له مال فأفسده ثم يقول إخلفه لي، فيقول: ألم آمرك بإصلاح المال.

ورأى أعرابي ظالماً يدعو **فقال**: يا هذا إنما يستجاب لمظلوم أو لمؤمن ولست بأحدهما وإني أراك تخف لديك العيوب وتخفى عليك الغيوب.

● **مدحُ الإستغفارِ بالأصابع**

قال النبي ﷺ: إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم، وإذا استعذتموه فاستعيذوا بظاهرها. **وقالت عائشة رضي الله عنها**: استغفروا الله بأصابعكم التي كسبتم بها الذنوب.

---

(١) القرآن الكريم: البقرة/ ١٥٢.
(٢) القرآن الكريم: المؤمنون/ ٦٠.
(٣) القرآن الكريم: إبراهيم/ ٧.
(٤) القرآن الكريم: نوح/ ١٠.

وفي بعض التفاسير فما استكانوا لربهم وما يتضرعون، قالوا: ما دعوه وما رفعوا أيديهم ولم يبسطوا راحتهم ولا حركوا أصابعهم.

ولما صاف قتيبة الترك وهاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع فقالوا: ها هو ذا في أقصى الميمنة جانحاً على سية قوسه، يبصبص بأصابعه نحو السماء فقال قتيبة: تلك الأصابع الفاردة أحب إليّ من مائة ألف سيف شهير وسنان طرير.

● **ذمُّ رفعِ اليدين واستعمالِ السبّحةِ**

رأى شريح رجلاً يدعو ربه رافعاً يديه إلى السماء فقال له: غض بصرك وكف يديك فإنك لن تراه ولن تناله. ومرّ عمر بن عبد العزيز برجل يسبح بالحصى فإذا بلغ المائة عزل حصاة، فقال له: ألق الحصى وأخلص الدعاء.

● **شكرُ الله تعالى على نِعمِهِ**

قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾[2] قال: ينسى النعم ويذكر المصائب.

وقالت هند بنت المهلب: إذا رأيتم النعيم مستدراً فبادروه بالشكر قبل الزوال. إلهي قد أوليتني منائح تعيد باع الحمد قصيراً وترد لسان الشكر حسيراً، فأجرني ما عودتني وأنجز أفضل ما وعدتني، إلهي لك الحمد على النعم. ما اختلفت يمين وشمال ولك الشكر ما هبت جنوب وشمال.

وقال بعضهم اللّهم إنك تعرف عجزي عن الشكر فاشكر نفسك عني.

● **الدعاءُ بإزالةِ الخوفِ والبلاءِ المخوفِ**

حُكيَ عن سنيد بن داوود قال: رأيت عفان بن مسلم يمضي به ليمتحن فقلت له: قف يا شيخ أعطك كلمات فإنك لن ترى إلاّ خيراً، قل حسبي الله ونعم الوكيل فإن الله تعالى يقول: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾[3] وقل: وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد فإنه يقول ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾[4] وقل: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله. قال عفان فقلتها فما رأيت إلا خيراً.

ويروى أن رجلاً أخافه عبد الملك فهرب منه فلقيه شيخ وسيم بأرض فلاة فقال ما قصتك؟ قال: خائف. قال: ومن أخافك؟ قال: عبد الملك، قال: فأين أنت عن السبع؟ فقال: لا أعرفها. فقال: قل سبحان الواحد الذي ليس غيره إله، سبحان الدائم الذي لا يعاد له شيء، سبحان الذي خلق ما يرى وما لا يرى سبحان الذي علم كل شيء بغير تعلم. قال: فقلتها

---

(١) القرآن الكريم: إبراهيم/ ٧.
(٢) القرآن الكريم: العاديات/ ٦.
(٣) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٧٤.
(٤) القرآن الكريم: المؤمن/ ٤٥.

فألقى الله تعالى في قلبي الأمن فأتيته، فلما مثلت بين يديه، قال لي: أف تعلمت السحر؟ قلت: لا ولكن من قصتي. كيت وكيت. فكتبه عني وأمنني وأجرى لي رزقي.

● من سأل اللّهَ أن يوفّقهُ للشُكرِ والصَبْرِ

قال أعرابي أبطأ عنه ابنه فخافه: اللّهم إن كنت أنزلت به فأنزل معه صبراً، وإن كنت وهبت له عافية فأفرغ عليه شكراً اللّهم إن كان عذاباً فاصرفه وإن كان صلاحاً فزد فيه، وهب لنا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء.

● التعوُذُ مِنَ الفقر والإستدعاءُ للرِزْقِ

قال بعضهم في بعض مواقف الحج: اللّهم لا تعينني بطلب ما لم تقدر لي، وما قدرته فاجعله ميسراً سهلاً، وكافىء عني أبوي وكل ذي نعمة عليّ.

وقال سعيد بن المسيب: كنت جالساً عند القبر والمنبر فسمعت قائلاً ولم أر شخصاً اللّهم إني أسألك باراً ورزقاً داراً وعيشاً قاراً، اللّهم لا تجعل بيننا وبينك في الرزق أحداً سواك، اللّهم إن كان رزقي في السماء فأنزله، وإن كان في الأرض فيسره، وإن كان قليلاً فثمّره وإن كان يسيراً فكثّرهُ، أعوذ بالله من القنوع والخضوع والخنوع. اللّهم اجعلني أفقر خلقك إليك وأغناهم بك، اللّهم اجعل لي رزقاً واسعاً واجعلني به قانعاً.

وقال قيس بن سعد: اللّهم إرزقني مجداً وحمداً فلا حمداً إلا بفعال ولا مجداً إلا بمال، اللّهم إني أعوذ بك من فقر مكب وضروع إلى غير محب.

● مَنْ فَزَعَ إلى الله في أن يُوفّقه لِمَصْلحةٍ في كسبِهِ وإنفاقه

اللّهم أحجبني عن السرف وقوّمني بالاقتصاد، وعلّمني حسن التقدير وأجر من أسباب الحلال رزقي، ووجه في أبواب البر نفقتي، واجعل ما خولتني من عطائك وصلة إلى قربك وذريعة إلى جنتك، اللّهم هب لنا غنى لا يطغينا، وصحةً لا تلهينا، وأعذنا من فقر ينسينا.

وكان جعفر يقول: اللّهم أرزقني التفضل على من قترت عليه مما وسعته عليّ، اللّهم أغنني عمن أغنيته عني وسهلني لمن أحوجته إليّ واجعلني لأنعمك من الشاكرين.

● مَنِ استعاذَ باللّهِ يَقيهِ من آفاتٍ ونوبٍ حضرها

اللّهم إنّا نعوذ بك من هيجان الحرص، وسورة الغضب، وغلبة الحسد، وضعف الصبر، وقلّة القناعة، وإلحاح الشهوة، ومخالفة الهدى، وسنة الغفلة، وتعاطي الكلفة، وإيثار الباطل على الحق، والإصرار على المأثم، واستكثار الطاعة، والإزراء على المقلّين وسوء الولاية لما تحت أيدينا، وترك الشكر لمن اصطنع العارفة[1] عندنا، وأن نعضد ظالماً أو نخذل ملهوفاً أو نروم ما ليس لنا بحق، أو نقول في العلم بغير علم، ونعوذ بك من سوء السيرة وإحصاء

---

(١) العارفة: اللاعبة بالمعازف أي آلات العزف والطرب من مثل الطنبور والعود وسواهما.

الصغيرة، ونعوذ بك من شماتة الأعداء ومن الفقر إلى غير الأكفاء، ومن عيشة في شدّة وميتةٍ على غير عدة، ومن سوء المآب وحرمان الثواب وحلول العقاب.

ودعا أعرابي **فقال**: اللّهم إني أعوذ بك من الفاجر وجدواه، والسفيه وعدواه، وذي الرحم ودعواه، ومن عمل لا ترضاه. اللّهم أمتعْنا بخيارنا وأعنّا على شرارنا واجعل المال في سمحائنا. ودعا أعرابي **فقال**: اللّهم إني أعوذ بك من عضال الداء، وخيبة الرجاء، وشماتة الأعداء، وزوال النعمة، وفجاءة النقمة.

● مَنْ سألَ اللّهَ العافيةَ

اللّهم إني أعوذ بك مما يقلق قلب الصديق ويضحك سن العدو، اللّهم أسترنا بستورك الحصينة وأعصمنا بحبالك المتينة وأدخلنا في كفالتك الأمينة، اللّهم إني أسألك سترك الذي لا تخرقه الرماح ولا تزيله الرياح.

● مَنْ دَعَا لِنَفسِهِ وقومِهِ بالعافيةِ

قال رجل في عقب صلاته: اللّهم عافني في نفسي فإنها أعزّ الأنفس عليّ، وفي أولادي فإنهم لحمي ودمي، وفي عشيرتي فإنهم عزي وناصري، وفي جماعة المسلمين فإنّ صلاحي لا يتم إلا بصلاحهم اللّهم أستودعك ما أحاطت به شفقتي وعجزت عنه قوتي.

● مَنْ سألَ اللّهَ أن يَقيهِ الشرَّ من مُرْ يَديهِ

اللّهم مَنْ أراد بي شراً فأحط السوء به كإحاطة القلائد بترائب الولائد، ثم أرسخه على هامته كرسوخ السجيل على أصحاب الفيل. يا سابق الفوت ويا سامع الصوت، ومنشىء العظام بعد الموت، صلّ على محمد وآله واجعلْ لي من هذا الأمر مخرجاً وفرجاً. **وقال** أعرابي اللّهم قني من عثرات الكرام.

● مَنْ سألَ الله تعالى أن يتوكّلَ لَهُ

أسأل الله الذي يعد أنفاسي أن لا يكلني إلى احتراسي. اللّهم إني تخليت من حولي وحيلتي إلى حولك وحيلتك، اللّهم اجعلني أفقر خلقك إليك وأغناهم بك. وكان مطرف **يقول**: اللّهم إنك أمرتنا بأمرك ولا نقوى عليه إلا بكرمك، ونهيتنا عمّا نهيتنا عنه ولا ننتهي عنه إلا بعصمتك.

● أدعيةٌ لأوقاتٍ معلومةٍ

كان إبراهيم بن أدهم إذا أصبح **يقول**: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون. وقيل لرجل: إلحقْ دارَك فقد احترقت، **فقال**: ما احترقت والله، **فقيل**: أتحلف على ذلك **فقال**: نعم إني سمعت رسول الله ﷺ **يقول**: من قال حين يصبح إن ربي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو ربّ العرش

العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، أعوذ بالله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها. إن ربي على صراط مستقيم، لم يرَ يومئذ في نفسه ولا أهله ولا ماله شيئاً يكرهه وقد قلتها اليوم. فلما انتهوا إلى داره وجدوها قد احترق ما حولها ولم تحترق.

وكان رسول الله ﷺ إذا رأى هلال رمضان يقول: اللّهم هذا شهر رمضان فسلمه لنا، وسلمنا له، وتسلمه منا في يسر وعافية، وأرزقنا صيامه وقيامه متقبلاً بإيمان واحتساب، وكان إذا أتي بالباكورة قبلها ووضعها على عينيه ويقول: اللّهم أريتنا أوله فأرنا آخره.

وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: علمني رسول الله ﷺ إذا لبست ثوباً جديداً أن أقول الحمد لله الذي كساني من الرياش ما أتجمّل به في الناس. اللّهم اجعلها ثياب بركة أسعى بها لمرضاتك وأعمل فيها بطاعتك.

وكان عليه الصلاة والسلام يقول: اللّهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له. اللّهم هب لي من حقك، وأرض عني خلقك. قال البناني: بلغنا أنه يستجاب الدعاء عند المطر ثم تلا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾[1]

● مَنْ سألَ اللّهَ التوفيقَ لِعبادته

قال سعيد بن المسيب: مرّ بي صلة بن أشيم فقلت: ادع لي. فقال: رغبّك الله فيما يبقى، وزهدك فيما يفنى، ووهب لك اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا يعوّل في الدين إلا عليه. اللّهم إني أحب طاعتك وإن قصرت فيها، وأكره معصيتك وإن ركبتها، فتفضّل عليّ بالجنة وإن لم أستحقها، وخلصني من النار وإن استوجبتها. اللّهم إني أسألك الإقبال عليك والإصغاء إليك، والفهم عنك، والبصيرة في أمرك، والنفاذ في طاعتك، والمراقبة على إرادتك، والمبارزة في خدمتك، وحسن الأدب في معاملتك، والتسليم والتفويض إليك.

● المقرُّ بِذنْبِهِ السائلُ من الله تعالى الرحمةَ

اللّهم إني رهين بذنوبي، أتعثّر في ذيولها وأستخفي تحت سدولها، فتفضل عليّ بعفو يبسط حافة رجائي ويقبض المخافة عن أرجائي. إلهي لست أنفك مقلباً أزمة الخطايا وأعنة السيئات، فوفقني لتوبتي وأمنن عليّ عند إنتهاء نوبتي.

---

(١) القرآن الكريم: الشورى/ ٢٨.

وقال أعرابي يا رب تظاهرت عليّ منك النعم، وتكاثفت مني عندك الذنوب، وأحمدك على النعم التي لا يحيط بها إلا علمك. ووضع أعرابي يده على باب الكعبة فقال: يا رب سائلك ببابك قد مضت أيامه، وبقيت آثامه، فأرض عنه وإلا ترض عنه فأعف عنه، فقد يعفو السيد عن العبد وهو عنه غير راض.

وقال عمرو بن العاص حين احتضر: يا رب إنك أمرتنا فلم نأتمر، وزجرتنا فلم ننزجر، وإنا لا نعتذر ولكن نستغفر. وقال ابن السماك عند وفاته: اللّهم إنك تعلم أني كنت أعصيك، وأحب أن أكون ممن يطيعك، إلهي كم تتحبب إليّ بنعمتك وأنت غني عني، وكم أتبغض إليك بذنوبي وأنا إليك فقير سبحان من إذا توعد عفا، وإذا وعد وفى. وقالت امرأة: اللّهم إني أقوم كسلى وأصلي عجزى فاغفر لي قبل عروي[1] ما جرى.

ووقف أعرابي على قبر النبي ﷺ فقال: قد قبلنا منك وحفظنا ما أديت عن ربك ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول، لوجدوا الله تواباً رحيماً. فقد ظلمنا أنفسنا واستغفرنا فاستغفر لنا.

وكان شريح يقول: اللّهم إني أسألك الجنة بلا عمل عملته، وأعوذ بك من النار بذنب ركبته، قال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد وهو ساجد إن ظلمت نفسي فاغفر لي ثلاثاً.

● مَنْ سَأَلَ خَيْرَ الدارين

طاف أعرابي بالبيت ثم صلّى ركعتين ونهض فقيل له: ما لك حاجة إلى الله؟ قال: بلى وقد سألته. قيل وما قلت؟ قال: قلت اللّهم إنك قد أحصيت ذنوبي فاغفرها وعلمت حاجتي فاقضها. وقال بعضهم: أستغفر الله والحمد لله فقيل له في ذلك فقال: ما رأيت أجمع من هاتين الكلمتين، أنا بين ذنب ونعمة أستغفر الله من الذنب وأحمده على النعمة.

● مَنْ سألَ اللهَ الغُفرانَ بِغفلةَ كانتْ مِنْه

دعا رجل بالبصرة في مسجد فقال: اللّهم إني وإن كنت عصيتك فبحبي فيك من أطاعك إلا رحمتني. فهتف به هاتف: يا هذا لقد عقدت عقداً لا ينحل أبداً. ولما حج عمر بن ذر اجتمع الناس إليه فقالوا له: ادع لنا بدعوة. فقال: اللّهم أرحم قوماً لم يزالوا منذ خلقتهم على مثل ما كانت عليه السحرة يوم رحمتهم وقانا الله هول المطلع وضيق المضجع وسوء المرتجع، اللّهم لو سألتني حسناتي مع حاجتي إليها لوهبتها لك وأنا عبد فكيف لا تهب لي سيئاتي مع غناك عنها وأنت رب، اللّهم أسألك المغفرة يوم كل نفس إليك فقيرة، فإن النعمة فيها كثيرة.

---

(١) عروي: من عرا عروا فلاناً قصده طالبا معروفه.

● **الإستسقاء**

اللّهم أسقنا غيثاً مريعاً ريعاً مجللاً مجلجلاً سحاً سفوحاً طبقاً غدِقاً وَدِقاً. فسمع أعرابي ذلك **فقال**: أخشى الطوفان ورب الكعبة دعني يا نوح آوي إلى جبل يعصمني من الماء.

وقال النبي ﷺ: اللّهم إنك حبست عنا مطر السماء فذاب الشحم وذهب اللحم ورق العظم، فارحم أنين الآنة وحنين الحانة. اللّهم إرحم تحيرها في مراتعها وحنينها في مرابضها.

وصعد عمر المنبر للإستسقاء فلم يزد على الإستغفار، فقيل له: إنك لم تستسق، **فقال**: قد استسقيت بمجاديح[1] السماء. ذهب إلى قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[2]

وخرج سليمان بن عبد الملك يستسقي فسمع أعرابياً يقول:

ربّ العبادِ ما لنا وما لكا ... قد كنتَ تسقينا فما بدا لكا

أنزلْ علينا الغيثَ لا أبا لكا

فضحك سليمان، وقال أشهد أنه لا أبا له ولا صاحبة ولا ولد.

● **أنواعٌ شتى من ذلك**

اللّهم إني أعوذ بك من أن تَحْسُنَ في العيون علانيتي وتَقْبُحَ في الخفيات سريرتي. اللّهم كما أسأت وأحسنت إليّ فإن عدت فعد عليّ. وكان الحجاج إذا تلا قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾[3] **يقول**: كان سليمان حسوداً، وإذا تلا قوله تعالى: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾[4] **قال**: أحب يوسف الإمارة يا من يغضب على من لا يسأله لا تحرم من قد سألك.

وقال الأصمعي: سمعت أعرابية تدعو على ظالم لها: اللّهم أشفني منه في الدنيا فإني في الآخرة عنه مشغولة، اللّهم لا تنزلني منزل سوء فأكون امرأة سوء، اللّهم أصلحني قبل الموت وأرحمني عند الموت واغفر لي بعد الموت. وقال أعرابي وقد صلى: اللّهم عفرت لك جبيني وبسطت إليك يميني فانظر ما تعطيني. وقال مالك بن دينار: اللّهم سهِّل لي المجاز ويسّر لي الجواز. ومن دعاء موسى بن جعفر عليهما السلام: اللّهم أفرغني لما شغلتني له ولا تشغلني بما تكفلت لي به يا رب العالمين.

---

(١) **مجاديح السماء**: أنواؤها التي ترسل الأمطار، جمع مجداح، **والمجداح أيضاً**: ساحل البحر.
(٢) **القرآن الكريم**: نوح/ ١٠، ١١. (٣) **القرآن الكريم**: ص/ ٣٥.
(٤) **القرآن الكريم**: يوسف/ ٥٥.

(١٣)

وممّا جاءَ في فضائلِ أعيانِ الصحابةِ

●

قد كان من شرط هذا الكتاب أن لا نشتغل بذكر الرجال على الترتيب إذ كان القصد فيه إلى تنويع المعاني لكن لم يوجد بد من ذكر فضائل الصحابة إذ كانت الحاجة إليه تكثر.

● أبو بكر الصديق رَضِيَ الله عَنْهُ

قيل: سمي عتيقاً لجمال وجهه. وقيل لقول النبي ﷺ: أنت عتيق الله من النار. **وقيل**: لأن أمه لم يكن يبقى لها ولد، فلما ولدته استقبلت به البيت **وقالت**: اللّهم اجعل هذا عتيقاً من الموت وهبه لي. **وقيل**: كان لأبيه ثلاثة أولاد عتيق ومعتق وعُتيْق، ولد بعد عام الفيل بسنتين ودوين أربعة أشهر، ومات بعد النبي ﷺ بسنتين وأربعة أشهر وهو ابن ثلاث وستين سنة.

● مِنْ فَضَائِلِهِ

قيل: له أربعة فضائل لم يشاركه فيهن أحد كان ثاني إثنين في الغار، وثاني إثنين في المشورة، وثاني إثنين في العريش، وثاني إثنين في القبر. وصلى النبي ﷺ خلفه.

قال الشعبي: سألت ابن عباس عن أول الناس إسلاماً. **فقال**: أما سمعت قول حسان بن ثابت فيه:

إذا تـذكـرتَ شـجْـواً مـن أخـي ثـقـةٍ ... فـاذكُـرْ أخـاك أبـا بـكـر بـمَـا فَـعَـلا

الـثـانـي الـتـالـي الـمـحـمـودُ مـشـهـدُه ... وأولُ الـنـاس مـنـهـم صـدّق الـرُسَـلاَ

وقال النبي ﷺ: ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كان له تردّد وكبوة، إلا أبا بكر. وقال ما أحد أمن عليّ بصحبته وماله من أبي بكر، وسمّاه النبي ﷺ عتيقاً حتى غلب على إسمه وإسم أبيه وكفى له شرفاً، قوله عز وجل: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[(١)] فسماه صاحباً في كتابه.

ولما برز إبنه عبد الرحمن يوم أحد **وقال**: هل من مبارز، نهض إليه أبو بكر بسيفه، فقال له النبي ﷺ شم سيفك وارجع إلى مكانك ومتعنا بنفسك.

● عمر رَضِي اللّهُ تعالى عَنْهُ

سُمي الفاروق لفرقه بين الحق والباطل طعن لسبع بقين من ذي الحجة، ومات غرة

---

(١) القرآن الكريم: التوبة/ ٤٠.

المحرم، وقيل: كان ابن ثلاث وستين سنة. وقيل: ابن ستين وقيل: خمس وخمسين. وخلافته كانت عشر سنين وسبعة أشهر وخمس ليال وقيل ثمانية أشهر وأربعة أيام.

● مِنْ فَضائِلِهِ

كان النبي ﷺ يقول: اللّهم أيدّ الإسلام بعمر ابن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام فأصبح عمر فقرع الباب على النبي ﷺ فأسلم وخرج فصلى في المسجد ظاهراً.

وقال عليه الصلاة والسلام: إن الشيطان يفرق من عمر. وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب فذكرت غيرته فوليت مدبراً، فبكى عمر وقال: بأبي وأمي يا رسول الله ﷺ أعليك أغار.

وقال عليه الصلاة والسلام: بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون وعليهم قمص[1]، منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض على عمرو عليه قميص يجره قالوا: ما أوّلتَ يا رسول الله؟ قال: الدين.

وقال عليه الصلاة والسلام: إن من قبلكم كان فيهم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فإنه عمر بن الخطاب.

وقال عبد الله بن مسعود: إذ ذكر الصالحون فحيهلا[2] بعمر كان والله للإسلام حصناً حصيناً يدخل فيه الناس ما دام حياً ولا يخرجون منه، فلما مات انثلم ذلك الحصن. وكان يبغض الملق والتقرب وضرب ناساً على أن قالوا: يا خير الناس وقدموا إسمه في الديوان، فغضب وقال: ضعوا عمر وآل عمر حيث وضعهم الله وكان عبد الملك يقول: إذا ذكر عمر كان ذكره أسفاً للأمة وطعناً على الأئمة.

● مِنْ فَضائلِ أبي بكرِ وعمَر رَضِيَ اللّهُ تعالى عنهما

روي عن أمير المؤمنين أن النبي ﷺ نظر إلى أبي بكر وعمر فقال: هذان سيدا كهول أهل الجنة. وقال عليه السلام: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر. وروي أن النبي ﷺ لما أسس بناء المسجد، جاء بحجر فوضعه ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه، فسئل النبي ﷺ عن ذلك فقال: هم أمراء الخلافة بعدي وقيل لعلي بن الحسين رضي الله عنهما: ما منزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ فقال منزلتهما منه اليوم وحثّ النبي ﷺ على الصدقة فجاء أبو بكر بماله كله، فقال له النبي ﷺ: ما أعددت لعيالك؟ فقال: الله ورسوله. وجاء عمر بنصف ماله، فقال: ما

---

(١) القمص: جمع قميص.

(٢) حيهلا: اسم فعل بمعنى عجّل وأقبل ويقال حيهلى أي هلّم، والحيهل في الأصل ضرب من الشجر واحدته حيهلة.

أعددت لعيالك؟ فقال نصف مالي، فقال النبي ﷺ: ما بين الرجلين ما بين الكلمتين.

ولما استشار النبي ﷺ أبا بكر في أساري بدر قال: قومك فيهم الآباء والأبناء والاخوان فامنن عليهم أوفادهم يستنقذهم الله بك من النار وما أخذت منهم فهو قوة للإسلام فاستشار عمر، فقال: يا نبي الله هم أعداء كذبوك وحاربوك وأخرجوك، أضرب رقابهم. فقال النبي ﷺ: مثل أبي بكر في الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرضا والغفران وفي الأنبياء بإبراهيم طرحه قومه في النار فما زاد على أن قال أف لكم ولما تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون؟ وقال: فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم. وكمثل عيسى إذ يقول: أن تعذبهم فإنهم عبادك وأن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم.

ومثل عمر في الملائكة كجبريل ينزل بالسخط والنقمة وفي الأنبياء كنوح، حيث قال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فجاراً كفاراً. ومثل موسى حيث قال ربنا أطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.

وقد أحسنا تأثيرهما في الولاية: أما أبو بكر رضي الله عنه فإنه لما مات النبي ﷺ قال عمر: كيف مات النبي والله تعالى يقول ليظهره على الدين كله فقام أبو بكر فقال: أيها الناس إن الله تعالى قد نعى إليكم نبيكم وهو حي بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم فقال: إنك ميت وإنهم ميتون فسكن الناس. وتلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ﴾[1]، ثم تلا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ و كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[2] ثم قال: ليظهر الله دينه ويتم نوره.

وأمره في ارتداد العرب ومنعهم الزكاة معروف حيث خالف جماعة الصحابة، وقال: لو منعوني عقالاً لقاتلتهم وقال إن قبلت قولكم لا لأنقضن عرى الإسلام عروة عروة واجتهد في تجيهز جيش أسامة، وخالفه الصحابة. فقال: لو بقيت وحدي حتى تأكلني الكلاب ما أخرت جيشاً. أمر النبي ﷺ بإنفاذه والوحي ينزل عليه. وأما عمر رضي الله عنه فإنه فتح الفتوح ودوّن الدواوين وفرض العطية ومصّر الأمصار وجبى الفيء وبلغت خيله أفريقية وأوطأ خيله خراسان وكرمان وأزال ملك بني ساسان، ولما طعن قيل له: ألا تستخلف؟ فقال أن أترك، فقد ترك من هو خير مني يعني رسول الله وإن استخلف فقد استخلف خير مني يعني أبا بكر.

● **عثمان رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنه**

كان يلقب ذا النورين، وكان ختن النبي ﷺ على ابنتيه. قتل يوم الأربعاء لعشمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة. وقيل: إنه

---

(١) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٤٤. (٢) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٨٥، والرحمن/ ٢٦.

كان أصبح. **فقال**: إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام. **فقال**: يا عثمان أفطر عندنا الليلة، فأصبح صائماً. فقتل من يومه وأشرف عليهم. **وقال**: علامَ تقتلونني وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث، رجل زنا بعد إحصان فعليه الرجم، أو رجل ارتد بعد الإسلام فعليه القتل، أو قتل عمداً فعليه القود فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام ولا قتلت أحداً ولا ارتددت منذ أسلمت.

وقال أبو موسى: دخل النبي ﷺ حائطاً وأمرني بحفظ الحائط فجاء رجل يستأذن **فقال** ائذن له وبشره بالجنة فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن **فقال**: ائذن له وبشره بالجنة فإذا عمر، ثم استأذن آخر فسكت هنيهة ثم **قال**: إئذن له وبشره بالجنة بعد بلوى ستصيبه فإذا عثمان بن عفان. وصعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فضربه برجله، **وقال**: أسكن أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان. واستأذن عثمان على النبي ﷺ وكان مكشوف الفخذ فغطاها وعنده أبو بكر وعمر فقيل له في ذلك **فقال**: كيف لا أستحي ممن تستحي منه الملائكة؟

● ذِكرُ فتوحاتِهِ

إفتتح أرمينية بحبب بن مسيلمة وأذربيجان بالمغيرة وأفريقية بعبد الله بن سمرة.

● ذِكرُ ما عُتِبَ عليه

قالوا: آوى طريد رسول الله ﷺ الحكم بن العاص، وأعطاه مائة ألف درهم ونفى أبا ذر إلى الربذة وعامر بن عبد القيس إلى الشأم، وتصدق رسول الله ﷺ بمهزور على المسلمين وهو موضع سوق المدينة، فنقضه عثمان وأقطعه الحارث بن الحكم أخا مروان. وأقطع فدك مروان، وكل ذلك مما وصفه به عمر رضي الله عنهما حيث **قال**: هو كلف بأقاربه.

● عليُّ بن أبي طالبٍ كرّم اللّهُ تعالى وَجْهَهُ

قتل لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان يوم الجمعة سنة أربعين، وهو ابن ثلاث وستين. وقيل ابن ثلاث وخمسين، وخلافته أربع سنين وثمانية أشهر وتسعة عشر يوماً. ودُفن بالكوفة وغيّب قبره.

وقال ﷺ: الخلافة ثلاثون عاماً، ثم تكون ملكاً. وكناه النبي ﷺ أبا تراب، وذلك أنه دخل على ابنته فاطمة **فقال**: أين ابن عمك؟ **قالت**: في فناء المسجد. فوجده مضطجعاً في التراب **فقال النبي** ﷺ: قم أبا تراب وذلك من شدة ما أعجب به.

● مِنْ فضائِلِهِ

قال له النبي ﷺ: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي **قال**: بلى. **قال**: فأنت كذلك. **وقال**: عليّ مني وأنا منه وهو وليّ كل مؤمن بعدي

وأخذ بيده **فقال**: اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وأبغض من أبغضه وأنصر من نصره وأخذل من خذله، وقال يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. ثم دعا علياً وهو رمد فأعطاه اللواء **وقال**: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

وقال ﷺ: النظر إلى علي عبادة. أي إذا برز يكبّر الناس فيقولون: لا إله إلا الله، ما أجله ما أعلمه ما أشجعه ما أشرفه. **وقال عليه السلام**: بعثني النبي ﷺ إلى اليمن **فقلت**: يا رسول الله أتبعثني وأنا حديث السن لا علم لي بالقضاء، **فقال**: إنطلق فإن الله تعالى سيهدي قلبك ويثبت لسانك. **قال**: فما شككت في قضاء بين رجلين.

ولما أنزل الله عز وجل ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾(1) **قال النبي ﷺ لعلي**: سألت الله أن يجعلها أذنك فما سمع بعدها شيئاً إلا حفظه. وعن أنس بن مالك **قال**: جاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فقعد بين يديه **فقال**: يا رسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام وإني وإني قال وما ذاك؟ قال تزوّجني فاطمة فسكت عنه، فرجع أبو بكر إلى عمر فقال هلكت وأهلكت، قال وما ذاك؟ قال خطبت فاطمة إلى النبي ﷺ فأعرض عني، **فقال**: مكانك حتى آتي النبي ﷺ فأطلب مثل ما طلبت فأتى عمر النبي ﷺ فقعد بين يديه، **وقال**: يا رسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام وإني وإني، فقال وما ذاك؟ قال تزوجني فاطمة فأعرض عنه، فرجع عمر إلى أبي بكر فقال إنه ينتظر أمر الله فيها، إنطلق بنا إلى علي حتى نأمره أن يطلب مثل الذي طلبنا، قال علي فأتياني وأنا في سبيل فقالا: ابنة عمك تخطب فنبهاني لأمر فقمت أجرّ ردائي، طرف على عاتقي وطرف في الأرض حتى أتيت النبي ﷺ فقعدت بين يديه، **فقلت**: يا رسول الله ﷺ قد علمت قدمي في الإسلام ومناصحتي وإني وإني، قال وما ذاك يا علي؟ قلت: تزوجني فاطمة قال وما عندك؟ **قال**: فرسي وبدني يعني درعه. **فقال**: أما فرسك فلا بد لك منه وأما درعك فبعها فبعتها بأربعمائة وثمانين فأتيت بها النبي ﷺ فوضعتها في حجره فقبض منها قبضة، **فقال**: يا بلال أبغنا بها طيباً وأمر أن يجهزوها، فجعل لها سرير مشرط بالشريط ووسادة من أدم حشوها ليف، وملأ البيت كثيباً يعني رملاً، **وقال**: إذا أتتك فلا تحدث شيئاً حتى آتيك. فجاءت مع أم أيمن: فقعدت في جانب البيت وأنا في جانب، وجاء النبي ﷺ **فقال**: ههنا أخي. فقالت أم أيمن: أخوك وقد زوجته ابنتك. فدخل النبي ﷺ فقال لفاطمة: ائتيني بماء فقامت إلى قعب في البيت فجعلت فيه ماء وأتته به، فمج فيه ثم **قال**: قومي فنضح ثدييها وعلى رأسها ثم قال: اللّهم أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، ثم قال ائتني بماء، فعلمت الذي يريده، فملأت القعب ماء وأتته به فأخذ منه بفيه ثم مجه ثم صب على رأسي وبين يدي **وقال**: اللّهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم. ثم **قال**: أدخل على أهلك بسم الله والبركة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة. وعمر

---

(1) القرآن الكريم: الحاقة/ ١٢.

على بغل وأنا على فرس، فقرأ آية فيها ذكر علي بن أبي طالب **فقال**: أما والله يا بني عبد المطلب لقد كان عليّ فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر. فقلت في نفسي: لا أقالني الله إن أقلته فقلت: أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين وأنت وصاحبك وثبتما وافترعتما الأمر منا دون الناس. **فقال**: إليكم يا بني عبد المطلب أما أنكم أصحاب عمر بن الخطاب فتأخرت وتقدم هنيهة، فقال سر لا سرت. **وقال**: أعد على كلامك فقلت: إنما ذكرت شيئاً فرددت عليك جوابه ولو سكت سكتنا. **فقال**: إنا والله ما فعلنا الذي فعلنا عن عداوة ولكن استصغرناه وخشينا أن لا تجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها. قال فأردت أن أقول: كان رسول الله ﷺ يبعثه فينطح كبشها فلم يستصغره، أفتستصغره أنت وصاحبك؟ **فقال**: لا جرم، فكيف ترى والله ما نقطع أمراً دونه ولا نعمل شيئاً حتى نستأذنه.

وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما، إن عمر بن الخطاب **قال**: ثلاث لم أسأل عنهن رسول الله ﷺ فقال علي: وما هن؟ قال عمر: حب الرجل الرجل لم يجر بينهما خلطة ولا معرفة، فأنى ذلك والرؤيا، منها ما يصدق كأخذ باليد، ومنها ما يكون أضغاثاً، فأنّى ذلك والرجل يتحدث بالحديث أحياناً، ويختلف أحياناً فأنى ذلك.

فقال علي عليه السلام: أما ما ذكرت من حب الرجل الرجل لم تجر بينهما ما خلطة ولا معرفة، فإن الله خلق الأرواح قبل الأجساد فتلتقي الأرواح على سبب بين السماء والأرض، فتتشام كما تتشام الخيل فما تعارف ثم ائتلف هنا.

وأما الرؤيا فإن العقل إذا عرج بنفسه وهو في النوم في المصعد، فهو كأخذ باليد وإذا هبط إلى جسده تلقته الشياطين بالأضغاث لكي تحزنه، وما أخبرت به فهو الذي لا يصدق. وأما الرجل يتحدث بالحديث ثم ينسى، فإن القلب تغشاه ظلمة كظلمة القمر فإذا تغشى القلب تخلى عنه ذكره.

وعن أنس **قال**: قال النبي ﷺ: إن خليلي ووزيري وخليفتي، وخير من أترك بعدي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب. وقال رسول الله ﷺ لفاطمة: لقد زوجتكه سيداً في الدنيا سيداً في الآخرة، لا يبغضه إلا منافق.

وقال النبي ﷺ: لقد أوحى إليّ في علي ثلاث، أنه سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين.

وعن البراء أن النبي ﷺ قال لعلي: أنت مني وأنا منك. وقال عليه الصلاة والسلام: الحق مع علي وعلي مع الحق لن يزولا حتى يردا على الحوض. وعن جابر وابن عباس أن رسول الله ﷺ **قال**: أنا وعلي من شجرة واحدة. **وقال له علي**: آخيت بين الناس يا رسول الله فمن أخي؟ **قال**: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

- **فضائلُ الحَسنِ والحُسين رضيَ اللهُ عَنهما**

قال النبي ﷺ: ألا أدلكم على خير الناس عمّاً وعمة؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين عمهما جعفر الطيّار وعمتهما أم هانىء بنت أبي طالب.

وقال ابن عباس كان النبي ﷺ حاملاً الحسن فقال له رجل: يا غلام نعم المركب ركبت. وروي أنه قال ﷺ وقد امتطاه الحسن والحسين: نعم المطي مطيكما ونعم الراكبان أنتما، وأبوكما خير منكما.

وقال أبو هريرة: سجد رسول الله ﷺ خمس سجدات بلا ركوع فقيل له: **قال**: أتاني جبريل **فقال**: إن الله يحب علياً، فسجدت ورفعت رأسي، **فقال**: إن الله يحب فاطمة، فسجدت. ثم **قال**: إن الله يحب الحسن والحسين فسجدت **فقال**: إن الله يحب من أحبهم فسجدت.

وقال إبراهيم النخعي: لو كنت ممن أعان على الحسين ثم قيل لي أدخل الجنة، لأستحييت أن يراني رسول الله ﷺ فيها.

وقال أبو بكر: رأيت النبي ﷺ يخطب على المنبر ينظر إلى الحسن مرة وإلى الناس مرة **وقال**: إن إبني هذا سيد يصلح الله به بين فئتين من المسلمين. وسأل بعض أهل العراق ابن عمر عن قتل الذباب **فقال**: يا أهل العراق تسألونني عن قتل الذباب وقد قتلتم ابن بنت رسول الله ﷺ.

وقد قال رسول الله ﷺ: هما ريحانتي من الدنيا. وقال عمر بن عبد العزيز يوماً وقد قام من عنده علي بن الحسين: من أشرف الناس؟ فقالوا: أنتم **فقال**: كلا أشرف الناس هذا القائم من عندي آنفاً من أحب الناس أن يكونوا منه ولم يحب أن يكون من أحد.

وذكر الحسن والحسين عليهما الرضوان عند المأمون **فقال**: بخ بخ ما تقولون في غلامين حسن خلقهما الجليل وناغاهما جبريل وولدا بين التنزيل والتبجيل، هل لذين من عديل جدهما الرسول وأمهما البتول وأبوهما المقبول.

وقال عمر بن الخطاب في طلب مصاهرته علياً: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي. وقال عليه الصلاة والسلام: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني.

● مَنَاقِبُ جماعةٍ من الصَّحابةِ رضوانُ الله عليهِمْ أجمعين

سمّى النبي ﷺ **طلحة** يوم أحد **طلحة الخير**، وفي غزوة العسرة **طلحة الفياض**، ويوم خيبر **طلحة الجود**.

ودخل على النبي ﷺ **فقال**: يا طلحة أنت ممن قضى نحبه وقال الزبير حواريّ وابن عمتي وطلحة حواريي.

وقال سعد: ما أسلم في اليوم الذي أسلمت فيه أحد، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام. **وقال**: نبلني رسول الله ﷺ يوم أحد، **وقال**: إرم فداك أبي وأمي. وقال عليه الصلاة والسلام: اللّهم سدد رميه وأجب دعوته.

وقال عبد الرحمن: كان اسمي عبد عمرو فلما أسلمت سماني رسول الله ﷺ

عبد الرحمن. **وقال النبي ﷺ**: لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح.

وقال النبي ﷺ: اهتز العرش لموت سعد بن معاذ. **وقال النبي ﷺ**: أقواكم أبي وأفرضكم زيد وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ وأقضاكم علي. **وقال**: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر. **وقال**: يأتيكم خير ذي يمن وعليه مسحة ملك، فأتاهم جرير بن عبد الله العجلي **وقال**: رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك. **وقال**: رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد، وكرهت لها ما كره ابن أم عبد يعني عبد الله بن مسعود.

وقال ابن عباس: ضمّني النبي ﷺ إلى صدره **وقال**: اللّهم علمه الحكمة **وقال النبي ﷺ**: نعم الرجل عبد الله بن عمر كان يصلي بالميل، ثم ما كان ينام من الليل إلا قليلاً. **وقال عليه الصلاة والسلام**: إن عبد الله بن عمر رجل صالح. **وقال**: كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون. وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الأطعمة. **وقال**: بلال سابق الحبشة.

وكان عمر يقول: أبو بكر سيدنا أعتق بلالاً وكان عليه السلام يقول: مالكم وعمار إنما عمار جلدة ما بين عيني وكان بنو مخزوم يعذبونه وأمه وكان يمر بهما النبي ﷺ ويقول: صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة. **وقال**: من أحب أن ينظر إلى رجل يحب الله ورسوله بكل قلبه فلينظر إلى سالم. وقال عمر في شكاته وعنده المهاجرون والأنصار: لو أدركت سالماً ما تخالجني فيه شك. واجتمع بباب عمر الإجلاء من العرب فخرج أذنه وفيهم أبو سفيان وعيينة بن حصن، فخرج الأذن **وقال**: أين بلال أين عمار أين صهيب أين سليمان أدخلوا فتمعرت وجوههم واستبان الجزع فيهم فقال سهيل بن عمر ومالكم دعوا ودعينا، فأسرعوا وأبطأنا ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد لهم في الجنة أعظم.

وقال المهدي لعبد الله بن مصعب: ما تقول فيمن ينتقص أصحاب النبي ﷺ؟ **فقال**: أمرنا أن نقتل من ينتقص النبي بأيسر تنقص، وإن من أشد النقص أن يقال: كان راضياً بأصحاب سوء يصحبونه. وقال سفيان بن عيينة: من أبغض أبا طالب فهو كافر فقيل لمه. **قال**: لأن النبي ﷺ كان يحبه ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[1] ومن أبغض من يحبه رسول الله ﷺ فهو كافر.

● نُبَذٌ مِنْ ذِكْرِ فضائِلَ معاوية رضي الله تعالى عنه

قيل لأبي برد الأسلمي: لم اخترت صاحب الشأم على صاحب العراق؟ **فقال**: لأني رأيته أطوى لسره وأملك لعنان أمر جيشه وأفطن لما في نفس عدوه. وسئل عمر بن

---

(١) القرآن الكريم: القصص/٥٦.

عبد العزيز عن يوم الجمل ويوم صفين، **فقال**: تلك دماء صان الله عنها يدي فلا أغمس فيها لساني. وقال بعضهم: علي بن أبي طالب آخرة لا دنيا معه ومعاوية دنيا لا آخرة معه.

● مِمّا طُعِنَ فيهِ

قيل لهشام بن الحكم: هل شهد معاوية يوم بدر؟ **فقال**: نعم، من ذلك الجانب. وبلغ الحسن أن نافعاً كان يقول: إن معاوية كان يسكته الحلم وينطقه العلم. **فقال**: كان يسكته الحصر وينطقه البطر. وقال الحسن: لقد فعل معاوية ثلاثاً كلها موبقات، منازعة الأمر أهله وادعاؤه زياداً واستخلافه يزيد وقال معاوية: أعنت على علي بثلاث. كان رجلاً يظهر سره وكنت كتوماً، وكان في أخبث جند وشره وكنت في أطوع جند وأقله خلافاً، وكنت أحب إلى قريش منه رضي الله عن الصحابة أجمعين.

● نَوادِرُ للشيعةِ

قيل لبهلول وكان يتشيع: وزن أبو بكر وعمر بالأمة فرجحا **فقال**: لعله كان في الميزان عيب. وقيل له: أتأخذ درهمين وتشتم فاطمة؟ **فقال**: بل آخذ دانقاً وأشتم معاوية. وقال بعضهم: رأيت في بغداد مكفوفاً يقول من أعطاني حبة سقاه الله من الحوض على يد معاوية، فتبعته حتى خلوت به فلطمته لطمة وقلت له عزلت أمير المؤمنين عن الحوض، **فقال**: بحبة أسقيهم من يد أمير المؤمنين لا والله.

وتخاصم رجلان إلى بعض الولاة وكان يتشيع وكان إسم أحد الخصمين علي وكنيته أبو عبد الرحمن واسم الآخر معاوية فلما عرف الوالي إسميهما، ضرب معاوية مائة سوط ففطن الخصم للقصة فقال للوالي إن رأيت أن تسأل خصمي عن كنيته، فسأله فقال كنيتي أبو عبد الرحمن، فغضب عليه وضربه مائة سوط، فقال له المسمى معاوية: ما أخذته مني بالاسم استرجعته منك بالكنية.

وبقزوين قرية أهلها متناهون في التشيع فمر بهم رجل فسألوه عن اسمه، **فقال**: عمران، فاجتمعوا عليه يضربونه، فقال ليس اسمي عمر فتضربونني لماذا، قالوا: هو أشرُّ من ذلك فإنه عمر وفيه حرفان من عثمان.

● تعريضاتٌ للشيعةِ

كان شيطان الطاق يتشيّع، فأخذه بعض الخوارج. **فقال له**: إن لم تتبرأ من عثمان وعلي قتلتك. **فقال**: أنا من علي ومن عثمان بريء، وإنما أراد من علي أي من مواليه وبريء من عثمان فتخلص من الخارجي. ومر ابن المعدل بقوم، فسلّم عليهم، فلم يجيبوه، **فقال**: لعلكم تظنون ما يقال فيّ من الرفض أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، من نقّص واحداً منهم فهو كافر وامرأته طالق، فسر القوم ودعوا له، **فقال**: بعض من كان معه من شيعته: ويحك ما هذه اليمين؟ **فقال**: إني أردت بقولي من نقص واحداً منهم علي بن

أبي طالب وحده. وقال أبو سهل الصعلوكي لأبي عبد الله الحصيري: كم تقول أمير المؤمنين وما كان له قط يوم أبيض، **فقال**: ولا اليوم الذي رجع فيه إلى الحق وبايع أبا بكر **فقال**: كان في ذلك اليوم مكرهاً. فقال أبو عبد الله: إشهدوا حتى لا يقول في المناظرة إنّ أمير المؤمنين كان راضياً بتولية أبي بكر.

● نوادرُ للنّاصبة

كان بعض الشيعة يستدل بقول النبي ﷺ: عليٌّ مني كهارون من موسى، **فقال**: بعض النواصب ما تلك المنازل فإنّ هارون كان أخا موسى من أبيه وأمه وكان شريكه في النبوة ومات قبله وليس شيء من هذه المنازل لعلي، فلم يبق إلا أن يأخذ بلحيته وبرأسه، يعني قوله لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي. وولد لرجل من النواصب ولد فسماه حسيناً فقال بعض أصدقائه: والله لو عق عن ابنه بمعاوية ما كان إلا ناصبياً.

● ذَمُّ الغلوّ والتّهافتِ في الصّحابة

قال يحيى بن زيد بن علي: نحن من أمتنا بين أربعة أصناف: ظالم لنا حقنا وبالغ بنا فوق قدرنا، ومعطينا ما يجب لنا، وحامل علينا ذنب غيرنا. وقال بعض عوام الناصبة: معاوية ليس بمخلوق، **فقيل**: كيف؟ **قال**: لأنه كاتب الوحي والوحي ليس بمخلوق وكاتبه منه. **وقيل**: إن عبد الرحمن صاحب الأندلس أنهى إليه أن رجلاً من العملة وقع في علي رضي الله عنه، فأمر بتأديبه، **فقيل له**: لم يزل الخلفاء من أسلافك يجوزون هذا، **فقال**: أنا لم أنكر من فعل معاوية شيئاً كإنكاري لهذا. فإن في هذا تجسيراً للعامة على الوقوع في علي وعليّ إنْ قعد به أدبه لم يقعد به حسبه ومن الخطأ في السياسة ترخيص الملوك للعامة في الوقيعة فيهم.

وسئل رجل: هل الحسن أفضل أم الحسين؟ **فقال**: الحسن، لأن الله تعالى يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة ولم يقل حسينة. وسئل بعضهم: هل كان النبي حسنياً أم حسينياً **فقال**: كان حسنياً وحسينياً رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

الحدّ الحادي والعشرون

في الموت وأحواله

•

(١)
أسماء الموت ووصفه

•

يقال له: النبط والهمع والرمد وأم قشعم وشعوب والموتان والحمام والفود ومرت زؤام وذعاف وجحاف.

ويقال: فقس وفطس وعضد ويتبل وعضد وطن ولعق أصبعه ورق بنفسه وجرض بريقه وآثر الله به وانحل تركيبه ومضى لما خلق له وأتاه ما كان يحذر ودعاه ما كان يخبر، شرب الدهر عليهم: وأكل وأفلت حريضاً، وأفضه شعوب ووجبت نفسه ونضب ظله، وقرض رباطه، وصل به إلى أبي يحيى وسلم لمائه.

وقيل لحكيم: ما الحياة وما الموت، **فقال**: الحياة ميتة أدت إلى سعادة والموت حياة أوجبت على أهلها الحجة. وأجود اسم له ما قال النبي ﷺ أكثروا من ذكر هادم اللذات. **وقيل**: الحتوف أربعة، سخطي بعقوبة الله وذلك ما ذكر الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾[١]، وطبيعي وذلك بالهرم وانقطاع الأمل، وعرضي وهو ما يسمى الموت الفجأة، واكتسابي وهو ما يكون بالتعرض لحرب أو سباع ونحو ذلك.

• **تعظيمُ أمرِ المَوْتِ**

قال النبي ﷺ: ما رأيت منظراً فظيعاً إلا والموت أفظع منه. **قال عبد الله بن معاوية**:

والموتُ أعظم حالةٍ   مما يمرّ على الجِبلّة[٢]

وقال رجل للحسن: إن عشت تر ما لم تره، **فقال الحسن**: إن مت تر ما لم ترَ، وكان كثيراً ما يقول الحسن: عند الموت يأتيك الخبر. **وقال**: إن الموت فضح الدنيا

(١) القرآن الكريم: الأنعام/ ٤٤.

(٢) الجبلة: الطبيعة أو الخلقة.

• الحَثُّ على تصوُّر المَوت

قال بعض الخلفاء لابن السماك: عظني وأوجز. **فقال**: اعلم أنك أول خليفة تموت وهذا كما سأل أزدشير بعض الحكماء عن دار بناها، وقال هل ترى فيها عيباً؟ **فقال**: نعم عيباً لا يمكنك إصلاحه، فقال وما هو؟ **قال**: لك منها خرجة لا عود بعدها أو دخلة لا خروج بعدها. وقال روح بن عبادة رأيت في منامي كأن قائلاً يقول:

لا تكونوا كالأولى من قبلكم لم يخافوا بأسنا حتى نزل

وكتب أبو العتاهية على سقف بيته بتزويق:

أتطمعُ أن تخلدَ لا أبا لك أمنتَ قوى المنية أن تنالَك

أما واللّهِ إنّ لها رسولاً بها لو قد أتاك لما أقالَك[1]

كأنّي بالتّراب عليك يُحثى وبالباكين يقتَسِمون مالَك

ولستَ مخلّفاً في النّاس شيئاً ولا متزوّداً إلا فعالَك

وكان الحسن إذا خوف من الموت **يقول للشيوخ**: الزرع إذا بلغ لا بد أن يحصد. **ويقول للشبان**: هل رأيتم زرعاً لم يبلغ أدركته الآفة؟ وقيل أذكر حفرة سمكها قصير وساكنها أسير.

وقيل: من ضاق به أمر فليتذكر الموت فإنه يتسع عليه، **ونحوه**: من أحس بأنه يموت فليس ينبغي أن يغتم لأمر صعب ينزل به.

وقيل لجعفر بن محمد عليهما السلام: كيف صار الموت يأخذ على فنون شتى، **فقال**: أحب الله أن لا يؤمن على حال. شكا رجل إلى النبي ﷺ قساوة قلبه **فقال**: أكثر من ذكر هادم اللذات فإنه ما ذكره أحد في ضيق إلا وسعه عليه ولا في سعة إلا ضيقها عليه.

وقال معبد الجهني: نعم نصيحة القلب ذكر الموت يطرد فضول الأمل ويكف غرب المنى ويهوّن المصائب ويحول بين القلب وبين الطغيان. **وقيل**: ما دخل ذكر الموت بيتاً إلا رضي أهله بما قسم الله لهم وجدوا في أمر آخرتهم. **وقيل**: أبلغ العظات النظر إلى محل الأموات ومصارع البنين والبنات.

• التّخويفُ مِن الموتِ بما يُشاهَد

قال الحسن، وقد قعد عند رأس ميت: أن امرأ هذا آخره لأهل أن يزهد فيما قبله، وإن أمرأ هذا أوله لأهل أن يحذر ما بعده. وقف أعرابي على قبر هشام وخادم له يقول ما لقينا بعدك صنع بنا، **فقال الأعرابي**: ايها عليك أما أنه لو نشر لأخبر أنه لقي أشد مما لقيتم.

---

(١) **لما أقالك**: لما صفح عنك.

ومر أمير المؤمنين بمقابر الكوفة فقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة، أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع. أما الأزواج فقد نكحت، وأما الديار فقد سكنت، وأما الأموال فقد قسمت، هذا خير ما عندنا فما خير ما عندكم؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما أنهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى.

ونظر الحسن إلى صبية بين جنازة أبيها تقول: يا أبت مثل يومك لم أره. فضمها الحسن وقال: أي بنية وأبوك مثل هذا اليوم لم يره، فبكى الخلق.

• حثُّ الإنسانِ على الإستدلال على مَوْتِهِ بِمن مَاتَ مِنْ أقاربِهِ

قال بعضُ الحكماء: ذهب أبوك وهو أصلك، وابنك وهو فرعك فما حال الباقي بعد ذهاب أصله وفرعه! وقال محمود في معناه:

وغـادروك بـلا أصْـل ولا طـرفٍ ... فـما بقاؤك بـعدَ الأصـلِ والـطَّرفِ

وقال أبو نواس:

ألا يـا ابـنَ الـذيـن فـنُـوا ومـاتـوا ... أمـا والله مـا مـاتـوا لـتَـبْـقـى

قال أبو حازم: إن امرأً ما بينه وبين آدم أب إلا ميت لمعرق في الموت.

قال لبيد:

فإن أنتَ لـم ينفعْك علمُك فانتبه ... لـعلّك تـهديك الـقُرونُ الأوائـلُ

فإن لـم تـجدْ من دونِ عَدنانَ باقياً ... ودونَ مـعدٍ فـلْـتَزعْك الـعواذِلُ[1]

وقال امرؤ القيس:

فـبـعضُ الـلوم عـاذلَـتي فـإنـي ... سَيَكْفيني الـتجاربُ وانـتسابي

إلـى عِرْقِ الـثرى وشـجَتْ عـروقي ... وهـذا المـوتُ يَسْلُبُني شبابي[2]

وقال أبو تمّام:

تـأمّل رويـداً هـل تـعدنْ سـالمـاً ... إلـى آدم أو هـل تُـعِدُ ابنَ سـالـمِ

متى يرغ هـذا الـموتُ عيْناً بـصيرة ... تـجد عـادلاً مـنه شَـبـيهاً بـظـالـمِ

وقال عمارة:

ومـا نـحـن إلا رفـقـةٌ قـد تـرحـلـت ... لـقصدٍ وأخرى قد أنيخَت ركابُها

وقال البحتري:

ومـا أهـلُ الـمـنـازل غـيـرَ ركْـب ... مـنـايـاهـم رواحٌ وابـتـكـارُ[3]

---

(١) **العواذل:** جمع عاذل، اللائمون ـ **وعدنان ومعد:** من اجداد العرب.

(٢) **عِرق الثرى:** جوهر الأرض ـ **وَشَجتْ عروقي:** انسابت، أوت، سربت.

(٣) **الرواح:** العشي ـ **الابتكار:** المجيء «بكرة» أي غدوة.

ولما أتى معاوية موت زياد توجع، وقال:

وأفردتُ سهماً في الكِنانة واحِداً ... سيرمى به أو يكسرُ السهمَ كاسرُهُ

● الإعتبارُ بِمَنْ ماتَ من الكِبار والسَّلاطين

قيل: لمَّامات الإسكندر وقف عليه أرسطاطاليس **فقال:** طالما كان هذا الشخص واعظاً بليغاً وما وعظ بموعظة في حياته أبلغ من عظته في مماته. أخذ هذا المعنى أبو العتاهية، فقال:

وكانتْ في حياتِك لي عِظاتٌ ... فأنتَ اليومَ أوعظُ منكَ حيّا

وحمل إلى أمه في تابوت من ذهب، **فقالت:** جمعت الذهب حياً وجمعك الذهب ميتاً.

قال الأسود بن يعفر:

ماذا أؤمل بعد آل محرق ... تركوا منازلَهم بغَير إيادِ[1]

أهلِ الخورنقِ والسّديرِ وبارقٍ ... والقصرِ ذي الشرفات من سندادِ[2]

وقال المتنبي:

أين الأكاسرةُ الجبابرة الألى ... كنزوا الكنوزَ فما بَقين ولا بَقُوا

من كلّ من ضاقَ الفضاءُ بِجيْشِهِ ... وحواهُ عند الموتِ لحدٌ ضيِّقُ

وقال آخر:

ألم ترَ صولَ الدهر في آل برمك ... وآل نهيك والألى سلفُوا قبلُ

لقد غرسُوا غرسَ النخيل تمكّناً ... فما حصَدوا إلا كما يُحصد البقلُ[3]

ونظرت امرأة إلى جعفر بن يحيى مصلوباً فقالت: لئن كنت في الحياة غاية فلقد صرت في الممات آية.

قال شاعر:

ومن كانَ ذا بابٍ شديدٍ وحاجِبٍ ... فعمّا قليل يهجرُ البابَ حاجبُه

وقال آخر:

الموتُ يأتي كلَّ ... محتجبٍ ولا يَستأذِنُ

● تناهي بعد من مات

قال أبو حية النمري:

فلا غائبٌ من كان يُرجى إيابُه ... ولكنه مَنْ ضُمِّنَ اللحدَ غائبُ

---

(١) بغير إياد: دون قوة أو مؤازرة.

(٢) الخورنق والسدير وبارق: قصور معروفة بعظمتها.

(٣) كمايُحصد البقل: كناية عن سرعة اقتلاعهم واندثارهم.

وقال آخر:

بلى كلُّ من تحت التراب بعيدُ

وقال آخر:

ومَنْ نصب المنون بعيدُ

قال النابغة:

حسب الخليلين نَأيُ الأرض بينَهما ... هذا عليها وهذا تحتَها بالي

● **الغفلةُ عن الموتِ**

قال النبي ﷺ: كان الحق على غيرنا وجب، وكان الموت على غيرنا كتب، وكان من نشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم. وقال الحسن ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت، أخذه محمد بن وهب، فقال:

تُراع لذكر الموتِ ساعةَ ذِكرِهِ ... وتعترضُ الدنيا فتلهو وتلعبُ

يقينٌ كان الشكُّ غالبَ أمرِهِ ... عليه وعُرفانٌ إلى الجَهْل يُنسبُ

وقال الحسن وهو في جنازة: يا قوم لو أن هذا الرجل أخذه سلطانكم لفزعتم.

قالوا: بلى. **قال**: قد أخذه ربكم فلمَ لا تفزعون.

وقيل: من لم يرتدع بالموت وبالقرآن، ثم تناطحت الجبال بين يديه، لم يرتدع.

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: ما هذا التغافل عما أمرتم به والتسرع إلى ما نُهيتم عنه، إن كنتم على يقين فأنتم حمقى وإن كنتم على شك فأنتم هلكى. قال أبو العتاهية:

الموتُ لو صحَّ اليقينُ به ... لم يَنْتَفِعْ بالموتِ ذاكِرهُ

وقال محمد بن بشير:

يا حسرَتي في كلّ يوم مضَى ... يذكُرني الموتُ وأنساه

وقال الموسوي:

ونأمل من وَعد المُنى غيرَ صادقٍ ... ونأمنُ من وعد المنى غيرَ كاذِبِ

نُراعُ إذا ما شيك أخمصُ بَعْضِنا ... وأقدامُنا ما بينَ شوْكِ العقارِبِ

● **الأَجَلُ حائلٌ بينَ الإنسانِ والأَمَلِ**

قيل: لو ظهرت الآجال لافتضحت الآمال ووجد حجر بدمشق **مكتوب عليه**: يا ابن آدم لو رأيت ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك.

وقال أمير المؤمنين: إنكم في أجل محدود، وأمل ممدود، ونفس معدود، ولا بد للأجل أن يتناهى وللأمل أن يطوى وللنفس أن يحصى.

وقيل لحكيم: ما أبعد الأشياء من الناس؟ **قال**: الأمل، فقيل: وما أقرب الأشياء منهم؟ **فقال**: الأجل.

- **مَنْ ماتَ بَعدَ الكِبَر**

عاش نوح عليه السلام ما عاش، **وقيل له** لما أشرف على الموت: كيف وجدت الدنيا؟ **فقال**: وجدتها داراً دخلتها من باب وخرجت من آخر.

وقال بعضهم:

وكلّ امرىء يوماً وإن عاش حقبةً ... له غايةٌ تجري إليه ومنتَهى

وقال محمود الوراق:

وما صاحبُ السبعين والعشرِ بعدَها ... بأقربَ ممّن حنكّتْه القوابلُ[1]

ولكنّ آمالاً يؤمّلها الفتى ... وفيهنّ للراجين حقٌ وباطلُ

وقال المتنبي:

وأوفى حياةِ الغادرين لصاحبٍ ... حياةُ امرىءٍ خانتْه بعْد مشيبِ

- **الموتُ لا يفوتُهُ أحدٌ**

قيل: مَنْ لم يمت عاجلاً مات آجلاً.

قال شاعر:

فمنْ لم يلاقِ الموتَ كاس منيّة ... فلا بدّ منه أن تصادفَه غدا

وقال آخر:

كلّ حيّ ممـلَكِ ... سوفَ يَفْنى وَمَا مَلَكْ

وقال آخر:

وكُلُّ جَمْعٍ في الورى لِتفرُّقِ

وقال آخر:

من لمْ يمت غبْطةً يمُت هرما[2]

وقيل لابن المقفع: قد كنت نُعيت إلينا. **فقال**: ما بُعدٌ كائن ولا قرب بائن.

وقال ابن المعتز:

ألا إنما جسمي لروحي مطيةٌ ... ولا بد يوماً أن يُعرَّى من الرحلِ[3]

- **الموتُ لا يُتخلَصُ منه بالطبِ**

قيل للربيع بن خيثم في مرضه: ألا ندعو لك طبيباً؟ **فقال**: وعاداً وثموداً وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً لقد كان فيهم أطباء فما أرى المداوي بقي ولا المداوى صَلُح:

ما للطبيبِ يموتُ بالداء الذي ... قَدْ كان يُبرىء مِثلَه فيما مَضَى

---

(١) **حنكته القوابل**: أحكمته وجرّبته الأعوام التالية.

(٢) **الغبطة**: حُسن الحال.

(٣) **الرحل**: هو للبعير بمثابة السرج للحصان.

هَلَكَ المداوِي والمداوَى والذي جلبَ الدواء وباعَه ومن اشترى

وقال المتنبي:

يموت راعي الضأنِ في جهله موتة جالينوس في طُبّهِ

ودخل الفرزدق على مريض يعوده فسمعه يطلب طبيباً، فقال:

يا طالبَ الطبِّ من داءٍ تخوَّفَهُ إن الطبيبَ الذي أبلاك بالداءِ

هو الطبيبُ الذي يرجى لعافيةٍ لا مَنْ يدوفُ لك التِرياقَ بالماءِ[1]

وقال آخر:

وأعيا دواءُ الموتِ كلّ طبيبِ

وفي باب الطب بعض ذلك وأشباهه.

● **التحرزُ لا يُخلِّصُ من الموت**

قيل: إذا انقضت المدة فالحتف في العدة.

وقال شاعر:

كلُّ شيءٍ قاتِلٌ حين تلقى أجلَك

وقال أبو ذؤيب:

وإذا المنيةُ أنشبَتْ أظفارَها ألفيتَ كلّ تميمَةٍ لا تنفعُ[2]

وقال المخبل:

ولئن بنيت لي المشقّر في هَضبٍ يُقصر دونَه العصمُ

وقيل: إن عبد الملك هرب من الطاعون، فركب ليلاً وأخرج غلاماً معه وكان ينام على دابته **فقال للغلام:** حدثني، **فقال:** ومن أنا حتى أحدثك؟ **فقال:** على كل حال حدِّث حديثاً سمعته. **فقال:** بلغني أن ثعلباً يخدم أسداً ليحميه ويمنعه ممن يريده، فكان يحميه فرأى الثعلب عقاباً فلجأ إلى الأسد فأقعده على ظهره فأنقض العقاب واختلسه، فصاح الثعلب: يا أبا الحارث أغثني واذكر عهدك لي، **فقال:** إنما أقدر على منعك من أهل الأرض وأما أهل السماء فلا سبيل لي إليهم. فقال عبد الملك: وعظتني وأحسنت. انصرف فانصرف ورضي بالقضاء. ويروى لبعض الجن:

رأى الحصنَ منجاةً من الموتِ فارتقى إليه فزارتْه المنيّة في الحِصْنِ

وقال آخر:

يوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنيّتِهِ في بعض غرّاته يصادفُها[3]

---

(١) **يدوف الترياق:** يخلط الدواء بالماء، ويذيبه.

(٢) **تميمة:** جمع تمائم، وهي شبه حرز يُعلّق في العنق دفعاً للعين والأذى.

(٣) **غراته:** جمع غرة، وهي الغفلة.

وقال آخر:

وإذا خشيتَ من الأمور مقدّراً ... وفررتَ منه فنحوَه تتوجّهُ

وقال حجر العبسي:

فقلْ للملتقي عرضَ المنايا ... تَوَقَّ فليس ينفعُك اتقاءُ

وقال ثعلبة العبدي:

أمن حذرٍ آتي المتالِفَ سادراً ... وأيةُ أرضٍ ليس فيها مَتالِفُ[1]

وقال آخر:

لا تأمننّ وإنْ أصبحتَ في حَرَمٍ ... إن المنايا بجنبَيْ كلّ إنسانِ

وقال أبو ذؤيب:

يقولونَ لي لو كان بالرملِ لم يمُت ... نشيبة والطراق يكذبُ قبولُها[2]

ولو أنني استودعْته الشمسَ لارتقَت ... إليه المنايا عينُها ورسولُها

وقال آخر:

كلٌّ يدورُ على البقاءِ مجاهِداً ... وعلى العَناء تديرُه الأيامُ[3]

- **كلُّ إنسانٍ يُفقَدُ أو يَفقِدُ أقاربَهُ**

قال بعض الحكماء: من طال عمره رأى المصائب في إخوانه وجيرانه، ومن قصر عمره كانت مصيبته في نفسه.

قال شاعر:

كل أمرىءٍ ستئيم منـ ... ـه العرسُ أو منها يئيم[4]

وقال الموسوي:

فمؤجّل يلقى الرّدى في أهلِهِ ... ومعجّلٌ يَلْقَى الرّدى في نَفْسِهِ

وقال المتنبي:

سُبِقْنا إلى الدنيا فلو عاشَ أهلُها ... مُنِعْنا بها من جِيئةٍ وذهوبِ

تملّكها الآتي تملُّكَ سالبٍ ... وفارقَها الماضي فِراقَ سليبِ

---

(١) **المتالف:** جمع متلفة، الأرض الخالية الواسعة ـ والمتالف: محل التلف.

(٢) **الطراق:** الحوادث، والآتون ليلاً ـ **قَبُولها:** ريحها.

(٣) **العناء:** التعب.

(٤) **يئيم:** آم الرجل أو المرأة من زوجها: فقدته أو فقدها.

● **الموتُ لا يُدْفَعُ بالأسلحةِ**

قال علقمة:

بـل كـلّ قـوم وإن عـزوا وإن كـثـرُوا ... عـريـقـهـم بـأثـافـي الـشـرّ مـرجـومُ(١)

وقال المتنبّي:

نـعـدّ الـمـشـرفـيّـةِ والـعـوالـي ... وتـقـتُـلـنـا الـمـنـونُ بـلا قـتـالِ(٢)

ونـرتـبـطُ الـسـوابـقَ مُـقـرَبـاتٍ ... ومـا يُـنْـجـيـن مـن خَـبَـب الـلـيـالـي(٣)

ومَـنْ لَـمْ يَـعْـشَـقِ الـدنـيـا قـديـمـاً ... ولـكـن لا سـبـيـلَ إلـى الـوصـالِ

وقال الموسوي:

تـفـوز بـنـا الـمـنـونُ وتـسـتـبِـدّ ... ويـأخـذُنـا الـزمـانُ فـلا يـردُّ

رويـدَك بـالـفَـرار مـن الـمـنـايـا ... فـليس يـفـوتُـهـا الساري المجِدُّ(٤)

وكـلُّ فـتـىً يـحـفُّ بـجـانـبَـيْـه ... خـواطـرُ بـالـقـنـا قـنـبٌ وجـردُ(٥)

فـمـا دفـع الـمـنـايـا عـنـه وفـرٌ ... ولا هَـزَمَ الـنَّـوائِـبَ عـنـه جُـنـدُ

● **الحياةُ معرضَةٌ لسهامِ المنايا**

قال أبو العتاهية:

إنَّ لـلـمـوتِ لَـسَـهْـمـاً قـاصِـداً ... لـيـس يَـفْـدي أحـداً مـنـه أحَـدُ

وقال الرفاء:

نـحـنُ أغـراضُ خـطـوبٍ إنْ رمَـتْ ... حـيـرتْ فـي دقّـةِ الـرمـي ثُـعَـل(٦)

وإذا مـا اخـتـلـفـت أسـهـمُـهـا ... فـأصـابـتْ بـطـلَ الـقـرمِ بـطَـل(٧)

● **صحيحٌ مات**

قيل لحكيم: مات فلان أصح ما كان، **فقال:** أو صحيح من الموت في عنقه. **وقيل للحسن:** مات فلان فجأة، **فقال:** لم يمت فجأة لمرض فجأه، **ثم قال:** اللهم أجرني من أن أكون مختلساً. **وقيل لأعرابي:** كيف مات أبوك؟ قال: مات سراً يعني فجأة. **وقال شاعر:**

وربـمـا غـوفـص ذو غـرّة ... أصـحّ مـا كـانَ ولـم يـسْـلـم(٨)

---

(١) **أثافي الشر:** المصائب العظيمة.

(٢) **المشرفية:** السيوف ـ **العوالي:** جمع عالية، وهي صدر الرمح، والمنون: الموت.

(٣) **السوابق:** الخيل، مقربات: أي محبوسة قرب البيوت ـ **الخبب:** ضرب من العدو.

(٤) **الساري:** الذي يسير ليلاً. (٥) **القُنب:** الخيل تجمع للغارة ـ **الجرد:** التي لا شعر عليها.

(٦) **الخطوب:** المصائب ـ **ثعل:** قوم من العرب برعوا في الرماية لا تخطىء سهامهم.

(٧) **القرم:** العظيم.

(٨) **غوفص:** أي غفص وغافص مغافصة فلاناً أخذه على غرّة وركبه بمساءة (لسان العرب، مادة غفص).

وقيل لرجل: ما كان سبب موت فلان؟ **قال**: كونه. **وقال سفيان**: يا ابن آدم إن جوارحك سلاح الله عليك بأيها شاء قتلك.

● ضعفُ بنيةِ الإنسانِ وَتركِيبِهِ

سُئل جالينوس عن الإنسان **فقال**: سراج ضعيف وكيف يدوم ضوؤه بين أربع رياح. يعني بالسراج روحه وبالرياح الأربع طبائعه **قال شاعر**:

وما المرءُ إلا كالشهاب وضوئِه ... يصيرُ رماداً بعد إذ هوَ ساطِعُ

وقال أفلاطون: إذا كانت الطينة فاسدة والبنية ضعيفة والطبائع متنافية والعمر يسيراً والمنية راصدة فالثقة باطلة. **قال شاعر**:

أنظرْ إلى هذا الأنامِ بعِبْرةٍ ... لا يعجبنْك خلقُه ورِواؤه[1]

بيناه كالورق النضير تقضّبَتْ ... أغصانُه وتسلّبَت شجراؤه[2]

وقال الحسن: مسكين ابن آدم مكتوب الأجل والعلل، أسير الجوع والشبع.

● إتيانُ المرءِ حتفَهُ حيثما قُدِّر له

قيل لفيلسوف: مات فلان في غربة، **فقال**: ليس بين الموت في الوطن والغربة فضل. لأن الموت في جميع المواضع واحد والطريق إلى الآخرة من كل مكان سواء.

قال شاعر:

إذا ما امرؤٌ حانَت عليه منيّةٌ ... بأرضٍ أتاها مكرَهاً لا تَطوُّعا

وقال آخر:

إذا ما حِمام المرءِ كانَ ببلدةٍ ... دعتْه إليها حاجَةٌ أو تطرُّبُ[3]

● جهلُ الإنسان بوقتِ موتِهِ وموضعِ مَضجَعِهِ

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[4] وقيل لجعفر بن محمد عليهما الرضوان: كيف يأتي الموت من وجوه شتى على أحوال شتى؟ **فقال**: إن الله أراد أن لا يؤمن في حال. **وقيل**: أمر لا تدري متى يغشاك ألا تستعد له قبل أن يفجأك.

وقال ديك الجن:

النّاسُ قد علموا أن لا بقاءَ لهم ... لو أنهم عمِلوا مقدارَ ما علِموا

---

(١) **الأنام رواؤه**: ماء وجهه. (٢) **تقضبت الأغصان**: تقطّعت وتكسرت.

(٣) **التطرُّب**: الاهتزاز طرباً. وهنا بمعنى الميل والهوى.

(٤) **القرآن الكريم**: لقمان/ ٣٤.

وقال آخر:

وإنك لا تدري بأية بلدةٍ ... تموتُ ولا عنْ أي شِقَّيْكَ تُصرعُ[1]

● تسويةُ الموتِ بين الأفاضلِ والأراذلِ

قال مالك بن دينار: قدم علينا بشر بن مروان أخو الخليفة فطعن في قدمه فمات، فأخرجناه إلى القبر فلما صرنا إلى الجبان، إذا نحن بسودان يحملون صاحباً لهم إلى القبر فدفناه ودفنوا صاحبهم، فعدت قبل الأسبوع فلم أعرف قبر الأسود من قبره، **وعلى هذا قول الشاعر:**

ولقد مررتُ على القبورِ فما ... ميزْتُ بين العبْدِ والمَوْلَى

وقال المتنبّي:

وصلتْ إليك يدٌ سواءٌ عندها الـ ... ـبازي الأشيهِبُ والغُرابُ الأبقعُ[2]

ويُروى أن الإسكندر مرّ بمدينة قد ملكها غيره من الملوك **فقال:** انظروا هل بقي بها أحد من نسل ملوكها؟ **فقالوا:** رجل يسكن المقابر، فأحضره وسأله عن إقامته، **فقال:** أردت أن أميز عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدتها سواء. **فقال:** هل تتبعني فأحيي شرفك إن كان لك همة، **فقال:** همّتي عظيمة إنْ أنلتنيها، **فقال:** ما هي؟ **قال:** حياة لا موت معها، وشباب لا هرم معه، وغنى لا فقر معه، وسرور لا مكروه فيه. **فقال** ليس عندي هذا، **فقال:** دعني ألتمسه ممّن هو عنده، **فقال:** ما رأيت مثله حكيماً.

وأمر بشر بن الوليد أن يكتب على قبره:

من مات فَات وفي المقابرِ يسْتوي ... تحتَ الترابِ شريفُهُ ووضيعُهُ

وقال صالح بن عبد القدوس:

فيا منزلاً سوّى البِلى بين أهلِهِ ... فلم يستبِنْ فيه الملوكُ من السّوقي[3]

● انقضاءُ ناسٍ بعدَ ناسٍ ورُجوعُهُمْ إلى المَوْتِ

قال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: إن لله في كل يوم ثلاث عساكر، عسكر ينزل من الأصلاب إلى الأرحام، وعسكر ينزل من الأرحام إلى الأرض، وعسكر ينتقل من الدنيا إلى الآخرة. **وقال شاعر**

وما نحن إلا رفقةٌ غيرَ أنّنا ... أقمْنا قليلاً بعدَهم ونروحُ

---

(١) **شقّيك:** جانبَيْك، مثنى شِقّ.

(٢) **الأشيهب:** تصغير الأشهب وهو ما غلب عليه البياض ـ **الأبقع** في الطير كالأبلق في الدواب ـ **اليد (هنا):** يد المنية.

(٣) **السوقي:** الواحد من عامة النّاس.

ودخل العتبي المقابر، فأنشد:

سُقياً ورعياً لإخوانٍ لنا سَلفوا ... أفناهُم حدثانُ الدهر والأبدُ[1]
نمدّهم كلّ يومٍ من بقيَّتِنا ... ولا يؤوبُ إلينا مِنهُمُ أحَدُ

وقال الغطمش:

أرى الأرضَ تبقى والأخلاّءَ تذهبُ

ونحوه:

إذا زرتَ أرضاً بعدَ طولِ اجتنابِها ... فَقَدْتَ صَديقاً والبلادُ كما هِيَا

وقيل لبهلول وقد أقبل من مقبرة: من أين؟ **فقال:** من عسكر الموتى. **فقيل:** ما قلت وما قالوا؟ **فقال:** سألتهم متى يرحلون؟ **فقالوا:** ننتظر قدومكم ثم نرتحل. **ونحو هذا قول الحسن:** يا عجباً بقوم أمروا بالزاد وأذنوا بالارتحال وأقام أولهم على آخرهم وآخرهم قعود يلعبون فليت شعري ما الذي ينتظرون؟

قال الموسوي:

تُملي المقاديرُ أعماراً وتنسخُها ... ويضرِبُ الدهرُ أياماً بأيّامِ[2]

● **مرجعُ الإنسانِ إلى ما خُلِقَ منه**

قال الله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[3]

وقال المتنبي:

إلى مثلِ ما كان الفتَى يرجعُ الفتَى ... يعودُ كما أُبدي ويُكري كما أرمَى[4]

قال الخبزارزي:

هو الموتُ مخلوقٌ له الخلقُ أجمعُ ... فليسَ له عن أنفسِ النّاسِ مَقْلَعُ[5]

وقال المتنبي:

نحنُ بنو الدنيا فما بالُنا ... نعافُ ما لا بُدَّ من شُربِهِ[6]
تبخلُ أيدينا بأرواحِنا ... على زمانٍ هنّ مِن كَسْبِهِ
فهذه الأرواحُ من جَوِّهِ ... وهذه الأجسادُ من تُربِهِ
لو فكّر العاشقُ في مُنتهى ... حُسنِ الذي يَسبيه لم يَسْبِهِ[7]

---

(١) **الحدثان**: الليل والنهار وحِدْثان الدهر أيضاً نوائبه ومصائبه.

(٢) **تنسخها**: تزيلها وتبطلها. (٣) **القرآن الكريم**: طه/ ٥٥.

(٤) **يكري الشيء**: ينقص ـ أرمى: زاد.

(٥) **المقلع**: من أقلع أي ترك وكفّ، وليس له مقل: أي ليس بخياره أن يتركهم أو يتجنب إماتتهم.

(٦) **نعاف**: نكره.

(٧) أي لو فكر فيما تصير إليه محاسن معشوقه بعد الموت لم يعشقه.

ومنها:

يموتُ راعي الضأنِ في جهلِهِ ميتةَ جالينوسَ في طِبِّه[1]
وربما زادَ على عُمْرِه وزاد في الأمنِ على سِرْبِهِ[2]

فهذا الكلام هو الجوهر الذي لا قيمة له.

- **ذمُّ مَنْ يَخافُ الموتَ ولا يَستَعِدُّ لهُ**

قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل: كيف أنتم؟ **قال:** نرجو ونخاف **قال:** من رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئاً هرب منه. **وقال أبو الدرداء:** العجب لمن يكره الموت لإساءته ولا يكره الإساءة في حياته. ونظر الحسن إلى جنازة يزدحم الناس عليها، **فقال:** مالكم تزدحمون ها هي سارية في المسجد، أقعدوا تحتها واصنعوا ما كان يصنع حتى تكونوا مثله.

وقال الحسن لشيخ في جنازة: أترى هذا الميت لو رجع إلى الدنيا كان يعمل صالحاً. **قال:** نعم، **قال:** إن لم يكن ذاك فكن أنت ذاك. **وقال علي بن عبد العزيز:**

إذا قلتُ لم يَبْلغ بيَ السِّنُّ مبلَغاً وعُظْتُ بطِفْلٍ صارَ قبْلي إلى التُّرْبِ

- **الحثُّ على تعاطي ما يُسهِّلُ الموتَ**

جاء رجل إلى النبي ﷺ **فقال:** إني أكره الموت. **فقال:** ألك مال؟ **قال:** نعم، **قال:** قدّمه فإن قلبَ كل امرىء عند ماله. **وقال رجل لأبي الدرداء:** ما بالنا نكره الموت؟ **قال:** لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم، فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب.

وقال أبو حازم: كل عمل تكره الموت لأجله فدعه كي لا تخاف منه متى أتاك.

- **مَنْ أمرَ ذَويهِ بالبُكاءِ عَلَيْهِ**

قيل فيما روي عن النبي ﷺ: إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه، أنه إنما عنى إذا هو أمرَ به، **نحو قول طرفة بن العبد:**

إذا متُّ فانعيني بما أنا أهله وشُقّي عليَّ الجَيْبَ يا أمّ مَعْبدِ[3]

وقول الفرزدق:

إذا متّ فانعيني بما أنا أهلُهُ فكلُّ جميلٍ قلتِ فيَّ مُصَدَّقُ

وقال ابن المعتز:

إذا متُّ فانعيني بما أنا أهلُهُ ولا تذخري دمعاً إذا قام نائحُ

---

(١) و (٢) جالينوس من أطباء اليونان المعروفين، ومع ذلك فلربّما زاد عمر الراعي على عمر جالينوس وكان آمن على نفسه من الهلاك.

(٣) شق عليه الجيب: ناح عليه وبكى نادباً.

وقولي ثوى طَوْدُ المكارمِ والعُلى   وعُطِّلَ ميزانٌ من الحِلْمِ راجحُ[1]

● من أظهر جزعاً عِنْدَ مَوْتِهِ

لما أحضر حجر بن عدي ليُقْتَل سأل أن يُمْهَلَ حتى يصلي ركعتين، وأظهر جزعاً. فقيل له أتجزع؟ فقال: كيف لا؟ وإني لأرى سيفاً مشهوراً وقبراً محفوراً، ولست أدري إلى جنة يمضي بي أم إلى نار؟ وبكى الحسن بن علي عليهما الرضوان فقيل له: ما يبكيك؟ وقد ضمن لك رسول الله ﷺ الجنة. فقال: إني أسلك طريقاً لم أسلكها وأقدم على سيد لم أره. وقيل لبشر بن الحارث: كرهت الموت فقال: القدوم على الله شديد.

● مَنْ أظهر النَّدَمَ عِنْد موتِهِ ما فَرَّطَ مِنْه

قال عبد الملك عند موته: وددتُ أني كنت غسالاً آكل كل يوم كسب يومي لا يفضل عني. فقيل ذلك لأبي حازم فقال: الحمد لله الذي جعلنا بحيث يتمنى الملوك حالنا عند الموت ولا نتمنى حالهم.

ولما نزل الموت بهشام جعل وُلده يبكون عليه فقال: جاد هشام عليكم بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء، وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما اكتسب. ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له. ولما أدنف المأمون أمر أن يفرش له فجعل يتمرّغ فيه ويقول:

كلُّ عيشٍ وإن تَطاولَ يوماً   صائرٌ مرّةً إلى أن يَزولا
ليتَني كنتُ قبلَ يومي هذا   في قِلالِ الجِبالِ أرْعى الوُعولا[2]

وأغمي عليه ثم أفاق، وهو يقول:

لبيكُما لبيكُما   ها أنا ذا لديْكُمَا

اللهم لا بريء فأعتذر ولا قويّ فأنتصر، ثم أغمي عليه فلما أفاق، قال:

إن تغفر اللهم تغفر جمّاً   وأي عبدٍ لك ما ألمّا

وتمثّل عضدُ الدولة عند موته بقول القاسم بن عبيد الله:

قتلتُ صناديدَ الرجال ولم أدعْ   عدواً ولم أمْهِل على ظنة خَلْقَا[3]
وأخليتُ دورَ الملك من كل نازلٍ   فشرّدتُهم غرْباً وبدّدْتهم شرْقَا
فلمّا بلغتُ النجمَ عِزاً ورفعة   وصارت رقابُ الخلقِ أجمع لي رِقّا
رمى لي الرّدى سهماً فأخمدَ جمْرتي   فها أنا ذا في حُفرتي عاجِلاً ملْقَى[4]
فأذهب دنياي وديني سفاهةً   فمَنْ ذا الذي مني بمصرَعِهِ أشقَى[5]؟

---

(١) الحِلم: العقل.   (٢) قِلال الجبال: أعلاها.

(٣) صناديد الرجال: السادة الشجعان.

(٤) الردى: الموت ـ أخمد جمرتي: أطفأ جذوة حياتي وأهلكني.

(٥) سفاهة: جهلاً وطيشاً.

وأوصى الشبلي رحمه الله أن يكتب على قبره: تركت الجنة وليس لها قيمة وتعلقت بالدنيا وليس لها بقاء، وضيعت العمر وليس له بدل، واتبعت النساء وليس لهن وفاء، وجفوت الربّ وليس منه عوض.

• ذمُّ مَنْ امْتنعَ مِنَ التَّوْبَةِ عِنْدَ مَوْتِهِ

إعتل أعرابي فقيل له: لو تبت، فقال: لست ممن يعطي على الذلّ إن عافاني الله تبت وإلا مت هكذا. وقيل للحجّاج: ألا تتوب؟ فقال: إن كنت مسيئاً فليست هذه ساعة التوبة، وإن كنت محسناً فليست ساعة الفزع.

• ذمُّ مَنْ أوصى بِما لَيسَ لَهُ مِنْ مَالِه

قال النبي ﷺ: إن لك من مالك الثلث والثلث كثير. وقال: لا نذر في معصية الله ولا وصية في مال الغير. وقيل لميمون بن مهر: إنّ رقية أعتقت كل مولاة لها عند موتها فقال: إنهم يعصون في أموالهم مرتين، يبخلون بها وهي في أيديهم حتى إذا صارت لغيرهم أسرفوا فيها.

• الحَثُّ على أنْ يكونَ الإنسانُ وصيَّ نفْسِهِ.

قيل: كُنْ وصيَّ نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك واعلم صدق الذي يقول:

ولا يَـغْـرُرْكَ مَـنْ تـوصـي إلـيـه ... فـقـصـر وصـيـةِ الـمـرءِ الـضـيـاعُ

• وفي الزُهدياتِ بعضُ ما أوْصَى به الصَّالحون

ذكر الحسن عن بعضهم لمّا حضرته المنية قيل له: أوص. فقال: أوصيكم على المحافظة بآخر سورة النحل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[1] وقيل لهرم بن حيّان: أوص. قال: مالي من مال فقد صدقتني في الحياة نفسي، ولكني أوصي بخواتيم سورة البقرة.

وقيل لعمر بن عبد العزيز: أوص لبنيك. فقال: أوصي بهم الذي أنزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين.

• مَنْ أوصى بِشَرٍّ عند موْتِهِ وذَكَر قساوَةَ قلبِهِ

لما حضرت وكيعاً الوفاة دعا بنيه فقال: يا بنيّ إن قوماً سيأتونكم قد قرّحوا جباههم وعرّضوا لحاهم يدعون أن لهم عند أبيكم ديناً فلا تقضوهم فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما إن غفرها الله له لم تضره هذه وإلا فهي معها.

ولما حضرت سعد بن زياد الوفاة جمع وُلده وقال: يا بني أوصيكم بالناس شراً

---

(١) القرآن الكريم: النحل/١٢٨.

كلموهم نزراً وأطعنوهم شزراً ولا تقبلوا لهم عذراً، أقصروا الأعنّة واشحذوا الأسنّة وكلوا القريب يرهبكم البعيد. **ولما حضرت الفرزدق الوفاة قال لقومه:**

أروني مَن يقومُ لكُم مقَامي ... إذا ما الأمرُ جلَّ عن العِتابِ[1]

إلى من تَفزعون إذا حثَيْتم ... بأيدِيكم عليَّ من الترابِ[2]

فقالت مولاة له: إلى الله تعالى، **فقال:** أتتكلمين على غيري، وأنت تعيشين في مالي؟ أمحو اسمها وكتبها من الوصية.

وقيل للحطيئة: أوص يا أبا مليكة، **قال:** نعم أخبروا الشمّاخ أنه أشعر العرب، فقيل أوصِ للمساكين، **فقال:** أوصيهم بالإلحاف في المسألة، **قيل:** أعتق عبدك فلاناً، **قال:** هو عبد ما بقي على ظهر الأرض وعتيق إذا صار في بطنها، فقيل: أوصِ فإن لك بنات **قال:** مالي للذكور دون الإناث، فقالوا له: إن الله لم يقل كذا **قال:** أنا أقوله، **قيل:** فأوص للأيتام بشيء، **قال:** كلوا أموالهم وأنكحوا أمهاتهم. **ثم قال:** احملوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم قط، وويل للشعر من رواة السوء.

وكان دريد بن الصمة قد عاش أربعمائة سنة فلما نزل به الموت قال لولده: أوصيكم بالناس شراً، طعناً لزاً وضرباً أزاً، وإن أردتم المحاجزة فقبل المناجزة، أقصروا الأعنة وأطيلوا الأسنة وأرعوا الكلأ، ثم قال:

اليوم هُيِّيَ لدريدٍ بيتُهُ ... يا رُبَّ بهتٍ حسنٍ حَوَيْتُه[3]

ومعصمٍ ذي مرةٍ لويتُه ... لو كان للدهر بِلى أبليتُه

أو كان قِرني واحداً كفيتُه[4]

قال إسماعيل بن قيس: دخلنا على معاوية في مرضه الذي مات فيه، **فقال:** هل الدنيا إلا ما جربنا لوددت أني لا أقيم فيكم ثلاثاً حتى ألقى الله، **فقلنا:** إلى رحمة الله. **فقال:** إلى ما شاء الله. إني لم آل فيكم إذ وليتكم فإن الله لو كره أمراً غيره. **قال ابن عيينة:** هذا والله الاغترار، ألم تكن مقاتلته علياً وقتله حجراً وبيعته ليزيد مما يكره الله تعالى؟

● مَن أحبَّ الموتَ وَذكَر نفعَه وَمَضرَّته

قال عبد الله بن مسعود: ما من نفس حيّة إلا والموت خير لها إن كان براً فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾[5]، وإن كان فاجراً فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا

---

(١) **العِتاب:** اللوم. (٢) **تفزعون إلى:** تلجأون.

(٣) **البهت:** الباطل، والضعف.

(٤) **قرني:** القِرن الكفؤ والنظير ـ **أبليته:** اجتهدت في مصارعته.

(٥) **القرآن الكريم:** آل عمران/١٩٨.

﴿يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾[1]

ولما حضر بشراً الموت فرح، **فقيل له**: تستبشر بالموت، **فقال**: أتجعلون قدومي على خالق أرجوه كمقامي على مخلوق أخافه.

وقال بعضهم: لا يكره الموت إلا مريب.

وسئل فيلسوف عن الموت: فقال هو فزع الأغنياء وشهوة الفقراء، **وقال المتنبي**:

نعير حلاوات النفوسِ قلوبَنا فنختارُ بعضَ العيْش وهو حِمامُ

وله:

وما الدهرُ أهلٌ أن تؤمَّلَ عنده حياةٌ وأن تشتاقَ فيهِ إلى النَّسْلِ[2]

وقال آخر:

قد قلتُ إذ مدحُوا الحياةَ فأسْرفُوا في الموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تُعرفُ

وقال بعضهم: لا يكون الحكيم حكيماً حتى يعلم أن الحياة تسترقُّه والموت يعتقه.

وقال الأخطل:

والناسُ همُّهمُ الحياةُ ولا أرى طولَ الحياةِ يزيدُ غيرَ خَبالِ[3]

وقال الجنيد: من كان حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه فتصعب عليه، ومن كان حياته بربّه فإنه ينتقل من حياة الطبع إلى حياة الأصل وهي الحياة على الحقيقة.

● **مَنْ تَمنّى الموتَ**

قيل: شر من الموت ما إذا نزل تمنيت الموت لنزوله. **وقيل**: خيرٌ من الحياة ما إذا فقدته أبغضت لفقده الحياة.

قال المهلبي:

ألا موتٌ يُباعُ فأشتريهِ فهذا العيْشُ ما لا خيرَ فِيهِ
ألا رحمَ المهيمِنُ روحَ حرّ تصدّقَ بالوفاةِ على أخِيهِ

وقال المتنبي:

كفى بك داءً أنْ ترى الموتَ شافيا وحسْبُ المَنايا أن يكنَّ أمانِيا

وقال الموسوي:

آهاً لنفس حُبِستْ في جِلْدي إن الأسيرَ غرضٌ بالقِدِّ[4]

---

(١) **القرآن الكريم**: آل عمران/ ١٧٨.

(٢) أي شأن الدهر أن يغتال نفوس أهله، فليس بأهلٍ لأن ترجى عنده الحياة.

(٣) **الخبال**: من الخبل وهو فساد العقل.

(٤) **القِد**: الجلد يقيد به الأسير، أو السوط.

واعتل الشبلي ثم برأ فقال له بعض أصحابه: كيف أنت؟ فقال:

كلما قلت قد دنا حل قيدي ... قدموني وأوثقوا المسمارا

● الحياةُ لا تُملُّ

قال بعض الحكماء: الحياة وإن طالت لا تُمل وإنما يمل المرء تكاليف الحياة ولهذا فُضّل قول زهير:

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يعِشْ ... ثمانينَ حوْلاً لا أبا لكَ يَسْأَمِ

على قول لبيد:

ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولِها ... وسؤالِ هذا الناس كيفَ لبيدُ؟

وقيل: إن الحياة لا تسأم وإنما تُسأم تكاليفها، قال المتنبي:

ولذيذُ الحياة أنفَسُ في النفسِ ... وأشهى من أن يُملَّ وأحلَى

وإذا الشيخُ قال أفٍ فما مـ ... ـلّ حياةً وإنما الضعفَ مَلاَ

آلةُ العيشِ صِحّةٌ وشبابٌ ... فإذا ولّيا عن المرءِ ولّى

ودخل سليمان بن عبد الملك مسجد دمشق فرأى شيخاً. **فقال**: يا شيخ أيسرك أن تموت؟ **فقال**: لا والله. **قال**: لِمَ؟ وقد بلغت من السن ما أرى؟ **قال**: نفى الشباب وشره وبقي الشيب وخيره، فأنا إذا قعدت ذكرت الله وإذا قمت حمدت الله فأحب أن تدوم لي هاتان الحالتان.

● المستنكِفُ أنْ يموتَ حَتْفَ أنفِهِ

قال الشنفرى:

فلا تقبروني إنّ قبْري محرّمَ ... عليكُم ولكن أبشري أم عامرِ[1]

وقال بكر بن عبد العزيز:

إن موتَ الفراش ذلٌّ وعارٌ ... وهو تحتَ السيوفِ فضْلٌ شريفُ

وإني لأستحسن قول أبي فراس بن حمدان:

متى ما يدنُ من أجَلي كِتابي ... أَمُتْ بينَ الأسنّةِ والأعنّة[2]

وقال آخر:

فيا ربِّ لا تجعلْ حياتي دنيئةً ... ولا مِيتَتي يا ربّ بين النوائحِ

ولكنْ صريعاً بين أرماحِ فِتْيةٍ ... طوالِ القنا من فوقِ أدهمَ قادحِ[3]

---

(١) **أم عامر**: الضبع.

(٢) **الأسنة والأعنة**: كناية عن الحروب والمعارك.

(٣) **أدهم قادح**: فرس ضامر.

وقال أبو عمرو الشيباني: رأيت بالبصرة جنازة عليها مطرف خزّ أخضر، فسألت عنها فقيل: جنازة الطرمّاح، فذكرت قوله:

فيا ربُّ إن حانت وفاتي فلا تكنْ على شَرْجعٍ يعلَى بخضر المطارفِ[1]

فعلمت أنّ الله لم يستجب دعاءه وهذا من باب الشجاعة، وقد مرّ مثله.

● **العُذرِ لعصابةٍ تسرعُ إليهم المنيةُ**

قال أبو تمّام:

عليكَ سلامُ الله وقفاً فإنني رأيتُ الكريمَ الحرَّ ليس له عُمْرُ

وقال السامي:

فلا تجزَعَنَّ من موتهِ وهو ناشئٌ ولا ينكرَنَّ هذاك من جرَّب الدهْرا
فكلّ طويلِ المجدِ يقصرُ عمرُه كذاك سِباعُ الطيرِ أقصرُها عُمْرا

● **تَسلي النّاسِ عمّنْ مات**

قيل: إذا أردت أن تنظر الناس من بعدك فانظر إليهم بعد من مات قبلك.

قال أبو العتاهية:

سيعرِضُ عن ذكري وتُنسى مودّتي ويحدُثُ بعْدي للخليلِ خليلُ

وقال منصور الفقيه:

كلُّ مذكورٍ من النّاس إذا ما فقدُوهُ
فهو في حُكْمِ حديثٍ حفظوه فنسُوهُ

وقال آخر:

هالوا عليه التُّربَ ثم انثنَوا عنه وخلّوه وأعمالَه
لم ينقضِ النّوحُ من دارِه عليه حتى اقتسموا مالَه

● **كلماتٌ وجدت مكتوبةٌ على قبور**

قرىء على قبر: نقلنا من دار خبرة إلى دار عبرة أليس فينا عبرة؟ حكى أبو الفرج الكوفي **قال:** حضرت مجلس الصاحب وعنده علوي شامي يحدثه بما شاهد من الأعاجيب. **قال:** رأيت قبراً بفلسطين مكتوباً عليه: قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون.

وقرىء على قبر:

أنا في القبرِ وحيدٌ قد تبرّا الأهلُ منّي

---

(١) **الشرجع:** السرير يحمل عليه الميت ـ **المطارف:** جمع مِطرف، وهو رداء من حرير ذي أعلام.

أسلموني بذنوبي خبتُ إن لم تعفُ عنّي

وقُرِىء على آخر:

سيعرضُ عن ذكري وتُنسى مودّتي ويحدثُ بعدي للخليل خليلُ
إذا انقطعتْ عنّي من العيش مُدّتي فإن غناءَ الباكياتِ قليلُ

وعلى آخر:

أيّها الأخُ الذي قدْ غابَ عنّي وجَفاني
سوفَ يأتيكَ من اللـ ـهِ رسولٌ قد أتاني
فيبوئُكَ من الأر ضِ مكاناً كمَكاني

وعلى آخر:

عشتُ دهراً في نعيمِ وسرورٍ واغتباطِ
ثم صارَ القبْرُ بيْتي وثرى الأرضِ بِساطي

وعلى باب مدينة جبلة بالشأم:

إلى أيِّ المدائنِ صرْتَ يوماً رأيتَ قبورَها قبلَ القُصورِ
أتاكَ الوعظُ قبلَ الحظِّ منها نعم، ونذيرُها قبلَ البشيرِ

● نفيُ الشماتةِ عن الموتِ والنهيُ عنها

لما مات الحسن بن علي عليهما السلام دخل عبد الله بن عباس على معاوية فقال له معاوية: يا ابن عباس مات الحسن بن علي. قال: نعم وقد بلغني سجودك. أما والله ما سد جثمانه حفرتك ولا زاد انقضاء أجله في عمرك. قال: أحسبه ترك صبية صغاراً ولم يترك عليهم كثير معاش. فقال: إن الذي وكلهم إليه غيرك. وقال الفرزدق:

فَقُلْ للشّامتينَ بِنا أفيقوا سيلقَى الشّامِتونَ كما لقِينا

وقال عديّ بن زيد:

أيها الشامِتُ المعيِّر بالدهـ ـرِ أأنتَ المبرَّأُ الموفورُ؟
أم لديْكَ العهدُ الوثيقُ من الأ يامِ بلْ أنتَ جاهلٌ مغرورُ

وقال آخر:

تمنّى رجالٌ أن أموتَ وإن أمتْ فتلكَ سبيلٌ لسْتُ فيها بأوحَدِ

وحكى المبرد عن بعضهم أنه شاهد رجلاً على قبر وهو يكثر البكاء، فقلت: أعلى قريب أو على صديق؟ فقال: أخصّ منهما، قد كان لي عدو فخرج إلى الصيد فرأى ظبياً فتبعه فعثر بالسهم فخرّ هو والظبي ميتين فدفن فانتهيت إلى قبره شامتاً به، فإذا عليه مكتوب:

وما نحنُ إلا مثلُهم غيرَ أنّنا أقَمْنا قليلاً بعدَهم وترحّلوا

فها أنا واقف أبكي على نفسي.

ولما مات الفرزدق بكى عليه جرير ورثاه، **فقيل له**: أبعد تلك المعاداة؟ **فقال**: لم أر إثنين بلغا الغاية ومات أحدهما إلا ولحقه الآخر عن كثب، فكان كذلك.

وقال النبي ﷺ: لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك. وممّا يتصل بذلك لما أتى عبد الله بن الزبير خبر قتل مصعب أخيه احتجب أياماً، فخبّر بمجيء قوم للتعزية **فقال**: أكره وجوهاً تعزّي ألسنتها وتشمَت قلوبها.

- **نفيُ العارِ عن الموت**

قالت ليلى الأخيلية:

لعمرُك ما بالموتِ عارٌ على الفتى ... إذا لم تُصبْهُ في الحياة المعايرُ

ومثله:

وهلْ بالموت يا للناس عارُ؟

- **آخِرُ أمرِ المرءِ الموتُ**

قال شاعر:

نل كلَّ ما شِئْتَ وعِشْ ناعِماً ... آخِرُ هذا كلّه الموتُ

- **الموتُ مَنْهاةُ الرجالِ**

قال أبو بكر العنبري: كنت قاعداً في الجامع فمرّ بي معتوه فأقبل عليّ، وقال:

فهبْك ملكتَ هذا الناس طرّاً ... ودانَ لكَ العِبادُ فكانَ ماذا

ألستَ تصيرُ في لحدٍ ويُحوى ... تراثُك عنكَ هذا ثمَّ هذا

وقال آخر:

هبْك قد نِلتَ كلّ ما تحملُ الأر ... ضَ فهلْ بعدَ ذاك إلاّ المنيّه

وقال آخر:

لِدُوا للموت وابنُوا للخراب ... فكلُّكُمُ يصيرُ إلى ذهابِ

- **كلماتٌ لهج بها مَنْ حضرَهُ الموتُ فذكرَ الشهادةَ**

لما حضرت ابنَ جلاء الوفاةُ **قيل له**: قل لا إله إلا الله، **فقال**: اليوم كذا سنة في أي شيء نحن؟ **وقال الكسائي**: دخلت البادية فرأيت شاباً قد أشرف على الموت، فدنوت منه **وقلت قل**: لا إله إلا الله فلم يجب فثنيّت وثلّثت **فقال**: كم تذكرني بالله وأنا محترق في الله. **وقيل**: لرجل كان مستهتراً بالنبيذ، قلْ: لا إله إلا الله، **فقال**:

يا ربّ سائلة تمشي وقد تعِبتْ ... كيف الطريقُ إلى حمامِ منجابِ[1]

---

(١) الحمام منجاب:

وقيل لبعض الشطرنجيين ذلك، **فقال:** شاه مات.

● الكَفن

لما حضرت زياد الوفاة، **قال له ابنه:** يا أبت قد هيأت لك ثوبين لكفنك، **فقال:** يا بني قد دنا من أبيك لباس هو خير من هذا، أو سلب هو شر منه. وأوصى عبد الوهاب الأفريقي أن يكفّن في عباءته **وقال:** إني ختمت فيها ثلاثة آلاف ختمة.

● الطّواعين

الطواعين المشهورة في الإسلام خمسة منها: **طاعون شيرويه في المدائن** سنة ست من الهجرة، **وطاعون عمواس في** أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ **وطاعون الجارف** سنة تسع وستين في شوال هلك في ثلاثة أيام كل يوم سبعون ألفاً، مات لأنس بن مالك فيه ثلاث وثلاثون ابناً، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعون ابناً؛ ومنها **طاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة**، كان يحصى في المربدة كل يوم عشرة آلاف جنازة.

وقال بعضهم: رأيت في المنام في أيام الطاعون أنه أخرج من داري اثنتا عشرة جنازة وكنا اثنتي عشرة نفساً فمات منّا أحد عشر، فما شككت في أني تمام العدة، فخرجت يوماً وعدت إلى داري فإذا لصّ قد دخل الدار يسرق ما فيها، فطعن ومات من ساعته فأخرجنا جنازته. ومات أهل دار ولم يبق فيها أحد فدخلوا الدار بعد أربعة أشهر، فإذا صبي في الدار يحبو، فنظروا فإذا كلبة تأتيه وترضعه، وكانت الدار تصبح وفيها خمسون وتمسي وليس فيها أحد. **وقال بعضهم:** تزوجت بامرأة ودخلت بها في أهلها، فخرجت وهي في عشيرتنا، فعدت فوجدتهم قد ماتوا كلهم وكان لا يجزع أحد على أحد لخوف كل أحد على نفسه. وأول ما أحدث: كيف أصبحت؟ وكيف أمسيت أيام الطاعون.

● مَنْ استصوبَ الهَرَبَ من الطاعونِ

تقدّم خبر عمر مع المغيرة في أول الكتاب، وأراد هشام أن يهرب من الطاعون **فقيل له:** لا تخرج فالخلفاء لا يطعنون. ولم يسمع بخليفة مات مطعوناً قط، **فقال لهم:** أتريدون أن تجربوا ذلك فيّ.

● النهيُ عن ذلك

كتب بعض عمال عمر إليه: إن الطاعون قد نزل بنا فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في إتيان قرية خربة، **فوقّع في كتابه:** إذا أتيت القرية الخربة فسلها عن أهلها والسلام.

وكتب شريح إلى صديق له هرب إلى النجف من الطاعون: إن المكان الذي أنت فيه يعين من لا يفوته طلب ولا يعجزه هرب، والمكان الذي خلفت لا يعجل إلى امرىء حمامه، وأنت وهم على بساط واحد وإن النجف من ذي قدرة لقريب.

• **مَنْ عَزَم على الهَرَبِ فَعَرَضَ له ما صَرَفَهُ**

قد تقدّم خبر عبد الملك حين هرب من الطاعون في هذا الفصل، وأراد رجل من أهل البصرة أن يهرب من الطاعون، فركب حماراً له ومعه غلام يتبعه فسأله أن يرتجز، فقال:

لـن يُـسْـبَـقَ الله عـلـى حـمـار ولا عـلـى ذي مـنـعـة طـيّـارِ
قـد يـصـبـح الله أمـام الـسـاري

فقال صدقت، وحطّ رحله ومات فيمن مات.

• **كثرةُ الوَباءِ**

كثر الموت سنةً بالبصرة **فقيل للحسن**: ألا ترى؟ **فقال**: ما أحسن ما صنع ربّنا، أقلع مذنب وأنفق ممسك ولم يغلط بأحد. **وإذا قيل له**: قل الموت **يقول**: ما يبقى أحد.

(٢)

وممّا جاءَ في الغمومِ والصبرِ والتّعازي والمراقِي

•

• **الأسبابُ الموجبةُ للحُزنِ**

قال يعقوب الكندي: أسباب الحزن فقد محبوب أو فوت مطلوب، ولا يسلم منهما إنسان. لأن الثبات والدوام معدومان في عالم الكون والفساد. **وقال الحسن**: الدنيا دار غموم فمن عوجل فجع بنفسه، ومن أُجّل فجُع بأحبابه.

وقال بعض أصحاب المنطق: من أراد أن لا يصاب بمصيبة فقد أراد ما لا يكون، لأن المصائب بالكون والفساد في الطبع فينبغي أن يكون منا على بال. إن جمع الأشياء التي تصل إلينا كانت قبلنا لغيرنا فانتقلت إلينا بشريطة ما كان لمن قبلنا.

• **النّهيُ عن اتخاذِ ما يورث الجزعَ ومدحُ فاعل ذلك.**

قال ابن الرومي:

وَمَـنْ سرُّه أن لا يَـرى مـا يـسـوؤه فـلا يـتـخـذْ شيـئـاً يـخـافُ لـه فـقْـدا

وقيل لسقراط: مالك لا تجزع؟ **قال**: لأني لا أقتني ما يحزنني فقده.

• **مَنْ نَهى عن الجَزَع وبيّن قِلّة عنايتِهِ**

قال النبي ﷺ: من انقطع رجاؤه مما فات استراح بدنه. **وقيل لرجل اشتد جزعه**: لو آمنت بالمرتجع لم تجزع، ولو اقتصدت في التمتع لم تضرع، فالجزع لا يلم ما تشعث ولا يرم ما انتكث. الجزع منقصة الحياة، ومن أعان على نقصان حياته فقد عظمت خطيئته.

وقيل: التأسف على الفائت تضييع وقت ثان إن كنت جازعاً لما أفلت منك، فاجزع على ما لم يصل إليك. الحزم التسلي عما لا يغني الغم فيه والاحتيال لدفع ما يندفع بالحيلة. **وقيل لحكيم**: الخوفُ أشدّ أم الحزن؟ **فقال**: الحزن لأن الخوف صار مكروهاً لما فيه من الحزن، فكما أن السرور غاية كل محبوب فالحزن غاية كل مكروه.

● ذهابُ الحُزنِ بعد انقضاءِ المدةِ

الحُزن ينضو عن ابن آدم كما ينضو الصبغُ عن الثوب ولو بقي لقتله. **قال المتنبي**:

ولِلواجدِ المكروبِ من زَفراتِهِ سُكونُ عزاءٍ أو سُكونُ لُغُوبِ[1]

● حقيقة الصبر

قيل: الصبر حبس النفس على المكروه وعما تدعوك إليه. **وقيل**: الصبر صبران، صبرٌ على المكروه فيما يلزمك فعله وصبر عما يدعوك إليه الهوى. وسمع رجل آخر يقول: اللّهم أرزقني صبراً، **فقال له**: ما أراك تسأل الله إلا الغم.

● الحثُّ على دفعِ النَّدْبِ بالصَّبرِ

قال النبي ﷺ: الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب. أفضل العدّة الصبر على الشدة. **وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه**: الصبر مطيّة لا تكبو، والقناعة سيف لا ينبو. إذا استهدف غرض الهم فارمه بنبال الصبر. **وقيل**: اجعل صبرك على النوائب كفاء شكرك على المواهب. الصبر عند النقم والشكر عند النعم.

وقال عمر رضي الله عنه: لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت. الصبر يناضل الحدثان والجزع من أعوان الزمان. وما في الشكوى إلا أن تحزن صديقك وتشمت عدوك. **وقال أنوشروان**: جميع مكاره الدنيا تنقسم إلى قسمين، ضرب فيه حيلة فالإضطراب دواؤه، وضرب لا حيلة فيه فالإصطبار شفاؤه، وقالت الفرس: كلمتان يقولهما العاقل عند نائبته، إحداهما هذه الحال خير ممّا هو شر منها، والأخرى لعل الله أن يجعل في هذا المكروه خيراً.

وكلمتان يقولهما الجاهل: لعل ما أصابني يدعو إلى شر منه والأخرى لو كان بدل هذا كذا وكذا من المصيبة، **قال شاعر**:

ولخيرِ حظِّك في المصيبة أنْ يلْقاكَ عندَ نزولِها الصبرُ

● الصبرُ يُفضِي إلى الفَرَحِ والظفَرِ

الصبرُ على مرارة العاجل يفضي إلى حلاوة الآجل. إنك لا تنال قليل ما تحب إلا بالصبر على كثير ما تكره. حيلةُ مَنْ لا حيلة له الصبر. **قيل**: لكل شيء ثمرة وثمرة الصبر

---

(١) **الواجد**: الحزين ـ **اللُّغوب**: الإعياء. أي أن المحزون لا بدّ له من سكون فإن لم يمكن عزاء أعياه الحزن فسكن عجزاً.

الظفر. **قال أنوشروان**: الصبر كاسمه وعاقبته العسل. **وقيل**: الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت. **وقيل**: مكتوب على باب الجنة من صبر عبر.

● حثُّ الجَزوعِ على الصّبرِ وتحكيمُهُ بين الجَزعِ والصّبر

قال أمير المؤمنين كرّم الله وجهه: إن صبرْتَ فأنت مأجور وإن جزعت جرى عليك المقدور وأنت مأزور. **قال بعضهم**: رآني راكبٌ وأنا مكبٌّ على قبرِ أبكي، **فقال**: اصبر فالصبر خير معية، فلم أصغ إليه، **فولّى وهو يقول**:

فإن تصبرا فالصبرُ خير معيّة ... وإن تجزعا فالأمر ما تَريانِ

وقال أبو راكد:

فإن صبرتَ فلم ألفظك من شبعٍ ... وإن جزعْتَ فعِلْقُ منفسٍ ذهبَا

وقال النابغة:

ألا أيُّها الباكي لأحداثِ دهرِه ... تحمّلْ على ما يُحدث الدهرُ فاصبرِ

فإن أنت لم تصبرْ لما كان جائياً ... وأبصرتَ تنكيراً لذاك فأنكرِ

● الحَثُ على تَصوُّر النوائبِ والاستعدادِ لها لتخفَّ عند نزولها

قيل: ما أمتع الدهر إلا ليمنع ولولا اغترار الجاهل بفوائده لخلت النفوس من الحسرة على نوائبه. **قيل**: لا تخلِ قلبك من عوارض الفكر وخواطر الذكر فيما تعروك به الأيام من ارتجاع ودائعها وحلول وقائعها. **وقيل**: من كان متوقعاً لم يُلف متوجعاً.

قال ابن الرومي:

ألم ترَ رزءَ الدهرِ من قبلِ كونِهِ ... كفاحاً إذا فكرت في الخلواتِ

فما لك كالمُرمي في مأمن له ... بنبلٍ أتته غيرَ مرتقباتِ

فإنْ قلتَ مكروهٌ أتاني فجأة ... فما فرحَتْ نفسٌ مع الخطراتِ

ولا عوفصَتْ نفسٌ لِبلْوى وقد رأت ... عظاتٍ من الأيام بعد عظاتِ(١)

إذا بغتتْ أشياءُ قد كانَ مثلُها ... قديماً فلا تعتدها بغتاتِ(٢)

● الغمُّ يُمرِضِ البَدَن

سئل عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما عن الحزن والغضب **فقال**: أصلاهما واحد، وذلك وقوع الأمر على خلاف المحبة فأما فرعاهما فمختلفان فالمكروه ممن فوقك ينتج حزناً وممن دونك ينتج غضباً. قال المتنبي:

وحزنِ كلّ أخي حزنٍ أخو الغضبِ

---

(١) **عوفصت**: من عفصه أي قلعه أو أثخنه في الصراع.

(٢) **بغتات**: جمع بغتة، وهي الفجأة.

وقيل: الأحزان تُسقم القلوب كما أن الأمراض تسقم الأبدان. وقيل: الغَمُّ يشيب القلب والهرم يشيب الرأس.

● النَّهيُ عن الإفراطِ في البكاء وإظهارِ الجَزَعِ على الأموات

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: إن الميت ليعذَّب ببكاء أهله. وأنكرت عائشة ذلك وقرأت: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1] وقيل: معناه يُعذَّب بأفعاله التي يندب بها من غاراته وقتاله.

ودخلت أعرابية الحضر فسمعت بكاء من دار فقالت: ما هذا؟ أراهم من ربّهم يستغيثون ومن استرجاعه يتضجرون ومن جزيل ثوابه يتبرمون. وقال أبو سعيد البلخي: من أصابته مصيبة فأكثر الغم جعل الله عقوبته غماً مثله. قال الله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟﴾[2] الآية. وقال ﷺ: النائحة إذا لم تتب قبل أن تموت أقيمت يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من كبريت.

● الرخصةُ في البكاء وإظهارُ الجَزَعُ ما لم يَكُنْ إفراطاً

دخل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على النبي ﷺ يوم موت إبنه إبراهيم، فوجد عينيه تذرفان، فقال: يا رسول الله ألست تنهانا عنه؟ قال: أنا ذو رحمة ولا يُرحم من لا يرحم. وإنما نهى عن النياحة، وأن يندب المرء بما ليس فيه. وسمع عمر رضي الله عنه باكية في جنازة فزجرها فقال النبي ﷺ: دعها فإن العهد قريب والنفس مصابة. وقام الحسن البصري على قبر أخيه فبكى شديداً فقيل له في ذلك فقال: ما رأيت الله عاتب يعقوب على طول بكائه على يوسف عليهما السلام. بل قال: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[3] وقيل لأعرابي أصبر فالصبر أجر، فقال: أعلى الله أتجلد؟ والله للجزع أحب إليّ، لأن الجزع استكانة والصبر قساوة. وقيل لفيلسوف: أخرج الحزن من قلبك فقال: لم يدخله بإذني فأخرجه بإذني. وأفرطت امرأة في الجزع على إبنها فعوتبت في ذلك فقالت: إذا وقع حكم الضروريات لم يقع عليها حكم المكتسبات، فأما جزعي فليس في الطاعة صرفه ولا في القدرة منعه ولي عذر للضرورة، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[4] وقال خالد بن صفوان: صبرك في مصيبتك أحمد من جزعك، وجزعك في مصيبة أخيك أحمد من صبرك.

---

(١) القرآن الكريم: النجم/ ٣٨.
(٢) القرآن الكريم: آل عمران/ ١٥٣.
(٣) القرآن الكريم: يوسف/ ٨٤.
(٤) القرآن الكريم: البقرة/ ١٧٣.

● **نَفعُ البُكاءِ في دفعِ الأحزان**

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه: كنت إذا أصابتني مصيبة وأنا شاب لا أبكي وكان يؤذيني ذلك حتى سمعت أعرابياً **ينشد**:

لعلَّ انحدارَ الدمع يَعْقبُ راحةً — من الوَجدِ أو يَشفي نجيّ البلابلِ[1]

فسألته: لمن الشعر؟ فقال لذي الرمة فكنت إذا أصبت بكيت فاسترحت. قال العبق:

ويشفي مني الوجدَ ما أتواجع

وقال المتنبّي:

وقلّ غناءُ عَبْرة تسكبانِها — على أنّها تشفي الحرارةَ في الصّدرِ

● **قِلةُ نَفعِ البكاء**

قال أبو تمّام:

أجدر بجمرةِ لوعةٍ إطفاؤها — بالدمعِ أن تزداد طولَ وقوعِ

وقال أراكة:

أعينيَّ إن كان البُكا ردَّها لكما — على أحدٍ قبْلي فلا تترُكا جهْدا

وقال الموسوي:

وإن غبينَ القومِ منْ ظاعنَ الردى — إذا جاءَ في جيشِ الرزايا بأدمعِ[2]

وقال آخر:

إن الدموعَ طليعةُ الأحزان

● **مَنْ سلا عن الولدِ أو سُليَ عنه بسلامتهِ في نفسه**

قيل لعبد الله بن عبيد الله بن طاهر: وقد مات له ولد ثم أتاه الخبر قبل عوده من جنازته بأن مات له آخر فانتظر حتى جهز، فدفنه وانصرف مع أصحابه ودعا بالطعام، فقيل له في ذلك، **فقال**: إذا سلمت الجلة فالسخل[3] هدر.

ودخل أبو العتاهية على الفضل بن الربيع يعزيه بابنه **فقال**: الحمد لله الذي جعلنا نعزيك به ولا نعزيه بك.

---

(١) **نجي البلابل**: تغريدها الشجي.

(٢) **غبين القوم**: الضعيف الرأي فيهم.

ظاعن: ارتحل مع ـ **الرزايا**: جمع رزية، وهي المصيبة الشديدة.

(٣) **الجلّة**: جمع جليل، وهو السيد والعظيم ـ **السخل من القوم**: رذيلهم.

وقال الموسوي:

فتسلّ عن سيفٍ طبَعْتَ غرارَه ... وأعرتَ صفحتَه سناً ومضاءَ[1]
فالابن للأب إن تعرّضَ حادثٌ ... أولى الأنامِ بأن يكون فداءَ

● مَنْ تَسلّى عنه أو سُلّي بأنه فتنةٌ وبلاء

كتب رجل إلى آخر: أما بعد، فإن الولد ما عاش حزنٌ لوالده وفتنة. وإذا قدمه فهو صلاة ورحمة. فلا تجزعنّ فيما أزال الله عنك من حزن ومن فتنة، ولا تزهد فيما أولاك من صلاة ورحمة. وعزّى رجل عبيد الله بن سليمان، فقال: لئن حرم الأجر ببرّك لقد كفي الإثم بعقوقك، ولئن فُجعت بفقده لقد أمنت الفتنة به.

● مَنْ تَسلّى بمالِهِ من الثواب

دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك وكان قد أصابه الطاعون. فقال: دعني أمس قرحتك. وكان يقال: إذا كان ليناً يرجى وإذا كان خشناً لا يرجى، فامتنع عبد الملك من أن يمسها فعلم عمر لم منعه، فقال: دعني أمسها فوالله لأن أقدمك فتكون في ميزاني أحب إليّ من أن أكون في ميزانك، فقال: والله لأن يكون ما تريد أحب إليّ من أن يكون ما أريد فلمسها، فقال: يا عبد الملك الحق من ربّك فلا تكونن من الممترين، فقال: ستجدني إن شاء الله من الصابرين.

وقال ﷺ: من مات له ولد فصبر أو لم يصبر جزع أو لم يجزع احتسب أو لم يحتسب لم يكن له ثواب إلا الجنة. ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه على قبره فقال: يا ذر شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك، فليت شعري ما الذي قلت وما الذي قيل لك اللهم إنك قد ألزمته طاعتك وطاعتي فإني قد وهبت له ما قصّر فيه من حقي، فهب لي ما قصر فيه من طاعتك، اللّهم ما وعدتني من الأجر على مصيبتي به فقد وهبته له، فهب لي من فضلك. ثم قال عند انصرافه: ما علينا بعدك من غضاضة، وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة، وقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك.

● مَنْ رأى المفقودَ من وُلدِهِ له دُونَ الباقي

قال زياد لرجل: أين منزلك قال: وسط البلد، قال كم لك من ولد؟ قال: تسعة. فقال بعض من حضر: أيها الأمير إنه يسكن المقابر وله ابن واحد، فقال: أجل، داري بين أهل الدنيا والآخرة ومات لي تسعة فهم لي وبقي واحد لا أدري أهو لي أم أنا له.

وقيل لأعرابي: كم لك من الولد؟ قال: لي عند الله خمسة وعندي ثلاثة. وقال رجل للرشيد: بارك الله لك في الماضين وآجرك في الباقين فقال له: أعكس تصب، قال: لا لأن

---

(١) غرار السيف: حده - مضاء: يقال: سيف ماضٍ: أي قاطع.

الله تعالى يقول ما عندكم ينفد وما عند الله باق.

● **التسلية عن الأب ببقاء الابن**

عزّى رجلٌ آخرَ بموتِ أبيه، **فقال**: مَنْ كنت مِنْ بقيته لَموفور وَمَنْ كنت خلفه لمجبور وَمَنْ كنت وليّه لمنصور:

قال المتنبي:

فـإنّـك مـاءُ الـوردِ إن ذهـبَ الـوردُ

وقال علي بن الجهم:

فما ماتَ من كنتَ ابنَه لا ولا الذي　　　له مثلُ ما سدى أبوكَ وما سَعى[1]

● **التّعزيةُ بالبنات**

نُعي إلى ابن عباس رضي الله عنهما بنتٌ له وهو في سفر. **فقال**: عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله وأجر ساقه الله. وماتت لعمر بن عبد العزيز بنت فأقبل الناس لتعزيته فأمر بحجبهم **وقال**: إنّا لا نُعَزّى في البنات ولا الأخوات.

● **مَنْ فُجِعَ بمختصٍ به فلم يحزن لتصوره قبلَ وقوعه**

دخل رجلٌ على حكيم وهو يأكل فقيل له: قد مات ابنك. **فقال**: قد علمت، ولم يقطع الأكل. **فقيل له**: ومن أين علمت ذلك؟ **قال**: من قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[2] وحضر الموبذ عند المأمون بمرو وهو يكالمه إذ وردت عليه خريطة من الحسن فيها أخبار العراق وموت ابن الموبذ، فقال المأمون: أحسن الله لك العوض وعليه الخلف، فأجابه بصالح الأدعية. فعجب المأمون **وقال**: أتدري ما أردت؟ **قال**: لا، **قال**: يقال إن ابنك مات. قال قد علمت ذلك. قال ومن أين علمت ذلك والخريطة الساعة وردت؟ **قال**: قد علمت ذلك يوم ولد. وهذا كما سئل أفلاطون **فقيل له**: ما علّة موت ابنك؟ قال وجوده. وقيل لعمر رضي الله تعالى عنه مثل ذلك، **فقال**: هذا أمر كنا نتوقعه قبل كونه فلما ورد لم ننكره. **وقال شاعر**:

وهـل جـزعٌ مـجـدٍ عـلـيَّ فـأجـزعُ

وقال الطِّرماح:

ولـمّـا رأى أنّ الأسـى غـيـرُ دافـعٍ　　　عن المرءِ مقدوراً من الأمر سلّما

وقال:

هممتُ بأن لا أُطْعِمَ الدهرَ بعدَهم　　　حياةً وكانَ الصبرُ أبقى وأكرَما

---

(١) سدى سلوه: نحا نحوه.　　(٢) القرآن الكريم: الزمر/ ٣٠.

وقال المتنبي:

أرْدُدْ ويلي لو قضى الويلُ حاجةً وأُكثِرُ لَهْفي لو شَفى غُلّةً لَهفُ[1]

● مَنْ ماتَ له عِدةُ بنين فَصَبِرَ

مات لأنس بن مالك رضي الله عنه في طاعون الجارف ثلاثون ابناً، ولعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أربعون ابناً، ولعبيد الله بن عمر رضي الله عنهما ثلاثون ابناً سنة أربع وستين، ومات لأعرابية ابن وأخ وزوج دفعة، فلم تبك، وقالت:

أفردني ممّن أحبُّ الدهرُ ثلاثةٌ هم نجومُ زهرُ
فإن جَزِعتُ إنّ ذا لعذرٌ وإن صبرتُ لا يُخيِّبُ الصَّبْرُ

ونظر رجل بالبصرة إلى امرأة فقال: ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك إلا من قلّة الحزن، فقالت: ما حزن كحزني: ذبح زوجي شاة ولي صبيان يلعبان فقال أحدهما للآخر: تعال أريك كيف ذبح أبي الشاة فذبحه ثم خاف فهرب إلى الجبل فرهقه ذئب فافترسه وخرج زوجي في طلبه، فاشتد عليه الحرّ فمات عطشاً فقيل لها: كيف صبرت؟ فقالت: لو وجدت في الحزن دركاً ما اخترت عليه.

● حَثُّ الإنسانِ أن يَستعمل من التسلّي عاجِلاً ما يعود إليه آجلاً

عزّى رجلٌ رجلاً فقال: إن رأيت أن تقدم ما أخرته الفجوة فتربح نفسك وترضي ربك. وأصيب ابن المبارك بابنِ رجل، فدخل عليه مجوسي فقال: إن رأيت أن تفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام، فقال ابن المبارك: اكتبوا هذا. وعزّى أمير المؤمنين رضي الله عنه أشعب فقال: إن صبرت جرى عليك المقدور وأنت مأجور وإن جزعت جرى عليك وأنت موزور.

● طولُ العهدِ يَقتضي التسلّي

اعتكفت فاطمة بنت الحسين على قبر زوجها سنة، فلما أرادت الانصراف سمعت قائلاً من جانب البقيع يقول: هل وجدوا ما سلبوا؟ فأجابه من الجانب الآخر: بل يئسوا فانقلبوا. وقيل لأم الهيثم: ما أسرع ما سلوت، فقالت: إني فقدت منه سيفاً في مضائه ورمحاً في استوائه وبدراً في بهائه، ولكن قلت:

قدِمَ العهدُ وأسلاني الزمن إن في اللّحْدِ لمسلى والكَفَن
وكما تَبلى وجوهٌ في الثّرى فَكَذا يُبلى عليهن الحَزَنْ

وقال عمر لمتمم بن نويرة: ما بلغ من حزنك على أخيك؟ قال: بكيت عليه حتى ساعدت عيني العوراء الصحيحة. قال: ثم مه. قال: سلوت. وقيل: لم يخلق الله شيئاً إلا كان صغيراً فكبر إلا المصيبة فإنه خلقها كبيرة فصغرت.

(١) اللهف: التحسُّر على ما فات ـ الغلة: العطش.

● **التسليةُ بعد وُقوعِ المحذورِ**

اشتكى ابن لعمر بن عبد العزيز فجزع عليه ثم مات، فرؤي متسلياً. فقيل له في ذلك **فقال**: إنما كان جزعي رقة له ورحمة فلما وقع القضاء زال المحذور. **وقالت امرأة** مات واحدها فرؤيت حسنة الحال: أمّنني من المصائب بعد.

قال البحتري:

صعوبةُ الحزن تلقى في توقّده ... مستقبلاً وانقضاءُ الرزءِ إن يقعَا

وقال آخر:

فقد جرّ نفعاً فقدُنا لكَ إنّنا ... أمنّا على كلّ الرزايا من الجزعِ(١)

وقال:

وكنتُ عليهِ أحذر الموتُ وحدَه ... فلم يبق لي شيء عليه أحاذِرُ

ومرض ابن لجعفر بن محمد فجزع ثم مات، فلم يجزع، فقيل له **فقال**: أما بعد وقوع الأمر فلم يبق إلا الرضا والتسليم. **وقال بعضهم**: نزلت بامرأة ذات أولاد وثروة، فلما أردت الإرتحال **قالت**: لا تخلني إذا وردت هذا الصقع. ثم أتيتها بعد أعوام فوجدتها قد افتقرت وثكلت أولادها وهي ضاحكة مسرورة، فسألتها **فقالت**: إني كنت ذات ثروة وجاه وكانت لي أحزان فعلمت أن ذلك لقلة الشكر، وأنا اليوم بهذه الحالة أضحك شكراً لله تعالى على ما أعطاني من الصبر. ومن أحسن ما قيل في ذلك. **قول أوس بن حجر**:

أيّتها النفس أجملي جزعاً ... إن الذي تحذرين قد وقعا

وقيل: إذا استأثر الله تعالى بشيء فاله عنه:

فلستُ أرجو ولستُ أخشى ... ما أحدثَت بعدَه الدهورُ

فليجهَدِ الدهرُ في مساتي ... فما يُرى بعدُ ما يُضيرُ

وقال:

ألا ليمُتْ من شاءَ بعدَكَ إنما ... عليكَ من الأقدار كانَ حَذاريا

● **من تمنّى بعدَه زوالَ الدّنيا وموتَ الورى**

قالت أم جرير:

فلا وضعَت أنثى ولا آبَ واحِدٌ ... ولا ذرّ قرنُ الشمسِ بعْد جريرِ(٢)

قال محمد بن صالح:

قلْ للردى لا تغادِر بعدَه أحداً ... وللمنيّة من أحببتِ فاعتمدي

---

(١) الرزء: المصيبة ـ الجزع: الخوف.

(٢) ذر قرن الشمس: أي ظهرت ضوءها وأشرقت.

وقال المتنبي:

لا قلّبت أيدي الفوارسِ بعدَه ... رمحاً ولا حملت جواداً أربعُ

● **الحثُّ على التسلّي لقرب اللحوقِ بالميتِ والتمدُّح بذلك**

دخل الطائي على جعفر بن سليمان وقد توفي له أخ، فاشتد جزعه عليه، **فقال**: أذكر مصيبتك في نفسك تُنسِكَ فَقْدَ غيرِك. واذكر قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1]، وخذ بقول الشاعر:

وهوّنَ ما ألقى من الموتِ أنما ... أصابَك منه يا بنيّ مُصيبي

وكتب بعضهم: فيم الجزع ونحن على مدرجة المتوفى. وقال إبراهيم بن المهدي:

وإنّي وإن قدمتَ قبْلي لعالِمٌ ... بأني وإن أبطأت عنك قريبُ

وقال يحيى بن زياد:

وهوّنَ وجدي أنني سوفَ أغتدي ... على إثره يوماً وإن نَفُسَ العُمْرُ

● **الحثّ على التسلّي بمن أصابَه كمُصيبته والتمدح بذلك**

رُوي أنّ الإسكندر حكم له أنه لا يموت إلا بأرض سماؤه ذهب وأرضه حديد. فلما سقط من دابّته حمل على درع وظلل بترس من ذهب فلما أفاق ورأى ذلك فطن لما حكم له، **وقال**: قاتل الله المنجمّين، يقولون ولا يفسرون، فكتب إلى والدته أن أصنعي طعاماً وادعي له من لم تصبه مصيبة، فامتثلت فبقي الطعام ولم يأتها أحد، ففطنت أنه أرسل يعزيها، **وقال**:

وما أنا بالمخْصوص من بين من أرَى ... ولكنْ أتتْني نوبَتي في النّوائبِ

وتوفي ابن لمسلمة فاشتد جزعه حتى أمسك عن الطعام والشراب، فدخل في غمار الناس رجل رثّ الهيئة، **فأنشده**:

وطيّبَ نفسي عن شراحيل أنني ... إذا شئتُ لاقيْت امرأً ماتَ صاحبُه

فقال: ويحك، أعد فأعاده فدعا بالطعام. **قالت الخنساء**:

ولولا كثرةُ الباكينَ حولي ... على إخوانهم لقتَلْتُ نفْسي

وما يبْكون مثلَ أخي ولكنْ ... أسلّي النفسَ عنه بالتأسّي

وقال حريث:

ولولا الأسى ما عشتُ في الناس بعدَه ... ولكنْ إذا ما شئتُ جاوبَني مثْلي

ونزل عروة بن الزبير بالوليد ومعه ابنه فضربته دابّة فأصبح ميتاً. ووقعت الأكلة في

---

(١) القرآن الكريم: الزمر/ ٣٠.

رجله فقطعت بالمنشار ولم يمسكه أحد، **فقال**: لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. ثم قدم قوم من عبس على الوليد وفيهم ضرير، **فقال**: نزلت ليلة في بطن واد ولا أعلم في الأرض عبسياً أكثر ما لامني، فطرقنا سيل ذهب بأهلي، ومالي غير بعير ومولود، فند البعير فتبعته، فسمعت صرخة الولد فرجعت، فإذا الذئب قد أكله، فرجعت للبعير وتعلقت بذنبه، فحطّم وجهي فأعماني فأصبحت لا أهل ولا مال ولا عين. **فقال الوليد**: خذوا بيده إلى عروة ليتسلّى به.

وقال رجل لقوم عزاهم: ما منكم بدأت ولا إليكم انتهت، **وعكس ابن الرومي فقال**:

لـيسَ تـأسـو كـلـومُ غـيـري كـلُـومي ... مـا بـهِ مـا بـهِ ومـا بِـي مـا بـي

وقال فيلسوف: لئن كنت تبكي لنزول الموت بمن أنت له محب، فلطالما نزل بمن كنت له مبغضاً. **وقال أفلاطون لرجل رآه مغموماً**: لو أحضرت قلبك ما فيه الناس من المصائب لقل همك.

● **الحثُّ على التسلّي بموتِ النبي عليه السلام**

قال ﷺ: من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي.

قال ديك الجن:

تـأمّـل إذا الأحـزانُ فـيـك تـكـاثـفَـت ... أعـاشَ رسـولُ الله أم ضـمَّـه الـقَـبْـرُ

رئي على قبر:

تـعـزَّ فَـكَـم لـكَ مـن أسْـوةٍ ... تـبـرّدُ عـنـك غُـلَـلَ الـحَـزَنْ

بـمـوت الـنـبـي وقـتـل الـوصـيّ ... وذبـحِ الـحـسَـيـن وسَـمِّ الـحَـسَـن

● **التسلّي بأنه مُعزّى لا مُعزّى به**

قال بعضهم: لا زلنا نعزّيك ولا نعزّي بك، **وقال أبو فراس**:

كـنِ الـمـعَـزّى لا الـمـعـزّى بـه ... إن كـانَ لا بـدّ مـن الـواحـدِ

لا بـد مـن فـقـدٍ ومـن فـاقـدٍ ... هـيـهـاتِ مـا فـي الـنّـاس مـن خـالـدِ

وقال المتنبّي:

مـهـمـا يـعـزّ الـفـتـى الأمـيـرَ بـهِ ... فـلا بـإقـدامِـهِ ولا الـجُـودِ[1]

ومـن مُـنـانـا بـقـاؤه أبـداً ... حـتـى يُـعـزّى بـكـلّ مـولـودِ[2]

---

(١) أي مهما عزاه الإنسان به مما يفقد له فلا عزاء بشجاعته ولا بجوده.

(٢) المنى: جمع مُنية، وهو الشيء الذي يُتمنى. يقول: نتمنى أن يبقى على الدوام حتى يتقدمه كل مولود فيُعزّى به.

• التسلية عمّن مَضى بِمن بقي

قال الحمدوني:

حـمـدت إلَـهـي بـعـدَ عـروة إذْ نـجـا خراشٌ وبعضُ الشرِ أهونُ من بعضِ

وقال البحتري:

تـعزّ بـالـصـبـر واسـتـبـدِل أسًى بـأسـى فـالـشـمـسُ طـالِـعـةٌ إن غُـيِّـب الـقَـمَـرُ

وقال المتنبي:

قـاسـمـتـك الـمـنـونُ شـخـصَـيْـن جـوراً جـعـل الـقِـسْـمُ نَـفْـسَـه فـيـكَ عَـدْلاً[١]

فـإذا قِـسْـتَ مـا أخـذْنَ بـمـا غـا دَرْنَ سـرّى عـن الـفـؤادِ وسـلّـى

وقيل لرجل ماتت امرأته نفساء: عظم الله أجرك فيما أباد وبارك لك فيما أفاد.

• التعزيةُ بمملوك

دخل إبراهيم ابن العباس على الواثق وقد أصيب بخادم كان مشغوفاً به، **فقال**: في بقاء السيد المالك عزاء عن المملوك الهالك.

• أدعيةٌ لذوي المُصيبة

جعل الله رزيته خاتمة الرزايا، وصب على أعدائه ديم المنايا. لا جرّعك الله مصيبة غيرها ولا أنالك قارعة سواها. لا نهشتك بعدها حيّة ولا لذعتك كيّة. جعل الله مصيبتك أدباً ولا جعلها غضباً. لقّاك الله الصبر ووقاك ما يحبط الأجر لا أنساك الله المصيبة بأعظم منها. وهب الله لك عمراً طويلاً وأجراً جزيلاً وصبراً جميلاً.

وقال رجل لابن عمر: عظّم الله أجرك **فقال**: بل جعل لي العافية، معناه أن تعظيم الأجر في تعظيم ما يؤجر عليه من المصيبة. **ويقال**: أخلف الله عليك لما منه عوض، وخلف الله عليك لما ليس منه عوض. **وقال يحيى البرمكي**: التعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودّة.

• تَعازي الحمقاءِ

مات ابن لعبد الملك فجاءه ابنه الوليد يعزّيه **فقال**: يا بنيّ مصيبتي فيك أقدح في بدني من المصيبة بأخيك، **قال**: أمّي أمرتني بذلك. واغتم الحجّاج بموت صديق له وعنده شاميّ أوفده إليه عبد الملك في مهمّة. فقال الحجاج: ليت إنساناً يعزّيني عنه بأبيات. **فقال**: أقول أيها الأمير **قال**: قل، **فقال**: كل خليل سوف يفارق خليله بموت أو بصلب أو يقع فوق البيت أو يقع البيت عليه، أو يسقط في بئر، أو يكون سبب لا نعرفه. فقال الحجّاج: حسبك، فمصيبتي بأمير المؤمنين حيث أرسل مثلك في مهمّة أنستني هذه.

---

(١) يريد بالشخصين أختي سيف الدولة.

ودخل حمصيّ على عروة بن الزبير لما قطعت رجله، **فقال**: **أقطعت رجلك؟ قال**: نعم حبذا أفأنت مغتم. **قال**: كما يكون مثلي **قال**: لا تغتم فإنك لو رأيت ثوابها لتمنّيت أن الله قطع رجلك ويديك وأعمى بصرك ودقّ صلبك.

وعزّى بعض الحمقاء جاراً له بامرأته **فقال**: أعظم الله أجرك، ورحم الظعينة فقد ماتت في يوم جيد يوم الثلاثاء، **فقيل له**: إن هذا اليوم جيد لإخراج الدم **فقال**: هو لإخراج الروح أجود.

● **الرزيّةُ فقدُ الأماثلِ لا فقدُ الأموال**

قال شبيب بن البرصاء:

لعمرك ما الرزيّة بالمطايا ... ولا الخيلِ الجياد ولا العبيدِ
ولكنّ الرزيّةَ كلُّ خرق ... من الفتيان متلافٍ مفيدِ(١)

وقال آخر:

لا أعد الإقتار عدماً ولكنّ ... فقدُ من قد رزئتُه الإعدامُ(٢)

وقال لبيد:

إن الرزيّة لا رزيّةَ مثلها ... فقدانُ كلِّ أخ كضوءِ الكوكَبِ

● **الموتُ يعاجلُ الأفاضلَ ويؤخر الأراذل**

هو الدهرُ لا يبقى عليه مقدم ... جوادٌ ولا وغدٌ من النّاس واضِعُ
بكلٍّ أراه فاجعاً غيرَ أنه ... إلى الحرّ والعِلق النفيس مسارِعُ

وقال أبو تمّام:

أن ينتجل حدثانُ الدهر أنفسَكم ... ويسلم الناس بين الحوْض والعَطَنِ(٣)
فالماءُ ليس عجيباً أنّ أعذبه ... يفنى ويمتدُّ عمْرُ الآجنِ الأسنِ(٤)

وقال آخر:

يقودُ الزمانُ جيادَ الخيول ... ويبْقي الرُّذالَ على المُدودِ(٥)

وقال آخر:

كريمٌ لزادٍ يحبسُه الوعاءُ

---

(١) **الخرق المتلاف**: الحمق المودي إلى الهلاك.

(٢) **الإقتار**: الحاجة والعوز ـ **عدماً**: فقراً.

(٣) **انتجل**: صفّى ـ **الحوض**: مكان الشرب ـ **العطن**: مبرك الجمال حول الماء.

(٤) **الآجن**: الفاسد.

(٥) **الرذال**: جمع الرذيل، وهو الدون والخسيس ـ **المدود**: جمع مدّ وهو كثرة الماء والمراد أن الزمان يمدّ للأراذل حبل الغيّ.

وقال الحمدوني:

إذا ما اتقيت على فرحةٍ فكلُّ بلاءٍ بها مولَعُ

وقال آخر

وسهم المنايا بالذخائرِ مولعُ

- **موتُ السني والصديق وبقاءُ الدنيء والعدوّ**

قال سعيد بن عبد الرحمن:

إنّ الزمانَ ولا تفنى عجائبُه أبقى لنا ذَنَباً واستأصَل الراسَا

وقال البسّامي:

حياةُ هذا كموْتِ هذا فلسْتَ تخلو من المصائبِ

وقال الفقعسي:

لعمرُك إنّي بالخليل الذي لهُ علَيّ دلالٌ واجبٌ لمفَجّعُ[1]

وإنّي بالمَوْلى الذي ليْس نافِعي ولا ضائري فقْدانُه لمُمَتّعُ[2]

- **من عمّ به مصابُ النّاس**

قال الرفّاء:

تساوَتْ قلوبُ الناسِ في الحزْنِ إذ ثوت كأنّ قلوبَ الناس في حُزنها قَلْبُ

وقال سلم:

كادَت له مُهَجُ الأنامِ تَسِيلُ[3]

وقال آخر:

يشارِكُني في فقْده البدوُ والحَضَرُ

وقال الموسوي:

يموتُ قوْمٌ ولا يأسى لهُم أحَدٌ وواحِدٌ موْتُه هَمٌّ لأقوامِ

- **من اغتمّ بموتِه الجمادات**

قال أبو تمّام:

أظلمَتِ الآفاق من بعْده وعرّيت عن كلّ حسْنٍ وطيبِ

وقال آخر:

لَقَدْ حَزِنَتْ لفقْدِهِم الشُّهورُ

---

(١) و (٢) يقول إنه يفجع بالخليل الصاحب ولا يبقى له الدهر إلا المولى الذي لا يفيده فقده.

(٣) المهج: جمع مهجة وهي النفس أو الروح ـ الأنام: الناس.

● **من ذكر طولَ حُزنه على مَن رثاه**

قال سلم:

وحزن كطولِ الدّهرِ باقٍ إذا مضت ... أوائلُـه عـادَت إلـيْـنـا الأواخِـرُ

وقال آخر:

أأسرع الحزنُ في عقلي وفي جسَدي

وقال آخر:

أصـابَ غـلـيلـي عَبْرتـي فـأسـالَـهـا ... وعاد احتمامِي ليلَتي فأطالَـها[1]

وقال أبو فراس:

أوصيكَ بالحزنِ لا أوصيك بالجَلَد ... جَلَّ المُصاب عن التعنيف والفَنَد[2]

أبكي بدمعٍ له منْ حسرتي مَدَدٌ ... وأستريحُ إلى صبرٍ بلا مَدَدِ[3]

وقال آخر:

وظلّتْ بي الأرضُ الفضاءُ كأنّما ... تـصـعـدُ بـي أركـانُـهـا وتـجـولُ

وقال أبو فراس:

يـعـزّون عـنـك وأيـن الـعـزاءُ ... ولـكـنّـهـا سُـنّـةٌ تُـسـتـحَـبُّ

● **مَنْ زادَ سوءُ حالهِ على حالِ الميت**

قال المتنبي:

بنَا منك فوقَ الرمل ما بِكَ في الرمْلِ ... وهذا الذي يُضني كذاك الذي يُبلي[4]

كأنَّكَ أبصَرتَ الذي بي وخفتَهُ ... إذا عِشتَ فاخترتَ الحِمامَ على الثُّكلِ[5]

وقال الموسوي:

يـفـوزُ بـالـراحَـة الـفـقـيــــد ... ولـلـفَـاقـدِ طـولُ الـعَـنـاءِ

● **الراغِبُ عن الحياة لأجْلِ مَن رثاه**

قالت بثينة:

سواء علينا يا جميلَ بن معمر

وقال آخر:

طـلّـقْـتُ مـن بـعـدِه الـسـرورَ ... وفـرّغـتُ فـؤادي لـلـهَـمِّ والـحُـزنِ

---

(١) **غليلي**: الحزن وحرارة الحب ـ **الاحتمام**: عدم النوم من الهم.

(٢) **التعنيف**: اللوم الشديد ـ **الفَنَد**: الخطأ وفساد الرأي.

(٣) **المدد**: العون والغوث.

(٤) **يقول**: إننا لشدة حزننا عليك قد صرنا موتى ونحن فوق الأرض كما أنت ميت تحت الأرض.

(٥) **الحِمام**: الموت ـ **الثُّكل**: فقدان الحبيب.

فـلـيـتَـنـي مـتّ إذ فـجـعـتُ بـه بـل لـيـتـه لـم يـكُـن ولـم أكُـنِ

قال آخر:

وما فـي حـيـاةٍ بـعـد مـوتِـك طـائـلُ

● مَنْ أصابَهُ ما لو أصابَ الجِبالَ لهدّها

قال هدب:

أصِبْنا بـمَـا لـو أنّ سـلْـمـى أصابـهـا لـسـهْـل مـن أركـانِـهـا مـا تـوعّـرا

وقال البحتري:

ولـو أنّ الـجـبـالَ فـقـدْن إلْـفـا لأوشـكَ جـامـدٌ مـنـهـا يـذوبُ

● كَثْرةُ البُكاء على الميت

قال أبو ذؤيب:

فـالـعـيْـنُ بـعـدَهـم كـأنّ حِـداقَـهـا سُـلَّـت بـشـوكٍ فـهـي عُـورٌ تَـدْمَـعُ

وقال جرير:

أظـنُّ انـهـمـالَ الـدمـعِ لـيـسَ بـمـنـتـهٍ عن العينِ حتى يضمحلَّ سوادُها

وقال أبو الغمر:

وحـلّـتْ وكـاءُ الـدمـع فـي وجَـنـاتـه كما انفجرَت عن مانِهنّ المنابعُ[١]

● مَنْ يستقِلّ لموْتِهِ البُكاء

قال شاعر:

لا أسـتـطـيـعُ سـوى الـدمـو ع وأسـتـقـل لـه الـدمـوعـا

وفي كتاب يقل له البكاء ولو كان يدمع الحشا. قال بعضهم:

إن الـمـغـيـرةَ فـوق نـوحِ الـنّـائـحِ

● الإنكارُ على مَنْ لا يغمُّه الموتُ

قالت امرأة:

أيـا شـجـرَ الـخـابـورِ مـالـكَ مـورِقـاً كـأنـك لـم تـجـزَع عـلـى ابـن طـريـفِ

قال الشماخ:

أبَـعْـدَ قـتـيـلٍ بـالـمـديـنـة أظْـلَـمَـتْ له الأرضُ تهتزُّ العضاه بأسْوُقِ[٢]

---

(١) الوكاء: رباط القربة والوعاء والكيس وغيرها.

(٢) العِضاه: كل شجر عظيم له شوك.

وقال آخر:

أرى الأثلَ من بطن العقيقِ مُجاوري ... مقيماً وقد غالَت يزيد غوائلُه[1]

وقال عبد الصمد:

ما للسّماء عليهِ ليسَ تنفَطِرُ ... وللكواكِبِ لا تهوي فتنتَثِرُ

● من اعْتَذرَ وتلعّم لِبقائِهِ

قال بعضهم:

ومن عجب أن بتُّ مستشعرَ الثّرى ... وبتُّ بما زوّدْتَني متَمَتِّعا

وقال آخر:

ولو أنني أنصفْتُك الودَّ لم أقِم

وقال خليفة بن خلف:

أعاتبُ نفْسي إن تبسّمْتُ خالياً ... وقد يضحَك الموتورُ وهو حَزينُ[2]

وقال الهذلي:

تقولُ أراه بعد عروة سالياً ... فلا تحسَبي أن تناسيْتُ عهدَه

● المُستقبِح بموتِهِ الصّبر

قال ديك الجن:

إذا الصبرَ أهدى الأجرَ فالصّبرُ مأثمٌ ... لديّ وتركُ الصّبرِ فيك هو الأجرُ

وقال ابن الرومي:

لا أسأل الله حسْنَ مصطَبرِ ... فإنّه عنك يوم مصطبرِ

وحزنُ نفسي عليْك من كرمٍ ... وهو علَى منْ سِواك من خَوَرِ[3]

وقال آخر:

الصبر والأجر فيك إثمُ

وقال العتبي:

الصبر يُحمد في المصائبِ كلِّها ... إلاّ عليك فإنّه مَذْمومُ

وقال أبو تمّام:

وإن امرأً لم يمسِ فيك مُفجّعاً ... بمجهودهِ في رأيهِ لمُفَجّعُ

---

(١) الأثل: شجر صلب الخشب جيّده يكثر قرب الماء في الصحارى ـ غالت: قتلت والغوائل الدواهي.

(٢) الموتور: من قتل له قتيل ولم يثأر له.

(٣) الخوَر: الضعف والانكسار.

وقال المتنبّي:

أجد الحزنَ فيك حِفظاً وَعقلاً ... وأراهُ في الخَلْقِ ذُعراً وجَهلا[١]

● شقُّ الجيب

نهى النبي ﷺ عن شقّ الجيوب. قال أبو سعيد البلخي: من أصيب بمصيبة فشقّ ثوباً وضرب صدراً فكأنما أخذ رمحاً يريد أن يقاتل به ربّه.

قال المتنبّي:

علينا لكَ الإسعادُ إن كانَ نافِعاً ... بِشَقِّ قلوبٍ لا بِشَقِّ جُيوبِ

وقال أبو عطاء:

عشيّةُ قامَ النائحاتُ وشُقّقَتْ ... جُيوبٌ بأيدي مأتمٍ وخُدودِ[٢]

وقال رجل من طيء:

ولو لمْ يفارقْني عطيةُ لم أهُن ... ولم أُعطِ أعدائي الذي أَمْنَعُ

شجاعٌ إذا لاقى ورامٍ إذا رمى ... وها أنا ذا ما أظلمَ الليلُ مُصْرَعُ[٣]

وقال أبو الشّيص:

يا أيّها الدهرُ أقصِرْ عن تنقّصِنا ... فلستَ منتهياً عن غشمِنا أبدا[٤]

أضحَى سنانُ قناتي بعدَ حدّته ... مرّت به عثراتُ الدهرِ فانقصَدا[٥]

● زيارةُ القبورِ وتجديدُ الحُزنِ بها

قال النبي ﷺ: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً.

قال عبد الملك الحارثي:

أتيناه زوّاراً فأمجد ناقري ... من البثّ والداءِ الدخيل المُخامرِ[٦]

وأُبْنا بزرع قد نمَا في صدورِها ... من الوجْد يُسقى بالدّموعِ البوادِرِ[٧]

وقال خلف بن خليفة:

وبالدير أشجاني فكَمْ من شبحٍ له ... دوين المُصلّى بالبَقيع شُجونُ

ربىً حولَها أمثالُها إنْ أتيتَها ... تريـنَك أشجاناً وهنّ سكونُ

---

(١) وعراً: صعباً.

(٢) شقت الجيوب: كناية عن الحزن والنحيب.

(٣) مُصرع: مطروح.

(٤) غشمنا: ظلمنا.

(٥) انقصد: انكسر.

(٦) ناقري: السهم الذي يصيب الهدف ـ أمجد: أكثر ـ المخامر: المُداخل ـ خامره: داخله ـ أبنا: عدنا.

(٧) البوادر: المسرعات والمستبقات.

قالت أعرابية:

لقد كنتُ أعدو إلى قصره ... فقد صرت أعدو إلى قَبْرِهِ
وكنتُ أراني غنياً به ... عن الناس لو مُدَّ في عُمْرِهِ

● **العقرُ على قبر الميت**

كانت عادة العرب أن تعقر على قبر ميتهم تعظيماً له، وهذا سوى ما يجعلونه من البلية، وهي ناقة توقف على قبر ميتهم إلى أن تموت ويزعمون أن الميت يركبها يوم الحشر.

قال زياد الأعجم:

وإذا مررتَ بقبره فاعقِر له ... وأنضِح جوانب قبرهِ بدمائِها

ويقال إن زياداً دخل على المهلب فأنشده هذه القصيدة، فلما أتى على هذا البيت. **قال له:** هلا عقرت عليه يا أبا أمامة فرسك؟ **فقال:** إني كنت على مفرق ولو كنت على عتيق لفعلت. فاستحسن قوله، وقال لمن حضر مجلسه من ولده ومواليه: لينفذ كل واحد منكم إلى زياد فرساً من خيله فانصرف بعدّةِ أفراس.

وقال عبيد الله بن إسحاق:

فإن يكُ يا ابنَ المصطفى قبرُ سيِّدٍ ... تُعقر خيلٌ حولَه ونَجائِبُ
فقبرُك أهلٌ أن يُعقرُ حولَه ... رجالُ المعالي والنِساءُ الكواعبُ(١)

● **تذكّرُ المَيتِ وتصوُّر محاسِنِه**

قالت الخنساء:

يذكّرني طلوعُ الشمسِ صَخراً ... وأذكره لكلّ مغيبِ شمسِ(٢)

وقالت كلثوم:

لم يخلُ من تمثاله بَصَري ... يوماً ولا من لفظه أُذُني
يا منْ تمثّل من مَحاسِنِه ... للعينِ مشبوحٌ بلا بَدنِ

● **زيارةُ طيفِ الميت**

قال ديك الجن:

جاءت تزورُ وِسادي بعد ما دفنَتْ ... فبتّ ألثُم خداً زانَه الجيدُ
فقلْتُ قرّة عيني قد نُعيتِ لنا ... فكيفَ ذا وطريقُ القبرِ مسدودُ

---

(١) **يُعقر:** يُقدم للذبح (كناية عن تقديم الأضاحي والقرابين).

(٢) **وفي رواية:** لكل غروب شمس.

قالتْ هناكَ عِظامي فِي ملحدِهِ ... ينهشْن منها بناتُ الأرضِ والدودُ
وهذه النفس قد جاءَتْك زائرةً ... هذي زيارة مَنْ في القبرِ مَلْحودُ

● **فِداء الميّت لو قُبِلَ عنه الفِداء**

قال متمّم:

فلو أخذت منّي المنيّةُ فديةً ... فديتُك منها بالسّوامِ وبالأهلِ

وقال إبراهيم بن إسماعيل:

أجاري لو نفسٌ فدَتْ نفس ميتٍ ... فديتُك مسروراً بأهلي وماليا

وقال البحتري:

بي لا بَغيْري تربةٌ محفورةٌ ... لكَ في ثَراها رِمّةٌ وعِظامُ

● **مَنْ ذكر أنّه لو أمْكنَه دفعَ المَنيّةِ لَدفعَها**

قال الحميح:

فلو أني استطعتُ دفعتُ عنه ... ولكنّ باعَهُ منْ لا يقيلُ

وقال ابن الرومي:

ولو كان هذا الموتُ قِرناً أطيقُه ... لما فاتَني إحْدى الليالي بثارِهِ[1]

وقال الفرزدق:

فلو كانتِ الأحداثُ يدفعُها امرؤٌ ... بعزّ لما نَالتْ يداه عَريني

وقال الموسوي:

أتتْه المنيّةُ مُغتالةً ... رويْداً تخلّلُ من سَيْرِه
فلم تغْنِ أجنادُه حولَه ... ولا المُشرعون إلى نَصْرِه

● **مَنْ ذكر أنّه لو حَضَرَ لدَفع قَاتِلَهُ**

قال سعيد بن علقمة:

وغيّبتُ عن قتلِ الحبابِ وليتَني ... شهدتُ حتاتاً يوم ضُرّجَ بالدم[2]
وفي الكفّ مني صارمٌ ذو حفيظةٍ ... متَى ما يُقدم في الضّريبة يُقْدِمِ
فتعلم أحيا مالكٍ ولفيفُها ... بأن لسْت عن قتلِ الحتات بِمجرِمِ

وقال البحتري:

فوا أسَفي أن لا أكونَ شهدْتُه ... فحاسَت شمالي دونَه ويَميني[3]

---

(١) **قرناً أطيقه**: أي أقدر على جبهه. (٢) **حتاتاً**: الحتات: اسم.
(٣) **فحاست شمالي**: من حاس الجزار الإهاب سلخه أو كشطه.

وإلا لقيتُ الموت أحمرَ دونَه		كما كانَ يلقى الدهرَ أغبرَ دوني[١]

● من مات حَتْفَ أنفه وكان يخشى عليه القتل

قال لبيد يرثي أخاه وقد أصابته صاعقة فمات:

أخشَى على أربد الحتوفَ ولا		أرهبُ نوءَ السِّماكِ والأسدِ[٢]
فجعَني البرقُ والصواعقُ		بالفارسِ يوم الكريهة لنجدِ

وقال كعب بن زهير:

لعمرُك ما خشيتُ على أُبيٍّ		مصارعَ بينَ قوٍّ فالسُّليِّ[٣]
ولكنّي خشيتُ على أُبَيٍّ		جريرةَ رُحمِهِ في كلِّ حيِّ[٤]

وقال المتنبي:

نفَى وقعَ أطرافِ الرماح برمْحِهِ		ولم يخشَ وقعَ النّجم والدَّبرانِ[٥]
ولم يدرِ أن الموت فوقَ شواتِه		مُعَارُ جَناحٍ مُحسنِ الطَّيَرانِ[٦]

● من اختطفته المنيةُ لمّا أدرك المُشْتَهى أو تَناهى

قال سلم الخاسر:

لما استظلّ بتاجِ الملكِ واجتمَعتْ		له الأمورُ فمنقادٌ ومقسورُ
حطّت عليه بمقدارٍ منيَّتُه		كذاكَ تصنع بالنّاس المقاديرُ[٧]

وقيل: وقوع المنية في إدراك الأمنية، **وذلك نحو قوله:**

إذا تمّ أمرٌ بدا نقصُهُ		توقّ زوالاً إذا قيلَ تَمّ

وله باب.

● مَن الموتُ مُرْديه مع كَثرةِ تَوَقّيه

قال رجل من بني أسد:

أبعدْتَ من يومِكَ الفرار فما		جاوزتَ حتّى انتهى بكَ القدرُ
لو كان ينجي من الردى حذرٌ		أنجاكَ ممّا أصابكَ الحَذَرُ

---

(١) **الدهر الأغبر**: الدهر الشديد.

(٢) **الحتوف**: الموت ـ **السماك والأسد**: من الكواكب ـ **النوء**: ما يرافق سقوط النجم من مطر أو إعصار.

(٣) **قو**: موضع. (٤) **الجريرة**: الجناية والذنب العظيم.

(٥) **النجم**: الثريا ـ **الدبران**: خمسة كواكب، من منازل القمر.

(٦) **الشواة**: جلدة الرأس، أي لم يدرِ أن الموت فوق رأسه كيفما توجّه.

(٧) **المقادير**: القضاء والقدر.

وقال أبو تمّام:

وقد كانَ لو رُدَّ غربَ الحِمام ... شديدَ توقٍّ طويلَ احتماءِ[1]

● **التصامُمُ عن النعي والتوجُّع له**

قال:

وفي السمع عمّا خبّروا غدوةً وقْر[2]

وقال آخر:

أعلّلُ نفسي بالمرجمِ غيبةً ... وكاذبْتُها حتى أبانَ كذابُها

وقال اليربوعي:

ولما نعَى الناعي بزيد تغوّلتْ ... بي الأرضُ فرطَ الحُزنِ وانقطَع الظهرُ[3]

عساكرُ تغشَى النفس حتّى كأنني ... أخو سكرةٍ دارتْ بهامِته الخمرُ

وقال الموسوي:

أبدي التصامُم عنه حين أسمَعُه ... عمداً وقد بَلَغ الناعون أسمَاعي

● **مَنْ دعا على ناعِيه ودافِنيه**

قالت الخنساء:

ألا ثكِلتْ أُم الذين غدَوا به ... إلى القبر ماذا يحملونَ إلى القبْر؟

وقال أبو فراعة:

لأمك الويلُ تَترى أيها الناعي ... أوجَعتَ سوداءَ قلبي أيَّ إيجاعِ[4]

● **قومٌ تفانوا واحداً بعدَ واحد**

قال رجل من خثعم:

نهل الزمانُ وعلّ غيرَ مصرّد ... من آل عتّاب وآل الأسود[5]

فاليومَ أضحوا للمنونِ وسبقه ... من رائحٍ عجلٍ وآخر مقتدِ

وقال ابن هرمة:

أنَهبٌ للمنية يعتَريهم ... رِجالي أم هم درجِ السّيولِ[6]

---

(١) غرب الحِمام: سهم غرب: لا يعرف راميه، والحِمام: الموت.

(٢) الوقر: الحمل الثقيل. (٣) تغولت الأرض: انخفضت.

(٤) تترى: متابعة ـ سوداء القلب: مهجته.

(٥) نهل: شرب أول الشرب وعلّ شرب ثانية ـ غير مصرّد: أي غير قليل.

(٦) نهب المنية: هجوم الموت ـ يعتريهم: يصيبهم.

● مَنْ تُصيبُه كلَّ يومٍ مُصيبة

قال شاعر:

وتـقـرعُـنـي فـي كـلّ يـوم مـصـيـبـةٌ فقد صرتُ ذا أنس بقَرعِ المصائبِ[١]
لـعـمرُك مـا تـعـفـو كـلـومُ مـصـيـبـةٍ على صاحبٍ إلاّ فُجعْتَ بصاحبِ[٢]

● من قاسَمَتْهُ فأخذتْ النصيبين

قال المتنبي في سيف الدولة وقد ماتت أختاه فرثى الأولى:

قـاسـمـتـك الـمـنـونُ شـخـصـيـنِ جَـوْراً جـعـلَ الـقـسـمُ نَـفْـسَـهُ فـيـه عـدلا

ثم ماتت الأخرى فقال:

قَدْ كان قاسَمَكَ الشخصين دهرُهما وعـاشَ درهـمـا الـمـفـدّى بـالـذهَـبِ
وعـادَ فـي طَـلَـبِ الـمـتـروكِ تـاركُـه إنـا لـنـغـفـلُ والأيـامُ فـي الـطـلـبِ
مـا كـان أقـصـر وقـتـاً كـان بـيـنـهـمـا كـأنه الـوقـتُ بـيـن الـوِرد والـقَـربِ[٣]

● من اغتاله الموتُ وكان مِن خُدّامه

قال مسلم بن الوليد:

ألـم تـعـجـبْ لـه أنّ الـمـنـايـا فَـتَـكْـنَ بـه وهـنّ لـه جُـنـودُ

وقال بكر بن النطاح:

ألـم تـرَ لـلأيـامِ كـيـفَ تَـتـابـعـتْ بـهِ وبـهِ كـانَـت تُـذادُ وتُـدفَـعُ

● من استوحش فناؤه بموتِهِ

قال أبو حية النمري:

فـإن يـمـسِ وحـشـاً دارُه فـلـربّـمـا أقـامَ بـه بـعـدَ الـوفـودِ وفـودُ

وقال أبو تمام:

فـيـا وحـشـةَ الـدنـيـا وكـانـت أنـيـسـةً ووحـشَـةُ مَـن فـيـهـا لـمـصـرعِ واحـدِ

● الموصوفُ بأنه لو خُلّد أحد لخُلّد هو

قالت الخنساء:

لـو كـان لـلـدهـرِ مـالٌ كـان مـتـلـدةً لـكـانَ لـلـدهـر صـخـرٌ مـالَ فـتـيـانِ

---

(١) تقرعني: تلمّ بي. (٢) الكلوم: الجراح.
(٣) القَرَب: سير الليل لوِرْد الغد.

قال أبو ذؤيب في قريب من هذا المعنى:

لو كان مدحةُ حيٍّ أنشرَت أحداً ... أحيا أباكُن يا ليلى الأماديحُ[(1)]

● **مَنْ بَقِيت نِعمتُهُ بعد موتِهِ**

قال أبو الزبرقان:

فماتَ وأبقى من تراثِ عَطائه ... كما أبقَتْ الأنواء للحيَوانِ[(2)]

وقال أبو مطير:

فتى عِيش في معروفِهِ بعدَ موتِهِ ... كما كانَ بعدَ السيْلِ مجْراه مرتعا[(3)]

وقال صرم:

أما مضيت فكالربيع بمائه ... يعفو وتحسن بعدَه الآثارُ

● **مَنْ خَلّف العلى دون اللها**

قال مالك بن عمرو الحارثي:

ولما حضَرنا لاقتسامِ تراثِهِ ... أصبْنا عظيمات اللها والمآثِرِ[(4)]

وقال عمارة بن عقيل:

لم يكنْ موسِراً من المال لكنْ ... موسراً من مكارمَ ومعالي

● **من يَحْسُن تأبينُه ومَدْحُهُ**

قال مطيع بن إياس:

يا خيرَ من يُحْسَنُ البُكاءُ به الـ ... ـيوم ومن كان أمسِ للمدحِ

وقال البحتري:

مضى غيرَ مذمومٍ وأصبح ذكرُهُ ... حِلى القوافي بين راثٍ ومادحِ

وقال آخر:

قد ماتَ قومٌ وهم في الناس أحياءُ

وقال العطوي:

وليس صريرُ النعشِ ما تَسْمعونه ... ولكنَّه أصلابُ قوم تَقصَّفُ[(5)]

وليس بريح المسك ريحُ حنوطِهِ ... ولكنه ذاك الثناءُ المُخلَّفُ[(6)]

---

(1) **أنشرت**: أحيت.

(2) **الأنواء**: جمع نوء، وهو النجم إذا مال للمغيب. وربما قصد إلى فعل الأنواء أي النجوم في حياة الحيوان.

(3) **المرتَع**: المكان المُخصب. (4) **اللها**: المقدار والحفنة ـ **المآثر**: الأعمال الحميدة.

(5) **الأصلاب**: الحسب والنسب ـ **تقصّف**: تتكسّر.

(6) **الثناء المخلف**: المديح الباقي.

وقال آخر:

إذهبْ كما ذهبتْ غوادي مزنةٍ ... أثنى عليها السهلُ والأوعارُ[1]

- **المرثيّ بالجود**

قال مروان بن أبي حفصة:

وكان الناسُ كلهم لمعنٍ ... إلى أن زارَ حفرتَه عِيالا

وقال السلامي:

أما طِلابُ المعالي فاشتُهينَ بِه ... وأُكرِمت بعدَه الأوراقُ والذهبُ

وقال آخر:

أتاه الرّدى في زيّ عافٍ وإنما ... أبى جودُه أن يَرْجِعَ الموتُ خائباً[2]

- **مَنْ ماتَ بموتِهِ الجودُ والكرمُ**

قال شاعر:

سلوا عن المجد والمعروف أين هما ... فقيلَ إنهما ماتا مع الحَكَم

وقال زياد الأعجم:

إن السماحة والمروءةَ ضمنا ... قبراً يمرُّ على الطريقِ الراضعِ[3]

وقال آخر

ولما مضى معنُ مضى الجودُ وانقضى ... وأصبحَ عرنينُ المكارِمِ أجدَعا[4]

وقال آخر:

ما درَى نعشُه ولا حاملُوه ... ما على النّعشِ من عفافٍ وجودِ

وقال المتنبّي:

يحسبه دافنُه وحدَه ... ومجدُه في القبر من صَحْبِه

- **مَنْ تَضمّن قبرُهُ عِزّاً ومنفعةً**

قال أبو الشّيص:

يا حفرة طولها خمسٌ إذا ذُرعتَ ... في خمسة قد دفنّا عِزّنا فيها

وقال ديك الجن:

عجبتُ لحفرةٍ حُشيتْ بِطوْدٍ ... وقبرٍ حشوه بلدٌ رحيبُ

---

(١) **الغوادي**: جمع غادية، وهي السحابة التي تنشأ وتمطر غدوة ـ **الأعوار**: جمع وعر، وهو المكان الصعب والمخيف.

(٢) **في زي عافٍ**: في هيئة طالب المعروف. (٣) **الراضع (هنا)**: اللئيم.

(٤) **العرنين الأجدع**: الأنف المقطوع.

وقال التنوخي:

ولحدٍ حوى شمساً وأرضٍ تضمَّنَتْ　　سماءَ نجومُ المَجْدِ فيها ثواقِبُ

● مَنْ توجّعُ له المكارم

قال أوس بن حجر:

ليبكِ الضيفُ والمكارمُ والـ　　ـفتيانُ طرّاً وطامعٌ طمعا

وقال أشجع:

أنعى فتى الجودِ إلى الجودِ　　ما مثلُ من أنعى بموجودِ

وقال الخوارزميّ:

أعزّيكم أم أعزّي الندى　　فما هُو دونَكم في الألمِ(١)

وقال أبو تمّام:

يُعزّون عن ثاوٍ تُعزّى بهِ العُلى　　ويبكي عليه الجُودُ والبأسُ والشِّعْرُ

● مَنْ فَقد الآمالَ بموتِه

قال أبو تمّام:

توفيتِ الآمالُ بعد محمّدٍ　　وأصبحَ مشغولاً عن السَّفْرِ السفرُ

وقال:

وكانتِ الآمال مبسوطةً　　حتى إذا ماتَ طويناها

وقال دعبل:

ماتَ الثلاثة لما ماتَ مطّلبٌ　　ماتَ الرجالُ وماتَ الرّغْبُ والرَّهَبُ

● المرثي بحفظ الجوار

قال بعضهم:

بمن يستجيرُ الحرُّ أقفرَ بيتُه　　إذا لم يجدْ في الأرض قرْضاً ولا فرْضا

ومن للأمورِ والمعضلاتِ إذا عَرَتْ　　ومن يُحسنُ الإبرامَ بعدَكَ والنقْضا(٢)

وقال بعض بني أسد:

كانوا على الأعداء نار محرقة　　ولقومهم حُرماً من الأحرامِ

وقال آخر:

يا طالباً وزراً من ريبِ حادثَةٍ　　أودى سعيدٌ فلا كهفٌ ولا وَزَرُ(٣)

---

(١) الندى: الكرم.

(٢) عرت: عرضت - الإبرام والنقض: عقد الاحلاف وفكها.

(٣) الكهف: ملجأ - والوَزر: الملجأ أيضاً.

وقال أبو القاسم العلاء في الصاحب:

قام السعاةُ وكان الخوفُ أقعدَهم ... واستيقظوا بعد ما نامَ الملاعِينُ
لا يعجبُ الناسُ لما ماتَ فانتشروا ... مضى سليمان فانحلَّ الشياطينُ

● مَنْ ماتَ بموتِهِ مَن لم يَمُت

قال شاعر:

ماتوا بموتِك غيرَ أنّ شخوصَهم ... نصبُ الهموم مقيمةٌ لم تُقبرِ

وقال امرؤ القيس:

فلو أنّها نفسٌ تموتُ بموتِهِ ... ولكنّها نفسٌ تساقطُ أنفسا

وقال هشام أخو ذي الرمّة:

ولم يكُ قيس هلكُه هلكُ واحدٍ ... ولكنّه بنيان قومٍ تهدّما

وقالت ليلى:

قتلتم فتًى لا يسقط الرعبُ رمحَهُ ... إذا الخيلُ جالتَ في قنا متكسّرِ

وقال الفرزدق:

ألا هَلَكَ المكسّرُ فاستراحتْ ... حوافي الخيْل والحيّ الحريدُ[1]

لما أتى معاوية نَعْيُ عمرو بن العاص، أنشد:

ماذا رزئنا به من حيّةٍ ذكرٍ ... نضناضةٍ بالرزايا صلِّ أصلالِ[2]

● من هابته الحوادثُ فاشتفت بموتِهِ

قال أبو الغمر:

وسألت عنه فقيل ماتَ لِما به ... قلتُ النّدى لا شك ماتَ لِما بِهِ[3]
فكأنما ضنّ الزمان على الورى ... ببقائه أو هابه فبدا به

وقال محمد بن وهب:

كأنّ الموتَ صادفَ مِنك غُنماً ... أو استشفى بموتك من سُقامِ[4]

● مَنْ تَبَجّحَ به الموتُ وطابَ القبر

فلان تباشرت القبورُ بموته وأشرقت المقابر بحفرته. **قال العقيلي:**

لئن أظلمَتْ من بعدِك الأرضُ وحْشةً ... لقد أشرقتْ أنساً إليك المقابرُ

---

(١) **الحريد**: الغاضب.

(٢) **النضناضة**: الحيّة التي تقتل من ساعتها إذا نهشت ـ **والصلّ**: الحية الخبيثة.

(٣) **الندى**: الكرم. (٤) **استشفى من سقام**: السقام: المرض والعلّة.

وقال الطائي:

مضى طاهر الأخلاقِ لم تبقَ بقعةٌ — من الأرضِ إلا تشتهي أنها قبرُ

وقال:

أرادوا ليخفوا قبرَه عن عدوِّهِ — فَطِيبُ ترابِ القبرِ دلَّ على القبْرِ

● **المرثي بالعلم**

أنشد أبو نواس أبا عبيدة في مرثية خلف الأحمر قوله:

أودى جُماعُ العلم مذ أودى خلفْ — فليذُم من العياليم الخَسَفْ[1]

رواية لا يجتني من الصحف

وفي أبيات كثيرة قال ما أحسنها وطوبى لمن يُرثى بمثلها، **فقال**: مت راشداً وعلي أن أرثيك بخير منها، ولما مات سفيان بن عيينة.

قال ابن مناذر:

راحوا بسفيان على نفسِه — والعلم مكسوين أسفانا[2]

لا يبعدنك الله من هالكٍ — ورّثنا علماً وأحزانا

وقال آخر:

يبكيك للمجدِ أقلامٌ مهذبةٌ — والأمر والنهْيُ والديوانُ والعملُ

وقال التنوخي:

ثوى الفقهُ في قعرِ الثرى مذ ثوى به — وغاصَت بِحارُ الشعرِ وانقطعَ النَظْمُ

ولو أنّ هذا الموتَ خَصْمٌ مفوّهٌ — لأفحمه من عزّ ألفاظه خَصْمُ

● **المَرثي بالزُهدِ والعِبادة**

رأى رجلٌ ميتاً **فقال**: كان والله بالليل قوّاماً وبالنهار صوّاماً يجمع بين طرفي النهار والليل بالعبادة، كما قال الأفوه:

لقد أبقى مكانك في لؤيٍ — وآل محمد خللاً مُبِينا

وليلٍ قد دأبتَ له بآيٍ — من الفرقان بين الساجِدينا

فآنس شخصُك الجدَثَ المعفّى — وأوحشَ قبرُك المتهجّدينا[3]

---

(١) **أودى**: ذهب بـ **العياليم**: جمع عيلم، وهو البئر الواسعة ـ **الخسف**: البئر المحفورة في صخر وماؤها لا ينقطع.

(٢) **أسفانا**: الأسفان الأسف مصدر أسف أي بالغ في الحزن والغضب.

(٣) **الجدث**: القبر ـ **المتهجّد**: الذي يصلّي الليل.

قال عبد الصمد بن المعذل:

لـو كـانَ يـبـكـي كـتـابُ الله مـن أحـدٍ ... لـطـولِ إلـفٍ بـكـتْـك الآيُ والـسـورُ

● المختصُ بمرثية الأبوين

قيل: موت الأبوين سد بابين من أبواب الجنة. **قال قتيبة بن مسلم لما ماتت أمه لأبي مجلز:** لقد سُدّ دوني باب من أبواب الجنة **قال:** نعم وباب من أبواب النار لأنك ما كنت تأمن أن تعقها.

قال كشاجم:

أبـعـدَ مُـصـابِ الأمّ آلـفُ مـضـجـعـاً ... وآوي إلى خفْضٍ من العيْش أو ظلّ

سترضِعُ عيني قبرَها من دموعِها ... بما كلفته من رِضاعي ومن حمْلي(١)

رثـيـتُ لـنـصـلٍ يـأخـذُ الـمـوتُ جـفـنَـه ... وأعجبُ من فرعٍ ينوحُ على أصْلِ

وبكت صبية أباها، فقالت: واأبتاه تركتنا كالبُهم ليس لنا رعاة، واأبتاه تركتنا كالزرع ليس له مسقاة.

● الفَجيعةُ بولدٍ صغير

قال أحمد بن أبي طاهر:

بَـدْرٌ لـيـلٍ بَـدْرَ الـنـقْـ ... ـصُ لـه قـبـلَ تَـمَـامِـهْ

كـان نَـوْراً مـن ريـاضٍ ... فـذوى قـبْـلَ ابـتـسـامِـهْ(٢)

وقال أعرابي:

يـا غـائـبـاً مـا يـؤوبُ مـن سَـفَـرِه ... عـاجـلَـه مـوتُـه عـلـى صِـغَـرِه

شـرِبْـتَ كـأسـاً أبـوك شـاربُـهـا ... لا بـدّ مـنـهـا ولـو عَـلـى كِـبَـرِه

وقال المتنبي:

فـإن تـكُ فـي قـبرٍ فـإنـك فـي الـحـشـا ... وإن تكُ طفلاً فالأسى ليسَ بالطِّفلِ(٣)

ومـثـلُـك لا يـبْـكـى عـلـى قـدْر سـنّـه ... ولـكـن عـلـى قـدر الـمـحـيـلـةِ والأصـلِ

بـنـفـسـي ولـيـدٌ عـاد مـن بـطـن أمـه ... إلـى بـطـنٍ أم لا تـطـرقُ بـالـحَـمْـلِ

وقـد مـدّتِ الـخـيـلُ الـعـتـاقُ عـيـونَـهـا ... إلى وقتِ تبديل الرِّكابِ من النَّعْلِ(٤)

---

(١) **كلفته:** تحملته وشقيت به.

(٢) **النور:** الزهر ـ **قبل ابتسامه:** قبل تفتح أكمامه.

(٣) أي إن تكن قد دُفنت في القبر فإنك مصوَّر في القلب، وإن تكن طفلاً صغيراً فالحزن عليك ليس بصغير.

(٤) **العتاق:** الكرام ـ **الركاب:** ما توضع فيه الرجل من السرج.

ورِيعَ لـه جيش الـعـدوّ ومـا مـشـى　　　وجاشَتْ له الحربُ الضَّروس وما تغلي[١]

وكتب: كاتب عاجله موته على صِغره وعاقصه رَداه قبل سفره، وقال التنوخي:

كغصنٍ ثـنـتْه الريحُ عنْد اعتدالِه　　　ريـاحُ غـوادٍ بـالـرّدى وروائـحِ

- **التحسُّر على الوَلَد**

قال أبو الشّيب:

بـأبـي وأمـي مـن عـبـاتُ حنوطَـه　　　بـيـدي وودّعـنـي بـمـاءِ شـبـابِـهِ
كـيـفَ الـسـلـوّ وكـيـفَ أنـسـى ذكـرَهُ　　　وإذا دُعـيـتُ فـإنّـمـا أُدعـى بِـهِ

وقال:

لـعـمـرُك مـا أبـقـى لـنـا الـدهـرُ بـاقـيـا　　　نَـقـرُّ بـه عـيـنـاً غـداةَ نـوُبُ
كـأنّـي وتـرتُ الـدهـرَ بـابـنِ أفـادَه　　　على حِين كانت كبرةٌ فمشيبُ[٢]

وقال العتبيّ:

دفنتُ بكفّي بعضَ نفْسي فأصبحتْ　　　لـهـا دافـنٌ مـن نـفـسِـهـا ودفـيـنُ

- **المتوجِّعُ لموتِ البنين وَبقاءِ البنات**

قال أبو الغمر، وقد مات له خمس بنين وحصلت له خمس بنات:

مضى خمسةٌ وجهي بهِم كانَ مشرِقاً　　　بخمسٍ بهنّ الوجهُ أسودُ سافِعُ[٣]

وقال العتبيّ:

ألا يـدرأ الـدهـرُ عـنّـا الـمـنـونـا　　　يُـبْـقـي الـبـنـاتَ ويُـفـنـي الـبَـنِـيـنـا
وكـنـتُ أبـا خـمـسـةٍ كـالـبـدورِ　　　وقـد فـقـأوا أعـيـن الـحـاسِـديـنـا
فـمـرّوا عـلـى حـادثـاتِ الـزمـان　　　كـمـرّ الـدراهـمِ بـالـنّـاقـديـنـا

- **مرثية عروس**

امرأة مات عنها زوجها ليلة العرس، فقالت:

أبـكـيـكَ لا لـلـنـعـيـم والأنـسِ　　　بـل لـلـمَـعـالـي والـرمـح والـتـرْسِ
أبـكـي عـلـى فـارسٍ فُـجِـعْـتُ بـه　　　أرمـلـنـي قـبـلَ لـيـلـةِ الـعُـرسِ

وقال:

يـا قـرب مـأتـمِـهـا مـن الـعـرسِ

وقال صالح بن عبد القدوس:

وكـذاكَ الـدهـرُ مـأتـمُـه　　　أقـربُ الأشـيـاءِ مـن عُـرسـه

---

(١) ريع: أخيف - جاشت: غلت - الضروس: العضوض.

(٢) وترْته: أثكلته وانتزعت منه.　　(٣) السافع: الأسود المشبع حمرةً.

وقال المتنبي:

أتـهـنّ الـمـصـيـبـةُ غـافـلاتٍ فـدمعُ الـحـزْنِ فـي دمْـعِ الـدلالِ[1]

● مَنْ قتل محبوبَه

قال بعضُهم وقد اتهم امرأته فقتلها:

يـا طـلـعـة طـلـعَ الـحِـمـام عـلـيْـهـا وجـنَـى لـهـا ثـمـرَ الـرّدى بـيـدَيْـهـا
رَوَيْـتُ مـن دمِـهـا الـثّـرى ولـطـالَـمـا روى الـهـوى شـفَـتـي مـن شـفـتَـيْـهـا
وذبـابُ سـيـفـي فـي مـجـالِ خـنـاقِـهِ ومـدامِـعِـي تـجْـري عـلـى خـدّيْـهـا[2]

وقال ديك الجن وكان اتهم امرأته فقتلها ثم تبين له بطلانه:

تـبْـكـي وتـقـتُـلُ مـن تـحـبُّ فـقْـدُك مـن عـجَـبٍ عـجـيـبُ

وقال:

وآنـسـةٍ عـذبِ الـثـنـايـا وجـدَتُـهـا عـلـى خِـطّـة فـيـهـا لـذي الـلـبِّ مـألـفُ
فأصلتُ حرّ السيفِ في حُرّ وجهها وقلبي عليها من جوَى الوجدِ يرجفُ[3]
فـخرّت كـمـا خـرّت مـهـاةٌ أصـابَـهـا أخـو قـنـص ومُـسْـتَـعْـجِـل مـتـعـسّـفُ
سـيـقـتُـلـنـي حـزنـاً عـلـيْـهـا تـأسّـفـي وهـيـهـات مـا يُـجْـدي عـلـيّ الـتـأسّـفُ

● مرثيةُ عشيقة

قال العبّاس:

ريـحـانَـتـي واخـتُـلـسـتْ مـن يـدي أبـكـي عـلـيـهـا آخـر الـمـسـتـنَـدِ[4]
كـانـت يـداً كـانَـتْ بـهـا قـوّتـي فـاخـتـلـسَ الـدهـر يـدِي مـنْ يَـدي

● مَرثيةُ زوجة

قال الفرزدق في مرثية امرأة حامل ماتت له:

وجـفـنُ سـلاح قـد رزئْـتُ فـلـم أمِـت عـلـيْـه ولـم أبـعـث عـلـيـهِ الـبـواكِـيـا
وفـي جـفـنـهِ مـن دارمٍ ذو حـفـيـظـةٍ لـو أن الـمـنـايـا أخـطـأنَـه لـيـالِـيـا

وقال الموسوي:

إن لـم تـكـنْ نـصْـلاً فـغـمـدُ نُـصـولِ غـالـبَـتْ أحـداثَ الـزمـانِ بـغـولِ
أو لا تـكُـن بـأبـي شـبـولٍ ضـيـغَـمٍ تـدمـى أظـافـرُه فـأمّ شُـبـولِ[5]

---

(١) الدلال: التغنّج، أو الوقار. (٢) ذُباب السيف: طرفه الذي يضرب به.

(٣) حُرُّ الوجه: ما ظهر من الوجنة ـ الجوى: شدة الوجد ـ يرجف: يضطرب بشدة.

(٤) آخر المستند: آخر ما يستند إليه.

(٥) الضيغم: الأسد ـ الشبول: جمع شبل وهو ولد الأسد، أم شبول: اللبؤة.

● **مرثية ضال**

قال أعرابي يرثي أخاً له ضلّ:

فلو أنه إذا جاءه الدهرُ عاديا ... أتيحَ له موتٌ وغيبَةُ قبْرُ

إذاً لصبّرتُ النفسَ ثم احتسبتُه ... وفي الصّبْر لي حسنُ المثوبةِ والأجرُ

ولكنْ طوَتْ عنّي المقاديرُ عِلْمَه ... فما لي به لمّا تناءى شخصُه خبرُ

أموتٌ فيُسلى أم حياةٌ فيُرتجى ... أبرٌّ أتى من دون مثواه أم بحْرُ

وقال آخر:

رمى بصدور العيسِ مخترقَ الصَّبا ... فلم يدرِ خلقٌ بعدَها أين يمّما

وسنان بن حارثة استهوته الجن فزعمت العرب أنها استفلحته الجن طلباً لكرم نجله وقارظ عنزة ممّن فقد. **وقيل:** إنه خرج مع خزيمة بن مالك وكان خزيمة يهوى ابنته، فانتهيا إلى بئر فيها معسل، فأرسله خزيمة. فلما **قال:** أجذبني **قال:** لا أفعل أو تزوّجني ابنتك. **فقال:** أخرجني لأزوجك فأما على هذه الحالة فلا، **فقال:** لا أفعل وتركه. وبه ضَرَبَ المثل الشاعرُ بقوله:

إذا ما القارظ العنزيّ آبا[1]

وكان فيهم قارظ آخر فقده وفيه قيل:

وحتّى يؤوبَ القارظان كلاهُما ... وينشر في القتلى كليبٌ لوائلِ

● **مرثيةُ مصلوب**

قال الرقاشي: كنت من صنائع البرامكة فلما صلب جعفر أردت أن أبكي عليه إذا انتهيت إليه، فلم يمكنّي من حوله فمررت يوماً والدنيا خالية فبكيت، وقلت:

أما واللهِ لولا خوفُ واشٍ ... وعينٌ للخليفة لا تنامُ

لطُفْنا حولَ جِذْعك واستلَمْنا ... كما للناس للركْن استلامُ[2]

فلما دخلت على الرشيد **قال:** إيه، أما والله لولا خوفُ واشٍ، فانتفضت وقلت: ما أحسب إلا الجن تأتيك بالأخبار. ولأبي الحسن بن الأنباري في أبي طاهر بن بقية أبيات متناهية في هذا المعنى:

علوٌّ في الحياةِ وفي المماتِ ... فحقٌّ أنتَ إحدى المعجزاتِ

كأنّ الناسَ حولَك حينَ قاموا ... وفودُ نَداك أيامَ الصِّلاتِ

---

(١) **القارظ العنزي:** هو رهم بن عامر خرج لطلب القَرَظ فلم يرجع ولا يدري ما كان من خبره فصار مثلاً في امتداد الغيبة، أو مثلاً للغائب الذي لا يرجى إيابه، **والقَرَظ** هو ورق السَّلَم يدبغ به.

(٢) **الركن:** المقصود بالركن البيت الحرام.

كــأنــك قــائــمٌ فــيــهــم خــطِــيــبــاً ... وكــلّــهــم قــيــامٌ لــلــصّــلاةِ
مــددتَ يــديْــك نــحــوَهــم احــتــفــاءً ... كــمــدّكــهــا إلــيْــهــم بــالــهِــبــاتِ
ولــمــا ضــاقَ بــطــنُ الأرض عــنْ أن ... يــضــمَّ عُــلاكَ مــن بــعْــدِ الــمــمــاتِ
أصــاروا الــجــوّ قــبــرَك واســتــعــاضُــوا ... مــن الأكــفــانِ ثــوبَ الــسّــافــيــاتِ[1]
لــعــظــمِــكَ فــي الــنــفــوس تــبــيــتُ تــرعَــى ... بــحــرّاسٍ وحــفــاظٍ ثــقــاتِ

وتمام ذلك مذكور في كتاب الأحداق

• **مرثيةُ المغني متعاطي اللهوَ والشِرْب**

قال دعبل في الموصلي:

ســيــبــكــي الــبــمُ مــن جــزعٍ عــلــيــه ... وتــبْــكــيــه الــمــثــالِــثُ والــمــثــانــي[2]
وتــشــكــلُــه الــقــيــانُ وحــافــظــوهــا ... ويــنــعــاه الــزقــاقُ إلــى الــدّنــانِ

وقال آخر:

فــلــيــبــكــهــا الــخــمــرُ إذ مــاتَــتْ مــنــائــحُــهــا ... ولــيــبــكــه الــرخّ والــفُــرزان والــشــاهُ[3]

وكان لخلاّد بن معزوه صديق، فلما مات خلاد جاء صديقه معزياً فأقام على قبره برهةً يكثر البكاء عليه، فعوتب على كثرة بكائه، فقال: كيف لا أتوجع على رجل ما أدخلنا مؤاجراً قط إلاّ قال لي تقدّم أبداً فإن قوي لي وإلاّ قوّاه وراضه. ومن مليح المراثي قال ابن الرومي في بستان المغنية:

بــســتــانُ أُسْــقــيــتِ مــن مــدامــعــنــا ... لا مِــن ســواري الــغُــيــوثِ والــمَــطَــرِ
بــل حــقّ صُــهْــبــاكِ أن تــكــونَ مــن الــ ... ــصــهــبــاءِ صــهــبــاء خــمــص أو هَــجَــر
بل من رحيقِ الجِنان يُختم بالمسْـ ... ـك ســلافــاتُــه بــلا عــكَــرِ[4]
بل من نجيعِ القلوبِ يُمْزَج بالعطـ ... ـفِ وصــفــوِ الــودادِ لا الــكَــدَرِ[5]

• **موتُ شرّيرٍ**

قيل: إذا مات الخيّر استراحَ من الدنيا، وإذا ماتَ الشرير استراحَتْ منه الدنيا، **وقال الحسن بن أيوب:**

مــاتَ يــحــيــى فــمــاتَ شــرٌّ كــثــيــرٌ ... ولــقــد كــانَ شــرُّه يــسْــتَــطــيــرُ
إن مــوْتَ الأشــرارِ فــتْــحٌ عــظــيــمٌ ... وغــيــاثٌ ونــعْــمَــةٌ وسُــرورُ

---

(١) **أصاروا**: حوّلوا وأمالوا ـ **السافيات**: من الرياح التي تحمل التراب وتنثره.
(٢) **البم**: أغلظ أوتار العود ـ **المثاني والمثالث**: من أوتار العود.
(٣) **الرخ**: الشراب الممزوج بالماء وغيره ـ **الفرزان والشاه**: الملكة والملك من أحجار الشطرنج.
(٤) **سلافات**: جمع سلافة: الخمرة المعتقة. (٥) **النجيع**: الدم المائل إلى السواد ـ **الكدر**: الغم.

ما شمِتنا بموتِ يحيى ولكن سرَّنا أنّ شرَّه مقبورُ

وقال الصاحب:

نعوا إليّ ابن دهشوذان عن كثب قلت إن صحّ هذا مات إبليسُ

ولما مات المكتفي وطولب الناس بالبقايا، قال أحمد بن واضح:

ماتَ الخليفةُ وانقضَتْ أوطارُه مِمّا حوته يداهُ من دنياه

قد كانَ حيّاً وهو عَنّا ميِّتٌ فالآن لما ماتَ عاش أذاه

وقال مالك بن طوق:

فبعْداً لا انقضاءَ له وسُحقاً فغيرُ مُصابِه الحَدثُ العظيمُ

وقال الصاحب لما مات أبو الحسن الطبري الطبيب:

قالوا أبو الحسنِ الطبيبُ قدِ انقضَى فبكَتْ عليه مدامِعُ الإلحادِ

كلا بل الإلحَاد ماتَ بموتِهِ فكأنّما كانا على مِيعاد

وقال أبو سهل المجوسي:

أريحُوا النفوسَ فلا تكثِروا حديثَ قِرانكم المقتَبلِ

فقد دلّنا موتُ هذا الخسيسِ على أن تأثيرَه في السُّفَلِ

- **الإستهانةُ بموتِ النساء**

قال النبي ﷺ: دفن البنات من المكرمات. **وقيل:** دفن الحَرم من أعظم النِعم.

وقال الفرزدق:

وأهونُ مفقودٍ إذا الموْتُ نالَه على المرءِ من أصحابه منْ تقنّعا[١]

- **أصحابُ الصنائعِ الخسيسةِ**

قال البقطري الكاتب يرثي غلاماً له يدعى مباركاً:

مُبارك من ذا يسوسُ الدو اب في القيظ والليلة الشاتِيَة

ومن ذا يصبّ لنا في الجباب مياهاً إذا أصبحَتْ خالِيةِ

لقد كنتَ أخدمَ سوّاسِنا وأسلَمهم عندنا ناحِية

فوقاك ربّك نارَ السَّموم ولا زلتَ في عِيشة راضِيَة

قال جحظة في مرثية طبّاخ كان يسمّى صندل:

لقد عظمَت صائباتُ الرزايا وأودَت بصندلٍ كفُّ المَنايا

---

(١) من تقنّع: يعني به موت المرأة التي تضع القناع أو الحجاب.

فـمـن لـلـبـوادرِ قـبْـل الـطـبـيـخِ ومـن لـلـمـبـزرِ قـبْـل الـقـلايـا[1]

● **نبشُ القبور**

قال عمرو بن هانىء الطائي: بعثنا أبو غانم المروزيّ على نبش قبور بني أمية، فانتهيت إلى قبر هشام فاستخرجته صحيحاً فما فقدت منه شيئاً إلا أطراف أنفه. إلا أنه كان كريشة فأحرقناه، ثم استخرجنا سليمان من أرض دابق فلم نجد إلا صلبه وجمجمته، وكذلك كان عبد الملك، ووجدنا معاوية كخط أسود كأنه رماد، ولم يوجد في قبر يزيد بن معاوية إلا عظم واحد، وما وجد من عظامهم أحرقناه.

● **ومن أنواع هذا الباب**

قال الجاحظ: ما سُمع في صفة النوائح المستأجَرات مثلُ قول الراجز:

كـأنـهـا نـائـحَـةٌ تَـفـجّـعُ تـبـكِـي لـمـيْـتِ وسِـواهـا الـمُـفـجَّـع

ونحوه:

بكى الشجوُ ما دونَ اللهى من حُلوقه ولـم يـكُ شـجـو مـا وراءَ الـحـنـاجِـرِ

وقال زياد الحارثي: رمسنا رجلاً في زمن أبي بكر فبكى رجل، **وقال**:

فـبـيـنـمـا الـمـرءُ فـي الأحـيـاءِ مُـغـتـبـطٌ إذ صارَ في الرمس تعفُوه الأعاصيرُ
يـبـكـي عـلـيـه غـريـبٌ لـيـسَ يـعـرفُـهُ وذو قـرابـتِـه فـي الـحـيّ مـسْـرورُ

فقال له بعضهم: أتعرف قائل هذا الشعر؟ **قال**: لا، **فقال**: هذا الميت والله قائلُه وذاك وارثه مسرور بماله، **فأنتَ** الغريب الباكي عليه نهاية الصبر أن لا تحدّث بمصيبتك أحداً ولا تذل نفسك عنده. الصبر على المصيبة يفلّ حدَ الشامت بها.

وقال محمد بن هريمة: أقبلت من مصر فلما انتهينا إلى باعينانا قعد صاحبي ليبول، **فقال له رجل شيخ**: هذا قبر عجيف، كان المعتصم قتله ههنا وألقى عليه هذا الحائط، **فقال الرجل**: سبحان الله رأيتني بهذا المكان وقد دعا لي عجيف بالسوط فبلت من خوفه، وها أنا أبول على قبره. الناس بين فرحٍ بمولود وترحٍ بمفقود.

---

(١) **البوادر**: جمع بادرة وهي اللحمة بين المنكب والعنق ـ **المبزر**: الذي يلقي الأبزار في القدر، وهذا ملائم لرثاء الطبّاخ.

في السماء والأزمنةِ والأمكنةِ والنباتِ والأشجارِ والنيرانِ

•

(١)

فما جاء في وَصْفِ الملوين[١] والسماء والنجوم

•

قال الإسكندر لبعض الحكماء: أيما أول الليل أو النهار؟ **فقال:** هما في دائرة واحدة والدائرة لا يعرف لها أول من آخر ولا أعلى من أسفل، وجعلت العرب الليل قبل النهار في التاريخ، ولذلك أرخوا بالليل دون النهار وغلبوا التأنيث على التذكير في هذا الموضع خصوصاً.

ولذلك قال ابن مقبل في هذا المعنى:

فطافَت ثلاثاً بين يوم وليلةٍ

ولم يقل ثلاثة. وذُكر أنه وجد مكتوب على حجر قبل الإسلام بألف عام في بعض غيران نجد:

خدْنان لم يُريا معاً في منزل ... وكلاهُما يجْري به المِقدارُ[٢]

لونان شتّى يكسوان خلوقه ... ما عاورَتْه الريحُ والأقطارُ

قال شاعر على سبيل اللغز:

ما سبعةٌ كلّهم إخوان ... ليس يموتون وهُم شُبّان

لم يرهم في موضع إنسان

يعني أيام الأسبوع.

• ومما يَدخُل في ذِكر الأيام

دخل الكُميت على جعفر بن محمد عليهما السلام فدعاه إلى الغداء، **فقال:** إني صائم **فقال:** وأي يوم للصوم أحق من يوم قُتل فيه الحسين وقُبض فيه النبي ﷺ

---

(١) الملوان والملوين: الليل والنهار.

(٢) خدنان: مثنى خدن وهو الصاحب والصديق.

وكان المتوكل يتبرّك بيوم الأربعاء لأنه ولي فيه الخلافة وكان يكثر فيه ما يحبه، وقال:

وعندي نعمى الأربعاء جليلةٌ سأشكرُها حتّى أغيبَ في لحْدي
يقالُ ثقيلٌ وهو عندي مباركٌ بنفسي معيبٌ عيبُه زادَه عندي

● **السّماء**

قيل لأكمه: ما تشتهي؟ **فقال**: أن أرى وجه السماء. فقيل: وكيف اخترت ذلك؟ **فقال**: لقول الله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾[2] فهل شيء أحسن مما يخبر الله عزّ وجلّ أنّه زينه. ونظر أعرابي إلى السماء **فقال**: سبحان الذي أدّى حواشيك إلى غير علاقة ووكد أعاليك بلا تسنّم وأقل أسافلك بلا عمد.

وسئل حكيم عن مساحة طول السماء **فقال**: مسيرة يوم للشمس.

● **ماهيةُ الشمس**

اختلفوا في ماهية الشمس **فقال بعض الفلاسفة**: هي فلك أجوف مملوء ناراً له فم يجيش بهذا الوهج. **وقيل**: هي اجتماع أجزاء نارية يرفعها البخار الرطب. ثم اختلفوا في شكلها فقالوا: صفيحة عريضة، **وقيل**: كرة مدحرجة واختلفوا في مقدارها فقيل: مثل الأرض سواء. **وقيل**: هي أعظم منها **وقيل**: هي أصغر منها.

● **نعتُ الشّمسِ**

قال بعضهم في وصفها:

وسائرةٌ لا ينقَضي الدهرَ سيرُها وليسَتْ على حيٍّ من النّاس تنزِلُ
لها صاحِبٌ لم تلقِه الدهرَ مرةً على أثرِها يمْشي يسيرُ ويعملُ

وقال بعضهم:

الشمس معرضةٌ تمورُ كأنها ترسٌ يقلّبه بحي رامحُ

وقال التنوخي:

والأرضُ من صبغ النبات كأنما أعلامُها مثلُ القميص المعلَم
أو مثل جامٍ من عقيقٍ أو كطا سٍ من زُجاجٍ بالمُدامةِ مفعَمِ[3]

---

(١) و (٢) **القرآن الكريم**: الصافات/ ٦، والملك/ ٥، والسجدة/ ١٢.

(٣) **الجام**: الإناء من فضة كالكأس يتّخذ للطعام والشراب.

● **الشمسُ قبلَ الطلوعِ**

قال أبو نواس:

قد اغتدي والشَّمسُ في حِجابها ... مثلَ الكِعاب الرودِ في نِقابها[1]

● **الشمسُ المستترةُ بالغيم**

وقال جندل الطوي:

جاءَ الشتاءُ واجتالَ غيمٌ أغبرُ ... وتطلَّعتْ شمْسٌ عليْها مغفرُ[2]

وقال ابن الرومي:

شمْسٌ تسايرُنا وقد بَعثتْ ... ضوءاً يلاحظُنا بلا لَهَبِ

وقال ابن طباطبا:

متى أبصرْت شمساً تحت غيم ... ترى المرآة في كفّ الحسودِ

يقابِلُها فيلبسُها غشاءً ... بأنفاسٍ تزايدُ في الصّعودِ

وقال المهلبي:

والشمسُ حيْرى خلفَ غيمٍ عارضٍ ... وكأنّنا في ضوءِ ليْلٍ مقْمِرِ

● **الشمسُ اللائحةُ من خللِ الغمامِ**

قال ابن المعتز:

تظلُّ الشمْسُ ترمُقنا بلحْظٍ ... مريضٍ مدنَفٍ من خَلْفِ سِتْرِ

تحاولُ فتْقَ غيمٍ وهو يأبى ... كعنّينٍ يحاول فَتْقَ بكرِ[3]

وقال ذو الرمة في وصْفِ ذلك:

أصابَ خصاصةً فبدا كليلاً ... كلاوِ انعلَّ سائرُه انسِلالا

أي ضعيفاً ليس بشيء.

وقال آخر:

وشمسُ اللهِ مسرَجةُ الغِلافِ

● **الشمسُ الجانحةُ للغروبِ**

قال أبو النجم:

وصارَت الشمْسُ كعينِ الأحولِ

---

(١) **الكعاب:** الفتاة التي نهد ثديها وأشرف ـ **الرود:** التي تمشي على مهل ـ **النقاب:** القناع الذي تجعله المرأة على أنفها فتستر وجهها.

(٢) **المِغْفَر:** زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة.

(٣) **العنّين:** الرجل الذي لا يأتي النساء ولا يريدهن ـ **البكر:** الفتاة العذراء.

وقال آخر:

والشمس كالمرآة في كفّ الأشل[1]

وقال ابن الرومي:

كأنّ حنوّ الشمس ثم غروبها وقد جعلت في مجنح اللّيل تمرضُ
تخاوصُ عينٍ ملءُ أجفانِها الكرَى يرنقُ فيها النومُ ثم تُغمِضُ[2]

وقال حميد:

والشمسُ قد نفضَتْ ورساً على الأفقِ[3]

وقال آخر:

وودّعتِ الدنيا لتَقضي نحْبَها

- **الهلالُ لأوّل الشهر**

قال ابن المعتز في وصفه:

أنظر إليه كزورقٍ من فضّة قد أثقلَتْه حمولةٌ من عَنبرِ

وقال الناجم:

البدرُ قد قابلَنا طالعاً كأنّه حزةُ بَطيخِ

وقال كشاجم فيه:

كشعيرةٍ من فضّةٍ قد رُكّبَت في خِنجَرِ

وقال الرفّاء:

ولاحَ لنا الهلالُ كشطرِ طوقٍ على لبّاتِ زرقاء اللباسِ[4]

وقال آخر:

سنانٌ لواه الطعْن في رأسِ عامِل

وقال ابن طباطبا

كالنون إذا خُطّتْ بماءِ الذهب

- **البدرُ وقتَ طُلوعه**

قيل لأعرابي: الشمس أحسن أم القمر؟ فقال: القمر أحسن والشمس أجهر. قيل: وكيف صار القمر أحسن؟ قال: لأن العيون عليه أجسر. وقال بعضهم: سافروا في هذه الليالي فإن أنس القمر يذهب وحشة السفر. وقال أعرابي: ما فقدت القمر إلا فقدت أخاً أنيساً. وقال الموسوي:

يا مَنْ بِغرّته الهلالُ أما ترى بدرَ الهلالَ وقد بَدا في المَشرقِ

---

(١) الأشلّ: من بيده أو بأحد أعضائه «شلل».
(٢) التخاوص: غض البصر.
(٣) الورس: نبات كالسمسم أصفر.
(٤) لبات: قلادات.

كظريفةٍ نظرَت إلى عشاقها فتنقّبَتْ خجلاً بِكُمٍّ أزرقِ[1]

وخرج أعرابي في ليلة مظلمة فضلّ عن الطريق ثم طلع القمر فاهتدى، فرفع رأسه إلى القمر وقال: ماذا أقول لك إن قلت حسّنك الله فقد فعل، وإن قلت رفعك الله فقد فعل.

وقال آخر يخاطب القمر: والله ما أبقيت لليل إلا اسمه. وزعم بعض العلماء أنّ السواد الذي في القمر هو صورة ما قابله من سواد الأرض لأن القمر كالمرآة يقبل الصورة المقابلة لانصقاله.

● **الهلالُ الماحِقُ**

قال ابن المعتز في آخر شهر رمضان:

يا قمراً قد صارَ مثلَ الهلالِ من بعْدِ ما صيَّرني كالخِلالِ
فالحمْدُ لله الذي لمْ أمتْ حتّى أرانيكَ بهذا المِثالِ

وله في وصفه:

مثل القلامةِ قد قدّت من الظّفرِ[2]

● **الهلالُ في النهارِ**

قال ابن المعتز:

إذا الهلال فارقتْه ليلتُه يبدو لمَن يبصرُه وينعَتُه
كأنّه أسمَرٌ شابَتْ لحيتُهُ

● **القمر مع الشمس**

قال بعضهم:

قد أصبحَ الجوّ مثلَ منتقِدٍ في كفّه درهمٌ ودينارُ

وقال ابن المعتز في وصفهما:

فكأنّه وكأنّها قَد حَانَ منْ خمْرٍ وماء

● **البدرُ المُبتدىء مِن وراء الغيم**

قال بعضُهم:

البدرُ يأخذهُ غيمٌ ويتركُهُ كأنّه سافِرٌ عن خدٍّ ملطوم

---

(١) **تنقبت:** تقنعت.

(٢) **القلامة:** ما سقط من طرف الظفر، وهي مثلٌ في الخِسة والحقارة.

وقال الرقّاء:

والبدرُ يظهر في السَّحاب كأنّه		عذراءُ تنظُر من وراءِ سِجافِ[1]

● **القمر اللامع في الماء**

قال شاعر:

البدر يجنح للغُروبِ كأنّما		قد سلَّ فوقَ الماءِ سيفاً مذهَّبا

قال ابن المعتز:

البدرُ يضحَكُ وسْط دجلةَ وجهُهُ		والماءُ يرقُصُ حولَنا ويصفِّقُ
فكأنّه فيها طِرازٌ مذهَّبٌ		وكأنّها فيهِ رداءٌ أزرقُ

● **القمرُ المجتمعُ مع بَعْضِ النجومِ**

قال ابن المعتز:

وهلالُ شوالَ يلوحُ ضياؤُه		وبناتُ نعْش وقفٌ بإزائِه[2]
كبناتِه من مخلص لما بدا		وجهُ الوزيرِ دعَا بطولِ بقائِهِ

وقال ابن طباطبا:

كأنَّ الثريّا والهلالُ جلتْهما		لي الشمسُ إذا ودَّعتْ كرْهاً نهارَها
كأسماء إذا باتَتْ عشاء وغادرَت		لدينا دلالاً قرطَها وسوارَها

وقال عبد الله بن الخازن:

فأصبحَ بدْراً والثريّا تميمةً		على جِيده خوفَ العيونِ الحواسِدِ

● **الكسوف والخسوف**

قال الرقاشي: حُكي أن الزنج كانت تعبد القمر والهند الشمس فألقى الله عليهما الكسوف والخسوف.

وقيل لما مات إبراهيم بن النبي ﷺ: كسفت الشمس فقال الناس: إن ذلك لموته. فقال النبي ﷺ: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما كذا فافزعوا إلى الدعاء.

بعضهم شبه القمر الذي بدا من الكسوف فقال: كأنه درهم بدر من سكة.

---

(١) السجاف: ما يُركّب على حواشي الثوب.

(٢) بنات نعش: سبعة كواكب في جهة القطب الشمالي وتدعى الكبرى وقريباً منها بنات نعش الصغرى.

● **النجوم**

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[2] وقال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[3] وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾[4] وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[5]

● **معرفة النجوم**

قيل لأعرابي: أتعرف النجوم؟ **قال**: وهل يجهل أحد سقف بيته. وقيل لآخر **فقال**: لا أعرف إلا بنات نعش ولو تفرقن. **وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه**: كفى بالمرء جهلاً إن ركباً وقوفاً على رأسه كل ليلة لا يسميهم، يعني النجوم.

● **المجرّة**

قال شاعر:

كَخَطٍ لجينٍ في الزبرجَدِ ممتّدِ

وقال آخر:

غصنٌ بأحداق النجوم وربقِ

وقال التنوخي:

وكأنما شرك المجرّة بينها ... ماءٌ تسرّى في نباتٍ أخضرِ

وقال ابن طباطبا:

كأنّ التي حولَ المجرة أوردَت ... لتكرعَ في ماءٍ هناك صَبيبِ

● **خُرافاتُ للعربِ في النجوم**

قالت العرب: إن الدبران[6] خطب الثريا وأراد القمر أن يزوجه فأبت عليه وولّت عنه، **وقالت للقمر**: ما أصنع بهذا السبروت[7] الذي لا مال له فجمع الدبران قلاصه[8] يتمول بها، فهو يتبعها حيث توجهت يسوق قلاصه لصداقها.

---

(١) **القرآن الكريم**: الأنعام/ ٩٧.
(٢) **القرآن الكريم**: الرحمن/ ٥.
(٣) **القرآن الكريم**: الأنبياء/ ٣٣.
(٤) **القرآن الكريم**: الواقعة/ ٧٥.
(٥) **القرآن الكريم**: الحجر/ ١٦.
(٦) **الدبران**: منزل القمر وهو يشتمل على خمسة كواكب في برج الثور.
(٧) **السبروت**: الشيء القليل. (والقفر الذي لا نبات فيه).
(٨) **قلاصه**: إبله الطويلة القوائم.

وأن الجدي قتل نعشاً فبناته تدور به، وإن سهيلاً خطب الجوزاء فركضته برجلها فطرحته حيث هو، وضربها هو بالسيف فقطع وسطها. وإن الشعرى اليمانية كانت مع الشعرى الشامية ففارقتها، وعبرت المجرة فسميت الشعرى العبور، فلما رأتها الشاميّة بكت حتى عمصت عيناها فسميت الشعرى العميصاء.

● **وَصْفُ جُمَلٍ من النجوم غيرِ مُسمَّاةَ**

سميت الكواكب شواهد الليل قال النبي ﷺ: لا صلاة بعد العصر حتى يبدو الشاهد. وقيل في قول الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾ إنها زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد. وقيل في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾[1] إنها النجوم السبعة.

وشبه امرؤ القيس النجوم بقوله:

مصابيحُ رهبانٍ تشبّ لقفال[2]

وفي وصفها:

دراهِمٌ قد نثِرَت … على بساطٍ أزرقِ

وقال آخر:

درٌ على أرضٍ من الفيروزَج

وقال ابن طباطبا:

كأنّ اخضرارَ الجوّ صرحٌ ممرّدٌ … وفيه لآلىء لم تُشَنْ بثُقوبِ[3]

وقال التنوخي:

كأنّ نجومَ الليل في ظلماته … ثغورُ بني حامٍ بدَت للثاتِ

وقال البحتري:

كأنّ النجومَ المستسراتِ في الدجا … شكال دلاصٍ أو عيونُ جَرادِ[4]

وقال يحيى بن علي بن المهلب:

ترى الفلكَ الدوارَ زهراً نجومُه … كقبّةِ ياقوتٍ بتِبْرٍ مدثّرا[5]

وقال أبو بشر عبد الواحد بن علي بن أحمد بن سهل:

كأنّ السماءَ روضةٌ قد تفتّقت … أكِمّتُها والبدرُ في الأرضِ درهمُ

---

(١) القرآن الكريم: النازعات/ ٥.
(٢) قِفال: القافلة المنصرفة إلى وطنها.
(٣) لم تشن: لم يداخلها عيب.
(٤) شِكال دلاص: الشكل: الحبل الذي تُقيّد به قوائم الدابة والدلاص البرّاق واللين.
(٥) المُدثر: المشتمل بالثوب والمتلفّف به.

● **تحيُّر النجوم في الجوّ**

قال العبّاس بن الأحنف:

والنجم في كبدِ السماء كأنّه ... أعمَى تحيَّر ما لَديْه قائِدُ

وذكروا أن بشاراً كان يتعجب منه، ويقول لم يرض أن جعله أعمى حتى جعله بغير قائد.

● **الثريّا**

قال ابن الطثرية:

إذا ما الثريّا في السّماء كأنّها ... جمانٌ وهي من سِلكه فتبدّدا

وقال ابن المعتز:

كأن الثريا هودَجٌ فوق ناقةٍ ... يخبّ بها حادٍ إلى الغربِ أبلجُ[1]

وله:

يتلو الثريّا كفاغرٍ شَرِهٍ ... يفتَحُ فاه لأكْلِ عُنقودِ

ونحوه:

كعنقود ملاحيَةٍ حين نوّرا

وفي وصفها:

عنقودُ درّ في كرْمِ فيروزَج

وفيه:

ولاحَت لساريها الثريّا كأنّها ... على جانب الغربيّ قرطٌ مُسَلْسِلُ

وقال آخر:

هيَ كاسٌ في شُروقِ ... وهي قُرطٌ في غُروبِ

وقال الخبّاز البلدي:

ونجم الثريّا في السماءِ كأنّه ... على نِطْعِ كيمخت ببادقِ عاجِ[2]

وقال محمد بن وهيب:

أما ترون الثريا ... كأنها عقد ريا

وقال كشاجم:

كأن الثريا راحةٌ تشبر الدجى ... لتنظر طال الليل أم قد تعرضا[3]

---

(١) **الثريا**: من الكواكب ـ **الأبلج**: الأبيض الحسن الواسع الوجه.

(٢) **النطع**: البساط الجلدي تقطع فوقه الرؤوس ـ **البيادق**: جمع بيدق وهي من حجارة الشطرنج والكيمخت معرّبة عن الفارسيّة.

(٣) **تشبر**: تقيس بالشبر ـ **الراحة**: الكف.

فأعجبُ بليلٍ بين شرق ومغرب ... يقاسُ بشبرٍ كيف يُرجى له انقضا

- **الجوزاء**

قد شبهت بفأرة تسبح وقينة ترقص وفساطيط[1] تركب، قال الراجز:

لابس درع قد تمطى من تعب

وقال آخر:

كراعٍ ساق بين يديه ثوراً ... بليداً قد أشال عصا طرود[2]

وقال ابن الزيات:

كأنّ كواكبَ الجوزاء لمّا ... سمَت وتعرّضَتْ للمنكِبَيْنِ[3]

فتى حربٍ تقلّد قوسَ رامٍ ... وَقَلّدَ خضره بقِلادتَيْنِ

- **الشّعرى**

قال ذو الرّمّة:

إذا أمست الشّعرى العبورُ كأنّها ... مهاةٌ علَت من رمْل يبْرين رابِيا

وقال آخر:

ولاحت الشّعرى وجوزاؤُها ... كمثلِ زُجّ جرّه رامِحُ[4]

وقال آخر:

كأنّما شعرتاه درّتا صدَفِ

وقال آخر:

كأنّما شعراه طرفُ باكيَةِ

- **سُهَيل**

قيل في تشبيهه:

قريعُ هِجانٍ عارض الشول حافِز[5]

وشُبّهَ مع النجوم براع وراء قطيع، وبرقيب، وبطرف أخزر، وبشبوب تأخر عن الصوار وقال آخر:

ولاحَ سهيلٌ من بعيدٍ كأنّه ... شهابٌ ينحيه عن الرّيح قابِسُ[6]

---

(١) فساطيط: جمع فسطاط، وهو بيت من شعر. (٢) أشال: رفع.

(٣) كواكب الجوزاء: أي كواكب برج الجوزاء.

(٤) الزج: الحديدة في أسفل الرمح، أو نصل الرمح.

(٥) القريع: فحل الإبل ـ الهجان: البيض الكرام من الجمال ـ الشول: الخفيف السريع في عمله.

(٦) القابس: طالب النار.

قال الأصمعي: وتقول العرب إذا طلع سهيل طاب الليل ورفع الكيل وللفصيل الويل، أي رفع كيل الحنطة وجاء كيل التمر، وخل لسان الفصيل أي منع من أمه. وقال الأعرابي إذا رأى سهيلاً لطم عين فصيله ويقول: مالك عندي قطرة.

- **المشتري**

قال ابن طباطبا:

كأن اكتتامَ المشتري في سَحابِه ... وديعَةُ سرَّ في ضَميرِ مُذيعِ

وقيل لابن دلين المنجم: ما الدليل على أن المشتري سعد؟ **قال**: حسنه.

- **العَقرب**

قال ابن المعتز:

وصغت العقربُ للمغاربِ ... بذَنَبٍ كصَوْلجانِ اللاعِبِ

- **الجَدي**

قال ابن مسلمة:

الجدي كالفرسِ الحصَان شدَدْتَه ... بالسَّرجِ إلا أنّه لا يَصْهلُ

- **المريخ**

وقال رجاء بن الوليد:

وكأنما المريخُ مقلةُ ناعسٍ ... حمراءُ نُبّه من لذيذ نُعاسِه

- **النسر**

قال ابن المعتز:

والنّسر قد بسَط الجناحَ محوّماً ... حتّى تراه كطالبٍ لم يضطَدِ

وقال ابن هرمة:

وتربّع النسران هذا باسِطٌ ... يهوى لسقطتِه وهذا كاسرُ

والحوت يسبَحُ في السّماء كسبحِهِ ... في الماءِ وهو بكلّ سبحٍ ماهرُ

- **الفرقَدان**

وقال ابن المعتز:

ورنا إليّ الفرقدان كما رنَت ... زرقاء تنظرُ من نقابٍ أسْودِ

وقال الموسوي في تشبيههما:

كأنهما إلفان قال كلاهما ... لشخص أخيه قل فإني سامع

● **بنات نعش**

قال ابن هرمة:

وبـنـاتُ نـعـش يـشـتَـدِذنَ كـأنّـهـا   بـقـراتُ رمْـلِ خـلـفَـهُـنَّ جَـآذرُ[1]

وقال التنوخي:

كـأنّ بـنـي نـعْـشٍ نـسـاءٌ حـواسِـرُ   قـرائـبُ قـد شـيّـعْـنَ نـعـشَ قـريـبِ

وقال ابن طباطبا في وصف ليلة مقمرة:

ولـيـلـةٍ مـثـلِ يـوم شـمْـسِـهـا قـمَـرٌ   بـدَتْ بـدوّ الـضُّـحـى طـلاّء قـمـراء

يـا حـسـنـهـا لـيـلـة عـاد الـنـهـارُ بـهـا   أنـسـاً وطـيـبـاً وإشـراقـاً ولألاء

وقال ابن المعتز:

بـيـضـاء قـمـراء أتـاهـا صـبـحـهـا   وثـيـابُـهـا مـن ظـلـمـة لـم تُـدنـس

وقال آخر:

كـأنـمـا فـضـة ذابـت عـلـى الـبـلـد

● **ظلمة الليل**

قال بعض الأعراب: خرجت في ليلة حندس[2] قد ألقت على الأرض أكارعها[3] فمحت صور الأبدان فما كنا نتعارف إلا بالآذان. **وقال آخر:** سريت ليلة حين انحدرت أيدي النجوم وشالت أرجلها، فما زلت أصدع[4] الليل حتى تصدع لي الفجر.

وسأل هشام بن عبد الملك خالد بن صفوان **فقال:** كيف سيرك؟ **فقال:** قتل أرضاً عالمها وقتلت أرض جاهلها بينا أنا أسير ذات ليلة إذ عصفت ريح شديدة اشتدت ظلماؤها وأطبق سناؤها وطبّق سحابها، ونطق ذبابُها، فبقيت محرنجماً كالأشقر إنْ تقدم نحر وإن تأخر عقر، لا أسمع لواطىء همساً ولا لنائح جرساً، تدلت عليّ غيومها وتوارت عنّي نجومها، فلا أهتدي بنجم طالع ولا بعلَم لامع، أقطع محجَة وأهبط لجَة في ديمومة قفر بعيدة القعر، فالريح تخطفُني والشول تخبّطني، في ريح عاصِف وبرق خاطِف، قد أوحشني أكامُها وقطعني سلامُها. فبينا أنا كذلك وقد ضاقت عليّ معارجي وسدّت مخارجي، إذا بدا نجمٌ لائح وبياض واضح وعرضت لي أكام محرملة[5]، فإذا أنا بمصانعكم هذه فقرّت العين وانكشف الرين وذهب الاين. **فقال هشام:** لله درك فما أحسن وصفك. **قال شاعر:**

هـو لـيـلٌ كـشـبـاب   لـم يـطـر فـيـه مـشـيـبُ

---

(١) جآذر: جمع جؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية.

(٢) الحندس: الليل شديد الظلمة.   (٣) أكارعها: قوائم الدابة.

(٤) أصدع الليل: انشق.   (٥) أكام محرملة: مزروعة ومصفوفة بالنبات والأزهار.

وقال آخر:

وجفنُ الليل مكتَحِلٌ بقارِ

ويقال: ليل في ثوب غراب.

وقال أبو الشيص:

وليلٍ يغرق الركبا ... نُ في أمواجِه الحُضْر(١)

وقال التنوخي:

كان اسوداد الأفق بالليل ثاكل ... تسربل للإحداد ثوباً مسوّدا

كأنّ لنا منها بيوتاً حصينة ... مسوجاً أعاليها وساجا كسورها(٢)

وقال ابن المعتز:

يا رب ليل ضاع مني كوكبه ... مشتبه مشرقه ومغربه

قد اكتسى برد الشباب غيهبه ... وقبض اللحظ فما يسيبه

● **الفجر**

قال الطائي: سمعت أعرابياً يقول: خرجنا حين انتفض صبغ الليل. وقال آخر: حين بارق الصباح يعترض وصبغ الليل ينتفض حين أشعل ناره وأنار آثاره. **وقال آخر**: خرجنا حين انحدرت النجوم وشالت أرجلها، فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر. **وقيل**: تعرى رجاء عن فلقه ومثله افتر الصبح عن ثغره وحل معقود أزره. **وقال ابن المعتز**:

وقد رفعَ الفجْرُ الظلامَ كأنّه ... ظليمٌ على بيض ترفع جانبُه(٣)

قال أبو نواس:

لما تبدّى الليلُ من حجابِه ... كطلعةِ الأشمطِ من جِلبابه(٤)

وقال ذو الرمة:

وقد لاحَ للسّاري الذي كلّه السّرى ... على أخريَاتِ الليل فَتْقٌ مشهَرُ(٥)

كلونِ الحصان الأنبط البطْنِ قائماً ... تمايلَ عنه الجلّ واللونُ أشقَرُ(٦)

وقال ابن المعتز:

أما ترَى الصبْحَ تحت ليلَتِه ... كمَوقِدٍ بان ينفُخ الفحْما

وله وأحسن:

قد أغتَدى والليلُ في إهابه ... كالحبشيّ فرّ من أصحابِه

---

(١) **الحضر**: الاسم من أحضر الفرس إذا عدا عدواً شديداً.

(٢) **الساج**: الطيلسان الواسع المدوّر. (٣) **الظليم**: ذكر النعام.

(٤) **الأشمط**: الذي خالط بياض رأسه سوادٌ. (٥) **كلّه السرى**: أتعبه السير في الليل.

(٦) **الانبط**: ما تحت إبطه وبطنه بياض ـ **والجل**: ما يوضع على الدابة لتصان به.

والصّبحُ قد كشرَّ عن أنيابِه   كأنّما يضحَك من ذهابِه

- **الفجرُ الطالع مع بعض النجوم**

قال ابن المعتز:

وكأنّ الصبحَ لما   لاحَ من تحت الثريّا
ملكٌ أقبلَ في التا   ج يفدّى ويُحيّا

وله:

والصبحُ يتلو المشتري فكأنّه   عريانُ يمشي في الدُّجا بِسراجِ

- **قوسُ قزح**

قيل: سمي بذلك لتقزّحه أي تلونه. **يقال:** قزحت القدر أي بزرتها وجعلت فيها توابل. **وقيل:** إن قزح إسم شيطان وزعمت العرب أن الظاهر أيام الربيع هو قوسه، ولذلك **قال النبي ﷺ لا تقولوا قوس قزح وقولوا قوس الله، قال شاعر:**

ولاحَ قوسُ اللّهِ من تلقائِها   في أفقِ الشمس بزوق من نظر[1]
قد ظللت بحمرةٍ وخضرةٍ   وصفرةٍ كأنها بُردٌ حَبِر[2]

وقال آخر:

كأنّه قوسُ رامٍ والبروقُ له   رشقُ السهام وعينُ الشمسِ برجاسُ[3]

وقال ابن المعتز:

لقد نسجَتْ أيدي الجنوبِ مطارِفاً   على الأفق دُكْنا والحَواشي على الأرض
كأذيالِ خود أقبلَت في غلائلٍ   مصبّغة والبَعض أقصَر من بعض[4]

(٢)

وممّا جاء في الحر والبرد والرياح والسحاب والأمطار والمياه وما يتعلّق بذلك

•

- **وَصْفُ الهواءِ بالحر وقِلّة تحرّك الريح**

لقد حرّ الهواءُ فقيلَ هذا   هوى لَفَظتْه في الجوّ القلوبُ

---

(١) **قوس الله:** يريد قوس قزح.

(٢) **البُرد:** الثوب المخطط يلتحف به ـ **الحَبِر:** الموشى والمطرز.

(٣) **برجاس:** (فارسي) من النجوم، وهو المشتري.

(٤) **الخود:** الفتاة الشابه الناعمة ـ **الغلائل:** البطائن تلبس تحت الدروع أو تحت الثياب.

كأن الأفق جاحم كمبرقين فما لم يحترق منه يذوب

وسئل بعضهم: كيف كان الهواء البارحة؟ **قال**: مات ولم يكن له نفس. **وقال**: سدت الرياح فانسدت طرق الأرواح.

قال مضرس:

ويومٌ كأن الشعريَيْن بكفه يدا طابخٍ حثّ الوقود فألهَبا

وقال آخر:

تراهُ كأنّ الشمْسَ فيه مقيمةٌ على البيدِ لم تعرِفْ سوى البيدِ مذْهبا

وقال:

وليل من الشعرى يذوبُ لعابُه أفاعيه من رمْضائه تتَملْمِلُ[1]

وقال:

وليل كتنّورِ الإماءِ سجرْنَهُ والقينَ فيه الجِزْل حتى تضرّما[2]

وقال نهشل بن جرى:

ويوم كأن المصطلين بحَرِّهِ وإن لمْ يكن جمرٌ قعودٌ على الجَمْرِ[3]

ويقال: اصطلى فلان بوديقة[4] فشمله رقب جمر ومسه أو ثاجر[5]

- **وفي وصف السموم**

قال شاعر:

سمومٌ يكادُ الجلْد منها إذا بدا لها الجِلْدُ من تحت الثيابِ يذوبُ

وقال الصاحب:

نحن واللّهِ من هوائكِ يا جر جان في خطّة وخطْبٍ شديدِ
حرّها ينضَحُ الجُلودَ فإن هبّـ ت شِمالٌ تكدّرَتْ بركودِ
كحبيبٍ مهاجِرٍ كلّما هـ مّ بوصْلٍ أحالَه بصُدودِ

- **الهاجرة**[6]

قال شاعر:

وهاجرةٍ يشْوي هواءُ سمومِها طبختُ بها عيرانَةً فاشتَوَيْتُها

---

(١) **الرمضاء**: شدة الحر.

(٢) **سجرته**: أشعلته وأذكت ناره ـ **الجزل**: غليظ الحطب ـ **تضرم**: استعرت ناره.

(٣) **المصطلي**: المستدفىء بالنار. (٤) **الوديقة**: شدّة الحر ـ **الرقب**: الجزء العلوي من العود.

(٥) **الثاجر**: من الشجر وهو الورق الغليظ العريض. (٦) **الهاجرة**: شدّة الحرّ في وسط النهار.

وقال شمردل:

وهـاجـرةٍ صـادقٍ حـرُّهـا — تـكـادُ الـثـيـابُ بـهـا تـلْـهَـبُ
كـأنّ الـحـرابـي مـن حـرّهـا — تـروحُ بـالـنّـار أو تـصْـلـبُ[1]

وقال آخر:

والـشـمْـسُ حـيرا لـهـا بـالـجـوّ تـدويـمُ

وقال آخر:

إذا الـشـمْـسُ فـي الأيـام طـالَ ركـودُهـا

وقال آخر:

إذا الشمسُ مجتْ ريقَها بالكلاكِلِ[2]

● **صفَةُ الحر**

وهـاجـرةٍ بـيـضـاءَ يـعـدي بـيـاضُـهـا — سـواداً كـأنّ الـوجْـه مـنـه مُـحَـمّـمُ

وقال آخر:

وانـتـعـل الـظـلّ فـصـارَ جـوْربـاً

وقال الأعشى:

حـتّـى إذا انـتـعَـل الـمـطـيّ ظـلالـهـا

وله:

كـالـظِـلّ حـيـنَ أحـرزَتْـه الـسّـاقُ

● **تحرك الرياح**

قيل: خرج أعرابيان في غداة باردة، **فقال أحدهما:** أرى الشمال تنفس الصعداء، **وقال الآخر:** أراها تشعبّت على الجو. **وقال بعضهم:** جاءت الريح كأنها نسيم معشوق بعد هجير كأنه نفس مهجور.

● **ريحٌ شديدة**

قال المتلمّس:

ومستنسجٍ يستكشِفُ الريحُ ثوبَه — ليسقطَ عنه وهو بالثوبِ مُعصَمُ

وقال الفرزدق:

وركـب كـأن الـريـحَ تَـطْـلـب عـنـدَهـم — لـهـا تـرَة مـن جـذْبـهـا بـالـعَـصـائـبِ[3]

وقال المهلب:

وريـح يـضـلّ الـروح عـن مـسـتـقـرّه — وتـسـتـلـب الـركْـبـان فـوق الـركـائـبِ
فـلـو أنـهـا ريـحُ الـفـرزدق لـم يـكُـن — لـهـا تِـرةٌ مـن جـذْبـهـا بـالـعَـصـائـب

---

(١) **الحرابي:** جمع حرباء وهي من الزواحف تتلوّن في الشمس بألوان مختلفة.
(٢) **الكلاكل:** جمع كلكل وهو الصدر، وريق الشمس الذي مجّته هو العرق المتصبب بفعل الهاجرة.
(٣) **الترة:** الثأر ـ **العصائب:** ما يُعصب به من منديل أو نحوه.

نصبتُ لها وجْهي وأنصبَتْ صاحبي | إلى أن حللنا في محلّ الحبائبِ[1]

وقال ابن أحمر:

عـشـواء تـلـتـهِـمُ الـجـبـالَ وأجـ | ـوازَ الـفَـلاة وبـطـنُـهـا صـفـر[2]

وقال آخر:

ريـحٌ لـجـوجٌ سـهـوةُ الـمـجـاري | ابن أبي ربيعة في الشّمال والجنوبِ[3]

ضـرائـرُ أوطـنّ الـعـراص كـأنّـمـا | أجلْن على ما غادر الحيّ منْجلا[4]

وقال حميد:

جـرت بـه هـوجُ الـريـاحِ ذبـولَـهـا | جـرّ الـنـسـاءِ فـواضـلَ الأذيـالِ[5]

وقال ذو الرُمة:

ثـلاث مـربّـاتٍ إذا هِـجْـنَ هـيْـجَـةً | قذَفْن الحَصَى قذْفَ الأكفّ الرواجِمِ[6]

وقيل: الرياح أربع: ريح تقسم السحاب، وريح تثيره فتجعله كسفاً، وريح تؤلف بينه فتجعله ركاماً، والشمال تفرقها وهي باردة، ولذلك **قال:**

وأتـت عـلـى الأدنـى شـمـالٌ مـريّـةٌ | شـآمـيـة تـزوى الـوجـوه بـلـيـلُ[7]

وأتتْ على الأقصى صَباً غير قرّة | تـذاءب مـنـهـا مـزرعٌ ومـسـيـلُ[8]

- **الريحُ المستطابة والمتمنّاة**

أنشد المجنون:

أيـا جَـبـلـي نـعْـمـان بـالله خـلّـيـا | نسيمَ الصَّبا تخلص إلى نسيمُها

أجد بـردهـا أو تـشـف مـنّـي حـرارةً | عـلـى كـبـدٍ لـم يـبـق إلا رسـومُـهـا

فـإن الـصّـبـا ريـحٌ إذا مـا تـنـفـسـت | على كبد حرّى تجلّت همومُها[9]

وقال يزيد بن الطثرية:

إذا مـا الـريـحُ نـحـو الأثـل هـبّـت | وجـدت الـريـحَ طـيـبـةً جـنـوبـا[10]

---

(١) **محل الحبائب:** لعلّه موضع ولكن لم نجده في المعاجم وربّما هو تحريف حباحب وهو بلد.

(٢) **صفر:** مرض في البطن يصفرّ منه الوجه، وهنا بمعنى الصفير.

(٣) **الريح اللجوج:** الشديدة الهوجاء.

(٤) **العراص والعرّاص:** السحاب ذو البرق والرعد.

(٥) **فواضل الأذيال:** الأذيال الطويلة. (٦) **ثلاث مربّات:** أي ثلاث من الرياح الدائمة الهبوب.

(٧) **تزوي الوجوه:** تجعل الوجوه تميل وتنحني. (٨) **تذاءبته الريح:** أتته من كلّ جانب.

(٩) **الصّبا:** الريح الناعمة مهبها من الشرق ـ **تجلّت همومها:** انفرجت.

(١٠) **الأثل:** شجر صلب الخشب جيّده يكثر قرب المياه في الأراضي الرملية.

وقال آخر:

ألا يا صَبا نجدٍ متى هِجتَ من نَجْدِ ... فقد زادَني مسْراك وجْداً على وجدِ

وقالت أم المثلم:

أتينا بريح المسْك خالطَ عنبراً ... وريح الخزامى باكَرَتها جنوبُها

وقال الموسوي:

وهبّت لأصحابي شمالٌ لطيفةٌ ... قريبةُ عهدٍ بالحبيب بليلُ
ترانا إذا أنفاسنا مُزجَت به ... نرنّحُ في أكوارِنا ونَميلُ

● كيفية البرد الشديد

قيل لأعرابي: ما أشد البرد؟ **قال**: إذا أصبحت الأرض ندية والسماء نقية والريح شآمية. وقيل لآخر. **فقال**: إذا دمعت العينان وقطر المنخران ولجلج اللسان. وقيل لآخر **فقال**: إذا نديت الدقعاء[١] وصفت الخضراء وهبت الجربياء. **وقيل لآخر**: أي اليوم أبرد؟ **فقال**: الأحص الورد والأزب الهلوف. فالأحص الورد يوم تصفو شماله ويحمر أنفه، والأزب الهلوف يوم تهبّ فيه نكباء فتسوق الجهام[٢] وسأل الرشيد بعض أصحابه عن شدّة البرد **فقال**: ريح جربياء[٣] في ظل عماء في غب سماء.

● وصفُ البرد

كان أعرابي يرتعد في يومٍ شاتٍ. **فقيل له**: تحوّل إلى الشمس. **فقال**: الشمس تحتاج اليوم إلى قطيفة. وقيل لرجل: ما أثقل جبتك. **فقال**: البرد أثقل منها.

قال وهب الهمداني:

يومٌ من الزمهرير مقرورُ ... عليه ثوبُ الصَّبا مزرورُ
كأنما حشو جوّه آبن ... وأرضنا فرشُها قواريرُ[٤]
وشمسُه حرّة مخدّرة ... ليس لها من ضيائها نورُ

قال الشمسياطي في وصف شتاء:

ألقى كلاكله ببردٍ قارص ... حتّى غدا من في جهنم يحْسَدُ

أخذه من أعرابي، **قال**:

فإن كنت ربّي مُدخلي في جهنم ... ففي مثل هذا اليوم طابَت جهَنّمُ

---

(١) **الدقعاء**: الأرض لا نبات فيها. (٢) **الجهام**: السحاب لا ماء فيه.

(٣) **الجربياء**: ريح الشمال.

(٤) **آبن**: ملبد بالغيوم السوداء ـ **قوارير**: جمع قارورة، وهي إناء مستطيل يجعل فيه الشراب والطيب ونحوهما.

وجد أعرابي البرد فقيل له: هذا لكون الشمس في العقرب، **فقال**: لعن الله العقرب فإنها مؤذية في الأرض كانت أم في السماء.

قال شاعر:

قد منع السماء من المسّ   وأمكن الجوّ من الحسّ

وقال أبو محمد المطراني:

وشتاء يخنق الكلب فلا يعلو هريرُه
كلّما رام هريراً زمّ فاهُ زمهريرُه[1]

هو من قول الراعي:

لا ينبح الكلبُ فيها غيرَ واحدة   حتى يلفّ على خرطومه الذنبا

قال الرشيد: ما أبلغ بيت في شدة البرد فأنشد هذا البيت بعضهم، فقال أبلغ منه:

وليلة قرّ يصطلي القوس ربُّها   وأسهمَه اللاتي بها يتنبّلُ

فقال: حسبك ما بعد هذا شيء، **وقال ابن سمعون**: البرد بالريّ رافضي، يقول بالرجعة، أي متى ذهب رجع. **وقيل لأعرابي**: أما تجد البرد؟ **قال**: لا لأن العري اتصل على بدني فاعتاده كاعتياد وجوهكم. **وقيل لآخر**: ما أصبرك على البرد. **قال**: كيف لا يصبر عليه من طعامه الريح وسراجه الشمس وسقفه السماء؟

● حمدُ البردِ في الشتاء

قال عروة بن الزبير: خير شتائكم ما اشتد برده، وخير صيفكم ما اشتد حرّه. وكانوا يستعيذون من الشتاء البارد.

وقال الأصمعي: ما وقع طاعون قط في بلد إلا في شتاء سخن أو تعقبه مضرّة البرد. **وقال سعيد بن عبد العزيز**: البرد عدو للدين. وفي الخبر أن الملائكة لتفرح بذهاب الشتاء لما يدخل في فقراء أمتي. وكان ﷺ يتعوّذ من كلب الشتاء.

● من شكا الفقر والقر

صودف أعرابي يتكفّف ويقول:

جاء الشتاء ومسنا قرّ   وأصابنا في عيشنا ضُرُّ
ضرٌّ وفقرٌ نحن بينهما   هذا لعمر أبيكم الشرُّ

وقيل لشيخ: كيف أنت؟ **قال**: خَلَق في خَلَق.

---

(١) هرير الكلب: صوته دون نباح.

قال أبو الحسن الطوسي:

هجم البردُ والشتاء فما أمـ ـلك إلا روايةِ العربيّة

ويقلّ الغناء عنّي فنون الـ ـعلمِ إن عصفَت شمال عريّة

وقيل لأعرابي: ما أعددت للبرد؟ **قال**: شدة الرعدة وتقرفص القعدة وذرب المعدة.

وقيل: رماه الله بالحرّة تحت القرّة، أي العطش مع البرد.

● جملةٌ من أوصافِ السّحابِ من نشئه وقطارِهِ

قال ملحد الجرمي:

أرقتُ وطال الليلُ للبارق الرمضِ حثيث سرى مجتاب أرْض إلى أرضِ(١)

نساري من الإدلاج كدري مزنه نقضي بجذب الأرضِ ما لم نكن نقضي

تحنُّ بأغوار الفلاةِ قطارهُ كما حنّ نيبٌ بعضهن إلى بعضِ(٢)

كأن شماريخَ العلى من صَبيره شماريخ من لبنانَ بالطّول والعرضِ(٣)

يُباري الرياحَ الحضرميّات مزنُه بمنهمِر الأوداق ذي قزع رفضِ(٤)

يغادرُ مخض الماءِ وهو محضُه على إثرهِ إن كان للماء من محضِ

يروي العروق الهامداتِ من البلا منَ العرفَج النجديّ ذو باد والحِمْض

وبات الحيّ الجون ينقض بالحيا كنهضِ المداني قيد بالموعثِ النقضِ(٥)

وقال الحسين بن دعبل:

أما ترى الغيثَ قد سالت مدامعُهُ كأنه عاشِقٌ يسطو به الذكرُ

جاءت موقرةَ الأطرافِ خاشعةً تكاد تُؤخذُ بالأيدي فتقتصرُ

راخت رياحُ الصَّبا ينظمن عارضَها حتى إذا نظمْنَه ظلَّ ينتشرُ

أضحَتْ له الأرضُ سكرى والثرى طربٌ والأفق مبتسِم والجدب مستترُ

● السحاب المتدلية

قال عبيد الأبرص:

دانٍ مسفٍ فويقَ الأرض هيدبُه يكادُ يدفعُه من قامَ بالراحِ(٦)

---

(١) **حثيث سرى**: سيره بالليل متواصل ـ **مجتاب**: من اجتاب البلاد: قطعها واجتازها.

(٢) **النيب**: النوق الهرمة المسنة.

(٣) **الشماريخ**: رؤوس الجبال ـ **الصبير**: شدّة البرد.

(٤) **الأوداق**: أودقت السماء: أمطرت ـ **ذو قزع**: ذو قطع من السحاب متفرّقة.

(٥) **الجون**: الأسود، والأسود الذي تخالطه حمرة ـ **الموعث**: الناقص الحسب.

(٦) **المسف**: المار على وجه الأرض ـ **الهيدب**: السحاب المتدلي الذي يقرب من الأرض./

وقال آخر:

ويسحَبُ ذيلَيه على عفر الترب

وقال آخر:

كأنه نعامُ تعلق بالأرجلِ

● **السحابةُ البطيئة**

جاءت تهادَى مشرفاً ذُراها تحنُّ أُولاها على أُخْراها

وقال الأخطل:

إذا زعزعَتْه الريح جرّت ذيولَها كما زحفَت عود ثمال تحمل[1]

وقال الحطيئة:

تزجي الصَّبا منقل السَّحابِ كمَا تزجي المطالي فصالَها سيْقا[2]

وقال آخر

سحابٌ يزحف زحفَ الكبير

وكان معقر قد كفّ بصره **فقال**: يا بنية ما ترين؟ **قالت**: سحابة عقاقه كأنها حولاء، ناقة ذات هيدب دان وسير وانٍ، **فقال**: يا بنية وائلي[3] إلى قفلة[4]، فإنها لا تنبت إلا بمنجاة من السيل.

● **السحاب المتحلبة المطر**

قال الحسين بن مطير:

كثرَت لكثرةِ وذقه أطْباؤه فإذا تحلّبَ فاضَت الأطْباءُ[5]

وضروعُه عدَدَ النجوم وطلّه إخلافه عدَدَ النجوم رواءُ[6]

ووصف أعرابي سحاباً **فقال**: لقحته الجنوب ومرته الصَّبا واستدرته الشمال **وقالت أعرابية**: نحبته الصبا ومرته الجنوب وانتجفته الشمال انتجافاً[7]

وقيل: أجود بيت في صفة السحاب **قول الهذلي**:

تلحقه ريحُ الجنوب وتقبل الشما ل نِتاجاً والصَّبا حالبٌ يمْري

وقالت أعرابية: أحب السحابة الخرساء لأنها تخرس حتى تمتلىء ماء وتصب طبقاً[8] طبقاً يكون حبا.

---

(١) **الثمال**: الغياث، الذي يقوم بأمر قومه.

(٢) **تزجي**: تدفع ـ **المطالي**: من ماطل وهو من كرام فحول الإبل ـ **الفصال**: جمع فصيل وهو ولد الناقة.

(٣) **وائلي**: اطلبي النجاة، واتخذيه ملجأ. (٤) **القفلة**: الشجرة اليابسة.

(٥) **الودق**: المطر ـ **الأطباء**: جمع طبي وهي حلمات الضرع من ذوات الخفّ والظلف والحافر والسّباع.

(٦) **طلّه**: نداه ـ **الرواء**: من الماء العذب. (٧) **انتجفته ريح الشمال**: إستخرجته.

(٨) **طبقاً**: أي مطر طبق وهو المطر العام.

- **بكاء السحاب**

قال عبيد الله بن طاهر:

وجادَ بالقَطْر حتّى خلتُ أنّ له إلفاً نآه فما ينفَكُ يبكيه

قال الطحاوي من شطر:

فما ترقا لهنّ مدامع[1]

وقال ابن ميّادة:

إذا ما هبَطن الأرضَ قد ماتَ عودُه بكَين به حتّى يعيشَ هشيمُ

- **ضحكةُ البرق وبكاؤه بالوذق**

قال الحسين بن مطر:

متضاحِكٌ بلوامِعٍ مستعبرٍ بمدامعٍ لم تمرِها الأقذاءُ

فله بلا حزن ولا بمسرّة ضحِكٌ إذا أبصرتَه وبُكاءُ

- **ضحكُ الأرضِ من بُكاءِ السَماءِ**

قال الأبيض:

وللسماءِ بكاء لَيْس عن حزنٍ وللرياض ابتسامٌ ليس من عجَبِ

وقال آخر:

والأرضُ تبسمُ عن بكاءِ سماءِ

وقال آخر وقد زاد:

فتضاحكَتْ زهراتُها بمسرّتها وبكَتْ سحائبُها بلا أحزانِ

- **الراعدة البارقة معاً**

قال شاعر:

كأنّما الرعد بها ثاكلَةٌ نادبةٌ تخلطُ نوحاً بشَجى

فاقدَةٌ واحدَها تذكَرَت ما قدْ مضَى من عيشِها ومن مضَى

والبرقُ في حافاتِها يفعَلُ ما يفعلُه وجدُ الحزينِ في الحَشا

وقال الرياشي في قول يزيد بن المفزع:

الريحُ تبكي شجوَها والبرقُ يلمَع في غمامِه

أي: الريح تبكي والبرق يضحك. **كقولهم ويل الشجيّ من الخليّ.**

---

(١) **ترقأ المدامع:** تجفّ.

قال التنوخي:

ببرقٍ كأشجاني وقطرٍ كأدمُعي ... ورعدٍ كعولي للنوى ونحيبي

وقال وهب الهمداني:

الرعدُ في اصطكاكهِ خطيبُ ... والبرقُ في خلالِه لهيبُ

وقال آخر:

يحنّ كثكلى في نشيج بكائه ... ويضحَكُ فيه كالوليدِ تبسُّما

وقال بعض البلغاء في سحاب: زَجَرت الرعود أردافَه وأضحكت البروق أعطافه وجلبت الجنوب أخلافه.

● **وصفُ البرق**

برق كنبض العِرق وخفْق القلب وبطنِ شُجاع يضطرب.

ولمع المرائي في أكفّ الكواعِب.

وكسلاسل تبرٍ.

قال شاعر:

غابٌ تسنمه ضرامُ توَقدٍ ... وكأسيافٍ تُسلُّ وتُغمَدُ

● **سطورٌ كتبْن بماء الذهب**

قال عدي بن الرقاع:

وحتى حسبت البرقَ نارَين شبّتا ... بعلياء نجد ماينني موقداهما

وله:

نارٌ تعاود فيه العودَ جِدّتُه ... والنارُ تسفعُ عيداناً فتحترقُ

وقال آخر:

كثغر زنجيّة تفتَرّ ضاحِكةً ... تبدو مشافرُها طوراً وتنطَبقُ

وقال جرير:

يقولُ الناظرون إلى سَناه ... بذي بلقاء شمسٌ على نَهار

وقال آخر:

كأن بلقَ الخيل فيها تضرجُ

وقال آخر:

أبلق جالَ جلّه حينَ وثَب

وصف أعرابي سحاباً، فقال:

لما تراءَى نشوُه ... وتبدّى بدوُه

أضطـرمـت نـارُه والـتـطـمـت بـخـاره

وقال آخر:

آض لـنـا مـاءً وكـان نـارا[1]

● **الرعد**

قال الله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾[2] وسمع عبد الملك صوت الرعد ففزع. فقال عمر بن عبد العزيز: هذا حس رضا الله فكيف ترى حس غضبه.

وقال آخر:

بـأجـوازِه أسـدٌ لـهـن بَـرابِـرُ[3]

وقال آخر:

قـد سـبَّـح الـرعْـدُ بـه وكـبَّـرا

وقال أبو الغمر:

كـأنّ الـرعـودَ بـأرجـائِـه هـديـرُ مـقـاليـتٍ في بـطـن وادِ[4]

وقال التنوخي:

يـحدو بـهـا الـرعـدُ فـإن كـلّت زجَـر كـأنـهـا والـمـزن دانٍ مـكـفَـهِـرّ

خُـوفٌ بـالـبـرقِ فـوافـى يـعـتـذرُ أو قـارىء أمّ بـقـوم فَـجَـهَـرْ

مـتـعـتِـعـاً مـن أنـفٍ ومـن حـصَـر

وقيل في صوته كأنه عزيف الشيطان وحنينُ الثكلان، وكأنّه صوتُ الرحى. قال الشريف أبو الحسين علي بن الحسين الحسني:

فـمـن رواعِـده حـنّـت صـواهِـلُـه ومـن بـوارقـه انـسـلّـت قـواضِـبُـه[5]

● **السحابةُ المُخضِبَةُ المُمْرِعَةُ**

قال امرؤ القيس:

ديـمـةٌ هـطْـلاء فـيـهـا وطـف طـبّـقَ الأرض تـحـرى وتـدُرّ[6]

قال الخالدي: طبق الأرض بديع لم يلحقه فيه متقدم ولا متأخر، ومن تعاطى أخذه فضحته نفسه.

---

(1) آض: تحوّل، صار.

(2) القرآن الكريم: الرعد/ ١٤.

(3) برابر: أصوات هائجة.

(4) المقاليت: جمع مقلتة وهي المهلكة.

(5) الصواهل: أصوات الذباب في العشب ـ القواضب: السيوف القاطعة.

(6) الديمة: المطر الدائم الهطول ـ الوطف: استرخاء السحب الممطرة ودنوها من الأرض ـ تحرى: تقصد ـ تدر: تسكب الماء.

قال أبو تمام:

سـاريَـةٌ مـسـمـجـةُ الـقـيـادِ كـم حـملَـت لـمـقـتّـر مـنْ زادِ[1]

ومـن دواسـنـة جـمـاد

وقال آخر

مـقـبـلـة والـخـصـب فـي إقـبـالِـهـا

قيل لامرأة: كيف المطر عندكم؟ **قالت:** غثنا ما شئنا. **وقال يونس لابن أبي الدفين:** كيف كانت سماؤكم؟ **قال:** ما تركت لنا هابطاً إلا أناقته ولا وادياً إلا فهقته ولا فارغاً إلا ملأته.

قال الحسين بن مطير:

لـو أن مـن لـجـجِ الـسـواحـل مـاءَه لـم يـبـقَ فـي لُـجَـجِ الـسـواحـل مـاءُ

وخرج صعصعة بن صوحان إلى معاوية فيمن خرج إليه من وفد العراق بعد قتل علي كرم الله وجهه، فلقيه أعرابي، فأراد أن يختبر صعصعة في المنطق **فقال:** كيف تركت السماء خلفك؟ **قال:** تركته مدّ البصر وفوق مرتفعاً بغير عمد فيها الواحد الصمد. **قال:** فكيف تركت الأرض؟ **قال:** عريضة أريضة حامله للثقل منبتة للبقل، أهلها منها على شغل. **قال:** فكيف تركت المطر؟ **قال:** أسال الأدوية وعلا الأخبية وافعم الحفر ووبل القطر. **قال:** بالله أنت أنسيّ أم جني؟ قال بل أنسي سوى من شيعة علي من أمة بني مهدي.

وقال أعرابي: باكرنا وسميٌّ خلفه ولي فالأرض بساطٌ أُحكم نسجُه وبدا وشيه.

قال سيابة بن عاصم: أصابتني سحابة بحوران فوقع قطر صغار وقطر كبار وكان الصغار لحمة للكبار.

● **غيمٌ ممّسك**

قال شاعر:

دخـانُ حـريـق لا يـضـيء لـه جـمـر

وقال آخر:

وكـأنـمـا كـسِـيَـت جـنـاحَ غـراب

وقال آخر:

كـسـيـت بـأجـنـحَـة الـفـواخـت[2]

قال ابن المعتز:

لـقـد لـبـسَ الـدّجْـنُ ثـوبَ الـسـمـا ءِ والأرض مِـطـرفـه الأدكـنـا[3]

---

(١) **السارية:** السحابة التي تمطر ليلاً ـ **لامقتر:** الذي يضيّق النفقة على عياله.

(٢) **الفواخت:** جمع فاختة نوع من الحمام البريّ المطوّق سميت هكذا لأن لونها يشبه الفخت وهو ظلّ القمر.

(٣) **الدّجن:** الغيم المطبق ـ **الأدكن:** الشديد السواد.

وقال الرفّاء:

غـيـوب تـمـسِـكُ أفـقَ الـسـمـا ... وبـرقٌ يـكـتـبُـهـا بـالـذّهـب[1]

- **سحابٌ متدلٍ**

قال عبيد بن الأبرص:

دانٍ مسِفٌّ فُوَيْقَ الأرض هيدبُهُ ... يكادُ يدفعُهُ مَنْ قامَ بالرّاحِ[2]

فمن بنجوتِه كمَن بمحفِلِه ... والمستكِنُ كمنْ يمْشي بقِرواحِ[3]

- **غيم متفرع على السماء**

قال الوأواء الدمشقي:

أما ترى الغيْم ممتَدّاً سرادقُه ... على السّماء بتدريج وتعريج

كأن ذاكَ وذا قطنٌ يفرّقه ... تواترُ الندفِ في زرْقِ الدواويج[4]

من قول ابن الرومي وقد نظر إلى غيم منقطع عن السماء، **فقال:** كأنه قطن يندف على بطانة زرقاء.

- **يومٌ متلونٌ بالصحو والغيم**

قال ابن طباطبا:

صحوٌ وغيْمٌ وضياءٌ وظلم ... مثل سرورٍ شابَه عارضُ غمّ

وقال آخر:

ألم ترَ هذا اليومَ أفنى نهارَه ... سحابٌ وإصحاءٌ وشمسٌ ووابلُ

أشبهَه إيّاك يا من صفاتُه ... صدودٌ وإعراضٌ ومنْعٌ ونائِلُ

وقال آخر:

أما ترى اليومَ ما أحلى شمائلَه ... صحوٌ وغيْمٌ وإبراقٌ وإرعادُ

كأنه أنتَ يا مَنْ لا نظيرَ له ... وعْدٌ وخلْفٌ وتقريبٌ وإبعادُ

وقال بعضهم: مطر الربيع كغضب العشّاق، أي لا يدوم. **قيل:** خلق الربيع كخلق الصبيان والملوك وتلونهم بالصحو والغيم.

---

(١) **الغيوب:** كل ما غاب عنك وما يسمع من وراء الغيب.

(٢) يصف السحاب ويقول هو دان قريب من الأرض أو مسف، وهيدبه أي ما تدلى منه لقربه يكاد يمسك براحة اليد.

(٣) **النجوة:** المكان البعيد ـ **بمحفله:** بمعظمه ـ **المستكن:** المستتر ـ **القرواح:** الأرض المستوية.

(٤) **الدواويج:** ضرب من الثياب واللفظة غير عربيّة (**انظر لسان العرب، مادة دوج**).

● **الجَهام**[1]

قال شاعر في جهام أراق ماءه:

كأن الغيومَ خيولُ طرادٍ　　　أعنتها في أكف الرياح

وقال السري الرفاء:

كحلاء حالية بكت　　　حتى انثنت مزهاء عاطل[2]

● **مَطَرٌ مضرٌ**

كلّ أمطر في القرآن فهو في العذاب. نحو: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾[3] وكل موضع فيه مطر فهو للرحمة. **قال أبو علي البصير:**

جرى الماءُ فيه من أسافِله　　　ومن أعاليه حتى ساخ منطلقا

كأنني وعِيالي في جوانِبه　　　طيور ماء على سكر قد التبقا

وقال:

من تكنْ هذه السماء عليْه　　　رحمةً أو يكُنّ بها مسروراً

أيها الغيث كنتَ بؤساً وفقْراً　　　لي وللناس حنطةً وشعيرًا

وقال فيه النبي ﷺ: اللهم حوالينا ولا علينا وكتب كاتب: فأتانا مطر مما سماه الله تعالى أذى، فحرب العمران وهدم البنيان فكم من قتيل تحت هدمه، وساهر تحت وكفه، وغريق في لجته، وصريع في هوته. **وقال أعرابي**: أصابنا مسافر يؤذي المسافر ولا يرضي الحاضر.

● **الثلجُ**

كأن دقيقَ الثلج عند وقوعِهِ　　　على الأرض قطرٌ أو دقيقٌ يُغربَلُ

وقال رجل: السماء تنخل الدقيق، فسمعه عبادة فقال: قل لأمك تمسك الخمير

قال شاعر

وكرسفٌ يندفُ في الهواء　　　منتشرٌ لم يُعد في استواء[4]

مثل نقي الفضة البيضاء

وقال كشاجم في وصفه:

شابَت فسرت بذاك وابتهجَت　　　وكان شيبي بالشيب مستكرَها

ويشبه الثلج بالحبيب، وبلجين يسبك، وبآل يلمع ودراهم تنتثر وبقرطاس ينشر:

كأنّ ستائرَ الكافورِ مدّت　　　بها والجوّ عريانٌ سليبُ

---

(١) **الجهام**: السحاب القاتم لا ماء فيه.

(٢) **كحلاء**: سحابة سوداء كعين كحلاء ـ **المرهاء**: البيضاء والمرهاء مؤنث الأمره، وأرض مرهاء قليلة الشجر

(٣) **القرآن الكريم**: الشعراء/ ١٧٣.　　　(٤) **الكرسف**: القطن.

- **البَرد**

قال الأخطل:

نثَرت على الحصباء كالحَصباء بل ألقَت على الرضراضِ كالرضراضِ[1]

وقال علي بن جبلة:

كأنّ قوالبَه بالعرا ء تلقى على الجلمَد الجلمَدا

وقال آخر:

جاءت تهادى في برودٍ من حِبَر تنثرُ داراً كان لو ذابَ مطَر

تطيرُ في الجوّ كنوّار الزهَر أو شررَ لو كانَ للماء شرر

- **الصّقيع**

قال الفرزدق:

وأصبح مبيضَ الصقيع كأنه على سروات النبْت قطنٌ مُندَفُ[2]

وجاء بصراد كأنَّ صقيعَه خلالَ البيوت في المنازِل كرسفُ[3]

- **اللثق**[4]

قال شاعر:

لقد صارَ وجهُ الأرض كلاء مزلة تمايل صاحبُها تمايل شارِب

وقال الصاحب: وقد ركب في وحل عظيم فترشش باللثق ثوبه:

لقد ركبت وكف الأرض كاتبة على ثيابي سطوراً ليس تنكتُم

فالأرضُ محبرّة والزاجُ من لثق والطرسُ ثوبي ونهى الأشهبِ القلمُ

- **إنقطاعُ المطر**

قيل لأعرابي: كيف خلفت ما وراءك؟ **فقال:** التراب يابس والأرض عابس.

وقال شاعر:

إن وجه البقاع ينتظِر القطـ ـرَ انتظارَ المحبّ رجعَ الرسولِ

وقال العباس بن المأمون:

متى تريكَ رياضُ الأرض أوجهَها إنْ لم يكُنْ لكَ لا طَلّ ولا مَطَرُ

- **ماهيةُ الماءِ وَوَصْفُهُ**

قال الحجاج لغلامه: ائتني بأعز مفقود وأذلّ موجود. فلم يفهم ما عناه، **فقال له ابن**

---

(١) **الرضراض:** الحصى الدقاق في مجاري الماء.

(٢) **السروات:** من النبات العاليات الرؤوس.

(٣) **الصُراد:** الغيم الرقيق الذي لا ماء فيه.

(٤) **اللثق:** الندى.

القرية: ائته بالماء.

وقال ابن يزيد لشراعة: ما تقول في الماء؟ **قال**: هو الحياة ويشركني فيه الحمار؛ **وقيل**: ليس للماء قيمة لأنه لا يباع إذا وجد ولا يبتاع إذا فقد، وسمي الماء نفساً في قوله:

أتجعلُ النفسَ التي تديرُ ... في مسك شاةٍ ثم لا تسيرُ

ووصفه آخر فقال: هو مزاج الروح وصفاء النفس وقوى البدن، ومن فضيلته أن كل شراب وإن رقّ وصفا وعذب وحلا فليس يعوّض منه بل يطيب بممازجته ويعذب بمخالطته.

قيل للنظام: ما لون الماء؟ **قال**: لون إنائه وإذا بعد قعره تصوّر أسود. **وقيل**: الماء من جنس الهواء وكل واحد منهما يستحيل إلى الآخر لما بينهما من المناسبة ولا لون لهما.

وقيل: بعث ملك الروم إلى معاوية بقارورة **فقال**: اجعل فيها من كل طعام وشراب شيئاً فلم يدرِ، فقال ابن عباس: اجعل فيها الماء، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[(١)]، فلما أتى به ملك الروم، **قال**: هذا فعل رجل من بيت النبوة. وقال الله تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾[(٢)] فلم يذكره بأكثر مما في خليقته من السلامة من التغير الداخل عليه. وقال تعالى: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾[(٣)]، وهذا ملح أجاج.

قال شاعر:

مواقعُ الماءِ من ذي غلّةٍ صادي[(٤)]

وقال بعض البلغاء في وصفه: وما ظنكم بشراب إذا ملح وخبث أنبت العنبر وولد القار، والماء لا يغذو ولا يرى من اغتذى به، واستدلوا على ذلك بأن كل سيّال إذا طبخ انعقد إلا الماء. وعلى قياسه **قالوا**: لا ينعقد في الجوف إذا طبخته الكبد، وإذا لم ينعقد لم ينبت منه لحم ولا عظم.

● جريانُ ماءِ الأوديةِ

قال ابن طباطبا:

يا حسنَ وادينا ومدّ الماء ... يختال في حليةٍ دكناء[(٥)]

فصبحه يفترّ عن مساه ... في صخر عالٍ وفي ضوضاءِ

يحكي رغاءَ الناقة الكوماء ... ترى به مناطحَ الظّباءِ[(٦)]

جماء قد شدت إلى قرناء[(٧)]

---

(١) القرآن الكريم: الأنبياء/ ٣٠.

(٢) القرآن الكريم: محمد/ ١٥.

(٣) القرآن الكريم: الفرقان/ ٥٣.

(٤) الصادي: العطشان.

(٥) دكناء: تميل إلى السواد.

(٦) الناقة الكوماء: العظيمة والطويلة السنام.

(٧) جماء: ملساء الرأس ـ قرناء: ذات قرون.

وقال البحتري:

كأن مدادَ دجلةَ حينَ جاءت ... بأجمعِها هلالٌ أو سوارُ

وقال الولادي الأصبهاني:

كأنما زرنرود السؤر منعطفاً ... نؤي حوالى خباء مدّه سيلُ[1]

وقال الشريف:

أما ترى زر نرود طالعه ... غيمٌ فأدى مثالَه فيهِ
بينَ بياضٍ ودكنةٍ وتكاسـ ... ـير من الموْجِ في حواشيهِ
كأنه الرملُ من زرود إذا ... الحيّات يزحفْن في نواحيهِ
حسبته ماءً على تكدّره ... أخلصَ وذي له وصافيهِ
ليسَ عجيباً منك التلوّنُ لي ... فهكذا كلّ من أؤاخيهِ

وقال ابن مندويه:

كان اتباعُ الموجِ موجاً أمامه ... حثيثاً تهادَى فيلقٌ إثرَ فيلَقِ
فليسَ بناجٍ ذا ولا ذا بمدركٍ ... ولا ذاك مع هذا مدى الدهر يلتقي

وقال آخر:

كأنما يفقُده من يشهَدُه

وقال المتنبي:

جيشا وغى هازمٌ ومنهزمُ[2]

وكتب عمرو بن العاص إلى عمر رضي الله عنه: البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير كأنهم دود على عود.

● السَيل الذاهِبُ بما يمرّ له

قال امرؤ القيس:

فأضحَى يسُحُّ الماءَ في كلّ بقيةٍ ... يكبُّ على الأذقانِ دوْحَ الكنهبُلِ[3]
كأنّ السباعَ فيه غرقى عشيّةً ... بأرجائه القُصْوى أنابيشُ عُنصلِ[4]

قال ابن مندويه:

كأنّ خريرَ الماءِ عند التطامِه ... زفيرُ سَعيرٍ في إناءٍ مُخَرَّقِ[5]

---

(١) النرود: جمع نرد وهو النردشير لعبة فارسيّة ـ السؤر: ما يبقى في الإناء من ماء ـ النؤي: الحوض.
(٢) قوله: جيشاً وغى... الخ يصف حركة المدّ والجزر.
(٣) يكب على الأذكان: يرمي أرضاً، ودوح الكنهبل: شجر عظام.
(٤) العنصل: زهر ذو بصل ـ الانابيش: ما ظهر منه متفرقاً على وجه الأرض.
(٥) السعير: النار، جهنم.

وقال أشجع:

وكأن صوتَ الماءِ في حافاتِه ... زجلُ القيانِ تطارحُ الأصواتا

وقال آخر:

جداولُ صخبُ الأمواجِ خُراد

وقال المتنبي:

وأمواهٍ يصِلّ بها حَصَاها ... صليلَ الحلي في أيدِي الغَواني[1]

وقال السري الكندي:

ما بيْنَ ألحانِ الحما ... مِ وبينَ ألحانِ الجداولِ

● **الماءُ الصافي**

قال العجّاج:

فشَنَّ في الإبريق منه نزفا ... من رصفٍ نازع سيلاً رَصْفا[2]

وقال البحتري:

كأنما الفضّةُ البيضاءُ سائلةً ... من السبائكِ تَجْري في مجاريها

وقال الطرماح:

كمتَنِ اليماني سُلَّ وهو صَقِيلُ

وقيل: لجين الماء على زمرد الحصباء وجدول مسجور كمهرق منشور ومنصل مشهور.

قال شاعر:

ماء كدرعٍ مفرغ من فضّة

وقال مسلم:

وماء كعين الشمس لا يقبل القَذَى

قيل: ماء كالصباح ومتن الصفاح.

وقال شاعر:

هو الجوّ من رقةٍ غيرَ أن ... مكانَ الطيورِ يطيرُ السمك

وأنشد ابن الأعرابي:

ومسيب خصر ثوى في ضلّة ... وإذا تحرّكه الرياحُ يزيفُ[3]

حلّت به بعْد الهدوّ نطاقها ... بالجودِ دهماءُ النتاجِ رجوفُ[4]

وقال الأصمعي: أحسن ما قيل في الماء قول امرىء القيس:

فلما استطابوا صُبَّ في الصحن نصفُهُ ... وجادوا بماءٍ غير طَرْقٍ ولا كَدِرْ[5]

---

(١) **الغواني:** جمع الغانية، وهي المرأة الجميلة. (٢) **شن الماء:** سال قطرة قطرة.

(٣) **المسيب:** الماء الجاري في كل اتجاه ـ **ثوى:** ثبت ومات ـ **يزيف:** يتبختر في مشيه.

(٤) **الدهماء:** الحديقة الخضراء تميل إلى السواد من خصبها ـ **رجوف:** تتحرك وتضطرب بشدة.

(٥) **الصحن:** قدح الخمر الكبير ـ **غير طرقٍ:** الصافي الذي لا كدر فيه.

بماءِ سحاب زلّ عن ظهرِ صخرةٍ ... إلى بطنِ أخرى طيب ماؤها خصِرُ[١]

وقال ابن المعتز:

على جدولٍ ريّان لا يكتمُ القذى ... كأنّ سواقيها متونُ المباردِ

وقال:

وقيعةٍ تصفو كعينِ الغرابِ ... وجدولٍ كالسّيف منصلتا

أراد بوقيعة المنهل.

● الماء المتغيّر الكَدِر

قال أبو بكر:

ولقد وردتُ الماءَ لونُ جمامه ... لونُ الفريقة صفيت للمدنفِ[٢]

فصدرتُ عنه ظامئاً فتركتُه ... يهتزّ غلفقه كأنْ لم يُكشفِ[٣]

قيل: الفريقة حلبة للنفساء.

وقال الأعشى:

وأصفر كالحنّاء طام جمامُه ... إذا ذاقه مستعذب الماء يبصُقُ

وقال بعضهم في صفة ماء: هو إذا رمقه زيت وإذا ذقته ميت، يزوي الوجه شاربه ويتركه وإن جذبه الظمأ طالبه.

قال عبد الطيب:

ومنهل أجِنٍ في جمّه بعر ... فما تسوقُ إليه الريحُ محلولُ

كأنّه في دلاءِ القومِ إذ نهلوا ... حمٌ على ودك في القِدر محلولُ[٤]

● البئرُ الصافية الماء

قال الرفاء:

إنّي هديت لنعمة منكورة ... فأثرتها من تربةٍ وصفاةِ

بئرٌ كأن رشاءَهَا في مائها ... سمراء قد ركضَت إلى مرآةِ[٥]

كافورةُ الصيفِ التي يحيى بها ... منّا النفوسُ وحمّة الشهواتِ

طوقتها حجراً ولو أنصفتها ... طوقتها بفرائد اللبّاتِ

قال ابن المعتز:

حفرتُها بيضاءَ منقورةً ... في دمثٍ سهْل وطيء الترابِ

---

(١) خصر: صفة للماء البارد.

(٢) الفريقة: طعام يطبخ للمرأة النفساء ـ المدنف: المريض مرضاً شديداً.

(٣) الغلفق: الطحلب وهو الخضرة على سطح الماء.

(٤) الودك: الدسم في اللحم والشحم. (٥) الرشاء: حبل الدلو.

تضمنُ ريّ الجيش للمستقي كأنّ دلوَيها جناحا غرابِ

● **الدولاب**

قال القصّار البغدادي:

كأنّما رنّةُ الدولاب زامرةٌ وليس ناياتُها إلا سوانِيها[1]
كأنه حبشيّ فوق عاتقِه أولاده فهو في بحرٍ يُدانِيها

وقال الرفّاء:

ومشمّر في السير إلا أنه يسري فيمنعه السّرى أن يقعُدا
وصل الحنين بعبرةٍ مسفوحةٍ حتى حسبناه مشوقاً مُكْمَدا[2]

وقال:

فباتَ يسري ليلَه ولم ينَم ولم يجاوز سيرُه قيدَ قدِم

وقال علي بن الجهم:

وفوّارة ثارها في السماء فليسَت تقصُر عن ثارِها
تردّ على المزْنِ ما أسبلت على الأرضِ من فيْض مدرارِها[3]

وقال ابن أبي طاهر:

فوّارةٌ تمجّ منها ماءً كما أذبت الفضّة البيضاء[4]
أمطرَت الأرض بها السّماء

قال ابن الصاحب: استظرف إجازة العجلى مع سوء معرفته بالشعر لعلي بن الجهم في صفة الفوارة، قوله:

تراها إذا صعدت في السّماء تعودُ علينا بأخبارها

● **البِرْكة**

قال علي بن الجهم:

أنشأتها بركةً مباركةً فبارَك الله في عواقِبِها
كأنّها والرياضُ محدقةٌ بها عروسٌ تُجلى لخاطِبها
من أي أقطارها أتيتَ رأيتَ الحسْن حيرانَ في جوانِبها[5]

● **المزملة**[6]

قال الرّفاء:

مجروحةُ الخضرِ غير داميةٍ كمَا تكون الجراحُ والندبُ

---

(١) **سوانيها:** جمع سانية وهي السانية أو الناعورة.
(٢) **المكمد:** الشديد الحزن.
(٣) **أسبلت:** أرخت.
(٤) شبه ماء الفوّارة بالفضّة الذائبة.
(٥) **أقطار البركة:** جوانبها.
(٦) **المزَمّلة:** الجرّة أو الخابية.

كـأنّـمـا الـمـاء حـيـنَ يـبـعـثُـهـا	ذوبُ لـجـيـنٍ مـيـزابـه ذهَـبُ[١]

● السّفينة

قال أبو الشيص:

وبحر تحارُ العينُ فيه قطعتُه	بمهنوءة من غير عرّ ولا جرَبِ[٢]
عريضةِ صدْرِ الزورِ بهماء رسلةٍ	سباد خليعِ الرأس مزمومةِ الذنبِ[٣]
مجفرةِ الجبين جوفاءِ جونه	نبيلة مجرى العرض في ظهرها حدب
مقتلةٍ لا تشتكي الأينَ والوجا	ولا تشتكي عضّ النسوعِ ولا الدأبِ[٤]

وقال بعضهم في وصفها: عذراء ملجمة الدبر تشمّر بفرسانها في البحر وتمتنع من المشي في البر.

وقال الفرزدق:

وواحلة قد عودوني ركوبَها	وما كنت ركّاباً لها حينَ ترحلُ
قوائمها أيدي الرجال إذا انتحَتْ	وتحمِلُ من فيها قُعوداً وتحمِلُ

وقال البحتري:

ورمت سمت العراق أيانقٌ	سخم الخدود لغامُهنّ الطحْلَبُ[٥]
من كلّ طائرة بخمس خوافقٍ	دعج كما ذُعرَ الظليمُ الأحدبُ[٦]

● الزورق

قال أبو نواس:

سخر الله للأمينِ مطايا	لم تسخّر لصاحِب المحراب
أسداً باسطاً ذراعَيه يسطو	أهرت الشدقِ كالحَ الأنيابِ[٧]
لا يعَانيه باللجامِ ولا السوْ	طِ ولا غمزِ رجلِه في الرّكاب
ذات زورٍ ومنسرٍ وجناحـ	ـينِ تشقّ العَبابَ بغدّ العبابِ[٨]

---

(١) ميزابه: الميزاب قناة من معدن أو غيره يسيل بها الماء من السطح.

(٢) مهنوءة: شبّه السفينة بالناقة المهنوءة لأنها مطليّة بالقار ولكنها ليست جرباء ـ العر: الجَرَب.

(٣) الزور: ملتقى أطراف عظم الصدر ـ بهماء: لا تعرف وجهتها ـ رسلة: سهلة السير ـ سباد: من سبد الشعر حلقه.

(٤) الوجا: أي هي لا تعاني من ذبح أو نحوه ـ النسوع: حبل طويل تشد به الرحال.

(٥) سمت: جمع سموت، وهي الطريق والمحجة ـ أيانق: شبه المراكب بالنوق ـ اللغام: زبد أفواه الجمال ولغام هذه المراكب هو الطحلب.

(٦) خوافق دعج: أجنحة واسعة.

(٧) أهرت الشدق: الواسع الشدق ـ كالح الانياب: استعارة لأن الزورق على صورة الأسد.

(٨) الزور: الصدر ـ المنسر (هنا): رأس الزور والجناحان المجدافان.

تسبق الطيرَ في المساء إذا ما اسـ ... ـتعجلوها بجيئةٍ وذهابِ

- **الزبزب**[1]

قال ابن الواسطي:

كأنما السفن بأرجائها ... وهيَ على الماجريّاتِ
عقاربُ في رفع أذيالها ... تسري على أبطُن حيّاتِ

وقال آخر:

زبازب تحكي إذا سيّرت ... عقاربَ تجْري على زئبقِ

وقال آخر:

يا حبّذا سكرٌ به جدلني ... وعَودي في زبزبٍ كالأجدلِ[2]
تحسبها العقرب في صورتها ... سارت على بطن شجاع مرسل

- **ورود الماء**

قال شاعر:

ولا يردون الماء إلا عشية ... إذا صدر الورّاد عن كلّ منهلِ

وقال النمري في مشاركة الماء:

ولا أسقى ولا يُسقى شريبي ... وأمنَعُه إذا ما جاءَ مائي

وقال آخر:

لا أوردُ الماء عِرْضي قبْلَ شاربَتي ... ولا أحنّ إذا ما حنّت النيب[3]

وقال آخر:

لنا إبلٌ لم نسقِها بعروضها ... وأحسابنا أخرى الليالي الغوابرِ[4]
إلا إن شربَ السؤرِ يزري بأهلِه ... وإن قيلَ نامَ في الدارِ والخواصرِ[5]

- **سقيُ الأرضِ وحكْمُ الطريق**

روي أن الزبير ورجلاً من الأنصار اختصما إلى رسول الله ﷺ في شرب ماء كان من نهر يمرّ بهم، وكانت أرض الزبير فوق أرض الأنصاري، **فقال النبي ﷺ**: يا زبير إسق أرضك، فإذا أرويتها فأرسل فضل الماء إلى أخيك. فقال الأنصاري: يا رسول الله لا يمنعك كونه ابن عمتك أن تقضي بيننا بالحق **فقال النبي ﷺ**: يا زبير إسق أرضك فإذا

---

(١) **الزبزب**: ضرب من السفن.

(٢) **الأجدل**: الصقر، شبّه الزبزب بالنسر أو الصقر.

(٣) **النيب**: الإبل المسنّة.   (٤) **الغوابر**: الماضية.

(٥) **السؤر**: ما بقي في الإناء من الماء، جمع أسآر.

أرويتها فاحبس الماء حتى يبلغ الماء الجدر[1] ثم أرسل الماء إلى أخيك. **قال الزبير**: وهذا كان صريح الحكم.

وإنما كان النبي ﷺ أمر الزبير بالمعروف ومواساة أخيه فلما زاده القول قضى بينهما بصريح الحكم، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[2]

- **الضياع**

قال أبو منصور العدوي:

قدْ كانتِ الضيْعةُ فيما مضَى ... تغلُّ منْ يملكُها دائبَه

فصارَ منْ يملكُها يومَنا ... تغلّ منْ مهجتهِ الذاهبَه

ستغرقُ الغلّةَ في خرجِها ... وتفضُلُ الكلْفَةُ والنائبَه

(٣)

وممّا جاء في الربيع والخريف والأزاهير والأشجار والنبات

●

- **أصلُ النيروز[3] والمهرجان**

سأل المأمون أصحابه عن أصل النيروز والمهرجان[4] وصب الماء، فلم يخبره أحد **فقال**: الأصل في النيروز أن أبرويز عمر أقاليم إيران شهر، وهي أرض بابل، فاستوت له أسبابه واستقام ملكه يوم النيروز فصار سنة للعجم وكان ملكه ألفاً وخمسين سنة ثم أتى بعده بيور أسف وملك ألف سنة فقصدا فريدون وأسره بأرض المغرب وسجنه بأرض بجبل دياوند يوم النصف من ماء نهر فسمي ذلك اليوم مهرجاناً وصار سنة لهم تعظيمه فالنيروز أقدم من المهرجان بألفين وخمسين سنة.

وقيل: النيروز هو يوم ولد كيومرث بن هبة الله بن آدم، لأن الجدران اخضرت لمولده، وأثمرت الأشجار لغير إبانها **وقيل**: هو اليوم الذي أحرق الله تعالى فيه الظلمة بالنور، وخلق السموات والأرض، وكون الدنيا، وأمر الفلك بالدوران وأما صب الماء فهو قوم أصابتهم قحمة من الأزل، فقحطوا زماناً وانقطعت عنهم الأمطار وتموّتت مواشيهم ثم مطروا واستبشروا لطول عهدهم به فكان من رش من ذلك المزن سرّه وأعجبه، فجعلته العجم سنة إلى آخر الدهر.

---

(١) **الجدر**: جمع جدار، الحائط. (٢) **القرآن الكريم**: النساء/ ٦٤.

(٣) **النيروز**: هو عند الفرس أوّل يوم من أيام السنة الشمسيّة، وهو يوم فرح بوجه عام.

(٤) **المهرجان**: من أعياد الفرس واللفظة مركبة من مهر وجان ومعنى مهر المحبة ومعنى جان الروح فالمهرجان محبة الروح.

وقيل: فيهم نزل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ وقيل: هو اليوم الذي تكلم فيه زو بن طهماسف وقيل عيسى عليه السلام: وكان مات أبوه عن قحط شملهم وشمل الأقاليم فتكلم زو في المهد، وسأل الله تعالى أن يسقيهم، فسقاهم الله تبارك وتعالى وأما السذق فقيل: إن آدم لما زوّج بناته من بنيه وتموا مائة كانت هذه الليلة، فأوقدوا ناراً سروراً بذلك فجعلتها العجم عيداً. ومعنى السذق مائة.

وسئل بعضهم عن الخريف والربيع فقال: الخريف للفم، والربيع للعين، وذلك أنّ الربيع لا تكون فيه فكهة. وسئل عنه بعضهم فقال: الربيع لأهل الوبر[١] والخريف لأهل المدر[٢]

● **مدح الخريف**

قال الباذاني:

ولا زلتَ في عيشةٍ كالخريفِ … فإنّ الخريفَ جميعاً سِحْر

قال ابن المعتز:

إشربْ على طيبِ الزمان فقَد حدا … بالصّيفِ من أيلول أسرعُ حادِ[٣]

وقال آخر:

وأشمنا بالليلِ بردَ خريفه[٤]

● **طِيبُ الربيعِ وحُسْنُهُ**

قال النبي ﷺ: ثلاثة يحيين القلب: النظر إلى الماء وإلى الخضرة وإلى الوجه الحسن.

وقال الشاعر:

أربعةٌ تحيا بهَا … روحٌ ونفسٌ وبدنْ
الماءُ والخضرةُ والنَّدْ … مان والوجه الحسَنْ

وقال أبقراط[٥]: من لم يبتهج لرؤية الربيع، ولا يتروع بنسيم أسحاره فهو عديم حس أو سقيم نفس.

وكتب عمر بن الخطاب إلى أمير الأجناد: مروا الناس أن يخرجوا إلى الصحارى أيام الربيع فينظروا إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها.

---

(١) **أهل الوبر:** أهل البدو.

(٢) **أهل المدر:** أي أهل المدن والقرى، أو الحضر، في مقابل البدر.

(٣) **حدا:** ساق ـ **الحادي:** سائق الإبل. (٤) **أشمنا:** جعلنا نشمّ.

(٥) **أبقراط، أو بقراط أو هيبوقراط** هو أحد أكبر أطباء الإغريق عاش في القرن الخامس قبل الميلاد. وهو من مواليد، جزيرة كوس.

قال أبو تمّام:

إن الـــربـــيـــع آثـــرُ الأزمـــان

وقال بعضهم: الربيع بهجة الدنيا ومجمع المنى **وقال ابن المعتز:**

أنـظـرْ إلـى دنـيـا ربـيـعٍ أقـبـلَـت ... مـثـلَ الـمـهـاةِ تـبـرّجَـت لـزُنـاةِ[1]

وقال آخر:

فـالـراحُ قـد بـاحَـتْ بـأسـرارِ الـنّـدى ... فـتـنـفـسَ الـريـحـانُ فـي الـجـنّـاتِ[2]

وقال ابن محارب القمي:

تـأمّـلْ فـي ربـيـعِ الأرض وانـظُـرْ ... إلـى آثـار مـا صـنَـع الـمـلـيـكُ[3]

عـيـونٌ مـن لـجـيـنٍ شـاخـصـاتٌ ... كـأن حـداقَـهـا ذهـبٌ سـبـيـكُ[4]

عـلـى قُـضُـبِ الـزبـرجَـد شـاهـداتٌ ... بـأنّ الله لـيـس لـه شَـريـكُ[5]

- **تفضيلُ الربيعِ على سائرِ الأزمنةِ ومفاضلةُ الصيفِ والشتاءِ**

قال الصنوبريّ:

إن كـانَ فـي الـصـيـفِ ريـحـانٌ وفـاكـهـةٌ ... فـالأرضُ مـسـتـوقـد والـجـوّ تـنـوّرُ

وإن يكنْ في الخريفِ النخْلِ مخترفاً ... فـالأرضُ عـريـانـةٌ والـجـوّ مـقـرورُ[6]

وإن يـكـنْ فـي الـشـتـاء الـغـيـثُ مـتّـصـلاً ... فـالأرضُ مـحـصـورةٌ والـجـوُّ مـأسـورُ

مـا الـدهـرُ إلا الـربـيـعُ الـمـسـتـنـيرُ إذا ... أتـى الـربـيـعُ أتـاك الـنـورُ والـنُّـورُ[7]

الأرضُ يـاقـوتـةٌ والـجـوُّ لـؤلـؤةٌ ... والـنـبـتُ فـيـروزجٌ والـمـاءُ بَـلـوّرُ[8]

وقال النبي ﷺ: الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه.

- **الحثُّ على اللهو أيام الربيع وعلى التمتع بها**

قال أمير المؤمنين كرّم الله وجهه: إذا دخلت البساتين فأطل تأملها، فإن فيها جلاءً للبصر وارتياحاً للهم والفكرة وتكرمة للطبائع وتسكيناً للصداع.

قال ابن سكرة الرازي:

لا تـمـتـي فـي الـمُـدام ظـالـمَـتـي ... لا سـيّـمـا والـربـيـعُ قـد هـجَـمـا

---

(١) شبه قدوم الربيع بالمهاة المتبرّجة وإلى مثل هذا المعنى أشار ابن الرومي، وهو يصف الطبيعة عند قدوم الربيع بقوله:

تـبـرّجَـتْ بـعـد حـيـاءٍ وخـفَـر ... تـبـرّجَ الأنـثـى تـصـدّت لـلـذكـر

(٢) الراح: الخمر. (٣) المليك: الله، خالق الوجود.

(٤) اللجين: الفضّة.

(٥) الزبرجد: حجر كريم كالزمرد، ومنه الزبرجد الأخضر، واللفظة فارسيّة.

(٦) المقرور: المقشعر من البرد. (٧) النور: الزهر.

(٨) الفيروزج: حجر كريم كالفيروز واللفظة فارسيّة.

لا تطمعي في إفاقتي وقِفي ... حتى يولّي الربيعُ منهزِما[1]

وقال آخر:

يا حبّذا النيروزُ من زائرٍ ... جاءَ على أحسنِ أوقاتِه

فباكر القصْفَ على وجهه ... وَوَفِّ زنَ حق زياراته[2]

قال القاضي علي بن عبد العزيز:

قد صفَا الجوُّ واستحالَ نسيما ... وتندّى الهواءُ وهو يميعُ

بشّرتنا أوائلُ الزهرِ بالور ... دِ فكلِّف صِبَاكَ ما تستطيعُ

وقيل لماسرجس: لِمَ كان أبصار أهل الرساتيق أصح وطعامهم ثقيل؟ **فقال:** ما أعرف لذلك علة إلاّ كثرة وقوع أبصارهم على الخضرة.

● **رياضٌ مونِقة**

قال أعرابي: أصابتْنا ديمةٌ على عهاد قديمة، فالناب يشبع قبل الفطيمة.

قال ابن المعتز:

وروضةٌ عذراء غيرُ عَانسَةٍ ... خضراء ما فيها خَلاةٌ يابِسَةْ[3]

فيها شموس للنهار وأرسه

والبيت الثاني من **قول أكل المرار:**

في حيثُ خالطَت الخزاعي عرفَجا ... يأتيكَ قابسُ أهله لم يُقْبَس[4]

ووصف بعضهم الأرض فقال: غدت في بردة خضراء وغدت في زي عذراء، **قال ابن طباطبا:**

يا لَها جنّةٌ بدَتْ كعروسٍ ... لم يكنْ حسنُ حليها مسْتَعارا

● **طيب رائحة الرياض**

قال ابن المعتز

كان غيابَ المسْكِ بينَ بقاعِها ... تفتّحها أيدي الرياحِ اللطائفِ

قال الأخطل:

الآنف والطرفُ منه يسْرحان معاً ... في ميسمِ أرجٍ أو منظَر قَشَبِ[5]

---

(١) **إفاقتي: الإفاقة:** التنبيه من النوم. (٢) **القصف:** اللهو.

(٣) **العانسة:** التي لم تتزوّج ـ **الخلاة:** واحدة الخلى وهو العشب.

(٤) **العرفج:** جمع عرافج، نبات سهليّ.

(٥) **الأرج:** الرائحة ـ **القشب (هنا):** القشيب أي الجديد والقشب أيضاً الخَلَق (من الأضداد).

قال البازني:

وإذا تنفسّت الرياحُ حسبتَها ... مسكاً تنفس عن جيوبِ غواني[1]

قال ابن الرومي:

من نسيم كأنّ مسراه في الأر ... واحِ مسرى الأرواحِ في الأجسادِ

قال ابن المعتز:

يا ربّ ليل سحر كلّه ... متضح البدز عليلُ النسيمِ

تلتقطُ الأنفاسُ برد النّدى ... فيه فتهديه لحرّ السمومِ

● **ألوان الرياض المختلفة**

قال التنوخي:

ربع الربيعُ فحاكت كفُّه ... حللاً بها عقدُ الهموم تحلّلَ[2]

فمذبح ومحبرّ وموشّح ... ومفضضٌ ومدثّر ومهلّلُ[3]

فتختالُ ذا ثغراً وذا عيناً وذا ... خدًا يعضد تارة ويقبّلُ

قال بارع:

وروضة دبّج الوسميّ حلّتها ... وذبرتها يدُ الأنواء والحقبِ[4]

● **شكر الأرض للمطر**

قال ابن الرومي:

أصبحَتِ الدّنيا تروقُ من نظَر ... وأهالها مصطنعاً لمنْ شكَر

أثنَت على الأرضِ بالآء المطر[5]

ابن المعتز:

ما ترى نعمَة السماءِ على الأر ... ضِ وشكرَ الرياضِ للأمطار

● **النبات المائل بالرياح**

قال دعبل:

ضحوكٌ إذا لاعبته الرياحُ ... تأوّد كالشاربِ المُرجَحن[6]

قال ابن نوقة:

رياحينُها تهتزُّ كالبيض أزمعَتْ ... وداعاً فمالَت للعتاقِ قدودُها

---

(١) **الجيوب**: جمع جيب وهو القميص ـ **الغواني**: جمع غانية وهي المرأة التي غنيت بالحسن عن الزّينة.

(٢) و (٣) **يقول**: إنّ كف الربيع الخفيّة تنسج حللاً أي أثواباً جديدة بين مديح ومجد وموشح.

(٤) **الوسمي**: مطر الربيع ـ **الأنواء**: الأمطار.

(٥) **الآلاء**: النعم. (٦) **تأوّد**: انحنى واعوجّ.

قال آخر: عذارى يبايِثْن الحديثَ المكتّما

وقال آخر: كالطامِحِ المتمائِلِ المتكسّر

● **الطلّ على الأرضِ**

قال جحظة:

لم يبقَ في الأرض زهرٌ يشتكي مرّها إلا وناظرُه بالطلّ مكْحولُ

وقال:

كأنّ بقاءَ الوبْلِ في جنَباتها بقيةُ دمعٍ فوقَ خدِّ مورّدِ

وقال آخر:

يطَلٍ كرشح فوق خدّ مورّد[1]

وقال آخر:

فشنّفَ أرضَه درراً ونظّمها الندى شَذَرا

قال الحمدوني:

إذا لطمَ الوسميُّ أحداقَ روْضها بكيْنَ معاً باللؤلؤِ المتفرّدِ

وقال:

وشابَتْ رؤوسُ غصونِ الجِنانِ وما ذلك الشيبُ إلا الشبابُ[2]

● **ترنُّمُ الأطيارِ أيامَ الربيعِ**

قال إبراهيم بن ساوة:

والطير في وكناتِها محتلّةً فمرنّمٌ ومزمزِمٌ ومغرّدُ[3]
فكأنّها تحكي الغريضَ ومعبدا أو كاد يحكيها الغريضُ ومعبدُ

قال أبو القاسم بن العلاء:

كأنّ صوادحَ الأطيار فيها جوارٍ والغصونُ لها ستائِرُ[4]

أخذه من الخباز البلدي حيث قال:

كأنّ القماري والبلابلَ بينها قيانٌ وأوراقُ الغصونِ ستائرُ[5]

قال ابن المعتز:

إني لأعجبُ من حمائِمِها كيفَ اهتدَيْنَ لمعرب مخضِ

---

(١) **الطلّ**: الندى.

(٢) **شابت رؤوس الغصون**: كناية عن الزّهر، شبّهه بالشيب واعتبره شباباً للطبيعة من عطاء الربيع.

(٣) **الوكنات**: جمع وكنة، وهي عشّ الطائر.

(٤) **الطيور الصوادح**: المغرّدة. (٥) **القماري**: الحمائم.

هـل كـان نـحـويّ يـعـلّـمُـهـا نـصـبـاً وبـابَ الـرفـعِ والـخَـفْـضِ؟

- **تغريدُ الذباب بالرياض**

قال ابن الرومي:

وغــرّدَ ربـعـيّ الـذبـابِ خـلالَـه كما حثحثَ النشوانُ صنجاً مشرّعاً[1]
وكـانـتْ أرانـيـنُ الـذبـابِ هـنـاكـم على شدواتِ الطّيرِ ضرْباً موقّعاً[2]

والأصل فيه قول عنترة:

وخـلا الـذبـاب بـهـا فـلـيـسَ ببـارحٍ غـرِداً كـفـعْـلِ الـشّـاربِ الـمـتـرّنِـم
هـزِجـاً يـحـكّ ذراعَـه بـذراعِـه قدحِ الـمكّـبِ على الزّنادِ الأجذَمِ[3]

- **تشبيه المحبوب بالرياحين وتذكرهُ بها**

قال البحتري:

لـمـا مـشيْن عـلى الأراكِ تشابَهَت أغـصـانُ قـضـبـانٍ بـه وقـدودُ
فـي حـلّـتـي حـبْـر ووشـي فـالـتـقـى وشـيـان وشـيُ ربـا ووشـي بُـرودِ[4]
وسـفـرْن فـامـتـلأت عـيـون راقـهـا وردان وردُ جـنـى وورد خـدودِ

قال الصاحب وقد شبّه خدود المحبوب بالمنثور:

شـربـا عـلـى وجـه الـذي تـيّـمـنـي بـصَـدّه[5]
فـإنْ نـأى فـاذكـ ـرْه بـالـمـنـثـور عـنـد وردِه
مـن أبـيـضَ كـوجـهِـه وأحـمـرَ كـخـدّهِ
وأشـهـلَ كـطـرفِـه وقـد سـطـا بـخَـدّهِ
واصـفـرَ كـسحـنـتـي إذ راعـنـي بـصـدّهِ
وصـادق الـتـوريـدِ كـالـفِـضّـة بـيـن جـلْـدِه
ذي أرجٍ كـهَـزلـهِ وروعَـة كـجَـدّه[6]
وقـصـر فـي الـعـمْـر قـد شـابَـه عـمْـرُ ورده
هـذا ومـا يـسـتـطـيـعُ أنْ يـذكـرَنـي بـقـدّهِ
فـالـفـضْـل لـلـظـبْـي الـذي أصـبـحـتُ عـبْـدَ عـبْـدِه

---

(١) **حثحث**: حرّك، اضطرب.
(٢) **الأرانين**: جمع رنين، وهو الصوت.
(٣) **هزجاً**: مغنيّاً، الهزج الترنّم وضرب من الأغاني.
(٤) **البرود**: الأثواب المخطّطة، جمع برد.
(٥) **تيمه الحبّ**: ذلّله ـ **الصدّ**: النفور والهجر.
(٦) **الأرج والأريج**: الرائحة الطيبة.

● **ظلُّ أوراقِ الشجرِ**

قد أحسن المتنبي حيث قال:

وألقى الشرق منها في ثيابي ... دنانيراً تفرُّ من الثيابِ

قال مسكويه:

والشمسُ محجوبةٌ عنّا سوى لمعٍ ... يسقُطنَ من ورقِ الأشجارِ كالورقِ

● **نَفْعُ النرجسِ**

قال جالينوس[١]: من كان له رغيف فليجعل لصقه من النرجس، فإنه راعي الدماغ، والدماغ راعي العقل، **وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه**: تشمّموا النرجس ولو في اليوم مرة، فإن في قلب الأنسان حالة لا يزيلها إلا شم النرجس، **قال أبو نواس**:

غضّي جفونَك يا عيونَ النرجسِ ... كيما ألذَّ بقبلَةٍ من مؤنِسي

وقال آخر:

وتخالهنّ إذا هممت بقبْلةٍ ... حَدقاً تفهمُ ما أقولُ فتنظر[٢]

وقال آخر:

كأنما النرجسُ يحكي لنا ... عينَ محبٍّ أبداً تنظُرُ

لا يطرق الدهر لا شفافة ... تخوفاً من لحظه يقصرُ

ويشبه النرجس بالرقيب، **قال أبو نواس:**

لدى نرجسٍ غضِّ القِطافِ كأنّه ... إذا ما منحْناه العيونَ عيونُ

مخالفةٌ في شكلهنّ فصفرةٌ ... مكانَ سوادٍ والبياضُ جفونُ

وقال آخر:

مداهن تبْرٍ حشوهنّ عَقيقُ[٣]

وقال آخر:

أحداقُ تبْرٍ في محاجِرِ فضّةٍ

● **وَصْفُهُ قامتَهُ**

قال شاعر:

ذابلاتُ الأجفانِ كالعاشِقِ الوا ... قفِ يشكُو الهوى على فردِ ساقِ

وقال آخر:

غصنُ الزبرجدِ مرتدٍ ورقاً ... من فضّة لكَ أثمرَت ذهَبا[٤]

---

(١) **جالينوس**: من أشهر أطباء اليونان الأقدمين، برع في علم التشريح. عاش في القرن الثاني للميلاد.

(٢) **الحدق**: العيون. (٣) **التبر**: الذهب ـ **العقيق**: الخرز الأحمر.

(٤) **الزبرجد**: حجر كريم كالزمّرد.

قال الباذاني:

ورقٌ فوقَها دنانيرُ صفرٌ   قد علت من زبرجَدٍ أنبوبا

وبالفارسية نركس ازمرددشه مرواريد فردوسته زوش كرميان بسته فنظموه بالعربية فقالوا:

وياقوته صفراء في رأسِ درّة   مُرَكّبةٍ في قامَةٍ من زبرجَدِ[1]

● **ريحة**

قال ابن الرومي:

يا حبّذا النرجس ريحانةً   لأنفِ مغبوق ومصبوح

كأنّه من طيبِ أرواحهِ   ركّبَ من رَاحٍ ومن رُوحٍ[2]

قال ابن طباطبا:

نرجِسه ينسى الوَرى شكْلَه   مثلُ حبيبٍ فاتنٍ دلُّه

نسيمُه كالرّاحِ لو يختوي   والروحُ لو يعقد مُتخَلُّه

● **فَضلُ الوردِ ومحبتُهُ**

قيل: إن ملك بابل أهدى إلى ملك أضول وردة، فأنكر ما رأى من شوكها وكافأه بأصول الغبيراء، لأن زهرتها تولد داء عظيماً إذا شمت. فلما أينعت أصول الورد عنده سرّ به، فندم على ما كان منه فأهدى إليه شجر الخلاف وهو دواء لما تولده الغبيراء. **وقيل:** كان المتوكل حرّم الورد على جميع الناس، **وقال:** لا يصلح للعامّة فكان لا يرى إلا في مجلسه.

وكان في أيامه يلبس الثياب الموردة ويفرشها ويورّد جميع الآلات ورفع صاحب الخبر إلى المأمون أنّ حائكاً يعمل العام كله لا يتعطّل في عيد ولا جمعة، فإذا طلع الورد طوى عمله وغرّد بصوت وقال:

طاب الزمانُ وجاء الوردُ فاصطبحُوا   ما دامَ للوردِ أزهارٌ وأنوارُ

فإذا شرب مع ندمائه غنّى:

أشربْ على الورْد من حمراءَ صافيةٍ   شهراً وعشراً وخمْساً بعدها عَدداً

فلا يزال في صبوح وغبوق ما بقيت وردة فإذا انقضى عاد إلى عمله وأنشد:

فإن يبقِني ربّي إلى الوردِ أصطبِح   وندمان صدقٍ حاكةٌ ونبيطُ

فقال المأمون: لقد نظر الورد بعير جليلة فينبغي أن نعينه على هذه المروءة. وأمر أن يدفع إليه في كل سنة عشرة آلاف درهم. **وقال الحسين رضي الله عنه:** حباني رسول الله ﷺ بكلتي يديه وردة وقال إنه سيد رياحين الجنّة ما خلا الآس.

---

(١) **الياقوت:** من الحجارة الكريمة ـ **الدرّة:** اللؤلؤة.   (٢) **الأرواح:** الروائح ـ الراح: الخمر.

● **حُسْنُهُ**

قال خالد الكاتب:

عشيةَ حيّاني بوردٍ كأنه خدودٌ أضيفتْ بعضُهن إلى بعضِ

وقال آخر:

كأنّ طلوعَ الوردِ والطلُّ فوقَه لِثاتُ عليها درّ ثغرٍ مفلّجِ[1]

وقال أزدشير: ياقوت أحمر وأصفر ودرّ أبيض على كراسي زبرجد يتوسطه شذور من ذهب.

● **ظهورُ الوردِ وتفتّحُهُ**

قال جحظة:

لقد نطقَ الدّراجُ بعدَ سكوتِه ووافَى كتابُ الوردِ أنّي مقبِلُ

قال الرقاشي:

إذا أقبَلَ الوردُ أهدى لنا سروراً بأيامِه مقتبل

قال البحتري:

وقد نبّه النيروزُ في غسَقِ الدّجى أوائلَ وردٍ كنّ بالأمس نُوّما[2]

يقتّعها بردُ الندى فكأنّما تبثُّ حديثاً كان قَبلُ مكتّما[3]

● **قِلّة لبثِهِ**

قال ديك الجن:

للوردِ حُسنٌ وإشراقٌ إذا نظرتْ إليه عينُ محبٍّ هاجَهُ الطربُ

خاف الملالَ إذا دامتْ إقامتُه فصارَ يظهر حِيناً ثم يحتجِبُ[4]

قال أبو نواس:

زائر يهدي إلينا نفسَه في كلّ عامِ

قال ابن أبي البغل:

حبيب إذا ما زارنا قلّ لبثه وإن هو عنا غاب طال جفاؤه[5]

وقال آخر:

أقام حتّى إذا أنِسْنا بقربه أسرعَ انتِقالا

---

(١) **الثغرَ المفلّج:** المتباعد الأسنان.

(٢) **النيروز (هنا):** الربيع.

(٣) **يقتّعها:** وفي رواية يفتّحها.

(٤) **الملال:** السأم، الضجر.

(٥) **اللبث:** البقاء والإقامة.

وقال:

الوردُ أحسَنُ زائرٍ لو لم تكُنْ ... تلك الزيارة حين زارَ لِماما[1]

- **صِيانةُ الوَرْدِ**

قال علي بن الجهم:

لم يضحك الوردُ إلا حينَ أعجَبه ... حسنُ الرياض وصوتُ الطائرِ الغِردِ

لا عذبِ اللّذهُ إلا من يعذبه ... بمسمعٍ باردٍ أو صاحب نكدِ

قال جحظة:

أعززْ عليّ بأن يشمّك باخِلٌ ... أوانَ ترك نواظرِ السّقَطاء

وقيل: إن كسرى مرّ بوردة ساقطة **فقال:** أضاع الله من أضاعك، ونزل عن دابته وتناولها وشرب في مكانها أقداحاً.

وقال بعض الكبار لأبي عبد الله الصائغ: قد جاء وردك يا أبا عبد الله يعني ورد الكلاب، **فقال:** وقد جاء ورد أمك، يعني ورد القحبة وقد نظم ذلك ابن طباطبا:

ولّى الزمان وولى ورد أمكم ... وجاء وردُ أبيكم يا بني العررِ

- **تفضيلُ الوردِ على النرجُسِ**

قيل: الورد يبقى طول السنة رطباً ويابساً، والنرجس لا يبقى إلاّ شهراً. ولو يبس لم ينتفع به. ثم منافع الورد لا تحصى كثرة رطباً ويابساً وطِيباً ودواء، **قال الصنوبري:**

زعمَ الوردُ أنّه هو أبهى ... من جميعِ الأنوارِ والريْحانِ[2]

فأجابتْه أعينُ النرجسِ الغضّ ... بذلّ من قولِها وهوانِ

أيّما أحسن التوردُ أم مقـ ... ـلةُ ريم مريضةِ الأجفانِ[3]

أم فماذا يرجى لمحمّرَة الخدّ ... إذا لم يكُنْ لها عينانِ

فزها الوردُ ثم قال مُجيباً ... بقياسٍ مستحسنٍ وبيانِ

إن وردَ الخدودِ أحسنُ من ... عينٍ بها صفرةٌ من اليرَقانِ[4]

- **تفضيلُ النّرْجُسِ على الوَرْدِ**

قيل: النرجس إذا اجتني بقي شهراً، والورد لا يبقى إلا يوماً ثم يذبل، وهو كالعين، وهو أفضل من الورد الذي هو كالخدّ.

---

(١) **الزيارة اللمام:** أي القصيرة. (٢) **الأنوار:** الأزهار.

(٣) **مريضة الأجفان:** أي ناعسة الأجفان.

(٤) **اليرقان:** مرض يسبب اصفرار الجلد واللفظة يونانية.

قال ابن الرومي:

لـلـنـرجـس الـفـضـلُ برغـمِ مـن زعَـم   عـلـى صـنـوفِ الـوَرْدِ والـفـضـلُ قـسَـم

وله:

هـذي الـنـجـومُ هـيَ الـتـي ربّـتـنـهـا   بحيا السّحابِ كما يربّي الوالِدُ[1]

فـتـأمـلِ الأخـويـن مـن أدنـاهـمـا   شـبـهـاً بـوالـده فـذاك الـمـاجـدُ

أيـن الـعـيـون مـن الـخـدودِ نـفـاسـةً   وريـاسـةً، لـولا الـقـيـاسُ الـفـاسـدُ

- **تفضيلُ الآسِ على الوردِ وبالعكس**

كتب أبو دلف إلى عبد الله بن طاهر:

أرى ودّكـم كـالـوردِ لـيـس بـدائـم   ولا خـيْـرَ فـيـمـن لا يـدومُ لـه ودُّ

وودّي لـكـم كـالآسِ حـسْـنـاً ونـضـرةً   لـه زهـرةٌ تـبْـقـى إذا فـنـي الـوردُ

فأجابه:

وشبهتَ ودّي الوردَ، وهو شبيهُه   وهـلْ زهـرةٌ إلا وسـيّـدُهـا الـوردُ

وودّك كـأسِ الـمـريـر مـذاقُـه   ولـيسَ لـه فـي الـطـيـب قـبْـلُ ولا بَـعْـدُ

وذهبت امرأة إلى معبّر[2] **فقالت:** رأيت زوجي أولاني باقة نرجس، **فقال:** يطلقك.
فقالت: لمه، **فقال:** **لقول الشاعر:**

لـيـس لـلـنـرجـس عـهْـدٌ   إنّـمـا الـعـهْـد لـلآسِ

ولعليّ بن الجهم يفضل الورد على سائر الرياحين:

مـا قـابَـلَـت قـضـبُ الريحان طلعتَه   إلا تـبـيّـنـتُ مـنـه ذلّـةَ الـحَـسـدِ

- **الياسمينُ والآسُ**

كانَ مخنث ببغداد قعد يبيع الياسمين ويقول: من يشتري ريح المحبوب، ولون المحب، بقطعه؟ وتُطيِّر بالياسمين لكون إلياس في أوله والمين في آخره. **قال ابن الرومي:**

مـا أنصفَ الآسُ بالياسمين مشبهه   والآسُ مـنـه مـكـانُ الـيـاء مـفـقـودُ

والـيـاسـمـيـنُ إذا حـصـلـت أحـرفَـه   فـالـيـاس مـنـه مـكـانَ الـيـاءِ مـعـدودُ

إن الـدلـيـلَ عـلـى هـذا تـنـاثـر ذا   وإن ذاكَ عـلـى الأيّـام مـوجـودُ

- **الشقائقُ**

قال أبو العلاء السروري ويُروى لابن دريد:

جـامٌ يـكـون مـن الـعـقـيـقِ الأحـمـرِ   فـرشـتْ قـرارتَـه بـمِـسْـك أذفـرِ[3]

---

(١) حيا السحاب: المطر.   (٢) المعبّر: الذي يفسّر الأحلام.

(٣) أذفر: من ذفر الشيء، اشتدّت رائحته فهو أذفر وذفر النبت كثر

خـرط الـربـيـعُ مـثـالـه فـأقـامـه   بينَ الرياض على قضيبِ أخضَرِ[1]
والـريـحُ تـتـركُـه إذا هـبّـت بـهِ   كـالـطـافـح الـمـتـمـايـلِ الـمـتـكـسّـرِ
فـتـراهُ يـركَـعُ ثـم يـرفـعُ رأسَـهُ   مُـتـمـايـلاً كـالـعـاشِـق الـمـتـحـيّـرِ

وفيه:

جـزعٌ ويـاقـوتٌ وخـرزٌ زَبَـرْجُـدِ[2]

وقال الصنوبري:

أعـــلامُ يـــاقـــوتٍ نُـــشِـــرْ   نَ عـــلـــى رمـــاحٍ مـــن زَبَـــرْجَـــدِ

وللقصار:

وكـأنّـه الـحـبـشـيّ يـصـبُـغُ جـسـمَـه   فـثـيـابُـه مـخـضَـلَـةٌ بـدمـائـهِ

وقال الصنوبري:

شـقـائـق يـحـمِـلْـن الـنـدى فـكـأنّـه   دموعُ التصابي في خدودِ الخرائدِ

● الأترج

قال ابن دريد:

جـسـمُ لُـجَـيْـنٍ قـمـيـصُـه ذهـبُ   زُرّ عـلـى لـعـبَـةٍ مـن الـطّـيـبِ[3]
فـيـه لـمَـن شـمّـه وأبـصـرَه   لـونُ مـحـبّ وريـحُ مَـحْـبُـوْبِ

وقال ابن العميد:

يـقـدّرهـا الـرائـي سـبـيـكـةَ عـسْـجـدِ   على أنها من فأرَةِ المِسْك أضوعُ[4]
ومـا حـكَـت الـعـشـاقَ صـفـرةُ لـونـهـا   ولـكـن لـمـا قـاسَـى الـمـحـبّـين تـجـزعُ

وقال أبو سعيد الرستمي:

وأتـرجـة مـدّت أصـابـعَ مـن ذهـب   لـهـا أرجٌ من فـأرةِ المِسْك منتهَبْ
تـبـدّت لـنـا والـريـحُ داجٍ ظـلامُـه   كـغـابـرِ نـارٍ هـزّه الـريـح فـانـشـعَـبْ[5]

وقال كشاجم:

كـأنّ أتـرجَـهـا تـمـيـلُ بـهِ   أغـصـانُـهـا حـامِـلاً ومـحـمـولا
سـلاسـلُ مـن زبـرجَـدٍ حـمـلـت   مـن ذهـبٍ أصـفـرَ قـنـاديـلا

---

(١) الخرط: القطع.
(٢) الجزع: الخرز فيه سواد وبيض، واحدت جزعة ـ الزبرجد: حجر كريم يشبه الزمرد والجمع زبارج.
(٣) زرّ القميص: شدّ أزراره وأدخلها في العرى.
(٤) سبيكة عسجد: أي سبيكة ذهب ـ فارة المسك: نافجة المسك.
(٥) انشعب: تفرّق شعباً.

وقال ابن الرومي:

كأنكم شجرُ الأترجِ طابَ معاً ... حملاً ونَوْراً وطابَ الريحُ والورقُ

- **النارنجُ على الأشجار**

قال شاعر:

تطالعُنا بينَ الغصونِ كأنها ... خدودُ عذارى في ملاحِفها الخضر

وقال التنوخي:

شموسُ عقيقٍ في قباب زبرجَد

قال الصاحب:

كأنما النارنجُ تفاحُ الذهَبْ ... أو فرح قنديل تندّى كاللهَبْ

أو حمرةُ شعاعُها يمضي شعَبْ ... أو ثديُ خودٍ ناهدٍ يحكي الكعَبْ(١)

- **الليمون**

قال محمد العبّاسي:

حبّذا الليمونُ حسْناً ... وبهاءً ونضارَه

هو ريحانٌ أتى من ... أرضِ هندٍ للزيارَه

رامَ أن يشبهَه النا ... رنجُ خرطاً واستدارَه

وتمنّى أن يباهيـ ... ـه بأن يحكي اصفرارَه

ثم أعياه فلم يلـ ... ـحَقْه في زيّ وشارَه(٢)

لونُه والعرفُ والشكلُ فمِنْه مستعارَه

- **الدستبول**

قال شاعر:

ككرات طيقانٍ تخالُ قشورَها ... نونَ القسيّ منمرات يلمَع

وقال:

كأنها من لبُّ كافورةٍ ... قد غمرَت من رطْبِ رَطْبِ

- **اللفاح**

قال أبو علي بن أبي العلاء:

كحتمةٍ من ذَهَب ... بلا زوْرَد ممتعا(٣)

---

(١) الخود: المرأة الشابة ـ الثدي الناهد: البارز.

(٢) يباهيه: ينافسه في البهاء والحسن ـ يحكي اصفراره: يشابهه ويماثله.

(٣) اللازورد: معدن يتخذ للحلي والصافي منه شفاف أزرق ضارب إلى الحمرة (واللفظة فارسيّة).

أو شــعــلــةٍ وقــدْ عَــلا دخــانُــهــا وارتــفَــعَــا

وقال أبو القاسم ابنه:

مــا جــوهــرٌ مــتــنــافَــسٌ فــيــه كــنــد فــي نــدي(١)
ومــشــمّ مــعــشــوقٍ تــصــا دفَــه عــلــى عُــرُفٍ ذكِــي
وكــأنّ رائــقَ شــكْــلِــه لــمــا بــدا كــرةُ الــصــبِــي
لــولا ذوائــبُــه الــتــي قــد أشــبَــهــت بــيــضَ الــكَــمِــي(٢)

- حب النيل

قال أبو الحسن الزاهري:

ولاحَ لــنــاظــري بــنــاتُ وردِ لــحــبَّ الــنــيــل تــفــضَــح كــلّ وردِ
كــنــونــاتِ الــلــجــيْــنِ مــطــرقــاتٍ أســافــلُــهــا بــمــاءِ الــلازوردِ

- الخيري(٣)

قال ابن الرومي:

خــيــريّ وردٌ أتــاك فــي طــبــقٍ قــد مَــلا الــخــافــقَــيْــن مــن عَــبَــقِــه(٤)
قــد خــلــعَ الــعــاشِــقــون مــا صَــ ــنعَ الــهــجْــرُ بــألــوانِــهــم عــلــى ورقِــه

قال أبو العلاء السروي:

أهــدى إلــيّ فــنــونَ الــشــوْق والأرقِ نــســيــمُ رائــحــةِ الــخــيــريّ فــي الــعــبَــقِ
كــأنــه عــاشــقٌ يــهــدي صــبــابَــتــه صــبــحــاً ويــنــشــرُهــا فــي ظــلــمــة الأفــقِ

- السوسن

يشبه بأذناب الطواويس وبسبائك الفضة. قال ابن المعتز:

كــقــطــنٍ مــسّــه بــغــضُ الــبــلَــل

قال الموصلي:

كــأنّــمــا زرقُــة أوراقِــه ذوائِــبُ مِــن لــهَــب الــفَــحْــمِ

قال عبدان:

وقــد زخــرفَ الــدنــيــا مــلاعــقُ ســوسَــنٍ فــمِــنْ أزرقٍ غــضّ الــنــبــاتِ وأقــمَــرِ
كــأعــنــاقِ طــيــرِ الــمــاءِ أوراقُــهــا حــكَــت مــنــاقــيــرَهــا صــوراً بــخــدّ مــقــرّر

---

(١) الندّ: عود يتبخر به.
(٢) الذوائب: الضفائر ـ الكمي: البطل والفارس المدجّج بالسلاح.
(٣) الخيري: المنثور الأصفر. (٤) عبقه: شذاه.

● **الجلنار**

قال الحمداني:

وجـلّـنـارٍ أحْـمـرَ … عـلـى أعـالـي شَـجَـرَه
كـأنّ فـي رؤوسِـهِ … أحـمـرَه وأصـفـرَه
قـراضـةٌ مـن ذهـبِ … فـي خِـرقـةٍ مُـعَـصْـفَـرَه

● **الأرجوان**

قال عبدان:

كـأنّ الأرجـوانَ ضـرامُ نـار … بـلا شَـرَرٍ تـطـايـرَ فـي تَـوالِـي
كـأنّـا مـصْـطَـلـون بـهـا قـعُـوداً … حـوالـيـهـا ومـا مـنّـا بـصـالِـي[1]

● **المرزجوش**

قال أبو الوفاء محمد بن عبد العزيز بن محمد بن سلمة الهذلي:

ومـرزجـوشٍ كـأنّ الـقـطْـرَ شـنّـفـه … دراً كـمـا شُـنّـفَـت آذانُ أبْـكـارِ[2]
إذا أتـتـه هـبـوبُ الـريـحِ جـاذبـةً … كـأنّـه مـائِـلاً مُـصْـغٍ لأسـرارِ

● **وردُ العصفور**

قال ابن طباطبا:

ريـحـانـةٌ فـي اصـفـرارِ مُـهْـدِيـهـا … شـبـهـتـهـا بـعْـدَ فِـكْـرةٍ فِـيـهـا
أحِـبّـةٍ لـم تـصـغِ لـعـاذِلـهـا … تُـسـدُّ آذانُـهـا بـأيْـدِيـهَـا

● **النيلوفر**

قال أبو عبد الله:

كـأن نـيـلـوفـرَه عـاشـقٌ … نـهـارُه يـرمـقُ وجـهَ الـحَـبـيـبِ
حـتّـى إذا الـلـيـلُ بـدا وجـهُـه … وانصرفَ المحبوبُ خوفَ الرقيبِ
أطبَقَ جـفـنَـيْـه عـسَـى فـي الـكَـرَى … يـبْـصِـرُ مـن قـارعَـه عـنْ رقـيـبِ

وقال آخر:

ككاساتِ شربٍ في أكفّ وصائفٍ … من السندِ عنهُنّ السواعِدُ حُسّرُ

---

(١) اصطلى بالنار: استدفأ بها.

(٢) المرزجوش أو المردكوش: نبات عطري له ورق دقيق وزهر صغير وله فوائد طبية واللفظة فارسيّة، والمردقوش أيضاً: الزعفران بالفارسيّة.

قال الزاهي:

وَنَيلوفر مثلِ الكؤوسِ شممتُه ... حكَت ريحُه ريحَ المحبِّ الموافِق
حكى رقدة المحبوب قبْل انفتاحِه ... وبعد انفتاحِ الجفنِ تسهيدَ عاشِق

● **الآذريون**[1]

قال ابن المعتز:

كان آذريونَها ... فوقَ سماءٍ هامِيَه[2]
مَداهِنٌ من ذهبٍ ... فيها بقايا غالِيَه[3]

وقال عبد الرحمن بن مندويه:

صِلاءُ جَمْرٍ شبَّ في كانونِ

● **الخُزَم**[4]

قال ابن الرومي:

وخرمٍ في صبغة الطيالِسَه ... تحكى الطواويسَ غدَت مُطاوسَه[5]
كأنّما تلك الفروعُ النامِسَه ... تغمِسُها في اللازورد غامِسَه[6]

قال ابن طباطبا

صِماماتُ وَشيٍ هُيِّئَت للمخازِنِ

● **الأقحوان**[7]

قال التنوخي:

وأقحُوانُ مكَان وردته ... دراهِمُ بينَها دنانيرُ

وقال عبدان:

وتبسّم عن ثُغورِ الحَوْر فيها ... ثُغورُ الأقحوانِ من اللآلي

وقال آخر:

عيونُ الأقاحي ما خلقتنّ للبُكا ... فما بالُ مجرى الدمعِ منكُنّ منكَرُ

---

(١) **القطر**: المطر. (٢) **الآذريون**: جنس زهر من الأنبوبيّات برتقالي اللون.

(٣) **الغالية**: ضرب من الطيب.

(٤) **الخُرَم**: نبات الشجر، والخُرم في اللغة الناعم والكثير الخير (انظر لسان العرب، مادة خرم، وإذا وردت اللفظة مصحفة فلعلّ المراد شجر الخَزَم وهو شبيه شجر الدوم ذو أفنان وبسر (انظر اللسان مادة خزم).

(٥) **الطيالسة**: الطيلسان الكساء الأخضر.

(٦) **الفروع النامسة**: من نمس ينمس نمساً معناه تغيّر الشيء الطّيب وفساده ـ **اللازورد**: الجيد منه معدن صافي شفاف أزرق ضارب إلى الحمرة والخضرة يتخذ للحلي.

(٧) **الأقحوان**: نبات أوراق زهره مفلّجة صغيرة يشبّهون بها الأسنان.

إذا ما سقاهُ الغيثُ كاساً من النّدى تناوبَ سكْراناً وبالرّيح يسكرُ

● الشاهشفرم

قال أبو العويص:

وقامةُ ريحانٍ أنيقٌ نباتُها غذاها نميرُ الماءِ سقيا على قدرِ[1]
وفاحَ بنشر ريحِ الشمّ طيبٌ له نشواتُ المسْك في سائر العِطْرِ
فأصبح شاهاً للرياحين كلّها وليّس لها ما دام شيء من الأمرِ[2]

قال الزاهي في وصف الأوراق:

لها ورقٌ كواواتٍ صِغار

● ما يتطيّرُ به مِنَ الرياحين

قيل: في الياسمين يأس، وفي الخلاف خلاف، وفي التمام نميمة، والشقائق الشقاء، وفي البان البين[3]، وفي السفرجل سفر جل وفي السوسن السوء.

قال العبّاس بن الأحنف:

أهدَى له أحبابُه أترجةً فبكى وأشفقَ من عيافةِ زاجرِ
متطيّرٌ لما أتتْه لأنه لونان باطنُه خلافُ الظاهرَ

قال ابن الشاه:

لا باركَ الله في النمام إنّ له اسماً قبيحاً من الأسماء مهجورا
لوْ لمْ ينَمّ على العشاقِ سرْهم ما كانَ فيهم بهذا الاسم مذْكورا

● البنفسَج

قال ابن المعتز:

أوائلُ النّارِ في أطرافِ كبريت

ولعبدان:

لكا لياقوتِ منه النّارُ لا بل ككبريتٍ خفيّ الاشتعالِ

قال السروي:

كأنه خضر ديباجٍ أحاطَ به من لا زَوَرْد فصوصٌ ذاتُ لألاءِ

وقال التنوخي:

زيّنها بنفسَجٌ كأنّه فيروزجٌ قُطّعَ فيها أو خُرِط

---

(١) **الماء النمير** الماء الزاكي.

(٢) **الشفرم:** الريحان بالإعجميّة، والشاهشفرم كما قال أصبح شاهاً للرياحين: أي ملكاً للرياحين.

(٣) **البان:** شجر معتدل القوام، جمع بانة، ويشبّه به القدّ لطوله.

- **الخودان**

قال بعضهم:

وكـأنّ الـخـودانَ فـيـهـا لآلٍ　　مشرقات نُظِمْنَ في عُنْقودِ[1]

- **الخطميّ**[2]

قال الحسن بن محمد:

وقد أظهر الخطميّ نوراً كأنه　　صحافٌ من الياقوتِ فيها ذرائرُ

- **الزعفران**

قال الباذاني:

كأنّ صبايا الزغفران إذا بدَتْ　　نصالُ سهامٍ أفردَتْ لا تركبُ

وقال الباذاني الأصفهاني:

ورد يعظم والترابُ محلّه　　وترى الكريمَ يعزُّ حينَ يهونُ

وقال محمد بن بحر:

هاكَ خذها عرائساً يتصدّ　　يْنَ صباحاً ويختفينَ مساءَ

يتفلّقن عن صبايا ثلاثٍ　　قد تعانقْنَ إلفةً وصفاءَ

وقال آخر:

كتخطيطِ المطرّزِ في الكمامِ　　بلامٍ ثم لامٍ ثم لامِ

- **القطنُ النابتُ**

قال أبو العويص:

نشا عن ضمور واستدارة قالب　　فصارَ عريضاً ناتىءَ القصّاتِ[3]

وأثمر تفاحاً بغير تفكّه　　طويلٌ على تفاحةِ الشَجَراتِ

نمَا وربَا حتّى تفتّقَ صلبُه　　بأربعِ فقراتٍ له حدباتِ

وإن بُزَّ عنه شحمُه وسديفُه　　تزيّد شدقُ الفحل للنزواتِ[4]

شبيهُ فمٍ لشاهينٍ ينقّضّ فاغِرا　　ليَلْهَمَ يعفوراً على وكراتِ[5]

---

(١) **لآل**: مخفّف لآلىء.

(٢) **الخطمي**: زهر من فصيلة الخبّازيّات، له ساق طويلة ـ **الذرائر**: جمع ذرارة وهي ما تناثر من الذريرة وهي من ضروب الطّيوب.

(٣) **نشا عن**: أي نشأ عن بتخفيف الهمزة.　　(٤) **السديف**: شحم السنام.

(٥) **الشاهين**: طائر من الجوارح ـ **فاغراً**: من فغر فاه أي فتحه ـ **اليعفور**: الظبي الذي لونه كلون العَفَر أي التراب.

● **الكماة**

قال النبي ﷺ: الكماة بقية من المن وماؤها شفاء للعين. والعجوة من الجنة، وفيها شفاء من السحر والسمّ **وأنشد الأصمعي لرجل من بني بكر**:

وأشعثٍ قد ناولتُه أحرشَ القوي ... أدرت عليه المدجنات الهواضِب

تخطّاه القناصُ حتّى وجدته ... وخرطومُه في نبْع الماءِ راسب

يعني بالأشعث فقيراً وبأحرش القوي كماة خشنة.

قال الراعي:

بأرضٍ يبينُ النقْعُ فيها قناعة ... كما انتصَ شيخٌ من رفاعة أجلَحُ(١)

● **اللبلاب**(٢)

قال الواواء:

لبلابتي أحسنُ لبلابَه ... قد حوَت الحسنَ وأسبابَه

كأنها بالغُصْنِ ملتفّة ... متيّمٌ عانقَ أحبابَه

● **الريباس**

قال المرادي:

ومكنونةٍ من بنات الثرى ... تجمّع في البابِ خطّابُها

تمد يداً برزَت كفُّها ... بحر الزمرّدِ عنابُها

● **الباقلاء**

قال كشاجم:

تخالُ فيه النور جزِعاً في سخبٍ ... أو بُلقِ طير وقعَت على قُضُبِ(٣)

قال الصنوبري:

ونيات باقلاء يشبهُ وردُه ... بلقَ الحَمام مُقيمةً أذنابَها(٤)

وقال:

فصوصُ زمرّد في غلف درّ ... بأقماعٍ حكَتْ تقليمَ ظُفرِ(٥)

وقال آخر:

زبرجدٌ ضمّن درّةً لبِست ... حريرةً بطِّنَت بكافورِ(٦)

---

(١) **الأجلح**: المنحسر شعره ن جانبي رأسه.

(٢) **اللبلاب**: نبت يتعلّق على الشجر من فصيلة القرنيّات، أصفر الزهر.

(٣) **السخب**: السخاب قلادة من قرنفل ـ **القضب**: الأغصان، جمع قضيب.

(٤) **البلق**: البيض.   (٥) و (٦)**الزمرّد والزبرجد** من الحجارة الثمينة.

● **البطيخ**

قال بعضهم في وصفه: هو فاكهة وأدم وأشنان وحلواء وعند العدم قعب للمدام ويطل في الحمام.

قال كشاجم:

وزائـــرٍ زارَ وقـــدْ تـــعـــطّـــرا أســرّ شــهــداً وأذاعَ عــنــبــرا[1]
مــلــتــحــفاً لــلــصّــيــن ثــوباً أصفَرا يــظــنّــه الــنــاظِــرُ إن يــقــدرا
دبّ الــوبــا بــشــمــنــه فــأنــشــرا

وإذا أردت الشراء للبطيخ فخذ أثقلها رأساً وأعظمها فلساً وأخشنها مسّاً.

قال أبو طالب المأموني:

وحمراءَ خلْناها أذاعت وأضمرَت وقدْ علَّ بردَيْها جسامٌ وعندمُ
قراضةُ تبْرٍ في صفائح فضّة تضمّنها حقّ من الجزع مسهمُ[2]
إذا قطّعت كانتْ سفائنَ لجّةٍ وإن لم تُقطّع فهي عِكمٍ محزمُ[3]

وله:

رياضةٌ مسكيّة عسليّةٌ لها لونُ ديباجٍ وعرفُ مدامِ

● **ولهُ في البطيخِ الهندي**

ومبيضة فيها طرائقُ خضرةٍ كما اخضرّ مجرى السيلِ في صِيبِ الحَزْنِ
كحقّةِ عاجٍ صيغت بزبرجدٍ حوتْ قطعَ الياقوتِ في قطعِ القُطْنِ[4]

● **القِثاء**

قال الخوارزمي:

يا ربّ قثاءٍ برود المورِدِ درّ الحشا زمرّد المجردِ
سخت الروس لصور المقلدِ مثل ذنابى ريش ديكٍ أعقدِ
قد التوى فوقَ الثرى الرطبِ الندى كما تلوّى أسودٌ بأسودِ
ذي زغبٍ وفيه لينُ الأجرد كالخدّ بين الملتحي والأمرد[5]
كأنه في اللونِ والتأوّدِ صوالجُ ركبن من زبرجدِ
يكادُ للين وللتعقّد تجنيه ألحاظُ الفتى قبلَ اليدِ
ماء كطعمِ السكّر الطبَرزد

---

(١) **العنبر**: ضرب من الطيب، والعنبر الزعفران.

(٢) **القراضة**: ما سقط بالقرض وقرض الشيء قطعه. (٤) **الحقة**: الوعاء الصغير.

(٣) **العِكم**: ما شدّ من الثوب، أو الكارة أو العدل. (٥) **الأمرد**: الشاب الذي طرّ شاربه ولم تنبت لحيته.

● **الباذنجان**

وصفه بعضهم **فقال**: كرات أدم قمعت بكيمخت وحشيت بصغار الدرّ وسط لبن حليب وقمعت بنفسجا.

● **الزَرْعُ والغَرْسُ**

قال النبي ﷺ: ما من رجل يغرس غرساً فيأكل من إنسان أو طائر أو بهيمة إلا كان له صدقة.

وقالت عائشة: التمسوا الرزق في خبايا الأرض.

وقال ابن الزبير: عليك بالزرع فإن العرب كانت تتمثل لذلك ببيت شعر:

تَتَبَّعْ خبايا الأرض وادع مليكَها ... لعلّك يوماً أن تُجاب فترزَقا

وقال بعض البلغاء: أجود الزرع ما غلظت قصبته وعرضت ورقته، وأدهامت خضرته، وعظمت سنبلته، والتفّت نبتته.

وقيل لبعض الفلاسفة: ما بال الحشيش أنضر وأغضّ من الزرع؟ فقال لأن الحشيش ابن للأرض والأرض داية للزرع. **وقيل**: للزرع ألف آفة ليس فيها أعظم من جور السلطان.

وقال النبي ﷺ: إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن يقوم حتى يغرسها فليغرسها. **وقال ابن عباس**: المتوكل من يبذر.

● **البُرّ**(١)

قيل: أفضل نابت وأحب مأكول البر. **وقال بعضهم**: ما ظنّك بشجرة فتنت آدم وحواء وأخرجتهما من الجنة إلى دار الكلفة والمهنة وعصيانهما للرحمن، **وقال لهما إبليس**: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا﴾ الآية.

● **مفاضلة البرّ والتمر**

قيل: غلة النخل العنا وغلة البر الغنى. **وقيل**: البرّ خبز والتمر أدم والخبز أفضل من الأدم. وقيل البرُّ إذا أُكِلَ لا بد وأن يداس ويُذَرّى ويغربل ويعجن ويخمر، ثم لا يأكله بغير أدم إلا جائع، ومن أكله بغير طحن وخبز تولّد في بطنه الدود.

والتمر يؤكل من النخلة على أي نوع أردت، ثم منافعه لا تحصى. واختلف في البر والتمر إثنان عند محمد بن سليمان **فقال**: طالما اختلف في ذلك الأمم. **وقال لابن داحة**: اقض بينهما فقال لصاحب البرّ: خبرني أيهما أوجد في الجدب؟ **قال**: التمر. **قال**: فأيهما أبقى على الغرق؟ **قال**: النخل **قال**: فأيهما الحرق أسرع إليه؟ قال السنبل **قال**: أيهما أمنع من النار؟ **قال**: النخل. **قال**: أي الأرضين أعز؟ **قال**: أرض النخل. فقال سلمان: قد

---

(١) البرّ: القمح.

قضيت وفضلت النخل.

● الكرم

قال أبو نواس:

لنا هجمةٌ لا يدرأُ الذئبُ سخلَها ... ولا راعَها زر العجالةِ والخَطَرُ[1]

إذا منحت ألوانها مالَ صفرها ... إلى الجوّ إلاّ أن ألوانها خضرُ

قال إبراهيم بن المهدي:

سلافةُ كرمٍ تظِلّ النبيط ... ترفعُ منه عريشاً عريشاً[2]

إذا أنتَ قابلته خلته ... مطارفَ خضرا كُسين النقُوشا

قال الرفاء:

وشاحبةُ الظلالِ مقرطات ... ظروفُ الراحِ من زنجٍ ورومِ

قال أبو رافع الهروي:

كأنّ عناقيدَ العرائشِ فوقَنا ... زنوجٌ ورومٌ علّقوا بالحناجرِ

● مدح النخل

قال ابن المعتز:

ظلّت عناقيدُها يخرجن من ورقٍ ... كما احتبى الزنجُ في خضر من الورقِ

وقال النبي ﷺ: أكرموا النخل فإنها عمّتكم. **وقال:** خلق آدم والنخلة والعنبة والرمانة من طينة واحدة. **وقال:** نعمت العمّة لكم النخلة تغرس في أرض خوّارة وتسقى من عين خرّارة.

وقال ابن دريد: سألت أعرابياً فقلت ما أموالكم؟ **قال:** النخل. **فقلت:** أين أنتم من غيره **فقال:** النخل سعفها صلاء وجذعها غماء وليفها رشاء وفروها إناء ورطبها غذاء.

وقال جعفر بن محمد: نعمت العمّة لكم النخلة، وعمرها كعمر الإنسان وتلقيحها كتلقيحه.

وقيل: خير أموال الناس أشبهها بهم. ووصف خالد بن صفوان لهشام النخل **فقال:** هنّ الراسخات في الوحل المطعمات في المحل الملقحات بالفحل، تخرج أسفاطاً عظاماً وأوساطاً كأنها ملئت رياطاً[3] ثم تفتر عن قضبان اللجين منظومة باللؤلؤ المزين، فيصير ذهباً أحمر منظوماً بالزبرجد الأخضر، ثم يصير عسلاً في لحاء معلقاً في هواء ووصفها بعضهم **فقال:** شريعة العلوق سائحة العروق، صابرة على الجدوب، لا يخشى عليها عدو الذئب. **وقيل:** إن النخلة تقول للنخلة: أبعدي ظلك من ظلي، أحمل حملي وحملك. **وقيل:**

---

(١) **السخل:** الحمل. (٢) **السلافة:** الخمر. (٣) **الرياط:** الملاءة من قطعة واحدة.

الحرب الخفي أن تقرب النخلة من النخلة وهو كما قيل: الحرب الخفيّ إذكار الإبل. **وقال بعض البصريين:** النخلة تقتل نفسها سنة وصاحبها سنة لأنها تحمل سنة كثيراً وسنة قليلاً **قال شاعر:**

لـنـا عـلـى دجـلـةَ نـخْـل مـنـتـخـلٌ ... نـسـلـفُـه مـاءً فـيـعـطـيـنـا عـسَـلْ

مـسـطـر عـلـى قـوام مـعـتـدِل ... يُسْقى بـمـاء وهـو شـيء فـي الأكـل

وقال أحيحة بن الجلاح وكان قومه لاموه في ابتياعه النخيل:

يلومونني في اشتراءِ النّخيل قو ... مـي وكـلُّـهـم يـعـذلُ

تـغـشـى الـحـبـوب بـأذنـابـهـا ... ويـجـلـبُ مـن ضـرعـهـا مـن عـلُ

نـعـم لـعـمّـكـم نـافـع ... وطـفـلٌ لـطـفـلـكـم يـؤمـلُ

هـي الـمـالُ والـظـلّ حـق الـظـلـيـ ... ـلِ والـمـنـظـر الأحـسـنُ الأجـمـلُ

وقيل: سمّي النخل نخلاً لأنه منتخل.

● ذمُّ النخل ووصفُ الرديءِ منه

عاب أعرابي النخل **فقال:** صعبة المرتقى بعيدة الهوى، مهولة المجتنى، دقيقة السلاء، شديدة المؤونة، قليلة المعونة، خشنة المس، ضئيلة الظل.

وأهدى رجل إلى جحظة[1] نخلة زعمها قرشية، فغرسها ولم يزل يتعاهدها حتى حملت، فإذا هي دقلة. فجاء الرجل فسأله عنها **فقال:** ما فعلت قرشيتك؟ **فقال:** هي قرشية من ولد زياد.

قال بعضهم في نخلة قطعت فجعلت جذوعاً:

إلى الله أشـكـو هـجـمَـة هـجـريـة ... تـخـرمـهـا مرّ الـسـنـيـن الـغـوابـرِ[2]

فأضحَت رذايا تحمِل الطينَ بعدما ... تـكـون غـنـى لـلـمـقـتـريـن الـمـفـاقـرِ

● خرص[3] النخل والكرم

كان لخثعمة البكارى نخيل فجاء خارص، يخرص عليه فأخذ فاساً وجعل يضرب أصولها، ويقول أقطعها فاستريح، **فقال** عريفه أكفف فليس عليك إلا الحق **فقال:**

لئن كان هذا الخرصُ فيكن دائب ... فـأبـعـدكـنّ الله مـن نـخـلات

أفـي كـل عـامٍ خـارصٌ غـيـرُ عـادلِ ... تـصـعّـدُ مـن أفـعـالـه زفـراتـي

---

(١) **جحظة:** شاعر عبّاسي مرّ ذكره سابقاً. (٢) **السنين الغوابر:** السنين الماضية.

(٣) **الخرص:** جريدة النخل.

● **شجر التفاح المثمر**

قال أبو العلاء السروي:

وأشجار من التفاح زهر ... ثقلن بحمله ثِقلاً وبيدا
تظلّ الريحُ تنشرُها علينا ... فنلقطُها ونحسبُها خدودا

● **نفع التفاح وحسنه**

روي أن أرسطاطاليس حضرته الوفاة فاستدعى ثلاثة من تلامذته، فعجز عن مناظرتهم، فاستدعى تفاحة اعتصم بها وبرائحتها ريثما قضى وطره.

وقال أبقراط: الحمرة في التفاح صديقة الجسم وريحه صديقة الروح.

وذكر التفاح بحضرة المأمون **فقال:** في التفاح الصفرة الرديئة والحمرة الذهبية وبياض الفضة ونور القمر تلذّها من الحواس ثلاثة: العين بلونها والأنف بشمّها والفم بطعمها وفي وصف احمراره قيل:

خدودُ ملاحٍ كدّها لومُ لائمِ

وقيل:

خدودُ عذارى قد جمعن على طبَق

قال أبو نواس:

الخمرُ تفاح جرَى ذائباً ... ذلك التفاح خمرٌ جمَد
فاشرَب على جامدٍ ذا ذوب ذا ... ولا تدَع فرصةَ يومٍ لغد

وقال الرفاء:

لو جمدت راحُنا اغتدَتْ ذهباً ... أو ذابَ تفاحُنا غداً راحا[1]

وقال المأمون: لو أن التفاح ينحلّ لكان قزحاً، ولو تجسّم قزحٌ غداً تفاحاً.

● **التفاحة المهداة**

وقال ابن المعتز:

تفاحةٌ معضوضةٌ ... صارتْ رسولَ القُبل

وقال أبو هفّان:

تفاحةٌ من عندِ تفاحةٍ ... بالمِسك والعنبرِ نفاحَه[2]
أخذتُها من كفّ ظَبيٍ وقد ... كانتْ إليه النفسُ مرتاحَه
ما مسّها طيبٌ ولكنّها ... باشرَها بالكفّ والراحَه

---

(١) الراح: الخمر.

(٢) نفاحة: مبالغة من نفح، أي شديدة الانتشار.

وقال:

أهدى لنا التفاحَ من كفِّه ... يا ليتَه أهداهُ من خدِّه

● **معاتبةٌ من أكلَ التفاح**

نظر بعض الفتيان إلى آخر وقد أقبل على أكل التفاح في بعض المجالس فقال:

يا ذا الذي يأكلُ التفاحَ من شرَه ... رِفْقاً فقدتك يا حتْفَ التحيّات

وقال أبو إسحاق بن العباس:

إن الذي يأكلُ تفاحة ... لمُسْتخِفٌ بمهادِيها

وقال الخبزارزي في الاعتذار لأكلها:

أكلتِ تفاحة فعاتبني ... فتى رآها كخدِّ معشوقِهِ

فقال خدَّ الحبيب تأكلُه ... فقلت: لا، بل أمصُّ مِنْ ريقِه

وقال رجل لآخر أكل تفاحة حيّاه بها: أتأكل التحيّات فقال: والمباركات والطيّبات.

● **اختلاف الأمكنة في إدراك الأصناف بصنعاء**

تدرك الحنطة بصنعاء مرتين، والشعير والذرة ثلاث مرات وأربعاً، والعنب دفعتين. وعندهم نحو سبعين لوناً عنباً. ويدرك الموز كل أربعين يوماً وعندهم قصب سكر، وباقلاء ولوز وتين ورمان وسفرجل.

● **تعانق الأشجار**

قال بعضهم:

كأنَّ فروعَها في كلِّ ريحٍ ... جوارٍ بالذوائبِ ينتَضينا(١)

وقال أبو محلم:

نشاوى تثنيها الرياحُ فتنثَني ... ويلثمُ بعضَ بعضِها ثم يرجعُ

وقال سعيد بن حميد:

وترى الغصونَ إذ الرياحُ تنفَّستْ ... ملتفَّةً كتعانُقِ الأحبابِ

وقال التنوخي:

عذارى تباثَثْنَ الحديثَ المكتّما(٢)

وقال آخر:

فكأنّما ينوي التعا ... نُقَ ثمّ يدركهُ الخَجَلُ

---

(١) الفروع: الأغصان المتفرّعة ـ الذوائب: جمع ذؤابة وهي ضفيرة الشعر.

(٢) ريث الحديث: أذاعه ونشره ـ الحديث المكتّم: المكتوم أي غير المذاع.

● **ارتجاسُ الريحِ في الشّجر**

قال التنوخي:

كـأنّ إرتـجـاسَ الـريـحِ فـي جـنـبـاتِـه   إذاعـةُ شـكْـوى أو مـرارُ تـعـاتُـبِ

وقال عبدان:

أنّ رقــارقَ الأرواحِ فــيــهــا   نـشيشُ مـلْـهـوجَـاتٍ في الـمَـقـالِ[1]

● **السروُ**[2]

كان بعضهم يبغض السرو **ويقول**: كأنه نساء لابسات حداداً. وكان **يقول**: كان السرو ذنب عرس.

خرج عبد الله بن طاهر **فقال له رجل**: قد جئتك ببشارة، قد صدق الله قولك حيث تقول:

أيـا سـرْوتَـيْ بـسْـتـان زكـي سـلـمـتـمـا   ومـن لـكـمـا أن تـسـلـمـا بـضـمـانِ

أيـا سـروتَـيْ بـسْـتـان زكـي سـلـمـتـمـا   وغـال حـبـيـبـي غـائـلُ الـحـدَثـانِ

فقد سقطت إحداهما. **فقال له عبد الله**: ألم يكن بالرقة حمّى تشغلك؟ وأمر له بخمسة آلاف درهم، **وقال**: أخشى أن لا أحقق ظنك.

● **نورُ شجَرِ الخلاف**

قال أبو حاتم الورّاق:

كــأن نــور شــجــرِ الــخــلافِ   أكــفُّ سِــنَّــوْرٍ بــلا خــلافِ

مــردودةُ الــبــرثــنِ فــي الــغِــلافِ

● **ضروبٌ من الأشجار**

أشجار **اللبان** لا تورق بل تحمل أغصانها. **الكندر** أطول الشجر عمراً. شجر **الزيتون** فإنه يقال إنه يبقى ثلاثة آلاف سنة وكل زيتونة بفلسطين فمن غرس اليونانيين، وكانوا قبل الروم.

والبقم ينبت من غير أن يغرس، **والساج** تتصاعد في الهواء ملساء مستوية لا تخرج أغصاناً، وغاية طول الشجر مائة وعشرون ذراعاً وأوراقها عراض في رأس الشجرة كل ورقة تقطع لرجل سراويل.

وأشجار **الكافور** طوال ولها أغصان وعلى رأسها ورق مثل الترس وفي نفس الشجر

---

(١) **النشيش**: صوت الماء وغيره إذا غلى.

(٢) **السرو**: أي شجر السرو، وهو من فصيلة الصنوبريّات.

عقد، فإذا أراد الرجل الكافور عمد إلى فهر فيعلوها به فيضربها، فإذا أحس بها أنها قد فجرت، عمد إلى حبل فقلع الشجرة وتناثر الكافور الرياحي منها، فيجتمع في كل شجرة نحو ثلاثين منها وأما ماء الكافور فإنه يعمد إلى الأشجار التي لم تعقر فيضرب بالقدوم مواضع العقد، ثم تؤخذ قلّة وتشد على وقع القدوم فيسيل ماء الكافور من تلك الضربة ويجتمع في تلك القلّة.

وبالزنج القرنفل ومشتريه يأتي بالدنانير فيضعها على ساحل البحر وينصرف إلى منزله فإذا أصبح عاد إليه، فيجد هناك القرنفل وتكون الدنانير قد حملت. وبها الخيزران ويقال إنه خيزرانه يبلغ طولها تحت الأرض ست فراسخ.

ولبعضهم في العوسج[1]:

عـذرنـا الـنـخـلَ فـي إبـداءِ شـوْكٍ ... يـذود بـه الأنـامـلَ عـنْ جـنـاهُ[2]
فـمـا لـلـعـوسـجِ الـمـلـعـون أبـدى ... لـنـا شـوْكـاً بـلا ثـمـرٍ نـراهُ
تـراهُ ظـنّ فـيـه جـنـى كـريـمـاً ... فـأبـدى عـدةً تـحـمـي حِـمـاهُ
فـلا يـتـسـلّـخـن لـدفـعِ كـفّ ... كـفـاه لـؤم مـجـنـاه كـفـاهُ

(٤)
وممّا جاء في الأمكنة والأبنية

•

• مكّة

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾[3] وهي حرم إلى يوم القيامة. وأيّ ناحية من الكعبة يصيبها المطر فالخصب في تلك السنة في تلك الناحية. ومن علا الكعبة من العبيد فهو حرّ، وإن الذئب لا يصيد بها الظباء. وإن الطير لا يعلو الكعبة إلا وهو عليل، وإذا طار فانتهى إلى الكعبة افترق فرقتين. وشأن الفيل معروف.

• المَدِينة

تسمى طيبة فإنّ من دخلها وأقام وجد من تربتها وحيطانها رائحة ليس لها اسم في الأراييح، وأنواع الطيب تزداد بها طيباً وقال ﷺ: إن إبراهيم عليه السلام حرّم مكة وأنا حرمت ما بين لابتي[4] المدينة. ونهى أن يعضد شجرها، وقال: لا يدخلها الطاعون ولا الدجال، ولا يكون بها مجذوم قطّ. وقال: اللهمّ حبّب إلينا المدينة كحبّنا مكة وأشدّ

---

(١) العوسج: جنس شجر أغصانه شائكة.
(٢) يذود عن جناه: يدافع عن ثماره.
(٣) القرآن الكريم: العنكبوت/ ٦٧
(٤) بين لابتي المدينة: اللابة الحرّة من الأرض.

وبارك لنا في صاعها ومدّها، وانقل حماها واجعلها بالجحفة.

● **مِصْر**

لم يذكر الله تعالى شيئاً من البلدان باسمه سوى مصر، وذكرها في مواضع بالكناية **فقال**: وقال نسوة في المدينة **وقال**: فلن أبرح الأرض يعني مصر. وسئل بعضهم عن مصر **فقال**: عيش رخي وموت وحي

● **الكُوفَة**

قال ابن عباس: لو كانت البصرة أمة للكوفة فضلّت ما طلبت رغبة عنها.

وقال كوفي لبصري: أتمدّون أرجلكم مع أهل الكوفة، ولقد كانوا يقرؤون بقراءة أسلاف الحرمين. فجاء حمزة الزيات من الكوفة فقرأ بلغة لا تعرفها العرب فتتابع الناس على قراءته حتى سكان دور الخلفاء.

وكانت القضاة والفقهاء على أحكام سلفهم، حتى جاء أبو حنيفة فتتابع كل الناس على رأيه.

● **البصْرة**

قال الأحنف: نحن أعذب منكم برية وأكثر بحرية وأبعد سرية. **وقال خالد بن صفوان**: نحن أكثر منكم ساجاً وعاجاً وديباجاً وخراجاً ونهراً عجاجاً، **وقال**: مياهها قصب وأنهارها عجب وسماؤها رطب وأرضها ذهب، وتبقى النخلة بالبصرة مائة وعشرين سنة وتبقى كأنها قدح وما تطول نخلة بالبصرة إلا أعوجت. **وقيل**: تمثلت الدنيا على مثال طائر فمصر والبصرة جناحاها.

● **وصفُ جماعةٍ من البلدان**

قال الحجّاج لابن القرية: صف لي البصرة، **قال**: حرّها شديد وشرها عتيد. مأوى كل تاجر وطريق كل عابر. **قال**: **فواسط، قال**: جنة بين حمأة وكمأة[1] **قال**: **فالكوفة، قال**: نقصت عن حر **البحرين** وسفلت عن برد **الشأم** فطاب ليلها وكثر خيرها. **قال**: **فالشأم**، قال عروس بين نسوة جلوس أطوع الناس للمخلوق في معصية الخالق.

قال: **فخراسان، قال**: ماؤها جامد وعدوّها جاهد، بأسهم شديد وحرّهم عتيد. **قال**: **فكرمان، قال**: ماؤها وشل[2] وتمرها دقل[3] وعدوها بطل. إن قلّ الجيش بها ضاعوا وإن كثر جاعوا.

قال: **فأصبهان** قال في حاضرة من الأرض زائغة[4] من الطريق الأعظم. **قال**:

---

(١) **الكمأة والكمء**: جنس فطر يعيش تحت الأرض، يميل لونه إلى الغبرة.
(٢) **ماء وشل**: أي قليل. (٣) **تمرٌ دقل**: الدقل أردأ التمر.
(٤) **زائغة**: منحرفة.

وأحسن الأرض مخلوقة الريّ، وأحسن الأرض مصنوعة جرجان[1]، وأحسن الأرض قديمة وحديثة جندي سابور[2] وهو شر البلاد.

ودخل **محمد بن عبد الملك الزيات** على **المأمون فقال**: صف لي **أصبهان** وأوجز. **قال**: هواؤها طيب وماؤها عذب وحشيشها الزعفران، وجبالها العسل؛ إلا إنها لا تخلو من خلال أربع: جور السلطان، وغلاء الأسعار، وقلة مياه الأمطار فأطرق ساعة، **وقال**: لعلّ تجارها مرابون وقُراءها منافقون.

وقال المأمون: صف لي فارساً قال فيه من كل بلد بلد.

وسئل أعرابي عن **شهرزور**[3] **فقال**: إن رجالها لتوّق وعقاربها لبرق أي شائلة أذنابها.

وقال في بغداد: هي الشمطاء الحرقة والعجوز المتدللة والعمياء المتكحلة، والشملاء المختضبة. هواؤها دخان ونسيمها صدام تنقبض فيها أيدي المستغنين، وتصغر أنفس المفضلين. تجارها أسد مفترسون وصناعها لصوص مختلسون جارها حاسد ومزاجها فاسد.

● مضارّ البُلدانِ ومنافعُها

خيبر يحمّ بها كل يوم مقيموها دون الطارئين عليها:

ولكنّ قومي أصبحُوا مثْلَ خيبر   بـهـا داؤهـا ولا يـضـرُّ الأعـاديـا

وقيل حمى خيبر، **وطحال** البحرين، **ودماميل** الجزيرة، **وطاعون** الشأم. ومن أقام **بالأهواز** حولاً فتفقد عقله وجد فيه نقصاً بيناً. ومن أكثر الصوم **بمصيصة**[4] خيف عليه الجنون.

وقصبة **الأهواز** تقلب من نزلها إلى طبائع أهلها، ومحمومها إذا نزعت عنه الحمى عادته من غير علة. وفي جبالها الأفاعي وفي بيوتها الحرارات.

وقيل من نزل **الكوفة** ولم يقرّ لهم بثلاث فليست له بدار بفضل أمير المؤمنين وماء الفرات ورطب المشان. ومن نزل **البصرة** ولم يقر لهم بثلاث فليست له بدار فضل عثمان والحسن ورطب السكر.

وقال حكيم بن جابر: قال الجوع أنا لا حق **بأرض العرب** قالت الصحة: وأنا معك.

● عجائبُ البُلْدان

بشيراز تفاحة نصفها في غاية الحلاوة ونصفها في غاية الحموضة. وبقرب

---

(١) جرجان: مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان، أخرجت العديد من الأدباء والعلماء (انظر معجم البلدان: ٢/ ١٣٩).

(٢) جندي سابور: مدينة بخوزستان بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه (انظر معجم البلدان: ٢/ ١٩٨).

(٣) شهرزور: كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان (معجم البلدان لياقوت: ٣/ ٤٢٥).

(٤) مصيصة: مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم، على مقربة من طرسوس.

قرميسين[1] قرية يقال لها كركان[2] من أخذ من طينها ليلة الميلاد، وطيّن به داره وبيته أمن الغوائل إلى قابل.

وفي بعض جزائر الصين حيّات تبتلع الإبل والبقر، وقردة كالحمير وبمصر حجر من يمسكه في يده يتقايأ ما دام في يده. والسف حجر يطفو على الماء والأبنوس والشير يرسبان فيه والمغناطيس حجر يجذب الحديد، وإذا مسح بالثوم لم يجذب.

وبالأندلس السفلى وبالهند نار تشتعل في حجارة ولو رام أن يحمل منها شعلة لم تتّقد وبمدينة ختن من حدود الصين، طواحين كثيرة يدور الحجر الأسفل والذي فوقه قائم لا يتحرك. وباذربيجان[3] واد لا يقدر أحد أن ينظر إليه.

● أرضُ العَرَبِ

قيل: إن نجداً من العذيب إلى ذات عرق وإلى اليمامة وإلى اليمن وإلى جبلَيْ طيء، ومن ظهر البصرة وهو المربد إلى وجرة. وذات عرق أول تهامة[4] إلى البحر وإلى جدّة. وإن المدينة لا تهاميّة ولا نجديّة، فإنها حجاز فوق الغور ودون نجد. وأنها جلس لارتفاعها عن الغور ونجد

وقيل القرى العربية مكة والمدينة والطائف واليمامة، فأما البحرين فهو خلط فيه عرب وعجم.

● حدّ السّوادِ

من لدن الموصل[5] ماراً إلى ساحل البحر ببلاد عيان من شرقي دجلة. هذا طوله وأما عرضه فحدّه منقطع الجبل، من أرض حاران إلى منتهى طرف القادسية المتصل بالعذيب من أرض العرب، وعليه وقع الخراج والمساحة.

● الأبنيةُ المحْكَمَةُ

من ذلك الخورنق بناه سنمار لكسرى على فرات الكوفة، فلما صعده كسرى أعجب منه وخاف أن يبني لغيره مثله فقتله. وقيل: إنما قتله لقوله أعرف في أركانه موضع حجر إن نقضته تداعى هذا البناء كله. ومن ذلك مارد والأبلق الفرد، وفي المثل تمرد مارد وعز الأبلق.

وغمدان باليمن من أعجب ما بنى الملوك أربعة عشر غرفة بعضها فوق بعض، فهدم الحبشة بعضها وهدم عثمان بعضها، كما هدم آطام المدينة والمشقر وقصر سنداد بالكوفة وفيه يقول الأسود:

ماذا أؤمّلُ بعدَ آلِ محرّق ... تركوا منازلَهم وآلَ إيادِ

---

(١) قرميسين: بلد معروف على مسافة من همذان. (٢) كركان: قرية بفارس (معجم البلدان: ٤/٥١٣).

(٣) أذربيجان: إقليم واسع غربي أرمينية.

(٤) تهامة: السهل الساحلي الضيق الممتد من شبه جزيرة سيناء إلى أطراف اليمن.

(٥) الموصل: مدينة مشهورة تصل بين دجلة والفرات تقع على طرق دجلة وفي مقابلها خرائب نينوى.

أهـل الـخَـوَرْنـقِ والـسّـديـر وبَـارقٍ والـقـصـرِ ذي الـشـرفـاتِ مـن سِـنـدادِ

وبناء الإسكندرية وقد ذكره النابغة في قوله:

وخيّسِ الـجنّ إنـي قـد أذنـتُ لـهُـم يـبـنـونَ تـدْمـرَ بـالـصـفّـاح والـعَـمَـدِ

وكان المنصور تقدّم بهدم إيوان كسرى، وحمل نقضه إلى مدينة السلام. فقال له خالد: لا تهدم بناء دلّ على فخامة قدر بانيه الذي غلبته وأخذت ملكه، فتعجز عنه فيدلّ ذلك على عجز منك، فقال: هذا الميل منك إلى المجوس، وأمر بهدمه فعجز عنه، فقال: يا خالد صرنا إلى رأيك، فقال: الآن أشير أن لا تكفّ عنه. فإن الهدم أيسر من البناء. ويتحدث الناس أنك عجزت عن هدم بناء بناه عدوّك.

وقال المأمون لما سمع هذا: قد حبّب إليّ هذا الخبر، أن لا أبني بناء يعجز عن هدمه.

والهَرَمان قيل كل هرم سمكه أربعمائة في الهواء مبنية بحجارة المرمر والرخام، وغِلظ كل حجر وطوله ما بين عشرة أذرع إلى ثمان أذرع، مهندم لا يستبين مسّاده إلا حادّ البصر، عليها منقور كل عجب من الطب والطلاسم ومكتوب عليه: إني بنيتها فمن ادّعى قوة في ملكه فليهدمها، والهدم أيسر من البناء. وأراد بعض الخلفاء هدمها فإذا خراج مصر لا يقوم به فتركها.

وفي الخبر أن الإسكندرية بقيت مدة لا يدخلها، أحد إلا على بصره خرقة سوداء من بياض جصّها وبلاطها، وقيل بنيت في ثلاثمائة سنة، وكان فيها ستمائة ألف من اليهود خولاً لأهلها.

- **اختيارُ بلدٍ دونَ بلَد**

قيل: لا تقيموا ببلد ليس فيها نهرٌ جارٍ وسوقٌ قائمة وقاضٍ عدل. وقيل: لا تبنى المدن إلا على الماء والمرعى والخصب

- **مدحُ الدورِ الواسعة**

مر النبيّ ﷺ ببناء يبنى، فقال: أوسعوه. وقيل: خير المنازل ما سافر فيه البصر وأترع فيه البدن. وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر: تريد أن تبني دارك فاعلم أنّ عمرانها عمران قليل وخرابها خراب قليل، فاستوسع فإن الهمّة مع السعة. وقال: دارك قميصك فإن شئت فوسّعها وإن شئت فضيّقها.

وسئل بعضهم ما الغنى؟ فقال: سعة البيوت ودوام القوت. وقيل لآخر: ما السرور؟ فقال: دار قوراء[1] وامرأة حسناء، ويسار مع طول البقاء.

---

(١) الدار القوراء: الواسعة.

● **ذمّ الدور الواسعة**

دخل بعض الناس على كبير يبني داراً واسعة، كبيرة الدرع واسعة الصحن رفيعة السمك عظيمة الأبواب، **فقال**: أعلم أنك ألزمت نفسك مؤنة وعيالاً يقلّ حمل مثلهم ولا بدّ لك من الخدم والستور على حسب ما ابتنيته فقد حملت نفسك عناء معنياً.

● **ذمّ الدور الضيقة**

وصف رجل داراً ضيّقة **فقال**: أضيق من أفحوص[١] القطاة، وأضيق من بياض الميم ومن خرق الإبرة ومن عقد تسعين ومن مبعج الضبّ. وقيل شؤم الدار أن تكون ضيقة فيكثر سخط مالكها ولا يرضى بما قسم له فيها. وشؤم الدابة أن لا تكون فارهة، وشؤم المرأة أن لا تكون موافقة.

قال ابن المعتز:

ولكنها في دار سوء كأنها   بقية ناوس على ساحل البحر[٢]

وقال ابن الحجّاج:

في منزلٍ غمر الو   قتُ أهلَه بالرّخاءِ
وقدّم الخاه حتّى   يصحَّ معنى الهجاءِ
خالٍ علَى كلّ حالٍ   من سائرِ الأشياءِ
سوى كنوزِ بطونٍ   مكنوزةٍ في الخَلاءِ
أخافُ فيه وأخشى   من لا يخافُ هِجائي
ومن ضِراطي وشعْري   في وجْهه بالسّواءِ
جزاهمُ الله عنّي   تصحيفَ معنَى الهجاءَ

● **الحثّ على إحكام البناء**

لما بلغ **عمر** رضي الله عنه أن سعداً وأصحابه بنوا بالمدر كتب إليهم: قد كنت أكره إليكم البنيان بالمدر. أما إذا فعلتم فعرضوا الحيطان وأطيلوا السمك وقاربوا بين الخشب.

ولمّا بنى **معاوية** رضي الله عنه داره باللبن دخلها **الروم فقالوا**: ما أجودها للعصافير فهدمها وبناها بالحجر. **وقال يحيى البرمكي**: ينبغي للإنسان أن يتنوق في دهليزه فهو وجه الدار ومنزل الضيف ومجلس الصديق إلى أن يؤذن له.

● **الدّارُ الحَسَنة**

دخل **المعتصم** على **خاقان** في داره عائداً له، والفتح[٣] يومئذ غلام **فقال له**: يا فتح

---

(١) **الأفحوص**: الموضع الذي تفحص فيه القطاة التراب لتبيض فيه.

(٢) **ناوس**: أي الناووس وهو حجر منقور توضع داخله جثة الميت.

(٣) **الفتح**: يريد الفتح بن خاقان الذي أصبح وزير المتوكل، وهو تركي الأصل.

دارنا أحسن أم داركم؟ قال دارنا ما دام أمير المؤمنين فيها.

وقال جعفر بن سليمان ليس في الدنيا أحسن من داري قيل: كيف؟ قال: لأن العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد.

وقيل **لأبي الدهمان** أين دارك؟ فقال: إذا دخلت سكة بني العنبر، فالدار التي تدل على شرف أهلها هي داري. وقيل أجود الدور وأكثرها غلة ثلاثة دار البطيخ بسرّ من رأى[1]، ودار الزبير بالبصرة، ودار القطن ببغداد.

قال شاعر:

مــنــزلٌ فــيــه كــلّ مــا صــبَــتِ ... الــعــينُ إلــيــهِ مــن بــهْــجــةٍ وضــيــاءِ

وقال رجاء بن الوليد:

كــانَ الــربــيــعُ بــالــزخــارفِ أرضَــه ... وحسْنَ السّماءِ بالكواكبِ سقْفهُ

وصف بعضهم دهليزاً فقال:

ودهــلــيــزِ دارٍ فــيــه لــلــحُــسْــن بــهــجــةٌ ... ولــلــنــفْــسِ فــيــه لِــلّــذاذة أوطــارُ

إذا دخــلَ لــم يــخــتــبــر مــا وراءَه ... تــوهّــمَــه مــن طــيــبــهِ أنــه الــدارُ

وقال عبدان:

دهــالــيــزُنــا ضــاقَــتْ لــخــوفِ نــزولِــهــم ... كــأنّــا يــهــودٌ نــدخــلُ الــبــابَ ســجّــدا

● القُصورُ الرفيعَة

لما بنى **عيسى بن جعفر** بناءه بالبصرة، دخل إليه **عبد الصمد** فقال: بنيت أجلّ بناء بأطيب فناء، وأوسع فضاء على أحسن ماء بين صرار ورعاء وحيتان وظباء، فقال **عيسى**: كلامك أحسن من بنائنا البحتريّ في الجعفرية:

مــخــضــرةٌ والــغــيــثُ لــيــسَ بــســاكــبٍ ... مــبــيــضّــةٌ والــلــيــلُ لــيــس بــمــقــمــرِ

أربى على هممِ الملوكِ وغضّ من ... بنيانِ كِسْرى في الزّمانِ وقيصَرِ[2]

عــالٍ عــلــى لــحْــظِ الــعــيــونِ كــأنّــمــا ... ينظرْنَ منه إلى بياضِ المشتري[3]

مــلأت جــوانــبُــه الــفــضــاءَ وعــلّــقــتْ ... شــرفــاتُــه قــطــعَ الــســحــابِ الــمــمْــطِــرِ

وقال ابن عيينة

فــيــا حــســنَ ذاكَ الــقــصــرِ مــن مــتــنــزهٍ ... بأفيحَ سهلٍ غيرِ وعرٍ ولا ضنْك[4]

---

(١) **سرّ من رأى**: هي بلدة السامراء في العراق، بناها العباسيون سنة (٨٣٦م)، على مسافة ١٠٠ كيلو متر شمالي بغداد.

(٢) **أربى**: زاد ـ **غضّ منه**: قلّل من شأنه ـ **كسرى**: من ملوك الفرس ـ **قيصر**: ملك الروم.

(٣) **المشتري**: كوكب يتفاءل به، بخلاف المريخ الذي يتشاءم باسمه.

(٤) **ضنك**: ضيق.

بغرسٍ كأبكارِ الجواري وتربةٍ كأن ثراها ماءُ وردٍ على مِسْكِ

كأنّ قصورَ القوْمِ ينظرْن حولَه إلى ملكٍ مترفٍ على منبر المُلْكِ

يدلّ عليها مستطيلاً بحسنه ويضحكُ منها وهي مطرقةٌ تبْكي

وقال الأشعري في قلعة افتتحها المسلمون بخراسان:

محلّقةٌ دونَ السماءِ كأنّها غمامةُ صيفٍ زالَ عنْها سحابُها

فما يلحقُ الأروى شماريخَها الذرى ولا الطيْر إلا نسرُها وعقابُها[1]

فما روعت بالذئبِ ولدانُ أهلِها ولا نبحَت إلا النجوم كلابُها

وقال أحد الخالديين:

وخرقاء قد تاهتْ على مَنْ يرومُها لمرقَبِها العالي وجانِبِها الصعْبِ

يزرّ عليها الجوُّ جيبَ غمامةٍ ويلبسُها عِقداً بأنجمهِ الشهْبِ

● **اختيارُ طرفِ البلدِ ووسطِهِ**

قيل: الأطراف للأشراف وقيل لرجل: في أيّ موضع من القرآن الأشراف في الأطراف؟ قال: في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾[2] فهذا أشرفهم وكان أقصى المدينة وطرفها.

وسأل الرشيد عبد الملك بن صالح عن منزله أهو لك؟ فقال: هو لك ولي بك. قال: كيف هواؤه وماؤه؟ قال أطيب هواء وأعذب ماء. قال: كيف ليله؟ قال: سحر كلّه.

● **أبنيةٌ متفاوتة**

استدان بعض الحمقاء خمسمائة درهم فأنفقها على مخزنه، فبلغ ذلك بعض إخوانه، فقال: ليت شعري ما يريد أن يخرأ فيه؟ وسأل رجل آخر: كم بيت في منزله؟ فقال صفة وكنيفان. فقال: هذا تقطيع رجل مبطون.

● **من بَنى بناءً نفعُه لغيره**

لما بنى الحجاج مدينة واسط قال لابن جامع: كيف ترى؟ قال: بنيته في غير بلدك وورثته لغير ولدك.

قال شاعر:

ألم ترَ حوشياً أضحى ويبني بناءً نفعُه لبني نفيلَه

يؤمل أن يعمرَ عمْرَ نوحٍ وأمرُ الله يأتي كلَّ ليلَه

---

(١) العقاب: من الطيور الجارحة.

(٢) القرآن الكريم: القصص/ ٢٠.

وقال:

لِدُوا لِلمَوْتِ وابنُوا لِلخَرابِ فكلُّكم يصيرُ إلى التُرابِ[1]

وبنى أزدشير[2] بناء عظيماً فدخله هو ووزيره، فقال: هل فيه عيب؟ قال: عيب عظيم لا يمكنك إصلاحه. لك منه خروج لا دخولَ بعده، أو دخول لا خروج بعده. فقال: لقد نغّصته عليّ.

ودخل ابن السائب القاضي على المتّقي وقد بنى داره، فقال له: كيف ترى؟ فقال: تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنّات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً.

● الرغبةُ عنِ البناء

قيل ليزيد بن المهلب: مالك لا تبنى بالبصرة داراً؟ فقال: أنا لا أدخلها إلا أميراً أو أسيراً. فإن كنت أسيراً فالسجن داري، وإن كنت أميراً فدار الإمارة داري.

ومرّ رجل من الخوارج على دار تبني، فقال: من هذا الذي يقيم كفيلاً؟ وقيل: كل مال لا ينتقل بانتقالك فهو كفيل. ولما بنى مروان داره قيل لأبي هريرة: كيف ترى؟ فقال: بناء شديد وأمل بعيد وعيش زهيد.

● حرصُ الإنسان على البناء وذمُّ الاشتغال به

قيل خلق الله ابن آدم من تراب فهمته في حفر التراب، وخلقت المرأة من ضلع الرجل فهمتها في الرجل. وقيل: ليس في الأرض جواد ولا بخيل ابتاع داراً إلا هدم هذا وبنى هذا وإن قلّ.

ونظر الحسن إلى قصور لبعض المهالبة فقال: يا عجباً رفعوا الطين وركبوا البراذين[3] واتخذوا البساتين وتشبهوا بالدهاقين، فذرهم في غمرتهم حتى حين.

ومر عبد الله بن جعفر بعبد الله بن صفوان فأدخله بساتين اتخذها وقال له: كيف ترى؟ قال: أراك خالفت ما قال لك إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾[4]، وأنت قد اتخذتها بساتين.

● المعيّر بأن شرفَه بناؤه

هجا بعضهم بني عميرة وكان لهم دار شريفة في الدور الشارعة على المسجد فقال:

بنو عمير مجدُهمُ دارُهم وكلُّ قومٍ لهمْ مجدُ

---

(١) إلى التراب: وفي رواية إلى يباب. (٢) أزدشير: من ملوك الفرس.

(٣) البراذين: جمع برذون وهو دابة الحمل الثقيلة، والتركيّ من الخيل.

(٤) القرآن الكريم: إبراهيم/ ٣٧.

كأنهم فقع بدوية ... ليس لهم قبلُ ولا بعدُ

وهجا بعضهم بني عدي فقال:

ليسَ لهم مجدٌ سوى مسجدٍ ... به تعدوا فوقَ أطوارِهم
لو هُدمَ المسجدُ لم يُعرَفوا ... يوماً ولم يُسْمَعْ بأخبارِهم

وقال عمر الخارق:

قد رأينا حسنَ سابا ... طك والدارَ الجليله
وعلمنا أنّ فيها ... كلُّ ما يكفي قبيلَه
غيرَ أنّ الجنّ لا تخسِن ... في خبرك حيلَه

وقال:

يا منْ تشرّفَ بالبُنيان يرفعهُ ... ليسَ التشرّفُ رفعَ الطين بالطّينِ
إذا أردتَ شريفَ الناس كلّهم ... فانظر إلى ملكٍ في زيّ مسكينِ

وقال مسكويه:

لا يعجبنّك حسنُ القصرِ تنزلُه ... فضيلةُ الشمسِ ليسَتْ من منازِلها

● الجار

قيل: الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق. **وكان ابن المقفع** بجنب داره دار، وكان يستامها[(١)] وصاحبها يمتنع من بيعها. فاتفق أن ركب صاحب الدارين واحتاج إلى بيعها فعرضت عليه. **فقال**: ما قمت إذاً بحرمة الجوار إن رغبت من ابتياعها بعد أن باعها معدوماً. وحمل إليه ثمن الدار **وقال**: بقّ دارك عليك ورد هذا على دينك.

وساوموا جاراً لفيروز على داره بثمن **فقال**: هذا ثمن الدار فأين ثمن الجوار؟ **قالوا**: وهل يباع الجوار؟ **قال**: نعم لا أبيعه إلا بإضعافه دراهم فبلغ فيروز فأرسل إليه بثمن الدار.

● هدمُ دورِ السلاطين المتقدّمة

قيل لابن الزبير: أهدم دور بني أمية. **قال**: لا أفعل إن ظفرت بهم فهي مبنية أفضل وإن عطفت عليهم بأرحامهم فهو أجمل. فلما قتل ابن الزبير لم تمس لهم لبنة ولما همّ أهل البصرة بهدم دار زياد وانتخاب أهلها، **قال الحسن رضي الله عنه**: قلّ بلدة خربت الدار التي بنيت عليها إلا خربت وإن البصرة بنيت على دار زياد، فانتهوا عن ذلك.

● بيعُ الدار وابتياعُها

قيل: لتكن الدار أول الشيء الذي يبتاع وآخر ما يباع. **وقيل للأحنف**: أي المال أبقى وأوفى؟ **فقال**: المساكن والأرضون.

---

(١) استام يستام فلاناً السلعة: سأله تعيين ثمنها.

وقال ﷺ: من باع داراً أو عقاراً فلم يرد ثمنهما في مثلها، كان كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف. **وفي حديث آخر**: فذلك مال جدير أن لا يبارك فيه. وباع رجل داراً فلما أراد أخذ الثمن وأشهد، **قال البائع**: أما أنك قد أخذتها غليظة المؤنة قليلة المعونة، **فقال المشتري**: أما أنك قد أخذتها سريعة الذهاب بطيئة الاجتماع.

● **ذكرُ غلّةِ الدّار**

قيل: غلة الدار مسيل، وغلّة النخل كفاف، وغلّة الحب غنى. **وقال الحكم بن سعيد** قال لي ملك سرنديب: صف لي أهل البصرة، **فقلت**: قوم لهم نخل يأكلون فضول ثمارهم، وقوم لهم دور يكرونها، وقوم لهم أرقاء يستعملونهم، وقوم لهم أموال يغدون إلى الأسواق فيأكلون فضولها **فقال**: من كان معاشه من كراء منزله فلئيم، ومن استعمل الأرقاء فكلب ولكن أصحاب النخل بها.

● **نوادرُ في كِرائها**

دخل رجل ليكتري حجرة **فقال**: أين المطبخ؟ **قيل**: في الجيران من يطبخ لك. **قال**: فأين المخبز؟ **قيل**: هم يخبزون لك. **قال**: فأين المرتقى إلى السطح؟ **قيل**: على باب الدار ساحة يطيب النوم بها. **قال**: إن كانت حوائج الدار كلها خارجها فنحن خارجون ونربح الأجرة.

● **الرحاء**

قال بعض الشعراء فيها:

وضيفَيْن جاءا من بعيد فقربا ... على فرش حتّى اطمأنَّ كلاهُما
قريْناهما ثم انتزعْنا قِراهما ... لضيفينِ جاآ من بعيدٍ سِواهما

وقال:

أغدو علي كالناب في هِجارها ... الشارفِ النافرِ من حوارها
بصاحب قد ضجَّ من إمرارها ... كأنَّ فوقَ النّار من غبارها
شيب عجوز شفَّ من خِمارها

● **الحمام**

قال النبي ﷺ: بئس الحمّام يهتكُ العورة ويذهب الحياء

وقال الرقاء:

يتمشّى إلى النعيم الذي فيـ ... ـه صلاحُ الأجسادِ والأرواحِ
بيتُ ريفٍ ترودُ عينُك فيـ ... ـه بسوادِ الطلى وبيضِ الفقاحِ

وقيل للمفضل الرقاشي: صفِ الحمّام، **فقال**: نعم البيت الحمّام يذهب

القشافة[1] ويعقب النظافة، ويهضم الطعام ويجلب المنام، وينفي الغضب ويقضي الإرب. قيل: قد مدحته، فذمّه قال: بئس البيت الحمام يهتك الأستار ويؤلف الأقذار ويحرق كالنار، وقال شاعر:

وبيتُ خزيٍ تَرى فيه العُراةَ كمَا ... يومَ القيامةِ موقُوفون للنار
أيدي عُفاةٍ وقد مدّت إلى ملكٍ ... يعطي الجزيلَ بقلْبٍ غيرِ خوّار[2]

ورد أعرابي الحضر فمر بحمّام فقيل له: أدخل وتطهر فدخل فَشجّ رأسه، فقال:

وقالوا تطَهّر إنه يومُ جمعةٍ ... فرحتُ من الحمّام غيرَ مطهّرِ
وزوّدتُ منه شَجّةً فوقَ حاجبي ... بفِلْسِيْن إني بئسما كان متْجَري
وما تحْسِنُ الأعرابُ في السّوقِ مِشيةً ... فكيفَ ببيتٍ من رُخامٍ ومَرْمَرِ

وقال السريّ:

ذو قبّة كسماءٍ والبدورُ لها ... جاماتُها في أعالي الجوّ تَنْسَرِجُ
حرّ وبردٌ وماءٌ والهواءُ بهِ ... معدل منْهما ما شانَه عِوَجُ

وقال:

كأنّ ما قببَ من سقْفه ... قحفٌ من البلْوْرِ مكْبوبُ

وقال ابن المعتز:

وحمّامُنا كالعَجوز ... ويشقَى بها الواردُ
فبيتٌ له منتنٌ ... وبيتٌ له باردُ

● النورَة

قال السري الرفاء:

ومجرّد كالسيفِ أسلمَ نفسه ... لمجرّد يكسوهُ ما لا يُنْسَجُ
ثوبٌ تمزّقه الأناملُ رقّةً ... ويصيبُه الماءُ القراحُ فينهَجُ
وكأنّه لما انتهى في خضرةٍ ... ثوبانِ ذا عاجٌ وذا فيروزَجُ

وقال:

وقمص حجارة نسجت بماءٍ ... ويلبسُها الغنِيُّ معَ الفقير

● الأطلالُ البالية

قال بكر بن النطاح:

لعبَ البلاءُ بطولِها ورسومِها ... لعبَ الصبابةِ في فؤادِ العاشقِ

---

(١) القشافة: سوء الحالة.

(٢) الخوّار (صيغة فعّال للمبالغة): الضعيف.

وقال معلى الطائي:

لَبِسنَ البِلى حتّى كأنَّ رسومَها طَعِمْنَ الهوى أو ذقنَ هجرَ الحبائبِ

وقال:

هو مُلقى على الطّريقِ اللّيالي

وذكر أعرابي قوماً فقال: كانوا بدور جموع وجمال ربوع، فصارت منازلهم معتصر الدموع، جرت بها: الريح أذيالها وحطت بها الغيوث أثقالها وسلبتها الأيام جمالها.

● **الباليةُ بالمطَر**

قال ماني:

المزنُ يَمْحو بكفٍّ مالُه قلمُ[1]

وقال:

رهينةُ أرواحٍ وصوبُ رُعودِ

وقال بشّار:

وأبْدي البِلى فيها سُطوراً مبيّنَةً عباراتُها أنّ كلّ بيْتٍ سيدْثُرُ[2]

وقال ابن المعتز:

وحِيطانٌ كشطرنَجٍ صفوفٌ فما تنفكُّ تضربُ شاه ماتَا

وقال:

أرى سرّمرا مذ سنين كثيرة تزيدُ خَراباً كلّ يومٍ وتذبُلُ[3]

كأنّ بها داءً دخيلاً فجسمُها على ما بها منْ سقمِها يتسلّلُ

● **دارٌ شوهدَ منها النعيم**

قال:

لعهدي به والسّعدُ في جنباتِه وثغرُ نعيمُ الخفضِ يُبدي تبسّما

● **استقباحُ المنزلِ لارتحالِ الحبيب عنه**

قال سليمان المحاربي:

إذا لم تكنْ ليلى بنجْدٍ تغيّرتْ محاسِنُ دنيا أهلِ نجدٍ وطيبُها

وقال:

فما أحسنَ الدنيا وفي الدا رِ خالدٌ وأقبحَها لمّا تجهّزَ غازيا

وقال علي بن محمد:

إنّما الدارُ بالحلولِ فإنْ همُ فارقُوها فحيثُ حلّوا الديارا

---

(١) المزن: السحاب الممطر. (٢) سيدثر: الدثور: الزوال والفناء.

(٣) سرمرا: أي سرّ من رأى أو السامراء وهي مدينة في شمال العراق.

- **دارٌ خلَتْ عن كثبِ**

أنشد أحمد بن أبي طاهر:

أمـا الـطـلـولُ فـمـخـبـرا ... تٌ أنـهـم ظـعَـنُـوا قـريـبـاً
لـم يـغـفِـهـا مـطـرٌ ولـمْ ... تـسـفُ الـريـاحُ بـهـا كـثـيـبـا
وطء الـنـعـالِ وأثـر مـفـ ... ـتَـرَش ومـغـتَـسـلاً رطـيـبـا

- **الأطلال اللائحة**

مرّ الفرزدق بمؤدب ينشده صبي قول لبيد:

وجلا السـيـولُ عن الطـلـول كـأنـهـا ... زبُـرُ تـجـد مـتـونَـهـا أقـلامُـهـا[١]

فنزل وسجد فقيل: ما هذا؟ فقال: أنتم تعرفون سجود القرآن، وأنا أعرف سجود الأشعار. وهذا البيت موضع سجدة.

وقال طرفة:

يلوح كباقي الوشم في ظاهرِ اليَد

قال أبو نواس:

لـمـن طـلـلٌ تـزدادُ حـسْـنُ رسـوم ... عـلـى طـول مـا أقـوَتْ وطـيـب نَـسـيمِ
تـجـافَـى الـبِـلـى عنهُـنَّ حتّـى كـأنـمـاً ... لـبِـسْـنَ عـلـى الإقـواءِ ثـوْبَ نَـعـيـمِ

وقال البحتري:

دمـنٌ مـواثِـلُ كـالـنـجـومِ وإن عـفَـت ... فـبـأيّ نـجـم لـلـصّـبـابـةِ تَـهـتَـدي

وقال مخلد الموصلي

لـم تـجـرِ فـيـهـا الـصّـبَـا إلا مـسـلـمـةً ... ولـم يـشُـنْ وجـهَـهـا الأرواحُ والـدِّيمُ

- **عرفان المركوب المحال المعهودَة**

قال المتنبي:

مررتُ على دارِ الحبيبِ فحمحَمَتْ ... جوادي وهلْ تشكُو الجيادُ المعاهد[٢]
وما تـنكرُ الـدهـماءُ من رسـمِ منزلٍ ... سقتْهـا ضريبَ الشوْلِ فيهِ الوَلائد[٣]

وقال السلامي:

أنـا الـمـشـوقُ فـمـا لـلـخـيـل والإبـل ... تـحـنّ قـبـلـي إذا مـرّتْ عـلـى طـلَـلِ

---

(١) الزبر: الكتب، جمع زبور. (٢) حمحم: ردّد صوته إذا رأى من يأنس به.
(٣) الولائد: جمع وليدة وهي الخادمة أو الأمَة أو المولودة.

● **استبدالُ الدار بأهلِها الوحوش**

قال بعضهم:

عهدتُ بها وخشاً عليها براقعُ ... وهذي وحوشٌ أصبحَت لم تبرقَعِ

وقال الوائلي:

فكَمْ آنسٍ بُدِّلَتْ منه بنافرٍ ... وحالي الشوى بدِّلَتْ منه بعاطلِ(١)

وقال أبو سعيد الرستمي:

ظباءٌ سرت بالأبطحَيْن عواطِلا ... وكنتُ أراها في الرعاثِ وفي الحجلِ(٢)

● **الدارُ المتغيرةُ بالرياح**

قال ذو الرمّة:

رسومٌ كساها لونُ أرضٍ غريبةٍ ... سوى أرضِها منها الهباءُ المغربَلُ

وقال النابغة:

كأنَّ مجرَّ الراسياتِ ذيولُها ... عليهِ قضيمٌ نمَّقَتْهُ الرواسِمُ(٣)

وقال:

وأربَتْ بها الأرواحُ حتّى كأنّما ... تهادَيْن أعلى رتبة بالمناخِلِ

وقال الحماسي:

تعفُوهُ بالغدوِّ والأصائلِ ... كلّ هدوجٍ ذات ذيلٍ ذائلِ

كأنّما يُنْخَلُ بالمناخِلِ

وقال التنوخي:

كأنَ إرتجاس الريحِ في جنباتها ... إذاعةُ شكوى أو سرارُ تعاتُبِ

● **استطابةُ أرضِ المحبوبَ**

قل بعض الأعرابِ:

أرى كلَّ أرضٍ دمنتها وإن مضَتْ ... لها حججٌ تزدادُ طيباً ترابُها

وقال النميري:

تضوّعَ مِسْكاً بطنُ نعمان إذْ مشَت ... به زينَبُ في نِسْوةٍ خفراتِ(٤)

---

(١) **الشوى:** ما هو ليس مقتلاً من الأعضاء، والشوى رذال المال.

(٢) **الرعاث:** القرط، جمع رُعْث.

(٣) **القضيم:** السيف، والصحيفة ـ **الرواسم:** جمع روسم وهو الخاتم وما يطبع به الطين، والرواسيم: كتب كانت في الجاهلية.

(٤) **النسوة الخفرات:** الحييات.

وقال:

استودعت نشرَها الريّاحُ فما ... تزدادُ إلا طيباً على القِدَمِ

● **دارٌ تفانى سكانها**

قال ذو الرمّة:

منازلُ ألآف آتى الدهرُ دونَهم ... وما الدّهرُ والألاف إلا كذلك

وقال أعرابي:

تشكو إليّ الدارُ فرقةَ أهلِها ... وعندي ما بالدارِ من فرقةِ الأهلِ

أخذه محمد بن حبيب فقال:

طلَلانِ طالَ عليهما الأمدُ ... درسَا فلا علَم ولا قصَدُ

لبسا البِلى فكأنما وجَدا ... بعْد الأحبّةِ مثلَ ما أجِدُ

● **محاورةُ الديّار ومجاوبتُها**

قال ذو الرمّة:

وقفتُ على ربعٍ لميّةَ ناقتي ... فما زلتُ أبكي عندَه وأخاطبُه

وأسقيهِ حتّى كادَ مِمّا أبثّه ... تخاطِبني أحجارهُ وملاعبُهُ

● **البكاءُ في الديارِ الدارسَة**

قال بشّار:

وقفتُ بها صحْبي فظلّت عِراصُها ... بدمْعي وأنفاسِي تراحُ وتمطرُ

وقال العتابي:

منازلُ لم تنظرْ بها العينُ نظرةً ... فتقْلِع إلا عن دموعٍ سواكِبِ

وقال الصمة:

أخادعُ عنْ أطلالِها العينَ إنه ... متَى تعرفُ الأطلال عنك تذيعُ

● **المنعُ من البكاءِ عليها ومساءلتها**

قال البحتري:

لا تقِفي على الدّيار فإنّي ... لستُ من أربعٍ ورسمٍ محيلِ(١)

في بكائي على الأحبّة شغلٌ ... لأخي اللهوِ عن بُكاء الطلولِ

وقال أبو نواس:

يا كثيرَ النّوحِ في الدّمَنِ ... لا عليها بل على السكَنِ

---

(١) الرسم المحيل: الدارس.

سُنَّةُ العُشّاقِ واحدةٌ ... فإذا أحببتَ فاستكِنِ

وقال ابن المعتز:

إنّ دمعي لضائعٌ في رسومٍ ... وسؤالي عن المُحالِ محالُ

وقال:

أحسنُ من وقفةٍ على طلَلِ ... ومن بكاءٍ في أثر مُختَمِلِ
كأسُ صبوحٍ أعطتْك فضلتَها ... كفُّ حبيبٍ والنقلُ من قُبَلِ[1]

- **معاتبةُ من لمْ يقِفْ عليها**

قال إسحاق بن إبراهيم:

يا ذا الذي جازَ الديارَ ولمْ يقِفْ ... قفْ لا وقفْتَ أما ترَى أطلالَها
لو كنتَ ذا وجدٍ بساكِنها لما ... جاوزْتَها حتى أطلْتَ سؤالَها[2]

- **الاستسقاءُ للدار**

قال أبو تمّام:

لا زلتِ ناضرةَ العِراصِ ولم تزلْ ... فيكِ الرياحُ ضعيفةَ الأنفاسِ[3]

وقال ابن الرومي:

لا يحرِمِ اللّهُ الطلولَ الدرسَا ... أقاحياً وسوْسناً ونرجِسَا
يكادُ ريّاه إذا تنفّسَا ... ينشيء في تلك المواتِ أنفسَا[4]

وقال الوابلي:

سقيتِ رجوعَ الظاعنين فإنه ... غنى لك عن سُقْيا الغُيوثِ الهواطلِ

- **الدعاءُ على الدار**

قال زياد بن جملة:

إذا سقى الله أرضاً صوبَ غاديةٍ ... فلا سقاهُنّ إلا النارَ تضطرمُ[5]

- **تنكرُ الدار وعرفانُها**

قال امرؤ القيس:

لمَنْ طللٌ درستْ دارُه ... وغيّره سالفُ الأخرسِ

---

(١) الصبوح: خمر الصباح - النقل: ما يتناقله في مجلس الشراب من فستق وتفاح ونحوهما.

(٢) الوجد: المحبة.

(٣) العراص والعرصات: جمع عرصة وهي الساحة الواسعة أمام الدار.

(٤) ريّاه: رائحته.

(٥) الغادية: السحابة الممطرة في الغدوة، باكراً.

تـنـكـره الـعـيـنُ مـن حـادث　　ويـعـرفـه شـغـفُ الأنـفُـسِ

وفيه:

تـعـرفـهُ الـعـيْـنُ ثـم تـنـكِـرهُ

وفيه:

فـتـعـرفـهُ عـيْـنـي ويـنـكـرهُ فَـمِـي

وقال البحتري:

وما أعرفُ الأطلالَ من بطنِ توضحَ　　لـطـولِ تـعـفّـيـهـا ولـكـن إخـالُـهـا

- **الأثافي والرّماد**

قال بشر:

كـأنّ خـوالـداً فـي الـدّار سـفـعـاً　　بـعـرصـتِـهـم حـمـامـاتٌ وقـوعُ

وقال جرير:

مَـطـايـا الـقـدْر كـالـحِـدا الـجـثـوم

وقيل: ما بقي إلا ثلاث سفع كحمام وقع، كانت مطايا القدور فانهلن في عرصة الدور، وقال شاعر:

أشاعتْ كـالـخيلانِ في خدّ كاعبٍ　　وسفعٍ كنقطِ الثاء من كفّ كاتبِ(١)

وقال الكميت:

إلا ثـــلاثـــاً فـــي الـــمـــقـــا　　مَـة مـا يـحـولـهُـنّ نـاقـلُ

سـفـعُ الـحـدودِ كـأنّـمـا　　نـثـرتْ عـلـيـهـن الـمـكـاحِـلُ

وقال ابن المعتز:

عـفـا غـيـرُ سـفـعٍ مـاثـلاتٍ كـأنّـهـا　　خدودُ عذارى مسّهُنّ شُحوبُ(٢)

وقال آخر:

رمـادٌ كـمـا طـارَ عـلـى بـوّ ظـائـر

وقال الراعي:

أنـخْـنَ وهـنّ أغـفـالٌ عـلـيْـهـا　　وقـد تـركَ الـصـلاءُ بـهـنّ نـارا

- **النؤي**

قال أبو تمام:

ونـؤيٍ مـثـل مـا نـقـصِـم الـسّـوارا(٣)

وقال:

والـنـؤيُ أهـمـدَ شـطـرُه فـكـأنّـه　　تـحـتَ الـحـوادثِ حـاجـبٌ مـقـرونُ

---

(١) الخيلان: جمع خال ـ الكاعب: الشابّة التي كعب ثديها.

(٢) السفع (هنا): حجارة الموقد.　　(٣) النؤي: الحوض حول الخيمة.

وقال:

ونؤيٍ كمقلى القَوسِ حالَتْ شحوبُه

وقال التنوخي:

وعـطـفـنـا نـؤي كـنـونٍ عـرقـت

● الوَتد

قال ابن مقبل:

وقـلـدتُ أرسـانَ الـجـيـاد مـعـبـداً ... إذا مـا ضـربـنـا رأسَـه لا يـرنـخُ

فـبـاتَ يـقـاسِـي بـعـد مـا شجّ رأسَـه ... فـحـولا جـمـعـنـاهـا تـشبّ وتـضـرح

(٥)

وممّا جاء في المفازة

●

قال بعضهم:

وبـيـداءَ سـمـحـالٍ كـأنّ نـعـامَـهـا ... بـأرجـائـهـا الـقـضـوى أبـاعـرُ هـمـلُ

ترى الـثـعـلـب الـحـولـيّ فـيـهـا كـأنّـمـا ... إذا مـا حـلَلْـنـاهـا نـر حـصـان مـجـلـلُ

وقال بعضهم:

كـأنّـمـا الـمـكـاءُ فـي بـيـدِهـا ... سـرادقٌ قـد أوقـدَتْـه الأصـلُ(١)

وقال:

تـخـالُ بـهـا راعـي الـحـمـولـةِ طـائـرا

● الطريقُ الواضِحُ

لاحبٌ كقرني الثعبان وكفرق الرأس وكحصير الراملات، قال شاعر:

كـأنـه نـشـطـب بـالـسـرو مـرمـول

وكالسحل اليماني وكظهر برجد.

وقال الراجز:

عـــودٌ عـلـى عـودٍ لأقـوامٍ أول ... يـمـوتُ بـالـتّـرْكِ ويـحـيـا بـالـعـمَـل

وقال آخر:

مـلـسُ الـحَـصَـى بـدرس مـا لَـم يـبْـسـس

---

(١) المكاء: جمع مكاكي طائر من القنبر وهو أبيض اللون ـ الأصل: جمع أصيل وهو الوقت من العصر إلى الغروب.

● **المفازةُ المهلكة للمطيّ**

وقال عمرو بن معدي كرب:

بـه جـيـف الـلـواغـب بـالـيـات كـأن عـظـامَـهـا الـرخْـمُ الـوقـوعُ[1]

وقال كثيّر:

بـدويـةٌ يـكـونُ بـهـا كـثـيـراً نـتـاجُ الـمـعـجلاتِ من الـسّـخـالِ

وقال الموسوي:

تـلقى الأحبّةُ قتلي في مسالِكها دياتـهـا فـي رقـابِ الـفـرز والأكـمِ

● **المفازة التي تضبح منها المطايا**

قال امرؤ القيس:

عـلـى لاحـب لا يـهـتَـدي لـمـنـارِه إذا ساقَه العودُ النباطي جرجَرا[2]

● **المفازة المجهولة**

وصف بعضهم مفازةً فقال: هي غبراء الجوانب مجهولة المذاهب، تقطع المطا ويحار فيها القطا.

قال علقمة:

ودويّـة لا يَـهـتـدي لـفـلاتِـهـا بـعـرفـان أعـلامٍ ولا ضـوء كـوكـبِ

وقال:

وفـي ذكْـرِهـا عـنـدَ الأنـيـسِ خـمـولُ

وسأل رجل أعرابياً عن مفازة **فقال**: صادفتها عانسة عذراء، فافترعتها بعيرانة[3] أدماء.

وقال الوزير الرئيس أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم:

وبـهـماء مثلِ الوهْم عذراء أعرَضَتْ فـقـالـتْ لـنـا نكْحا وقلْنا لـهـا خطْبا

● **المفازة الواسعة**

قال دعبل:

وفـضـاءٍ يـرجـعُ الـطّـرفُ بـهِ قـبـلَ أن يـرجـعَ مـأواه الـبـصَـرُ

وقال ديكُ الجن:

يـا ربُّ خـرقٍ كـأن الـلّـهَ قـالَ لـه إذا طـوتْـك رقـابُ الـقـومِ فـانـتـشِرِ

---

(١) **اللواغب**: جمع اللاغب الضعيف.

(٢) **اللاحب**: الطريق الواضح.

(٣) **العيرانة**: الناقة.

وقال ذو الرمة:

دوٌّ ككف المشتري غيرَ أنه ... بساط لأخفاف المراسل واسع

وقال:

مجهولةٌ تغتالُ خطوَ الخاطي

وقال المتنبي:

مهالكُ لم يصحَبْ بها الذئبُ نفسَه ... فلا حملتْ فيها الغرابَ قوادمُه[1]

وقال:

مشوّهةُ المعالمِ واليَفاعِ

وقال المأموني:

وكأن العرارَ راحةُ داعٍ ... أو مَطا ساجدٍ عليه ملاءُ

- **المفازة الموصولة بالأخرى**

وقال جابر بن حيي:

إذا زال رعنٌ عن يديها ونحرِها ... بدا رأسُ رعنٍ واردٍ متقدّمِ[2]

وقال آخر:

إذا قطعنا علَماً بدا علَمْ[3]

- **المفازة التي يلمَعُ فيها الآل**

وقال عدي بن الرقاع:

وإذا بدا علَمٌ لهنّ كأنه ... في الآل حينَ يرى ذؤابةُ عالمِ

ووصف أبو النجم جبلاً في الآل فقال:

سائخٌ ماءهم بالرسوبِ

وقال المرقش في وصفه:

رؤوسُ رجالٌ في خليجٍ تغامس

وقال آخر:

كأن أعلامَها في آلها القزع[4]

وقال آخر:

وقوض الآلِ ساحرةُ السّراب

---

(١) القوادم: الريش الطويل في جناح الطائر.

(٢) الرعن: أنف الجبل. (٣) العلم: الجبل.

(٤) الآل: السراب ـ القزع: قطع السحاب الصغار المتفرقة، وصغار الإبل.

● **المفازةُ التي تنخرقُ فيها الرياح**

خرق تنخرق فيه الرياح فتحسر طوراً وتلعب طوراً، **وقال مسلم**:

تمشي الرياحُ بها مرْضى مولهةً حيْرى تلوذُ بأطرافِ الجلاميدِ

وقال الموسوي:

توهمتُ عصفَ الريحِ بين خروجه يسيرُ إلى سمْعي بسرّ يصمم

● **المفازةُ التي يعرفُ فيها الجان**

قال الأعشى:

وبلدة مثلِ ظهر الترسِ موحشةٍ للجنّ بالليلِ في حافاتها زجَلُ[١]

وقال آخر:

شياطينُها في أوجهِ القوم كلّحُ[٢]

وقال حميد بن ثور:

وخرقٍ تحدّثُ غيطانُها حديثَ العَذارى بأسرارِها

● **المفازة التي تصيح فيها الأصداء**

وقال رؤبة:

وبلدةٍ عاميةٍ أعماؤهُ قد صخبَت في ليلةٍ أصداؤه

داع دعا لم أدر ما دعاؤه

وقال المرقّش الأكبر:

وتسمع تزقاءً من البومِ حولَنا كما ضربَت بعْد الهدوّ النواقسُ[٣]

وقال ذو الرمّة:

يظلّ بها الحرباءُ للشمسِ ماثلاً على الجِذْل إلا أنه لا يكبرُ

إذا حول الظل العشيّ رأيتَه حنيفاً وفي قرنِ الضّحَى ينتصرُ[٤]

وقال:

كأن يدَي حربائها متشمّساً يدا مذنبٍ يستغفرُ الله تائبِ

وقال المرار:

كأن حرباءها يصلي بتنور

---

(١) **الزجل**: الجلبة والصوت المرتفع. (٢) **كلّح**: عابسة مقطبة.

(٣) **النواقس**: أي النواقيس، جمع ناقوس، والناقوس الجرس.

(٤) **الحنيف**: المستقيم.

وقال ابن المعتز:

كأن حرباءها والشمسُ تصهرُه ... صالٍ دنا من لهيبِ النار مقرورُ[1]

(٦)
وممّا جاء في التغرب

•

• حمدُ التغرّب والسَفَر

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[2] **وقال النبي** ﷺ سافروا تغنموا، فإنكم إن لم تغنموا مالاً أفدتم عقلاً

وقال سافروا تصحوا. **وقيل**: السعي جناحُ الجدّ والزماع[3] أخو النجح. **وقيل**: من التوفيق رفض التواني، ومن الخذلان مسامرة الأماني.

وقيل: من لزم القرار سيم الصغار. **وقيل**: شمّر ذيلاً وأدرّع ليلاً اتخذ الليل جمل.

وكان بشر بن الحارث **يقول لأصحابه**: سيحوا فإن الماءَ إذا ساحَ طابَ وإذا وقف تغيّر.

• الحثّ على الانتقال من مكانٍ نبا بصاحبه والتمدّحُ بذلك

قيل: أوحش وطنك إذا كان في إيحاشه أنسك، واهجر منزلك إذا نبت[4] عنه نفسك.

وقف بهلول على قوم من أهل الأدب فقال لهم: كيف ترون قول الشاعر؟:

وإذ نبا بكَ منزِلٌ فتحوّلِ

قالوا: جيّد، فضرط لهم **وقال**: إذا كان في حبس كيف يتحول؟ **قالوا**: فما عندك قال:

إذا كنتُ في دار يهينُك أهلُها ... ولم تكُ ممنوعاً بها فتحوّلِ

وقال أبو دلف:

وإذا الديارُ تنكّرتْ عن حالِها ... فدعِ المقامَ وأسرعِ التحويلا

ليسَ المقامُ عليك فرضاً واجباً ... في موطنٍ يذرُ العَزيزَ ذليلا[5]

---

(١) **الصالي**: المستدفيء ـ **مقرور**: مرتجف من البرد.

(٢) **القرآن الكريم**: سورة الملك/ ١٥، **والنشور**: البعث، يوم القيامة.

(٣) **الزماع**: العزم والمضاء في الأمر. (٤) **نبت عنه نفسك**: جفته.

(٥) **يذر**: يترك.

وقال المتلمّس:

ولَنْ يقيمَ على خسفٍ يُسامُ به ... إلا الأذلاّن عيرُ الحيّ والوتَدُ[1]
هذا على الخسفِ مربوطٌ برمّته ... وذا يشجّ فلا يُرْثي له أحد[2]

وقال قيس بن الحطيم:

وما بُغضُ الإقامةِ في ديار ... يُهانُ بها الفتى إلا بلاءُ

وقال حرب بن خباب:

إذا ما اجتوتْني بلدةٌ لمْ أكنْ بها ... نسيباً ولم تسدذ عليّ المطامعُ[3]

وقال البحتري:

ومنْ عادتي والعجزُ مِن غيرِ عادتي ... متى لا أرح عن منزلِ الذلّ أُدْلِجُ[4]

وقال أبو فراس:

إذا لمْ أجِد من بلدَةٍ ما أريدُه ... فعندي لأخرى عزمةٌ وركابُ

- **مخالفة العذّال في الترحّل والنهيُ عن مخافةِ نزول الأجل**

لما أراد عبد الملك الخروج إلى مصعب تعلّقت به عاتكة وهي تبكي وتقول قاتل الله القائل:

إذا ما أرادَ الغزوَ لم يثنِ همّه ... حصانٌ عليها نظمُ درّ يزينها[5]

وقال ابن جبلة:

وخافتْ على التطوافِ فَوْتي وإنّما ... تُصاد غرارُ الوحشِ وهي رتوعُ

وقال بشّار:

يخافُ المنايا إن ترحلتُ صاحِبي ... كأنّ المنايا في المقام مناسبُه

- **كراهةُ إطالةِ الإقامة بمكان**

قال أبو تمام:

وطولُ مقام المرءِ في الحيّ مخلِقٌ ... لديباجتيه فاغتربْ تتجدّدِ[6]
فإنّي رأيتُ الشمسَ زيدت محبّةً ... على الناس إذ ليسَتْ عليهم بسرَمدِ[7]

---

(١) الخسف: الذلّ. (٢) الرمة: القطعة من الحبل.
(٣) اجتوتني: كرهتني. (٤) أدلج: الإدلاج: السير في آخر الليل.
(٥) الحصان: المرأة العفيفة ـ وقوله: لم يكن همه أي لم يضعف همته أو إرادته.
(٦) مخلق لديباجتيه: أي يبلي ديباجتيه ـ اغترب (هنا): أي هاجر.
(٧) ليست بسرمد: أي ليست دائمة الشروق.

وقال آخر:

السيفُ إن قرّ في الغمود صدَا

وقيل: الإغراب يعيد الجدّه ويفيد الحدّه، إذا أخلقك الوطن جددكَ الظعنُ لا يألف الوطن إلا ضيق العطن.

وقال يزيد بن المهلّب:

وإنّ لزومَ قعرِ البيت موتٌ وإن السيْرَ في الأرض النشورُ

- **النهيُ عن الإقامةِ بمكانٍ مخصِبٍ فيه هوان**

قال سعدُ بن ثابت:

ولسْنا بمتلين دار هضيمة مخافةَ موت إن بنا نبتِ الدارُ[1]

وقال المتنبّي:

وما منزلُ اللذّات عندي بمنزلٍ إذا لمْ أجلَلْ عنده وأكرمِ

- **تأسّفُ من يلحقُه إذلالٌ فيعسرُ عليه الانتقال**

قال شاعر:

أمالي في بلاد الله بابٌ يؤدّيني إلى سُبلِ النّجاحِ
بلى في الأرض متّسعٌ عريضٌ ولكنّي منعْتُ منَ البراحِ
وما يُغني العقابُ عيانَ صيدٍ إذا كان العُقابُ بلا جَناحِ

وقرىء على حائط بأسد أباد:

غيرتُ بين عزيمتَين كلاهما أمضَى عليّ من شَباة سنانِ
هِممٌ تشوّقُني إلى طلبِ العلى وهوى يشوّقُني إلى الأوطانِ

وقيل: إذا أعيا المقام في الوطن، أغنى الجلاء عن العطن[2]

- **إيثارُ اليسرِ في الغربةِ على العُسر في الوطَن**

قيل: اليسر في الغربة وطن، والعسر في الوطن غربة. وقيل: إذا أيسرتَ فكل رحل رحلك، وإذا أعسرتَ اجتنبك أهلُك.

وقال عبد الملك للحارث: أي البلاد أحب إليك؟ فقال: ما حسنت فيه حالي وعرض فيه جاهي، لا كوفة أبي ولا بصرة أمي، خشونة الغربة مع الجدّة أوطأ من لين الموطن مع الفقر.

---

(١) لسنا بمتلين: من أتلاه أي أخلاه ـ دار هضيمة: أي دار ظلم وغضب، والهضيمة أيضاً طعام يعمل للميت ـ نبت بنا الدار: جفتنا.

(٢) العطن: مبرك الإبل.

وقال بزرجمهر: السعيد يتبع الرزق، والشقي يتبع مسقط الرأس، أخذه من قال:

ذو اللبّ تنزعُ للرفاعةِ نفسُه ... وترى الشقيّ نزوعُه للموطنِ[1]

وقال المتنبي:

وما بلدُ الإنسانِ غيرُ الموافقِ ... ولا أهلُه الأدنَوْنَ غيرُ الأصادقِ

قال أبو نواس: دخلت دار السلطان بمدينة السلام، فرأيت أبا دلف الكرخي متعلقاً ببعض ستائر الخاصة، وهو يقول:

طلبُ المعاشِ مفرِّقٌ ... بينَ الأحبّةِ والوطَنِ
ومصيرُ جلدِ الرجا ... لِ إلى الضَّراعةِ والوهَنِ
حتى يقادَ كما يقا ... دُ النضوُ في ثِني الرسَنِ
ثم المنيةُ بعده ... فكأنّه ما لم يكنِ

فقلت: أيها الأمير لو صرت إلى حجرتي، لأنشدتك بيتين يسليانك فجاء معي فأكل وشرب وقال: هات ما عندك فأنشدته:

إذا كنتَ في أرض عزيزاً وإنْ نأتْ ... فلا تكثرنْ منها نِزاعاً إلى الوطَنِ
فما هي إلا بلدةٌ بعْد بلدةٍ ... وخيرُها ما كان عوناً على الزمَنِ

فسرّي عنه وحباني مالاً جمّاً.

- **إيثارُ العسرِ في الوطن على اليُسر في الغُربة**

قيل: عسرك في وطنك أطيبُ من يسرك في غربتك. وقيل: إذا وجدت بعض القوت فالزم قعر البيوت. وقيل: إحفظ بلدا ربّاك. وقيل: بلدٌ أغذيتَ فيه السلامة فلا تزايله[2] وقال:

وإن اغترابي كي أنالَ معيشةً ... وفضْلَ غنىً للوارثينَ خسارُ

- **ذمّ الخروجِ عن الوطن**

قيل الغربة ذلّة وكربة. وقد قال النبي ﷺ: من رضي بالذل فليس منّا. وقيل السفر سقر، ولكن غلط باسمه. وقيل السفر شعبة من جهنم، ولذلك قيل: لولا فرحة الأوبة لعذبت بالسفر.

وقال التنوخي:

مسيرٌ دعاه الناس سيراً توسّعا ... ومعنى اسمه إن حققوه إسارُ

---

(١) تنزع نفسه: تحنّ وتشتاق.

(٢) لا تزايله: لا تفارقه ولا تتركه إلى سواه.

وقيل: عذابان لا يعرف قدرهما إلا من بلي بهما: السفر الشاسع والعذاب الواسع، وقال:

وإن اغترابَ المرءِ من غير خلّة ... ولا همّة يسمو بها لعجيب

وقال مروان:

إذا ما حِمامُ المرءِ حُمّ ببلدَة ... دعتْه إليها حاجةٌ وتَطرُّبُ[1]

وقال البحتري:

وإن اغترابَ المرءِ في غير بغيةٍ ... يطالبُها من حيفِ دهرٍ يطالبُه[2]

وقال الحسن رضي الله عنه في دعائه: اللّهمّ إنا نعوذ بك أن نملّ معافاتك. فقيل له في ذلك، فقال: أن يكون الرجل في خفض فتدعوه نفسه إلى سفره، وقيل - ما دار من يشتاق إلى السفر بدار سلامة.

● ذمّ الإقامة في غير الأهل

قيل: إذا كنت في غير قومك فلا تنسَ نصيبك من الذلّ، وقال:

نصيبك من ذلّ إذا كنتَ جاليا

وقال:

إذا كنت في قومٍ ولم تكُ منهمُ ... فكُلْ ما علفتَ من خبيثٍ وطيّبِ

الغريب كالفرس الذي زايل أرضه وفقد شربه فهو ذاوٍ لا يثمر وذابل لا ينضر وقال الأعشى:

ومن يغترب عن قومهِ لا يجدْ له ... على منْ له رهطٌ حواليْه مغْضَبا

وتدفنُ منه الصالحاتُ وإن يسيء ... يكن ما أساءَ النار في رأس كوكبَا

وقال:

ولم أر عزّا لامرىءٍ كعشيرةٍ ... ولم أر ذلاً مثل ناءٍ عنِ الأهلِ

وقال أبو عيينة:

وقائلةٍ ماذا نأى بك عنهم ... فقلتُ لها لا علْم لي فسلي القدَر

فيا سفراً أودَى بلهوي ولذّتي ... ونغّصني عيشى عدمتُك من سفَر

وروي أنه رئي القاسم بن عبيد الله فقيل له: ما خبرك؟ فقال:

وارحمتا للغريبِ في البلدِ ... النازحِ ماذا بنفسه صنعَا[3]

فارقَ أحبابه فما انتفعُوا ... بالعيشِ من بعْده وما انتفَعَا

---

(١) الحِمام: الموت. (٢) الحيف: الجور والظلم. (٣) البلد النّازح: البلد النائي البعيد.

● **الحثُّ على إجمالِ المعاشرَة في السّفر**

قيل: لا تحمدنّ امرأً حتّى تجربَه في معاملة أو سفر. **وقيل**: السفر ميزانُ القوم. **وقيل**: سمّي السفر سفراً لأنه يسفر عن الأخلاق المحمودة والمذمومة.

وقال العطوي:

أكرمْ رفيقَك حتّى ينقَضي السفرُ إنّ الذي أنتَ موليه سينتَشِرُ
ولا تكنْ كلئامٍ أظهروا ضجَرا إن اللئامَ إذا ما سافروا ضجِروا

وقال أبو دلف:

وممّا يسكِنُ قلبَ الغريب رفيقٌ تطيبُ به الصّحْبَة

وأراد الحسن الحجّ **فقال له ثابت**: نصطحب، **فقال**: دعنا نتعايش بستر الله إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت[1] عليه.

● **الكثيرُ التقلّبِ في البلدان**

مدح بعضهم رجلاً **فقال**: يدّرع الليل ويستحقر السير، فيظل بموماة[2] ويمسي بغيرها:

أسْيَرُ في الآفاقِ من مَثَلِ

وقال البحتري:

تقاذفُ بي بلادٌ عنْ بلادٍ كأنّي بينَها خبرٌ شَرودُ

وقال آخر:

وذاكَ تروكٌ للفراشِ المُمهّدِ

وقال أبو تمّام:

خليفةُ الخضرِ من يربع على وطَنٍ في بلدةٍ فظهورُ العِيس أوْطاني

وقال آخر:

وأيّ بلادٍ لم تطأْها ركائِبي

● **المُتشمّر في السّفر**

قال زياد بن جميل:

مخدّمون ثقالٌ في مجالسِهم وفي الرّحال إذا صاحبتَهم خدمُ

وقيل: فلان عبد أصحابه في السفر وسيّدهم في الحضر، **وقال شاعر**:

وعبْدٌ للصّحابةِ غيرُ عبْدِ

وقال هشام لرجل أراد سفراً: أخدم أصحابك وإيّاك أن تكونَ كلبَهم، فإن لكل رفقة

---

(١) **تتماقت عليه**: نتباغض بسببه.

(٢) **الموماة**: الفلاة الواسعة لا ماء فيها.

كلباً ينبح دونهم، فإن كان خيراً أشركوه وإن كان شراً تقلّده دونهم.

● **مشاركةُ الرفيقِ في المركوبِ والزّاد**

قال ابن مسعود: كنّا يوم بدر ثلاثة على بعير، وكان أمير المؤمنين وأبو لبابة زميلَي رسول الله ﷺ وإذا دارت عقبتهما. **قالا:** يا رسول الله إركب ونمشي عنك، **فيقول:** ما أنتما بأقوى منّي وما أغنى بالأجر منكما.

وقال حاتم:

إذا كنتَ ربّاً للقلوص فلا تدعْ رفيقَكَ يمْشي خلفَه غيرَ راكبِ
أنخْها وأردفه فإنْ حملتكما فذاكَ وإن كانَ العقابُ فعاقبِ

وقال آخر:

إذا ما خليلي ظلّ ينسِلُ خلفَها وفي ناقَتي فضْلٌ فلا حملَتْ رجْلي
ولَمْ يكُ من زادي له مثل مزودي فلا كنت ذا زادٍ ولا كنت ذا رحلِ

● **حمْدُ الإيغالِ**(١) **في السّير والتبجُّح به**

قيل لرجل: كيف كان سيرك؟ **قال:** كنت آكل الوجه، وأغرس إذا أسحرت، وأرتحل إذا أسفرت، فأسير الموضع وأجتنب الملمع. فجئتكم بمشي سبع.

وسار ذكوان من مكة في يوم وليلة، فقدم على أبي هريرة وهو خليفة مروان على المدينة فصلّى العتمة **فقال له أبو هريرة:** حاج غير مقبول منه. **فقال:** لمه؟ **فقال:** لأنك نفرت قبل الزوال فأخرج كتاب مروان مؤرّخاً بعد الزوال. وحذيفة بن بدر أغار على هجاء بن المنذر بن ماء السماء فسار في ليلة مسير ثمان، وفيه يقول قيس بن الحطيم:

همَمْنا بالإقامةِ ثمّ سِرْنا مسيرَ حذيفَة الخيْر بنِ بدْرِ

● **ذمّ الإيغالِ في السّير**

في الحديث: إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. **وفي الحديث:** خيرُ الأمور أوساطها. وشرّ السير الحقحقة.

قال المرار:

نقطعُ بالنّزولِ الأرضَ عنّا وبُعْدُ الأرض يقطعُه النزولُ

● **الشاحب اللون لسفره**

يقال: فلان رجيع سفر، ووقيذ سهر، **وقال المرار:**

وغبره تهجير ركبٍ يلفهم سمومٌ أتتْ دونَ العجائبِ تلفَحُ(٢)

---

(١) **الإيغال:** التوغل والإمعان في السير، **ويقال أيضاً** غذ إغذاذ السير وفي السير أسرع وحثّ مطيته.

(٢) **تلفح:** تصيب الوجه وتحرقه.

وقال:

نضوُ هوى بالَ على نضوِ سفَر[1]

وقال آخر:

أترك أنقاضاً على أنقاض

وقال البحتري:

ردّ الهجيرُ لحاهُم بعْد شعلتِها سوداً فعادُوا شباباً بعدَما اكتهلُوا

● **من غلبه النعاس لإدامةِ السّرى**

قال شاعر:

فلانٌ يجودُ من صباباتِه الكرَى سقاهُ السُّرى خمْراً فصارَ به سكْرُ[2]

وقال كعب بن زهير[3]:

وأشعثُ رخوُ المنكِبَيْن بعثتُه وللنّومِ منه في العِظام دبيبُ

وقال إسحاق:

ومعرّسٍ نبّهتُه فكأنّما نبّهتُ فهْدا[4]

● **قطعُ المفاوزِ بالّليل**

وقال عليّ بن جبلة:

وليلٍ بعيدٍ صبحُه من مسائهِ منوع السّرى لا يمتَطيه هيوبُ

بنيتُ على أولاه أخراه فالتَقى على العِيس منه مطلعٌ ومغيبُ

وقال أعرابي: جبت أودية الظلام وهجرت لذيذ المَنام، إلى أن وصلت إلى المرام،

وقال شاعر:

ونضوتُ سربالَ المفاوزِ بالسّرى وجعلتُ أرديةَ السُّرى سِرْبالي[5]

وقال المتنبي:

وأسري في ظلامِ الليل وحْدي كأنّي منه في قمَرٍ مُنيرِ

---

(١) النضو: السهم الذي فسد من كثرة ما رمي به والنضو الثوب البالي، والمهزول المجرّد من اللحم.

(٢) الصبابة: الولع الشديد ـ الكرى: النوم ـ السرى: السير في الليل.

(٣) كعب بن زهير: شاعر مخضرم، أدرك الإسلام عرّض بالإسلام، ثم جاء النبي وأسلم فصفح عنه، وهو صاحب قصيدة «بانت سعاد» في مدح النبي ﷺ.

(٤) المعرّس: المستريح من السفر قبل الارتحال.

(٥) نضوت: خلعت ـ سربال: لباس ـ المفاوز: جمع مفازة، وهي الفلاة ـ الأردية: جمع رداء وهو الكساء.

● قطع المفاوزِ بالهاجِرَة

قال أعرابي: خرجت في هاجرة كادت النفوس لها تلتهب، والحرابي من شمسها تصطلب. وقال النابغة:

إذا الشمسُ مجّتْ ريقَها بالكَلاكِلِ[1]

وقال علقمة:

وقدْ علوتُ قتودَ الرحْلِ يسعفُني ... يومٌ تجيءُ به الجوزاءُ مسمومُ
حامٍ كأنّ أوارَ الشمسِ شاملُه ... دونَ الثيابِ ورأسُ المرءِ مغمومُ[2]

● من ألفته السّباع والمفاوز

وقال تأبّط شرّاً:

أبيتُ بمغنى الوحشِ حتّى ألفتُه ... وتصْبح لا يحمي لها الدهرُ مرتَعاً

وقال أبو تمّام:

أبَنّ معَ السّباعِ الماءَ حتّى ... لَخالَتْه السُّباعُ منَ السّباعِ[3]

وقال المتنبّي:

صحبتُ في الفلوَاتِ الوحْشَ مُنفرداً ... حتّى تعجّب منّي القورُ والأكَمُ[4]

وقال الشنفرى:

ولي دونَكم أهلونَ سِيدٌ عملّسٌ ... وأرقَطُ زهلولٌ وعرفاءُ جيْألُ[5]

● المهتَدي بالنّجوم والعارفُ المفاوز

وقال بشّار:

ويهماءَ يستافُ الترابَ دليلُها ... وليْس له إلا اليَماني مخلقُ[6]
تجاوزتُها وحْدي ولمْ أرهَبِ الرّدى ... دَليلي نجْمٌ أو حوارٌ محلّقُ[7]

وقال حميد:

تيهاءَ لا يتخطّاها الدليلُ بها ... إلا وناظرُه بالنّجمِ معقودُ

---

(١) **الكلاكل**: جمع كلكل، وهو الصدر.

(٢) **الأوار**: شدّة الحرّ ـ **الرأس المغموم**: المغطّى بالعمامة.

(٣) **خالته**: ظنّته وحسبته.

(٤) **القور**: الجبل الصغير ـ **الأكم**: جمع أكمة، وهي المرتفع من الأرض.

(٥) **العملس**: الذئب الخبيث ـ **الأرقط**: النمر، **والأرقط** الأسود المشوب بنقط بياض، أو أبيض مشوب بنقط سواد ـ **الزهلول**: الأملس ـ **العرفاء**: الضبع الكثيرة الشعر ـ **الجيأل**: من أسماء الضبع.

(٦) **اليهماء**: الفلاة التي لا ماء فيها ولا يهتدى إلى طرفها ـ **اليماني**: السيف المنسوب إلى اليمن.

(٧) **الحوار**: التجاوب في الكلام.

وقال تأبط شراً:

يرى الوحشةَ الأنسَ الأنيس ويهتَدي   بحيثُ اهتدَتْ أم النّجوم الشوابك

وقال آخر:

تـرَى الـلـيـلَ كـورا والـمـجـرّةَ مـقـودا

وقال المتنبي:

وإنّي لـنجْـمٌ يـهتَـدي صحبتي بـه   إذا حـالَ من دونِ الـنّجـومِ سحـابُ

وقيل: فلان أدلّ من دعميص[١] الرمل لأنه بلغ آخر رمال بني سعد، ولم يبلغه غيره وعبد الله بن أريقط وهو الذي دل النبي ﷺ ليلة الهجرة وفلان أهدى من القطا ومن اليد إلى الفم.

- **القادرُ على المشي**

قال أعشى باهلة:

لا يـغـمزُ الـساق من أين ولا وصَـب   ولا يعضّ على شرسوفه الصقرُ[٢]

وقال:

تـحـسـبـنـي مـحـجّـلاً سـبـطَ الـسـا   قَـيْـن أبـكـي أن يـظـلَـعَ الـجـمـلُ[٣]

- **المسرّةُ بالعودِ من السفرِ سالماً**

قال ابنُ عيينة:

إذا نـحْـنُ عـدْنـا آيـبـيـنَ بـأنـفُـسٍ   كـرام رجَـتْ أمـراً فـخـابَ رجـاؤُهـا
فـأنـفُـسُـنـا خـيْـر الـغـنـيـمـةِ إنـهـا   تـؤوبُ وفـيـهـا مـاؤُهـا وحـيَـاؤُهـا

وقال:

فألقَتْ عصَاها واستقرّ بها النّوَى   كمَا قرّ عيْناً بالإيابِ المسافِرُ[٤]

وقال آخر:

رضـيـتُ مـن الـغـنـيـمَـةِ بـالإيـابِ

- **مسرةُ الراجعِ بقضاء الحاجَة**

قيل لأعرابي: ما السرور؟ **قال:** أوبةٌ بغير خيبة. **وقال آخر:** غيبةٌ تفيد غِنًى وأوبة تعقبُ منىً وقال أبو تمّام:

ما آبَ من آبَ لـمْ يـظْفـرْ بـحاجَـتـهِ   ولـمْ يـغبْ طالب لـلنجح لـم يـخب

---

(١) **الدعميص:** دودة سوداء.

(٢) **الأين:** التعب والإعياء ـ **الوصب:** الوجع ـ **الشرسوف:** طرف الضلع المشرف على البطن.

(٣) **ظلع يظلع الجمل:** غمز في مشيه.

(٤) **النوى:** البعد، الوجه الذي يذهب فيه وينويه المسافر ـ **الإياب:** العودة، الرجوع.

وسأل الحجاج أصحابه: أي شيء أذهب للتعب؟ فقيل: التمريخ[1] وقيل الحَمام وقيل النوم وكان فيهم فيروز فقال ما شيء أذهب للتعب من قضاء الحاجة قال المؤلف وهذا من **قولِ القطامي**:

وقد يهونُ على المستنجحِ العمَلُ

● **الدعاءُ للمسافر**

كما يقال للمسافر استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، **وقال النبي ﷺ لرجل**: اللهم أطو له البعيد وهون عليه السير **وقال**: نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، ومن الحور بعد الكور. اللهمّ أنتَ الصاحب في السفر والخليفةُ في الأهل والوطن.

(٧)

وممّا جاءَ في الحنينِ إلى الأوطان

●

● **رضي الناس بمسقط رأسهم**

قال النبيّ ﷺ: لولا حبّ الوطن لخربت بلاد السوء. **وقيل**: بحب الأوطان عمارة البلدان.

وقال ابن عباس: لو قنع الناس بأرزاقهم قنوعهم بأوطانهم لما شكا عبد رزقه. **وقيل لأعرابي**: كيف تصبرون؟ على جفاء البادية وضيق العيش؟ فقال: لولا أن الله تعالى أقنع بعض العباد بشر البلاد ما وسع خير البلاد جميع العباد، وقال بعض الفلاسفة فطرة الرجل معجونة بحب الوطن.

● **فضلُ محبةِ الوطَن**

روي في الخبر: حبّ الوطن من طيبِ المولِد. **وقال أبو عمرو بن العلاء** مما يدلّ على كرم الرجل وطيب غريزته حنينه إلى أوطانه وحبه متقدمي إخوانه وبكاؤه على ما مضى من زمانه.

وقالت العجم: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة وإلى مسقط رأسها توّاقة. وسمع أبو دلف رجلاً ينشد:

ألقَى بكلِّ بلادٍ إن حللتُ بها ... ناساً بناسٍ وإخواناً بإخوان

فقال: هذا الأم بيت قالته العرب، لقلة حنينه إلى الآلفه.

● **الحثّ على صيانةِ مسقط الرأس**

قيل: لا تجف بلداً فيه قوابلك، وأرضاً تبنكها[2] قبائلك. **وقيل**: إحفظ بلداً

---

(١) التمريخ: مصدر مرّخ جسده: أي دهنه.

(٢) تبنكها: تقيم فيها.

رشحك غذاؤه وآرع حمى أكنك[1] فناؤه وقيل: ميلك إلى بلدك من شرف محتدك.

● **حبّ مسقطِ الرأسِ وصعوبةُ مفارقتِه**

قال حفص الطائي: رأيتُ جارية تقود عنزاً فقلت: يا جارية أيّ البلاد أحب إليك؟ **فقالت**:

أحـبُّ بـلاد الله مـا بـيـن مـنـعـج ... إليّ، وسلمي إن تصوبَ سحابُها
بـلاد بـهـا نـيـطـت عـليّ تـمـائـمـي ... وأول أرض مسّ جـلـدي ترابـهـا[2]

وقال ابن الرومي:

ولـي وطـنٌ آلـيـتُ أن لا أبـيـعَـه ... ولا أن أرى غيْري له الدهرَ مالِكا[3]
عـهـدتُ بـه شـرخَ الـشـبـاب ونـعـمَـةً ... كنعمةِ قومٍ أصبحُوا في ظلالِكا[4]
فـقـدْ ألِـفـتْـه الـنـفـسُ حـتّـى كـأنّـه ... لـهـا جـسَـدان بـأن غـودرَ هـالِـكـا
وحـبّـبَ أوطـانَ الـرجـالِ إلـيـهـم ... مـآربُ قـضّـاهـا الـشـبـابُ هـنـالـكـا
إذا ذكـروا أوطـانَـهـم ذكـرتـهـم ... عـهـودُ الـصّـبـا فـيـهـا فـحـنـوا لـذلِـكـا

وقال آخر:

وكـلّ نـفـس تـحـبّ مـحـيـاهـا

وكفى بدلالة محبته قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ﴾[5] الآية **وقال الشريفُ الموسوي**:

وفي الـوطـنِ الـمـألـوفِ لـلـنّـاس لـذةٌ ... وإن لـم يـنـلْـنـا الـعـزّ إلا الـتـقـلـبُ

● **المستشفي بتراب أرضه وريحِها**

لما أسر سابور[6] ببلد الروم قالت له بنت الملك، وكان قد مرض وعشقته، ما تشتهي؟ **قال**: شربة من ماء دجلة وشمّة من تراب اصطخر[7] فحملا إليه فبرأ. واعتلّ أعرابي فقيل له: ما تشتهي؟ **قال**: حسل[8] فلاة وحسي قلاة.

وكان من عادة العرب إذا غزت أو سافرت حملت معها من تراب بلدها فتنشقه عند نزلة أو صداع.

● **من تشوّق مكان إلفه بعدما كرهه**

قال بعضهم:

ألـفـنـا ديـاراً لـم تـكـن مـن ديـارنـا ... ومـن يـتـألـف بـالـكـرامـةِ يـألـف

---

(١) **أكنك**: سترك.
(٢) **نيطت تمائمي**: علقت والتمائم جمع تميمة، وهي الحرز أو التعويذة التي تعلّق لدفع الروح الشريرة.
(٣) **آليت**: أقسمت وأخذت عهداً.
(٤) **شرخ الشباب**: ريعانه وأوّله.
(٥) **القرآن الكريم**: النساء/ ٦٥.
(٦) **سابور**: من ملوك الفرس.
(٧) **اصطخر**: مدينة في إيران.
(٨) **الحسل**: ولد الضبّ.

وقال:

نزلنا مكرَهين بها فلما ... ألِفناها خرجْنا مكرَهينا
وما حبّ البلاد بنا ولكن ... أمرُّ العيش فرقةُ مَنْ هوينا

- **الحنينُ إلى البادية والتبرّم بالحاضرة**

قال بعض الأعراب المتوجهين إلى خراسان في زمن عثمان رضي الله عنه يقول:

بلغتُ إلى حلوان والقلبُ نازعٌ ... إلى أهلِ نجْد أينَ حلوان من نجدِ
لجثجاثُ أرض حين يضربه الندى ... أحب وأشهى عندنا من جنى الوردِ(١)

قيل لزينب أم حسانة الضبية وهي قاعدة على حافة بركة في وسط رياض وأزاهر أما ترين حسن هذا المكان؟ فأطرقت ساعة وقالت:

أقولُ لأدنى صاحبي أسرّه ... وللعين دمعٌ يحدر الكحلَ ساكبُه(٢)
أحبّ إلينا من صهاريج ملئت ... للعب ولم تملح إليّ ملاعبُه(٣)
فيا حبّذا نجدٌ وطيبُ هوائِه ... إذا أهضبَتْه بالعشيّ هواضبُه(٤)
وريحُ صبا نجْدٍ إذا ما تنسّمتُه ... ضحىً وسرَت جنح الظلامِ خبائبُه(٥)
فأقسمُ لا أنساه ما دمْت حيّةً ... وما دام ليلٌ عن نهارٍ يعاقبُه
ولا زالَ هذا القلبُ مسقيّ لوعةٍ ... بذكراه حتّى يترك الماءَ شاربُه

- **الحنين إلى منزل لا يرجى لحوقه**

وقال لرجل من بني طهم:

أحنّ إلى نجدٍ وإني لآيس ... طوالَ الليالي من قفولٍ إلى نجْدِ

وقال:

يقرّ بعيني أن أرى رملَة الفضا

وقال آخر:

فلستُ وإن أحببتُ منْ يسكنُ الفضَا ... بِأولِ راجٍ راحة لا ينالُها

وقال المتنبي:

أحنّ إلى أهلي وأهوَى لقاءهم ... وأين من المشتاق عنقاء مُغرِب(٦)

---

(١) **الجثجاث**: لعلها الجثيث وهو غسيل النخل ـ **الندى**: الطلّ.

(٢) **يحدر الكحل**: يسبله ويجعله ينحدر. (٣) **الصهاريج**: أحواض الماء.

(٤) **أهضبته الهواضب**: نزلت فيه الأمطار أو دفعات المطر.

(٥) **الصبا**: ريح لينة مهبّها من جهة الشرق ـ **الخبائب**: جمع خبيبة وهي الشريحة من اللحم.

(٦) **عنقاء مغرب**: العنقاء طائر لم يوجد، **وقوله**: عنقاء مغرب كناية عن استحالة الشيء وبطلانه.

- **حمد سكون البادية وذمّه**

وقال شاعر:

ومن تكن الحجارةُ أعجبَتْه ... فأيّ أناسٍ باديةٍ ترانا

وقال ﷺ: من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد لها ومن أتى السلطان فتن.

(٨)

ومما جاء في النيران

●

- **ماهية النار**

قال النظّام: النار اسم للحر والضياء، وهما جوهران صعادان. والضياء هو الذي يعلو إذا انفرد ولا يعلى. فإذا قيل أحرقت النار وسخنت، فذلك للحرّ لا للضياء.

وقال: النار مكنة في الأشياء كلّها، فإذا أطفئت نار الأتون فوجدنا حرّها ولم نجدها مضيئة فلأن حرّ النار يهيج تلك الحرارات فيظهرها، ولم يكن ثم ضياء فيظهر إذا خالطته النار فهو أشدّ كالصاعقة.

- **منفعة النار**

قيل: من أكبر المواعين الماء والنار ثم الكلأ والريح، ومنافعها يطول حصرها ويصعب ذكرها. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾[١] (الآية). وهي أعظم ما زجر به عن المعاصي. وقد جعلها الله تعالى من عذاب الآخرة فقد عذب في الدنيا بالغرق والرياح والحاصب، والرجم والمسخ والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ولم يبعث عليهم ناراً، وهي ما ركب منه العالم ولا يتعرّى شجر ومدر منها.

وقيل في الإخوان: هم بمنزلة النار قليلها ينفع وكثيرها يضرّ. وكانوا إذا تتابعت عليهم الأزمان وأحوجهم الاستمطار عقدوا في أذناب البقر شسعاً[٢] فصعدوا بها جبلاً وأوقدوها ناراً وضجوا بالدعاء.

وناراً كانوا يوقدونها في التحالف وقد ذكرناه في الإيمان وناراً كانوا يوقدونها خلف مسافر لا يريدون رجوعه.

قال شاعر:

وحمة أقوامٍ حملتُ ولم أكن ... لأوقدَ ناراً خلفَهم للتندّمِ

---

(١) القرآن الكريم: يس/ ٨٠.

(٢) شسعاً: الشسع زمام للنعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها.

● **حسنُ النّار ووصفُها**

إذا وصفوا شيئاً بالحسن **قالوا**: ما هو إلا نار موقودة. **وقالت امرأة**: أنا والله أحسنُ من النار الموقدة. **وقال قدامة في وصف الذهب**: شعاعٌ مركوم ونسيم معقود.

ونظر مجوسيّ في مجلس الصاحب إلى لهيب نار **فقال**: ما أشرقها! **فقال الصاحب**: ما أشرقه وقوداً وأخساه معبوداً. **الياس**:

ما ترى النارَ كيفَ أسقمَها القرُّ فأضحت تخبو زماناً وتبصُرُ
وبدا الجمرُ والرمادُ عليها في قميصَين مذهب ومعنبَرُ

وقال أحمد بن الضحاك:

كأنما النارُ حينَ ترمُقُها وجمرُها من رمادِها يُحجَبْ
وجنةُ عذراء مسّها خجلٌ فالتهبَتْ تحت عنبرٍ أشهَبْ

وقال الصاحب: **الاصطلاء طيّب عند الامتلاء**(١)

وقال شاعر:

وشعثاء غبراء الفروع منيفة بها توصفُ الحسناءُ أو هيَ أجمَلُ
دعوتُ بها أبناءَ ليلٍ كأنهم إذا أبصروها معطَشون قد أنهلوا

وقال الجريمي:

نارٌ كهادي الشقراء نافرةٌ تركضُ من حولِها أشافرُها

● **النيرانُ التي جعلَها اللهُ تعالى آية**

كانت بنو إسرائيل إذا قرّب أحدهم قرباناً مخلصاً لله، نزلت نار فتأكله ومتى لم تنزل النار وبقي القربان على حالته دلّ على أن صاحبه مدخول النيّة. وهذه النار هي التي اقترحوها على النبي ﷺ فحكى الله عنهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ﴾(٢) (الآية) وقيل إن الحجّاج لما جنّق(٣) الكعبة جاءت نار فوقعت في المنجنيق فأحرقته فامتنعَ أصحابه من الرمي، **فقال الحجّاج**: إن هذه نار القربان دلّت على أن فعلكم متقبّل. ومن ذلك، **النار التي قصدها موسى فكانت سبب نبوّته**(٤) ومنه نار إبراهيم التي صارت برداً وسلاماً(٥) ومنه نار الحرّتين(٦) وذلك أنه ظهر

---

(١) **عند الامتلاء**: أي عند الشبع وامتلاء البطن أو المعدة بالطعام.

(٢) **القرآن الكريم**: آل عمران/١٨٩. (٣) **جنّق الكعبة**: ضربها بالمنجنيق.

(٤) **قوله**: النار التي قصدها موسى، إشارة إلى الآية رقم ١٠ التي وردت في سورة طه ونصّها: **﴿إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا لعلي آتيكم منها بقبس﴾**.

(٥) **قوله**: نار إبراهيم إشارة إلى الآية الكريمة: **﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾** [الأنبياء: ٦٩].

(٦) **نار الحرّتين**: الحرّة: أرض ذات حجارة نخرة سود كأنّها أحرقت بالنار.

في حرة بلاد بني عبس نار تسطع بالليل والنهار، ويظهر دخانها بالنهار، وكانت طيء تنقش فيها الإبل من مسيرة ثلاث. وربما ندرت منه عنق فتحرق ما تأتي عليه، فبعث الله خالد بن سنان وهو أول ولد إسماعيل عليه السلام، ولم يكن في أولاده غيره فاحتفر لها بئراً ثم أدخلها فيه والناس ينظرون، وهو يقول: كذب ابن راعية المعزى لأخرجن منها وجبيني يندى. ثم لما حضرته الوفاة قال إذا دفنتموني فاحضروا بعد ثلاث، فإنكم ترون عيراً أبتر يطوف بقبري، فإذا رأيتم ذلك فانبشوني أخبركم بما هو كائن إلى يوم القيامة. فلما حضروا بعد الثلاث ورأوا العير، اختلفوا قال ابنه: لا أفعل إني أدعى إذاً ابن المنبوش. وقدمت ابنته على النبي ﷺ فقال: هذه بنت نبيّ ضيّعه قومه، وبسط لها رداءه. وقيل: سمعت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقالت: كان أبي يتلو هذه السورة والمتكلمون[1] ينكرون ذلك. فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾. وخالد كان من الفدادين أعرابياً من أهل الوبر. وما بعث الله نبياً قط إلا من أهل القرى وسكان المدن.

● النيرانُ المعبودةُ المعظّمة

أما النار العلوية فقد عُبدَت. قال الله تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2] وقد يجيء في الأثر وسنة بعض الأنبياء تعظيماً على جهة المحنة وإيجاب الشكر على النعمة.

ويزعم أهل الكتاب أن الله تعالى أوصاهم وقال: لا تطفئوا النيران من بيوتي وأما المجوس فقد جاوزوا الحدّ حتى اتخذوا لها البيوت والسدنة[3] والوقوف[4] الكثيرة.

● نيران كانوا يوقدونها في أوقاتٍ مختلفة

إذا أرادوا حرباً وقصدوا جمعاً، يوقدون ناراً عظيمة يجعلونها أمارة[5] لاجتماعهم، قال عمرو بن كلثوم:

ونحنُ غداة أوقِدَ في خزازي ... رفدنا فوق رفد الرافدينا[6]

وقال الفرزدق:

ضربوا الصنائعَ والملوكَ وأوقدوا ... نارَين أشرفنا على النيرانِ

---

(١) المتكلمون: علماء الكلام الذين يدافعون عن قضايا الدين بالأدلّة العقليّة.

(٢) القرآن الكريم: النمل/ ٢٤.

(٣) السدنة: خدم الكعبة أو خدم بيت صنم، جمع سادن.

(٤) الوقوف: جمع وقف وهو حبس العين على ملك الواقِف، أو على ملك الله والتصدّق بالمنفعة.

(٥) الأمارة: العلامة.

(٦) خزازى: أي يوم خزازى وهو من أيام العرب.

ومنها النار التي يوقدونها ليحيروا بها الظباء بالليل ويهوّلوا على الأسد إذا حدقَ إليها.

● ما يتراءى من النيران ولا حقيقةَ لها

يحكى أن السعالي[1] توقد ناراً حوالي الإنسان تخوّفهم بها.

قال عبيد الأبرص:

لـلّـه درّ الـغـول أي رفـيـقـة ... لـصـاحـبٍ قـفٍ خـائـف مـتـقـتـر
أرفت بلـحـن فوق لـحنٍ وأبعدتْ ... حـوالـي نـيـرانـاً تـبـوخ وتـزهـر

ونار حباحب وقيل أبي حباحب، وهو ما يكون من الأكسية ونحوها مما لا حقيقة له من النيران. **ونار البرق** وكل نار تحرق العود إلا نار البرق فإنها تجيء بالمطر. وتحدث حدة الشجر ونار البراعة، وهي طائر كبعض الطيور بالنهار وإذا طار بالليل فهو كشهاب قبس، ويلمح لها لمع ينض[2] ويلمع من بعيد، فإذا دنوت منها لم ترها شيئاً. والعرب تقول أكذب من يلمع.

● أنواعٌ مختلفة من ذلك

قال بعضهم:

كـأنّ نـيـرانَـنـا فـي جـنْـب قـلـعـتـهـم ... مـصـقـلات عـلـى أرسـانِ قـصـارِ

وقال البحتري في حريق وقع في دار المعتز:

مـا كـانَ قـدر حـريـق إن بـنـيـت لـه ... وكـلّـنـا قـلـقُ الأحْـشـاء حـرّانُ
تـفـاءلَ الـنـاس واشـتـدتْ ظـنـونُـهـم ... والـفـألُ مـنـه لـبـعـضِ الـنـاس تـبـيـانُ
وأيـقـنـوا أنّ تـنـويـرَ الـحـريـق هـو الـدّنـ ... ـيـا تـمْـلـكـهـا والـنّـارُ سُـلـطـانُ

وقال بعض الحكماء: النيران أربع: **نار** تأكل وتشرب وهي نار المعدة، **ونار** تأكل ولا تشرب النار الموقدة، **ونار** تشرب ولا تأكل، وهي نار الشجر، **ونار** لا تأكل ولا تشرب، وهي نار الحجر.

● مدحُ السراج

قال النبي ﷺ: المصباحُ مطردة للشيطان، مذبة[3] للهوام مدفعة[4] للصوص.

وقال النابغة:

ولا يـضـلّ عـلـى مـصـبـاحِـهـا الـسـاري

---

(١) **السعالي**: جمع سعلاة وهي أنثى الغول. (٢) **ينض**: يسيل قليلاً أو يرشح.
(٣) **المذبة**: ما يذبّ أي يدفع به الذباب، جمع مذبّات ومذاب.
(٤) **المدفعة**: ما يدفع به اللصوص.

يضرب ذلك مثلاً للمصباح المضيء.

● **الزّند**

قالت العرب في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار. **وقيل:** أرح يديك واسترح إن الزناد مرح.

وقال ذو الرمّة وقد ألغز:

وسقطٍ كعيْنِ الديك عاودتُ صاحبي ... أباها وهيأ بالموضعه وكْرا
مشهرة لا تمكن الفحل أمّها ... إذا هي لم تميك بأطرافها قسْرا
أخوها أبوها والضوى لا يضيرُها ... وساق أبيها أمها اعتقرت عقْرا

وقال الأعشى:

ولو بتّ تقدح في ظلمةٍ ... صفاة تتيع لا ورَيْت نارا

وقال آخر:

وزندك أفضلُ أزنادِها

● **الدّخان**

يقال دواخن تنصب ودخان الرمث. **وقال في صفة ذئب:**

كأن دخان الرمث خالطَ لونه

وقال الراعي:

كدُخان مرتجل بأعلى تلعةٍ ... غرثان ضرم عرفجاً مبلولا[1]

والمرتجل الذي يطبخ رجل جراد أي جماعتها.

---

(١) **التلعة:** ما علا من الأرض ـ **العرفج:** نبات سهلي.

الحدّ الثالث والعشرون

في الملَك والجنّ

•

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ليس من خلق الله تعالى أكثر من الملائكة. وعن أبي نجيح عن مجاهد ﴿والمقسمات أمراً﴾ قال: الملائكةُ ينزلها الله تعالى بأمره على من يشاء. وعن مسلم عن مسروق ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾. قال: هي الملائكة. وعن الحكم وما ننزله إلا بقدر معلوم.

قال: بلغني أنه ينزل مع المطر أكثر من ولد آدم وولد إدريس يحصون كل قطرة وأين تقع ومن يرزق ذلك النبات.

وعن العلاء بن عبد الحكم عن ابن سابط في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[1]

قال في أم الكتاب كل شيء هو كائن إلى يوم القيامة. ووكّل به ثلاثة من الملائكة يحفظونه: فوكل جبريل بالكتاب أن ينزل به إلى الرسل، ووكّل جبريل بالهلكات إذا أراد الله أن يهلك قوماً ووكّله أيضاً بالنصر عند القتال.

ووكّل ميكائيل بالحِفظ والقطْر[2] ونبات الأرض. ووكّل عزرائيل بقبض الأرواح فإذا ذهب الله بالدنيا جمع بين حفظهم وبين ما في أمّ الكتاب فيجدونه سواء.

وعن ابن عباس ويتلوه شاهد منه جبريل وعن النبي ﷺ أنه رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح.

وعن الربيع ﴿ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ﴾ قال: جبريل، وهو بالأفق الأعلى، قال: ﴿بالسماء الأعلى﴾ يعني جبريل، ثم ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ يعني جبريل، ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾. قال على لسان جبريل: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ يعني جبريل رآه في صورته وعن النبي ﷺ أنه قال: الروحُ الأمين جبريل له ستمائة جناح من لؤلؤ قد نشرها مثل ريش الطواويس.

عن ابن شبابة، قال: يدبر الأمر أربعة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

---

(١) القرآن الكريم: الزخرف/ ٤.

(٢) القطر: المطر.

فجبريل على الريح والجنود، وميكائيل على القطر والنبات، وملك الموت على قبض الأرواح وإسرافيل يبلغهم ما يؤمرون به.

وعنه ﷺ أنه قال لجبريل لم أر ميكائيل ضاحكاً. قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار.

عن عليّ بن أبي طالب في قوله: يسألونك عن الروح، قال: ملك له سبعون ألف وجه فيها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبّح الله بكل اللغات.

عن ابن عبّاس قال: أتى نفر من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الروح ما هو؟ قال: جند من جنود الله ليسوا بملائكة لهم رؤوس وأرجل يأكلون الطعام. ثم قرأ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[1] قال هؤلاء جند وهؤلاء جند. وعن الأعمش قال: سألت مجاهداً عن قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ قال: هم الملائكة.

(١)
وممّا جاءَ في إبليس والجنّ

•

• حقيقةُ الجنّ

الجنّ من الخلق التي لطفت أجسادها. ويشهد لحقيقته القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وذكر بعض الفلاسفة ممن لا يثبت القديم أن لا حقيقة للجن والملائكة.

• بعضُ التحذير الواردِ في الشريعة من الشيطان

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[2]، وذلك في آيات كثيرة. وقال ﷺ: خمروا آنيتكم وأوكئوا أسقيتكم وأجيفوا الأبواب، وأطفئوا المصابيح، وأكفتوا صبيانكم، فإن للشيطان انتشاراً وخطفة.

وقال ﷺ: لا تشربوا من ثلمة[3] الإناء فإنها كفل الشيطان.

• رجمُ الشياطين

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾[4] وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾[5]

---

(١) القرآن الكريم: النبأ/ ٣٨.
(٢) القرآن الكريم: المؤمنون/ ٩٨.
(٣) الثلمة: محلّ الكسر، الخلل.
(٤) القرآن الكريم: الملك/ ٥.
(٥) القرآن الكريم: الصافات/ ٦.

وحكى الله تعالى عنهم أنا لمسنا السماء فوجدناها مُلئت حرساً شديداً وشهباً (الآيات) وكان الشياطين يتسمعون ما يوحونه إلى أوليائهم. وقد زعم بعض الناس أن الله تعالى جعل الرجوم حجة لنبيه ﷺ وقال قوم ليس كذلك. فقد قال بشر:

فجالَ على نفَر كمَا انقضَّ كوكبٌ   وقد حالَ دون النقْعِ والنقْعُ يسطَعُ[1]

وقال أمية بن أبي الصلت:

وترى شياطيناً تروغُ مضافةً   ورواغُها صبر إذا ما تطرَدُ[2]

تلْقَى عليها في السّماءِ مذلّة   وكواكبُ تُرمى بها فتعردُ

● **صرعُ الجنّ للإنسانِ وغيره**

عندهم أن الجن يصرع الإنسان لحبّه له. وقيل: إن فتى قبيحاً حصل جارية مليحة فقال لها: ما في الدنيا أملح منّي. فجاء إلى بابه يوماً فتى ظريف يطلبه فتطلّعت فرأته فلما عاد قالت له: ألم تقل إن ما في الدنيا أحسن منك؟ وقد جاء فلان يطلبك فرأيته أملح منك. فقال الرجل: يريد أن يقبحه في عينها: هو مليح لكن له جنية تصرعه كل شهر مرة. فقالت: لو كنت جنيته لصرعته ألفين.

واستدل على أن نتيجة الصرع من الجنّ بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[3] وقالوا في بعير مجنون: إنه لا يرى ما لا ترى الإبل. وقالوا: قد يجن الجن. وأنشد لدعلج الحكم:

وكيفَ يفيقُ الدهر كعبَ بنَ ناشب   وشيطانُه عنْد الأهلةِ يصرعُ

● **تصوّرُ الجنِ للإنسان بصور**

تزعم العامة أن الجنّ تتصور بأي صورة تشاء، إلا الغول[4] فإنها تتصور في صورة امرأة، إلا رجليها فإنهما لا بد وإن يكونا رجلي حمار. وقاسوا ذلك بتصوير جبريل عليه السلام بصورة دحية الكلبي، وتصوّر إبليس بصورة سراقة بن مالك، وبصورة الشيخ النجديّ.

والغول تتصور للإنسان فتغوله أي تهلكه، ويقولون من ضربها ضربة قتلها. وإذا زيدت لم تمت ولو ضربت ألوفا. قال شاعر:

فقالتْ زدْ فقلْتُ رويْد أني   على أمثالِها ثبتُ الجَنانِ

---

(١) النقع: الغبار.

(٢) الرواغ: مصدر راغ يروغ، أي حاد عن الطريق وذهب هكذا وهكذا.

(٣) القرآن الكريم: البقرة/ ٢٧٥.   (٤) الغول: حيوان لا وجود له.

● **من ادعى أنه قتله الجن**

قالوا: خرج علقمة بن صوفان في الجاهلية يريد مالاً على حمار ومعه سوط في ليلة، فإذا بشيء يدور ومعه سيف وهو يقول:

علقم إنك مقتول وإن لحمك مأكول

فقال علقمة: شق مالي ولك تقتل من لا يقتلك أغمد عني منصلك. فواثبه وضرب كل واحد صاحبه فخرّا ميتين. **وقالوا:** إن الجن قتلت حرب بن أمية، وفيه **قالت الجن:**

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفرِ وليسَ قربَ قبرِ حربٍ قبْرُ

وقتلت سعد بن عبادة وقالت:

قد قتَلْنا سيِّدَ الخز رج سعدَ بن عباده(١)

ورميْناه بسهمَيْـ ـنِ فلمْ نخطْ فؤادَه

● **من ادّعى أنه قتلَ الجنّ**

من ذلك ما روي أن تأبّط شراً قتل غولاً، وعاد إلى قومه وقد تأبّط رأسه، **فقيل:** تأبّط شراً. وروي أن عمر رضي الله عنه صرع جنياً.

● **ما نسبَ إليهم من الداء**

قالوا: الطاعون من الجنّ وسمّي رماح الجن، **قال:**

ولكنّي خشيتُ على أبي رماح الجنّ أو إياكَ جاري

● **الإستجارةُ بالجِنّ**

كانت العرب إذا صار أحدهم في تيه من الأرض وخاف الجنّ **يقول:** رافعاً صوته، أنا مستجير بسيّد هذا الوادي ويصير له بذلك خفارة. ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾(٢) الآية.

● **رئيّ الشعراء**

ادّعى كثير من فحول الشعراء أنّ له رئياً يقول الشعر بفيه، وله إسم معروف من ذلك **مسحل شيطان الأعشى وفيه يقول:**

دعوتُ خليلي مسحَلاً ودعوا له جهنام جدعاً للهجينِ المذمّمِ

---

(١) **الخزرج:** قبيلة يمنية، وهي مثل الأوس من أصل واحد وقد رحلوا جميعاً من جنوبي جزيرة العرب إلى المدينة المنوّرة بعد خراب سدّ مأرب.

(٢) **القرآن الكريم:** الجن/٦.

وذكر أن خال مسحل هميم شيطان الفرزدق قال أبو النجم:

إنّي وكلّ شاعرٍ من البشر ... شيطانُه أنثى وشيطاني ذكَر

وقال آخر:

إنّي وإن كنتُ صغيراً سنّي ... فإنّ شيطاني كبيرُ الجنّ

● **رؤية الجنّ وسماعُهم وصحبتُهم**

روي أن ابن علاثة قضى بين الجنّ في دم. **وقال ابن الأعرابي**: نزلت بأعرابي فاستطبت ماءه فسألت عن مكانهم. **فقال**: هو كثير الجان. فقلت: أو ترونهم؟ **قال**: نعم مكانهم في ذلك الجبل وأومأ بيده إلى جبل يقال له سواج.

وقد ادعى عدّة من العرب أنهم رأوا خياماً وناساً ثم فقدوهم من ساعتهم، **قال ذو الرمّة**:

للجنّ بالليلِ في غيطانِها زجَلُ ... كما تناوحَ يومَ الريحِ عيشومُ[1]

وقال:

ورملٌ عزيفُ الجنّ في عقداتِه ... هزيزٌ كتضرابِ المغنّين بالطَّبْلِ[2]

ولا تتحاشى العرب من سماع **الهاتف** وذلك كثير. **وقالوا**: دويّ الفيافي عزيف الجن. وأصل ذلك أن من سكن الفيافي وتوحش وقلّت أشغاله ربما يتوسوس، فيتصور الصغير كبيراً ويتفرق ذهنه ثم يجعل ما يتصوره أحاديث فيحكيها. **قال عبيد بن أيوب**:

أخو فقرات حالفَ الجنَّ واتقى ... من الأنسِ حتّى قد نقضَتْ وسائله

● **من ادّعى أنه تجيبُه الجنّ**

يقال: فلان مخدوم إذا كان إذا عزم[3] على الجنّ أجابوه. فمنهم **عبد الله بن هلال الحميري** صديق إبليس، **وكرباس الهندي وصالح الدبيري**.

وقالوا: من أراد أن يحبه الجن فليتبخر باللّبان ويراعي سير **المشتري**[4] ويغتسل بالماء القراح، ويكثر من دخول الخرابات.

وقالوا إذا آخى الجنيّ أنسياً أخبره ووجد حسه ورأى خياله.

ومنهم الكهان نحو جارية جهينة وكاهنة باهلة وشق وسطيح. **والعرّاف** دون الكاهن.

● **من استهوته الجنّ**

قالت العرب: استهوت الجنّ سنان بن أبي حارثة يستفحلونه فمات فيهم. واستهووا طالب بن أبي طالب فلم يوجد له أثر قط. وعمرو بن عدي اللخميّ ثم ردّوه إلى جذيمة

---

(١) **الزجل**: عزيف الجن ـ **العيشوم**: نبت يتخشخش إذا هبّت عليه الريح.

(٢) **عقدات الرمل**: ما تعقد وتراكم من الرمل ـ **الهزيز**: دويّ الريح وصوت الرعد.

(٣) **عزم على الجن**: أي قرأ العزائم واحدتها عزيمة وهي الرقية، **والمعزِّم**: الراقي.

(٤) **المشتري**: نجم من السيّارات.

الأبرش. واستهووا عمارة بن الوليد بن المغيرة، ونفخوا في أحليله وصار مع الوحش.

وقالوا خرافة رجل استهوته الجنّ ثم عاد يخبر عنها، وبه ضرب المثل **فقيل**: المثل حديث خرافة.

وروي أن عمر رضي الله عنه استخبر المفقود الذي استهوته الجن ما كان طعامهم؟ **قال**: الفول. وقيل الرمّة وما لم يذكر إسم الله عليه.

● من ادّعى أنه من ولد الجنّ

ذكرت العرب أن عمرو بن يربوع من ولد السعالي. وذكر أبو زيد النحويّ أن سعلاة أقامت في بني تميم حتى ولدت فيهم. فلما رأت برقاً يلمع من نحو ديارهم حنّت فطارت إليهم، **وفيهم قال الشاعر**:

يا قاتل الله ابني السعلاةِ عمراً وقابوساً شرارَ النات

أي الناس. وذكروا أن جرهما من ولد الملائكة. واستدل على صحة تناسل الجن من الأنس بقوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[1] وقوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[2]

وزعموا أن النسناس تركيب ما بين الشقّ والإنسان.

● مساكنُ الجنّ

زعمت العرب أن الله تعالى لما أهلك الأمة الساكنة **وبار**، كما أهلك **طسماً وجديساً وعاداً وثمود**، سكنت الجن منازلهم وحمتها من كل من أرادها. وأنها أخصب بلد فإن دنا اليوم منه إنسان غالط حثوا في وجهه التراب فإن أبى الرجوع خبلوه. وإن من أراده ألقى على قلبه الصرفة حتى كأنهم أصحاب موسى في التيه.

وقيل في المثل: لا يهتدي لكذا حتى يهتدي لوبار وليس بذلك المكان إلا الجن والإبل الحوشية.

وقالوا شيطان الحماطة، وغول القفر، وجان العشر، وشيطان عبقر. ونسب كل شيء في الجودة إلى **عبقر** حتى قيل لم أر عبقرياً مثله.

● مراكِبُ الجنّ

ادعوا أن الجنّ يركب كل وحش من البهائم والطيور، إلا الأرنب لأنها تحيض. والضباع لأنها تركب أيور القتلى والموتى، إذا جيفت أبدانهم، والقرد وأنها لا تغتسل من الجنابة.

وقالوا يكثر ركوبها القنفذ والورل[3] وأنشدوا للجن:

وكلّ المَطايا قد ركبْنا فلم نجِدْ ألذَّ وأشهى من ركوب الجنادبِ

---

(١) القرآن الكريم: الإسراء/ ٦٤. (٢) القرآن الكريم: الرحمن/ ٥٦ و٧٤.

(٣) الورل: من الزواحف على خلقة الضبّ وهو طويل الذنب ودقيقه.

ولَـمْ أرَ فـيـهـا غـيـرَ قـنـفـذ بـوقَـة   يـقـودُ قـطـاراً مـن عـظـيـم الـعـنـاكـبِ

وقالوا من قتل من أول الليل بعض هذه المراكب لم يأمن على فحل إبله. ومتى اعتاره غمّ أو مرض في ماله وأهله، حكموا بأن ذلك عقوبة من قتلهم.

● **ما نسبَ فعلُه إلى الجنّ**

نسب كثير من الناس أبنية محكمة إلى الجن واستدلوا على أنهم كانوا يبنون، بقول الله تعالى: فيهم ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾[1] وقال النابغة:

وخـيّـس الـجـنّ إنـي قـد أذنـتُ لـهـم   يـبـنـون تـدمـرَ بـالـصـفّـاح والـعـمَـدِ[2]

وقالوا للمأثور من السيوف عملته الجن. **وقالوا في الإبل** فيها عرقاء من سفاد الجن. حتى قالوا الحوشية من نسل حوش وهي إبل الجن. **والمهرية** منسوبة إلى فحل لهم وذهبوا إلى أن النبي ﷺ كره الصلاة في أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين. **وقال الجاحظ** جهلوا مجاز الكلام فحملوا اللفظ على غير جهته.

---

(١) **القرآن الكريم**: ص/ ٣٧.

(٢) **خيّس**: أي ذلّل ـ تدمر: بلدة بالشام بناها سليمان الحكيم ـ **الصفّاح**: الحجارة العراض الرقاق ـ العمد: السواري من الرخام وهي الأساطين جمع أسطوانة.

الحدّ الرابع والعشرون

في الحيوانات

●

(١)

فما جاء في الخيل والبغال والحمير

●

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[١] **وقال خالد بن صفوان**: الخيل للإيغال[٢] والبغال للجمال، والحمير للأحمال.

وقال الحسن رضي الله تعالى عنه: الجفاء مع أذناب الإبل والمذلّة مع أذناب البقر، والسكينة مع أذناب الغنم، والعزّ في نواصي الخيل.

● **وصفُ البغل مدحاً وذماً والاعتذار لركوبه**

قال شاعر في مدحه:

البغلُ فيه لمَنْ يمارسُه ... صبرُ الحِمار وقوةُ الفرَس

وقال البحتري:

وأقبّ نهْد للصواهِل شطرُه ... يومَ الفخَار وشطرُه للمسحَجِ[٣]

خرقٌ يتيهُ على أبيه ويدّعي ... عصبيةً لابنِ الصليبِ وأعوجِ

مثل المدرع جاءَ بين عمومةٍ ... في عاتقٍ وخؤولةٍ في الخزرجِ

وقيل: ما من شيء بين جنسين أخذ منهما الشبه على السواء كالبغل. وسئل بعضهم: على أي مركب كنت في الطريق؟ **فقال**: على التي بين الحمار والبغل.

وروي أنه وقع بين حيّين منازعة، فخرجت عائشة رضي الله عنها، **وقالت**: ائتوني ببغلة أركبها وأصلح بينهما، **فقال ابن أبي عتيق**: ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل كيف توقعينا بهم يوم البغلة؟ **قال الجاحظ**: وهذا الحديث من توليد الروافض. فأما عائشة فكان

---

(١) **القرآن الكريم**: النحل/ ٨.

(٢) **الإيغال**: مصدر أوغل في كذا: أدخله فيه، وفي السير أسرع.

(٣) **الأقبّ (من الخيل)**: الضامر البطن والدقيق الخصر - **النهد**: البارز أو العالي الصهوة - **المسحج**: كل ما يجري دون الجري الشديد من الدواب.

أمرها أنفذ من أن تحتاج أن تركب وأي شيء يتفاقم حتى تحتاج عائشة فيه إلى الركوب ثم لا يعرف خبره.

وقال بعضهم في تفضيل الإناث منها:

علـيـكَ بـالـبـغـلـةِ دونَ الـبـغـلِ مـركـبِ قـاضٍ وإمـامِ عـدلِ
وعـالـمٍ وسـيِّـدٍ وكـهـلِ تـصـلـحُ لـلـوحـلِ وغـيـرِ الـوحـلِ

ويضرب به المثل في تلوّن أخلاقه. قال الشاعر:

خـلـقٌ جـديـدٌ كـلَّ يـو مٍ مـثـلُ أخـلاقِ الـبـغـالِ

وقال آخر:

مـتـلـوّن كـتـلـوّن الـبـغـلِ

لقي الرشيد موسى بن جعفر على بغلة فاستنكر ذلك، وقال: أتركب دابّة إن طلبت عليها لم تلحق وإن طلبت لم تسبق؟ فقال: لست بحيث أحتاج أن أطلب أو أطلب فإنها دابّة تنحط عن خيلاء الخيل، وترتفع عن ذلّة الحمير وخير الأمور أوساطها.

● وصفُ الحمار مدحاً وذمّاً

وصفُ الفضلُ بن عيسى الحمارَ فقال: هو أقرب الدواب داءً وأكثرها دواء وأكبرها جماحاً. أنفض مهوى وأقرب مرتقي. قد تواضع راكبه. ولو أراد أبو سيارة لركب في الموسم مهرياً وفرساً عربياً، لكنه ركب الحمار أربعين سنة، فعارضه أعرابي، فقال: الحمار إن وقفته أدلى وإن تركته ولى، كثير الروث قليل الغوث لا ترقأ به الدماء ولا تمهر[1] به النساء ولا يندى به الإناء.

ونظر الرقاشي إلى حمار فاره لمسلم بن قتيبة، فقال: قعدة نبي وبذلة جبار، ذهب إلى حمار عزير وحمار عيسى وحمار بلعم.

وقرّب إلى أبي لجيم حمار له ليركبه وهو والي البصرة، فقال خالد بن صفوان: أعيذك بالله أيها الأمير من ركوبه فإنه عير، والعير عار وشنار منكر الصوت بعيد الفوت متفرق الصحل، متورط في الوحل بسائره، مشرف ولراكبه مقرف. فقال أبو لجيم: أمصله. فقال خالد: اجعله لي. فقال: هو لك فعاد عليه راكباً. فلما بصر به، قال: ما هذا؟ قال: عير من نسل الكداد أصحر السربال محملج[2] القوائم يحمل الرجل ويبلغ العقبة، ويمنعني أن أكون جباراً.

وقيل: شر المال مالاً يزكى ولا يذكى يعني الحمير، لأنها لا تجب الزكاة في سائمتها.

---

(١) تمهر به النساء: أي يعطى مهراً لهنّ.

(٢) المحملج: من حملج الحبل إذا فتله فتلاً شديداً.

وكتب قيصر إلى الرشيد على سبيل المعاياة: إبعث إليّ بشر الطعام على شرّ الدواب مع شر الناس فبعث إليه جبناً على حمار مع خوزي.

وقيل: اصبر على الذلّ من الحمار. ويضرب المثل به في الصوت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[1] وقيل لأعرابي: ألا تركب الحمار؟ فقال: إنه عشرة منخرة، تبوع للحجرة. وقيل: الحمار مطية الدجال قال شاعر:

إن الحمارَ معَ الحمار مطيّة ... فإذا خلوتَ به فبئس الصاحبُ

وقيل لبعضهم: أي مركوب كلما كان أكبر كان أذلّ لصاحبه؟ فقال: الحمار. وقيل: لا تركب الحمار فإنه إذا كان سلساً أتعب يديك، وإن كان بليداً أتعب رجليك.

ولقي جحظة بعض أصحابه على حمار فقال: مالك اقتصرت على ركوب حمار، لا يساوي ثمن قضيمه؟ فأنشأ يقول:

لا تنكرنّي على حمار ... يضيعُ في مثله الشعيرُ
وكيفَ لا يمتطي حماراً ... منْ جُلُّ إخوانهِ حميرُ

وقال:

ولا عنْ رضا كان الحمارُ مطيّتي ... ولكنْ من يمْشي سيرضى بما ركِب

(٢)
فضلُ الفَرَس

●

قال الله تعالى في الامتنانِ به: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2] ومن فضيلته أن النبي ﷺ أسهم له سهمين، ولم يجعل لراكبه المسلم إلا سهماً. وقال ﷺ: الخيل معقود في نواصيها الخير.

وقال رجل من الأنصار وقد روي لامرىء القيس:

الخيْرُ ما طلعَت شمسٌ وما غربتْ ... معلّق بنواصي الخيْل معصوبُ

ويروى أن النبي ﷺ أمرغ فرساً له، ثم جعل يمسحه بردائه، فقيل له في ذلك فقال: بتّ البارحة وجبريل يعاتبني في سياسة الخيل.

وكانت العرب لا تهنأ إلا بثلاث إذا ولد للرجل ذكر قيل له ليهنك الفارس، وإذا نبغ في الحيّ شاعر قيل لوالده ليهنك من يذب[3] عن عرضك، وإذا نتج مهراً قيل له: ليهنك ما تطلب عليه الثأر.

---

(١) القرآن الكريم: لقمان/ ١٩.
(٢) القرآن الكريم: الأنفال/ ٦١.
(٣) ذبّ عن: دافع، والعرض: كل ما يحامى عنه.

وقال الجاحظ: لم تكن أمة قط أشد عجباً بالخيل ولا أعلم بها من العرب، ولذلك أضيفت إليهم بكل لسان ونسبت إليهم بكل مكان، فقالوا: فرس عربي ولم يقولوا هندي ولا رومي ولا فارسي.

وعرض **الحجّاج** أفراساً وجواري وبين يديه أعرابي فخيّره بين فرس وجارية، فقال:

لَصَلْصَلَةُ اللجَامِ برأسِ طِرْفٍ أحبّ إليّ من أن تنكحيني
أخافُ إذا حللنا في مضيقٍ وجدَّ الركضُ أن لا تحمليني(١)

● **الحثّ على إيثاره والإحسان إليه، والتمدحُ بذلك**

قال النبي ﷺ: من قدر على ثمن دابة فليشترها، فإنه تعينه على رزقه وتأتيه برزقها.

وقال أبو ذرّ: ما من ليلة إلا والفرس يدعو ربّه ويقول: اللهم سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي بيده، فاجعلني أحب إليه من أهله وماله، اللهم ارزقه وارزقني على يديه.

وقال ابن سيرين لرجل: لم بعت فرسك؟ **قال**: لمؤنتها. **فقال**: تراه خلق عليك رزقه. **وقال مالك بن نويرة**:

جزَاني دَوائي ذو الخِمار ومنعتي بما باتَ أطواء بني الأصاغرُ
رأى أنّني لا بالقليل أمورهُ ولا أنا عنه في المُواساة ظاهرُ

وقال يزيد العبدي:

قصرْنا عليْه بالمقبضِ لقاحَنا رباعيةً أو بازلاً أو سُداسيا

وقال:

مفدّاة مكرّمةٌ علينا تجاع لها العيالُ ولا تجاعُ

وقال:

هاجرتني يا بنتَ آلِ سعد أألن حلبت لقحة للوردِ
جهلت من عناقه المُمتدِ ونظرتي في عطفهم الألدُ
إذا جيادُ الخيلِ جاءتْ تردى مملوءة من غضبٍ وحرْدِ(٢)

وقال:

تلومُ على أن أعطي الوردَ لقحة وما تستوي والوردُ ساعةَ تفزعُ

وقال عامر بن الطفيل:

وللخيل أيامٌ فمن يصطبرْ لها ويعرفُ لها أيامَها الخير تعقبُ

---

(١) **المضيق**: ما ضاق من الأماكن والأمور.

(٢) **تردي (الفرس)**: ترجم الأرض بحوافرها ـ **الحرد**: الغضب والحَرَد استرخاء عصب يد البعير.

● **كونه معقِلاً**

قال شاعر:

إن الحصونَ الخيل لا مدرى القرى

وقال لبيد:

معاقلُنا التي نأوى إليها ... بنات الأعوجية لا السيوفُ(١)

وعن بعض الفرس: الخيلُ حصون منيعة، ومعاقل رفيعة. **وقيل:** لا حصن كالحصان ولا جنّة كالبِنان.

● **الأمرُ بإهانته وإعارتِه**

قال بعضهم:

أهينوا مطاياكم فإنّي رأيتُكُم ... يهونُ على البرذونِ موتُ الفتى الندبِ(٢)

وقال آخر:

وإنّي إذا ما المرءُ آثرَ بغلَه ... على نفسِه آثرتُ نفْسي على بغْلي

وأبذلُه للمستعيرينَ لا أرى ... به علّةً ما دامَ ينقادُ للحبْلِ

● **مدحُ إناث الخيل**

قال ﷺ: عليكم بأناث الخيل فإن ظهورها وبطونها كنز. وقيل له ﷺ: أي المال خير؟ **فقال:** سكة مأبورة ومهرة مأمورة. **وقال:** بطون الخيل كنز وظهورها جرز.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الحصان لأمرت به فإنه أخفى للغارة والكمين، ولكن عليكم بالأناث.

● **مشاهيرُ الأفراس**

كان ملك الهند أهدى شبديز إلى كسرى، وكان من أزكى الدواب وأعظمها خلقاً وكان لا يبول ولا يروث تحته وكان ينخر ولا يزبد، وكان استدارة حافره ثلاثة أشبار، فبقي مدة ثم نفق. فلإعجاب كسرى به أمر بتصويره. فلما تأمل صورته استعبر.

ومن فحول الخيل عند العرب العسجد والوجيه والغراب ولاحق ومذهب ومكتوم.

وقال طفيل:

بناتُ الوجيه والغرابُ ولاحقٌ ... وأعوج ينمي نسبةَ المتسبب

وأشقر مروان من نسل **الذائد**، والذائد من ولد **بطين** من البطان، وهو الذي بعث الحجّاج إلى الوليد. ومن نسل **أعوج داحس** كان لعبسيّ بن جذيمة العبس، والغبراء لحمل بن بدر بن حذيفة. وتشامت العرب **بداحس** لوقوع الحرب بسببها.

---

(١) **الأعوجيّة:** الخيل المنسوبة إلى فحل يدعى الأعوجيّ.

(٢) **الفتى الندب:** السريع إلى الفضائل.

والعصا فرس جذيمة الأبرش، وقيل إن قيصر ركبها لما صار جذيمة في بلد الروم فركضها فلم تقف إلا على رأس ثلاثين ميلاً. ثم وقف هناك فبالت، فبني على ذلك الموضع برج يسمى برج العصا.

وزهدم فرس عنترة، **والنعامة** فرس الحارث بن عباد. ومن أفراس النبي ﷺ **اللزاز** هداه المقوقس إليه من مارية، **والسكب واليعبوب** وبغلته **دلدل** وحماره **يعفور**. وله ناقتان **العضباء والقصواء**. وكان لعلي رضي الله عنه بغلة يقال لها **الشهباء**، **واليحموم والرقيب** فرسا النعمان. **والعباب** فرس مالك بن نويرة **وهسون** فرس الزبير بن العوام. **والغزالة** فرس خولان. **والحرون** لمسلم بن عمر. واشتراه بألف دينار. **وكامل** لزيد الفوارس **وقسام** لبني جعدة **والزائد** لمحمد بن عبد الملك.

● الماهرُ بالركوب العاجز

قيل:

لم يركبوا الخيل إلا بعدما كبروا

وقال آخر:

وإنـي لأرثـي لـلـكـريـم إذا غـدا ... علـى حـاجـةٍ عـنـد اللـئيـم يـطـالـبُـه

وأرثـي لـهُ مـن وقـفـة عـنـد بـابـه ... كـمـرسـنـي لـلطـرف والـعـلـجُ راكـبُـه

● اللازمُ لظهر الدّابة

يقال فلان حلس دابته **وقال شاعر:**

أراكَ لا تـنـزلُ عـن ظـهـره ... ولـو مَـن الـبـيـت إلـى الـحَـبْـسِ

قال أمير المؤمنين: اضرب الفرس على العثار، ولا تضربه على النفار، **فإنه** يرى ما لا تراه، **وقال رجل لأمير المؤمنين:** متى أضرب حماري؟ **قال:** إذا لم يذهب إلى الحاجة كما ينصرف إلى البيت.

● المستغني عنِ الضرب

قال ثعلبة:

وتـعـطيـكَ قـبْـلَ الـسـوط مـلءَ عِـنـانِـهـا

وقال ابن المعتز: أضـيـعُ شـيء سـوطُـه إذ يـركـبُـه

وله:

حـسـنـا عـليـهـا ظـالـمـين سـيـاطَـنـا ... فـطـارتْ بـهـا أيـدٍ سـراعٍ وأرجـلُ

● الخائفُ من الضرب

قيل: أكرم الخيل لأمهاتها أجزعها من السوط، وأكيس الصبيان أشدّهم بغضاً للكتاب، وأكرم المهار أشدها ملازمة لأمهاتها.

وقال علقمة يصف ناقة:

تلاحظ السوطَ شزراً وهي ضامِرَة

وقال الكميت:

إذا اعصوصَبت في أنيق فكأنّما ... بزجرةٍ أخرى من سواهنّ تضربُ

● الجيدُ العذو

قيل لأعرابي: كيف عدو فرسك؟ قال: يعدو ما وجد أرضاً. وقيل لآخر، فقال: همّه أمامه وسوطه عنانه، وما ضربه أحد إلا ظلماً.

وقال أعرابي في صفة فرس وهو رخو العنان، كأن له في كل قائمة جناحاً. وذكر رجل فرساً فقال: كأنه شيطان، في أشطان إذا أرسل لمع لمع سحاب، أقرب الأشياء إليه الذي تقع عينه عليه.

ووصف ابن القرية فرساً بعثه الحجّاج إلى عبد الملك: بعثت بفرس حسن القدّ أسيل الخد، يسبق الطرف ويستغرق الوصف. وكتب عمرو بن مسعدة: يمرّ بالشاب مع قواه ويسير بالشيخ تحت هوان.

● لاحِقٌ غيرُ ملْحوق

عرض أعرابي فرساً للبيع، فقيل له: كيف هو؟ فقال: ما طلبت عليه إلا لحقت ولا طُلبت إلا فتّ. فقيل له: ولم تبيعه؟ فأنشأ يقول:

وقد تُخْرِجُ الحاجاتُ يا أمّ مالكٍ ... كرائِمَ من ربّ لهنّ ضنينِ

وقال المرقّش:

ويسبقُ مطروداً ويلحَقُ طارِداً ... ويَخرجُ من غمّ المضيقِ ويُخرجُ

قال الناشيء:

لم يعتصِمْ ذو مهرَب بفراقهِ ... يوماً ولاذَ ومطلب بلحاقه

وقال المتنبّي:

أدركتُه بجوادٍ ظهرُه حرَمُ

● المدركُ ما طلب

قال امرؤ القيس، وهو أولُ من ابتدعه:

بمُنجَردٍ قيدِ الأوابدِ هيكَلِ(١)

وقال الأسود:

قيدُ الأوابدِ والرّهان جوادُ

---

(١) المنجرد: القصير الشعر ـ قيد الأوابد: كناية عن السرعة، فجواده يدرك الوحوش فلا تقوى على الفرار فكأنه يقيدها ـ هيكل: ضخم.

وقال عمارة بن عقيل:

وأرى الوحشَ في يَميني إذا ما ... كانَ يوماً عنانُه بشِمالي

وقال ابن مقبل:

ولا ينفعُ الوحشَ منه أن تحذرَه ... كأنه معلّق منها بِخطافِ[1]

● **المشبّه بالوحشيات**

قال مالك بن نويرة:

وكأنّه فوقَ الجوالبِ جاليا ... ريمٌ تضايقُه كلاب أخضعُ

وقال الجعديّ:

كلفتُها شيدا أزلّ مضدرا

وقال آخر

رحيل كسرحانِ الفَضا المتأوّبِ

● **المشبّه في السرعَةِ بالطيور**

كأنه فتخاء[2] كاسر وكأنما يهفو بتمثالِ طائرِ.

وقال امرؤ القيس:

كأنّ غلامي إذا علا حالَ متنِه ... على ظهرِ بازٍ في السّماء محلّقُ

وقال آخر:

تحسبُه يطيرُ وهو يغدو

وقال مروان:

أقبلَ ينقضّ انقضاضَ الكوكبِ ... كأنّه بازٍ هَوى من مَرْقَبِ

يطلبُ صيْدا في فضاءِ سبسبِ ... لجائعٍ في وكرهِ مزغبَ[3]

● **المشبّه بالدلاء**

قال أبو النجم:

يهوي هويّ الغربِ من رشائِه ... أخطأهُ المُفرغ مِن أهوائِهِ[4]

وقال ابن نويرة:

كالدلوِ خانَ رشاؤها المتقطّعُ

وقال آخر:

هويَ دلْو خانَه الكربُ

---

(١) **الخطّاف**: حديدة حجناء يختطف بها. (٢) **الفتخاء**: العقاب اللينة الجناح.

(٣) **السبسب**: الفلاة ـ **الوكر**: عش الطائر ـ **المزغب**: فرخ الطير الذي يعلوه الزغب.

(٤) **الرشاء**: الحبل.

● **المشبّه بالماءِ الجاري والمَطر**

قال ابن المعتز:

أسـرعُ مـن مـاءٍ إلـى تـصـويـبِ

وقال المرقّش الأكبر:

يجمّ جمومَ الحِسي جاشَ مضيقُه وجرْده من تحتِ ذيلٍ وأبلَجِ[١]

قال زهير:

كشؤبوبِ غيثٍ يحفش الأكم وابلُه[٢]

● **المشبّهُ بالريح والبرق والنجم**

وقال نصيب الأصغر:

هيَ الريحُ إلا خلقها غير أنّها تبيتُ غوادي الريح حيثُ تُقيلُ

وقال آخر:

سليلُ ريحٍ لقحَتْ من برْقِ

وقال امرؤ القيس:

إذا ما جرى شأوين وابتلّ عطفُه تقولُ هوى الريح مرّت بآثارِ[٣]

وقال آخر:

كأنّه لمعَةٌ من عارضٍ بردِ

وقال أبو العتاهية:

قد خلفَ الريحَ حسرى وهي تتبعُه ومرّ يختطِفُ الأبصارَ والنظَرا

وقال ابن الرومي:

تراه كالنجم خرّ منصلِتاً إثرَ العفاريتِ والشياطينِ

● **السابقُ الطرفَ والوَهم**

قال أبو النّجم:

يسبقُ طرفَ العينِ من مضائِه

● **في وصْفِهِ**

طِرف يسبق الطّرف ويفوتُ الوهم.

---

(١) **يجمّ الفرس**: يترك فلا يركب ـ **الحِسي**: السهل إذا استنقع فيه الماء ـ **جاش (الوادي)**: غزر وامتدّ، والصدر غلى غيظاً.

(٢) **الشؤبوب**: الدفعة من المطر ـ **الوابل**: المطر الغزير ويحفش وابله الأكم أي يظهر نباتها، **يُحفش (الليل)**: يملأ الوادي.

(٣) **الشأو**: الشوط أو الأمد.

وقال المتنبي:

أربُعـهـا قـبْـل طـرفِـهـا تـصِـل

وقال الناشيءُ في وصفه:

مـثـلُ دعـاءٍ مـسـتـجـابٍ إنْ عـلا أو كـدعـاءِ نـازلٍ إذا هـبَـط

● **المشبّه بالنّار والغليان**

شدّ كإضرام الحريق، كمعمعة السعف الموقد، كحَريق في غريق، إذا جاش حميُه غليُ مرْجَل.

● **تواتر أيديها وأرجلِها في العدْو**

قال بكرُ بن النطاح:

كـأنـمـا الـيَـدان والـرجْـلان طـالِـبَـتـا وتْـرٍ وهـاربـان[1]

وقال العماني يصف فرساً محجّلاً:

كـأن تـحْـتَ الـبـطـنِ مـنْـه أكـلـبـاً بيْـضـاً صِـغـاراً يـنـهَـشْـن الـمـنـقـبَـا[2]

وقال ابن خلف:

وكـأنـمـا جـهـدت ألـيـتُـه أنْ لا تـمـسّ الأرضَ أربُـعُـه

وقال آخر:

وكـأنـمـا يـرفـعْـن مـا لا يـوضَـعُ

وقال الموسوي:

كـأنّـه فـي سـرعـان الـوخْـد يـلـعـبُ فـي أرسـاغِـه بـالـبـرِدِ[3]

● **الحاذقُ بالناورد**

قال كشاجم:

مـاءٌ تـدفّـقَ طـاعَـةً وسـلاسَـةً فـإذا اسـتـدرّ الـحـضـر مـنـه فـنـارُ[4]

وإذا عـطـفـتَ بـه عـلـى نـاورده لـتـديـرَه فـكـأنـه بـرْكـارُ

وقال المتنبي:

تـثْـنـي عـلـى قـدرِ الـطـعـان كـأنـمـا مـفـاصـلُـهـا تـحْـت الـريـاحِ مـراودُ[5]

وقال الصاحب:

لـه دورُ نـاورد عـلـى قـدرِ درهَـم

---

(١) **الوتر**: الثأر.

(٢) **الأكلب**: الكلاب ـ ينهشن: يعضضن ما يتناولنه بالفم ـ المنقب: الموضع الذي ينقبه البيطار من بطن الدّابة.

(٣) **الأرساغ**: جمع رسغ وهو الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل، أو المفصل بين الساعد والكف.

(٤) **الحُضر**: من أحضر الفرس إذا عدا شديداً. (٥) **المراود**: جمع مرود وهو محور البكرة.

وقال امرؤ القيس:

لـه وثـبـاتٌ كـوثـبِ الـظِّـبـاء ... فـوادٍ خـطـار ووادٍ مـطَـر

وقال آخر

وأجـرد مـا يـثـبـطُـه الـخـطـارُ

● المثيرُ الغبار

قال طفيل:

إذا هـبطَـتْ سـهْلاً حـبستْ غـبارَهـا ... بـجانبـهِ الأقـصى دواخـنُ تـنـصـبُ

وقال الخوارزميّ:

يـخـفُ لـوطـئِـهـا الـتـربُ الـبـلـيـدُ

وقال ابن المعتز:

يـرفـعُ نـقْـعـاً كـدخـانِ الـعـرفـجِ ... أو مثلِ ندفِ الكرسفِ المنفجِ[١]

● تابعُ الخيول

قال شاعر:

يـخرجْـن من تـحتِ الـغبارِ عوابسا ... كأصابعِ المقرورِ أقعى فاصطَلى[٢]

وقال ضمرة بن ضمرة:

كـالـتـمـر يـنـثـرُ مـن جـرابِ الـجـرْم

● الهِمْلاجُ[٣]

قال عمر بن عبد العزيز: ما شيء تركته لله فتاقت نفسي إليه، إلا ركوب الهماليج.

وقال مسلم: ما بقيت لذة إلا ركوب الهماليج وقتل الجبابرة.

● السبقُ

قال ﷺ: الخيل تجري بأحسابها فإذا كان يوم الرهان، جرت بجدود أربابها وكانت لرسول الله ﷺ ناقة لا تسبق، فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فصعب على النبي ﷺ فقال: حقّ على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه.

وكان عمر رضي الله عنه يأمر أن يجري الفرس من رأس الميدان وهو أربعة فراسخ.

وسابق عبد الملك بين بنيه فسبقَ الوليد وثنى سليمان وجاء مسلمة بعدهما، فقال عبد الملك لقبيصة الخزاعي أتروي قول الشني:

نـهـيـتـكـم أن تـحـمـلـوا هـجـنـاءَكـم ... على خيلكم يومَ الرهان فتدركُ[٤]

---

(١) النقع: الغبار ـ العرفج: ضرب من النبات ـ الكرسف: القطن.

(٢) المقرور: المرتجف من البرد ـ أقعى (السبع): جلس على مؤخره ـ اصطلى: استدفأ.

(٣) الهملاج: البرذون الحسن السير.

(٤) الهجناء: جمع هجين وهو الذي أبوه عربيّ وأمّه أمة غير محصنة ـ يوم الرهان: يوم السباق، والرهان مصدر راهن رهاناً ومراهنة. على الخيل: سابقه.

فتنفر كفاه ويسقط سوطه وتبردُ ساقاه فلا يتحرك
وما يستوي المرآن هذا ابنُ حرّة وهذا هجينٌ ظهرُه مشترَكُ

فقال مسلمة: قد قال حاتم خيراً من هذا:

وكائن ترى فينا من ابنِ سبيةٍ إذا لقي الأبطالَ يطعنُها شزْرا

(الأبيات) فسرّ عبد الملك به وقبّله بين عينيه.

● **مفاضلةُ ألوانِها**

قال النبي ﷺ: لو جمعت خيول العرب في صعيد واحد لجاءت وسابقها أشقر.

وقال: خير الخيل الأدهم الأرثم[1] المحجل ثلاثاً، المطلق اليمين فإن لم يكن أدهم فكميت على هذه الهيئة واستشار أعرابي النبي ﷺ في شراء فرس، فقال: اشتره أغرّ محجّلاً مطلق اليمين تغنم وتسلم.

وقال ﷺ: اليمن في شقر الخيل. **وقال بعض الحكماء**: إن طلبك صاحب أشقر فعليك بالحَزن[2]، فإن الأشقر رقيق الحافر. وإن طلبك صاحب أدهم، فعليك بالوحل فإنه رديء القوائم. وإن طلبك صاحب كميت، فعليك بالجدد[3] فعسى أن تنجو.

قال محمد بن سلام لم يسبق الحلبة أبلق[4] قطّ ولا بلقاء وزعموا أن الشيات[5] كلها نقص وضعف، والشية كل لون دخل على لون.

قال الله تعالى: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾[6] وكل حيوان إذا اسود شعره أو صوفه كان أقوى لبدنه، ولا خير في البقع. وكذلك البلق من الخيل والبرق من الحمل والتيس.

● **أحوالُ ألوانِها**

قال ابن عباس كان ﷺ يستحب الشقر من الخيل، **وقال ﷺ** إذا اعتددت فرساً فاعتده أقرح أرثم ومحجل الثلاث مطلق اليمين، فإنها ميامين فإن لم يكن أدهم فكميت ثم أغرّ تغنم وتسلم، إن شاء الله تعالى. **وقال سلمة**:

كميتٌ غيرُ مخلفةٍ ولكن كلون الصِّفِ حلّ به الأديمُ

وقال المرار:

فهو وردُ اللون تزأرهُ وكميت اللونِ ما لم يزأر

وقال السلامي في أغرّ أرثم:

نظنّ نجماً منيراً فوق غرّته وأنهُ بهلال ظلّ يلتثِمُ

---

(١) **الأرثم**: الفرس في طرف أنفه بياض.
(٢) **الحزن**: المرتفع والغليظ من الأرض.
(٣) **الجلد**: الأرض الغليظة والمستوية.
(٤) **الأبلق**: الأبيض.
(٥) **الشيات**: جمع شية وهي النمنمة والنقش، من وشى يشي وشياً وشيّة الثوب حسّنه بالألوان ونقشه.
(٦) **القرآن الكريم**: البقرة/ ٧١.

وقال ابن المعتز في محجّل الواحد مطلق الثلاث:

ومحجلٌ غير اليمين كأنه ... متبخترٌ يمشي بكم مسبلِ

وقال أبو تمام في أبلق:

مسودُ شطرٍ مثلَ ما اسودَّ الدُّجى ... مبيضّ شطر كابيضاضِ المهرقِ

- **التحجيلُ**

قال ابن المعتز في كمَيت:

وقارح أربُعه أصواؤه ... كأنما من دمهِ غِشاؤهُ[1]

- **الأغرّ المحجّل**

قال البحتري:

تتوهمُ الجوزاءَ في أرساغهِ ... والبدرَ غرّةَ وجههِ المتهلّلِ[2]

- **الغُرّة**

قال شاعر: تخالُ بياضَ غرّتِها أسْراجاً

وقال آخر: كأنما الشعرى على وجههِ[3]

وقال ابن نباتة: تطلعُ بينَ عينَيْه الثريّا

وله:

وكأنما لطمَ الصّباحُ جبينَه ... فاقتصّ منه فخاضَ في أحشائِهِ

وقال المتنبي:

وعيني إلى أذنَي أغرّ كأنه ... من الليلِ باقٍ بين عينيه كوكَبُ

- **ما يتفادى منه من الشيات**

كان ﷺ يكره الشكال وهو أن تكون اليد اليمنى والرجل اليسرى أو بالعكس مختلفين، أنشد أبو عبيدة:

إذا عرقَ المهقوعُ بالمرءِ أنعظَت ... حليلته وازداد حراً عجانُها[4]

وقيل آنق الخيل المهقوع وهو الذي في عرض زوره دائرة، وكانوا يستحبونه حتى أراد رجل شراء مهقوع مرة فامتنع صاحبه من بيعه، فقرأ المشتري هذا البيت فصار يتفادى منه.

---

(١) **القارح**: الذي شقّ نابه وطلع ـ **الأصواء**: جمع صوّة وهي ما غلظ وارتفع من الأرض، والصوة الحجر يكون دليلاً في الطريق.

(٢) **الغرّة**: البياض في جبهة الفرس.

(٣) **الشعرى**: الكوكب الذي يطلع في الجوزاء وطلوعه في شدّة الحرّ.

(٤) **المهقوع من الخيل**: الذي تكون به الهقعة وهي دائرة في وسط زور الفرس.

- **المَرَح**

وصف أعرابي فرساً فقال هو شيطان في أشطان وقال بشر:

مُهارِشَةُ العنانِ كأنَّ فيها ... جراءة هبرةٍ فيها اضطرابُ

وقال آخر:

كأنَّ به لسعةَ زنبورِ

وقال غيلانُ بن حريث:

يكادُ ممّا يزدهيه أشرُه ... يطيرُ لولا أنّنا نوقّرُهْ[1]

وقال أبو تمّام:

كأنّما خالطَه أولقٌ ... أو خامرَتْ هامتَه الخندريسُ[2]

وقال:

كأنّه سكرانُ أو عابثٌ ... أو ابنُ رب حدثَ المولِدِ

وقال الموسوي:

يُزجون جرداً لا تقرّ على الثّرى ... مرَحاً كأن التربَ شوْكُ قَتَادِ[3]

- **الشديدُ الصّهيل**

قال شاعر:

بأجشّ الصوتِ يعبوبِ[4]

وقال مزرّد:

أجشّ صهيليّ كأنّ صهيلَه ... مزاميرُ شرْبٍ جاوبتْها الجَلاجِلُ[5]

وقال الموسوي:

ويصهَلُ في مثْلِ قعْرِ الطّوَى ... صهيلاً يبينُ للمُغْرِبِ

وقال البحتري:

وكأنّ صهلتَه إذا استعلَى بها ... رعْدٌ يقَعْقِعُ في ازدِحام غمَامِ

- **الطامحُ العينِ والرأسِ**

قال مزرّد:

يُرى طامحَ العينَيْنِ يرنُو كأنّه ... مؤانسُ ذعْرٍ فهوَ بالأذنِ خائلُ

---

(١) **يزدهيه**: يحمله على الزهو والعجب.

(٢) **الأولق**: المسّ من الجنون ـ **الهامة**: الرأس ـ **الخندريس**: الخمر.

(٣) **يزجون**: يقودون ـ **الجرد**: الخيل ـ **لا تقرّ على الثرى**: أي سريعة تنهب الأرض عدواً ـ **القتاد**: نبت كثير الشوك.

(٤) **اليعبوب**: الفرس السريع الطويل من باب التشبيه بالنهر الشديد.

(٥) **الشرب**: جمع شارب ـ **الجلاجل**: الأجراس الصغيرة، جمع جلجل.

وقال المتنبي:

وينظرْنَ من سودٍ صوادقَ في الدّجى ... يرَيْنَ بعيداتِ الشّخوصِ كما هيا

وقال زُهَير:

وملجمُنا ما إن ينالُ قذالُه ... ولا قدماه الأرضَ إلا أنامِلُه

● **الموصوفُ بالطّول**

مدح أعرابي فرساً وراكبه، **فقال**: كان والله طويل العذار أمين العثار، إذا رأيت صاحبه عليه حسبته بازاً على مرقب، معه رمح تقصر به الآجال.

وقال عديّ بن الرقاع:

لا يكادُ الطويلُ يبلغُ منه ... حيثُ يثنى من المقَصّ العذارُ[(١)]

● **الطويلُ العنق**

قال قطريّ لرجل: اشترِ لي فرساً. **قال**: لا علم لي بنجابته، **قال**: اشتره ونصفه عنقه ومنه أخذ أبو النجم:

يكاد هاديها يكون شطرَها

وقال امرؤ القيس:

ومشنانةٍ في رأسِ جذعٍ مشذبِ[(٢)]

● **دقّة الأذُن**

وأنشد العماني الرشيد:

كأن أذنَيْه إذا تشرفا ... قادمة أو قلما محرّفا

فخطأه فيه ثم قال لأصحابه: كيف يجب أن يقال؟ فأعياهم. **فقال**: تخال أذنيه كأن هواديها أعلام وآذانها أقلام، وقيل إذن مرهفة مؤللة. ولبعضهم:

مقدودةُ الآذانِ أمثال القُدودِ[(٣)]

● **سعةُ العَيْن**

قال بعضهم:

وعينٌ لها حدرّة بدرةٌ ... وشقت مآقيهما من أخر[(٤)]

وقال آخر:

عينٌ كعينِ البكرِ حينَ تديرُها ... بمحجرِها تحْتَ النّصيفِ المُنقبِ[(٥)]

---

(١) **العذار**: جانب اللحية، وما سال من اللجام على خدّ الفرس.

(٢) **الجزع المشذب**: الذي قشر ما عليه من الشوك.

(٣) **مقدودة**: مقطوعة، من قدّ أي قطع ـ **القدود**: جمع قدّ.

(٤) **الحدرة**: من العيون المكتنزة.

(٥) **النصيف**: كل ما غطى الرأس من خِمار أو عمامة.

• **الجَبْهَةُ**

لـهـا جـبْـهـةٌ كـسـراة الـمِـجـنّ حـذقـه الـصـانـعُ الـمـقـتَـدِرُ

• **العُرف**

وأسْـحـم ريّـانُ الـعـسـيـبِ كـأنّـه عثاكيلُ قِنْوٍ من سَميحةِ مرطبِ[1]

• **الذّنَب**

وقال امرؤ القيس:

لـهـا ذنَـبٌ مـثْـلُ ذيـلِ الـعَـروسِ تَـسُـدُّ بـهِ فـرْجَـهـا مـن دبُـرِ

وقال طفيل:

وأذنـابـهـا وحـفٌ كـأنّ ذيـولَـهـا مـجـرا شـاء مـنْ سَـمِـيـحَـة مـرطـبِ

• **سَعَةُ الشّدْقِ**

قال شاعر:

وهيَ شـدْقـاء كـالـجَـوالِـقِ فـوهـا مـسـتـجاف يـضـلّ فيه الـشَّـكـيـمُ[2]

وقال الفلاح:

أشـدقَ رحـبُ الـمـنـكـبَـيْـن شـرجَـبُ إنْ يُلْقَ في شدْقَيْه كلبٌ يـذهَـبُ[3]

ونحوه للطفيل:

وأن يـلْـقَ كـلـبٌ بـيـن لـحـيَـيْـه يـذْهـب

• **سعة المِنْخَر**

لـهـا مِـنْـخَـرٌ كـوجـار الـضّـبـاعِ[4]

وقال آخر:

لـهـا مـنْـخَـرٌ مـثْـل جـيْـب الـقَـمـيـص

وقال بشر:

كـأن حـفـيـفَ مـنـخـرِهـا إذا مـا كـتـمْـن الـربـو كِـيـرٌ مـسْـتـعـارُ

وقال بعضهم: يمنع عنه وقوعَ البهر منخر في السعة كنَهْر

• **الواقصُ الذّباب بطَرْفِهِ**

قال المرقّش:

بـمـحـالـةٍ تـقـض الـذبـابَ بـطَـرْفـهـا

---

(١) **الأسحم**: الأسود أو السحاب الأسود ـ **العثاكيل**: جمع عثكول وهو في النخل بمثابة العنقود في الكرم.

(٢) **الشدقاء**: مؤنث الأشدق وهو الذي يلوي شدقه تفصّحاً، **والأشدق** الواسع الشدق ـ **الجوالق**: جمع جولق وهو العدل من الصوف أو الشعر واللفظة فارسيّة ـ **الشكيم من اللجام**: الحديدة المعترضة في فم الفرس.

(٣) **الشرجب**: الفرس الطويل القوائم. (٤) **الوجار**: مأوى الضبع.

وقال ابنُ مقبل:

تـرى الـنـعـراتِ الـخـضـرَ تـحـت لَـبَـانـه فُـرادى ومـثْـنـى أصـعـقَـتْـهـا صـواهِـلُـه[١]
فـريـسـاً ومـغـشـيّـاً عـلـيْـه كـأنّـمـا خـيـوطَـه مـأوى لـواهـنٍ قـاتِـلَـهُ[٢]

- **الضَّامِرُ**

وقال عمرو بن معدي:

تـقـولُ لـهـا الـفـوارسُ إذ رأوه تـرَى مـسَـداً أُمِـرّ عـلَـى الـرِّمَـاحِ[٣]

وقال آخر: كـأنّـهـا هَـراوةُ مـنْـوال[٤]

وقال آخر: كـقِـدحِ رامٍ طـار عـنْـه شـذبـه[٥]

وقال آخر: جـوداءُ مـثْـلُ هـراوةِ الـمـغْـراب[٦]

- **المحفر**

يصفونَ جيادَ الخيْلِ بسعة الجوف قال: ببطنه يعدو الذكر، وقيل: لم يسبق الحلبة أهضم قط.

وقال الجعديّ:

حـيـطٌ عـلـى زفـرة فـتـم ولـم يـرجـع إلـى دقّـة ولا هـضـم

- **الصُّلْب**

قال امرؤ القيس: كجُلمودِ صخْرٍ حطّه السيْلُ منْ عَلِ

وقال طرفة:

وأَروَع نـبـاض أحـد مُـلَـمْـلَـم كمرداةِ صخر في صَفيح مصمّدِ[٧]

- **الليّن المفَاصل**

قال البحتري:

لانـت مـفـاصـلُـه فـخـيـل بـأنّـه لـلـخـيـزرانِ مـنـاسِـبٌ بـعـظَـامِـه

وقال المتنبّي: مـفـاصِـلُـهـا تـحـت الـرِّمـاحِ مـراودُ

---

(١) **تحت لبانه**: اللبان: الصدر ـ **أصعقتها**: أصابتها بصاعقة.

(٢) **الفريس**: القتيل ـ **الواهن**: الضعيف. (٣) **المـد**: الحبل.

(٤) **الهراوة**: العصا الضخمة. (٥) **القدح**: السهم قبل أن ينصل ويراش.

(٦) **الجوداء**: مؤنث الأجود، والجمع أجاويد، والأجود الأكرم.

(٧) **الصفيح**: وجه كلّ شيء عريض ـ **المصمد والمصمود**: المقصود.

● **القوائِمُ**

قال امرؤ القيس:

عظيمُ الشظى عبلُ الشوى شنج النّسا[1]

وله:

لـهـا ثـنـن كـخـوافِـي الـعـقَـابِ[2]

وقال سليم الجعدي:

كــأنّ تــمــاثِــيــلَ أرســاغِــه رقــابُ وعــولٍ عــلــى مــرقَــبِ

● **الحافِرُ المنقعِب**

قال عوف بن الوليد:

لـهـا حـافِـرٌ مـثـل قـعْـب الـولـيـ ـد تـتـخـذُ الـفـأرُ فـيـه مـغَـارا

ويقال حافر كالقدح المكبوب. **وقال الموسوي:**

وكــمْ قــرعَ الــدفُ مــن حــافــرٍ تـخـالُ عـلـى الأرض قـعـباً يـكـب[3]

● **الصّلبُ الحافِر**

قال امرؤ القيس:

وتـخـطـو عـلـى صُـمّ صِـلابٍ كـأنـهـا حـجـارةُ غـيـلٍ وارساتٍ بطِحْـلـبِ[4]

أخذه الجعدي فقصر عنه، وإن كان قد بسط:

كــأن حــوافــيــه مــدبــراً حــفــيــن وإن كــانَ لــم تــحــطــبِ

حــجــارةُ غــيــلٍ بــرضــراضــة كــســيــن طِــلاء مــن الــطــحْــلــبِ[5]

وقال آخر:

حــامــلٌ تــحــت رسـغِــه جُـلْـمُـودا

وقال رؤبة:

يـرمِـي الـجَـلامـيـدَ بـجُـلْـمـود مِـدق

وقال شملعة بن الأخضر:

إذا قــرعــت ســنــابِــكُــهــا بــحَــزْن جــعــلْــنَ حــزونَــةَ الأجْــبــال هَــارا[6]

---

(١) **الشظى**: عظيم مستدق لازق بالركبة أو بالذراع أو عصب صغار فيه ـ **عبل الشوى**: أي غليظ القوائم ـ **الشنج**: المتقبّض والمتقلّص ـ **النسا**: عرق من الورك إلى الكعب.

(٢) **الخوافي**: الريشات الخفية في جناح الطائر ـ **العقاب**: طائر من الجوارح.

(٣) **القعب**: القدح الضخم الغليظ.

(٤) **الغيل**: الأجمة ـ **الطحلب**: نبات شديد الخضرة ينمو من الرطوبة ليس له جذور يغطي الصخور أحياناً كما يوجد على الشجر.

(٥) **الرضراضة**: الحجارة التي ترضرض أي تتحرك على وجه الأرض.

(٦) **الحزن**: المرتفع الغليظ من الأرض ـ **هاراً**: الهاري: الضعيف الساقط أو المنهدم.

وقال ابن المعتز:

وحـــافــرٌ أزرقُ كـــالـــفـــيــروزج

- **المؤثّر بحوافِره في الصّفا**

قال ابن المعتز:

يـطـبـعُ صـمّ الـصّـفـا حـوافـرُه طبْعَ الـخـواتـيـم لـيـنَ الـطّـيـنِ

وقال المتنبّي:

تـمـاشَـت بـأيـدٍ كـلّـما وافَتِ الـصّـفـا نـقـشْـن بـه صـدْرَ الـبُـزاةِ حـوافِـيـا[1]

وقال الببغا:

وكـأنّـمـا نـقـشَـتْ حـوافِـرُ خـيْـلـهِ لـلـنـاظـريـنَ أهِـلّةً فـي الـجَـلْـمَـدِ

- **معوذ رائق**

قال سلمة بن حوشب:

تـعـوذ بـالـرقـي مـن غـيـر خـبـلٍ ويُـعْـقـدُ فـي قـلائِـدهـا الـتـمـيـمُ

وقال ابن المعتز:

يـكـادُ لـولا اسـمُ الإلَـهِ يـصْـحَـبُـه تـأكـلُـه عـيـونُـنـا وتـشـربُـه

- **هيئته مقبلةً ومدْبِرة**

قال امرؤ القيس:

إذا أقــبــلــتْ قــلــت دبّــاءة من الـحُـضْـر مغموسةٌ في الـغُـدُرْ[2]

وإن أدبـــرَتْ قـــلـــت أثــفـيَــةٌ مـلـمـلـمَـةٌ لـيْـس فـيـهـا أثـرْ[3]

وإن أعـــرضَـــتْ قـلـت سـرعـوفَـةٌ لـهـا ذنَـبٌ خـلـفَـهـا مـسـبـطِـرْ[4]

وقال البحتري:

وكـــأن فـــارســـه وراءَ قـــذالـــه ودقٌ فـلـسْـتَ تـراه مـن قـدّامـه[5]

- **ما يحمَدُ من أوصافِ أعضائِه مجموعَة**

سأل الحجّاج ابن القرية ما يحمد من الخيل؟ فقال إذا كان **قصير** الثلاث **طويل** الثلاث **رحب** الثلاث **صافي** الثلاث فهو الجواد. أما **القصير** فالعسيب والساق والظهر،

---

(١) **الصفا**: الصخر - **يقول**: إن هذه الخيل الجرد تسير بأيد تؤثر عند الوطء بالحجارة مثل صدور البزاة، أي إن حوافرها شديدة وصلبة.

(٢) **الدباءة**: الجرادة الملساء - **الحُضر**: العدو - **مغموسة في الغدر**: أي مرتوية.

(٣) **الأثفية**: الصخرة المستديرة - **الململمة**: الصلبة - **الأثر**: الندوب والخدوش.

(٤) **الرعوفة**: الجرادة - **المسبطر**: الممتد.

(٥) **القذال**: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس - **الودق**: المطر.

والطويل الاذن والنحر والسالفة، والرحب المنخر والجوف واللبان، والصافي الأديم والعين والحافر.

قال خباب:

وقدْ أغدو بطرفٍ هيكلٍ ذي مَنْعة سكب حديدِ الطرف والمنكب والعُرقوبِ والقلْبِ
عريضِ الخدِّ والجبهةِ والصهوةِ والجنْبِ

وقيل: الفرس يسرع بسعة إبطه وجلده وبطول عنقه وعظم حفرته. وأغار زهير على حيّ من أحياء بكر بن وائل، فأصيب بعضهم فأتته جارية تسأله عن أبيها فقال: ما كان تحت أبيك؟ قالت: طويل بطنها قصير ظهرها هاديها شطرها، فقال: إن صدق وصفك فقد نجا.

● أوصافٌ مختلفَةٌ

قال بعضهم:

طِرفٌ تبين للبصير وغيرِه فيه النجابَةُ جارِيا ومقوَدا

وقال المتنبّي:

إذا لم تشاهِد غيرَ حسنِ شياتِها وأعضائِها فالحسْنُ عنك مغيبُ

وقال البحتري وقد استوهب فَرساً مسرجاً ملجماً:

والطرف أجلبُ زائرٍ لمؤنةٍ ما لم يزرك بسرجه ولجامِه

● كثرةُ عرق الخيلِ وقلته

ترى الماءَ من أعطافِه يتحلّبُ

وقال أبو النجم:

كأنه في الخيل وهو سامِ مشتملٌ جامَاً من الجِمامِ[1]

وقال آخر:

كأنّ على أعطافِه ثوبُ مائح

وعاب الأصمعي أبا ذؤيب بقوله:

إلا الحميم فإنّه يتبضّع

وقال امرؤ القيس:

فأدركَ لم يعْرَق مناطُ عِذارِهِ

● أثرُ العَرَق

قال طفيلُ الغنوي:

كأن يبيسَ الماءِ فوْق متونِها أساريرُ ملحٍ في متُون مجرب

---

(١) الجام: الكأس (واللفظة فارسية).

وقال عبيد:

تـراهـا مـن يـبـيـسِ الـمـاء شُـهْـبـا

وقال المرار:

كـعـقـبـانِ الـظـلالِ تـرى عـلـيْـهـا ... يـبـيـسَ الـمـاء تـحـسـبُـه صَـقِـيـعـا

● البَليدُ

قيل: اغتفرْ من الدواب كل شيء إلا البلادة، فإن راكبها مركوب. وسئل بعضهم أي البراذين شر؟ قال: الغليظ الركبة الكثير الجلبة الذي إذا أرسلته قال: أمسكني، وإذا أمسكته قال: أرسلني.

ونظر رجل إلى برذون عليه راوية فقال:

مـا الـمـرءُ إلا حـيـث يـجـعـلُ نـفـسـه

لو هملج[1] في سيره ما جعل راوية. وقيل لمكاري بارك يريد العصا فقال: إنّما أغتم لو أراد بزما ورد، قال شاعر:

لـو سـابـق الـذرّ مـشـدوداً قـوائـمُـه ... يـومَ الـرهـان لـكـانَ الـذرُّ يـسـبـقُـه

أو فرّ يـومَ الـوغـى والـنـمـلُ يـطـلـبُـه ... لـكـانَ قـبـل ارتـدادِ الـطـرفِ يـلـحـقـه

● الموصوفُ بالعيوب

باع رجل فرساً فقيل له: هل فيه من عيب؟ فقال: لا الاقر وكأنه قثاءة، ومشش كأنه سفرجلة، ودخس[2] كأنه بطيخة. فقيل: هو بستان لا برذون.

وقال الحارثي:

دمـوجٌ بـرجـلـيْـه وقـوعٌ بـصـدرِه ... عـضـوضٌ بفيه طـامِـحٌ مـتـخـبِـطُ[3]

وقال محمد بن جهور:

لـــي بـــرذون حـــرونٌ جـــرد ... نـفـخـي دخـس رخـوُ الـعَـصَـب

● الموصوفُ بالهُزال والكِبر

قيل لرجل على فرس هزيل: ما أرى فرسَك يروى من الشعر إلا قول عنترة:

ولـقـد أبـيـتُ عـلـى الـطّـوى وأظـلّـه ... حـتّـى أنـال بـه كـريـمَ الـمـأكـلِ[4]

وقيل لمزبد: ما بال حمارك يتبلّد إذا أخذ نحو المنزل وحمير الناس إلى منازلهم أسرع؟ فقال: لمعرفته بسوء المنقلب.

وقال محمد بن موسى القاساني:

فـلا تـنـكـر بـجـهـلِـك فـضـلَ مـهْـري ... فـمُـهْـري مـن مـلائـكَـة الـدوابِ

---

(١) هملج في سيره: مشى مشية سهلة في سرعة.
(٢) الدخس: السمين المكتنز.
(٣) دموج: أي مستحكم.
(٤) الطّوى: الجوع.

بـلا تـبْـنٍ يـعـيـشُ ولا قـضـيـم ... ولا الـمـوجـودِ مـن بـرْدِ الـشـرابِ
سـوى ورقِ الـحـجـارةِ أو خـلـيـطٌ ... يـثـيـرُ الـريـح مـع ظـلِّ الـسـحـابِ
ويـقـضـمُ كـلَّ يـوم كـفَّ شـمْـس ... إذا مـا الـشـمْـسُ حـانَـتْ لاغـتـرابِ
وإن يـعـطَـشْ وردتُ بـه هـجِـيـرا ... عـلـى نـهْـر يـلـوحُ مـن الـسـرابِ

وقال بعضهم:

بـرذون عـمـران أبـي عـبـاد ... يـذكـرُ كـسْـرى وزمـانَ عـادِ[١]
كـأنَّـمـا أضـلاعُـه هـوادِ ... كـأنَّـه فـي الـسـوقِ والـقِـيـادِ
سـفـيـنـةٌ تـدفَـع بـالـمـرادي[٢]

وقال أبو دلامة يصف فرسه:

وكـانـت قـارحـاً أيّـام كِـسـرى ... وتـذكـر تـبّـعـاً عـنـد الـفـصـالِ
وقـد مـرّت بـقـرْن بـعـد قـرنٍ ... وآخـرُ عـهـدِهـا بـهـلاك مـالـي

وكتب أبو العيناء إلى عبيد الله بن يحيى: أما بعد أعلم الوزير أن ابنك محمداً حمل عبدك على دابة تسوء الأولياء وتستر الأعداء، تقف بالنثرة[٣] وتعثر بالبعرة[٤]، كالقربة عجفاً[٥] والشنة دنفاً[٦]، تسعل وتحبق معاً، تضحك النسوان وتلعب الصبيان. ولقد ركبتها فمن وقفة وحبقه وسعلة. فمن قائل يقول: نقّ شعيره، وآخر يقول: التقط واحتفظ، وآخر يقول: إقطع قوائمه، واجعله مسراحاً وآخر يقول: لا تمرّ به على العلاف فتخنقه العبرة.

وقال ابن طباطبا:

قـارحٌ مـلـجـمٌ بـالإيـوان عـنـدي ... مـثـلُ شـيـخ إذا تـعـاطـى الـخـسـارَه
هـبْـك صـيّـرتـه بـالإيـوانِ مـهْـرا ... كـيْـف تـحـتـالُ إن أردنـا فـرارَه

قال شاعر:

كـانَ خـضـيـعـة بـطـنِ الـجـوا ... د وعـوعـة الـذئـب بـالـفـدفـد[٧]

● النهي عن الخصي

قال لما غز النبي ﷺ تبوك عمل رجلاً من الأنصار على فرس وأمره إذا نزل أن ينزل قريباً منه شوقاً إليه وشهوة إلى صهيله. فلما قدم النبي ﷺ المدينة سأل

---

(١) البرذون: التركي من الخيل ـ عاد: من العرب البائدة.
(٢) المرادي: خشبة تدفع بها السفينة. (٣) النثرة: المرّة أو القطعة من نثر.
(٤) البعر: رجيع ذوات الخف والظلف، جمع بعرة.
(٥) عجفاً: أي هزيلاً أو نحيلاً.
(٦) دنفاً: الدنف: المريض.
(٧) الفدفد: الفلاة أو المكان الغليظ، المرتفع.

الأنصاري عن الفرس قال: خصيناه. فقال مه مثلت به أعرافها أدفاؤها وأذنابها مذابها التمسوا نسلها وباهوا بصهيلها المشركين

(٣)

وممّا جاء في النّعم

•

• وصف النعم وتفضيلُ بعضِها على بعض

قال أهل اللغة: النعم اسم يشمل الغنم والبقر والإبل. **وقال ﷺ**: الغنم بركة موضوعة، والإبل جمال لأهلها، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة.

وقال أيضاً الفخر في أهل الخيل والسكينة في أهل الغنم. وقيل لابنة الحسن ما تقولين في مائة من المعز؟ قالت غنى قليل فمائة من الغنم؟ قالت غنى قليل فمائة من الإبل؟ قيل منى وقيل ما خلق الله نعماً خيراً من الأبل إن حملت أثقلت، وإن سارت أبعدت. وإن حلبت أروت. وإن نحرت أشبعت. وقيل: الإبل طويلة الظمء بعيدة الروحة، بسيطة المشية ثقيلة الحمل، وكل ظهر له كالعيال.

• المتبجّح بمُلْكِ الإبل

وقال إبراهيم بن العبّاس:

لنا إبل غرّ يضيق بها الفضا ... وتفتُر عنها أرضُها وسماؤُها
فمِنْ دونها أن تستباحَ دماؤُنا ... ومن دوننا أن تُستباح دماؤُها
حمى وقرى فالموْتُ دون مرامِها ... وأيسَرُ خطبٍ يومَ حق فناؤُها

وقال المرار:

لهمْ إبلٌ لا من دياتٍ ولم تكُنْ ... مُهوراً ولا مِنْ مكسبٍ غيرِ طائلِ[1]
محبسة في كلّ رسل ونجدةٍ ... وقد عرفت ألوانُها في المعاقِلِ

• وصفُها

وقال أبو جرول:

مخاض كسن الظبي لم أرَ مثلَها ... سناء قتيلٍ أو حلوبة جائعِ

وقال القطامي:

طوالُ القنى ما يلعنُ الضيفُ أهلَها ... إذا هو رغَى وشطها بعد ما يسري

---

(١) يقول إن إبلهم ليست من أموال الديات أو من مهور النساء ولا من مكسب بخس.

جفارٌ إذا صافَت هضابٌ إذا شتَتْ ... وبالصيفِ يردون المياهَ على العشْرِ
يعضّ عليها الحاسدون بنانَهم ... وليْس بأيديهِم غِناي ولا فقْري

● ألوانُ الإبلِ وتفضيلُ بعضِها

قال حنيف الحناتم: وكان آبل الناس الرمكاء[1] نهيّة تصغير نهية، والحمراء صبراء[2] والحمراء غزراء، والصهباء سرعاء. وفي الإبل أخرى إن كانت عندي لم أبغها وإن كانت عند غيري لم أشترها. لأنه لا يبيعها إلا العيب.

وقال أبو نصر النعامي هجّر على حمراء، وأسر بورقاء[3] وصبّح القوم على صهباء. **قيل**: ولم ذاك؟ قال: لأن الحمراء أصبر على حرّ الهَواجر، والورقاء على السرى والصهبة أحسن الألوان حين ينظر إليها.

وقيل: ورق الإبل أصفاها، والصهب أنقاها، والدهم أبهاها، والخمر أضناها، أي أكثرها ولداً والأدم أو ضؤها، والرمد أوطؤها.

● المتشابهةُ الألوان

وقال ذو الرمّة:

إذا انتجت منها المثاني تشابَهت ... على العودِ إلا بالأنوفِ سلائلُه

أي تشابهت على أمهاتها لكونها على نجاد واحد فلا يعرفن إلا بالشم.

● الإبل المختلفَة الألوان

قال بعض اللصوص يصف إبلاً سرقها من أحياء مختلفة:

تسألُني الباعةُ أي دارها ... لا تسألوني وأنظروا ما نارها
كلّ نجارٍ في الورَى نجارُها ... وكلّ نار العالمين نارُها[4]

والنار السمة. كردوس المراثي فيها:

أتسألني عن نارِها وديارِها ... وذلك علمٌ لا يحيط به الطمسُ

أي الخلق.

● الإبلُ المعلَمَةُ

قال الراجز:

كلّ علاة توّجَت بنارها ... قيلَ تمام القوم في نجارِها[5]

---

(١) **الرمكاء**: التي لونها بلون الرماد.
(٢) **صبراء**: الشديدة الصبر.
(٣) **الورقاء**: مؤنث الأورق وهو الذي لونه لون الرماد.
(٤) **النجاد**: الأصل.
(٥) **العلاة**: الناقة الجسيمة المشرفة.

ومن السمات العلاط والخياط والمحجر والخطاف والغراب والخطام والكشاح والجباب.

وقيل بعير محلق وطهور وأحزب والميسم مباح في الشريعة كان يسم إبل الصدقة وكانت القصوى والعضباء ناقتا رسول الله ﷺ موسومتين ومن منفعة السمة أنها إذا عرفت للرئيس لم تطرد عن الماء قال:

قد سُقيت آبالهم بالنار ... والنارُ قد تُشفى من الأوارِ[1]

● **إبلٌ غيرُ معلمة**

ربما يترك البعير غير معلم إما لأن إغفالها كالعلم لها أو يكون ذلك ضنا من صاحبها بها لكرمها.

قال:

ولا عيش الأكل صهباء غفل

وقال:

تناول الحوضَ إذا الحوضُ شغل ... ومنكِباها خلفَ أوراكِ الإبلِ

وقال:

من كلّ حمراء يفَاع المنتمى ... يكرمُها أربابُها إن توسما

● **وصفُ البعير بالسرعة والقوة**

وصف أعرابي ناقة فقال تقطع الأرض عرضاً وترض الحجارة رضا وتنهض في الزمام نهضاً سريعة الوثوب بطيئة النكوب مروح شروب، **وقيل لآخر**: كيف ناقتك؟ **فقال**: عقاب إذا هوت وحية إذا التوت طوت الفلاة وما انطوت.

وقال شيبة بن عقال: أقبلت من اليمن أريد مكّة ومعي ثلاث جمال فصحبت يمنياً على ناقة فوقعت بي جمل بعد جمل حتى بقيت راجلاً فخفت أن يفوتني الحج. **فقال اليمني**: أتطيب نفسك عمّا معك وتردفني؟ **فقلت**: نعم. فنزل وقدم رحله فكاد يضعه على عنقها، **ثم قال**: خذ حر متاعك إن لم تطب نفسك عنه، ففعلت وأرد فني فجعلت تعوم بنا عوماً كأنه ثعبان حتى انتهى بي إلى الموقف. **فقال**: إن لي حاجة إليك إن لا تذكرها فإن هذه آثر عندي من كل مال في الدنيا أدرك عليها الثأر وأصيد عليها الوحش وأوافي عليها الوسم من صنعاء كل عام.

● **تحريكُ الأيدي والأرجل في المشي**

قال رؤبة:

كأن أيديهن بالقَاعِ القرق ... أيدي جوارٍ يتعاطَين الورق

---

(١) **الأوار**: الحرّ والأوار الدخان والعطش.

وقال آخر:

يدا سابحٍ في غمرةٍ يتبوع[1]

وقال آخر:

يدا مغول خرقاء تسعدُ ما تما

وقال آخر:

كأنها نائحةٌ تفجع تبكي لميت وسواها الموجَعُ

وقال الشمّاخ:

كأن ذراعيْها ذراعا مدلة بعيد الشبابِ حاولَت إن تعذَرا

وقال القضامي:

عوج فواج إذا حثّ الحداةُ بها حسبتَ أرجلَها قدّام أيديها

وصف أعرابي بعيره فقال في صفة قوائمه: وضعها تعليل ودفعها تحليل.

● رميُ الحصى بالأخفاف

وقال امرؤ القيس وعنه أخذ الشعراء:

كأنّ الحصى من خلفِها وأمامِها إذا نجلتْه رجلُها حذفُ أغسرا[2]

كأنّ صليلَ المروِ حينَ تشذّهُ صليلُ ذيوفٍ يتقِذن بعبقَرا[3]

قال عبدة بن الطيب:

ترَى الحصَى مشمخرا عن مناسِمها كما تخلخَل بالوغل الغرابيلُ[4]

قال ابن المعتز:

كأنّ يديْها وهي تسترفضُ الحصَى يدا ناقدٍ أو نابلٍ لم يسدّدِ[5]

● الخائفُ من الضَرب والزّجْر

وصف الكميت ناقة فقالة:

بزجرة أخى من سواهن تضربَ

قال إبراهيم بن هرمة:

تكادُ تخرجُ من بينِ الجبّال إذا ما قالَ غير لأخرى غيرها عاجِ

---

(١) السابح: الفرس السريع. (٢) الحداة: جمع الحادي، وهو سائق اللإبل.

(٣) المرو: الحجارة ـ الذيوف: الدراهم الزائفة ـ عبقر: ولد في أرض العرب تصوروا أنه ملكوت بالجن وشياطين الشعراء، ونسبوا إليه كلّ عمل خارق فقالوا رجل عبقري.

(٤) مشمخراً: مرتفعاً ـ المناسم: جمع منسم وهو خف البعير.

(٥) تسترفض الحصى: تفرّقه.

وقال آخر:

سوطُها لنقْر الخفي ... ويَداها لزجرِ الرّحى

وقال آخر:

كأن السَّيرَ يلسعُها ... إذا غرَّد حاديهَا

وقال طريح:

تكاد تخرجُ من أنساعِها مرَحاً ... إذا ابن أرض عوَى بالبيدِ أو ضبحا

وقال الشماخ:

وتقسم نصفَ الأرض طرفاً أمامَها ... ونصْفا تراه خشية لسوطِ أزورَا

أخذه مسلم بن الوليد فقال:

تمشى العرضنة قد تقسم طرفَها ... وضحَ الطريق وخوفَ وقعِ المحصد

- **المشبه بالريح والبرق**

قال نصيب:

هي الريحُ إلا خلقها غير أنها ... تبيت غوادي الريحِ حيثُ تقيلُ

قال بكر بن النطاح:

كأنّ قوائمَه في المسيرِ ... رياحٌ تطارد بالقفرِ

وقال:

أي قلوص راكِب تُراهَا ... من ذكر الريح فقد سمّاها[1]

أو نعتَ البرقَ فقد كنّاها

- **المشبه بالطير**

وصف رجل بعيره فقال: ركبته كأنه نعامه أو عارته الأجنحة حمامه، مسلم:

إلى الإمامِ تهادينا بأرجلِنا ... خلقٌ من الريح في أشباهِ ظُلمان[2]

قال أبو سعيد المخزومي:

إليكَ خليفةَ الرحمن طارَت ... ولمْ أر قَبلها خفّاً يطيرُ

- **المشبه بالوحشيات**

قال زهير:

كأن كوري وأنساعي وراحلَتي ... كسوتُهنّ شبوباً من لظى لهبًا[3]

---

(١) القلوص: الإبل الفتيّة الشابة.
(٢) الظلمان: جمع ظليم وهو ذكر النعام.
(٣) الكور: الرحل.

وقال لبيد:

كأخنس ناشط جادَت عليه ... ببرقةِ واجفِ إحدى الليالي

وكل ذلك يدخل في صفة الوحشيّات.

● **المشبّه بالسفينة**

قال المثقب:

كأنّ الكورَ والأنساعَ منها ... على قرواء ماهرة دقبن

يشقّ الماءَ جؤجؤها وتعلو ... غوارب كلّ ذي حدب مصين[1]

وقال أبو النجم:

كأنه إذ خطّ في الزمام ... قرقور ساجٍ مرسَل الخِطام

فهو يشقّ الماء بانتحام

وقال النابغة:

يستن في ثني الجَديل وينتحي ... فعلَ الخليةِ في الخليجِ الجاري

● **القليل المبالاة ببعد المفاوز**

وقال الحطيئة:

إذا نظرت يوماً بمؤخّر عينها ... فإلى علم بالغورِ قالَت لهُ أبعد

● **المتقدّم على ما يسايره من المطايا**

قيل لأعرابي كيف بعيرك؟ قال: يتدرع المطايا إذا ما شته بغباره ويخدن إذا برك في آثاره، لا يبرك خفياً يتقدمه فهو كما قال:

موكلَة بالأقدمين فكلّما ... رأتْ رفقةً فالأولون لها تضبو

وقال أبو نواس:

تذرُ المطيّ أمامَها فكأنها ... صفّ تقدمهنّ وهي إمام[2]

أخذه ابن المعتز وأبدع فقال:

وهي إمام الركب في ذهابها ... كسطرِ بسمِ الله في كتابِها

وقال المتبني:

يمشي إذا عدتِ المطيّ وراءَها ... ويزيدُ وقتُ جمامِها وكلاله[3]

---

(١) **الجؤجؤ (من الطائر أو السفينة):** الصدر. (٢) **تذر:** تترك ـ **المطي:** الدابة التي تركب.

(٣) **الجمام:** جمّ جِماماً وجَماماً الماء تركه يجتمع والجِمام معظم الماء، وجمّ جُماماً الفرس: ترك ولم يركب ـ **الكلال:** التعب والإعياء.

- **ما يعجَز الحادِي عن إدراكه**

وقال:

كـيـفَ تـرى مـرَّ طـلـي حـيـاتـهـا ... والـحـادي الـلاغـب مـن حـداتِـهـا[1]

وقال الأعشى:

حـمـين لـعراقـيبِ الـحـصَى وتـركـنَـه ... بـه نـفـس عـالٍ يـخـالـطُـه بـهْـرُ

وقال آخر:

وإذا انـتـقـصـت إلى الـمـفـازةِ غـادرَت ... زيـداً يـبـغـلُ خـلـفَـهـا تـبـغـيـلا[2]

أي لا يدركها الحادي السريع

- **المترقّص من الإبل**

وقال المثقب:

وتـرقـصُ فـي الـمـسـيرِ كـأنَّ هـرا ... يُـبـاريـهـا ويـأخـذُ بـالـوضـيـنِ[3]

وقال الممزّق:

تـرى لـو تـراءَى عـنـدَ مـعـقـد غـرزِهـا ... تـهـاويـل مـن إجـلاء دهـر مـعـلّـق[4]

وقال آخر:

كأن بها من طائف الجن أولقا

- **الساكنُ من الآبل**

قال ذو الرمّة:

تـصْـغـي إذا شـدّهـا بـالـكـور جـانـحـةً ... حتّى إذا ما استَوى في غرزها تثِبُ

وقال آخر:

تـمْـشـي إذا مـا هـزّت الـسـوالِـفـا ... مشيَ الـعـذارى هـزّت الـمـطـارِفـا[5]

- **المؤثر في الأرض بثفناته**

قال ابن المعتز:

كـأنّ الـمـطـايـا إذ غـدوْنَ بـسـحْـرةٍ ... تـركْـن أفـاحـيصَ الـقـطَـا في الـمـنـازلِ

وقال المثقب:

كـأنّ مـواقـعَ الـشـفـنـاتِ مـنـهـا ... مـعـرّس بـاكـرات الـوردِ جـونِ

---

(١) **الحادي**: سائق الإبل.

(٢) **يبغل**: يبلّد.

(٣) **الوضين**: الهودج بمنزلة الحزام للسرج.

(٤) **الغرز**: ركاب الرحل من جلد.

(٥) **المطارف**: جمع مطرف وهو الرداء من الخز.

كـأنّ مـنـاخَـهـا يـلـقـى لـجـامًـا علـى مـعـرابـهـا وعـلـى الـوجـيـنِ[1]

● **الخفيفُ الوطْء لسرعتِه**

قال بعضهم:

خـفـيـة وطء الـجـرْس لـو أن حـمـرا تـخـطـاه في إعـشـاشـه لـم يـطـيّـر

● **المجترّ**

قال المثقب:

وتـسـمـعُ لـلـذبـابِ إذا تـغـنّـى بـتـغـريـدِ الـحـمـام عـلـى الـرّكـون

وقال النابغة:

له صريفٌ صريفَ القعْو بالمسَد[2]

● **الضامرُ**

قال الأعشى:

كـتـوم رغـا إذا ضـجَـرت وكـأنّـت نـقـيـة ذود كـتـم لـلـرّغـاء[3]

وقال الكميت:

كـتـوم إذا ضـجّ الـمـطـيّ كـأنـمـا تـكـرم عـن أظـلافِـهـن وتـرغَـب

● **الرغاء**

قال الكميت:

كــأن رغـاءَهــن بــكــلّ فـجّ إذا ارتـحـلُـوا نـوائـحُ مـعْـوِلات[4]

وقال كعب:

أرى إبـلـي لـيـسَـت تـهـجنّ كـأنـمـا تـعـاورنَ أنـبـوبـاً أجـشّ مـثـقـبـا

● **اللغَام**

قال أبو النجم:

كــأنّــه مــن زبَــد الأفــكــلِ مـبـرنَـس في كـرسُـف لـم يـغـزَل[5]

وقال أبو نواس:

يـكـتَـسـي عـشـنـونُـه زبـدا فـيـحـلاه إلـى مـنـحَـره[6]

---

(١) **الوجين**: العارض من الأرض.

(٢) **الصريف**: الصياح من نشاط أو فرح ـ **القعو**: الخطّاف من حديد، أو ما يضمّ البكرة إذا كان من خشب ـ **المسد**: الحبل.

(٣) **الرغاء**: صوت الإبل.

(٤) **المعولات**: النائحات والرافعات صوتهن بالبكاء.

(٥) **الأفكل**: الجماعة من الناس ـ **المبرنس**: لابس البرنس وهو ثوب غطاء الرأس جزء منه.

(٦) **المنحر**: العنق، الجيد.

ثم تذروهُ الرياحُ كما   طار قطن الندفِ عن وتره

وقال آخر:

لغام كبيتِ العنكبوت الممدّد

- **الضامر المهزول**

قال جرير:

خرقاءُ ضربها الوجيفُ كأنها   جفن طويت به نجاديات[1]

وقال الشمّاخ:

كأنها وقد براها الأخماس   شرائحُ النبع براه القواسُ

وفيه وقيد دبره ورجيع سفر كأنه مشحب أو هلال في ظلمة أعجف.

وقال سلم الخاسر:

عيسى تباري بعد طولِ كلالِها   مثل الأهلّةِ قد ذهبن محاقا[2]

- **القطامي**

طواها السّرى فالنسعُ يجري كأنّه   وشاحُ فتاةٍ دقّ عنه مخاصره

- **المعيبات**

قال بعضهم: ركبت ناقتي فامضيتها حتى انضيتها أزجيها على الوحي وأير بها على الحفا فعقالها إذا أنيخت كلالها قال إبراهيم بن هرمة:

جعلَ الوجَى بذراعِ كل نَجيبَةٍ   قيداً أمر بغير كفي فاتِر[3]

وقال الراعي:

كأنّ لها برحلِ القوم بوّا   وما إن طيّها إلا اللغوب[4]

وقال الممزّق:

نتاج طليحاً ما تراعى من الشذَى   لو ظلّ في أوصالِها الغلّ يرتَعي[5]

- **القويّ الصليب**

قال الراعي:

نمَت كتفَاها إلى حارك   أشمّ كما أوفد المنبَرُ

---

(١) **الوجيف**: السقوط من الخوف، الاضطراب. (٢) **الأهلة**: جمع هلال ـ **المحاق**: آخر الشهر القمري.

(٣) **الوجي**: الحفا ـ **النجيبة**: الناقة مؤنث النجيب وهو النفيس في نوعه.

(٤) **البوّ**: ولد النّاقة، أو جلد الحوار يحشى تبناً ويقرب من أم الفصيل فتخدع وتعطف عليه فتدرّ ـ **اللّغوب**: الضعيف الأحمق والتعب الشديد الإعياء.

(٥) **الأوصال**: الأطراف ـ **الغل**: الحقد أو الغش.

وقال آخر:

جلديّة كأتان الضحل عُلكوم

ويقال هي كبرمشيد المسيب:

وكأن قنطرةً بموضِع كورِها ... ملساءَ بين غوامضِ الأنساعِ

وقال آخر:

كأنّ مواقعَ الغربانِ منها ... منارات بُنين على جَماد

وقال بعض العلماء وصف القطامي نوقه بما لو وصف به امرأة لكان أشعر الناس فقال:

يمْشينَ رهواً فلا الأعجاز خاذلةٌ ... ولا الصدورُ على الأعجازِ تتّكلُ[(١)]

● **العَيْنُ**

قال بعضهم:

فلاة أعينِها نزحُ القوارير[(٢)]

● **مدحُ المعز وتفضيلُها**

قيل: العتاقُ معز الخيل، والبراذين ضأنها، وإذا وصفوا الرجل بالضعف والموق قالوا: ما هو إلا نعجة من النعاج، وإذا مدحوه قالوا: فلان ماعز من الرجال وفلان أمعز من فلان وقيل شعر المعز كشعر الإنسان وهو به أشبه وإليه أقرب.

وقيل: سمي بالعنز كما سمي بالكبش فقيل: عنز اليمامة وعنز وائل وماعز بن مالك، وقيل أحمق من راعي ضأن ثماين.

وروي عن النبي ﷺ أمسحوا رغام الشاء ونقّوا مرابضها من الشوك والحجارة فإنها من الجنة. وقال: ما من مسلم له شاة إلا وقدس كل يوم مرة فإن كانت له شاتان قدس كل يوم مرتين.

● **تفضيلُ اللحم الضأن والمعز**

يقال للطيب الطعام فلان يأكل من رؤس الحملان، ولم يقولوا رؤوس المعز ضان وشواء الضان هو المنعوت. وقال بعض الأطباء إيّاك ولحم الماعز فإنه يورث الهم ويحرك السوداء ويورث النسيان ويفسد الدم وقيل شحم ثوب المعز وكليتها أطيب من الحمل قال شاعر:

كأنّ القومَ شووا لحمَ ضأنٍ ... فهُم نعجون قد مالتْ طلاهُم[(٣)]

---

(١) رهواً: سيراً سهلاً. (٢) النزح: مصدر نزحت البئر قلّ ماؤها.

(٣) فهم نعجون: نعج الرجل، أكل لحم الضأن فثقل على معدته فهو نعِج ـ الطّلى: جمع الطلية والطلاة: العنق.

والمصروع إذا أكل لحم الضأن اشتد ما به في أوان الصرع في مبادىء الأهلة وانتصاف الشهور. جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني اتخذت غنماً رجوت نسلها ورسلها وإني لا أراها تنمو. قال ما ألوانها؟ قالت: سود. فقال: عفري أي أخلطي بها بيضاء قال الزاخر:

لهفي على عنزين لا أنساهما كأن ظل حجر صغراهما
وصانع مغطرة كبراهما

وقال آخر:

أعددتُ للضيف وللرّفيق حمراءَ من معز أبي مرزوقِ
تلحَسُ خدّ الحالبِ الرفيقِ بلين المَس قليلِ الريقِ
كأنّ صوت شنجِها العتيقِ نحيحُ ضبّ حنقٍ فتيقَ(١)
في حجر ضاقَ أشدّ الضيقِ

وفي صفتها:

تحلبُ رسلاً طيّبَ المَذاق

قال امرؤ القيس:

لنا غنَمٌ نسوقُها غزارٌ كأنّ قرونَ حلّتها عصيّ
فتملا بيتَنا أقطًا وسمْنا وحسبُك من غنىً شبَعٌ وريّ(٢)

● نعتُ التّيس

قال مخارق بن شهاب المازني وكان سيدا يصف تيس غنمه:

وراحَتْ أُصَيْلانا كأنّ ضروعَها دلاءٌ وفيها واتد القرْن لبلَبُ(٣)
لهُ رعثان كالشنور وغيره شريح ولونٌ كالوذيلة مذهَبُ(٤)
وعين أحمّ المقلتَيْن ووغرة يواصها دانٍ من الظلْف مكتبُ
أبو الحوّ والغرّ اللواتي كأنّها من الحسْن في الأعناق جزْع مثقبُ
ترى ضيفَها فيها يبيتُ بغبطةٍ وضيفُ ابن قيس جائعٌ متحوّبُ

ووفد قيس هذا على النعمان فقال له: كيف مخارق فيكم؟ فقال: سيد كريم يمدح

---

(١) الشنج: التقبّض والتقلّص في الجلد من حرّ أو برد ـ النحيح: تردّد الصوت في الصدر ـ الضب: حيوان من الزواحف شبيه بالحرذون ـ فتيق: ما ينفتق سمناً.

(٢) الأقط: نوع من الجبن.

(٣) لبلب: لبلب التيس إذا نبّ عند السفاد، وقوله: واتد القرن لبلب أراد شفقته على المِعزى التي أرسل فيها فهو ذو لبلبة عليها أي ذو شفقة (انظر لسان العرب، مادة لبب).

(٤) الوذيلة: القطعة من لحم السنام ـ والألية لون مذهب: أي بلون الذهب.

تيسه ويهجو ابن عمه. وقيل: فلان أعلم من تيس بني حمان زعموا أنه نفظ سبعين عنزا بعد أن فريت أوداجه وحكى أن ثوراً وثب على نقرة بعد أن خصي فأحبلها.

● حملُ الشاةِ ولادتها

قال الأصمعي: الوقت الجيد في حمل الشاة أن تخلى سبعة أشهر بعد ولادتها ويكون حملها خمسة أشهر فتلد في السنة مرة فإن حمل عليها في السنة مرتين فذلك الأمغال يقال أمغل.

وقيل لأعرابي بأي شيء تعرف حمل شاتك فقال: إذا ترزم حياؤها وزجت شعرتها، واستفاضت خاصرتها.

● ذمّ العنز

إشترى رجل من طيء عنزاً بثمانية دراهم من ابن عم له يقال له حميد فلم يحمدها فقال:

لقد لقيتُ من حميدٍ داهيَه ... من أعورِ العيْن مَشُوم الناصيَه[1]

قد باعَني الغولَ بأرضٍ خاليَه ... أعجبني ضرعٌ لها كالداليه

فقلتُ ما هذا بجدٍ غاليه ... ليتَ السباعَ لقيتُها عاديه

أسألُ ربَّ النّاسِ منها العافيه

(٤)

وممّا جاءَ في الوحشيّات

●

● البقَر

تسمّى مولعَة لتولع جسدها، ومذرعة لكون طرفها أسود وسائرها أبيض وتوصف بأنّها مخدمة الشرى وخنساء لخنس أنفها وذيالاً لطول ذنبها قال الجعدي:

ووجها كبرقوع القَنَاة ملمعا ... وروقين لما يعد وإن تقشرا

وقال لبيد في وصف بقرة وحش أكل وحيش ولدها:

أفَتِلْك أم وحشيّة مسبوعة ... خذلت وهاديةُ الصوارِ قوامُها

لمعفر فهد تنازع شلوه ... غبش كواسبُ ما يمنّ طعامُها

● الثور

يوصف باللهق لبياضه وبالزهرة ولذلك قال:

ولاحَ أزهَرُ مشهورٌ بنقبتِه ... كأنه حينَ يغلو عاقرَ لهب

---

(١) مشوم: مخفّف مشؤوم - الناصية: شعر مقدّم الرأس.

● **العاقر الرمل**

قال النابغة:

كأنّ رحلي وقد زالَ النهارُ بنا ... بذي الجَليلِ على مُسْتأنِسٍ وحِدِ

منْ وحشِ وجرة موشى أكارعُه ... طاوي المصيرِ كسَيف الصيقل الفردِ[1]

وقال آخر:

وانقضّ كالدريّ يتبعُه ... نقعٌ يثور تخالُه طنبَا

وقال الطرماح:

يبدُو وتضمرُه البلادُ كأنّه ... سيفٌ على شرفٍ يُسَلّ ويُغْمَدُ

وقال لبيد في سرعته:

يشقّ خمائِلَ الدهْنا يداه ... كمَا لعبَ المقامِرُ بالفِيالِ[2]

وقال آخر:

يقابلُ الريحُ روقيه وكلكلَه ... كالهرّ في تنحي ينفخُ الفخما

ويقال به داء الظباء إذا لم يكن به داء كأن جعفر بن سليمان أحضر على مائدته بالبصرة يوم زاره الرشيد البان الظباء وصلاها وسمنها، فاستطاب طعمها فسأله عن ذلك فغمز جعفر بعض الغلمان فأطلق عن ظباء معها خشفانها فمرت في عرصة الدار تجاه عينه مقرّطة مخضّبة **قال أبو ذؤيب:**

فما أمّ خشفٍ بالفلاةِ مشدن ... تنوشُ البريرَ حيثُ نال اهتصارُها

موشّحة بالطرتين دنا لها ... جنى أيكة تضفو عليها قصارها

وقال ذو الرمّة يصف ظبيةً تصون خشفها:

إذا استودعته صفصَفا أو صريمةً ... نحّته ونصّت جيدَها بالمناظرِ

حذاراً على وسْنان يصرعه الكرَى ... بكلّ مقيل عن ضعاف فواتِر

وتهجرُه إلا اختلاساً بطرفِها ... وكمْ من محبّ رهبة العينِ هاجِر

وقال:

رأتْ مستخيراً فاستَرابَت بشخْصه ... بمحنية يبدو لَهَا ويغيبُ

يعني بالمستخير الصائد الذي يخور خور الغزال فإذا التفتت الظبية علم أنها مغزل، فيطلب غزالها.

---

(١) وجرة: واد في أرض العرب ـ **طاوي المصير**: ضامر ـ **الصيقل**: شحّاذ السيوف.

(٢) **الدهنا**: مخفف الدّهناء، والدّهناء صحراء جزيرة العرب الجنوبيّة وهي المعروفة بالربع الخالي ـ **الفيال**: مخفّف الفئال وهي لعبة قوامها دفن شيء في التراب ثم قسمه نصفين والسؤال عن الشيء الدفين في أي القسمين يكون، واللعب بالفئال كان معروفاً عند عرب الجاهلية.

قال أبو ذؤيب في صفة غزال ضعيف:

إذ هيَ جاءتْ تقشعرّ مكاهـا ... ويشرقُ بينَ الليثِ منها إلى القفْلِ[1]

ترَى حمشاً في صدرِها ثم إنها ... إذا أدبرَت ولّت بمكتنزٍ عبْلِ

وفي وصف الكناس قال بعضهم:

وبيتٍ تخفقُ الأرواح فيه ... خلالَ الليل مغموم النهار

تمارشه صوانِع مشفقات ... على خرقٍ تقومُ بالمداري[2]

● جماعة الوحشيات

قال زهير:

بها العينُ والآرامُ يمْشين خلفة ... وأطلاؤها ينهَضْن من كلّ مجثمِ

وقال آخر:

فأدبرن كالجزْع المفصّل بينَه ... بجيدٍ معمّ في العشيرةِ مخولِ

● الزرافة

تكون بأرض النوبة وتسمى بالفارسية اشتركا وبلنك كأنه بقرة نمر وزعموا أنها ولد النمرة من الجمل. ولو جعلوا الفحل النمر والأنثى الناقة كان أقرب في الوهم فللزرافة خطم الجمل وجلد النمر ورأس الإبل، وظلفها.

والزرافة طويلة اليدين منحنية إلى مآخرها وليس لرجليها ركبتان وهذا كقولهم كاوميش لما أشبه الثور والكبش واشتر مرك لما أشبههما لأن بين هذين الجنسين تلاحقا.

● الفيلُ

الفيل والزندفيل جنسان كالبخت والعراب، وكالبقر والجاموس وكالخيل والبراذين. وهي لا تنتج عندنا ولا تنبت أنيابها وزعمت الهند إنّ نابي الفيل قرناه وخرجا من الحنك أعقفين، ويدل على ذلك أنه مصمت الأعلى مجوف الأسفل كالقرن. وأنه لا يعضّ به، وإنما يستعمله استعمال القرن.

وأصل لسان كل حيوان إلى داخل وأصل لسان الفيل إلى خارج.

وقالت الهند لولا أن لسان الفيل مقلوب لتكلم وخرطومه أنفه وبه يوصل الطعام إلى جوفه. وهو بين الغضروف والعصب. وبه يقاتل ومتى اغتلم لم يملك، وعاد وحشيا وأكبر الأيور أيره قال:

لما بصرتُ بأير الفيل أذهلَني ... عن الحمير وعن تلك البراطيل

---

(١) المكتنز: من الاكتناز وهو تجمّع اللحم والامتلاء ـ العبْل: الممتلىء.

(٢) المداري: جمع مدراة وهي المشط.

واجتمع عند أبرويز تسعمائة وخمسون فيلاً ولم تجتمع عند ملك قط ووضعت فيلة عنده ولم تنتج بالعراق وكانت حمير والتبابعة والمقاول والعباهلة والكيسوم من ملوك الحبشة يكرمون الفيلة ويركبونها.

● **ابن طباطبا**

أعـجـب بـفـيـل آنـس وحـشـيّ بـهـيـمـةٍ فـي صـفـةِ الأنـسـي
يـفـهَـمُ عـن سـائـسِـه الـسـنـديّ غـيـب مـعـانـي رمـزِه الـخَـفـيّ
أقـبَـل فـي سـربـالـه الـغـمـيّ يـزهـى بـسجـزء مـنـه طـارونـيّ
مـمـلّـس الـجـلـبـاب فـاخـتـيّ يـخـطـو عـلـى أسـاسِـه الـقـويّ
مـثـل الـدلـي الـمـوثـق الـمـبـنـيّ سـائـسـه عـلـيـه ذورقـيّ
مـنـتـصـب مـنـه عـلـى كـرسـيّ خـرطـومُـه كـجـعـبـةِ الـتـركـيّ
يـعـلـو بـشـطـر مـنـه خـابـوطـيّ نـابـاه فـي هـولَـيْـهـمـا الـمـحـشـيّ
كـمـثـلِ قـرنِ نـاطـح طـوريّ سـبْـحـان ربّ قـادر عـلـيّ
سـخـره لـلـسـائـب الـنـوبـيّ

● **الكلب**

الكلبُ موصوفٌ بالسرقة والتشمم ويسمى فلحس. وفلحس إسم طفيلي وهو يرجع في قيئه ويشغر ببوله في جوف أنفه. ومن مدائحه حفظه على أهله وحراسته وفي أرحامها أعجوبة لأنها تلقح من جميع أجناس الكلاب بخلاف الغنم وتؤدي شبه كل واحد. وأنائها تحيضُ كل سبعة أيام وعلامة ذلك ورم أطبائها(١) ولا تقبل السفاد في ذلك الوقت ويعتريها عند الولادة هزال وأكثرها مما تضع إثنا عشر جرواً وربما وضعت واحداً وجراؤها لا تتهارش بل يؤثر بعضها بعضاً بالطعام. وإناثها أطول عمراً.

والسلوقية كلما أسنّ كأن أقوى على المعاظلة(٢) بخلاف سائر الحيوانات.

وكل كلب إذا أسن كأن صوته أجهر. ومن أمثالهم أصبر على الهوان من كلب والأم من كلب على جيفة.

والـكـلـب أنـجس ما يـكـون إذا اغـتـسَـل

ومنها:

حـتّـى تـنـام ظـالـع الـكـلاب

وأنظر من كلب، وأسمع واشم منه. وعلى أهلها جنت براقش، وهو إسم كلبة نعم

---

(١) **الأطباء**: حلمات الضرع، جمع طبي.

(٢) **المعاظلة (في الكلام)**: عقد الكلام وكززه والمعاظلة الركوب.

مكلب في بؤس أهله. اجع كلبك يتبعك. سمّن كلبك يأكلك. أجوع من كلب حومل مطل كنعاس الكلب.

- **أسماؤه**

سحام ومقلى القنيص وسلهب وجدلاً والرهان والمتناول.

وقال أبو محجن في رجل يسمى وثاباً ويسمّي كلبه عمراً:

ولـــوهـــيـــا لـــه الله مـــن الـتـوفـيـق أسـبـابـا
لـسـمـى نـفـسـه عـمـرا وسـمـى الـكـلـب وثـابـا

- **جواز قتله**

قال النبي ﷺ لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها وإذا وجدتم الكلب البهيم الأسود فاقتلوه فإنه شيطان.

وقال أمير المؤمنين اقتلوا الجان ذا الطفيتين والأسود البهيم. وفي الخبر أنّ دية كلب الصيد أربعون درهماً، ودية كلب الدار زنبيل تراب، حق على القاتل أن يؤديه وعلى صاحب الكلب أن يقبله.

- **تحريمُ أكله**

أكله محرّم وبنو أسد يعيرون بأكله، ولذلك قال:

إذا أسـدي جـاعَ يـوْمـاً بـبـلـدةٍ وكـان سـمـيـنـاً كـلـبُـه فـهـو آكـلُـه

وقال مخاطباً بعضهم:

لـو خـافَـك الله عـلـيـه حـرمـه

- **ما يجوزُ إرتباطهُ من الكلاب**

قال النبي ﷺ من اقتنى كلباً ليس بكلب صيد ولا حرث ولا ماشية نقص من أجره كل يوم قيراط. **وقال:** إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً.

- **محاربةُ الكلب والوحشيات**

قال امرؤ القيس في صفة ثور وكلب:

فـأنـشـبَ أظـفـارَه فـي الـنـسـاء فـقـلْـتُ هـتـكْـتَ إلا تـتـنـصّـرُ
فـكـرّ إلـيـه بـمـبـراتـه كـمـا خـل ظـهـر الـلـسـان الـمـجـر

قال أبو ذؤيب:

والـدهـرُ لا يـبـقـي عـلـى حـدثـانـه سـيـب أقـرّتـه الـكـلابُ مـروعُ[(١)]

---

(١) **أقرته:** من القرى وهو طعام الضيف ـ **مروع:** من روع (ه): **أفزعه وجعل الخوف يخامره.**

شعف الكلابِ الضارياتِ فؤاده ... فإذا يرى الصبْح المصدقَ يفزعُ
ينهشْنه ويذودهن ويحتَمي ... عبْل الشوى ذو طرّتين مولعُ

● **صيدُ الكلب**

قال أبو نواس:

لما تبدّى الصبحُ من حجابِهِ ... كطلعة الأشمَط من جلبابِهِ[1]
هجنا بكلبٍ طالما هجْنا به ... ينشف المقود من جذابِه
ما كانَ مشنيه لدَى أسلابه ... متْناً شاعَ لجّ في انسيابِه
كأنّما الأظفورُ من قنابِه ... موسى صَناع ردّ في نصابِه[2]

وقال:

أنعتُ كلباً أهله في كدِّه ... قد سعدَت جدودُهم بجدِّه
فكلّ خيرٍ عندَهم من عنده ... يظلّ مولاه لهُ كعبدِه
ذا عزّة محجّلاً بزندِه ... تلذُ منهُ العينُ حسْنَ قدِّه

يا لك من كلبٍ نسيج وحدِه

● **الفهد**

كبارُها أقبل للآداب من صغارها، بخلاف سائر الحيوانات وهو أنوم خلق. فإنه نومه مصمت، وجميع الحيوانات تشتهيه ويستدل بريحه على مكانه. وربما يصطاد بالصوت الحسن يصغى إليه وإناثها أصيد من ذكورها **قال ابن طباطبا في وصفه:**

لهوتُ فيه بصيدِ راكبَةٍ ... نازلةٍ كل وقت إيماء
تركيةِ الوجه حينَ تنعتُها ... روميةُ المقلتَيْن كحْلاء
أبرزَها الحسنُ في مشهرة ... قد فوفت مثلَ وشي صنعاء
يضاحِكُ الصبْح من ملمَعها ... داجيةٍ شيبَت بقَمْراء
يراقب الوحشُ في مراتعها ... بعينِ واشٍ ورعي حِرْباء

● **الأسد**

الأَسَدُ سيّد السباع **قال المتوكّل الليثيّ:**

وردٌ تظَلّ له السّباعُ تطيعُه ... طوعَ العُلوج تلينُ للأسوارِ

ويقلّ نسله لأن ولدها يجرح رحمها فتعقم وتقصد إذا قربت مملحة فتضع فيها

---

(١) **الأشمط**: الذي خالط بياض رأسه سواد.

(٢) **القناب**: المخلب ـ **الصناع**: المرأة الحاذقة في العمل.

الحمل خوفاً من النمل، لأن ولدها ككتلة شحم، فيقصده النمل. ولذلك قال المتنبي:

يرد أبو الشبل الخميسَ عن إبنه ... ويسلمُه عند الولادة للنملِ

واستوصف عبد الملك أبا زبيد أن يذكره نثراً فقال له: عينان حمراوتان مثل وهج التنور كأنما نقرا بالمناقير، في عرض حجر لونه ورد، وزئيره رعد، هامته عظيمة وجبهته شتيمة، نابه عنيد وشرّه عتيد، إذا استدبرته قلت أفرع. وإذا استقبلته قلت أقرع. إذا مشي تبهنس، وإذا أتى اللّيل إعلنكس تبوأ وتجسس. فقال: حسبك لقد وصفته بصفة خلته يثب عليّ. قال:

ضرغامةٌ أهرت الشدقَين ذو لبد ... كأنه برنسا في الغاب مدرع

وقال الفرزدق:

هزبرٌ هريتُ الشدقِ ريبال غابة ... إذا سار عزته يداه وكاهلُه[1]

شتيم المحيا لا يخاتل قِرنه ... ولكنه بالصحصحان ينازلُه

وقال ابن هرمة:

أسدٌ في الغيل يحمي أشبُلا ... قلّما يعتادهُ فيه القرمْ

مطرقٌ يكذب عن أقرانِه ... ينقضُ الكلم إذا الكلم التأمْ

وقال المتوكل الليثي:

فهابوا وقاعي كالذي هبّ حادراً ... شتيم المحيا خطوه متدانِ

تشبه عينيه إذا ما فجأته ... سراجين في ديجورة يقدانِ[2]

كأنَ ذراعيه لِبدةُ نحره ... خضبن بحناء فهُنّ قوانِ

أزب هريت الشدقِ وردٌ كأنما ... يعلي أعالي لونِه بدهانِ

مضاعف طيّ الساعدَين مصنر ... همُوس دجى الظلماءِ غير جبانِ

● الذئب

قصد ذئب الفرزدق فألقى إليه ربع مسلوخة كانت معه فلما ارتحل عارضه فقال:

وليلة بتْنا بالعريتَين ضافَنا ... على الزّاد ممشوقُ الذراعيَن أطلسُ

تلمسنا حتّى أتانا ولم يزَل ... لدن فطمته أمّه يتلمّسُ

فقاسَمْتُه نصفَين بيني وبينَه ... بقيةَ زادي والركائِبُ نُعّسُ

---

(١) الهزبر: الأسد ـ هريت الشدق: واسع الشدق ـ الريبال: مخفّف رئبال وهو من أسماء الأسد ـ عزّته: قوّته.

(٢) الديجورة: الظلمة.

وكانَ ابنُ ليلى إذا قرى الذئبَ زادَه ... على طارقِ الظلْماء لا يتعبّسُ[1]

وقال النجاشي:

وماء كلونِ البوْلِ قدْ عادَ آجِنا ... قليلٌ به الأصواتُ جاوزتُه مخْلِ
وجدْتُ عليْه الذئبَ يعوي كأنّه ... خليعٌ خلا من كلّ مالٍ ومن أهْلِ
فقلْتُ له يا ذئبُ هل لكَ في أخٍ ... يواسي بلا أثرٍ عليْك ولا نَحْلِ
فقالَ هداكَ اللّهُ للرشْد إنّما ... دعوْتِ لمّا لم يأتِه سبعٌ قبلي
فلسْتُ بآتيه ولا أستطيعُه ... وهاكَ سَقِني إن كان ماؤك ذا فضْلِ
فقلْت عليْك الحوضُ إنّي تركتُه ... وفي صدره فضْلُ القلوصِ من السخْلِ
فطرب فاستعوى ذئاباً كثيرَة ... وعدت كلانا من هواه علَى شغْلِ

وقال آخر:

ينامُ بإحدى مقلتَيْه ويتّقي ... بأخرى الأعادي فهو يقْظان نائِمُ

وقال كعب بن زهير وكان قد رامه قومه أن يشتري غنما:

تقولُ حياي من عوفٍ ومن جشمٍ ... يا كعْبُ ويحَك لم لا تشتري غنَما
منْ لي بهنّ إذا ما أزمةٌ جلبَتْ ... ومن أويس إذا ما أنفُه رزمَا
أخشَى عليها كسوباً غيْرَ مدّخر ... عاري الأشاجع لا يشْوي إذا ضغما[2]
إنْ يغدُ في سرعةٍ لا يثْنِه بهر ... وإن عدا واحداً لا يتّقي الظلْمَا[3]

وقيل: أغدر وأخبث وأكسب من ذئب، **وقيل:** من استودع الذئب ظلم.

● **الخنزير**

إنما أظهر الله تحريمه لأن كبار القبائل وملوكَها تستطيبه وتأكله، ولم يكن كالقرد إذا عافته النفوس. ونظر معاوية في وجه بعض نصارى الشأم فرآه بضّاً فقال الخمر على هالة الخنزير وهو ضرار. ربّما طلب عرقاً مندفناً فيحفر خريب أرض ويفسد فساداً كثيراً.

وليس في ذوات الأنياب أشدّ ناباً منه والذكر يقاتل في زمان هيَجه ومتى قلع إحدى عينيه هلك. وأما فرخ الخطّاف وفرخ الحية فإن عينها إذا قلعت تعود صحيحة وخطمه يسمى الخرطوم تشبيهاً.

---

(١) ابن ليلى: ليلى أم الفرزدق لهذا قيل له ابن ليلى ـ قرى الذئب زاده: أطعمه من زاده.
(٢) الأشاجع: عروق ظاهر الكف أو أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف.
(٣) البهر: انقطاع النفَس.

(٥)

وممّا جاء في الطيور جميعها

●

الطيور ثلاثة أضرب: سباع وبهائم ومشترك بينهما. فالسباع تتغذى باللحم والبهائم تتغذى بالحبّ، والمشترك يأكل النوعين. وجميعها تتنوع نوعين: **قواطع وأوابد** وكرامها تسمى **الجوارح**، وضعافها **البغاث**، وصغارها **الخشاش** قال:

خشـاشُ الـطـيْـر أكـثـرُهـا فـراخـاً وأمّ الـصـقـر مـقـلاة نـزورُ

وفي المثل هو كالطائر الحذر. وقيل ريش كل طائر إثنا عشر على عدد البروج وما يطير به سبعة على عدد الكواكب السبعة. وجناح الطائر يداه، والحمام يدفع بهما كما يدفع ذو اليد بيده.

● **العُقاب**

هي من سيد الطيور موصوفةٌ بطول العمر وصدق البصَر والسرعة تتغدى بالعراق. وتتعشى باليمن. وريشُها فروها في الشتاء، وخيشُها في الصيف. **وقيل لبشّار**: لو خيّرك الله أن تكون حيواناً أيها كنت تختار؟ **فقال**: العقاب لأنها تبيت حيث لا يبلغ سبع وتحيد عنها سباع الطيور، ولا يرسل شيء من الجوارح إلى الصيد إذا كانت معه خوفاً منه.

وقال صاحب المنطق[١]: العقاب جافية لأولادها لا تحمل على نفسها في الكسب لها وأشعارهم تدل على خلافه.

قال دريد:

لـهـا نـاهـضٌ في الركـبِ قد مهدت لـهُ مـا مـهـدت لـلـبـعْـل حـسـنـاءُ عـاقِـر

وقيل: أحزم من فرخ العقاب، لأنها تتحرك على شعف[٢] الجبال خشية السقوط ولو كان مكانه فرخ أهلي أسقط.

قال امرؤ القيس:

كـأنّ قـلـوبَ الـطـيـر رطْـبـاً ويـابِـسـاً لدى وكرِها العنّاب والحشَف البَالي[٣]

وقال الهذلي:

ولـقـدْ غـدوتُ وصـاحِـبـي وحـشـيـة تـحْـت الـرداءِ بـصـيـرةُ بـالـمـشـرفِ

---

(١) **صاحب المنطق**: هو الفيلسوف اليوناني أرسطو.

(٢) **شعف الجبال**: رؤوسها، جمع شعفة.

(٣) يشبه في هذا البيت قلوب الطير الرطبة التي تخطفها العقبان بالعنّاب، واليابسة منها بالخشف وهو التمر الرديء.

حتى انتهيت لي فراش عزيزة سوداءُ روثة أنفِها كالمخصفِ[1]

يعني بالوحشية الريح والفراش عزيزة عش العقاب والمخصف المخرز.

● **النسر**

طويل العمر، وتخاف أنائها الخفاش على فراخها، فتفرش وكرها بورق لئلا يقربه الخفاش. وقيل يرتفع في الهواء ثمانية عشر ميلاً وينحط على ثمانية فراسخ.

قال الهذلي:

إذا ما غزا بالجيش حلّق فوقه عصائبُ طير تهتدي بعصائبِ[2]

يصاحبُهم حتى يغزن مغارةً من الضاريات بالدماء الذوارب[3]

● **البازي**

كلّ رعاث صاغه صائغٌ لم يدّخر عنه التحاسينا

منسرُه أكلفُ فيه شقا كأنه عقدُ ثمانينا

ومقلة أشرة آماقها تبر يروق الصير فينا

قال أبو نواس:

قد اغتدي بشفرة معلّقه مبتكراً بزرق وزرقه

كأنّ عينيّها لحسن الحدقة نرجسة نابتة في ورقه

قال جهم ابن أخت أبي عمرو بن العلاء:

كأنّ جناح حفيفِه إذ تدلّى من الجو برقٌ بدا

● **الكَرْكَدن**

قد أنكره بعضهم وأجروه مجرى عنقاء مغرب، وقيل إنه ذكر في الزبور. **وصاحب المنطق** سمّاه الحمار الهندي. أيّ مكان حلّ به ذهب منه جميع الحيوان هيبة له. ويقال إن قرب نتاجها بما أخرج الولد رأسه ويأكل الحشيش ثم يرجع يفعل ذلك أياماً ثم تضع.

● **عنقاء مغرب**

بالفارسية سيمرك كأنه بنفسه ثلاثون طيراً. ولم يوجد إلا صورته على البسط والجدر. **ويقال في المثل:** هو عنقاء مغرب لما لا يوجد وما لا يطمع فيه.

قال أبو تمام:

وذاكَ له إذا العَنقاءُ صارَت مُرَبَّبَة وشبَّ ابنُ الخصيّ[4]

---

(١) **المخصف:** المخرز. (٢) **العصائب:** الجماعات، جمع عصابة.

(٣) **الضاريات:** الكواسر من الحيوانات ـ **الذوارب:** من ذرب ذرباً وذروبة السيف كان حاداً.

(٤) **العنقاء:** طائر وهمي أشرنا إليه ـ **مرَبّبة:** مربّاة ـ **شبّ ابن الخصيّ:** أي صار كخصيّ ولد.

وزعم ابن الكلبي أنها كانت على عهد حنظلة بن صفوان بني الرس وكانت طويلة العنق، فبذلك سميت عنقاء. فاختطفت غلاماً فغربت به فسميت مغرِباً ثم دعا عليها فاحترقت ولا نسل لها.

● السمَنْدَل

قيل: هو طائر هندي يدخل في أتون النار فلا يحترق له ريش، قال:

وطائرٍ يسبَحُ في حاجم كماهر يسبَح في غمْرِ[1]

وقد حكى عن المأمون أن الطحلب الذي على وجه الماء إذا جفف لا تحرقه النار وكذلك الفلفل الأبيض.

● الظّليم

من أعاجيبه اغتذاؤه الصخر والجمر وإذابة حوصلته ذلك قال أبو النجم:

والمرءُ يلْقيهُ إلى أمعائه وفيهِ من شكْل البَعير المنسم

والوظيف والعنق والخزامة في أنفه، ومن الطائر الريش والجناح والذنب والمنقار والبيض ولذلك قيل:

كمثل نعامة تدْعي بعيرا تعاظمها إذا ما قيل طِيري

فإنْ قيلَ إحملِي قالَتْ فإنّي من الطيْر المرتب في الوكورِ

قال بشّار:

وكنْتُ كالهيقِ غدا يبتَغي قرناً فلم يرجع بإذنَينِ[2]

وهو موصوف بصدق التشمم يعرف ريح القانص من أكثر من غلوة قال:

يستخبرُ الريح إذا لمْ يسمَع بمثل مقراعِ الصفا الموقع

وأشد ما يكون عدواً إذا استقبل الريح وفي عنقه يقول أبو قلابة:

كأنّها والريحُ تصري وتذر أير حمارٍ فيه سمْعٌ وبصَر

وقد قلب هذا المعنى جحشويه فقال في صفة الأير:

كأنّه والأكفّ تمرسه عنق ظليمٌ بغيْر منْقارِ

ومتى كسرت إحدى رجليه لا ينتفع بالأخرى قال شاعر:

إذا انكسَرَت رجْلُ النعامةِ لم تجدِ على أختِها نهضاً ولا باستها حبْوا

---

(١) الغمر: الماء الكثير، ومعظم البحر.

(٢) الهيق: ذكر النعام، والظليم من الرجال المفرط الطول.

وربما تركت بيضَها فلم تهتدِ إليه فتذهب إلى بيض أخرى فتحضنه قال شاعر:

كـتـاركـةٍ بـيـضَـهـا بـالـعـراءِ   ومـلـبـسـة بـيـضَ أخـرى جـنَـاحـا

وقال الأخفش:

تـظـلّ بـهـا ربـدُ الـنّـعـامِ كـأنّـهـا   إذا مـا تـزجـى بـالـعـشـيّ حـواطِـبُ

قال علقمة:

كـأنّـهـا خـاضِـبٌ زعـر قـوادمـه   أجـنَـى لـه بـالـلـوَى شـرى وتـنـوم[1]

ووصف بالجبن فقيل أجبن من نعامة وشالت نعامة فلان وخف رياله وقيل أحمق من نعامة وفيه:

أسـيـف مـن الـجـسـان ضـلـت أبـاعـرُه

قال ذو الرمة:

وبيض كشفْنا في الدّجى عنْ متونِها

وقال آخر:

هـجـوم عـلـيـهـا نـفـسـه غـيـرَ أنّـه   متَى يرم في عينَيْه بالشّخص ينهَضْ
يـقـلّـبُ لـلأصـواتِ مـن كـلّ جـانـب   صِماخاً كبيتِ العنْكبوتِ المغمَضْ[2]

● الكَروان

هذه اللفظة تقال للواحد والجمع والعامة تقول الكيروان بن الحباري، قال شاعر:

ألـم تـرَ أنّ الـزبـدَ بـالـتـمـرِ طـيّـبٌ   وأن الـحـبـاري خـالَـةُ الـكَـروانِ[3]

وقيل:

أطـرق كـرَى أن الـنّـعـام فـي الـقِـرى

أي يا كروان قيل الكركي تتحارس بالليل فلا تنام حتى يحرسها أحدها فالحارس يقوم على إحدى رجليه ليسقط أن غلبة النوم فتتناوب على ذلك.

● الغُراب

يقال له حاتم لأنه يحتم بالفراق ويتشاءم به في عامة كلامهم وقد تيمّن به بعضهم فقال:

وقـالـوا غـرابٌ قـلـت غـربٌ مـن الـنّـوى

ويسمى ابن داية لأنه يقع على داية البعير الدبر فينقره وهو قوي البدن لكنه من لئام

---

(١) **القوادم الزعر**: القليلة الشعر والمتفرّقة.

(٢) **الصماخ**: خرق الأذن الباطن، الماضي إلى الرأس، جمع أصمخة، وصمخ.

(٣) **الكروان**: طائر من رتبة طوال الساق وفصيلة دجاجيّات الأرض، جمع كراوين، ومؤنثه كروانة.

الطيور ولا يعاف القاذورات ولا يتعاطى الصيد وهو يسر السفاد. وقيل: إنما يسافد بالمنقار وفرخه أقذر وأنتن من الهدهد.

وقد مدح لقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾[1] الآية وذمّ بأنه بعثه نوح من السفينة ليأتيه بخبر الماء فاشتغل بأكل الجيفة، ويوصف بالقزل[2] والخجل.

قال كعب بن زهير:

وحمش بصير المقلتين كأنّه ... إذا ما مشى مستقبل الريح أقزلُ

ويوصف بحدّة البصر وصحة البدن.

قال الشاعر في وصف رجل طويل العمر صحيح البدن.

قد أصبحتْ دارُ آدم خربَت ... وأنتَ فيها كأنك الوتَدُ

تسأل غربانها إذا حجلَت ... كيف يكونُ الصداعُ والرمَدُ

ويدعى أعور على سبيل القلب، **قال الكميت:**

وصحاح العيون يدعين عورا

ويقال في المثل: أزهى من غراب، وأسود من حلك الغراب وحنكه، وليس غرابه بمطار للساكن، وجد فلان ثمرة الغراب لأنه لا يقصد إلا الأجود الأطيب، ولا أفعله حتى يشيب الغراب.

قال ذو الرمّة:

ومستشحجَاتٌ بالفِراقِ كأنّها ... مثاكيلُ من صيابَة النّوب نوحُ[3]

شبّه الغربان الشاحجات بنساء من النوب ثاكلات **وقال:**

كأن الشاحجات بجانبيها ... نساءٌ جئنَ من حبش وروم

● القطا

سمّي بذلك لحكاية صوته. **قال أبو وجرة:**

باتت تباشرُ عما غير أزواج ... وهنّ ينشبْنَ وهناً كلّ صادقة

حتّى سلكْنَ الشوى منهنّ في مسْك ... من نسلِ جوّابة الآفاقِ مهداجِ[4]

---

(١) **القرآن الكريم:** المائدة/ ٣٤.

(٢) **القزَل:** أقبح العرج، من قزل أي مشى مشية الأعرج.

(٣) **المستشحجات:** شحج شحيجاً (البغل أو الغراب): صوّت أو غلظ صوته، **والشاحج:** حمار الوحش، وبنات **شحّاج:** البغال، **والشواحج:** الغربان.

(٤) **الهمداج:** الناقة التي تحن على ولدها.

وإنما قال غير أزواج لأنها لا تبيض إلا أفراداً وهو موصوف بالهداية. يقال أهدى من قطاة وأصدق من قطاة.

قال ابن المعتز في وصفها عند حمل الماء إلى فرخها:

وكأنها وغدوا قطاة صبحت زرقَ المياه وهمّها في المنزلِ
ملات دلاة تستقلّ بحملها تدآم كلكلها كمفرِ الحنظلِ
وغدَت كجلمودِ الغداف يقلها واف كمثلِ الطيلَسان المخمل[1]

وقال ذو الرمّة:

ومستخلفات من بلادِ تنوفة لمصفَرّة الأشداقِ حمر الحواصِلِ

أي يستقين الماء لفراخ لم ينبت عليهن الزغب، قال حميد:

قرينة سبع أن تواترن مرّة ضربن فصفت أرؤسٌ وجنوب

● **الحمام**

قال المثنى: لم أر شيئاً في الرجل والمرأة إلا رأيته في الحمامة. رب حمامة لا تريد إلا ذكرها، وأخرى لا تمنع يد طالبها، وحمامة لا تزيف[2] إلا بعد شدّة، وأخرى تزيف حالة يرومها الذكر وذكر له أنثيان يحضن معهما. وآخر يقتصر على واحدة.

وكان غرض الحمام بالجماع طلب الذرية وهو أكثر الاشياء تغزلاً وتصنعا من التقبيل والتنشيط وكره كثير من الناس كونها في بيت الفارغات من النساء، خشية أن تدعوهنّ إلى طلب الرجال. وكل طائر يرجع كالقمري والفاختة والورشان واليمامة واللعوب تسمين حماماً.

قال بعضهم يصف لونه:

كأنّ بنحرها والجيدِ منها إذا ما أمكنت للناظرينا
مخطا كأن من قلم دقيق فحط بجيدِها والنحرَ نونا

قال أعرابي:

مزبرجَةُ الأعناق نمر ظهورُها مخطمة بالدرّ خضرٌ روائعُ[3]
ترى طُرراً بين الخوافي كأنها حواشي برودٍ أحكمَتْها الوشائِعُ[4]

---

(١) **الغداف**: غراب كبير ضخم الجناحين، والغداف الشعر الطويل الأسود، أو الجناح الأسود.

(٢) **تزيف**: تنفش.

(٣) **مزبرجة**: مزيّنة، ومحسنة ـ **مخطّمة**: مشدودة على المخطم أو الخطم، والخطم الأنف.

(٤) **الخوافي**: الريش الناعم في جناح الطائر ـ **البرود**: جمع برد وهو الثوب المخطّط ـ **الوشائع**: جمع وشيعة، وهي خشبة يلفّ عليها ألوان الغزل، اللفيفة.

ومن قطَعِ الياقوتِ صيغَت عيونُها   خواضب بالحناء منها أصابِعُ

وقال:

مطوّقة كسبت زينَة   بدَعْوة نوحٍ لها إذا دعَا

وذلك قيل: إن نوحاً لما بعث الغراب ليأتيه بخبر الماء، فاشتغل بأكل الجيفة بعث في أثره الحمامة. فدعا له بأن يطوقه بطوق يتوارثه عنه بنوه فطوقه من دعائه، وقيل إن غناءه بكاء على هديل[1] مات في زمن نوح عليه السلام ومن مليح ما قيل في ذلك قول ابن المعتز:

وبكيتُ من حزن كنوح حمَامة   دعتِ الهديلَ فظلّ غيرَ مجيبِها

ناحَتْ ونحنا غيرَ أنّ بكاءَنا   بعيوننا وبكاؤها بقلوبِها

واستوصف المهدي محمد بن عزيز القاضي حماما، فقال: قد قدقد الحكم وقوم تقويم القلم، يمشي على عنمتين، ويلتقط بدرتين، وينظر من جمرتين، تروبه العبة وتكفيه الحبّة.

ونظر النبي ﷺ إلى رجل يتبع حماماً فقال: شيطان يتبع شيطاناً.

وقال أيضاً كونوا بلها كالحمام. وقيل لشيخ: من علمك هذا؟ قال: من علّم الحمامة تقليب البيض لتعطي الوجهين نصيبهما من الحضن.

● **القمري**

قال بعض الكتاب في وصفه:

سجعَتْ هاتفةُ الورْ   ق عناها شخطُ بينِ[2]

ذاتُ طوقٍ مثلِ خطّ الـ   ـنونِ أقنى الطرفَينِ[3]

وترَى ناظرَها يلـ   ـمَعُ في ياقوتَتينِ

تُخرجُ الأنفاسَ من   ثقبَينِ كاللؤلؤتينِ

وقال كشاجم:

وفجعتُ بالقمريّ فجعةَ ثاكِلٍ   وفقدتُ منهُ أمتعَ السمّارِ

لون الغمامة والغمامةُ لونه   ومناسب الأقلام بالمنقارِ

ومُطوّقٌ من صنعِ خلقَةِ ربّه   طوقَينِ خلتُهمَا منَ النّوارِ

ولطالما استغنيْتُ في غسَقِ الدّجى   بهديرهِ عن مطربِ الأوتارِ

---

(١) الهديل: فرخ الحمام.   (٢) الشحط: البعد - البين: الفراق.

(٣) الأقنى (من الأنوف): ما ارتفع وسط قصبته وضاق منخره.

● **القبج**[1]

قال أبو علي البصير في وصفه:

ولابسةٍ ثوباً من الخزّ أدكنا ... ومنْ أخضرِ الديباجَ رانا ومعْجَرا
مُقَلَّدَةً في النّحر سبحةَ عنبرٍ ... علَى أنها لم تلتَمِس أنْ تعْطَرا
لها مقلتا جزعٍ يمانٍ تَحمّلَت ... جفونُهُما من موْضعِ الكُحْل عُصْفُرا
مطرزة الكمّين طرزاً تخالُها ... بتقويمِها من حلكَةِ الليل أسْطُرا

وقال ابن طباطبا في وصفه في المجلس:

ومسجنٍ يهوى القتالَ ممنع ... عن قِرنه ذي صرخةٍ ودُعاءِ
بادِي التمَلْمُلِ خلفَ حائطِ سجْنه ... حب البرازِ مُجيب كلّ نداءِ
في مجلسٍ ضنْكٍ يودّ لو أنه ... لاقى مبارزَه بجنْبِ فضاءِ
فقد السّلاحَ فجال أعزَلَ جولَة ... ومضى إلى الهيْجاءِ ذَا خُيَلاءِ
في حلّة دكْناءَ قد رفعَتْ لهُ ... من جانبَيْه بيُمْنَةِ السّيراءِ[2]
متشمّراً متبَخراً متكبّراً ... متطَوّقاً بعمامَةٍ سوداءِ

● **الديك والدجاج**

يوصف الديك بالشجاعة والصبر والقوة على السفاد والسياسة للإناث، ويأخذ الحبَ فيلقيه إلى الأناث، وبه عنى قولهم أسمح من لاقطة. فإذا هرم لم يفعل ذلك وقال ثمامة: إن ديكة مرو تطرد الدجاج عن الحبّ لطبع البلدة وعن النبي ﷺ لا تسبوا الديكة فإنها تدعو إلى الصلاة. وروي عنه أيضاً أنه **قال**: إنّ مما خلق الله تعالى ديكاً عرفه تحت العرش وبراثنه في الأرض السفلى إذا ذهب ثلثا الليل ضرب بجناحيه **وقال**: سبّوح قدّوس، فعند ذلك تضرب الديكة أجنحتها وتصيح.

وقيل: إنما لا يطير لأنه اجتمع مع الغراب عند خمار يشربان فأخذا منه خمراً فشرباه فذهب الغراب ليحمل الثمن وترك الديك مرتهناً فعلق الرهن فقصه الخمار ومن العجائب ذو ريش أرضي وذو جلد هوائي يعني الديك والخفاش.

قال أعرابي:

دقوع الشوَى حمْر الصّياصي كأنّها ... شيوخٌ من الأعراب حمْر المعالِم[3]

---

(١) **القبج**: طائر يشبه الحجل معرب (كبك بالفارسية).

(٢) **السيراء**: الذهب الخالص أو برود مخطّطة يخالطها الحرير.

(٣) **دقوع**: من دقع أي رضي بالدون من المعيشة، لصق بالتراب، **والديقوع** الجوع الشديد ـ **الشوى**: الأطراف ـ **الصياصي**: جمع صيصية وهي شوكة الحائك التي يسوّي بها السدى واللحمة.

قال آخر:

مـمّـا يـؤرقـنـي لـيـلاً ويُـسْـهِـرُنـي ... من صـوتِ ذي رعـثـات سـاكـنِ الـدّارِ

كـأن حـمـاضـة فـي رأسـهِ نـبـتَـتْ ... مـن أوّل الـصـيْـفِ قـد هـمّـت بـأثـمـارِ

قال ابن المعتز:

بـشّـرَ بـالـصّـبْـح هـاتِـفٌ هـتَـفـا ... بـشـر بـالـلّـيـلِ بـعـدَمـا انـتـصَـفـا

مـذكـراً بـالـصـبـوحِ هـاجَ بـهـا ... كـخـاطِـبٍ فـوقَ مـنـبـرٍ وقَـفَـا

صـفّـق إمـا ارتـيـاحـه لـسـنـا الـفـجْـ ... ـرِ وأمـا عـلـى الـدّجـى أسِـفـا

وفي المثل أغيرُ من الديك وأشجع، وشراب أصفى من عين الديك، وأسلح من دجاجة ساعة الأمن. وقيل هو كالفروج إذا كاس في الصغر وحمق في الكبر وقال النبي ﷺ: نعم متاع البيت الدجاج يقرين الضيف، ويعنّ على نوائب الدهر.

● **الحباري**(١)

تنحسر دفعة واحدة فيبطيء نبات ريشها فربما تموت كمداً، ولذلك قال الشاعر:

وزبـد مـيـت كـمـد الـحـبـارى

وقيل: مسلاحها سلاحها، وذلك إن لها خزانة بين دبرها وأمعائها، إذا دنا الصقر رمته به فيلتزق ريشه. فهي في سلاحها كالظّربان في فسائه، والعقرب في إبراتها. وهي حسناء اللون ترتبط لحسنها وهي أحسن الطيور طيراناً تصاد بظهر البصرة فيوجد في حوصلتها الحبّة الخضراء غضة لم تتغير، وهي علوية أو ثغرية أو جبلية، قال ديك الجن:

وسـرَت جـاريـاتٌ فـوْقَ طـود ... أشـبـهـهـا بـمـشـيـخـة جـلـوس

● **الغرنوق**

وهو من طير الماء موصوف بالحذر، ومتى طار ترفع في الهواء خشية السباع ويقوم على إحدى رجليه حذراً لئلا ينام. وسئل من صاد في يوم مائة غرنوق عن الحيلة في ذلك، فقال: أخذت قرعة يابسة فجعلت لها عينين وألقيتُها في الماء حتى آنست بها الغرانيق ثم جعلت رأسي فيها وانغمست في الماء وكلّما دنوت من واحد قبضت على رأسه وغمسته في الماء ودققت جناحه وتركته يطفو فوق الماء حتى انتهيت إلى الآخر

قال أبو نواس:

سـودُ الـمـآقـي صـفـر الـحـمـالِـقِ ... كـأنـمـا يـضـفـرن مـن مـعـالِـقِ

صـرصـرة الأقـلام فـي الـمـهـادق

قال الكميت:

كـأنّ بـنـات الـمـاء فـي حـجُـراتـه ... نـبـيـط قـعـودٌ لابـسـاتُ الـبـرانـسِ

---

(١) الحبارى: طائر أكبر من الدجاج الأهلي وأطول عنقاً يضرب به المثل في البلاهة.

● **الحِزباء**

إذا انتصف النهار علا في رأس شجرة كراهب في صومعة. **قال ذو الرمّة:**

إذا جعَل الحرباء يبيض لونَهُ ويخضرّ من لفْح الهَجير غباغبُه[1]
وسبّح بالكفّين سبحاً كأنه أخو فجْرة عال به الجذْع صالبُه

● **العصفور**

تجعل العرب الخرق والحمر والقنبر من العصافير، وهو يساكن الناس ومتى فارق الإنسان داره فارقها.

وإذا كان زمان البازي اجتمعت في البساتين فإذا انقضى زمانه عادت إلى الدور على أمارات معروفة. وهو كثير السفاد كثير الشفقة على الولد متى خاف عطباً عليه اجتمع جماعة فطرن حواليه واجتهدن في خلاصه.

وإذا خرج من وكره لا يستقر. وكذلك البلبل لكنّ البلبل كذلك ما دام في القفص ويخرب البيوت والسقوف ويجلب الحيات لو لوعها بأكله. وفي المثل هو في حلم عصفور، وبكر بكور العصفور.

● **المُكاء**

قال شاعر:

إذا غرّد المكاءُ في غير روضَةٍ فويلٌ لأهل الشاءِ والحمراتِ

وإنّما قال ذلك لأن المكاء لا يكاد يوجد إلا في الرياض.

قال امرؤ القيس:

كأنّ مكاكيّ الجِواءِ غديّة صبِحْنَ سُلافاً من رحيقٍ مُفَلفَلِ[2]

وقيل: إن حية أكلت بيض مكاء فأخذت حسكة بمنقارها وجعلت تفرفر على رأسها حتى فتحت فاها فألقتها فيها فماتت، وفيه قال:

فربما قتَل المكاءُ ثعبانا

● **الخطّاف**

قال أبو منصور الديلمي:

وطيرٍ يبشّرنا بالمَصيف زيارتِهِ أرضنا كلّ حينِ
يضم جناحَين كالخنجَرَيْن على ذَنَب يشْبه البارحَينِ
بسجع حكى هذيانَ الرياضِ من السّند يتبعُه بالأنينِ

---

(١) **الغباغب:** جمع غبغب اللحم المتدلي تحت الحنك من البقر والديك.

(٢) **السلاف:** الخمر ـ **الرحيق المفلفل:** الخمر ممزوجة بحبّ الفلفل.

قال الكندي:

تـقـسّـم زوارٌ مـن الـهـنـد سـقـفَـنـا ... خـفـافٌ عـلـى قـلـب الـنـديـم شِـفـاقُ

أعـاجِـم تـلـتـذّ الـخـصـامَ كـأنـهـا ... كـواعِـب زنـج راعـهـنّ طـلاقُ

أنـس بـنـا أنـس الإمـاءة تـجـنّـنـت ... وشـيـمـتُـهـا غـدر بـنـا وأبـاق

قال أبو نواس:

كـأن أصـواتـهـا فـي الـجـو إذ سـطـعـت ... صـك الـجـلاد إذا مـا جـزت الـشـعـار

• الهدهد

قال ابن عبّاس: كان سليمان بن بن داود، إذا فقد الماء في بريّة دلّه الهدهد لأنه إذا نقر وجه الأرض عرف ما بينه وبين الماء. **قيل:** فكيف يجهل الفخ إذا دنا منه؟ قال: إذا جاء القدر عمي البصر، ولم يغن الحذر. والعرب تقول فترعنه قبر أمه لأنه جعل قبرها على رأسه برأيها ونتن ريحة من الجيفة المدفونة في رأسه. **وقال صاحب المنطق:** الهدهد لما اتخذ العش من الزبل ترقي فيه ريشه فلذلك خبث ريحه.

وقال بعضهم: الهدهد تكلف. واستدل بقوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾[1]

• الرخمة

وتسمى الأنوق وتنسب إلى الحمق، شاعر:

وذات إسـمـيْـنِ والألـوانُ شـتّـى ... وتـحـمـقُ وهـي كـيـسـةُ الـحَـويـل

وقال محمد بن سهل ما أحمقها وهي تحضن بيضها وتحمي فرخها وتحب ولدها ولا تمكن من نفسها ألا زوجها، وتقطع في أول القواطع وترجع في أول الرواجع ولا تطير في التحسير، ولا تغتر بالشكير، ولا ترب بالوكور ولا تسقط في الحفير. أي إذا رأت الحفير هربت منه. والصيادون يستدلّون به على قطاع الطير. **وقيل:** أعز من بيض الأنوق.

• البُوم

يعادي الغداف ولا يقوى عليه بالنهار. وهو يهجم على الغداف بالليل في أوكاره فيأكل فراخه ـ وهو موصوف بالشؤم.

وقيل لصياد ـ معه بومتان كبيرة وصغيرة ـ بكم؟ **فقال:** الكبيرة بدرهم، والصغيرة بدرهمين. **قيل له:** ولم ذلك؟ فقال لأن شؤمه في إقبال.

• الخُفاش

هو طائر بلا ريش إنما هو لحم وجلد. ولا يطير في ضوء ولا ظلمة، لقوة بصره وكثرة شعاع عينه فيلتمس فيما بين الوقتين رزقه.

---

(١) القرآن الكريم: النمل/ ٢٠.

وهو يصيد البعوض وقيل إن أنثاه تحيض وترضع كالأرنب وماله منقار وله أسنان حداد ويصير على الطعام. ونهى عن قتله وقتل الضفدع. وقيل: إن أنثاه تحمل ولدها تحت جناحها، ترضعه في طيرانها وتتجنب ورق الدلب حيث كان. وفيه قال ابن المعتز:

أبى علماءُ النّاس أن يعلمونَني ... وقد ذهبوا في الشعْر في كلّ مذهَب
بجلدةِ إنسانٍ وصورةِ طائرٍ ... وأظفارِ يربوعٍ وأنيابِ ثعلبِ[1]

● **الببغاء**

من غريزته أن من كلمها نصب لها مرآة وكلّمها من خلفها، حتى تعتاد الكلام

(٦)
ومما جاء في الهوام والحشرات

●

● **السنّور**

يشبه الإنسان في أمور شتّى في العطاس والتثاؤب والتمطي وغسل الوجه والعين. **وقيل**: إن الأصل في خلقه أن أصحاب نوح عليه السلام تأذوا في السفينة بالفأر فسألوا نوحاً عليه السلام أن يسأل ربّه، فخرج السنّور من عطسة الأسد فصاده. وتأذوا بالعذرة فخرج من سلحة الفيل الخنزير فأكله.

ومتى رأى السنور الفأر زلق وإن كان بمعقل خوفاً منه وهو يأكل الحشرات كالخنفساء وبنات وردان[2] والحيّة وكل ذات سمّ وقد تأكل أولادها. وقيل إن ذلك لبرّها[3] بهم. والضبّ تأكل ولدها لعقوقها[4] فقيل أبرّ من هرّة واعقّ من ضبّ.

وهي كثيرة الأسماء غير الصفات: **يقال لها** القطّ والضيون والهرّ والسنّور. وأسماء الأسد أكثر صفات. وروي أن أعرابياً صاد سنّوراً فلم يعرفه فتلقاه رجل **فقال**: ما هذا السنور؟ وتلقاه آخر **فقال**: ما هذا الهر؟ وآخر **فقال**: ما هذا الضيون؟ وآخر **فقال**: ما هذا القط؟ **فقال الأعرابي**: إني أحمله وأبيعه فيسجعل الله لي منه يسرا فلما حمله إلى السوق، **قيل**: بكم؟ **قال**: بمائة. **قيل**: إنه يساوي نصف درهم، فرمى به **وقال**: لعنه الله فما أكثر أسماءه وأقلّ نفعه.

وكان النبي ﷺ امتنع من دخول دار قوم فيها كلب **فقيل له**: إنك تدخل دار فلان وفيها هرّ، **فقال**: الهرّ ليست بنجسة إنها من الطوافين عليكم والطوّافات.

---

(١) **اليربوع**: نوع من القواضم يشبه الفار قصير اليدين طويل الرجلين وله ذنب طويل.
(٢) **بنات وردان**: الصراصير. (٣) **برّها به**: أي محبتها ووفائها.
(٤) **العقوق**: العصيان والنكران.

وقال عليه الصلاة والسلام: عذّبت امرأة في هرة سجنتها فلم تطعمها ولم تسقها. وقيل: إنّما يستر خرءه لئلا يشم الفأر ريحته فيهرب. ولابن العلاّف البغدادي فيه مرثية مختارة أولها:

يا هرّ فارقتنا ولم تعُد ... وكنتَ منّا بمنزلِ الوَلَد

وقال ابن طباطبا في هرّة لم تكن تصيد الفأر

وسنّورة سالَمَت فأرَها ... فبينهما أبداً هدنَه
تدور وفي فمها جوزةٌ ... وشيءٌ أصابته من جننَه
لتنصبَ للفأر فخابَه ... كذا القِرنُ مختتلٌ قِرنَه[1]
وتبصرها مثل حواءة ... لها رقية ولها دخْنَه
بها تخرجُ الفأر من جحرها ... وما ذاك عيب ولا هُجنَه
فمَن لم يوافِقه شربُ الدوا ... ء للحصر يستعمل الدخْنَه

وقيل كان لركن الدولة سنّور يألف مجلسه فكان بعض أصحابه أراد حاجة تعذر الوصول إليها فكتب قصته ووجد السنور خارج الحجرة فشدّ القصة في عنقه وأرسله فرآه ركن الدولة فأخذها وقرأها ووقّع فيها.

● الثعلبُ

موصوف بالرَوَغان والخبث والنذالة. قال بعضهم: أروغ من ثعلب ومن فرط خبثه أنّه يجري مع كبار السباع وفي حديث العامة أن الثعلب متى كثرت عليه البراغيث يتناول صوفة ثم يدخل رجليه في الماء، فلا يزال يغمس بدنه في الماء أوّلاً فأولاً حتّى يجتمعن في خطمه. فإذا غمس خطمه في الماء اجتمعن في الصوفة ثم يتركها في الماء ويثب خارجاً. ونضيبه أي قضيبه في صورة أنبوبة أحد شطريه أعظم، وهو في صورة مثقب والآخر عصب ولحم. يولع بأكل القنفذ ويقال إنه يقلبه على ظهره ثم يبول على بطنه فيعتريه الأشر[2] فيتمدّد فيبقر بطنه.

● الأرنبُ

قيل: إنها تحيض والذكر منها الحزن وقضيبه على صورة قضيب الثعلب. وقيل: إنها تنام مفتوحة العين، وتطأ على مواخير القوائم كيلا تعرف الكلاب أثرها. وهو قصير اليد وليس يعرف بقصر اليد؛ أسرع من الأرنب، والعرب تزعم أن من علق عليه كفّ أرنب لم تصبه عين ولا سحر، لأن الجنّ تهرب منه إذ ليست من مطاياها لمكان الحيض وهي أحسن الأشياء صيداً لتدبيرها وتدبير الكلب عليها.

---

(١) مختتل: اسم فاعل من اختتله أي خدعه.

(٢) أشر: الواحد إشر وأشرة المنشار أسنانه والأشُر والأشَر التحزيز في الأسنان.

● **الضبّ**

يوصف بالكيس[1] لأنه لا يبني بيته إلا على رابية خشية السيل.

قال الشاعر:

سقى الله أرضاً يعلَمُ الضبّ أنها   بعيدٌ من الآفاقِ طيبةُ البَقْلِ
بنى بيتَه منها على رأسِ كديةٍ   وكلّ امرىء في حرفةَ العيْش ذو عَقْلِ[2]

وقيل: أنه يعد العقرب للحارش حتّى إذا أدخل يده لسعته. وهو مسالم ويضع من البيض سبعين، ويأكل كل حسلة. **وقيل:** أعقّ من الضب. ويضرب الحيّة بذنبه فيقتلها وله تركان أي أثران، **قال:**

جِسْلٌ له تركان كانَ فَضيلة   على كلّ حافٍ في البلاد وناعلِ

وقيل: إنما هو واحد ولكن له طرفان كلسان الحية. وهو طويل الذماء[3] صابر على الماء. يتبلغ بالنسيم طويل العمر.

قال:

لو أنني عمرت سنّ الحِسْل

وقيل في المثل: أخدع من ضبّ، وهو خبّ ضب. وقيل بالنمر يخدع الضب وأما لحمه فقد روي أنه عليه الصلاة والسلام امتنع من أكله، **وقال:** إنه ليس بطعامي وأكله خالد بن الوليد فلم ينكر عليه. **وقال:** فيه فقيه لرجل كان يأكله إعلم أنك أكلت شيخاً من مشيخة بني إسرائيل يعني أنه مسخ **قال:**

وسكنُ الضبابِ طعامُ الغريب   ولا تشتهيه نفوسُ العَجَم

فقال من عارضه:

فأنت لو ذقتَ الكشى بالأكباد   لما تركت الضبّ يغدو بِالوَاد[4]

● **القِرْدُ**

يُضحك ويُطرب ويحكي ويتناول بيده الطعام ويضعه في فمه. وله أصابع وأظفار وإذا سقط في الماء يغرق كالإنسان قبل أن يتعلم السباحة ويتزاوج ويتغاير تغايرهم، **فقال:**

قِردٌ يُقَهقِهُ أو عَجوزٌ تلطمُ[5]

---

(١) **الكيس:** الظريف الفطن، الحسن الفهم.
(٢) **الكدية (هنا):** الأرض الصلبة الغليظة.   (٣) **الذماء:** بقيّة الروح.
(٤) **الكشى:** جمع كشية شحمة بطن الضبّ أو أصل ذنبه.
(٥) شطر بيت من قصيدة للمتنبيّ في هجاء كافور الإخشيدي.

● **الدبّ**

أنثاه إذا وضعت ولدها رفعته في الهواء أياماً تهرب به من الذرّ من مكان إلى مكان إلى أن تشتد أعضاؤه.

● **القُنْفُذ**

جعل سلاحه شوكه وهو يأخذ الحيّات فيأكلها يقبع رأسه حتى يأتي عليها. **وقال ابن الزبير** في رجل خاشنه وهو يخطب ثم سكت: ماله ضبح ضبح الثعلب ثم قبع قبوع القنفذ.

● **الجُرَذ والفأر**

ولا أتبع الجاراتِ بالليل قابعاً   قبوعَ القرنبا أخلفته محاجرهُ

قيل: إن الجرذ يعادي العقرب وإذا جعلاً في إناء واحد ولم يمكنهما الخروج تحاربا تحارباً عجيباً ومتى ربط فأران بطرفي حبل تهارشا أعجب هراش وإذا خليا مراً على وجوههما. فإذا خصي واحد أكل صواحبه. وللفأر تدبير في السرقة تأتي القارورة الضيقة فتخرج منها الدهن بذنبها **وقيل** أسرق من ذبابة ومن جرذ. **قال**:

فكُنْ جرذاً فيها تخونُ وتسرقُ

وهو قصير الذماء بخلاف الضبّ. ويقتله الشيء اليسير وكثير من الناس ممّن لا يخاف الأسود يخافه ويهرب منه. وفي الحديث أن الفأرة الفويسقة[١] تجذب الفتيلة فتجذ بها فتحرق على أهل البيت كحل العيون وقضّ الرقاب، والزباب صمّ. **قال**:

فهم زباب حائر   لا تسمع الآذان رعدا

والخلد منها أعمى. **واليرابيع** ضرب منها تطأ على زمعاتها[٢] لتزوي[٣] موضع وطئها لئلا تقص، وتتخذ النافقاء والقاصعاء والداماء والراهطاء[٤] ليفلت من باب إذا أخذ عليه باب. **وقيل**: إنما استخرج الروم الاحتيال بالمطامير والمخارق على تدبير اليربوع.

● **الجَراد**

تعمد الجرادة إلى الصخرة الملساء التي لا يعمل فيها المعول فتغرس ذنبها فيها فتصير كالأخدود لها فتنتر فيها أي تبيض، فيخرج منها الدبى فتصفر فيقال لها **اليرقان** ثم تصير فيها خطوط سود وصفر فيقال **مسيح** ثم يبدو حجم جناحها كثيفاً ثم ينبت جناحها ويحمر فيقال لها **الغوغاء** ثم يقال **الخيفان** ويقال للجرادة **أم عوف**:

تنفضُ بردتَيها أمّ عوف   كأنّ رجيلتيها مِنجلان

---

(١) **الفويسقة**: مصغر الفاسقة وهي الفأرة، سميت بذلك لخروجها من حجرها على النّاس.

(٢) **الزمعات**: جمع زُمعة وهي القطعة، والزَمَعة التلعة الصغيرة.

(٣) **تزوي**: من زوي الشيء منعه.   (٤) **الراهطاء**: حجر اليربوع ومثله النافقاء والقاصعاء. الخ.

وبردتاها أي جناحاها.

قال سعيد بن عبد الرحمن:

من كلّ كنعان تراهُ أحدَبا | كأنّ سرجاً جيّداً مضبّبا
على قراه ثابتاً مركباً | لم يجعلِ اللّهُ عليه مركَبا

وقال أعرابي:

مرّ الجرادُ على زرعي فقلْت لها | إياك أغني فلا تولَع بإفسادِ
فقامَ منها خطيبٌ فوقَ سنبُلةٍ | أنا على سفرٍ لا بدّ من زادِ

وقال عوف بن دروة في وصفها:

قد خفتُ أن يحدرَ بالمصعرين | ويترك الدّين علينا والدّيْن
زحفٌ من الجِيفان بغد الزحفين | ملعونةٌ تسلخُ لوناً لونين
كأنها ملتفّة في بردَيْن | تنحى على الشمراخِ مثل الفاسَيْن

أو مثلَ منشارٍ غليظ الحَرْفين

● **العنكبوت**

قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[1]، وذلك أجناس:

جنس رديء ينسج على وجه الأرض فيجعله خارجاً، وأطرافه داخلة. فإذا انتهى إليها ما يأكلها تناولها.

وجنس حاذق يسدي بيته ويلحمه فإذا وقع عليه ذباب تثبت، فإذا وهن نقله إلى خزانته فمصّ رطوبته ثم رمى ما تشعث منه من بيته وإنما تنسج الأنثى وأما الذكر فإنه ينقض وولدها أكيس من الفروج ساعة يولد.

وجنس يصيد الذباب صيد الفهد يقال له الليث له ست عيون. **قال الجاحظ**: لا ينبغي أن يكون في الدنيا أصيد من فهد الذباب لأنه لا يطير ويصيد ما يطير ويصيد ما يصيد، لأن الذباب يصيد البعوض، وخديعتك الخداع أعجب. وجنس طويل الأرجل إذا مشت على جلد الإنسان بثر[2]

● **الورل**

لا يتخذ البيوت إبقاءً على برثنه، ويعلم أنه سلاحه الذي به يقوى. وله ذنب يؤكل ويستطاب، ويقتل الضبّ ويشدخ رأس الحيّة ثم يبتلعها لا يضرّه سمّها. وهو كثير التوقف والتلبث إذا مشى.

---

(١) **القرآن الكريم**: العنكبوت/ ٤١.

(٢) **بثر**: جمع بثرة وهي الخرّاج الصغير.

وتزعم المجوس أن أهرمن[1] لما قسّم الشرور والسموم كان أخذ من الجرذ شراً فحضر وقد قسم الشر فتداخلها الحسرة فتراها متى اشتدت تتذكر ما فاتها لتباطئها فتقوم وتتحسّر.

● **الخُنفُساء**

موصوفة بالصبر. وربما غرز على ظهرها شوكة فتجول كأنها عقرت. وربّما تكون في العلف فيأكلها البعير فمتى وصلت إلى جوفه حيّة قتلته. وهي موصوفة باللجاج، **قال**:

أشدّ لجاجاً من الخنفُساء

● **أمّ حبين**

دويبة أصغر من الحِرْباء كدرة المسراة، بيضاء البطن. **وقيل لأعرابي** ما تأكلون؟ **قال**: ما دبّ ودرج إلا أم حبين، **فقال**: لتهن أم حبين العافية.

● **الظِرْبان**

على خِلقةِ الكلْب الصينيّ أخبث دابة مساءة لا يقوم لفسوها شيء. وتأتي جحر الضبّ فتفسو فيه وتضيق عليه حتى تدار به فيأخذه ويأكله ويسمى مفرق النعم لأنها إذا فست فيها ابدت تأذياً بفسوها **وقيل**: فسا بينهم الظربان إذا تفرّقوا.

● **الوجرة**

دويبة كالغطاءة حمراء تلزق بالأرض **وقيل** وجر صدره إذا التزق بالعداوة التزاق تلك بالأرض، وهذا كما يقال للحقود ضبّ.

● **العضرفوط**

دويبة لا خير فيها تذكر العرب أنها لا تبول ألا تشعر بذنبها تلقاء القبلة والحيّات تأكله.

● **الجُعَل**

يموت من ريح الورد ويعيش بالرّوث.

قال المتنبي:

كما تضرّ رياحُ الورد بالجُعَل

وتحرس القوم. فكلما قام قائم منهم لحاجته تبعه وهو يدحرج الجعر.

قال يهجو:

حتّى إذا أضحى تدري فاكتحل ... بجارتيه ثم ولّى فنبل

رزق الأنوقين قرينا والجعل

---

(١) **أهرمن**: مبدأ الشر عند الفرس الأقدمين، ونقيضه أرمُزد وهو مبدأ الخير.

وله جناحان لا يكادان يُريان إلا إذا طار

● **النمل**

يدّخر في الصيف للشتاء، ويخرج بالليل متى خاف بالنهار. وعادته أن ينقر القطمير[١] من الحبّة ويفلقها أنصافاً. فإذا كان حبّ الكزبرة فلقه أرباعاً، لأن أنصافه تنبت من بين الحبوب ولها حسّ وشم عجيب. وينقل أضعاف جسمه مائة مرّة، ومتى عجز عن حمل شيء ذهب إلى صواحبه فيتبعنه، ويكلّم بعضها بعضاً، بدلالة قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾[٢] قال:

لو أنني أوتيتُ علم الحكل ... علم سليمان كلامَ النمل[٣]

والنمل تأكل الأرضة، ومتى رأى بالجرادة والخنفساء عقراً تعرض لهما فأكلهما. وإذا لم يكن لهما عقر لم يأكلهما.

وحكى عن بعض المهندسين أنه أخرج طوقاً محمى من صفر فرمى به فاشتمل على ذرة فلم يمكنها أن تتخلص من جانبه لما لقيها من وهج النار فعادت إلى وسط الدائرة فوجدها قد ماتت في موضع رجل البرحكار، وربّما طار.

وقيل: إذا أراد الله بنملة شراً أنبت لها جناحين وفيه:

فما ذو جناح له حافرٌ ... وليس يضرُ ولا ينفَعُ

وعنى بحافره قوائمه وبهما يحفر.

● **الحية**

موصوفة بالقوّة. وكل ممسوح لا رجل له ولا يد فقويّ البدن. ويُقطع ذنبُها ولا تموت طويل الذماء. وقيل: لا تموت حتف أنفها. وهي أصبر شيء على الجوع مع شرهها وسرعة ابتلاعها. فإذا تنسّمت اكتفت به وربما تأتي البقرة فتشتمل على فخذها فتلتقم خلفها فلا تستطيع البقرة إن تترمرم فلا تزال تمصه حتى تمتلىء فيعرض حينئذ في ضرعها داء أو تموت. وتسلخ كل عام مرتين وربّما يبقى في عنقها ما نفض من جلدها:

لها ربقَة في عنقِها من قميصِها ... وسائرُه عنْ متنِها قد تقدّدا

وليس لرأسها عظم ولذلك يسرع إليها الهلاك إذا هشم. وفيها ذات شعور وقرون. وثلاثة لا تنفع معها الرقية: الثعبان والهنديّة والأفعى.

والشجاع ما تقوم على ذنبها وثواثب وقيل: في رمال بلعم حيّة تصيد الطائر فإذا

---

(١) القطمير: القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة. يقال: ما أصبت قطميراً، أي ما أصبت شيئاً.

(٢) القرآن الكريم: النمل/١٨.

(٣) الحكل: ما يسمع له صوت، يقال تكلّم كلام الحكل أبي كلاماً لا يفهم.

انتصف النهار واشتد الحر انغرست كأنها خشبة فتجيء الطير تحسبها عوداً فتركبها فتبلعها. **وقيل**: كانت الحيّة في صورة جمل فمسخها الله تعالى عقوبة لها حين طاوعت إبليس وشقّ لسانها وإنما تخرج لسانها إذا خافت لترى عقوبة الله.

وقال النبي ﷺ: فيها ما سالمناهن منذ حاربناهنّ ومن ترك شيئاً منها فليس منّا.

وقال الإمام علي: اقتلوا الجان وذا الطفيتين، والكلب الأسود البهيم **وقالت عائشة**: من نقتل حية فخاف آثارها فعليه لعنة الله، خلف:

وحـنـش كـأنـه رشـاء ... ذنـبُـه ورأسُـه سـواء
يـهـرب مـن طـلـعـتـه الـرّقـاء ... لـهـا إذا أبـصـرتـهـا اسـتـحـذاء
قـد لـوّحـتـه الـشـمـسُ والـهـواء ... فـسـمـتـه سـيّـان والـقـضـاء

قال أسدي في وصفه:

ولـو عـضّ حـرّ فـي صـفـاة إذاً ... لا نـشـبَ أظـفـارَه فـي الـصـفـا

وقال عنترة:

لـعـلّـك تـمـنّـى مـن أراقـمِ أرضِـنـا ... بـأرقـم يـتـقـي الـسـمّ مـن كـل مـنـطّـف
تـراهُ بـأجـوازِ الـهَـشـيـم كـأنّـمـا ... عـلـى بـرده أخـلاف بـرد مـفـوّف[1]
كـأنّ بـضـاحـي جـلـده وسـراتِـه ... ومـجـمـعِ لـيّـتـيـه تـهـاويـلَ زخـرف
إذا نـسـل الـحـيـات بـالـصّـيـف لـم تـزل ... يـشـاغـرنـا فـي جـلـدة لـم تـعـرف

● العقربُ

لا تسبح ولا تتحرك في الماء، جارياً كان أو راكداً. وحتفُها في ولدها إذ حان وقت ولاده بقر بطنها فتموت، وفيه:

وحـامـلـة لا يُـكـمِـلُ الـدهـر حـمْـلَـهـا ... تـموتُ ويـبـقَـى حـمـلُـهـا حـيـنَ تُـعْـطَـبُ

والقاتلةُ بموضعين **شهرزور** وقرى **الأهواز**. وهي التي يقال لها الجرارة.

والعقارب يلسع بعضها بعضاً فتموت وربما ضربت الطشت فتخرقه وتبقى إبرتها فيه وتلسع الأفعى فتقتلها.

وقيل: إذا لسعت من لسعت أمه عقرب وهي حامل تموت العقرب ولا تضره. وتقصد العقرب بالليل الأصوات، ولا تضرب المغشيّ عليه ولا النائم حتّى يتحرك وشرّ ما تضرّ الملدوغ إذا كان خارجاً من الحمام لسخونة بدنه وتفتح مسامه.

---

(١) **الهشيم**: النبات أو العشب اليابس ـ **البرد**: الثوب المخطّط ـ **المفوّف**: الثوب الرقيق، أو الثوب الذي فيه خطوط يبقى على الطول.

● **البَعوض**

وأجناسُه البقّ والجرجس والشذان والفراش والأذى. وللبعوض خرطوم ولكنه يخرجه ويطويه.

وقال بعضهم رأيت البعوضة تغمس خرطومها في جلد الجاموس كما يغمس الرجل إصبعه في الثريد. وكان يطير عن ظهره فيسقط الغصن فيقيء ما في جوفه، ثم يعود.

وأنشد في مجلس يونس قول جرير:

يصرّ عن ذا اللب حتّى لا حراك به ... وهنّ أضعفُ خلْق الله أركانا

قال: ما أراه يصف إلا البراغيث والبعوض.

قال الهذلي في صوتها:

كأنّ وغى الخموشِ بجانبيه ... مآتيمُ يلتدِمنَ على قتيلِ(١)

وقال الكميت:

به حاضرٌ من غيْر جنّ يروعُه ... ولا حاضراه ذو أثاثٍ وذو رحلِ

وقال الراجز:

مثل السفار دائمُ طنينها ... ركّب في خرطومها سكينها

وقال أبو جروة في صفة قارص:

تبيتُ جارتُه الأفعى وسامره ... رمدٌ به عاذر منهنّ كالجرَبِ

يعني بالرمد البعوض والعاذر الأثر وقال:

وليلة لم أدرِ ما كرَاها ... أمارسُ البعوضَ في دُجاها

كلّ زجولٍ خفق حشَاها ... لا يطرب السامع مِن غِناها

وقال:

إذا تغنينَ غناءَ الزطّ ... وهن منّي بمكان القرْط

فشق بوقع مثلِ وقع الشرط

● **البَراغيثُ**

تستحيل بقاً كما أن الدعموص يستحيل فراشاً قال:

ليلُ البراغيث عنّاني وأنصَبني ... لا باركَ الله في ليل البراغيثِ(٢)

كأنّهنّ وجلْدي إذ خلوْن به ... أيتامُ سوء أغاروا في مواريث

---

(١) **يلتدمن:** يضطربن.

(٢) **أنصبني:** أتعبني كثيراً.

وقال:

ألا يا عبادَ الله من لقبيلة | إذا ظهرتْ في الأرض شد مغيرها
فلا الدين ينهاها ولا هي تنتهي | ولا ذو سلاح من معد يضيرها

وقال أبو الشمقمق:

يا طولَ يَوْمي وطولَ ليلتِه | فليهن برغوثُه بجذلتِه
قد عقدت بندها على جسدي | واجتهدت في اقتسامِ جملتِه

وقال:

ألا ربّ برغوث تركْتُ مجدّلاً | بأبيض ماضي الشفرتَيْن صقيلِ

يعني أظفاره.

وصف أعرابي البراغيث فقال: ما آذى صغارها وأطفر كبارها وأخفى انطمارها وأقبح آثارها.

وحضر أعرابي حلقة يونس فأنشد رجل لأبي الحسين بن أبي البغل:

إذاع ما عرَاني شار بالدّمى انثنَى | وغنّى غناء الشاربِ المترنِّمِ
يدينُ بأديانِ المجوس كأنّما | يقولُ له أصحابُه أشرَب وزمزمِ

وكتب ابن ثوابة إلى ابن مكرم نحن نبعض فهل تبعضون؟ فكتب إليه نحن نبعض ونبرغث ونبقق.

● القمْلُ

القمل يعتري من العرق والوسخ من الثوب والشعر. وقيل: يعتري من أكل التين ويكون في رأس الأسود الرأس أسود، وفي أخضب الشعر بالحمرة أخضب. وفي الأخصف خصيفاً، وفي الأبيض.

وقيل: هكذا كحرّة بني سليم كلّ ما فيها من حيوان أسود بلاد الترك كل ما فيها على ألوان بلادهم ومن زيبق ذهب قمله ويزيله لبس الحرير فأذن لهما. ويكثر القمل في الدجاج والحمام إذا لم يغسلا وكذلك في القرد وتراه أبداً يتقمّل ويضع قمله في فيه.

● القُراد

يخلق من عرقَ البعير ووسخهِ كالقمل من الإنسان. والقراد إذا كان صغيراً قمقامة ثم يكون حنانة ثم قراداً ثم حلمة. ويقال له: القل والطلح والعقير والبرام والقرشان.

وقيل: أسجع من قراد وألزق منه وأذل وأفطن من حلمة ويقال فلان يقرد فلاناً أي يحتال عليه، وأصله أن يؤخذ قراد البعير ليسكن ثم يجعل الخطام في عنقه.

● السّمك

الأجناس المائية موصوفة بالخمول وليس فيها خصلة من الفطنة، إلا ما يحكى عن صيد الجرذان ودابة تحمل الغريق حتى تؤدّيه إلى الساحل.

والتبوظ ضرب من السمك ينتهي إلى الشبكة فلا يستطيع النفوذ: منها فيعلم أنه لا ينجيه إلا الوثوب، فيجمع جراميزه قيد رمح فيثب ويغوص في الطين أيام الجزر.

والسمك قيل يكون له اللسان والدماغ في الماء العذب لا الملح البحتري في بركة:

يقمْنَ فيها بأوساط مجنّحة كالطيرِ ينقَضّ من جوّ خوافيها[1]

● السرطَان

له ثمان أرجل ويستعين مع ذلك بأسنانه فكأنه يمشي على عشر وعيناه في ظهره وينسلخ من جلده في السنة سبع مرات، ويتخذ جحراً له بأبان أحدهما يشرع إلى الماء والثاني إلى اليبس. ومتى انسلخ سد الباب الذي في الماء لئلا تدخل عليه الحيّة فتأكله وترك الباب الذي يلي اليبس لتصيبه الريح فيعصب لحمه.

● السلحفاة

تكون بريّة وبحريّة وتصيد الحيات وتبيض في الشطّ، وفيها يقول محمد بن عبد الملك:

وسلحفاةٍ سمح سكونُها والحركَه
شبّهتها بذي نمّي ساقطٍ في المعركَه
مستترٍ بترسِهِ عمّن عسى أن يهلكَه

● الضّفدَع

يتعيش في الماء ويبيض في الشطّ، ولا عظم له، وقد يتخلق من الأرض إذا أصابها المطر، تراه غبّ المطر إذا كان ديمة في الضحاضح[2] حيث لا بحر ولا نهر ولا بئر، حتى يزعم ناس أنها كانت في الحساب. وقيل: إن المخ في خراسان يكبس في الأزاج ويحال بينه وبين الريح والهواء والشمس فمتى انخرق في تلك الخزانة خرق فدخله الريح استحال الريح كلّه ضفادع.

ولا ينق الضفدع في الماء إلا إذا أدخل فيه حنكه الأسفل ومتى أبصر إنساناً أو القمر أو الفجر أمسك عن النقيق وتولع الحيات بأكله.

---

(١) **ينقضّ**: الانقضاض هو الاندفاع من أعلى الجوّ وفي رواية: ينغضّ أي يتحرك.

(٢) **الضحاضح**: الضحضاح الماء اليسير أو القريب القعر.

قال الشاعر:

ضفادِعُ في ظلماءِ ليلٍ تجاوبَت فدلّ عليها صوتُها حيّةَ البحْر

وقيل في الخرافيات إن الضفدع كان ذا ذنب فسُلبه لما راهن على الصبر عن الماء. وفي قرآن مسيلمة لعنه الله: يا ضفدع كم تنقّين نصفُك في الماء ونصفُك في الطين. لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين. ونهى النبي ﷺ عن قتله.

قال الخوارزمي:

أرّقني والديكُ لم ينطِقِ صوتُ غريقٍ نصفُه لم يغرَقِ

وجاحظ العيْن ولما يخنِقِ بلحْظِ مخنوقٍ ولفظِ أشرقِ

وفيه:

كعقد الناكحِ حين ينزلُ

- **التمساح**

لا يكون إلا في نيل مصر، ويأكل الإنسان. **وقيل:** إن بطنه كقباء[1] مفروج وكل شيء يأكل بالمضغ دون الإبتلاع فإنه يحرك فكّه الأسفل إلا التمساح فإنه يحرك الأعلى.

- **التنين**

ينكره أكثر الناس إلا بعض الشاميين يزعم أنه إعصار فيه نار يخرج من بخار الأرض فلا يمرّ على شيء إلا أحرقه.

(٧)

وممّا جاء في أحوال الحيوانات وطبائعها

•

- **المتزاوجة من الحيوانات**

ليس التزاوج إلا في ذي رجلين دون ذوات الأربع، وذلك في الإنسان والحمام وأجناسها. وأما الدجاج والحجل فإنها تمكن كل ذكر من نفسها

- **البائِضَة والوالِدَة**

كل ما لا أذن ظاهرة لجنسه فإنه يبيض وماله أذن ظاهرة فإنه يلد ولا يبيض. وما يبيض على **ثلاثة أضرب:** هوائي ومائي وأرضي. **فالطائر منها ما يبيض** في السقوف والأجذاع كالخطاطيف، **ومنها ما يبيض** على شعف الجبال، حيث لا يوصل إليه كالرخم

---

(١) **القباء:** ثوب يلبس فوق الثياب.

والمائية منها ما يبيض في الأرض ويحضن كالبق **والضفدع والسلحفاة والسراطين** تبيض في بيوت لها في شطوط الأنهار لها بابان والأرضيّ كالحيّة والضب.

- **ما يكثرُ نسلُه وما يقلّ**

السمك يكثر منسلها ويأكل بعضها بعضاً. وكذلك **الضبّ** يخرج سبعين حسلاً ولولا أن بعضها يأكل بعضاً لصارت الصحاري ضباباً. **والخنزيرة** تضع عشرين خوصاً لكن يموت أكثرها لعجزها عن تربيتها. ويخرج من جوف العقرب عقارب كثيرة.

قال صاحب المنطق: نسل الأسد يقل جداً لأنه يجرح الرحم فتعقم[1]، والجوارح من الطيور يقلّ فراخها والبغاث[2] يكثر.

قال:

بغاثُ الطير أكثرُها فراخاً ... وأمّ الصقر مقلاةٌ نزُور[3]

وأقلّ الخلق عدداً وذرأ **الكركدن**. فأما الطيور فما تزق وتحضن **كالحمام** لم يكن لها أكثر من فرخين ما تلقم فزاد الله في عدد فراخه، **والعقارب والضباب والسمك** وكل مالا تحضن ولا تزق ولا تلقم كثير أولادها جداً.

- **ما يكسبُ وقتَ ما يولد**

الفروج والعنكبوت والفأر والجري والنحل

- **ما يكونُ من غير تناسل**

البعوض والبق والبرغوث لا يكون من توالد تخلق من عفن المياه، **وقيل**: الكمأة قد تعفن فتتولد منها الأفعى.

- **ما تناسلَ من الأجناس المختلفة**

أما البغل فمعروف والذئب والضبع يتسافدان وولدهما السمع، والذئب، والكلبة وولدهما الديسم.

وقال صاحب المنطق: تتوالد السلوقية من الثعلب، والثعلب يسفد الهرة الوحشية.

وحكي عن صاحب الطيور أنا رأينا كثيراً منها يتسافد، ورؤي أشياء عجيبة من أولادها. وادّعى جهلة أن **الزرافة** تنتج من بين الإبل الوحشية، **والبقرة الوحشية** لما رأوا اسمه بالفارسية اشتركاً وبلنك، أي بعير وبقر ونمر، **وقالوا في الجاموس** إنه بقر وضأن، ولم يقولوا في النعامة هذا، وإن سمي اشتر مرك. وادّعوا تسافد الجن والأنس واستدلوا

---

(١) **تعقم**: تصاب بالعقم فلا تلد.

(٢) **البغاث**: أصغر من الرخم، وهو بطيء الطيران.

(٣) **النزور**: كلّ شيء يقلّ.

على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[1] وقالوا الواقواق من نتاج بعض الحيوانات وبعض النبات

● القوةُ على الجِماع

الإنسان يغلب جميع الحيوانات في السفاد لأن ذلك دائم منه في جميع الأزمنة وعلى جميع الأحوال. والإبطاء في الفراغ للجمل والورل والذبان والعناكب والضفادع والخنازير.

وأما الكلاب والذئاب فتلتحم وكذلك الذبان **وقال النوشجان**: أقبلت من خراسان، في بعض طرق أجبالها فرأيت أثر ست أرجل أكثر من ميلين فسألت **فقيل لي** أن الخنزير في زمن الهياج يركب ذكره الأنثى. وهي ترتع وتمرّ فهذا أثرهما وكثرة عدد الجماع من العصافير. وكل جنس يحبل إلا البغل فإنه وإن أحبل لم ينم وقفط[2] تيس بني حمار مشهور.

● المتسافِد ذكورُه

الخنازير والحمار والحمام كل ذلك، للذكر الذكر، وللأنثى الأنثى

● ما يتغايرُ

يتغاير الخنزير والحمل والفرس إلا أنها لا تتزاوج وحمار الوحش يغار ويحمي أناثه الدهر كله، وأجناس الحمام تتزاوج ولا تتغاير والقرد يتزاوج ويتغاير.

● أشرافُ الحيوَانات

قيل: أشرف السباع ثلاثة: الأسد والببر والنمر. **وأشرف البهائم ثلاثة**: الكركدن والفيل والجاموس وأشرف **المركوبات**: الخيل والإبل. **وأشرف الطير** العقاب.

وقيل: الرياسة في الهواء للعقاب، وفي الماء للتمساح وفي الغياض للأسد.

وقيل: الطير هوائي والسمك مائي يعني أكثر استقرارهما في هذين الموضعين.

ومن الحيوان ما لا يصلح أمره إلا بالرئيس كالنحل والغرانيق والكراكي، وأما الإبل والحمير والبقر فالرياسة لفحل الهجمة ولعير العانة[3] ولثور الربرب[4] **وقيل**: لكل شيء سادة حتّى النمل.

● ما يتعادى من الحيوانات

قيل: أشد العداوة عداوة الجوهر وما يتعادى على ضربين: ضرب يعادي جنس

---

(١) **القرآن الكريم**: الإسراء/ ٦٤.

(٢) **القفط**: يكون لذوات الظلف وهو شدّة لحاق الذكر للأنثى، من قفطها أي سفدها.

(٣) **العانة**: القطيع من حمر الوحش. (٤) **الربرب**: القطيع من بقر الوحش.

جنسه. وذلك نوعان: أحدهما كل نظير صاحب كالأسد والفيل فإنهما يتقاتلان وكل قد يقتل الآخر. **والفرس المائي** يقتل التمساح ويتغالبان. **والحيّة وسام أبرص** يتقاتلان والأسد والنمر والأسد والجاموس.

ومنها ما لا يضرّ الآخر ولا يقوى الآخر عليه كالسنور مع الجرذ، والذئب مع الشاة، والدجاج مع ابن آوى، والحمام والشاهين والشاة أشد فرقاً من الذئب منها من الأسد.

والدجاج يخاف ابن آوى أكثر ما يخاف الثعلب والحمام أشد فرقاً من الشاهين منه للبازي والصقر.

● القويّ المتفادي من الضعيف

الجاموسُ يخشى البعوض خوفاً شديداً، ينغمس في الماء والفيل يهرب من الهرّة.

وقيل: إنما يهرب من الأسد إذا ظنّه سنوراً عظيماً. والحية إذا أصابها خدش تسلّط عليها الذرّ[1] فيهلكها. واللبوة إذا وضعت قصد الذرّ شبلها فيأكله، **ولذلك قال المتنبّي:**

يذبّ أبو الشبل الخميسَ عن ابنه ويسلمه عند الولادة للنمل[2]

● ما تقوى أناثها

كلّ صنف من الحيوان ذكورها أجرأ وأقوى إلا الفهد والذئب واللبوة.

● الأكلة للناس من السباع

الأسد والنمر والببر[3] وقيل لا يعرض ذلك للناس إلا بعد الهرم والعجز عن الصيد. **والذئب** أشد الناس مطالبة فإن عجز عوي مستغيثاً بالذئاب.

● الآكل بعضها بعضاً

السمك يأكل بعضه بعضاً أكلاً ذريعاً **والذئب** متى رأس ذئباً أدمى أكله لا محالة:

قلْتُ وكنْتُ كذئب السوءِ لما رأى دَماً بصاحبهِ يوماً أحالَ على الدمَ

والجِرذ إذا خصي أكلها أصحابها.

● الصابرة عن الطعام

الحيّة وسام أبرص والعضاة والتمساح تسكن في أعشتها الأربعة الأشهر الشديدة البرد، فلا تطعم شيئاً وسائر الحيوانات تسكن بطن الأرض كذلك كل همج لا تبرز في الشتاء إلا النمل والذرّ والنحل فإنها تدّخر ما يكفيها.

● المدّخرة

الإنسان والنملة والذّرة والجرذ والفار والعنكبوت والنّحل.

---

(١) **الذرّ**: النّمل. (٢) **الخميس**: الجيش. (٣) **الببر**: نوع من السباع الهنديّة.

● **إختلافُ الحيوانِ في الأكل**

الحيوان على ثلاثة أضرب: المشتركة كالإنسان والعصفور والغراب والسمك تأكل الحيوانات والنبات. والآكلة للحم في غالب الأمر كالحمام. ثم تختلف فمنها ما يأكل جنساً واحداً كالنحل تأكل العسيل والعنكبوت يعيش من مصّ الذباب.

● **إختلافُ مشيها**

من الحيوان ما لا يسيح بالمشي، فالضبع عرجاء تخمع، والذئب أقزل أشنج النسا كأنه يتوخّى إذا مشى، والأسد إذا مشى ينخلع كأنه رهيص. والسنور والفهد في طريق الأسد. والغراب يحجل كأنه مقيد. والجراد يمشي ويطير والعصفور يثب ويجمع رجليه معاً. وكذلك القنبر والحمُر وما أشبهها والقطاة مليحة المشي مقاربة الخطو وبه شبه مشي المرأة قال:

فـدفـعـتُـهـا فـتـدافـعَـت   مـشـيَ الـقـطـاة إلـى الـغَـديـر[1]

والذباب يمشي مشياً سبطاً، والبرغوث يمشي ويثب وسمي طامر بن طامر لوثوبه. وكلّ ذي أربع وذي إثنين إذا تكسر إحدى رجليه تحامل على الأخرى إلا النعامة قال:

وإنّـي وإيّـاه كـرِجْـلَـي نـعـامـة

● **الطويلةُ العمر.**

ممّا يوصف بطول العمر الحيّة، فإنه يقال لا تموت حتف أنفها، ويقطع ثلث جسمها فتعيش، إن سلمت من الذرّ. والدخال يقطع بنصفين فيمران في الطريقين. والضبّ طويل الذماء مع هشم[2] الرأس والطعن الخائف الذي لا يحتمله غيره.

ويقال اللهم واقية كواقية الكلاب وذلك لسلامتها من الآفات والكبش تقطع إليتيه فيعيش.

● **ما يحدّ بصره**

الفرس والهدهد والعقاب والنسر. وأما السنّور والفأر والجرذ والسباع فإنّها تبصر بالليل كما تبصر بالنهار والخفاش يبصر فيما بين الضوء والظلمة لكثرة شعاعها في بصرها. وأما ما يبصر بالليل فالأسد والسنور والنمر والأفعى.

● **ما يصدُق سمعهُ**

قيل: أسمع من قراد لأنه يسمَع تحرّك البعير فيقصده وإن كان قد أتى عليه سنون. والفرس والقنفذ والدلدل.

---

(١) هذا البيت من قصيدة للمنخّل الجاهلي، قالها في المتجرّدة امرأة النعمان.

(٢) هشم الرأس: كسره.

● **الموصوفُ باللجاج**

الخنفُساء والذّباب لا ينطرد وإن طرد، والدودةُ الحمراء ترومُ الصعود إلى السقف كلمّا سقطت عادَت.

● **الحاذِقُ بالبِناء**

الزنبورُ يعمَل بيوتنا مدوّرة كأنّها من كاغد[1] مزردة[2] والسُّرفة[3] تبني بيتاً حسناً وقيل أصنع من سرفة وكذلك التبوظ[4]

● **الحاذِقُ بالنسج.**

العنكبوتُ ودودُ القزّ تخرج القز من جوفها.

● **ما يَحيض**

الكلبُ والأرنب والضبع والخُفاش، **وقيل**: ذوات الأربع كلها تحيض.

● **الموصوفُ بالحمق**

الرخمة والحباري وأنثى الذئاب، وتسمى **الجهيزة**، **لأنها** تتكفّل ولد الضبع وتترك ذا بطنها. **قال**:

كمرضعةٍ أولادَ أخرى وضيعَت بني بطنِها هذا الضّلال عنْد القصْدِ

والضبعة والنعجة والعنز، وكذلك الطاووس والقدرج مع حسنها والزرافة.

● **الموصوفُ بالجُبْن**

العقعق والغراب والعصفور والصقر والصفرد.

● **ما يصدقُ شمّه**

الذئب صادق الإسترواح، **ولذلك قيل**:

يستخبرُ الريحَ إذا لَمْ يسمع بمثْل مقراعِ الصّفا الموقعِ[5]

وجلّ **الوحشيات** على ذلك **والنعامة** صادقة الشمّ. وأعجب من ذلك **الذرّة** نحو أن يشمّ رجل جرادة يابسة فيتهافت عليها. **والفرس** يتشمّم رائحة الحجر من مسيرة ميل ومن ذلك **السنّور والكلب** ويبلغ من صدق شمه أنه يقصد الحجرة فيشمّها فتعرف الكلاب بتشممه وجار الضبع فتقصده.

---

(١) **الكاغد**: القرطاس (واللفظة فارسية).

(٢) **المزرّدة**: ذات العقد المتداخلة مثل زرود الدرع.

(٣) **التبوظ**: من باظ يبيظ ويبوظ إذا قرّ ماء الرجل في الرّحم.

(٤) **السّرفة**: دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتاً من دقاق العيدان.

(٥) **الصفا**: الصخرة.

• ما يُسْلَخ

كل ذي جسد محرز فإنها تسلخ **كالحية** والسرطان كل طائر لجناحيه غلاف **كالجعل** والدبر والسلخ للطير تحسرها، وللحوافر **عقائقها**، وللإبل طرح **أوبارها** وللجراد **جلودها** وللأيائل **قرونها** وللأشجار **ورقها وللاسروع** أن يصير فراشاً وللبعوض أن يصير **دعموصاً**.

• ما يتناسَل

قيل: إن البعوض يصير دعموصاً، والبعوض يستحيل برغوثاً، والأسروع فراشاً والذباب والزنابير أول ما يتولد يكون دوداً، ثم يتطور.

وقيل: العقاب والحدأة يتبدلان فيصير الذكر أنثى وهذا غريب. **وقيل**: ليس ذلك بأغرب من الشجرة التي تثمر البلوط سنة، والعفص سنة. **وقيل**: الضبع سنة أنثى وسنة ذكر ولم تذكر العرب ذلك.

• ما يكونُ وحشياً وغيره.

الفيل والسنانير والحمير والظباء. **فالظباء** تسمّى عفراً، **والتيوس** الوحشيّة نعاجاً وهي بالمعز أشبه. وليس بينها وبين الظباء تسافد. **والخنزير** وحشيّ وغير وحشي، وهو ذو ظلف ولا مشابهة بينه وبين ذوات الأظلاف بغير ذلك.

وليس في الإبل وحشيّ إلا **وحوش الإبل** فيما يزعمون.

ومما يكون أهلياً ولا يكون وحشياً الكلب وأما الضبع والذئب والأسد والنمر والببر.

فلا تكون إلا وحشيّة وكذلك الثعلب وابن آوى.

وقد يعلم الأسد فينزع نابه ويطول في الناس لبثه ومع ذلك **يتشزن**[1] ولا تؤمن **عرامته**[2] وخبر من ربي الذئب ثم أكل شاته قد ذكر، وحكي أن بعضهم ضرى أسداً فاصطاد به، وذئباً فصاد به الظبي، وزنبوراً فاصطاد به الذباب.

ومن الوحشيات ما إذا صار مع الناس يترك السفاد، ومنها ما يترك الطعام كالصالحية.

• ما يعايشُ النَاس

الكلب والسنّور والفرس والبعير والحمار والبغل والغنم والبقر ونحو ذلك ومن الطيور الدجاج والحمام والخطاف والزرزور والخفاش والعصفور، وليس فيها **أطول عمراً** من البغل ولا **أقصر عمراً** من العصفور. وعلل ذلك بقلّة السفاد وكثرته.

• ما يتكفّل بوُلد غيره

الذئب وتقدّم، والنعام تحضن بيض غيرها وحمل على ذلك **قول الشاعر**:

---

(١) **تشزن**: اشتد وغلظ.

(٢) **العرامة**: من عرم عَرَامة: مرح وكان شرساً، فسد.

كــتــاركــةٍ بـيــضَــهــا بـالــعَــراء   ومــلــبــسـةٍ بـيَـض أخـرى جـنـاحـاً

والدجاجة تحضن بيض الحمام وبالعكس. وكاسر العظام يتعهد فرخ العقاب، وذلك أنها تفرخ ثلاثاً فتعجز من شرهها عن تربية ما فوق الاثنين.

● **الكاسيةُ بالليل**

البوم والصدى والهامة والصونع والخفاش وغراب الليل. والبومة تدخل على كل طائر في بيته بالليل تأكل فراخه. والبعوض قد يؤذي بالنهار.

● **ما يحضنُ البيضَ وما لا يَحْضن**

الطيورُ تحضنُ، والضبّ لا يحضن بل يغطيها بالتراب وينتظر أيام انصداعها، ثم ينبش عنها التراب.

● **ما يتعيَّن مكانُه وما لا يتعين**

الخلد والفأرة والنمل والنحل والضبّ لها مساكن معلومة تأويها. وأما أكثر الطيور فلا تتخذ بيتاً ترجع إليه، بل ذكورها سيّارة وإناثها يقمن إلى تمام خروج الفراخ من البيض وتذهب.

وأكثر الطيور قواطع كالخطاف والزرزور والغراب والحدأة وأما السمك فكذلك. منها ما يجيء من أقصى البحار كأنه تتحمض بحلاوة الماء وعذوبته.

● **ما ادعي فيه المسخ**

إختلف الناس في المسخ. فأكثر الدهريّة يجحدون ذلك، وأقروا بالخسف والطوفان. وجعلوا الخسف كالزلزلة. **وقال بعضهم**: لا ينكر أن يفسد الهواء في ناحية فتتغير تربتهم فيعمل ذلك في طباعهم على الأيام، كما عمل في الزنج والصقالبة فتصير القوة من جنس أرضهم ألا ترى أن جراد البقول وديدانها خضر والقمل في رأس الشباب أسود، وفي المخضوب أحمر.

ولم ير أهل الكتاب أقروا بالمسخ غير أنهم أجمعوا على أن الله تعالى جعل امرأة لوط حجراً. وأجازاً أكثر المسلمين ذلك. فقال بعضٌ: إن الممسوخ لا يتناسل ولا يبقى إلا بقدر ما يصير موعظة وعبرة. وبعض أجاز تناسله حتى جعلوا الضبّ والكلاب من أولاد تلك الأمم.

وقالوا في الوزغ إن أباها لما نفخ في نار إبراهيم وفي نار بيت المقدس أصمّه الله تعالى وأبرصه فكل سام أبرص من ولده حتى صار في قتله أجر عظيم.

وعن عروة أن النبي ﷺ قال للوزغ الفويسق والحيّة كانت صورة إبل فلما أعانت إبليس مُسخت.

وقالت العرب: إن الله تعالى مسخ عطارد تشبيها بهذا. **وقال الجاحظ** قلت لعبيد الكلابي وكان مشغولاً بالإبل أبينكم وبين الإبل قرابة؟ **قال**: نعم، خؤلة فقلت: مسخك الله بعيراً، **فقال**: إن الله لا يمسخ أنساناً على صورة كريم بل لئيم. وقيل كانت الفأرة يهودية طحّانة والأرضة يهودية والضبّ يهودياً، ولا يضيفون شيئاً من ذلك إلى النصرانية.

● ما ادّعي تكليفه

زعم بعض الناس أنّ الأشياء كلّها مكلّفة وأنها أمم تجري مجرى الناس، وتأوّل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾[2] الآية وقال: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾[3] والطير. واتبعوا ظاهر الآيات.

والعقرب والحية والغراب والوزغ[4] والكلب عاصيات معاقبات.

وقالوا: لم يكن من خشاش[5] الأرض إلا كان يطفىء النّار عن إبراهيم عليه السلام، إلا الوزّغ فإنها كانت تنفخها.

● المنسوب إلى مكان من البهائم

ذئب الخمر وأرنب الخلة[6] وتيس الرمل وضبّ السحاب، وهو نبت يحسن حاله به، وقنفذ برقة[7] وشيطان الخماطة[8]، وغول القفر، وجان العشرة. وكان لهذه الأشياء اختصاص بهذه الأمكنة وقوة. وذلك غير ممتنع.

وكان يقال من دخل تبّت كان مسروراً من غير سبب، ما دام بها. ومن أقام بالموصل حولاً ثم تفقد عقله وجده ناقصاً.

وقيل حمّى خيبر[9] وطحال البحرين ودمامل الجزيرة وجرب الزنج.

● جملة من اختلاف الخلق.

كل حيوان أصل لسانه إلى داخل إلا الفيل. وكل سمك في العذب بلسان ودماغ وكل ذي عين من ذوات الأربع، فالأشفار لجفنها الأعلى، إلا الإنسان فللأعلى والأسفل.

---

(١) **القرآن الكريم**: الأنعام/ ٣٨. (٢) **القرآن الكريم**: الأحزاب/ ٧٢.

(٣) **القرآن الكريم**: سبأ/ ١٠.

(٤) **الوزغ**: ضرب من الزحافات والوزغ الرعشة، الارتعاد، الجبان.

(٥) **خشاش الأرض**: ما يبس من النبات. (٦) **الخلة**: ما فيه حلاوة من النبات.

(٧) **برقة**: الأرض الغليظة ذات الحجارة. (٨) **الخماطة**: كلّ شجر لا شوك فيه.

(٩) **خيبر**: واحة على الطريق بين المدينة ودمشق.

وكل حيوان ذي صدر فصدره ضيق إلا الإنسان والفيل والبقر. وللجواميس أربعة أخلاف[1] في بطونها، وللشاة خلفان، وللناقة أربعة، وللسنّور والكلب ثمانية أطباء[2] والخنزيرة كثيرة الأطباء. وللفهد أربعة وللظبية إثنان.

واللحية تكون للرجل والديك والتيس. والجمل له القنون[3] والكوسة[4] من السمك في بطنه شحم طيّب إن اصطادوه ليلاً وإلا فلا.

● **أحوال جماعة من الحيوانات**

قيل: الضفدع إذا أبصر النار تحيّر ولم ينق. والخنفساء والجعل إذا دفنا في الورد ماتا وفي العذرة يحييان.

قال المتنبّي:

كـمـا تـضـرّ ريـاحُ الـوردِ بـالـجُـعَـل

وإذا دخلت **الخنفساء** في إست الحمار غشي عليه ولا يفيق حتى تخرج. **والزنبور** إذا غرق في الزيت مات ويحيا بالخلّ. **والذباب** إذا غرق في الماء مات وإذا دفنته بعد في التراب حيي.

والأسد إذا رأى قربة منفوخة انهزم، واللبوة تضع ولدها حين تضعه شبلاً ميتاً فيأتيه أبوه في الثالث فينفخ في منخرية فينبعث، وتضع **الذئبة** ولدها لحماً لا صورة له ثم تلحسه حتى تستوي صورته.

من لدغته **العقرب** فأدخل في إسته قطعة جليد برأ وقيل بل هذا لمن لدغه **الزنبور**. والمرأة إذا لدغت فجومعت برئت.

زبد الجمل الهائج يذهب العقل. إذا مدت على باب البيت **شعرة من ذنب فرس** عتيق لم يدخله البعوض ما دامت الشعرة ممدودة. **الحمار** إذا أكل خرء الثعلب مات، **والفأرة** إذا أكلت المرداسنج ماتت، وإذا حفي **الكلب** فدهن إسته ذهب حفاه. **والثور** إذا دهن إسته لم يحف.

والقنفذ لا ينام **والفهد** لا يسهر **والغداف** إذا أخرج فرخه هرب منه لأنه يخرج أبيض فيجتمع عليه البعوض لزهومة رائحته فيبتلع منها ما يقيمه. إذا رأت الحية إنساناً عرياناً تهرب منه النمل لا يتوالد من تزاوج لكنه يلقى في الأرض شيئاً يسيراً فيصير بيضاً ثم يتصور.

---

(١) **أخلاف**: جمع خلف وهو حلمة الضرع. (٢) **الأطباء**: جمع طبي وهي حلمة الضرع.
(٣) **القنون**: جمع قنة وهو الجبل الصغير.
(٤) **الكوسة**: من كاس يكوس على رأسه انقلب، والكوسة هنا للسمك في مقابل القفة للجمل.

(٨)
وممّا جاء في الصيد والذبائح

●

● ما يجوزُ أكلهُ من الصيدِ وما لا يجوزُ

قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾[١] وقال عدي بن حاتم: سألت رسول الله ﷺ فقلت: أنا قوم نصيد بهذه الكلاب، **فقال**: إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه، فكل ما أمسك عليك وإن قتل، إلا أن يأكل الكلب فإن أكل الكلب فلا تأكل. فإني أخاف أن يكون مما أمسك على نفسه.

وقال عدي: يا رسول الله أرمي الصيد فلا أجده إلا بعد ثلاثة. **قال**: إذا رأيت أثر سهمك فيه تعلم أنه قتله، فكل. وفي حديث آخر: ما تجد أثر سبع. وفي حديث آخر وما تأخر عنك للغد فلا تأكله فإنك لا تدري أرميتك قتلته. وفي رواية كُلْ ما أصميت[٢] ودع ما أنميت. **وقال جابر**: نهي عن صيد كلب المجوسي.

● جوازُ أكلِ ما صيدَ بالقوس.

قال أبو ثعلبة: **قال** رسول الله ﷺ كُلْ ما ردّت إليك قوسك. وفي آخر ذكياً أو غير ذكي. **وروى عدي بن حاتم عنه ﷺ**: ما أصاب بحدّه فكل وما أصاب بعرضه فلا تأكل. وفي آخر: إن أتيته وقد سبقك بنفسه فكل، وإلا فلا تأكل حتّى تذكى.

● ما ذبحَ بغير سكين

قال عدي: قلت يا رسول الله إني أرسل كلبي فيأخذ الصيد فلا أجد ما أذبحه به إلا المروة والعصا، **فقال**: أجر الدم بمائت وأذكر اسم الله عليه. **وقال ﷺ**: إذا أنهرت الدم فكل، وفي حديث ما خلا السنّ والعظم.

● النهي عن المثلةِ بالحيوان والحثّ على تحسين الذّبح.

قال النبي ﷺ: لعن الله من يمثل[٣] بالحيوان. ونهى أن تصبّر البهيمة وأن يؤكل لحمها إذا ضرب، **وقال ﷺ**: لا تتخذوا الروح غرضاً: **وقال**: إن الله كتب الإحسان في كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليد[٤] أحدكم شفرته وليرح ذبيحته.

---

(١) **القرآن الكريم**: المائدة/ ٥. (٢) **أصميت**: أصمى: رمى الصيد فقتله.

(٣) **مثل بالحيوان**: نكلّ به، عذّبه.

(٤) **ودَى يدي الشيءُ**: سال، وقيل الوادي لأن الماء يدي فيه أي يسيل ويجري.

● **من تجوزُ منه الذكاء**

قال أبو العشر الدارمي عن أبيه: قال: قلت: يا رسول الله أما تكون الذكاة إلا في اللبة والحلق؟ **قال:** بلى لو طعنت في حلقها لأجزأ عنك. وسئل ﷺ عن ذبيحة النصارى لكنائسهم وأعيادهم، **فقال:** إن لم تأكلوها فإني آكلها فأطعموني. **وقال ابن عباس:** نهى النبي ﷺ عن ذبيحة نصارى العرب وذبيحة الغلام. وروى جابر عنه ﷺ أنه سئل عن ذبيحة المرأة والصبيّ، **فقال:** إذا ذكر اسم الله عليه فلا بأس. وكانت العرب تقول ما ذكر اسم الله عليه فلا تأكلوه. وما ذبحتم لغير الله فكلوه فأنزل الله تعالى: ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه، وإنه لفسق.

الحد الخامس والعشرون

في فنون مختلفة

•

(١)
كلماتٌ من الحِكَم في أبوابٍ مختلفة

•

أجمعوا على أن الظَفَر مأسور بالصَبْر، والقُدْرة مقرونة بالحِيلة، والإدراكُ موصول بالتأني.

كتب كسرى إلى قيصر أخبرني بأربعة أشياء ما أخالها إلا عندك ما عدو الشدة وصديق الظفر ومدرك الأمل ومحتاج الفقر وفي كتاب جاودان ثلاثة لا يصدّقون: صبر الجاهل على المصيبة، وعاقل أبغض من أحسن إليه. وحماة أحبّت كنتها

وثلاث لا يستصلح فسادهن: العداوة بين الأقارب، وتحاسد الأكفاء، والركاكة في الملوك.

وثلاث لا يفسد صلاحهنّ: العبادة في العلماء، والقناعة في المستبصرين، والسخاء في ذوي الأخطار.

وثلاث لا يشبع منهن: العافية والحياة والمال.

وقيل: إذا رأيت الفيل يمشي على الشرف فأطلبه في البئر. وقيل: ستة لا تخطئهم الكآبة: فقير قريب العهد بالغني، ومكثر يخاف على ماله، وطالب مرتبة فوق قدره، والحسود والحقود وخليط أهل الأدب وهو غير أديب.

وقالت الهند: ثلاث يسرعن إلى العقل الفساد: طول الكفاية، والتعظيم الدائم وإهماء النفس.

وقيل أربعة تضيع: سراج في نهار، ومطر في سبخة[1]، وطعام عند غير ذي شهرة وزفاف بكر إلى عنين.

---

(١) السبخة: الأرض ذات النز والملح.

وقال مسلم بن قتيبة: لا يجب الصبي أن يكون سخياً فإنه لا يعرف فضل السخاء، وإنما يعطي ما في يده ضعفاً.

وقال الأصمعي المهلكات أربع: الكبر والحسد والبخل والحرص.

وقال معاوية ثلاثة ما اجتمعن في حرّ: مباهتة الرجال وغيبتهم، وملال أهل المودة.

وقيل: إنما يحسن الاختيار لغيره من يحسنه لنفسه. **وقال صالح بن عبد القدوس:** ما شيء إلا وفيه منفعة، **فقال** بعض من حضره: لو علق رجل بإحدى يديه أي منفعة فيه؟ **قال:** لا يعرق إبطه.

النية أساس الأعمال والأعمال، ثمار النيّات.

وقالت الترك: حفظ مرتبة خير من خفض مرتبة.

وقال أبو الأسود الدؤلي: إذا كنت في قوم فحدّثهم بقدر سنك، وخاطبهم بلفظ محلك، ولا ترتفع عن الواجب فتستقل، ولا تنحط فتحتقر.

أربعة لا تكتم: العقل والحمق والغنى والفقر، **قيل:** سمّي الجار لتجيره والصديق لتصدقه، والرفيق لترفق به.

قيل: ما استقصى حرّ قط. قال الله تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾[1]. فلم يعاتب النبي ﷺ حفصة على ما كان منها. **قال الأقطع** رفيق الصناديقي: وقعت إلى بلدة قاصية من خراسان فسألوني هل تعرف شيئاً من شعر الصاحب **فأنشدتهم:**

بـوِدّي لـو يـهـوى الـعـذولُ ويـعـشَـقُ[2]

فقال فضولي: هذا للبحتري، **فقلت:** لقد قال ذلك رجل بنيسابور فضرب ثلاثمائة سوط. فسكت عمّي أبو الحسن الصوفي على الرئيس أبي الفضل:

أنـــا إنْ لـــم أكُ أهـــوا ك فـــرأســـي فـــي حِـــرِ أمـــي[3]

توقيع للصاحب:

وإذا أردتـم أن تـسـروا عـامـراً فـتـعـمّـدوا بـصـنـيـعـكـم أصـهـارهـا

قال القاضي أبو الحسن: استعار رجل من الخلاد شعره **فقال:** يا بني نحن أكلنا شعر الطائي والبحتري ومن يجري مجراهما. وهؤلاء أكلوا شعر النابغة حتى خرؤا مثل هذا الشعر. وأنت إذا أكلت شعري فأي شيء تخرأ؟

قال حكيم الحياء: يمنع من عمل السيئات، والحمية تمنع من عمل الحسنات.

قال أبو عبد الرحمن خالد بن الأصم لأبي العتاهية: أي خلق الله أصغر؟ **قال:** الدنيا

---

(١) **القرآن الكريم:** التحريم/ ٣.
(٢) **العذول:** اللائم.
(٣) **الحِر:** بتخفيف الراء الفرج.

لأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة. **قال**: بلى أصغر منها من عظمها. **ثلاث يخبلن العقل**: الخصومة الدائمة، والدين الفادح والمرأة السليطة[١]

وقال أبو يوسف: تعلّموا كل علم إلا النجوم، فإنه يكثر الشؤم، والكيمياء فإنه يورث الإفلاس، والجدال في الدين فإنه يورث الزندقة.

من هانت عليه نفسه فلا تأمنن شرّه. **قال حكيم**: من الذي بلغ جسماً فلم يبطر واتبع الهوى فلم يعطب، وجاور النساء فلم يفتتن بهنّ، وطلب إلى اللئام فلم يهن، وواصل الأشرار فلم يندم، وصحب السلطان فدامت سلامته؟

قيل: جماع خير الدنيا والآخرة في **ثلاث**: أجر وشكر وذكر. فالأجر ثواب الله الذي لا يكون أجمع منه نفعاً وأدوم ولا أكرم منزلة، والذكر فوق منزلة الشكر، ودون منزلة الأجر لأن الأجر أشد اشتمالاً على جميع الخلق.

● حِكاية

يقال إن المنصور أشخص[٢] رجلاً من الكوفة سعى به أن عنده أموالاً لبني أمية فلما مثل[٣] بين يدي المنصور، **قال**: أيها الرجل أخرج لنا من ودائع بني أمية التي عندك؟ **فقال**: أوراثهم أنت يا أمير المؤمنين أم وصيّهم؟ **قال**: لا. **قال**: فلم أدفع أموالهم إليك؟ **قال**: إن بني أمية خانوا المسلمين وأنا القائم بأمرهم. **قال**: عليك بيّنة أن هذا المال من تلك الخيانات، فقد كان للقوم أموال من وجوه شتّى فإن ثبتّ على حكم خرجت منه.

فأطرق ساعة ثم قال: يا ربيع خلّ الرجل. **فقال الرجل**: ما عندي مال ولكن رأيت الاحتجاج أقرب إلى الخلاص فإن رأى أمير المؤمنين أن يحضر خصمي فلعله يفلجني بالحجة، فإن في مالي سعة فبعث المنصور إلى الساعي فأحضره **فقال**: يا أمير المؤمنين إن هذا الساعي عبد لي أبق[٤] وقد سرق لي مالاً فهدّده فاعترف.

● العجب

العجب ما عدم فيه العادة. ولذلك قيل الدهر **أبو العجب** لإتيانه بما لم تجر عادة بمشاهدته. **وقيل**: للنظام أي شيء أعجب؟ **قال**: الروح **وقيل لأبي عصل فقال**: السمّ. **وقيل**: لسلم الخلال. **فقال**: النار. وقيل لأبي شمر **فقال**: الذكر والنسيان. وقيل لبطليموس **فقال**: تدبير الفلك.

قال ابن الرومي:

وعـجـيـب الـزمـانِ غـيـرُ عـجـيـبِ

---

(١) **المرأة السليطة**: الطويلة اللسان.
(٢) **أشخص رجلاً**: بعث به.
(٣) **مثل بين يديه**: حضر.
(٤) **العبد الأبق**: الخارج عن الطاعة.

قال الطائي:

إلا إنَّها الأيامُ قد صِرْن كلها عجائبَ حتّى ليسَ فيها عجائبُ

وذكر أن أفلاطون سأل جماعته عن العجب. **فقال:** كل ما حضره حتى انتهى إلى بقراط **فقال:** العجب ما لا يعرف سببه.

قال الخبزارزي:

عجبتُ وأعجبُ منّي امرؤٌ رأى ما رأيتُ ولم يعجَبِ

وقال بعضهم: لو سرقت الكعبة ما بقيت الأعجوبة أكثر من أسبوع.

(٢)

ذكرُ خصالٍ معدودة

●

● خصلة محمودة

قال أنوشروان: وعنده جماعة ليتكلم كل واحد بكلمة نافعة. **فقال الموبذ:** الصمت المصيب أبلغ حكمة.

وقال مهنود: تحصن الاسرار أنفع رأي. **وقال مهادر:** لا شيء أنفع للرجل من المعرفة بقدر ما عنده من الفضل وحسن الاجتهاد في طلب ما هو مستحق له.

وقال موسى: الاحتراز من كل أحد أحزم رأي **وقال بزرجمهر:** لا يروح المرء على نفسه بمثل الرضا بالقضاء. **فقال أنوشروان:** كل قد قال فأحسن ولا خلاص لأحد إلا التثبت للإختيار والاعتقاد للخيرة.

● خِصْلتان

قال ﷺ: منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا. وقال بعضهم: شيئان لا يستطيع الرجل فراقهما ظلّه وعقله. **إثنان يهون عليهما كل شيء: العالم الذي** يعلم العواقب، **والجاهل** الذي لا يدري ما هو فيه. شيئان ينبغي للعاقل أن يحذرهما الزمان والأشرار. **شيئان** يديران الناس القضاء والرجاء.

فسد جلّ الأمور ومن خصلتين إذاعة الأسرار وائتمان أهل الغدر.

خلّتان في الجاهل سرعة الإجابة وكثرة الالتفات. **اثنان** يستحقان البعد: من لا يؤمن بالمعاد ومن لا يستطيع غضّ بصره وكفّ جوارحه[١] من المحارم.

● ثلاثُ خصال

ثلاثةٌ تضر بأربابها: الإفراط في الأكل اتكالاً على الصحة، **والتفريط في**

---

(١) **الجوارح:** جمع جارحة هي العضو الجسم والحاسّة من الحواس.

العمل اتكالاً على القدر، وتكلف ما لا يطاق اتكالاً على القوة.

ثلاثة من لم تكن فيه لم يجد طعم الإيمان: حلم يردّ به جهل الجاهل، وورع يحجزه[1] عن المحارم، وخلق يداري به الناس.

ثلاثة من كنّ فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وما إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الظلم، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له.

ثلاثة هنّ للكافر مثلهن للمسلم: من استشارك فأنصحه، ومن ائتمنك على أمانة فأدّها إليه، ومن كان بينك وبينه رحم فصِلها.

وقال إبليس: إذا ظفرت من ابن آدم بثلاثة لم أطالبه بغيرها: إذا أعجب بنفسه واستكثر عمله وتمنى على بليّة.

ثلاثة لا يمنّ بها أحد فيسلم: صحبة السلطان، وإفشاء السرّ إلى النساء وشرب السم للتجربة.

ثلاثة تزيد في الانس بين الإخوان: الزيارة في الرجال والحديث على المائدة ومعرفة الأهل والحشم.

● أربعُ خِصال

قال ﷺ أربع من الشقاء: جمود العين، وقساوة القلب، والإصرار على الذنب، والحرص على الدنيا.

وقال أمير المؤمنين: من استطاع أن يمنع نفسه أربع خصال فهو خليق بأن لا ينزل به من المكروه ما ينزل بغيره: اللجاجة والعجلة والعجب والتواني. فثمرة اللجاجة الحيرة، وثمرة العجلة الندامة، وثمرة العجب البغضة، وثمرة التواني الذلّة.

كليلة أربع خصال من حسن النظر: الرضا بالزوجة الصالحة، وغضّ البصر، والإقدام على الأمر بمشاورة، وكظم الغيظ[2]

أربع خصال إذا أفرط فيهن المرء استهوته: النساء والصيد والقمار والخمر.

أربع خصال يُمتِنّ القلب: الذنب على الذنب، وملاحاة الأحمق، وكثرة مصاقبة النساء والجلوس مع الموتى. **قيل:** ومن الموتى؟ **قال:** كل عبد مترف وكل من لا يعلم فهو ميت.

أربعة تجرىء على الذنوب: الحرص والتواني والرغبة في الدنيا والاستخفاف بالذنوب.

أربع القليل منها كثير: الوجع والنار والدين والعداوة.

---

(١) حجزه عن المحارم: منعة من اقترافها.

(٢) كظم الغيظ: كبحه.

أربعة يختبرون عند اللقاء: الشجاع، والأمين بالأخذ والإعطاء، والأهل والولد عند الفاقة، والإخوان عند النوائب.

● خمسُ خصال

أمير المؤمنين **خمس خصال يذهبن ضياعاً**: سراج في الشمس، ومطر في سبخة، وامرأة حسناء زفت إلى عنين[1]، وطعام اجتهد صاحبه فيه فقدم إلى شبعان أو إلى سكران. ومعروف صنعته إلى من لا يشكرك عليه.

قال أزدشير[2]: **أوصيكم بخمسة** فيهن راحة أبدانكم ودوام سروركم وصلاح أموركم:

الرضا بالقسم **والقمع**[3] لفاحش الحرص **والتنزه** من الحسد **والتعزي** عند مضنون به أدبر ومرجوّ فات **وترك السعي** فيما لا يوافق نجحه وتمامه. فإن من لم يرض بما قسم له طالت معتبته. ومن فحش حرصه ذلّت نفسه ومن أتى إلى المنافسة والحسد لمن فوقه لم يزل مغموماً ومن أطال أساه على ما أدبر عنه لم يزل مهموماً فيما لا منفعة فيه. ومن شغل نفسه بتمني الأشياء لم يخل قلبه من الأحزان وحمل على نفسه عبأ ثقيلاً ليس للراحة فيه غاية. ومن سعى فيما لا تمام له كانت عاقبته الحسرة والندامة.

قال ابن المقفع: **المشتطون**[4] **في خمسة متندمون**: **المفرط** إذا فاته العمل، **والمنقطع** عن إخوانه إذا نابته النوائب، **والمستمكن** من عدوه ثم يفوته لسوء تدبيره، **والمفارق** للزوجة الصالحة إذا ابتلي بالطالحة، **والجريء** على الذنوب إذا حضره الموت.

خمسة أقبح شيء فيمن كن فيه: **الفسق** في الشيخ، **والحدّة** في السلطان **والكذب** في ذي الحسب، **والبخل** في ذي الغنى، **والحرص** في العالم.

خمسة المال أحب إليهم من أنفسهم: **المقاتل** بالأجرة، **وحفار** القنى والآبار، **والتاجر** في البحر، **والرقاء**[5] يتعرّض للسع الحية للطمع، **والمخاطر** على شرب السم.

● ستُّ خِصال

قال معاوية: ستة أشياء تعرف في الجاهل:

الغضب من غير شيء، **والكلام** من غير نفع، **والعطية** في غير موضعها، **وإفشاء** السر، **والثقة** بكل أحد، **وقلّة** معرفة الصديق من البدو.

---

(١) **العنّين**: الذي لا يأتي النساء ولا يريدهنّ.

(٢) **أزدشير**: من ملوك الفرس.

(٣) **القمع**: مصدر قمع يقمع (فلاناً): قهره وذلّله وصرفه عمّا يريد.

(٤) **المشتطون**: جمع مشتط، وهو الذي يفرط أو يتباعد من الحقّ والصواب، ويجاوز الحدود، واشتط أيضاً ظلم أو غالى في الثمن.

(٥) **الرقّاء**: الماهر في استعمال الرُّقية أو الرَّقية وهي أن يستعان للحصول على أمر بقوى تفوق قوى الطبيعة.

ستة من مات منها فهو قاتل نفسه: من أكل طعاماً قد أكله مراراً فلم يوافقه، ومن أكل فوق ما تطيقه معدته، ومن أكل قبل أن يستمرئ[1] ما قد أكل، ومن رأى بعض أخلاط جسده قد همّ بهيجان ورأى دلائل ذلك فلم يستدركها بالأدوية الممكنة، ومن أطال حبس الحاجة إذا هاجت به، ومن أقام بالمكان الموحش وحده.

ستة أشياء لا ثبات لها: ظلّ الغمامة، وخلة الأشرار، وعشق النساء الثناء الكاذب، والمال الكثير، والسلطان الجائر.

لا يوجد العجول محموداً، ولا الغضوب مسروراً، ولا الحرّ حريصاً، ولا الكريم حسوداً، ولا ذو الشره غنياً، ولا الملول ذا إخوان.

لا خير في القول إلا مع الفعل، ولا في المنظر إلا مع المخبر، ولا في المال إلا مع الجود، ولا في الصدق إلا مع الوفاء، ولا في العفة إلا مع الورع، ولا في الحياة إلا مع الصحة والأمن والسرور.

لا فقر كالحرص، ولا بلاء كالشره، ولا غنى كالقناعة، ولا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق.

قال ابن المقفع: العجب آفة العمل، واللجاجة قعود الهوى، والحمية سيف الجهل، والبخل لقاح الحرص، والمراء لقاح الشنآن[2]، والمنافسة أخو العداوة.

● سبعُ خِصال

المرأة بزوجها، والولد بوالده، والمتأدب بمؤدبه، والجند بقائده، والناسك بالدين، والعامة بالملوك، والملوك بالتقوى، والعقل بالتثبّت.

سبعة يهزأ منهم: مدّعي الشجاعة، وشدّة النكاية في الأعداء وبدنه سليم لا أثر فيه، ومنتحل الزهد والاجتهاد وهو غليظ الرقبة، والمرأة الخليّة تعيب ذات زوج، والعالم يناظر الجاهل ويماريه، والمفضي بسرّه من لا يجرّب، والمودع ماله من لم يختبره، والمحكّم بينه وبين خصمه من لا يعرفه.

سبعة يكثرون السخط: الملك المترف، والشيخ القلق، والسفيه، والأديب العديم الحلم، والباذل نصيحته للأخرق، والمكلف العمل بغير رفق.

● ثمان خصال

ثمانية أن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم: الجالس على مائدة لم يدع إليها، والمتأمر على ربّ البيت، وطالب النصر من أعدائه، وطالب الفضل من اللئام، والداخل بين إثنين

---

(١) استمرأ يستمرىء (الطعامَ): استطيبه أو وجده مريئاً أي طيّباً.

(٢) الشنآن: البغضاء.

من غير أن يُدْخلاه، والمستخفّ بالسلطان، والجالس مجلساً ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على من لم يسمع منه.

الأدب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين، والتوفيق خير قائد، والاجتهاد أربح بضاعة، ولا مال أعود من العقل، ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا ظهير[1] أوثق من المشورة، ولا وحدة أوحش من العجب.

● **تسع خصال**

تسعة لا يتامون: مدنف[2] لا طبيب له، والكثير المال يخاف على ماله، والهامّ بدم يسفكه، ومتمنّي الشر للناس العامل في غشهم، والمحارب يخاف البيات، والغارم لا مال عنده، والعاشق لا ينال بغيته، والمطلع على السوء من أهله، والمغصوب ماله.

● **عشر خصال**

عشرة يمتحنون عند أعمالهم: المقاتل عند الحرب، والقِنَعُ عند الحاجة، وذو التؤدة عند الغضب، والتاجر عند المبايعة، والصديق عند الشدائد، والعالم عند العلم والناسك عند الصبر على العبادة، والجواد عند العطاء، والأمين عند الوديعة.

عشرة تقبح في عشرة أصناف: ضيق الذرع[3] في الملوك، والغدر في الأشراف، والكذب في القضاة، والخديعة في العلماء، والغضب في الإبرار، والحرص في الأغنياء، والسفه في الشيوخ والمرض في الأطباء، والتهزؤ في الفقراء، والفخر في القراء.

(٣)

حكايات دالة على رقاعة قائلها

●

زعموا أن الصخور كانت ليّنة وأن كلّ شيء يعرف وينطق وإن الأشجار والنخيل لم يكن عليها شوك. **قال**:

قــد كــانَ ذا كــم زمــنَ الــقــحــل والــصــخــرُ مــبــتَــلّ كــطــيــن الــوَحْــل

وقيل: إن الشوك اعتراها في صبيحة اليوم الذي ظهرت فيه العتاة[4] رأى أحمق نوراً **فقال**: ما أحسنه من بغل، لولا أن حافره مشقوق.

قال حكيم لعليل: كل الثلج فقال وأرمي بثفله. **حكى ابن مرداس** عن بعض الثناة أن

---

(١) **الظهير**: القويّ الظهر، والظهير المعين. (٢) **المدنف**: المريض.

(٣) **ضيق الذرع**: أي غير مقتدر، ونقيضه سعة الذرع.

(٤) **العتاة**: جمع العاني وهو المستبد الجبّار.

مطراً أجرف سنبله، وبرقت برقة فقال: ما أحسن ما عملت أسرجت له حتى لا تفوته حبّة.

وكان كوشيد دخل بيته فنطع باب داره فغضب، وحلف لا يدعه في داره واتخذ باباً آخر إلى شارع آخر، فاجتمع أهل المحلة يسألونه أن يرضى عن بابه وتشفعوا عنده فرضي، وسألوه أن يعمل لهم دعوة لصلح الباب ففعل ودعاهم.

ودخل بعض الكبار الحمام فسرق ثوبه فقال له الحمّامي: لعلك جئت بلا ثوب.

وكان بأصبهان رجل يعرف بميمة بن بطل حمل لبدأ إلى السوق ليبيعه، فسيم بثمن بخس، فقال: إذا كان كذلك أنا أحق به ودفع ثمنه إلى الدّلال وحمله إلى داره.

نظر حمصيّ إلى منارة فقال لصاحبه: ما أطول قامة الذين بنوا هذه، فقال يا أحمق إنما بنوها على الأرض ثم أقاموها.

أتى نصراني عبد الله بن الهيثم فقال: أريد أن أسلم على يديك فقال: يا ابن الزانية تريد أن توقع بيني وبين عيسى بن مريم.

نظر رجل في جبّ[1] فرأى شخصه فدعا أمه وقال: إن في البئر لصاً فنظرت فرأت شخصها فقالت: ومعه قحبة.

ماتت امرأة حائك بشيراز فحرق سراويله، فقال له في ذلك، فقال: المصيبة ما نالت إلا هذه الناحية.

وقيل لمزيد: موسى لطم عين ملك الموت فاعورّ، فقال: دعوه فإنّ طريق الأصلع على أصحاب القلانس.

قيل لأبي العبّاس بن الأصبهي لم لا تصلي؟ فقال: السورة القصيرة أستحي أن أقرأها، والطويلة لا أحفظها.

قال بعضهم: رأيت شيخاً بحمص الإمام يخطب، وهو يشكر الله تعالى. فسألته عن حاله فقال: صعد المنبر هذا تسعة كلهم زمروا بأيري أليس ذا نعمة؟. لما مات العطوي ازدحم الناس إلى جنازته وكان له ابن معتوه فتنحى جانباً، وقال: كلوه بسم الله بخلّ وخردل.

(٤)
حكايات عن البهائم

•

روي أن أرنباً وثعلباً تحاكما إلى الضبّ فقالا جئناك لتحكم بيننا يا أبا الحسل. قال: في بيته يؤتي الحكم. فقال الأرنب: إني جنيت ثمرة. فقال: حلواً جنيت. فقال: إن هذا

---

(١) الجبّ: البئر.

أخذها مني. فقال لنفسه بغى الخير، **فقال**: وإني لطمته. **فقال**: البادىء أظلم. **فقال**: فلطمني. **قال**: كريم أنتظر فقال أحكم بيننا. فقال: حدث حديثين امرأة فإن لم تفهم فأربعا يعني وفي طريقته في الحكم.

وحكى أن **عدي بن أرطأة بن إياس بن معاوية**، قاضي البصرة جلس في مجلس حكمه وعدي أمير، وكان أعرابي الطبع. **فقال له**: يا هناة أين أنت؟ **قال**: بينك وبين الحائط. **قال**: فاسمع مني، **قال**: للاستماع جلست. **قال**: إني تزوجت امرأة قال: بالرفاء والبنين، **فقال**: وشرطت لأهلها أن لا أخرجها من بينهم، فقال الشرط أملك أوف لهم به. **قال**: وأنا أريد الخروج. **قال**: في حفظ الله. قال فاقض بيننا قال: قد فعلت.

وقيل: إن الثعلب نظر إلى عنقود فلم ينله فقال إنه حامض:

أيـهـا الـعـائـبُ سـلْـمـى	أنْـتَ مـنـهـا كـثُـعـالَـه
رامَ عـنـقُـوداً فـلـمّـا	أبـصـرَا الـعـنـقـودَ طـالَـه
قـالَ فـي هـذا حـامـض	لـمّـا رأى أنْ لا يـنـالَـه

روى أن ضبعاً صادت ثعلباً **فقال لها**: مني عليّ أم عامر، **قالت**: اختر خصلتين إما أن آكلك أو أخصيك. **فقال لها**: تذكرين يوم نكحتك قالت: لا. فانفتح فوها فأفلت الثعلب فضربت العرب المثل: قالت: عرض علي خصلتي الضبع.

وزعموا أن الفيل والحمار تجمّعا في مرعى فطرد الفيل الحمار، **فقال**: لم تطردني وبيننا رحم؟ **قال**: وما هي؟ **قال**: إن في غرمولي شبهاً من خرطومك، فقبل منه.

بلع ذئب عظماً وبذل لكركي أجرة على أن يخرج العظم من حلقه، فأدخل الكركي رأسه فأخرج العظم ثم **قال للذئب**: هات الأجرة فقال: أنت لم ترض أن أدخلت رأسك في فم الذئب ثم أخرجته سالماً حتى تطلب الأجرة أيضاً.

وقيل للحمار: لم لا تجتر؟ **قال**: أكره مضغ الباطل. وهذا كمثل الأعرابي لما أرمي إليه علك **فقال**: تعب الحنجرة وخيبة المعدة.

لقي كلب أصبهاني كلباً رازياً بالريّ **فقال له**: ما أطيب أصبهان إني أرى الخبّازين يرمون بالرغفان على قارعة الطريق. فقال الكلب الرازي: لا أعمل خيراً من الخروج إلى أصبهان. فلما خرج أوّل ما لقي دكان خبّاز من الطريق الذي يشرع[١] إليّ دولكاباذ فجاز[٢] بها، وأخذ الخباز يطرح الخبز على الوجه والكلب أخذ يأكل. فنظره الخبّاز فأحمى السفود[٣] ومدّه إلى خرطومه وتناول سبخة يرميه بها، فقال الكلب: عليّ هذا السعر.

---

(١) شرع إلى (الطريق): نفذ، وأشرع الباب إلى: فتحه.

(٢) جاز بها: مرّ بها وتجاوزها.

(٣) السفود: حديدة يشوى عليها اللحم.

تصاحب ثعلبان فلقيا أسداً فقال أحدهما للآخر: ما الحيلة؟ **فقال**: عليّ الحيلة. فقال الأسد: ما الخبر؟ **فقالا**: إنا ورثنا أغناماً من أبينا ونريد أن نقسمها بيننا. **قال**: أين هي؟ قالا: قريب. فتبعهما حتّى أتيا إلى مجرى ماء يخرج من بستان، **فقال أحدهما للآخر**: أدخل فأخرج الأغنام. فدخل فابطأ **فقال أخوه**: أنظر إلى بطنه حتى أدخل أخرجه من الغنم. فدخل وجلس الأسد ينتظر فصعدا إلى السطح فقالا: اذهب فقد اصطلحنا. فغضب الأسد وزأر فقالا: لا تكن بارداً فما رأينا من يغضب من صلح الخصمين غيرك.

اشتكى الأسد فعاده السباع كلها إلا الثعلب. **فقال الذئب**: أنظر إلى الثعلب كيف استخف بك؟ فلم يأتك. وتطاير الخبر إلى الثعلب فأتاه، **فقال له الأسد**: يا ابن الفاعلة تأخرت عن الخدمة. **فقال**: إني مذ بلغني مرضك كنت في طلب دواء لك حتّى وجدته. **قال**: وما هو؟ **قال**: لا يصلح إلا مرارة الذئب **فقال** وأنّى لي بذلك؟ فقال أنا آتيك به، فإذا أتاك فاقتله وتنال مرارته. فأتاه به فقفز إليه الأسد فأفلت وعدا بدمه فتبعه الثعلب. **فقال**: يا صاحب السراويل الأحمر، إذا جلست عند الملوك فاعقل كيف تتكلم؟ وقيل للثعلب: أتحمل كتاباً إلى الكلب وتأخذ مائة دينار؟ **فقال**: أما الكراء[1] فواف، ولكن الخطر عظيم.

ووقع ثعلبان في شرك صياد **فقال**: أحدهما للآخر: أين نلتقي يا أخي؟ **فقال**: في الفرّايين بعد ثلاث.

ودخل كلب مسجداً فبال في المحراب، وكان هناك قرد، فقال له: أما تستحي تبول في المحراب؟ **فقال**: ما أحسن ما صوّرك حتى تتعصب له.

وزعموا أن أسداً وذئباً وثعلباً اشتركوا فيما يصيدون فاصطادوا حماراً وظبياً وأرنباً. **فقال**: الأسد للذئب: اقسم بيننا واعدل. **فقال**: أما الحمار فلك، وأما الظبي فلي، وأما الأرنب فللثعلب فغضب الأسد وضربه ضربة أندر[2] رأسه، فوضعه بين يديه. **ثم قال للثعلب**: أقسم بيننا وأعدل. فلما رأى الثعلب ما صنع بالذئب خشي أن يصيبه مثله، **فقال**: أما الحمار فلك تتغذى به، وأما الأرنب فخلالاً تتخلل به فيما بينك وبين الليل، وأما الظبي فلك تتعشى به. **فقال له الأسد**: ويحك يا ثعلب ما ينبغي لك إلا أن تكون قاضياً من علّمك هذا القضاء؟ **قال**: الرأس الذي بين يديك.

نظر سقراط إلى شوك في الماء وعليه حيّة، **فقال**: ما أشبه الملاح بالسفينة.

وزعموا أن البازي **قال للديك**: ما أرى في الأرض أقل وفاء منك **قال**: وكيف؟ **قال**: أخذك أهلك بيضة فحضنوك ثم خرجت على أيديهم وأطعموك في أكفهم، ونشأت بينهم حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا طرت ههنا وههنا، وصحت وصوّت[3] وأخذت أنا من الجبال فعلّموني وألفوني ثم يخلّى عنّي فآخذ صيدي في الهواء فأجيء به إلى

---

(١) الكراء: الأجرة.
(٢) أندر رأسه: أزاله عن موضعه.
(٣) صوّت: رفع صوته عالياً.

صاحبي. **فقال له الديك**: إنك لو رأيت من البزاة في سفافيدهم مثل الذي رأيت أنا من الديوك كنت أنفر مني؟ وفي أمثال الهند أن ثعلباً قيض على أرنب فقال له الأرنب: والله ما هذا لقوتك ولكن لضعفي.

وقف جدي على سطح فمرّ به ذئب فأخذ الجدي يشتمه **فقال**: لست تشتمني إنما يشتمني المكان الذي تحصنت به.

كانت أفعى نائمة فوق حزمة شوك فحملها السيل، فقال ذئب لا تصلح هذه السفينة إلا لهذا الملاح.

أراد ثعلب أن يصعد على حائط فتعلق بعوسجة فعقرت يده فأخذ يلومها **فقالت**: يا هذا قد أخطأت حين تعلقت بي ومن عادتي أن أتعلق بكل شيء.

وقف كلب على قصّاب فأخذ يكثر النبح **فقال له**: إن ذهبت، وإلا ضربت رأسك بهذه القطعة من اللحم، وتشاغل عنه[1] فوقف الكلب ينتظر ثم **قال**: تضرب رأسي بشيء ولا أمر.

دخلت فأرة الحمام فلما خرجت رأت سنوراً فقال لها طاب حمامك **فقالت**: لو لم أرك يا ابن البظراء.

وقيل: إن جملاً وحماراً توحشا فوجدا مرعى خالياً يرتعان فيه، **فقال الحمار** يوماً وقد بطرا: إني أريد أن أغني. فقال الجمل: اتق الله فينا فإني أخشى أن ينذر بنا فنؤخذ، **قال**: لا بد ثم نهق فسمعته قافلة مارة فأخذوهما. فأبى الحمار أن يمشي فحمل على الجمل، فمرّوا به في عقبه. **فقال الجمل**: إني طربت لغناك المتقدّم وأريد أن أرقص رقصة. فقال الحمار اتق الله إني أسقط فلا تفعل فرقص فأسقط الحمار فوقصه[2]

قال وهب: قال النمر اللهم إن جلدي الذي خلق على أثر من تزين به بقدر أن يترك عليه.

بعث ابن هبيرة إلى المنصور في الحرب: بارزني فامتنع **فقال**: لأسبقن امتناعك ولأعيرنك[3] به. **فقال**: مثلنا في ذلك مثل خنزير **قال الأسد**: قاتلني، **فقال**: لست بكفؤي ومتى قتلتك لم يكن لي عزّ بقتل خنزير. فقال الخنزير لأخبرن السباع بنكولك[4] **فقال**: احتمال تعيرك أهون من التلطخ بدمك.

---

(١) **تشاغل منه**: غفل عنه.

(٢) **وقصه**: من وقص عنقه أي كسرها، **ووقصت به الدابة**: رمت به، **ووقص الشيء**: عابه.

(٣) **عيّره به**: عابه.

(٤) **النكول من الأمر أو الشيء**: النكوص والجبن.

(٥)
أمثال من أبواب مختلفة

●

● ما قرع عصا عصا إلا سرّ قوماً وساء آخرين ● نعم كلب في بؤس أهله. مصائب قوم عند قوم فوائد.

● قوس ولا وتر وسهم ولا قد، وعين ولا نظر ونحل ولا عسل.

● متى تقل تقل ● الضبع تأكل ولا تدري ما قدر استها ● ما شم حمارك أي ما غيرك.

(٦)
من أمثال العوام

●

● عصفور مهزول على خوانك خير من كركي على خوان غيرك ● الحبّ لغيري ونقل الحشيش عليّ ● لا تسبّ أمي اللئيمة فأسب أمك الكريمة ● إن لم يجيء معك فاذهب معه ● تمرة وزنبور ● كل ما بكر شرّ ● لا تأكل خبزك على خوان غيرك ● أنا أجره إلى المحراب وهو يجرني إلى الخراب ● باع كرمه واشترى معصرة ● أعتق من الحمأة أقدم من الحنطة ● أحمق من الجمل الذي يضرب إسته ويصيح رأسه ● إذا لم تجده لم تجلده ● طريق الأقرع على أصحاب القلانس ● حيث تقطع يخرج الدم ● ذهب الحمار يطلب قرنين فرجع بلا أذنين ● كأنه بلع عيراً فبقي ذنبه خارجاً ● من لا يثق بإسته لا يشرب الإهليلج ● ضرطت فلطمت عين زوجها ● من يظفر من وتد إلى وتد يدخل أحدهما في إسته ● من أكل على مائدتين احتنف ● المنخل جديد سبعة أيام من كان له دهن دهن إسته ● من لم يقاوم الحمار تعلق بالأكاف ● كل ما في القدر تخرجه المغرفة ● من كان دليله البوم كأن مأواه الخراب ● من كان طبّاخه الجعران ما عسى أن تكون الألوان ● الخصيّ ابن مائة سنة وإسته ابنة ستين ● إذا بطر الحائك اشترى بخبزه رماناً ● قامت البنت تعلم الأم النيك ● من استحى من ابنة عمه لم يولد له منها ● لا يشعر الشبعان ما يقاسيه الجائع ● ماش خير من لاش ● إذا كان بولك صحيحاً فأرم به وجه الطبيب ● البحر ملآن والكلب يلحس بلسانه ● من عبَد الله في خلق الله شيء لا يشبه صاحبه فهو سرقة ● ليس كل من سود بيته يقول أنا حداد ● ولا كل من دمعت عيناه يقول أنا طباخ ● أحوج ما تكون إلى اليهودي يقول اليوم السبت ● تذاكر عاميان الأطعمة، فقال أحدهما: السمك أحب إليّ من اللحم فقال الآخر شجّة[1] يشجّني القصاب خير من قبلة يقبلني السمّاك.

---

(١) الشجّة: الجرح في الرأس.

(٧)

ولهم أمثال بإزاء أمثال

●

يقولون المولى يرضى والعبد يشق إسته بإزاء السيد يعطي والعبد يألم ● لا يعرف مفساه من محساه، بإزاء لا يعرف قبيلاً من دبير. لا في حرها ولا في إستها، بإزاء لا في العير ولا في النفير[١] بالكلمة اللينة تخرج الحيّة من جحرها بإزاء لطف الكلام يخدع الكرام. هو يضرط من إست واسع، بإزاء هو يغرف من بحر. قدم خيرك ثم أبرك بإزاء قدّم خيراً تجده. الساجور[٢] خير من الكلب بإزاء الجل خير من الفرس. تبخرنا ففسونا فلا لنا ولا علينا بإزاء ما ربحنا ولا خسرنا.

● **ومما يضادّه**

لا تفعل الخير لا يصيبك الشر، بإزاء افعل الخير ودعه. لا يكون بعد الظمأ إلا موت مريح، بإزاء غمرات[٣] ثم ينجلين. النسيئة[٤] نسيان والتقاضي هذيان، بإزاء القرض فرض. الجماعة مجاعة بإزاء طعام الإثنين يكفي الأربعة. ويد الله مع الجماعة.

● **ما كره من الكلام**

قال النبي ﷺ: لا يقل أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل لقست وكأنه كره أن ينسب الخبث إلى نفسه. **وقال أيضاً**: لا يقولنّ المملوك ربّي وربّتي ولكن سيدي وسيدتي. **وقال أيضاً**: لا تسبّوا الدهر فإن الله هو الدهر. **قال عبد الرحمن بن مهدي** عنى قولهم وما يهلكنا إلا الدهر.

ونهى ﷺ أن يقال قوس قزح، **وقال** قولوا قوس الله فإن قزح شيطان. كانوا ينسبون إليه هذا المتلون أيام الربيع عن ابن عمر ومجاهد أنهما كرها أن يقال استأثر الله بفلان بل يقال مات. وكرهوا أن يقول قراءة فلان وسنة أبي بكر وعمر، وكره مجاهد مسيجِد ومصيحِف.

وقال عمر رضي الله عنه: لا يقول أحدكم أهريق ماء ولكن ليقل أبول. وسأل عمر رجلاً شيئاً **فقال**: الله أعلم. فقال عمر قد خزينا إن كنا لا نعلم أن الله أعلم. إذا سئل أحدكم عن شيء إذا كان لا يعلمه **قال**: لا علم لي بذلك. وسمع عمر رضي الله عنه رجلاً يقول اجعلني من الأقلين. **فقال**: عليك من الدعاء بما يعرف وكره عمر بن عبد العزيز قول الرجل: ضعه في إبطك. **فقال**: هلا قلْت تحت يدك.

---

(١) **لا في العير ولا في النفير**: مثل يضرب للرجل لا يصلح لمهم ويُحتقر لقلّة نفعه.

(٢) **الساجور**: خشبة تعلّق في عنق الكلب يقال: جعل في أعناقهم سواجير أي أغلال.

(٣) **الغمرات**: الشدائد، جمع غمرة. (٤) **النسيئة**: التأخير والتأجيل.

قال الحجّاج لأم عبد الرحمن بن الأشعث عمدت إلى مال الله فجعلته تحت ذيلك، فقال الغلام فوضعته تحت إستك فزجره تفاديا من القذع[1] والرفق. وقال مسعود لا تسموا العنب كرماً فإن الكرم هو الرجل المسلم. سمع الحسن رجلاً يقول: طلع سهيل فبرد الليل، فقال: إن سهيلاً لم يأت ببرد. وقال ابن عباس لا تقولوا والذي خاتمه على فمي إنما يختم الله على فم الكافر، وكره أن يقال انصرفوا عن الصلاة وقال قولوا قد قضوا الصلاة. وكره مجاهد أن يقال دخل رمضان وقال: قولوا دخل شهر رمضان وكره أن يقال ضرّة بل يقال جارة، ويقول لا تذهب من رزقها بشيء.

(٨)
حكايات متفرقة من أبواب مختلفة

•

قال أعرابي لرجل: أكتب لابني تعويذاً قال: ما اسمه؟ قال: فلان قال وأمه قال ولم عدت عن اسمي قال لأن الأم لا يشك فيها. قال اكتب فإن كان ابني فعافاه الله وإن لم يكن فلا شفاه الله. من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره. قيل للحسن بن سهل ما بال كلام الأوائل حجة؟ قال: لأنه مر على الاسماع قبلنا فلو كان ذيلاً لما تأدّى[2] إلينا مستحسناً.

قال بعضهم: ما رأيت أعق[3] من أربعة أشياء: الدينار إذا كسر، والذراع إذا عقر والطومار[4] إذ نشر، والثوب إذا قصّ.

عاد عروة بن الزبير إلى الشام إسماعيل بن بشار فقال عروة لغلامه: أنظر كيف ترى المحمل؟ قال: معتدلاً فقال إسماعيل: الله أكبر ما أعدل الحق والباطل قبل الليلة، فضحك عروة. لما دخل الشعبي على عبد الملك قال: أنا الشعبي فتبسّم عبد الملك وقال أما علمت أنه لا يدخل علينا لا من نعرفه فرأى الأخطل وهو يقول أنا أشعر الناس فقال: من هذا؟ فقال: أما علمت أن الملوك لا يسألون فاعتذر وقال أنا سوقة ولا أعرف مثل هذا. ومن يوثق لي؟ فقال: أمير المؤمنين فقال عبد الملك: إذا صرت كفيلاً فمن الحاكم؟ كان تميم الداري خطب أسماء بنت أبي بكر في جاهليته فماكس[5] في المهر فلم يزوّج.

فلما جاء الإسلام جاء بعطر ليبيعه فساومته أسماء فماكسها فقالت له: طال ما ضرّك مكاسك فاستحى منها لما عرفها وسامحها في البيع.

كانت بنت سعيد بن العاص عند الوليد بن عبد الملك فلما مات عبد الملك لم تبكه

(١) القذع: القذر والفحش.
(٢) تأدّى إلينا: وصل إلينا، جاءنا.
(٣) الأعق: من العقوق وهو نقيض البرّ، والعاق الجاحد الناكر الجميل.
(٤) الطومار: الصحيفة. (٥) ماكس (ه): استنقصه واستحطّه في الثمن.

فقال لها الوليد: ما يمنعك من البكاء على أمير المؤمنين ولا مصيبة أجل من فقده **فقالت**: ما أقول أستزيد الله في سلطانه حتى يقتل لي أخاً آخر. **فقال**: أي والله لقد كسرنا ثناياه وقتلناه. **قالت**: لقد علمت من شقت إسته بالململول. **قال**: ألحقي بأملك ألذ من الرفاء والبنين.

وقف يزيد بن عبد الملك على حائك وإلى جانبه فرس رائع مربوط فجعل يتعجب منه **فقال**: ما رأيت كاليوم فرساً كأنه بغلة فأعجب يزيد به، **فقال** وأريك ما هو أعجب وأخرج سيفاً كأنه بقلة فساومه يزيد فيه بأربعة آلاف دينار فأبى **وقال** أريك، أعجب من ذلك ثم رفع ستراً فبدت جارية كفلقة قمر، **فقال**: هل لك أن تنزل عنها بألف دينار فأبى **وقال**: ولمَ أريتنيها قال لتعلم أن الله له نعم على أقنا الناس.

وقال بعض الأنصار: من أدمن إتيان المساجد رأى فيها ثماني خصال: أخاً مستفاداً وعلماً مستظرفاً وآية محكمة، ورحمة منتظرة، وكلمة تدل على هدى، وأخرى تردّ عن ردى، وترك الذنوب حياء أو خشية.

شكا أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فردّه مع محمد بن سلمة الأنصاري وأمره أن يطوف في مساجدهم يسألهم عن سيرته فجعلوا يقولون: خيراً، حتى أتى مسجد بني عبس فقام أسامة بن زيد العبسي **فقال**: كنت والله لا تعدل في القضية ولا تعزو في السيرة، ولا تقسم بالسويّة **فقال**: اللهم إن كان كاذباً فأطل عمره وأدم فقره ولا تنجيه من معاريض الفتن فرؤي شيخاً كبيراً يمشي على محجن[1] فيقول شيخ أعمى أدركته دعوة العبدالصالح.

دخل بعض الشعراء على أمير **فأنشده**:

إن الأمـيـرَ يـكـادُ مـن كـرمٍ ... أن لا يـكـونَ لأمّـه بـظَـر

فقال أعطوه شيئاً لئلا يهذي، وأحب أن لا يعود يمدحنا.

ودفع رجل إلى خياط ثوباً ليخيطه فقال لأخيطنه لا تدري أقباء أم قميص؟ فقال لأمدحنك ببيت لا تدري إهجاء أم مديح وكان الخياط أعور فقال فيه:

خـاط لـي عـمـرو قـبـا ... لـيـت عـيـنـيـه سـوا

ولما أنشد النابغة النعمان **قوله**:

تـخـفّ الأرض مـا بـنـتَ عـنـهـا ... وتـبـقَـى مـا بـقـيـت بـهـا ثـقِـيـلا[2]

غضب وقال: لا أدري أهجوتني أم مدحتني؟ **فقال**:

حـلـلـت بـمـسـتـقـر الـعـزّ مـنـهـا ... وتـمـنـع جـانـبَـيْـهـا أنْ تـزولا

---

(1) **المحجن**: العصا المنعطفة الرأس. (2) **بان عن**: بعد ونأى.

فرضي كل موضع اعتدت فيه السلامة فلا تزايله. وقال المأمون يوماً لمن عنده أنشدوني بيتاً يدل على أنه لملك فأنشد قول امرىء القيس:

أمِنْ أجلِ إعرابيةٍ حلّ أهلها ... جنوبَ الملا عيناكَ تبتدران

فقال: ما هذا مما يدل على ملكه، قد يكون لسوقة إنما ذلك قول يزيد بن عبد الملك:

إسقِني من سلافِ ريقِ سُلَيمى ... واسقِ هذا النديمَ كأس عُقار[1]

فأشارته إلى هذا النديم دلالة على أنه ملك، وقوله:

ولي المحْضُ من ودّهم ... ويغمزهُم نائِلي[2]

سئل بعضهم عن بلد، فقال:

به البقّ والحمّى وأسد حفّفْتَه ... وعمروُ بنُ هند يعتدي ويجورُ

(٩)

مفردات من الأبيات البديعة

●

قال طرفة:

أبا منذر أفنيتَ فاستبْقِ بعضَنا ... حنانَيْك بعضُ الشرّ أهونُ من بعضِ[3]

وقال النابغة:

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمّه ... على شَعَثٍ أيّ الرجالِ المهذّب[4]؟

وقال آخر:

لعمرُكَ ما شيءٌ مررتُ بذكرِه ... كآخر يأتي بغتةً فيروعُ[5]

وقال آخر:

يمونني الأجر العظيم وليتَني ... نجوتُ كفافاً لا عليّ ولا ليَا[6]

وقال أبو نواس:

ولما قرعنا بابَه قام خائِفاً ... وبادرَ نحوَ الباب ممتلِئاً ذعرا

---

(١) السلاف: الخمر.

(٢) المحض من الودّ: خالص الودّ والمحبّ ـ النائل: العطاء.

(٣) حنانيك: أي رحمتك، والحنان: الرقة والبركة.

(٤) الشعث: الخلل والتفرّق والغضاضة، وأصله من شعث الشعر إذا اغبرّ وتلبّد وشعث شعثاً الأمر: إذا انتشر.

(٥) يروع: يخيف ويفزع.

(٦) الكفاف: مقدار اللجاجة من غير زيادة ولا نقصان والكفاف من الرزق ما أغنى من الناس.

وقال أبو تمّام:

كالبكرْ توحشُها مضاجعُ بعلِها والحيض علتها وليس بحائضِ[1]

وقال الخبزارزي:

كنْ في الجماعاتِ حيثُ كانُوا فالموْت عرْسٌ مع الجميعِ

وله:

مالي أحوط حولَ دجلة حائِطاً لولا اعتراضُ حماقَتي وفُضُولي

ما أهون الموت على النوائح

وقال إسماعيل:

صاح أبصرت أو سمعت براعِ ردّ في الضرع ما قَرى في الحلابِ

وقال آخر:

وأترك الشيءَ أهْواه فيعجبني أخشى عواقبَ ما فيهِ منَ العارِ

وقال آخر:

فلو أنّ لي تسعينَ قلْباً تشاغلَت جميعاً فلم يفزَعَ إلى غيرِها قلْبُ

وقال آخر:

دلاً على حِيلة فيها لنَا فرجُ إن الدليلَ على خير كمَنْ فعَلا

وقال آخر:

ولي ظنّان بينهما رجاءٌ يكذّب سوءَ ظنّي حسْنُ ظنّي

وقال هارون المعتصم:

إذا ما خانَني يوْماً جوادِي جعلْتُ الأرضَ لي فرسَاً وثِيقاً[2]

وقال آخر:

وأسرعُ نسياني الذي لا يهمّني ونسيانِي الشيءَ المهمّ قليلُ

وقال آخر:

أنتَ واللّهِ حِمارٌ قاعِدٌ بيْنَ حَمِيرِ

وقال آخر:

هوّن الأمرَ تكُنْ في راحَةٍ قلّما هوّنتَ أمْراً لا يهونُ[3]

---

(١) توحشها: تشعرها بالوحشة ـ المضاجع: المراقد جمع مضجع وهو موضع الاضّجاع.

(٢) الفرس الوثيق: المحكم. (٣) هوّن الأمر: جعله سهلاً غير شديد الوطأة.

وقال المتنبي:

لِلّه حالٌ أرجّيها وتخلِفُني ... وأرتَجي كونها دهْري وتمطلُني

وقال محمد بن يحيى:

قتلتُ أعزّ من ركبَ المطايا ... وجئتُك استليِنُك في الكلامِ
يعزّ عليّ أنْ ألقاكَ إلا ... وفيما بينَنا حدّ الحسامِ
ولكنّ الجناحَ إذا أصيبَت ... قوادمُه أسفّ علَى الآكامِ

وقال الطاهر:

ولم أرد بدبّة قبلَه ... يدقّ على بابِه دبدبَه

وقال أبو القاسم التنوخي:

تخيّر إذا ما كنتَ في الأمرِ مرسِلاً ... فمبلغُ آراءِ الرّجالِ رسولُها

وقال آخر:

إذا تخازرتُ وما بي من خزَر ... ثم كسرت العينَ من غيْر عَوَرِ(١)
وجدتُني ألوي بعيد المستمر ... أحمِل ما حملتُ من خيْرٍ وشرّ

وقال أبو القاسم الأعمى:

إن الجديدَ إذا ما زيدَ في خلقٍ ... تبيّنَ النّاسُ أن الثّوبَ مرْقوعُ

وقال ابن طباطبا:

آمنٌ سربلَه الاشـ ... ـفاقُ سربالَ المروعِ

وقال الخبزارزي:

أحبّ فمَن ذا الذي كلفَهُ ... وملّ فمَن ذا الذي أستعطفَه
فلا أحَدٌ في الرّضى سرّه ... ولا أحدٌ في القِلى عنّفَه
وكنّا كمَا قد علِمْت ... فماذا التعدّي وماذا السّفَه
وفي النّاس من يتجنّى الذنوبَ ... وإذا قدْ تجاوزَ حدّ الصفَه
وما كلّ منْ كان ذا قوّة ... يُناوي الضعيفَ إذا استضعفَهَ(٢)
ويزعمُني صَدَفاً خالِياً ... من الدرّ في مثل ما صرفَه
ولو شئت عرفتُه من أنا ... وإن كانَ بي جيّد المعرفَه
وفرعونُ يعرفُ من ربّه ... ولكنّ طغيانه سوّفَه
وسل من تعرض لي بالهِجا ... وعن عرضِه أينَ قد خلّفَه

---

(١) تخازر: ضيّق جفنه ليحدّد النظر.

(٢) يناوي: مخفّف يناوىء أي يقاوم ويعاند.

وقال ابن الرومي:

وامتناعُ النفسِ مما تشتهي		خشيةَ الإنفاقِ نقصٌ في النسَب

والبحتري:

أضيعُ في معشري وكمْ بلدٍ		يعدُ عودَ البكاءِ من حطبِه

وقال جحظة:

إذا الشهرُ هلّ ولا رزقَ لي		فعدى أيامه باطلُ

وقال المتنبي:

توهّم القوم إن العجز قربَنا		وفي التقرّب ما يدعو إلى التهَم

وقال ابن الرومي:

توقّي الداءِ خيْرٌ من تصدٍّ		لأيسرِه وإن قربُ الطّبيبُ[1]

وقال آخر:

خرجْنا لم نصِد شيْئاً		وما كانَ لنَا أفلِتَ

وقال المتنبي:

خذُوا ما أتاكم بهِ واعذرُوا		فإنّ الغنيمةَ في العاجِلِ[2]

وله:

ذكر الفتى عمرَه الآتي وحاجتَه		ما فاتَه من فضولِ العيش أشغال

وقال ابن طباطبا:

طمعتَ يا أحمقَ في قمرها		لو أمكنَ القمر قمرناها[3]

وقال أبو حكمية في حرب محمد والمأمون:

تجافَت بيَ الأحزان عنْ كل مرقدِ		وأرمضَني ما فيه أمةُ أحمَدِ

وما ضرّ قوماً يسفكون دماءَهم		صفا الملك للمأمونِ أو لمحمّدِ

وقد نصبُوا حرْباً تحرق بينَهم		لكلّ رقيق الشفرتيْنِ مهنّدِ

وقال الخبزارزي:

فمن شغْل قلبي بما نلتُه		ذهلتُ بهِ عن جميعِ الأمورِ

وقال آخر:

كأنّ من بشاشتِنا ظللْنا		بيومِ ليسَ منْ هذا الزمانِ

---

(١) يريد أن يقول ما هو مشهور: درهم وقاية خير من قنطار علاج.

(٢) المعنى: خير البرّ عاجله.

(٣) القمر: مصدر قمره أي غلبه في القمار والقِمار كل لعب يشترط فيه أن يأخذ الغالب من المغلوب شيئاً.

وقال الخبزارزي:

لـيـسَ لـلـمـشـغـلـب حـظ فـي غـزالٍ عـنـد ذئـبِ

وقال المتوكل:

لا أعـدم الـذمّ حـيـنَ أُخـطـي وليسَ لي في الصّواب حمْدُ

وقال ابن الرومي:

ولـيـسَ حـصـولُ فـائـدةٍ حُـصـولاً إذا مـا أخـطـأ الـغـرضَ الـحـصـولُ

وقال الصنوبريّ:

وتـجـشّـم الـمـكـروهِ لـيـسَ بـضـائـرٍ مـا خـلـتُـه سَـبـبـاً إلى المـحـبـوبِ[1]

وقال الموسوي:

وسـرّ الـفـتـى حـمـل الـنّـجـادِ وربّـمـا رأى حتفَه في صفحتَيْ ما تقلّدا[2]

وقال البحتري:

والـشـيءُ تـمـنـعُـه تـكـونُ بـفـوْتـه أحرَى من الشيءِ الذي تُعْطاه[3]

ونحوه:

إذا لـمْ تـسـتـطِـع شـيْـئـاً فـدعْـه وجـاوزْه إلـى مـا تـسـتـطـيـعُ

وقال آخر:

تـعـلـمْـتُ فـعلَ الـدهـرِ حـتّـى سبقـتُـه فـأنـسَاني الـتـلـمـيـذُ فـعْلَ الـمعلّمِ

وقال آخر:

وأراكَ تـشـكـو الـدهـرَ تـظـلـمُـه كـلّ امـرىءٍ عـاشـرتـه دهـرُ

وقال ابن نباتة:

فـهـو كـالـشّـمْـسِ بـعْـدُهـا يـمـلأ الـبدْ رَ وفـي قُـربِـهـا مَـحـاقُ الـهِـلالِ[4]

وقال أبو تمام:

قـد كـنـتُ كـالـسـائـلِ الأيـامَ مـجـتـهِـداً عن ليلةِ القدر في شعبانَ أو رجبِ

وقال آخر:

ومـن راحَ ذا حـرصٍ وجـبْـنٍ فـإنّـه فـقـيـرٌ أتـاه الـفـقـر مـن كـلّ جـانـبِ

قال قدامة: أصح الأقسام في الشعر قول زهير:

---

(١) تجشم المكروه: تكلفه على مشقه، والمكروه ما يكره من المصائب والصعاب.

(٢) النجاد: حمائل السيف ـ الحتف: الموت ـ ما تقلد: ما حمل.

(٣) فوت الشيء: مصدر فات فوتاً الأمر أي ذهب عنه.

(٤) محاق الهلال: عدم رؤيته، والمحاق آخر الشهر القمريّ أو الليالي الثلاث من آخره.

(١٠)
أبيات منقولةٌ من الفارسية

●

قال بعضهم:

ترى الديك فوقَ السطْح في كلّ ساعة   وتنكر إن كانَ الحمارُ على السطْحِ

وقال محمد الأموي:

إذا ما كنتَ في طرفي كساءٍ   ولم يكن الكساء يعم كلّك
فلا تتبسطنّ فيه ولكن   على قدر الكباء فمدّ رجلك[(١)]

وقال:

وما ليْس يشْبه أربابَه   فلا شكّ في أنّه منْ سرَق

وقال:

وحقّ لمَن قد صحّ تمييزُ عقلِه   إذا ما رأى الدينارَ أن يترَك الفِلْسا

وقال آخر:

فانظرْ لذاك فليسَ يعلمُ كلّ ما   في الخفّ غيْرُ اللّهِ والإسكافِ

وقال ابن طباطبا:

مثلي كبائعِ طشته بشرابهِ   سراً لئلا يعلَم الجيرانُ
لما تملى ظلّ في غثيانه   يشكو الصّداع فعاده الأخذان[(٢)]
فدعُوا بطشتٍ كي يقيءَ فقالَ مه   لو كانَ طشتٌ لم يكُنْ غثيانُ

وقال ربيعة الرقي:

فأنتَ كذئبِ السوءِ إذ قالَ مرّة   لعمروسة والذئبُ غرثانُ مرملُ[(٣)]
أأنتِ التي في كل قولٍ سبيتني   فقالت متى إذا قال ذا عامٌ أولُ[(٤)]
فقالت ولدتُ العامَ بل رمتَ غدرةً   فدونَك كلْني لا هنا لك مأكلُ

وقال طريح:

وإذا استَوَت للنمْل أجنِحَةٌ   حتّى يطيرَ فقد دنا عطبهُ

وقال بعضهم:

وقد خرقَ الأشواقَ شبعانُ مرتوِ   فقال رغيفٌ واحد يشبِع الخَلْقا

---

(١) **الكباء:** القماش.

(٢) **الغثيان:** من غثي غثياناً أي اضطربت نفسه وكاد يتقيأ.

(٣) **غرثان:** جائع.   (٤) **سبيتني:** أسرتني.

وقال:

لاطِمُ الأشفى مضرّ كفّه ومرامي الدهر رام كبده

وقال:

لا تقصُدنّ كلّ دخانٍ ترى فالنار قد توقَدُ للكَيّ

وقال آخر:

ومن يرومُ نزولَ البشرِ عنْ غرضٍ فليْس في الشرْط أن يخصي مراقيها

وقال آخر:

منْ لسعتْه حيّة مرّةً تراهُ مذعوراً من الحَبْلِ

وقال آخر:

إذا سقَط الجدارُ ولمْ يغبّر فما بعْد السقوطِ لهُ غبارُ

وقال آخر:

كدود نشا في الحلّ ليس ببارحٍ كأنْ ليْس في الدنْيا مكانٌ يعاد لهُ

وقال آخر:

ما رسولٌ لليْث إلا عنقُه فلهذا عنُقُ الليثِ غليظُ

(١١)

تمثل كل ذي صناعةٍ بصناعتهِ

●

● سأل الرشيد بختيشوع عن حرب شاهدها، **فقال:** لقيناهم في صحن مقدار البيمارستان، فما كان مقدار ما يختلف الرجل مقعدين حتى صيرناهم في أضيق من المخنقة، ثم قتلناهم بمبضع ما سقط إلا على كل رجل.

● سئل جعفر الخيّاط عن حرب فقال لقيناهم في صحن مقدار الطيلسان فما كان مقدار ما يخيط الرجل درزا حتى تركناهم في أضيق من الحر ثم قاتلناهم فلو طرحت إبرة ما وقعت إلا على زرّ رجل.

● وسئل معلم **فقال:** لقيناهم في صحن مقدار الكتاب فما لبثوا إلا مقدار ما يقرأ فتى مقدار عشر حتى تركناهم في أضيق من الرقم فقتلناهم في أقل ما يكتب صبي لو حين قال بعضهم:

مشق الحبّ في فؤداي لو حين فأغرى جوانحي بالتلاقي

قيل لجارية عربية: بم تعرفين الصبح؟ **قالت:** إذا برد الحلي. **وقيل ذلك لنبطية فقالت:** إذا جاءني الغائط

(١٢)
معارضات

●

١ ـ **عرضت جارية على المهدي فقال لبشار امتحنها فقال:**

أحـــمـــد الله كـــثـــيـــراً

فقالت:

حـــيـــنَ صـــيـــرّتُ ضَـــريـــرا

فقال: اشتر الملعونة فإنها حاذقة.

عارض أبو العنبس البحتري في قوله:

مـــن أي ثـــغـــر تـــبـــسّـــم

فقال:

مـــن أي ســـلـــح تـــلـــتـــقـــيـــم ... وبـــأيّ كـــف تـــلـــتـــطـــم
أدخـــلـــت رأســـك فـــي الـــحـــرم ... .

فولّى البحتري فقال أبو العنبس:

وعـــلـــمـــت أنـــك تـــنـــهـــزم

٢ ـ **قال ميمون بن مهران:** رأيت البارزي وحاله متماسكة فسألته **فقال:** كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء **فقال:** لست أقبل إلا ممّن قال مثل قول البحتري:

لـو أنّ مـشـتـاقـاً تـكـلّـف فـوق مـا ... فـي وسْـعـه لـسَـعـى إلـيـك الـمـنـبَـرُ(١)

فرجعت إلى داري وأتيته، **فقلت:** قد أتيتك بأحسن مما قال البحتري في المتوكل:

ولـو أن بـردَ الـمـصـطـفـى إذْ لـبـسـتَـه ... يـظـنّ لـظَـنّ الـبُـرْدُ أنّـك صـاحـبُـه(٢)
وقـالَ وقـد أعـطـيـتـه ولـبـسـتَـه ... نـعَـم هـذهِ أعـطـافـه ومـنـاكِـبُـه

فقال: ارجع إلى منزلك وافعل ما آمرك به فبعث إليّ سبعة آلاف دينار، **وقال:** إدخر هذه للحوادث بعدي ولك الجراية والكفاية ما دمت حياً.

قال وهذه حالة شبيهة:

كـمـا كـانَ بـعـد الـسـيـل مـجـراه مـرتَـعـاً

---

(١) **فوق ما في وسعه:** أي فوق طاقته.

(٢) **البرد:** الثوب المخطّط، **وبرد المصطفى:** برد النبي ﷺ.

٣ ـ وكان بشّار يعطي أبا الشمقمق في كل سنة مائتي درهم فأتاه سنة فقال: هات جزيتك. **فقال**: أي جزية هي **قال**: هو ما تسمع. فقال بشار له. لأهجونك، فقال أبو الشمقمق:

إنـي إذا مـا شـاعـر هـجـانـيَـه ولـجّ فـي الـقـول لـه لـسـانـيَـه

بشار يا بشّار فقال بشّار وأمسك وعلم أنه يكملها بقوله: يا ابن الزانية. **وقال** لا يسمعن هذا منك أحد ودونك الدراهم.

وروي أنه أتاه مرة فامتنع من أعطائه فقال قد سمعت الصبيان يقولون:

إن بـشـاراً لـديـنـا مـثـل تـيـس فـي سـفـيـنـة

فرفع مصلاه عن دراهم وقال له: خذ هذه ولا تكن راوية للصبيان.

٤ ـ اجتمع ثلاثة جنب غدير يقال له بطياثا فقال أحدهم:

نـلـنـا لـذيـذ الـعـيـش فـي بـطـيـاثـا

فقال الآخر:

وقـد حـشـنـا الـقـدح احـتـشـاثـا

فارتج على الثالث فقال:

وأم عـمـرو طـالـق ثـلاثـاً

فقيل له في ذلك فقال:

جـلـسـت عـلـى طـريـق الـقـافـيـة

٥ ـ ودخل الغالي على أبي عباد الوزير وهو عليل فأنشده:

حـالـفَـك الـفـضـلُ والـكـمـالُ والـبـذلُ والـجـاهَ والـنّـوالُ[١]

فقال:

حـالـفَـنـي الـسـقْـمُ والـسـعـالُ ونـقـرسٌ مـا إن لـهُ زوالُ[٢]

وقال بعضهم مررت بجارية ذات جمال فأنشدتها:

ويـح نـفْـسـي وكـيـفَ لـي أن أنـيـكَ الـتـي أرى

فقالت:

ذاك شـيءٌ يـبـيـحُـه فـي الـوَرى كـلُّ مـن يـرى[٣]

---

(١) **البذل**: الجود ـ **النوال**: العطاء.

(٢) **السقم**: المرض ـ **النقرس**: داء معروف يأخذ في الرجل، وهو يحدث في مفاصل القدم وفي إبهامها.

(٣) **يبيحه**: يجعله مباحاً والمباح نقيض المحظور.

هــو لــلــضــيــف عــنــدنــا أول الـــزاد والـــقِـــرى

٦ ـ **قال الجمّاز:** دخلت على الرشيد وبين يديه طبق فيه ورد، **فقال:** قل في هذا شيئاً فقلت:

كـأنــه خـدّ مـحـبـوب يـقـبّـلـه فـمُ الـحـبـيـب وقـد أبـدى بـه خـجـلا

فقالت جارية على رأسه، ألا قلت:

كـأنّه لـونُ خـدّي حـيـن تـدفـعـنـي يـد الـرشـيـد لأمـر يـوجـب الـغـسـلا

فضحك وقال: قومي لننظر.

٧ ـ **قصد أعرابي المأمون فقال:** قد قلت شعراً، **فقال:** أنشده، **فأنشد:**

حـيّـاك ربُّ الـنّـاس حـيّـاك إذ بـجـمـال الـوجـه رداكـا

بـغـداد مـن نـورك قـد أشـرقـت وأورقَ الـعـودُ بـجـدواكـا

فأطرق المأمون ساعة ثم أنشد:

حـيّـاك ربّ الـنّـاس حـيّـاك إن الـذي أمـلـت أخـطـاكَ

أتـيـت شـخـصـاً كـيـسُـه قـد خـلا ولـو حـوى شـيـئـاً لأعـطـاكـا

فقال: يا أمير المؤمنين أن بيع الشعر بالشعر رباً فاجعل بينهما محللاً فضحك وأمر له بمال.

وقيل من أحسن شعر القدماء قول عبيد:

الـلّـيـلُ لـيـلٌ والـنـهـارُ نـهـارُ

فأنشد ما جنّ ذلك فقال:

الـقـرعُ قـرعٌ والـخـيـارُ خـيـار والـدب دبّ والـحـمـارُ حـمـارُ

٨ ـ اجتمع قوم عند رجل فلم يحضره شيء فرهن قطيفته، **ولما قعدوا للشراب غنّى المغنّي:**

أتـرَى الـذيـن تـخَـمّـلـوا جـنـوا

فقال صاحب البيت:

فـــلا أدري أجـــنـــوا أم لا؟ فاستغربوا ضحكاً وخلصوا قطيفته

(١٣)

كلماتُ مجانين

●

١ ـ **خرف النمر بن تولب فكان هجيراه:** أصبحوا الضيف أغبقوا الراكب. وخرفت

امرأة فكان هجيراها: زوّجوني زوجوني. فقال عمر لأصحابها: ما لهج[1] به أخو عكل خير مما لهجت به صاحبتكم.

٢ ـ كان سكران يمرّ بشيراز فتلقّاه ابن ممشاد المعدل فأخذ السكران بأيره وقال: أيترك القاضي أن أدخل هذا في بنته. **فقال:** إن أحتاج إلى ختن[2] وارتضاك فنعم ومرّ.

٣ ـ ومزّق مجنون ثوب رجل وقال: علوان الرّفاء يريده كما كان.

٤ ـ وكان بهلول يتشيّع فقال: إسحاق الكندي كثر الله في الشيعة مثلك. وكان يغنّي بقيراط ويسكت بدانق، وكان جيد القفا وكان يعبث به كل من يمرّ فحشاً قفاه بالعذرة، وجلس على قارعة الطريق، فكل من صفعه يقول له: شمّ يدك.

٥ ـ وبعث الرشيد إلى بهلول فأحضره وأجلسه في صحن الدار وأم جعفر تراه من حيث لا يراها، وعيسى بن جعفر جالس، فقال الرشيد: يا بهلول عدّ لنا المجانين **فقال:** أولهم أنا. **قال:** هيه. **قال:** وهذه، وأشار إلى موضع أم جعفر فقال له عيسى: يا ابن اللخناء تقول هذا لأختي. فقال بهلول: وأنت الثالث يا صاحب العربدة[3] فقال الرشيد: أخرجوه. **فقال:** وأنت الرابع.

٦ ـ وعدا عيناوة يوماً بين يدي الصبيان فدخل داراً وصعد سطحها وأشرف على الصبيان، وقال: من أين أبلاني الله بكم؟ فقال له رجل في الدار: أرجمهم بالحجارة، **فقال:** أخاف إن رجعوا إلى آبائهم يقولوا إنه بدا يحرّك يديه فيأخذوني فيغلوني[4] ويقيّدوني.

وأخذ الطائفُ مجنوناً فأمر به إلى الحبس **فقال:** إني حلفت أن لا أحبس عن منزلي، فضحك منه وأطلقه. وأخذ أعرابي إدعوا أنه سكران، **فقال** الوالي استنكهوا الخبيث فلم يشمّوا رائحة، فقال قيئوه فقال: تضمن عشائي أصلحك الله.

(١٤)
حكمُ مجانين

•

١ ـ وعظ بهلول الرشيد وهو متوجه إلى الحج فقال: ما هكذا حج رسول الله ﷺ ثم **قال له:** هل لك في جائزة تقضي بها دينك؟ **فقال:** الدين لا يقضي بالدين أي ما تعطيني ليس هو لك.

---

(١) **لهج به**: أغري به فثابر عليه.
(٢) **الختن**: الزوج.
(٣) **العربدة**: سوء الخلق.
(٤) **يغلوني**: يقيّدوني بالأغلال.

٢ ـ **ونظر بهلول إلى مجنون يوم العيد وهو يقول**: يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم فلطمه بهلول على وجهه **وقال**: ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه.

٣ ـ **وعدا مجنون من صبيان ثم دخل داراً وكان ثمّ رجل له ذؤابتان فقال له**: يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً؟ فأغلق الباب وأتاه بطبق تمر، **وقال**: كل فأخذ يأكل والصبيان يصيحون **فقال**: فضرب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب.

٤ ـ كان مجنون تؤذيه الصبيان فقال له رجل: تريد أن أطردهم؟ **فقال**: نعم وتنطرد معهم. **وقيل لمجنون**: فيم يسعى هذا الخلق؟ **قال**: فيما لا يجدونه. هم يطلبون الراحة وهي لا تكون في الدنيا.

٥ ـ قال الرشيد لبهلول من أحب الناس إليك؟ **قال**: من أشبع بطني. **قال**: فأنا أشبع بطنك فأحببني **قال**: الحب لا يكون نسيئة.

٦ ـ **استقبل جعيفر امرأة صبيحة فبادر إليها واعتنقها فاجتمع الناس فضربوه فقال**:

عـلّـقـوا الـلـحـم لـلـبـزا ... ةِ عـلـى ذروتـي عـدَن

ثـم لامُـو الـمـحـبَّ فـيـ ... ـه عـلـى خـلـعـه الـرسَـن

لـو أرادوا عـفـافـه ... نـقـبـوا وجـهـه الـحـسَـن[1]

٦ ـ ومثل هذه الحكاية وإن لم تكن مما نحن فيه ـ ما روي أن ابن زيدان كان عند يحيى بن أكثم يملي عليه فقرص خدّه فغضب فأنشأ يقول:

أيـا قـمَـراً خـمـشـتُـه فـتـغـضـبًـا ... وأصبـح لـي مـن تـيـهـه مـتـجـنِّـبًـا[2]

إذا كـنـتَ لـلـتـخـمـيـش والـعضّ كـارهـاً ... فـكُـنْ أبـداً يـا سـيـدي مـتـنـقِّـبًـا

ولا تـظـهـر الأصـداغ لـلـنّـاس فـتـنـةً ... وتـجـعـل مـنـهـا فـوق خـدّك عـقـربًـا

فـتـقـتـلَ مُـشـتـاقـاً وتـفـتـنَ نـاسِـكـا ... وتـتـركَ قـاضِـيَ الـمـسـلـمـيـن مُـعـذّبًـا

(١٥)

خرافاتٌ على سبيل التهكّم

●

١ ـ **رأى حمدويه المخنث بمكان منكر صاحب شرطة فقعد على روثة يريه أنه يخرأ.**

---

(١) **نقبوا وجهه**: ستروا وجهه بالنقاب وهو القناع.

(٢) **خمشته**: خدشته، لطمته ـ **التيه**: الزهو والكبر.

فلما دنا منه قام **فقال له**: ما كنت تفعل؟ **فقال**: كنت أخرأ فإذا تحته روث **فقال**: أتروث هذا؟ **فقال**: مالك وهذا، كل إنسان يخرأ ما يريد.

٢ ـ **قيل لعبد الرحمن القاضي**: لمَ سمّي العصفور عصفوراً؟ **قال**: لأنه عصى وفر. **قيل**: فالطفشل، **قال**: لأنه طفا وشال.

٣ ـ **جعل سخفاء واحداً منهم على جنازة فمرّ بهم جحا فقالوا له**: صلّ على هذا الفقير الغريب فصلّى. فلما كبّر ضرط والتفت إليهم **وقال**: إن كان على صاحبكم دين فاقضوه، فهذا من ضغطة القبر. **وقال له أبوه**: قبر هذا الجب فقبره من خارج **فقال**: ويحك إنما يقبر من داخل **فقال**: اقلبوه.

٤ ـ **قال علي بن عبد العزيز القاضي**:

قوم إذا خرؤا خلّوه وانصرفوا ... أليس ذا كرما ناهيك من كرمِ

وقال:

لقيتُ أبا يحيى عشيةَ جئتُه ... كريمَ المحيا طاهر البشرِ وأقلب

كريمٌ كنَصْلِ السيفِ يهتزّ للنّدى ... كما اهتزّ ماضٍ للضريبةَ واقلب[1]

وأيرُ حمارٍ داخلٌ في حِرِ أمه ... ولا تقلبَنْ هذا فليس بو اقلب[2]

٥ ـ **قال بعضهم**: ركبت سفينة من بغداد إلى واسط، فإذا أنا بشيخ له رواء وهيبة. وكنّا جماعة رفقة كل منّا يشتهي مداعبة الشيخ ويتحاماه لهيبته، إلى أن بلغنا المقصد، **فقلت للشيخ**: أوصني. **فقال**: إذا جاءتك الريح فأرسلها ولو بين الركن والمقام. **فقلت**: زدني، فقال يا بنيّ إذا ملكت جارية فاستعن بدبرها على قبلها يكن لك من كان. **فقلت**: زدني فقال يا بنيَ النيك من قدّام يضعف الركبتين فإيّاك أن تستعمله في الصيف خاصة، والنيك بغير بزاق أنظف للكف، ثم **قال**: تمسّك بهذه الأربعة تكن لقمان زمانك.

٦ ـ **قال المبرّد سأل رجل فقيهاً، فقال**: علّمني. **فقال**: أنا مستعجل فخذ جملتها أجحد ما عليك وادّع ما ليس لك واستشهد بشهود غيب، وأخّر اليمين إلى أن تنظر فيها

٧ ـ كان رجل وامرأته يبوّلان في الفراش فاتفقا أن يتعاقبا في النوم ويحتفظ كل بصاحبه. فنام الرجل وسهرت المرأة قابضة على متاعه فلما همّ بالبول نبهته. فقام وبال

---

(١) **الندى**: الكرم ـ **اهتزّ ماض**: الماضي: السيف ـ **الضريبة**: موقع الضرب من الجسد، والضريبة أيضاً: الطبيعة والسجيّة.

(٢) **الحِر**: الفرج.

ونامت المرأة من بعده فقبض على متاعها فلما همّت بالبول، كانت تنزّ من جانب إذا قبض على جانب.

٨ ـ **ولّى أبو العير أبا العجل وكتب له عهداً نسخته**: يا أبا العجل وفقك وسدّدك وليتك خراج ضياع الهواء ومساحة الهباء وكيل ماء الأنهار وعد الثمار، وصدقات البوم وكيل الزقوم وقسمة الشوم بين الهند والروم. وأجريت لك من الأرزاق بغض أهل حمص لأهل العراق وأمرتك أن تجعل ديوانك ببرقة[1] ومجلسك بأفريقية، وعيالك بميسان[2]، واصطبلك بهمدان[3] وخلعت عليك خفّي حنين، وقميصاً من دين، وسراويل من سخنة عين فدر في عملك كل يوم مرتين والحمد لله على ما ألهمنا فيك فقابلنا بالشكر فيما نوليك.

٩ ـ **قالت جارية مات أبوها**: واأبتاه واخيلاه فقالت لها امرأة: ويلك ومتى كان له خيل؟ **قالت**: كان يريد أن يشتري.

١٠ ـ **ونظر مزيد إلى أهل الكوفة** وقد أخرجوا صبيانهم للإستسقاء **فقال**: لو كان دعاؤهم مستجاباً لما بقي في الأرض معلم. أسلم نصراني **فقالت أمه**: سخنت عينك محمد بعد لم يعرفك وعيسى تبرأ منك.

١١ ـ **وكان أعرابي يمدح أميراً فضرط فقال**: والله أنه لينطق كل عضو مني بمدح الأمير.

١٢ ـ **وقال المأمون لأعرابي**: إن عددت من جوارحك عشرة أولها كاف أعطيتك عشرة آلاف درهم. فقال كوع كرسوع كبد كفل كف كشح كعب كاهل كرش. وولّي الأعرابي فإذاً إنسان يبوّل فعاد وقال كمرة فأعطاه.

(١٦)
فتاوى على سبيل الحماقة

●

١ ـ **قيل لابن مجاهد ما أول الدخان؟ قال**: الحطب الرطب. **وقيل**: أين في القرآن الهريسة؟ **قال**: بقرة صفراء وفومها واَضربوه ببعضها، وفار التنور، ولتركبن طبقاً عن طبق. ذهب طبري إلى مفت **فقال**: كنت في صلاتي، فخرج من دبري

---

(١) **برقة**: عاصمة منطقة في ليبيا.

(٢) **ميسان**: منطقة جنوب العراق على شطّ العرب.

(٣) **همدان**: بلدة في فارس.

شيء. فقال: أكان مثل حمصة؟ قال: أكبر. قال: كبندقة؟ قال: أكبر، قال: كجوزة؟ قال: أكبر. قال: أراك قد خريت.

٢ ـ وقال بعضهم رأيت جملاً بحمص يتبع بقرة فقلت أهذا ولدها؟ فقالوا: لا، بل يتيم في حجرها.

٣ ـ مرّ العتابي بمنصور النمري فرآه كئيباً فسأله، فقال: امرأتي عسرت ولادتها. فقال: أكتب على حرها هارون فقال: ما هذا أتهزأ بي؟ فقال: أعني قولك في هارون:

أن أخلف القطر لم تخلف مواهبه ... أو ضاق أمر ذكرناه فيتّسع[1]

٤ ـ كان بعض أهل نصيبين شديد الغفلة، وكان يسوق عشرة أحمرة فركب حماراً منها، وعدّها فرآها تسعة. فنزل وعدها فوجدها عشرة فقال: أمشي وأربح حماراً أجود.

(١٧)

بلاغات من لم يختلف للكتاب

●

١ ـ كتب معاوية بن مروان إلى الوليد بن عبد الملك: بعثت إليك بقطيفة خزّ أحمر أحمر فكتب إليه: قد وصلت وأنت أحمق أحمق والسلام.

الشاملة

٢ ـ قال أبو القاسم بن بابك الشاعر أنشدني ابن القراني لنفسه: أنت يا ابن شيار أنت تحكم في الدين كزار غير فرار. ولست كالقاضي الذي يتبع العار. وأمير المؤمنين الطائع أطال الله بقاءه وأدام عزّه وتأييده وسعادته وكفايته لك مختار. فقلت: لم طولت هذا البيت فقال هو خليفة ولا يجوز أن ينقص دعاؤه.

٣ ـ قال دعبل: كان لي صديق يقول شعراً فاسداً فقال يوماً:

إن ذا الحبّ شديدُ ... ليس ينجيه الفرار

ونجا من كان لا يأ ... من من ذلّ المخازي

فقلت هذا لا يجوز. فالبيت الأول راء والثاني زاي. فقال: لا تنقطه.

قلت: فالأول مرفوع والثاني مجرور. فقال: أنظر إلى حماقته. أقول له: لا تنقطه وهو يشكله.

٤ ـ وقال محمد بن العبّاس لوكيل: ما حال غلتنا بالأهواز؟ فقال: أما متاع أمير

---

(١) القطر: المطر ـ يقول إن ممدوحه لا يتأخر له عطاء، وقد يخلق المطر دون أن تخلف مواهبه فهي دائمة لا تزول.

المؤمنين فقائم على سوقه. وأما متاع أم جعفر فمسترخ. **وقال بعضهم**: احتمجت من الخديعتين يعني الأخدعين.

٥ ـ **كان عبد الله بن عوانة يقول**: الحمد لله واصطأفر الله، والله فأكبر، **وقال** المشي إلى بيت الله أعني به الطلاق الثلاث، ثلاثين حجّة. أحرار لوجه الله وسبيلي حبيس في دواب الله فقلت موفقاً إن شاء الله تعالى.

٦ ـ **قال رجل للرئيس بن العميد** إذا رأيت وجهك رأيت الباءة يريد البهاء **فقال** إذا وجهي سقنقور[١] أنشد عبد الله بن فضلويه:

قـيـامـة يـوم لا دواء لـه   إلا الـطـلاء وإلا الـطـيـب والـطـرب

فقيل له: ويلك إنما هو يوم الحجامة[٢] **فقال**: أعذروني فإني لا أعرف النحو

ولبعض أهل خراسان:

أنـا شـذره أنـا هـذبـه   أنـا زيـن الـخـطـبـون
ولـنـا بـاب اش هـشـت   كـربـه بـسـيـبـرمـون
ولـنـا رهـوذة   كـل يـوم دهـمـون
يـحـمـلـوه كـل يـوم   ذي سـوى مـا يـطـبـخـون

وقال:

ولـنـا بـرج حـمـام كـان جـدي قـد بـنـى
فـيـه بـيـض وحـمـام   ودجـاج ورنـا
أحـسـنـت والله أمـي   حـيـن جـاءت بـأنـا

وقال رجل: لأعين الطبيب إني لأجد في بطني وجعاً لا أدري ما هو؟ **قال**: فخذ أيش هو، واجعل فيه ما اسمه ودقّه بقول أنت.

(١٨)

لعب الاعراب

●

● **البقيري** وهو جمع تراب يقطع نصفين ويقال خذ أيّهما شئت.

● **وعظيم وضاح** عظم يرمي به أحد الفريقين فمن وجد من الفريقين ركب

---

(١) **السقنقور**: ضرب من الزحافات في البلاد الحارة، يقال له التمساح البريّ واللفظة يونانية.

(٢) **الحجامة**: المداواة بالمحجم وهو شيء كالكأس يفرغ من الهواء ويوضع على الجلد فيحدث تهيّجاً ويجذب الدمّ بقوة.

أصحابه الفريق الآخر من الموضع الذي وجد فيه إلى الموضع الذي رموا به.

● **والحظيرة** أن يرمي أحد الفريقين بمخراق من خلفه فإن عجزوا عن أخذه رموا به إليهم، فإن أخذوه ركبوهم.

● **الدارة** التي يقال لها الخراج، **والشبحة** التي يقال لها نجو بالفارسية.

● **ولعبة الضبّ** أن يصور الضبّ ثم يحوّل أحدهم وجهه فيضع يده على موضع فيقول عين الضب أو ذنبه أو كذا. فإن أخطأ ركب هو وأصحابه، وإن أصاب حوّل وجهه فيصير هو السائل.

●

تمّ بحمد الله الجزء الثاني من كتاب:
محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء
للراغب الأصبهاني رحمه الله.
وذلك في يوم الثلاثاء:
٢٣ شهر شوّال عام ١٤١٩هـ
الموافق
٩ شباط عام ١٩٩٩

الناشيء

كتاب «محاضرات الأدباء»

●

فهرس الجزء الثاني

الحدّ الثاني عشر

●

في الإخوانيات ٥

الحدّ الثالث عشر

●

في الغزل وما يتعلّق به ٤٣

الحدّ الرابع عشر

●

في الشجاعة وما يتعلق بها ١٤٦

الحدّ الخامس عشر

●

في التزويج والأزواج والطلاقِ والعفةِ والتديث ٢٢٠

الحدّ السادسَ عَشَر

●

في المجونِ والسُّخفِ ٢٦٤

الحدّ السابع عشر

●

في خَلْقِ الإنسان ٣٠٥

الحدّ الثامن عشر

●

في الملابس والطيب ٣٧٥

الحدُّ التاسعَ عشر

●

في ذمّ الدنيا ونُوبِهَا ٣٩٤

الحدّ العشرون

●

في الدياناتِ والعباداتِ ٤١٠

الحدّ الحادي والعشرون

●

في الموت وأحواله ٥٠١

الحدّ الثاني والعشرون

●

في السماء والأزمنةِ والأمكنةِ والنباتِ والأشجارِ والنيرانِ ٥٥٨

الحدّ الثالث والعشرون

●

في الملَك والجنّ ٦٦٠

الحد الرابع والعشرون

●

في الحيوانات ٦٦٧

الحد الخامس والعشرون

●

في فنون مختلفة ٧٤٢

الناشبيء

الناشيء